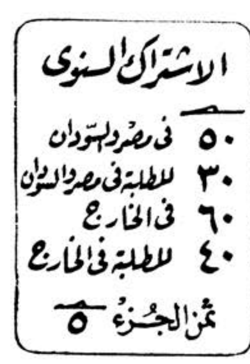
سنة ١٣٧٣

مجلة الأزهر

إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم





رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

العنوان
ادارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

المجلد الخامس والعشرين || غرة المحرم ١٣٧٣ — ١٠ سبتمبر ١٩٥٣ || الجزء الأول

فاتحة السنة الخامسة والعشرين لمجلة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الواصل الحمدَ بالنعم ، والنعمَ بالشكر . اللهمّ إنا نعوذ بك أن نُفتنَ عن دينك ، أو تُتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذى جاء من عندك .

وبعد فقد دار ملكوت الله الأعظم دورةً أخرى ، فالتقينا — على رأس السنة الخامسة والعشرين من حياة هذه المجلة — بمن جمعنا الله بهم من كتابها وقرائها ، لنتعاون إن شاء الله على ما يسدد خطانا نحو الغاية التى بعث الله بها رسله برسالاته ليوجهوا الإنسانية إليها ، وعلى ما يصلح خططنا فى تنظيم حياتنا وإسعادها ، والإفادة من ثروتنا فى العلم والحكمة والأخلاق ، التى ادخرها لنا العلماء البررة من سلفنا الكادحين الناصحين الصالحين .

نحن فى زمن كثر فيه القائلون ، وما أكثر من يحسن القول ويجوّده ، ولكن قل منا من يعمل بما يقول ، ومن يخطر بباله وهو يقول أن الذى يقوله يراد منه العمل به . وحبذا الكاتب المقل الذى يؤمن بما يكتبه ، ويعمل بما هو مؤمن به ، ويدعو قراءه إلى مثل هذا الإيمان والعمل به ، فهو الذى يخاطب القلوب بلغة القلوب ، وقديماً قالوا : من القلب إلى القلب سبيل . ونحن فى زمن كثر فيه القارئون ، وكثيرون منهم يواصلون

القراءة بشغف ونهم ، وقد لا يفوتهم شيء مما يهمهم الاطلاع عليه . غير أنهم يقرأون - فى الغالب - للتسلية والمتعة ، وليقولوا أحسن فلان وزل فلان ، وقل منهم من يرتفع إلى مستوى العاملين على تمحيص الحقائق والتعاون مع أهلها والدعوة إلى تعميم العمل بها .
وحبذا القارىء الذى يتحرى الحق والخير فيما يقرأ ، والذى وهبه الله حاسة الشعور بإيمان من يكتب عن إيمان ، فيعمل من ناحيته على تحقيق النافع من دعوة الحق ، إلى أن يكون للحق أولياء يهاجرون إليه حيثما يكون ، وللخير أنصار يؤيدونه فى كل الظروف .

إن مثل المبادىء والسنن فى تاريخ الإنسانية كمثل النقود التى يتعامل الناس بها فى الأسواق . ونحن المسلمين أغنى أمم الأرض فى مواريث الإنسانية من مبادىء الحق وسنن الفضائل والخير . ولكن مرت علينا بضع مئات من السنين جهلنا فيها قدر هذه المواريث فأهملنا التعامل بها ، ثم طغى علينا الاستعمار الأجنبى فروج فينا عملة أخرى من مبادئه وسننه ، صنعها لنا ولنفسه من نحاس وصفر ، وطلاها بطلاء لامع براق ، فبقيت مواريثنا الذهبية والفضية مهملة فى جملة مهملاتنا التى لا ننتفع بها ؛ ويسطو عليها المستشرقون - وهم عيون الغرب فى الشرق - فيستخلصون منها ما يروقهم ، ويعلنونه فى نظريات لهم ينتحلونها ، وبحوث يفخرون بها ويتيهون على الناس . ثم يعرضون علينا سائر تراثنا ناظرين إليه بعين السخط ، فيتطفل أبناؤنا على فتات موائدهم ، ناقلين إلينا غذاءنا من فضلاتهم . وهذا هو العلم اليوم عند مؤلفينا وكتابنا وعلمائنا : ثقافة اجنبية محضة أحللناها محل ثقافتنا ، وارتضيناها عملة لأسواقنا بدلا من عملتنا المهملة . وعلم من تراثنا لا نأخذه مباشرة عن أصوله بأساليب قومية وروح إسلامية ، بل نأخذه عن طريق الآخرين ناظرين إليه بأعينهم ، حاكمين عليه بأهوائهم ، عارضين له بأذواقهم وأغراضهم

بين أيدى أبناء هذا الجيل — من شرقيين وغربيين ، مسلمين وغير مسلمين — تركة جهاد وجهود لسلفنا من المسلمين والعرب سهروا على تكوينها أربعة عشر قرناً فى الإسلام وقرونا مثل ذلك قبله . وهذه التركة فيها لغة العرب ، وهى أدق لغات البشر وأوسعها وأجملها . وفيها شريعة الإسلام ، وهى أعظم الشرائع على الإطلاق وأغناها وأبعدها عن أهواء النفوس البشرية فى تحرى العدل وتوقيع أحكامه على ما يحدث للناس من أقضية . وفيها جهاد نبيل لبعث الأخلاق الفطرية ، وتكوين الكيان الإنسانى السعيد الذى لم تنجح فيه

أمة ولا دعـــوة كما نجحت فيه أمتنا وقامت عليه دعوتنا . وقد شمرت طوائف كثيرة عن سواعدها لجرد هذه التركة الإسلامية العربية والإفادة منها وعرض محتوياتها بعزائم ضعيفة وأخرى قوية ، وبعيون الرضا وعيون السخط .

ومن هذه الطوائف المستشرقون على اختلاف أجناسهم ولغاتهم من نحو مائتى سنة وأكثر ، وأخيراً الجامعة العبرية القائمة على جبل الزيتون فى بيت المقدس ، وفى شهرنا هذا انعقد المؤتمر الدولى للثقافة الإسلامية فى برنستون من ولاية نيوجرسى بأمريكا . كل هذه الطوائف والعناصر أباحت لنفسها أن تضع أيديها على تركتنا التى هى أثمن تركات البشر ، ونحن وحدنا الواقفون موقف المتفرج عليهم ، وفينا من الأغرار من لا يريد أن يتعرف على تركة سلفه إلا عن طريق هؤلاء الأغيار فيجلب الحشف من تمرها إلى أسواق هجر ، بكل ما فيه من عجر وبجر ، حتى أضحكوا علينا أشياخهم من المستشرقين أنفسهم .

أما هذه المجلة فتدعو إلى أخذ النافع من العلم حيثما كان ، ومن أى مصدر صدر ، بشرط أن يكون حقاً ونافعاً . وتلفت أنظار المخلصين من شباب الجيل إلى أن تراثنا العلمى والثقافى أثمن تراث ورثه خلف عن سلف ، غير أنه أصبح باهمالنا له كالعملة التى بطل التعامل بها وبذلك صرنا مفلسين . فعلينا أن نعود إلى تراثنا فنتعاون على بعثه بأيدينا ، ناظرين إليه بعيون إسلامية ، حريصين عليه حرص المالك على ما يملك . وبذلك نرد على عملتنا قيمتها ، فيرد الله على هذه الأمة المفلسة اعتبارها ، وتتبوأ مكانتها بين الأمم .

لقد أصيب كتابنا ومؤلفونا ـ من أعقاب الحرب العالمية الأولى ـ بمرض أجنبى حملهم على أن ينظروا إلى ماضيهم ، وإلى تاريخهم ، وإلى علومهم ، بعيون الأجانب . وصاروا يحكمون على أسلافهم بقسوة الأغيار على غيرهم . ونحن ندعو فى هذه المجلة إلى بعث تراثنا ، وإلى التعامل بمبادئه وسننه ، وإلى الاعتزاز به كما يعتز خير الخلف بخير السلف . ونرحب بكل تعاون على ذلك من كتاب هذه المجلة وقرائها ، ونرجو الله لهذه الدعوة المخلصة حسن الاستجابة .

المحرر

إيمان ...

من الشائع على ألسنة الجماهير فى الكيان الإسلامى أن « النظافة من الإيمان » ... فأى إيمان هذا الذى يعدُّ النظافة من عناصره ؟

ومما يلهج به كلُّ مسلم فى كل مكان أن « الحياء من الإيمان » ، ولكن ما هى الرابطة بين الحياء وبين الإيمان ؟

الحياء زينة الأخلاق ، وهو ماء الحيوية الذى يترقرق فى سيما الفضائل . كما أن النظافة مقياس من مقاييس الحضارة والعمران ، وهى ـ بعدُ ـ فى طليعة وسائل الصحة وأسباب الوقاية من الأوبئة والأمراض ، وتكاد تكون نصف الجمال .

هذه حقائق يعرفها ويعترف بها جميع الناس فى كل الأمم . غير أن موضع العجب فى هاتين الكلمتين الشائعتين على ألسنة المسلمين أن تكون النظافة وأن يكون الحياء من الإيمان ، فأى شرع هذا الذى نقل النظافة والحياء من جو الدنيا ونطاقها ، وأقحمهما فى جو الدين وصميم إيمانه ؟ !

إن الإيمان الذى عرفته الأمم فى أكثر الديانات يتناول الغيبيات والخوارق ، ويتجاوز الطبيعة إلى ما وراءها . والإسلام قد أقر من ذلك ما هو حق ، وجاء مصدقا لما صح من رسالات الله السابقة ، غير أنه افترق عن غيره باتساع أفقه لكل ما تتوقف عليه سعادة المجتمع الإنسانى ، فجعل ذلك من عناصر إيمانه ، حتى لقد قال حامل آخر رسالات الله وأكملها صلوات الله وسلامه عليه :

« الإيمان بضع وسبعون شعبة : أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . والحياء شعبة من الإيمان » .

وهذه البضع والسبعون من شعب الإيمان الإسلامى هى التى بينها الله ورسوله فيما ورد من أوامر القرآن ونواهيه ، وفيما صح من الأوامر والنواهى فى السنة المحمدية . فكل أمر

أو نهى فى دين الإسلام فإن المسلم مكلف بأن « يؤمن » أنه حق ، وعليه أن « يعمل » به ، وأن يظهر أثر إيمانه به فى جوارحه وتصرفاته . وهذا هو معنى قول السلف : الإيمان تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان . ومن حكمة التعبير النبوى عن شعب الإيمان بأن أعلاها « لا إله إلا الله » ، وأدناها « إماطة الأذى عن الطريق » ، وأن « الحياء من الإيمان » هو أن هذه الدرجات الثلاث التى ضربها النبى صلى الله عليه وسلم مثلا لسائر درجات الإيمان وشعبه قد حوت الإقرار باللسان فى كلمة « لا إله إلا الله » ، والعمل بالجوارح فى إماطة الأذى عن الطريق ، كما حوت التمثيل بالحياء لأثر الإيمان فى جوارح المؤمن ، لما لا يخفى من ظهور أثر الحياء فى ملامح صاحبه وعلى وجهه وأوضاعه .

لقد تتبعت ـ منذ سنين طويلة ـ شعب الإيمان الإسلامى كما وردت فى أوامر هذا الدين ونواهيه ، فرأيتها كلها ـ بلا استثناء ـ تتفرع من دوحتين عظيمتين لا تخرج شعبة من شعب الإيمان الاسلامى عن إحداهما :

الدوحة الأولى : هى « دوحة الحق » ، ومعظم أوامر الإسلام التى نحن مكلفون بالإيمان بها متفرعة عنها .

والدوحة الأخرى : هى « دوحة الخير » وكل مازاد عن فروع الدوحة الأولى من شعب الإيمان الإسلامى داخل فى شعب الدوحة الثانية ومتفرع عنها ومكمل لها .

وتعال معى الآن نلق نظرة على « دوحة الحق » فى الإيمان الاسلامى لنرى نماذج ولو قليلة من العناصر التى يتألف منها هذا القسم من إيمان المسلمين كما بعث الله به آخر رسل الله بأكمل رسالات الله :

من ذلك عنصر « الصدق » ، وقد أمر الله به فى سورة التوبة (١١٩) فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » . وفى سورة الأحزاب (٧ - ٨) : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . ليسأل الصادقين عن صدقهم ، وأعد للكافرين عذاباً أليما » . وفى السورة نفسها (٢٣ - ٢٤) . « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزى الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفوراً رحيما » . وفى سورة الزمر (٣) : « إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار »

وفى آل عمران (٦١) : « تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

ومن دوحة الحق عنصر « العدل » الذى عليه تقوم الأمم وتحيا الجماعات ، وفيه يقول الله عز وجل فى سورة النحل (٩٠) : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى » . وفى سورة النساء (٥٨) : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

ومن تلك الدوحة فى الإيمان الإسلامى « الشهادة بالحق » وقد ورد من ذلك فى سورة البقرة (٢٨٣) : « ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليم » . وفى السورة نفسها (١٤٠) : ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، وما الله بغافل عما تعملون » . وفى سورة الطلاق (٢) : « وأشهدوا ذوى عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله ، ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » . بل المسلم مأمور بأن يقف فى مجلس الحكم فيشهد بالحق ولو على أقاربه ، بل على أبيه وأمه ، بل يشهد على نفسه ولا يبالى بكل ما يكون لشهادته من نتائج ، وذلك قول الله عز وجل فى سورة النساء (١٣٥) : « ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين . إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » . وهذه المرتبة فى التزام الحق والإيمان به والعمل بمقتضاه لا نعرف فوقها مرتبة ، وأى مرتبة فوق أن يتقدم الإنسان إلى المحكمة بدافع من إيمانه الدينى فيشهد على نفسه ، أو على أبيه وأمه ، فضلا عن سائر ذوى القربى ؟ . . . وإن خالف الحق فى ذلك كان مخلا بشعبة عظيمة من شعب الإيمان فى الدين الذى هو أحد المؤمنين به !

ومن دوحة الحق فى الإيمان الإسلامى حفظ « الأمانات » وحسن أدائها . وقد ورد من ذلك قول الله عز وجل فى سورة البقرة (٢٨٣) : « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى ائتمن أمانته ، وليتق الله » . وفى سورة النساء (٥٨) : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » . ومدح الله المؤمنين برعايتهم للأمانات فى سورة المؤمنين (٨) بقوله سبحانه : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . ونهاهم عن ضد ذلك فى سورة الأنفال (٢٧ - ٢٨)

فقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون . واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم » .

ولو ذهبت أستعرض ما فى كتاب الله ـ فضلا عما فى سنة أكمل رسل الله ـ من الأوامر والنواهى المفروض فيها على المسلمين أن يؤمنوا بالحق ـ بجميع معانيه ومظاهره ومذاهبه ـ وأن ينصروه ، وأن يربوا عقولهم ونفوسهم وقلوبهم ، وبنيهم وذويهم وشعوبهم ، على محبته ومقت أعدائه ومقاومتهم فى جميع المواقف ، لطال بى المقام . لأن شعب الحق التى وجه الإسلام عنايته إليها تعد بالعشرات ، بل هى الشطر الأعظم من الشعب البضع والسبعين التى أشار إليها رسول الله ﷺ فى حديث شعب الإيمان ، والمسلم مأمور من دينه بأن يؤمن بكل شعبة منها ، وأن يبذل جهده لتحقيقها بالعمل ، فى كل الظروف ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

و « التعاون » على جميع الأعمال المباحة ـ من تجارية وصناعية وزراعية واجتماعية وعسكرية وإنسانية ـ متى تبينت فائدتها للأفراد أو الجماعات أو الأمة ، فإن ذلك معدود من صميم الإيمان الإسلامى ، لأنه من البر ، وقد أمرنا الله فى سورة المائدة (٢) فقال : « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . بل لو مست الضرورة فى يوم من الأيام إلى أن تكون دول المسلمين كلها « دولة تعاون » ، وشعوب المسلمين كلها « أمة تعاون » ، لكان المسلمون عاملين فى ذلك بشعبة من شعب إيمانهم ، ولكان ذلك من تمام إسلامهم .

ومن عجائب التربية الإسلامية الأولى على العمل بالإيمان الإسلامى أنهم كانوا يعتبرون « المال » الذى تحت يد أحدهم من كسبه وفى حيازته أنه « أمانة لله » عنده ، فلا يتصرف منه فى حوائجه وحوائج من يعولهم إلا بالمعروف وعلى قدر الضرورة . ثم يرون أن ما زاد على ذلك فهو لله عندهم فلا يتصرفون فيه إلا بما يرضى الله ، ويؤيد الحق ، وينمى مرافق المسلمين ، ويقيل عثرات الأخيار ، ويوسع دائرة الخير . وقد فهموا ذلك من قول الله عز وجل فى سورة الحديد (٧) : « آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم (مستخلفين) فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » . وبذلك تعودوا لذة الزهد فى الكماليات التى يسهل الاستغناء عنها ، وترفعوا عن سفاسف الأمور فلم يضيعوا فيها شيئاً من أموالهم

وأوقاتهم وجهودهم ، وحرروا نفوسهم من أن تكون مستعبدة للمتع الزائلة وفضول الشهوة ، فسعدت بذلك أممهم ، وقويت ، واستفحل ملكها ، وبلغت أوج العزة وقمة السيادة .

أما « دوحة الخير » فى الإيمان الاسلامى فإنها لا تقل عظمة وحيوية وازدهاراً عن أختها دوحة الحق ، بل إن نفس المؤمن فى ظل هذه الدوحة أرضى وأسعد ، لأنها تقوم بالقدر الزائد عن الحق ، وتقوم به مختارة ، فهى تجد اللذة عنده مضاعفة . ولو شاء امرؤ أن يؤلف فى تفاصيل هاتين الدوحتين كتابا يبدأه بحصر عبودية الإنسانية وطاعتها فى الله وحده ، إذ « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، ثم يستعرض شعب الإيمان الإسلامى شعبة بعد شعبة ودرجة فدرجة حتى يبلغ شعبة الرفق بالحيوان وأنها من عناصر إيمان المسلمين ، ثم ينزل منها إلى الشعبة التى تجعل من تكاليف المسلم أن يميط الأذى عن الطريق ليمنع ذلك الأذى عمن يعرف ومن لا يعرف ، بل عن أعدائه الذين يسلكون ذلك الطريق فضلا عمن يودهم ويريد الخير لهم ، إن من يؤلف فى شعب الإيمان الإسلامى فيستعرضها كلها ، سيجد نفسه أمام دين لا شك أنه دين الحق ، وشريعة لا ريب أنها شريعة الخير : بمفهومها الإنسانى منذ وجدت الانسانية فى هذه الأرض إلى أن تقوم الساعة . وإن كتابا كهذا لا يستطيع المؤلف الحكيم المنصف إلا أن يخرجه فى مجلدات حافلة بالمثل العليا الإنسانية العليا . وما هذه المثل العليا للإنسانية العليا إلا « الاسلام » نفسه فى ريعان حيويته وروعة فطرته ، مجرداً من أنانيات البشر وإسفافهم وضئالة نفوسهم منذ انقطع عنها هذا الغذاء الشهى والمورد العذب الهنى . ويوم دخل المسلمون الاولون مصر والشام والعراق وشمال إفريقية وسائر البلاد التى حلوا إليها الرسالة المحمدية ، تقدموا إلى أهلها بهذا الإيمان معروضا على الأنظار ببراهين العمل به والتعامل بقواعده وسننه ، فبادرت الأمم فى الحال إلى اقتباسه وتفضيله على كل ما كانت عليه من قبل .

أيها الطالب الازهرى ، ويا أيها الشباب المسلم حيثما كنت ، إن إسلامك إذا عرفته من ينابيعه فهو سبب سعادتك ، وسعادة وطنك وأمتك بك . آمن به ولا تخف ، ومن شرط إيمانك به أن تعمل به ، وإذا عملت به أنت وأبناء جيلك فأنا الضامن لكم بأن تؤمن به هذه الأمم الحائرة التى تنشد أهداف رسالة الإسلام وهى لا تعلم أنها موجودة فى الاسلام لأنها تريد أن ترى بعيونها ، لا أن تسمع بآذانها . . .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن :

مسجد المدينة

[لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه]

— ٧ —

بدا لى أن أستقبل مجلة الأزهر فى عددها الأول لعامنا الهجرى الجديد [١٣٧٣] بالحديث عن مسجد مدينة الرسول ـ كرّمها الله ، وأضفى على ساكنها من صلواته وتسليمه صوبا مديدا ، ويارك جيرة الرسول فى جيرتهم ومنحهم رزقا مزيدا .

وبالكلام على مسجد المدينة أكون وصلت الحديث بما نشرته لى مجلة الأزهر ـ مشكورة ـ عن البيت العتيق ، لا حجب الله عنا إشراقه ، ولا أطال علينا فراقه ، وأكون كذلك أرضيت نفساً تتوق إلى الهدى وإن لم تكن مهدية ، وآنستها بذكريات عن روضة الرسول أعز عليها من الامل فى لقاء الأحبة ، وهدأت بين الضلوع نوازع يثيرها ركب الحجيج كلما نهض إلى بيت الله محرما ، أو عاد إلى الديار غانما .

وذو الشوق القديم وإن تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا

والمساجد المذكورة فى القرآن ثلاثة ، ثم رابع :

المسجد الحرام ـ وقد تناوله القرآن صراحة أو ضمنا فى أكثر من خمسين آية على ما حدثناك من قبل .

والمسجد الأقصى ـ بيت المقدس ـ وهو أحدث من الأول ، وكان القبلة المشروعة قبل الكعبة .

ثم مسجد المدينة ـ الذى نتجه إلى الحديث عنه الآن .

تلك المساجد الثلاثة التى أقيمت على الحق ، والتى بورك فيها بذكر الله وعبادته منذ نشأتها ، ثم المسجد الرابع : مسجد الضرار ... قبح الله أهله كما شوه سيرته .

وكان مسجد المدينة حريا بتخليد ذكراه فى الكتاب العزيز ، مقرونة بأكرم صفة له ، وأطيب ثناء على أهله .

ذلك أن دعوة التوحيد حينما هتف بها النبي ﷺ وصحبه فى وطنهم، وبين أهليهم نشأت غريبة عليهم، بغيضة إليهم، وما زالت بهم فى رفق وتؤدة، وما زالوا بها فى مقاومة وعنف، حتى لقيت منهم أنكى ما يلقى الدعاة إلى الخير من شرار الناس وأعداهم للخير. وإذا كان الأمر فى أوله يستغرب ثم يؤلف، فإن دعوة محمد ﷺ لم تظفر من أهله غير قليل منهم - إلا عنتا فى الخصومة، وشططا فى النكال.

وكيف تحسب أنت قوما يطاردون إنسانا دعاهم إلى الهدى، وأخلص لهم فى النصح، وما كلفهم على ذلك قليلا من حطام، ولا رغب إليهم فى نصيب من سلطان. وهم مع ذلك يعرفون عن طهارة نشأته، وعن مجد قبيلته، وأصالة الشرف فى بيته ما يكفى لأن يطمئنوا إليه، ويستجيبوا له ويلتفوا حوله، ويسيروا فى معيته لينهض بهم إلى مجد خير من مجدهم، ويكسبهم شرفا جديدا، وذكرا أبقى على التاريخ من ذكرهم، ولكنهم كانوا عليه، ولم يكونوا له. ثم لم يطيقوه داعيا بينهم وإن وجه دعوته إلى غيرهم، بل لم يطيقوه حيا فيهم وإن كان مسالما لهم، فغصت حلوقهم بدعوته أقسى ما تكون الغصة، وتعطشوا إلى دمه ليرووا منه ظمأهم وإن يكن من فلذات أكبادهم.

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على الحر من وقع الحسام المهند

ومن وراء هذه القتامة فى مكة يهيىء الله للمدينة أن تحتضن هذه الدعوة المرفوضة، وتؤوى الفئة المطرودة، وتنشر الراية المطوية، وتنصر الحق المهيض.

ويهيىء الله للمدينة أن يقام فيها مسجد يذكر فيه اسم الله، ويكون موئلا للقادمين من حملة الرسالة، بعد أن حيل بينهم وبين مسجد أصيل أقيم لذلك من فجر التاريخ.

ويكون ملتقى لهم بحماة الدعوة الذين تلقفوها من عداتها، الراغبين عنها جهلا بقدرها. فإذا كان مسجد المدينة أصبح رمزاً لنجاح الدعوة الإسلامية، ومعقلا لجندها الأوفياء، وندوة حافلة بالمصلين الذاكرين، وبالسائلين فى العلم وبالمجيبين، لجدير به أن يوصف فى كتاب الله: بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم.. وكفى بذكره فى القرآن إشادة ومجادة، وكفى به للمسلمين نفعاً وإفادة.

ولكن فى المدينة مسجدين: أحدهما كان الركيزة الأولى للدعوة فيها منذ وصل ركب النبي ﷺ وصاحبه، واستقبلهما المدنيون فى قباء: على بعد مرحلة من يثرب، ولا يزال

مرعياً حتى اليوم ، والثانى مسجد المدينة نفسها ، وكانت نشأته بعد ذلك ، وهو المسجد الأوحد فيها ، وما ينبغى أن يقام فيها سواه ، فإن الكواكب لا تفنى ، بل هى لا تبدو بجانب الشمس الضاحية . .

فأى المسجدين يراد فى الآية ؟ كلاهما أسس على التقوى من أول يوم ، وفى كليهما رجال أطهار بررة بدينهم وبنبيهم . . غير أن مسجد قباء أسبق ، وأن الثانى أعظم وأنفع . قال ذوو رأى صائب من المفسرين أن كليهما مراد ، وذكر المسجد ووصفه بصيغ المفرد لا يأبى التعميم إذا كان الوصف شاملا ، وقاعدة التفسير : الاعتماد على عموم اللفظ ، ولا عبرة بخصوص السبب ، ومع الارتياح إلى هذا : فإن المفسرين المولعين بالتحرى يأخذون بالقرائن ، ولكل وجهة .

ففريق يقول : إنه مسجد قباء ، والوجه عندهم أنه لما أقيم ذلك المسجد ، وظهرت به الحياة الروحية ، شق على المنافقين أن يدعوه من غير مناوأة ، فأشار عليهم أبو عامر - وهو من غلاة المنافقين - أن يقيموا بجانبه مسجداً آخر ، ريثما يذهب هو ليأتيهم بمدد من الروم يقاوم به المسلمين ، ثم ذهب هو ، وبنوا المسجد ، وطلبوا إلى النبى ﷺ أن يصلى فيه ليباركه ، وليكون مقصوداً للناس من بعد ، كما يقصدون مسجد قباء - ذلك زعمهم .

وإذ كان النبى ﷺ على أهبة السفر إلى غزوة تبوك ، وعدهم بالانتقال إلى مسجدهم للصلاة فيه بعد رجوعه من الغزوة ، ولكنه لم يكد ينتهى من غزوته حتى أوحى الله إليه بآيات تكشف له عن قصد البانين لهذا المسجد ، وتفضح نفاقهم ، وتجعله فى حل من وعده إياهم : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً ، وكفراً ، وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون » . فهذه أغراض أربعة ، ليس فيها واحد يمت إلى المسجدية بسبب : (ضراراً) أى رغبة فى إلحاق الضرر بالمسلمين ، كأن يستدرجوهم إلى مسجدهم ليقضوا على المسجد الأول بإهماله ، أو يختلطوا بهم دائماً فى غير تمييز فيستطيعوا الكيد للمسلمين دون تعرف عليهم (وكفراً) ورغبته فى ترويج كفرهم باسم الإسلام ، وهم لا يجرؤون على التظاهر به كما هو معنى النفاق (وتفريقاً بين المؤمنين) فى مساجد متعددة ليست إليها حاجة ، وفى ذلك توهين للرابطة ، وتمزيق للأخوة التى يساعد عليها اجتماعهم فى مسجد واحد ، ومن أجل ذلك جرى العمل

على الاكتفاء بالمساجد متى كانت تسع أهل محلتها على ما هو مبين فى بابه من الفقه .

(وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) أى ترصداً وانتظاراً لمن غاب عنهم فى استدعاء المدد من الروم ، وانتظاراً لحشد من يجتمع إليهم من منافق آخر يتحين الفرص معهم . . وكان من فرط نفاقهم أن يحلفوا للنبى على أنهم لا يقصدون من بناء مسجدهم إلا المقاصد الطيبة ، والعاقبة الحسنى ، وقد شهد الله عليهم بالكذب فى أسلوب أكيد ، وكفى بالله شهيداً .

بين الله أغراضهم ، ونهى رسوله عن الصلاة فى مسجدهم أبداً ، فكان النهى عن الصلاة فيه إيذاناً بهدمه ، ومحو آثاره حتى لا يفتتن به من لا يعى . لذلك بادر النبى ﷺ بإرسال نفر من صحبه فأحرقوه ، وكبتوا أهل المنافقين ، وكان النهى عن الصلاة مشفوعاً بالتوجيه إلى المسجد الأول ـ مسجد قباء ـ الموصوف بأنه أسس على التقوى من أول يوم ، وبأن فيه رجالا يحبون أن يتطهروا من الأخباث الحسية بالماء الطهور ، ومن الأوزار والشبهات بالعبادة الخالصة لله .

وإن مسجدا يكون زكيا عند الله ، ويكون أهله أطهارا بشهادة الله لأحق بصلاة النبى ﷺ فيه من مسجد دون ذلك ، بل بعيد كل البعد عن ذلك . . ذلك توجيه القائلين بأنه مسجد قباء ... وآخرون يتقبلون الثناء على هذا المسجد ، ولكنهم يجنحون فى توجيه الآية إلى مسجد المدينة ، لأن النبى ﷺ سئل عن المسجد الموصوف فقال (هو مسجدى هذا ، وفى ذلك خير) . . ولأنه لما نهى عن الصلاة أبدا فى مسجد المنافقين ترجح أن المسجد المقصود هو ما ثبتت له الأبدية ، وهو مسجد المدينة . . ونحن نفهم أنها توجيهات للرأى ، واجتهاد غير ملزم ، وأقربها إلى الحق شمول المسجدين فكلاهما على ما وصفت الآية .

ثم تظل الآيات فى تحقير النفاق وأهله ، وتزييف أعمالهم فيقول تعالى « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار ، فانهار به فى نار جهنم ، والله لا يهدى القوم الظالمين » .

أى : هل الفاعل لفعل بباعث من التقوى ، والرغبة فى رضوان الله يكون أشرف قصدا وأجدى نفعا ، أو من يفعل فعلا زائفا خبيث الغاية كمن يقيم بناءه على حافة بئر متصدع على وشك الانهيار حتما ، وإذا انهار ذلك العمل كما هو متوقع له ، فسيخر بصاحبه فى جهنم ؟ هل يستوى ذلك وهذا ؟ ؟ الجواب عقلا وطبعا وشرعا ـــ لا ـــ لا يستوى الخبيث والطيب ، وكذلك شأن النفاق والإيمان . ومن عجب أن القرآن يردد علينا حديث النفاق والمنافقين ، ويؤكد فى وقائعه وأمثاله أن النفاق مضيعة للأعمال ، ومهلكة للعاملين ، ولكننا لا نتبصر

فى الآيات ، ولا تجدينا الزواجر ، بل فسمع ولا نعى ، ونقرأ ولا نفطن ؛ وشىء من التعقل يهدينا إلى سنة الله فى تكوينه لهذا الكون ، فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وجعل الحياة الجدية لما يتسم بسمة الحق ، وكل شىء يلتاث بلوثة الباطل لا يحمل فى إهابه نصيبه من الحياة التى تكفل نفعه ، أو تورثه حظا من الخلود لأنه على غير سنة من الله فى تكوينه لكونه هذا ومن هنا يتضح قوله سبحانه « إن الباطل كان زهوقا » ذلك قصص نستمده من الحديث عن مسجد المدينة . وإن يكن مسجد قباء فيما تتناوله الآيات فالمساجد فى القرآن أربعة مشكورة : لا ثلاثة . . ثم خامس مرذول بغيض .

أما مسجد الرسول ﷺ — وقد احتوى الجثمان الزكى الأطهر ، واحتوى معه صاحبيه وهما من أكرم الكرام على الله بعد رسله — فإنه ليعد بحق طهوراً لقاصديه من المآثم ، فإن فيه مبعوث الهداية ، وداعى الإيمان ، والناصح الأمين . . والقرب من مثواه الكريم فى هذا المسجد يفتح القلوب الغفل ، ويدفع العظة إلى النفس ، ويوقظ الإحساس سريعاً إلى التماس المغفرة من الله فى هذه الروضة المأمولة بأحب الناس إلى الله : بمحمد خاتم رسله ، وأفضل أنبيائه ، وبصاحبيه المقدمين على سواهما من الشهداء عند ربهم .

أليس يؤيد ذلك أن الله جعل الصلاة فى هذا المسجد بألف صلاة فى غير المسجد الحرام ؟ ؟ فإذا كان ثواب الصلاة يبلغ هذه الأضعاف أفلا تكون الدعوات هناك . والصدقات وعامة الحسنات كذلك ؟ إن للأماكن تفاوتا فى القدر كتفاوت الأشخاص . . كان مسجده هذا أول مدرسة ترعرعت فيها العقلية الإسلامية ، وأول مجلس تشريعى أحكم فيه نظام القضاء ، ودبر فيه أمر المسلمين فى سياستهم وفى حروبهم ، وأول ندوة رحيبة صدر عنها التوجيه الصالح لخير الأمة الناشئة ، وانبثق منها العلم والتاريخ والأدب الرفيع .

واليقين فى الله لهذا المسجد — وقد اختاره لذلك كله — أن يظل مشمولا بالرعاية ، وأن يثبته بين معالم الدنيا طوال حياتها ، وأن يجعل منه الإشعاع الذى لا يخبو ، ونسيم الحياة الروحية التى لا تفتر ، وأن يربط بين قلوبنا وبين ساكنه برباط قوى من الإيمان الصادق ، حتى تلتق الدنيا فى نهايتها بالآخرة فى بدايتها ، فننتقل بنور هدايته فى دنيانا إلى ظل شفاعته العظمى فى أخرانا . . وما ذلك على الله بعزيز ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء





بدل من الهجرة

منهاج الحنيفية السمحة - رب مقيم خير من مهاجر - حقوق النعم - صنائع المعروف - بدل الهجرة فى الأمم الإسلامية - زكاة العلم والمعرفة .

« عَنْ أَبِى سَعِيد رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِىٌّ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنِ الْهِجْرَةِ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ! إِنَّ الْهِجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتُعْطِى صَدَقَتَهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ تَمْنَحُ مِنْهَا شَيْئاً ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَحْلُبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ ؛ فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئاً » .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

قد يبدو جديداً فى هـذا العهد الجديد ، أن ننتقل من أحاديث الهجرة وشئونها ، وحكمها وأحكامها ، وما يتصل بهـا من روائع أخبارها وأسرارها ، وبدائع إيثارها وآثارها - إلى ما يعادلها من صالح الأعمال ، وحميد الخصال ؛ فقد أسهمت هـذه المجلة فى مجلداتها الأربعة والعشرين ، بنصيب غير قليل من تلك الشئون ، ومنها ما كتبناه مستهل العامين : الخامس عشر والتاسع عشر فى حديثى الصحيحين : « لا هجرة بعد الفتح ولـكن جهاد ونية . . » و « إنمـا الأعمال بالنيات ، وإنمـا لكل امرىء مانوى . . »

ويسير على من تأمل فى سياسة الحنيفية السمحة ، أن يلمس فى منهاجها الحـكيم القيم ،

من كل عسر يسرا ، ومن كل ضيق فرجا ، ومن كل شاق بدلا ؛ وحسبنا حديث ذلك الأعرابي شاهداً إلى أن يمن الله ببسط الشواهد في أحاديث أخرى .

ظن هذا الاعرابي أن الهجرة إلى المدينة ومصاحبة النبي ﷺ فيها ، أمر محتوم على كل مسلم ، وعزب عنه أنها متعذرة على مثله أو متعسرة ، أو أنها إنما تجب على القادر عليها مخافة الفتنة في دينه ، فأما من كان مثله فلا بأس بأن يقيم مكانه ويعبد ربه ؛ فلما سأل الرسول ﷺ أن يبايعه على الهجرة رق له صلوات الله وسلامه عليه ورحمه ! وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ، وأخبره أن الهجرة شيء عظيم ، لا يقدر عليه إلا من يوطن نفسه على الصبر والجلد وبذل النفس والنفيس في سبيل الله . ورب قارٍّ في وطنه يعمل ويتصدق خير من مهاجر ، ورب مهاجر ليس له من هجرته إلا نصب الجسم وشقاء النفس !

ثم عرفه صلوات الله عليه أن للهجرة بدلا يقوم مقامها في عظيم الأجر والمثوبة ، لمن أصلح نيته وأحسن عمله : بدلا يختلف باختلاف كل وما خلق له .

والأعراب أهل المال الراعي : الإبل ، والبقر ، والشاء ؛ والاولى أكرم أموالهم ولا سيما الحمراء ؛ فبدل هجرتهم أن يؤدوا حقوقها كاملة غير منقوصة ، من صدقاتها الواجبة ، ونوافلها المستحبة ، وليعملوا بعد ذلك أينما كانوا ، ولو من وراء البحار [1] فإن الله تعالى لن ينقص أجر عامل مثقال ذرة « وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما » .

* * *

بين النبي ﷺ في حديثه هذا أهم حقوق النعم : أن تؤدى زكاتها ؛ وأن يمنح منها ؛ وأن تحلب على الماء يوم وردها . ومن حقها كما بين ﷺ في أحاديث أخرى ، إعارة دلوها ، وإعارة فحلها ، وحمل عليها في سبيل الله .

* * *

فأما زكاتها وزكاة سائر الأموال فهي فريضة محتومة لا ريب فيها ، بل هي ثالث أركان

---

(١) الشراح على أن البحر هنا : القرية أو البلد ومنه « وكتب لهم ببحرهم » ، ولكنا نختار أن يكون على حقيقته وأن العبارة جارية مجرى المثل للأمكنة التي تحول بينها البحار شقة وبعدا . وأكبر علمنا انه صلى الله عليه وسلم صاحب هذا الابتكار البديع .

الإسلام الخمس . وكفى مانعَ الزكاة إثماً وخزياً أن الله يعذبه بماله فى الدنيا والآخرة ، فهو فى دنياه حارس مهين ذليل خائف ، وفى أخراه أشد مهانة وذلا ، يوم يحمى على الذهب والفضة فى نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره . وتجىء الإبل أو البقر أو الغنم أعظم ما تكون وأسمنه تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها ، كلما جازت أخراها ردت عليه أولاها ، حتى يقضى بين الناس .

وأما المنحة والمنيحة فهى العطية ، وتقع على وجهين : عطية الرقبة بمنافعها من الحيوان والنعم والذهب والورِق والأثاث وما إلى ذلك ، وهذه هى الهبة ؛ وعطية الرقبة للمنافع زمانا من اللبن والشعر والصوف والوبر والثمار ونحوها على أن ترد الرقبة إلى صاحبها وهذه الثانية هى المرادة هنا .

والمنائح من الصنائع الجليلة الشأن ، العظيمة الخطر ، التى لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ومما جاء فى فضلها والحث عليها ما رواه الأئمة : أحمد والترمذى وابن حبان عن البراء ابن عازب رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من منح منيحة لبن أو ورق ، أو هدى زقاقا كان له مثل عتق رقبة [1] وإنما كان له هذا الأجر لأنه أحيا نفساً ، أو نفس كرباً ، والجزاء من جنس العمل ؛ وما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « ألا رجل يمنح أهل بيت ناقةٍ تغدو بعس وتروح بعس ، إن أجرها لعظيم » والعُس : الإناء الضخم .

وقد كانت معيشة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أول ما قدموا المدينة ، تعتمد على هذه المنائح ، أراد الأنصار أن يقاسموهم أموالهم وديارهم ، حتى عرض بعضهم أن ينزل عن إحدى زوجتيه فيطلقها ليتزوجها أخوه المهاجرى عقب عدتها . . فأبو إلا منيحة المنفعة . . وفى هذا تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لابن أختها عروة : إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقدت فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، فيقول : يا خالة : ما كان يعيشكم ؟ فتقول : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كانت لهم منائح ، وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا .

---

[١] شرح هذا الحديث فى المجلد الثانى من هذه المجلة ص ١٠٤–١١٣ .

ويروى الترمذى وأبو داود عن أنس رضى الله عنه قال : لما قدم النبى ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا يا رسول الله ما رأينا قوما أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل ، من قوم نزلنا بين أظهرهم ، لقد كفونا المئونة ، وأشركونا فى المهنأ ، حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا ، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم .

وحسب الأنصار بدلا من الهجرة هذه الصنائع التى كتبها الله لهم وأثنى بها عليهم ؛ ثم بشرهم نبيه صلوات الله عليه وسلامه بأنه لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، وأن من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله ، ثم إعلانه بأنه لولا الهجرة لكان امرأً من الأنصار ... أى بدل هذا ؟ ! وأى فضل هذا ؟ ! تالله لولا أن النصرة تابعة للهجرة ، لقلنا إن الأولى خير من الآخرة .

* * *

وأما تخصيص حلبها بيوم وردها فللرفق بالماشية والتيسير عليها ، ولتمكين المساكين والمحاويج من لبنها وانتفاعهم به ، ولتعميم البر وإشاعة الخير وبث التعاون جهرة فى أشد المواطن حاجة إليه ، فكم من فقير محتاج منقطع لا يسأل الناس إلحافا ، يموت جوعا ولا يرزأ أحداً شيئا ! فإذا أوى إلى ورد الماشية تفطن له أصحابها فمنوا عليه مما من الله عليهم من فضله .

وإذا كانت صدقة السر أفضل من صدقة الجهر ، لأنها أقرب إلى إخلاص المعطى والستر على المعطى — فإن صدقة الجهر أفضل ، لأنها أدعى إلى الاقتداء وأعون على إذاعة البر والتقوى . وما أصاب موضعه مع صدق النية فهو خير وأبقى « ولكل امرئ ما نوى » .

* * *

ذلك ، وللعلماء بحث هنا فيما عدا الزكاة من هذه الصنائع وأمثالها : هل هى حقوق مفروضة فرض الزكاة ، أوهى من مكارم الأخلاق ونوافل البر ؟ والذى نختاره أنها من المكارم المستحبة ، مالم تدع إليها ضرورة واجبة ، فتكون حينئذ حقا محتوما على المصلين « الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » .

* * *

وإذا كان هذا هو بدل الهجرة من أعرابى واحد فى إبله ، فكيف يكون البدل من

الأمم الإسلامية ، منفردة ومجتمعة ، وفى كل منها من العلماء والأغنياء والساسة والقادة والكتاب والخطباء والشعراء ، من لو أدوا ما افترض عليهم من هذا البدل ، لما طمع فيهم من كان بالأمس فى كنفهم وتحت رعايتهم ؟ !

* * *

الحق أن بدل الهجرة ليس جديداً ، فلقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا البدل حقا محتوما واضحاً لا لبس فيه يوم قال فى كلمته الجامعة الساطعة : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » ولقد حذر الله الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ! !

فهل آن لأمة محمد صلى الله عليه وسلم — وقد جربوا عاقبة خلافه مراراً — أن يستجيبوا له مرة ، فيجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، ويؤدوا زكاة ما أنعم الله عليهم من علم ومعرفة ، ليعودوا كما كانوا سادة الدنيا وملوك الآخرة ؟

ألا قد بلغت . . اللهم فاشهد ؟

طه محمد الساكت

هلال المحرم

ضمنت مخايله بشير هلاله — وجلت مطالعه تفاؤل آله

الهجرة الكبرى سماح يمينه — وبياض غرتها صلاح شماله

أضفى عليه هدى الرسول سوابغاً — من يمن طلعته وطهر خصاله

واستن بالتوحيد أقوم سنة — تركت عيي الشرك رهن عقاله

لما أخوه طوى الأسى إدباره — نشر الرجاء المحض فى إقباله

يا مرحباً بالبشر فى استهلاله — مترفقاً واليسر فى استكماله

حيوا وليدكم الجديد وكبروا — فى وجهه ، وتيمنوا بهلاله

المهياوى

فى ظلال القرآن (*)

القرآن كتاب الإسلام ودعامته وأساسه الوحيد ، وقد أنزله الله هدى للمتقين ونوراً أخرج به العالم من الظلمات إلى النور . وهو المصدر الأول لشريعة الإسلام ونظمه الرشيدة الحكيمة فى السياسة والحكم والإدارة ، هذه النظم التى بها صلاح المسلمين والعالم كله فى الحاضر والمستقبل من الزمان .

وهذا الكتاب الإلهى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه تنزيل العليم الحكيم ، هو الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، على ماروا سيدنا على رضى الله عنه إذ يحدث أنه سمع الرسول يقول : « ستكون فتن كقطع الليل المظلم » ، قلت يا رسول الله ؛ وما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله تعالى ؛ فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . . . من حكم به عدل ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

وقد عنى المسلمون أشد عناية بهذا الكتاب منذ فجر الإسلام ، فتناولوه بالدرس والبحث والتنقيب من كل نواحيه . فمنهم من عنى ببيان ناسخه ومنسوخه ، ومن عنى ببحث أسباب النزول لكثير من آياته ، ومن عنى ببيان وجوه إعجازه ، ومن اهتم ببحث ما فيه من ألوان الفصاحة والبلاغة وصور البيان المعجز ، ومن كان وكده بحث ما فيه من النحو والإعراب واللغة ، وهكذا إلى سائر النواحى التى تناولها دارسو هذا الكتاب العظيم .

ثم كان من هؤلاء وأولئك من أخذوا فى شرحه وتفسيره ، وكانوا فى ذلك طوائف من حيث المنازع والوجهات التى قادتهم فى التفسير ، فمنهم من وقف فى تفسيره عند المأثور عن الرسول وصحابته الأكرمين ، ومن خلط بين التفسير بالمأثور وبين التفسير بالرأى ، ومن جعل همه بيان ما فى القرآن من عقائد علم الكلام على مذهب أهل السنة أو المعتزلة ، ومن حاول أن يؤيد به مذهبا فى الفلسفة أو التصوف ، ومن حاول أخيراً أن يجعل منه كتابا جامعا لكل ما عرفت الحضارة الإنسانية من معارف وعلوم .

(*) للاستاذ سيد قطب ، وتقوم على نشره دار إحياء الكتب العربية : عيسى البابى الحلبى وشركاه بالقاهرة ، وظهر منه حتى الآن ستة أجزاء .

ثم كان من قدر الله وسوء صنيع المسلمين ، أن فقـد المسلمون مقام الصدارة فى العالم ومنزلة الإمامة والتوجيه ، فركدت الهمم ووقفت العقول ، واعتقدنا أن الاول لم يترك للآخر شيئا ! فوقفت حـركة التأليف ، وأقبلنا على دراسـة ما كتب الاوائل لا نزيد عليها شيئا .

ولـكن الزمن يسير ، والفلك يدور ، والعالم يتغير ، وشباب الإسلام اليوم لا يقنع بما كتب الأولون ، ولا يجد فى ذلك طلبته . ثم زاد هذا الإحساس بظهور « الإخوان المسلمين » الذين خلقوا جيلا جـديدا ، وأحدثوا فى ناشئة اليوم وعيا إسلاميا قويا ، وأقبلت هـذه الناشئة على دراسة كتاب الله وسنة رسوله المصطفى ، وتلتمس فى هذا السبيل عون القادرين الأكفياء من علماء المسلمين . هؤلاء الأكفياء الذين تذوقوا القرآن وتعمقوه ، ورأوا فيه ما يستحق البحث والتجلية من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية ، حتى يـكون من الممكن والميسور أن ينادى — بحق — بحكم الله وشريعة القـرآن التى لا يصلح العالم إلا بها .

وكان من هـؤلاء العلماء الأكفياء ، الذين أخذوا فى مد شباب الإسلام بما فى طوقهم من عون فى سبيل فهم القـرآن وتعمقه والإفادة منه صديقنا الأستاذ الفاضل سيد قطب الداعية الإسلامى والباحث المعروف فى مصر والعالم الإسلامى والعربى عامة ، والذى يسعدنا أن نتحدث اليوم إلى قراء مجلة الأزهر عن كتابه : « ظلال القرآن » .

وقد يرى فريق من قراء هذه الظلال كما يقول الأستاذ فى مقدمة الجزء الأول منها — « أنها لون من تفسير القرآن ، وقد يرى فريق آخر أنها عرض للمبادىء العامة للإسلام كما جاء بها القرآن ، وقد يرى فريق ثالث أنها محاولة لشرح ذلك الدستور الإلهى فى الحياة والمجتمع ، وبيان الحـكمة فى ذلك الدستور ... أما أنا فلم أتعمد شيئا من هـذا كله ؛ وما جاوزت أن أسجل خواطرى وأنا أحيا فى تلك الظلال .

« كل ما حاولته ألا أغرق نفسى فى بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية ، تحجب القرآن عن روحى وتحجب روحى عن القرآن . وما استطردت إلى غير ما يوحيه النص القرآنى ذاته من خاطرة روحية أو اجتماعية أو إنسانية ، وما أحفل القرآن بهذه الإيحاءات ! كذلك حاولت أن أعبر عما خالج نفسى من إحساس بالجمال الفنى العجيب فى هذا الـكتاب المعجز ، ومن شعور بالتناسق فى التعبير والتصوير » .

هكذا ، يحدد الأستاذ المؤلف منهجه فى التفسير وخطته فى التأليف ، وحسناً فعل . فقد كفانا ـ بل زاد عن الحاجة ـ ما ذخرت به كتب التفاسير المعروفة من الإغراق فى البحوث اللغوية والفقهية والكلامية والفلسفية وما إلى ذلك كله بسبيل ، مع التفريط فى بيان ما اشتمل عليه هذا الكتاب المعجز من نظم اقتصادية واجتماعية وسياسية لا نكاد نجد فى تلك المؤلفات ـــ على قيمتها وجلالتها ـــ محاولة لبيانها مع شدة الحاجة لها .

نحن إذن أمام كتاب فى تفسير القرآن على غير النحو الذى ألفناه ، ومع كاتب له هدفه الواضح ومنهجه السليم فى كتابته ، ولا يرى أن القرآن كتاب فى علم من العلوم مهما كان خطر هذا العلم .

إن القرآن (كما يقول ج ٢ : ٤١ - ٤٢) : كتاب كامل فى موضوعه وفى مهمته ، وإنها لمهمة أضخم من مهمة العلم النظرى المجرد أو العمل التطبيقى . إن العلمَ والبحثَ فيه خاصية من خواص العقل فى الإنسان ، والقرآن إنما يحاول بناء هذا الإنسان نفسه ، بناء شخصيته وضميره ووجوده ، كما يحاول بناء المجتمع الإنسانى الذى يسمح لهذا الإنسان أن يستخدم طاقاته . وبعد أن يوجد الإنسان ويوجد المجتمع الذى يسمح له بالنشاط ، يترك لعقله أن يجرب ويحاول ويخطئ ويصيب فى مجال العلم والبحث والتجديد .

وبعد هذا الإجمال ، لابد لنا من شىء من التفصيل . وهذا يكون بأن نسير قليلا مع الأستاذ المؤلف فى الأجزاء الستة التى ظهرت من كتابه القيم . على أن الخير كل الخير أن يأخذ القارىء نفسه بالسير مع الأستاذ طول الشوط ، وإنه سيجد من الفائدة والمتعة مايدفعه إلى ذلك دفعا .

بدأ الأستاذ بتفسير سورة الفاتحة ذات الآيات السبع فقط ، ومع هذا فقد حوت كليات العقيدة الإسلامية : الإقرار بربوبية الله المطلقة للعالمين ، وأن العلاقة بين « الرب » وعبيده هى الرحمة الثابتة المتجددة ، وأنه مالك الأمر كله يوم الدين وما قبله ، وأنه نتيجة لذلك كله لا ينبغى لأحد أن يعبد غيره أو يستعين بسواه (ح ١ : ٩ - ١١) .

وفى الحديث عن الآيات الأولى من سورة البقرة ، نرى الأستاذ يرسم بقلمه البارع (ح ١ : ١٤ وما بعدها) ثلاث صور لثلاثة أنماط من النفوس تشمل البشرية كلها فى كل عصورها ! وهى نفوس المتقين ، ونفوس الكافرين ، ونفوس المنافقين . وهذا كله استمداد من عدد قليل من الكلمات والأسطر المعدودات فى أول السورة الكريمة الجامعة .

وبعد هـــذا ، يعرض لقصة خلق آدم ومغزاها ، ويحرص على بيان أنه لا تكرار فى القصص القرآنى ، لأنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد كررت فى صورة واحدة من

ناحية القدر وطريقة الأداء (ج ١ : ٢٨) . كما أنه يحرص فى كل ما ظهر من الكتاب ، على بيان المناسبات بين كل مجموعة من الآيات يربط بينها سبب خاص ، وبين المجموعة التى تليها ، هذه المجموعات التى قد جعل من كل منها درسا قرآنيا كما يذكر فى المقدمة .

ونذكر من باب التمثيل لهذه الدروس التى قام عليها الكتاب ، ما كان خاصا ببنى إسرائيل وكفرهم بنعمة الله عليهم ، ونقضهم لعهودهم ، وكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم مع أنهم يعرفونه بصفته عندهم فى التوراة ، ثم الدرس الأخير من الجزء الأول ، وهو خاص بالحديث عن « إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، والحديث عن البيت الحرام وبنائه وعمارته وشعائره . . لتقدير الحقائق الخالصة فى دعاوى اليهود والنصارى والمشركين حول هذا النسب وهذه الصلات . كذلك تجىء المناسبة لتقرير وحدة الدين الإلهى ، واطراده على أيدى رسله جميعا ، ونفى الاحتكار عنه فى أيدى أمة أو جنس ... الخ ص ٧٩ وما بعدها .

وهكذا ، نجد الدروس تتوالى فى الأجزاء الأخرى ، وكل منها متماسك متجانس بما ينتظم من آيات يربط بينها سبب خاص ويظللها ظل خاص . وهنا ، نلاحظ مع صديقنا الأستاذ المؤلف أن جميع الدروس التى تنتظمها سورة البقرة ، من أول الجزء الثانى إلى آخر السورة الكريمة ، تدور حول الشئون الخاصة بالأمة المسلمة دون الأمم الأخرى ، فالخطاب والبيان يتجهان لها وحدها .

وفى هذا يقول الأستاذ حرفياً (ج ٢ : ٧) : « ومنذ هذه النقطة ، سنرى أن السياق فى السورة يسير فى بيان تبعات هذه الأمة ، وإعدادها نفسياً ، وتنظيمها عملياً ، وبيان الكثير من تكاليفها فى العبادات والمعاملات . فمن حديث عن الصبر على المكاره ، إلى تعليم شعائر الحج ، إلى بيان بعض الحرام والحلال فى الطعام ، إلى تجلية معنى البر وحقوق الله فى المال ، إلى القصاص وآثاره فى حياة الجماعة ، إلى الوصية عند الموت ، إلى فريضة الصيام ، إلى أحكام القتال ، إلى حكم الخمر والميسر ، إلى شريعة النكاح وروابط الأسرة ، إلى آداب النفقة والصدقة ، إلى تحريم الربا ، إلى شروط الدين .

تخلل هذه الأحكام تلك التوجيهات القرآنية إلى الله ، وإلى آيات الله . . على طريقة القرآن الفريدة فى مخاطبة القلب كلما خاطب العقل ، وإلى توجيه الضمير كلما هم بالتشريع . ومنذ هذه النقطة ، نحن مع الأمة المسلمة وحدها ، وقد خلص السياق كله لها ، الأمة التى رباها القرآن بهدى القرآن » .

هذا ، وليس من الميسور لنا أن نسير مع الأستاذ إلى نهاية الشوط ، فالنطاق المخصص

لهذه الكلمة محدود ، فلندع ذلك للقارىء الذى سيجد ، بلا ريب ، فيما كتب المؤلف رضى لقلبه ومتعة لنفسه ورياً لعاطفته وإحساساته الفنية .

على أنه مهما اضطررنا للإيجاز ، وغنينا بالإشارة ، فلا بد لنا من وقفات قصيرة عند بعض ما وفق إليه أخونا الفاضل من اللفتات البارعة الأصيلة ، وهنا أيضاً نكتفى بالإشارة إلى القليل من هذه اللفتات .

فنى قوله تعالى فى سورة البقرة : « واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ، الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون » ، لم يقل مع كثير من المفسرين بأن الظن هنا معناه اليقين ويحل محله أحيانا فى التعبير . إنه يرى أن هذا التعبير يلفت النظر ، ويقول (ج ١ : ٣٨) : « أحسب أنه يراد أن يقال إن أدنى العلم بلقاء الله كفيل بأن يترك فى النفس آثاره ، كفيل بأن يهب الروح قوة وطمأنينة ، كفيل بأن تخشع له القلوب وتلين له النفوس » .

وفى قوله تعالى فى السورة نفسها : « ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم » ، يذكر (ج ٢ : ١٩) أن المعنى المقصود هو أن الله يرضى عن ذلك الخير ويثيب عليه . « ولكن كلمة « شاكر » تلقى ظلالا ندية وراء ذلك المعنى المجرد ، تلقى ظلال الرضى الكامل حتى كأنه الشكر من الله للعبد ، وتوحى بالأدب الواجب فى حق الإحسان . . . »

وفى قوله جل ذكره فى سورة آل عمران : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، نرى الأستاذ يقول (ج ٤ : ١٤) : « إنه تعبير يلفت النظر ، لفظ أخرج وبناؤه للمجهول . وهو يكاد يشى باليد الخفية المدبرة ، تخرج هذه الأمة إخراجا وتدفعها إلى الظهور دفعاً من ظلمات الغيب . . . إنها لفظة تصور حركة خفية المسرى لطيفة الدبيب ، حركة تخرج على مسرح الوجود أمة ! فيالها من يد قادرة مدبرة ، تشى بها لفظة مصورة معبرة » !

هذه اللفتات ، وما أكثرها فى الكتاب ، هى إحدى خصائص هذا العمل الجليل الذى يجب أن نحتفل بصدوره ، والذى ندعو الله أن يهب صاحبه العون والتوفيق لإتمامه . ولا عجب ! فهو عمل يصدر عن رجل يعتز بدينه ، وقلب مؤمن حق الإيمان بسمو الإسلام وشريعته ، وعقل ألمعى لماح . وهو مع هذا كله ، عمل يمتاز بالبيان الرائع المشرق ، والأسلوب السهل الممتنع .

الدكتور محمد يوسف موسى
الأستاذ بكلية الحقوق ـ جامعة القاهرة

نشأة المعاجم اللغوية وتطورها

كانت أهم المصادر التى اعتمد عليها القدماء فى جميع اللغة العربية هى :

ا ـــ القرآن الكريم

ب ـــ الحديث النبوى

ج ـــ كلام العرب الفصحاء

ووجه الاعتماد على هذه المصادر الثلاثة هو ما فصله علماء أصول الفقه فى موضوع : الطريق إلى معرفة اللغة :

فمن العلماء من رأى أن الطريق إلى ذلك هو النقل المحض [1] .

ومنهم من رأى أنه إما النقل المحض كأكثر اللغة ، وإما استنباط العقل من النقل كمعرفة أن صيغ الجمع تفيد العموم ، بالاستدلال العقلى على ذلك عن طريق الاستثناء من الجمع المعرف [2] . وعلى كلا القولين فالأساس الاصلى فى معرفة اللغة هو النقل ولا مجال فى ذلك لمحض العقل .

والنقل إما تواتر وإما آحاد ، فالمتواتر ما بلغ عدد ناقليه حدا لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب ؛ وهذا القسم قطعى يفيد العلم . والآحاد ما انفرد بنقله بعض أهل اللغة ولم يوجد فيه شرط التواتر ، وهو دليل مأخوذ به . وذهب الأكثرون إلى أنه يفيد الظن ، وزعم بعضهم أنه يفيد العلم [3] .

وإذاً فلا مناص من تخير مصادر النقل على أساس يكسبها صفة التواتر المؤدى إلى العلم القطعى حسب الامكان ؛ والأخذ بنقل الآحاد الموثوق بهم فيما عدا ذلك .

وأمثلة المتواتر لغة القرآن ، وما تواتر من السنة ومن كلام العرب .

---

(١) أنظر كتاب الاحكام فى أصول الأحكام لأبى الحسن الآمدى ج ١ ص ١٠٤ فما بعدها (مطبعة المعارف ١٩١٤ والمزهر للسيوطى ج١ ص ٢٩ فما بعدها [بولاق]

(٢) المزهر فى الموضع السابق

(٣) المزهر فى الموضع السابق وفى النوع الثالث معرفة التواتر والآحاد

ومن أمثلة المتواتر من كلام العرب ما تواتر على ألسنة الناس من زمن العرب إلى اليوم وليس فى القرآن، ولا تحوم حوله شبهة الدخيل؛ من ذلك أسماء الشهور والأيام والفصول، وأجناس الحيوان والنبات، والحلى واللباس والأدوية والأمراض وغير ذلك.

وقد يعيننا على فهم السر فى اتباع هذا النظام مراجعة النظر فى الأصل الداعى إلى جمع لغة العرب، وهو القرآن الكريم.

ذلك أن جمع اللغة وإن صار فيما بعد مقصداً مطلوبا لذاته، ودراسة اتجه إليها التفرغ والاختصاص، ونشأت فيها المدارس والمذاهب، فإنه لم يكن فى بادئ الأمر إلا وسيلة وسبباً لفهم مدارك القرآن الكريم، واستيضاح أسراره؛ كما هو الشأن فى نشأة جميع العلوم الإسلامية على وجه العموم. فكما كان القرآن مصدر الدراسات الفقهية والكلامية، وما ينتمى إليها بأدنى سبب، كذلك كان مصدر الدراسات اللغوية والأدبية وما يتعلق منها بقرابة أو نسب.

القرآن إذاً هو المصدر اللغوى الأصلى الذى صدرت عنه الدراسات اللغوية كافة، وفن مفردات اللغة على وجه الخصوص. وهو مصدر مزدوج من هذه الوجهة أيضاً:

فهو من جانب منبع لذاته من أهم منابع اللغة بل أهمها على الإطلاق؛ لبلوغه مبلغاً خاصاً من التواتر لا يدانيه فيه غيره، كما أن لغته تبلغ فى نظر العرب الأصلاء أسمى درجات الخلوص والفصاحة.

وهو من جانب آخر مصدر باعث إلى التوسع والتبحر فى اللغة، توفرت بسببه الدواعى إلى تنميتها، والإحاطة بها. فكل كلمة منه، وكل جملة فى تركيبه، حفزت الهمم إلى ملاحظة نظائرها فى الاستعمال العربى العام، والبحث عن أصولها وفروعها، ووجوه اشتقاقها وتصريفها؛ وكل ما يتصل بشجرتها من ألفاظ وعبارات.

ومن هنا كان المصدر الأساسى فى حقيقة الأمر هو القرآن الكريم، وكل ما عداه تبع له وفرع عليه.

— ٢ —

قد نستطيع الآن أن نفهم: لماذا كان علماء العربية القدامى شديدى التحرى والتزمت

فى جميع اللغة ، ووسائل معرفتها ؛ حتى كانوا أشد حرصا على حرفيتها من الحديث والسنة ، لا لأن اللغة كانت عندهم أعلى مقاما ، وأقدس قداسة من الحديث والسنة ، بل لأن اللغة كانت مقصودة لذاتها ، مطلوبة لحرفيتها . بخلاف الحديث الذى جوز جمهور العلماء روايته بالمعنى ، الذى هو مناط التعبد لا اللفظ ، بشرط أن يكون الراوى عالما بمدلولات الألفاظ واختلاف مواقعها[1] .

وعن هذا نشأ الاختلاف فى جواز الاحتجاج بالحديث على اللغة ؛ على حين لا يختلف العلماء فى جواز الاحتجاج بما ثبت من كلام العرب[2] .

وفى سبيل التأكد من هذه الحرفية اللغوية ، بدأ العلماء فى جمع اللغة جارين على سنة أهل الحديث : من تخير الرواية ، والرحلة إلى من يؤخذ عنهم بعد التصفية والتنخل ، والاستيثاق من الأسانيد ، والسبر بمعايير النقد الدقيقة ، ووسائل الجرح والتعديل ، الخ .

ونمت هذه الطريقة فى اللغة كما نمت فى الحديث ، حتى نشأ من ذلك فن متكامل للرواية اللغوية[3] ، على نمط فن رواية الحديث ، الذى عرف فيما بعد بعلم مصطلح الحديث .

ولا شك أن من دواعى ازدهار ذلك الفن فى القديم انتشار الأمية بين العرب ، وحداثة عهدهم بالكتابة ، كما هو الشأن فى أصل ازدهار الحديث .

وربما كان الفارق بين اللغة والحديث فى أصل طبيعتهما ، أن الدواعى كانت متوفرة على

---

(١) انظر : كتاب الاحكام للآمدى ج ٢ ، ص ١٤٦ فما بعدها .

(٢) انظر تفصيل الكلام على الاحتجاج بالحديث وكلام العرب فى : خزانة الأدب للبغدادى ، ج ١ ص ٣ فما بعدها .

(٣) بنى السيوطى كتابه : المزهر فى علوم اللغة ، على هذه الطريقة ، وانظر قوله فى المقدمة : « هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه ، واخترعت تنويعه وتبويبه ، وذلك فى علوم اللغة وأنواعها ، وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به علوم الحديث فى التقاسيم والأنواع » ، الخ . ثم انظر فى ختام هذه المقدمة نقله قول أحمد بن فارس فى أول كتاب فقه اللغة حيث جاء فى آخره : « والذى جمعناه فى مؤلفنا هذا مفرق فى أصناف كتب العلماء المتقدمين ، وإنما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر ، أو شرح مشكل أو جمع متفرق » ، ثم تعقيب السيوطى على ذلك بقوله : « وبمثل قوله أقول فى هذا الكتاب » .

الكذب فى الحديث لأسبابه المعروفة الحاملة للواضعين على الوضع . وأما اللغة فالدواعى إلى الكذب عليها فى غاية الضعف » [١] .

لهذا ما كادت الكتابة تشيع وتفشو فى العالم الإسلامى حتى أقبل العلماء على تدوين اللغة ووضع المؤلفات الكثيرة فيها ، وتقييد شواردها ، وجمع شواهدها ، مع قلة العناية — بعد ذلك — بنقد الأسانيد ، وتجريح الرجال وتعديلهم ، كما استمر ذلك فى فن رواية الحديث من قبل ومن بعد [٢] . بل جمع من اللغة ما صح وغيره ، فلم يلتزم المؤلفون الصحيح ، وإن نبهوا غالبا على ما لم يثبت [٣] .

ومع هذا فقد بلغ التزمت والدقة اللغوية عند بعض اللغويين فيما بعد أيضا مبلغا شبيها بما عرف فى السنة ، حتى بدأ بالتزام الصحيح من اللغة فى تأليفه مقتصرا عليه ، مثل الإمام أبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى ، صاحب كتاب الصحاح ، الذى ألفه بعد « تحصيله للغة بالعراق رواية ، وإتقانه لها دراية ، ومشافهته بها للعرب العاربة [أى الأصيلة العروبة] فى ديارهم بالبادية » [٤] .

ومثل أحمد بن فارس ، المعاصر للجوهرى ، والذى ألف كتابه المجمل ، فالتزم فيه الصحيح ، « وذكر ما صح من ذلك سماعا ، أو من كتاب لا يشك فى صحة نسبه » [٥] .

واستمر بعد ذلك جمع اللغة وتدوينها سائرا على هذا المنوال من التحرى والتزمت ، أو على الأقل محدودا بقيود العربية الفصحى ، فكثرت المؤلفات فى هذا النطاق ، على تطور معلوم فى الترتيب والتبويب .

— ٣ —

قد نستطيع أن نفهم ، على ضوء ما تقدم ، أن جامعى اللغة العربية رأوا أنفسهم منذ البدء محدودى الحرية ، مقيدين باتجاه خاص فى مزاولة نشاطهم إلى الجمع .

---

(١) من كلام الامام القرافى فى شرح المحصول ، كما نقله السيوطى فى المزهر ج ١ ص ٦٠ .
(٢) أنظر تفصيل الكلام على ذلك فى المزهر ج ١ ص ٥٦ فما بعدها .
(٣) أنظر عبارة للفيروز أبادى صاحب القاموس المحيط ، كتبها على ظهر نسخة من العباب ، كما نقلها السيوطى فى المزهر ج ١ ص ٤٨ .
(٤) بتصرف قليل من خطبة كتاب الصحاح .
(٥) من أول كتاب المجمل .

فلم تحظ اللهجات الشعبية ، ولا غير الفصحى من العربية ، إلا بأقل من القليل من مثل تلك العناية بل لا نكاد نجد لها ذكرا إلا عرضا ، أو بمناسبة التمييز بين الفصيح والأفصح ، أو فى غير ذلك من الكتب التى وضعت لخدمة العربية الفصحى ، فعنيت بتنقيتها من ظواهر اللحن والخطأ ، التى لم تقو كل المحاولات على منع تسربها من اللهجات الشعبية والدارجة .

ولم يبدأ الاتجاه إلى الشعور بالحاجة لجمع اللهجات الشعبية ، وضرورة هذا الجمع فى تغذية الثقافات اللغـــوية ، والتاريخية ، والاجتماعية ، والعلمية العـامة ، إلا فى مفتتح النهضة العلمية الحديثة .

وقد كانت لما سلكه اللغويون القدماء فى جمع اللغة آثار هامة لا تزال ظواهرها بارزة إلى اليوم :

١ ـــ سهل ذلك عليهم من ناحيـة عمل الحصر والاستقصاء الذى يهدفون إليه ، لأنهم وضعوا نصب أعينهم أولا أن يحصوا لغة القرآن والسنة ، التى ترجع فى الكثير الغالب إلى لهجة قريش ، وإن اشتملت على ظواهر مختلفة من بقية اللهجات العربية .

ومن هنا كان هم أولئك العلماء أن يرتادوا فى جمع اللغـة مناطق العربية البعيدة عن التأثر بالدخيل . كما حدد ذلك بتفصيل أبو نصر الفارابى فى كتابه المسمى بـ«الألفاظ والحروف»[1].

٢ ـــ بيد أن ذلك ـ من ناحية أخرى ـ حد من سعة الأفق العلمى اللغوى ، والنظر إلى العربية لذاتها ، على أنها أصل أو فصيلة لغوية عامة ذات فروع وأفنان مختلفة المظاهر والنمو وترتب على ذلك تقييد حركة البحث العلمى ، وحجزه عن الاستعانة بوسائل كانت تلقى كثيراً من الضوء على أصول اللغة وتطورها ، لو توفرت العناية بها فى ذلك الوقت المناسب .

٣ ـــ كان ذلك الاتجاه أشبه بوسيلة من الوسائل الصناعية ، أبعد ما تكون عن الصراع حول تنازع البقاء ، للعمل على سيادة لهجة من لهجات اللغة الواحـــدة ، وصبغها بصبغة الاعتماد الرسمى ، الذى يفرض نفسه فرضا ، ولا يستمد حياته وقوته من النمو الطبيعى ، والشعور العام .

٤ ـــ أخضع الأدب والنتاج العقلى لقيود حدت من حريته وانطلاقه ، فحرم ذلك الأدب من إبراز صورته الشعبية الحقيقية ، والظهور فى صيغة القومية الأصيلة ، التى لم تخضع

---

(١) أنظر المزهر للسيوطى ج ١ ص ١٠٤ .

للقيود النحوية الجامدة ، المفروضة فرضاً ؛ بل ظلت منطلقة على طبيعتها دون أن تنال الاحترام والتسجيل .

٥ — بعدت الهوة بين اللهجات العربية الحديثة وأصولها القديمة إلى حد يخشى بسببه من تباعد الشعوب العربية وتجافيها اللغوى ، دون أن يجد الباحثون بين أيديهم عوناً تاريخياً وافياً يكشف لهم عن سر ذلك التطور وأسبابه الحقيقية ، من جراء الاكتفاء فى جمع اللغة بالعربية الفصحى .

٦ — ترتب على بعد الشقة بين اللهجات الحديثة وأصولها القديمة خصوصية الثقافة العربية ، واقتصارها على وسط المتعلمين ، وحرمان عامة الشعوب العربية من نتائج الحضارة والمعرفة ، وترقية مستوى تفكيرهم ، وأحاسيسهم ووجداناتهم ، عن طريق ذلك . وهكذا تصير الثقافة عندهم من قبيل الترف العقلى الذى لا يقدر عليه إلا المحظوظون ، بدلا من أن تكون فى متناول الجميع كالغذاء والماء والهواء .

٧ — صار كل طامح للتزود من العلم والمعرفة ملزماً باصطناع لغتين : لغته الشعبية الدارجة ولغة العلم والأدب .

إلى غير ذلك من الآثار اللغوية والعلمية والاجتماعية ، ولا سيما هذه الأخيرة ، إذا لاحظنا أن اختلاف الثقافة اللغوية بين أبناء الشعب الواحد كثيرا ما يؤدى إلى تنمية الفروق الاجتماعية بين الطبقات . « يتبع »

دكتور عبد الحليم النجار

القافية فى الشعر الاوربى

أخذ الأسبانيون القافية فى صناعة الشعر عن شعراء العرب ، ثم وصلت هذه الصناعة إلى مرسيليا وطولون بواسطة التجار الأسبانيين . وذاعت القافية بعد ذلك فى الشعر الفرنسى وشعر الأمم الاوربية الأخرى .



شفاء الغليل في مسالك التعليل (للغزالي)

للغزالى مكانته العلمية ، ليس بين علماء المسلمين فحسب ولكن بين العلماء فى سائر الأقطار ، ولقوة حجته وشدة عارضته وقدرته على الكشف عن محاسن الإسلام ومدافعة أعدائه ودرء الشبهات عنه لقب بحجة الإسلام . وللغزالى أسلوبه الخاص فى عرض قواعد العلوم وبسط قضاياه فهو لا يقنع بسرد المعلومات جافة جامدة ، بل يلتزم فى أكثر الأحيان أن يتبع القواعد بالأمثلة ليستأنس المتعلم وينشط فى تحصيل العلوم ، وقد نهج هذا المنهج فى أكثر ما صنف من كتب فى مختلف الفنون . نهج ذلك فى الأخلاق والتصوف والفقه والأصول ، وبهذا عده علماء الغرب فى التربية وعلم النفس من أئمة المتقدمين من علماء الإسلام فى هذه الفنون ، وجعلوا من آرائه فيها نظريات تدارسوها فى جامعاتهم بروح الإعجاب ، وأحلوها محلها من العناية والتقدير ، وعن هذه العقلية التربوية صدرت مؤلفات الغزالى . فمنها المختصر ومنها المطول ، ومنها السهل الذى يلائم مستوى الناشئين ومنها الدقيق العميق الذى يناسب عقليات العلماء الذين رسخت فى العلوم أقدامهم واستمكنت فى دراستها ملكاتهم . ومن أسماء كتبه « إلجام العوام عن علم الكلام » و « المضنون به على غير أهله » .

وللغزالى مؤلفات كثيرة فى فنون مختلفة أكثرها فى علوم الكلام والتصوف والأصول . ومن مصنفاته فى الأصول كتابنا هذا الذى نعرف به وهو « شفاء الغليل ، فى بيان الشبه والطرد والمخيل . ومسالك التعليل » ويختصر عنوانه أحيانا فيقال : « شفاء الغليل فى مسالك التعليل » وموضوع الكتاب ؛ القياس الأصولى بأركانه المعروفة لعلماء الأصول .

والقياس أحد الأدلة التى تستمد منها الأحكام الشرعية . وقد كان القياس من بين أدلة الأحكام مجال جدال بين متقدمى علماء الاسلام فى اعتباره دليلا من أدلة الأحكام وغصت كتب الأصول بالحديث عنه ، وقد أورثنا الكلام عنه ثروة فكرية رائعة تدل على استنارة أذهان أسلافنا من علماء الأصول واستحضار ملكاتهم فى علومهم وتحققهم بها . وللقياس مناح دقيقة ، ومباحث عويصة من أدقها العلة ومسالكها ، وقد خصها الغزالى فى كتابه

هذا بالحظ الأوفر من عنايته ، وفصل القول فيها تفصيلا لم يعهد فى كتب الأصول . وإن عنوان كتابه ليدل على هذه العناية بل إنه يفيد عقد الكتاب عليها ، فعنوان الكتاب « شفاء الغليل فى مسالك التعليل » وإن كان الواقع أن الكتاب فى القياس بسائر أركانه فقد قال قدمت لك مقدمة فى صدر الكتاب على نهاية الإيجاز فى بيان معانى القياس والعلة والدلالة ثم قسمت مقصود كتاب القياس إلى خمسة أركان ؛ الركن الأول فى إثبات طرق علة الأصل ، الركن الثانى فى العلة ، الركن الثالث فى الحكم ، الركن الرابع فى الأصل الذى يقاس عليه ، الركن الخامس فى الفرع الملحق بالأصل .

والكتاب فى نظرنا من أدق كتب الأصول وأعمقها ، وهو مثال رائع فى قوة الحجاج واستحضار الشواهد والأمثلة ، ودليل قاطع على ذهنية الغزالى الخصبة فى علم الأصول . ولعلنا لا نعدو الواقع إذا قلنا : إنه من أجل كتب الغزالى فى هذا الفن ، وهو قمة الأصول ولبابه وخلاصته فى بابه ومنهجه فيه منهجه فى أكثر مصنفاته من حيث الاعتماد على الأمثلة فى توضيح القواعد وبسطها مع اختلاف فى الأسلوب وبعض المصطلحات عما ألفناه فى كتب الأصول

ويمتاز هذا الكتاب بأسلوب أدبى قوى لم يعهد فى كتب هذا الفن ، وقد أودعه الغزالى دقائق كتاب القياس ولباب أبحاثه فيه ، ونبه فى مقدمته على مكان الكتاب من علم الأصول وأنه لا يتيسر لكل دارس أن يقتحم لججه ، ويستخرج دره ، بل يشترط أن يكون دارسه على قسط خاص من الثقافة وذا تنبه ذهنى قوى . فيقول فى خطبة الكتاب بعد الديباجة : أما بعد فان إلحاحك أيها المسترشد فى اقتراحك ، ولجاجك فى إظهار احتياجك إلى شفاء الغليل فى بيان مسالك التعليل من المناسب والمؤثر والشبه والطرد والمخيل . هـــزم لجاجى فى التسويف والتساهل ، وحل عقدة عزمى فى المماطلة والتكاسل فانجررت إلى تحقيق أربك ، واستخرت الله تعالى فى إسعافك بمطلبك ، وأتيت فيه بالعجب العجاب ولباب الألباب ، وكشفت عن مغمضاته غواشى الارتياب ، وأنا أنبهك أيها المسترشد على شاكلة الصواب ، قبل أن أخوض بك فى غمرة الكتاب ، وأقدم إليك نصيحة مشوبة بخشونة ولا يزوينك عنها مرارة مذاقها وخشونة ملمسها ـ فنصيحة فى تخشن خير من خديعة فى لين ـ وهى أن هذا الكتاب لن يسمح بمضمون أسراره على مطالع ، ولن يجود بمخزون أغواره على مراجع إلا بعد إستجماع أربع شرائط . الشريطة الأولى : كمال آلة الدرك من وفور العقل وصفاء الذهن . . . . . . الشريطة الثانية : استكداد الفهم والاقتراح عن القريحة واستثمار العقل

بتحديق بصيرته إلى صوب الغوامض . . . . الشريطة الثالثة : الانفكاك عن داعية العناد وضراوة الاعتياد . . . . الشريطة الرابعة : أن يكون التعريج فى مطالعة هذا الكتاب مسبوقا بالارتياض بمجارى كلام الفقهاء فى مناظرتهم ومراقى نظرهم فى مباحثهم محيطا بجليات كلام الأصوليين محتويا على أطراف هذا العلم خبيرا بمنهاج الحجاج . . . . . .

ولم يستوف الغزالى فى كتابه هذا الكلام فى القياس بل قصره على الدقيق من مباحثه والغويص من مسائله ، فقد قال : « وما أخللته من كتاب القياس مما لم أتعرض له فهو منقسم إلى ما رأيته جلياً يستغنى بكتاب المنخول عنه - (المنخول) للغزالى - وإلى ما لا تمس الحاجة إليه فى المناظرة إلا نادراً ، فقصرت همتى على الأغمض ثم اجتزأت بالأهم .

والكتاب نسخة فريدة فى المكتبة الأزهرية ليس لها نظير فى مصر فيما نعلم ولها نظير فى الهند . وبأول نسختنا وقف للشيخ أحمد الدمنهورى على طلبة العلم بدون تاريخ على أن يكون مقرها بمقصورة الأزهر ، وتقع فى ١٨٠ ورقة من القطع المتوسط وعدد سطورها ما بين ٢١و٢٣ للصفحة الواحدة وليس عليها ما يدل على تاريخ كتابتها إلا أننا نرجح من طريق رسم خطها ونوع ورقها أنها كتبت فى القرن السادس ، وخطها هو الخط المعتاد لذلك العصر الذى ينقصه كثير من النقط فتعسر قراءته حتى على من مارس موضوع الفن ، وهى لناسخين ، وقواعدهما فى رسم الكلمات على غير ما نعرفه الآن من كلمات كثيرة .

ولا تستطيع النسخة الأزهرية مهما بولغ فى تصحيحها أن تعطينا صورة صحيحة للكتاب كما ألفه الغزالى ، لرداءة الخط وحالة النسخة ، فقد عبثت الأرضة ببعض كلماتها وذهبت ببعضها ذهاباً كاملا فى الكراسة الأولى ، وقد يمكن معرفتها بمقارنتها بالنسخة الهندية . وقد استحضرت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية صورة مصغرة « فيلم » منها وهى تقع فى ١٧٩ ورقة وكتبت سنة ٥٥٥ أى بعد وفاة المؤلف بنصف قرن وقد قابلناها فى بعض صفحاتها بالنسخة الأزهرية فرأيناها مختلفة فى بعض الكلمات . وفى رأينا أن النسخة الأزهرية أدق فى عبارتها .

وقد حرصت المكتبة الأزهرية على الاحتفاظ بهذا الكتاب فاستنسخت لحسابها نسخة من نسختها على قدر الطاقة ، وراجعناها على الأصل ، ورغم التروى والتدقيق فى المراجعة فقد فاتنا معرفة كثير من الكلمات واعتمدنا فى تعرف بعضها على سياق الكلام ومعناه وأثبتناه على الهامش مع استبقاء الأصل بالصلب ونبهنا على ذلك .

والكتاب فى نظرنا جليل القدر فى علم الأصول وفى باب القياس بوجه خاص ، وهو جدير بالنشر والطبع لأنه نهج غير مألوف فى كتبه . والكتب القديمة غير المقررة فى المعاهد لا تغرى دور النشر التجارية بالنشر مهما كانت قيمتها العلمية ، لذلك نرى أن تعمل المشيخة على نشره بمطبعة الأزهر بعد أن يقوم على تحقيقه وتصحيحه عالمان من علماء الأصول بالكليات ، وإن صدور هذا الكتاب وأمثاله عن مشيخة الأزهر محققاً ممحصاً جزء من رسالتها .

هذا وإنى أنتهز هذه الفرصة فأهيب بالغيورين على العلوم الإسلامية من سائر الأقطار وبخاصة مشيخة الأزهر فأنبههم من منبر المسلمين العام وهو مجلة الأزهر على الخطر الذى يتهدد هذه العلوم بركود حركة الطباعة فيها ، وبخاصة المراجع المطولة منها ، فقد انصرفت أكثر دور الطباعة التجارية عن طبع هذه الكتب انصرافا تاما بطبع الكتب الصغيرة الحديثة فى التاريخ والأدب وما إليهما فارتفعت أثمان الكتب الإسلامية القديمة ارتفاعا مرهقاً للراغبين فيها ، وأخذت تختفى من الأسواق شيئاً فشيئاً ، وإن ذلك الخطر لا يقتصر على مصر وحدها ولكنه سيعم الأقطار الإسلامية ومن واجبها أن تتضافر لدفعه والسبيل إلى ذلك فى نظرنا أن تتألف لإحياء الكتب الدينية والعربية جمعية من بعض علماء جميع الدول الإسلامية على أن يكون لهذه الجمعية رأس مال تسهم فيه كل دولة بقدر طاقتها وتقوم بنشر مطولات كتب اللغة والحديث والفقه مما تهمل دور الطباعة نشره ، ثم تباع هذه الكتب للجماعات والافراد بجزء من تكاليفها وتتحمل الجمعية الباقى من التكاليف .

وإن فى بعض الأمم جمعيات تقوم بمثل هذه الرسالة فى نوع خاص من الكتب ولها فروع فى القاهرة .

قد يقال : إن بالجامعة العربية إدارة لمثل هذا العمل وأنا جد عليم بهذه الإدارة وعلى صلة قوية بها وأقدر مجهوداتها العلمية ، إلا أن هذه الإدارة لا يمكن أن تنهض بالعمل الذى أدعو إليه ونشاطها فى نواح أخرى لا يغنينا عن القيام بهذا العمل دفعاً للخطر عن ثقافتنا الإسلامية العربية .

وعسى أن يكون لدعوتنا صدى والله يتولانا بالسداد والرشاد .

أبو الوفا المراغى
مدير المكتبة الأزهرية

الحج المبرور

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

أذيع من دار الإذاعة المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . ورد فى صحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : إيمان بالله وبرسوله . قال السائل : ثم ماذا ؟ قال : ثم الجهاد فى سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور .

وقد ثبت فى صحيحى البخارى ومسلم وأكثر كتب السنة المعتبرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

والحج المبرور : هو الذى وفيت أحكامه ، ولم يخالطه شىء من الإثم ، والذى يستعرض أعمال الحج وأحكامه يجدها ترجع إلى عناصر يكمل كل منها الآخر ، ومدارها على أن يجدد المسلم حياته بالحج : فيقطع صلته بكل ما كان يعلق بها من شوائب الإثم ، أو الانحراف عن طريق الله ووسائل مرضاته ، ويبدأ حياته جديدة نقية ، بنفس راضية تقية ، بعد توبة نصوح يشهد الله عليها فى أطهر بقاع الأرض ، مخاطبا ربه عز وجل قائلا . « لبيك اللهم لبيك » ، وملتزما أن لا يعمل من ذلك الحين إلا ما يرضى الله من عمل ، وأن لا يقول إلا ما يقربه إلى ربه من خير وحق ، وأن لا يعود إلى أهله ووطنه ألا وهو إنسان آخر يؤثر مرضاة الله فى كل ما يصدر عنه ، ويكون فى جانب الحق فى كل ما يصطدم فيه الحق والباطل ، ويحرص على أن يكون من أهل الخير كلما دعته الظروف وسنحت له الفرص لعمل الخير .

كما أن المدرسة مصنع يدخله غير العارفين ثم يتخرجون منه علماء عارفين ، كذلك الحج

فرصة من فرص الحياة يتعرض لها المسلمون بما ارتكبوا فى حياتهم من هفوات ، وما وقع منهم مما لا يرضى الله عنه فيجددوا توبتهم العظمى فى البلد الحرام والشهر الحرام ، ويهتفون من أعماق قلوبهم معاهدين ربهم على التزام أوامره واجتناب نواهيه قائلين : « لبيك اللهم لبيك » ، فلا ينتهون من مناسكهم إلا وهم على عهد مع الله عز وجل بأن يكونوا من أهل الاستقامة فى حياة جديدة قامت مناسك الحج حائلا بينها وبين شوائب الماضى ، فيعفو الله عما سلف على قدر ندم صاحبه عما فرط منه ، وعلى قدر ثباته على عهده مع الله بأن يكون من أهل السلامة والاستقامة والتقوى .

إن عشرات الألوف من المسلمين يقفون بين يدى الله عز وجل فى عرفة ، فى البقعة المباركة التى وقف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوة خلق الله من أصحابه الأكرمين والتابعين لهم بإحسان .

وهذه الألوف التى لا تحصى ترفع أصواتها بالدعاء إلى الله الرحمن الرحيم معلنة أنها أجابت دعوته ، وأنها تعاهده عز وجل على أن تتوخى رضاه فى أقوالها وأفعالها . ولن تكتفى هذه الجموع العظمى بهذا العهد العظيم مع الله ، بل إنها بعد الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة تدفع من مزدلفة إلى منى قبل أن تطلع الشمس ، وفى منى تعلن مقاطعتها للشيطان ، وترمز لهذه المقاطعة برميه عند الجمرة الكبرى ثم عند الجمرة الوسطى وجمرة العقبة فى أيام التشريق . وهى الأيام الثلاثة التى بعد يوم النحر .

هذه المقاطعة الرمزية للشيطان فى كل ما ينتظر أن يسول به للمسلم فى حياته من شر أو إثم ، يقوم بها الحجاج جميعاً بعد ذلك العهد الذى قطعوه لربهم كلما هتفوا له « لبيك اللهم لبيك » فتخرج نفوسهم نقية طاهرة منيبة إلى الله ، مستريحة من أوزار الماضى ، ومستقبلة حياة جديدة صالحة ، وأياما سعيدة هنيئة .

هذا هو الحج المبرور لأنه يرجع بالمسلم إلى الله ، ويرجع المسلم إلى سعادته التى كلفها له الإسلام ، ودله على طريقها ، وضمن له الجنة إذا التزم هذا الطريق فلم يخرج عنه .

يا حجاج بيت الله الحرام ، أن الله عز وجل قد هيأ لكم الفرصة الثمينة لتجددوا أنفسكم وترجعوا إلى ربكم . وتكونوا من خيرة أبناء بلادكم وأمتكم ، فتسعدوا فى الدنيا ، وتكونوا من أهل الجنة فى الآخرة . وسبيل ذلك أن تكونوا من أهل الحج المبرور ، ولا يكون حجكم مبرورا إلا بالتوبة الصادقة ، ومقاطعة الشيطان إلى الأبد وفى كل شىء . فنسأل الله عز وجل أن يتم عليكم هذه النعمة ، وأن يجعلكم من عباده الصالحين . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

جددوا أنفسكم فى هذا العيد
كما جددتم ثيابكم

كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر
ألقاها الشيخ عبد الحليم بسيونى مدير مكتبه من محطة الإذاعة المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيها المسلمون :

فى مثل هذا اليوم المبارك من حجة الوداع . خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين الأولين ، وكانوا بشهادة الله لهم خير أمة أخرجت للناس ، فأعلن فيهم بدء حياة جديدة ، يتناسون فيها ما كان بينهم من إحن وشحناء ، وترات وبغضاء ، وتعامل بما لا يرضى الله واختلاف بالباطل على الأموال ، وتعامل بالربا ، وخروج عن سنن الإسلام إلى سنن الجاهلية ، وبذلك جدد فيهم الأخوة والمحبة والتعاون على الخير ، والتعامل بشرع الله وأخلاق الإسلام . وجعل ذلك نظاما عاما لأمته جميعا ، من حضر منهم تلك الخطبة النبوية العظيمة ومن غاب عنها . وقد فعل ذلك بأمر من الله ، ولذلك أشهد الله على ما فعل ، وأمر الذين شهدوا خطبته وسمعوا مقالته أن يبلغ الشاهد الغائب . وإذا كنا نحن أيها المسلمون ممن غاب عن تلك الأوامر والإرشادات المحمدية ، فقد أبلغنا ذلك الرواة الثقاة العدول .

أيها المسلمون :

إن أمل نبيكم فيكم لعظيم ، وإنكم أمة مباركة ، أولها خير وآخرها ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى خطبته التى خطبها فى حجة الوداع : « رب مبلغ أوعى من سامع » . وها أنتم هؤلاء ممن بلغتهم دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى أن تجددوا أنفسكم فى هذا العيد المبارك كما جددتم ثيابكم ، فاجعلوا نفوسكم وقلوبكم نقية طاهرة ، كما جعلتم ثيابكم وبيوتكم طاهرة

نقية ، كونوا من أمة نبيكم المباركة لتكونوا من أهل الخير كما كان سلفكم الأول من أهل الخير ، وكونوا من أهل الوعى لهذا الإرشاد العظيم لتسعدوا به ، ولتكونوا ممن قال فيهم صلوات الله وسلامه عليه « رب مبلغ أوعى من سامع » .

أيها المسلمون :

إن هذا العيد يفرح فيه المسلمون بما كتب الله لإخوانهم حجاج بيت الله الحرام من تجديد فى حياتهم بما خلعوا عنهم من سيئات الماضى وآثامه ، وبما عاهدوا الله عليه عند ما هتفوا له « لبيك اللهم لبيك » بأن يكونو من أهل مرضاته . فهذا العيد هو عيد الفرح بأن هذا الجمع الأعظم من المسلمين الذين حجوا بيت الله الحرام قد طهروا نفوسهم وقلوبهم من درن الآثام ، وصاروا من صالحى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإذا كان هذا مما يفرحنا ونعيد لأجله ، فلماذا لا نشاركهم فى هذا العهد الذى نعقده مع الله عز وجل بأن نكون نحن أيضا من أهل الخير ، وأن نتعامل فيما بيننا بما يرضيه ، وأن نتعاون على البر والتقوى .

أيها المسلمون :

عاهدوا ربكم على ذلك ، وجددوا حياتكم لتلقوا الله وأنتم من أهل السعادة ، وإذا عاد إليكم حجاج بيت الله فراقبوهم وصاحبوهم ، وكلما هفا أحد منهم هفوة تخالف ما عاهد الله عليه عند ما نادى ربه قائلا « لبيك اللهم لبيك » فذكروه بعهده مع الله ، وتعاونوا معه على ما يرضى الله ، لتكونوا بعد اليوم أمة صالحة سعيدة ، تعيش بالحق وللحق وبما يرضى الحق جلت عظمته وعز سلطانه .

أيها الأغنياء من المسلمين :

إن نبيكم ﷺ كان يضحى فى هذا العيد المبارك بكبشين سمينين عظيمين ، فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم فى مصلاه فذبحه ثم يقول « اللهم إن هذا عن أمتى جميعاً من شهد لك بالتوحيد وشهد لى بالبلاغ » . ثم يؤتى بالكبش الآخر فيذبحه ويقول : هذا عن محمد وآل محمد . فيطعمهما جميعاً المساكين ويأكل هو وأهله منهما .

فالنبى ﷺ كان يعيش لأمته ، ويحمل عن أمته .

السيد أبو أيوب الأنصاري

من ذا الذى يذكر الهجرة ، ولا يذكر المضيف الأول ، والرجل الذى نال من الشرف الرفيع ما لم ينله أحد من أهل المدينة أوسها وخزرجها ، وهو السيد الجليل « أبو أيوب الأنصارى » ، فقد أبى الله ورسوله إلا أن يكرم بنو النجار أخوال جد رسول الله ، وكان تكريمهم فى شخص الرجل الكريم أبى أيوب رضى الله عنه .

ولو أن فضل أبى أيوب تمثل فى إضافته لرسول الله لكفى ، فما بالك وقد تمثل فى شخصيته شتيت من المفاخر والفضائل ، فهو - فضلا عن كرمه - مرهف الحس والشعور ، ذو أدب عال ، شجاع أبى مجاهد من الطراز الاول ، يرى أن نفسه ونفيسه شىء هين فى سبيل نصر دين الله وإعزازه . وقد كانت وفاته بجوار أسوار القسطنطينية شهادة حق على مبلغ حبه لله وإعزاز دينه ، وأمارة صدق على ما ينبغى أن يكون عليه المجاهد فى سبيل الله . وإن فى التحدث عن الرجل الذى صدق الله فيما عاهد عليه لوفاء ببعض الذكرى لرجل الوفاء .

فيا من أغناهم الله : اشكروا نعمة الله عليكم ، بأن تعيشوا أيضاً لأمتكم ، وتحملوا عن أمتكم ، وإن الزمان قد استدار ، وإن أمتكم قد عزمت بحول الله وحسن توفيقه على أن تبدأ حياة جديدة يدعمها كل فرد منا بما يستطيعه من الناحية التى هو فيها ، وبالموهبة التى وهبها الله له من مال أو علم أو صناعة ، أو غير ذلك من نعم الله عليه .

فكل فرد من أفراد الأمة مدعو إلى بذل ما يستطيعه وما يتيسر له من تضحية ليتمتع هو الآخر من مجموع تضحيات .

وعيد الأضحى رمز إسلامى قديم لمعنى التضحية ، ولما يجب على المسلم من بذل فى دائرة مقدوره ، وبمجموع ذلك يكون التعاون ، وإن الحياة بهذا التعاون وهذه المحبة تكون جميلة وسعيدة ، وفى أيدينا أن نكون من أهل السعادة إن شاء الله ، وهذا العيد المبارك يذكرنا بهذا كله ، أعاده الله عليكم بالهناء والسعادة وتحقيق الأمانى .

نسبه :

هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار ، واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو ابن الخزرج الأكبر ، أبو أيوب الأنصارى الخزرجى ، معروف باسمه وكنيته . وأمه السيدة هند بنت سعيد بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج .

فإلى الخزرج ينتهى نسبه من جهة أبيه وأمه . وبنو الخزرج إحدى القبيلتين المشهورتين اللتين يتكون منهما عرب المدينة . وبنو النجار فى الذؤابة من أهل المدينة نسباً وفضلا ، وإلى هذا يشير الحديث الصحيح الذى رواه البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ قال : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو الأشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة وفى كل دور الأنصار خير » ولم يكن هذا من رسول الله ﷺ عن مجاملة أو محاباة ، فرسول الله لا يقول إلا الحق ولا ينطق إلا بالصدق ، وليس للمحاباة إلى نفسه سبيل .

ولعل من الأسباب التى حملت هاشم بن عبد مناف سيد قريش على أن يصاهر بنى النجار ما لهم من فضل ومنزلة بين قومهم . وقد تزوج هاشم سلمى بنت عمرو النجارية وهى والدة عبد المطلب جد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وفى بيوت بنى النجار تربى عبدالمطلب فلما كبر وترعرع عاد إلى موطن آبائه ، وإليه انتهت الرياسة فى قريش .

إسلامه :

كان أبو أيوب رضى الله عنه من السابقين إلى الإسلام من الأنصار . فبعد بيعة العقبة الأولى أرسل رسول الله مصعب بن عمير مع من أسلموا ، وقد كان له أثر حميد فى إسلام كثير من أشراف المدينة وسادتها ، فانتشر الإسلام فى المدينة حتى لم يبق بيت من بيوت المدينة إلا وقد استضاء بنور الإسلام .

وكان أبو أيوب ممن شهد بيعة العقبة الثانية من مسلمى المدينة ، وأخذ عليهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه العهد على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم ، وعلى السمع والطاعة فى النشاط والكسل والنفقة فى العسر واليسر . وقد وفى أبو أيوب بما عاهد عليه ، فكان مثالا عالياً للجهاد والكفاح على كل حال .

روايته الحديث عن رسول الله :

روى أبو أيوب الحديث عن النبي ﷺ وعن أبي بن كعب ، وروى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر والبراء بن عازب وأبو أمامة وزيد بن خالد الجهني والمقداد بن معد يكرب وأنس بن مالك وجابر بن سمرة وغيرهم من الصحابة . ومن التابعين سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وسالم بن عبد الله وعطاء بن يسار وغيرهم وقد خرج له أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، وله في صحيح البخاري سبعة أحاديث .

المآثر الخالدة :

لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق إلى المدينة نزلا أول ما قدما بقباء ، وأقام رسول الله في بني عمرو بن عوف حتى بنى مسجد قباء ، وهو المسجد الذي أسس على التقوى .

وبعد أن أقام رسول الله في بني عمرو بن عوف بضعة أيام أو تزيد خرج يوم الجمعة متوجها إلى المدينة فأتاه رجال من بني سالم بن عوف فقالوا : يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة . وتعلقوا بزمام الناقة ، فقال لهم الرسول « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » ، وسار رسول الله والأنصار يحفون به متقلدي السيوف ، وكان كلما مر بدار من دور الأنصار تعلق أهلها بزمام الناقة وتضرعوا إليه أن ينزل عندهم في العدد والعدة والمنعة ، فيقول لهم : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » . وما زالت الناقة تسير حتى بركت في موضع مسجد رسول الله أمام دار أبي أيوب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بيوت أهلنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب : أنا يا رسول الله ، هذه داري وهذا بابي . قال : فانطلق ، فهيءْ لنا مقيلا . فاحتمل أبو أيوب - وهو قرير العين - رحل رسول الله إلى بيته . ثم جاء رجل إلى رسول الله فقال : أين تحل ؟ فقال له « المرء مع رحله حيث كان » . فكانت مكرمة لأبي أيوب خالدة على وجه الدهر .

وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده ، وبقي رسول رسول الله في بيت أبي أيوب مكرماً معززاً مدة سبعة أشهر ، حتى بنى المسجد وبيوت نسائه فانتقل إليها ، وفتح أبو أيوب بابه على مصراعيه لاستقبال زوار رسول الله على الرحب والسعة ، وتسابق الأنصار رضوان الله عليهم في إكرام رسول الله وصحبه ،

وما من ليلة إلا وعلى باب أبي أيوب الثلاثة والأربعة يتناوبون القصاع ، وكان أبو أيوب يرسل بقصعته ولا يتناول العشاء حتى يتناوله رسول الله ، ويتحرى هو وأم أيوب موضع أصابع النبي يلتمسان بذلك البركة ، وفى ليلة من الليالى بعثا لرسول الله بعشائه وفيه بصل أو ثوم ، فرده رسول الله وليس ليده فيه أثر . قال أبو أيوب فجئته فزعا فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك . فقال أنى وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجى ، وأما أنتم فكلوه . قال أبو أيوب : فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

ومن أدب أبي أيوب الرفيع أنه تحرج أن يكون رسول الله فى سفل البيت وهو فى العلو فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إنى أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى ، فاظهر أنت فكن فى العلو ، وننزل نحن فنكون فى السفل . فاعتذر له رسول الله مبيناً الحكمة فى اختيار السفل قائلا : « يا أبا أيوب بأن أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون فى سفل البيت » . لكن أبا أيوب لم يطب نفساً بأن يعلو رسول الله فتنحى هو وأهله فباتوا فى جانب غير مسامت لرسول الله ، ولم يزل أبو أيوب يرجو رسول الله أن يكون فى العلو حتى قبل رجاءه وحقق له رغبته .

وكان أبو أيوب شديد الحرص على راحة رسول الله ﷺ وزواره ، فقد انكسر حب لهم فيه ماء فى الغرفة ، قال أبو أيوب ، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا أن يقطر على رسول الله منه شيء فيؤذيه . ومن فضائل أبي أيوب التى تدل على العفة فى القول ورجاحة العقل أن السيدة زوجه لما قالت له : أما تسمع مايقول الناس فى عائشة ؟ فقال لها : أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ فقالت : لا والله . فقال : والله لهى خير منك . فأنزل الله سبحانه تصديقاً لمقالته « لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا أفك مبين » . كما روى أن أبا أيوب هو الذى أرضى سهلا وسهيلا صاحبي المربد الذى بنى موضعه المسجد النبوى عن ثمنه من حر ماله [1] .

وهكذا نجد أبا أيوب قد سجل لنفسه مآثر خالدة فى سجل الخالدين فرضى الله عنه وأرضاه .

---

(١) فتح البارى جزء ٧ ص ١٩٦ .

عرفان الجميل لصاحبه :

وتدور الأيام دورتها ، ويقدم أبو أيوب البصرة ، وكان واليها يومئذ عبد الله بن عباس نائباً عن على كرم الله وجهه ، فيتلقاه بالبشر والترحاب ويقول له : يا أبا أيوب إنى أريد أن أخرج لك عن مسكنى ، كما خرجت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسكنك . وأمر أهله فخرجوا وملكه كل شىء أغلق عليه بابه . ولما أراد الانصراف أعطاه ابن عباس رضى الله عنهما عشرين ألفا وأربعين عبدا ، وقد صارت دار أبى أيوب بعده إلى مولاه أفلح ، فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار وأصلح ما وهى من بنيانها ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة [1] ولا يزال موضع دار أبى أيوب فى المدينة معروفا إلى يومنا على قيد خطوات من المسجد النبوى .

بلاؤه فى الجهاد :

كانت حياة أبى أيوب سلسلة متصلة من الكفاح والجهاد والبطولة ، وقد شهد بدرا والمشاهد كلها فى عهد رسول الله ، ولزم الجهاد بعده ، ولم يتخلف عن غزاة إلا وهو فى أخرى . ولما حدثت الفتنة بين السيدين على ومعاوية انحاز إلى جانب على وشهد معه قتال الخوارج ، ولما أرسل معاوية ابنه يزيد على رأس جيش لغزو القسطنطينية تحرج فى أول الأمر أن يخرج فى جيش تحت إمرة يزيد ولكن نفسه التواقة للجهاد نازعته إليه وقال : ما ضرنى من استعمل على ، فلحق بالجيش وأبلى بلاء حسنا . ثم مرض فعاده يزيد فقال له ما حاجتك ؟ قال : حاجتى إذا أنا مت فاركب بى ما وجدت مساغا فى أرض العدو ، فإذا لم تجد فادفنى ثم ارجع [2] . ثم قال : سأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لولا حالى هذا ما حدثتكموه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » ؛ فلما توفى صلى عليه يزيد ودفن بجوار أسوار القسطنطينية ، وكانت وفاته فى سنة اثنتين وخمسين ، وهى السنة التى وقعت فيها هذه الغزاة ، وقيل سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، والأكثرون على الأول ، ولا يزال موضع قبره معروفا إلى اليوم .

---

(١) البداية والنهاية جزء ٣ ص ٢٠٢ .

(٢) الاصابة ص ٤٠٥ جزء أول .

بعض آرائه :

وقد كان أبو أيوب فى ملازمته للجهاد وحرصه عليه يصدر عن علم بكتاب الله ومعرفة بالآيات التى وردت فى التحريض على الجهاد . وقد حفظت لنا كتب التفسير والحديث بعض هذه الآراء ، فقد كان يستدل على لزوم الجهاد على كل حال فى المنشط والمكره والعسر واليسر والشباب والشيخوخة بقوله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » ، وقد ذكر ابن جرير فى تفسيره أن أبا أيوب شهد بدراً مع رسول الله ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا عاما واحداً ، قال : وكان أبو أيوب يقول : قال الله تعالى « انفروا خفافا وثقالا » فلا أجدنى إلا خفيفاً أو ثقيلا ؛ وكان يرى - وحقا ما رأى - أن فى الرغبة عن الجهاد والاشتغال بالأهل والمال إلقاء باليد إلى التهلكة .

روى أصحاب السنن والحاكم فى مستدركه عن يزيد بن حبيب عن أسلم أبى عمران قال : حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه معنا أبو أيوب الأنصارى ، فقال ناس : ألقى بيده إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب : نحن أعلم بهذه الآية ، إنما نزلت فينا ، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه ، فلما فشا الإسلام وظهر ، اجتمعنا معشر الأنصار نجيا فقلنا : قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ حتى فشا الإسلام وكثر أهله ، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد ، وقد وضعت الحرب أوزارها ، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيها . فنزل فينا « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » فكانت التهلكة فى الأهل والمال وترك الجهاد . وصدق السيد أبو أيوب فما أتى المسلمون وغلبوا على أمرهم إلا يوم أن تخلوا عن الجهاد ، واشتغلوا بالأموال والأولاد ، ورضوا بالراحة ، وأخلدوا إلى الضعف والاستكانة .

« وبعد » فهذه سيرة يتمثل فيها الطهر والعفاف وكرم النفس وسماحة الطبع وأصالة الرأى وأدب الضيافة العالى وحب الجهاد والاستشهاد ، ولعل فيها نبراسا للذين ينشدون مكارم الأخلاق ومحاسن الفعال ، ووازعا للذين يجاهدون فى سبيل الله ويطلبون الشهادة فى سبيل الحق وعز الأوطان ، وعزاء للذين يفقدون الأحبة وفلذات الأكباد وهم بمنأى عنهم فى ساحات الكرامة والخلود .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

بيان الى الشعوب الاسلامية

عن أحداث مراكش

من جماعة كبار العلماء في الأزهر

في الساعة الحادية عشرة من صبيحة يوم الأحد ٢٠ من ذي الحجة سنة ١٣٧٢ (٣٠ من أغسطس سنة ١٩٥٣) عقدت جماعة كبار العلماء جلستها الأولى بعد عطلة عيد الأضحى برياسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، واستعرضت الأحداث الجسام التي وقعت أخيراً في المغرب الأقصى، وقررت إذاعة البيان التالي على المسلمين جميعاً وعلى الشرقيين من كل الأجناس، وعلى أنصار الإنسانية في كل مكان — إرشاداً إلى حكم الله في العدوان الذي وقع من فرنسا على إخواننا في المغرب الأقصى، وفيمن مد إليهم يد المعونة والتأييد في هذا الاعتداء من أبناء تلك البلاد:

إن دولة المغرب الأقصى (مراكش) من أعرق الدول الإسلامية المستقلة منذ عصور طويلة، ولها في تاريخ الإنسانية وخدمة الإسلام مجد مؤثل لايزال يحفظه التاريخ إلى اليوم، ولا يزال الحريصون على دينهم ووطنيتهم يتوارثونه جيلا بعد جيل، ويضحون في سبيل الاحتفاظ به كل مرتخص وغال.

وقد ضرب الظلم الغاشم على تلك البلاد الإسلامية حمايته قبيل الحرب العالمية الأولى. ومع أنها حماية ظالمة يأباها الإسلام؛ ويأبى على أهله أن يقبلوها ويخضعوا لسلطانها، فإن لها بمقتضى وثيقتها الرسمية قيوداً لم يبرح رجال الاستعمار الفرنسي يعملون على تخطيها ومخالفتها، ويعتدون بذلك على كل ما يمس حقوق الوطن المغربي الدينية والاجتماعية والسياسية.

وإن أشد نكبة أصيبت بها البلاد الإسلامية عامة وبلاد المغرب الأقصى خاصة، هي تلك النكبة التي وقعت في هذه الأيام.

تعمد فرنسا بطغيانها المستمر وجبروتها الغاشم، فتخلع سلطان البلاد الشرعي، وتلقي به وبأبنائه في المنفى، وتشدد الحصار عليه فتسلبه حتى حريته الشخصية، ثم لا يدري إلا الله

عاقبة ما تريد من وراء ذلك . وهى فى الوقت نفسه تعمل على شق وحدة المسلمين فى البلاد ، وتفريق كلمتهم ، حتى أصبح أبناء البلد الواحد والدين الواحد يضرب بعضهم رقاب بعض .

إن جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف وعلى رأسهم حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ليرون :

أولا — أن موالاة أرباب المنافع الشخصية من أبناء تلك البلاد لدولة الاستعمار ومعاونتهم إياها فى تحقيق أهدافها الماسة بكرامة الإسلام والمسلمين ، هى من موالاة الأعداء التى جعلها القرآن فى صريح آياته عنوانا على النفاق والخيانة لله وللرسول ، وعلى الانضمام إلى هؤلاء المعتدين وصيرورتهم منهم « ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » . « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

ويرون ثانياً — أن واجب المسلمين فى كافة بقاع الارض أن يكافحوا هذا الظلم الواقع على إخوانهم فى بلاد المغرب بكل ما يملكون من وسائل الكفاح ، وأن يعلنوا أولئك الخونة الذين عاونوا الأعداء ووالوهم أنهم ليسوا منهم ، وأن الدين برىء من صنيعهم ما داموا مقيمين على تلك الموالاة الآثمة ، وأن أقل مراتب الكفاح للمعتدين وأعوانهم أن يقاطعوهم مقاطعة تامة فى جميع شئونهم الاقتصادية والاجتماعية ، وعلى المؤمنين من أبناء مراكش أن يصارحوا أولئك المنافقين الذين عرفوهم بموالاة الأعداء والانضمام إليهم بالسخط عليهم وتحقير خطتهم والتضييق عليهم ومقاطعتهم حتى فى السلام والحديث كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تأديب المتخلفين عن القيام بواجبهم الدينى والوطنى .

ألا وأن جماعة كبار العلماء ليضعون فى خاتمة هذا البيان أمام أعين المسلمين قوله تعالى « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا » وقوله تعالى «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » والسلام على من اتبع الهدى .

ديوان مجد الإسلام

من بدائع الشاعر الإسلامي الكبير أحمد محرم رحمه الله

بتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

ذكرى غزوة بدر المباركة

تعلموا كيف تبنى مجدها الأمم … وكيف تمضى إلى غاياتها الهمم
تعلموا ، وخذوا الأنباء صادقة … عن كل ذى أدب بالصدق يتسم
أمن يقول ، فما ينفك يكذبكم … كمن إذا قال لم يكذب له قلم ؟
لكم على الدهر منى شاعر ثقة … تقضى الحقوق ، وترعى عنده الذمم
تعلموا يا بنى الإسلام سيرته … وجددوا ما محا من رسمها القدم
الله أكبر ، هل هانت ذخائره … فما لكم مقتنى منها ومغتنم ؟
بل أنتم القوم ، طاح المرجفون بهم … وغالهم من ظنون السوء ما زعموا
ماذا تريدون من ذكرى أوائلكم … أكل ما عندكم أن تحشد الكلم ؟
لسنا بأبنائهم إن كان ما رفعوا … من باذخ المجد يمسى وهو منهدم
إن تذكروا « يوم بدر » فهو يذكركم … والحزن أيسر ما يلقاه والألم
سن السبيل لكم مجداً ومأثرة … فلا يد نشطت منكم ولا قدم
غاز يصول بجند من وساوسه … وقائد ماله سيف ولا علم

* * *

حيوا (القراة) قياما ، وانظروا تجدوا … وفودهم حولكم يا قوم تزدحم
ثم انظروا تارة أخرى تروا لهباً … فى كل ناحية للحرب يضطرم
حيوا الملائكة الأبرار يقدمهم … (جبريل) فى غمرات الهول يقتحم
الارض ترجف رعباً ، والسماء بها … غيظ يظل على الكفار يحتدم

هم حاربوا الله ، لا يخشون نقمته في موطن تتلاقى عنده النقم
من جانب الحق ، أردته عمايته واحزم الناس من بالحق يعتصم

* * *

الدين دين الهدى تبدو شرائعه بيضاً تكشف عن أنورها الظلم
ما فيه عند ذوى الألباب منقصة ولا به من سجايا السوء ما يصم
يحيى النفوس إذا ماتت ، ويرفعها إذا تردت بها الأخلاق والشيم
لا شيء أعظم خزياً أو أشد أذى من أن يطاع الهوى ، أو يعبد الصنم
دين تصان حقوق العالمين به ويستوى عنده السادات والخدم
ضل الألى تركوا دستوره سفهاً فلا الدساتير أغنتهم ولا النظم

* * *

دعا (النبي) فلبي من قواضبه بيض مطاعمها المأثورة الخذم
جرى الوقائع ، عرثى لا كفاء بها إن جد ملتهب ، أو شد ملتهم
تجرى المنايا دراكا في مسايلها كما جرى السيل في تياره العرم
قواضب الله مانامت مضاربها عن الجهاد ، ولا أزرى بها سأم
يرمى بها كل جبار ، ويقصمه إن ظن من سفه أن ليس ينقصم

* * *

الجيش منطلق الغارات مستبق والبأس محتدم ، والأمر ملتيم
الله ألف بين المؤمنين فهم في الحرب والسلم صف ليس ينقسم
كروا سراعا ، فللأعمار مصطرع تحت العجاج ، وللأقدار مصطدم
من كل أغلب يمضى الحتف معتزما إذا مضى في سبيل الله يعتزم
حران ، يحسب إذ يرمى بمهجته نشوان يزداد شكراً أو به لمم
للحق نشوته في نفس شاربه وليس يشربه إلا امرؤ فهم

وأظلم الناس من ظن الظنون به ما كل ذى نشوة فى النـاس متهم

* * *

طال القتال ، فما للقوم إذ دلفوا إلا البلاء ، وإلا الهول يرتـكم
وقام بالسيف دون الليث (صاحبه) يذود عنه ، وعز الليث والأجم
ماذا يظن (أبو بكر) بصاحبـه ؟ إن (الرسول) حمى للجيش أو حرم
أمن النفوس ، إذا اهتاجت مخاوفها والمستغاث إذا ما اشتـدت الغمم
هل يعظم الخطب ، يرميه امرؤ درب أقصى الجلال إليه ، وانتهى العظم ؟
راع الـكتائب ، واستولت مهـابته على القواضب ، تلقـاه فتحتشم
دعا فماجت سماء الله ، وانطلقت كتائب النصر ملء الجـو تنتظم
لاهم غوثك ، إن الحق مطلبنـا وأنت أعلم بالقوم الألى ظلموا
تلك العصابة ، ما لله إن هلـكت فى الأرض من عابد للحق يلتزم

* * *

جاء الغياث ، فدين الله منتصر عالى اللواء ، ودين الشرك منهزم
جنى على (زعماء السوء) ما اجترحوا وحاق بالمعشر الباغين ما اجترموا
ما الجـاهلية إلا نـكبة جلل تردى النفوس ، وخطب هائل عمم
هذى مصارعها تجـرى الدماء بهـا وتشتكى الهون ، فى أرجائها الرمم
هـذا (أبو الحـكم) انجابت عمايته لمـا قضى السيف ، وهو الحـكم والحـكم
ماذا لقيت (أبا جهل) وكيف ترى آيات ربك فى القوم الذين عموا ؟
هـذا (القليب) لـكم فى جوفه عبر لا اللوم ينفعكم فيها ولا النـدم
ذوقوا العـذاب أليمـا فى مضاجعكم ما فى المضاجع إلا النـار والحمم
لا تجزعوا واسمعوا ماذا يقال لـكم فما بكم تحت أطبـاق الثرى صمم
الشرك يعول ، والإسـلام مبتسم سبحان ربى له الآلاء والنعم
يا قومنا إن فى التـاريخ موعظة وإنه للسان صـادق وفم
لنـا من الدم يجرى فى صحـائفه شيخ يحـدثنـا أن الحيـاة دم

الأزهر ومعارك التحرير الأولى

فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) افتتح رجال الأزهر أولى حركات التحرير فى تاريخنا القومى ، فاشترك كبار العلماء فى إعداد الثورات ورسم خطط المقاومة الشعبية مضحين فى سبيل الدفاع عن الوطن بأموالهم وأنفسهم . فمنهم من صودرت أملاكه ، ومنهم من عذب ، ومنهم من استشهد ، وقد كان لهذه التضحيات أكبر أثر فى بعث روح المقاومة فى الشعب الذى نهض ليواجه قوات الاحتلال فى شجاعة نادرة المثال .

إعلان الجهاد :

اضطرب المماليك حين وصلهم نبأ احتلال نابليون للإسكندرية فى صفر ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) ، وعقدوا اجتماعاً للتشاور فى الأمر ودعوا العلماء لحضوره - وكانوا قادة الرأى العام إذ ذاك - فحضر منهم السيد عمر مكرم نقيب الأشراف ، والشيخ السادات ، والشيخ الشرقاوى ، والشيخ سليمان الفيومى ، والشيخ الصاوى ، والشيخ المهدى ، والشيخ العربى ، والشيخ محمد الجوهرى . وجرت أثناء الاجتماع مناقشة حادة بين العلماء والأمراء حتى قام الشيخ السادات ووجه الكلام إلى الأمراء قائلا « إن كل هذا من سوء مقالكم وظلمكم . وآخر أمرنا معكم أنكم ملكتمونا للافرنج » ، ثم نظر إلى مراد بك قائلا له : « وخصوصاً بأفعالك وتعديك أنت وأمراؤك على متاجرهم وأخذ بضائعهم » . وأخيراً اتفق المجتمعون على إخطار الدولة العثمانية بالأمر وتجهيز العساكر للحرب .

من هذا الاجتماع نستطيع أن ندرك لأول وهلة موقف الأزهر بالنسبة للفرنسيين ، فهو موقف المقاومة المسلحة ؛ كما أن العلماء بصفتهم وكلاء عن الشعب وضعوا قاعدة دستورية هامة ، وهى محاسبة الحكام على تفريطهم فى حقوق الشعب .

ولما وصل نابليون إلى إمبابة أعلن السيد عمر مكرم والعلماء الجهاد واستنفروا الشعب ودعوا إلى التطوع العام ، وسار السيد عمر مكرم فى مقدمة المتطوعين للقتال ، وقام بعرض شعبى فى شوارع القاهرة استجاب له جميع الأهالى ، ولكن إذا كان العلماء قد نجحوا فى تعبئة الشعب إلا أن تخاذل المماليك أسرع بالبلاد نحو الخاتمة المنتظرة .

بين الأزهر ونابليون :

استفز الفرنسيون المصريين بفرض الضرائب الثقيلة والقتل ومصادرة الأملاك والاعتداءات المتوالية ، مما عجل بقيام ثورة القاهرة الأولى فى (جمادى الأولى سنة ١٢١٣ أكتوبر سنة ١٧٩٨) . فقام العلماء وعلى رأسهم الشيخ السادات يدعون إلى الجهاد ضد الفرنسيين ، وانتخبوا مجلساً للثورة كى ينظم حركات المقاومة ويمونها بالأسلحة والذخائر ، وفى ذلك يقول نابليون فى مذكراته : « إن الشعب قد انتخب ديوانا للثورة ، ونظم المتطوعين للقتال ، واستخرج الأسلحة المخبوءة . وأن الشيخ السادات انتخب رئيساً لهذا الديوان » . وذكر فى تقريره إلى حكومة الديركتوار أن لجنة الثورة كانت تنعقد فى الأزهر .

انتشر رجال الأزهر فى القاهرة يبثون الثورة فى النفوس ويدعون الشعب إلى الجهاد ويعاهدونه على المقاومة ، بينما كان مجلس الثورة يوزع الأسلحة على إحياء العاصمة ، حتى اقترب الوعد فعقد المجلس اجتماعا ليلة الأحد (١٠ جمادى الأولى ١٢١٣ - ٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨) لرسم خطة العمل فى صبيحة ذلك اليوم .

يقول الكولونيل ديترا فى يومياته وصفاً للثورة كما شهدها : فى الساعة السادسة صباحا من يوم ٢١ أكتوبر احتشدت الجموع فى كثير من أحياء القاهرة وكان المؤذنون يدعون إلى الجهاد على المآذن ، وكان المعسكر العام للثائرين الجامع الكبير المسمى بالأزهر ذلك المسجد الجميل الذى طارت شهرته فى أنحاء المشرق وقد قام الثوار بإقامة المتاريس فى الطرق والأزقة المفضية إليه حتى أصبح من المستحيل أن تقتحمه المدفعية أو الجنود المشاة .

وفى الساعة العاشرة صباحا اصطدم الثوار بكتيبة من الفرسان يقودها الجنرال ديبوى قومندان القاهرة وتغلب الأهالى على الكتيبة وقتل الجنرال ديبوى أثناء المعركة . وامتدت الثورة حتى اشتبكت الجماهير بدوريات الجنود فى كل مكان .

كان نابليون فى ذلك الوقت يطوف بسرعة ليتفقد الاستحكامات العسكرية فى مصر القديمة والروضة ولما عاد إلى بولاق بلغه مصرع الجنرال ديبوى فأصدر أمراً بتعيين الجنرال بون خلفاً له وكلفه بإجراء اللازم لإعادة النظام إلى المدينة .

هال الجنرال بون تفاقم الحالة فى العاصمة فكتب إلى نابليون فى الساعة العاشرة مساء من يوم الثورة يطلب اتخاذ إجراءات فى غاية الشدة والصرامة مع حى العرب حيث يوجد الجامع الأكبر (الأزهر) .

وفى صباح يوم ١١ جمادى الأولى ١٢١٣ (٢٢ أكتوبر ١٧٩٨م) بلغت حماسة الثوار مبلغاً عظيما حتى حاولوا ضرب الاستحكامات الفرنسية فى القلعة من مسجد السلطان حسن ، كما تمكنوا من قتل الكولونيل سلكوسكى فى معركة عند باب النصر.

وفى هذا اليوم أرسل نابليون الجنرال (برتييه) رئيس أركان حربه فى الساعة الثانية بعد الظهر ومعه أمر بضرب الأزهر بالمدافع سلمه للجنرال بون وقد أوصى نابليون بوضع المدافع فى أصلح المواقع ليكون تدميرها شديداً . كما أصدر أمراً إلى الجنرال (دومارتان) بالاستيلاء على جميع المنافذ المفضية إلى الأزهر ومما جاء فى هذا الأمر (وعليكم أن تقتحموه بجنودكم تحت حماية المدافع وأن تقتلوا كل من تلقونه فى المسجد وأن تضعوا فيه حرساً قويا من الجنود) .

وابتدأ الضرب من بعد الظهر حتى الساعة الثامنة مساء ، وأخذت رسائل الوحشية المقنعة بالمدينة تنهال فى صورة آلاف من القنابل على الأزهر حتى قال ريبو أوشك الجامع أن يتداعى من شدة الضرب فيدفن تحت أنقاضه الجماهير الحاشدة فيه وأصبح الحى المجاور للأزهر صورة من الخراب والتدمير . ولما وجد العلماء أن الاستمرار فى المقاومة سيفضى إلى كارثة محققة ، شرعوا فى مفاوضة نابليون لإيقاف الضرب .

محاكمة العلماء الثائرين :

فى ١٢ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ (٢٣ أكتوبر ١٧٩٨ م) أصدر الجنرال (برتييه) أمراً باسم نابليون إلى الجنرال (بون) قومندان القاهرة بهدم الأزهر ليلا إذا أمكن ، ومن هذا نرى أن نابليون أراد أن يقضى على المقاومة الشعبية بهدم مركزها ، ثم عدل عن هذه الفكرة خوفاً من إثارة الحماس الدينى .

وفى ٢٤ أكتوبر توجه وفد من العلماء إلى نابليون يسأله العفو عن الاهالى ليسكن روعهم ، فطالبهم نابليون بإرشاده عمن تسبب فى الثورة من العلماء ، فلم يرشدوه إلى أحد فقال لهم : « نحن نعرفهم واحداً وحداً » .

قبض نابليون على ثمانين من أعضاء لجنة الثورة أعدموا سراً وألقيت جثثهم فى النيل أما الذين حوكموا رسمياً من المقبوض عليهم باعتبارهم زعماء الثورة فهم الشيخ إسماعيل البراوى والشيخ يوسف المصيلحى والشيخ عبد الوهاب الشبراوى والشيخ سليمان الجوسقى

شيخ طائفة المكفوفين والشيخ أحمد الشرقاوى وكلهم من العلماء وقد حكم عليهم بالإعدام ونفذ الحكم فى الساعة الثامنة صباحاً من ٢٣ جمادى الأولى ١٢١٣ ﻫ (٤ نوفمبر ١٧٩٨ م).

وفى كتاب تحفة الناظرين للشيخ عبد الله الشرقاوى أن الفرنسيين قتلوا فى هذه الثورة ثلاثة عشر عالماً.

بين الأزهر والجنرال كليبر :

لم تكد تدوى مدافع معركة عين شمس فى ٢٣ شوال ١٢١٤ﻫ (٢٠ مارس ١٨٠٠م) حتى دوى فى القاهرة نداء الحرية فلبت العاصمة النداء مستمدة قوتها من إيمان أهلها وحماستها من وطنيتهم واستبسالها من تضحيتهم وهب السيد عمر مكرم والسيد أحمد المحروقى والشيخ السادات والشيخ الجوهرى وغيرهم من زعماء الثورة يحرضون الناس على القتال. ولما رجع كليبر بعد انتصاره على الجيش العثمانى فى معركة عين شمس وجد العاصمة أشبه ببركان ثائر لا يهدأ فاشتبك مع الثوار فى معارك طاحنة دامت أكثر من ثلاثين يوما دمرت خلالها بولاق تدميراً تاما . وللمرة الثانية شرع العلماء فى مفاوضة الفرنسيين على أساس العفو عن جميع سكان القاهرة فوافق كليبر على هذا الشرط ولكنه سرعان ما نقضه وفرض على الأهالى غرامة فادحة قدرها (إثنا عشر مليونا من الفرنكات) وألزم الأهالى بتسليمه عشرين ألف بندقية وعشرة آلاف سيف . وكانت أشد الغرامات المفروضة غرامة الشيخ السادات وقدرها ثمانمائة ألف فرنك هذا فضلا عما تعرض له من التعذيب والإهانة إذكان يجلد صباحا ومساء فى معتقله ، وكانت غرامة الشيخ الصاوى (٢٦٠ر٠٠٠ من الفرنكات) والشيخ محمد الجوهرى وأخيه فتوح الجوهرى مثل ذلك .

مصرع الجنرال كليبر :

كان إسراف كليبر فى الانتقام وإهانته للعترة النبوية ممثلة فى شخص الشيخ محمد السادات من أهم الأسباب التى أدت إلى مصرعه فى ٢٠ المحرم ١٢١٥ ﻫ (١٤ يونية ١٨٠٠ م) بيد سليمان الحلبى ، وسرعان ما اتجهت أنظار الفرنسيين نحو الأزهر فقاموا بتفتيشه وتفتيش أروقته وقبضوا على من ذكرهم سليمان الحلبى فى التحقيق كما قبضوا على العلماء المعروفين بقيادة الثورات الوطنية . ورأى كبار العلماء أن الفرنسيين سيتخذون من تفتيش الأزهر بين حين وآخر ذريعة للإيقاع بهم فتوجه الشيخ الشرقاوى والشيخ الصاوى والشيخ المهدى

إلى الجنرال مينو واستأذنوه فى إغلاق الأزهر فأغلق فى ٢٧ المحرم ١٢١٥ هـ (٢١ يونية ١٨٠٠ م) . وكان هذا ما يريده الفرنسيون وقد استمر الأزهر مغلقاً حتى تم جلاء الفرنسيين عن مصر .

يقول تيير : « لو بقى كليبر حياً لاستمرت مصر خاضعة للحكم الفرنسى حتى انهيار نابليون على الأقل ، فقد ضاع أكبر قائد وأكفأ من يؤسس الاستعمار الفرنسى فى الشرق » .

وهنا لا بد من أن نقول كلمة عن المنشورات التى كان يصدرها الفرنسيون على لسان أعضاء الديوان من العلماء ؛ إذ كان الغرض من هذه المنشورات تضليل الشعب وبث التفرقة بينه وبين زعمائه ، وأكبر دليل على براءة من اشترك من العلماء فى الديوان أنهم كانوا من المعروفين لدى الفرنسيين بقيادة الثورات والتحريض عليها .

الأزهر يحرض على قتال الحملة الإنجليزية الأولى :

فى المحرم ١٢٢٢ هـ (مارس ١٨٠٧ م) نزل الإنجليز الاسكندرية بقيادة الجنرال فريزر وما كادت تصل أنباؤهم إلى العاصمة حتى قام السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير يدعون الناس إلى الدفاع عن الوطن ، وحث الخطباء فى المساجد الناس على القتال ؛ فأقبل هؤلاء يتطوعون فى حماس نادر المثال وانضم إليهم جميع طلبة الأزهر والعلماء وكان المتطوعون يذهبون يومياً لضرب الاستحكامات خارج القاهرة تحت إشراف السيد عمر مكرم وكبار الشيوخ ، كما تطوع البعض الآخر للسفر ليشترك فى فك حصار الإنجليز لرشيد .

وأمام هذا التضامن الشعبى الرائع وجد الإنجليز أنفسهم عاجزين عن متابعة احتلال البلاد فقرروا الجلاء عن القطر المصرى فى ١٠ رجب سنة ١٢٢٢هـ (١٤ سبتمبر ١٨٠٧م) .

هذا هو الدور الذى قام به الأزهر فى معارك التحرير الأولى ؛ وقد كان لهذه المعارك أكبر أثر فى تكوين الوعى القومى الذى بدأ منذ ذلك الوقت يوجه تاريخنا الحديث ؟

أحمد عز الدين خلف الله

المدرس بمعهد دسوق

منهج البغدادي في خزانة الأدب

أوضح ما تتسم به مؤلفات العصر الحديث هو النزعة العلمية فى التأليف . وهى نزعة واعية تقوم على أساس قوى من طبائع الأشياء حين تجعل للبحث فى كل علم وفن منهجاً خاصاً يتحراه المؤلف ، وليس الأمر قاصراً على هذا المنهج الخاص وإنما هناك منهج فكرى عام يخضع له كل الباحثين فى كل العلوم والفنون ، وفى هـذا المنهج العام تتضح القواعد الأساسية التى تشترط فى بحث ينزع منزعا علمياً .

والمقصود بالمنهج الخاص هو النظام الذى تفرضه طبيعة المـادة المدروسة على الدارس ؛ فنحن حين ندرس الأدب يلزمنا أسلوب غير ذلك الذى يلزمنا حين ندرس الفلسفة ؛ ومنهج دراسة الفلسفة يختلف عن منهج دراسة الكيميا ، وهكذا . فطبيعة الموضوع ـ كما قلنا ـ هى التى تفرض الأسلوب أو المنهج ؛ فأحيانا يستخدم الباحث أسلوبا تاريخياً ـ عندما يكون بسبيل الترجمة لشخصية أدبية مثلا ـ وأحيانا يستخدم أسلوباً تحليلياً ـ عندما يعنى بدراسة نص من النصوص ـ وفى حالات أخرى يستخدم أسلوبا وصفيا أو تقريرياً أو تركيبياً أو تجريبيا ، بحسب الموضوعات المختلفة التى يدرسها .

أما المنهج العام فهو تلك الشروط التى تكفل لنـا تحقق أمرين فى كل عمل علمى وهما : دقة البحث ، بكل ما تنطوى عليه كلمة دقة من معنى ، ثم أصالة المـادة وصدقها .

ولست فى مجال الإفاضة هنا فى هذا الذى تنطوى عليه الكلمتان ، وحسبى هنا أن أشير إلى مثالين . الأول ، ويختص بدقة البحث . فمن القواعد الجوهرية الخاصة بدقة البحث ، وهى من القواعد العامة ، تلك القاعدة التى تقول :

« يجب ألا نستخلص نتيجة من نتيجة أخرى إلا بمنتهى الحذر » وكذلك تلك القاعدة :

« يجب أن نتصل مباشرة بالنص المدروس ذاته ، فلا نحل قط نصاً آخر محله » ، فنقول مثلا : « (ا) كتب (ب) ، ولكن (ب) هو نفس (حـ) . وإذا كان (ا) قد ألف (حـ) إذن . . . ، ثم ننسى (ب) ونأخذ فى بحث (حـ) وهو النص المزيف الذى كوناه أو تناولناه بثقة مسرفة .

ثم نشير بمثال أيضاً إلى أصالة المادة ، فهناك قاعدة تقول : « لا تنقل عن محدث ما نقله عن قديم » ، و « لا تقتبس من محدث رأياً سبقه إليه قديم » ، و « لا تناقش محدثا فى رأى ما لم تقرأ كتابه من الجلدة إلى الجلدة » . . وهكذا .

ونسلك الآن إلى كتاب « خزانة الأدب » للبغدادى ، لنتبين – على ضوء ما أسلفنا – مدى مسايرته للمنهج العلمى الخاص والعام . وقد يكون من سبيل التعسف أن نتطلب فى كتاب قديم أسلوبا فى البحث لم يعرفه إلا المحدثون والمؤلفات العلمية الحديثة ، ولكننا نجد أنفسنا فى كثير من الأحيان فى غير ما حرج من تقرير تلك الصفة العلمية فى كثير من المؤلفات العربية القديمة ، فلا حرج عليك فى أن تتكلم عن مناهج المفسرين ، ولا عليك فى أن تبحث مناهج المحدثين ، ولك أن تتكلم عن غيرهذه وتلك من مناهج البحث والتفكير الإسلامى . ذلك أن تحرى الدقة واستقصاء الخبر والتقيد بالالتزامات القاسية لم تعهد كما عهدت فى رواية الحديث مثلا . وكل ما كان يتكبده العلماء من مشقات الرحلة والطلب لم يكن فى حقيقة أمره إلا صورة مبالغا فيها لخلاصة أهداف النزعة العلمية المحدثة كما بيناها .

« وخزانة الأدب » من المؤلفات المتأخرة نوعا ما . ومعروف أنه فى هدفه الأصيل هو شرح شواهد شرح الرضى الاستراباذى على الكافية فى النحو لابن الحاجب . وقد اجتمع فيه « ما تفرق فى مئات الكتب من طرف النوادر العلمية والأخبار التاريخية ، تتخلله تحقيقات فى العربية لا يجدها القارىء فى غيره .

ويستطرد صاحبه إلى فنون من النقد الأدبى لو أفردت لكانت بنفسها من خير ما كتبه الكاتبون . زد على ذلك ما فيه من تراجم الرجال وفرائد الأمثال ، وتفرده بنقل النصوص الجليلة من كتب لم تجتمع فى زمانه عند أحد غيره . . إلى غير ذلك من الفنون التى جعلت هذا الكتاب دائرة معارف أدبية وتاريخية لا يستغنى عنها مشتغل بالأدب العربى . . »[1]

ويعنينا هنا تشبيهه بدائرة المعارف ، لأنه فى الواقع لم يقف عند مجرد هدفه الأول وهو شرح شواهد شرح الكافية – كما ذكرنا – ولكنه جمع صنوفا شتى من المعرفة والثقافة العربية الأصيلة . والكتب التى لها هذه الصفة فى المكتبة العربية القديمة كثيرة ، ويكفى أن تذكر الأمهات الأربع : الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأمالى القالى ،

---

(١) مقدمه الأستاذ محب الدين الخطيب ناشر الخزانة – ط السلفية .

والعقد الفريد لابن عبد ربه ؛ فهذه كل موسوعات للثقافة العربية الأصيلة أكثر منها كتبا تبحث موضوعات خاصة .

ولكن كتابنا « خزانة الأدب » قد حدد موضوعه منذ اللحظة الأولى ، وكل ما ورد به من ثقافة تاريخية أو أدبية أو تراجم للأعلام لم تكن إلا جزءا ضروريا لتصوير المادة التى يعرضها الكتاب تصويرا دقيقا ، ولكى نضع أيدينا على مصادر هذه المادة كيما نستوثق من أصالتها وصحتها . والكتاب بهذه المثابة تتكامل المادة فيه بحيث لا يمكن الاستغناء) عن جزء منها (كالترجمة أو الخبر أو الرواية .. الخ) والمشكلة الوحيدة التى تعترض الباحث فى الكتاب بصورته الأولية هى صعوبة الإفادة من هذه المادة الغزيرة إفادة مستقلة . فأنت تستطيع أن تفيد من الخزانة مادة طيبة فى ترجمة أبى الأسود الدؤلى مثلا ، ولكن كيف كنت تهتدى إليها لولا هذه الفهارس القيِّمة التى أصبحت فى الواقع جزءا لا يمكن الاستغناء عنه فى الكتاب . ولا شك أن عمل الفهارس عمل علمى ناهض فى العصر الحديث [1] وإذا كانت تلك الموسوعات القديمة ينقصها هذا العمل العلمى الذى يبرز قيمتها ويجعلها فى متناول يد الباحث فإن ألزم ما يلزم الآن هو إضافة هذا الجزء الحى إلى تلك الموسوعات . فإذا كان فى الخزانة — بصورتها الأولية — هذا النقص فإنه نقص عام لم تدع إليه الحاجة فى العصور الماضية . أما الآن فأنت تستطيع أن تهتدى إلى كل جزئية من جزئيات هذه المادة الغزيرة .

ولنعد الآن إلى صلب الكتاب .

ماذا صنع البغدادى فى سبيل الحصول على مادة يمكن الوثوق بها ؟ . إذا أردنا أن نجيب فى كلمة قلنا : الامتحان .

ومن أين استمد البغدادى هذه المادة ؟ الجواب : من المصادر الأصيلة .

أما مشكلة الامتحان فيطول شرحها . ولعلنا نصادف هذه اللفظة فى ميدان آخر من

---

[١] مجلة الازهر ـ لقد عنى العلامة المحقق أحمد تيمور رحمه الله بهذه الناحية فوضع لخزانة الادب فهارس عظيمة ورد وصفها فى مقدمة النشر لهذه الطبعة من الكتاب .

ميادين البحث وأعنى به ميدان الرواية بخاصة رواية الحديث . ووسائل هذا الامتحان يمكن الوقوف عليها — فيما يختص برواية الحديث — فى كتب فن مصطلح الحديث . أما فيما يختص بمشكلة الخزانة فقد أخذ البغدادى بمبدأ أنه لا يصح الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله ، « وعلة ذلك مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعا أو مولدا أو لمن لا يوثق بكلامه ، ولهذا — كما يقول البغدادى — اجتهدنا فى تخريج أبيات الشرح وفحصنا عن قائليها حتى عزونا كل بيت إلى قائله — إن أمكننا ذلك ، ونسبناه إلى قبيلته أو فصيلته ، وميزنا الإسلامى عن الجاهلى ، والصحابى عن التابعى وهلم جرا ، وضممنا إلى البيت ما يتوقف عليه معناه ، وإن كان من قطعة نادرة أو قصيدة عزيزة أوردناها كاملة وشرحنا غريبها ومشكلها ، وأوردنا سببها ومنشأها ؛ كل ذلك بالضبط والتقييد ، ليعم النفع ويؤمن التحريف والتصحيف وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ، ويدفع احتمال ضعفه » . هذا ما يصنعه البغدادى لتقديم مادة موثوق بها . وهكذا نرى أن ما يتطرق إلى ذكره من رواية تاريخية أو ترجمة أو نص من النصوص ليس فى الواقع إلا زيادة فى توثيق هذه المادة . وهذا يحمد له من الناحية العلمية . وتبقى مشكلة عامة هى مدى الثقة بمن يستشهد بكلامهم فى اللغة وهى مشكلة كان لا بد للبغدادى من مواجهتها . وهنا نجده يعرض لنا آراء العلماء السابقين فيها .

وهؤلاء السابقون قسمان : قسم يعتمد على الشعر ويستشهد به وقسم يعتمد على غير الشعر . والفريق الأول تواجهه مشكلة طبقات الشعراء ؛ فنراهم يقسمون الشعراء طبقات بحسب الثقة التى يمكن أن تمنح لكل . فطبقة الجاهليين وطبقة المخضرمين يستشهد بشعرهما إجماعاً . وتأتى الطبقة الثالثة وهى طبقة المتقدمين الذين عاشوا فى صدر الإسلام ، والصحيح صحة الاستشهاد بشعرها رغم اللحن الذى وقف عليه بعض العلماء فى شعر كثير من شعرائها . أما طبقة المولدين أو المحدثين فلا يستشهد بكلامها مطلقاً ، وإن كان الزمخشرى فى كشافه قد سن قاعدة جديدة فيما يختص بشعراء هذه الطبقة ، وهى استشهاده بشعر لأبى تمام ، وقوله : « أجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » ، وكانت حماسة أبى تمام من أوثق مصادر علماء اللغة . ولعل توثيق شعر أبى تمام يرجع إلى تقسيم آخر لطبقات الشعراء يتفق مع التقسيم الأول فى أمر الطبقات الثلاث الأولى ولكنه يجعل المولدين طبقة ، وتليها طبقة المحدثين ،

كأبي تمام والبحتري ، ثم طبقة المتأخرين كأبي الطيب المتنبي . ولكن هـذا الرأي يرجحه سابقه .

أما غير الشعر فهو القرآن والحديث ، والقرآن حجة في متواتره وشاذه . أما الاستدلال بالحديث فقد اختلف العلماء حول الاستشهاد به نظراً لإمكان الرواية بالمعنى . ولكننا إذا ذكرنا التشديد في الضبط والتحري في نقل الاحاديث عند النقلة والمحدثين جاز الاستشهاد بما يغلب على الظن صحته منه . وحتى ما يمكن أن يكون قد روى بالمعنى فقد روى في زمن كانت اللغة فيه ما تزال في مهدها نقية صحيحة [1] .

هذه هي المفهومات التي تطالعنا في الخزانة حول توثيق المادة .

أما فيما يختص بالمصادر فقد ذكر البغدادي أجناس الكتب التي أفاد منها في علم النحو وفي تفسير أبيات المعاني المشكلة وفي الدواوين والمجاميع الشعرية حتى طبقة المولدين والمحدثين ، كما أفاد من كتب الأدب ، وكتب طبقات الشعراء ، وكتب فقه اللغة وكتب الامثال ، وكتب الأماكن والطبقات . وبنظرة فاحصة لهذه المصادر تبين أنها هي المصادر الأولى والأساسية التي أمدت الخزانة بمادة غاية في القيمة .

وهكذا نجد ما سميناه بالمنهج العام يتمثل في نفس البغدادي بصورة أو بأخرى قبل أن يقدم على تأليف كتابه الضخم . وما تبقى من عناصر هـذا المنهج ليس بشيء بجانب الثقة في المادة والمصدر ، وهما متوافران ـ كما رأينا ـ بصورة كافية في هذا الكتاب .

عز الدين اسماعيل
مدرس بكلية الآداب ـ بجامعة إبراهيم

---

[١] المجلة ـ لفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر تحقيق وذلك تضمنته مقدمته التي كتبها الكتاب [المغنى عن الحفظ والكتاب] ط . السلفية .

الأردن في أيام الحروب الصليبية

فى أيام الحملات الصليبية اتخذ الصليبيون فى منطقة البلقاء والأردن إمارة لهم فى الكرك وما حولها جعلوها قاعدة حربية يهاجمون منها البلاد الإسلامية والعربية فى الحجاز ومصر وأنحاء سوريا حتى قضى عليهم صلاح الدين قضاء مبرما بعد انتصاره على الصليبيين فى معركة حطين سنة ٥٨٣ هجرية .

ذكر وزير صلاح الدين الأيوبى القاضى بهاء الدين بن شداد فى كتابه « سيرة صلاح الدين » ص ٤٩ : أن السلطان صلاح الدين سار من دمشق على رأس جيشه ، فى يوم ٢٧ من ربيع الآخر سنة ٥٧٩ هجرية حتى أتى بيسان فوجد أهلها قد رحلوا عنها وتركوا ما كان من ثقيل الأقمشة والغلال والأمتعة ففتحها عسكر المسلمين وحرقوا مالم يمكن أخذه ، وسار السلطان وجيشه حتى أتى (عين جالوت) وهى قرية عامرة وعندها عين ماء نخيم بها ، وكان قد قدم عز الدين جرديك وجماعة من المماليك النورية وجاولى مملوك أسد الدين حتى يكشفوا خبر الإفرنج (الصليبيين) فاتفق لهم أنهم صادفوا عسكر الكرك والشوبك سائرين نجدة للإفرنج فوقع أصحابنا عليهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأسروا زهاء مائة نفر وعادوا ولم يفقد من المسلمين سوى شخص واحد ، فاستبشر المسلمون بالنصر والظفر .

ثم إن صلاح الدين علم أن الإفرنج اجتمعوا فى صفورية والفولة ، فتبعهم بالجيش ونازلهم ونال منهم بالقتل والأسر ، وخرب قلعة عفربلا وقلعة بيسان وزرعين وهى من حصونهم ، ثم عاد منصوراً مظفراً مسروراً حتى نزل الغور ، ثم عاد إلى دمشق فى يوم ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ٥٧٩ وأقام بها إلى ثالث رجب سنة ٥٧٩ وخرج مراراً نحو الكرك وأرسل إلى أخيه الملك العادل وهو بمصر أن يتقدم إليه بالاجتماع على الكرك ، فخرج العادل من مصر ومعه عدد كبير وذلك فى رابع شعبان سنة ٥٧٩ . اهـ ملخصا .

ثم ذكر ابن شداد فى ص ٥٣ أن صلاح الدين خرج من دمشق فى شهر ربيع الآخرة سنة ٥٨٠ قاصداً مهاجمة الكرك وتتابع وصول الجيوش الإسلامية إليه من كل حدب وصوب وتتابعت العساكر بالوصول إلى الكرك حتى أحدقوا بها وذلك فى رابع جمادى

الأولى سنة ٥٨٠هـ وركب آلات المنجنيق على المكان وقد التقت العساكر المصرية والشامية والجزرية ، ولما بلغ الإفرنج ذلك خرجوا براجلهم وفارسهم للدفاع عن الكرك وكان على المسلمين ضرر عظيم من وجود الصليبيين فى الكرك وما حوله لقطعهم الطريق عن قصد مصر بحيث كانت القوافل لا يمكنها الخروج إلا مع العساكر الجمة الغفيرة ، فاهتم السلطان صلاح الدين بهذا الأمر ليكون الطريق سابلة إلى مصر .

ولما بلغ السلطان صلاح الدين خروج الإفرنج تعبأ للقاء ، وأمر العساكر بالخروج إلى ظاهر الكرك ، وكان الفرنج قد نزلوا فى موضع يقال له الواله وسار حتى نزل على قرية حسبان قبالة الفرنج ورحل منها إلى ماعين والإفرنج مقيمون بالواله ثم رحلوا قاصدين الكرك فسار بعض العساكر وراءهم فقاتلهم إلى آخر النهار ، ولما رأى السلطان تصميم الإفرنج على الكرك أمر العساكر أن يدخلوا الساحل لخلوه من عسكر الصليبيين فهاجموا نابلس وغنموا ما فيها ولم يبق فيها إلا حصناها وأخذوا جنين والتحقوا بالسلطان فى رأس الماء ومعهم الأسرى من العدو ثم عاد صلاح الدين إلى دمشق وأعطى العساكر دستوراً «إجازة» .

وقد انتهت مهاجمات صلاح الدين للكرك وما حولها بعقد هدنة بينه وبين البرنس أرناط الذى لم يلتزم بشروطها بل نقضها واعتدى أثناء الهدنة على قافلة عظيمة للمسلمين غدراً ـ كعادة الفرنجة فى كل زمان وإلى هذا الزمان ، فهم لا يوفون بمعاهدة ولا يلتزمون بهدنة ، وإنما يخضعون ويطأطئون رءوسهم للقوة القاهرة التى ترغمهم على الإذعان . وهذا ما يجب أن يفهمه جيداً قادة المسلمين والعرب وأولياء أمورهم حتى يسهل عليهم حل مشاكلهم مع الدول الغربية حلا عملياً .

قال صاحب حماة تاج الدين شاهنشاه بن أيوب فى ص ٢٨٨ من منتخبات تاريخه فى حوادث سنة ٥٨٢ هـ ما نصه : « فى هذه السنة غدر البرنس صاحب الكرك وأخذ قافلة عظيمة من المسلمين وأسرهم ، فأرسل السلطان (صلاح الدين) يطلب منه إطلاقهم بحكم الهدنة التى كانت بينهم على ذلك فلم يفعل ، فنذر السلطان أنه إن أظفره الله به قتله بيده » .

وقد حقق الله نذر السلطان صلاح الدين حين هزم الصليبيين فى معركة حطين .

الصليبيون يهاجمون مدينة النبى ﷺ :

قال « تاج الدين بن شاهنشاه بن أيوب فى تاريخه الذى نشرت منتخبات منه بذيل سيرة

صلاح الدين لابن شداد ص ٢٧٨ مانصه : « ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمس مائة٥٧٧هـ وفيها عـزم البرنس « أرناط » صاحب الكرك على السير إلى مدينة الرسول ﷺ للاستيلاء على تلك النواحى الشرقية ، وسمع عز الدين فرخشاه نائب عمه السلطان بدمشق ، لجمع جموعا وقصد بلاد الكرك وأغار عليها وأقام فى مقابلة البرنس ، ففرق البرنس جموعه وانقطع عزمه عن الحركة » .

ثم قال تاج الدين فى صفحة ٢٧٩ « ثم دخلت سنة ٥٧٨هـ وفى خامس المحرم منها سار صلاح الدين من مصر إلى الشام واجتمعت الإفرنج قريب الكرك ليكونوا على طريقه » .

أسطول صليبي يهاجم الحجاز وسواحل البحر الأحمر :

قال تاج الدين شاهنشاه ص ٢٨١ و ٢٨٢ « فى هـــذه السنة » (٥٧٨) عمل البرنس صاحب الكرك أسطولا فى بحـر أيلة « العقبة » وسير » فى البحر فرقتين فرقة أقامت على حصن أيلة « العقبة » يحصرونه وفرقة سارت نحو عيذاب » « شواطىء مصر » يفسدون فى السواحل ، وبغتوا المسلمين فى تلك النواحى فإنهم « أى المسلمين » لم يعهدوا بهـذا البحر . « البحر الأحمر » إفرنجا قط بل كان بحراً إسلاميا « صرفا » ، وكان بمصر الملك العادل أبو بكر نائبا عن أخيه السلطان « صـلاح الدين » فعمر أسطولا فى بحر عيذاب « بمصر » وأرسله مع الأمير حسام الدين لؤلؤ وهو متولى الأسطول بديار مصر وكان مظفرا شجاعا ، فسار لؤلؤ مجـدا فى طلب الفرنج وأوقع بالذين كانوا يحاصرون أيلة فقتلهم وأسرهم ثم سار فى طلب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموا على الدخول إلى الحجاز ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى فسار لؤلؤ يقفو أثرهم فبلغ (رابغ) فأدركهم بساحل الحوار وتقاتلوا أشد قتال فظفره الله تعالى بهم وقتل لؤلؤ أكثرهم وأخـذ الباقين أسرى وأرسل بعضهم إلى (منى) لينحروا بها وعاد بالباقين إلى مصر وقتلوا عن آخرهم » .

ثم ذكر تاج الدين فى ص ٢٨٩ خبر معركة حطين ، وحطين قرية بالقرب من طبرية : وخلاصة ذلك أنه فى سنة ٥٨٣ هـ جمع صـلاح الدين العساكر وسار بفرقـة منها وضايق الكرك خوفا على الحجاج من صاحب الكرك ، وأرسل فرقة أخرى مع ولده الملك الأفضل فأغار على بلاد عكا وتلك الناحية وغنموا شيئاً كثيراً ثم سار السلطان إلى طبرية وحصر مدينتها وفتحها عنوة بالسيف ، ولما أخذ السلطان طبرية اجتمعت الفرنج وملوكهم بفارسهم

وراجلهم وساروا إلى السلطان والتقى الجمعان فى يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ٥٨٣ ﻫ وإن جيوش المسلمين أحدقوا بالإفرنج من كل ناحية وأبادوهم قتلا وأسراً وكان من جملة من أسر ملك الإفرنج الكبير والبرنس أرناط صاحب الكرك وصاحب جبيل وابن الهنفرى ومقدم الداوية وجماعة الاسبتارية .

ثم قال تاج الدين فى ص ٢٩٠ وما أصيب الإفرنج منذ خرجوا إلى الشام فى سنة ٤٩١ﻫ إلى الآن بمصيبة مثل هذه الواقعة ، ولما انقضى المصاف جلس السلطان « صلاح الدين » فى خيمته وأحضر ملك الأفرنج وأجلسه إلى جانبه وكان الحر والعطش به شديداً فسقاه السلطان ماء مثلوجا ، فسقى ملك الأفرنج منه البرنس أرناط صاحب الكرك ، فقال له السلطان : « هـذا الملعون لم يشرب الماء بإذنى فيكون أمانا له » ثم كلم السلطان البرنس ووبخه وقرعه على غدره وقصده الحرمين الشريفين « مكة والمدينة » ثم قام السلطان بنفسه فضرب عنقه ، فارتعدت فرائص ملك الافرنج ، فسكن جأشه . ثم عاد السلطان إلى طبرية وفتح قلعتها بالأمان . ثم كان فتح القدس واستخلاصها من الصليبيين بعد جهاد دام نحو مائة عام حتى كان النصر المبين فى يوم ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ وأعيدت القدس ومسجدها الأقصى وما حوله من ديار مباركة إلى حوزة المسلمين .

ويجب أن يعلم كل مسلم وكل عربى فى أنحاء هـذا العالم أن الغاية التى تقصدها الدول الكبرى انجلترا وأمريكا وفرنسا وسواها من الدول الاستعمارية والجماعات المعادية للإسلام من صهيونية وتبشيرية وغيرها التى ساعدت على إقامة دويلة إسرائيل فى فلسطين على أطلال مدن المسلمين والعرب وقراهم وديارهم وتمكينها اليهود من فصل آسيا الإسلامية عن أفريقيا ومنع الاتصال بين بلاد العرب إنما تريد بذلك مقاومة الإسلام والمسلمين وتحقيق الغاية الرهيبة التى عجزت الحملات الصليبية خلال مائتى عام عن تحقيقها .

والواجب الدينى وواجب الشرف والكرامة يحتم على المسلمين والعرب كافة أن يوحدوا صفوفهم ويشحذوا عزائمهم ويعملوا يداً واحدة متعاونين على إنقاذ فلسطين وإعادتها إلى الحظيرة الإسلامية والعربية كما عمل آباؤهم وجدودهم المجاهدون ، وأن يعدوا ما استطاعوا فى قوة لهذه الغاية الشريفة ليغسلوا هذا العار اليهودى الجاثم فى أطهر بقعة فى وطنهم وديارهم التى جملت تربتها بدماء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من المجاهدين فى مختلف العصور . والمرجو من الله تعالى أن يجعل ذلك اليوم قريباً ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

محمد صبرى عابدين
من علماء الازهر الشريف

نظرات في الشريعة الإسلامية

بين التقدير العيني والتقدير النقدي

إذا استعرضنا طريقة المعاملات فى العصور البدائية نجد أنها كانت تقوم على أساس المبادلة . فكان الفرد يقوم بشراء ما يلزمه بواسطة ما يقدمه إلى الآخر من مواد . فالمزارع إذا أراد شراء شيء ما . لجأ إلى كمية من حاصلاته ليشترى بها ما هو فى حاجة إليه . وكان العامل إذا أراد شراء طعام أو قوت لأولاده يعرض نفسه على الراغبين فى استئجاره فى مقابل إعطائه ما هو فى حاجة إليه .

وهذه الطريقة البدائية المحضة وإن بدا فيها من المتاعب ، والحد من الحرية فى التبادل ، حيث تجعل الإعطاء محصوراً بين طائفة معينة ، من الذين توفرت لديهم هذه الطلبات ، إلا أنها كانت تسدى للحياة العامة خدمة جليلة تأتى بطريق غير مقصود . فقد كان من أثر ذلك أن منعت تضخم الأموال حيث امتنع وجود النقد . فكان كل شخص يقصر همه على إنتاج مقدار ما يستطيع أن يستهلكه فى قضاء رغائبه ، وسد حاجاته . فلم يكن هناك تضخم فى الانتاج ولم يكن — تبعا لذلك — تضخم فى الكنز أو فى الادخار .

وهذه الطريقة ظلت ردحا من الزمن ، إلى أن اخترع النقد ، وأصبح هو الوسيط بين المتعاقدين ، وصار هو مصدر التقويم والتثمين . وأصبحت السلع تأخذ حظها من التقدير بمقدار ما يبذل فيها من نقد تبعا لقدرة الراغبين .

وطريقة التبادل وإن كانت قد انكمشت باختراع النقود ، إلا أن ذيولها ما تزال تطل علينا فى بعض الأحايين وفى بعض الأماكن . فلا تزال منها صور فى بعض المعاملات الصغيرة بالقرية حيث يلجأ الريفيون إلى شراء سلعهم ببعض الغلات الزراعية ، وإلى شراء الخضراوات بقليل من الحبوب أو بما يعطيه الدجاج من بيض . بل ما يزال « التشغيل » فى مقابل إعطاء منتجات معينة موجوداً أيضا ؛ فما يزال الحلاق والنجار وقارئ القرآن وغيرهم يعملون طول العام فى مقابل مقدار من الحبوب يعطى لهم فى موسم الحصاد .

ولا تقف الطريقة التبادلية العينية عند هذا الحد ، بل إن الدول فى معظم الأحايين تلجأ إليها ، وخاصة فى الأيام الأخيرة بعد أن فشل المستعمرون فى سل السيوف فى وجوه

الدول المنتجة ، فلجأوا إلى إعلان الحرب الاقتصادية عليها بفرض حصار تبادلى يقوم على التشكيك فى جدارة هذه الدول على الوفاء ، كى يهرب العملاء منها . وذلك مثل ما لجأت إليه انجلترا من فرض هذا التشكيك على الاقتصاد المصرى كى لاتجد مصر مشتريا لقطنها . (وكان من نتيجة ذلك أن انخفض سعره ، وانخفض سعر الجنيه المصرى فى الأسواق الدولية .

ولا وسيلة لمصر من الفكاك عن هذا الحصار إلا بالعودة إلى النظام البدائى ، فتقوم بمبادلة منتجاتها بأخرى من الدول الراغبة فيها حسب اتفاق حر يعقد بين الطرفين . وفى هذا ما فيه من الحد من الحرية بعدم فسح المجال للمشترين المنافسين ولكنه على كل حال ضمان لها من الكساد والبوار .

وبعد هذه اللمحة العارضة عن التبادل العينى والتبادل النقدى ، نرى أن كل نوع منهما لم يقم على فلسفة أصيلة ، بل على منفعة مرئية . ولهذا نراه تارة يكون خيراً وتارة يكون شراً . وتقوم التجارة الدولية على اهتبال الفرص الداعية للاستفادة من هذا الاختلاط العجيب ، فمن أدار العجلة بحكمة وفى حذق كان نصيبه الغنم والكسب . . ولقد انضم إلى هذه العوامل المؤثرة فى المعاملة عامل آخر هو وجود الأوراق المالية . فقد لجأت الدول إلى تغطية عجزها النقدى عن القيام بمستلزماتها إلى إصدار سندات مالية على خزائنها . وهذه السندات ـ تبعاً لظروف دولية ـ كثيراً ما تتهافت وتقل قيمتها فيصبح من العسير أن تنهض بالعبء الملقى على عاتقها . وكان من نتيجة هذا الاضطراب كله أن نتساءل : ما هى الوسيلة التقديرية فى الشريعة الإسلامية ؟

وسنجد الشريعة الإسلامية ـ وكأن الله تعالى قد ألهم نبيه هذا الاختلاط العجيب ـ تتخذ التقويم العينى فيما تقرره من مقدرات تقوم فى سبيل الصالح العام كما فى الزكاة أو فى الديات أو فى الكفارات . وربطت التقدير على هذا الأساس حتى فى حالة الفقد والعدم يكون العدول إلى غيره باعتبار ما يساويه التقدير العينى ، كما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة من العدول فى زكاة الفطر من الحبوب إلى النقد على أساس قيمة الحبوب .

وعلى رغم ما يبدو فى التقدير العينى من متاعب ، ومن حد للحرية إلا أنه إذا قورن بالتقدير النقدى للقيمة العينية أصبح المستوى الاقتصادى ثابتاً . ولكى يبدو الأمر جلياً أضرب لك مثالا : فرض الله على المسلمين زكاة الفطر ، وقد قدرت بواسطة التقدير العينى

بمقدار صاع أو أقل ـ حسب الآراء ـ فلنفترض أن الشرع بدل أن يقدرها بصاع راعى ثمنها وقت التشريع ، أو لم يراع الثمن وقدر ابتداءاً مقداراً معيناً من الدراهم أو الدينار . فماذا يحدث ؟

يحدث أن الأسعار تتفاوت فترتفع تارة وتنخفض أخرى . فإذا ارتفعت الأسعار ثم أعطى الفقير هذا المقدار الثابت من الذهب أو الفضه كان فيه غبن عليه ، لأنه لايستطيع أن يشترى به شيئاً ذا أهمية يكفيه ، ولو انخفضت الاسعار وقد قدر على المعطى هذا المقدار عينه لغبن ، لأنه يستنفد فى الحصول على هذا المقدار المعين من النقد كمية كبيرة من انتاجه نظراً لانخفاض الأسعار ، فيكون فى هذا غبن عليه .

أما فى حالة التقدير العينى فلا يخضع لهزات الأسعار المتأرجحة المضطربة . ثم عالجت الشريعة الاسلامية الحد من هذا التبادل العينى بأن أباح بعض الفقهاء تقويم العين بالنقد ثم استبدالها بالنقد . وهو منتظم فى سمط العدالة التى من أجلها شرع التقدير العينى ! .

وإذا عرف أن الزكاة ما هى إلا نسبة من الانتاج تستهلك على العاطلين عن هذا الانتاج من الضعفاء والمرضى والمساكين ، تبين أن النسبة بهذا التقدير العينى ثم العدول عنه إلى التقدير النقدى ـ فى بعض الحالات ـ لا يجعل هذه النسبة تتغير بحال من الأحوال .

ولندع هذا المثال لنرى وجها آخر ، وهو ما جرت عليه الشريعة عند التقدير فى الديات وفى الجروح وفى غيرها من الأرش ، نجد أنها لجأت إلى التقدير العينى الذى ينتهى بالتقدير النقدى عند أبى حنيفة — وكنا ونحن فى مدرجات الكلية وما زلنا قليلى الخبرة بأسرار هذه الشريعة نتساءل : ما حكمة هذا التقدير بالإبل فى بلاد تنعدم فيها الإبل أو تقل كمصر مثلا ؟ ولماذا لا تكون الدية مقداراً معيناً ثابتا من النقد يصدر به القاضى حكمه من غير ما تقويم أو تعديل ؟ !

والجواب عن هذا التساؤل أننا لو نظرنا إلى ما ذكرته فى المثال السابق لوجدنا الحكمة هنا أيضا بادية ظاهرة . فلو قدرت دية الرجل بجزء معين من النقد ، لكانت هذه الدية عرضة للتفاوت العجيب نظراً لتفاوت أسعار الذهب والورق بين حين وحين ، ولكثرته أو قلته فى أيدى الناس فى كثير من الأحايين . وفى جزيرة العرب نفسها حيث أصبح

الزيت مورداً ضخماً للنقود يظهر الفارق الشاسع بين حكمة التقدير العيني والنقدي فلو جعلت الدية مقداراً ثابتاً من الذهب لهان على سائق السيارة الذي يتقاضى مبلغاً كبيراً من النقد دفعها، ولأصبحت الأرواح رخيصة هينة. ولكنك لا تجد هذا الهوان إذا رجعت إلى التقدير بالابل.. فإن السلع يطرد ارتفاع ثمنها اطراداً مناسباً مع وجود النقد. فكلما كثر النقد ارتفعت الاثمان. ولهذا أصبح ثمن الجمل في الجزيرة العربية الآن أضعاف أضعاف ما كان عليه من قبل. فإذا رجع في الديات إلى التقدير العيني كانت النسبة محفوظة وثابتة.

وعند التدقيق والبحث نرى أن أسعار الاشياء قد يعرض لها من الأسباب ما يجعلها تتأثر هبوطا أو صعوداً، كما في حالة نشوء وباء عام في الحيوانات مثلا، أو إصابة الأرض بندرة المطر. وقد لاحظ كثير من الفقهاء هذه الظروف الاستثنائية، واعتبرها حالات عارضة لا تصح أن تكون الحكم الفاصل، بل رأى العود إلى الوسط في كل شيء، من الزمان والمكان، حتى تتلافى هذه الظروف الطارئة.

ولعل في تحديد الشرع الدية تحديدا واضحا، لم يترك فيه للقاضي حرية التصرف تقديراً كبيراً لحرمة النفس البشرية، وامتداداً للمساواة المطلقة التي جسمها الإسلام، وجعلها القانون العام بين الناس جميعا. فلم يفرق بين دية الرجل العظيم أو دية الرجل البسيط كما نشاهد في الشرائع الوضعية التي قد تمنح تعويضا لقتيل محترم عدة آلاف من الجنيهات، بينما تضن على قتيل من الطبقة الدنيا بعدة مئات. ومن الطريف أيضا أن نشير إلى احترام الإسلام لقيمة النفس البشرية فلم يترك الدم يذهب هدراً كما نشاهد أحيانا في مجتمعنا الحاضر، بل لا بد للدم من ثمن. فهو في حالة العمد القصاص إلا أن يعفو فالدية. وفي حالة الخطأ الدية على العاقلة (الإخوة ثم بني الإخوة ثم العمومة ثم بني العمومة) فإن لم يقدروا على الوفاء انتقل إلى بيت المال. بل بالغ الإسلام في مقابلة الدم بالجزاء حتى في حالة جهل القاتل وعدم معرفته، حيث شرع القسامة فأوجب بها على أهل كل محلة وجد بها قتيل أن يتحملوا ديته احتراما للنفس البشرية أن تذهب مع الريح بلا ثمن أو جزاء! [1]

---

[1] بتفصيل وشروط مذكورة في كتب الفقه.

ويمضى الشرع على سننه فى جميع التشريعات التى يلاحظ فيها حاجة الفقراء فنراه يستعمل التقدير العينى فى الكفارات المختلفة . فيبدأ فى مراتبها بعتق الرقبة ، ثم بإطعام عدد معين من الفقراء أو كسوتهم ، ثم بالصيام . وذلك تبعا لنوع الكفارة وتفاوتها بين الشدة والتخفيف ، ولكنها على كل حال لا تخرج عن أن يكون التقدير العينى هو محورها ومركزها .

ولا ينتقل الشرع الحكيم من التقدير العينى إلى التقدير النقدى إلا فى الجزية حيث إنها لا تنهض على أساس أنها نسبة معينة من المال ، بل على أساس أنه التزام محدد يقوم على عقد محترم ، فلهذا كان التقدير بالنقد هو مداره حتى لا يتعرض للاضطراب والخلاف . وكما لوحظ فى الجزية ذلك لوحظ أيضاً فى الخراج – عند بعض الفقهاء – لجعل التقدير فيها أيضاً بالنقد للمعنى السابق عينه .

وإذا كان الشارع قد لاحظ التقديرين عند ما تدعو الحاجة إلى استخدام أحدهما ، واستعماله دون الآخر ، فإننا نراه قد ألغى التقدير فى الأشياء التى تتعرض للأخذ والعطاء والجذب والإرخاء ، وتتعرض للتفاوت فى الأحوال والأزمان ، بل ترك تقديره إما للحكم عند القضاء ، أو للتراضى عند الاتفاق . فنراه ترك أمور النفقة والمهور وأجر الحضانة وغيرها من الأمور إما إلى حكم القضاء الذى يقدر الظروف والملابسات ، وإما إلى التراضى والاتفاق .

ولعلنى بذلك قد وفقت إلى تجلية سر من أسرار الشريعة الإسلامية ، ذلك الكنز الزاخر بكل رائع وعجيب حينما استعملت التقدير العينى ، مما كان موضع تساؤل من بعض الواهمين .

السعيد الشربينى الشرباصى
مدرس بالمعهد الدينى بالكويت

موقف الاسلام

من حوادث مراكش ومعاهدة ليبيا

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

قال مندوب « الأهرام » :

أديت فريضة المغرب أمس مع فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر .

وعقب الصلاة اتجه إلى الله رافعاً يديه نحو السماء ، داعيا أن ينصر الله الإسلام ، ويحرر بلاد العرب من الاستعمار والمستعمرين ، ويخلصها من الأذناب الموالين للأعداء .

أذناب الاستعمار شر خلق الله :

ثم التفت فضيلته إلى ، وقال : إن شر ما تصاب به الأمم المستعمَرة أن يجد أعداء البلاد من بنيها أتباعا وأشياعا وأذنابا يخونون ربهم ووطنهم ، ويفقدون كرامتهم وإنسانيتهم فيعملون فى خدمة أولئك الأعداء على حساب البلاد التى نبتوا فوق أرضها واستظلوا بسمائها وشربوا ماءها ، وهؤلاء هم شر خلق الله ، وأبعدهم من رحمته ورضاه ، لأنهم منافقون : يقابلون مواطنيهم بوجه وطنى ، ويقابلون أعداء البلاد بوجه استعمارى ، لا يثقون فى أنفسهم ولا يؤمنون بوطنهم ، ويدعون إلى الهزيمة والخيانة : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم » .

حوادث مراكش :

فسألته عن رأى الإسلام فى الأحداث الجارية فى مراكش وما تمخضت عنه من خلع سلطانها الشرعى .

فقال فضيلته : إن مراكش وبلاد المغرب الأقصى تعد من أعرق الدول الإسلامية فى التاريخ ، ولقد أخذت طريقها إلى مجدها ونهضتها من قديم ، حتى ضرب عليها الاستعمار الفرنسى حمايته قبيل الحرب العالمية الاولى وكاد لأهلها شراً ... وأبى الوطنيون المسلمون أن يخضعوا لهذه الحماية التى يأباها الإسلام وترفضها كرامة العروبة ... فسقط فى ميدان الجهاد كثيرون من أبنائها ، وشرد المجاهدون وسجنوا . وسجل الاستعمار وثيقة حمايته للبلاد قسراً ، وفرض عليها قيودا . وما من يوم مر بتاريخ هذه البلاد إلا سجل فيه الاستعمار خزيا جديدا ، واعتداء سافرا على حقوق الوطن والوطنيين فى تونس ومراكش . ولما أعيتهم الحيل لجأوا إلى أحدث أساليب الاستعمار فمزقوا وحدة أبنائهما المسلمين ، وخلقوا منهم شيعا يضرب بعضهم رقاب بعض لصالح الاستعمار نفسه .

ووجد الخونة الذين يبيعون بلادهم بأبخس الأثمان للمحتلين ويعينونه على خلع السلطان الشرعى للبلاد ... ولا شك أن الإسلام يأبى الخضوع للمستعمرين ويطالب بتقليم أظافر المعتدين .

المعاهدة البريطانية فى ليبيا :

وسألت شيخ الأزهر عن رأيه فى المعاهدة الإنجليزية التى عقدتها ليبيا أخيرا .

فقال فضيلته : إن الاستعمار ملة واحدة .. والذى يقرأ نصوص المعاهدة الليبية يدرك تماماً أهداف المستعمرين من تثبيت قدم الاحتلال فى هذه المنطقة العربية ... ولقد صدر بيان هيئة كبار العلماء وحدد المسئولية الإسلامية بشأن هذه المعاهدة والأحداث الجارية فى مراكش .

الدول تنحرف كالأفراد :

ثم أضاف فضيلته قائلا : إن الدول تنحرف أحيانا كما ينحرف الأفراد ، وتعاقب على خيانة

العهد وموالاة الأعداء .. ومن نكد الدنيا وفساد الطبائع أن يجد أعداء الإسلام من أرباب المنافع الشخصية فى البلاد قوما يودونهم ويوالونهم ويعملون لدعم قواعد احتلالهم لأوطانهم ، وتحقيق أهدافهم الاستعمارية ، ومعاونتهم فى القضاء على الدين والدولة والأوطان ، إما جريا وراء نفع مادى ، وإما خشية سوء العواقب . وذلك على الحالين مرض فى القلب ، وخيانة لله والرسول ، ونفاق يأباه الشرع وتمقته المروءة ويرفضه القرآن الذى قال عنهم « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » .

لا مودة لأعداء الله والوطن :

واستطرد فضيلته فقال : لقد حرم الإسلام مودة أعداء الله ورسوله بالغة ما بلغت صلتهم بالإنسان ، حتى لو كانوا آباء أو أبناء أو أهلا أو عشيرة ، فما بالك بأعداء لا تربطنا بهم إلا أسوأ صلة هى صلة الاستعمار والاضطهاد . والله سبحانه وتعالى يأمرنا بالاستعداد دائما لمحاربتهم ومقابلة قوتهم بالقوة فيقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ويجرد أنصارهم من الإيمان فيقول تعالى فى قرآنه العظيم : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم او إخوانهم أو عشيرتهم » .

وجوب التكتل لمواجهة الاستعمار :

وقد أمر الله المسلمين فى جميع بقاع الارض بأن يتكتلوا وأن يواجهوا أعداءهم صفاً واحداً وأن يقلموا أظافر الخونة الذين يوالون أعداء الدين والوطن ، وأن لا يضعفوا أمام أية عاطفة فى سبيل جهادهم فقال تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

الإسلام ومعاهدة الأعداء:

وقلت لفضيلة الشيخ الأكبر إنى أطلب رأياً فى هذه المعاهدات التى تعقد بين هذه الدول الغادرة والبلاد العربية المنكوبة ، وهل هى نوع من ولاية الكافر على المؤمن ؟ وما هو رأى الإسلام فيمن يتولى عقدها مع هؤلاء الأعداء خشية بطشهم أو قصد الحصول على أموالهم ، فى سبيل بيع حرية البلاد ويفضلهم على بنى جنسه وعروبته ؟!!

فقال فضيلته : لقد أجاب القرآن الكريم إجابة حاسمة عن كل هذا فى آية صريحة واضحة لا شبهة فيها ولا التباس فقال تعالى : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً » .

قصيدة للأستاذ الأكبر:

وختم الأستاذ الأكبر حديثه بأن أنشد قصيدته الجديدة التى صاغها لمناسبة الأحداث الجارية فى مراكش وليبيا وتونس ، وقد جاء فيها :

لا تسامى كلما خضت غماراً وإذا رضت جواداً لا يجارى
هات من عزمك ما ترقى به أمة هيضت جناها وقفاراً
إن يصح العزم من قوم فلا يلتقى شأنهم إلا تباراً
ولقاء الموت فى ذودك عن ساحة يكسب ذكراك فخاراً
فاسأل المغرب كيف امتلكوا بعد الاستعمار زرعا وعقاراً
أبرموا العهد ولم يوفوا على أنهم لاقوا كراما وخياراً
ورعينا منهم الجار ولو أنصفونا حمدوا منا الجوارا
لا رعى الله عهوداً قد كوت بلظى الضيم صغاراً وكباراً

وختم الأستاذ الأكبر حديثه قائلا : « إننى أتمنى على الله أن أعيش حتى أشهد مصرع الاستعمار فى كل البلاد الإسلامية والعربية » .

فقلت لفضيلته : حياك الله . وأحياك حتى تبلغ مناك ، فهى منى جميع العرب والمسلمين .

نظرات فى كتاب "الأموال ونظرية العقد فى الفقه الإسلامى"

تأليف الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

نشر دار الكتب الحديثة ١٤ شارع إبراهيم باشا بعابدين . يقع فى ٥٢٤ صفحة

— ٢ —

قدمت فى جزء شوال ١٣٧٢ من مجلة الأزهر الغراء الجزء الأول من نظراتى فى هذا الكتاب الجليل الذى يستحق كل ثناء ، والذى هو نمط جديد فى دراسة الفقه الإسلامى ينبغى أن يحتذى ويمتثل ، وإن من الخير أن يقبل عليه طلاب الشريعة فيفيدوا منه معارف تبصرهم بالفقه على أحسن وجه ، بجانب الدراسة للفروع والنقاش فى أدلتها .

واليوم أقدم الجزء الثانى . ومن قصر النظر أن يظن ظان أنها تغض من الكتاب أو تنال منه . وإنما هى أمور يختلف فيها النظار والباحثون ، وللمؤلف الفضل والفوق ، وله الذكر الحسن الجميل ، والكتاب آية فى حسن التأليف ودقة النظر وسداد الأفكار .

٦ — يعرض المؤلف لعمل الصحابة الفقهى فى عدة مواطن ، ويبدو فى كلامه ما يستوجب النظر .

(ا) ففى ص ٤٨ يذكر أن كبار الصحابة كانوا لا يفتون فى أحكامهم إلا بما يرجع للقرآن والسنة ، وأنهم يجنحون إلى الرأى والقياس إن لم يجدوا إلى غير هـذا سبيلا . وفى ص ٤٤ يقول : « وهكذا نرى الاختلاف فى عهد الصحابة يرجع إلى هـذه الأسباب وأمثالها . ولا يكون إلا حيث لا يجدون نصاً محكما فى القرآن أو سنة لا ريب فيها عند الرسول . وفى هذه الحالة يكون الاجتهاد بالرأى والقياس ؛ كما يكون الأخذ بالمصالح المرسلة »

وانظر بعد هـذا ما يقوله فى ص ١٣٣ فى الحديث عن المصالح المرسلة : « ومن ينظر فى تشريعات الصحابة والتابعين ومن إليهم من الفقهاء المجتهدين يعرف يقيناً أن هذا الأصل قد روعى فى كثير من تلك التشريعات . بل إن من هؤلاء من عمل على تأويل بعض النصوص

أو إهمال القياس رعاية لهذه المصالح المرسلة وتحقيقها ، قصداً إلى المصلحة العامة فيما سنوا من تشريعات » .

وقبل هذا فى نفس الصفحة يذكر أن من شرط المصالح المرسلة ألا تعارض دليلا من أدلة الشريعة .

وهنا يحس القارىء بعض الحيرة فى الأخذ بالمصالح المرسلة . فهى لا يعمل بها إلا عند فقد الدليل ، وهذا فى بعض المواطن من الكتاب . وفى بعض المواطن يؤول النص لأجلها ويهمل القياس . وعبارة تأويل النص عبارة مخففة ، قد تشمل إهمال النص ؛ فقد مثل المؤلف فى هذا المقام بعمل عمر فى الطلاق الثلاث وهو إهمال للدليل لا تأويل له ، وبمنعه المؤلفة قلوبهم من الزكاة مع الأمر بذلك فى القرآن . وانظر فى ذلك ص ١٢٤ .

ويجد القارىء بعض الحيرة أيضاً فى حديثه عن قسمة سواد العراق . ففى ص٣٨ يذكر أن عمر امتنع من القسمة استناداً إلى آية الحشر . وفى ص ٨٦ يذكر أنه لم يجد له فى ذلك سندا إلا المصالح المرسلة . ويقرر هذا أيضاً فى ص ١٣٤ .

(ب) والذى يجب الأخذ به البتة وعدم الحيدودة عنه تقديم الكتاب والسنة على ما عداهما من القياس والمصالح المرسلة ، ويكاد هذا يكون إجماع المسلمين ، وهذا ما قرره المؤلف فى أكثر من موطن ، والمهم التزامه فى تطبيق ما يؤثر عن الصحابة وتفسير أعمالهم على هذا الأصل .

وسآخذ فى ذكر بعض الفروع التى عرض لها المؤلف وفتاوى الصحابة فيها :

فمسألة قسمة سواد العراق ينبغى أن يجنب عمر فيه النظر إلى المصالح المرسلة ، مع وجود النص ، وللعلماء فى ذلك أوجه وأنظار ، فمنهم من حمل ذلك على استطابة عمر أنفس الغانمين فنزلوا عنها باختيارهم ، وبعضهم يرى أن نص الغنيمة محمول على ما إذا أراد الإمام ذلك فإن رأى أن يقسم بطريق الفىء كان له ذلك . وقد بسط الكلام فى ذلك أبو عبيد فى الأموال . وقد حمل العلماء على هذا تنزيه عمر أن يقع فى مخالفة النص ، وقد كان وقافا عند كتاب الله وسنة رسوله . ووصيته لأبى موسى معروفة وفيها تقديم الكتاب والسنة على الرأى ، أفكان يوصى غيره بأمر ويخالفه إلى سواه !

ومسألة الطلاق الثلاث إذا وقع بلفظ واحد أوردها المؤلف فى ص ٤٠ وذكر فيها حديث ابن عباس أن الثلاث كانت تعتبر واحدة فى زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وأبى بكر وصدر عهد عمر . وأن عمر لم يرقه ذلك فأمضاه ثلاثا عقوبة للناس إذ أكثروا من الطلاق وتتايعوا فيه .

والفقيه فى مثل هذا عليه وزن الأخبار والتدبر فيها ؛ وإلا اختلط عليه الأمر وتدافعت الأصول فلا يدرى بأيها يأخذ ، ويعيا بالحكم وتنسد عليه السبل . وكذلك مؤرخ الفقه عليه أن ينظر إلى اعتبارات كثيرة ؛ وإلا زل فى حكمه وركب متن الشطط .

إنا إذا أخذنا بظاهر هذا الأثر كان لذلك من الآثار ما لا ينادى وليده . سنة صريحة جرى عليها العمل فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد أبى بكر وسنتين أو ثلاثا من عهد عمر ، ويعمد عمر إلى هذه السنة فينقضها ، ويشرع للناس ما لم يأذن به الله ولم يأت به الرسول عليه الصلاة والسلام لمصلحة رآها عمر . وثالثة الأثافى أن يوافقه الصحابة ولا ينكروا عليه هذه المخالفة وهذا العدوان .

إن هذه المسألة أثارها ابن تيمية وابن القيم ولجا فيها ، وركبا فى ذلك ما كان خيراً لهما أن يجتنباه . إن الفقيه عليه أن يتروى كثيراً ويقيس الأمور ويرجح عند تعدد الأدلة ، وفى الأصول باب التعادل والترجيح ومن المقرر ألا يترك المقطوع به للمظنون . ومن المقطوع به ألا يخالف عمر سنة صريحة ، وإذا أخذنا بظاهر حديث ابن عباس كانت مخالفة عمر أى مخالفة . وإذاً فلا بد من تأويل الخبر والنظر فيه ، وهذا ما فعله العلماء من قبل وعدلوا عن الأخذ به .

إن ابن القيم وابن تيمية غلبت عليهما فكرة فى هذا المقام فحشدا لها ما استطاعا من بيان وحجاج ، وأخرجتهما اللجاجة عن الهدوء وعن سنن البحث العلمى .

ففى هذا الموطن من إعلام الموقعين يذكر ابن القيم فى رواية حماد بن زيد أن ابن عباس أفتى بوقوع الثلاث واحدة ، وأفتى بوقوع الثلاث . وهو يسوى بين الفتويين عن ابن عباس

وليستا سواء . فرواية حماد بن زيد عن سنن أبى داود [١] ، وقد زيف أبو داود هذه الرواية وأثبت أن هذا قول عكرمة مولى ابن عباس لا قول ابن عباس ، وأن قول ابن عباس هو وقوع الثلاث .

ويذكر ابن القيم أن وقوع الثلاث واحدة إجماع قديم فيما ادعاه بعض أهل العلم - لعله شيخه - ولم تجتمع الأمة - ولله الحمد - على خلافه . ويقول بعد ذلك : « وعلم الصحابة رضى الله عنهم حسن سياسة عمر وتأديبه لرعيته فى ذلك فوافقوه على ما ألزم به وصرحوا لمن استفتاهم بذلك . » ألا تشبه هذه الموافقة الإجماع على خلاف الرأى السائد قبل عمر فى زعم ابن القيم .

وتدفع الرغبة والتعصب للرأى ابن تيمية أن ينحل مذهب أحمد هذا القول ، وأحمد ينكره بملء فيه ولا يأخذ به فى حين أنه روى خبر ابن عباس فى مسنده . ويسأل عن ذلك فيذكر أن ابن عباس كان يفتى بخلافه . ويحتج ابن تيمية أن من أصول مذهبه الأخذ بما يرويه الراوى وإن عمل بخلافه . وعلى ذلك فمقتضى هذا الأصل أن يكون مضمون حديث ابن عباس قولا فى مذهب أحمد . وهذا أخذ طريف واحتيال فالمظنون أن أحمد إذا كان هذا من أصل مذهبه أن يكون ذاكراً له ، وأنه اطلع على علة فى الحديث توجب طرحه .

ويذكر فى هذا المقام حديث ركانة ، فنى بعض الروايات أنه طلق امرأته ثلاثا فى مجلس واحد فأمره الرسول عليه الصلاة والسلام بمراجعتها . وفى بعض الروايات أنه طلق امرأته مرة واحدة بلفظ (البتة) . والرواية الأولى تشهد لابن تيمية وابن القيم ، والرواية الثانية لا تؤيدهما . ويؤيد أبو داود الخبر الثانى ويرجحه لأنه مروى عن سلسلة من أهل ركانة ، وهم به أعلم ، وفى السلسلة الشافعى رضى الله عنه ، وهو من أهل بيت ركانة ، فأما الخبر الأول فقد رواه ابن جريج ويقول أبو داود عن الخبر الثانى : « وهذا أصح من حديث ابن جريج أن ركانة طلق امرأته ثلاثا ؛ لأنهم أهل بيته وهم أعلم به ، وحديث ابن جريج رواه عن بعض بنى أبى رافع عن عكرمة عن ابن عباس » . وقد روى الخبر الثانى الذى فيه (البتة) الشافعى فى الأم ٦٩/٧ ، وبعد هذا يقول ابن تيمية عن الخبر الثانى : إنه رواه قوم مجهولون وضعفه فلان وفلان .

---

(١) انظر ص ب ٢٢٧ طبع الهند .

وقد كنت لا أحب أن أطيل الحديث فى هذا الموضوع الذى أثير فى عهد مضى لولا أن المؤلف عرض له وأورده فى معرض يقنع القارىء أن ماجرى عليه المسلمون فى دهرهم الطويل من وقوع الثلاث كان مخالفاً للسنة ، وأن عمر ومن لف لفه من جمهور المسلمين اتبعوا المصلحة العامة من تلقاء أنفسهم ، ونبذوا ما تعارفه المسلمون من قبل .

(ح) وأورد المؤلف ص ٤٣ مسألة التقاط ضوال الإبل . ومحصلها أن النبي ﷺ نهى عن التقاطها حتى إذا جاء عثمان أمر بتعريفها بعد التقاطها وكان عمر يجعلها مؤبلة تتناتج لا يمسكها أحد كما فى الموطأ ، وحمل النهى عن الالتقاط على الالتقاط للتملك كما حمله بعض الفقهاء . وليس فى هذا أخذ بالمصالح المرسلة . بل هو فهم النص وتأول له . وفى الموطأ أن ثابت بن الضحاك التقط بعيراً فى زمن عمر فأمره بتعريفه ولم ينكر عليه الالتقاط . وللفقهاء بحث فى الحديث . وأنظر الزرقانى على الموطأ ٣ / ٢٢٤ وما بعدها .

(د) وأورد فى ص ٤٧ مسألة المسروق إذا بيع . فقد كتب معاوية إلى بعض عماله أن من سرق منه متاع فهو أحق حيث وجده ، وقد عارض هذا أسيد بن حضير وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغير ذلك ، فأصر معاوية على رأيه . وهذا الخبر رواه المؤلف عن النسائى (ج ٢ / ٢٣١ طبع الهند) ، وروى النسائى فى هذا المقام حديثا عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الرجل أحق بعين ماله إذا وجده ، ويتبع البائع من باعه . والظن بمعاوية رضى الله عنه أن يكون قد بلغه هذا الخبر فأخذ به ولم يبلغه خبر أسيد . وكان من الخير ألا يقدم المؤلف لهذا بما يشعر القارىء بالقدح فى معاوية وأنه خرج عن سنن السلف الصالح ، وقد كان من جلة الصحابة وكتاب الوحى ، وله اليد فى توسيع الفتوح فى الإسلام .

(ه) وأورد فى ص ١٣٤ مسألة حرمان عمر المؤلفة قلوبهم نصيبهم من الزكاة ، وأنه خالف بذلك القرآن ، وعمر تأول آية الصدقات على معنى أن يكون الصرف فى الأصناف الثمانية ولا يجب استيعابهم . وبهذا أخذ بعض الفقهاء .

٧ — فى ص ٣٨ فى الكلام على امتناع عمر من قسمة السواد ذكر أن عمر استند إلى آية الفىء فى الحشر ، وذكر المؤلف فى الحاشية أن المراد بالفىء هنا الغنيمة . وهذا يعكس

القضية ؛ فإن المعارضين للقسمة كانوا يحتجون بآية الأنفال فى الغنائم وفيها التقسيم ، وعمر صرف السواد عن الغنيمة إلى الفيء الذى لا يعطى أربعة أخماسه المقاتلة كما يكون الأمر فى الغنيمة . والفيء ما حصل عليه المسلمون من الخير من غير إيجاف خيل ولا ركاب ، والغنيمة بخلاف ذلك . وفى أموال أبى عبيد ٦٠ فى الحديث عن سفيان بن سعيد أنه كان يقول : « الخيار فى أرض العنوة إلى الإمام : إن شاء جعلها غنيمة ، فخمس وقسم . وإن شاء جعلها فيئا عاماً للمسلمين ولم يخمس ولم يقسم » .

٨ — ورد فى ص ٤١ تفسير القرء وأن ابن مسعود يفسره بالطهر وزيد بن ثابت بالحيض . والأمر بالعكس .

٩ — فى ص ٧٢ يذكر من كتب أبى يوسف اختلاف أبى حنيفة وابن أبى ليلى ، وهذا الكتاب نشر مع الأم للشافعى على أنه من كتب الشافعى ، وفيه تعقيب الشافعى على آراء الفقيهين ، ويعتمد الشافعى على أبى يوسف فى نقل آرائهما . والمفهوم أن الشافعى نقل ذلك من كتاب اختلاف الأمصار لأبى يوسف الذى ذكره صاحب الفهرست فى كتب أبى يوسف . وقد تبع المؤلف فى هذا الشيخ الخضرى رحمه الله .

١٠ — فى ص ١١٣ يذكر عن ابن حزم أن الزوج المعسر تجب نفقته على زوجته الغنية ، وأن هذا لا يخالف روح الشريعة . وكيف هذا مع قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

١١ — فى ص ٩٩ يذكر عن الشيعة أنهم يرون أن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحا للقادر عليه ؛ كما أنهم يرفضون القياس ما دام عندهم أئمتهم الذين لديهم علم الأحكام الشرعية بطريق الوصية . وكيف يكون الاجتهاد دون قياس ؟! وفى الخضرى ٢٧٦ أن الأحكام عند الإمامية لا تنال بالاجتهاد والرأى ، وإنما تنال من قبل الإمام المعصوم .

١٢ — فى ص ٧٥ فى نسب الإمام الشافعى يذكر عبد المطلب ، وإنما هو المطلب ، فالشافعى مطلبى لا هاشمى .

والكتاب بعد هذا يستحق كل إجلال وعناية ، ويستحق المؤلف كل حمد وثناء ؟

محمد على النجار

الأخلاق عند بنتام

(١) اتجهت فلسفة بيكون Bacon بالتفكير الانجليزى نحو الوقائع المحسة ، فتبعه هوبز Hobbes بمذهبه المادى ولوك Locke بنظريته الإحساسية وهيوم بشكه وبنتام بنفعيته ، فكانت كلها جوانب من فلسفة وضعت لتحس الحياة العملية .

ويعد بنتام الممثل الأول لمذهب اللذة فى العصور الحديثة ، فهو بالرغم من أنه يعد المؤسس لمذهب المنفعة إلا أنه لم يضع كلمة Utilitarianism بل تكلم عن Universalistic Hedonism أى مذهب اللغة العامة . قال جون ستيوات ميل فى رسالته (مذهب المنفعة) إن جميع القائلين بمذهب المنفعة من أبيقور إلى بنتام لم يريدوا بالمنفعة شيئاً يخالف اللذة بل أرادوا اللذة نفسها والخلو من الألم ، ولم يقولوا « إن الشيء النافع يضاد اللذيذأو ما هو من قبيل الحلية والزينة بل قالوا إنه يشملهما ويشمل غيرهما » ثم تطرق إلى تعريف مذهب المنفعة فقال « إنه المذهب الذى يتخذ أساس الأخلاق المنفعة أو السعادة الكبرى فهو مذهب يرى أن الأعمال خير بقدر ما تجلب سعادة أكبر وشر بقدر ما تجلب العكس . والمراد بالسعادة هو اللذة والبعد عن الألم » .

نستنتج من هذا أن النظرية القائلة « بأن الأعمال ليست لها قيمة ذاتية ، وإنما قيمتها بقدر ما تحصل من السعادة » تسمى نظرية المنفعة ، فخيرية الفعل وشريته إنما تكون على أساس قربه من المنفعة أو بعده عنها . فالعلامة بنتام يرى أن الأنانية هى مبدأ يصدر منه الإنسان عن أفعاله ، وهو بهذا يقترب من هوبز . ولكن هل يظل الفرد أنانياً بعيداً عن المجتمع ولا يرى إلا صالحه الشخصى دون صالح الجميع ؟ يلخص بنتام رأيه فى ذلك قائلا إن المقصود هو « أكبر سعادة لأكبر عدد » وهكذا أصبحت أخلاق الأنانية أخلاقا سامية على يديه .

وضع بنتام نظريته هذه ثم حاول أن يقربها من المجال العملى فأحصى الخيرات والشرور حصى معتمداً بذلك على قاعدة أسماها « الحساب الأخلاقى » وهى قاعدة يناقش كل فرد على أساسها أفعاله ، فيأخذ بالصالح منها ويترك الفاسد . فقبل أن يبدأ الفرد فى عمل ما يجب أن يسأل

نفسه عن نتائج هذا العمل ، فإذا كانت النتيجة تحقق منفعة فهى حسنة والعكس صحيح ولما كان العمل لا يعد حسناً من كل الوجوه ولا يعد سيئاً من كل الوجوه أيضاً ، فإن من المحتم أن يجمع الفرد النتائج الحسنة والنتائج السيئة ، ثم يطرح الكميتين بعضهما من بعض وينظر فى باقى الطرح فإذا كان حسناً كانت نتائج العمل حسنة ، وبذلك يقبل على هذا العمل بلا تردد ، أما إن كانت النتائج سيئة فيجب عليه أن يبتعد عن هذا العمل . ثم إن هناك شرطاً هاماً فى تلك العملية هى أن تراعى مصلحة المجموع ، أى الاسترشاد بمبدأ المنفعة والسير على هداه فمن يفعل ذلك يصل حتما إلى تحقيق منفعته الشخصية ومنفعة عائلته ومنفعة وطنه بل منفعة الإنسانية جمعاء .

فالسؤال الذى يجب أن يوضع دائما أمام الضمير هو : هل هذا العمل يحقق خيراً أو شراً للعائلة ؟ وإذا كان كذلك فما هو الذى يحققه للوطن ثم للإنسانية ؟ وهذا الحساب الذى يضعه الفرد نصب عينيه ويسير على مقتضاه عندما يشرع فى عمل من الأعمال أعطى لنظرية بنتام أهمية كبرى من الناحيتين القانونية والتشريعية ، فالقانون يمجد العمل الصالح ويعاقب على ما يضر المجتمع . ويخيل إلينا أنه توصل إلى فكرة المنفعة فى الأخلاق عندما اكتشف أن المنفعة العامة هى الموضوع الحقيقى الهام لكل تشريع قانونى ، ويقول فى ذلك « إن فكرة مبدأ المنفعة هى تيسير الوصول إلى السعادة عن طريق العقل والقانون » .

ويضع بنتام أصلا من أصول التشريع وهو العمل على إدخال الفضيلة ضمن فعل الضمير بدلا من فرضها بالقوة ، ووجوب أن يكون النهى والعتاب على الشىء الذى يضر بمصلحة المجموع لا على الشىء الضار فى ذاته .

ويرى بنتام أن الفعل السىء يجب أن يحكم عليه بأحكام مختلفة بالنسبة إلى من ارتكبه . فيجب مراعاة ما إذا كان مرتكب الفعل مالكا لكل قواه العقلية ، شاعرا بكل ما حوله أم لا ؟ وما إذا كانت عنده نية إصرار على إرتكاب هذا الفعل أم أن ارتكابه كان من قبيل الصدفة ؟ وإذا كانت النية متوفرة فما هو مبلغ قوتها ؟ لا بد من مراعاة هذه الاعتبارات ووضعها فى الحساب ، فلا يصح أن يعاقب رجلان أحدهما قوى العقل والآخر مخبول ، حين ارتكابهما لذنب واحد ، بعقاب واحد .

وهذه النظرية صحيحة من الوجهة العملية وإن لم ترتكز على أساس فلسفى متين من

الوجهة الاخلاقية ، وترجع صحتها ـ عمليا ـ إلى الأساس الذى يتخذه كل فرد فى سلوكه ويسير على مقتضاه وهو « أعظم قسط من السعادة لأكبر عدد ممكن من الناس » ، فإن من يتخذ هذا الشعار الجميل أسلوبا له فى الحياة ، لا يمكن إلا أن يكون خيرا ، إذ هو سيتحرى الدقة فى بحثه واستقصائه عن آثار الفعل الذى سيفعله ، فإن أخطأ فى التقدير فإن ذلك سيكون من باب الخطأ غير المقصود الذى لا يعاقب عليه .

٢ ــ ولا شك فى عظمة مبدأ بنتام « أكبر قسط فى من السعادة لأكبر عدد ممكن من الناس » ولكن على أى أساس يعتمد هذا المبدأ حتى يكون شعارا للأخلاق ؟ أيعتمد على الواجب أم يعتمد على الانانية ؟ .

بالغ بعض المفكرين حين قالوا إن مذهب بنتام يتضمن ـ من ناحية التطبيق ـ أن كل فرد يفعل واجبه بحيث لا يتعارض مع الآخرين ، وحين رأوا أن هذا المذهب ينتهى بالتوافق مع مذهب الواجب .

فمذهب بنتام يعتمد على الانانية ، إلا أنه حور نظرية المنفعة الشخصية وجعلها تنتهى بنظرية المنفعة العامة ، مع انتفاء العلاقة المنطقية بين القول بمبدأ السلوك وفن المنفعة أى « اسلك واعمل لمنفعتك » وبين قول « اعمل وفق الواجب لمنفعة الجميع » . وكل ما هنالك هو تلاعب لفظى ، فنحن لا نعرف كيف ولماذا نبدأ بالمنفعة الشخصية وتنتهى بالمنفعة العامة . ألا نستطيع القول ـ تبعاً لهذا ـ أن بنتام قد غير طريقه بلا شعور ، وأن من أخلص لمذهب هوبز واستقى منه أساس مذهبه يكون متناقضاً مع نفسه حين يهتم بالمنفعة العامة ، فهذه لا تتفق والانانية ، زد على ذلك أنها أقل وضوحا من المنفعة الخاصة .

ومن الطريف أن نذكر نقد سبنسر لهذه النظرية ، هذا النقد الذى وضعه فى حوار صغير بين بنتامى وأخلاقى وهو :

الأخلاقى : أتعتقد أن مبدأكم « أعظم قسط من السعادة لأكبر عدد من الناس » مبدأ حسن ؟

البنتامى : نعم .

الأخلاقى : إذا رأى تسعة وتسعون شخصاً خيرهم فى عمل معين ، ورأى مائة شخص شرهم فى ذلك العمل . ألا يكون هذا العمل شراً حسب مذهبكم ؟

البنتامى : يقينا .

الأخلاق : وسبب هذا هو زيادة شخص فى المجموعة الثانية عنه فى الأولى .

البنتامى : قطعا :

الأخلاق : أنتم إذن تفرضون المساواة بين الأشخاص بدليل ترجيحكم الكفة الثانية ؟

البنتامى : نعم .

الأخلاق : وكيف عرفتم ذلك والناس مختلفون أشد الاختلاف فى ثرواتهم وقواهم وذكائهم وشجاعتهم ... الخ .

البنتامى : ولكنى متأكد من تلك المساواة وأشعر بها .

الأخلاق : إنى لا أطلب زيادة عن ذلك . إنكم قررتم كمبدأ مساواة قيم الاشخاص وأنتم بذلك تلاميذ مخاصون لكانت Kant ، وتدهشنى رقة تعاليمكم وسموها فى حين أنكم فيما تعتقدونه نافعاً تخاصون لهوبز ، فكفوا إذن عن هذا الضلال .

سعيد زايد

ولاة الاسلام معلمون

خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى موسم الحج فقال :

« إنى والله ما أبعث إليكم عمالى ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنى أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم ، وسنة نبيكم ، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلى ، فوا الذى نفسى بيده لأقصنه منه » .

أحمد بن حنبل

١٦٤ — ٢٤١

نشأته — صفاته — منزلته

لقد كتب كثير من الكاتبين فى هذا الإمام العظيم فأكثروا ، وجدير بمثل هذا الإمام أن يكثر الكاتبون فيه ، وأن يكتبوا بإسهاب . وجدير بمثله أن يقرأ القارئون عنه ، وأن يقرأوا باستيعاب . لكثرة نواحيه الطيبة وما خلف من ذكريات خصبة . وأسأ حسنة كريمة .

وأما أنا فلا أعد وسبيلى عند الكتابة عن هؤلاء الأعلام من لمس مواضع العبرة استثير بها ما فى نفوس كريمة من اعتبار وعظة ، وفى ذلك العون على الخير والرشاد المنشود على أن ثم مناسبة خاصة تحسن لها الكتابة عن هذا الإمام العظيم فقد كتبت بالعدد قبل هذا من مجلة الأزهر الغراء فى إمام مثله يشبهه فى عظيم القدر ، كان من الربانيين فى العلم ، الموصوفين بالحفظ ، المذكورين بالزهد ، وكان الناس يحبونه ويخفون به . ويقدمونه على الملوك كما قلت عنه .

وهذه الصفات فى الإمام أحمد بصورة أقوى وأظهر . على أن ما منحه الله ابن المبارك من سخاء فياض شكر الله على نعمة الثراء ، عوض الله عنه هذا الفقير الزاهد صبراً على الشدة واللأواء . فى ساعة يفجر فيها التقى ، ويضل فيها المؤمن القوى . وقد أيد قتيبة هذا الشبه القوى بين الإمامين فى قوله خير زماننا ابن المبارك ثم هذا الشاب يريد الإمام أحمد . ذلك ابن حنبل عاصر ابن المبارك فى بعض الزمن فابن المبارك عباسى ولد سنة ١١٨ وتوفى سنة ١٨١ هـ وأحمد عباسى ولد سنة ١٦٤ وتوفى سنة ٢٤١ هـ .

الإمام أحمد بن حنبل من سلالة عربية ، والده محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ينتهى إلى بنى مازن بن ذهل بن شيبان ، ومن الناس من يقول شيبان بن ذهل وهو خلاف لا يعنينا كثيراً وإنما يعنينا أنه عربى نزارى .

وقد قدمت به أمة بغداد وهى حامل به فولدته سنة ١٦٤ . ونشأ ببغداد يتيما فقد فارقه والده طفلا. ولكن عين الله رعته وتولته . فصار يطلب العلم ، والحديث من شيوخ بغداد . ويترحل بين الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة فيكتب عن علماء ذلك العصر . واهل القارىء الكريم يعلم ما كان من إقبال على العلم فى عهود أحمد التى تبتدىء فى طلب العلم من عهد الرشيد وتنتهى بعصر المتوكل .

نشأ أحمد يطلب العلم فى ذلك العهد الذهبى للعلوم الإسلامية وهو حافظ ذكى ومهذب موفور . وقد آثر بجهده ووكده دراسة السنة النبوية فسمع من أعلامها أمثال حماد بن خالد الخياط [١] ومنصور بن سلمة الخزاعى [٢] والمظفر بن مدرك الخراسانى [٣] وعثمان بن عمر ابن فارس [٤] وهاشم الكنانى [٥] ومحمد بن إدريس الشافعى الإمام المعروف وغيرهم من أئمة الحديث والفقه ذكر منهم البغدادى ثلاثة وثلاثين شيخا ثم قال وخلق سوى هؤلاء يطول ذكرهم ويشق إحصاؤهم . ثم ذكر من حدث عن أحمد فذكر جماعة منهم بعض شيوخ الإمام ومنهم غيرهم كالبخارى ومسلم وأبى داود . والبغوى . وقد بلغ الإمام من منازل الرضا فى نفوس الناس على اختلاف صنوفهم وفرقهم ونحلها (عدا المعتزلة منذ عهد المأمون) منزلة ليس فوقها إلا منزلة الأنبياء حتى زعم بعضهم انه كان لا يعد من البشر وإنما يعد من الملائكة .

وشهد أهل العلم من المنافسين أنفسهم للامام وأخذ عنه بعض شيوخه كما ذكرت لك . فحا أثر من شهادة الرجال له ما نقله البغدادى والذهبى وغيرهم وإليك طرفا من ذلك .

---

(١) من تلاميذ الامام مالك . كان محدثا جليلا وإماما فى السنة .

(٢) من تلاميذ مالك أيضا كان من أبصر الناس بالايام وبالرجال سنة ٢٠٩ .

(٣) من أئمة الحديث المؤلفين بخراسان سنة ٢٠٧ .

(٤) من محدثى البصرة قدم بغداد فحدث بها عن مالك أيضا . وكان أحمد اذا حدث عنه يقول رجل صالح ثقة .

(٥) من أئمة الحديث ببغداد . كان احمد يعجب به وأهل بغداد يفخرون بعلمه ودينه سنة ٢٠٧

قال إبراهيم الحربى [١] سعيد بن المسيب فى زمانه وسفيان الثورى فى زمانه وأحمد ابن حنبل فى زمانه . ونقلت عن قتيبة أقوال كثيرة فى الإمام . قوله لولا الثورى لمات الورع ولولا ابن حنبل لأحدثوا فى الدين . وقوله : إذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة . وقوله خير زماننا ابن المبارك ثم هذا الشاب . وقوله أحمد ابن حنبل إمام الدنيا ولو أنه أدرك عصر الثورى والأوزاعى ومالك والليث لكان هو المقدم . وقال الطرخاباذى : أحمد بن حنبل محنة يعرف به المسلم من الزنديق . وأنشد فيه ابن عنين :

أضحى ابن حنبل محنة مأمونه وبحب أحمد يعرف المتنسك
وإذا رأيت لأحمد متنقصاً فاعلم بأن ستوره ستهتك

وكان الهيثم بن جميل يقول : إن عاش هذا الفتى سيكون حجة على أهل زمانه . وقالوا إنه حرز من صلى على جنازته فكانوا ثمانمائة ألف من الرجال وستين ألف امرأة .

وزعموا أنه أسلم يوم موته عشرون ألفا من اليهود والنصارى وأن هذه الأصناف شاركت المسلمين فى النوح عليه وهذا شيء قد لا يخلو من المبالغة ولكنه يلقى ضوءاً على هذا الإمام وما كان له من كثرة المريدين والأتباع . وأن العقيدة فيه بلغت مبلغاً عظيما . وقد عرف فى التاريخ ما كان للحنابلة بعد ذلك من خطر وقوة وكثرة أتباع فى بغداد مما يؤيد منزلة الإمام فى ذاتها . ويدل على طهر سيرته وقدسية محياه ومماته . وحسبك من رجل لم يتزوج إلا بعد الأربعين إنقطاعا للعلم وإقبالا على العبادة . وحسبك ما اشهر من شهادة الإمام الشافعى له . وأخذه عنه فى كتاب الأم ما يذكره بقوله (أخبرنا الثقة) . وأنه قال خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا أفضل ولا أعلم ولا أتقى من أحمد . وأنه (الشافعى) قال : رأيت ببغداد شابا إذا قال حدثنا قال الناس كلهم صدق .

فلعل فى أمثال هذه الشهادات الثابتة عن الإمام وغيره ما يلقى ضوءا على منزلة أحمد وما أمده الله سبحانه به من توفيق ونجح . على أن للذهبى نقولا أخرى قد ينظر إليها بعض الناظرين بمنظار من التحفظ لولا أنه إمام عظيم موثق ولولا أن سيرة الإمام العامة تصدق

---

(١) كان إماما فى العلم ورأسا فى الزهد عارفا بالفقه والاحكام انفق على الحديث اموالا طائلة وكان يقال لم يخرج من بغداد مثله سنة ١٨٥ .

جملة هـذه الأخبار . فهو ينقل أن الإمام كان مورداً عذبا للناس على اختلافهم ينتجعون ساحته للدعاء والتبرك ، استوى فى ذلك المسلم والمسيحى .

وأنه كان — مع هـذا كله — يؤثر العزلة عن الناس جميعاً ويبالغ فى إخفاء نفسه ولا سيما عن الحـكام والملوك ، ويؤثر عنه فى ذلك كتابه إلى بعض العلماء :

« أما بعد فإن الدنيا داء . والسلطان داء . والعالم طبيب . فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره والسلام عليك » .

وأنه كان يقول : لو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لى ذكر . أريد أن أكون فى بعض الشعاب فى مكة حتى لا أعرف قد بليت بالشهرة حتى أنى لأتمنى الموت صباحا ومساء ، ويظهر أنه ترك الحديث فى آخر حياته ليقاوم الشهرة ، وليدفع بعض هذه المنزلة . كما يدل على ذلك ما نقل عنه : ما جاءنى الفرج إلا منذ حلفت أنى لا أحدث وليتنا نترك .

وبعد فيظهر من كل ذلك ومن سائر أخبار هذا الإمام العظيم إن الله سبحانه كتب له من التوفيق والسعادة برضا الله والناس حظا قل أن يتفق لأحد سواه . ذلك أنه كان خيراً محضاً ونصحا لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم وزهداً وإعراضاً عن الدنيا وما فيها من مال وجاه وسمعة . وحسبك أنه اتخذ الرسول إمامه فى كل شىء وأنه أخذ نفسه أن يعمل بكل حديث عرفه : حتى كان يقوم الليل دهره ويصلى بالليل كذا وكذا ركعة . وتأتيه الأموال من كل جانب فلا يقبل منها شيئاً . ويؤثر على ذلك أن ينسج التـكك ويبيعها . وبلغ من متابعته للنبى ﷺ أنه قال : مر بى أن رسول الله ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت . ثم إنه محن فى آخر حياته محنة زادت منزلته قبولا ورضا عند الله وعند الناس ، حتى كانت الآلاف المؤلفة تحف به فى سجنه مما أخاف منه الظلمة أن يحدثوا به ما أحدثوا بغيره من قتل : وحديث المحنة طويل نفرد له مقالا آخر مع بيان طريق الإمام ومسلكه فى أصول الدين وفروعه إن شاء الله وبالله التوفيق .

محمود النواوى

تاريخ الكتابة

افتتح فى مصر بالهيروغليفية وينتهى إليها بالعربية ! !

لقد تقدم العالم فى الحقبة التى نحن فيها تقدماً عظيما ، حتى أننا لنقول ، لو أن أجدادنا بعثوا وشاهدوا ما نحن فيه اليوم ، من هذه الأمور الميسرة لنا لدهشوا . فنحن اليوم ، نستطيع أن نسمع المتكلم فى أى بقعة من بقاع الأرض ، مهما بعدت عنا ، وفى نفس اللحظة التى يتكلم فيها ، ونستطيع أن نشاهد المتكلم أو الخطيب ، ولكن على أبعاد محددة ، وسوف لا يمضى وقت طويل ، حتى يتيسر لكل منزل ، وضع آلة ، يستطع صاحبه إذا حركها ، أن يرى الذى يقرع بابه بإشعاع خاص ، وأن ترى ربة المنزل مطبخها وطفلها ، وهى جالسة مع زوارها فى غرفة الاستقبال . وأما التنقلات السريعة فحسبنا أننا صرنا نسابق الصوت ! !

هذه خطوات بل وثبات مدهشة ، فى تقدم العلوم والفنون ، ومع ذلك فأننى أرى أن أجدادنا بدورهم قد خدموا الإنسانية والعلم ، خدمات تشكر لكم ، بل إن خدماتهم تلك ، هى التى كانت من أسباب تقدم العالم وحفظ تراثه . وأود هنا ، أن أذكر خدمة من تلك الخدمات ، ولتكن الكتابة ، فإن الكتابة التى جعلتنى أستطيع أن أخاطبك بها أيها القارىء الكريم ، وأستطيع أن أتابع بقراءتها تاريخ العالم وحوادثه ومعرفة ما يستجد فيه كل يوم ، بل كل ساعة ووقت ، وليست هذه الخدمة بالشيء اليسير ، بل إننا نعتبرها من أعظم المنن التى تيسر لأجدادنا تقديمها إلينا .

ويكاد يجمع المؤرخون للعلوم والفنون ، على أن أول من كتب أو وضع حروف الكتابة ، هم المصريون ، ولكن كتابتهم كانت تصويرية ، وكانت أداتها وحروفها من الكثرة بحيث يتعذر على الإنسان حصرها واستخدامها ، وهذا ما جعل الفينيقيين يبرزون إلى الميدان بحروفهم الصوتية التى حصروها فى ٢٢ صوتا ورسمو لها مثلها من الحروف .

قال الأستاذ نوفل بن نعمة الله نوفل الطرابلسي فى كتابه « زبدة الصحائف فى سياحة المعارف » المطبوع فى بيروت سنة ١٨٧٩ فى الصحيفتين ٣٩ و ٤٠ : —

« وزاد مجد الفينقيين أيضاً ، باختراع حروف الهجاء ، عند ما كان المصريون يصورون صورة الأشياء ، أو يصطنعون لها علامات ، فاستنبطوا الطريق الأسهل الدارجة ، وجعلوا علامة لكل صوت أصلى ، تسمى حروفا . وحروفهم هذه صارت منشأ للحروف الأفرنجية فإن اليونانيين أخذوا حروفهم منها ، ومن حروف اليونانيين استخرج اللاتينيون حروفهم التى هى حروف أهل أوربا الآن . وإنه ليوجد خلاف كلى بين المؤلفين على ذلك فبعضهم ينسبه إلى ممنون المصرى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، وفى تاريخ الصين ، أن فوهى مؤسس مملكتهم سنة ٢٦٥٠ قبل الميلاد ، علم الأهالى الكتابة . ولعل تلك الكتابة ، هى الهيروغليفية عند المصريين ، وما ماثلها عند الصينيين ، غير أن المعلم اسحق نيتون قال إن الكتابة الابجدية ، هى من اختراع الآدوميين ، وأكد غيره بأنها من اختراع الفينيقيين ، وقال بعض المؤرخين إن قدموس الصورى ، الذى بنى مدينة طيوه فى بلاد اليونان سنة ١٥٥٠ ق . م ، هو الذى علمهم الكتابة بهذه الحروف ، وقال آخرون إن دخول الكتابة إلى بلاد اليونان كان فى ٧٥٤ ق . م ، وأما استعمالها فى مصر فقد كان فى سنة ٦٦٠ ق . م » .

وقال الأستاذ أحمد نجيب مفتش وأمين عموم الآثار المصرية ، فى كتابه « الأثر الجليل لقدماء وادى النيل » المطبوع فى المطبعة الأميرية سنة ١٣١١ هـ .

« وقد اتفق متأخرو الإفرنج ، على أن المصريين ، هم أول من خط بالقلم ، حيث كانت جميع الأمم غارقة فى بحر الجهالة ، هائمة فى أودية الخشونة ، ولم يكن لسوريا ولا لغيرها من البلاد إسم يذكر ، ولا خبر يؤثر ، وبقى القلم محصوراً فى مصر ، مستعملا بين الكهنة ، إلى آخر العائلة الرابعة عشرة ، أى إلى زمن إبراهيم عليه السلام ، وقد قالت الكهنة إنهم تعلموه من هرمس ، أى إدريس عليه السلام ، وهو مطابق للحديث الشريف (الذى نقله حضرته عن كتاب العقد الفريد ، وهو أن إدريس أول من خط بالقلم بعد آدم) . وبقى المصريون منفردين بمعرفته مدة ألف وثمانمائة سنة ، أعنى إلى مدة إغارة الرعاة عليها ، وكانوا أخلاطاً من همج الناس ، فتعلموا الكتابة ، واختارت طائفة منهم الاحرف الابجدية ،

فأخذوها من القلم الدارج المصرى ، وتركوا جميع صور المقاطع الصوتية لصعوبتها فى الرسم ولما أجلاهم المصريون عن بلادهم ، سكنوا بلاد فينيقيا فعلموها لمن كان فيها قبلهم ، بعد ما فقحوها على حسب ما تقتضيه لغتهم .

والدليل على ذلك ، شدة المشابهة بين القلم الدارج المصرى ، والقلم الفينيقى أو السورى القديم . واشتق منها الخط التدمرى ثم العبرى ، ولما كان السوريون أو الصيداويون أصحاب تجارة واسعة ، احتاجوا لاستخدام عمال من كل جنس ، فعلموها لعمالهم ، ونشروها فى جميع الآفاق ، ونقحتها كل أمة حسب ما تتطلبه لغتها ، فانتشرت فى بلاد الهند والمغول وفرنسا وأسبانيا . وهـذا هو المعتمد ، لعدم وجود خط قديم فى غير مصر قبل دخول العمالقة إليها .

ومما لا شك فيه ، أن الأستاذ أحمد نجيب ، يشكر على اعتداده بمصر وأثرها ، وفضل كتابتها على العالم كله ، ولـكن المجمع عليه هو أن الفينيقيين ، هم الذين تعلموا من مصر ، ونقلوا علمهم إلى أطراف العالم ، ولقد نفعتهم تلك الكتابة فى تجارتهم الواسعة ، وتنقلاتهم العظيمة ، حتى لقد قال عنهم السنيور جويدى ، أول أستاذ للجامعة المصرية عند ما كانت شعبية فى (أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب) قال عنهم : —

« ولما منعتهم الجبال من توسيع مملكتهم فى البر ، ركبوا البحر ، وتعاطوا التجارة ، وانتشروا فى الجـزائر والبلاد القريبة والبعيدة ، وكانوا فى القديم ، مثل الانجليز فى أيامنا هذه ، وكانت لغتهم تشبه لغة اليهود والعرب » . إلى أن قال : « ومن هذه الأحرف الفينيقية القديمة ، اشتقت أحرف اليونان والرومان وسائر أمم أوربا ؛ فأصل الحروف كلها من الأحرف الفينيقية . واتخذ من هـذه الأحرف العبرانيون المتأخرون ، وألفوا منها القـلم المستعمل إلى الآن فى كتب اليهود ، ومنه كذلك قلم النبط وقلم العرب القديم » .

وأما الكتابة العربية ، فقـد قال الإمام طاشكبرى فى بيان أول اللغات ، وبيان أول من وضع الخط العربى ، قال السهيلى فى التعريف والاعلام ، والأوضح ما رويناه من طريق أبى عمرو بن عبد البر ، يرفعـه إلى النبى ﷺ قال « أول من كتب بالعربية إسماعيل عليه السلام » . وقيل لابن عباس أين تعلمتم الهجاء والكتاب والشكل ؟ قال علمناه حرب بن أمية وكان قد تعلم من أهل الحيرة ونقله إلى قومه .

وأول من كتب بالعربية اليمانيون قوم هود عليه السلام ، وكان خطهم يسمى الخط المسند . وكانوا يكتبون حروفهم منفصلة ، وكانوا يضنون على الناس بتعليمهم ذلك الخط الحيرى ، حتى إذا ماتعلمه ثلاثة من قبيلة طيء وغيروا فيه ثم علموه لأهل الانبار وسمى ذلك الخط بالجزم . عند ذلك انتشر الخط الجزم بأن أخذه عنهم أهل الحيرة . وأخذ حرب بن أمية خطهم لما زار الحيرة ونقله إلى الحجاز فعلمه لأهلها كما ذكره ابن عباس فيما تقدم .

وقال المؤرخون ، إن أهل الحجاز أخذوا الكتابة من الحيرة وأخذها أهل الحيرة من التبابعة والحيرين . وأكد ذلك فيلسوف التاريخ العربى ابن خلدون حيث قال .

« وكان الخط العربى بالغاً مبلغه من الاتقان والإحكام والجودة فى دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة والمجددين لملك العرب بأرض العراق » .

ومعلوم أن النبى ﷺ استخدم كتابا لكتابة القرآن ، لما كان ينزل عليه الوحى ، ولكتابة رسائله إلى أمراء النواحى الذين دعاهم إلى الإسلام ، وحفظت بعض صور كتابات كتابه حتى اليوم والحمد لله .

ولقد جعل صلى الله عليه وسلم من جملة فداء الأسرى ، بعد غزوة بدر تعليم أطفال المسلمين الكتابة ، فكل أسير يعلم عشرة أطفال الكتابة يكون ذلك فداء له من أسره .

وبعد ذلك أنشأ سيدنا عمر بن الخطاب ديوان الخراج والجيش فى العراق والشام ، ولكن كتابه كانوا يكتبون بالفارسية إلى زمن عبد الملك ابن مروان وابنه الوليدعند ما كثر كتاب العربية وحسابهم ، وأول من نقل ديوان العراق إلى العربية هو صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج بن يوسف وكان بارعا بالعربية والفارسية .

ونقل ديوان الشام من الرومية إلى العربية سليمان بن سعد والى الاردن ، ووقف عليه كاتب عبد الملك ، ونقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان فى خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧ هـ وعند ذلك صارت دواوين المسلمين كلها تكتب بالعربية .

وأول كتاب كتب بالعربية هو المصحف الشريف أو المصحف العثماني أو المصحف الإمام، وهو الذى كتب بإيعاز من الإمام عثمان وأرسل إلى عواصم الإسلام كلها توحيداً للقراءة والرواية، وكانت كتابته بالخط الجزم وقد سمى ذلك الخط بعد ذلك بالخط الكوفى بعد ما فتحت الكوفة . واستعمل ذلك الخط فى عهد بنى أمية ولكنه رقى بقدر ما وسعته حضارة بنى أمية .

ومعلوم أن المصحف العثمانى كتب من غير لفظ ولا شكل ، حتى إذا ما جاء أبو الأسود الدؤلى فى عهد معاوية وضع للمصحف علامات الإعراب ورقمها وجعل لها لونا غير لون الكتابة ، ثم تتابعت المحسنات الكتابية على اللغة العربية على أيدى الخليل بن أحمد .

وفى عهد العباسيين ظهرت محسنات الخط وظهر خط الثلث والثلثين والنصف ، وفى عهد ابن مقلة ظهر الخط النسخ الذى تستعمله الكتب والصحف حتى اليوم . ولقد توفى ابن مقلة سنة ٣٢٨ وقال بعضهم إنه لم يخترع خط النسخ وإنما جوده رحمة الله .

وجاء بعد ابن مقلة أبو الحسن على بن هلال الكاتب المشهور فزاد الخط تحسينا وتجويداً وقد توفى سنة ٤٢٣ هـ .

ثم جاء بعد ابن هلال ، عهد الترك ، حيث قبضوا على زمام الخلافة الإسلامية ، وكان لهم فضل تجويد الخط وطبع المصاحف المتقنة ، وهى لا تزال تنطق بفضلهم حتى اليوم ، ولكن مصر ، تولت بعد زوال خلافة آل عثمان ، زمام الزعامة العربية والإسلامية ، وتولت طبع المصاحف المتقنة فصارت هى موضع الثقة فى العالم الإسلامى والعربى ، حتى أن الحجاز لما طبعت مصحفها فى سنة ١٣٦٩ هـ وسمته « مصحف مكة المكرمة » لم تشأ أن تخرجه ، إلا بعد أن ختمته بقولها : إن الشيخ على محمد الضباع شيخ القراء والمقارىء أشرف على تصحيحه وختمه بختمه .

وفى مصر اليوم من الخطاطين من يشار إليهم بالبنان أمثال الأساتذة حسنى وسيد إبراهيم . وهواوينى . وعلى ذلك تكون الكتابة بدأت بمصر فى العصور الخوالى وختمت بمصر فى عصرنا هذا ، وهو فضل من الله على كنانته ؟

محيى الدين رضا

تأويل الخوارق في القرآن

أذاعت محطة الإذاعة المصرية حديثا دينياً لأحد أصحاب الفضيلة العلماء فى الكلام على قول الله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال الله لهم موتوا ثم أحياهم) الآية . ذهب فيه صاحب الحديث إلى أن موتهم وحياتهم مجازى يراد بهما الذل والحرية ، أو الاستعباد والاستقلال أو نحو هذا .

والذين قرأوا القرآن من حين نزوله إلى الآن يفهمون القصة على الحقيقة وهى الأصل وعلى من يعدل عنها إلى المجاز أن يأتى بالقرينة الصارفة عن الحقيقة إلى المجاز . فإذا كان مع الأستاذ المحدث قرينة غير الاستبعاد المتسرب عن مادية الغرب القائلة بأن العالم آلة ميكانيكية تسير بسنن طبيعية لا يمكن تخلفها ولا دخل لإرادة فاعل مختار فيها وصرح فيلسوفهم غوستاف لوبون فى كتابه (المعتقدات) بقوله « أننا لو آمنا بالخوارق والمعجزات لرجعنا إلى زمن الخرافات ، وإن تسلسل الأسباب والمسببات ينتج نفى فاعل مختار خلق العالم » إلى آخر هذا الهذيان . وغفل عما لا يخلو منه العالم من الخوارق ، والذين استحيوا من مكابرة إنكارها سموها شواذ الطبيعة ، والمؤمنون برب العالم زادتهم إيمانا بإرادته واختياره وحكمته .

ولست فى مقام البيان عن بهت المادية وإدحاضها فقد تولى ذلك أكابر عقلاء هذا القرن مثل جينز الانكليزى فى كتابه (الكون الغامض) . وإنما الذى يعنينى وأدعو الله مخلصاً أن ينقذ تفكيرنا ويطهره من أوضار الفلسفة المادية وفضلات الأفكار الدهرية ومخلفات القرن التاسع عشر فى محادة الدين والأنبياء ومعجزاتهم وما جاءت به كتب السماء واتفقت عليها الأديان السماوية .

لعل المحدث الفاضل عند ما يقرأ سورة البقرة التى تحدث عن قصة من قصصها يرى فيها عدة قصص تشير إلى إحياء الله تعالى للموتى رداً على المستبعدين لذلك :

(١) من ذلك قصة البقرة التى أمر بنو إسرائيل بذبحها وضرب قتيلهم ببعضها ليحيا فأحياه الله تعالى وسميت السورة سورة البقرة .

(٢) قصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها فقال أنى يحيي هـذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه الخ .

(٣) ومنها طلب الخليل من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى فأمره الله بأخـذ أربعة من الطير وأن يقطعهن ويجعل على كل جبـل منهن جزءاً ثم يدعوهن ، ففعل فأتينه سعيا وعلم أن الله عزيز حكيم .

وقصة إحياء عيسى بن مريم للموتى يؤمن بها المؤمنون كما ذكر القرآن عنه ، بله عصا موسى التى تتحول من حين إلى آخر حية تسعى إلى غير ذلك مما جاءت به كتب الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم .

وأخيراً فإما إيمان بالله ورسله وكتبه وما جاء فيها من خوارق ومعجزات ، وذلك هو الكفر بمادية القرن التاسع عشر ودهريته وإلحاده وزندقته وسخافاته .

وإما تقليد أعمى لتلك المادية المظلمة الظالمة الفاجرة ، وذلك هو الخروج على دين الله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فليسلك العاقل أى النجدين شاء ، والسلام على من اتبع الهدى وصدق المرسلين .

محمد عبد الرزاق حمزة

من كلمات الصديق خليفة رسول الله

* العجز عن درك الإدراك إدراك .
* انظر ما تقول ، ومتى تقول .
* إن عليك من الله عيونا تراك .
* أهدم الكفر بعضه ببعض .

تكتيكات الاستطلاع في سرية عبد الله بن جحش

تحدثت عن محمد رسول الله ﷺ قائد جيش الإسلام ، وسأتناول أول تجربة لهذا القائد العظيم فى مقدمات الحرب وسنرى أنه اجتازها على خير ما ينتظر من القائد العبقرى .

كانت هذه التجربة فى سرية عبد الله بن جحش فى السنة الثانية للهجره ، ولم تكن هذه التجربة إلا عملا من أعمال الاستطلاع كما يسميه العسكريون ، وهو يهدف إلى جمع كافة المعلومات عن العدو قبل قتاله ، فإن العدو المجهول كالعدو المستتر بأسوار الحصون ، فى حمى من الجهل به قد يحول دون الاستعداد له بالعدة الضرورية فى الوقت الضرورى ، ويحول من ثم دون الانتصار عليه .

ولقد حدثنا التاريخ عن قادة فشلوا لأنهم أهملوا الاستطلاع ، أو لم يعنوا به ، وترتبت على ذلك خسائر فادحة فى الأرواح ، وخير دروس التاريخ التى يحدثنا بها فى هذا الباب درس واحد وقع فيه قائدان عظيمان هما نابليون وهتلر ، فكلاهما هجم بجيوشه على روسيا ثم أخفق . أخفق نابليون لأنه لم يستطلع أحوال روسيا جيداً فكان يعتقد أن القيصر سيطلب الصلح بعد أسابيع من هجومه عليه ، فأودى به الواقع إلى هزيمة منكرة ، وكذلك لأنه لم يعن باستطلاع حالة روسيا الجوية قبل الهجوم عليها ، فكان الشتاء القارس من أهم عوامل هزيمته . . كذلك أخفق هتلر ، لأنه أخطأ فى استطلاع أخبار روسيا السياسية ، إذ كان يظن أن الشعب الروسى يتحفز للثورة ، ويترقب الإغارة عليه ليتخلص من حكامه .

ومحمد عليه الصلاة والسلام لم يتعلم من علوم الحرب وأنظمة الجيوش ما تعلمه نابليون وهتلر ، ولكنه لم يقع فيما وقعا فيه ، فكان عليما بمزايا الاستطلاع معنياً به غاية العناية ، فقد رأى أنه لابد مقاتل قريشاً فى يوم قريب ، وأراد أن يستطلع أحوالهم قبل أن يلتقى بهم فى أولى معارك الإسلام وهى غزوة بدر ، ولقد كانت أخبار التجارة والمال أهم ما يستطلع فى ذلك الحين ، فقد كان المال — ومازال — عماد القوة فى كل شىء ، وقد عرفه قادة الحروب الحديثة بأنه عصب الحرب ، إيمانا منهم بالدور الكبير الذى يقوم به فى بناء القوة العسكرية .

ولقد فطن الرسول ﷺ إلى ما فطن له العسكريون بعده بثلاثة عشر قرناً .

والاستطلاع كما ذكرنا محله قبل المعركة ، وقد قام به قائد جيش الإسلام على خير ما يكون الاستطلاع ، وطبقاً لأحدث النظم الحربية التي يدرسها العسكريون فى العالم أجمع .

ففي شهر رجب من السنة الثانية للهجرة ، وقبل غزوة بدر بشهرين ، بعث الرسول عبد الله بن جحش ومعه جماعة من المهاجرين لاستطلاع أخبار قافلة قريش ، ودفع إليه كتاباً أمره ألا ينظر فيه إلا بعد أن يسير يومين ، وكان مضمونه : « سر حتى تأتى بطن نخلة على اسم الله وبركته ، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك ، وامض فيمن تبعك حتى تأتى بطن نخلة فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم » .

ومعنى هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر قائده أن يأخذ هذه الرسالة ، وألا يفتحها إلا بعد أن يسير يومين ، ويأمره ألا يكره أحداً على الخروج معه ، وأن يصطحب من يرغب فى ذلك ، حتى إذا بلغ بطن نخلة وقف يترصد قافلة قريش ليجمع المعلومات عنها من حيث عدد رجالها وجمالها وصولتها .

وإذا نحن عرضنا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم على مسرح البحث والتحليل ، لاحظنا أنه عليه الصلاة والسلام قد وضع عدة مبادىء هامة لا يزال يعمل بها فى الحرب الحديثة ، وهذه المبادىء هى : —

أولا : كتمان الخبر . والمحافظة على سريته :

وقد انتهج الرسول لذلك وسيلة بارعة ، وهى أمره لعبد الله بن جحش بألا يفض الرسالة وينظر فيها إلا بعد أن يسير يومين ، أى حين يكون قد بعد عن المدينة وعن أهلها ، ليضمن ألا يتسرب النبأ . وأمثلة ذلك فى التاريخ البعيد والقريب كثيرة ، فإن كثيرا من قواد الجيوش والحملات المرسلة للغزو ، كانوا يخفون أسرار حملتهم عن جميع مرءوسيهم ، إلا عن هيئتهم الخاصة القليلة العدد ، وهى هيئة أركان الحرب التى تقتضى ضرورة وضع الخطط وترتيب العمليات أن يكونوا على علم بها . وقد تصدر إلى قواد الجيوش أو الأساطيل أوامر « مختومة » ليفتحوها فى مكان معين بعيد عن القاعدة ، سواء على الأرض أو فى عرض البحر ، ويتفق فى أمثال هذه البعوث أن يكون القائد وحده مطلعاً على السر بينما يجهله جميع

رجاله ، حتى إذا بقى على الحركة المقصودة ساعات معدودات تصدر الأوامر صريحة تحمل المفاجأة وتدعو للاسراع فى العمل الواقع .

ومن أمثلة ذلك ما حدث فى الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ من أن الحملة الحربية التى أرسلت بحراً من الهند لغزو العراق لم يعرف رجالها وجهتهم إلا فى عرض البحر وكان ذلك بقصد إخفاء نبأ هذه الحملة عن الاعداء .

وقد حدث مثل هذا فى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ — ١٩٤٥ ، وتعددت أمثلته وكانت فى الغالب فى عمليات الغزو البحرى .

ولرسولنا الكريم حكمة فى كتمان خبر تلك السرية عمن يحيطون به ، فليس ببعيد أن يكون منهم جاسوس من قبل قريش ، ولا أن يكون منهم من يبوح بالخبر فى سذاجة ، لا يريد به السوء ، أو لا يدرك ما فى البوح به من الخطر المحظور ، ولا يبعد أن يكون فيهم ضعيف النفس ، يفتش السر بتأثير مال أو ضغط ، وفى هذا تحقيق كامل لقوله صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » ..

وهكذا يقرر الرسول أن استطلاع أحوال العدو يجب أن يحاط بالسرّية التامة ، وهذا حق إذ أن العدو إذا أحيط علما بذلك فسوف يستعد استعداداً تاما لحرمان هؤلاء الذين سوف يقومون بالاستطلاع من الحصول على ما يريدون من معلومات عنه ، وبذلك لا يتحقق الغرض من الاستطلاع ، فضلا عن ما ينتظر حدوثه من خسائر مؤكدة فى أرواح هؤلاء الرجال ، أو من وقوعهم فى الأسر . وهذا هو المعمول به فى الحرب الحديثة ، فإن دوريات الاستطلاع تقوم بعملها فى الغالب ليلا تحت ستار الظلام ، وأى عمل من أعمال الاستطلاع يتم نهارا يجب أن يحاط بالكتمان الشديد والحذر المتناهى .

ثانياً : أن يقوم بالاستطلاع الراغبون فيه :

فقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم قائده عبد الله ألا يكره أحدا من المسلمين على المسير معه ، فقد يخرج الرجل مكرها على القتال فيقاتل لأنه مهدد بالموت المؤكد ، سواء فى القتال أو إذا حاول الفرار ، ولكنه إذا خرج للاستطلاع مكرها فلا يمكن أن يستفيد من استطلاعه من أرسله ، بل ربما يحرف الأخبار عمدا أو يتلقاها بغير عناية أو يطلع الأعداء على أسرار أصحابه وهم عنه غافلون .

وهذا الشرط ، أن يقوم بالاستطلاع الراغبون فيه ، معمول به فى الحرب الحديثة ، فإنه إذا تطلب الأمر إرسال داورية لاستطلاع أمر ما تترك لقائدها الحرية فى اختيار مرافقيه ، ومن المؤكد أنه سيختار من يرغب فى الخروج معه ، ومن يثق بهم وكذلك الحال فى أى عمل يحتاج إلى جرأة وإقدام وغيرة ، مثل أعمال الفدائيين الذين يكلفون بمهمة شاقة خطيرة تتعرض فيها حياتهم لموت أكيد وهلاك محقق ، فإذا كان هؤلاء يخرجون لمهمتهم مرغمين أمكننا أن نحكم على مبلغ الفائدة التى تعود على من بعثهم ، وإن الفائدة تتوقف على العقيدة القوية وحسن النية ، فهى تستلزم أن يكون الرجل فدائيا غيورا متحمسا رقيبا على نفسه ، فليس أيسر له إذا هو وجد نفسه منفردا بعيدا عن الرقباء ، ولم تكن فى العمل رغبة أن يسلم نفسه لأعدائه ليعيش مرتاحا فى الأسر إلى نهاية الحرب ، ثم إذا وجد من يحاسبه اعتذر بما شاء من العلل . وبذلك تتجلى حكمة النبي ﷺ فى قوله : « ولا تكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك » . .

ولقد شاء الله أن تحدث فى هذه السرية أمور لم تكن فى الحسبان ، أضافت إلى موضعنا دروساً جديدة تتصل به ، فإن عبد الله بن جحش مضى بمن معه لأداء مهمته ، غير أن بعيرا لسعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان ضل ، فذهبا يطلبانه فأسرتهما قريش ، فلما وصل الركب إلى نخلة ، مرت بهم قافلة قريش تحمل تجارة ، وكان ذلك فى آخر شهر رجب ، فتشاوروا فى قتال أهل القافلة لأن قريشا كانت حجزت أموال بعض المسلمين ، منهم بعض من فى السرية ، ولكنهم حاروا فيما يصنعون : إن القتال محرم فى الأشهر الحرم التى لم يبق عليها إلا هذه الليلة ، وهم يريدون ألا تفوتهم هذه الفرصة دون أن يستعيدوا ما أخذت قريش من أموالهم . . . وغلبت عليهم الرغبة فى ذلك فاندفعوا للقتال الذى انتهى بقتل عمرو ابن الحضرمى شيخ قبيلة قريش ، وأسر المسلمون رجلين هما عثمان بن المغيرة والحكم ابن كيسان .

وعاد عبد الله بن جحش ومن معه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقد حجزوا له الخمس من غنيمتهم ، فأباه عليه السلام وقال لهم : « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » . وعاتبهم زملاؤهم لهذه المخالفة ، وساءت لقيامهم بين أهل المدينة ، واتخذ أعداء الإسلام هذا الحادث وسيلة لدعايتهم ، وتنادت قريش أن محمداً وأصحابه قد استحلوا القتال فى الأشهر المحرمة ، وأخذوا الأموال وأسروا الرجال . . . وضاق الأمر على عبد الله وأصحابه فأنزل الله الآية التى أراحت القلوب : - (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد

عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) يعنى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام ، فقد فعلوا ماهو أشنع : صدوا عن سبيل الله وكفروا به وبالمسجد الحرام وأخرجوكم منه وأنتم أهله وفتنوا الناس فى دينهم والفتنة أكبر من القتل ، ثم هم يقيمون على أشد من ذلك وأعظم غير تائبين ولا هائبين . وفى هذا قطع لاعتراضاتهم لأن المتلبس بكثير من الشرور ليس له أن يكثر الكلام فى زلة قد ارتكب هو أشنع منها .

ولما نزل القرآن بهذا الأمر ، وفرج الله عن المسلمين ما كانو فيه من الخوف ، قبض الرسول العير والأسيرين ، فطلبت قريش فداءهما ، فقال عليه الصلاة والسلام : ـ لانفديكموهما حتى يقدم صاحبانا ، فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم . .

ثالثاً : الاستطلاع دون قتال :

وأول ما يطالعنا مما حدث هو إنكار القتال على عبد الله بن جحش ورفاقه ، فإن أمر النبي صلى الله عليه وسلم فى رسالته له كان واضحاً وهو « فتعلم لنا من أخبارهم » ، ولا يفهم من هذا أنه يأمره بقتالهم ثم أنه أرسله فى شهر حرام والقتال محرم فيه ، فلما علم الرسول أنه قاتل القافلة قال « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » .

وفى الحرب الحديثة تخرج دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات وتعود دون قتال إلا دفاعا عن النفس . وهذا مبدأ آخر يمكن أن يضاف إلى ما سبق من مبادىء فى (أولا) و (ثانياً) وهو أن يتم الاستطلاع دون قتال . والسر فى ذلك أن المكلفين بالاستطلاع قليلو العدد فى الغالب ، فلا يقدرون على القتال لأنهم جزء صغير بعيد عن القوة الأساسية ، وعليهم أن يؤدوا مهمتهم فى صمت ثم يعودون ، دون تورط فى قتال . على أنه فى بعض الأحيان لا يتم الحصول مع المعلومات إلا بالقوة ، وهنا تكون القوة مجهزة تماما من قبل على هذا الأساس .

والرسول الكريم لم يأمر عبد الله بالقتال ، والدليل على ذلك أنه أرسله فى شهر حرام القتال محرم فيه ، وكذلك قوله عليه السلام عندما علم بأنه قاتل القافلة : ـ

ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام ، فإذا كان عبد الله قد قاتل فقد كان فى هذا مخالفا لأوامر النبى صلى الله عليه وسلم .

رابعاً : تبادل الأسرى :

وأما مسألة قبض العير والأسيرين حتى يقدم الأسيران المسلمان ، فمسألة يرضى بها القانون الدولى المعمول به فى عصرنا الحاضر : أسيران بأسيرين ، وقد شاهدنا كثيراً من عمليات تبادل الأسرى فى الحرب الأخيرة بين الدول المتحاربة على أيدى المحايدين .

ولقد كانت مشكلة تبادل الأسرى هى العقبة العظمى فى سبيل نجاح مفاوضات الهدنة بين الشيوعيين ورجال هيئة الأمم المتحدة فى الحرب الكورية ، لأنهم كانوا لا يريدون التسليم بهذا المبدأ الواضح بلا قيد أو شرط .

محمد جمال الدين محفوظ
يوزباشى أركان حرب

السياسة

* أرادوا مرة امتحان السياسيين فى بلاغة السياسة ، فطرحوا عليهم هـــذا الموضوع : سرقت حقوق أمة ضعيفة ، فاكتب كيف تشكرها على هديتها .

* قالوا نظم الصقر قصيدة من الغزل فى عصفور جميل مصبغ الريش فكان مطلعها :
« ما ألذ ، ريشك أيها العصفور

* لو سئل السياسى العظيم : أى شىء هو أثقل عليك ؟ لقال : إنسانيتى ؟

الرافعى

أصل البهائية وحقيقتها

قرأت فى (الأهرام) كلمة بعنوان «الذكرى المئوية لمؤسس البهائية» ظاهرها إدعاء ذيوع البهائية فى شيكاغو وباطنها الدعاية لهذه الفرقة وتضليل القراء عن حقيقتها ؛ فرأيت من الخير أن أبين لإخوانى المسلمين أصل البهائية وكيف وجدت وما هى حقيقتها ، ليكونوا منها ومن دعاتها على بينة .

كان من رزايا القرن الثالث عشر الهجرى ظهور رجلين فى الأوساط الشيعية بإيران والعراق ، يدعى أحدهما أحمد الأحسائى (١١٥٧ — ١٢٤٢) والآخر كاظم الرشتى (١٢٠٩ — ١٢٥٩) .

وظاهر من اسم الأول أنه منسوب إلى الأحساء من سواحل الخليج الفارسى ، والآخر إلى مدينة رشت من أعمال جيلان فى إيران على مقربة من سواحل بحر الخزر . ومن علماء الشيعة من يشك فى نسبة هذين الرجلين إلى هذين البلدين ويقول : إن أصلهما قيسان أعدهما الاستعمار لمهمة من مقاصده وخططه البعيدة ، حتى لقد قيل إن التقارير والأوراق السرية التى أذاعتها روسيا عقب سقوط القيصرية سنة ١٩١٧ تؤيد ذلك . ونحن لا يهمنا إن صح هذا أو كان وهما ، فالنتيجة واحدة وهى أن الأحسائى والرشتى رتعا ولعبا فى البيئات الإيرانية ، وتوسلا بما فى تلك البيئات من مبادىء وعقائد وعواطف على طريقة الغلو التى لهم فيها سلف كثيرون هناك . ومن ذلك — على سبيل التمثيل — قولهما للناس :

كما أن العناصر أربعة وهى التراب والماء والنار والهواء ، فكذلك العقائد أربعة ، وهى الله والنبى والأئمة الاثنا عشر والركن الرابع ، وهو أحمد الاحسائى . ثم ما لبث أحمد الاحسائى أن هلك سنة ١٢٤٢ وزعموا أنه دفن فى البقيع بالمدينة ، فقام بدعوته كاظم الرشتى وبث دعاته فى إيران ، ومنهم على محمد الشيرازى (١٢٣٥ — ١٢٦٦) ، وكريم خان الكرمانى ، ومحمد شفيع . وكان أكثرهم نشاطا على محمد الشيرازى الذى نشر الدعاة من

تلاميذه ومنهم ميرزا محمد على المازندرانى الملقب بالقدوس وكانت إقامته فى مشهد ، ومنهم مُلا على البسطامى الذى أرسله سنة ١٢٦٠ إلى الكوفة والنجف وكربلاء وكان والى بغداد يومئذ نجيب باشا فقبض عليه وحبسه بعد أن صار له فى العراق أتباع منهم الشيخ بشير النجفى والشيخ سلطان الكربلائى ومحمد شبل الكاظمى وغيرهم . وفى سنة ١٢٦٣ جاءت من إيران إلى العراق داعيتهم التى تسمى (قرة العين) فأقامت فى بغداد بمنزل محمد شبل الكاظمى ، وزعمت لزوارها أنه « قد نزل الرب الودود ، وظهر الموعود » فأمرتها حكومة بغداد بأن تقيم فى منزل الشهاب الآلوسى صاحب التفسير المشهور ، وكانت خبيثة جدا وبارعة فى التقية ، حتى أن السيد الآلوسى فى مناقشاته معها لم يستطع أن يكتشف من عقائدها إلا أنها شيعية فقط . وكان يتردد عليها من تلاميذ ملا على البسطامى دعاة متعددون دخلوا فى البابية ، منهم إبراهيم المحلاتى وصالح الكريمى وأحمد اليزدى ومحمد البايكانى وسلطان الكربلائى .

وهكذا استفحل أمر على محمد الشيرازى بواسطة دعاته الكثيرون فى إيران والعراق ، وقد استغل عقيدة من عقائد الشيعة عن وجود (واسطة) بين الإمام الثانى عشر المهدى الذى ينتظرونه وبين شيعته وقد اصطلحوا قديما على تسمية هذا الواسطة (الباب) فانتحل على محمد الشيرازى لقب (الباب) ، وكان ظهور نشاطه فى زمن الشاه ناصر الدين وتسبب عن نشاطه سفك دماء وفتن كثيرة إلى أن هلك سنة ١٢٦٦ . فظهرت بعده مطامع تلميذه وأحد دعاته المسمى حسين على المازندرانى الذى سمى نفسه (بهاء الله) وإليه تنسب البهائية ، وهو معبودهم الدينى ، وهو الدى يعنونه فى فواتح كتبهم رأعمالهم حيث يقولون « بسم ربنا البهى الأبهى » كما كانوا يؤلهون سلفه على محمد الشيرازى الملقب بالباب ويقولون عنه « بسم ربنا العلى الأعلى » . فالبهائية قائمة على تأليه البهاء حسين على المازندرانى ، كما كانت البابية قائمة على تأليه شيخه الباب على محمد الشيرازى ، أو على تعبيرهم « ظهور الله فى الباب » و « ظهور الله فى البهاء » .

وجاء بعد البهاء حسين على المازندرانى إبنه عباس ، فانتقل إلى فلسطين وأقام فى (عكا) المجاورة لثغر (حيفا) وسمى نفسه « عبد البهاء عباس أفندى » ، ونقل جيفة الباب من إيران ودفنها فى عكا . وكان عبد البهاء ذكيا واسع الاطلاع ولا سيا فى المعانى والموضوعات التى

تحوم حول ضلالتهم فيكلم فى ذلك زواره بفصاحة وأساليب وعبارات خلابة واتخذ لنفسه فى شكله وهيئته مظهراً خداعا زاده أتباعه بما أحاطوه به من وسائل التهويل والتضليل.

إن العقيدة التى ينشرها البهائيون قائمة على التظاهر لليهود والنصارى والمسلمين باحترام (عناوين) الديانات السابقة، لكنهم يزعمون أنها نسخت بديانتهم. ولذلك نرى البهائى إذا مات له صديق من اليهود يمشى فى جنازته إلى الكنيس ويصلى فى الكنيس كما يصلى اليهود وكذلك يفعل فى كنائس الطوائف المسيحية على اختلافها، وفى مساجد المسلمين. وهو كذاب فى ذلك كله، يخادع الجميع بأنه معهم، وبذلك استمال البهائيون فى شيكاغو وأمثالها من استمالوه.

حدثنى رئيس تحرير هذه المجلة الأستاذ محب الدين الخطيب أنه فى سنة ١٣٢٧ (١٩٠٩) زار مع شيخه الشيخ طاهر الجزائرى رحمه الله المكان الذى كان يجتمع فيه داعية البهائية فى مصر أبو الفضل الجرفادقانى، وكان ذلك فى ربع بخان الخليلى، فوجد عنده رجلا كان يعرف أنه أرمنى يسمى «كركور أفندى»، وقد عرفه فى المدرسة الإعدادية العثمانية بدمشق وكان كركور فى السنة النهائية من القسم التانوى والأستاذ الخطيب فى السنة الأولى من القسم الابتدائى، فقال له الأستاذ الخطيب: ألست أنت كركور أفندى الذى كنت فى دمشق؟ فامتقع لونه وقال له: أنا الآن بهائى، واسمى «فائق». وقد تبين فيما بعد أن الذين ينضمون إلى البهائية إما أن يكونوا من أصل غير إسلامى وانضموا إليها كيدا للإسلام، أو أنهم إيرانيون ممن لهم نزعة مجوسية. والبهائيون الذين احتفلوا فى شيكاغو بالذكرى المئوية لمؤسس البهائية لا يخرجون عن أحد هذين الفريقين.

إن حقيقة الدعوة البهائية قائمة على أساسين هما: —

١ — أن الله بعد ظهوره فى الأئمة الأثنى عشر ظهر فى شخص الركن الرابع أحمد الإحسائى ثم فى شخص الباب محمد على الشيرازى الذى يسمونه (حظرت أعلى)، ثم فى شخص حسين على المازندرانى الذى سمى نفسه (بهاء الله)، ولابنه عباس نصيب من الحلول الشيطانى ودعوى المظهرية. ويزعمون أن كل واحد من هؤلاء هو المظهر الإلهى الذى يتجلى على خلقه ليوحى إليهم الحقائق التى توصلهم إلى حظيرته القدسية.

٢ — إطلاق العنان لتأويل الكتب المقدسة بما يوافق أهواءهم ، فإذا قرأوا ما ورد فى الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام : « إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم ليبعث إليكم الفارقليط الذى ينبئكم بالتأويل » قالوا : إن المراد بالفارقليط هو بهاء الله .

ويؤولون الكلمات القرآنية مثل : يوم الحسرة ، ويوم التلاق ، ويوم القيامة ، والساعة بيوم نزول روح القدس وقيام مظهر أمر الله وهو البهاء فى زعمهم .

وتدعى البهائية أنها جاءت بأصول جديدة كاتحاد الأديان ، وترك التعصب ، واتحاد الأجناس ، ومساواة المرأة بالرجل ، والسلام العام . ونظنهم اقتنعوا بإفلاس دعواهم فى اتحاد الأديان ، لأن أهل الأديان كلها علموا بأن البهائية فاسدة العقيدة بالله واليوم الآخر ، ولذلك لم يقبل عليها إلا حثالة الناس ممن فى قلبهم إحنة للإسلام ورغبة فى إفساده ، وهم أعوان المستعمرين وجواسيسهم فى العالم الإسلامى ، فظلوا إلى الآن أقلية تافهة فى وسطه الأقلية التى انفصلوا عنها فى البداية .

ولا ريب أن الدعوة إلى دين الله الحق ، وعدم التفريق بين رسل الله جميعا هى دعوة الإسلام التى استجابت لها الأمم وانضوت إليها الممالك والأقطار فى عشرات السنين الأولى لظهورها حتى زاد أتباعها الآن على خمسمائة مليون ، وإذا أحسن المسلمون عرضها والعمل بها كانت هى شريعة الإنسانية كلها ، لأنها أصح الديانات عقيدة بالله وتوحيداً له وتنزيها عن سخافات الحلول والاتحاد .

فالإسلام هو الذى كرم رسل الله ، ودعا إلى العمل برسالات الله ، وهو الذى أقام وحدة الدين والجنس بالفعل ، ودعوته هى دين المستقبل .

أما سخافة البهائية فقد زادت الضلالات ضلالة جديدة ووقفت عند ذلك فكانت من مظاهر التفريق لا من مظاهر الاتحاد .

ودعوى ترك التعصب أكذب من دعوى اتحاد الدين والجنس ، فدينهم قام على الإحنة والكيد للإسلام ، ولا يزالون الآن كما كانوا أيام الشاه ناصر الدين دعاة فتنة وفساد .

والدعوة الصادقة إلى ترك التعصب تتلألأ كالشمس فى قول الله عز وجل « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ومع ذلك فكل حق فى الدنيا إذا لم يؤيده أنصاره بالتى هى أحسن كان ذلك ذما لهم وليس من الفضائل . وفرق كبير بين تأييد الحق كما هى الحال فى الإسلام وبين التعصب الذميم كما هى عليه دعوة البهائية منذ قامت لأول مرة باسم البابية .

ودعواهم التسوية بين الرجل والمرأة ، فإن الإسلام هو الذى سوى بينهما فى كل ما لا يصطدم مع اختلاف تكوينهما وتوزيع العمل الإنسانى بينهما ، وتفاصيل ذلك معروفة وقد ألفت فيها الكتب ، وبين وجه الحق فيها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى بياناته المتعددة . أما معارضة الطبيعة فى تسوية ما اختلف فيه الجنسان فى تكوينهما ومواهبهما ونوع اختصاصهما ، فذلك من السخافات التى تؤدى إلى فساد المجتمع .

وأسخف من دعوى تسويتهم المرأة بالرجل دعوتهم إلى السلام العام ، والجانب الإنسانى الموافق للحق والمصلحة فى هذه الدعوة قد سبق الإسلام إليه ، بل الإسلام بنفسه دين السلام ولكن طغيان البشر الذى لا يزال متأصلا فى طبائع أهل المطامع منهم هو الذى عالجه الإسلام بقول الله عز وجل « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

وأخيراً يحرص البهائيون على إخفاء تعاليم ديانتهم وجعلها سرية فيما بين الحثالة الضئيلة من أتباعها ، وقديما قيل :

الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

ومن مظاهر تسترهم فيما ينشرونه على الناس استعمالهم الألفاظ والتعبيرات الخلابة القابلة للتأويل ، وبها يحاولون أن يتصيدوا أهل الغفلة والعوام ، ومع ذلك فشلوا فى جميع محاولاتهم ، والله لا يهدى كيد الخائنين ؟

السيد كمال الشورى
مأمور الشهر العقارى

نظام المجتمع فى الاسلام

١ — أسس النظام الاجتماعى فى الإسلام :

قامت الدعوة الإسلامية تهدف إلى تأليف القلوب وتوحيد الأهداف وجمع الناس على عبادة الله وحده ، فاتحدت بها الغاية واجتمع بها الناس على هدف لا يختلفون عليه ولا يجادلون فيه ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، ، وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ، .

وسبيل الدعوة إلى ذلك حجة واضحة وقول حسن وأدب جميل ، أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، ذلك بأن طبيعة الدين لا تتفق وروح القهر والإرهاب ، إذ يخالط أول مايخالط القلب ويخاطب أول مايخاطب العقل ، ولم تكن القوة والإرهاب يوما من الأيام سبيلا إلى إقناع أو إيمان ، وهكذا وضعت الدعوة منهجا فى الحياة يكفل للإنسان حرية النظر والرأى والفكر والاعتقاد ، لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وإلى جانب الغاية الواحدة التى وحدت بين الناس وجعلتهم إخوة متحابين ، والوسيلة المهذبة التى جعلتهم يحكمون العقل وينأون عن اللجاج ، جاءت الدعوة الإسلامية تقر الإخاء والمساواة بين الناس ، الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وإذ يسوى ذلك النظام الإسلامى بين الناس ليقيم مجتمعاً متماسكا متحداً لا يعترف بسيادة جماعة على جماعة ولا باستغلال طبقة لطبقة ، بل يستوى فيه السادة كأبى بكر وعمر وعثمان وأبى عبيدة ، والمستضعفين كعمار وبلال وصهيب ؛ وأكثر من هذا يرفع الإسلام المستضعفين بالعمل حتى يفوقوا السادة ، وقد كان العمل من قبل يضع العاملين فأصبح فى النظام الجديد أساس

الفضل والتقدم «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» ، «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» ولدوام هذه الوحدة الإنسانية وإقرار النظام الاجتماعى يدعو الدين إلى التعاون الإنسانى العام على البر والخير والتقوى ، وينهى عن التعاون الخاص بين الطبقات المتماثلة فى الأقطار المختلفة التعاون الخاص على الإثم والعدوان الذى يهدف إلى إرهاق الطبقات المخالفة بالاستغلال والتسخير ، وينهى عن التعاون الخاص بين السلالة الواحدة على الإثم والعدوان الذى يثير العصبية القبلية والعصبية القومية التى تستهدف الفتن والحروب والاستعمار ، بل إن التعاون على الإثم والعدوان يحرمه الإسلام حتى لو اجتمعت الإنسانية كلها متعاونة فى القسوة على الحيوان «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» ، «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» ، «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» ، «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» .

ولكن كيف يتحقق التعاون فى المجتمع الإنسانى والحسد يملأ قلوب الجائعين والجشع يسيطر على نوازع السادة المترفين ؟!

إن النظام الاجتماعى فى الإسلام لا يدع الفقير للجوع يضنيه ، ولا يدع الغنى للترف يتخمه ، بل يأخذ من هذا حقا لذاك لا منا ولا تصدقا ولكن حقاً يفرضه «وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» ، «واعلموا أن ما غنمتم من شىء فإن لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله» . . «والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع» ، ولكن هل يقتصر خير الجماعة المسلمة على نفسها فتؤلف عصبية مذهبية لا نظاما اجتماعيا يقوم على الدعوة للخير والسلم ؟

وفى قصة اليهودى الذى فرض له عمر من بيت مال المسلمين ما يقيم حياته ويكفيه مشقة العمل وهو شيخ كبير ، وفى قصة الصبى القبطى الذى سبق ابن عمرو حين سابقه فى مصر فضربه وهو يقول : أتسبقنى وأنا ابن الأكرمين ؟ وقد شكا القبطى حاكم مصر العام إلى أمير المؤمنين عمر ، فاستقدم الوالى على مصر وأنصف الغلام منه . فى هذه القصص ، وأمثالها لا يحصى ما يقطع بأن الخير والبر والمعروف والعدل كان عاما فى الإسلام ، فتألف به نظام اجتماعى يهدف إلى الصالح العام بلا تفريق .

ومع أن الدين لا يمنع الفرد أن يملك ما يشاء ، إذ الحرية أساسه الأول الذى قام يدعو إليه ، فإن القاعدة الثابتة فى نهجه أنه يحرم ما أضر بالصالح العام ، فى سبيل تناسق النظام

الاجتماعى وبقاء وحدته يحرم ما أصله الحل ، ويمنع ما أصله الإباحة فيمنع التملك إن أدى إلى الاحتكار ، ويمنع من التملك ما يضر بنظام المجتمع « المحتكر ملعون والجالب مرزوق » ومن كلام عمر « من احتكر على الناس أرزاقهم ضربه الله بالجذام » والاقطاع لون من الاحتكار تقصر فيه منافع الأرض على القلة من المجتمع ، وتستغل فيه جهود الكثرة لصالح القلة من الاقطاعيين .

ولئن كانت أسباب الفتن والأحقاد والحروب فيما مضى إقطاعا فهى اليوم احتكار فى (الخامات) والإنتاج ، والأساس فى بناء المجتمع الإسلامى « لا ضرر ولا ضرار » .

ومع أن الدين لا يتعرض للطبقات التى تقوم على أسس من المال أو الجاه فإنه يمنع ذوى المال من الاحتكار فى الاقتصاد ، ويمنع ذوى الجاه من الاحتكار فى السياسة ، وفى الوقت نفسه لا يجعل لهذا أو ذاك حقا زائدا أو فضلا خاصا ، بل يفرض للمال والجاه واجبات زائدة يتحقق بها التقارب والتعاون بين الطبقات ، والأمر لا يخفى . أحل الله البيع وحرم الربا .

٢ — أثر هذه الأسس فى إقبال الناس على الإسلام وإقرار التضامن بين المسلمين :

ولقد أسرعت هذه الأسس الاجتماعية بالناس نحو الدين الجديد فأقبل عليه المستضعفون يجدون فيه النظام الذى يحفظ لهم حقوق الإنسان فيؤمنهم من خوف ويرفعهم من ضعة ويخلصهم من جهل ويطبهم من مرض ويستخلفهم فى الأرض « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » .

وكما أسرع المستضعفون فقد أسرعت النساء إلى ذلك الدين تجد فيه النظام الذى يمنع عنها العدوان فيحرم وأد البنات ، وتجد فيه النظام الذى يجعل لها حقوقا فى التصرف والملك ورأيا فى الزواج والحياة « وإذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت » « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » « الثيب تستأمر والبكر تستأذن » .

وكما وجد المستضعفون والنساء فى الإسلام نظاما يسوى بين الناس ويقر العدل والإنصاف والخير فقد وجد فيه السادة منهجا يوافق العقل ويقوم على الحجة والبرهان ، فأسلموا له إلا من أعرض تكبرا وعنادا .

ولئن ساعدت هذه الأسس الدينية على إقرار الإسلام دينا فى الأرض وأسرعت بالناس إليه فقد حققت مع ذلك وحدة المجتمع وانسجامه، وأبعدت عنه شبح التنافر والأحقاد، فوحدة الغاية وأدب الدعوة وتحرير الفكر والمساواة بين الناس والتفاضل بالعمل والتعاون على الخير والتقارب الطبقى وإيثار الصالح العام، كل هذه المبادىء أفضت إلى مجتمع متلائم متضامن متكافىء لا يعتريه تفكك أو انحلال « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم »، « مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له جميع الأعضاء بالسهر والحمى ».

وفى سبيل حماية هذا النظام من التفرق والانحلال يوجب الدين الإسلامى الإسراع بالإصلاح بين الناس فيقرر « أن الصلح خير »، وأن « السعى بالنميمة شر »، و« أن الفتنة أشد من القتل ». وأن « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »، وفى سبيل حفظ هذه الوحدة أيضا يوجب الإسلام على المسلمين أن يقفوا موقفاً إيجابيا من طوائف المسلمين التى يؤدى الخلاف بينها إلى القتال، وذلك بدعوة الطائفتين أو الطوائف إلى الصلح، فإن رفضت الصلح إحدى الطائفتين أو الطوائف أو أخلت به فبغت، فعلى المسلمين جميعاً أن يقاتلوا الطائفة الباغية حتى تفىء إلى السلم وإلى أمر الله. « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ».

وهكذا يستقر بهذه المبادىء الحب والتضامن والصفاء والوحدة فى مجتمع المسلمين.

٣ — إقرار السلم وحماية النظام الاجتماعى من العدوان :

وقد انشرحت بالإسلام صدور واطمأنت إليه قلوب، فأرهب ذلك المشركين فى مكة أولا فأسرفوا فى الكيد والعدوان على الرسول وعلى المسلمين، ومع ذلك ظل أسلوب الدعوة قائماً على دفع اللجاج بالحجة ومقابلة السيئة بالحسنة، فأغرى ذلك الرفق السفهاء والمشركين بالدعوة والدعاة حتى بلغ بهم الأمر أن ائتمروا بالرسول ليقتلوه، فانتقل إلى قوم غير القوم عله يجد عندهم آذانا تصغى وقلوبا تعى. ومع أنه تركهم فى مكة وترك لهم مكة فلم يتركوه ينجو بنفسه وبدعوته، بل أسرفوا فى طلبه، فلما أعياهم إدراكه وقد بلغ المدينة تحزبوا مع القبائل وعقدوا الأحلاف يبغون بها حصر الدعوة فى المدينة لا تخرج منها حتى لا تصل إلى الناس.

لقد كان الأمر مع الرسول أنه يريد أن يبلغ رسالته إلى الناس برفق فى الجدل وبحسن فى القول، ويهدى إلى الحق لا يكره الناس على الإيمان « لا إكراه فى الدين ، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

وكان الأمر مع المشركين أنهم يعرضون عن الإسلام تكبرا وجهلا ويصدون عنه الناس رهبة وخوفا ويمنعون الرسول عن دعوته حقداً وعنادا ، وفى سبيل ذلك أسرفوا فى الكيد وشرعوا الحراب وسلوا السيوف ، يمنعون الداعى عن دعوته يردون الدعوة عن الناس ويردون الناس عن الدعوة .

عند ذلك أذن الله لجماعة المسلمين أن ترد عدوانا يقع وتدفع ظلماً ينزل « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » وفى هذه الآية ، وهى أول ما نزل فى القتال ، ما يقطع بأن الإسلام يبغى السلم غاية ، ويستهدف السلم منهجاً فى الدعوة لا يخرج عنه إلا أن تقضى بذلك ضرورة قاهرة ، يشير إلى ذلك ما تعبر به الآية الكريمة من الإذن الذى يقتضى الإباحة من منع ، والحل من حرمة ، ومع ذلك لا يعدو الأمر قتال من يقاتل دفعاً لعدوانه « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، فإن وضع المقاتلون السلاح فلا إسراف فى القتل ولا عدوان « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

بهذا يمنع الدين العدوان ويشرع القتال والحرب رعاية للسلم ، بل إنه ينبذ الحرب ويحذر من العدوان ويأمر بالسلم حتى لو طلب السلم من أهدره ، وفى سبيل رعاية عهد السلم يدعو الإسلام إلى إعداد القوة التى ترهب من يميل إلى العدوان فلا يجنح إليه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » رهبة ترد الظلم وتمنع عدوان المعتدين ، وحين يتصل الأمر بالفتنة التى تهدد الجماعة فى وحدتها والعالم فى سلمه ، فإن الإسلام يوجب القتال الذى يقضى على منابع الفتنة ليعيد الوئام إلى الجماعة وليحفظ السلم بين الناس « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » .

وهكذا يشرع الإسلام القتال ليضع به حدا للعدوان وإثارة الحروب ، وليقر به فى المجتمع الإنسانى العدل والخير والسلام .

عبد اللطيف عبد النبى خليف
المدرس بمعهد طنطا الدينى



شرح منازل السائرين — للفركاوى

بتحقيق الأب س دى لوجييه دى بوركى الدومنكى - ١٥٣ ص متن ٤٤ ص مقدمتان وفهارس

رسالة (منازل السائرين إلى رب العالمين) لشيخ الإسلام أبى إسماعيل عبد الله ابن محمد الأنصارى الهروى الحنبلى (٤٠١ — ٤٨١) من أنفس ما كتبه المسلمون فى تربية النفس الإسلامية وسلوكها إلى منازل العبودية لله والاستعانة به وحده (إياك نعبد وإياك نستعين) . وقد رتب فيها أحوال السلوك بثلاث رتب : أخذ المريد فى السير ، ودخوله فى الغربة ، وحصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد .

وقد عرف المسلمون قدر هذه الرسالة ورفعوها إلى المكان اللائق بها ولا سيما عندما شرحها الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية بكتابه الجليل (مدارج السالكين) فى ثلاثة مجلدات كبيرة ، ولعله يصح أن يتخذ مرآة للتصوف الإسلامى الذى لا تشوبه نزعات أجنبية : لا برهمية ، ولا من حماة الحلول ، أو إنكار وجود الواجب بدعوى وحدة الوجود .

وبين أيدينا الآن شرح آخر لرسالة شيخ الإسلام الهروى ألفه محمود بن حسن بن محمد الفركاوى القادرى فى أواخر القرن الثامن الهجرى ، وكانت توجد منه مخطوطة فذة فى خزانة كتب لاله لى (رقم ١٤٢٧) بالقسطنطينية تاريخها شهر صفر سنة ١٠٢٩ .

ومما يدل على غنى سلف المسلمين بالرجال أن مؤلف هذا الشرح (محمود بن حسن الفركاوى) لا تعرف له ترجمة فى الكتب المتداولة فى الأيدى الآن ، مع بلاغته وفضله وتجويده لصناعة التأليف كما يدل عليه هذا الشرح . غير أن الناشر الأب دى لوجييه استنتج من قول المؤلف إنه كان موجوداً فى سوق العبى بدمشق لما احترق سوق القطانين والدقاقين أن ذلك كان سنة ٧٥٦ لأن الحافظ ابن كثير ذكر هذا الحريق فى البداية والنهاية (١٤ : ٢٥٣) . وللفركاوى غير شرحه على منازل السائرين كتاب آخر اسمه (النور الأسنى فى شرح معنى

الأسماء الحسنى) توجد منه نسخة فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (رقم ٣٩ تصوف) كتب فى آخرها : « وكان الفراغ فى رياضة الخميس ٢٨ جمادى الأولى سنة ٧٩٥ بتعليق مؤلفه » وقد يكون هذا التاريخ للأصل المنقول عنه مخطوط دار الكتب الظاهرية . ويستنتج الناشر من قرائن متعددة أن الفركاوى ولد فى العراق غالباً حوالى سنة ٧٢٥ وكان يقرىء الأيتام بدمشق بعد سنة ٧٥٠ بقليل ، وكانت وفاته بعد تأليف (النور الأسنى) أى بعد سنة ٧٩٥ .

وشرحه على منازل السائرين وصفه هو بقوله : « وهذا الشرح قد جمعنا فيه بين التشرع والتحقق ، ولم أطل خيفة الملل » وقال أيضاً : « هذا الشرح ما استضاء عليه بكتب ، وإنما كان فتوحا : نصفح كل مقام ، ونحل كل رمزه ، ونكشف حقيقته . ولم أورد الحكايات والأخبار فيه خيفة الملل والتطويل » . وقال : « تارة نشرح متتابعاً للدرجات وتارة بالعكس ، وذلك بحسب طاقتنا فى الوقت » . وأكثر ما يهتم به فى الشرح ثلاث مقامات : الاستقامة ، والصبر ، والصدق ، وهذه الثلاثة روح الأخلاق الإسلامية ، ومن دعائم أركان الإيمان الإسلامى .

والفركاوى يصف نفسه بأنه مريد عبد القادر الكيلانى (٤٧٠ - ٥٦١) وبينهما نحو ثلاثة قرون فلعله يريد أنه اقتبس علمه من علم الشيخ عبد القادر ، وهو لا يريد علم الفقه فالشيخ عبد القادر حنبلى والفركاوى شافعى ، ولكنه أراد العلم الذى نجده فى شرحه لمنازل السائرين . ونسبة هذا الشرح إلى مدارج السالكين كنسبة ما بين علم الفركاوى وعلم الإمام ابن القيم وهو فرق بعيد جداً .

وقد عنى الأب دى لوجييه بإخراج هذه الطبعة وتحقيقها عناية عظيمة يشكر عليها . ومما نلفت إليه أنظار مقلدى الغربيين ـ وأكثر حملة الأقلام عندنا مقلدون حتى فى الشكليات للغربيين ـ أن الأب دى لوجييه يضع الخطوط على سطور المتن من فوقها كما هى عادة المسلمين والعرب فى كتبهم فى جميع العصور . فنحن كما نكتب من اليمين إلى الشمال بعكس الغربيين ، نضع الخطوط على السطور من فوقها بعكس الغربيين أيضا . والأب دى لوجييه والسواد الأعظم من المستشرقين إذا نشروا كتب العرب والمسلمين يتبعون سنن العرب والمسلمين وذلك هو اللائق بهم . أما مقلدة الإفرنج من كتابنا وعلمائنا فلا يعرفون سنن العرب والمسلمين فى كثير من الأمور .

وشرح منازل السائرين مطبوع بمطبعة المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة . ووعد الناشر بمواصلة نشر مؤلفات شيخ الإسلام الهروى وما يتصل بها من شروح وأبحاث .

فحولة الشعراء للاصمعى

بتحقيق الأستاذين محمد عبد المنعم خفاجى وطه محمد الزينى ، ٩٨ ص جاير

كتاب (فحولة الشعراء) لأبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى (١٢٢-٢١٦) أحد شيوخ الأدب والنقد فى القرن الثانى للهجرة يرويه عنه الإمام أبو حاتم السجستانى (المتوفى سنة ٢٥٥) وكان أبو حاتم يسأل الأصمعى عن كل فقرة من موضوع الكتاب فيجيبه الأصمعى عليها ويسجلها أبو حاتم . عثر الأستاذان الفاضلان الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى والشيخ طه محمد الزينى على مخطوطة منه قديمة فى دار الكتب الأزهرية (بالمجموعة رقم ١١٨١ مجاميع أباظة - ٧٣٢٣) فعارضاها بمخطوطة حديثة فى الخزانة التيمورية منقولة عن الأصل الذى فى مكتبة الأزهر ، واستفادا من معارضه هذه الرسالة بالمروى عن الأصمعى فى كتاب (الموشح) للمرزبانى . وهذه الرسالة فوق أنها من أقدم المؤلفات فى تراث الأدب العربى فإن صدورها عن الأصمعى ورواية أبى حاتم السجستانى لمسائلها عن هذا الشيخ القديم من شيوخ الأدب يزيدان فى أهميتها . وهى تبدأ من الصفحة ١٢ وتنتهى فى ص ٤٠ وقبلها كلمة الناشرين عن الرسالة ومؤلفها وراويها . ولما كان (الموشح) للمرزبانى حافلا بالنقول عن الأصمعى فى نقد الشعراء والتحدث عنهم وعن شعرهم ، وفيه أكثر مما فى هذه الرسالة ، فقد ذيلها الناشران بهذه الزيادات عن الموشح وبما عثرا عليه فى بعض الكتب الاخرى . وألحقا بذلك مجلسا من مجالس الأصمعى الأدبية بين يدى الرشيد نقلاه عن العقد الفريد ، كما نقلا عن أمالى المرتضى وزهر الآداب شاهدين من روايات الأصمعى ، وقطعا من ترجمة الأصمعى عن القاضى ابن خلكان فى الوفيات والسيوطى فى البغية والشريشى فى شرح المقامات فشكراً للناشرين الفاضلين على هذه الطرفة الأدبية .

دائرة المعارف الاسلامية

من العدد ٧ إلى ١٢ من المجلد التاسع - نشر لجنة ترجمة الدائرة

أهديت إلينا هذه الأعداد الستة (٧-١٢) من المجلد التاسع لدائرة المعارف الإسلامية مترجمة بأقلام الأساتذة أحمد الشنتناوى ، وابراهيم زكى خورشيد ، وعبد الحميد يونس .

وقد راجعها من قبل وزارة المعارف الدكتور محمد مهدى علام . وتبدأ هذه الأجزاء الجديدة من مادة (دعان) وتنتهى بمادة (الرامى) . وقد حفلت بالكلام على الأعلام التاريخية والجغرافية التى لها فى نظر مؤلفى الدائرة أهمية ملحوظة فى تاريخ المسلمين مما يبتدىء بحرف الدال بعد كلمة دعان وجميع حرف الذال ثم حرف الراء إلى كلمة الرامى . ولا شك أن مؤلفى الدائرة من مستشرقين ومن استعانوا بهم من شرقيين وفوا هذه المواد حقها من البحث والتحقيق من وجهة نظرهم وبحسب اقتناعهم ، فكانت لذلك مما لا يستغنى عربى ولا مسلم عن الاطلاع عليه . وإن كانوا كثيراً ما لا تتفق أنظارهم واقتناعاتهم مع أنظار المسلمين واقتناعاتهم . ولحضرة الدكتور محمد مهدى علام تعليقات قيمة فى هذه المواطن ، وكانوا فيما مضى يعهدون إلى طائفة من العلماء باستيفاء هذه الملاحظات ، ومواد الدائرة جديرة بذلك وبأكثر منه .

السودان من ١٨٤١ إلى ١٩٥٣

أصدرته رآسة مجلس الوزراء ، فى ٤٥٥ صفحة كبيرة ، المطبعة الأميرية بالقاهرة

أهدت إلينا رآسة مجلس الوزراء هذه المجموعة العظيمة من الوثائق الرسمية عن وهو تاريخ السودان من ٢١ ذى القعدة ١٢٥٦ (١٣ فبراير سنة ١٨٤١) الفرمان السلطانى من الدولة العثمانية لمحمد على عن مقاطعات نوبيا ودارفور وكوردوفان وسنار إلى الوفاق المعلوم سنة ١٨٩٩ ، ومنه إلى معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ثم وثائق السودان بعد تلك المعاهدة ، والسودان أمام مجلس الأمن ، والسودان بعد مجلس الأمن ، وأخيرا السودان فى العهد الجديد من المذكرة المصرية فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٢ إلى اتفاق الأحزاب السودانية فى ١٠ يناير سنة ١٩٥٣ ، فمباحثات الرئيس محمد نجيب واستيفنسون من ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٢ إلى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ . فهو كتاب جمع كل ما تحت يد مصر من وثائق رسمية عن السودان فى جميع هذه العهود ووضعها بين يدى أمة النيل لتكون على علم بها ومحيطة بكل ما طرأ على السودان من أطوار . وختم الكتاب بنص اتفاق الحكومتين المصرية والبريطانية فى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ بشأن الحكم الذاتى وتقرير مصير السودان والخطابات المتبادلة بين الحكومتين ونظام الحكم الذاتى الصادر فى ٢١ مارس سنة ١٩٥٣ فشكراً للحكومة المصرية على هذا العمل الجليل الذى فيه خدمة للعلم والوطن .

القاديانية

للأستاذ أبي الحسن على الندوى — طبع الهند

الأستاذ أبو الحسن الندوى معروف لقراء العربية ، بمؤلفاته الكثيرة المنتشرة ، والعنوان الكامل لهذه الرسالة (القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام) وهذا المعنى مستعار من مقال للشاعر الأعظم محمد إقبال ، وهو يوافق ماأعلنه مؤسس القاديانية غلام أحمد ونشرته جريدتهم الرسمية (الفضل) بتاريخ ٣٠ يولية ١٩٣١ وهو قول غلام أحمد القادياني « إننا نخالف المسلمين فى كل شيء : فى الله ، فى الرسول ، فى القرآن ، فى الصلاة ، فى الصوم ، فى الحج ، فى الزكاة ، وبيننا وبينهم خلاف جوهرى فى كل ذلك » . ويقول مؤسس القاديانية فى صفحته ١٠ من الطبعة السادسة من ملحق كتابه (شهادة القرآن) :

« لقد ظللت منذ حداثتى وقد ناهزت الآن الستين أجاهد بلسانى وقلمى لا صرف قلوب المسلمين إلى الاخلاص للحكومة الانجليزية والنصح لها والعطف عليها ، وأنفى فكرة الجهاد التى يدين بها بعض جهالهم والتى تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة » .

هذه الحقائق يجدها القارىء المسلم بنصوصها وتعيين مراجعها فى هذه الرسالة الوجيزة للأستاذ أبى الحسن الندوى . لجزاه الله عن الإسلام خيراً .

أدب الأخوة

للأستاذ السعيد الشربينى الشرباصى - ١١٧ ص - مطبعة دار الكتاب العربى

هو كتيب لطيف مملوء بالنقول والمختارات وحسن التوجيه عن أدب الأخوة فى الإسلام بدأه بفصل عن المودة والقربى ، ثم عقد فصولا لاختيار الإخوان ، وحقوقهم فى المال والمعاونة بالنفس واللسان وتناسى الهفوات ، والإخلاص والوفاء ، وترك التكلف وعدم التكليف . وختمه بخطاب عنوانه « يا أخى » ناجى فيه كل مسلم أن يعرف موضعه فى البشرية فينزل المغرور من علياء سمائه الوهمية إلى دنيا الأخوة وميدان سعادتها ، ويرتفع المستعبد من حضيض العبودية إلى دنيا الأخوة وميدان سعادتها ، فإن لكلمة « أخى » عذوبة فى الآذان ووقعا فى الجنان ، بما تولده من ثقة بين المتخاطبين والمتعاونين فتجعل الكبير لا يحس بأنه فوق والصغير لا يشعر بأنه تحت .

فكتيب « أدب الأخوة » كتاب أدب وأخلاق وحسن توجيه ، فنلفت أنظار الشبان إليه .

نظام الحكم فى الاسلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون ، ٩٦ ص ، مكتبة وهبة بالقاهرة

هو بحث ممتع لفضيلة الأستاذ الشيخ صادق إبراهيم عرجون شيخ معهد أسيوط الدينى ألقاه على أساتذة ذلك المعهد وطلبته وعلى أهل الفضل والمكانة فى عاصمة الصعيد ، وبناه على بيان أن ما نحن فيه الآن من تقصير عن الأخذ بنظام الحكم فى الإسلام إنما هو نتيجة خطة رسمها الاستعمار لنا فى غفلة المسلمين عنه ، وقد بدأ الاستعمار رسم خطته هذه بعد وقوف غلادستون رئيس الوزارة الإنجليزية فى مجلس العموم وإعلانه أنه ما دام القرآن قائماً بين المسلمين فلن يتم للغرب عمل بينهم . قال فضيلة الأستاذ المحاضر : وهو لا يعنى طبعاً بقيام القرآن بين المسلمين هذا اللون التعبدى بتلاوة القرآن ، ولكنه يعنى قيامه بينهم قياماً عملياً بجعله دستورهم الذى يوجه سياستهم ويصرف شئونهم العملية فى الاجتماع والاقتصاد والتربية والتعليم .

ثم تناول قضية فصل الدين عن السياسة وبين أن ذلك ينطبق على غير الإسلام ، وأن من خير الإنسانية أن تستنير فى سياستها بهدى الإسلام ، وأن فى ذلك علاج الأمم كلها من أوصابها التى تئن منها الآن أنيناً ، ولو عرفت كيف تستنير بالإسلام فى سياستها وأنظمة حكمها لوجدت فى ذلك سعادتها كاملة .

والمحاضرة التى استغرقت ٩٦ صفحة مليئة بأنصع البراهين على صحة هذه الحقيقة ، لو شئنا أن نقتبس منها كل ما فيها من حق لكان حتما علينا أن ننقلها كلها . فعلى كل أزهرى وعلى كل أخ مسلم أن يقرأ رسالة (نظام الحكم فى الإسلام) لفضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون ثم يعيد قراءتها أكثر من مرة ، لا ليتمتع ببلاغتها وما فيها من حقائق وحسب ، بل ليؤمن بما فيها من تلك الحقائق وليعرف طريق الهدى الذى شرعه الإسلام للمجتمع الإسلامى والإنسانى .

التقرير السنوى

عن أعمال قسم الانكلستوما والبلهارسيا

أهدى إلينا قسم الإنكلستوما والبلهارسيا تقاريره السنوية عن أعماله الإنسانية المشكورة من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٤٩ وفيه إحصائيات دقيقة عن الأعمال التى قام بها هذا القسم

فى كل عام ، فى أقسامه الخارجية وأقسامه الداخلية ، والوحدات الجديدة التى لا يزال ينشئها تباعاً ، والتحسينات فى أنظمة العمل . ولما كانت الانكلستوما والبلهارسيا من أخطر الأمراض التى تفتك بالعدد الأكبر من جمهور الشعب المصرى ، فإن العمل لمقاومتهما من أعظم ما تقوم به وزارة الصحة العمومية فى مصر .

خواطر فى الأدب

ودراسة نصوصه ونقـــدها

للأستاذ أحمد مظهر العظمة ، ٧٤ ص قالبين ، مطبعة الترقى بدمشق

الأستاذ أحمد مظهر العظمة رئيس تحرير رصيفتنا مجلة (التمدن الاسلامى) بدمشق ، وعضو لجنة التربية والتعليم فى وزارة المعارف السورية ، وقد سبق لنا التنويه بكتابه (مذاعات فى الاسلام) فى جزء رمضان من العام الماضى . وبين أيدينا الآن هذا الكتاب (خواطر فى الأدب) من مؤلفاته . وهو ينطوى على فصول : الأدب وإصلاح المجتمع ، ملاحظات على أدبنا الحديث ، جمال الأسلوب ، دراسة النصوص الادبية ، البحترى يصف الإيوان ، ابن الرومى يرثى البصرة ، موازنة بين نكبة البصرة ونكبة دمشق ، النقدالأدبى ، الذوق والنقد الادبى . فنلفت إليه الأنظار .

اليمـامة

صحيفة أدبية نفيسة صدرت من الرياض عاصمة نجد ، وهى الصحيفة الأولى فى تاريخ هذا القطر العربى الصميم ، لمديرها ورئيس تحريرها الأستاذ الشيخ حمد الجاسر أعلم من نعرفهم اليوم بأنساب العرب وجغرافية البلاد العربية ولاسيما الشمالية منها . وقد اطلعنا على الجزء الاول منها لشهر ذى الحجة المنصرم فرأيناه حافلا بالفصول الممتعة والتحقيقات القيمة مما يعز مثله فى الأقطار العربية العريقة فى الصحافة . وإذا استمرت هذه المجلة فى طريقها كما يريده لها منشئها الفاضل ، فاننا نرجو أن تكون إن شاء الله من مفاخر الثقافة فى جزيرة العرب .

الأدب والعلوم فى شهر

المؤتمر العلمى العربى

انعقد فى أواخر شهر ذى الحجة المنصرم المؤتمر العلمى العربى الأول فى الاسكندرية وعرضت عليه بحوث علمية بلغت نيفاً وستين بحثا قال عنها الدكتور مصطفى نظيف رئيس المؤتمر إن فيها ابتكاراً وفيها إضافات جديدة للعلم لا يقل مستواها عما ينشر فى المجلدات العلمية الغربية . وقد أثبتت شعبة البحوث المبتكرة أن فى الأمم العربية بداية حركة علمية صحيحة تبشر بمستقبل زاهر . وسوف تنشر فى سجل أعمال المؤتمر باللغة العربية .

وألقيت فيه من المحاضرات خمس فى تاريخ العلم عند العرب ، ووردت ست محاضرات أخرى لم يتسع الوقت لإلقائها .

وعالج المؤتمر هذه المشكلات الأربع :

المصطلحات العلمية .

التأليف والترجمة والنشر .

إعداد مدرسى العلوم .

العلم والاقتصاد القومى .

وكل مشكلة من هذه المشكلات لاتزال محتاجة إلى أن تهيأ الفرصة الكافية لدراستها دراسة كاملة .

وقد اتفق الرأى فى اجتماع الرؤساء والوفود ومقررى اللجان والأمين العام المساعد للجامعة العربية ومدير الإدارة الثقافية على أن يتقدموا إلى المؤتمر باقتراح إنشاء (اتحاد علمى عربى) يكون هو الجهاز العملى الذى يتحقق بواسطته التعاون العملى بين أبناء العروبة ، تتولى تأسيسه هيئة تؤلف تحت إشراف الإدارة الثقافية للجامعة العربية . وستبذل الجهود الممكنة لإنشاء هذا الاتحاد على أسس وطيدة ، ويسعى لدى مؤتمر وزراء المعارف العرب الذى سيعقد فى الاسبوع الثانى من المحرم للحصول على المساعدات الأدبية والمادية لمشروع الاتحاد العلمى العربى

أصل النيل :

كان المعتبر أن أصل النيل من بحيرة كبرى فوق الهضبة الاستوائية أطلق الإنجليز عليها اسم (فكتوريا نيانزا) . وقد تبين بعد ذلك أن فى تنغانيقا نهرين يطلق الوطنيون عليهما إسمى (زوفوفو) و (كاجيرا) يلتقيان فى غابة كثيفة بالقرب من (رواندة) ويؤلفان الأصل الأول للنيل عند انصبابهما فى بحيرة فكتوريا نيانزا ويكون منهما حينئذ شلالات رائعة قلما يوجد نظير لها فى بقاع أخرى .

وقـــد وصل أخـيرا العـالم الجغرافى مستر لوملى إلى هـذه الشلالات ولمح فى جذع شجرة تواجه هذا المكان تجويفا وضعت فيه جرة من زجاج ذات غطاء لولبى ، فلما فتحها وجد فيها ورقة موقعا عليها فى أوقات مختلفة بخمسة أسماء لرحالين من الألمان تاريخ أقدم توقيع منها سنة ١٨٩٠ ويقول صاحبه إنه أول رجل وصل إلى منبع النيل . وقـد أضاف لوملى توقيعه فى هذه الورقة وأبقاها فى مكانها .

مكتبات المدارس المصرية

شكا كاتب فى الأهرام (٩ ذى الحجة) من أن الاعتراف بالمكتبات فى المدارس المصرية لا يعدو أن يكون رمزاً ، والغالبية العظمى منها عبارة عن مخازن للكتب يسوء الباحث فيها ما بها من إهمال وسوء نظام ، وليس لها دستور غير « لائحة المخازن » التى لا تطلب من أمين المكتبة إلا سلامة « العهدة » أما إدراك الأغراض التى تنشأ من أجلها المكتبات ، وتيسير تدريب التلاميذ على استعمال الكتب والإفادة منها ، وتوفير المادة التى تثير رغبات التلاميذ وتشبع ميولهم خارج نطاق المنهج الدراسى ، وإعداد الأطفال لفهم نظام المكتبات العـامة ، وغرس الميل إلى القراءة فى نفوس التلاميذ ، فهذه أمور لا حظ لها من العناية والاهتمام فى مكتبات المدارس المصرية .

الخوف من الجامع على الجامعة

فى إحدى الصحف اليومية ركن يزعم أنه يريد الاتجاه « نحو النور » ، ولكنه يريده من غير نور الله ، ولذلك يخطىء القصـد كثيراً ويتعثر الناس بما فيه من ظلمة . وقد أحس هذا الركن فى تلك الجريدة بأن جامعة القاهرة تنوى أن تنشىء مسجدا ، لأن المصلين كثروا جدا بين طلبتها وصـار المسجد حاجـة من حاجاتهم ، فانبعث من ذلك الركن فى تلك الجريدة صوت يقول « لسنا نحب أن يختلط الأمر علينا فيصبح حرم العلم المحرر من كل قيد للبحث والرأى ، المطلق من ارتباطه بدين من الأديان أو معتقد من المعتقدات ، وكأنه مخصص لدين معين أو معتقد معين » .

وقد سمعنا طلبة من جامعة القاهرة يقولون عند ما وقع نظرهم على هـذا الكلام : إن الجامعة اليوم زاخرة بطلبة يرون حاجتهم إلى المسجد لا تقل عن حاجتهم إلى قاعـة الدراسـة ، بل حاجتهم إلى المسجد أعظم . وكاتب « نحو النور » عند ما يرسل مثل هذه الصيحات يرسلها من ركن مظلم ، ولو أنه خطا خطوات أخرى نحو النور لعلم أن الجامعة اليوم غير الجامعة التى كان يعرفها لما كان طالبا

عميد كلية الحقوق
يتكلم عن نظام الإسلام

سأل مندوب إحدى المجلات الأسبوعية الدكتور عثمان خليل عثمان عميد كلية الحقوق

عن رأيه فى فصل الدين عن الدولة فى العصر الحديث ، فأجابه « أنا شخصياً لم أشعر فى يوم - وأنا بصدد التفكير فى مواد الدستور - أنى أفكر فى الأمر كمسلم ، إلا فى لحظات محدودة حدثنى فيها بعض الأشخاص عن هذا الموضوع . واعتقادى الشخصى أن النص على أن دين الدولة هو الإسلام لا ينفع مسلماً ولا يضر غيره . وأملى أن يبحث هذا الموضوع من ناحية مصرية فقط ، ثم قال « إن الإسلام لم يفرض على الناس نظاماً معيناً للحكم ، وإنما فرض أساسين هما الشورى والعدل . فكل نظام يتفق مع الزمن ومقتضياته يعتبر صحيحاً من الناحية الإسلامية ما دام يحقق الأساسين السابقين أما ما يخالف الشرائع أو ما قد يبدو أنه يخالفها من أحكام تفصيلية فهذا مرده إلى القوانين العادية لا إلى الدستور » .

وقد توخينا نقل هذه الجمل من كلام عميد لكلية حقوق مصرية لنسجل ناحية من نواحى التفكير عند ذوى المكانة العلمية فى الفقه والتشريع من أبنائنا . وليفكر العلماء بالتشريع الإسلامى فى مبلغ انطباق هذا الكلام على دين الأمة المصرية . ثم أليس من مهمات الدستور فى أمة مسلمة أن ينص على وجوب تحرى وجهة الإسلام فى الشورى والعدل ، وعلى اشتراط مبادىء تلائم دين الأمة عند سن قوانينها .

تنظيم الأزهر

تألفت لجنة عليا برآسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لإعادة تنظيم الأزهر وتنقيح مناهجه ، وتكوين الطالب الأزهرى تكوينا يعده للاضطلاع برسالة الإسلام فى خلقه وتوجيه الإسلامى وتجهيزه بالعلم النافع الذى يعينه على مهمته السامية بعد إتمام دراسته .

وقد اختار حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر لعضوية هذه اللجنة العليا أربعة من أعضاء جماعة كبار العلماء وهم أصحاب الفضيلة الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج ، والدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ عبد اللطيف محمد السبكى ، وصاحبى الفضيلة الشيخ محمد البسيونى زغلول شيخ معهد دسوق ، والشيخ طه محمد الساكت المفتش بالأزهر ، وحضرة الأستاذ محمد أحمد الغمراوى أستاذ الكيمياء فى كلية الطب بجامعة القاهرة سابقا ، والأستاذ محب الدين الخطيب رئيس تحرير هذه المجلة الذى تولى سكرتارية اللجنة العليا .

وقد افتتح عمل اللجنة بتلاوة تقرير مطول كتبه رئيس تحرير هذه المجلة عن مواطن الضعف فى المناهج الحاضرة وضرورة إعادة النظر فيها لتتمشى مع حاجة العالم الإسلامى الحاضرة ولتكون أكثر استجابة

لمقاصد الإسلام وتحريا لأهداف رسالته.

وقد أخذت اللجنة العليا فى دراسة هذه الأمور من أسسها، وستمضى فيها بعزيمة وحكمة بقدر ما ييسر الله لها من أسباب النجاح والتوفيق.

العربية بالبنك الأهلى

أصدر الأستاذ أمين فكرى محافظ البنك الأهلى قراراً بعد عيد الأضحى بأن تكون العربية اللغة الرسمية للبنك وفروعه وتوكيلاته فى أنحاء الجمهورية المصرية فتكتب بها دفاتره ومراسلاته وتكون بها معاملاته وأعماله.

العربية

فى مؤتمر هيئة الأغذية والزراعة

فى مستهل الجلسة الخامسة للمؤتمر الإقليمى الثالث لهيئة الأغذية والزراعة وقف رئيس وفد المملكة العربية السعودية السيد أحمد عبيد مدير الزراعة وقال إنه يلاحظ - مع الأسف والدهشة - أن اللغة السائدة فى مداولات المؤتمر هى اللغة الإنجليزية، رغم وجود سبع دول عربية ممثلة فى المؤتمر. فقال رئيس المؤتمر: هذه المسألة كانت محل بحث فى جلسة سابقة، أى قبل حضور السيد أحمد عبيد وتوليه رياسة الوفد السعودى، ورأى أن تكون هناك لغة موحدة يفهمها جميع أعضاء المؤتمر، ولهذا وقع الاختيار على اللغة الإنجليزية. فعاد مدير الزراعة السعودى وقال إنه لا يسعه إلا أن يطلب العودة إلى مناقشة هذه المسألة بمناسبة حضوره أول جلسة للمؤتمر عقب وصوله من بلاده، وأضاف قائلا: إن وجود سبع دول عربية فى المؤتمر كان خليقاً أن يجعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية لمداولات المؤتمر ومناقشاته، وإن عدم الأخذ بذلك واختيار لغة أجنبية كاللغة الإنجليزية لتكون وسيلة التفاهم بين الأعضاء فى مداولاتهم أمر يتنافى مع المنطق والواجب والكرامة، وعلى أثر ذلك، اتخذ المؤتمر قراراً بأن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى المناقشات.

مدينة جامعية بدمشق

صدر مرسوم تشريعى بانشاء مدينة جامعية فى دمشق تضم أبنية لإيواء الطلبة، وأندية، وملاعب، ومطاعم وقد أبيح للدول العربية وللهيئات أن تنشىء فى هذه المدينة أجنحة للطلبة بموافقة وزير المعارف السورية.

مدرسة عربية فى القدس:

تبرع سمو الأمير سعود ولى عهد المملكة السعودية بمائة ألف جنيه لإنشاء مدرسة ابتدائية فى القدس تتسع لخمسمائة تلميذ يتلقون تعليمهم الابتدائى مجانا ويقدم لهم الطعام واللوازم المدرسية، وقد تبرع بمائة ألف جنيه أخرى لنفقات المدرسة.

أنباء العالم الإسلامي

ميثاق الضمان الجماعي العربي

من الميزات العسكرية لميثاق الضمان الجماعي العربي أنه جعل من الجيوش العربية جيشا واحدا . وسيجعل كل جيش عربي منفردا في نوع خاص من الأسلحة يتمشى وطبيعة جنوده وإن اللجنة العسكرية تراقب التطورات الخاصة بذلك بوسيلة عملية عندما تجرى الجيوش العربية مناوراتها المشتركة .

وقد رسم الميثاق الطرق أمام الدول العربية في تحالفها مع الغرب بأن لا تسلك أية دولة في علاقاتها الدولية مع الدول الأخرى مسلكا يتنافى مع أغراضه .

أما ميزات الميثاق من الوجهة الاقتصادية فأهمها أنه جعل من الدول العربية (وحدة اقتصادية) يكمل بعضها البعض الآخر . وسيترتب على ذلك أن تمنع الدول العربية كل تدخل أجنبي في اقتصادياتها الكثيرة المنوعة ، وتقيم سدأ في وجه الغرب الذى كثيرا ما عبث باقتصاديات الشرق .

المغرب وجامعة الدول العربية

استعرض مجلس جامعة الدول العربية الحالة العامة في كل من مراكش وتونس والأحداث الخطيرة التي تسود أرجاء هذين القطرين الشقيقين .

وقد أحيط المجلس علماً بما أقدمت عليه السلطة الفرنسية من خلع سلطان مراكش سيدى محمد بن يوسف ونفيه وأسرته إلى جزيرة كورسيكا .

وإن جامعة الدول العربية - التي تعتبر القضية المراكشية قضية عربية تهدف إلى الحرية والاستقلال - تستنكر أشد الاستنكار هذا العدوان على السيادة المراكشية ، وبرى مجلس الجامعة أن هذا التدبير الجائر يتجافى مع ميثاق الأمم المتحدة ، فضلا عما فيه من انتهاك صريح للمعاهدات الدولية الخاصة بمراكش .

وأن دول الجامعة العربية التي تحرص على رعاية الأماني الوطنية للشعب المراكشي الشقيق ، تعلن أنها لا تعترف بأى حال من الأحوال بالأوضاع غير الشرعية التي فرضتها السلطات الفرنسية في مراكش . وقد كانت دول الجامعة العربية تأمل أن تحترم فرنسا القرارات التي أصدرتها الأمم المتحدة بشأن

تونس ومراكش . وتسلك سبيل المفاوضة السياسية للوصول إلى حل سلمى عادل يقوم على أساس ميثاق الأمم المتحدة ، ولكن فرنسا قد تجاهلت مشيئة الأسرة الدولية .

من أجل هذا رأى مجلس الجامعة ، كخطوة أولى ، أن تواصل الوفود العربية وإلى جانبها بقية وفود المجموعة الآسيوية الافريقية لدى الأمم المتحدة الجهود السياسية لبسط ظلامة هذين القطرين الشقيقين أمام الجمعية العامة فى دورتها الحاضرة ، وتعبئة جميع الجهود الدولية فى أروقة الامم المتحدة لتحقيق الحرية والسيادة لهذين القطرين الشقيقين .

ومجلس الجامعة إذ يرقب الحالة فى مراكش وتونس بالمزيد من الاهتمام والعناية يواصل تأييده لمراكش وتونس فى كفاحهما الباسل لنيل الحرية والسيادة والاستقلال .

ويأمل مجلس الجامعة أن تستطيع الجمعية العامة فى دورتها الحاضرة حمل فرنسا على تلبية الأمانى المشروعة فى مراكش وتونس تجنباً لاتخاذ (تدابير معينة) يلح الرأى العام العربى فى اتخاذها .

رد اللطمة لفرنسا

تساءل الدكتور محمد صلاح الدين فى مقال كتبه لإحدى الصحف الأسبوعية فى القاهرة ماذا تفقد مصر لو قررت قطع العلاقات السياسية بفرنسا : وأجاب : انها لا تفقد شيئا ، ولذلك يجب ألا تخشى شيئا .

وتساءل : ماذا يخسر الشعب المصرى لو قرر مقاطعة فرنسا اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وأجاب : انه لن يخسر شيئا ، إلا بعض مظاهر المتعة والترف - إذا صح أن يعتبر هذا خسرانا - وهو مع ذلك يستطيع أن يستبدل بها متعا أخرى يستوردها أو يسعى إليها فى غير فرنسا .

ثم قال : وما ينطبق على مصر حكومة وشعبا ينطبق كذلك على العراق والمملكة السعودية والمملكة الأردنية واليمن المتوكلية ، بل على سوريا ولبنان اللتين تخلصتا بحمد الله من نير فرنسا ، ومن الخير أن يكون خلاصهما منه شاملا كاملا لاتشوبه أية شائبة من أى سبيل .

الحق أننا نستطيع أن نرد على اللطمات المؤلمة التى يوجهها الاستعمار الفرنسى إلينا بلطمات مؤلمة مثلها دون أن نخشى شيئا . بل أنا أعتقد مخلصا أن مقاطعة فرنسا رسميا وشعبيا ، سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ، هو أحسن السياسات لخير القضايا العربية كلها .

ولاية كشمير

الأستاذ الاكبر يدعو إلى استفتاء أهلها

أذاع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر البيان التالى يوم ٧ ذى الحجة ١٣٧٢ (١٧ / ٨ / ٥٣) :

« اطلعنا على الأنباء الواردة عن الحالة في ولاية كشمير .

« ولما كان هذا القطر إحدى الولايات التي كان يترأسها الأمراء ، وترك لها - عند تقسيم الهند إلى هندستان وباكستان - حق تقرير مصيرها ، ثم أيد مجلس الأمن هذا المبدأ وقرر بواسطة لجانه المعينة لدراسة هذه المشكلة تسويتها عن طريق استفتاء حر نزيه ، والشعب الكشميري نفسه يرى لنفسه حق تقرير المصير .

« لذلك نسدي خالص النصح لكل من لهم علاقة بهذا الأمر بأن يبادروا حالا إلى حل هذه المشكلة بإجراء استفتاء حر نزيه في جميع أنحاء ولاية كشمير عن رأيها وإرادتها في تقرير مصيرها ، إبقاء على المودة والتعاون في القارة الهندية والشرق الناهض ، ولإعادة الطمأنينة والاستقرار في هذه البقعة العزيزة على الجميع ، وعملا بالحق الذي أعطى لهذه الولاية عند تقسيم الهند إلى هندستان وباكستان ، ولا يمكن التحلل منه إلا بتحقيقه في الحال ، ونعتقد أن في ذلك مصلحة الجميع ، وبذلك يتفرغ الشرق إلى واجباته نحو نهضته التي نرجو من الله لهم فيها كل توفيق ونجاح » .

إيران

طال أمد التنافس على الاستئثار بالحكم في إيران بين الشاه ورئيس وزارته الدكتور مصدق ، حتى وصلت الحال في البرلمان الإيراني بين أنصار مصدق ومعارضيه إلى المهاترة والضرب وما لا يستطاع وصفه . فأجرى مصدق استفتاء عاما لحل هذا المشكل كانت نتيجته خذلان أنصار الشاه وانتصار مصدق بتأييد حزب تودة انتصاراً جارفا . وقيل إن مؤامرة دبرت لإحداث انقلاب عسكري لمصلحة الشاه . ولكن سرعان ما أحبطها مصدق يوم ٦ ذي الحجة (١٦ أغسطس) وقبض على زمام الموقف وفر شاه إيران إلى العراق ومنها إلى أوربا . وما لبث أنصار الشاه أن استأنفوا نشاطهم وقاموا بمظاهرات لحقت بها الفصائل العسكرية التي استطاع الجنرال زاهدي تعبئتها بسرعة ، فأخذ مصدق على غرة ، وسقطت حكومته ، وقبض عليه ، وعاد شاه إيران إلى بلاده . ومن ثم ارتفعت أسهم الشركة البريطانية للبترول الإيراني ، واستبشر الأمريكيون خيراً ، ولا يزال مصدق معتقلا تحت يد حكومة الجنرال زاهدي . وقد أعلن الشاه أن خزانة الدولة الإيرانية خاوية ، وأنه يرحب بالعون من أية دولة لإنقاذ البلاد .

إيران ودولة إسرائيل :

كانت دولة إيران قد اعترفت في سنة ١٩٤٨ بدولة إسرائيل ، ثم سحب الدكتور محمد مصدق هذا الاعتراف في عهد حكومته الأولى .

ولما سقطت حكومة مصدق الآن توقعت الأمة العراقية المجاورة لإيران أن تعود إيران للاعتراف بدولة اليهود ، فأرسل علماء العراق برقية مستعجلة إلى الحكومة الإيرانية يحذرونها من الوقوع فى هذه الزلة ، ثم تألف وفد من كبار رجال الدين وبعض الشخصيات العراقية لزيارة طهران ومقابلة الشاه والجنرال زاهدى رئيس الوزراء والمداولة معهما فى هذا الأمر الذى لا يليق بحكومة تنتسب إلى الإسلام

والظاهر أن حكومة العراق أيضاً كتبت إلى حكومة إيران تلفت نظرها إلى هذا الأمر وتحذرها منه . فأجاب الجنرال زاهدى على ذلك بأن هذه المسألة لم تكن موضوع بحث ، ووعد بأن لا تعترف إيران باسرائيل .

تقدم مصر العسكرى

قال رئيس الجمهورية المصرية لمراسل وكالة اسوشيتد برس لمناسبة مرور عام على توليه رآسة الوزارة : لم يزد الجيش المصرى وحداته المقاتلة بإضافة جديد إليها كجنود المظلات فحسب ، ولكنه توسع أيضاً فى التدريب الفنى وقطع شوطاً بعيداً فى إنشاء المصانع العسكرية التى ستزود الجيش عما قريب بما هو فى حاجة إليه من أسلحة وعتاد .

تكتل العرب العسكرى

خطب رئيس أركان حرب الجيش المصرى فى (مؤتمر رؤساء جيوش العرب) المنعقد فى القاهرة فى منتصف ذى الحجة (٢٦ أغسطس) فقال :

« لقد انتهى وقت العمل الفردى ، ولم يعد جهد الدولة بمفردها — مهما عظم — مجديا . فلابد من التكتل والتكاتف . ولقد اجتمعنا اليوم لوضع أسس ذلك . لقد رسم لنا (ميثاق الضمان الجماعى للدول العربية) خططه وأساليبه ، وحدد لنا ولممثلينا أعضاء (اللجنة العسكرية الدائمة) واجبات وحدوداً . فعلينا نحن العسكريين أن ندرس هذه الواجبات والاختصاصات دراسة وافية ، لإصدار التوصيات ، ولتوجيه اللجنة العسكرية الدائمة ثم دراسة مقترحاتها ، لنتقدم بها إلى (مجلس الدفاع المشترك) . ورائدنا فى ذلك أن نتقدم إلى هذا المجلس الموقر بما يزيد جامعة الدول العربية قوة ويرفع من شأنها ويؤيد كلمتها . وإنى أقدر بعد نظر واضعى المعاهدة ، فلم يقصروها على المواضيع العسكرية ، بل أضافوا إليها مسائل (التعاون الاقتصادى) ، وكلنا يعلم أهمية الاقتصاد والحرب الاقتصادية فى الحروب العصرية ، وكلنا يقدر ما للعلاقة بين السياسيين والعسكريين من أهمية . والواقع أن كسب الحرب يتطلب تكاتف السياسى والاقتصادى والعسكرى ، فالأول يفكر ، والثانى يهىء ويعبد ، والثالث يدعم ويؤيد .

فعلينا أن نتحقق من أن تكون دراستنا مبنية على الفهم الصحيح للأوضاع السياسية والاقتصادية حتى تعزف الدول العربية نشيداً قويا تسير على خطاه القوات النظامية وشباب العروبة أجمعين بخطا قوية فى طريق النصر والقوة .

فرق الرماية بالمدارس

صدر قرار وزارى من وزارة المعارف المصرية بإنشاء فرقة للرماية بكل مدرسة ثانوية وما فى مستواها والمعاهد العالية . ويبدأ تنفيذ هذا المشروع من أول العام الدراسى القادم .

اليمن يستعين بالغرب :

قال الأمير سيف الاسلام الحسن رئيس وزراء اليمن لمندوب الاهرام : أجرينا منذ سنتين اتفاقا مع إحدى شركات الزيت الألمانية لاستغلال البترول الموجود فى أراضينا ، ثم توقفت الأبحاث بسبب التعويضات الألمانية لاسرائيل . وبعد أن اتضح موقف الدول العربية من ألمانيا بصورته الأخيرة أتممنا ما بدأناه البحث فيه ، فأكملنا الاتفاق الخاص باستغلال البترول ، وستتحمل الحكومة اليمنية نفقات التنقيب ، على أن تتولى الشركة - من بعد - جميع الأعمال الخاصة باستخراجه ، بشرط أن تنال الحكومة اليمنية ٧٥ ٪ من الارباح وللشركة الباقى إلى أن تستوفى أموالها التى أنفقتها . ومدة الاتفاقية ٩٠ عاما . وتركنا الباب مفتوحا بشأن إنشاء معمل تكرير إلى أن نحصر الأماكن التى يوجد فيها البترول وكميته . والاتفاق حدد الأماكن التى سيدور التنقيب فيها ، وللحكومة اليمنية مطلق الحرية فى الاستعانة بشركات أخرى للتنقيب فى مناطق أخرى .

ولقد اتفقنا مع شركة كروب لاستغلال الفحم والحديد ، وستبدأ الشركة عملها بعد شهر واحد .

واستعانت اليمن ببعض الضباط الأتراك والعراقيين لتدريب الجيش اليمنى .

واستعنا بالخبراء الايطاليين فى تشييد مصنع للأسمنت ، وستتألف شركة مساهمة من الايطاليين واليمنيين لإنشاء المصنع المذكور .

واستعنا كذلك ببعض الايطاليين للتنقيب عن الفحم فى بعض المناطق التى لم تعط للخبراء الألمان ، فاذا ثبت وجود الفحم أمكن حينئذ الاتفاق مع الشركة الايطالية .

احياء الصحراء الغربية :

يقوم عدد من ضباط الجيش المصرى والخبراء فى المدة الأخيرة بإحياء ستة آلاف فدان من الصحراء فى منطقة (فوكة) بمعاونة

« النقطة الرابعة » ، وقد أخذت الجرارات والهراسات والمحاريث الميكانيكية والآلات الزراعية الحديثة تشق الأرض هناك وتبث فيها البذور والمياه لزراعة أنواع معينة من النباتات التى تصلح للمراعى . وقد كانت هذه الجهات أرضا زراعية فى زمن الرومان ، وكانت فيه أهراء الحبوب التى تغذى أوربا . ولما أهملت زراعتها فى أواخر الدولة الرومانية جرفت السيول الطبقات الخصبة من التربية إلى البحر فتحولت هذه الأرض إلى صحراء معطلة . ولقيام هذا المشروع الإحيائى الآن استعين بواسطة النقطة الرابعة ببعض الخبراء الأمريكيين الذين مارسوا مثل هذا العمل فى صحراء أريزونا الأمريكية وبالآلات الصالحة لهذا العمل . وتدل التجارب على أن هذا المشروع سيكلل بالنجاح ، وستربى فى هذه المنطقة أنواع جديدة من الأبقار المكسيكية المهجنة لتوفير كمية كبيرة من اللحوم الجيدة .

صندوق الزكاة :

قام قسم التشريع بمجلس الدولة بصياغة مشروع قانون يقضى بإنشاء صندوق للزكاة بوزارة الشئون الاجتماعية يتلقى أموال الزكاة على أن تتولى لجنة عليا الإشراف على صرف الأموال المتجمعة من الصندوق فى أوجهها الشرعية .

افلاس نظام الاستعمار :

أعلن مسيو بيير منديس فرانس (أحد السادسة الذين كانوا مرشحين لرئاسة الوزارة الفرنسية) فى بيان نشرته صحف باريس الحقائق الآتية :

« ان نظم القرن التاسع عشر الاستعمارية قد عفى عليها الزمن . ومحمياتنا ومستعمراتنا القديمة فى حاجة إلى تغيير . وكلما كانت حكوماتنا تحاول تعديل سياستنا فى هذه المناطق - ولو تعديلا يتسم بالجبن - كانت تقف فى وجهها معارضة قوية لم يمكن التغلب عليها حتى الآن » .

وبعد أن ذكر فشل فرنسا فى الهندالصينية قال « إن لنا أن نتساءل : هل أفدنا من هذا الدرس ؟ وها ان أخطاءنا فى شمال أفريقيا تنجلى عن عواقب أوخم » .

سخاء بريطانى !

منحت حكومة الاستعمار البريطانى فى كينيا خمسة وعشرين جنيها لجندى وطنى من جنود البوليس مكافأة له على قتله شقيقه من رجال جماعة ماو ماو !

بترول ساحل الخليج العربي

بدأ استنباط البترول من طبقات الأرض السعودية قبل الحرب العالمية الثانية بسنة ، ولم يكن غزيراً وواسع النطاق ، فلم يصل إلى مليون طن مترى إلا فى سنة ١٩٤٤ . ثم ارتفع فجأة إلى ١٢ مليون طن فى سنة ١٩٤٧ وبلغ ٢٦ مليونا سنة ١٩٥٠ وقفز إلى ٣٧ مليونا سنة ١٩٥١ وإلى ٤٣ مليونا فى يونية سنة ١٩٥٢ .

وفى سنة ١٩٤٦ بدأ إنتاج البترول فى الكويت حتى إذا حلت سنة ١٩٥١ بلغ فيها ٢٨ مليون طن وفى سنة ١٩٥٢ بلغ ٣٧ مليونا وهو فى ازدياد .

وفى مقاطعة قطر قدر انتاج البترول بنحو ٣ ملايين طن وربع ولوحظ أن الأنابيب تتسع لأربعه ملايين ونصف مليون . ويستخرجون البترول فى قطر من آبار فى اليابسة وفى البحر .

أما فى جزر البحرين فلا يزيد انتاج البترول منذ بضع سنين على مليون ونصف مليون طن .

ويقدرون عدد العمال الذين يعيشون من صناعة البترول فى المملكة السعودية والكويت وقطر والبحرين بنحو خمسين ألف عامل .

الانجليز والفرنسيون فى ليبيا

فى حكومة ليبيا ٢٧٤ موظفاً انجليزيا يتقاضون مرتبات سنوية قدرها ٢٣٢ ألف جنيه و ٢٧٣ جنيها فى حين أن الإعانة البريطانية لليبيا لم تكن تزيد على مليون و ٢٠٠ ألف جنيه .

ولفرنسا فى منطقة فزان ٢٥ موظفاً تبلغ مرتباتهم ١٦٧٦٥ جنيها فى حين أن الإعانة الفرنسية لا تزيد على ٦٢ ألف جنيه ، وتريد فرنسا أن تفرض بقاء قواتها فى فزان لقاء هذه الإعانة التى يصرف جزء كبير منها للموظفين الفرنسيين .

الامريكيون فى البلاد الاسلامية

أعلن السناتور دوجلاس فى مجلس الشيوخ الأمريكى أنه يرى أن يفعل سفراء امريكا فى البلاد الإسلامية ما يفعله المسلمون ، أى أن يمتنعوا عن شرب الخمر . وسيطلب خفض الاعتمادات المخصصة للحفلات الدبلوماسية بمقدار مائة ألف دولار ، على أن لا يصرف شيء من هذه الاعتمادات فى شراء مشروبات كحولية للسفارات والمفوضيات الأمريكية فى الدول الإسلامية .

وحبذا المجاملة فى حقوق الأوطان كالمجاملة فى آداب المجتمع .

مؤتمر إسلامى فى نيروبى

دعت جماعة حماية الإسلام فى نيروبى علماء المسلمين وزعماءهم فى أفريقية الشرقية إلى مؤتمر يتداولون فيه الرأى للوصول إلى أحسن الوسائل لنشر الثقافة الإسلامية فى تلك المنطقة فانعقد المؤتمر فى أيام ٢٠ و ٢١ و ٢٢ من شهر ذى القعـــدة برياسة الشيخ عبد العليم الصديق وقرر :

١ — تأسيس مركز للدعوة الإسلامية تذكارا للعلامة السيد عبد الله شاه رحمه الله وتقديراً لجهوده الموفقة لخدمة الإسلام فى تلك الجهات .

٢ — إنشاء مدرسة تسمى (دار العلوم الإسلامية) لتخريج الدعاة للإسلام فى افريقية الشرقية .

٣ — إنشاء مكتبة علمية إسلامية .

٤ — نشر معانى القرآن الكريم وأحكامه وآدابه باللغة السواحلية .

٥ — تأسيس مكتب للتأليف والطبع والنشر بمختلف اللغات .

٦ — وضع رسالة تبين الأخطاء والدسائس فى ترجمة القرآن باللغة السواحلية التى وضعتها جماعة الغلام القاديانى وتحذير المسلمين منها .

٧ — إنشاء بيت لإيواء المهتدين إلى الإسلام .

٨ — إنشاء بيت لكفالة الأيتام ورعاية المعوزين .

٩ — إنشاء مستوصف لمعالجة الفقراء

١٠ — شكر الملك عبد العزيز آل سعود على ما بذلته حكومته من التسهيلات لدفن الداعية الإسلامى السيد عبد الله شاه فى جنة البقيع .

١١ - شكر سلطان زنجبار لإنشائه (المعهد الإسلامى) ورجاء العناية بتوسيعه وزيادة المدرسين والطلاب .

١٢ - شكر مشيخة الأزهر الشريف لإرسالها البعوث إلى إريتريا ومقدشو مما كان له أطيب النتائج فى نشر الثقافة الإسلامية .

١٣ - اقتراح إنشاء معاهد دينية فى أوغندة وتنغانيقا ونيروبى على غرار المعاهد الأزهرية .

١٤ - رجاء حكومة كينيا العدول عن ذبح المواشى بضربها على جبهتها وتحذير المسلمين من تناول لحوم هذه الذبائح اتقاء للشبهة .

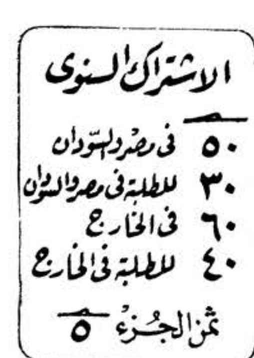
١٥ - شكر الجوالة الإسلامية على جهودها والاهابة بها أن تزيد عدد رحلاتها إلى القرى والأرياف لخدمـــة المواطنين وتحبيب الإسلام إليهم .

فهرس

الجزء الأول ـــ المجلد الخامس والعشرون







الجزء الثاني - القاهرة في غرة صفر سنة ١٣٧٣ - ١٠ أكتوبر سنة ١٩٥٣ - المجلد الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوى ضائعة

أولها هذا (النيل) الأعظم ، هبة الله الكبرى لهذا الوادي . وإن شكر الله عليها لا يتم إلا بمعرفة قدرها ، والضن بها ، وحسن استعمالها . ولو أن كل حكومة تولت مصر - من عشرة آلاف سنة إلى الآن - شقت من شاطيء النيل الشرقي أو الغربي ترعة واحدة في كل خمسين سنة أو مائة سنة ، لكان شاطيء مصر على البحر الأحمر ، وما بينه وبين النيل ، أعظم عمراناً من سويسرا وبلجيكا ، ولكان لمصر من حدودها الغربية إلى حدود ليبيا وطن آخر مخضر الربوع ، زاخر بأهراء الحبوب ، معتدل الجو بالنخيل والأعناب ، وبالفواكه أزواجاً وأنواعاً ، مائج بأمة عظيمة عزيزة تعيش من الأمن والنشاط والرخاء بما يتيح لها أن تكون به أمة مثالية سعيدة .

ولو أن حكومة التحرير لم يصدر عنها - في الخمسة عشر شهراً التي تولت بها أمر مصر - إلا تخطيط مديرية التحرير في الصحراء الغربية ، ومشروعات السدود ، والإصلاح الزراعي ، ونشاط التشجير ، لكان هذا من شكر الله عز وجل على ما وهب مصر من نعم أضاعها المسرفون ، وغفل عنها المبذرون ، ونام عنها من لا يستحقها من أهل الجشع واللهو والبطالة الذين يعيشون لعاجلتهم ، وليس في تفكيرهم نصيب لآجلتهم .

إن هذه اللجج الضخمة من ماء النيل لتنحدر فى الماء المالح جزافا وبلا حساب ، آناء الليل وأطراف النهار ، مسجلة علينا من آيات التقصير والتفريط والإهمال ما كان ينبغى أن تكتبه لنا ملائكة الرحمة حسنات لو أننا شكرنا الله عز وجل على نعمة النيل بإجراء كل قطرة منه فى تربة متعطشة إليه لتنبت به الغذاء والرزق لأمة تعظم بعظمته ، وتتسع بسعته ، أو تضمحل بتضييعه ، وتضعف بذهابه سدى - فيما وراء الأرض المصرية شمالا - كأنه لم يخلق لتحيا به التربة فتزدهر به الحياة والحضارة والقوة والسعادة والعمران .

وإن هذا النيل ، لو كان جارياً تحت أنظار غيرنا من عشرة آلاف سنة حتى الآن ، لقامت على شطآنه مصانع لكل ما تحتاج الأمة إليه ، ولما يفيض عن حاجتها ، فتصدره إلى أقاصى الارض ، مستفيدة من قوة الماء فى مجاريها ومنحدراتها . ولكن الذين كانوا يضيعون الماء نفسه فى البحر المالح ، بل يضيعون الأمة نفسها فى مباهج اللهو أو خمول الفاقة ، هل كان ينتظر منهم أن يفكروا فى قوة الماء وما يمكن أن نفيده منها فى صناعاتنا وعمراننا ؟

* * *

ومن القوى الضائعة (الوقت) تتعاون على تبديده جماهير الناس من أعلاها إلى أدناها ، وأخبث ما يبدد فيه الوقت عندنا هذه المقاهى العامرة بمختلف الطبقات : تركوا أزواجهم وبنيهم وذويهم فى البيوت ، أو فى خارج البيوت ، وأووا إلى هذه المقاهى يتلقفون فيها إشاعات السوء وأساليب المكر والختل ، ويفسدون الهواء بين جدرانها بدخان السجاير ، أو يبددون — مع أوقاتهم — ما كسبوه من خزينة الدولة أو مال الأمة . وقد نشرت الصحف عند كتابة هذه السطور أن رجال مكتب الآداب بالاسكندرية ضبطوا طائفة من الكبراء بينهم وزير سابق وهم يقامرون خلسة بمئات الجنيهات فى أحد مقاهى محطة الرمل . والذى يحدث فى مقاهى محطة الرمل بالاسكندرية يحدث مثله فى مقاهى ميدان الأوبرا وشارع فؤاد بالقاهرة ؛ فكلها عامرة بمن يبددون الوقت والعمر والمال على موائدها ، بل إن أحط المقاهى فى أفقر قرى الريف تبدد من وقت المزارعين والعمال الزراعيين وصحتهم وقروشهم ما يذهب بقدر لا يستهان به من ثروة الوطن وأقوات أهله وأوقاتهم وعافيتهم . ولو أن الدولة توكلت على الله — فى ساعة مباركة من ساعات التحرير والإصلاح - فقررت تحرير الوطن المصرى من هذه البؤر التى استعبدته وابتزت وقت الناس ونقدهم من أعلى الطبقات إلى أدناها لكانت فى عملها هذا من المحسنين المصلحين .

ومن (الوقت) الذى يضيع على الوطن - وتضيع بضياعه ثروة طائلة وخير عظيم - ما دلت عليه الدراسات الدقيقة من أن فى عمالنا من يستطيع أن ينتج خمسين فى المائة إلى مائة فى المائة زيادة على ما ينتجه فى المعتاد الآن . وإذا أضيف إلى ذلك ما يستطيعه من تجويد العمل والعناية بانفاقه لأمكن تقدير قيمة ذلك بخمسين أخرى فى المائة إلى مائة فى المائة . وهذه الزيادة المستطاعة فى (كمية) الانتاج وفى (كيفيته) لو شاء كل عامل أن يحققها لاستحق عليها من زيادة الأجر ما يناسب ذلك ويكافئه . فهو فى إحسانه وحسن استعماله للوقت يحسن إلى نفسه وأسرته أولا ، وإلى مصنعه وصناعته ثانياً ، وإلى وطنه ودولته أخيرا . وقد شاهدنا هـذا المرض - مرض تضييع العامل لوقته - فى مختلف طبقات العمال : من يؤدون فريضة الصلاة والصيام منهم ، ومن ابتلوا بالمكيفات وما إليها . وإن فيمن يؤدون الصلاة منهم من يظن - خطأ - أنه قد عمر بالصلاة ما بينه وبين الله ، وسيغفر الله له ما وراء ذلك ، فلا يبذل جهده فى حسن استعمال وقته إلا ما دامت عليه قائما . إن هذه القوة الضائعة من قوى الوطن فى حاجة إلى دراسة طويلة ، ومعالجة سريعة : لخير العمال ومن يعولونهم من جهة ، ولخير الامة فى نهضتها الاقتصادية من جهة أخرى . وما لوحظ فى طبقة العمال لوحظ مثله فى طبقة الموظفين .

ومما لاريب فيه أن فى العمال والموظفين من يراقبون الله فى عملهم كما يراقبونه فى عبادتهم ، وحديثنا ليس فى هؤلاء فانهم وياللأسف قلة ، بل حديثنا فى مرض لا شك أنه موجود ، ومن الخير مبادرته بالعلاج ، وهو من حق أبنائنا العمال علينا وعلى الوطن .

* * *

ومن القوى الضائعة كذلك ، هذه الأموال الطائلة التى رصدتها الامة على (التعليم) ، وهو ما برح - منذ نصف قرن وأكثر - يجافى (التربية) فلا يعترف منها إلا بناحية (التربية البدنية) . ولو أن لكل من التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتربية العقلية ، مهيمنين ومراقبين ومفتشين وخططاً وأساليب ومسابقات ومنشطات فى مدارسنا كما للتربية البدنية ، لما وقع كثير من الأمور التى أنشئت لها محاكم الغدر ومحاكم الثورة ، ولكانت مصر على غير ما نرى . ومن أجل هذه الناحية الضعيفة فى مدارسنا صار بعض رجال المعارف أنفسهم يختارون لأبنائهم مدارس أخرى أجنبية عنهم بجنسياتها ولغاتها ومذاهبها الدينية . وإنما يحببها اليهم أن فيها مالا نعنى نحن به من التربية العملية والتهذيب الدينى والخلق إلى جانب التعليم ، وإن كانت التربية العملية عندهم على أساليبهم القومية ، وتهذيبهم الدينى والخلق

مستمداً من مذاهبهم ومشاربهم . وما دمنا نشعر بهذا الضعف الجوهرى فلماذا لا نحرص فى مدارسنا على إيجاد هذه الضالة المنشودة من الجميع ؟ وما الذى يمنعنا من ذلك ؟ ولماذا لا يكون الغرض الأول من المدرسة تربية الخوف من الله فى نفوس الأطفال بعناية ومراقبة واهتمام كما يراقب الطبيب مريضه بميزان الحرارة وميزان ضغط الدم وبكل ما لديه من الوسائل ؟

ولماذا لا نرسم الخطط الدقيقة فى ذلك لجميع أبناء الوطن الذين تتلقاهم المدرسة وهم فى السادسة من أعمارهم ، ثم حين ينتقلون إلى الثانوى وهم فى سن المراهقة ، وعندما يصيرون جامعيين فى الكليات ؟ لماذا لا تحبب اليهم مدارسهم رسالات الله ، وتجعلهم يطمئنون اليها بقلوبهم وعقولهم ، ويؤمنون فى طفولتهم وشبابهم بأنهم سيلقون الله حقا ، ليجزيهم بإحسانهم وفضائلهم ما يكافىء ذلك من نعيم ورضا ، ويعاقبهم على سيئاتهم وأنانياتهم والتوائهم على الحق والفضيلة بما تستحقه هذه المساوىء من عقوبة ونقمة ؟

إن هذا الوطن شعر اليوم - بجميع حواسه - أنه أصبح فى حاجة إلى الأخلاق ، والنظام الجديد القائم لن يعيش فى ظله بعد اليوم خاصةً ولا عامة إلا بالدين والأخلاق ، ومن أين للدواطن أن يكون صاحب أخلاق إن لم تكن هى الغرض الأول من المدرسة ؟ وإذا لم تكن عناية المدرسة بها عملية وبالدرجة الأولى قبل عنايتها بالتعليم يكن التعليم (قوة ضائعة) ، ويكن المال الذى ينفق عليها (مالا ضائعاً) ، والوقت الذى يقضيه الطالب فيها (وقتاً ضائعاً) . وفى يدنا أن نتفادى ذلك كله إذا شئنا ، وبتفاديه نتفادى هذه الحوادث المتكررة التى ملأت أعمدة الصحف ، وصارت شغل المحاكم الشاغل . وقد تكون مسئولية هذا الانهيار - من الجانب الإيجابى - على دور الخيالة ، وما توحيه إلى النشء الساذج من عوامل الإجرام ، ودور الخيالة تستحق من الوطن إعادة النظر فى أمرها ، والتفكير العميق فى تغيير جميع اتجاهاتها ، ذلك ما لا ننكره ولا نكابر فيه ، إلا أن المدرسة أيضاً تتوجه إليها المسئولية - من الجانب السلبى - لأنها حتى فيما زادته من مواد الدين وحصص القرآن الكريم لا تزال مصرة على أنها معاهد تعليم لا معاهد تربية ، والعلم بلا تربية سلاح فى أيدى غير أهله ، وهذا ما نشكوه ويشكوه الوطن من عهد بعيد . إن المدرسة المصرية يجب أن يكون من أول رسالتها بث الخوف من الله فى قلوب أبناء الجيل ، لأن مصر متدينة ، وأبناؤها إن لم يربوا عمليا على الدين والخوف من الله والإيمان برسالاته ، فإن مدرستهم لا تكون حينئذ مصرية ولا تمثل هذه الأمة .

وقد يكون من الشجاعة الأدبية الاعتراف هنا بأن الأزهر نفسه يشاطر فى حمل مسئولية الأخلاق فى البلد ، ولكن الوضع الذى قام الأزهر على أساسه - بتلقيه طلابه وهم فى السادسة عشرة من أعمارهم إن لم نقل فى السابعة عشرة - قد جعل مهمة الأزهر شاقة ، وجعله فى حالة لا يتمكن فيها من تكوين طلبته كما تتمكن وزارة المعارف من تكوين طلبتها . فالأزهر يتلقى أبناءه بعد أن احتضنهم غيره من السادسة إلى السادسة عشرة ، فيأتونه غير مستكملين كثيراً مما يطلبه من الملتحقين به ، ولو مكنته ظروفه من أن يحك جلده بظفره ، ويقوم هو باعداد أبنائه من سن السادسة فيربيهم من نعومة أظفارهم على الأخلاق الإسلامية ويتولى بنفسه تحفيظهم كتاب الله كما يشترطه القانون فيمن يلتحق بالأزهر ، لاستطاع الأزهر أن يقدم للأمة والوطن دعاة الفضائل والأخلاق والنهضة والاصلاح العاملين بعلمهم الذين يقودون الأمة إلى أهدافها الصالحة ، ويكونون قدوة لها فى كل ما يدعونها إليه ، والأزهر إذا استطاع أن يستكمل هذا الجانب الضعيف فيه بمباشرته تكوين أبنائه من سن السادسة لن يكلف الوطن درهما واحداً ، فأبناء السادسة من المصريين جميعاً ملزمون بحكم القانون أن يلتحقوا بمدارس الدولة . ومن هؤلاء جميع الذين سيطرقون بعد ست سنوات أبواب الأزهر ليلتحقوا به ، والدولة تتولى تعليمهم من سن السادسة على كل حال ، ولكن وضع الأمور فى مواضعها وردها إلى طرقها الحكيمة هو فى أن تيسر الدولة إعداد العدد الكافى من الذين سيلتحقون بالأزهر بما يلائم طريقهم العلمى الذى سيختارونه فى حياتهم بأن يتولى الأزهر إعدادهم ، ويكون هو المسئول عنهم وعن حسن توجيههم من ناحية التربية والأخلاق ، ومن ناحية استيفائهم ما يشترطه القانون من حفظ كتاب الله ، والأزهر يكون بذلك قد ساهم فى مكافحة الأمية بهذا الشطر التابع له من أبناء الأمة ، وسيعلمهم كل ما تعلمه لهم وزارة المعارف فى مدارسها ، مضافا إليه حفظ القرآن كاملا ، والعناية بالتربية التى لا بد منها لمن سيقود الأمة إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق وصراط الله المستقيم .

* * *

مصر مسلمة ، ومن نظام الإسلام الاعتدال والاقتصاد وتجنب السرف والتبذير فى كل ما ينتفع به . ومما علمه الإسلام للمسلمين أن المتوضىء إذا كان يتوضأ من النيل الأعظم ينبغى له أن لا يسرف فى الماء ، لا خوفا على ماء النيل أن ينقص ، بل خوفاً على المسلم أن يتعود

السرف وأن يكون بالتبذير من إخوان الشياطين . ومن العجيب أن يكون هذا تعليم الإسلام ثم نكون جميعا مسرفين على أنفسنا فى كل شىء ، ونضيع ما لو حفظناه وأحسنا القيام عليه لكنا من أقوى الأمم ، بل أقوى الأمم .

وأخيراً ، انبرى لهذا البلد من يدعوه إلى « تحديد النسل » بدعوى أن نسبة المواليد إلى عدد السكان وصلت إلى ٤٠ فى الألف ، فانحط تبعا لذلك مستوى دخل الفرد من ١١ جنيها و ٣٤٠ مليما إلى ٨ جنيهات و ٥٠٠ مليما ، وقال أحدهم مخاطبا النساء : إن الحمل والوضع يشوه جمالكن ، والزنجيات فى مجاهل إفريقية يخفن على جمالهن من الحمل والوضع ، فتعلمن من زميلاتكن المتوحشات كيف تحافظن على جمالكن .

ويحدثنا الدكتور محمد عوض محمد فى أحد مؤلفاته عن الشرق والغرب أنه لقى فى أوربا آنسة مثقفة ابتهجت بلقائه لما علمت أنه مصرى مسلم فقالت له : إننا إذا أردنا أن نصف الدين المسيحى بلفظ موجز نقول عنه إنه دين المحبة ، وإذا أردنا أن نصف البوذية أو البرهمية نقول إنها دين كذا ، فهل تتكرم فتصف لى رسالة الإسلام بلفظ موجز أعرف منه ما هى رسالته إلى الإنسانية ؟ وقد اعترف مدير جامعة الإسكندرية بأنه لم يحر جوابا ، ولم يجد عنده ما يصف لها به الإسلام . ولو أنه قال لها « الإسلام دين الحق والخير » لما استطاع جميع علماء الدنيا إذا تفرغوا لدراسة الإسلام أن يجدوا فى رسالته ما يخرج عن مدلول الحق أو مدلول الخير . ومع ذلك فقد بلغت بنا فوضى البحث العلمى وقيادة المجتمع المصرى إلى حد أن مدير جامعة الإسكندرية الذى لم يستطع أن يعرف ما هى رسالة الإسلام صار يريد أن يصحح لمفتى الديار المصرية معارفه عن الإسلام ، ويعلمه ما هو الحكم الشرعى فى « تحديد النسل » ، وهل حكمه فيه الإباحة أو الوجوب كما يزعم مدير جامعة الإسكندرية ، أم المنع بتاتا إلا « للفرد » فى حالات « الضرورة » كما يقول المفتى .

إن مدير جامعة الإسكندرية لم تجعله مصر مديراً لهذه الجامعة إلا وله جانب من العلم يؤهله لذلك . ولكن مما يدخل فى باب (القوى الضائعة) أن ينصرف مدير جامعة الإسكندرية عن ناحية القوة فى مؤهلاته ، وينبرى لمفتى الديار المصرية فى مناقشته عن حكم الإسلام فى مسألة من المسائل من وجهتها الشرعية . وإن مفتى الديار المصرية ، وكل عالم شرعى ، يربأ بنفسه أن يناقش طبيبا فى موضوع طبى ، أو مهندساً فى موضوع هندسى ، وهذا معيار صحيح لمعرفة قدر العلم ، وإعطاء كل ذى حق حقه .

وما دمنا فى موضوع (القوى الضائعة) فمن الواجب أن نعلن أن الدعوة إلى « تحديد النسل » فى مصر على الخصوص تعد فى طليعة الدعوة إلى تعطيل القوى وتضييعها ، لأن زيادة النسل عندما ميدانها الريف والأيدى العاملة فى الزراعة ، وإن زيادة الأيدى العاملة فى الزراعة - من نساء ورجال - هى ثروة مصر الأولى بعد (الأرض) و (النيل) .

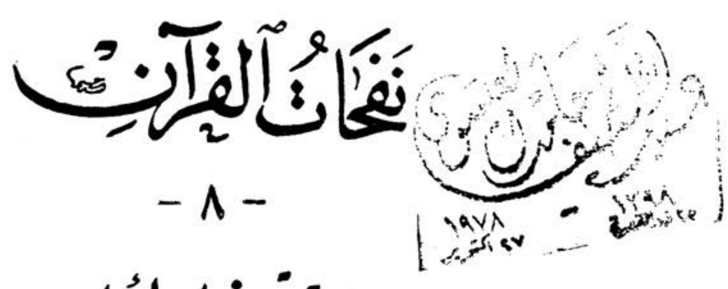
يقول الدكتور عبد الجليل العمرى وزير المالية فى بياناته عن المشروع المصرى لبناء السد العالى على النيل : « إنه يمكن إتمامه والحصول على الفائدة الكاملة منه فى خمس سنوات أو ست . وبعد ذلك تزيد رقعة الأراضى الزراعية بمقدار الربع ، ويزيد المحصول الزراعى بمقدار الثلث » .

ولو استجابت مصر لدعوة تحديد النسل ، ثم جاء الدكتور عبد الجليل العمرى بعد ست سنين أو عشر سنين يطلب الأيدى العاملة لاستنباط الرزق والخير من رقعة الأرض الجديدة التى تبلغ فى سعتها ربع الأراضى المزروعة الآن فى مصر ، فانه سيجد الدكتور محمد عوض محمد قد سبقه إلى توجيه مصر نحو قطع الذرية احتفاظاً بجمال المصريات على غرار ما سبقهن إليه متوحشات مجاهل إفريقية .

بل إن مصر التى ترمق جيشها بعين الإجلال والإكبار ، وتراقب نموه وازدياده بفارغ الصبر مغتبطة بذلك مسرورة ، وتحاول إيصاله إلى المقام اللائق به بأكثر مما يساعدها على ذلك قانون القرعة العسكرية الحالى ، فأوجدت قسم القوى المرابطة ، وفتحت باب التطوع للفدائيين ، إنها بعد هذا كله ستجد نفسها - إذا نجح مدير جامعة الاسكندرية فى قطع الحرث والنسل - أمام جيش أقل مما كان ، لأن هؤلاء العلماء الأجلاء أصحاب دعوة « تحديد النسل » يكونون حينئذ قد توصلوا إلى نتائج دعوتهم من الهبوط بمصر إلى تعداد أقل ، وجيش أضعف ، وسيتعطل المشروع المصرى لبناء السد العالى على النيل ، وستبور مساحات كبيرة من الأرض الزراعية بقدر ما ينقص من الأيدى العاملة فيها . ولا شك أنه ستقر بذلك عين إسرائيل ، إذ يكون قد جاءها ما تشتهيه من حيث لا تحتسب .

ويا له من عمل صالح يرفعه الله أسفل

محب الدين الخطيب



نفحات القرآن

- ٨ -

بقرة بنى إسرائيل

(١) [يا بنى إسرائيل : اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم]

سيظل التاريخ راوية العجب من شأن بنى إسرائيل : فهم أبناء يعقوب . . . وأحفاد إسحاق . . وأسباط إبراهيم . . والثلاثة هؤلاء مطلع الهداية من برجها الشامخ . . ونبع العلم فياضاً من مواهب الله . . وهم أرومة المجد فى أعراقها الأصيلة : حرستها العناية ، وكنفتها الرعاية ، فانبسقت منها فروع النبوة ، وكانت دوحة ناضرة فى وهج الدنيا ، وشجرة مثمرة فى جدب الحياة .

أسبغ الله على بنى إسرائيل ما لم يسبق إليه الأولون ، ولم يلحق به الآخرون ، ومكن لهم من فرعون وجنوده ، وأظلهم بالغمام من لفح الهاجرة ، وفجر لهم بين الأحجار عيونا لتروى فى اليباب ظمأهم ، وبوأهم مبوأ صدق . . وفضلهم على العالمين .

وكأن بنى إسرائيل زعموها نعمة غير مكفولة فاتخذوها متاعا فى إسراف ، أو حسبوها عهوداً غير مسئولة فنكثوها فى بلادة واستخفاف .

أو كأنهم ظنوا ربهم أباً لهم وهم أبناؤه وأحباؤه . فهم فى مرح الطفولة ودلال البنوّة وليس لهم سوى الرغبات والأمانى : فإن تخلف عنهم مطلب غضبوا وقالوا : يد الله مغلولة .

وفى سبيلهم هذه ظلوا أبعد الناس عن الهدى ، وأعصاهم لما أمروا . . . وأكفرهم للنعماء ، وأغدرهم بالأنبياء .

وكانت بأيديهم التوراة : أول الكتب الخالدة ، جاءتهم بعلم الدين ، وخير الدنيا ، فما رعوها حق رعايتها ، بل بدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم ، فكانوا قردة خاسئين .

فيا ترى !! لم كانوا من فضل الله فى سعة . ثم لم كانت هداية الله فيهم ضائعة ؟ سبحانك وتعالت حكمتك . . . ولعلك يا مولاى !! شئت أن تضرب فيهم المثل الحق على أن أسباغ النعمة ليس أمارة الرضا فإن الدنيا لك ، ترزق منها البر والفاجر ، أو شئت أن توقظ فينا الوعى إلى أن العبد منا لا يكرم عندك بحسبه ولو كان من النبوة بنسب : مالم يزك نفسه بأحب الأعمال إليك ، فاللهم لا تبطرنا بنعمتك ، وهب لنا من نورك نوراً لا نضل معه . وأتم علينا إيماناً لا نزيغ بعده .

(ب) [إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ... فذبحوها وما كادوا يفعلون]

جاء القرآن حافلا بالحديث عن بنى إسرائيل ، وليتها كانت أحدوثه الرضا ، أو قبسا من ذكريات طيبات . وهذه سورة البقرة وفى سياقها عنهم أحداث جسيمة . كما فيها أحكام تشريعية خطيرة ، ففيها تحويل القبلة إلى الكعبة ، وفيها تحريم الخمر ، وتشريع القصاص وتنظيمه ، وفيها أحكام الطلاق وسواها .

فلم اختير من بين هذا كله أمر يخص بنى إسرائيل لتسمى به السورة ؟ ثم لم كان هذا الأمر حادث البقرة خاصة ؟؟

نعم : فيها أطراف من القصص ، وجمهرة من الأحكام . . ولكن ما فيها عن بنى إسرائيل أوفر كثرة من غيره . . فأنت ترى ما بين الآية الاربعين إلى الخامسة بعد المائة - أعنى خمسا وستين آية - نسقا واحداً عن بنى إسرائيل ، فضلا عما تراه منثورا فى السورة من آيات أخرى . ثم إنك واجد حادث البقرة بين الأحداث الإسرائيلية أوضح تمثيلا لما عليه تلك الامة من رخاوة . مع ما فى الحادث والحديث عنه من طرافة صادقة . . فلذلك ولهذا صح أن تسمى السورة بشىء يخص بنى إسرائيل ، وأن يكون ذلك الشىء لفظ البقرة ، واللفظ كفيل بإثارة العجب ، وإن كان فى كل حديث عنهم شىء من العجب .

استفزهم الجشع واستعجلتهم المطامع ، فخف بعضهم إلى قتل سرى من ذوى قرباه ، ثم أخفوا أمره ، وترامو بالتهمة ، وتنادوا بالثأر لقتيلهم ، فكانت فتنة الاتهام الباطل مشبوبة إلى جانب الجريمة البغيضة ، وحدث القلق فى البيئة ، وحسبوا ألا تكون فتنة ، وظنوا ألا معقب لما صنعوا ، ولكن الله يكشف عن الخبىء توطيدا لسنته فى خلقه ألا يحيق المكر

السيء إلا بأهله [وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها ، والله مخرج ما كنتم تكتمون] فكيف تم إخراج الله لما كتموا ؟؟ .

طلع عليهم موسى بما أوحى إليه [إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة] وليس مأذونا فى تعريفهم بسبب الذبح ، وإنما عليه البلاغ فحسب . وكان عليهم أن يستجيبوا مطمئنين إلى حكمة الله فيما أمر ، وينفذوا راغبين فى الإنجاز ، فمن كمال الإيمان أن يكون العبد جندياً لله يطيع ولا يتريث ، وإن كانت غريزة حب الاستطلاع تقف به موقف التساؤل والتعرف ، فليكن التنفيذ أولا عن طواعية .

ولكن بنى إسرائيل لم يكونوا فى هوادة المؤمن السلس ، ولا فى طواعية الناهض بالأمر ريثما يتعرف ، بل تريثوا تريث المتخاذل ، يسترون إحجامهم بالتجاهل ، ويستوضحون ما لم يكن بحاجة إلى استيضاح ، بل استقبلوا الأمر بالإنكار ، وزعموا موسى هازلا معهم ، أو هازئا بهم [قالوا أتتخذنا هزوا ؟؟] وكأن موسى من عامة الناس يبلغ من سخره أن يقول على الله ما لم يأمر به ، ولكنه ينتهرهم فى قوة ، ويذكرهم بأن من كان مثله من مقام النبوة الرفيعة فهو بعيد عما هوت اليه أفكارهم [قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين] وقد بدا لهم أن الموقف جد ، والأمر قاطع ، فأخذوا يتعللون بالأسئلة .. فهم يطلبون تحديد ما بلغت البقرة المطلوبة من العمر ، ويقولون [ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ؟] وأنت ترى فى السؤال نفثة من اللؤم المطبوع ، إذ يقولون : ادع لنا ربك ، وكأنه ربه وحده ، وليس ربا لهم ولكل شيء . . ومسايرة لحكمة الله فى إمهالهم أجابهم موسى بوحى الله [إنها بقرة : لا فارض ولا بكر - لا كبيرة ولا صغيرة - عوان بين ذلك] - وسط بين الطرفين - ثم يكفهم عن إطالة الجدل بقوله [فافعلوا ما تؤمرون] ولكن بلادة الطبع تجر بنى إسرائيل إلى معاودة السؤال فيقولون [ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها] فيجيبهم ثانياً [إنه يقول : إنها بقرة صفراء ، فاقع لونها ، تسر الناظرين] فليس يكفى لونها الأصفر ، بل لابد من فقاعة اللون وشدته ، وليس يكفى هذا وذاك ، بل لابد أن تبلغ من شدة الصفاء أن تسر الناظرين ، وبذلك دخلوا فى قيود كانت محلولة ، وتعرضوا لعسر كان ميسورا ، ومع هذا خاضوا فى الجدل ثالثاً وسألوا جديدا : لا عن سنها ، ولا عن لونها ، بل عن صفتها التى تؤهلها للعمل [قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ؟ إن البقر تشابه علينا ، وإنا إن شاء الله لمهتدون] وتعليقهم على المشيئة فى هذه المرة ليس تعليق المتوكل حقاً ،

فقد كان موضع ذلك من قبل، وإنما هي تقوى مصطنعة، وطاعة مستثقلة، لذلك لم يترفق الله بهم، بل أضاف قيوداً أخرى مجاراة لما يبدون من حرص زائف [قال: إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض، ولا تسقى الحرث] - ليست سلسة القياد تطيع في حرث ولا في سقى - [مسلمة لاشية فيها] - لا نقص فيها، ولا معابة تشينها أو تخدش جمالها.. فاذا اجتمع فيها من العمر أوسطه، ومن اللون أبهجه، ومن الجمال أكمله، فهيهات أن يتاح ذلك: إلا أن تكون بقرة علقت بها حكمة الله سبحانه.

وإذ أحسوا بأن الاستطراد في السؤال لم يعد له منفذ تظاهروا بالرضا، كمن يحس بوقع الأمر على نفسه فيبتسم له وهو مغلوب مكبوت.

وكانت الحكمة أن بقرة بهذا الوصف كله وعلى وجه التمام تحت يد إنسان منهم كان باراً بأهله، فظهر من رعاية الله له أن يجعل بقرته منشودة لبنى إسرائيل، فطلبوها وما ظفروا بها إلا بعد ثمن أثرى به صاحبها [فذبحوها وما كادوا يفعلون].

ثم ماذا؟؟ [فقلنا اضربوه ببعضها. كذلك يحي الله الموتى].

(ج) آن لحكمة الله في الذبح أن تتجلى، وآن لدم القتيل أن يعلق بالقاتل.. أمرهم الله أن يأخذوا جزءاً من البقرة، ويضربوا به جسم القتيل، ولم يعد الأمر بحاجة إلى المراوغة فقد دفع الثمن، وذبحت البقرة. فضربوه، فإذا به ينهض ليقول على مشهد وسمع من القوم: قتلني فلان. وبهذا استقر الأمر على ما قدر الله، وبان لبنى إسرائيل ما حسبوه يخفى، وحرم القاتل من ميراث مقتوله، وكانت سوأة من سوآتهم، ولقد كان القتل سابقاً منهم على التكليف بذبح البقرة وعلى ضرب المقتول ببعضها، ولكن بدأت الآية بقصة الذبح وما اشتملت عليه من محاولات، لأن هذا هو الجانب الذى تستمد منه العبرة، ويعرف من ناحيته عن بنى إسرائيل ما أرداهم في المهالك من مراوغات، وتخلف، ومراعاة لانتهاز العبر من القصص ذكر أمر الذبح سابقاً على سببه وهو القتل، والترتيب في الذكر على نمط الترتيب التاريخى ليس غاية من غايات القرآن.. ومع ما في هذه القصة من لفتات لبنى إسرائيل فقد مرت بهم كما مر بهم سواها، وما أفادوا منها بعض ما فيها، بل دأبوا على عادتهم وما أغنتهم آية، ولا زجرتهم النذر، حتى ليشهد الله عليهم بأن قلوبهم بعد ذلك تحجرت أكثر من الحجارة، فمن الحجارة ما يتشقق فيخرج منه الماء، ومنها ما يهبط ساقطاً من خشية الله كما اندك الجبل على مشهد من موسى ومن معه، ولكن قلوب بنى إسرائيل

ليست كذلك ، ولهم من الأحداث ما حفلت به السير ، وشهدت عليه الآيات : فالأمل فى هدايتهم ، وثوبهم إلى ربهم ، وتوثيق صلتهم بالشرائع التى سبق إليها أنبياؤهم : كل ذلك مطمع فى غير رجاء .

ولو أن نفوس القوم على أهبة من صلاح لكان فى حياة القتيل مزدجر لهم ، وفتح لقلوبهم . ولكن لا تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون .

ورب سائل : — ما ميزة البقر على غيره فى الاختيار لإحياء القتيل ؟ ؟

ونحن لا نحسب أن للبقر تميزاً ، وإنما هى وسيلة عرف مثلها عندهم ، فقد كانوا من قبل حين الاتهام والتكاذب يجتمع وجوه القوم من أقرب المواضع الى مكان القتيل ، ثم يتقدمون إلى بقرة مذبوحة ويغسلون أيديهم ويبسطونها على جسمها ويقسمون على التبرىء مما يعزى إليهم ، فمن امتنع عن هذا الصنيع كان فى اعتبارهم مسئولا . . وهذه أساليب بدائية تواطؤا عليها ، ثم بقيت فيهم ، وتكليفهم فى هذه القصة بالذبح والضرب قريب من وسيلتهم تلك . . فضلا عما فى الضرب والإحياء من دليل مادى يزيدهم إيمانا بالبعث والحساب كما أخبرهم الله ، ولم يفتهوا . . ونحن نذكر أن البقر أثير عند بنى إسرائيل منذ عبدوا العجل الذى اتخذه لهم السامرى فى غيبة موسى عنهم يوما من أيام المناجاة لله فى الطور .

بل هو أثير عندهم من قبل أن يجتاز موسى بهم البحر ، وذلك ، منذ كانوا فى مصر ، وكان المصريون على قديم عهدهم يعبدون عجل أبيس ، فتشبع اليهود بحب العجل ، وظل داء فيهم (وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) .

ولا يزال جنوحهم للبقر بادياً حتى اليوم ، ولعل فى الأمر رأياً لغيرنا فى تعليل هذا الجنوح إلى البقر ، وإن كان الكثير من تقاليد الإسرائيليين غير معقول المعنى .

وقد يقال : تكريمهم للبقر يقتضى ألا يطلب إليهم ذبح البقرة ؟ ؟ ولم لا تكون حكمة هذا التكليف مطوية على امتهان البقر بذبحه بعد تقديسه ، وتعليمهم أنهم يعبدون حيوانا مأكولا لهم ، فكيف يكون إلاههم ؟ ؟

وقصارى الحديث : أن لنا فى هذا النبأ حظا من العظة ، ونصيبا من العلم وعلينا أن نفطن لما جرته إسرائيل على نفسها ، فنحذر إسرافها ، ونتحاشى سبيلها ، ونستوعب فى آيات الكتاب أحداثها ، ونأخذ لأنفسنا من قصصهم مالم يأخذوا لأنفسهم ، والسعيد من وعظ بغيره .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

السنة

شعب الإيمان

المنهاج النبوى فى التربية ـ من عجائب التربية النبوية ـ مراتب الإيمان وشعبه ـ أعلاها وأدناها ـ مكان الحياء منها ـ الحياء من الحياة .

* * *

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإيمانُ بضعٌ وسبعون ـ أو بضعٌ وستون ـ شعبةً ، فأفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق ؛ والحياءُ شعبةٌ من الإيمان . رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم .

* * *

زاحمنى فى الكتابة على هذا الحديث رئيس تحرير هذه المجلة فى جزئها السابق ؛ فبينا أنا ماض فى إعداد العدة لشرحه ، ووقف النظر والفكر والجهد له ـ طلعت علينا المجلة بمقالته المؤمنة الصادقة الخـيّرة . . فما أن قرأتها حتى أزمعت الكتابة فى حديث غيره ... بيد أنه ـ وقد عتبت عليه فى هذه المزاحمة ـ أقنعنى بالمضى فى تبيان هذا الحديث الجامع ؛ الذى يعد بحق أساسا للدين كله : فرائضه وشرائعه ، وحدوده وسننه ؛ وينبوعا قويا فياضا لبيان رسول الله ﷺ وهديه (١) :

أنزل الله إلى نبيه الذكر ليبين للناس ما نزّل إليهم ، وقد فعل ؛ فبين لهم ، وعلمهم كل ما يحتاجون إليه مما فيه سعادتهم ومجدهم وارتفاع درجاتهم فى الدنيا والآخرة ، لم يدع شأنا من شئون العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والبر والتقى ، فى الحل والترحال ،

(١) وللجلالة شأن هذا الحديث صنف العلماء فى شرحه وتعيين شعبه كتبا كثيرة ، منها كتاب شعب الإيمان للحافظ الفقيه أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ ألفه فى ست مجلدات ؛ ثم اختصره أبو جعفر عمر القزوينى المتوفى سنة ٦٩٩ : وطبع المختصر مرتين بالمطبعة المنيرية .

والمطعم والمشرب والملبس والمنكح، والنوم واليقظة، والاجتماع والانفراد، حتى دخول الخلاء والخروج منه - إلا بينه بيانا شافياً ... فكان من بيانه وهديه هذا المنهاج المنير، وتلك التربية القويمة المثلى، الصالحة لكل زمان ومكان، ولكل جيل وقبيل، تلك التى لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثلها، لا يأتون بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

* * *

وكانت طريقته ﷺ فى هذا المنهاج أمثل طرائق التعليم والتربية، مما يدع المعلمين والمربين مشدوهين متسائلين حيارى: أنى لهذا الأمى تلك الطريقة العجيبة فى التقويم والتربية ؟!

نعم، إنه لم يتلق علما من بشر، ولم يجلس - حياته - بين يدى مرب ولا معلم، ولكن علمه العليم الخبير الذى وسع كل شىء علما؛ وجلس بين يدى الروح الأمين، بأمر رب العالمين، حتى أتم هذا المنهاج الذى أعجز الأولين والآخرين أن يأتوا بمثله، أو أن يجدوا سعادتهم - حتى الدنيوية منها - فى غيره !!

* * *

ومن منهاج هذه الطريقة المثلى أن يحدث أصحابه بمثل هذا الحديث الجامع، ثم يفصله بعض التفصيل بمثل حديث جبريل فى سؤاله عن الإسلام. والإيمان، والإحسان، ثم عن الساعة.. فيجيبه صلوات الله وسلامه عليه بأمهات هذه الشعب البضع والسبعين. ثم يقول لهم: هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم.

وحديث جبريل من الشهرة بالمكان الذى لا يجهله أدنى قراء هذه المجلة، وقد جمع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة: من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ فى الأعمال، حتى سمى - بحق - أم السنة، كما سميت الفاتحة بأم الكتاب.

ثم يفصل حديث جبريل ويبسطه، فى هديه وتعليمه وإرشاده، وشرحه لهذه الشعب فى مختلف المقامات والمناسبات.

وقد جد كثير من العلماء وتكلفوا حصر هذه الشعب وتحديدها... ولخصها صاحب الفتح فى تسع وستين خصلة طباقا لإحدى روايتى الحديث، ثم قال: ويمكن عدها تسعا وسبعين خصله باعتبار إفراد ما ضم بعضه إلى بعض. يريد بهذا مطابقة الخصال للرواية الثانية. وكلتا الروايتين واردة فى الصحيح.

ولا تخرج هذه الشعب ـ كما قال صاحب الفتح ـ عن أعمال القلب ، وأعمال اللسان ، وأعمال البدن :

فأعمال القلب المعتقدات والنيات ، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة ، أعلاها إيمان بالله وتوحيده وتنزيهه وأنه ليس كمثله شيء . . وعن التوحيد يصدر كل خير ،

وأعمال اللسان سبع ، منها الدعاء والذكر والاستغفار واجتناب اللغو ،

وأعمال البدن ثمان وثلاثون ، منها التطهير حسا وحكما ، ومنها إطعام الطعام وإكرام الضيف ، ومنها تربية الأولاد وصلة الرحم ، ومنها رد السلام وتشميت العاطس وكف الأذى عن الناس ، واجتناب اللهو ، وإماطة الأذى عن الطريق .

* * *

وأيا ما كان الأمر فقد اكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بذكر أفضلها وأعلاها ، وأيسرها وأدناها ، ثم بذكر شعبة من أمهاتها تبعث عليها وتيسر الطريق لها . وهذا الإجمال من عجائب التربية النبوية ، فإنه صلوات الله وسلامه عليه لو فصل الشعب وعدها ، وهو قادر على عدها ، لشق على أمته ، ولسد عليهم طريق الاجتهاد فيها ، ولوقفوا عند الذى عده وفصله ، مع أن كثيرا منها يراد منه نوعه ومثيله ، لا عينه وذاته ، ويتجلى ذلك فى نوافل الخير وأعمال البر وهى كثيرة لا تحصى ، كما يتبين فى آفات من الشر لم تكن معروفة فى عهده صلى الله عليه وسلم ، فتفصيل هذه الشعب ـ فضلا عما فيه من الإضجار والإملال ـ يوقع فى حيرة لا فكاك منها ! ثم فى اختلاف لا رحمة فيه ، ولا ثمرة منه !

* * *

بدأ ﷺ بمفتاح هذه الشعب الذى لا يقبل شيء منها إلا به ، وهو كلمة التوحيد : وليس المراد مجرد النطق بها ، وإلا كان المنافقون وكثير من الكافرين من أهل الإيمان . . . إنما المراد النطق المنبعث عن الإيمان بالله وربوبيته ، والطمأنينة التى لا تشوبها شائبة ريبة فى وحدانيته ، الإيمان الذى خالطت بشاشته القلوب ، وملأت حلاوته النفوس ، فطربت الألسنة بالشهادة الخالصة ، وتحركت الجوارح بالأعمال الصالحة .

ونظير هذا ، قوله صلى الله عليه وسلم لسفيان بن عبد الله الثقفى رضى الله عنه حينما

قال له : يا رسول الله ، قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك ، قال « قل : آمنت بالله ثم استقم » .

لم يقل له : آمن بالله . لأن الإيمان بالله - وإن كان أساسه التصديق الذى لا شك فيه - يتفاوت بحسب مراتب اليقين والطمأنينة ، ومحال أن تكون مرتبة عوام المؤمنين ، كمرتبة النبيين والصديقين ، ولا شك أن النبى ﷺ يريد هنا الإيمان الكامل ، الذى يفيض على اللسان فينطق بكلمته صادقا موقنا ، ثم يفيض على الجوارح فتعمل الصالحات راضية مطمئنة ، وهذا شأن المؤمنين الصادقين ، الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا .

* * *

وقفى صلوات الله وسلامه عليه بذكر إماطة الأذى عن الطريق ؛ ليبين أن إزالة الضرر عن المارة كبيراً كان أو صغيراً ، ولو غصن شوك ، من شعب الإيمان التى لا ينبغى الاستهانة بها فقد يكون فيها رضا الله عز وجل ؛ وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره ، فشكر الله له فغفر له ؛ ثم ليبين أن هذه الشعب على مراتب مختلفة ، ودرجات متفاوتة ، لكن الذى يقدرها ويحصى ثوابها هو الله عز وجل .

* * *

وختم الحديث صلوات الله عليه بشعبة من أمهات الشعب وأجلها ، وهى الحياء .

وإنما اختاره ﷺ ختاما ، لأنه يحض على الشعب جميعها . ويتجه بصاحبه وجهة الخير والاستقامة ، ثم هو حلية الأخلاق وزينتها ، وماء الحيوية الذى يترقرق فيها [١] بل هو خلق هذه الحنيفية السمحة ، كما روى مالك عن زيد بن طلحة بن رُكانة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكل دين خلقا ، وخلق الاسلام الحياء » ، فكأنه ﷺ يشير بهذا الختام العجيب إلى أن الحياء مهيمن على هذه الشعب ومسيطر عليها ، فلن يقبل منها ، أولن يكون واقعا موقع الكمال والرضا إلا ما اتسم بسيما الحياء ، فمن هنا يخرج المنافقون والمراءون والكذابون الذين يتظاهرون بعمل الصالحات وهم عنها مبعدون ؛ ومن

---

(١) تلميح واقتباس من المقالة التى أشرنا إليها أولا .

هنا يستبين لمن تأمل ، أن المراد الحياء الشرعى المحمود الذى يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ، وأما الحياء الذى يحمل صاحبه على الإخلال بالحقوق والتقصير فى الواجبات ، فليس حياء فى حقيقة الأمر ، وإنما هو عجز ومهانة وخور ، وإن سمى بالحياء مجازاً لمشابهته له ؛ وليس هذا مرادا فى الحديث البتة ، كما أنه ليس المراد الحياء الغريزى وإنما المراد الحياء المكتسب الذى يستعمله صاحبه على قانون الشرع ، لايختلف عنه .

* * *

قال العلماء : والحياء مشتق من الحياة ، فهو من قوة الحس ولطفه ، وعلى حسب حياة القلب ولطف الحس يكون الحياء قوة وضعفاً .

وذكر الماوردىّ فى « أدب الدنيا والدين » أن الحياء فى الإنسان قد يكون على ثلاثة أوجه : حياؤه من الله تعالى ؛ وحياؤه من الناس ؛ وحياؤه من نفسه . . وبينها كلها ثم قال : فتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة ـ فقد كملت فيه أسباب الخير ، وانتفت عنه أسباب الشر ، وصار بالفضل مشهوراً ، وبالجميل مذكوراً .

وأما ابن القيم فى « مدارج السالكين » فقد ذهب ـ ولله دره ـ إلى أن الحياء عشرة أوجه ، ثم فصلها تفصيلا . . وقد نعرض لها كلها أو بعضها لمناسبة « الحياء النبوى » الذى نرجو أن يكون موضوع حديثنا فى الجزء الآتى بمشيئة الله تعالى ومعونته وتوفيقه ؟

طه محمد الساكت

ماء الوجه

قال صالح بن عبد القدوس :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ... ولا خير فى وجه إذا قل ماؤه

حياؤك فاحفظه عليك ، فإنما ... يدل على فعل الكريم حياؤه

إشاعات السوء

وموقف الإسلام منها

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

نشرت جريدة (الأهرام) فى صباح الاثنين ١٢ المحرم (٢١ سبتمبر) ما يلى :

... ثلاث إشاعات تعاقبت على أسماعنا ونحن فى الصلاة ، بين يدى الله ، نؤدى فريضة المغرب ، أمس ، قالت واحدة منها ما لا يدخل - ولا يمكن أن يدخل - نطاق التصور ، وجاءت الثانية فكادت تخرجنا - لولا أثارة من الإيمان الصحيح - عن نطاق العقل . ثم جاءت الثالثة فكانت ضغثا على إبالة وكما تقول أمثال العرب ، وأشهد أن الإناء قد فاض بهذه الإشاعة ولم يعد فى قوس الصبر منزع ، فتوجهت إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وكنا نأتم به فى الصلاة وقلت لفضيلته : ألا ترون فضيلتكم أن إشاعات السوء فى هذه المرحلة التاريخية من حياتنا قد تلاحقت وتتابعت وأخذت تتآزر وتتساند حتى خيف على دعوة الحق ، فما هو حكم الشريعة السمحة فى هذا البلاء الوافد ، وفى هذه الفتنة المشتعلة التى تريد أن تقضى على الحرث والنسل ؟

والحق أن الأستاذ الأكبر قد بدا عليه الألم المرير ، والحزن الموجع الممض ، فاعتدل فى جلسته وتحدث إلينا فى إنطلاق ، ووضوح ، وأبان عن كثير من الأحكام الخافية علينا ، فى موقف الفتنة من دعاة الحق والسلام :

إشاعات السوء عن شئون الأمة وسير أعمالها ، وأهداف إصلاحاتها . ومقاصد رجالها لا تقل ضررا فى كيان الأمة وسلامة الوطن عن التجسس للعدو على دخائلها ، ومواطن قوتها وضعفها . فكل ذلك خدمة للعدو ، وموالاة له . وقد خاطب الله المسلمين بقوله « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » .

بل إن موالاة العدو - فى حال عدوانه - وترويج ما ينفعه فى مضرة الإسلام وأهله تخرج الموالين له عن تبعيتهم لأمتهم وتلحقهم بأمة عدوهم . وفى ذلك يقول الله عز وجل « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » .

ترويج إشاعات السوء :

« ومن أشد ما يوالى به المنافقون من يكيد للأمة من أعدائها ترويج إشاعات السوء والاصغاء إليها ، وقد ورد فى ذلك قول الله عز وجل : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم

مرض والمرجفـون فى المدينة لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا » .

« وكان مما كانوا يرجفون به ما ذكره الله عنهم فى قوله عز وجل « وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض : ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » .

«ولهؤلاء المنافقين خلفاء فى كل عصر من عصور الاسلام وفى كل وطن من أوطانه ، يخذلون الناس عن أئمتهم وولاة أمرهم ، ويشيعون السوء عن برامجهم وخططهم ، وهذا مرض فى القلوب كما وصفه الله عز وجل ، وعلى من يصاب بهذا المرض أن يعالج نفسه قبل أن يعالج بأحكام الله .

وفى هؤلاء أيضا ورد قول الله سبحانه : وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » أى أفشوه حيث لا يكون من المصلحة العامة إذاعته وإفشاءه . وقد يكون ما يذيعونه كذبا ومضرا بالمصلحة ، فيكون ذلك من الإثم المزدوج الذى طهر الله قلوب المؤمنين منه .

« واللائق بالمسلمين إذا سمعوا قالة السوء أن يكونوا كما أراد الله للمسلمين فى قوله عز وجل « لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا : هذا إفك مبين » . إلى أن قال سبحانه « وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . ولولا إذ سمعتموه قلتم : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

ولما عاد المسلمون من غزوة أحد كان فيهم من اختلفوا فى الحكم على المنافقين والمرجفين فقال فريق للنبى ﷺ « اقتلهم » ، وقال فريق « لا تقتلهم » ، فنزل فى ذلك قول الله عز وجل « فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا » ، وفى ذلك ورد الحديث النبوى « أنها طيبة (أى المدينة) تنفى خبثها كما تنفى النار خبث الحديد » ، وفى رواية « خبث الفضة » .

« وأول فتنة فى الإسلام ، وهى الجرأة على خليفة رسول الله وصهره سيدنا عثمان ، كان منشؤها إشاعات السوء الكاذبة ، وتضليل البسطاء وضعاف الأحلام ، فجر ذلك على الأمة من الضرر مالم تتوصل إلى مثله الدول المعادية بما لديها من جحافل وقوات حربية .

وفى الليلة الأخيرة قبل نشوب حرب الجمل توصل أصحاب رسول الله ﷺ من الفريقين إلى التفاهم على ما يرضى الله عز وجل من إقامة الحدود الشرعية على من يثبت عليه أن له يدا فى مصرع أمير المؤمنين عثمان ، وبات أبناء كل فريق فى معسكر الفريق الآخر بأنعم ليلة وأسعدها وأرضاها لله ، فما كان من قتلة عثمان ومن يتبعهم من قبائلهم إلا أن أنشبوا القتال فى الصباح الباكر ، وأشاعوا فى معسكر من المعسكرين بأن المعسكر الثانى هو المهاجم له على خلاف ما اتفقوا عليه بالأمس ، وبذلك كانت الإشاعات بين الطرفين أفتك بهما وأضر على الإسلام من أسلحة البغاة الفاتكة .

أيها المسلمون :

إن إشاعات السوء سلاح العدو ، والذى يصغى إليها يمكن العدو من الفتك بالأمة والوطن ، وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، فاعملوا فى ذلك بهداية الله عز وجل وإرشاده حين يقول : « ولولا إذ سمعتموه قلتم : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم » .

وعلى ولاة الأمر أن يتصرفوا فيمن يثبت عليهم ذلك وفقا لحكم الله تعالى حين يقول لنبيه « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة ، لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا » .

إن الأمة تجتاز اليوم مرحلة من أدق مراحلها فى تاريخ نضالها العنيف ، هى مرحلة تقرير المصير . وهذه المرحلة - بما لها من الخطر والأثر فى مستقبل الأمة وحاضرها - تقتضى منا أن نتيقظ لكل ما يراد بنا ، سواء من العدو الغاصب أو من أعوانه . وأن نحذر دعاة الفتنة والذين يعملون على إشاعتها بين طبقات الأمة . ولنعلم أن هؤلاء وأولئك يستهدفون غرضاً واحداً . ويعملون لغاية واحدة ، هى تمزيق الشمل وتشتيت الجمع ، وتفريق الكلمة ، وإشاعة الكراهية بين الحاكم والمحكوم ، وإلقاء العداوة بين المؤتمين والمأموم . وهم بهذا يعملون للفتنة ومن أجلها . فإذا ما تحققت غايتهم ، فإن الفتنة لا تصيبهم وحدهم ، ولا تصيب طائفة دون أخرى ، وإنما هى تصيب الأمة بأسرها . وقد حذرنا الله تعالى منهم ومن فتنتهم ، فقال جل شأنه « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، واتقاء الفتنة يكون بدفعها وإدحاضها ، وإنزال العقوبة الرادعة على كل من يثبت عليه أنه كان سبباً فيها ، أو فى عنصر من عناصرها . ويرى علماء الشافعية أن تكون العقوبة هى (الإعدام) لكل من يثبت عليه أنه أحدث بين المسلمين فتنة . وأما علماء المالكية فإنهم يتركون الحد على هذه الجريمة لاجتهاد الإمام ، أى الحاكم ، ومن هنا نرى أنه لا سبيل إلى الهوادة أو المهادنة فى إقامة الحد على هذه الجريمة النكراء ، جريمة إحداث الفتنة بين الصفوف مناصرة لعدو البلاد الأكبر ، وهو المستعمر الغاصب .

فلنتق الله فى أمتنا ووطننا ، وتقوى الله تدفع كل شىء ، وتحول دون أى مكروه ، والله يوفقنا ويسدد خطانا إلى ما فيه النجح والرشاد .

وإلى هنا كان الشيخ الأكبر قد أوفى على الغاية ، وأصاب المحز . فأماط اللثام عن حكم الله فى مثل هذه الطامة الكبرى ، فشكرت لفضيلته ، واستأذنت فى نشره ، فتفضل وأذن .

ديوان مجد الإسلام

من بدائع الشاعر الإسلامي الكبير أحمد محرم رحمه الله

بتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

« في ذكرى غزوة بدر »

على ذكرها ، فليعرف الحق جاهله ... ويؤمن بأن البغي شتى غوائله
هي الغزوة الكبرى ، هوى الشرك إذ رمت ... جحافلها العظمى وولت جحافله
وأصبح دين الله قد قام ركنه ... فأقصر من أعدائه من يطاوله
بنته سيوف الله بالدم إنه ... لأصلب من صم الجلاميد سائله
تكل قوى الجبار عما تقيمه ... عليه يد البانى ، وتنبو معاوله
أهاب (رسول الله) بالجند : أقدموا ... ولا ترهبوا الطاغوت ، فالله خاذله
أما تنظرون الأرض كيف أظلها ... من الشرك دين أهلك الناس باطله ؟
خذوه ببأس لا تطيش سهامه ... فأنتم مناياه ، وهذى مقاتله
علينا الهدى ، إما بآيات ربنا ... وإما بحد السيف ، لا خاب حامله
إذا أنكر القوم البراهين أخضعت ... براهينه أعناقهم ودلائله
مضى البأس (بدرى المشاهد) ترتمى ... أعاصيره ناراً ، وتغلى مراجله
وضج (رسول الله) يدعو إلهه ... فيالك من جند طوى الجو جافله
تنزل يزجى النصر ، تنساب من عل ... شآبيبه نورا ، وينهل وابله
أ (حيزوم) أقدم ، إنه الجد لن يرى ... سواه عدو كاذب البأس هازله
هو الله يحمى دينه ويعزه ... فمن ذا يناويه ، ومن ذا يصاوله ؟

* * *

تمزق جيش الكفر وانحل عقده ... فخابت أمانيه ، وأعيت وسائله
وما برسول الله إذ ناله الأذى ... سوى ما ارتضت أخلاقه وشمائله

(نبي) يحب الله حب مجاهد يرى دمه من حقه ، فهو باذله
يعظمه في نفسه ، ويطيعه وما يقض من أمر له فهو قابله
كذلك كان المسلمون الألى مضوا فيالك عصرا يبعث الحزن زائله
صدفنا عن المثلى فأصبح أمرنا الى غيرنا ، نهذى به ، وهو شاغله
يجالد من يبغي الحياة عدوه فيا لعدو لم يجد من يجادله
بنا من عوادي الدهر كل مساط مكايده مبثوثة وحبائله
قضينا المدى ، ما تستقيم أمورنا وهل يستقيم الأمر عاليه سافله ؟
عجبت لقومي عطل الدين بينهم وجنوا به ، والجهل شتى منازله
يحبونه حب الذي ضل رأيه فقاطعه منهم سواء وواصله
صلاة وصوم يركض الشر فيهما حثيثا تهز المشرقين صواهله
وكيف يقوم الدين ما بين أمة إذا عطلت آدابه وفضائله ؟
سلام علينا يوم يصدق بأسنا فيمضي بنا في كل أمر نحاوله
ويوم تكون الأرض تحت لوائنا فليس عليها من لواء يماثله
أنمشي بطاء ، والخطوب تنوبنا سراعا ، وعادي الشر ينقض عاجله ؟
ألا همة (بدرية) تكشف الأذى وتشفي من الهم الذي اهتاج داخله ؟
ألا أمة تنهى النفوس عن الهوى وتصغي إلى القول الذي أنا قائله ؟
ألا دولة للحق تسلك نهجه وتمشي على آثاره ما تزايله ؟
إذا نحن لم نرشد ولم نتبع الهدى فلا تكروا يا قوم ما الله فاعله

غزوة بني قينقاع

كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى هذه الغزوة في منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة ، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد وغدر من اليهود ، فأظهروا البغي والحسد بعد وقعة بدر :

ردوا (بني قينقاع) الأمر إذ نزلا هيهات هيهات ، أمسى خطبكم جللا
نقضتم العهد معقوداً على دخل لعاقد ما نوى غشاً ولا دخلا
ما زال شيطانكم بالغيظ يقدحه بين الجوانح حتى شب واشتعلا

(هاجت (وقائع بدر) من حفيظتكم ... ونبهت منكم الداء الذى عقلا)
أتنكرون على الاسلام بهجته ... والله أطلعه من نوره مثلا ؟
(دين الهدى) يا (بنى التوراة) يشرعه ... للناس من شرع الأديان والمللا
لا تدعوا أنكم منها بمعتصم ... واق ، ولا تطمعوا أن تتركوا هملا
جاء (النبيين) بالفرقان وارثهم ... سبحان من نقل الميراث فانتقلا
رأى النفوس بلا هاد ، فأرسله ... يهدى الشعوب ، ويشفى منهم العللا
هلا سألتم أخاكم حين يبعثها ... هوجاء يعصف فيها الشر : ما فعلا ؟
إن التى رامها فى عزها سفهاً ... لتؤثر الموت مما سامها بدلا [1]
لا يبلغ العرض منها حين تمنعه ... من خيفة العار حتى تبلغ الأجلا
وقد يكون لها من ربها رصد ... إذا رماه بعينى غاضب جفلا
ما زال بالدم حتى ظل سائحه ... يجرى على دمه مسترسلا نجلا
ما غركم بقضاء الله يرسله ... على يدى بطل ، أعظم به بطلا
لقد دعاكم إلى الحسنى فمال بكم ... من طائف الجهل داع يورث الخبلا
قلتم : رويد فإنا لا يصاب لنا ... كفء إذا ما التقى الجمعان فاقتتلا
لسنا كقومك إذ يلقون مهلكهم ... على يديك ، وإذ يعطونك النفلا [2]
يا ويلكم حين ترتج الحصون بكم ... ترجو الأمان ، وتبدى الخوف والوجلا

---

(١) قدمت امرأة من العرب بجلب لها لبيعه بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ منهم ، فجعل جماعة من سفهائهم يراودونها عن كشف وجهها وهى تأبى ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، وقيل خله بشوكة وهى لا تشعر فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا منها فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وشد اليهود على المسلم فقتلوه .

جمعهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وقال لهم : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النقمة (يريد وقعة بدر) وأسلموا ، فإنكم قد عرفتهم أنى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله تعالى إليكم . قالوا يا محمد أترانا مثل قومك ؟ لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا ، وأشدهم بغيا فلما قالوا ذلك أنزل الله : « قل للذين كفروا ستغلبون — الآية » وقوله تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم — الآية »
(٢) النفل : الغنيمة .

كم موئل شامخ العرنين يعجبكم | يود يومئـــذ لو أنه وألا [١]
أمسى (عبادة [٢]) منكم نافضاً يده | فانبت من عهده ما كان متصلا
نعم (الحليف) غدرتم ، فانطوى حنقا | يرجو الإله ، ويأبى الزيغ والزللا
ما كان (كابن أُبى) فى جهالته | إذ راح شيطانه يرخى له الطولا [٣]
مضى على الحلف يرعى معشراً غدراً | أهون بكم معشراً لو أنه عقلا
لا تذكروا الدم ، إن السيف منصلت [٤] | فى كف أبيض [٥] يدمى البيض والأسلا [٦]
وجانبوا الحرب ، إن الله خاذلكم | ولن تروا ناصراً يرجى لمن خذلا
مشى (الرسول) وجنـــد الله يتبعه | من كل مقدامة يغشى الوغى جذلا
يهفو إلى الموت مشتاقا ، ويطلبه | بين الخميسين ، لا نكسا ولا وكلا [٧]
لو غيبته المواضى فى سرائرها | ألفى بمهجته يرتاد مدخلا
يختال فى غمرات الروع من مرح | لولا الرحيق المصفى [٨] شاربا ثملا
أهاب (حمزة) بالأبطال فانطلقوا | وانساب منطلقاً يهديهم السبلا [٩]
عجبت للقوم ، طاروا عن مواقفهم | ما ذاق هاربهم سيفاً ولا رجلا
مضوا سراعا إلى الآكام [١٠] واجفة | يختال أمنعها من ضعفه طللا

---

(١) طلب النجاة أو اتخذ له موئلا .

(٢) كانوا حلفاء عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبى بن سلول ، فتبرأ عبادة منهم وقال : يارسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ، وبقى عبد الله بن أبى على حلفه لهم . وفيه نزلت : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض — إلى قوله تعالى — فان حزب الله هم الغالبون »

(٣) الطول : الحبل الطويل .

(٤) المنصلت من السيوف : الصقيل الماضى .

(٥) الرسول الكريم .

(٦) البيض والأسل : السيوف والرماح .

(٧) الخميس الجيش يؤلف من خمس فرق المقدمة والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساقة . والنكس من لا خير فيه من الرجال ، والوكل العاجز يكل أمره إلى غيره .

(٨) القرآن الكريم .

(٩) لجأوا إلى حصونهم فسار إليهم النبى وكان لواؤه بيد عمه حمزة بن عبد المطلب .

(١٠) الحصون .

طال الحصار ، وظل الحتف يرقبهم ... حران يشجيه ألا ينقع الغللا
أفنوا من الزاد والماعون[1] ما ادخروا ... واحتال أشياخهم فاستنفدوا الحيلا
من كل ذى سغب ، لو قال واحده ... كُلْنى ليعلم ما فى نفسه أكلا
لا يملكون لأهليهم وأنفسهم ... إلا العذاب ، وإلا الظن والأملا
ظلت وساوسهم حيرى تجول بهم ... فى مجهل يتردى فيه من جهلا
حتى إذا بلغ المكروه غايته ... وهال كل غوى الرأى ما حملا
تضرعوا يسألون العفو مقتدراً ... يجود بالعفو إن ذو قدرة بخلا
أعطى النفوس حياة من سماحته ... فكان أكرم من أعطى ومن بذلا[2]
لو شاء طاح بهم قتلا ، فما ملكوا ... من بعد مهلكهم قولا ولا عملا
ما الظن (بابن أبى) حين يسأله ... من الأناة وفضل الحلم ما سألا ؟[3]
إما رآه جريحاً لو يصادفه ... حمامه لم يجد من دونه حولا ؟[4]
زالوا عن الدور والأموال ، وانكشفوا ... عن السلاح ، وراحوا خضعاً ذللا
هو الجلاء لقوم لا حلوم لهم ... ساءوا مقاما ، وساءوا بعد مرتحلا
ساروا إلى أذرعات[5] ينزلون بها ... نكداً مشائيم ، لا طابت لهم نزلا
بادوا بها ، وتساقوا فى مصارعهم ... سوء العذاب ، ومكروه الأذى نهلا[6]
يلوم بعض على ما كان من سفه ... بعضاً ، فمن يقترب يسمع لهم جدلا
أهل المعاقل هدتهم مدمرة ... تمضى ، فلا معقلا تبقى ولا جبلا
رمى بها من رسول الله منتقد ... لا يأخذ الناس حتى ينبذوا الرسلا
هل دولة الحق إلا قوة غلبت ؟ ... فافتح بها الأرض ، أو فامسح بها الدولا

---

(١) الماعون . كل ما يستعان به من منافع البيت .

(٢) سألوا النبى صلى الله عليه وسلم — بعد أن طال الحصار خمس عشرة ليلة ولم يبق لديهم ما يأكلون — أن يخلى سبيلهم على أن يجلوا بنسائهم وذراريهم وأن يكون له المال والسلاح .

(٣) قيل إن النبى أمر بقتلهم بعد خروجهم من الحصون ، فكلمه عبد الله بن أبى فيهم ، وألح عليه ، وإنه أدخل يده فى جيب درعه الشريفة يسأله أن يعفو عنهم ، وأنه قال لعبد الله : خذهم لا بارك الله لك فيهم ، وأمر بإجلائهم ، فتولى عبادة بن الصامت الأمر .

(٤) قيل إنه جاء إلى منزل الرسول الكريم قبل خروجهم من الحصون يسأله فى إقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفق بعض الصحابة فصدم وجهه الحائط فشجه فانصرف مغضبا ، والحول اسم من التحول والانتقال . (٥) أذرعات بلد بالشام . (٦) لم يحل الحول حتى هلكوا بدعوة الصادق الأمين (خذهم لا بارك الله لك فيهم)

مُهِمّةِ الفقيه

١ — تفضل أخى وصديق العلامة الأستاذ الشيخ محمد على النجار بنقد كتابى : « الأموال ونظرية العقد فى الفقه الإسلامى » فى الجزءين الماضيين من هذه المجلة . وهو نقد يدل على ما عرف به السيد الأستاذ من قراءة واعية عميقة ، وعلم أصيل ، وخلق كريم ، وتثبت ودراية بما يقول . كما يدل كذلك ، على نزعته المحافظة ، هذه النزعة التى قد تذهب أحياناً إلى تقديس كل ما أثر عن الماضين ، والذراية والتعصب على من يوصفون بالمجددين .

وقد تناول كثيراً من المسائل التى حفل بها الكتاب ، وأبدى فيها رأيه الذى يخالف عن بعض ما ذهبت إليه ، وأثنى على ما رآه خليقاً بالتقدير . وإنى لأشكر له خالص الشكر ما خصنى به من ثناء لا أرانى أهلا له كله ، كما أشكر له أيضاً ما رآه من نقود أراد بها بيان الحق فيما نختلف فيه . إلا أنه وهو بصدد نقده لبعض ما ذهبت إليه من آراء ، حمل حملة فيها شيء من العنف على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم ، وهى حملة تعتبر صدى لعصبيته ضد أمثالهم من مجددى الفقه الإسلامى .

٢ — ولست أحب أن أشغل المجلة وقراءها بالجدل حول المسائل التى أثارها فضيلته ، وكفانى أنى سأفيد بلا ريب بما فى نقوده من حق وصواب . كما لا أحب أن أجعل من نفسى مدافعاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته فى الفقه ، بل ولا أرى لذلك داعية ما ؛ فإن العالم الإسلامى قد حكم لمؤسس هذه المدرسة ولتلميذه ابن القيم بالاجتهاد وتجديد الفقه الإسلامى (*) ، وعرف لهما ما قدما لهذا الفقه من تراث قيم مشكور (١) .

إن الذى أريد الحديث عنه فى هذه الكلمة القصيرة ، هو بيان مهمة الفقيه فى هذا الزمن وفى كل زمن ، والتعريف برسالته فى كل عصر ، ومتى عرفنا ذلك كان من اليسير أن نعرف مكانة ابن تيمية وغيره من جلة الفقهاء .

٣ — الفقه ، كما نعرف جميعا ، هو العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين

(*) المجلة — وكان تجديدهم رجوعا إلى فقه الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين ، وإحياء لطريقتهم بقدر ما يستطيعه العالم الأمين غير المعصوم .

(١) الكلام هنا عن مذهب ابن تيمية فى الفقه .

خاصة ؛ كالوجوب والحظر والإباحة والندب والكراهة ، وكون العقد من العقود صحيحا أو فاسدا أو باطلا . . إلى آخره [١] .

ومن المعلوم أن هذه الأفعال تكاد لا تتناهى ، وهى مختلفة من عصر إلى آخر ؛ فإن لكل زمن أحداثه ومشاكله التى تتطلب من الفقهاء بيان حكم الله فيها ، وليس من الممكن أن نجد فى تراث الفقهاء الماضيين — رضوان الله عليهم — حلولا لكل ما يجد فى هذا الزمن الذى نعيش فيه ، والمثل لذلك جد كثيرة لا تحتاج إلى بيان .

ومن الحق أن لدينا كتاب الله وسنة رسوله ، وأن فيهما الأصول الكلية لما لم يجىء مفصلا من الأحكام الشرعية الفقهية . ولكن ، من الحق أيضاً أن استخلاص هذه الأحكام من نصوص الكتاب المحكم والسنة الصادقة ليس يسيرا فى كل زمن ، إن لم نقل بأنه قد يكون عسيرا كل العسر فى حالات كثيرة يخطئها الحصر ، وذلك لأن النصوص لا تفى دائما بأحكام كل ما يجد من الحوادث والنوازل طوال هذه الحياة .

٤ — وهنا نعرف الفقيه الحق من الدارس للفقه ، كما تظهر مهمة الفقيه ورسالته فى هذه الحياة . هذه المهمة أو الرسالة التى تقتضيه فهما عميقا لهذين المصدرين الجليلين المقدسين ، وإحاطة بأدلة الأحكام الشرعية كما قررها علماء أصول الفقه ، ومعرفته بعلل هذه الأحكام ومسالكها ، وقدرته على الموازنة والترجيح عند تعارض الأدلة ، ووقوفا على الأعراف فى البلاد الإسلامية المختلفة ، إلى غير ذلك كله مما يجب أن يتوفر فى الفقيه الذى يتأهل هذا الوصف الجليل .

ومتى تم له هذا جميعا ، عليه أن يعيش فى زمنه ، وأن يتعرف المشاكل الفقهية التى لابد لها من حلول تتحقق بها المصلحة ولا تتعارض مع القرآن وسنة الرسول ، ثم يجيل فى ذلك عقله ويعمل فيها رأيه ويجتهد لبيان حكم الله فى مشاكل ونوازل زمنه .

٥ — ولو أن للإسلام فقهاء من هذا الطراز ، فقهاء مجتهدين يصيبون ويخطئون ، لرأينا حكم الشريعة الإسلامية فى كل من مشاكل هذا العصر ، هذ المشاكل التى نراها فى جميع ميادين الحياة : فى المعاملات التى جدت فى سوق العقود ، فى المصارف المالية وضروب التجارة المحلية والدولية ، فى السياسة والحكم وأصوله ، فى الاقتصاد وسياسة المال ، فى علاقات الدولة بغيرها من الدول الأخرى ، وفى غير هذا وذاك كله من شئون هذه الحياة المتجددة دائما .

---

١ — راجع مثلا ، المستصفى للغزالى ، ط بولاق عام ١٣٢٢ هـ ، حـ ١ ص ٤ — ٥ .

ولكن الذى نراه ونحسه آسفين محزونين ، هو الجمود الذى أصاب الفقه والفقهاء منذ مئات ومئات من السنين ؛ فلا عمل لنا إلا العكوف على تراث الماضى المتأخر وتعلمه وتعليمه ، دون أن نعنى بتنميته وتطويره حتى يحقق مصلحة المسلمين فى هذا العصر ، مكتفين بالمناداة فى كل مناسبة بضرورة أن نحكم بشريعة القرآن الصالحة لكل زمان ومكان .

٦ — إن هذه الشريعة السماوية صالحة حقاً لكل زمان ومكان ، ولكنها بحاجة إلى فقهاء يفهمونها ويتعمقونها ثم يعرضونها للعالم كله صالحة للتطبيق فى هذا العصر . أما أن نظل على التقاليد ، والتقليد فقط ، ثم نرمى كل من يحاول التجديد فى الفقه بالزيغ والإلحاد ، فذلك من شأن الذين لا يصلحون للحياة التى لا تعرف الجمود والوقوف .

وقد كان من أثر هذا الجمود الذى وقف العقول عن العمل ، ومن هذا التقليد الذى ران على القلوب وثقل على الصدور ، أن وجدنا من شباب اليوم من يحاولون الطفرة بالدعوة إلى طرح الماضى ووجوب الاجتهاد بلا قيد ولا شرط ، إذ ضاقوا ذرعا بجمود كثير من شيوخهم وكبار أساتذتهم ، وفى هذا وذاك كل الخطر [١] .

٧ — وبعد هذا ، لسنا بحاجة الآن إلى الإشارة بمكانة شيخ الإسلام ابن تيمية فى هذه الناحية ، ويكفى أن نقرر بأنه كان من الفقهاء الذين تميزوا بفقه الكتاب والسنة ، واجتهدوا وصار لهم مذاهب تستقى من هذين المصدرين المقدسين ، متجاوزين فى هذا السبيل مرتبة التقليد للفقهاء السابقين . وإنى لأعتقد ، بحق ، أن ظهور ابن تيمية الفقيه وتلميذه ابن القيم كان من رحمة الله بالناس ، ويكفى إجالة النظر فيما تركا من تراث فقهى جليل لنعرف أى خير قدماه للمسلمين فى الشريعة الإسلامية .

كما أننا لسنا بحاجة إلى بيان أن ما نرجوه من التجديد فى الفقه ، على مثال ما كان من ابن تيمية وابن القيم وأمثالهما من الفقهاء المجتهدين المجددين ، لا يعنى أننا نريد أن نخالف حكما ثابتا بنص الكتاب والسنة . إن الذى أعنيه هو ضرورة معرفة علل الأحكام الشرعية ، وأن نوقن ، علما وعملا ، بأن الحكم يجب أن يدور مع علته وجوداً وعدما ، وأن بعض الأحكام كانت لعلل استوجبتها ، فإذا زالت هذه العلل وجب أن تتغير هذه الأحكام بتغير عللها ، وذلك يكون دائماً فى حدود الكتاب والسنة وفى سبيل تحقيق المصالح للمسلمين ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

---

[١] راجع فى هذا وما يتصل به مقالنا : « كفانا تقليدا فى الفقه » فى هذه المجلة عدد رمضان وعدد شوال عام ١٣٧٢هـ .

السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي

كما ينبغي أن نعلمها في معاهدنا

رفع رئيس تحرير هذه المجلة تقريراً إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عن مناهج الدراسة الأزهرية، وما يلاحظ عليها بما توحي به حاجة المسلمين ويؤدي به الأزهر رسالته نحو الإسلام وتراثه الثقافي، ونحو أهله في نهضتهم الاجتماعية والخلقيه والدينية ليتبوأوا مكانهم اللائق بهم في طليعة الأمم المعاصرة لنا. ومما جاء في هذا التقرير عن تدريس السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ما يأتي:

السيرة النبوية:

ان دروس السيرة النبوية مخصص لها ساعتان في الأسبوع لكل من السنتين الأولى والثانية من القسم الابتدائي، ثم تنقطع الصلة بينها وبين الأزهر في كل مراحله وهي تدرس بطريقة جافة على أنها وقائع وأحداث، لا على أنها إعداد إلهي لأمة كريمة يطلب منها أن تقوم بأعظم انقلاب إنساني في تاريخ البشر، فاستجابت لهذه الدعوة بنفوس عالية وأحلام راجحة وأخلاق ممتازة، حتى صار لخاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم أكرم الأصحاب وأصدق الأعوان على هذا الحق والخير في ثلاث وعشرين سنة. ولم ينتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن كانت هذه الأمة كلها في حجة الوداع من أهل الإجابة لهذه الرسالة العظمى، ولم يشذ عن ذلك من قبل إلا نفر قليل ممن يؤثرون العزة بالإثم فكان عدد من هلك على الباطل من معارضي الحق عدداً نزراً جداً، وكان عدد من نال الشهادة في سبيل الحق بمثل هذه القلة أو أقل، وهو ما لم يقع مثله في رسالة نبي من الأنبياء، وما لم يكن ليقع مثله لو أن الإسلام ظهر في أمة أخرى. والذين وقع منهم معارضة الإسلام في هذه البيئة من أمثال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل لم يلبثوا أن ثابوا إلى الحق بدافع من إنصافهم ورجاحة عقولهم واستنارة بصائرهم، فكانوا هم دعاة الإسلام والمجاهدين في سبيله والحاملين لأعبائه. إن قريشاً وسائر العرب استجابوا لدعوة الإسلام بأسرع مما كانت تستجيب له أية أمة أخرى. والذين يكتبون السيرة النبوية يهولون في معارضة قريش للإسلام وهم متأثرون بدعايات

طوائف مغرضة ذات نزعات خاصة نحو الصحابة جميعاً ، لأن قريشاً والعرب هم الصحابة الذين اهتدوا بالتدريج ، فمنهم السابقون ومنهم اللاحقون وكلا وعد الله الحسنى . والحقيقة الكبرى فى السيرة النبوية أن الإسلام هو رسالة الله الكاملة إلى الإنسانية كلها ، وكما اختار الله لهذه الرسالة أكمل رسله اختار كذلك لهذا الرسول الكريم أكمل الاعوان فى أنضج شعوب الأرض أحلاما وأسلمها فطرة وأسرعها إنصافا وأصدقها فى نصرة الحق بعد الاستجابة له . وقد دخلت فى الإسلام بعدهم أمم كثيرة ، فلم يعرف التاريخ أمة أصح منهم فهما للإسلام ، ولا أصدق منهم نصرة له ، ولا أوفى منهم له فى عزته وفى حفظ أماناته وفى التضحية له بكل ما يملكون . وقد قاموا بنشر دعوة الإسلام وقام بذلك غيرهم بعدهم ، فكان ما عملوه هم معجزة أخرى للإسلام لم تضارعهم فى كمالها وجمالها أية أمة أخرى من الامم الإسلامية التى تولت القيادة والتوجيه . وهذه الحقيقة هى مصداق ما ورد فى حديث عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب قريشاً ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم ، فأنا خيار إلى خيار » .

إن السيرة النبوية ينبغى أن تدرس من هذه الوجهة ، لتتبين حكمة الله فى إعداد جزيرة العرب لتحمل - تحت راية خاتم المرسلين وفى ظل هدايته - آخر رسالات الله وأكملها لتنشرها فى الأرض . وقد أدت البيئة التى ظهر منها خاتم المرسلين هـذه المهمة العظمى نحو رسالته على أكمل الوجوه ، وبما لا ينتظر من البشر خير منه . والتهويل فى كتابة السيرة بمعارضة قريش والعرب للدعوة الإسلامية مدسوس قديماً من طوائف لها آراء خاصة فى الصحابة . والنبى ﷺ لم يفارق الدنيا إلا بعد أن كان أهل بيئته دعاة لهذه الدعوة وجنودا ، وهى بيئة كريمة تستحق من المؤرخين لها أن يذكروها بكل خير ، وأن ييسروا لخلفائها من صفوة أبناء الجيل سبيل القدوة بها والاحترام لها والمحبة لرجالها تصديقاً لقول الله عز وجل مخاطباً أهلها « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

التاريخ :

والتاريخ لا يدرس فى السنة الأولى الابتدائية . وأول ما يستقبل الطالب الأزهرى

منه فى سنته الثانية تاريخ مصر القديم ، أى تاريخ « الأسر » الفرعونية . ومعرفة تاريخ مصر القديم لا بد منها ، ولكن كان ينبغى أن تكون فى غير هذه المرحلة ، خصوصا للطالب الأزهرى الذى يحتاج فيها إلى ما يلتمس منه الأسوة والقدوة لينطبع عليه من بداية أمره . ثم إن تاريخ مصر القديم كان يعلم إلى الآن بعقلية الحكم الفردى وسلطان القصور المطلق ونظام الطبقات ، والاتجاه الآن حتى فى وزارة المعارف إلى إصلاح تعليم هذا القسم من التاريخ بما يلائم مستوانا الفكرى ، ثم إنه فى الأزهر على الخصوص ينبغى أن ينظر إليه نظرة تلائم رسالة الأزهر ، وإن كانت حقائق الوقائع لا تتغير مهما اختلفت الأنظار إليها كما هو مقرر فى هذا العلم .

هذا فيما يتعلق بمنهاج التاريخ فى السنة الثانية الابتدائية ، وفى السنة الثالثة يبدأ الطالب الأزهرى بالتعرف إلى تاريخ الإسلام . ومهما أخطأت المعاهد الأخرى فى عرض تاريخ الإسلام - ولا سيما فى عصره الذهبى وهو زمن الخلفاء الراشدين - فقد كان ينبغى للأزهر أن يصحح الأخطاء المتعمدة فى التاريخ الإسلامى من المصادر الإسلامية الوثيقة التى يعتبر رجال الأزهر أقدر الناس على تتبعها وتمحيصها وحسن عرضها ، لأن عصر الخلفاء الراشدين وكل ماوقع فيه من تعاون أو سوء تفاهم قد حققه أعلام السنة وزيفوا مادس فيه المغرضون لتشويه هذا العصر وتسويء سمعة الصحابة وإيهام أنهم فى مستوى أوضع من مستواهم الرفيع الذى رفعهم الله إليه .

ومما يؤسف له أن الكتاب المقرر تدريسه للسنة الثالثة الابتدائية انزلق فى هذه الهوة وإن تلطف فى بيانه عنها ، فجاء فى آخر صفحة ٤١ من جزئه الثالث أن اثنين من العشرة المبشرين بالجنة وأم المؤمنين عائشة اتهموا علياً (رضى الله عنهم أجمعين) بالهوادة فى مقتل عثمان ذى النورين رضى الله عنه ، مع أن الذى حققه أئمة الدين وأعلام المسلمين أنهم جاءوا إلى العراق ليتفاهموا ويتعاونوا مع أخيهم وزميل هدايتهم وجهادهم للتوصل إلى إقامة الحد الشرعى فى مقتل أمير المؤمنين عثمان (وتحقيق ذلك فى فتح البارى للحافظ ابن حجر ج ١٣ ص ٤١ - ٤٢ وعشرات كثيرة من أمهات الكتب المعتبرة) . وجاء فى ص ٤٢ من هذا الكتاب المقرر أن سيدنا عليا حارب إخوانه الذين مع أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وإن تحقيق أعلام السنة وقدماء المؤرخين المحققين أن الجيشين باتا فى أنعم ليلة وأسعدها ، وأبناء كل فريق فى معسكر الفريق الآخر ، وكانا على أهبة إقرار الاتفاق النهائى فى أمر قتلة عثمان

فى صباح تلك الليلة ، لكن قتلة عثمان شعروا بذلك وأيقنوا أن الصلح والوفاق سيكون على رقابهم ودمائهم فأنشبوا القتال فى الصباح الباكر على حين لجأة من الفريقين وكان أمر الله قدراً مقدورا ، ولم يكن على كرم الله وجهه يريد قبل تلك الساعة المشئومة إلا العافية والسلامة ولم يكن إخوانه الآخرون يريدون إلا مثل ذلك ، فانزلاق الكتاب المقرر تدريسه لطلبة الأزهر فى ترويج هذا الخطأ المدسوس على تاريخ الإسلام وادعاء أن سيدنا علياً حارب إخوانه ، مخالف لواقع الأمر ، وفيه افتئات على أكرم خلق الله بعد رسول الله ، ومن أسوأ ما تسىء به أمة إلى نفسها تلقين هذا الخطأ لأطفال المسلمين الذين سيتولون قيادة الأمة ويقومون بأمامتها وتوجيهها وإرشادها .

وفى عرض الكتاب المقرر لواقعة صفين والتحكيم مضى فى تقرير الخرافة المشهورة التى يزعمون فيها أن أبا موسى الأشعرى كان أبله وأن عمرا كان صاحب حيلة ، وأشهد أن المؤلف تلطف بالإشارة إلى هذه الخرافة المكذوبة ولم يتوسع فى بيانها ، لكنه أشار فى هامش الكتاب على المدرس أن يتولى هو التوسع فى بيان ذلك . وهذه الأكذوبة من اختراع من لا يخاف الله من كذبة المؤرخين ، والصواب فيها ما رواه الحافظ الدارقطنى بسنده إلى حضين بن المنذر من رجال على كرم الله وجهه أن عمرا وأبا موسى اتفقا على ترك الأمر إلى الموجودين على قيد الحياة من رجال الصحابة كعبد الله بن عمر وطبقته ، ولم يقع قط ما نسب إلى أبى موسى من بلاهة وإلى عمرو من خدعة . وكان كلاهما أعلى منزلة وأتقى لله وأبصر بدينهما من أن يكونا كما صورهما أعداء الصحابة بأقلام مؤرخين كانوا لأزمانهم كبعض الصحفيين اليوم فى تلبيس الحق بالباطل بحسب الأهواء وللقاضى أبى بكر بن العربى فى كتاب العواصم من القواصم وشيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة وأمثالهما من أعلام المسلمين تحقيقات جليلة فى هذا الباب ، بل إن الإمام خليفة بن خياط أحد شيوخ البخارى هو أيضا من رواة الرواية الصحيحة فى التحكيم كالتى رواها الدارقطنى عن حضين بن المنذر . إن الأزهر أولى المعاهد الاسلامية بتصحيح هذه الأخطاء ، بل إن مصر أولى أقطار الأرض بإزالة السوء المفترى على الرجل الذى كان سبب إسلامها ، وله مثل ثواب كل مسلم أظلته سماء مصر من نحو أربعة عشر قرناً إلى أن تقوم الساعة .

وأهم ما كان ينبغى تعليمه لطلبة الأزهر من تاريخ مصر والاسلام تاريخ المعجزة الاجتماعية التى تمت فى مصر على يد عمرو بن العاص وإخوانه الصحابة بتحويل هذا الوطن

إلى دين الإسلام ودخوله فى أسرة العروبة واختياره للسانها وبيانها حتى صارت لها الإمامة فى ذلك كما هو الواقع الآن ، وهو حادث لا تعرف مصر فى تاريخها أعظم ولا أعجب منه فى ألوف السنين . وقد عجز الاستعمار الغربى رغم جميع وسائله الحديثة عن أن يحدث مثل هذه المعجزة فى الجزائر أو غيرها ، فتعليم طلبة الأزهر كيف صارت مصر عربية إسلامية من أهم ماكان ينبغى تعليمه لهم من حوادث التاريخ . وقد ذكر الكتاب المقرر فى الأزهر بعض إصلاحات عمرو بن العاص كإنشائه الفسطاط ، وغـــير عمرو قد ينشىء أعظم من الفسطاط ، وذكر له من إصلاحاته الاهتمام بالرى وإصلاح المقياس وإنشاء القناطر والجسور وأمثال ذلك ، وإن أسوأ فاتح قد يفعل أكثر من ذلك ، أما انقلاب مصر الاجتماعى الذى قام به عمرو وصحبه ، ولا تعرف مصر مثيلا له فى تاريخها ، فإن طلبة الأزهر لا يعرفون عنه شيئا ، ومن أولى من طلبة الأزهر بمعرفة ذلك ؟!

وفيما يتعلمه طلبة الأزهر من تاريخ الإسلام أخطاء كثيرة قد لا تستحق الذكر ، إنما الذى يستحق الذكر وجوب العدول عن اعتبار التاريخ الإسلامى تاريخ حروب وفتن وأحداث وأشخاص ، وأن ينظر إليه على أنه تاريخ الدعـوة الإسلامية وكيفية انتشارها وأسباب نجاحها ، ومن الذى أعان على ذلك وكان له أثر فيه بأخلاقه وتضحيته وصفاء بصيرته ، ومن الذى أساء إلى هـذه الدعوة وسار فى غير طريقها وأفسد على الأمة دينها ودنياها ، وكيف طرأ على المجتمع الإســـلامى الانحطاط وظهرت فيـه النزعات المذهبية والشعوبية .

إن التاريخ الإسلامى فى مناهج تدريسه ، يجب أن يطهر من الدسائس المكذوبة على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتماداً على تحقيقات أعلام المسلمين وأئمتهم ، وينبغى أن يرسم منهاجه على أساس أنه تاريخ الإسلام وتطور العمل بالمبادىء التى جاء بها ، ومن هم الذين بذلوا من ذات أنفسهم حتى نشروا دعوة الإسلام وعرفوا الأمم بها ، ومن هم الذين تنكروا لها حتى وجهوا المسلمين التوجيه الذى انحرفوا به عن طريقه .

دولة الإسلام

بين الدين والسياسة

في غضون معالجة السيد رفيق العظم للتاريخ الإسلامي في كتابه : أشهر مشاهير الإسلام ضاق المؤلف الجليل بأنباء الفتن والخلافات ، وما تبعها من انقسام للفرق فقال :

« والعجيب في أولئك الفرق أن يتنازع أشخاص من الصحابة على رئاسة دنيوية - بل ولو دينية أيضا - يرى كل شخص منهم أنه الأحرى بها والأليق للقيام بأعبائها فيجعلون ذلك التنازع تنازعا دينيا ، كأنه تنازع على أن الله واحد أو أكثر ، ينجو من آمن بوحدانيته ويهلك من قال بتعدده ، فيرسخ في أذهانهم تكفير نصف المسلمين يومئذ ، مع أن في الحديث : « من قال لأخيه يا كافر فقد باء بالكفر » (١) .

ثم قال في موضع آخر من الكتاب نفسه :

« وليس أضل عقولا من بعض الفرق الاسلامية التي حصرت النظر من أخبار الفتنة وأشخاصها في الوجهة الدينية ، فقالت : هذا استحل وهذا حرم ، وهذا يعاقب وهذا يثاب ، وفاتها أن ما تعلق بحقوق الله فلله ، وأما ما تعلق بالمسلمين فللمسلمين ، وليس لهم أن يحكموا على شخص يقول ربي الله إلا بالخطأ إذا أخطأ وبالصواب إذا أصاب .

نعم . إن لمثل هذه الأحكام والمباحث اتصالا بالأمور السياسية والأعمال الدنيوية ، فلا تخلو من فائدة وسند لمن يريد الحكم على الأشخاص بأعمالهم السياسية والاجتماعية ، ومن منهم المؤاخذ ومن منهم غير المؤاخذ . ولكن أين من مؤرخينا من نظر إلى تاريخ القوم من هذه الوجهة ، بعد أن حال بينهم وبينهم الدين ، فتقيدوا بإيراد الأخبار كما أخذوها ، وتجنبوا الخوض فيها والحكم بشيء من عندهم عليها - اللهم إلا النزر اليسير من المؤرخين - مع أن الصحابة والرواة من التابعين ومن أتى بعدهم لم يضنوا بشيء من مخبآت التاريخ وأخبار الرجال .

---

(١) أشهر مشاهير الاسلام - م ١ - ص ٦٣٠ .

ومع هذا فقد نقلهـا مؤرخونا على علاتها وزعموا أن من الادب ألا يتكلم أحد من الناس فيها ، حاشا فريق المحدثين الذين عنوا بالبحث فيها وفرقوا بين الكاذب والصادق منها ونوهوا بلزوم تمحيصها والتدقيق فيها » (١) . وهو يقول أيضا :

« وإنما صبغ السلف لهذه الفتنة بصبغة دينية هو الذى يجعل الباحث بين إقدام وإحجام مع أنها فتنة سياسية تابعة لمجرى السنن الطبيعية فى الدول » (٢) .

* * *

وأحب أولا أن يطمئن القارىء على فهم صاحب هذه الأقوال للدين ، فهو يعرف أن الدين يشمل أمور الدنيا والآخرة ، فهو يقول « وإن الإسلام جاء بقسمى السياسة والدين ولم يقتصر على أصول التوحيد والعبادات ، لهذا كان وافياً بحاجات الدين والدنيا » (٣) .

والمؤلف يفهم كذلك أن الخلاف – فى حدوده المشروعة – أمر لابد منه فى كل مجتمع فهو يقول « . . إلا أنهم اختلفوا فيمن يولونه هذا الأمر اختلافاً ليس فيه ما ينافى المصلحة الإسلامية ، بل غايته تمحيص الفكر ومحض النصيحة فيمن تجمع على تأميره كلمة الجمهور الأعظم من المسلمين ليكون أثبت قدماً فى الخلافة وأشد حجة على المخالفين » (٤) .

وما دام الدين الإسلامى وافياً بحاجات الدين والدنيا ، فقد كنت أحب من المؤلف أن تكون عبارته عن علاقة أحداث التاريخ بالدين أدق وأضبط ، فيعلن عدم رضاه عن الذين يتخذون التكفير والتأثيم محوراً لكل كتاباتهم فى التاريخ ، ويستنكر إقحام الحكم على عقائد الرجال بغير دليل فى ثنايا سرد الأعمال ، أما صبغ التاريخ بصبغة الدين عموماً – والدين يتسع للعقائد والأخلاق والأعمال جميعاً – فهذا أمر لا خطر فيه ، ولا مهرب منه ، لاننا أمام مجتمع يدين بالإسلام ، ويتحاكم إليه فى كل الأمور . وهذا الإسلام يرسم شعب الإيمان فى كل مناحى الحياة .

ثم إن المؤلف يقول إن الدين قد حال بيننا وبين الصحابة الافاضل ، فقيدنا فى إيراد الاخبار كما نأخذها . وليس فى هذا خطل ولا خطر ، ما دمنا نرجع الاخبار إلى سندها ،

---

(١) المصدر نفسه ص ٨١٦ – ٨١٧ . (٢) ص ٥٦٢ .

(٣) ص ١٨ . (٤) ص ١٨ .

ونعرف صحيحها من سقيمها . وهذه هي طريقة المحدثين الذين استشام المؤلف من بين من انتقد . أما تجاوز النقل الثابت إلى إيراد المثالب أو اختلاق الأخبار فهذا من فضل الدين أن حجزنا عنه ، ولم يفعل هذا مؤرخ فاضل ، ولم يقل أحد أن حسن الأدب هو السكوت عن الأكاذيب ، وإنما حسن الأدب هو ردها وتنقية سيرة الصدر الأول منها ، ومن حسن الأدب كذلك السكوت عن الظنون ، والكف عن اقتفاء ما لا علم لنا به وكثيراً ما تلح على المرء في هذا شهوة الاستنتاج ودعوى التحليل ، ولقد أمرنا بأن تكون شهادتنا يقينية لا استنتاجية فيما نشهد من حاضرنا . ففي الحديث « إذا رأيت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع » ، فكيف نشهد بالظن والهوى فيما أدبر من ماضينا ؟

أما أن المجتمع الإسلامي يسير على السنن الطبيعية لكل المجتمعات فهذا حق ، ونحن لا نعصم فرداً أو مجتمعاً من أن تسري عليه هذه السنن إلا أن يكون نبياً أو رسولا ، ولكن ليس معنى مسايرة المجتمع الإسلامي للسنن الطبيعية ، ومسايرة الفرد لكل النوازع البشرية أن نستبيح القول بغير علم ، أو بعلم مدخول لم نمحصه ، ولا سيما في دراسة ما كان عليه خير مجتمع إنساني عرفه التاريخ .

والإسلام له منهجه في الحكم على الرجال والأعمال ، فهو يأمر بالشهادة بالقسط ، وعدم مسايرة الهوى في شنآن أو في محبة ، وهو يأمر باتباع العلم لا الظن ، وتمحيص الخبر وتبينه أن يصاب قوم بجهالة ، وهذا في حق كل الناس ، فكيف بخير القرون وما يليها ؟

وحتى في الأخطاء ... فإن الإسلام يجعلها لنا تبصرة وعبرة ، لنستفيد من تجارب الزمن ، ولنحمد الله على العافية ، ولنتجنب تكرار هذه الأخطاء أو السماح لأسبابها ومقدماتها بالاستقرار في مجتمعاتنا ، أما من سبقونا بإحسان فردهم إلى ربهم — أخطأوا أم أصابوا — لأن الحكم الصادق يقتضي معرفة النية حتى نعرف أمأجورون هم ، أم غير ذلك ، والأعمال بالنيات والنيات لا يعلمها إلا رب السرائر . وكل ما علينا في حياتنا الدنيا أن نتجنب ما نحسبه خطأ ، ولا نسب صاحب الخطأ لأنه بشر أولا ، ولأنه قد تشهد له دلائل وفضائل أخرى ثانيا ، ولأنا لا نعرف الظروف والأوضاع التي كان فيها الخطأ وهل تبرر ذلك أو لا تبرره ثالثاً ، ولأن الأصل أن يحمل حال المؤمن على أحسن الأحوال رابعاً ، خصوصاً إذا كان هذا المؤمن أحد الذين قامت على أكتافهم دعائم الكيان الإسلامي .

فنحن نقف موقفاً وسطاً حيال كلمات السيد رفيق العظم ، فلا نجيز جر كل أمور الرجال إلى العقيدة ـ لا الدين ـ لنحكم على الناس أحكاماً ليس فى أيدينا مستنداتها ، ولسنا نحن جهة الفصل فيها ـ إلا فى المخالفة الصريحة ، وفى إنكار المعلوم بالضرورة . كما أننا لا نجيز النظر إلى سيرة السلف من ناحية دنيوية محضة ، لمجرد أن مجتمعهم شأنه شأن أى مجتمع فى السير على وفاق السنن الطبيعية . لأننا إن فعلنا نكون قد تجردنا عن فضائل ديننا وعدالة أمتنا ، وليس أخش من التدين بمعنى نصب ميزان القيامة فى الدنيا بأيدى البشر ، إلا التدين بمعنى عدم مراقبة اليوم الآخر الذى ينصب فيه هذا الميزان لإجراء حساب الله ، واستباحة نثر الأحكام يميناً وشمالا بغير هدى من الله ... ونحن نحسب أن الدين لا شأن له هنا !

إن الدين بمعنى عقيدة القلب التى يحاسب عليها الرب فى الآخرة هو الباب الذى لا نقتحمه على أحد بغير سلطان من صاحبه ... أما الدين بمعنى المنهاج الشامل لكل ما فى الحياة ، ومنه طريقة الحكم على الناس ، والنظر إلى المجتمعات وتقدير الجيل الذى أدرك نور النبوة ومن بعده ، إن الدين بهذا المعنى يتدخل فى التاريخ وغير التاريخ .

ونستطيع أن نرجع ما أشار إليه السيد رفيق العظم ، وحرص البعض على إصدار أحكام العقيدة على الرجال ، إلى ارتباط هؤلاء الرجال بروايات فى الحديث ومسائل فى الفقه ، فالباحثون حسنو النية يريدون أن يتبينوا من يأخذون عنهم دينهم ، وهل ما اجترحوا من أعمال يؤثر فى عدالتهم .

جاء فى (المقالة الوضعية فى النصيحة والوصية) لشيخ الإسلام شاه ولى الله الدهلوى المتوفى سنة ١١٧٦ هـ [١] :

« إعقد قلبك وضميرك على الإخلاص والإحسان والاعتقاد الصحيح الطيب فى حق أصحاب النبى ﷺ ، ولا تطلق لسانك فيهم إلا بمناقبهم وفضائلهم . وأخطأ فى هذه المسألة فئتان ، فقوم يزعمون أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا طاهرين ومتنزهين عن أدناس غل فى صدورهم ، وغش فى مطويات قلوبهم ؛ وهذا وهم صرف ، لأن النقل المستفيض منهم شاهد

---

(١) راجع ترجمته فى رسالة الاستاذ السيد مسعود الندوى « نظرة اجمالية فى تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند والباكستان » ص ٣٧ — ٤٥

على مشاجراتهم فيما بينهم ، وإنكار هذا النقل المستفيض من الاستحالة بمكان ؛ وقوم لما رأوا تلك الأمور منسوبة إليهم أطلقوا ألسنتهم ، وأخرجوا من أفواههم كلمة تكلم الصحابة بالطعن عليهم والقدح فيهم وعابوهم ، فتورطوا في وحل الهلكة ، القاضية عليهم ، وورطة الضلالة التي تعسر النجاة لهمُ منها .

ولقد أوحى إلى هذا الفقير أن أصحاب النبي ﷺ — وإن لم يكونوا معصومين ، وليس بعيداً أن يصدر عن بعضهم أمور وبعض الهنات التي إن وقعت من الآخرين واستحدثت — لأصبحوا موارد طعن وجرح . فنحن مأمورون بكف اللسان عن مساويهم ومحظورون عن سبهم والطعن فيهم ، تعبداً ولمصلحة . والمصلحة أنا لو فتحنا باب الجرح والتنقص والتنديد بمثالبهم لانقطعت سلسلة الرواية عن النبي ﷺ ، وفي انقطاع الرواية زهوق روح الملة ، ولما أن الرواية تؤخذ من كل صحابي ، فأ كثر الأحاديث تصير مستفيضة وتقوم الحجة على تكليف الأمة ولا يضر جرح البعض في ذلك النقل فلا يقع خلل [1] » .

وليس معنى ذلك أن هذه الحماية الشرعية التي أقيمت حول الصحابة قد أطلقت لتحمي كل من صاحب بأوسع مدلولات الصحبة ، فالفقهاء قد حددوا الصحبة المقصودة تمام التحديد . قال الإمام ابن حزم : « وليس كل من أدرك النبي ﷺ ورآه صحابياً ، ولو كان ذلك لكان أبو جهل من الصحابة لأنه قد رأى النبي ﷺ وحادثه وجالسه وسمع منه . وليس كل من أدركه عليه السلام ولم يلقه ثم أسلم بعد موته عليه السلام ، أو في حياته إلا إنه لم يره ، معدوداً في الصحابة ، ولو كان ذلك لكان كل من كان في عصره عليه السلام صحابياً ، ولا خلاف بين أحد في أن علقمة والأسود ليسا صحابيين وهما من الفضل والعلم والبر بحيث هما ، وقد كانا عالمين جليلين أيام عمر ، وأسلما في أيام النبي ﷺ » [2] وقال أيضاً في الحديث المرسل : « وقد كذب على النبي ﷺ وهو حي ، وقد كان في عصر الصحابة منافقون ومرتدون ، فلا يقبل حديث قال راويه فيه : عن رجل من الصحابة ، أو حدثني من صحب رسول الله ﷺ إلا حتى يسميه ، ويكون معلوما بالصحبة الفاضلة ممن شهد الله تعالى لهم بالفضل والحسنى » [3] .

---

[١] مجلة الضياء الهندية ـ عدد شعبان سنه ١٣٥٣ .

[٢] الاحكام فى أصول ـ ج ٢ ص ٨٣ .

[٣] المصدر السابقة ص ٣ .

ولا يفهمن أحد أن هذه الحماية الشرعية لتبرئة نفوس زكاها الله ، تقام لتبرئة عقول لم يعصمها الله ، من أن يجرى عليها ما يجرى على الناس من النسيان ونقص العلم لذلك لا يكتفى فى نقل الحديث بالعدالة وحدها ، يقول الإمام ابن حزم : « وينفرد نقلة الأخبار — عن النبي صلى الله عليه وسلم — دون الشهود فى الأحكام ، فى وجه رابع وهو ألا يكون المحدث إلا فقيها فيما روى أى حافظا ، لأن النص الوارد فى قبول نذارة النافر للتفقه إنما هو بشرط أن يتفقه فى العلم ، ومن لم يحفظ ما روى فلم يتفقه ، وإذا لم يتفقه فليس ممن أمرنا بقبول نذارته ، وليس ذلك فى الشهادة لأن الشرط فى الشهادة إنما هى العدالة فقط بنص القرآن »[1].

أما الأوجه الثلاثة المشتركة بين راوى الحديث والشاهد فهى التى تختص بالعدالة مطلقا وهى البراءة من الإقدام على كبيرة ، قد صح عند المسلم بالنص الثابت أنها كبيرة ، ومن الإقدام على ما يعتقد المرء حراما ، وإن كان مخطئا فيه ، قبل أن تقوم الحجة عليه بأنه مخطىء ، ثم من المجاهرة بالصغائر التى صح عند المجاهر بها بالنص أنها حرام [2] .

فالحماية الشرعية للصحابة المرضيين لا تنصب لكل واحد ، ولا تنصب فى كل حالة ، وقد كانت تجترح هذه الحماية أحيانا فى حق من لفهم ثوب الفتنة حتى يعرف ، أيؤخذ عنهم أم لا ؟ وفى هذا أورد الإمام ابن حزم فى أصوله عن الصحابة العدول : « وكذلك - أى من العدول - كل من قاتل عليا رضوان الله عليه يوم صفين ، وأما أهل الجمل فما قصدوا قط قتال على رضوان الله عليه ولا قصد على رضوان الله عليه قتالهم . وإنما اجتمعوا بالبصرة للنظر فى قتلة عثمان ، رضوان الله عليه ، وإقامة حق الله تعالى فيهم ، فتسرع الخائفون على أنفسهم أخذ حد الله تعالى منهم - وكانوا أعداداً عظيمة يقربون من الألوف - فأثاروا القتال خفية حتى اضطر كل واحد من الفريقين إلى الدفاع عن أنفسهم إذ رأوا السيف قد خالطهم - وقد جاء ذلك نصاً مرويا .

وإن العجب ليكثر ممن يبيح لأبى حنيفة ومالك والشافعى والأوزاعى والليث وسفيان وأحمد وداود ، رحمهم الله ، أن يجتهدوا فى الدماء وفى الفروج وفى العبادات ، فيسفك هذا دماً يحله باجتهاده ، ويحرمه سائر من ذكرنا ، ويحل أحدهم فرجا ويحرمه الآخر ، ويحل

---

[١] الاحكام حـ ١ ص ١٤٨ .
[٢] المصدر ص ١٤٧ .

أحدهم مالا ويحرمه الآخر، ويوجب أحدهم حداً ويسقطه الآخر، ويوجب أحدهم فرضاً وينقضه الآخر، ويحرم أحدهم عملا ويحله الآخر، ولم يختلفوا قط إلا فيما ذكرنا، فيجيز لهؤلاء الحكم فيما ذكرنا، ويعذرهم فى استباحة الدماء فما دونها، وليس عندنا من أمرهم إلا أنهم فيما بدا لنا مسلمون فاضلون يلزمنا توقيرهم والاستغفار لهم، إلا أننا لا نقطع لهم بالجنة ولا بمغيب عقودهم ولا برضى الله عز وجل عنهم، لكن نرجو لهم ذلك ونخاف عليهم كسائر أفاضل المسلمين ولا فرق، ثم لا نجيز ذلك لعلى وأم المؤمنين وطلحة والزبير وعمار وهشام بن حكيم ومعاوية وعمرو والنعمان وسمرة وأبى الغادية وغيرهم، وهم أئمة الإسلام حقاً والمقطوع على فضلهم وعلى أكثرهم بأنهم فى الجنة، وهذا لا يخيل إلا على مخذول وكل من ذكرنا من مصيب أو مخطىء فمأجور على اجتهاده إما أجرين وإما أجرا، وكل ذلك غير مسقط عدالتهم » [1].

وبهذا قطع الإمام الجليل القول فى تأثيم هؤلاء: وما يجره التأثيم من التجريح. وجعل المجرح لهم هو المجرح فيما يرويه إذ يقول: « ومن سب أحد الصحابة، رضى الله عنهم، فإن ذلك عصبية، والعصبية فسق. وصدق أبو يوسف القاضى إذ سئل عن شهادة من يسب السلف الصالح، فقال: لو ثبت عندى على رجل أنه يسب جيرانه ما قبلت شهادته، فكيف من يسب أفاضل الأمة، إلا أن يكون من الجهل بحيث لم تقم عليه حجة النص بفضلهم والنهى عن سبهم، فهذا لا يقدح سبهم فى دينه أصلا ولا ما هو أعظم من سبهم. لكن حكمه أن يعلم ويعرف. فإن تمادى فهو فاسق، وإن عاند فى ذلك الله تعالى أو رسوله ﷺ فهو كافر ومشرك » [2].

(للبحث بقية)

محمد فتحى محمد عثمان
مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

---

[١] الأحكام ج ٢ ص ٨٥ — ٨٦.

[٢] الأحكام ج ١ ص ١٤٩.



المعـــاجم

المعجم : اسم لكتاب تكون عناوين البحث فيه ومواده مرتبة على الحروف الهجائية . ويأتى هذا الضرب من التصنيف فى فروع المعرفة . فهناك المعاجم اللغوية ، ومعاجم الرجال الذين رووا الحديث ، ومعاجم البلدان ، ومعاجم الأدباء ، ومعاجم الصوفية ، وغير ذلك .

وقد كان المؤلف لهذا النوع يقول أولا : ألفت الكتاب على حروف المعجم ، ثم صار المعجم بعد يطلق على الكتاب نفسه ، فقيل : معجم ما استعجم ، وهو لأبى عبيد البكرى ، فى الإبانة عن الأمكنة والمواطن ، وقيل معجم البلدان . وهو لياقوت .

ويعنينى فى هذا المبحث جمع المعجم فقد طاب لبعض الباحثين أن ينكر جمعه على المعاجم كما هو المعروف فى جمعه ، وأوجب أن يجمع على المعجمات .

جاء فى أهرام أول سبتمبر ١٩٥٣ ما يلى : « يقول بعض الكتاب : لا أجد فيما بين يدى من المعاجم كذا ؛ وهذا خطأ . والصواب : معجمات ؛ لأن المفعل - بضم الميم - لا يجمع على مفاعل . والمعجم بضم الميم ، من أعجمت الحرف أى أزلت عجمته بما يميزه على غيره . فجمعه على معاجم خطأ لا وجه له . وجمعه معجمات ؛ كمبهم ومبهمات » .

وينبغى للحكم فى هذا الأمر أن أنبه على أن علماء اللغة يفرقون فى الجمع بين الاسم والصفه . وقد يميزون صفة العاقل بجمع لا يكون لصفة غير العاقل .

وفى ضوء هذا ينبغى البحث فى « المعجم » من أى نوع هو ؟

ولقد أسلفت أن أصل هذا الإطلاق هو « حروف المعجم » ، وأنه كان يقال : ألف هذا الكتاب على حروف المعجم ، ثم أطلق المعجم على الكتاب . وعلى ذلك فسيجرى البحث فى المعجم فى أصله هذا : « حروف المعجم » .

وعند أكثر الباحثين أن « المعجم » مصدر ميمي بمعنى الإعجام . وإعجام الحرف - كما ذكر الكاتب - إزالة عجمته بما يميزه على غيره . ومعنى حروف المعجم الحروف التى يدخلها الإعجام وإزالة اللبس بينها ، بالنقط فيما ينقط ، أو التعرية عن النقط لما لا ينقط ، أو الحروف التى من شأنها أن تعجم ؛ كما يقال : مطية ركوب أى من شأنها أن تركب ، وسهم نضال أى من شأنه أن يناضل به . واستعمال المفعل فى معنى الإفعال واقع كثير . فقد قرئ قوله تعالى : « ومن يهن الله فماله من مكرم »[1] بفتح الراء أى إكرام . وقوله تعالى : « رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق[2] » ، فالأظهر فيه أن المدخل والمخرج بمعنى الإدخال والإخراج ؛ وقد قال القرطبي فى تفسيره (٣١٣/١٠) : « والمدخل والمخرج - بضم الميم - بمعنى الإدخال والإخراج ؛ كقوله : « أنزلنى منزلا مباركا[3] » ، أى إنزالا لا أرى فيه ما أكره » ؛ على أنه يجوز فى الآيات السابقة حمل المفعل على المكان . والأمر فى ورود مفعل للمصدر لا يحتاج إلى الإكثار والبيان ؛ إذ كان من القياس والاطراد بحيث لا ينكر ولا يدخله الارتياب .

وإذا قبلنا فى « المعجم » هذا الرأى - وهو أنه فى معنى الإعجام - كان اسما ولم يكن وصفا وحينئذ فالوجه فى جمعه هو المعاجم . وقياسه فى هذا الوجه على المبهم ليجمع على المعجمات غير صحيح ؛ فإن المبهم وصف من أبهم ، يقال : أمر مبهم ، وأمور مبهمات . وما عهدنا المعجم وصفا ؛ فما يقال : كتاب معجم ، وما يلتبس الإعجام بالوصف بحال .

وهناك رأى غير ما سلف فى تفسير « حروف المعجم » . فقد قيل : المراد : حروف الخط المعجم . فالمعجم على هذا وصف كالمبهم . ويأتى ما رآه الكاتب من جمعه على المعجمات لا المعاجم . على أن « المعجم » قد خلع عن الوصفية والتحق بالجوامد ، وصار اسما لضرب من المصنفات . وآية ذلك أنه لا يجرى على موصوف . فإذا قلت قرأت معجما تاريخياً فإنك لا تقدر موصوفا لمعجم فتنوى : كتابا معجما مثلا . وإذا صح فى المعجم - على هذا الوجه - أنه التحق بالأسماء كان الوجه فى جمعه المعاجم ، ولم يكن قياسه فى الجمع قياس « مبهم » .

وفى اللغة طائفة من الكلمات على وزان مفعل ، كانت فى الأصل أوصافا ثم التحقت بالأسماء فجمعت على المفاعل .

---

[١] آية ١٨ سورة الحج [٢] آية ٨٠ سورة الاسراء [٣] آية ٢٩ سورة المؤمنين .

من ذلك المصحف والمخدَع و المطرَف والمجسد .

فالمصحف : الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين . قال الأزهرى : وإنما سمى المصحف مصحفا لأنه أصحف أى جُعل جامعا للصحف المكتوبة بين الدفتين . والمطرَف : رداء من خزّ مربعٌ فى طرفيه عَلمان . وهو ـ فى الأصل ـ وصف من أطراف الشىء : جعل فى طرفه شيئا . والمخدع : البيت الصغير يكون داخل البيت الكبير . وهو ـ فى الأصل ـ وصف من أخدع . وقد ورد فى هذه الكلمات الكسر ، والأصل فيها الضم ؛ كما يقول الفراء (راجع اللسان فى مواد هذه الكلمات) . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجسد ، وهو الزعفران .

وأعود لجموع هذه الكلمات .

فالمصحف جمعه المصاحف ، ولا يعرف جمعه على المصحفات ، ولا يستساغ ذلك . والمطرف جمعه المطارف . وفى اللسان : « المِطرف والمطرف واحد المطارف » . والمخدع واحد المخادِع ؛

وقال الشاعر :

جعل المخادع للخداع يعدّها مما تطيف ببابه الطلاب

والمجسد واحد المجاسد : وفى حديث أبى ذرّ أن امرأته ليس عليها أثر المجاسد .

والقارئ بعد هذا يخرج بأن الوجه فى جمع المعجم هو المعاجم .

وفى خطبة تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى : فإن ذلك بالمعاجم والمشيخات أشبه منه بموضوع الكتاب » . وقد سقت هذا النص ليتبين القارئ أن جمع المعجم على المعاجم جار على الألسنة من غير نكير منذ دهر غبر من الزمان .

أكرم العلماء ، وخاصة العاملين منهم ، وبخاصة العاملون منهم

ترد « خاصة » فى الاستعمال لإفادة تخصيص بعض المتحدث عنهم بحكم ، وتمييزه . ومثلها فى ذلك « خصوصاً » . تقول : هذا لك خاصة . وفى الأموال لأبى عبيدة ص : فقال : هذه لرسول الله خاصة قرى عربية : فدك وكذا وكذا » . وفى أخبار أبى وجزة فى الأغانى : « كان أبو وجرة منقطعا إلى آل الزبير . وكان عبد الله بن عروة بن الزبير خاصة يفضل عليه ويقوم بأمره » . وفى الكتاب العزيز : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

والظاهر أن « خاصة » فى هذه الاستعمالات مصدر جاء على فاعلة ، كالعافية والفاتحة والباقية فى ألفاظ أخر . هذا أصلها ، وقد يراد بها الوصف ، ومن ثم تبقى على حالها ، فيقال هذا لكم خاصة ، و (خاصة) هنا حال من ضمير الجمع ، ولم يغير لما ذكرت لك ، وكأنك قلت فى هذا المثال : هذا لكم مخصوصين بذلك . وهذا دليل على مصدريتها . وقال فى التاج « ويقال : الخصوصية والخصية والخاصة أسماء مصادر » .

وإذا قلت : أكرم العلماء ، وخاصة العاملين منهم فخاصة مفعول مطلق لفعل محذوف ، والعاملين مفعول به لذلك الفعل ، أى خص العاملين خاصة ، وإن لم يرد هذا الأسلوب .

وتقول : أكرم العلماء وبخاصة العاملون فترفع « العاملون » . وذلك أن « بخاصة » خبر مقدم ، و « العاملون » مبتدأ مؤخر ، أى العاملون متلبسون بالخصوص أو الخص . وترى أن المخصوص يرتفع فى هذه الحالة أى إذا دخل حرف الجر على « خاصة » . وجاء فى اللسان (خصص) : « وسمع ثعلب يقول : إذا ذكر الصالحون فبخاصة أبو بكر ، وإذا ذكر الأشراف فبخاصة على » .

هذا الشيء ليس فى مكنتى

لا يرى الناظر فى اللسان والقاموس « المكنة » كما يستعملها الناس بضم الميم وسكون الكاف ، وفى اللسان أن المكنة - بفتح الميم وكسر الكاف - اسم من التمكن ، كالتبعة من التتبع ، والطلبة من التطلب . وتقول العرب : إن فلانا لذو مكنة عند السلطان أى تمكن . وجاء فى الحديث أقروا الطير على مكناتها أى على تمكنها واستقرارها .

وعلى هذا فالصواب أن يقال : ليس هذا الشيء فى مكنتى .

على أنه جاء فى المقامة السابعة من مقامات الحريرى : « فلما استحلس وكنتى وأحضرته عجالة مكنتى » ، والظاهر أنه بضم الميم وسكون الكاف كما ينطق الناس . وجاء فى مستدرك التاج لمادة مكن : « المكنة - بالضم - القدرة والاستطاعة » ، وهذا يصحح النطق الجارى بين الناس . وقال الأمير تميم بن المعز الفاطمى :

لك عندى فقر عيناً من المكـ ـنة ما لا تحصيه منى القوافى

والظاهر أن يقرأ « المكنة » بضم الميم ، وإن كان يصح قراءته « المكنة » بفتح الميم وأصله المكنة بالضم فسكن الميم تخفيفاً ؛ كما يقال فى كتف : كتف ، وفى فخذ : فخذ ،

محمد على النجار

گولدصيهر والشيخ طاهر الجزائرى

كتب الأستاذ محمد أمين حسونة مقالا بعنوان (المستشرقون المجريون) فى مجلة مجرية استقى ما فيها من معلومات عن مصادر أوربية . ومما جاء فيها عن أجناس كولد صهر ما يأتى :

« درس فى مدارس اللغات الشرقية فى برلين وليبزيك وفيينا ، ورحل إلى سوريا عام ١٨٧٣ وتتلمذ للعلامة الشيخ طاهر الجزائرى ، ثم نزح إلى مصر حيث تضلع فى العربية على شيوخ الازهر ، وقد شهد له علماء جامعات الغرب بطول الباع وبعد النظر » .

ثم ذكر مؤلفاته وأعماله العلمية ، ومنها أنه « ترجم إلى الالمانية كتاب (توجيه النظر إلى علم الأثر) لأستاذه طاهر الجزائرى » .

وقد رأينا لهذه المناسبة أن ننقل من خط أجناس كولد صهر نص كتاب كان بعث به من بوادبشت بتاريخ خامس ذى الحجة سنة ١٣١٧ إلى الشيخ طاهر الجزائرى بدمشق . وأصل هذا الكتاب من المحفوظات الخاصة لدى رئيس تحرير هذه المجلة الذى تتلمذ للشيخ طاهر الجزائرى مدة ربع قرن كانت هى ذروة النضوج فى حياة هذا الأستاذ العظيم الذى كان كولد صهر تتلمذ له فى شبابه . وهذا نص الكتاب :

سلام إلى صاحب الشرف الباذخ ، والفضل الشامخ ، من هو المرجع للأماثل والأفاضل ، الحاوى لأقصى معارج الفضائل والفواضل ، العالم العلامة الشيخ طاهر بن صالح المغربى الجزائرى أدام الله تعالى فضله وزاد بقاءه آمين .

لله در عصابة نادمتهم   يوما بجلق فى الزمان الأول

أما بعد فإن الإنسان مشتق من النسيان ، وبدوران الزمان عفا فى قلبه أثر الإخوان . والاحباء والأخلاء يفرقهم الملوان . ومع ذلك أرجو أنه ما انمحى من قلبكم خيال صاحبكم المجرى الذى كان يستجير بشامكم فى سنة ١٢٩٠ مقتبساً من أنوار علمائها ، وكثيراً ما تداول بين فضلائها وأدبائها . وصاحبكم يوماً فيوما مستأنسا بمجاورتكم ومذاكرتكم ، وكنا إذ ذاك — أنتم وعبدكم الكاتب — فى عنفوان شبابنا ، متبحرين فى العلوم الشريفة . مستغرقين فى بحور الآداب الظريفة . والآن هيهات بعد مر سبعة وعشرين من الاحوال ، وهن عظمى

واشتعل رأسي شيبا . أما والله تعالى ما اندرس ذكر الصاحبين المنيرين من نفسى وفؤادى مع أنى

لقد عيل صبرى بعدكم وتكاثرت همومى ولكن المحب صبور

ومعتمداً على دوام ما جبل الله تعالى فى قلوبنا من المحبة والمودة أتجسر يا أيها الشيخ العلامة أن أستفهمكم عن مسألة دمشقية لا أجد حلها فى الكتب التى تحت تصرفى مع شدة اشتياقى لإزالة شبهتى فى تلك المادة . فذلك أنى قرأت فى خلاصة المحبى وسلك الدرر للمرادى لا غيرهما من الكتب التاريخية وطبقات علماء الإسلام أن الشيخ عبد القادر بن محمد ابن سوار المتوفى سنة ١٠١٤ بعد رجوعه من مصر إلى دمشق كان أول من أنشأ سنة ٩٤٠ بدعة حسنة نقلها من مصر وهى إقامة الجماعات الذكرية المختصة للصلوات على النبى ﷺ وعرفوا هذه الجماعات باسم المحيا النبوى لإحيائهم ليالى الاثنين والجمعات بتلك الأوراد والأذكار . واستمر منصب شيخ المحيا ومقدم الجماعات المحيوية فى نسله السوارية إذا مات منهم أحد خلفه ابنه فى هذه الوظيفة الشريفة .

وكان المحل المخصوص لأداء المحيا الموصوف مشهد فى شرق الجامع الأموى (لقبوه مشهد المحيا) ، وجامع التيروزى بجوار قبر عاتكة رضى الله عنها خارج دمشق ، وبعد ذلك فإنى أشتاق كثيراً أن تفضلونى بإخبارى عن المسائل الآتية أولا فأولا :

١ — هل تستمر الجماعات المذكورة فى الشام ونواحيها إلى يومنا هذا .

٢ — ما اسمها فى اصطلاح الناس ، أبقى عليها اسم المحيا أم بدلوها باسم غير هذا .

٣ — أين محل إقامة الجماعات المحيوية فى دمشق هل تستمر فى المشاهد المذكورة فوقه إلى الآن ، أم نقلت إلى غيرها من المشاهد .

٤ — هل تتوارث وظيفة شيخ المحيا فى العائلة السوارية كما كان فى القرن الحادى والثانى عشر ، أم اتسعت على غيرها من البيوت الفاضلة الشامية .

تفضل على يا أيها الشيخ بإفادة جواب شافى مثابا جميل الثواب من الله الكريم الوهاب . وتخبرونى أيضاً عن أحوالكم كلياتها وجزئياتها .

وأما عبدكم فيتشكر لله تعالى على ما أنعم عليه من خيره ، صابراً على البلايا ، إن الله مع الصابرين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحريراً فى بودابشت   كتبه العبد الحقير الفقير

٥ ذى الحجة من شهور سنة ١٣١٧   أجناس كولدصهر المجرى

أقسام الواجب

بعد أن بينا حقيقة (الواجب) لغة وشرعا ، ووضحنا الترادف بين الفرض والواجب عند الشافعية والاختلاف بينهما عند الحنفية ، وتتميما لبحث الواجب فى تنوعه يلزمنا بيان التقاسيم التى ذكرها الأصوليون ملتزمين بيان الحقائق وتميزها دون التعرض للجدل والنقاش والاعتراضات والرد عليها إلا بما تمس الحاجة الشديدة إليه .

فالواجب ينقسم أولا إلى مطلق ومؤقت . فالمطلق ما لم يقيده الشارع بوقت محدد من العمر مثل الكفارات ، والمؤقت ما جعل الشارع له زمنا محددا يفعل فيه مثل الصلاة وصوم رمضان .

والوقت المعين لفعل الواجب ثلاثة أنواع : موسع ، ومضيق ، وذو شبهين . فالموسع ويسميه الحنفية ظرفا هو ما يزيد عن مقدار الواجب ووسع على المكلف أن يأتى بالواجب فى أى ساعة شاء منه كأوقات الصلوات الخمس . وهذا الوقت سبب لوجوب الواجب وأمارة عليه ، فلا يجب قبل دخوله ، وشرط لصحته فلا يصح التعجيل به . ويجوز فعل الواجب فى أى ساعة شاء المكلف من الوقت ، وهذه الحقائق موضع اتفاق بين جميع الأصوليين . واختلفوا فى جزء الوقت الذى جعل سبباً لتوجه الخطاب من الشارع . فقيل : أن أول أجزاء الوقت هو علامة توجه الخطاب ، فمتى ابتدأ الوقت صار المكلف مطالبا بالفعل مخيرا فى جميع أجزاء الوقت متى كان متأهلا للتكليف أول الوقت ، فإن لم تكن عنده الأهلية انتقل السبب إلى الجزء الذى يزول فيه المانع من الوقت .

وقال قوم : إن السبب هو الجزء الذى يتصل به الأداء من الوقت ، فإن لم يؤد تعين الجزء الأخير الذى يسع أداء الفرض للسببية ، وبعد خروج الوقت تضاف السببية إلى جملته والمضيق من الوقت ما لا يسع شيئا آخر من جنس الواجب كشهر رمضان ، ويسمى معيارا والوقت ذو الشبهين هو وقت الحج . فله شبه بالمضيق من جهة أن العام لا يسع إلا حجا واحدا ، وشبه بالموسع من جهة أن أشهر الحج لا تستغرقها أعماله .

ويوصف الواجب بالأداء إن فعل فى وقته المحدود له ، وبالإعادة إن فعل ثانياً فى الوقت بعد فعله أولا لعدم كمال الأول . ويوصف بكونه قضاء إن قام به المكلف بعد الوقت . وقد اختلفوا فى أن القضاء بالأمر الأول أو بأمر جديد ، كما اختلفوا فى وصف العقل بكونه أداء هل يكفى بمجرد الشروع فيه فى الوقت كما فى الصلاة ، أو لابد أن يأتى بركعة منها على الأقل فى الوقت . ولا نرى حاجة إلى الدخول فى هذا النقاش لعدم مساس الحاجة إليه .

وينقسم الواجب ثانياً إلى واجب معين على كل فرض ممن تتوفر فيهم أهلية الوجوب ، وإلى غير معين على كل فرض بل قصد الشارع حصوله من بعض المكلفين غير ناظر إلى فاعله . فالأول كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، وتوصف هذه الواجبات بالعينية لأنها لزمت كل واحد من الأفراد بعينه ، والثانى كالقيام بوظيفة القضاء والإفتاء وبدء السلام ورده والصلاة على الموتى والقيام بعلاج المرضى وسد حاجة المعوزين ، وتوصف هذه الواجبات بكونها واجبات كفائية للزوم أدائها من بعض المكلفين وسقوط طلبها إذا أتى بها فرد من أفراد المخاطبين . فأداء الفرد يسقط الإثم عن جميعهم . وإذا أهمل القيام بهذا الواجب أثم جميع المخاطبين ، فجميع واجبات الكفاية إذا قام بها البعض سقط الطلب عن الجميع ، وإذا لم يأت بها أحد أثم جميع المكلفين ، وأثم الجميع بالترك يقتضى توجيه الطلب إلى الجميع لأنه لا معنى للتأثيم العام مع توجيه الطلب إلى البعض ، وسقوط الإثم بفعل البعض يقتضى توجيه الطلب إلى البعض ، وعند النظر فى خطابات الشارع بطلب فروض الكفاية نجد القرآن الكريم يوجه الخطاب أحياناً إلى جميع الأمة بأن يكون بعض أفرادها مطلوبا منه تحصيل الفرض . وهذا البعض هو الذى وجدت عنده الأهلية والقدرة والاستعداد ولفعل هذا الفرض قال تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » ، وأحيانا يطلب الفعل من طائفة مبهمة قال تعالى « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » .

ولفروض الكفايات والقيام بها شأن عظيم فى تنظيم مرافق الدولة وإصلاح شئونها وإزالة المنكرات فيها . ونشأ عن هذه القاعدة وظيفة المحتسبين فى الدولة الذين وطنوا أنفسهم على إزالة كل فساد خلقى أو اجتماعى ، فإذا ما قويت هذه الروح فى الأمة استطاعت أن تتضامن

وتكافل على استتباب الأمن وإزالة الموبقات والقيام بمرافق الدولة من القضاء على الفقر والمرض والجهل.

وينقسم الواجب ثالثاً إلى واجب محدد وهو ما عين له الشارع مقداراً كالصلوات المفروضة والزكوات. وغير محدد وهو ما لم يعين له الشارع مقدارا كالانفاق فى سبيل الله وإطعام الجائعين وكسوة العارين وإنقاذ الغرقى وإغاثة الملهوفين، وهذه مطلوبة من المكلف غير أنها لا تترتب فى ذمته لأنها لو ترتبت لكانت محددة معلومة إذ المجهول لا يترتب فى الذمـــة.

والتقسيم الرابع للواجب يجىء فى تعيينه بأن يطلبه الشارع عينا فيلزم ذلك المعين ولا يقوم غيره مقامه، ومخير وهو ما يطلبه الشارع على سبيل الإبهام ضمن أمور معينة كأحد خصال الكفارة، قال تعالى فى كفارة اليمين «فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة»، فيتعلق التكليف فى الواجب المخير بواحد مبهم كما فى كفارة اليمين. فقد تعلق الطلب فيها بواحد من الأمور الثلاثة وهى الاطعام أو الكسوة أو التحرير.

فالواحد المبهم قدر مشترك بين الخصال كلها لصدقه على كل واحد منها. ولا نرى الحاجة ماسة إلى بيان أن الواجب هو الجميع ويسقط بفعل البعض ولو أدى المكلف الجميع يستحق ثواب واجبات. والواجب معين عند الله تعالى، وهو ما يقوم المكلف بفعله فيختلف أداء هذا الواجب تبعا لاختلاف ما يقوم به كل مكلف. والواجب معين عند الله تعالى بلا اختلاف، فإن فعله المكلف سقط الواجب. وإن فعل غير المعين عند الله تعالى سقط به الواجب أيضاً.

فالراجح عند الأصوليين جواز التكليف بأمر واحد من أمور معينة كما فى خصال الكفارة، فالتكليف يتعلق بواحد مبهم يسقط الواجب بفعل أى واحد من الخصال الثلاثة فى الكفارة. والنتيجة أن الجهة العملية متفق عليها، وهى أن المكلف مطالب بإحدى هذه الخصال. فإن فعلها فقد أدى الواجب، وإن ترك الكل أثم. والخلاف بعد ذلك فى شىء لا يترتب عليه عمل (أنظر صفحة ١٧٩ جزء أول موافقات).

عبد الله المراغى
مدير المساجد

الديموقراطية في الإسلام

اتجه الأستاذ العقاد فى السنوات الأخيرة نحو الدراسات الإسلامية ، فأخرج لنا سلسلة العبقريات وغيرها من كتب قيمة أساسها تحليل شخصيات أو موضوعات إسلامية . وكتاب « الديمقراطية فى الإسلام » حلقة جديدة فى هذا الباب ، ويرمى إلى إثبات أن الإسلام هو الذى أنشأ فكرة الديمقراطية لأول مرة فى تاريخ العالم ، وقد حرص الكاتب الكبير على أن يبين أن مقومات الديمقراطية وسماتها الرئيسية من أصول إسلامية ، وعقد لذلك تسعة عشر فصلا عدا المقدمة والخاتمة .

ما هى الديمقراطية التى عرفت عند اليونان والرومان ؟ قد لا يكون من اليسير تعريفها بصفة إيجابية ، وإنما يلجأ إلى السلب عادة ، فنقول مثلا إنها « غير حكم الفرد المطلق ، وغير حكم الأشراف ، وغير حكم الكهان ، وغير حكم القادة العسكريين ، وما عدا ذلك من ضروب الحكم التى ليس للشعب فيها نصيب » ، لأننا إن قلنا إنها حكم الشعب لن يتسق ذلك تماماً مع تعريفها ، فقد ارتضت الشعوب أحياناً أحكام المستبدين .

والنظام الديموقراطى بدأ فى إسبرطة ، ولم يبدأ فى أثينا موطن الفلاسفة ، فقد كان نظاماً عملياً لا فكرياً ، فالديموقراطية إذن « لم تكن مذهباً قائماً على الحقوق الإنسانية أو منظوراً فيه إلى حالة غير حالة الحكومة الوطنية » ، وعلى ذلك تقرر الدساتير الرومانية مساواة جميع الطبقات فى حقوق الانتخاب وحقوق الحكم لحاجة الدولة - بعد تنوع طوائفها إلى العامة . وهذا فى الواقع السبب الرئيسى فى الحقوق الديموقراطية التى قال بها الإنجليز فى القرن الخامس عشر ، فلم يخول عمال المدن حق الانتخاب إلا بعد أن أصبحوا قوة لازمة للدولة فى المصانع ، ثم تبعهم عمال الريف ، وكذلك المرأة بعد الحرب العالمية الأولى وصلت إلى هذا الحق لاشتغالها بأعمال المصالح أثناء غياب الجندى فى مناطق القتال .

والآن ماهى مقومات الديموقراطية العربية قبل مجىء الإسلام ؟ تصور بعض المستشرقين حياة العرب قبل الإسلام كلها حرية فى جميع التصرفات . ولكنها لم تخرج عن كونها حرية واقعية لم يقصد إليها ولم تقم على مبادىء توضح حق الإنسان فى الحياة الكريمة ، وإنما كانت

لأن الناس لم يتنازعوا عليها مثلهم مثل الطير فى السماء . زيادة على ذلك أن الحرية بالمعنى الذى صورها به بعض المستشرقين لم تكن متحققة دواما وفى كل مكان ، فقد عرفت بعض القبائل حكم الطغيان والاستبداد وخضع له أفرادها . وقيام بعض الثورات كان لانتزاع السلطان لا لتحقيق الحرية المسلوبة والدفاع عن الكرامة البشرية ، ناهيك بما كانت عليه الفوارق الاجتماعية من اتساع ، فمن غنى فاحش إلى فقر مدقع .

والدول غير الإسلامية التى كانت فى عهد الدولة المحمدية لم تحكم منها دولة « بنظام ديمقراطى أو تؤمن بمبادىء ديموقراطية » : فمن فواصل شاسعة بين طبقات الدولة الواحدة ووظائف محفوظة لذوى الأنساب بدون تأدية عمل فى بلاد الفرس ، إلى حكم مطلق فى بلاد الروم ، إلى عشائر يحكمها أمراء فى بلاد الحبشة .

لم تظهر الديموقراطية إذن بمعناها الصحيح فى أى من الدول السابق ذكرها ، ولم تتقرر بمعناها الإنسانى ، إلا على يدى شريعة الإسلام ، فالمسئولية الفردية ، والمساواة بين الناس فى الحقوق ، ووجوب الشورى ، والتضامن الاجتماعى ، كل هذا من عمل الإسلام وحده ولم يسبقه فيه سابق . ولقد قررها كتاب الله فى آيات عدة ، وأظهرتها سنة الرسول قولا وعملا . ومن ناحية أخرى فإن المؤمن الحق يستحى أن يدين لمخلوق مثله أو يخضع لمخلوق مثله بأكثر من الإدانة والخضوع لله ، فإنه يراعى فى جميع تصرفاته حكومة الكون وما لها من قوة وبأس . ولقد وردت كلمة (الحكم) ومشتقاتها فى مواضع كثيرة من الكتاب الكريم لتوحى إلى الضمير أن وراء كل تصرف حكما ، وأن وراء كل حكم دنيوى حكم الله الذى هو أحكم الحاكمين .

ومن الممكن أن نفسر (السيادة) فى الاسلام بأنها « عقد بين الله والخلق من جهة ، وعقد بين الراعى والرعية من جهة ، والأول أعم من الثانى ، وهو قائم على الحد كما شرعه الله فى كتابه وكما ورد فى حديث رسوله . أما الثانى فإنه يميل أحيانا مع الهوى ، فيأمر الإمام بالمعصية ، ويخالف الشريعة ، فلا تجب طاعته فى هذا الأمر ، إذ « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

ومصدر السيادة هى الأمة ، ولكن هذا « لا ينبغى على أنها قد تتحول عن دينها فى احتمال قريب أو بعيد ، إذ التحول عن الدين جريمة كبرى فى جميع الأديان » ، ولا يوجد تعارض بين القول بأن الأمة هى مصدر السيادة ، وبين القول بأن القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدر التشريع ، فالأمة هى التى تفهم الكتاب والسنة وتعمل بهما .

وقد يعن لمعترض أن يناقش الوسيلة التى كان يتم بها اختيار الحكام فى الإسلام ، وأنها لم تكن كما يجرى الآن فى الأمم الديموقراطية . والرد على ذلك أن الحكم الديموقراطى حقائق وأشكال أو جوهر وعرض ، فالجوهر هو حرية المحكومين فى اختيار حكومتهم ، والعرض هو الوسيلة التى تؤدى إلى ذلك ، ولم يرد ما يفهم منه عدم حرية المسلمين التامة فى اختيار إمامهم . فإن الرسول نفسه لم يلزم أمته بأحد الخلفاء. فلم يعلن الاختيار ، ولم يزد فيه على الإشارة[1] ، ولم تكن مبايعة أبى بكر لعمر ملزمة فلم تخرج عن كونها ترشيحاً أقره الناس راضين[2] .

وإذا نحن انتقلنا من أسس الديموقراطيـة إلى بعض تفريعاتها ، وجدنا فى الميدان الاقتصادى أناساً لا يستطيعون فهم الديمقراطية فى ذاتها إلا بمحو الفوارق الاقتصادية . ولكن أليست هناك فوارق طبيعية خلقت فينا ؟ وإذا أمكننا تحقيق الديموقراطية مع وجود هذه الفوارق أفلا يمكننا تطبيقها مع وجود تلك ؟ والديمقراطية بعد هى أن يتساوى الناس فى عدل القانون ، وألا تكون الفوارق بينهم سبباً لاستغلال الأقوياء عمل الضعفاء ، أو لاغتصاب المالكين حق المحرومين . ولقد قامت (ديموقراطية الإسلام الاقتصادية) على هذا المبدأ القويم ، وعلى تقديس العمل ، وهذا أعظم ما يطمح إليه مجتمع ديموقراطى .

ومن ناحية أخرى قام الإسلام على السماحة . وسيرة الرسول فى مجالسه ومعاملته للناس كانت المثال الأعلى للديموقراطية وكذلك أبو بكر ، وعمر .

ولقد كان التشريع عاما فى مصدره ، عاما فى تطبيقه . فالكتاب والسنة والإجماع وحكم الإمام ومن يستعين بهم من ذوى الرأى والمعرفة كل هذا دال على عموم مصدره ، وتطبيقه على الرسول الكريم وعلى الخلفاء أنفسهم أكبر دليل على عموم تطبيقه . وكذلك القضاء تحققت فيه صفة العمومية فسوى بين الناس ، وتولاه ، من اجتمعت له شروطه أو أكثرها

(١) المجلة ـ ومن ذلك تقديم أبى بكر للامامة فى الصلاة .

(٢) المجلة ـ وقد أقروه راضين لأنه ترشيح صادر عمن ولوه جميع أمورهم ، وبايعوه على الطاعة فيها جميعا غير مقيد إلا بقيد واحد وهو « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، وعهده إلى عمر بالخلافة بعده مثل جميع تصرفاته المشروعة ، وكان أمينا ناصحاً فيما اختاره لهم .

وهى العقل ، والعلم ، والحرية ، وحسن السمعة ، والبصر ، والنطق . ويستحب أن يكون (مجتهداً) ولا يمتنع أن يكون مقلداً » .

ولقد عامل الإسلام الأجانب معاملة حسنة لا نكون مغالين إذا قلنا إنها لا تفترق عن معاملته لأبنائه ولم يكن عليه إذا هو نظر إليهم نظرة الحذر والريبة مخافة نقضهم للعهود فى دولة حديثة ، ولكنها السماحة . ولقد كانت العلاقة التى أقرها الإسلام بين دولته والدول الأخرى سلمية فى جوهرها ، فقد قسم الإسلام الدول الأخرى بالنسبة له أقساما ثلاثة : قسم المسلمين ، وقسم المعاهدين ، وقسم الأعداء . والحرب مع الأولين حرام ، ومع الأوسطين ـ إن قبلوا عهد الذمة ـ « فاعليهم أن لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين » ومع الآخرين فلا حرج إلا إذا وقفوا بالقوة فى سبيل الدعوة .

هذه هى أهم مبادىء الديمقراطية فى الإسلام ، قد تبدو « مثالية يعز اللحاق بها فى الحياة العملية » خاصة فى زمن كاد الفساد فيه أن يصبح من المبادىء المقررة . ولكنها طبقت عملياً ويعرف ذلك كل من قرأ عن الإسلام .

وبعد ، فهذه هى العناصر الرئيسية فى كتاب الأستاذ العقاد ، لعلى أكون قد وفقت فى إبرازها ، ولعلى أكون قد أفلحت فى إعطاء « القارىء » فكرة عنه ، وهى بعد لا تغنى عن قراءته .

سعيد زايد

الرجال

قال الحسن البصرى : « الرجال ثلاثة : رجل كالغذاء لا يستغنى عنه . ورجل كالدواء لا يحتاج إليه إلا حيناً بعد حين . ورجل كالداء لا يحتاج إليه أبداً » .

غزوة بدر الكبرى

ميدان الاستراتيجية ، والتكتيك ، والفن الحربى

— ١ —

هذه أولى معارك الإسلام ، وهى التجربة العملية الأولى لقائد جيش الإسلام محمد رسول الله . ولم يكن من العسير على أن انتهى من دراستها على ضوء الفن الحربى الحديث إلى أنها كانت ميدانا تجلت فيه الاستراتيجية الحربية والتكتيك الحربى بأجلى صورهما .

أسباب الغزوة :

اعتاد أبو سفيان زعيم قريش أن يرسل قافلة تجارية إلى الشام وتعود إلى الجزيرة بالمال والتجارة ، وتعلق قريش على هذه القافلة الآمال لأهميتها القصوى لحياتها الاقتصادية .

ولقد أدرك محمد القائد أن محاربة قريش فى تجارتها تقضى عليها ، فخرج إلى (العشيرة) لمقابلة القافلة فى رحلتها إلى الشام ، ولكنه لم يدركها ، فاعتزم أن ينتظرها فى عودتها صيفا ، فلما اقترب الموعد بعث اثنين من رجاله ينتظرانها ويبعثان له بأخبارها ، وكانت هذه القافلة عظيمة الأهمية حتى بلغ قيمة ما فيها ٥٠,٠٠٠ دينار و ١٠٠٠ بعير ، يقوم بحراستها مع أبى سفيان حوالى الثلاثين رجلا .

وهكذا ترى أن محمداً ﷺ كان يعلم ويدرك أن القضاء على قوة عدوه الاقتصادية لا يقل خطراً وشأنا عن القضاء على قوته العسكرية . وهذا المبدأ الذى نادى به محمد ﷺ فى صحراء الحجاز منذ ثلاثة عشر قرنا يعد من أول ما يعنى به قواد الحروب الحديثة ، فهم يبحثون عن جميع عوامل بناء القوة العسكرية عند عدوهم ليهدموها قبل التقاء القوات المحاربة فى ميادين القتال ، وتبنى على هذا الاعتبار خططهم الاستراتيجية ، ولذلك فهم يحاولون تدمير المصانع الحربية والمخازن والموانئ والمنشآت ومحطات السكة الحديدية وشبكات المواصلات وغيرها بقصد شل الجهاز الحربى لأعدائهم ، ووسيلتهم لذلك الغارات

الجوية المتوالية (وتسمى الطائرات التى تقوم بها بقاذفات القنابل الاستراتيجية) واستخدام الجواسيس والطابور الخامس والفدائيين وغير ذلك من الوسائل .

بدء الغزوة :

لما علم النبي ﷺ باقتراب القافلة أمر رجاله بالاستعداد للقتال ، وكان أبو سفيان — وهو عائد على رأس القافلة — قد علم عندما اقترب من أرض الحجاز نيات المسلمين ، فذعر ، وأرسل رجلا إلى مكة وأمره أن يجدع أنف بعيره وأن يقطع أذنيه وأن يغير وضع السرج وأن يشق قميصه من الامام والخلف ليثير منظره نفوس قريش فلما وصل إلى مكة صاح فى قريش يستنفرهم ويحفزهم إلى إنقاذ قافلتهم التى فيها أموالهم وحياتهم قائلا : « يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة (أى المال والتجارة) ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها . الغوث الغوث ! » فهبت قريش للنجدة حتى لم يبق بمكة قادر على القتال .

خرج النبي ﷺ بقوته من المدينة المنورة فى يوم ٧ رمضان من السنة الهجرية ، وسار أربعين ميلا حتى وصل (الروحاء) وهو مكان به بئر ، وكان قد أرسل رجلين يتجسسان أخبار قافلة أبى سفيان . فلما وصلا إلى (بدر) وأخذا يستقيان من ماء البئر سمعا جارية تطالب صاحبتها بدين عليها فأجابتها الأخرى : عندما تأتى العير (أى القافلة) غداً أو بعد غد سأقوم بخدمتها ثم أقضيك الذى لك . فكان هذا دليلا على أن القافلة سوف تأتى غداً ، فأسرع الرجلان فأخبرا النبي ﷺ بما سمعا .

تقــدير الموقف :

تقدير الموقف هو عملية فكرية يقوم بها كل قائد يريد أن يدخل المعركة مع عدوه معتمداً على أساس من التفكير السليم وبعد النظر وتقدير عواقب الامور وإعداد العدة لكل أمر

وقد اتفق المفكرون العسكريون حديثا على أن خير طرق تقدير الموقف طريقة تشمل المراحل الآتية : —

١ ــ تحديد الغرض الذى يصبو القائد إلى تحقيقه ، وهذا التحديد هو أهم الأمور .

٢ ــ استعراض العوامل التى لها تأثير على تحقيق هذا الغرض ، وهذه العوامل تختلف تبعا لطبيعة المعارك المختلفة ، وهى متعددة نذكر منها أهمها وهى مقارنة بين القوتين المتضادتين ، ويفيد القائد من هذه المقارنة التى تبين له قدر قوته بالنسبة لقوة عدوه ، وتعرفه بما يمتاز به عدوه عليه من ناحية العدد والعدة وغير ذلك من عناصر القوة . بأن يبحث فى علاج نقط الضعف فى قوته .

٣ ــ بحث طرق الحل المفتوحة أمام كل من القائدين المتقاتلين ، فإذا كنت مثلا سأقوم بالهجوم على عدوى فإنى أقول : إن أمامى حلين ، إما أن أهجم بالمواجهة مثلا ، وإما أن أقوم بعملية تطويق من الجنب ، مع تحليل مزايا كل حل وعيوبه . ثم أقول بالنسبة للعدو : لديه حلان مثلا ، فهو إما أن يصمد لملاقاتى إلى النهاية ، وإما يسرع بالانسحاب بمجرد تلقيه الصدمة الاولى ، مع تحليل مزايا كل حل وعيوبه . وهكذا لا يكتفى القائد بالتفكير من وجهة نظره فقط ، بل يجب أن يضع موضع الاعتبار وجهة نظر عدوه . وهذا منتهى الحكمة .

٤ ــ تقرير الخطة التى تتبع ، ذلك على ضوء ما ظهر فى هذا التفكير المنطقى المتسلسل وطبيعى أن هذه الخطة ترمى فى النهاية إلى تحقيق الغرض الذى تم تحديده بادىء الأمر .

وإنه ليطيب لى ، ومما يسر القراء ، أن أبين أن قائد جيش المسلمين ﷺ قد قام منذ ثلاثة عشر قرنا بتقدير الموقف قبل معركة بدر ، متمشياً مع أحدث ما وصل إليه تفكير العسكريين فى هذا الأمر .

فلقد قدر المسلمون الموقف قبل معركة بدر فحددوا الغرض وهو : القضاء على قافلة قريش ، ثم بحثوا العوامل التى تؤثر على تحقيق هذا الغرض وكان أهمها المقارنة بين القوتين التى تبين منها أن قوة قريش التى خفت لنجدة القافلة بلغت ٩٥٠ رجلا من المشاة لابسى الدروع يضاف إليهم ١٠٠ من الفرسان المدرعين بينما كانت قوة المسلمين ٣١٤ رجلا فقط ومعهم ٧٠ جملا وبعض الخيل ، ثم انتقل المسلمون إلى بحث ما أمامهم من حلول فكانوا بين أمرين : إما قتال قريش . وإما الانسحاب . ولقد وجدوا أنهم إذا قاتلوا القافلة وهى

أقل منهم قوة فسوف يتغلبون عليها بسهولة ، ولكنهم لن ينجوا من قريش التي خرجت للدفاع عن مالها وحياتها ، وقريش تمتاز بعدد كبير وسلاح كثير .

وإذا هم تركوا القافلة وانسحبوا فسوف يتفادون قتال قريش ، ولكن غرضهم الأساسي الذي حددوه في تقدير الموقف من البداية لن يتحقق وهو القضاء على القافلة ، وسوف تعيرهم قريش بالتخاذل والضعف ، ويطمع فيهم يهود المدينة ، أضف إلى هذا ما لهذا الانسحاب من أثر سيء على الدعوة الإسلامية ، فلا تكون لها بعد ذلك مكانتها المنشودة .

لم يشأ محمد ﷺ أن يبت في الأمر حتى يستشير أصحابه في هذا الموقف الخطير . وهنا تتجلى أسمى مظاهر الروح المعنوية العالية عند رجال جيش المسلمين ، فلنسمع قول المقداد ابن عمرو : « يا رسول الله ، إمض لما أمرك الله ، فنحن معك . والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون) ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » .

وقال سعد بن معاذ « يارسول الله ، إمض لما أردت ، فنحن معك . فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد » .

وهذا مثل رائع على صدق العزيمة وثبات العقيدة ، وثمرة رائعة من ثمار غرس النبي القائد الأعلى .

وهكذا انتهى المسلمون من تقدير الموقف إلى تقرير ضرورة القتال .

أما أبو سفيان فقد سبق القافلة للاستطلاع ومعرفة نيات جيش المسلمين ، فلما وصل بدرا علم أن المسلمين يتربصون لقافلته ، فعاد إلى القافلة وقرر في الحال أن يغير طريق سير القافلة المعتاد وهو المحاذي لساحل البحر الاحمر ، وتحول إلى طريق آخر غير مطروق ، وكان في سيره هذا شديد السرعة شديد الحذر ، وبذلك نجا من محمد ﷺ وأصحابه . ولما أحس بأنه قد أفلح في الإفلات أرسل إلى قريش يأمرهم بالرجوع إلى ديارهم حيث إن الغرض الذي خرجوا من أجله — وهو نجدة القافلة — قد أصبح غير ذي موضوع ، فقد أفلتت من أيدي المسلمين بهذه الحيلة . ولكن قريشا وعلى رأسها أبو جهل امتنعوا وأصروا

على قتال المسلمين فى بدر ، فتقدموا حتى وصلوا إلى تل من الرمل بالقرب من بدر فنزلوا هناك يحتمون به ويستعدون للقتال .

أما المسلمون فبعد أن اتفق رأيهم على قتال قريش محافظة على هيبة الإسلام ، فقد تقدموا وعلى رأسهم النبي الكريم حتى وصلوا بالقرب من بدر ، فبعث النبي ﷺ ثلاثة من رجاله للحصول على معلومات عن مدى تقدم قريش واستعدادها . فلما وصلوا إلى بئر بدر وجدوا غلامين من أتباع قريش يستقيان من البئر فأخذوهما إلى النبي ، فأخذ فى استجوابهما ، وسألهما عن عدد قريش الذين جاءوا للقتال فقالا : لا ندرى . فسألهما كم تنحرون من الجزر (الجمال) كل يوم : فقالا يوما تسعا ويوما عشرا . فقال النبي ﷺ : القوم ما بين تسعمائة والألف . وهكذا استطاع النبي أن يستنتج قوة المشركين العددية من عدد ما ينحرون من الإبل لأنه قدر أن البعير الواحد يطعم منه حوالى المائة ، وقد استمد هذه المعلومات من هذين الغلامين اللذين كانا يخدمان قريش .

استقر رأى المسلمين على أن يتخذوا موقعهم بجوار ماء بدر ، ولكن الحباب بن المنذر لم يستحسن هذا الموقع وكان يعلم الموقع جيدا ، فقال للنبي ﷺ هل هذا المكان أمرك الله به لاتتقدمه ولا تتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال الرسول : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . فأشار حباب على النبي بأن ينتقل من هذا الموقع إلى موقع آخر يتحكم تماما فى مياه البئر بحيث يقطع الماء — وهو حياة رجال البادية — عن قريش فى الوقت الذى ينعم فيه المسلمون بالماء الغزير فقال النبي ﷺ له : أشرت بالرأى وأمر المسلمين بالانتقال إلى حيث أشار الحباب ، وبنى المسلمون حوضا على البئر .

وهكذا ضرب لنا الرسول مثلا عظيما للقائد الناجح ، فإن الأخذ بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة ، تقترن بآية الابتكار والانشاء ، لأن القيادة الحسنة هى القيادة التى تستفيد من خبرة الخبير ، كما تستفيد من شجاعة الشجاع . وهى التى تجند كل ما بين يديها من قوى الآراء والقلوب والاجسام .

ولقد كان انتقال المسلمين إلى موقعهم الجديد الذى أشار به الحباب ضربة محكمة أصابت قريشا ، فقد أصبح المسلمون يشربون وهم لا يشربون ، فاندفع من قريش الاسود المخزومى

- وكان شرسا سيء الخلق - اندفع نحو البئر وهو يقول : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهدمنه ، أو لأموتن دونه .

فلما أقبل على الحوض ليهدمه لحقه حمزة رضى الله عنه بضربة سيف قضت عليه . وهكذا بدأت المعركة .

ولعل من المناسب أن أتحدث قليلا عن طرق القتال فى هذه الأزمان ، ولو أنه كان من العسير على أن أجد لهذا مرجعا خاصا ، فالأمر لا يعدو استنتاجاً وتصورا .

يتخذ كل جانب من الجانبين المقاتلين معسكراً له على مقربة من معسكر الآخر .

والأسلحة التى كانت تستخدم فى هذا الوقت هى القسى والسهام وتسمى بالنبل وهى تعتبر الأسلحة البعيدة المدى ، والحربة والرماح وهى فى الغالب سلاح الفرسان ، ثم السيوف والخناجر وما أشبه . للقتال يداً بيد .

وكانت هناك دروع تلبس على الصدر ، وأقنعة تلبس على الرأس أحيانا ، وترس يمسك فى اليد للوقاية من الطعنات .

أما الطعام والشراب فلم يكن مشكلة ، فقد كانوا يخرجون للقتال ومعهم كفايتهم من الطعام الذى كان أغلبه جافاً . ومن الأطعمة المشهورة « السويق » وهو يشبه الفريك المجفف يحمل الرجل كمية منه فى مخلاة يعلقها فى رقبته ، فإذا جاع ازدرد بعضاً منه وشرب ماء أو لبناً وكان لديهم التمر متوفراً ، وهو معروف باحتوائه على عناصر مغذية كثيرة . هذا علاوة على لحوم الذبائح كالإبل والغنم والماعز التى كانوا يصطحبونها فى تحركاتهم يشربون لبنها ويذبحون منها .

وكانوا يحفظون الماء فى قرب يصنعونها من جلود الماعز ، ومنها أيضاً كانوا يصنعون الزمازم للمياه ، وكانت وسيلة الانتقال لديهم الحيوانات كالإبل والخيل إن توفرت وإلا فالسير على الأقدام هو الأغلب ، ولهم على هذا مقدرة فائقة . أما وسيلة الاتصال فكانت الصوت والرسول أو الساعى الذى يكون راجلا أو راكبا تبعا للمسافة والسرعة المطلوبة .

وفى أغلب الأحيان تبدأ المعارك بمبارزة بين بعض المبارزين المهرة الذين ينتخبهم كل فريق، ويقف الفريقان موقف المتفرج المتحفز، وتستمر المبارزة حتى تسيل الدماء وتظهر غلبة فريق على فريق فيثير المنظر شعور الناس، وتثور حمية من هزم مبارزوه، فيصيحون داعين للنزال، وهكذا يلتحم الفريقان الفارس مع الفارس والمشاة مع المشاة.

ولا تستمر المعارك طويلا، وهى تجرى نهاراً بالطبع، وسرعان ما ترجح كفة أحد الفريقين، ويتوقف هذا على القوة العددية والمعنوية وغير ذلك من الظروف. وبذلك تنتهى المعركة وقد خرج منها فريق غالبا وفريق مغلوبا.

وإن ما حدث فى غزوة بدر لشبيه إلى حد كبير بما أوردت من وصف، فإنه بعد أن قتل حمزة الأسود المخزومى على الحوض اندفع من صفوف قريش ثلاثة يدعون إلى المبارزة، فأمر النبى ﷺ عليا بطل المبارزة كرم الله وجهه واثنين من المسلمين بملاقاتهم، فبارزوهم وقتلوهم جميعا، وجرح أحد المسلمين الثلاثة. وبعد ذلك التقى الجيشان، وكان ذلك فى ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة (١٣ مارس سنة ٦٢٤ م)

ويجدر بى أن أروى حادثة لها مغزاها حدثت فى هذه الغزوة، فقد قام النبى ﷺ إلى المسلمين يعدل صفوفهم، فوجد رجلا اسمه سواد خارجا عن الصف فطعنه بعصا خشبية كانت فى يده وقال: استو ياسواد. فقال الرجل: يارسول الله أوجعتنى، وقد بعثك الله بالعدل والحق فأقدنى (أى مكنى من القصاص من نفسك) فكشف النبى عن بطنه وقال (استقد) أى خذ القصاص، فتأثر الرجل وعانق النبى وقبل بطنه الشريف.

هذه حادثة عارضة استوقفتنى برهة، لأنها تقف دليلا ناصعا مضيئا على قوة الحق وفضيلة الاعتراف به من القائد ـ فقد قبل محمد رسول الله وقائد جيش المسلمين على نفسه أن يقتص منه جندى فى جيشه لأن الحق معه، وهو الذى بعثه الله بالحق. ولقد حلا لى أن أتصور حالة هذا الرجل المعنوية وحالة باقى الجيش بعد أن لمس هذه الوقعة فى أخلاق قائده، وكان من السهل على أن أدرك كيف أن ثلاثمائة غلبوا ألفا من أعدائهم.

«للبحث بقية»

محمد جمال الدين محفوظ
يوزباشى أركان حرب

إعداد القوة وأخذ الأهبة للأعداء

قال الله سبحانه وتعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » (١).

لقد أرسل الله سبحانه رسله مبشرين ومنذرين وهادين إلى الحق وإلى الصراط المستقيم وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وتسود بينهم الرحمة والألفة والإخاء. والشرائع لابد لها من قوة تؤيدها وتشد أزرها ، وإلا كان الحق بين الناس مضيعا ، والظلم بينهم فاشياً ، ولأمر ما عقب الله ذكر إنزال الكتب السماوية مع الرسل بذكر إنزال الحديد الذى هو رمز القوة والبأس ، فقال عز من قائل « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز » (٢).

ولأجل أن الحق لا بد له من قوة تنصره وتزيل العقبات التى تعترض طريقه وتكفل له الانتشار والغلبة شرع الله الجهاد فى سبيل العقائد الصحيحة والمبادىء الفاضلة والحصول على الحقوق المغتصبة ، وجعله من أفضل القربات إلى الله ، وجعل الاستشهاد فى سبيل الحق والحقوق وسيلة لحياة أبدية خالدة والتقلب فى النعيم المقيم فى جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، وصدق الله « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٣).

---

(١) سورة الانفال الآية ٦٠

(٢) سورة الحديد الآية ٢٥

(٣) سورة آل عمران الآية ١٦٩ ، ١٧٠

ولا عجب ـ والحال كما سمعت ـ أن أمر الله عباده المسلمين أن يعدوا للكفار المفسدين فى الأرض ـ يبطرهم الحق وغمطهم الناس حقوقهم ـ كل ما يهيء للمسلمين العزة والغلبة عليهم، ويجعل شريعتهم هى السائدة على وجه الأرض. فقال سبحانه «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل». فعلى المسلمين أن يبذلوا غاية الوسع فى تحصيل أسباب القوة ووسائل العزة والمنعة، من الانتظام فى سلك الجندية، وتعلم الفنون الحربية، وإنشاء المصانع التى تنتج شتى الأسلحة، والتدرب على استعمالها، وبناء المسالح، والمرابطة فى الثغور، وبذلك تصان حقوق المسلمين ويهاب سلطانهم فى الأرض. ومن أسرار إعجاز الآية الكريمة أن يأتى أسلوبها على هذا الوضع من التعبير باللفظ المرن الصالح لكل زمان ومكان، فلكل جيل وعصر أن يفسر القوة بما هو أفضل وأولى وأنفع لإظهار شوكة المسلمين ومنعتهم. وقد روى الإمام أحمد والإمام مسلم وغيرهما عن عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا أن القوة الرمى (ثلاثا)». ومن العجيب أن يأتى التفسير النبوى كالآى القرآنى مرانة وصلاحية لأن تفسره الأجيال المتلاحقة بما يحقق الغرض ويفى بالحاجة، فإن فهمت منه الرمى بالسهام والنبال والحراب كما كان فى العصر الأول فأنت صادق، وإن فهمت منه الرمى بالرصاص والمدافع والقنابل وكل ما استحدث من أنواع الدمار والهلاك فلا تعدو الحقيقة. ومثل هذه الأسرار فى التعبير لن تجدها إلا فى كلام ربك عالم الغيب والشهادة، وكلام نبيه الذى لا ينطق عن الهوى. ومعنى رباط الخيل إعدادها وإقامتها للجهاد فى سبيل الله، وفى معنى الخيل إعداد كل ما استجد من سيارات مصفحة ودبابات وجرارات وطائرات ونحو ذلك مما تتطلبه الحروب الحديثة وفى الحديث الذى رواه البخارى «من احتبس فرسا فى سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة»، وفى الصحيح أيضاً «الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم»، وعلى تقدم الحروب ومعداتها لا يزال للخيل مكانها فى الحروب، ولا سيما فى الجهات الوعرة والجبلية والدروب الدقيقة.

والإسلام لا يقصد بأخذ الأهبة والاستعداد بتحصيل أسباب القوة إرهاب الآمنين المسالمين وإزهاق أرواحهم وانتهاك أعراضهم وسلب حرياتهم وغصب أموالهم كما تفعل دول الاستعمار الغاشمة اليوم، وإنما يقصد إرهاب أعداء الله وأعداء الإنسانية الذين

لا يقيمون للمعانى الفاضلة وزنا ولا يرهبون إلا السيف والمدفع ، ولو خلوا وشأنهم لملأوا الأرض جورا وفسادا . فاعداد العدة إنما هو بمثابة الزجر والتخويف وكبت دوافع الشر فى نفوس أعداء الله وأعداء السلام والأمان ، فإذا ما استهانوا بالفضائل والحقوق ، وسولت لهم نفوسهم التعدى ، وجدوا القوة لهم بالمرصاد فترد كيدهم فى نحورهم وتوقفهم دون الحصول على شهواتهم . وهذا هو المراد بقوله تعالى « ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » ، وصدق الله ، فكم من دولة تسترت بستار الصداقة للمسلمين ثم أظهرت الحوادث والأيام سوء نيتها وخبث طويتها ، وكم من قوم يظهرون المسالمة حتى إذا ما واتتهم الفرصة ووجدوا من أنفسهم قوة كانوا حربا على الإسلام والمسلمين .

ولما كان إعداد العدة والتسلح يقتضى أموالا طائلة قد لا يفى بها بيت المال : « الخزانة العامة » ناشد الله المسلمين البذل والعطاء ، ووعدهم الثواب فى الدنيا ويوم الجزاء ، فقال : « وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » . ومن قصر فى هذا الواجب . فقد عرض نفسه وأمته للهلاك وصدق الله : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » [1] .

لقد حارب رسول الله ـ وهو المؤيد بالوحى والمعجزات ـ واستتر بالمجن ولبس المغفر والبيض ، وكان إذا حمى الوطيس واحمرت الحدق لم يكن أحد أقرب إلى الأعداء منه . وفى غزوة أحد لما جاء أبى بن خلف يقول : أين محمد ، لا نجوت إن نجا ، أخذ رسول الله الحربة ممن كان بجواره ، ثم أحكم تصويبها نحوه ، فنالت منه مقتلا . وأخذ هو وأصحابه فى أسباب العزة والقوة وكثيراً ما استمع إلى مشورة من يشير عليه بالصواب فى فنون القتال ، فقبل مشورة الحباب بن المنذر فى بدر ، وفى غزوة الخندق أشار عليه سلمان بحفر الخندق فاستصوب الفكرة وساهم فى الحفر ، واستعمل الصحابة المنجنيق والدبابات فى لقاء الأعداء ولم يدعوا وسيلة للقوة والغلبة إلا فعلوها ، وكثيراً ما كانوا يتدربون على فنون الحرب والقتال ، وكان رسول الله يشهد ذلك ويقوى فيهم هذه النزعة الكريمة ، بل ويشاركهم أحيانا ، فما بالنا وهذا هو هدى كتابنا وسنة نبينا قد تقاعسنا عن أخذ العدة والأهبة حتى

---

(١) سورة البقرة . الآية ١٩٥ .

تخلفنا عن ركب الأمم القوية ، وأصبحنا لا يقام لنا وزن فى السياسة الدولية ، وطمع فينا من لا يكاد يدافع عن نفسه .

نعم إن للدولة المستعمرة لبلادنا المغتصبة لحقوقنا ضلعا كبيراً فى هذا التخلف فى مضمار القوة ، ولكننا لا نخلى من كانوا يتولون مقاليد الحكم والأمور من التبعات الجسام ، فقد كانوا لعباً فى يد المستعمر يحركهم كيف يشاء ، وكان بريق الأصفر الرنان وسراب الحكم الخادع يفسد الذمم والضمائر ، ويقضى على كل حركة للإصلاح .

والآن وقد أزال الله الغمة - ولله الحمد والمنة - وأصبحت مقاليد الحكم بأيد قوية مؤمنة بالله وبحقوق الوطن ، لا يغريهم المال ولا الحكم ، فلنتدارك مافات فإننا فى عصر لا يرهب فيه إلا الأقوياء ، والقوة لا تدفع إلا بالقوة ، ولا يفل الحديد إلا الحديد . وإذا اجتمع إلى الإيمان الذى يعمر القلوب القوة ، هانت كل الصعاب ، ولا يحول دون ما نريد حائل مهما كانت قوته ، فلنتذرع مع الأخذ فى أسباب القوة بالإيمان القوى والتقوى العامة الشاملة .

وإن مما يذكر فيشكر أن يضرب علماء الأزهر - كلياته ومعاهده - مثلا عالياً فيما ينبغى أن يكون عليه المسلم ، فتقدموا - يحدوهم الإخلاص ، وأن تقتدى بهم الأمة - إلى معسكر التدريب بالجامعة الأزهرية ، وتدربوا على شتى الفنون والأسلحة ، ولم يمنعهم ما عرف عنهم من الجلال والوقار من السبق فى هذا المضمار ، وهم فى ذلك إنما يصدرون عن دين وخلق كريم ، وإحياء لسيرة الصحابة والسلف الصالح من الأمة الإسلامية . وكانت ثمرة هذا العمل الجليل أن تكونت منهم كتيبة تسمت باسم سيف الله المسلول « خالد بن الوليد » رضى الله عنه ، وإنها لباكورة ستتبعها ثمار شهية إن شاء الله .

ألا رعى الله قادة الأمة وورثة الأنبياء ، ورعى رجال جيشنا البواسل ، كفاء ماقدموا للأمة من خير ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

نشأة كتب الأمالى وخصائصها

أمالى القــــالى

القالى هو إسماعيل بن القاسم بن عبدون أبو على القالى . ولد بمنازجرد من ديار بكر ، ورحل إلى بغداد فى طلب العلم سنة ثلاث وثلثمائة ، وأقام بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وكتب بها الحديث ، ثم خرج من بغداد قاصداً الاندلس .

يقول ياقوت فى « معجم الادباء » :

لما تأدب القالى ببغداد ورأى أنه لا حظ له بالعراق قصد بلاد الاندلس فأكرمه صاحبها وأفضل عليه إفضالا عمه ، وانقطع هناك بقية عمره .

وصل إلى الاندلس فى أيام عبد الرحمن الناصر الذى أراد بقرطبة أن تظهر على بغداد ، فأدخل فى الأندلس ما كان عند العباسيين من علوم وفنون .

وقد وكل أمر تعليم ابنه الحكم المستنصر إلى أبى على القالى فنشأ وهو من أشهر أنصار العلم ، واشتدت رغبته فى اقتناء الكتب ، وكان الحكم ثقة عالما بالاخبار والانساب ، محباً للقراءة ، حتى قالوا إنه قلما يوجد كتاب فى مكتبته إلا كان له نظر فيه وتعليق عليه. وكان يجمع فى داره الحذاق فى صناعة النسخ والضبط والإجادة فى التجليد ويجود عليهم بالمال ، فكانت داره أشبه بمجمع علمى . وكان يبعث فى الكتب إلى الاقطار رجالا من التجار ويعطيهم الأموال لشرائها حتى جلب منها إلى الأندلس مالم يكن لهم به عهد مما كان يضاهى ما جمعته ملوك بنى العباس فى الأزمان الطويلة .

قال المقرى فى نفح الطيب : « بعث الحكم فى كتاب الأغانى إلى مصنفه أبى الفرج الاصفهانى ـ وكان نسبه فى بنى أمية ـ وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب ، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرجه إلى العراق » ، لذلك تلقى الحكم أبا على القالى بالجميل ، وحظى عنده وقرب منه وبالغ فى إكرامه .

فاستوطن القالى قرطبة ونشر علمه بها حتى توفى سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، ومولده سنة ثمان وثمانين ومائتين .

كان القالى إماماً فى علوم العربية متقدما فيهـا متقناً لها . أدرك المشايخ ببغداد كابن الأنبارى وابن درستويه وابن دريد ومن فى عصرهم ، وأكثر الرواية عن مشايخ الوقت .

قال القفطى فى كتابه « إنباه الرواة على أنباء النحاة » .

« قرأ القالى على ابن درستويه كتاب سيبويه أجمع واستفسره جمعه وناظره فيه ودقق النظر ، وكتب عنه تفسيره وعلل العلة وأقام عليها الحجـة ، وأظهر فضل البصريين على الـكوفيين ، ونصر مذهبه على من خالفه من البصريين أيضاً » وقال ياقوت فى معجمه :

« فاستفاد الناس منه وعولوا عليـه واتخذوه حجة فيما نقله ، وكانت كتبه على غاية التقييد والضبط والإتقان . وقد ألف فى علمه الذى اختص به تآليف مشهورة تدل على سعة علمه وروايته . وحدث عنه جماعةمنهم أبو محمد عبد الله بن الربيع بن عبد الله التميمى وأبوبكر محمد بن الحسين الزبيـدى النحوى صاحب « مختصر العين » و « أخبار النحويين » ، وكان حينئذ إماماً فى الأدب ، ولـكن عرف فضل أبى على فمال إليـه واختص به واستفاد منه وأقر له » .

وللقالى تصانيف كثيرة أملاها عن ظهر قلب منها :

١ ـــ كتابه فى الأخبار والحكايات المعروف « بالنوادر والأمالى » وهذا سنفرد له حديثاً خاصا به .

٢ ـــ ومنها كتابه فى « المقصور والممدود » بناه على التفصيل ومخارج الحروف من الحلق لم يوضع له نظير .

٣ ـــ وكتابه فى الإبل ونتاجها وما تصرف معها .

٤ ـــ وكتابه فى حلى الإنسان والخيل وشياتها .

٥ ـــ ومنها كتابه « فعلت وأفعلت » وكتابه فى « مقاتل الفرسان » و « كتابه فى تفسير القصائد والمعلقات وتفسير إعرابها ومعانيها إلى كتب كثيرة » . وارتجل جميعها وأملاها عن ظهر قلب كما يقول القفطى وياقوت .

وألف كتاب « البارع » فى اللغة فبناه على حروف المعجم وجمع فيه كتب اللغة وعزا كل كلمة من الغريب إلى ناقلها من العلماء ، واختصر الإسناد عنهم وتوفى قبل أن ينقحه ، فاستخرج بعده من الصكوك والرقاع .

والظن بالقالى فى تأليف كتابه « البارع » هـذا أنه أراد أن يتيح الفرصة للأندلس للإسهام فى حركة المعاجم التى ظهرت فى الشرق وأخذ تيارها فى التدفق المتلاطم، حتى رأى القرن الذى عاش فيه القالى ـ القرن الرابع ـ هذا العدد العظيم منها . فهذا الوافد الشرقى على الأندلس كان يريد أن ينقل معارف المشارقة إلى تلاميذه ومحبيه من المغاربة فألف لهم ما ألف . وما حاز الشهرة التى طبقت الآفاق كبارعه هذا وأماليه وكلها يقوم على ثقافة الشرق العربى وحدها . فأماليه صورة لأمالى المشارقة ، وبارعه صورة لمعاجمهم .

قال السيوطى فى مزهره : « وأصح كتاب وضع فى اللغة على الحروف بارع أبى على البغدادى وموعب ابن التيانى » .

وقبل أن نتحدث بتفصيل عن كتاب (الأمالى) نذكر لماذا سمى أبو على بالقالى . قال تلميذه الزبيدى :

« وسألت أبا على : لم قيل له القالى ؟ فقال : لما انحدرنا إلى بغداد كنا فى رفقة فيها أهل قاليقلا فكانوا يحافظون لمكانهم من السفر ، فلما دخلت بغداد انتسبت إلى قاليقلا ورجوت أن أنتفع بذلك عند العلماء لأنى رأيت الناس يعظمون أهلها فلم انتفع بذلك وعرفت بالقالى » .

وصف الأمالى :

قال القفطى فى كتابه « إنباه الرواة » يصف أمالى القالى :

« من تصانيف أبى على كتابه فى الأخبار والحكايات المعروف بالنوادر والأمالى أملاه ظاهراً من قلبه فى الأخمسة بجامع الزهراء بقرطبة [1] وارتجل تفسير ما فيه ، وهذا الكتاب غاية فى معناه وهو أنفع الكتب لأن فيه الخبر الحسن والمثل المتصرف والشعر المنتق فى كل معنى ، وفيه أبواب من اللغة مستقصاة وليست توجد فى شىء من كتب اللغة مستقصاة مثل ما هى فى هذا الكتاب ، وفيه القلب والابدال مستقصى ، وفيه تفسير الاتباع وهو ما لم يستيقظ إليه أحد ، إلى فوائد فيه كثيرة » .

وذكر الحميدى فى كتابه « جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس » :

---

[١] بنى عبدالرحمن الناصر (الزهراء) فى موضع قريب من قرطبة سنة ٣٢٥ هـ وعملها متنزها له وأنفق فى عمارتها من الاموال ماتجاوز فيه حد الاسراف .

قال لنا أبو محمد على بن أحمد ـ وقد ذكر كتاب أبى على المسمى « بالنوادر » فى الأخبار والأشعار ـ فقال : « وهذا الكتاب مساير لكتاب « الكامل » الذى جمعه أبو العباس المبرد ، ولئن كان أبو العباس أكثر نحواً وخبراً فإن كتاب أبى على لأكثر لغة وشعرا » .

والدارس لهذا الكتاب يجد فيه تفسيراً واضحاً لبعض آيات من القرآن الكريم فى بيان سديد وتأويل معقول يساير اللغة وروحها والبلاغة وأسرارها ، فقد تكلم على قوله تعالى (ولتعرفنهم فى لحن القول) وعلى معنى قوله تعالى (وغدوا على حرد قادرين) ثم أتى بتفسير شاف واف جامع شامل لقوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) فتحدث عن معانى (أمرنا) حديث اللغوى المتضلع والأديب المتذوق .

ويجد فيه الدارس أيضاً مباحث متعددة لأبواب من فقه اللغة كالبحوث التى تناول فيها بنية الكلمات وصلة تراكيب حروفها بمعانيها ، وفيه عرض واسع للهجات العرب ولغاتها كمطلب « ما سمع من العرب فى لعل من اللغات » ومطلب « ما تتعاقب فيه القاف والكاف من الألفاظ » و « ما جاء من الكلمات بالصاد والزاى » وما تتعاقب فيه الفاء والثاء ، وهذا وأمثاله مما له صلة قريبة بالقراءات .

وفيه أيضاً مباحث عن أساليب أدبية فى الاستعمال كمطلب « ما تقول العرب فى معنى أخذ الشىء كله » ومطلب « ما تقول العرب فى معنى ما فى الدار أحد » وكبحث « أيمان العرب » ومبحث « دعاء العرب » ومجالس « لا جرم » وتفسيرها والوجوه فيها ، وهذا فضلا عن جملة خصبة من أمثال العرب .

أما الأخبار الأدبية والأحاديث اللغوية مما قيل فى مجالس الخلفاء وبين يدى الأمراء فحدث عنها ولا حرج ، إلا أن أكثر أخبارها عن الدولة الأموية . ولعل ذلك كان منه عن قصد ليرضى أمويى الأندلس .

على أن هذه الأحاديث المروية والأخبار المنقولة فيها الموضوع المصنوع وفيها الصحيح المروى ، وليس هذا بمقصور على أمالى القالى بل هو ينسحب على جملة الأخبار التى تروى فى كتب الأدب جميعها ، فينبغى أن يأخذها الباحث بحذر وشك . وليس هذا الشك بالرأى الحديث ، فقديما نبه القدماء إلى ذلك وطعنوا فى بعض الرواة وجرحوا البعض وعدلوا البعض .

فمن الأحاديث المصنوعة « حديث خافر الحميرى مع رئية من الجن المسمى شصار » المثبت فى الجزء الأول من الأمالى .

ويكفى أن نعلم أن راوى هذا الحديث هو ابن الكلبى ، والذى يظهر لنا أن واضع القصة أراد أن يبين مهارته اللغوية وقدرته فى تقليد الكهان فى سجعهم وأن يشيع هذا الحديث لأنه يمس مظهراً من مظاهر الإسلام وهو إرسال النبى ﷺ إلى الجن كما أرسل إلى الإنس . وهذا من الأحاديث التى تنسب إلى ابن دريد فى كتاب الإصابة .

وربما كان آفة الأخبار المصنوعة فى هذه الأمالى هو ابن دريد شيخ أبى على ، فإن أكثر أمالى ابن دريد منشورة فى هذه الأمالى ، وابن دريد قد تكلم فيه ونسب إلى الوضع فقد سئل عنه الدارقطنى أثقة هو أم لا ؟ فقال : تكلموا فيه .

وقال أبو منصور الأزهرى اللغوى : دخلت عليه فرأيته سكران فلم أعد اليه .

وقال فى مقدمة كتابه « التهذيب » وممن ألف فى زماننا الكتب فرمى بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب فى كلامها أبو بكر محمد بن دريد .

ولهذه الأمالى ذيل يعرف « بذيل الأمالى والنوادر » مشحون بالغلط والأوهام .

وللأمالى شرح لأبى عبيد البكرى يعرف باللآلىء ، وقد وهم صاحب الخزانة فظنهما كتابين .

وقد ذكر العلامة تيمور باشا رحمه الله فى هلال سنة ١٩٢١ أن هذا الشرح من الكتب النادرة المفقودة كشرح مقدمة ابن خلدون ، ولكن صاحب المطبعة السلفية السيد محب الدين الخطيب ذكر فى الجزء الاول من الخزانة من طبعته أنه عثر على هذا الشرح فى مكة فتولى تصحيحه وتحقيقه ونشره الأستاذ الثبت الشيخ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ونشر ذلك الشرح مع التعليق عليه تحت اسم « سمط اللآلىء » مذيلا بكتاب من تأليف الميمنى يعرف « بذيل اللآلىء » وهو شرح لذيل الأمالى ولصلة ذيله وتبنيه على أغلاطه المعدودة فيهما .

ومهما يكن من شىء فإن أمالى القالى أحفل أنواع الأمالى مادة وأغزرها أدبا .

عبد الوهاب حمودة

لا تعرف الإنسانية حضارة قاومت الرق كالإسلام

استعباد البشر للبشر قديم جدا ، لا يعرف له التاريخ بداية: فقد رأيناه بجميع أنواعه فى أقدم ما نعرفه عن الصين ، وفى الهند كانوا يدينون بأن من لم يكن برهميا فهو مخلوق ليكون عبدا للبرهمى ، ويسمونه « سودرار » . وكان الرقيق فى النظام الفرعونى هو أداة العمل ، وعلى أكتاف الرقيق بنيت الأهرام ، وكان الرق عريقا فى تاريخ الآشوريين والفرس ، أما فى بنى إسرائيل فقد أباحت التوراة الاسترقاق بطريق الشراء أو سبيا فى الحرب ، بل أباحت التوراة للعبرى أن يستعبد العبرى إذا افتقر ، فيبيع نفسه لغنى ، حتى يوفى له الثمن ، أو يخدمه ست سنين ثم يتحرر ، وإذا سرق العبرى ماشية وذبحها ، أو أى شىء استهلكه ، ولم يكن فى يده ما يعوضه به عن سرقته يباع السارق بسرقته ، كما نصت التوراة على ذلك فى سفر الخروج ، وأباحت التوراة للعبرى أن يبيع بنته فتكون أمة للعبرى الذى يشتريها .

الرق عند اليونان :

وكان استعباد البشر للبشر مطلقا وبكثرة فى حضارة اليونان ، وكان قرصانهم يتخطفون أبناء الأمم الأخرى فى مختلف السواحل ويبيعونهم فى أسواق أثينا وغيرها ، ولما صارت لليونان مستعمرات فى آسيا الصغرى صارت لهم فيها أسواق للاتجار بالرقيق ، حتى امتلأت بيوت الأغريق بالإماء والعبيد ، يستعبدهم اليونان جميعا ، لا فرق بين غنى وفقير ، ولم تؤثر فى تاريخهم كلمة واحدة عن أى حكيم من حكمائهم باستنكار استعباد الانسان لأخيه الانسان أو الترغيب فى تحريره .

وعند الرومان :

أما الرومانيون فإن النخاسين كانوا يتخذون الحروب الكثيرة مواسم لتجارتهم فيصحبون الجيوش إلى أوطان الشعوب الأخرى ليشتروا الأسرى والمغلوبين من صبيان وبنات ورجال ونساء بأبخس الأثمان ، حتى لقد كان النخاس إذا كان غنيا يشترى ألف إنسان صفقة واحدة ، عقب نصر كبير تعده الإنسانية خزيا ، ويعده تاريخ الاستعمار الرومانى عظمة ومجدا ، وفى مدينة رومية العظمى كانت للرقيق سوق تعرض فيها هذه البضائع للمزاد العلنى على رابية مرتفعة . فيكون الرقيق عريانا من كل ما يستره ، ذكرا كان أو أنثى ،

كبيرا أو حدثا ، ولمن شاء من الناس أن يدنو من هذا اللحم الحى المعروض للبيع فيجسه بيده ، ويقلبه كيف شاء ، ولو لم يشتره فى النهاية ، والقانون الرومانى لم يكن يعتبر الرقيق إنسانا له شخصية ذات حقوق على الإنسانية ، بل يعتبره شيئا من الأشياء كسائر السلع التى يباح الاتجار بها .

نظام كان معترفا به :

ولما جاءت المسيحية كانت عبودية الإنسان للإنسان شائعة فى كل العالم . نقل الدكتور جورج برست ، أحد رجال الجامعة الأمريكية الأولين فى بيروت ، فى المجلد الثانى من كتابه (قاموس الكتاب المقدس) ص ٦٠ - ٦١ طبع المطبعة الأمريكية فى بيروت سنة ١٩٠١ قول العالم (شاق) : إن المسيحية لم تعترض على العبودية من وجهها السياسى ، ولا من وجهها الاقتصادى . ولم تحرض المؤمنين على منابذة جيلهم فى آدابهم من جهة العبودية ، حتى ولا على المباحثة فيها ، ولم تقل شيئا ضد حقوق أصحاب العبيد ، ولا حركت العبيد إلى طلب الاستقلال ولا بحثت عن مضار العبودية ، ولا عن قساوتها ، ولم تأمر باطلاق العبيد حالا . وبالاجمال لم تغير النسبة الشرعية بين المولى والعبد بشىء ، بل بعكس ذلك فقد أثبتت حقوق كل من الفريقين وواجباتهما .

هكذا كانت عبودية الإنسان فى أمم الأرض عندما ظهر الإسلام . فهو نظام كان معترفا به من كل الأمم وأسواقه قائمة فى كل مكان ، وآثاره موجودة فى بيوت الناس ومجتمعاتهم ، وفى أنظمة الدول ومرافقها .

ثلاث جهات :

وأبرز مواقف الإسلام من الرق كان من ثلاث جهات :

أولا : أمر المسلمين بحسن معاملة من تحت أيديهم من الرقيق إلى أقصى ما يمكن أن تسمو إليه الفضائل الإنسانية .

ثانيا : الترغيب فى تحرير الرقيق إلى أقصى ما ينتظر من دين عالمى ، جاء ليعالج عيوب المجتمع بحسن توجيهه نحو الفضائل .

ثالثاً : وضع قاعدة المعاملة بالمثل فى الحروب الدولية فيما يتعلق بالأسرى ومبدأ الاسترقاق . وكلما وجد الإسلام دولة وترضى أن تتعامل معه بمبدأ ينطبق على أهدافه فى تحرير الإنسانية من الرق فإنه كان دائما على استعداد للاتفاق معها على تحقيق هذه الأمنية بالفعل .

إن النصوص الصحيحة المأثورة عن الدين الإسلامى فى القرآن وكتب السنة النبوية المشهورة بصحة رواتها ، إذا أردنا أن نقتصر منها على المعانى الإنسانية الخاصة بالرقيق ، فإنها وحدها تبلغ كتابا ، وإذا حاولنا أن ننقل الوقائع التاريخية عن عظماء المسلمين وأئمتهم ، وأخبارهم فى تطبيق هذه النصوص والمبادىء والأحكام بالعمل ، لكان من ذلك مجلدات كثيرة . ويمكننا أن نعلن ونحن مطمئنون بصحة ما نقول : أنه من أول ابتلاء الإنسانية بنظام الرق ، واستعباد البشر للبشر ، إلى طروء الضعف على دول الإسلام فى العصرين الأخيرين ، لا تعرف الإنسانية حضارة ولا ديانة ولا فلسفة ، قاومت الرق ، وحاولت التخفيف من أضراره ، وتهذيبه بما يلائم الإنسانية كما فعل الإسلام وحده دون غيره من أنظمة البشر ومذاهبهم وطوائفهم .

تحرير الرقاب :

أما نص القرآن على إيجاب تحرير الرقيق فنجده فى سورة التوبة ـ الآية ٦٠ ـ التى فرض فيها الإسلام ضريبة على المسلمين لهذا الغرض وهى الزكاة ، فجعل من مصارفها تحرير الرقاب (أى تحرير المملوكين) ، « إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم » .

والرقيق الذى يطلب من مالكه أن يتعاقد معه على مبلغ من المال يدفعه له بسعيه وعمله ليتحرر من الرق ، قد وردت الآية ٣٣ من سورة النور بأمر المسلم المالك للرقيق أن يجيب هذا الطلب ، وذلك فى قول الله عز وجل « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم ، فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

وتحرير الرقيق قد جعله الإسلام فدية عن أمور كثيرة ، كقول الله عز وجل فى الآية الثالثة من سورة المجادلة « والذين يظاهرون من نسائهم ، ثم يعودون لما قالوا ، فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير » .

وكقوله سبحانه فى الآية ٨٩ من سورة المائدة « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة » .

ومما أوصى الله به المسلمين فى الآية ٣٠ من سورة النساء ، قول الله عز وجل « واعبدوا

الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى ، والجار الجنب والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم » .

النبي يوصى بالرقيق :

أما الأحاديث النبوية فى هذا الموضوع الإنسانى ، فكثيرة جدا لا يكاد يأتى عليها الحصر ، لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما برح يحدث أمم الأرض بها ويحث القبائل والشعوب على العمل بها مدة ثلاث وعشرين سنة ، منذ بعثه الله بالنبوة إلى أن اختاره للرفيق الأعلى . ونحن نورد هنا نماذج قليلة منها ، لتدل على سائرها مما يتسع له المقام ، من ذلك ما ورد فى كتاب الإيمان من صحيح الإمام مسلم ، من حديث أبى ذر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ـ قال فى الرقيق : « هم إخوانكم ، جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

وفى ذلك الكتاب من صحيح مسلم أيضا ، عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال : (إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ، ثم جاء به قد ولى حره ودخانه فليقعده معه فليأكل ، فإن كان الطعام مشفوها ـ أى كثرت عليه الشفاه فصار قليلا ـ فليضع فى يده منه أكلة أو أكلتين) .

وفى مسند الإمام أحمد ، من حديث مورق عن أبى ذر أن النبي ﷺ قال (من لاءمكم من خدمكم فأطعموه مما تأكلون وأكسوهم مما تلبسون ـ أو قال تكتسون ـ ومن لا يلائمكم فبيعوه ، ولا تعذبوا خلق الله عز وجل) .

الاسترقاق الشرعى :

ثم إن الاسترقاق الشرعى هو الذى يقع فى حرب يراد بها إعلاء كلمة الحق ، وأن يأذن بها الحاكم العام ، وأن يعامل المسترق بالرفق والإحسان كما يعامل الابن والأخ . وقد أصدر أحمد باى تونس سنة ١٢٦٢ هـ أمراً بتحرير المسترقين فى المملكة التونسية ، حيث إن غالب المالكين لا يعاملونهم بما أمر به الإسلام من الرفق وحسن المعاملة ، ووافق الشيخ إبراهيم الرياحى ، رئيس الفتوى فى تونس على ذلك .

ونص الفقهاء على أن من أضر برقيق ضرراً بينا يعتقه القاضى عليه ، وقد قدمنا أن الرق ليس بواجب من واجبات الحرب . إنما أباحه الإسلام للحاكم العام إذا اقتضته مصلحة الحرب ، فلو اتفقت الدول على أن لا استرقاق فرغبة شارع الإسلام فى الحرية تجيز للحاكم العام أن يتفق مع المحاربين هذا الاتفاق ، ويبطل الاسترقاق من أصله .

من مشكلات أدبنا القديم

من الكتب الأمهات التى يرجع إليها دارسو الأدب العربى كتاب « يتيمة الدهر » للثعالبى . وشهرة هذا الكتاب كانت تغنينا عن التصدى له والتعريف به ولكننى أقرر منذ الآن أننى لم أتصد له لأعرف به ، ولكننى أعرض للمشكلات التى قد يثيرها الكتاب أو تثور حول قيمة الكتاب . وقد سبق ناشر الكتاب الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد إلى الوقوف من بعض هذه المشكلات موقفاً خاصاً ، فى حين أهمل الوقوف من غيرها . ولذلك أود أن أقسم كلامى قسمين : الأول يكون مع الأستاذ الناشر نفسه والثانى مع الثعالبى فى كتابه .

وأول ما يلفت قارىء الكتاب العادى أنه قد خلا خلوا تاما من الشكل ؛ فلم يضبط المحقق كلمة واحدة فى شعر أو منثور . وقد راح يعتذر عن هذا النقص بأن « الضرورة اقتضت أن يخرج الكتاب غير مضبوط بالشكل ، لأن دار الطباعة التى اختارها الناشر ـ مع الأسف المحض ـ لم يكن فيها من الحروف القابلة للضبط ، ولا من الحركات ما يكفى للقيام بهذا العمل وكان لا بد من انتظار عام كامل أو قريب منه حتى تتمكن من البدء فى العمل على الوجه الذى أحب . . . » وهو فى ذلك يشعرنا بأن التقصير لا يرجع إليه ، ولكن أليس فى ذلك العذر غرابة ؟ لقد طبع الكتاب فى سنة ١٩٤٧ ، فهل يصح أن تقوم مطبعة بطبع كتاب من أربعة أجزاء وليس فيها حروف مضبوطة ؟ ولو سلمنا بهذا ، ألم تكن هناك وسيلة أخرى لتلافى هذا النقص ؟ . إن انتظار سنة كاملة لإخراج عمل علمى كامل أو أقرب إلى الكمال لخير من العجلة مع إخراج هذه الأعمال مبتورة منقوصة . ولست أنكر أن هذه الطبعة خير مما سبقها . وأعلم أن من سابقاتها ما لم يتمتع بالشكل والضبط ، ولكن ماذا تكون قيمة طبعة لم تعطنى أكثر من الحروف ؟ ليس الشكل بدعة غريبة كما يتوهم البعض ، وإذا كان الكتاب الذى بين أيدينا من تلك الكتب القديمة كان الضبط له ألزم ، بل إن الضبط هو المقياس الذى يقاس به مجهود المحقق من جهة ، كما توزن به معرفته ويوزن إدراكه وفهمه النص ، ومن ثم استلزمت عملية تحقيق الكتب القديمة وبعثها خبرة خاصة ومعرفة واسعة ومن خصائص لغتنا العربية أن الشكل يحدث فى معانيها تغييراً قد يصل أحياناً إلى العكس

ونحن نعلم جميعا أن الفرق بين اسم الفاعل واسم المفعول من الرباعى ليس فى عدد حروفهما فى الكلمة ، وليس كذلك فى نظام هذه الحروف وإنما هو فى الشكل ؛ فنى حين يكسر الحرف قبل الأخير فى حالة اسم الفاعل ، نجد هذا الحرف نفسه مفتوحا فى حالة اسم المفعول ولا شك أن الضبط فى هذه الحالة يجنبنا خطأ الفهم الذى قد يجعل اسم الفاعل اسم مفعول أو العكس .

هذا فيما يختص بالصورة التى خرج فيها الكتاب ، وما زالت هناك مشكلة أخرى أثارها الأستاذ المحقق ، ويتضح منها نظرته العامة إلى هذا الكتاب . يقول فى (المقدمة ص ٨) : « وإن يكن فى هذا الكتاب نقص يصح أن يعتد به بعض الناس على صاحبه فهو أنه لم يعن بجمع أخبار من تعرض للاختيار له من الشعراء مما يتضمن نشأتهم ومواليدهم ووفياتهم وتصرف الدهر بهم ، بل إنه لم يتعرض فى بعضهم إلا لاختيار عدة أبيات وقعت له أو سمعها من بعض رواتها من الأدباء فالكتاب فى نظر هؤلاء ناقص وفى مسيس الحاجة إلى إتمام هذا النقص . . ونحن نقرر أن هذا الكتاب لم يوضع فى تاريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تاريخ حياة الأدباء والشعراء ، ولكنه وضع فى صميم الأدب ولبابه ، فهو يعنى بالقول أكثر مما يعنى بحال قائله ، وكثير من الشعراء الذين جرى لهم ذكر فى الكتاب واختار لهم صاحبه لم يكن يعرف عنهم شيئاً ، بل لعله لم يسمع بهم ولا درى من شأنهم غير ما يرويه لهم من الشعر القليل » .

ونحن نختلف مع الأستاذ المحقق هنا اختلافاً كبيراً . وكون الكتاب ناقصاً أو غير ناقص فإن ذلك نبقيه إلى حين نقف وقفتنا مع الثعالبى نفسه ، ولكن اختلافنا مع المحقق يرجع إلى ما ورد فى دفاعه عن هذا النقص ، فى اعتباره أن الكتاب لم يوضع فى تاريخ الأدب والشعر ، وإنما هو فى صميم الأدب ولبابه ؛ فإن ذلك ينطوى على معنى غاية فى الأهمية ، وهو التفريق بين الأدب وتاريخ الأدب . وهذه لفتة بارعة ولا شك ، سواء أكان المحقق يقصدها أم لا يقصدها . ولكن هل كتاب « اليتيمة » حقاً كتاب أدب وليس كتاب تاريخ أدب ؟ ورأينا أنه ليس كتاب أدب وإنما هو أقرب إلى أن يكون فى تاريخ الأدب . إن للأستاذ المحقق العذر فى أن يعتبر كتاباً فى الأدب وهو فى تاريخ الأدب بخاصة إذا كان هذا الكتاب من الكتب العربية القديمة ؛ ذلك أنها كانت تأخذ من كل شىء بطرف ولكن الخبير بهذه الكتب يستطيع أن يميز بينها بسهولة إذا لم يدله المؤلف ذاته على وجهته

فى التأليف منذ اللحظة الأولى . ونحن نعتبر « الكامل » للمبرد مثلا كتاب أدب وليس كتاب تاريخ أدب . أترانا نقرن « اليتيمة » بالكامل مثلا من حيث هما صنف واحد ؟

وقد يعنى الأستاذ المحقق بقوله إن الكتاب « يعنى بالقول أكثر مما يعنى بحال قائله » أنه كتاب يدرس ويحلل ويقدم النماذج الأدبية والقصائد الشعرية من حيث هى إنتاج أدبى ، بغض النظر عن أصحابها . وهو فى هذه الحالة يسند إليه مهمة كتب النقد الأدبى . ولكن هل ترانا نستطيع أن نضع كتاب اليتيمة جنباً إلى جنب مع كتاب كالوساطة للقاضى الجرجانى مثلا ؟

ومن هذا نخلص بوجهة نظرنا ، وهى أن هذا الكتاب ليس فى الأدب البحت ، وليس فى النقد الأدبى . ويبقى أن نقول ماذا يكون إذن ، وأين نضعه فى المصنفات أو المؤلفات .

وهنا ننتقل إلى الثعالبى نفسه لنفحص عمله ، ونتبين الخط الذى سار فيه ، والميدان الذى اهتم به ، ومدى النجاح الذى يمكن أن يكون قد أحرزه فى هذا الميدان . ونحن — بعد أن استبعدنا أن يكون الكتاب فى الأدب البحت أو فى النقد الأدبى ـ نفترض أنه أقرب إلى لون آخر من التأليف هو المعروف بفن التراجم . ويؤيد هذا الفرض أن الثعالبى حين ندب نفسه لتأليف هذا الكتاب لم ينظر إلى كتب الأدب فيضيف إليها ما فاتها ، أو إلى كتب النقد الأدبى فيستدرك النقص فيها ، ولكنه نظر إلى كتب الطبقات والتراجم يتضح ذلك من قوله : « وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم وتدوين كلماتهم . . . وبقيت محاسن أهل العصر التى معها رواء الحداثة ولذة الجدة ... غير محصورة بكتاب يضم نشرها ... » . وكتب الطبقات تنطوى على نقد ولا شك ولكن ينبغى أن نكون على حذر من أن نطلق هذا الوصف على كتاب اليتيمة ؛ لأنه لم يصنف الشعراء بحسب درجاتهم فى الإجادة ، وإنما هو يسجل شيئا عن كل أديب أو شاعر عاش فى القرن الرابع الهجرى وبلغه عنه خبر . ولذلك نجده يروى الجيد والمتوسط وقد يروى الضعيف . فهو وإن وضع لنفسه شرطا أساسيا هو إيراد لب اللب كما يقول ، فإنه يتذرع بسببين لإيراد ما ليس كذلك : أولهما أن يكون هناك تعلق بين الصنفين من الكلام ، والثانى أن يكون المروى « لملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير . . . » . وإذا عرفنا أن عدد هؤلاء ليس باليسير بخاصة فى ذلك القرن الذى تعددت فيه الإمارات الإسلامية فى

الشرق والغرب الإسلاميين اتضح لنا أن مهمة الكتاب تختلف فى جوهرها عن مهمة كتب الطبقات .

ويبقى أن يكون هذا الكتاب فى التراجم الأدبية . وهو فى هذه الحالة يكون قد توافرت له بعض عناصر النجاح ، من هذه العناصر ذلك الأساس المنهجى الذى اصطنعه فى الترجمة لأعلام ذلك العصر ، وهو تقسيم الإمبراطورية الإسلامية إلى بيئات أدبية لها خصائصها ومميزاتها . ومنها استقصاؤه أسماء الأدباء والشعراء الذين عاشوا فى ذلك العصر ، دون أن يتأثر بما لبعضهم من اتجاهات خارجة فى المجون كأبى الرقعمق وابن سكرة وأضرابهما . ومنها اصطناعه المفهومات النقدية التى تأصلت فى ذلك العصر عند تناوله الممتازين من الشعراء ، أو بعبارة أدق عند ما يجد عند النقاد مادة تتعلق بالشخصية التى يترجم لها . ولا شك أن هذا يزيد الشخصية وضوحا وجلاء . وأوضح مثل نستطيع أن نضربه هنا ترجمته للمتنبى والصاحب وتبقى هناك نواح كانت تزيد من قيمة هذا الكتاب لو أنها توافرت فيه . ذلك أن بعض الذين ترجم لهم المؤلف لم تتضح لنا شخصيتهم الأدبية فضلا عن شخصيتهم العامة ، ويرجع ذلك إلى نقص المادة التى تصور لنا هذه الشخصيات من جهة ، وقلة النماذج الأدبية التى تصور لنا اتجاهها الأدبى العام ، ومكونات أسلوبها الفنى . يقول مثلا فى ترجمته لأبى سلمة بن أحمد المعاذى : « حضر بعض مجالس الانس بنيسابور فانصبت محبرة فتى مليح على ثوبه فخجل الفتى . قال أبو سلمة :

صب المدام وما تعمد صبه فتورد الخد البديع الأزهر
يا من يؤثر حبره فى ثوبنا تأثير لحظك فى فؤادى أكثر [1]

وهذا هو كل ما يذكره فى ترجمة المعاذى . ولا شك أننا لانستطيع منها أن نتمثل شخصية المعاذى تمثلا يفردها عن غيرها من الشخصيات ، وهنا تصبح محدودة الاستقصاء سببا لبعض العيب والنقص ؛ فالثعالبى كان يكتب عن أى شخص يسمع به ، ويروى عنه أى رواية ترد إليه ، ويسجل ذلك دون تمثل منه للشخصية التى يترجم لها ، ذلك التمثل الذى يخرج لنا صور هذه الشخصيات حية نابضة .

---

(١) اليتيمة ، ج ٤ ص ٤٢٣ . ويتخلل الكتاب كثير من التراجم المشابهة .

وقد يقال إن قلة الرواية لا صلة للمؤلف فيها ، بدليل أنه أفاض فى ترجمته للمتنبي وتعددت جوانب نظرته إليه لأن المادة كانت وفيرة فى هذه الحالة ، ولكن هذا القول لا يقوم دفاعا عن الثعالبي إذا كنا نريد أن نميز كتابه وعمله عن كتب الإحصاء ومهمتها . فهو كتاب مهمته الأولى - فى رأينا - الترجمة الأدبية ، ولا يكفى أن يذكر المؤلف سطراً أو سطرين عن إحدى الشخصيات ويزعم أنه ترجم لها بعبارة أخرى ؛ ليست مهمة « اليتيمة » أو كان ينبغى ألا تكون مهمتها - هى مهمة « الفهرست » أو « وفيات الأعيان » . فإذا رجعنا إلى الأستاذ الناشر وجدناه يدافع عن الثعالبي هنا بأن كتابه ليس فى تاريخ الأدب والشعر ، مع أن النقص الذى لاحظناه فيه من حيث هو كتاب فى التراجم الأدبية قد رده آخر الأمر إلى أن يكون تاريخاً شاملا لأدباء القرن الرابع الهجرى فى البيئات المختلفة ، ولكنه ايضاً تأريخ لم تتوافر فيه كل عناصر التأريخ الناجح .

وتبقى مشكلتان يثيرهما كتاب اليتيمة . أولاهما رواية شعر المجون والتبذل . ففى الكتاب شعر كثير مما يمكن أن يطلق عليه التعبير الحديث « الأدب المكشوف » . وبعض المتحرزين من العيب يجدون فى رواية ذلك انحداراً وإهدارا للقيم الأخلاقية وحثا على المروق . وهم فى نظرتهم مصيبون إلى حد بعيد . ولكن ما ذنب المؤرخ فى أن يكون الفسوق ركنا أساسياً فى بنية الشخص الذى يترجم له . على أن المسألة أهون من ذلك بكثير ؛ فإن كتاب « اليتيمة » ليس كتابا يقرأ فى العصر الحديث للتسلية كما تقرأ القصص أو الروايات أو كتب التسلية على العموم ، ولكنه ما يزال كتابا يقتنيه الباحثون فى الأدب العربى وتاريخه . فهو كتاب للدرس وليس كتابا للتسلية ، ومرجع للبحث لا يخشى منه ألبتة على أخلاق الباحثين [1] .

والمشكلة الثانية هى مشكلة الشعر والأدب الشامى بعامة ، فقد وقف الثعالبي موقف التحيز لبيئة الشام دون غيرها من البيئات ، بل ربما عقد مقارنة بينها وبين بيئة أخرى كالعراق ، فعنده أن « شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، فى الجاهلية والإسلام » . وهو يعلل ذلك « بقربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز

---

[1] المجلة - وكون الكتاب مما ألف قبل عصور الطباعة يشعر باطمئنان مؤلفه إلى أن ميدان تداوله يضيق عن الطبقات التى يخشى من انتشاره بينها .

وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق المجاورة للفرس والنبط ... » ولم يقل الثعالبي - في الواقع - بنظرية جديدة ، فالشعراء الذين اختلطوا بالفرس منذ العصر الجاهلي قد ظهرت في أشعارهم آثار هذا الاختلاط . وقرب الشام من بطن الجزيرة يجعلها أقرب إلى فصاحة البداوة . ولكن هل طبق الثعالبي نظريته هذه في دراسته لشعراء الشام وشعراء العراق ؟ يبدو أنه كان قد نسيها ، وأصبح كل همه أن يحصي أكبر عدد ممكن من الأدباء والمتأدبين الشاميين . ولكننا نسجل هنا نتيجة خطرة لهذا التمييز ، وهي أنه حاول أن يعد شاميا كل من وفد إلى الشام في رحلة وإن لم يكن شاميا . ورأينا أن رحلة قصيرة لعراقي إلى الشام لا تجعل منه شاميا ، كما أن الذين ولدوا في الشام ورحلوا منذ الصغر وعاشوا بقية حياتهم في العراق مثلا لا يعدون شعراء شاميين وإن ولدوا في الشام . وهذا الأساس يخرج بعض الذين عدهم الثعالبي شاميين . ويكفينا أنه ينسب الفضل لشخص كالقاضي الجرجاني مثلا إلى الشام ، فهي التي خرجته وأخرجته - كما يقول . ودارس الأدب العربي وتاريخه يعرف تماما أن بيئة الشام كانت فقيرة في الشعراء ، وكان الوافدون إليها من مشاهير الشعراء أكثر من المقيمين فيها . ومشكلة الشعر الشامي أكبر من أن نوجزها هنا في كلمات . ونرجو أن نوفق إلى عرضها مستقلة في مقال تال ، ولكن لا ننسى أن الفضل الأول في إثارتها يرجع إلى الثعالبي .

عز الدين إسماعيل
مدرس اللغة العربية بكلية الآداب
جامعة إبراهيم

تصحيح

وقع في الجزء الماضي خطأ في آيتين صوابه كما يأتي :

ص ٥ سطر ٢٤ — ليجزي الله الصادقين .

ص ٧ سطر ١ — لا تخونوا الله والرسول .

من مفاخر ديننا الخالد

اكثر المذاهب القديمة والحديثة قامت على الدماء والأشلاء ، وكل النظم التى سادت - وتسود اليوم - العالم قد ذهب ضحيتها ملايين البشر . . . أما الإسلام ، وأمره فى قيامه وفى ذيوعه فى العالم كله ، فعلى العكس من ذلك : يقول هانوتو :

« لما بعث الشرق من مرقده عاش فى الإسلام ، وانتصر بالإسلام ، ولا يزال يحيا اليوم وغداً فى الإسلام » .

وأضيف إلى ذلك أن الإسلام إنما قام على السلام والحرية : حرية الدين ، وحرية التملك والكسب الحلال ، وحرية الطمأنينة على النفس والمال .

إن الإسلام رسالة إلهية ، لا مبدأ اخترعه بشر ؛ وهو رسالة الحرية والإخاء والمساواة والعدالة والإصلاح والمدنية ، إلى العالم كافة ، والبشرية بجميع طبقاتها . . .

ليس الإسلام ثورة طبقة على طبقة ، وصراع جماعة لهدم أخرى . . . ولم يكن قيامه وانتشاره إلا لما حواه من مبادىء القوة والحق والخير والجمال .

لقد جمع الإسلام إليه الأمة العربية من أدناها إلى أقصاها فى أقل من ثلاثين سنة ، وتناول من بقية الأمم ما بين المحيط الغربى وجدران الصين فى أقل من قرن واحد . وكان قيامه فى الجزيرة العربية أثراً للدعوة إليه ، واقتناع العرب به ، إذ لم يفرضه محمد ﷺ على العرب بقوة السلاح ، ولا بتأييد من عصبية أو سلطان أو ثروة . ولم تكن حروب محمد ﷺ وخلفائه إلا دفاعا عن حرية العقيدة التى كان الشرك والوثنية والاستبداد تريد القضاء عليها وعلى نور الله الذى انبثق من الصحراء بآخر رسالات الله وآخرها ، وكانت مبادىء الإسلام نفسها ، وروح العدالة المطلقة والمساواة والإخاء التى سادت المسلمين الأولين بإيحاء قوى من دينهم ؛ هى السبب الأكبر فى انتشار الإسلام بين الأمم ؛ وكانت حرية الأديان محرمة إلا فى بلاد الإسلام . إن سرعة انتشار الإسلام وإقبال الناس على الاعتقاد به من كل ملة إنما كان لسهولة تعقله ، ويسر أحكامه ؛ وعدالة شريعته ؛ وبالجملة لأن فطر البشر تطلب دينا ، وترتاد منه ما هو أمس بمصالحها ، وأقرب إلى قلوبها ومشاعرها [1] » .

---

(١) رسالة التوحيد ص ٢١٧ - محمد عبده - طبع المنار سنة ١٣٦١ هـ بمصر .

ولا داعى للإفاضة فى هـذه الحقيقة التاريخية فانها معلومة مشهورة ، ولـكنى أقصد من ذلك الرد على مفتريات المبشرين ودعاتهم ، الذين يضللون عقول الجماهير ، ويقولون : إن الإسلام قام بالسيف ، وإن الجنود المحاربين هم الذين حملوه إلا جهات الدنيا . وهذا افتراء على الحقائق ما بعده من افتراء ، فدعوة الإسلام هى التى كانت تدعو إلى نفسها بنفسها ، والإسلام معناه السلام ، وهو حامى الحريات ، ومحرر الشعوب والجماعات ، والتاريخ الإسلامى شاهد صدق على أن مبادئه هى السر الأكبر فى انتشاره ، وإن كان المسلمون حملوا السيف ليدافعوا به عن أنفسهم ، وليحموا العقيدة من عدوان المشركين والوثنيين ، ولم تهاجم الجيوش الإسلامية امبراطوريتى الروم والفرس إلا للقضاء على المناورات العسكرية الخفية التى كانت تريد أن تمهد للإطباق على الجزيرة العربية ووأد الدين الجديد فيها .

إن كثيراً من المذاهب الحديثة والقديمة على السواء قامت على الثورة والحرب والـكفاح وصراع الطبقات ، ولـكن الإسلام لم يكن فى حاجة إلى شىء من هذا ، والمسلمون الاولون كانوا دعاة خير وعدل وإنصاف ورحمة وبر وتعاون ، ولا شك فى أنه لاسبيل إلى التوفيق بين مؤمن بحرية الفـكر والعقيدة ، وكافر بها لا يرحب مثله بمبادىء الخـير والتـكاتف والسلام ، بل يحنق عليها ويبغضها .

وإذا أردنا أن نوازن بين الإسلام والمذهب الشيوعى ـ مثلا ـ فى قيامهما ونشأتهما ، هالنا الفرق بين دين شعاره الإخاء والوحدة والأمان ، ومذهب يصطنع العداء بين الناس ويعتمد على التفاوت بين الطبقات ، ليثير الحقد والبغضاء فى نفوس بنى البشر ؛ وليقول لهذا أنت غنى ولذاك أنت فقير ، والغنى شر والفقر موت ، وليدفع الفقير إلى أن يقاتل بالسيف أخاه الغنى ليستحوذ على ماله وثروته ، يدلك على ذلك التاريخ ؛ فقد بدأت الشيوعية فى روسيا لأول مرة عام ١٨٨٣ حين شكل بليخانوف الجماعات المـاركسية ، ومنها جماعة تحرير العمل التى تعتنق آراء ماركس وإنجلز الداعية إلى أن تسير الطبقة العاملة إلى أهدافها بالقوة والثورة ، وقد سبق ذلك صدور قانون تحرير رقيق الأرض عام ١٨٦١ فى عهد القيصر اسكندر الثانى بتأثير كتابات المفـكرين ودعوتهم إلى الإصـلاح ، من أمثال تولستوى وجوركى وبوشكين .

وفى عام ١٨٩٨ نشأ حـزب العمال الاشتراكى الديمقراطى فى روسيا داعياً إلى تعـاليم

ماركس ، وفى ١٩٠١ قام الحزب الاشتراكى الثورى ، وفى عام ١٩٠٣ أنشأ لينين الحزب الشيوعى البولشفى ، ومن ذلك الحين ظهرت البولشفية مدرسة فكرية وحزبا سياسيا ينادى باستخدام القوة والعنف لخدمة أغراضه .. وخلال الحرب العالمية الأولى - وكانت روسيا تقاسى أهوال الحرب وويلاتها - أخذت الشيوعية تستخدم السخط العام لإثارة حرب الطبقات ، فقامت فى أوائل مارس ١٩١٧ ثورات وحروب أهلية مدمرة بين الطبقات ، وفى منتصف مارس قبض الشيوعيون على القيصر نقولا الثانى ، وفى اليوم التالى أعلنوا الجمهورية ؛ وأخذوا بعد ذلك فى ذبح الأغنياء ، واستصفاء أراضى كبار ملاك الأرض ، وتسليم المصانع والمناجم إلى العمال ؛ وقامت الديكتاتورية الشيوعية الطاغية فى روسيا ، وأخذوا يسلبون الملاك أراضيهم ومحاصيلهم ومتاجرهم ومصانعهم باسم الثورة ، حتى المنازل فى المدن ، ونفذوا مشاريعهم الاقتصادية بقوة السلاح والإرهاب ، وعاملوا طبقة الفلاحين الأثرياء الكولاك بدون شفقة أو رحمة كما يقول المؤرخون الروسيون (١) ، فحكموا عليهم بالموت أو بالتشريد فى سيبيريا وغيرها . وقامت المذابح الهائلة — باسم الإصلاح — فى كل مكان مما انبعث عن فكرة آمن بها الشيوعيون إيمانا عميقاً ، فكرة صراع الطبقات واستخدام القوة المسلحة للقضاء على خصومهم فى الرأى ؛ ويصور هذه الفكرة زعماء الشيوعية الروحيون والسياسيون ، يقول ماركس وإنجلز : إن تاريخ كافة الجماعات الحاضرة هو تاريخ الصراع بين الطبقات (٢) ، ويقول ماركس : إن صراع الطبقات يقود بالضرورة إلى ديكتاتورية الطبقة العاملة التى هى وسيلة لألغاء جميع الطبقات (٣) ، ويقول أيضاً لن تستطيع الطبقة العاملة التحرك ولا النهوض بنفسها ما لم تنسف جميع طبقات المجتمع المتراكمة فوقها (٤) ، ويقول إنجلز : تقبض الطبقة العاملة على سلطة الدولة بعد القضاء على جميع طبقات المجتمع الأخرى . . ويؤمن ماركس بالثورة والانقلاب الشامل كضرورة للإصلاح (٥) ، ويؤثر عن لينين : « من غير نظرية ثورية لن تكون حركة ثورية (٦) ... ونظرية صراع الطبقات هى التى استخدمتها الشيوعية لتسلم الحكم فى روسيا ، وهى نظرية لا يقرها عقل أو دين

---

(١) ٢٤ و ٢٥ الدستور السوفيتى لفؤاد محمد شبل — طبع القاهرة .

(٢) ٣٨ المرجع السابق . (٣) ص ٤٦ المرجع نفسه ، وصفحة ٧١ نقد النظرية الماركسية لأحمد جمال الدين طبع القاهرة ١٩٤٨ (٤) ٤٧ الشيوعية . (٥) ٢٧ الدستور السوفيتى .

(٦) ٢٨ المرجع السابق .

ويحاربها الإسلام حربا شعواء، لأنها تفسد الأمن والسلام، وتقضى على الإخاء الإنسانى، وتجعل بعض الناس أعداء بعض، وتدعو إلى نهب بعضهم بعضا، وتولد الشحناء والحقد فى المجتمع، والنصوص على ذلك كثيرة من القرآن الكريم وكلام الرسول؛ بل إن صراع الطبقات لم تؤمن به أية جماعة فى عصور الجاهلية الأولى، ولا يدعو إليه اليوم إصلاح، فهذا هو الإصلاح العام فى الدول الديمقراطية يسير بتلك الأمم إلى المساواة والعدالة الاجتماعية دون وجود صراع طبقى؛ على أن مصالح الجماعات الإنسانية لا تعارض بينها على الحقيقة، وإنما بينها التعاون والانسجام، والإسلام يوجب أن يعيش الفقراء والأغنياء بعضهم بجوار بعض إخوة متحابين، وقد دعا إلى التعاون التام بين الطبقات.

ولقد أعلن المؤتمر الشيوعى الأول الذى عقد فى موسكو فى ٢ — ٧ مارس ١٩١٩ تأليف الدولية الشيوعية الثالثة (الكومنترن) لنشر الشيوعية فى العالم. وتحويل العمال فيه إلى شيوعيين، وإثارة الاضطرابات، وإيجاد القلاقل فى المحيط السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى الدول، تمهيدا لثورة الطبقة العاملة وسيادة الشيوعية بين الشعوب، وقد ألغت روسيا الدولية الشيوعية فى ٢٢ مايو ١٩٤٣، تقربا إلى الحلفاء، ولكن الدولية الشيوعية الثالثة استعادت نشاطها الآن، وهذا ما يبدو بعد إنشاء مكتب الاستعلامات الشيوعى (الكومينفورم) فى أكتوبر ١٩٤٧؛ وآثار ذلك واضحة فى إثارة الطبقات فى الشرق والغرب.

يقول كرافشنكو مؤلف كتاب «آثرت الحرية»: إن موسكو وإن تظاهرت بحل الدولية الشيوعية لا تزال توجه الحركات الشيوعية فى جميع أنحاء العالم، ولم يكن ذلك إلا حركة بارعة من حركات الدعاية إبان الحرب لكسب مساعدة الدول الغربية. وكان يطلب إلينا أن نقوى إيماننا بالمبادىء الشيوعية واعتقادنا بأن هذه الحركات السياسية كانت خطة مدبرة، وسياسية مرسومة وضعت لإحراز النصر النهائى[1].

وكتاب «مشاكل اللينينية» ظل المرشد الأعلى فى شئون المبادىء والأفكار الشيوعية ولا يترك هذا الكتاب أثرا للشك فى اعتقاد «ستالين» مؤلفه، فى أن من حق الكتلة العاملة المظفرة ـ الكتلة الشرقية ـ بل من واجبها المقدس أن تستخدم القوة فى إشعال نار الثورة

---

(١) ٦٤٢ آثرت الحرية.

فى البلاد الأجنبية إذا ما لاحت الفرصة لإشعالها ، وأن تستخدم القوة العسكرية إذا لزم الأمر ضد الطبقات المستقلة والدول التى تناصرها .

وحكم العقل والأديان عامة والإسلام خاصة على مبادىء ونظرية صراع الطبقات واستخدام القوة الثورية لإرهاب الشعوب المسالمة ، لا يخفى على إنسان .

إن الشيوعية لم تكن لتقوم لها قائمة فى بلادها لولا هذه المجازر الهائلة وعدد الضحايا الضخم لها فى بلادها ولولا سجون الاعتقال والنفى إلى مجاهل سيبريا والبطش بخصومها فى الرأى والتنكيل بمعارضيها فى الفكرة ، ثم لولا الدعاية والأموال الضخمة التى تبذل لنشرها .

أما الإسلام فلا يمكن أن يشك عقل فى أنه إنما قام على السلام والمحبة والرحمة والخير والتعاون بين الناس ، وعلى الصدق فى المبادىء ، والإقناع بالحجة ، وسمو مبادىء الدعوة وأهدافها ، واتجاه هذه الرسالة الإلهية إلى غرس بذور الوئام والوحدة بين جميع الأمم والشعوب ، وعملها لنشر الرفاهية والسعادة بين بنى البشر كافة .

محمد عبد المنعم خفاجى
المدرس فى كلية اللغة العربية

أصاب الشيخ وأخطأت أنا

مر أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك بالمدينة - وهو يريد مكة - فأقام بها أياماً فقال : هل بالمدينة أحد أدرك أحداً من أصحاب النبى ﷺ ؟ قالوا له : أبو حازم . فأرسل إليه ، فلما دخل عليه قال : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين وأى جفاء رأيت منى ؟ قال : أتانى وجوه أهل المدينة ولم تأتنى قال : يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن . ماعرفتنى قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك . فالتفت أمير المؤمنين إلى محمد ابن شهاب الزهرى فقال :

— أصاب الشيخ ، وأخطأت أنا .

من رجال الحديث :

سالم بن معقل ...

هـذه صورة من الصور اللامعة فى ذهنى ، الماثلة فى خاطرى ، المتمكنة فى نفسى ، المالئة لجوانب قلبى ، المالكة منى موضع الإعجاب والإكبار .

لا لأنه من هؤلاء الذين كان لهم دين وورع ، وفقه وعلم ، وأدب وخلق ، وتقوى وعبادة ، وسلوك محمود ، وتفان فى طاعة المولى جل جلاله .

فربما كانت هذه كلها صفات كثير من صحابة رسول الله ﷺ . ولكن لأنه كان إلى جانب ذلك كله المخلوق الوحيد الذى استحق من عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ تلك الشهادة بالفضل ، والتنويه بالمزية ، والاعتراف بأنه لم يكن كغيره من الناس الذين يزيد بهم العدد ، ويكمل الحساب ، أو تتزحزح بهم الأرقام من درجة الآحاد والعشرات إلى سواها من الدرجات والمنازل ، ثم لم تعد أن تكون أعداداً وكفى .

وعمر لم يكن من أولئك الذين يرمون بالكلام على عواهنه فى تقدير الأشخاص ، والحكم على قيم العظماء ، ولا سيما إذا أضيف إلى هذا أنه مر بخياله فى لحظة تذهل فيها العقول ، وتضل الأفكار ، وتختل معايير الحق الابلج ، والصواب المحض ، لأن المؤرخين مجمعون على أن أمير المؤمنين عمر سأله سائل ـ والدم ينزف منـه بسبب طعنة اللعين أبى لؤلؤة المجوسى ـ أن يجعل ولاية العهد لابنه عبد الله ، فأبى الإباء الذى ليس قبله ولا بعده ، وقال « بحسب آل الخطاب أن يتحمل أوزار أمة محمد واحـد منهم » . فلما ألحف الملحفون فى هذه الرجاوة ، وألحوا أن يستجيب لهم تلك الرغبة ، أشار عليهم أن ينتخبوا الخليفة من ذلك النفر الذين مات النبى الأمين ﷺ وهو راض عنهم ، وعينهم بأسمائهم واحداً واحدا .

ولم يلبث أن قال « ولو كان سالم حياً ما جعلتها شورى » ، يقصد أنه لم يكن أمثل لها منه ، ولا أجدر بها سواه .

وما كان إنسان يجهل فى هذه الآونة من هو سالم الذى يعنيه الخليفة الثانى ، ولا كان هنالك من ينكر عليه هذا الثناء لأنهم يعرفون من شأنه ما يجعله قمينا بما هو أبعد من هذا المديح المستطاب ، والإطراء الخالص .

والتقريظ إذا أهدى إلى الأحرار المالكين ، قد لا تنكره الأذواق ، ولا تأباه الطبائع ولا تنفر منه النفوس ، أو تعلق به الريب والظنون ، أما أن يخلع على الموالى ، ويضفى ثوبه على المملوكين ، فهذا هو الذى يلفت النظر ، ويسترعى الاهتمام ، لأن الشأن فى المستعبد الرقيق أن تقعد به همته ، وتضعف به غايته ، ولا يتطاول طموحه إلى أن يكون أكثر من خادم ينزل على أمر سيده لا أزيد ولا أنقص . . . ولكن حديث هذا الإنسان كان أعجب ، لأن الإسلام صنع منه شيمة عالية ، وأودع فى قلبه آمالا سامية ، وسوى من نفسه الكبيرة صورة تروع ، وذكرى تضوع ، وتاريخاً يتحدى التاريخ ، ويتطاول على الأيام والسنين . . . ومن الغريب أن ولاءه لأبى حذيفة كان (ولاء موالاة) حمل عليه الود الصميم ، والحب الأكيد ، والاستجابة الوثيقة لداعى البر والمعروف . . وهو فى بادىء الأمر كان منه بمنزلة السيد لأنه عبد زوجته التى أعتقته سائبة لوجه الله الذى فطر السموات والأرض .

وفى الحق أن هذا المحدث الجليل مدين فى نباهة ذكره والكشف عن مستور الخير فيه ، للسيدة عائشة التى يروى الرواة أنها تأخرت عن النبى ﷺ خارج البيت فسألها فى ذلك فقالت والله لقد حبسنى عنك يا رسول الله قارىء للقرآن كأنما يصبه فى الآذان ، ويفرغه فى القلوب ، وينير البصائر ، ويفتح به الأفئدة ، ويزيل الحجب والأسداف ، وذكرت من الثناء عليه ، والمديح فيه ، ما أغراه برؤيته ، والاستماع إليه ، فلما وقف على الحقيقة دفعه سروره إلى هذا القول « الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثلك » ، وذهبت هذه الكلمة ندوى فى المجتمعات والأندية ، وأخذ أهل النظر والرأى يتلفتون إلى سالم على أنه رجل يمتاز بموهبة كريمة ، ومنقبة عظيمة ، وفضل يتسامى به إلى صفوف الخواص . . وبخاصة حين تناقل المتناقلون : « خذوا القرآن عن أربعة : عن ابن أم عبد ، وعن أبى بن كعب ، وعن سالم مولى أبى حذيفة ، وعن معاذ ابن جبل » .

ولم يكن هذا الولاء ـ فقط ـ مظهر حرص أبى حذيفة على أن تصل الأسباب ما بينه

وبين عتيق زوجته حتى ربط وشائجه بفاطمة ابنة أخيه الوليد بن عتبة ، ثم لم يكتف بذلك بل تبناه على العادة المألوفة ـ حينئذ ـ وكأنما أراد بهذا التبنى أن يتيح لنفسه فرصة إشباع نهمه إلى التقرب منه ، والاجتماع معه ، والعطف عليه ، والتملى من وجهه ، ولا يزال يروى ظمأه بهذه العرى التى تضم قلبيهما إلى أن نزلت الآية « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم » . . ويقول ابن المبارك : إن سالما كان يحمل لواء المهاجرين ويصلى بهم ، ويصلى وراءه أبو بكر وعمر .

وفى موقعة اليمامة كان يتندر مع المسلمين بقوله : بئس حامل القرآن أنا إن فررت ، ولم يعتم بعدها أن قطعت يمينه فأخذ اللواء بيساره فقطعت كذلك ، وهنالك حاول أن يأخذه فأحنى جسمه كله عليه وعض فيه بأسنانه ، ولكن القدر كان حريصا على أن يطوى الكتاب ، ويطمس السطور ، ويمحو المعالم . . وأحس سالم أنه يلفظ الأنفاس الأخيرة ، فأخذ يذكر مولاه أبا حذيفة ، وكان هو الآخر يجاهد فى تلك المعركة ، ولما أخبروه أنه لقى مصرعه ، قال : أضجعونى معه . . وفى بعض الروايات أنهما وجدا هكذا بمحض المصادفة . . وسواء صح هذا أو ذاك ، فإن ذلك مظهر تعانق الأرواح ، وتلاقى النفوس ، وارتباط القلوب ، وحب كل منهما للآخر ...

والذى تساعده الظروف على أن يستوعب رأى الكاتبين فى هذه الشخصية الكبيرة وغيرها من أولئك الذين يعتز بهم الإسلام يدرك إلى أى حد كانوا يؤمنون بالله ورسوله ، ويهبون للدعوة إلى الإسلام أرواحهم ونفوسهم وأموالهم . وأنهم كانوا لا يبالون إلا برضا الله سبحانه . . وأنهم ما انتصروا فى المواقع ، وثبتوا للمحن ، وصمدوا للحوادث ، وأرخصوا دماءهم الغالية ، لدنيا يطلبونها ، أو عرض يرجونه ، أو جاه يبتغون أن يصلوا إليه . . ولكنهم بذلوا ما بذلوا حتى لا تكون فتنة . . . ويكون الدين كله لله ، ولهذا كان رصيدهم من العقيدة القوية ، والإيمان النقى ، ينفخ فيهم من معانى الشجاعة والاستبسال ، والفوز والنصر ، ما جعلهم أهلا للثناء والتقدير . ونطق القرآن بأنهم على قلتهم خير ألف مرة من سواهم على كثرته . . . وكان الشرف كل الشرف عندهم أن يحسب أحدهم من المجاهدين الذين شهدوا الغزوات ، وحضروا الحروب ، وجاهدوا لإعلاء كلمة رب العالمين ، بصرف النظر عن الرق والحرية ، والغنى والفقر . . . وقد عرفنا من أخبارهم المأثورة ، وأنبائهم

المشهورة إذا أرادوا أن يبالغوا فى الثناء على إنسان بالفضل ، والوصف له بالتمكن عنده جل جلاله ، أن يقولوا إنه من أهل بدر . . .

والمقياس الصحيح لأن يتبوأ الرجل منهم مكان الصدارة ، ما يقدمه لإسلامه من تركيز ، وللناس من معروف ، وللحياة من نفع ، من غير التفات إلى الفقر والغنى ، والحسب والنسب... وفى سالم ابن معقل مولى أبى حذيفة الدليل الواضح على صدق تلك الدعوى . . لأنه لم يمتد به الزمن حتى يتصل به الرواة فيحفظوا عنه الآلاف والمئات . فضلا عن أنه ليس من الذين انقطعوا للتلقى عن النبى ـ هدانا الله بهديه ـ بحيث يضاف إلى المكثرين من الجمع ، المشتغلين بالنقل ، وإنما كان ما تميز به أنه من المؤمنين بالإسلام ، ومن المكافحين ، المجاهدين جهاداً لا يعرف الونى والكسل . . . ولم يكن عمر بن الخطاب بعد ما أصيب الإسلام فى مقتله هذه الإصابة بضرب ذلك المجوسى له مبالغاً إذ يقول : « ولو كان سالم حياً ما جعلتها شورى » ، لأن الأمة يومئذ كانت بحاجة إلى الجنود والبنود ، والسيف والقوة ، والإيمان والعقيدة ، والإخلاص للكتاب ، والذود عن الشريعة ، أضعاف حاجتها إلى العلماء الأعلام ، والفلاسفة العظام .

ابراهيم على أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

رسول الله صلى الله عليه وسلم يربى أصحابه

كان صلى الله عليه وسلم فى سفر فأمر بذبح شاة ، فقال رجل « يا رسول الله علىَّ ذبحها » ، ووقال آخر : على سلخها ، وقال ثالث : على طبخها ، فقال ﷺ : « وعلى جمع الحطب » ، قالوا : يا رسول الله نحن نكفيك ذلك . فقال : قد علمتُ ، ولكنى أكره أن أتميز عليكم ، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه » ، وقام فجمع الحطب .

الدعوة لتحديد النسل

هدم لكيان الأمة ، وجريمة فى حقها

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

قال مندوب « المصرى » لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر : كان لابد للقراء أن يقفوا على رأيكم فى مشكلة تحديد النسل ، وهى مشكلة الساعة ، وحديث الناس فى محافلهم ومجالسهم .

فقال فضيلته :

إن التفكير فى تحديد النسل لأفراد الأمة كلها أمر لا يجيزه الدين بحال ، ولا ترضاه الشريعة الاسلامية السمحة وإلى جوار ذلك فإنه عمل لا يمكن تحقيقه بقانون عام يطبق على جميع الأفراد .

ومضى فضيلته يقول : وفيم هذا الهلع من كثرة النسل ، ونحن فى هذه الحياة قد تكفل المولى جل شأنه بأرزاقنا إذ يقول : « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين » .

ويقول جل شأنه « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » .

النيـــل :

ثم قال فضيلته : وهذا الكلام ـ أعنى الالتجاء إلى تحديد النسل ـ لا يقال فى هذا البلد الذى وهبه الله النيل ليحيل صحراءه إلى نعيم ، وأرضه إلى ثروات ، وتساءل فضيلته قائلا : هلا حاول الذين ينادون بتحديد النسل ـ قبل مناداتهم بهذه الدعوة ـ البحث عن وسيلة فعالة تحقق للبلاد الانتفاع بمياه النيل التى تذهب إلى البحر سدى أيام الفيضان ، والانتفاع بهذه المياه لا شك يساعد على النهوض باقتصاديات البلاد وإنتاجها ويساعد على قيام عديد من المشروعات النافعة الهامة . هلا فكروا فى شىء من هذا وإبداء الآراء النافعة للنهوض بموارد البلاد .

مشكلة الأيدى العاملة :

وماذا يمكن أن يجدى تحديد النسل على الجميع غير الضيق ونقص الأيدى العاملة

المنتجة ؟ إننا نرى الرجال فى الريف يفرحون بكثرة الأبناء لأنهم يساعدونهم فى أعمالهم الزراعية، ويضاعفون إنتاج آبائهم ، فكيف إذن يحد نسل هؤلاء !.. إن لدينا مساحات واسعة يمكن تعميرها ، والمشكلة مشكلة الأيدى العاملة لا كثرتها .

تقسيم صورى :

أما قلة الدخل وكثرته الذى تجعله الهيئة الصحية العالمية مقياسا لتقسيم الأمم إلى متأخرة ومتوسطة ومتقدمة فنى نظرى يكاد يكون تقسيما صوريا لا غير ، ذلك أننا إذا قسمنا متوسط الدخل فى مصر وهو ٣٠ جنيها تقريبا للفرد فى العام بمتوسط دخل الطبقة الأولى وهو مائتا جنيه فى العام كما هو الحال فى أمريكا وبعض ممالك أوربا ، فإننا نجد النسبة محفوظة . لأن الحالة المعيشية فى مصر أرخص جملة مرات من الحياة فى أمريكا أو أوربا ، والفرد الذى يعيش فى مصر بثلاثين جنيها فى العام لا يستطيع أن يعيش بمائتين أو ثلاثمائة فى أمريكا وأوربا . أفما كان من الواجب مراعاة رخص الحياة أو إغلائها فى مثل هذا الإحصاء ؟

أصحاب الضرورة :

وتحدث فضيلته عن أصحاب الضرورة والحالات الخاصة فقال : أما أصحاب الضرورات كالمرضى مثلا فإن هذه الضرورة تقدر بقدرها . وفى غير حالات المرض من الزوجين لا يجوز تحديد النسل فى حالات فردية خوفا من الفقر ، وقد كان العزل جائزا فى أول الإسلام ثم نهى رسول الله ﷺ عنه بقوله : « إن العزل هو الوأد الخفى » .

وذهب ابن حزم إلى أن العزل قد نسخ بهذا الحديث الشريف ، ولا يباح إلا لضرورة المرض .

الأمة الناهضة :

وأكد فضيلته المعنى بقوله : لسنا أمة ناهضة ؟ !

ألسنا فى حاجة إلى إعداد جيشنا إعدادا يتفق ومقتضيات العهد الجديد؟ وهذا لا يتأتى إلا عن طريق أبناء الأمة وإكثار عددهم ؟ !

هدم لكيان الأمة :

وختم فضيلته الحديث بقوله : إن دعوة تحديد النسل هدم لكيان الأمة ، وجريمة فى حقها.

نقد كتاب :

خرافة الميتافيزيقا

خرافة الميتافيزيقا كتاب ألفه الأستاذ زكى نجيب محمود أستاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة . والميتافيزيقا التى جعلها خرافة هى علم ما بعد الطبيعة ، أو علم الإلهيات من الفلسفه .

والأستاذ زكى نجيب كان مترجما أولا ، فقد ترجم كتبا لأفلاطون ، ثم اشتغل بالتأليف فألف المنطق الوضعى وكتاب خرافة الميتافيزيقا هذا الذى نريد تعريف القراء به وبيان منزلته . وهو وإن كان تأليفا ولكنه نقل فصولا بأكملها عن بعض فلاسفة أوربة مثل كانت وكارناب وبرتراند رسل .

ولقد قسا المؤلف فى كتابه هذا على الفلاسفة المتقدمين ، وهزىء بهم وسخر من عقولهم وجعل قضاياهم فى الميتافيزيقا قضايا فارغة ، خالية من المعنى . وقد استعان المؤلف على تأييد نظرياته بآراء بعض الفلاسفة الاوربيين . أو قل إن الآراء لهم ، وقد أخذها وشرحها ثم أتى بأقوالهم بعد ذلك لتكون جلية واضحة بعد ما قدمه من بيان

وإنى أريد هنا أن أدل القراء على تهافت الكتاب وتناقضه وفساده ، وأنبه المؤلف إلى أن آراء الفلاسفة من الاوربيين ليست كلها صوابا يؤمن بها المرء بدون بحث ولا ترو ، بل إن منها ما هو مهلهل ومتداع لا يصبر على النقد ولا يقوى على التمحيص . وأريد أخيرا أن أحافظ على تراث العقل البشرى وأبين ثباته ورسوخه وأنه أقوى من أن يذهب به نقد أو يزعزعه تجريح .

وأول ما أبدأ به : كلامه فى التناقض والنقيضين ، فهو يرى أن قول المناطقة المتقدمين « النقيضان لا يجتمعان » ليست قضية عقلية يلزمنا بها العقل ، وإنما هى مواضعة واصطلاح ، فقد تواضع الناس على أن النقيضين لا يجتمعان فكان ما تواضعوا عليه وجرى استدلالهم واستنتاجهم ومحاورتهم على هذا الاصطلاح ولو اصطلحوا على أن النقيضين يجتمعان لاستقام لهم ذلك ولجرى استدلالهم وبحثهم . ونحن نسرق من كلامه ومن كلام الفلاسفة الاوربيين الذين ترجم لهم واستشهد بكلامهم ما هو صريح فى ذلك أو نص فيه ، ثم نكر عليه بالنقض والإبطال .

قال فى ص ٢١٢ — : لكن إذا كان صدق العبارة معناه مطابقتها للشىء الخارجى أو للواقعة الخارجية ، فماذا نقول فى صدق قواعد المنطق نفسها مع أن هذه القواعد صدقها ضرورى يستحيل عليه الخطأ ؟ خذ مثلا قاعدة « إن النقيضين لا يجتمعان » ، فلا يجوز قبول عبارة كهذه « س ولا س » — هذه قاعدة « صادقة » بالضرورة ، فما معنى « صادقة » هنا ، مع أنه ليس هناك فى عالم الأشياء ما نرجع إليه لنطابق بينه وبين قولنا إن « س ولا س لا يجتمعان » ؟ .

هنا يقول « كارناب » إن قواعد المنطق صادقة بمعنى أننا اتفقنا عليها ، حين اتفقنا على رموز اللغة ، وطريقة استخدامها ، فقواعد المنطق مختارة منا اتفاقا ، وصدقها اتفاقى ، كأن يتفق اثنان مثلا على أن يتفاهما برمز معين مثل هذا الرمز « — » على أنه يعنى عدم وجود الشىء الذى يجىء هـذا الرمز سابقا لاسمه فإن قال أحدهما « — س » فهم الآخر أن س غير موجود فإذا وجدا بعد ذلك أن الرمز « — » يدل دائما على معنى معين لما جاز لهما أن يعجبا لأن دوام معناه ودوام صدقه هو نتيجة اتفاقهما ، وقد كان فى مستطاعهما أن يتفقا على خلاف ذلك ، كأن يتفقا — مثلا — على أن الرمز نفسه دال على وجود الشىء الذى يجىء الرمز سابقا لاسمه ، فقولنا عن العبارتين الآتيتين « نابليون ولد فى كورسكا » و « نابليون لم يولد فى كورسكا » إنهما جملتان متناقضتان أى أن الواحـدة منهما تنفى الأخرى منطقيا معناه أننا اصطلحنا بحـكم القواعد التى تواضعنا عليها فى اللغة واستعمالها على أن كلمة النفى « لم » إذا وجدت فى جملة كان معناها أن الجملة تصبح متناقضة مع نفس الجملة إذا خلت منها بحيث يستحيل صدقهما معا أو كذبهما معا .

ولقد تعرض الأستاذ « آير » لهذه النقطة فشرحها شرحا واضحا نلخصه فيما يلى :

إن مما أدته الحركة التحليلية فى الفلسفة خـلال الخمسين السنة الأخـيرة هو أنها أزالت الإشكال الذى كان يظن أنه ملازم لقضايا المنطق الصورى والرياضة البحتة ؛ إذ كان الرأى مجمعا على أن هـذه القضايا صادقة بالضرورة ، لكن نشأت الصعوبة حين أرادوا معرفة كيف أتيح للإنسان أن يعلم أنها صادقة بالضرورة : لماذا يكون العالم منطقيا ؟ كيف أتيح لنا أن نوقن بأن قوانين المنطق لن تخالف الواقع ؟ — الجواب هو أنه لا معنى لقولنا إن العالم منطقى أو غـير منطقى إذ الشىء الوحيد الذى يمكن أن يوصف بكونه منطقيا أو غـير

منطق استدلال عبارة من عبارة أخرى ، والاستدلال المنطقي هو ما نجريه وفق قوانين المنطق ، وقوانين المنطق هي قواعد وضعناها لإجراء مثل هذا الاستدلال .

إن قوانين المنطق يستحيل أن تتعارض مع الواقع لأنها في ذاتها لا تقول شيئا عن الواقع ، إننا بتطبيقنا لقوانين المنطق نستطيع أن نشتق عبارة صحيحة من عبارة أخرى صحيحة لأن ذلك موكول إلى الخبرة وحدها ، كل ما يستطيع المنطق أن يقوله هو أنه إذا صدقت عبارة — أو مجموعة عبارات - وصفية فلا بد أن تصدق كذلك عبارة وصفية أخرى هي كذا وكذا ، لكن لماذا نلزم أنفسنا إشتقاق العبارة الثانية من العبارة الأولى ؟ الجواب هو أننا إذا سلمنا بالعبارة الأولى الصحيحة ، ورفضنا أن نسلم بالعبارة التي تلزم عنها ، فإننا نكون بمثابة من يناقض نفسه .

والسؤال الآن هو : ولماذا ينبغي لنا أن نجتنب مناقضة أنفسنا ؟ أليس ذلك لأن العالم مكون على نحو يستحيل معه أن يصدق النقيضان معا ؟ وإذا كان أمر العالم كذلك ، فهو إذن عالم يجرى على اتفاق مع قوانين المنطق ، لكن الجواب على هذا كله هو أنه ليس ثمة ما يلزمنا بألا تقبل التناقض ، إنما هو اتفاق بيننا نشأ عن اتفاقنا على طريقة معينة نستخدم بها لغة التفاهم ؛ إننا اتفقنا على أن يكون لأداة النفي « لا » معنى معين ، بحيث إذا قلنا عبارة كهذه (ق ولاق) جاءت بغير معنى أي لم نجد لها مدلولا في عالم الأشياء ، وليس ذلك لأن في طابعة العالم نفسه ما يأبى ذلك بل لأننا نحن الذين صممنا لغتنا على نحو يجعل ضم القضية إلى نقيضها لا يفيد وصفا لشيء .

إن قولنا إن « عدم اجتماع النقيضين » قانون من قوانين المنطق ، مساو لقولنا إننا اتفقنا على استخدام معين لأداة النفي ، وكان يجوز لنا أن نبني نسقا منطقيا آخر يخرج على هذا القانون — قانون عدم اجتماع النقيضين — إذ يجوز لنا مثلا أن نبدأ بناءنا المنطقي الجديد باشتراطنا صدق « ق ولاق » . ثم نأخذ في استدلال النتائج من هذا الاشتراط الاول ، وعندئذ يكون اجتماع النقيضين هو الصحيح ، وهو الذي نرتب على صدقه صدق القضايا التي تستدل منه ، وإذا بدا هذا القول مشكلا غريبا فلأننا نظن أن علامة النفي ستظل في البناء المنطقي الجديد المقترح ، محتفظة بمعناها الحالي مع أنه واضح طبعا أننا لو أبقينا لها معناها الحالي الذي يجعل عدم اجتماع النقيضين صحيحا ، استحال أن يكون اجتماع النقيضين صحيحا أيضا . (اه من ص ٢٢٢ وما بعدها) .

ونحن نرى ، والعقلاء يرون معنا ، أن « النقيضين لا يجتمعان » قضية عقلية يقضى بها بالعقل فى كل زمان وفى كل مكان ، وهى من القضايا الأزلية التى كانت كذلك فى القدم ، وهى من القضايا الباقية التى ستبقى كذلك إلى آخر الزمن ، تزول الجبال ولا تزول ، بل تزول الأرض والسموات ولا تتململ ولا تزول ، بل هى أبقى على الدهر من الدهر ، وليست مرتهنة باصطلاح مصطلحين ، ولا تواضع متواضعين ، وهى مركوزة فى العقول وراسخة فى الفطر . تقول لابنك الصغير : اشتريت لك حصانا ، ثم تقول لم أشتره ، فيحاجك ويقول : ألم تقل إنك اشتريته ؟ وما ذلك منه إلا لإيمانه بأن النقيضين لا يجتمعان ، وتقول لك خادمتك التى لم تبلغ رتبة فى التفكير : فلان لم يأخذ كذا ، ثم تقول : إنه أخذه ، فتقول لها : ألم تقولى إنه لم يأخذه ؟ فتبهت ، وربما تقول : لم يأخذه صباحا ، وقد أخذه فى المساء . فتحل التناقض باختلاف الزمن ، وكأنها تعلم أن من شرط التناقض الاتحاد فى الزمن . وكيف يمكن أن يجتمع النقيضان ؟ هل يمكن أن يصدق : سقراط إنسان ، سقراط ليس بإنسان ، أو هذا حجر وهذا ليس بحجر ، والاسكندر وجد ولم يوجد . هذا محال فى العقل وباطل فى الفكر ، ومن عجب أن الأستاذ أبر لما قرر « أننا لو تواضعنا على أن النقيضين يجتمعان لاجتمعا ولاستقام ذلك » ، أحس بحرج موقفه وتهافت قوله ، فأراد التخلص ، فقال : كأنك تظن أن حرف النفى سيبقى له معناه فى اصطلاحنا الجديد ، إنه سينسلخ عن معناه وسيكون معناه معنى آخر يمكن أن يجتمع مع الإثبات ، كأنما يظن أن التناقض إنما هو بين الألفاظ مجردة من معانيها ، والواقع أنه لا تناقض بين الألفاظ دون نظر إلى معناها ، ولا يتحقق التناقض إلا فى المعنى ، ولذلك قالوا فى تعريفه : التناقض اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب بحيث يلزم لذاته من صدق إحداهما كذب الأخرى ، وبالعكس . فالتناقض إنما يكون بين إثبات ونفى ؛ فإذا أجردت أداة النفى من معناها لم يكن تناقض فلا يصح قوله : إننا نجرد أداة النفى من معناها ، ويصح إذن قولنا النقيضان يجتمعان لأننا نقول له إنهما إذن ليسا نقيضين .

ونكتفى الآن بهذا القدر وسنعرض فى المقال الآتى إن شاء الله للخيال الذى لاح وأخطأهم التعبير عنه .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

تصويب لغوي

فى عدد رمضان من مجلة الأزهر طلع علينا كاتب أديب بتصويبات لغوية ، والكاتب عضو بالمجمع اللغوى ، وهو أديب وعالم معروف ، ولهذا كان لكلامه شأن ، فكان الوفاء بحق العلم واللغة يقتضينا أن نبادر بالتعقيب عليه ، حتى لا يلتبس الحق ، ولا يضيع الصواب .

(١) مخطئ وخاطئ :

« تقول كتب اللغة : أخطأ فلان ، جاوز الصواب ، والخطأ ضد الإصابة ، رباعى اسم الفاعل منه مخطئ ، وتقول كتب اللغة : خطئ الرجل يخطئ (هكذا) من الخطيئة والذنب ، ثلاثى اسم الفاعل منه خاطئ فى معنى مذنب مسئ » .

هذا ما دونه الكاتب تحت هذا العنوان ، ثم عقب ذلك بأن بعض الكاتبين يخطئون ، فيضعون الخاطئ موضع المخطىء ، وذكر حادثا وقع فى البرلمان وهو نائب ، ذلك أن بعض الخطباء قال : لقد كان هذا الحديث خاطئا ، فصحح بعض الوزراء كلامه ، ورده إلى الصواب .

وقد عرانى غير قليل من الحيرة حين قرأت هذا التصويب ، ذلك أنى أعرف مكانة الكاتب من العلم والأدب ، وأعرف أن كتب اللغة التى نقل عنها لا تقر هذا التخصيص لكلمة (خاطئ) ووثب إلى ذهنى عند أول وهلة هذا المثل العربى المشهور « مع الخواطئ سهم صائب » .

وهأنذا أنقل إلى القراء ما ورد فى بعض كتب اللغة .

١ — جاء فى القاموس المحيط : الخطء والخطأ والخطاء ضد الصواب ، وقد أخطأ أخطاء وخاطئة ، وتخطأ وخطئ .

٢ — وزاد صاحب تاج العروس : قال أبو عبيد : خطئ وأخطأ لغتان بمعنى واحد وأنشد لامرئ القيس :

يالهف هند إذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا

أى أخطأت الخيل بنى كاهل ، وأوقعن ببنى كنانة .

٣ — ذكر هذا الكلام السابق فى لسان العرب ، وزيد فيه عن أبى زيد : خطأ عنك السوء أى أخطأك البلاء ، وفيه : خطئ السهم وأخطأ لغتان .

وأما المثل « مع الخواطئ سهم صائب » فقد قال التاج : يضرب لمن يكثر الخطأ ويصيب أحيانا ، وقال أبو عبيدة : يضرب للبخيل يعطى أحيانا .

ويظهر أن أول من نبه على أن بين الفعلين فرقا ، الحريرى فى (درة الغواص) وقد تعقبه الخفاجى فى شرحه على الدرة ، فذكر أن التفرقة رويت عن ابن قتيبة كما جاء عن ابن برى ولكن ابن برى روى اتفاق خطىء وأخطأ فى المعنى ، ثم جاء هذا النص القاطع : وكذلك جمهور الرواة المفرقين بينهما عقبوا التفرقة برواية التسوية .

أظن أنه لا شبهة بعد كل ما تقدم فى أن خطىء يأتى بمعنى أخطأ ، وأن خاطىء يقع مكان مخطىء ، كلاهما يقال لمن لم يصب شاكلة الأمر ووجه الصواب .

أمسية :

« يكثر بعض الكتاب أن يقول هذه المقالة ـ على التمثيل ـ خرجنا للتريض فكانت لنا هناك أمسية طيبة . وجرى كيت وكيت » .

« أما القارىء فما أكثر حيرته فى كلمة « أمسية » هذه ، فى مثل هذا المقال ، إذ كان مغزاها أنهم خرجوا فى يومهم فكان لهم فى أمسيته أو أمسه شأن رقيق ، فما هذا الشأن ؟ وما ذلك الأمر الذى لم يقع فى يومك وإنما جرى فى أمسيته ؟ ؟ ؟ وسالفه ! ! ! وإنما أمسية يومك هى اليوم الذى قبله ! ! ! » .

وإنما نقلت عبارات الكاتب بنصها ، مع ما صاحبها من علامات الاستفهام وعلامات التعجب لأرى القارىء الحائر هذه الصورة مرة أخرى ، فلعل حيرته تزول حين يلقى النظرة العابرة فيعرف أنه لا داعى للحيرة ، فالكاتب ذكر أولا العبارة التى مثل بها ، فلم يكن فيها أمسية يوم بعينه وإنما كانت (أمسية طيبة) ثم أنكر أن يقع فى يومك ما جرى فى أمسيته ، وإنما أمسية يومك هى اليوم الذى قبله .

فالعبارة ـ إذن سليمة ، لأن « أمسية » حين خلت من الإضافة كان إطلاقها صحيحاً إذ أريد بها المساء وليس فيها ما يدعو إلى إنكار ، إذ لم يقل القائل . خرجنا فى يوم الخميس فكان لنا فى أمسيته ساعات طيبة ، وإنما قال : كانت لنا أمسية طيبة ، التى هى أمسية يوم الجمعة ـــ مثلا ـــ والأمسية تقابل الأصبوحة كما جاء فى اللسان .

ولم يذكر الكاتب أنه لا بد من إضافة (أمسية) . وما دام الأمر كذلك فاطلاق الأمسية على المساء لا غبار عليه ، وحين تقييد الأمسية بيوم بعينه ينظر فى صحة التعبير فقد جاءتها الحرية بخير كثير .

على العمارى
المدرس بمعهد القاهرة



دراسات قرآنية :

العزة فى القرآن الكريم

ما أكثر الذين تغنوا من آبائنا وأجدادنا بالعزة القعساء والمجد الأثم. وما أكثر الذين يتحدثون عن العزة فى الحاضر صادقين أو كاذبين ، عازمين أو حالمين ؛ وما أكثر الذين سيتحدثون عن العزة فى المستقبل القريب أو البعيد ، يصفون أمرها ، أو يندبون حظها ، أو يحرضون عليها . وإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وللعزة فيه حديث يجب أن يقال وأن يسمع وأن ينتفع به ، ولكنه يحسن بنا قبل أن ندخل روضة القرآن الاريضة لنقطف منها الطاقة الريحانية التى تصور لنا العزة الحقيقية ، أن نعرف ما هى العزة ، فإن الناس قد أسرفوا عليها متطفلين ، وبعضهم قد أسرفوا فيها متعجرفين ، وليست ادعاء عريضا ، كما أنها ليست كبرا سفيها ، ولكنها شىء بين هذا وذاك : كرامة فى غير غرور ، وقوة بلا طغيان ، ورفعة بدون بهتان .

نستنبىء كتب اللغة عن معنى « العزة » ، فنجد لسان العرب لابن منظور يستغرق فى الحديث عن مادتها قرابة ست صفحات ، وهذا يدل - حتى من ناحية الكم - على أن حديث العزة قد استغرق جانبا جليلا فى تاريخ العروبة ، وإن شئت فقل فى تاريخ الإسلام ، فقد أحكم الله الصلات بين العروبة والإسلام منذ سالف الأيام . ونرى لسان العرب يحدثنا فيما يحدثنا عن مادة العزة فيقول مع الاختصار : « العزيز من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى ، قال الزجاج : هو الممتنع فلا يغلبه شىء . وقال غيره : هو القوى الغالب كل شىء ، وقيل : هو الذى ليس كمثله شىء ؛ ومن أسمائه المعز وهو الذى يهب العز لمن يشاء ، والعز خلاف الذل ، والتعزز التكبر والتشدد على الناس - كأنه تكلف العزة ، الفرق واسع بين الطبع والتكلف ! - والعز فى الأصل القوة والشدة والغلبة والرفعة والامتناع . وقوله تعالى : فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ؛ أى جانبهم غليظ على الكافرين لين على المؤمنين ، وقال الأزهرى : يتذللون للمؤمنين وإن كانوا أعزة ، ويتعززون على الكافرين وإن كانوا فى شرف الأحساب دونهم ، ورجل عزيز : منيع

لا يغلب ولا يقهر . وعززت عليه إذا كرمت عليه ؛ وقوله تعالى : وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أى أن الكتب التى تقدمته لا تبطله ، ولا يأتى بعده كتاب يبطله ، وقيل محفوظ من أن ينقص منه أو يزاد فيه . . . » .

ونجد القاموس المحيط للفيروزبادى يتحدث أيضا عن العزة من الناحية اللغوية فيقول فيما يقول : « . . . والعزاز الأرض الصلبة ، والعز المطر الشديد ، وتعزز لحمه صلب واشتد ، والعزيز العقاب - وهو الطير الذى يضرب المثل بمناعته - والعزيز الملك لغلبته على أهل مملكته . . . » .

نلاحظ من مجموع هذه النصوص وأمثالها أن العزة تدل على القوة والشدة والغلبة والامتناع ؛ ولكن تصريفات الأفعال من الكلمة تتلون معانيها بتلون حركاتها ؛ وهذه خصيصة من خصائص اللغة العربية فى كثير من الكلمات ، إذ تتبدل حركة حرف واحد فى الكلمة فتفيد معنى ، ثم تتبدل فتفيد معنى ثانيا ، ثم تتبدل فتفيد معنى ثالثا .. وهكذا ...

يقال : عز الرجل يعز ، بكسر العين فى المضارع ، أى صار عزيزاً قويا بعد ذلة وهوان ، فهذا معنى من المعانى . ويقال : عز المنافس خصمه يعزه بضم العين فى المضارع أى غلبه وقهره قال القاموس : « وعزه يعزه كمده يمده غلبه فى المعازة ، ومنه قوله تعالى على لسان أحد الخصمين فى سورة (ص) « وعزنى فى الخطاب » أى غلبنى فى الاحتجاج ، فذاك معنى ثان من المعانى . ويقال : عز يعز ، بفتح العين فى المضارع ، أى صعب وثقل واشتد ، مثل قولك لصاحبك : يعز على أن أسمع عنك ما يؤلمنى ، أى يشتد ويصعب ، فذلك معنى ثالث من المعانى . . . الخ .

لله هذه اللغة العظيمة الكريمة المليئة بالعجائب والأسرار ... إنها لغة القرآن . . . وحسبنا ذلك القدر فى حديث اللغة عن « العزة » ، ولننتقل إلى حديثها فى القرآن الكريم .

* * *

والسمة الغالبة على حديث العزة فى القرآن هى أن العزة لله وحده ، وهذه هى العزة الحقيقية الباقية ، وما عداها فعزة باطلة أو زائلة . وتؤدى إلى سوء منقلب وشر مصير ، اللهم إلا إذا كانت العزة هبة من الله لعباده ، فإن الله يشملها بتأييده وعونه ، ولذلك تأتى

نسبة العزة لغير الله تبعاً لنسبة العزة إلى الله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » (المنافقون ٨) .

ولتوضيح هذه القاعدة نقول : إن الله ـ وهو أصدق القائلين ـ قد وصف نفسه فى القرآن الكريم بوصف العزة فى عشرات وعشرات من الآيات فسمى نفسه سبحانه « العزيز » ، وهو يوصف فى القرآن بأنه رب العزة : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » (الصافات ١٨٠) ـ وما دام هو ربها فهو إذن مصدرها ومرجعها وواهبها وسالبها ؛ ولذلك قال القرآن : « وتعز من تشاء وتذل من تشاء » (آل عمران ٢٦) ـ ويوضف بأن العزة جميعا له : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا » (فاطر ١٠) ـ « أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا » (النساء ١٣٩) ـ « ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم » (يونس ٦٥) .

والله جل شأنه يهب العزة للصالحين من عباده ، فيجعلهم الوارثين فى الأرض ، القائمين بالأمر ، المستخلفين فى السلطان ، الممكنين فى الدين . الآمنين من الخوف ، ما داموا مؤمنين ، عالمين خير العلم ، عاملين أصلح العمل ، معترفين لله بالفضل ، ذاكرين شأنه بالثناء والحمد ، شاكرين للنعم بأصدق أنواع الشكر ؛ وأما إذا جاءت « العزة » عن طريق غير طريق الله ، فهى جائرة خاسرة ، وهى باطلة حائلة ، وهى لا تؤدى إلى خير ، وإن دامت ساعات ، فلن تطول بها الأوقات ، ونهايتها أسوأ النهايات .

هذا صنف من الناس ظالم غاشم ، يبغى ويطغى ، ويفسد ويهلك ، ويشتد ويقوى : « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ، فحسبه جهنم ولبئس المهاد » (البقرة ٢٠٦) ـ أى حملته العزة الكاذبة الجائرة التى هى فيه ، والتى هى شبيهة بحمية الجاهلية ، وعلى الإثم المنهى عنه ، وأغرته بارتكابه فماذا كان الجزاء ؟ . « فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ! ! .

وهذا صاحب المال والحدائق ، إنه يفخر ويعتز « وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا » (الكهف ٣٤) ـ فماذا كانت النتيجة ؟ . . . كانت : « وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا » (الكهف ٤٢ ، ٤٣)

وهؤلاء سحرة فرعون قد جاءوا مفترين بعزة فرعون الزائلة الحائلة : « فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون » .. (الشعراء ٤٤) ـ فأقسموا بعزة فرعون

الذى قال : أنا ربكم الأعلى ، وظنوا أنهم قد تحصنوا بأمنع الحصون ؛ فماذا كانت نتيجة ذلك الاغترار ؟ ... « فألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون ، فألقى السحرة ساجدين » ! . (الشعراء ٤٥و٤٦) .

ولقد قال الكفرة لشعيب نبي الله عليه السلام : « ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز » (هود ٩١) فاستهانوا بنبي الله وذكروا له أنهم إنما يبقون عليه لأن قومه أعزاء فيهم كرماء عندهم ، لأنهم على دينهم ؛ وأنكر عليهم شعيب ذلك : « قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله » ؟ (هود ٩٢) ... فماذا كان المصير ؟ . اندحر المفترون بعزتهم ، وانتصر الذى قيل له : إنك لست بعزيز ؛ مع أنه معتز بعزة الله : « ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ، كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود » (هود ٩٤و٩٥) .

وذلك صنف من الكافرين ضلوا وجحدوا : « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا » (مريم ٨١) اتخذوا هذه الآلهة ليتعززوا بها ، فماذا كانت النتيجة ؟ ... كانت : « كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا » (مريم ٨٢) والمراد بالضد هنا ضد العز وهو الذل ، أى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وأرادوه ، كأنه قيل : وتكون الآلهة عليهم ذلا ووبالا ، ولا تكون لهم عزا أو إكراما : « وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا : ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون » .

ويقول القرآن أيضا : « بل الذين كفروا فى عزة وشقاق » (ص ٢) أى فى شدة وقوة ونفاق ، فماذا كان مآل ذلك كله ؟ ... هددهم الله وأوعدهم قائلا بعد قليل : « كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص » ... وبعد آيات أخرى عاد إلى تهديدهم قائلا : « بل لما يذوقوا عذاب » ثم كان القرار الفاصل بعد ذلك : « جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب » !! ...

وهذا بعض المنافقين : « يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » . وقائل هذا كما جاء فى سبب النزول هو ابن سلول رأس المنافقين ، وقد قصد ـ أخزاه الله ـ بالأعز نفسه وعنى بالأذل رسول الله صلوات الله عليه ... فماذا كان ؟ ... لما رجع قائل هذه الفرية وقف له ابنه المؤمن على باب المدينة قائلا : لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز

لأضربن عنقك !! . . . فقال ابن سلول : ويحك ، أفاعل أنت ؟ قال : نعم ، فلما رأى منه الجد قال : أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ! . . .

أرأيت ؟ . . . كل عزة قامت على باطل زالت ، وكل اعتزاز غير موصول بحبل الله القوى المتين فهو اغترار وخسار !! . . .

ولذلك قال الراغب الأصفهانى فى كتابه مفردات القرآن : « فقد يمدح بالعزة تارة كما ترى ، ويذم بها تارة كعزة الكفار قال : بل الذين كفروا فى عزة وشقاق ؛ ووجه ذلك أن العزة التى لله ولرسوله وللمؤمنين هى الدائمة الباقية التى هى العزة الحقيقية ، والعزة التى هى للكافرين هى التعزز ، وهو فى الحقيقة ذل ، كما قال عليه السلام : كل عز ليس بالله فهو ذل » !! . . .

* * *

وننتقل بعد هذا إلى جانب آخر من جوانب البحث . . .

لقد ذكر وصف « العزيز » منسوبا إلى الله سبحانه نحو مائة مرة فى القرآن الكريم ؛ ولكن هذا الوصف يصحبه غالبا وصف آخر ، فما هو ؟ ولماذا ؟ . . .

إن العزة وصف قوة واقتدار وغلبة وسيطرة ، ولذلك يناسبها أن تقرن فى العادة بما يقرب من معناها ، وعلى هذا رأينا فى القرآن وصف « العزيز » يأتى مع وصف « القوى » ليتعاون الوصفان على إظهار قدرة الله وغلبته ، فجاءت فى القرآن الكريم هذه الآيات : « إن ربك هو القوى العزيز » (هود ٦٦) - « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » (الحج ٤٠) - « ما قدروا الله حق قدره إن الله قوى عزيز» (الحج ٧٤) - « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » (الشورى ١٩) - « وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز» (الحديد ٢٥) - « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز » (المجادلة ٢١) - « وكان الله قوياً عزيزا » (الأحزاب ٢٥) .

ويأتى وصف العزيز مع وصف المقتدر فى قوله تعالى : « كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر » (القمر ٤٢) .

ويأتى وصف العزيز أيضاً مع وصف « الجبار » والجبار هو القهار الذى جبر خلقه على ما أراد ، أى أجبرهم فيقول القرآن فى وصف الله تبارك وتعالى : « الملك القدوس

السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر» (الحشر ٢٣) ويتصل بهذه الناحية إتيان العزيز مع وصف «ذي انتقام» في الآيات: «والله عزيز ذو انتقام» (آل عمران ٤) «والله عزيز ذو انتقام» (المائدة ٩٥) «إن الله عزيز ذو انتقام» (إبراهيم ٤٧) «أليس الله بعزيز ذي انتقام» (الزمر ٣٧).

قد يبلغ الإنسان من الخوف مبلغه حينما يرى وصف الله بالعزة يقترن بهذه الأوصاف الدالة على الاقتدار والبطش: «قوي، مقتدر، جبار، ذو انتقام». وقد يضل ضال فيحسب أن العزة هنا معناها الظلم والجور والتعذيب بلا حساب ... وجل شأن الله!

إن الله قد وصف نفسه كما ذكرنا بوصف «العزيز» عشرات المرات في القرآن، ولكننا نجد وصف «العزيز» هذا يقرن غالبا بوصف «الحكيم» حتى تكرر اقتران الوصفين في القرآن أكثر من خمسة وأربعين موضعا، وهذا الاقتران المتكرر يصحح لذلك الضال خطأه، ويعرفه أن عزة الله مقرونة بالحكمة، والحكيم هو الذي يضع الأشياء في مواضعها ولا يعتريه عيب أو زلل، ونحن نلاحظ أن العزة وصف قوة وقدرة، والحكمة وصف علم وإتقان، والقوة مظنة القسوة، والحكمة موطن الإنصاف والإحسان، فناسب اقتران هذه بتلك، لنعلم أن عزة الله عزة حكيمة لا جور فيها ولا طغيان!.

يقول الله تعالى: «فاعلموا أن الله عزيز حكيم» (البقرة ٢٠٩) «لا إله إلا هو العزيز الحكيم» (آل عمران ٦) «والله عزيز حكيم» (المائدة ٣٨) «إن الله عزيز حكيم» (الأنفال ٤٩) «ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم» (الأنفال ٦٣) «وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم» (التوبة ٤٠) «أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم» (التوبة ٧١) «ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم» (النحل ٦٠) «ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم» (النمل ٩) «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» (الزمر ١) الخ الخ.

والعزة تحتاج إلى العلم والبصيرة، لأن العزة إذا لم يصحبها العلم كانت عزة جاهلية، تندفع وتتطاول وتحمق، وقد جاء وصف العزيز مقرونا بوصف «العليم» في القرآن ليشعرنا بأن عزة الله عزة عالمة محيطة مقدرة: «ذلك تقدير العزيز العليم» (الأنعام ٩٦) «إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم» (النمل ٧٨) «تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» (غافر ٢) «ذلك تقدير العزيز العليم» (فصلت ١٢) «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم» (الزخرف ٩).

والعزة وصف يثير فى نفوس الناس الغيظ والحقد والحسد ، وهم يتلمسون للعزيز المثالب والمعاطب ، ولا يحمد العزيز فيهم إلا نادرا ، ولكن عزة الله عزة محمودة لأنها عزة حامدة ، تحمد لكل ذى عمل عمله ، وتثيب كل محسن على إحسانه ؛ ومن هنا اقترن وصف العزيز بوصف الحميد فى القرآن : « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » (ابراهيم ١) « ويهدى إلى صراط العزيز الحميد » (سبأ ٦) « وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » (البروج ٨) .

والعجيب بعد هذا أن يقترن وصف العزيز بوصف « الرحيم » ... ولكن لا عجب بعد معرفة السبب . . . إن الرحمة قد تنافى العزة فى عرف الناس ، فأراد القرآن أن ينفى ذلك فى جنب الله ، فهو سبحانه عزيز قوى ولكنه مع ذلك رحمن رحيم ، ورءوف كريم ، وقد اقترن وصف العزيز بوصف الرحيم ثلاث عشرة مرة فى القرآن : « وإن ربك لهو العزيز الرحيم » الشعراء (٩) (٦٨) (١٠٤) (١٢٢) (١٤٠) (١٥٩) (١٧٥) (١٩١) « وتوكل على العزيز الرحيم » الشعراء ٢١٧ - « ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » (الروم ٥) « ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم » (السجدة ٦) « تنزيل العزيز الرحيم » (يس ٥) « إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم » (الدخان ٤٢) .

ويؤكد هذا المعنى اقتران وصف العزيز بوصف « الغفور » ووصف « الغفار » وهما وصفان يدلان على كثرة العفو عن الذنوب ، وتكرر قبول التوبة من التائبين ، وتلك رحمة واسعة . « إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور » (فاطر ٢٨) « ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » (الملك ٢) « رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار » (ص ٦٦) « كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار » الزمر (ص ٥) « وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار » (غافر ص ٤٢) .

كما يؤكد اقتران وصف العزيز بوصف « الوهاب » فى قوله تعالى : « أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب » (ص ٩) .

****

هذا حديث العزة فى القرآن الكريم ، ومنه نفهم أن العزة لله ، تطلب عن طريقه ، وتوهب بفضله ، ومن اعتز به فقد أفلح ، ومن طلب العزة من سواه فقد ضل وتاه : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين » .

أحمد الشرباصى
المدرس فى الأزهر

عقـــــــد التأمين

فى التشريع الاسلامى

– ١ –

١ — صدر قانون الميراث السارى المفعول الآن فى مصر بقانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ ، وقد استقى المشرع المصرى أحكام هذا القانون من الشريعة الإسلامية وخاصة من الأصل[١] الذى كان مطبقاً فى مصر قبل صدور هـذا القانون ، وقد اعتبر قانون الميراث المذكور (ولاء العتاقة) سبباً من أسباب الإرث [٢] وفصل أحكام هذا الولاء فى الباب السادس منه تحت عنوان (فى الإرث بالعصوبة السببية) [٣] ولـكنه لم يذكر الولاء الثانى ، ونعنى به (ولاء الموالاة) ولم ينص على اعتباره سبباً للإرث خلافاً للأصل [٤] .

٢ — وعللت المذكرة الإيضاحية عدم ذكر القانون لهذا الولاء بأنه لا وجود له منذ زمن بعيد ، ومن ثم فلا حاجة لذكره والنص عليه ، وقد بحثنا فى كتب الفقهاء المحدثين

---

(١) المقصود بالاصل هو : كتاب الاحكام الشرعية فى الاحوال الشخصية - على مذهب الامام أبى حنيفة النعمان - لقدرى باشا .

(٢) انظر : المادة السابعة من قانون الميراث لسنة ١٩٤٣ ونصها : « أسباب الارث : الزوجية ، والقرابة ، والعصوبة السببية .. »

(٣) انظر : المادتين ٣٩ ، ٤٠ من قانون الميراث السالف الذكر .

(٤) كان الاصل يرتب المستحقين للتركة فى المادة ٥٨٤ منه فى عشرة أصناف مقدم بعضها على بعض ، وكان يجعل [ولاء الموالاة] الصنف السابع فيقول: [السابع] مولى الموالاة وهو كل شخص والاه آخر بشرط كون الادنى حراً غير عربى ولا معتقا لعربى ولا له وارث نسبى ولا عقل عنه بيت المال أو مولى موالاة آخر ، وكونه مجهول النسب بأن قال أنت مولاى ترثنى إذا مت وتعقل عنى إذا جنيت، وقال الآخر وهو حر مكلف قبلت ، فيصح هذا العقد ويصير القابل وارثا وإذا كان الآخر أيضا مجهول النسب إلى آخر شروط الادنى وقال للاول مثل ذلك وقبله ورث كل منهما صاحبه وعقل عنه فمن مات وترك مولى الموالاة وأحد الزوجين فالباقى من التركة بعد نصيب أحد الزوجين له » .

الذين تناولوا بالدراسة والبحث قانون الميراث وأحكامه ، فلم نجد منهم من تعرض لما جاء بهذه المذكرة فى هذا الصدد بالنقد إلا واحداً [1] ، وقال بأن عدم وجود ولاء الموالاة منذ زمن بعيد لا يمنع وجوده فى مستقبل الأيام ، ومن أجل ذلك كان حرياً بالمشرع المصرى أن يذكره فى قانون الميراث ؛ إذ ليس فى ذكره فيه ضرر .

٣ — وقد أعجبنى هذا القول كثيراً ؛ لا لمجرد أن عدم وجود هذا الولاء منذ القدم ليس مانعاً من وجوده مستقبلا ، ولا لمجرد أن ذكره فى قانون الميراث ليس فيه ضرر ، وإنما على أساس آخر له خطورة قصوى فى المجال الشرعى والمجال القانونى الحالى فى مصر . هذا الأساس هو أن ولاء الموالاة موجود بالفعل فى حياتنا القانونية ، وأنه كان على مشرع قانون الميراث أن يلحظ هذا الوجود ، وأن يساير التطور القانونى الحديث ، بتفسير وتطبيق قواعد وأحكام التشريع الإسلامى فيما يتعلق بعقد ولاء الموالاة مع ما يتفق مع هذا التطور ، ومع اتجاه التشريع المدنى بوجه عام . . وما على المشرع - وقد أخفق فى قانون الميراث فى شأن هذا العقد فيما يخص الأساس الذى أسلفته والذى سأوضحه - إلا أن يتدارك الأمر فيكمل ما فى أحكامه الوضعية من نقص ، ويساير التطور الذى قصر عن مسايرته ؛ وذلك فى تشريع جزئى جديد !

ولفهم هذا الرأى الجديد من جهة ، ولبيان خطورته القانونية من جهة أخرى ، أرى أن أتعرض بشىء من التفصيل لمسألة (ولاء الموالاة) فى التشريع الإسلامى ، لكى أربط بالتالى بينها وبين الأساس القانونى الذى اعتمد عليه .

٤ — ولاء الموالاة فى التشريع الإسلامى هو عبارة عن رابطة قانونية بين شخصين ، بمقتضاها يتعاقدان على أن يعقل أولهما وهو (مولى الموالاة) [2] عن الآخر وهو (المعقول عنه) إذا جنى ، أن يدفع الدية فى مقابل ميراثه منه إذا توفى غير مخلف وارثاً قط [3]

---

[1] هو الاستاذ الشيخ أحمد ابراهيم [بك] فى كتابه [المواريث علما وعملا] سنة ١٩٤٢ - ص ٢٨

[2] وتطلق عليه الشيعة الامامية اسم ضامن الجريرة أى ضامن الجريمة التى تستوجب الغرامة المالية .

[3] وقد يكون مقتضى هذا العقد بين هذين الشخصين أن يعقل كل واحد منهما عن الآخر جرائمه الموجبة للمال أى أن يلزم كل منهما التعويض عن جرائم الآخر ، وإذا مات أحدهما قبل الآخر ، ورثه الآخر فى ماله .

ـ وقد اختلف الفقه فى صحة هذا العقد ونفاذه، من حيث كونه سبباً من أسباب الميراث، ويمكن إجمال وجهات النظر فى هذا الصدد فى رأيين: قال أولهما بصحته وجوازه واعتباره سبباً للإرث، وقال ثانيهما ببطلانه ورفضه سبباً له.

٥ ــ الرأى القائل بالرفض والبطلان: قال بهذا الرأى جمهور الفقهاء، ومنهم الشافعى ومالك وأحمد، وأسانيده تتلخص فى أربعة:

أولها: ورود نص صريح فى القرآن المصدر الأول للتشريع الإسلامى [1] بمقتضاه يكون ذوو القرابات بعضهم أولى ببعض فى الإرث من التوارث بسبب عقد الموالاة ذلك العقد الذى عرف فى الجاهلية.

وثانيها ورود نص ثابت فى الحديث المصدر الثانى للتشريع، بمقتضاه يكون (الولاء لمن أعتق) وهو يحصر الولاء فى نوع واحد هو ولاء العتاقة، وعلى ذلك يعتبر باطلا كل ولاء سواه.

وثالثها: أن عقد الموالاة فيه فى الواقع وصية بجميع المال، والوصية بجميع المال ممن لا وارث له غير جائزة (عند الشافعى) لأن وارث من لا وارث له هو جماعة المسلمين، ولا يستطيع المورث أن يبطل حق هذه الجماعة، تفريعاً على عدم إبطال حق ورثته ـ فى حالة ما إذا كان له ورثة ـ بالوصية بجميع ماله [2].

ورابعها: قول الشافعى إن الملك بطريق الوراثة لا يثبت ابتداء، وإنما يثبت على سبيل الخلافة [3] وإن أسباب الإرث معلومة شرعاً، لكن عقد الموالاة ليس منها!

٦ ــ الرأى القائل بالجواز والصحة: وقد قال به عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم، وقال به كذلك أبو حنيفة وأصحابه، وهو الرأى الصحيح والراجح والذى أميل إليه وأسانيده تتلخص فى خمسة:

---

(١) النص هو الآية الكريمة: [وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض].

(٢) أنظر. الشمس السرخى فى « المبسوط » جزء — ص ٤٢.

(٣) أنظر. المرجع السالف الذكر.

أولها : وجود هذا الولاء باعتباره سبباً للإرث فى الجاهلية ، وإقرار الإسلام له حين جاء ، وذلك بنص صريح فى المصدر الأول للتشريع [١] ، ولا يرد على ذلك بوجود نص صريح آخر فى المصدر نفسه ، بمقتضاه يكون ذوو القرابات بعضهم أولى ببعض فى الإرث من التوارث بسبب عقد الموالاة ؛ لأن هذا النص الأخير ليس نصاً على الأولوية فى الميراث ثم إنه لا يتعارض مع النص الأول ؛ وذلك لأن حق الإرث المقرر لمولى الموالاة لا يثبت له إلا عند عدم وجود (أولى الأرحام) ، فمرتبته فى الإرث متأخرة عن مرتبة هؤلاء ، بل وعن مرتبة مولى العتاقة وعصبته ، وما دام ليس بين النصوص التشريعية من تعارض ما ، فالواجب إعمالها كل فيما يخصه [٢] .

وثانيها : أن الحديث القائل بأن الولاء لمن أعتق ، ليس الحصر فيه حقيقياً بل إضافيا [٣] ولهذا لا يكون هذا الحديث نافياً استحقاق الإرث بسبب ولاء الموالاة [٤] . وثالثهما : أن ولاء الموالاة متصل بالوصية بجميع المال ، وهى صحيحة ممن لا وارث له ، لأن من لا وارث له ، يصرف ماله إلى بيت مال المسلمين ، ومن حيث إن (الموصى له) هو أحد هؤلاء المسلمين يشركهم فى دين الله ، ومن حيث إنه قد ترجح بإيجاب الموصى له ، فمن أجل ذلك هو أولى من هذا البيت ، وكذلك الأمر بالنسبة لمن عاقده مولى الموالاة عقد الموالاة [٥]

---

(١) هو الآية الكريمة . [والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم] ومقتضاها أنه يجب أن أن تعطوا حلفاءكم - الذين تعاقدتم وإياهم على النصرة والميراث - نصيبهم منه ، لأن ذلك المقتضى للعقد

(٢) أنظر . الشيخ أحمد إبراهيم - المراجع السالف الاشارة إليها - ٢٧ .

(٣) أى أن الولاء لمن اعتق لا لغيره ممن كان أجنبيا ، وتبيان ذلك أن عائشة رضى الله عنها لما اشترت [بريرة] اشترط أهلها الولاء لهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: « الولاء لمن اعتق » يقصد بذلك أن شرط البائع ولاء العتق له إذا أعتق المشترى منه الرقيق الذى اشتراه ، شرط باطل ، لأن ولاء العتق يثبت للمشترى المعتق أى المالك المعتق ، وليس للبائع بمال ، فالحصر فى الحديث إذن إضافى - أنظر . الشيخ أحمد إبراهيم - ص ٢٧ - وانظر . الشيخ عبد الله الشرقاوى فى « فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى » حـ ٤ ص ٣٦٩ .

(٤) جاء فى حديث تميم الدارى رضى الله عنه أنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله . إن الرجل ليأتينى فيسلم على يدى ويوالينى ، فقال الرسول : هو أخوك ومولاك فأنت أحق به محياه ومماته ، والمقصود محياه فى تحمل عقل الجريمة عنه ومماته فى الارث منه - أنظر . الرخى - السالف - ص ٤٤ .

(٥) المصدر نفسه - ص ٤٣ .

ورابعها : أنه فيما يتعلق بخلافة الوارث الموروث فى ماله ، الظاهر أن الإنسان فى شأن هذه الخلافة إنما يؤثر قرابته على الأجانب ، ومن أجل ذلك اقتضت حكمة التشريع الحنيف أن يقدم الأقرب على الأبعد فيها ، لأن المورث نفسه يفعل ذلك ويريده فى أغلب الأحوال .

والمسألة لا تخلو من فرضين : الأول : أن يكون أحد من قرابته ، وفى هذه الحالة يوجد النظر من الشرع له ، ويقع الاستغناء عن نظره لنفسه . والثانى : ألا يكون أحد من قرابته ، وهنا تقع الحاجة إلى نظره لنفسه ، فإذا نظر إليها وعقد عقد موالاة مع شخص ما ، اعتبر ذلك منه تصرفاً صحيحا فى خالص حقه على سبيل النظر منه لنفسه [1] .

وخامسها : أن عدم الدليل المقول به فى شأن إثبات الخلافة بين الوارث والموروث بطريق العقد عن قصد ، فيه نظر ، لأن إثبات هذه الخلافة بالعقد قصداً مشروع بالاتفاق ، وذلك فى عقد النكاح [2] ، إذ المعروف أن الزوجية التى أساسها العقد وتوافق الإرادتين هى سبب للميراث ، ومن أجل هذا ينتفى القول بعدم الدليل فى إثبات الخلافة عن طريق عقد الموالاة [3] .

٧ — على أنه يلاحظ أن ثمة شروطاً تشترط فى عقد ولاء الموالاة عند الرأى القائل بجوازه وصحته ، وهى أن يكون المعقول عنه حراً غير عربى (أعجمياً أسلم مثلا) ولا معتقاً لعربى ، وليس له من وارث نسبى ، ولم يعقل عنه بيت المال أو مولى موالاة آخر ، وكونه مجهول النسب [4] . وعلى هذا لا يرث مولى الموالاة مع أحد من أصحاب الفروض والعصبات النسبية والسببية ، والعصبات النسبية للعصبات السببية ، وذوى الأرحام ، إلا مع أحد الزوجين إن وجد [5] .

(للبحث بقية) أحمد طه السنوسى

---

(١) المصدر نفسه — ص ٤٤ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) يلاحظ أن السبب فى الميراث فى ولاء الموالاة هو [العقد والاتفاق] ، وليس السبب فيه فى ولاء العتاقة كذلك ، لأن السبب فى الولاء الأخير هو [الارادة المنفردة] .

(٤) انظر المادة ٨٤٥ الفقرة [السابعة] من الأصل .

(٥) أنظر : حاشية الفنارى — والمادة السابعة المذكور من الأصل . وانظر . الشيخ أحمد إبراهيم — السالف — ص ١٥٢ .

نقد الكتب :

الفتنة الكبرى[١]
على
للدكتور طه حسين

آثر الدكتور طه فى السنوات الأخيرة نوعا فريداً من البحث ، ذلك الهين اللين الذى لا يكلف جهداً أو مشقة ، والذى لا يعالج موضوعا وإنما هو دائماً على هامشه ، تقرأ له وتمعن فى القراءة ثم لا تظفر آخر الأمر بحقائق علمية ذات بال ، وإن أفاد الناشئة خيالا وأسلوبا .

بهذا المنهج فى البحث كتب الدكتور « على هامش السيرة » ، وهو بهذا المنهج أيضاً كتب « الفتنة الكبرى » أو إن شئت « على هامش الفتنة الكبرى » ، فطلع علينا أخيراً بكتابه عن « علىّ » .

وكنت فى الحق أعتقد أنه دراسة علمية مستفيضة لابن أبى طالب ، فإذا هو على هامش هذه الدراسة ، تلخيص لحوادث الفتنة كما رواها رواتها[١] مع تعليقات يسيرة لا تزيل حيرة ولا تروى غلة فضلا عن مجانبة بعضها للحقيقة ، ولى ملاحظات ومآخذ أحببت أن أناقش فيها المؤلف ، وأن أضعها أو بعضها فى الميزان بحثاً وراء الحق ونشداناً له .

وأول هذه المآخذ هى هذه الطريقة العجيبة فى البحث ؛ فأنت لا تكاد تعثر فى ثنايا الكتاب على مرجع واحد من المراجع التى اعتمد عليها المؤلف ، وإنما هو يسوق الكلام سوقاً ويلخص الحوادث تلخيصاً ، دون أن يعنى أبداً ـ ولو مرة واحدة ـ بذكر مراجعه

---

(١) المجلة : وما آفة الأخبار إلا رواتها ، ولا سيما إذا آثر مؤلف الروايات الرخيصة ، ولم يتحر فى تاريخ الاسلام تحقيقات أعلام السنة ورجال الحديث .

وأرقام صفحاتها كما تقضى بذلك أساليب البحث العلمى . ومن الغريب حقا أن المؤلف يكثر النقل عن « البلاذرى » ثم هو لا يرشد القارىء ولا يعرفه بكتاب البلاذرى الذى ينقل منه ، هل هو « الفتوح » أو « الانساب » ؟ ولم يذكره فى نهاية الكتاب مما يجعلنا نعتقد أن هذه الفصول التى كتبها المؤلف ، ليس الأصل فيها أن تكون كتاباً يقرأه الناس ، وإنما هى أحاديث تذاع ومحاضرات تلقى ، وأكبر الظن أن هذا النوع من الأسلوب لا يستقيم فى كتاب والبحث العلمى المنظم .

وما دمنا بصدد التحدث عن المراجع فيؤسفنا كثيراً أن يعتمد المؤلف على مراجع ليست أصيلة فى البحث بل هى ثانوية القيمة تاركا حتى شرح النهج لابن أبى الحديد[1] . وتاريخ ابن واضح اليعقوبى[2] وغيرهما من المصادر « الأبجدية » الأولى لدراسة هذه الفتنة الكبرى .

ويحدثنا الأستاذ (ص ١٧) فيقول :

« وقال (النبى عليه السلام) للمسلمين فى طريقه إلى حجة الوداع : من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . ثم أعاد علينا ذلك القول فى

---

(١) المجلة : بل إن ابن أبى الحديد هو شريك ابن العلقمى فى الجناية على المشرق والعالم الاسلامى فى فتنة هولاكو . وأما فى الدين فانه على مذهب ابن سبأ فى العبودية لعلى ، ومن ذلك قول ابن أبى الحديد يخاطب عليا :

تقيلت أخلاق الربوبية التى عذرت بها من شك أنك مربوب

ومن قلة أدبه وتكذيبه لقول النبى صلى الله عليه وسلم « أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده » قوله فى على كرم الله وجهه :

ألا إنما الاسلام لولا حسامه كعطفة عنز أو قلامة ظافر

ومن وثنيته وسبئيته قوله فى على أيضا :

يجل عن الأعراض والأين والمتى ويكبر عن تشبيهه بالعناصر

إن مصادر الاسلام الأولى فى روايات أهل العدالة والتثبت من علماء الحديث . ومع ذلك فان كل خبر يجب معرفة أقدار رواته ونزعاتهم وأهوائهم فى أى كتاب وجد .

(٢) المجلة ــ واليعقوبى ينزع إلى ما سيشير إليه الاستاذ صاحب المقال . وإن أعلام السنة وعلماء الحديث هم الذين يرجع إليهم فى تاريخ الصدر الأول ، والذين أوردوا منهم الأخبار بأسانيدها فقد وكلونا إلى هذه الأسانيد لندرس نزعات رجالها .

(ص ١٩) ثم فى (ص ٨٦) مما يجعلنا نأسف كثيراً لعدم دراسته للموضوع الذى يعالجه دراسة دقيقة .

فهذا الحديث لا يعترف به أهل السنة دليلا على الخلافة (١) . وابن أبى الحديد شارح النهج وهو متشيع ينكر وجود نص من النبى بإمامة أحد من بعده ، ويؤسفنا أن المؤلف لم يطلع على هذا المصدر الهام ، قال ابن أبى الحديد :

« وانصرف علىٌّ إلى منزله ولم يبايع ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع ، قلت (ابن أبى الحديد) : هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعى من النص على أمير المؤمنين وغيره ؛ لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به ، ولم يجر للنص ذكر ، وإنما كان الاحتجاج منه ومن أبى بكر ومن الأنصار بالسوابق والفضائل والقرب ، فلو كان هناك نص على أمير المؤمنين أو على أبى بكر ، لاحتج به أبو بكر أيضاً على الأنصار ، ولاحتج به أمير المؤمنين على أبى بكر ، الخ (شرح النهج مجلد ٢ ص ٥) .

فلو صح الاحتجاج للخلافة بهذا الخبر لاحتج به على ما فى ذلك شك .

وأما ما ينسب إليه من قوله معدداً لمفاخره :

محمد النبى أخى وصهرى وحمزة سيد الشهداء عمى
وبنت محمد بيتى وعرسى منوط لحمها بدمى ولحمى

---

(١) المجلة ـ ولا أهل البيت أنفسهم يرون فيه هذا المعنى . أخرج الحافظ ابن عساكر فى تاريخه (٤ : ١٦٦) عن الحافظ البيهقى حديث فضيل بن مرزوق أن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن على ابن أبى طالب سئل فقيل له : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كنت مولاه فعلى مولاه ؟ » فقال : « بلى ، ولكن والله لم يعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الامارة والسلطان . ولو أراد ذلك لافصح لهم به ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أنصح للمسلمين . ولو كان الامر كما قيل لقال : يا أيها الناس هذا ولى أمركم والقائم عليكم من بعدى ، فاسمعوا له وأطيعوا . والله لئن كان الله ورسوله اختار عليا لهذا الامر وجعله القائم للمسلمين من بعده ، ثم ترك على أمر الله ورسوله ، لكان على أول من ترك أمر الله ورسوله » ورواه البيهقى من طرق متعددة فى بعضها زيادة وفى بعضها نقصان والمعنى واحد . ورواه أيضا الامام أبو نعيم الاصفهانى ونقله عنه علامة الهند شاه عبد العزيز الدهلوى ابن شاه ولى الله الدهلوى فى كتاب (التحفة الاثنى عشرية) الذى اختصره علامة العراق السيد محمود شكرى الآلوسى (أنظر ص ١٦٠ ـ ١٦١) طبع السلفية .

وسبطا أحمد ولداى منها فأيكم له سهم كسهمى ؟
وجعفر الذى يمسى ويضحى يطير مع الملائكة ابن أمى
سبقتكم إلى الإسلام طفلا صغيراً ما بلغت أوان حلمى
وأوجب لى الولا حقاً عليكم رسول الله يوم غدير خم [1]

أقول أكبر الظن أن هذه الأبيات ليست لعلى وإن صح إسنادها لابن أبى طالب فالبيت الأخير — بيت القصيد — منحول عليه ما فى ذلك ريب ، يؤيدنا فى ذلك ياقوت حيث لم يرو هذا البيت الأخير فى معجمه — معجم الأدباء (ح ١٤ ص ٤٨) وكذلك فعل ابن كثير (البداية والنهاية ح ٨ ص ٨) .

وكان حقاً على الدكتور طه ألا يعتمد على هذا الحديث أو يلتزم الأمانة العلمية فيورد رأى أهل السنة فيه ، وقد قال فى حقه العلامة ابن حزم :

« وأما من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، فلا يصح من طريق الثقات أصلا » (الفصل ح ٤ ص ١٤٨) وقال العلامة ابن خلدون فى أحاديث الشيعة :

« لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة ، بل أكثرها موضوع أو مطعون فى طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة [2] » (المقدمة فى ٩٦ ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ) .

وهكذا يتضح جلياً أن المؤلف لم يعن مع الأسف الشديد بدراسة موضوعه دراسة جيدة .

ويقول الدكتور طه (ص ٣٣) :

« فلم يخالف أحد من أصحاب النبى عن أبى بكر إلا ما كان من سعد بن عبادة رحمه الله »

---

(١) المجلة — فى مادة [ودق] من تاج العروس للمرتضى الزبيدى أنه لم يصح شعر عن على ابن أبى طالب غير هذين البيتين :

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى فلا وربك ما بروا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمتى لهم بذات ودقين لا يعفو لها أثر

(٢) فى كتاب « التمهيد » للقاضى أبى بكر الباقلانى تتمة شيقة لهذا الموضوع [ص ١٧١] وتقوم جماعة الأزهر للنشر والتأليف مشكورة بطبع كتاب لنا بعنوان « للهدية فى الاسلام » يضم كثيراً من هذه الدراسات .

والقارىء يفهم من هذه العبارة أن أحداً لم يعترض على خلافة أبى بكر عدا سعداً ، وليس كذلك فهنالك نفر غيره من الصحابة قد امتنعوا على أبى بكر منهم على نفسه ، وأبو سفيان ، وعتبة بن أبى لهب ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقـداد بن عمرو ، وسلمان الفارسى ، وأبو ذر ، وأبى بن كعب ، والبراء بن عازب ، وعمار بن ياسر ، بيد أن هؤلاء قد عادوا للمبايعة أبى بكر عدا سعداً فإنه لم يبايع أبا بكر حياته ولم يبايع عمر من بعده حتى مات بحوران .

ويقول المؤلف (ص ٦٢) :

« ولم يطق عثمان نفسه معارضة أبى ذر فأخرجـه من المدينة واضطره إلى أن يقيم فى الرملة حتى مات » .

والحق أن أبا ذر نفى إلى « الربذة » لا إلى « الرملة » انظر إن شئت الطبرى (حـ ٥ ص ٦٦ ط الحسينية) ، واليعقوبى (حـ ٢ ص ١٤٩ ط النجف) وابن الأثير (حـ ٣ ص ٤٣ ط الحلبى) [1] .

والمؤلف يحدثنا (ص ٦٨) عن انحياز عمرو بن العاص إلى معاوية ، وذلك من غير دعوة معاوية له ، وهى رواية الطبرى ولها مكانتها ، بيد أن هنالك رواية أخرى حدثنا بها اليعقوبى ـ الذى يتضح أن المؤلف لم يرجع إليه ـ تقول : إن معاوية هو الذى أرسـل إلى عمرو يستنجد به ويضمه إليه ، وكان على المؤلف أن يقدر هذه الرواية قدرها وأن يوازن بين الروايتين ، وأكبر الظن أن معاوية فى دهائه لم يكن لينتظر ـ وهو فى هذا المعترك الذى يتطلب منه العـدة والرجال ـ حتى يلجأ إليه عمرو ، وأكبر الظن أيضاً أن عمراً فى دهائه ومكانته لم يكن ليقبل أن ينحاز إلى ابن أبى سفيان من غير أن يدعوه هو إلى ذلك ؛ واليعقوبى يحدثنا فيقول : « وبعث معاوية من ليلته إلى عمرو بن العاص أن يأتيه وكتب إليه : أما بعد فإنه قد كان من أمر على وطلحة والزبير وعائشة ما قد بلغك ، فقـد سقط إلينا مروان

(١) المجلة ـ الصواب فى أمر أبى ذر ما رواه ابن خلدون فى العبر (بقية جـ ٢ ص ١٣٩) أن أبا ذر هو الذى استأذن عثمان فى الخروج من المدينة إلى الربذة وقال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا ، فأذن له ونزل الربذة وبنى بها مسجداً وأقطعه عثمان صرمة من الابل ، وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقا . وكان يتعاهد المدينة . وبين المدينة والربذة ثلاثة أميال . قال ياقوت : وكانت من أحسن منزل فى طريق مكة .

فى رافضة أهل البصرة ، وقدم على جرير بن عبد الله فى بيعة على ، وحبست نفسى عليك حتى تأتينى فأقدم على بركة الله تعالى » .

ثم يروى اليعقوبى أن عمراً حينما وصلته الرسالة جمع ولديه ليستشيرهما كما جاء فى رواية الطبرى ، بيد أن ابن واضح يحدثنا أن عمراً بعد استشارته ولديه أنشأ شعراً قال فيه :

تطاول ليلى للهموم الطوارق وخوف التى تجلو وجوه العوائق
فإن ابن هند سالنى أن أزوره وتلك التى فيها بنات البوائق

إلى آخر ما قال ، انظر اليعقوبى (حـ ٢ ص ١٦١) .

ألا يرى الأستاذ معى أن هذه الرواية جديرة بالدرس ؟ وأن إهمالها أو عدم الإلمام بها يشين البحث ويطبعه بطابع « السطحية » ؟

ويقول المؤلف (ص ٩٨) :

« وأقل ما يدل عليه إعراض المؤرخين عن السبأية وعن ابن السوداء فى حرب صفين أن أمر السبأية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفاً منحولا قد اخترع بأخرة حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية ، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا فى أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً إمعاناً فى الكيد لهم والنيل منهم [١] » .

والحق يا سيدى أنك بذلك ظلمت الحقيقة والتاريخ ظلماً بينا وكنت مجافياً لأصول البحث الدقيق وقواعده ، أليس عجيباً حقا أن يكون إعراض المؤرخين عن ذكر ابن السوداء

---

(١) المجلة : مؤلف (الفتنة الكبرى) حريص على إنكار شخصيات لا دليل عنده يسوغ إنكارها وللاستاذ المازنى مقال لطيف معروف عند الادباء يتهكم فيه على إنكار الدكتور شخصية مجنون ليلى ، ثم حلا للدكتور أن ينكر شخصية ابن سبأ ، وابن سبأ كان يمثل دوراً فى تاريخ الاسلام من لوازمه التخفى والتكتم ، كدأب كل من يرتكب الخيانة الكبرى فى بيئة عظيمة . أما دعوى الدكتور الآن بأن خصوم الشيعة دسوا عليهم ابن سبأ فهى تدل على قلة اطلاعه على كتب الشيعة قديمها وحديثها . وقد نقل المامقانى فى ترجمة عبد الله بن سبأ من كتابه (تنقيح المقال فى أحوال الرجال) ج ٢ ص ١٨٤ أن إمامهم الكشى اعترف بأن ابن سبأ هو مخترع عقيدة الوصية لانه لما كان على يهوديته كان يعتقد فى يوشع بن نون أنه وصى موسى فقال فى إسلامه فى على مثل ذلك « وكان أول من شهر القول بامامة على وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وكفرهم ، فمن هنا قال من خالف الشيعة : إن أصل التشيع والرفض ماخوذ من اليهود . إن هذا القول هو قول الكشى وهو من كبار أئمة الشيعة ، فكيف يتهم الدكتور طه حسين غيرهم بذلك وهم يقولونه فى كتبهم .

وجماعته فى حرب صفين فقط دليلا قاطعاً على عدم وجودهم فى الحياة ؟ وترى ما هو موقف المؤلف إزاء هؤلاء المؤرخين أنفسهم الذين يذكرون ابن السوداء وجماعته فى غير حرب صفين ؟ إن الطبرى نفسه (هيرودوت العرب) يحدثنا فيقول : « كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمن عثمان ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ... » الخ (الطبرى ج ٥ ص ٩٨) والمؤلف الفاضل يعترف بذلك فيقول (ص ١٠١) :

« والطبرى ورواته الذين أخذ عنهم والمؤرخون الذين أخذوا عنه فيما بعد ، يذكرون ابن السوداء وأصحابه » .

إذاً ليس سكوت المؤرخين عن ابن السوداء فى فترة معينة دليلا على أن أمره متكلف منحول قد اخترع بأخرة كما يقول الدكتور ، والشك فى وجود ابن السوداء قد ردده فى أخريات القرن التاسع عشر بعض المستشرقين (وقد غاب اسمه عن ذاكرتى) الذى لم يقرأ نص الطبرى ، وأكبر الظن أن المؤلف يردد اليوم هذه المزاعم التى أدحضها وأبطلها البحث العلمى السليم من المستشرقين أنفسهم ، والمؤلف يرى أن خصوم الشيعة من أهل السنة وغيرهم هم الذين وضعوا أمر ابن السوداء وتولوا كبره ليدخلوا فى أصول الشيعة عناصر يهودية إمعانا فى الكيد لهم والنيل منهم على حد تعبيره ، والحق أن الدكتور قد جانب الصواب أو جانبه الصواب ؛ فأى كيد للشيعة فى وجود عناصر يهودية فى بعض فرقها ؟ وأهل السنة والشيعة جميعاً يلعنون ابن السوداء ويتبرءون منه ومن جماعته ، وما رأى مؤلفنا فى أن مؤرخاً متشيعاً يتحدث عن وجود ابن السوداء وجماعته ، ذلك هو ابن أبى الحديد شارح النهج (مجلد ١ ص ٤٢٥) ؟

الحق يا سيدى أننا كنا نطمع منك فى دراسة أدق وأعمق .

ويقول المؤلف (ص ١٠١) : « والطبرى ورواته الذين أخذ عنهم المؤرخون الذين أخذوا عنه فيما بعد ، يذكرون ابن السوداء وأصحابه فى أمر الفتنة أيام عثمان وفى العام الأول من أيام علىّ ثم ينسونهم بعد ذلك ، والمحدثون وأصحاب الجدل متفقون مع الطبرى وأصحابه فيما ذهبوا إليه ، إلا أن المحدثين وأصحاب الجدل ينفردون من دون الطبرى وأصحابه بشىء آخر ، فيزعمون أن ابن السوداء وأتباعه ألّهوا علياً ، وأن علياً حرقهم بالنار ، ولكنك تبحث عن هذا فى كتب التاريخ فلا تجد له ذكراً » .

ويقول فى موضع آخر (ص ١٨٨) « ثم يغلو خصوم الشيعة فيزعمون أن الذين حرقهم علىّ بالنار قد ازدادوا تألها له حين رأوا النار ورأوا أنهم يُدفعون إليها ويُلقون فيها، فقال قائلهم: لاجرم لا يعذب بالنار إلا خالق النار. وكل هذا خلط من الخلط ومراء من المراء، وتكثر دعا إليه الإغراق فى اللجاج والغلو فى الخصومة والإسراف فى هذا البغض المعقد».

أن تأليه ابن السوداء لعلى بن أبى طالب حقيقة لا يدفعها شك وقد رواها رجال أثبات من السنيين والشيعة وغيرهما منهم الشهرستانى فى «الملل» (ح ٢ ص ١١) وابن حزم فى «الفصل» (ح ٤ ص ١٨٦)، وعبد القاهر البغدادى فى «الفرق بين الفرق» (ص ١٤٣) والرسعنى فى «مختصر الفرق» (ص ١٤) والإسفراينى فى «التبصير فى الدين» (ص ٧١) وابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث» (ص ٨٧) وابن قيم الجوزية فى الطرق الحكمية (ص ١٩) وغيرهم كثيرون ونحن لا نشك أبداً يا سيدى فى صدق هؤلاء الرجال الأعلام الأساطين وحقائق التاريخ لا تؤخذ من كتبه فحسب، بل: تؤخذ من كل مصدر محترم، بله مصادر الحديث والفرق. وهؤلاء الرجال أيضاً مؤرخون لا للحوادث السياسية وإنما للحياة العقلية، ولو قصرنا دراستنا على كتب التاريخ السياسى وحدها لفاتنا دون ريب الشىء الكثير. ثم ما رأى المؤلف فى أن اليعقوبى وهو مؤرخ متشيع يحدثنا أن علياً أحرق أناساً بالنار (ح ٢ ص ١٨٨)؟ وما رأى المؤلف الكبير فى ابن عبد ربه؟ الذى يحدثنا فى كتابه «العقد الفريد» - وأكبر الظن أن المؤلف لا ينكر أنه من مصادر التاريخ - فيقول:

«فأما الرافضة فلها غلو شديد فى علىّ، ذهب بعضهم مذهب النصارى فى المسيح، وهم السبأية أصحاب عبد الله بن سبأ عليهم لعنة الله، وفيهم يقول السيد الحميرى [1]:

قومٌ غلوا فى على لا أبا لهم وأجشموا أنفساً فى حبه تعبا
قالوا هو الله، جل الله خالقنا من أن يكون ابن شىء أو يكون أبا

وقد أحرقهم على رضى الله عنه بالنار (العقد الفريد ح ٢ ص ٤٠٥ ط لجنة التأليف)

أقول مرة أخرى ما رأى المؤلف فى ابن عبد ربه هذا وليس من المحدثين الذين لا يأنس الدكتور بكتبهم ولا من أصحاب الجدل الذين يضعون بزعمه الأخبار ويختلقون؟؟

---

(١) ولا ينكر الدكتور طه أن السيد الحميرى شيعى.

ثم ما رأى المؤلف أخيراً فى ابن أبى الحديد وهو ليس مؤرخا فحسب ولكنه معتزلى متشيع ؟ انه أيضا يحدثنا ويقص علينا هذه الحادثة فيقول :

« وروى أبو العباس أحمد بن عبيد الله عن عمار الثقفى عن على بن محمد بن سليمان النوفلى عن أبيه وعن غيره من مشيخته أن علياً قال : يهلك فىّ رجلان محب مُطْـرٍ يضعنى غير موضعى ويمدحنى بما ليس فى [1] ، ومبغضٌ مفتر يرمينى بما أنا منه برىء [2] ، قال أبو العباس : وهذا تأويل الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وآله فيه ، وهو قوله : إن فيك مثلا من عيسى بن مريم ، أحبته النصارى فرفعته فوق قدره ، وأبغضته اليهود حتى بهتت أمه ، قال أبو العباس : وقد كان علىّ عثر على قوم خرجوا من محبته باستحواذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا بربهم وجحدوا ما جاء به نبيهم واتخذوه ربا وإلها ، وقالوا : أنت خالقنا ورازقنا فاستتابهم وتوعدهم ، فأقاموا على قولهم ، فحفر لهم حفرا دخن عليهم فيها طمعاً فى رجوعهم فأبوا ، فحرقهم بالنار وقال :

ألا ترون قد حفرت حفرا

أنى إذا رأيت أمراً منكرا أوقدت نارى ودعوت قنبرا

(انظر شرح النهج ١ مجلد ص ٤٢٥)

هذا يا سيدى معتزلى متشيع — لم تطلع أنت على كتابه فى أكبر الظن — يقص علينا هذه الحادثة ، فليس لإنكارها من سبيل ، ولا يحق لنا أن نتهم هؤلاء جميعا بالكذب والاختلاق ، والمستشرقون أنفسهم - الذين تسيرون فى ركابهم - يعترفون للقوم - أمثال الشهرستانى وابن حزم وغيرهما - بأقدارهم ومكانتهم [3] .

ونحن لا يسعنا فى ختام هـذا النقد الخالص لوجه الحق إلا أن نأسف لما أصاب الدراسات الإسلامية من عقم فى رجالها ، وأكبر الظن أن الأستاذ الدكتور طه حسين سينصفنا من نفسه ، وسينظر لعملنا هذا نظرة علمية خالصة ؟

سعد محمد حسن

المدرس بوزارة المعارف

---

(١) المجلة - وقد اختار ابن أبى الحديد لنفسه أن يكون من هؤلاء فى قصائده السبع العلويات وغيرها

(٢) المجلة - وليس فى أهل السنة أحد من هؤلاء ولله الحمد .

(٣) المجلة - ومن الأمثلة على أن المؤلف تعرض فى هـذا الكتاب لغير ما يحسنه زعمه أن وحشيا كان عبدا لهند بنت عتبة ، فرأينا الناس يتناقلون ذلك عنه ويتندرون به .



تخريج نصوص أرسطالية
فى كتاب الحيوان للجاحظ

للدكتور طه الحاجرى ـ مستخرج من مجلة كلية الآداب : ٢٣ ص قالبين

تراث الثقافة العربية فى الإسلام وقبل الإسلام من أزخر مواريث الإنسانية وأمتعها وأنفعها ، وقد رزئت الإنسانية عامة والناطقون بالضاد خاصة بفقد أكثرها فى نكبة التتار والحروب الصليبية وخروج العرب من الأندلس ، والذى بقى منها يحتاج إلى دراسات وتحقيق وحسن إخراج . ومن زكاة العلم على كل عالم أن يقوم من ذلك بما يستطيعه . والدكتور طه الحاجرى قد برهن بحسن إخراجه كتاب البخلاء للجاحظ على أنه ممن يؤدون زكاة العلم راضية نفسه بما يتحمل فى سبيل ذلك من مشقة . وقد خدم أخيراً تركة أبى عثمان الجاحظ بتحقيق النصوص التى أوردها فى كتاب (الحيوان) نقلا عن كتاب الحيوان لأرسطو ، فتعرف مواضعها من هذا الكتاب ، وأخذ فى المقارنة بين كل منها فى الصورة التى أوردها الجاحظ والصورة التى جاءت فى كتاب أرسطو ، على النحو الذى وصل إلينا فى هذا العصر .

قال الدكتور الحاجرى : « وكان من حق البحث العلمى الرجوع إلى الأصل اليونانى ، ولكننا لم نجد بداً من الاكتفاء فى هذا بالترجمة الفرنسية التى قام بها العلامة سانتلير ، وسنرى أن هذه المقارنة تكشف لنا عن كثير من المسائل الجديرة بالبحث ، وأنها تصحح كثيراً من الأخطاء التى وقعت فى النشرتين اللتين بين أيدينا من حيوان الجاحظ (طبعة الساسى سنة ١٩٢٥ وطبعة الحلبى بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون سنة ١٣٥٦ - ١٣٦٤) كما أنها تتضمن فوق هذا ما يفيد الباحث فى نص أرسطو ، وما قد يجد فيه أداة جديدة لتحرير عبارته ، والموازنة بين قراءاته المختلفة فى النص اليونانى » .

والذى نشره الدكتور الحاجرى فى هذه الرسالة يقتصر فيه على الجزء الأول من كتاب الجاحظ و ٢١٢ ص من الجزء الثانى ، ووعد بمواصلة المقارنة بين ما فى كتاب الجاحظ

وترجمة سانتلير لكتاب أرسطو . وكان الدكتور الحاجرى متحلياً بفضيلة الصبر والبصيرة فى هذه المقارنة ، حتى تبين له فروق ما بين طبعتى الساسى والحلبى ، وما بين الترجمة العربية التى استعان بها الجاحظ وترجمة سانتلير ، كما تبين له ما طرأ على كتاب الجاحظ من تحريف الناسخين ، ومن أمثلته تحريفهم كلمة « قورنية » بكلمة « رومية » وكلمة « لقونية » بكلمة « سلوقية » فى ج ١ ص ١٨٣ — ١٨٤ من كتاب الجاحظ ، وتحريفهم كلمه « تقيئها » بكلمة « بعينها » فى ٢ : ٥٥ .

وكثير مما أورده الجاحظ من نصوص أرسطو ولم يقع فيه مسخ من النساخ قد يرجع فيه الخطأ إلى آفات الترجمة ، والترجمة معرضة للآفات فى كل اللغات ، وقد اعتذر الجاحظ عن ذلك بقوله : « إن الترجمان لا يؤدى أبداً ما قاله الحكيم ، على خصائص معانيه ، وحقائق مذهبه ، ودقائق اختصاراته ، وخفيات حدوده . ولا يقدر أن يوفيها حقوقها ، ويؤدى الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم الوكيل ، ويجب على الجرى . وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها ، والإخبار عنها على حقها وصدقها ، إلا أن يكون فى العلم بمعانيها ، واستعمال تصاريف ألفاظها ، وتأويلات مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه . . ولابد للترجمان من أن يكون بيانه فى نفس الترجمة فى وزن علمه فى نفس المعرفة ، وينبغى أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها ، حتى يكون فيهما سواء وغاية ، ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما . . وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق والعلماء به أقل ، كان أشد على المترجم ، وأجدر أن يخطىء فيه . ولن تجد البتة مترجما يفى بواحد من هؤلاء العلماء » .

وهذا البيان الدقيق الصادر عن أبى عثمان الجاحظ فى أخطار الترجمة وعظيم مسئولية من يقوم بها قد زاد عليه شاعر البرهمية الأكبر تاغور يوم كان فى زيارة القاهرة قبل نحو ربع قرن وسأله بعض المعجبين بكتبه الأدبية التى كتبها مباشرة باللغة الإنجليزية أن ينقل لهم إلى الإنجليزية كتبه التى كتبها بلغة الهند ، فأجابهم : إنى عاجز عن نقل ما كتبت بلغة الهند إلى لغة الإنجليز ، وإن كان ذلك من تأليفى وأنا صاحب الأفكار التى فيه ، لأن ما كتبته باللغة الهندية لا تواتينى لغة الإنجليز على نقله إليها ، وسبب ذلك أن لكل لفظة فى لغة من اللغات جواً يحيط بها ويتأثر به سامع تلك اللفظة بتلك اللغة ، ولو أمكن أن توجد لكل لفظة فى كتبى الهندية لفظة فى لغة الإنجليز قريبة منها فإن الجو الذى لتلك اللفظة فى لغة الهند لا يمكن نقله إلى لغة الإنجليز عند اختيار اللفظة الإنجليزية القريبة من اللفظة الهندية ؛ فتأتى الترجمة ناقصة ولا تؤدى فى اللغة المنقول إليها الصورة الكاملة التى كانت لها فى اللغة المنقول منها .

وكلام تاغور هذا من تمام البيان الدقيق الذى ذكره الجاحظ عن أخطار الترجمة . فرأينا أن نورده هنا تأييداً لما ذهب إليه القائلون باستحالة ترجمة القرآن ، فالترجمة تكون فى العلوم الطبيعية والرياضية بالشروط التى ذكرها الجاحظ ، وتكون فى التاريخ والسير كالتوراة والإنجيل ، وأما فى الكلام البليغ المعجز فان ما لاحظه تاغور يؤيد استحالة ترجمة مثل القرآن ، ومن زعم أنه ترجمه فإن عمله ناقص ولا يؤدى صورة الأصل حتى لو كان حسن النية ومستوفياً كل ما اشترطه الجاحظ ، وأين مثل هذا المترجم ؟ إنك لن تجده كما أعلن ذلك أديب العربية عمرو بن بحر قبل أكثر من ألف سنة .

هذا ولنا عودة إلى ما قام به الدكتور الحاجرى من تخريج نصوص أرسطو فى كتاب الجاحظ عند ما ينتهى من عمله إن شاء الله .

نظرة إجمالية فى تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند وباكستان

للأستاذ مسعود الندوى ، نشرته لجنة الشباب المسلم ، ١٦٠ ص . المطبعة السلفية

الكتاب الجيد هو الذى يملأ فراغاً فى مكتبة أمة من الأمم لم يكن يملأه غيره من قبل . وهذه الرسالة ملأت فراغا فى المكتبة العربية ، وقد أجاد مؤلفها عمله . فالأستاذ مسعود الندوى من أفاضل خريجى (دار العلوم) بمدينة لكنو وهى مما أسسته (ندوة العلماء) فى الهند ، وكل من ينتسب إلى هذه الندوة العظيمة فى الهند يقال له (ندوى) ، والأستاذ مسعود من خيرة الندويين ودعاتهم إلى الله ، وأول ما اشتهر به إصداره بالعربية مجلة (الضياء) من سنة ١٣٥١ إلى سنة ١٣٥٤ . قال رئيس تحرير هذه المجلة فى المقدمة التى كتبها لهذه الرسالة : والظاهر إن مجلة الضياء كانت سابقة لاوانها فاضطر السيد مسعود الندوى إلى الانصراف عنها إلى ميادين أخرى لجهاده وكان آخر ذلك تأسيسه (دار العروبة) عقب الحرب العالمية الثانية ، ومن دار العروبة هذه صدرت التراجم العربية لصيحات الحق التى ينادى بها المجاهد فى سبيل إصلاح المجتمع الإسلامى الأستاذ أبو الأعلى المودودى .

ورسالة (نظرة إجمالية) آخر ما أصدره الأستاذ مسعود الندوى وفيها تعريف من لا يعرف الهند وباكستان من أفاضل المسلمين بتاريخ سير الدعوة الإسلامية هناك من بدايتها ، وما طرأ عليها من هبوط واعتلاء ، وما صدر عن شانئيها والمؤمنين بها من جهود لتقليص ظلها والقضاء عليها ، أو نشر هدايتها والعمل على بعثها وإحياء سننها . وفى الرسالة أسرار وحقائق لا يعرفها حتى فى الهند وباكستان إلا الراسخون فى العلم بهذه الناحية من تاريخ الدعوة الإسلامية وأوليائها وأعدائها .

فشكراً للأستاذ السيد مسعود الندوى على أن خص اللغة العربية بهذا الموضوع النافع، وشكراً للجنة الشباب المسلم على عنايتها بنشر هذا الكتاب القيم .

الكاكائية فى التاريخ

لمؤرخ العراق الأستاذ عباس العزاوى ـ ١٤٦ ص قالبين ، مكتبة الخانجى بمصر

وهذا كتاب آخر هو الأول بموضوعه لا فى العربية وحدها بل فى لغات البشر . حقق فيه مؤلفه بدراساته العلمية والشخصية أصل نحلة (الكاكائية) ومعتقدها وتاريخ تطورها واستمدادها من طريقة (الفتوة) وآدابها ، وبسط كل ما وصلت اليه اليد من حالتها الحاضرة ، وكشف عن صلاتها بفرقة القزلباش ، والشبك ، والماولية ، والعلى اللهية ، والبكتاشية . ووصف قراها وقبائل معتقديها وأعيادهم ومزاراتهم وأدبهم وشعرهم وكتبهم .

والكاكائية نحلة أصلها إسلامى ، غلت فى الدين على طريقة الحلاج والسهروردية من أواخر القرن السابع ، مخالفة فى ذلك توجيه القرآن وسنة الإسلام ، فأداهم ذلك إلى التحرج من ذكر اسم الله ، وصاروا ينكرون صفاته التى وصف بها نفسه ، واعتقدوا أنه يظهر فى الأشخاص رأفة منه بهم ورحمة ، وقد ظهر فى (أدوار الظهور) بطريقة حلول الله فى أبدان البشر ومنهم (على) . وعقيدتهم هذه تشبه (النصيرية) إلا أنها جاءتهم من طريق التصوف والسهروردية أو الصفوية .

ومواطن هذه النحلة فى شمال العراق : كركوك ومناطقها وبعض قرى (خانقين) و (البندنيجين) و (إربل) . ومنهم جماعات فى إيران : طهران وتبريز وهمذان وكرمانشاه وكرند الخ .

ومع فساد عقيدة هذه النحلة فإن لهم ناحية محمودة فى أخلاقهم وعفة ألسنتهم وإيثارهم السلام ، ولعل ذلك جاءهم من نظام (الفتوة) الذى كان معروفا فى بعض أدوار الدولة العباسية فانتفعوا به فى مجتمعهم وروابطهم فيما بينهم ومع الناس .

إن المؤرخ العلامة الأستاذ عباس العزاوى من أعلام العلم المحققين فى هذا العصر ، ومؤلفاته الكثيرة تزدان بها الآن مكتبة الأمة العربية ، وهو أوسع من نعرفهم اطلاعاً على تاريخ العرب ولا سيما تفاصيل تاريخ العراق ، ومكتبته الشخصية عامرة بالمخطوطات والنوادر عن الملل والنحل والطوائف الإسلامية والعراقية . وسنتحدث إلى القراء عن كتب أخرى له إن شاء الله . ونرجو الله أن يمتعه بالصحة والقوة ليواصل جهاده العلمى حتى النهاية .

صور ومشاهدات من الحجاز

للأستاذ السيد محي الدين رضا ـ ٢٠٠ ص ، المطبعة التجارية الحديثة

للأستاذ السيد محي الدين رضا كتب متعددة فى التعريف بالحجاز ومعالمه ورجاله ، لأنه كثير التردد إلى الحرمين الشريفين وينشر فى كل مرة كتابا نافعاً فى ذكريات هذه الزيارات المباركة وآخرها هذا الكتاب الحافل بما يود كل مسلم أن يقف عليه من أخبار قبلة المسلمين وأحوالها وتطوراتها وتراجم رجالها . وقد ألحق به رسالته (رفيق الحاج) الذى يعلمه كيف يحج ويعتمر ويزور النبى صلى الله عليه وسلم ، والأدعية التى يدعو بها عند أداء النسك . فجاء الكتاب نافعاً لقرائه فى دينهم ودنياهم . جزاه الله خيراً .

المهذب فى غريب القرآن

للأستاذ الشيخ أحمد عبد الرازق شائخ ـ ٤ أقسام ٣٢٠ ص ، مطبعة الجهاد بأسيوط

هو كتاب لطيف فى تفسير ألفاظ كتاب الله الحكيم مرتباً على ترتيب المصحف ، ومجزءاً إلى أربعة أرباع : الأول من الفاتحة إلى آخر سورة الأنعام ، والثانى من سورة الأعراف إلى آخر سورة هود ، والثالث من سورة الكهف إلى آخر سورة فاطر ، والرابع للربع الأخير من كتاب الله عز وجل . وقد التزم فيه المؤلف أن يكون طبق المنهاج المقرر على القسم الثانوى من معاهد الأزهر ، وينتفع به كل من يتوخى فهم ألفاظ القرآن من جميع المسلمين . فنلفت الأنظار إليه .

المجاهدون

للأستاذ محمد فهمى الطماوى ، ١٦٠ ص جاير ، المطبعة السلفية

هو كتاب لطيف نافع فى الجهاد ومشروعيته ، وأن الحرب فى نظر الإسلام ضرورة اجتماعية ، وفى مشروعية القتال فى الإسلام ، وموقف اليهود من الدعوة الإسلامية ، وحرب المسلمين خارج جزيرة العرب وسببه ، ووسائل النصر المعنوية ، والدول الغربية والتعاليم الإسلامية ، وأثر العقيدة الإسلامية فى النفوس ، والشجاعة الأدبية أو الجهاد باللسان ، ووسائل النصر المادية ، وإعداد الجيش ، ودور المرأة فى الجهاد ، وحرب العصابات أو الفدائية ، والأسلحة وأثرها فى المدنيين ، والفتح الإسلامى والغاية منه . وهو كما ترى من الكتب النافعة ، فنحث شباب المسلمين على مطالعته والإفادة منه .

الأدب والعلوم فى شهر

انشاء اتحاد علمى عربى

أوصت اللجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية فى دورتها التى عقدت فى القاهرة بإنشاء اتحاد علمى عربى يهدف لجمع شمل العلماء العرب والهيئات العلمية فى البلاد العربية، وإصدار مجلة علمية مبسطة.

وأن يعقد مؤتمر لتوحيد المصطلحات العلمية العربية، ومؤتمر علمى عربى ثان فى سنة ١٩٥٥، مع العناية بدراسة تاريخ العلوم وبخاصة عند العرب، وترجمة الكتب العلمية إلى اللغة العربية، وتأليف تلك الكتب، وإقامة دورات تدريبية فى تدريس العلوم، والاستعانه بالخبراء العرب فى المشروعات الإنشائية والفنية . . .

الالتحاق بالجامعات الثلاث

٨٥٠٠ منتظمون و ٤٠٠٠ منتسبون

تلقى مكتب الالتحاق بالجامعات المصرية الثلاث نحو ٦٧٠٠ طلب من ناجحى التوجيهية فى الدور الأول، و ٤١٠٠ من الناجحين فى الدور الثانى، و ٦٦٠ طلبا بالبريد، و ٣٣٠ طلبا أعيدت إلى أصحابها لعدم استيفاء الأوراق، وبذلك يبلغ مجموع طلبات الالتحاق بالجامعات الثلاث المصرية نحو ١٢ ألف طلب.

ولما كان العدد الذى تقرر قبوله فى الجامعات الثلاث ٨٥٠٠ فسيكون الباقى من الحاصلين على شهادة التوجيهية هذا العام فقط حوالى ٤٠٠٠ طالب، فضلا عن الحاصلين على هذه الشهادة قبل هذا العام، وسيعتبر هؤلاء منتسبين لا منتظمين . . .

جامعة عرابى بالزقازيق

قرر مجلس مديرية الشرقية بالإجماع تأسيس جامعة ومستشفى فى مدينة الزقازيق باسم أحمد عرابى، وخصص لذلك خمسة عشر فدانا يبلغ ثمنها مائة ألف جنيه . وأن تقوم لجنة ذكرى عرابى بجمع المال اللازم للانفاق على بناء الجامعة والمستشفى، وبذلك

ستكون جامعة عرابى فى مدينة الزقازيق رابعة الجامعات المصرية فيخف بها الضغط على كليات القاهرة والاسكندرية . . .

وثائق مصر التاريخية

رأت اللجنة المشكلة لدراسة مشروع إنشاء دار الوثائق وعمل اللائحة الخاصة بها أن قسم الوثائق الموجود بقصر (عابدين) يصلح نواة لتلك الدار حتى يستقر نظامها .

ومحفوظات (عابدين) بها ثلاثة أقسام : الاول يشمل المحفوظات الخاصة بالديوان الملكى السابق ، وهى تشمل سجلات ووثائق أصلية ، أو صور وثائق تركية وعربية وافرنجية من عهد محمد على إلى آخر عهد عباس الثانى . والثانى به صور الوثائق الدبلوماسية الخاصة بدور المحفوظات فى فرنسا وانجلترا وإيطاليا والنمسا وأمريكا والروسيا واليونان وبولونيا . أما القسم الثالث فيشمل المحفوظات التركية والعربية التى نقلت من دار المحفوظات العمومية فى عام ١٩٣٣ م .

ومحفوظات القسم الاول والثالث التركية موضحة بالنفصيل فى كتاب « دينيه » عن الوثائق التركية بالقاهرة ، وهذه الوثائق موضوعة فى خمسة مخازن كبيرة ؛ بها ٢٣١ دولاباً ، وأرفف من الحديد من ثلاثة أدوار طولها ٤٤ متراً .

ويوجد بهذا القسم فرقة تركية للترجمة ، وفرقة عربية لتلخيص ونسخ الوثائق العربية ، والفرقة التركية هى التى كانت تعمل فى دار المحفوظات العمومية مع الوثائق التركية ونقلت مع الوثائق عام ١٩٣٣ إلى قصر (عابدين) ، وكانت قد أنشأت فى دار المحفوظات العمومية عام ١٩٣٠ - عندما ألغت الحكومة التركية استعمال الحروف العربية فى اللغة التركية واستعاضت عنها بالحروف اللاتينية ، واستبدلت كذلك الكثير من الكلمات والاصطلاحات التركية المشهورة بأخرى مهجورة - وخوفا من أن تصبح لغة هذه الوثائق مع الايام أشبه بالرموز والالغاز كان إنشاء قسم الترجمة هذا ضروريا جدا ، وقد بلغ عدد السجلات التى ترجمت بهذا القسم ٣٤٤٠ سجلا ، وعدد الحوافظ ٢٤٦ حافظة عدد وثائقها يربو على مليون وثيقة تقريبا .

وسيضم هذا القسم إلى وزارة الإرشاد القومى لتبنى عليه (دار الوثائق) المنتظرة ، وسوف تكون تلك الدار متصلة بكل الوزارات وبدار المحفوظات العمومية لتجمع الوثائق التى تحفظ بها . وسيلحق بها مكان لتدريب

طلبة معهد الوثائق التابع لجامعة القاهرة لتخريج المشتغلين بالوثائق ، وستكون لها فى المستقبل فروع محلية فى المديريات تشرف عليها الادارة المركزية للدار بالقاهرة .

كما أنها ستضم ثروة مصر التاريخية وجميع الوثائق الهامة الخاصة بتاريخ مصر من جميع أنحاء العالم، وذلك لتسد النقص الموجود فى جمهورية مصر من هذه الناحية لتيسير البحث العلمى على العلماء والطلبة فى مصر والخارج .

استقلال التعليم الأزهرى

بعلومه وشروط الانتساب إليه

سأل مندوب (البلاغ) فضيلة الأستاذ الأكبر : لماذا لا تقبل الكليات الأزهرية حملة التوجيهية للدراسة فيها .

فقال فضيلته : إن من أهم ما تستلزمه الدراسات الدينية واللغوية العليا إجادة القرآن حفظا ودراسة ، وحملة التوجيهية فاقدون لهذا الشرط . ومن أهم ما نعنى به العمل على التحقق من إجادة القرآن حفظاً بالنسبة للملتحقين الجدد والعناية بجميع الدراسات المتعلقة بالقرآن بالنسبة لطلاب جميع المراحل التعليمية المختلفة بالمعاهد والكليات .

وسأل المندوب فضيلة الأستاذ الأكبر : هل سيباح لغير خريجى الأزهر من خريجى الجامعات الالتحاق بالدراسات التى سيقرها الأزهر هذا العام ؟ فقال : إننا سننظر فى ذلك فيما بعد على أساس توفر الصلاحية فيهم للدراسات فيمن يريدها .

وقلت لفضيلته : يدعو البعض إلى توحيد التعليم فى مرحلته الأولى والثانوية على أن يكون الأزهر جامعة يلتحق بها كل من يريد ممن أتموا التعليم العام ؟ فقال :

إن الأزهر جامعة عريقة ستظل تنشر نورها وتفيض علومها على العالم كله ، ولها طابعها المميز عن غيرها ، ويمتاز أبناؤها وخريجوها بأنهم من بدء دراستهم حتى نهايتها تتميز علومهم ومعارفهم بطابع دينى خاص فتسمهم بسمات دينية ويكون لانطباعاتها وانعكاساتها أثر طيب كريم فى نفوسهم وعقولهم مما يهيئهم لحمل الرسالة الدينية الحقة فى جدارة وأصالة وصلابة واعتزاز .

عند شيخ الأزهر

اجتمع عند فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر جميع شيوخ المعاهد الدينية فى بلاد الجمهورية المصرية وتذاكروا فى وضع الترتيبات اللازمة لبدء العام الدراسى الجديد، وتوحيد الزى ووجوب تنفيذه والالتزام به ، كما بحثوا مسألة توزيع الحصص بين المدرسين .

العالم الإسلامي في شهر

التحرر من مفاسد الماضي

قال الرئيس اللواء محمد نجيب فى إذاعته عن ذكرى الهجرة : « علينا اليوم – ونحن نستقبل هذه الذكرى الإنسانية الخالدة على الزمن – أن نستوحى عبرها وعظاتها فنعلم أن الشعب الصالح لا يتكون إلا من لبنات هى الأفراد الصالحون . وأن هؤلاء الافراد لا تنضج نفوسهم ولا تكتمل قواهم إلا بالتربية والإعداد زمناً يتعهدهم خلاله الرعاة والمرشدون بالمثل الصالح والقدوة الكريمة . فالذين يظنون من أبناء أمتنا أننا نستطيع أن نتحرر من الماضى بمفاسده كما يخلع الواحد منا ثوبه، يتطلبون من الأيام ضد طباعها.

رسالة المساجد

انتهت اللجنة المؤلفة برياسة الأستاذ محمود عبد اللطيف وكيل وزارة الأوقاف لتحديد رسالة المساجد فى العهد الجديد من مهمتها ، وقد اتخذت قرارات فى هذا الموضوع أهمها تكليف جميع الأئمة إلقاء دروس فى مساجدهم لمكافحة الأمية أو للثقافة العامة أو لتحفيظ القرآن الكريم ، طبقاً لمقتضيات البيئة على أن يوضع برنامج كل مسجد باشراف قسم المساجد .

كما تقرر أن يدرس الفقه فى المسجد بصورة عملية مبسطة ، مع تفسير الآيات والأحاديث الخاصة بالأحكام والأخلاق والتاريخ الإسلامى والثقافة الاجتماعية والتوجيه السليم إلى الوطنية الصحيحة ، ومحاربة العادات الضارة كالثأر والتمائم والزار وغيرها ، والتحلى بما تقتضيه شريعة الاسلام وآداب الحضارة من شئون النظافة والصحة والعمل للصالح العام .

الشريعة الاسلامية
أساس القوانين

حضر الرئيس اللواء محمد نجيب المناقشة التى دارت فى مدرج كلية الحقوق بجامعة القاهرة حول الرسالة الجامعية المقدمة من اليوزباشى حسن النورى وموضوعها (دراسة فى عوارض الاهلية فى الشريعة الإسلامية) الحصول على درجة الدكتوراه . وبعد الانتهاء من مناقشة الرسالة خطب الرئيس اللواء محمد نجيب فقال :

« إن لهذه الرسالة أهمية كبرى فى الشريعة الإسلامية الغراء التى قامت على أعدل الأسس وأصحها وأدقها ، وهى القرآن الكريم والسنة الشريفة ، هذه الشريعة السامية التى تصلح لكل زمان . ومكان وإذا كان الغرب قد طغى

عليها ووضعها فى صورة الرجعية فهذا وهم وخطأ محض . إن القانون الفرنسى الذى استمدت منه الدول تشريعاتها ظل حتى سنة ١٩٢٧ لا يعرف نظرية (العيب الخفى) المعروفة فى الشريعة الإسلامية منذ ثلاثة عشر قرناً . كما أن القانون الفرنسى استمد معظم نصوصه من مذهب الإمام مالك . والشريعة الإسلامية هى أرقى القوانين ، وفيها المرونة التى تساير جميع الظروف ، وكلما أضاف أحد منا جديداً إلى ذخيرتنا من الشريعة الإسلامية ازدادت جلاء .

إن هذه الشريعة التى تتهم ظلماً بالرجعية قد حفظت حقوق المرأة ، وكلما عنينا بتفصيلها وإيضاحها أضفنا أسانيد جديدة لمقاومة الأفكار القائلة بأن الشريعة الإسلامية يخشى تطبيقها » .

أول مجلس وزراء

فى المملكة العربية السعودية

صدر مرسوم ملكى فى غرة صفر ١٣٧٣ من الملك عبد العزيز آل سعود بتأليف مجلس وزراء تحت رئاسة ولى العهد الأمير سعود يعقد اجتماعات دورية مرة فى الشهر غير الحالات الاستثنائية ، وقرارات المجلس توضع موضع التنفيذ بعد تصديق الرئيس وموافقة الملك ، ولا يجوز لأية وزارة أن تقوم بأى عقد أو اتفاق مع أى جهة إلا بعد أخذ موافقة رئيس مجلس الوزراء عليه ، ولرئيس الوزراء حق الإشراف والهيمنة على جميع أعمال الوزارات ، وله أيضاً أن يطلب أية قضية من أية وزارة لتدقيقها وإصدار تعليمات بشأنها .

كومنولث اسلامى

من ضيوف مصر الآن السيد إنعام الله خان سكرتير المؤتمر الإسلامى العالمى . وقد عقد مؤتمراً صحفياً فى دار المركز العام للشبان المسلمين ودعا فيه إلى إنشاء كومنولث يضم الدول الإسلامية فى اتحاد أخوة ومساواة لا تعلو فيه دولة على دولة ويكون القرآن هو السراج الذى يهدى الجميع إلى حياة الجد والنشاط فى ظل السلام للبشرية جميعا .

اليونسكو ورى الصحراء الغربية

قامت من الجزائر إلى منطقة تشاد فى أفريقيا الاستوائية بعثة من كبار علماء الحيوان وخبراء التربة والنبات برآسة الدكتور كولمان تحت إشراف هيئة اليونسكو لدراسة التربة فى الصحراء الغربية الكبرى والسودان ومصر وليبيا وتونس .

قالوا : وستضع على أساس دراساتها مشروعات لرى الصحراء ، لو نجحت لغيرت شمال إفريقيا تغييراً تاما .

فهرس

الجزء الثانى – المجلد الخامس والعشرون



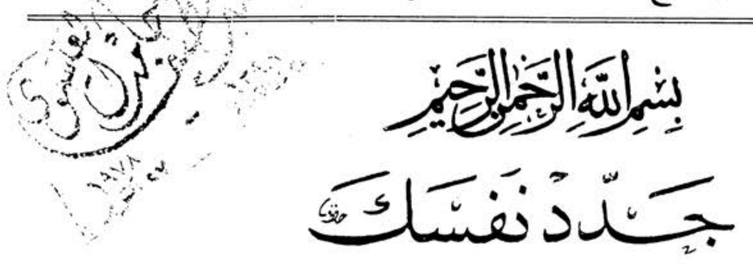
مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي



الجزء الثالث ـ القاهرة في غرة ربيع الأول ١٣٧٣ ـ ٨ نوفمبر ١٩٥٣ ـ المجلد الخامس والعشرون



جدد نفسك

ثيابنا تتسخ ، فننزعها عن أبداننا لتغسل وتكوى ، وما تزال تتسخ وتغسل وتكوى حتى تبلى ، فندعها ، ونجدد لأبداننا ثيابا غيرها .

وأبداننا تتسخ ، فتعافها نفوسنا ، ثم نمر عليها بالصابون والماء حتى نرتاح إلى نظافتها ، ونعد ذلك نعمة ونعيما .

ومنازلنا التي نسكنها ، وما فيها من أدوات ومرافق ومكتب ، وما وراءها من شوارع وميادين وأحياء ودروب ، كل هذه تتسخ ، ولا نكون من أهل الحضارة والأذواق السليمة إلا إذا توصلنا إلى تنظيفها وإزالة ماطرأ عليها مما تنفر منه النفوس وتضيق به المشاعر .

وكما تتسخ الثياب والأبدان والمنازل والمرافق والشوارع والأحياء ، فإن النفوس تتسخ كذلك ، وتحتاج دائماً إلى تنظيف ، وقد تحتاج في بعض الأحيان إلى تجديد ، أكثر مما تحتاج إلى ذلك الثياب والأبدان والمنازل والمرافق .

ينشأ ناشىء الفتيان منا ، فتقذف به دواعي الحياة إلى سلوك طرقها وخوض لججها . ثم تجمعه جامعة الحياة بمن يصحبهم في الحياة ويجاورهم ويتعاون معهم . فأصحاب النفوس النظيفة يتصاحبون ويتجاورون ويتعاونون على الحق والخير ويكتبون مع أهل الإحسان ،

فتبقى نفوسهم نظيفة ، ويكونون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه . وأصحاب النفوس الملوثة يتصاحبون بالرياء والتقية ، ويداجى بعضهم بعضا ، ويخالس كل منهم صاحبه ، ويكون لكل منهم مع كل واحد منهم وجه غير وجوهه الآخرى . وقد يستيقظ ضمير أحدهم فى يوم من الأيام فيرى بعين بصيرته أن هذه الحياة التى يحياها مع أصحابه المداجين إنما هى حياة قذرة ، فيتمنى لو أنه تمكن من تنظيف نفسه كما ينظف الانسان بدنه وثوبه وبيته ومكتبه ومرافقه .

ويتحدث أحدنا إلى آخر فيأتى فى خلال الحديث ذكر شخص ثالث ، فيذكره أحد الرجلين بما يسوءه لو أنه بلغه ، ويصغى الآخر إلى قالة السوء هذه فلا ينكرها ، أو ينكرها فيشمئز منه صاحبه ، وقد يحدث بينهما ما يثلج به قلب الشيطان . إن هذين الصاحبين كانا قبل هذا اللقاء وهذا الحديث نظيفى النفس من هذه الغيبة وما ربما ترتب عليها من خصومة ، ثم اتسخت بذلك نفس أحدهما أو كليهما فأصبحت فى حاجة إلى تنظيف أو تجديد ، كما يحتاج الثوب والبدن والمنزل والمكتب إلى مثل ذلك .

ونحن الآن فى موسم افتتاح السنة الدراسية ، وإن عشرات الألوف من الطلبة يهرعون إلى معاهد العلم وكلياته ، وسيثابرون جميعاً على الاشتغال بالعلم فى كل أيام الدراسة . فمن كان منهم عالى الهمة كريماً على نفسه مزمعاً أن تكون له رسالة فى الحياة يؤديها لأمته بما يتفق مع مبادئها فى الماضى وأهدافها فى المستقبل ، فإنه يمضى حريصاً على نظافة نفسه وصيانة معدنها من كل ما يدنسه فيما بينه وبين نفسه وما بينه وبين الله ، ويتوخى أن يكون ما يكتسبه من حقائق العلم وسنن الأخلاق والفضائل غاية يطلبها فى مدة الدراسة وفيما بعدها « من المهد إلى اللحد كما كان يقول أسلافنا » ، ولا يعتبر ذلك وسيلة للشهادات لتكون الشهادات بعد ذلك وسيلة أخرى لطلب العيش . وأنا أحب لطالب العلم والفضائل - الذى يعتبر العلم والفضائل غاية له فى الحياة - أن يعلم أنه هو طالب العلم حقاً ، وأنه هو الإنسان النظيف ، وأن مالك ابن أنس ، والليث بن سعد ، ومحمد بن إدريس ، وشمس الدين بن القيم ، والحافظ ابن حجر ، وأضرابهم هم الذين ينبغى له أن يتخذهم قدوة له فى طلب العلم لله ، وأن يجدّ ليبلغ منزلتهم فى هذه الأمة وتاريخ ثقافتها ، وأن يحرص - مع صيانته نفسه عما يلوثها - على أن يتوسم فى زملائه الطلبة من يراهم من أهل الاستعداد للخير فيبعدهم عن قرناء السوء ، ويحسن توجيههم إلى ما اختاره لنفسه من وجهة يبلغ بها مرضاة الله . فهذا الطراز من الطلبة ذوى النفوس النظيفة هم أمة المستقبل المحمود ، وهم الحلقة المتصلة بسلسلة الماضى الذهبية ، وهم الناس ،

وبهم تنهض الأوطان . أما الآخرون ممن يتخذون العلم حماراً يركبونه ليأخذوا الورقة التى يتاجرون بها لطلب العيش إلى أن يموتوا ، فسيموتون كما تموت السوائم والمواشى ، إن لم يتمنوا بعد الموت أن لو كانوا فعلا من السوائم والمواشى ، لئلا يحاسبوا على نياتهم الرخيصة ، وإسفافهم بآمالهم وأعمالهم إلى ما لا يحمدون مغبته .

ويكون أحدنا موظفا فى مصلحة من مصالح الحكومة ، ويكون رزقه الذى كتبه الله له ولعياله من خدمة مواطنيه الذين لهم مصالح تحت يده فى وظيفته ، فيأتيه مواطنه لقضاء المصلحة التى له عنده ، ولا يخفى على الموظف أن هذا المواطن قطع فى سبيل الوصول إليه مسافات وأضاع لذلك وقتا كان هو ووطنه فى حاجة إليه . وهنا يكون الموظف فى موقف الامتحان : فإما أن يكون من ذوى النفوس النظيفة — وما أقل هؤلاء — وحينئذ يبادر إلى قضاء مصلحة الرجل وإنجاز عمله بأيسر ما يستطيع ، وإما أن يكسل عن أن يمد يده إلى ملف هذا المواطن لإجراء ما هو مأجور من خزينة الدولة ومال الأمة على أن يتمه له فيتلكأ عن ذلك ويقول له « تعال بعد أسبوع » . وهذه الكلمة لا تصدر إلا عن نفس تحتاج إلى تنظيف ، وإن كان بدن صاحبها وثيابه ومنزله ومكتبه وجميع مرافقه نظيفة .

وقد تكون ثيابنا ومرافقنا ذات ألوان قاتمة ، فإذا أصابتها وساخة خفى أمرها حتى على صاحبها

وإن أبداننا مستورة بثيابنا ، فلا يكاد يشعر بوساختها إلا أصحابها على قدر ما لهم من شعور .

أما النفس الإنسانية فمن صنع الله ، وقد صنعها الله نقية على فطرته فلا تحمل من دنس الأنانية والشهوات إلا ما ارتضاه لها صاحبها راغبا مختاراً . وإن إرادته للطيب أو الخبيث ، وللجيد أو الردىء ، وللحق أو الباطل ، وللخير أو الشر ، هى مناط التكليف ، وبها وبآثارها من العمل — على درجاته — يكافأ المرء أو يعاقب فى الدنيا وفى الآخرة .

ومهما تكن عند امرىء من خليقة   وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وإذا كان للناس من بصائرهم وتجاريبهم ما يميزون به بين النفس النظيفة والنفس المدنسة ، بما يلمحونه من آثارهما ، وما فى ذلك لأهل الألمعية من علامات ؛ فإن خالق الأبصار والبصائر ، المهيمن على الظواهر والسرائر ، عليم بكل ما يحلى به الإنسان نفسه من فضائل ومآثر ، أو يدنسها به من صغائر وكبائر .

كل بنى آدم خطّاءون ، وما منا إلا من هو عرضة لأن تتسخ نفسه بما يعلم أو لا يعلم من أوساخ الحياة وأقذارها . والعصمة لأنبياء الله وحدهم فيما بلغوا الناس عن ربهم ،

وفيما يتفق مع جلال رسالتهم . وإذا كنا نعرف كيف نتخلص من أوساخ ثيابنا وأبداننا ومنازلنا ومرافقنا ، فما هو السبيل لنتخلص من أوساخ نفوسنا ؟ !

هذا السؤال طالما خالج نفوس الناس وحدثوا أنفسهم به . وقد طلب إلىّ أحد شباب المسلمين أن يكون ذلك حديثى مع قرائى فى هذا الشهر .

إن أوساخ النفس تعافها وتأنف منها نفس صاحبها ، قبل أن يعافها ويأنف منها الآخرون . ثم هى عبء عليه يتعذب بحملها . ولو أن ضامناً ضمن له رجوع نفسه إلى ما كانت عليه من نقاء الفطرة الإلهية فى زمن الطفولة لاغتبط بذلك ، ولاستأنف مع نفسه وربه ومع الناس حياة جديدة يرضى هو عنها ليرضى الله عنها .

هذه أمنية يشعر بها مرتكب الأخطاء فى لمحات من حياته يستيقظ فيها ضميره ، فيشعر بوطأة الذنوب ، ويتمنى لو تخفف منها .

والرجوع إلى نقاء النفس فى طفولتها أمنية كل مذنب وكل خطّاء . ولو كشف لأحدنا الغطاء عن أدنس النفوس وأقذرها — كنفوس الزوانى واللصوص والمجرمين والظلمة — لرأينا هذه الأمنية مستقرة فى قرارتها ، ومنطوية فى أعمق ما تطوى عليه جوانحها من أمانى ، ولو فى بعض الأحيان .

إن تنظيف النفس أيسر على صاحبها من تنظيف ثوبه وبدنه ومنزله ومكتبه ومرافقه .

كثير من الناس ، وأكثر النساء بل كلهن ، يتمنون لو يرجعون من سن الكهولة إلى سن الشباب والصبا والطفولة ، ولكن هيهات . أما النفوس المثقلة بأوساخها فتستطيع أن ترجع إلى ما كانت عليه من نقاء عند ما كانت فى سن الشباب والصبا والطفولة . ويسمى هذا الرجوع بلغة الاسلام : أوبة ، وتوبة . وأول علاماتها الندم الصادق على ما وقع من الانسان من هفوات أدت إلى ما علق بنفسه من أوضار . ويقترن بالندم على ذلك الاقلاع عنه ، والعزم على ألا يعود إلى تلك الهفوات أبداً . وإذا كان ما وقع من الانسان وتدنست به نفسه يتناول حقا من حقوق الناس المادية كالمال أو ما كان فى حكمه ، فلا تتم هذه الأوبة من حالة الدنس إلى حالة النقاء إلا بأن يبرأ من ذلك الحق برده إلى صاحبه واستبراء ذمته منه ، وإذا كان يتناول حقا من حقوق الناس الأدبية كالغيبة والنيل من الكرامة فعليه أن يعترف بذلك لصاحب هـذا الحق ويستحله منه ، وإن كان قذفا مكنه من إقامة الحد عليه وطلب العفو منه .

كلنا من صنع الله ، وهو مالكنا ، ونحن له . وإن خروج أحدنا عن طاعة سيده

باقتراف الإثم ، والانحراف عن الطريق الذى رسمه له خالقه ، وتدنيسه النفس التى ائتمنه الله عليها وهى نقية طاهرة ، كل ذلك يعد تمرداً منا على موجدنا ومالك أنفاسنا وعصياناً له . فإذا ثبنا إلى رشدنا ، وأدركنا خطأنا ، وندمنا عليه ، وأردنا أن تنظف نفوسنا من هذه الأوساخ التى لوثناها بها ، فإن هذا الندم ، والاعتراف بالخطأ ، والاقلاع عنه ، والعزم على عدم العودة اليه أبداً ، كفيل بأن يردنا إلى الله بعد أن تمردنا عليه وابتعدنا عنه . وقد أخبرنا الهادى الأعظم حامل آخر رسالات الله وأكملها صلوات الله وسلامه عليه أن الله يفرح بأوبة هذا المذنب اليه ، وإقلاعه عن ذنوبه . وإن مما صح عن نبي الرحمة من حديث خادمه أنس بن مالك الأنصارى أنه ﷺ قال : « لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها » .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى موسى الأشعرى أن النبى ﷺ قال : « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها » .

إذن فتنظيف النفس من أوضارها أهون وأيسر من تنظيف الثياب والبدن والمسكن والمرافق . ولا يحتاج هذا التنظيف إلا إلى شىء واحد وهو العزيمة الصادقة التى هى مقياس رجولة الرجل ، فإذا ندم الواحد منا على ما فرط منه ، وعزم على أن يقلع عنه ، وعاهد الله صادقا على ألا يعود إلى ذلك أبدا ، فبذلك ترجع نفسه إلى ما كانت عليه فى عهد طهارتها ونقائها ، بشرط أن يتحلل من حقوق الناس وتبرأ ذمته من كل ما أصاب من أموالهم وكراماتهم .

إن هذا ميسور للمسلم فى كل سانحة من سوانحه ، لأن الله أقرب إلينا من كل ما يتصل بنا ونتصل به . وقد روى الترمذى من حديث عبد الله بن عمر « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » . ومعنى ذلك أن الطريق إلى تنظيف النفس مفتوح لصاحبها من ساعة اقترافه الإثم إلى آخر حياته . وقد حض الله عز وجل على ذلك فقال فى سورة النور (٣١) : (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) . وقال فى سورة الشورى (٢٥) (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) بل إن فى كتاب الله سورة مستقلة باسم « التوبة » أرشد فيها إلى أن من مطهرات النفس الإسلامية الصدقة ،

وقد سميت « الزكاة » زكاة لأنها تطهير للأموال ، فقال عز وجل فى الآيات ١٠٣ — ١٠٥ من هذه السورة مخاطباً رسوله الأعظم إلى الإنسانية كلها : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم . ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم . وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

وكمال التوبة وجمالها فى أن تكون توبة نصوحا . قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقال مثله أبى بن كعب صاحب رسول الله ﷺ : « التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه ، كما لا يعود اللبن إلى الضرع » . وقال سعيد بن المسيب : « توبة نصوحا تنصحون بها أنفسكم » . أى قد نصح فيها التائب ولم يشبها بغش . ونقل عالم مكة فى القرن الحادى عشر محمد بن علان الصديقى عن الإمام شمس الدين بن القيم فى كتابه مدارج السالكين أن « النصح فى التوبة يتضمن ثلاثة أشياء : أحدها تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنباً إلا تناولته . والثانى : إجماع العزم والصدق بكليته عليها ، بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم ولا انتظار ، بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادراً بها : والثالث : تخليصها من الشوائب والعلل القادحة فى إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله تعالى وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده ، لا كمن يتوب لحفظ جاهه أو حرفته أو منصبه أو لحفظ حاله أو ماله أو استدعاء حمد الناس أو الهرب من ذمهم أو نحو ذلك من العلل التى تقدح فى صحتها وخلوصها لله تعالى . فالأول يتعلق بما يتوب منه ، والثالث بما يتوب إليه ، والأوسط يتعلق بذات التائب نفسه . ولا ريب أن التوبة الجامعة لما ذكر تستلزم الغفران وتتضمنه ، وتمحق جميع الذنوب ، وهى أكمل ما يكون من التوبة » .

وبعد فما أدرى هل تشعر جماهير الأمة ـ ولا سيما أهل العلم والثقافة فيها ـ أننا نستقبل طوراً من أطوار حياتنا العامة غير الطور الذى كنا فيه ، وأننا على مفترق الطرق فيما نأخذ وما ندع ، وأن هذا التطور يترتب عليه حتما أن ننظف أنفسنا من أوضار الماضى وأوساخه لنستأنف حياة جديدة يحمل رسالتها المدرسون إلى الطلبة ، وقادة الفكر إلى الشباب المفكر ، وزعماء الرأى إلى ذوى الرأى ، ورأس ذلك وعموده « تجديد النفس » ، وفى يدك يا أخى أن تجدد نفسك ، فبادر إلى ذلك ، وافتح مع الله صفحة حساب جديدة تكون فيها إن شاء الله من الرابحين الفالحين ؟

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

– ٩ –

الدّعـاء

[ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن
فقـد استمسك بالعـروة الوثـقى]

فى ضوء القرآن وضحت للبصائر معالم الحق ، وأسفر على وجه الدنيا صبح طال ليله ، وتوسمت الإنسانية فى مشرقها الجديد حياة رشيدة وآمالا صادقة .

وكان من بواكير الغايات التى أبه لها القرآن فى تربيته الحديثة للنفوس أن ينتزع المرء من وثنيته ، ومن تبعيته للأشخاص ، ويقصره على الصلة بربه ، حتى تـكون صلة إيمـان مخلوق بخالقه : لا تقديس إنسان لصنم ، ولا سيطرة إنسان متبوع على إنسان تابع .

وبتركيز هذا الأصل نهضت شخصيات كانت قابعة وتوارت عن محيط الجماعة الإسلامية تلك السيطرة التى أذلت رقاب مستضعفين لـكبراء ، وحبست أناسا على أناس ، حتى تلاشت فى غمار ذلك حريات الإرادة ، وتعثرت عقليات ربمـا كانت موهوبة ، والتوت عن الوجهة الصالحة أفـكار ربمـا كانت تجدى .

بل طغت تلك السيطرة ، واستسلمت تلك التبعية ، حتى كان المستضعفون يضلون بضلال كبرائهم ، ويـكـفرون بـكـفرهم ، ثم لم يفيقوا من ورطتهم هـذه حتى انطوت بهم الأيام ولم يبق لهم غير ذكريات مخزيات على لسان الزمن ، ومآس فاجعات تنتظرهم يوم يعرضون على ربهم قيود المستكبرون لو تبرأوا من أتباعهم ، ويعتذر المستضعفون عن أنفسهم ، ثم يستسلم الفريقان لمـا قضى به فى شأنهم [إنا كل فيها ـ النار ـ إن الله قد حكم بين العباد] .

وإذ كان الإسلام الجديد يأبى على أمته الجديدة أن تحيا تلك الحياة الذليلة ، كان لا بد له أن يطلق الأفـكار من تقاليدها الرثة ، ويستخلص الإنسانية من عوائقها الوهمية ، لتسير على فطرتها إلى أهدافها السامية .

ورجعة إلى سياسة القرآن فى تربيته الصالحة نراه ـ مع ما شرع من عبادات ، ووضع من نظم ـ عنى بوسيلة توجيهية ، ربمـا كانت أقوى أثرا فى تـكوين الشخصية ، وأجلى مظهرا

فى سلامة التفكير ، وتركيز الشعور بأن الناس فى الإنسانية سواسية كأسنان المشط ، لا يرجح بعضهم على بعض إلا بقدر ما تدعو النظم الاجتماعية فى حدود معينة ، تلك الوسيلة هى : اجتذاب الناس إلى ربهم بما شرع لهم من الدعاء ، والرجوع إليه فى كل ما يحزبهم من شأن ، وكل ما يروق لهم من أمل .

وقد لا يكون الدعاء مبتدعا فى القرآن ، ولكنه فيه بلغ شأوا آكد وأرحب ، وما أحسب (إلا أغلف القلب) من يرى الدعاء حيلة البؤساء ووسيلة المستضعفين ، فإن الدعاء عروة وثقى ، يتعلق بها العبد فيما هو بسبيله من أعمال ، أو فيما هو قادم عليه من أهوال ، فيكون مستأنسا برعاية الله ، مطمئنا إلى معونته « الذين آمنوا ، وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، وليس يستغنى عن حماية الله ورعايته من يعيش تحت سمائه ، وإن غفل عن ذلك الغافلون .

وما أحسب ـ كذلك ـ من يظن الدعاء فى جانب الآخرة وحدها : لا فى جانب الدنيا ، فإن الدنيا نعمة موهوبة من الله ، وفى الدعاء بشأن من شأنها الحلال اعتراف بالنعمة ، ونوع من الشكر يتقدم به العبد إلى ربه ، والله يحب كل أنواع الشكر ، ويزيد سائر الشاكرين من فضله كما تعهد فى قوله : « وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم » .

وقد بلغ من شأن الدعاء عند الله ـ كوسيلة من وسائل التربية والتثقيف ـ أن الله يستحثنا عليه فى كثير من آياته ، ويستنهضنا إلى عطائه ـ فى الدنيا : حظا ورزقا وتأييدا ، وفى الآخرة : عفوا ورضوانا ومثوبة ـ حتى ليرى الناظر إلى تلك الآيات وكثرتها أن كل دعوة مجابة ، وأن كل رجاء مقبول .

وما دامت هذه التوجيهات من جانب الله فى كتابه ، مع ما يؤازرها من حديث نبيه الصادق ، فهى وعود حقة ، والله لا يخلف وعده مع من اتجه إليه بخالص الرجاء .

ويسهل عليك أن تراجع من الآيات ما يحضرك ليتبين لك ما نحن بسبيله من خطورة الدعاء شأنا فى توثيق الصلة بين العبد وربه ، واستعانته بالله على الدنيا .

فالله تعالى يقول : « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » ، وهذا إطلاق فى التكليف لم يقف به عند نوع خاص من أنواع الدعاء ، فهو يشمل ما يتصل بالآخرة والدنيا جميعا ، كما يشمل أنواع العبادة المرسومة ، فما هى كذلك إلا دعاء ضمنى ، وتسبيح وتكبير ، وطاعات أخرى تؤول كلها إلى طلب مرضاته والتماس مثوبته ، ثم يقول : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان » ، وهذا استنهاض قوى إلى الله بذكر قربه

من عباده ، وأنه يجيب دعوة الداعى إذا وجه نفسه إليه ودعا بما يدعو ، راجيا من فضله ، غير قانط ولا مدخول النية .

وفى مقام التدليل على ألوهيته وحده ، يقول سبحانه : [أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون] فهذا امتنان بقبول الدعاء ، وإنما يمتن الله بالشيء ذى البال ، وفيه مواجهة بوصف يعرفه العبد عن نفسه ولكنه ينساه ، وهو أنه يفزع - حينما يتحرج أمره ، ولا تسعفه الحيلة - إلى من بيده الأمر كله فيدعوه ليكشف عنه السوء .

وكذلك يستنهض الله عباده إلى دعائه ، ويعلمهم من أدب الدعاء ما يكفل قبوله ، ويقول فى ذلك : [ادعوا ربكم تضرعا وخفية] فالتضرع أدب فى خشوع ، والخفية تجرد عن الرياء ومن لم يطب نفساً إلى دعاء ربه آخذاً بهذين الوصفين فهو معتد على مقام الألوهية ، وهو بغيض إلى الله [إنه لا يحب المعتدين] بل تأخذ الآية فى توجيه الإنسان إلى سبيل أجدى عليه فى الدعاء ، فتنهاه عن الفساد فى الأرض : أيا كان نوع الفساد فيها ، ليكون غير محارب لربه ، وتغريه بالدعاء خوفا من بأسه وطمعاً فى فضله ، والمؤمن الحق يعيش دائماً على الخوف والطمع ، والحذر والرجاء ، ومن كان كذلك فهو المحسن الجدير بما وعد الله أهل الإحسان [ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ، وادعوه خوفا وطمعا ، إن رحمة الله قريب من المحسنين] فأنت ترى أن هذه الآية تنتزعك انتزاعا من الركون إلى غير ربك ، وتدفعك دفعاً إلى رحابه الفياضة ، وكان حسبك أن الله يعلم شأنك ، ولكنه يحب نجوى عباده : ضراعة إليه ، ليرفع من شأنهم ، ووقوفاً لديه ، ليجزل من عطائهم .

وعلى هذا النمط ، تأخذ بنا الآيات إلى مواطن الأمل فيمن عنده أصدق الأمل ، فإذا قدر لنا أن نسلم وجوهنا إليه محسنين ، انجابت الوثنية فى كل شكل من أشكالها ، وتقلصت التبعية المقيتة التى هى صورة من صور الوثنية ، وصارت القلوب والجوارح متجهة إلى الله وعاملة على هدى الله [ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم] .

ولئن اتضح لنا أن الدعاء - بمشروعيته ، أو بما ورد من آيات التكليف به ، وبما فى تلك الآيات من وعود كريمة ، وتهديدات شديدة - سبيل مستقيمة إلى الله ، فقد يزيدنا تأكداً من هذا البيان أن آيات أخرى جاءت بأنواع من الدعاء ، فهى نماذج واضحة تطابق كل أمل نرتجيه ، وتساير كل رغبة نتعشقها .

فهناك دعاء بالزوجات والذرية ، ودعاء بالأرزاق والأموال ، ودعاء بالنصر على الخصوم ، وعدم شماتة الأعداء ، ودعاء بطول الأجل ، ونجح الأمل ، ودعاء جامع بحسنة فى الدنيا وحسنة فى الآخرة ، بل فى القرآن أدعية وأدعية ، وكلها جرت على ألسنة الأنبياء والصالحين الأولين . وقص الله علينا سيرهم لنحذو حذوهم ، فندعو بما شئنا ، وبما ورثنا من أدعيتهم ، وكل هذا طيب والله طيب لا يقبل إلا طيبا [إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد] .

أما ما يكون من سفه وبذاء ، ولغو ومجون ، فانه بغيض إلى الله ، يرده على أهله [لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ، إلا من ظلم] .

وإذ تبين لك إغراء القرآن بما يطيب من دعاء الخير فقد أفسح الله لنا فى معرضه بجعله مستساغا فى كل وقت من ليل أو نهار ، وعلى أى حال من قيام أو قعود ، وإن كان بعض الأزمنة أفضل من بعض ، وبعض الأمكنة أفضل من بعض ، وبعض الأشخاص أفضل من بعض ، فأوقات السحر ، وساعات الوقوف بين يدى الله ، وأماكن العبادة ، ومواقف الحج أفضل مما عداها ، وكذلك الأتقياء وأهل الإحسان ، والوالدان والرحم الموصولة أقرب دعاء من سواهم ، والنبى ﷺ يقول « إن لله خواص فى الأزمنة ، والأمكنة ، والأشخاص » .

وبذلك يتاح لمن أراد أن يكون فى معية الله ورعايته أن يجعل لسانه رطبا بالدعاء وإن كان قائما بشأنه ، أو كادحا فى حياته ، أو مهيمنا على الشئون العامة . فإنها صلة القلب - إن المحب عن العزال فى صمم - .

وبعد — فهل ترى الدعاء — وذلك شأنه — مجرد وسيلة عنى بها القرآن لتربية أفراد ممن آمنوا به ؟ لو كان كذلك لكان شأنه أهون .

ولكن الله جعل فى الأدعية تعاطفا بين القلوب ، وتجاوبا بين الشعور ، وتناصرا بالألسن ، والتقاء عند الغاية . فاذا رددته الألسن بزفرات الضراعة ، وتصاعد هنا وهناك من أفراد المسلمين وجماعاتهم ، كان مظهرا للوحدة فى العقيدة ، وللوحدة فى الوسائل والأهداف ، وكانوا كشأنهم فى الصلوات ، والمناسك ، وإن أمة تتجمع قلوبها وألسنتها ، وتتحد أو تتقارب غاياتها ، لجديرة أن يستجيب الله لها ، وأن يمكن لها دينها ، ويشد من أزرها وذلك وعد الله وكم صدق الله وعده وأعز جنده ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

السنة

الحياء النبوي

درجات الحياء ـ مكان الحياء النبوي منها ـ مثل من هذا الحياء قبل الرسالة وبعدها ـ عظمة هذا الحياء واتساقه مع الفضائل النبوية ـ حياء العبودية ـ حياء الإجلال والمعرفة ـ حياء الكرم ـ قبس من مكارم النبوة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ : « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا . وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئاً عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ » .

رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم .

* * *

العذراء : البكر ، من العُذرة ، وهي جلدة البكارة ؛ والخدر : الستر وزناً ومعنى ، وأخدرت الجارية : لزمت الخدر ، وأخدرها أهلها وخدّروها : ستروها وصانوها عن الامتهان والخروج لقضاء حوائجها .

* * *

حاولنا أن نبين في الجزء الماضي مكان الحياء من الإيمان ، ونحاول أن نبين في هذا الجزء مكان الحياء النبوي من الإنسان ، نعني الإنسان الكامل الذي صنعه الله على عينه ، وصاغه بيده الكريمة من مكارم الأخلاق .

ومهما نبلغ الجهد من هذه المحاولة ، فلن نصيب منها إلا بمقدار ما نلم من أخلاق هذا الإنسان الكريم ، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، ثم أثنى عليه بقوله الحق : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

من الحياء ما هو غرزى جبلى ، ومنه ما هو تربوى مكتسب . ويقع هذا الثانى على أنحاء ووجوه شتى ، أبلغها ابن القيم فى « مدارج السالكين » عشرة : حياء جناية ، وحياء تقصير ، وحياء إجلال ، وحياء كرم ، وحياء حشمة ، وحياء استصغار للنفس واحتقار لها ، وحياء محبة ، وحياء عبودية ، وحياء شرف وعزة ، وحياء المستحى من نفسه .

أجمل ابن القيم هذه الوجوه ، ثم أخذ يفصلها تفصيلا [1] .

وسنرى بعد أن نعرض طرفا يسيرا من سيرته صلوات الله وسلامه عليه ، كيف آتاه الله تعالى من الحياء الجبلى أعدله وأجمله ، ومن الحياء الكسبى - على اختلاف وجوهه - أجزله وأكمله ؟ ! وكيف كان حياؤه يهيمن عليه فى سره وجهره ، وسائر معاملته : مع ربه ، ونفسه ، وأهله ، وعشيرته ، وصحابته ، وأمته ، منذ نشأته الأولى ، إلى أن ألحقه الله بالرفيق الأعلى ؟ ! ثم كيف كان هذا الحياء النبوى العجيب ، لا ينال من بعيد أو من قريب ، شجاعته وإقدامه ودعوته إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وغضبه لله عز وجل ، وتعظيمه لحرمات الله ، وشدة غيرته على دين الله ، وجهاده للكفار والمنافقين وغلظته عليهم كما أمره الله سبحانه ؟ ! .

ولئن صح ما قيل : إن الشجاع لا يكون حييا ، لأن الحياء يمت إلى الجبن بنسب - إن هذا لا ينبغى لمن جمله الله بالمكارم ، وزينه بالفضائل ، وجعلها فيه - كاملة مكملة - على اتساق وتضافر ، لا يبغى بعضها على بعض ، ولا تنقص واحدة من صاحبتها فتيلا . ومما لا موضع للجدال فيه أنه كان صلوات الله وسلامه عليه أعظم الناس شجاعة وإقداما ، مع أنه كان أشدهم حياء ، وأكثرهم عن العورات إغضاء .

والصواب أن الحياء وسط بين الخجل والوقاحة ، وهو من الفضائل التى تنتظمها العفة - كما قال ابن مسكويه - وليس الجبن منه فى شىء ، والخجل : حيرة النفس لفرط الحياء ، والوقاحة : لجاج النفس فى تعاطى القبيح . . وأيا ما كان الحياء فإنه محمود ما لم يفض بصاحبه إلى منقصة أو يحول بينه وبين مكرمة . وما كان حياء النبى ﷺ - على شدته - ليحول بينه وبين مكرمة ولا فضيلة ، بل كان على العكس من حياء الناس ، يظاهره على الفضائل ، ويعاونه على المكارم ، فى رفق وأناة ، وعلم وحكمة .

* * *

(١) راجع ص ١٤٤ ج ٢ من مدارج السالكين .

ها نحن أولاء نقرأ فيما نقرأ من معاملته ﷺ لربه وعبادته له ، أنه كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ؟ فيقال له : يا رسول الله أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ وسم هذا إن شئت حياء العبودية ، وهو مزيج من المحبة والخوف ومشاهدة التقصير فى حق العلى الكبير جل ثناؤه ، وإن العبد إن جد فى عبادته فهى دون ما ينبغى لجلال وجهه ، سبحانه لا نحصى ثناء عليه ، وإن شئت فسمه حياء الإجلال ، وهو حياء المعرفة ، وعلى حسب معرفة العبد بربه يكون حياؤه منه ، لا جرم أنه صلى الله عليه وسلم أعرف الناس بربه وأعلمهم به وأخشاهم له .

* * *

ونقرأ فيما نقرأ من معاملته للناس ، أنه لم يجابه أحداً قط بما يكره ، حياء وكرم نفس ؛ فإذا أتى أحد مالا يحب تغير وجهه وعرف ذلك منه[1] . وإذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ؟ ولكن يقول : ما بال أقوام يصنعون كذا أو يقولون كذا ؟ ينهى عن الشيء ولا يسمى فاعله ، دخل عليه رجل به أثر صفرة كرهها ، فلما خرج قال : لو قلتم له يغسل هذا ! .

ولم يكن - لشدة حيائه - يثبت بصره فى وجه أحد ، وكان يكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره ، وما عرف عنه تصريح بمباشرة النساء قط ، اللهم إلا فى حدود الله عز وجل كما فى حديث الذى اعترف بالزنى وجاء إليه ليطهره بإقامة الحد ، فقال له : لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت ، فلما رآه مصراً قال : أفعلت كذا ؟ لا يكنى . وسبب هذا التصريح الذى لا مناص منه أنه كان يدرأ الحدود بالشبهات .

وما رؤى مادّا رجله بين أصحابه قط ، وما كان فى جده ومزحه فاحشا ولا متفحشاً ولا سخاباً بالأسواق ، وما جزى بالسيئة سيئة ، ولكن كان يعفو ويصفح ، وما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله بها ، وكان يبدأ أصحابه بالسلام والمصافحة ، ولا ينزع يده قبل أن ينزعها من صافحه ، وربما استوقفته الأمة أو العجوز فى الطريق وكلمته فلا ينصرف قبل أن تفرغ من حديثها .

---

(١) لأن وجهه كالقمر ليلة البدر . وما يكرهه كالغيم يبدو عليه .

وما مست يده يد امرأة قط إلا أن تكون زوجا أو محرما ، وما ضرب بيده الشريفة خادماً ولا امرأة ، وخدمه أنس رضى الله عنه عشر سنين - مدة إقامته بالمدينة - فما قال له مرة : أف ! ولا لشيء صنعه لم صنعته ؟ ولا لشيء تركه لم تركته ؟ وفى هذا دليل على كياسة أنس ونباهته وفطنته وحسن اختيار أمه لرسول الله ﷺ ، فقد قدمت به صبياً يتيما لا يعدو العاشرة وقالت له هذا خويدمك أنس ، فتقبله ﷺ منها ، ولم يحدثنا التاريخ - ولن يحدثنا - بمثل ما حدثنا به من أدب هذا الخادم ، ومكارم ذلك المخدوم ، ولكن كثيراً ما حدثنا أنه إذا حسنت أخلاق أحدهما ساءت أخلاق صاحبه ! .

* * *

وفى قصة زواجه بابنة عمته زينب بنت جحش - كما أمره الله تعالى - مثلان بليغان من شدة حيائه وكرم نفسه صلوات الله وسلامه عليه : أوحى الله إليه أن زيد بن حارثة - وكان يتبناه قبل الرسالة - سيطلق زينب ويتزوجها هو صلى الله عليه وسلم ، ليبطل الله على يديه شريعة فاسدة من شرائع الجاهلية ، وهى تحريم نكاح حليلة المتبنى ، وكان زيد كثيرا ما يشكو تعاليها وترفعها عليه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول له : « أمسك عليك زوجك » ويستحي أن يخبره بما قضى الله فى شأنهما انتظاراً للأمر الفصل من الله عز وجل . وقد عاتبه ربه على شدة هذا الحياء التى جاوزت الأولى به . ولو كان صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئا من الوحى - وحاشاه - لكتم هذه الآية التى اشتدت فى العتاب عليه شدة لم تبلغها شدة فى القرآن الكريم كله .

وابتلى هذا الحياء النبوى بثلاثة نفر تخلفوا عن القوم الذين طعموا فى وليمة زينب ، بعد أن زوجه الله إياها ، لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ، جلس هؤلاء النفر يتحدثون ويسمرون ، والنبى ﷺ يتهيأ للقيام ، ثم يقوم فينصرف القوم إرسالا ، وهؤلاء فى مجلسهم وسمرهم لا يتحركون ! حتى تنبهوا آخر الأمر إلى تردده صلى الله عليه وسلم والحياء يكسو وجهه دون أن يحرجهم بكلمة ، وعلى أثر خروجهم نزلت آية الحجاب : « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه » الآية ، ويسمى ابن القيم هذا الضرب من الحياء حياء الكرم .

* * *

وكان صلوات الله وسلامه عليه يستحيي ممن سأله ، حتى ليخيل لمن يراه أن المعطى هو الآخذ ، وهذا حياء الشرف والعزة ، وهو حياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ماهو دون قدرها من بذل أو عطاء أو إحسان .. حتى إن بعض الكرام لا تطاوعه نفسه بمواجهته لمن يعطيه حياء منه . . وقد بلغ من حيائه هذا أنه ما سئل شيئا قط فقال لا . إما أن يجيب سؤله أو أكثر منه ، وإما أن يرد سائله بميسور من القول إن لم يكن عنده شيء ، كذلك الذى سأله فقال : ما عندى شيء ولكن ابتع علىّ فاذا جاءنا شيء قضيناه . . وكان يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة .

* * *

وأما حياؤه فى بيته وخلوته فحسبك أنه ما عاب طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ، وما رأى أحد من نسائه عورته قط ، وهذه عائشة أحب نسائه إليه تقول : ما رأيت منه ولا رأى منى ، وقد طوت العورة وسترتها فى تعبيرها هذا ، حياء وأدبا مقتبسين من مكارم النبوة .

* * *

ذلك طرف يسير من أنباء حيائه صلى الله عليه وسلم منذ أن شرفه الله تعالى بالنبوة إلى أن ألحقه بالرفيق الأعلى ، وأما حياؤه فى النشأة الأولى ، فحسبنا ما حدث به أصحابه قال : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يفعلونه غير مرتين ، والله يحول بينى وبين ما أريد ؛ قلت لغلام كان يرعى معى : لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت حتى سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر ، فضرب على أذنى فنمت ، فما أيقظنى إلا مس الشمس ، فرجعت ولم أقض شيئاً ؛ ثم عرانى مرة أخرى مثل ذلك ، ثم لم أهم بعد ذلك بسوء حتى أكرمنى الله برسالته .

* * *

هذا قليل من كثير مما رواه الثقات الأثبات من أنباء هذا الخلق النبوى العظيم ، ولكن فيه لمن أراد أن يأتسى أسوة حسنة وبلاغ .

طه محمد الساكت

ديوان مجد الإسلام

من بدائع الشاعر الإسلامي الكبير أحمد محرم رحمه الله

بتعليق الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

غزوة السويق

كانت فى اليوم الخامس من ذى الحجة فى العام الثانى من الهجرة - نذر أبو سفيان بعد وقعة بدر ألا يمس النساء والطيب حتى يغزو النبي صلى الله عليه وسلم . ثم إنه خرج فى مائتى راكب من مشركى قريش ليبر بيمينه ، فنزل على مسافة بريد من المدينة ، وأتى بنى النضير ليلا يريد دار حيي بن أخطب فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له . فجاء إلى سلام ابن مشكم سيدهم وصاحب كنزهم فأذن له . واجتمع به ، ثم خرج إلى أصحابه فبعث رجالا منهم إلى المدينة فحرقوا نخلا بها ، ووجدوا رجلا من الأنصار - قيل أنه معبد بن عمرو - وحليفا لهم (الأنصار) فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين .

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يطلبهم فى مائتين من المهاجرين والأنصار ، فجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون للهرب بإلقاء جرب (جمع جراب) السويق . فيأخذه المسلمون وذهبوا فلم يدركوهم ، والسويق القمح أو الشعير يغلى ثم يطحن :

تأن (ابن حرب) لست فى مثلها جلدا ... قصاراك [1] أن ترتد حران أو تردى
هى الغارة الحرى ، فإن شئت فانطلق ... وإن شئت فاقعد واتخذ مضجعا بردا
جلا السيف فى (بدر) لعينيك ماجلا ... وأبدى لك النصر المؤزر ما أبدى [2]
حلفت : لئن لم تأت (طيبة) غازيا ... لتجتنبن الطيب والخرد الملدا [3]
أتغزو (رسول الله) أن هد بأسه ... من الكفر سداً ما رأى مثله سدا ؟

---

(١) القصارى : الجهد والغاية .

(٢) النصر المؤزر : البالغ الشديد .

(٣) الخرد الأبكار والخفرات من النساء ، والملد : الناعمات .

كذلك وعد الله لو كنت مؤمناً لايقنت أن الله لا يخلف الوعدا
جرى طيركم نحساً (ببدر) ولن تروا لكم ما عبدتم غيره طائرا سعدا
أمضك [١] وجد متلف من (محمد) ولست (أبا سفيان) إن لم تزد وجدا
رويداً هداك الله . إنك لن ترى له فى الوغى إن هجته للوغى ندا
أراك غررت القوم إذ رحت موجفاً [٢] تخادعهم عن حلقة لم تكن جدا
ذهبت تقود الجند يالك قائدا ويااللآلى سيقوا إلى (يثرب) جندا
تحاول نصرا من (حيي بن أخطب) و (صاحبه) هيهات زدت المدى بعدا
رددت عن الباب الذى جئت طارقا فيالك سهما ما ملكت له ردا
وما نلت خيرا إذ أتيت (ابن مشكم) وكنت امرءاً أعمى الهوى ، لايرى رشدا
بعثت على النخل الرجال ، فلم تدع لنفسك عزا تبتغيه ، ولا مجدا
شببت بهم ناراً ترامى لهيبها بعينيك يبكى (الضال) أو يضحك (الرندا) [٣]
فوارس راحوا خيفة فى سيوفهم فما وجدا سيفاً ، ولا صادفوا غمدا
يصيبونها شتى الجنى وكأنما يصيبون من أعدائهم معشرا لدا [٤]
تولوا سراعا بعد مقتل (معبد) و (صاحبه) والخيل تتبعهم جردا [٥]
عليها من الغر الميامين فتية تبادر ورد الموت ، تلتمس الخلدا
دعاها (الرسول المجتبى) فكأنما دعا عاصفاً صعباً يهد القوى هدا
مضى ومضوا إثر السراحين ترتمى الى (شيخها [٦]) مذعورة تتقى الأسدا
فلما رأى الجد استطار ولم يجد من الأرض يهوى فى مساربها بدا
يصيح بجند السوء : ألقوا بزادكم وفروا خفافا ، لايكن أمركم إدا [٧]

(١) مضه الامر وأمضه . أحزنه حزنا بالغا .
(٢) أوجف الرجل الفرس ونحوه يوجف أى يعدو ويسرع .
(٣) الضال والرند : نوعان من الشجر البرى ، قيل والأول السدر ، وهما مما ينبت فى أرض الحجاز .
(٤) من اللدد وهو شدة الخصومة .
(٥) من الجرد وهو قصر الشعر : صفة محمودة فى الخيل .
(٦) أبو سفيان .
(٧) الأد : الداهية ، والأمر المنكر الفظيع .

وطاروا شعاعا [1] (للسويق) وراءهم … ركام [2] الى أعداء أربابهم يهدى

هم رفدوهم كارهين ، ولو وفوا … بأيمانهم كانوا لأسيافهم رفدا [3]

اليك (ابن حرب) ان للحرب جذوة [4] … إذا هيجت ذا نجدة زادها وقدا [5]

هي النصر ، أوعاد من الموت واقع … بكل كمى ، لا مفر ، ولا معدى [6]

فورت تخاف الفقد فى حومة الوغى … بأيدى الألى يستعذبون بها الفقدا

أفى الحق أن لا تعبد الله وحده … وتسجد (للعزى) تكون لها عبدا ؟

سبيلان شتى ، أنت لابد عالم … اذا مااستبنت الرشد أيهما أهدى

رجعت مغيظا لم تنل وتر هالك … ولم تشف غيظاً من ذويك ولاحقدا

تصد (قريش) عنك مما كذبتها … ومنيتها — يا طول همك لو أجدى

قل الحق — ما للعالمين سكينة … على الأرض حتى يعبدوا (الواحدالفردا)

ترجمان الشافعي

لما مرض الإمام محمد بن إدريس الشافعي (رحمه الله) مرضه الذى مات فيه ، قال لمن كان عنده :

« إذا أنا مت ، فقولوا لفلان يغسلنى »

فلما توفى وأبلغوا كلمة الشافعى إلى ذلك الرجل قال : ائتونى بتذكرته . فجىء بها فوجد فيها على الشافعى سبعين ألف درهم دينا لفلان وفلان ، فكتبها الرجل على نفسه وقال : « هذا هو الغسل الذى أراده » .

---

(١) متفرقين .
(٢) الركام : الشيء المتراكم بعضه فوق بعض .
(٣) الرفد : العطاء ، ورفده : أعطاه .
(٤) الجذوة : القطعة من الجمر لا تنطفىء حتى تصير رماداً .
(٥) مصدر من وقدت النار إذا اشتعلت .
(٦) مصدر ميمى من عدا الأمر إذا جاوزه وانصرف عنه .

موهبة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية

في مثل هذا الشهر من العام الماضي [١] كتبت مقالا تحت هذا العنوان بينت فيه شيئا عما يدل على سياسة النبي صلى الله عليه وسلم الرشيدة التي ساس بها الناس جميعا أفرادا وجماعات، أصدقاء وأعداء. وأن هذه السياسة «كان مبعثها الرحمة والرفق، ومرماها النظر البعيد العميق، وأساسها المعرفة الشاملة الدقيقة بطبائع النفوس وغرائزها وانفعالاتها».

وما كان لمقال أن يفي بنواحي هذا البحث المتشعب الذي تناثرت خرزاته هنا وهناك في ثنايا السيرة المحمدية، وها أنذا أتابع الكتابة فيه حتى ينتظم العقد، وتصبح الحقيقة مجلوة سافرة.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة على تعدد فطرهم وطبائعهم واختلاف أهوائهم ومشاربهم وتباين أخلاقهم وأفكارهم. ومن وكلت إليه هذه المهمة الشاقة فلا بد أن يتسع عقله لعقول الناس جميعا وطبيعته لطبائع الخلق، وأخلاقه لما تباين من أخلاق الناس، ولا عجب إذا كان الله أعطاه من رجحان العقل وسعة القلب ورحابة الأخلاق ما جعله أهلا لأن يسوس أحوال الناس الخاصة والعامة على خير ما تكون سياسة، وقد أوفى رسول الله في هذا الباب على الغاية واستولى على جوانب الحكمة [٢]، وقد كانت تلك خصيصى لرسول الله لم يبلغ شأوه فيها أحد من صفوة صحابته على ما بهم من ذكاء وحدة ذهن، حتى من كان منهم ملهما محدثا، روى أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه، ثم قال له: أأحسنت إليك؟ قال الأعرابي: ولا أجملت. فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال: أأحسنت إليك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال عليه السلام إنك قلت ما قلت وفي

---

[١] عدد ربيع الاول لعام ١٣٧٢ من هذه المجلة الغراء.

[٢] ذكر القاضي عياض في [الشفاء] عن وهب بن منبه وهو من علماء أهل الكتاب «قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأياً. وفي رواية أخرى: فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا».

نفس أصحابى من ذلك شىء ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك . قال : نعم . فلما كان الغد أو العشى جاء فقال : إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى ، أكذلك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال عليه السلام : مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا ، فناداهم صاحبها : خلوا بينى وبين ناقتى ، فإنى أرفق بها منكم وأعلم ، فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار ، أليس فى هذه القصة أكبر دليل على أنه صلى الله عليه وسلم نسيج وحده فى سياسة الخلق ، والخبرة بأحوال النفوس والطبائع ؟

وكثيراً ما كان لهذه السياسة الحكيمة أثرها فى تأليف الناس واستمالتهم إلى الدخول فى الإسلام . روى أن زيد بن سعنة جاء إلى رسول الله قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه ، فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال : إنكم يا بنى عبد المطلب قوم مُطل . فانتهره عمر وشدد له فى القول ، والنبى ﷺ هادئ يبتسم ، فقال رسول الله لعمر أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج يا عمر ، تأمرنى بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضى . ثم قال : لقد بقى من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه . ترى ماذا كانت العاقبة ؟ لقد أسلم الرجل وحسن إسلامه ، وازداد يقينا بما جاء فى وصفه ، وأن ما ساس به النبى ﷺ زبدا لشىء فوق العدل ، فالعدل أن يأخذ حقه إذا حل أجله وأن لا يزيده شيئا ، وأن يقاد منه ما صنعه بالنبى ﷺ . وليس ترويع عمر له بأعظم من جبذه ثوب النبى وإغلاظه القول له ، ولكنها سياسة ذى الخلق العظيم .

وفى سرية من السرايا أسر المسلمون ثمامة بن أثال الحنفى من عظماء بنى حنيفة — وهم لا يعرفونه — وأتوا به إلى رسول الله أسيراً ، فعرفه رسول الله وعامله معاملة كريمة ، وأبقاه عنده ثلاثا عرض عليه فيها الإسلام عرضاً كريما ، فأبى ، فأطلق سراحه .

فماذا كان من ثمامة ؟ لقد استرقق هذه المعاملة ، فذهب واغتسل ثم عاد مسلماً مختارا وقال « يا محمد ، والله ما كان على الأرض من وجه أبغض إلى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى . والله ما كان على الأرض من دين أبغض إلى من دينك ،

فقد أصبح أحب الدين كله إلى . والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك ، فقد أصبح أحب البلاد إلى » . وقد كان لهذه السياسة الرشيدة مع ثمامة أثرها البعيد فى تاريخ الدعوة الإسلامية ، فقد آلى على نفسه أن لا يرسل لقريش شيئا من حبوب اليمامة حتى يسلموا ، فجهدوا جهداً شديدا ولم يجدوا بداً من الاستغاثة برسول الله فعاملهم ﷺ بما جبل عليه من رحمة وشفقة ، وكتب إلى ثمامة أن يخلى بينهم وبين ميرتهم ففعل . ولما ارتد أهل اليمامة ثبت ثمامة ومن اتبعه من قومه على الإسلام ، وصار ينهى المرتدين عن اتباع مسيلمة ويقول : « إياكم وأمراً مظلما لا نور فيه ، وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم ، وبلاء على من لم يأخذ به منكم » . ولما لم يجد معهم النصح عزم على مفارقتهم ، وخرج هو ومن تبعه ، وانضموا للعلاء بن الحضرمى مدداً له ، فكان ذلك مما فت فى عضد المرتدين .

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجمعون لقتاله بقيادة سيدهم الحارث بن أبى ضرار سارع بغزوهم ، فهزمهم فى عقر دارهم ، وسبى منهم كثيرا من الرجال والنساء والذرية ، وغنم مالا وفيرا ، وكانت فى السبى السيدة جويرية بنت الحارث فوقعت فى سهم أحد المسلمين فكاتبته على نفسها فجاءت إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس أو لابن عم له فكاتبته على نفسى ، فجئتك استعينك على كتابتى . هنالك تجلت الحكمة وقوة العارضة ، وفعل رسول الله على البديهة ما لم يفعله غيره بعد اختيار الرأى . إن بنى المصطلق من أعز العرب داراً وأكرمها أحسابا ، وأسر نسائهم وذراريهم بهذه الكثرة مما يشق على النفوس الأبية ويبقى فيها جرحا لا يندمل ، فماذا يكون الأمر ؟ لقد تفتق العقل الكبير عن عمل بارع رد بسببه على بنى المصطلق سبيهم ، واستعادوا به كرامتهم . فقال لها الرسول الذى يستشف ما وراء الحجب : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يارسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله ، قد فعلت . وخرج الخبر إلى المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية بنت الحارث ، فقالوا : أصهار رسول الله نسترقهم ؟ ! لن يكون . فأرسلوا كل ما بأيديهم . قالت عائشة رضى الله عنها . فلقد أعتق رسول الله بتزويجه إياها أهل مائة بيت من بنى المصطلق ، فما رأيت امرأة أعظم بركة على قومها منها . وروى الواقدى عن جويرية أنها قالت : فأعتقنى رسول الله وتزوجنى . والله ما كلمته فى قومى حتى كان المسلمون

هم الذين أرسلوهم . وما شعرت إلا بجارية من بنات عمى تخبرنى الخبر ، فحمدت الله تعالى . وبأسر هـــذا العمل الكريم قلوب بنى المصطلق ، فأسلموا عن بكرة أبيهم ، وأخلصوا للأسلام كل الأخلاص .

ومن المثل الرائعة فى باب السياسة المحمدية الفذة التى اشتجرت فيها الآراء وأشكل الأمر ، ولم يستبن وجه الحكمة فيها على بعض الصحابة رضوان الله عليهم حتى صاحب الموافقات الفاروق الأعظم عمر بن الخطاب رضى الله عنه - ما حدث فى صلح الحديبية . ففى السنة السادسة من الهجرة خرج رسول الله ﷺ معتمراً ومعه خلق كثير ، وقد ساقوا الهدى أمامهم إيذانا بأنهم لم يريدوا حرباً . فصدهم المشركون عن البيت ، وعسكر الرسول وأصحابه عند الحديبية ، وجاءت رسل قريش فأبان لهم الرسول عن قصده وأنه جاء معتمراً لا محاربا ، فتشبث المشركون بموقفهم ، وبدأت المفاوضات بين الفريقين ، وانتهت بصلح الحديبية المشهور ، وكانت شروط الصلح :

(١) وضع الحرب بين المسلمين والقرشيين بضع سنوات .

(٢) وأن من جاء المسلمين من قريش بغير إذن وليه يردونه عليهم ومن جاء المشركين من المسلمين لا يردونه عليهم .

(٣) ومن أحب أن يدخل فى عهد النبى ﷺ فليدخل ، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش فليدخل .

(٤) وأن يرجع المسلمون من عامهم هذا ، فإذا كان العام القابل دخلوا معتمرين وليس معهم من السلاح إلا السيوف فى القرب .

وقد راعى النبى ﷺ فى إنفاذ هذه المعاهدة المساهلة ، فقد دعا سيدنا عليا رضى الله عنه ليملى عليه فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل بن عمرو - مندوب قريش - لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم . فأمر عليا أن يكتب كما قال . ولما قال : اكتب هذا ماصالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، قال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلتك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فأمر رسول الله عليا أن يمحو « رسول الله » ويكتب « محمد بن عبد الله » ، فأبى ، فأخذ رسول الله الصحيفة وكتبها ، ومن يدرى فلولا هذه المساهلة لما تم الصلح ، ولما غنم المسلمون هذا الغنم الكبير من هذه المعاهدة .

وقد أغضب بعض المسلمين بعض هذه الشروط ولا سيما الشرط الثالث ، حتى قال الفاروق عمر للصديق أبي بكر : أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال عمر : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال عمر : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال فلماذا نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال الصديق الأعظم رضى الله عنه : يا عمر ، الزم غرزك ، فإنى أشهد أنه رسول الله حقا . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ولم تهدأ نفس عمر - وهو الشديد فى الحق - حتى أتى النبي ﷺ فقال له مثل ما قال للصديق ، فقال له ﷺ « أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني » .

وقد أفصح رسول الله عن السر الذى سهل له قبول هذا الشرط المجحف فى نظر البعض ، فقال « إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم ورددناه إليهم فسيجعل الله لهم فرجا ومخرجا » ، وصدق رسول الله ، فالإسلام فى غنى عمن يرتد عليه ، فالاستمساك به ليس من الحكمة فى شيء ، إذ سيكون كلا عليه . وأما من رد إلى المشركين وكان مخلصا فى عقيدته فلن يثنيه عنها تهديد أو إغراء ، وهان عليه فى سبيلها العذاب والبلاء .

وقد صدقت الأيام والحوادث بعد نظر النبي صلوات الله وسلامه عليه فى قبول هذا الشرط الذى غدا وبالا على المشركين ، فقد جاء أبو جندل بن سهيل يحجل فى قيوده إلى المسلمين - ومداد صحيفة العهد لم يجف بعد - فأخذ أبوه بتلابيبه وهو يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟! فقال له رسول الله « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فأن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا . إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم . وتمر هذه الحادثة ويعود المسلمون إلى المدينة فيأتيهم أبو بصير . عتبة بن أبى أسيد الثقفى فارّا بدينه فأرسلت قريش فى أثره رجلين يطلبانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله أتردنى إلى الكفار يفتنونى فى دينى بعد أن خلصنى الله منهم ؟! فقال له : « إن الله جاعل لك ولإخوانك فرجا ومخرجا » . فلم يجد بدا من الرجوع مع صاحبيه . وفى الطريق عند ذى الحليفة تحايل على أحدهما حتى أخذ سيفه فضربه به حتى برد ، وفر الآخر حتى أتى رسول الله وقال : قتل صاحبى وإنى لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يانبى الله قد - والله - أوفى الله ذمتك وقد رددتنى إليهم ثم أنجانى الله منهم . فقال له : اذهب حيث شئت

ولا تقم بالمدينة . فخرج حتى أتى سيف البحر حيث تمر تجارة قريش ولم يلبث أن لحق به أبو جندل وغيره ممن أسلم من قريش حتى تكونت منهم عصابة قطعت على قريش تجارتها ، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم فى التنازل عن هذا الشرط ، وأن من جاءه منهم فهو آمن .

وهكذا تكشفت الأيام عن سياسة النبي الحكيمة ، وعلم المتأملون أن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعظم بركة من رأيهم ، وأن الله جعل لهؤلاء — كما قال الرسول — فرجا ومخرجا . ولو أن رسول الله سار مع من كانوا يرون أن هذه الشروط مجحفة ، ولم يعمل على المساهلة عند كتابة الشروط ، لضاعت على المسلمين ثمار شهية هم كانوا أحوج إليها فى بناء صرح الإسلام ، ألم يكن فى قبول الصلح على هذه الشروط متنفس الدعوة الإسلامية ، فدخل الناس فيها أفواجا من كل فج ، وقد أمنوا على أنفسهم ودينهم وأموالهم ؟ بلى ، وليس أدل على ذلك من أن المسلمين فى الحديبية كانوا بضع عشرة مائة ، وفى فتح مكة كانوا عشرة آلاف . ولوأن النبي ﷺ لم يقبل هذا الشرط الذى لم يرض عنه البعض ، فهل يتحدث الناس أن محمداً يرغم من يرتد عن دينه إلى الرجوع إليه ؟ ثم أليس فى معاهدة القرشيين للنبي ﷺ اعتراف منهم بالنبي وأصحابه وأنهم أنداد لهم وعدول ، لا قوم ثائرون صابئون ؟ واعتراف بكيان الدعوة الإسلامية وسلطانها فى الجزيرة ، وبحق المسلمين المشروع فى زيارة البيت والتمتع بما حوله ؟ بلى وإن صلح الحديبية كان بعيد المدى فى تاريخ الإسلام وما فتح مكة إلا ثمرة من ثماره . ويرحم الله الصديق حيث يقول « ما كان فتح فى الإسلام أعظم من فتح الحديبية ، ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل بعجلة العباد ، حتى تبلغ الأمور ما أراد » وليس أدل على هذا الفتح من شهادة الحكيم العلام ، فقد أنزل على نبيه ﷺ مرجعه من الحديبية قوله سبحانه وتعالى « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » ، وقد ثلج لها صدر النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال « لقد أنزلت على الليلة سورة هى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » .

هذا ولا يزال فى باب السياسة المحمدية الحكيمة فصول عسى أن أعود إليها فى مناسبة أخرى إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

دولة الإسلام

بين الدين والسياسة

- ٢ -

وسبب آخر كان يدعو البعض إلى الحكم بالفسق أو الكفر ، غير مجرد ترتيب الآثار الشرعية فى قبول رواية المحكوم عليه أو رفضها ، وذلك هو الغلو والحماسة والحمية التى تأخذ البعض أحيانا .

فقد قالت طائفة من الصحابة : حبط عمل عامر بن الأكوع إذ ضرب نفسه بسيفه فى الحرب ، فأكذب النبى ﷺ ذلك . وعمر قد قال : دعنى أضرب عنق حاطب فقد نافق ، فأبطل رسول الله ﷺ ذلك . وثبت فى الصحيح أن أسيد بن حضير قال لسعد بن عبادة : إنك منافق تجادل عن المنافقين . وكذلك ما نقل من تكلم عمار فى عثمان إذ قال : لقد كفر عثمان كفرة صلعاء ! ! فأنكر الحسن بن على ذلك ، وكذلك علىّ نفسه وقال له : ياعمار أتكفر برب آمن به عثمان ؟ ؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة : « وقد تبين من ذلك أن الرجل المؤمن الذى هو ولىّ الله قد يعتقد كفر الرجل المؤمن الذى هو ولى الله ، ويكون مخطئا فى هذا الاعتقاد ، ولا يقدح هذا فى إيمان واحد منهما وولايته [1] » .

فهذا الغلو الذى يأخذ البعض بحسن نية قد ينقل الحكم من التخطئة أو التصويب إلى التكفير أو تقرير الإيمان . وهذا يزيد ويتفاقم عند الكثيرين ممن لا يتصورون صورة واقعية للمجتمع المثالى ، وتظل الفضائل عندهم خيالات لا يمكن أن تتحقق إلا فى عالم الأحلام ، أو فى الملأ الأعلى عند من لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، أو فى روضات

---

(١) (العواصم من القواصم) ص ٦٥ عن (منهاج السنة) ٣ : ١٩٢ - ١٩٣

الجنات حيث لا يسمع الناس لغواً ولا تأثيماً . وقد تتحقق هذه الصور فى بعض النماذج البشرية من أولى العزم ، ولكن لا يمكن أن تكون قاعدة مطردة فى دنيا : كل بنى آدم فيها خطاءون ، وخير الخطائين التوابون .

ولقد كان ممن دارت عليهم رحى الفتنة أمثال هؤلاء . قال السيد محب الدين الخطيب فى حواشيه التى علقها على كتاب « العواصم من القواصم » للقاضى ابن العربى : « الذين شاركوا فى الجناية على الإسلام يوم الدار - أى يوم مصرع عثمان ذى النورين (رضى الله عنه وجازى بعدله من استباح دمه الطاهر الشريف) طوائف على مراتب : فيهم الذين غلب عليهم الغلو فى الدين فأكبروا الهنات وارتكبوا فى إنكارها الموبقات »[١] .

والباحث إذا تجنب الغلو فلن ينزلق فى مهاوى تكفير المسلمين ، وتجريح العدول الأكرمين . قال ابن حزم : « وأما من أقدم على ما يعتقد حلالا فما لم يقم عليه فى تحريمه حجة فهو معذور مأجور وإن كان مخطئا ، وأهل الأهواء معتزليهم ومرجئهم وزيديهم وإباضيهم بهذه الصفة إلا من أخرجه هواه عن الإسلام الى كفر متفق على أنه كفر »[٢] كما قال أيضا « وكذلك التائب من الكبائر ومن الكفر أيضاً فهو عدل ، وليس هذا من باب ثبوت الحد عليه فى شىء ، لأن الملامة ساقطة عن التائب ، والحد عنه غير ساقط ، على حديث ماعز - فإن النبى صلى الله عليه وسلم رجمه بعد توبته وأمر بالاستغفار له ونهى عن سبه »[٣] .

بل إن العدل والإنصاف يقتضى منا ألا نعتبر الحكم بفسق واحد ورد قوله طرداً له من رحمة الله ، فلسنا نعرف كيف كانت خاتمته ، ولا سيما أن أصول الفقه تعتبر التجريح يغلب التعديل لأنه علم زائد عند المجرح لم يكن عند المعدل . فرب شخص نقل عنه ما يجرح وما يعدل ، ولم نستطع تبين أن عدالته لاحقة لجرحه وأنه تاب ، فهو عندنا مردود — فى حدود علمنا — وعند الله مقبول . ومن عدله عدل وجرحه عدل فهو ساقط الخبر . . . فلا خلاف فى أن كل من جمع عدالة ومعصية فأطاع فى قصة وصلى وصام وزكى ، وفسق فى أخرى فزنى أو شرب الخمر ، أو أتى كبيرة ، أو جاهر بصغيرة ، فإنه فاسق عند جميع الأمة

---

(١) العواصم من القواصم - ص ٥٨ هامش .

(٢) الاحكام حـ ١ ص ١٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٧ .

بلا خلاف ، ولا يقع عليه اسم عدل . ولو لم يفسق إلا من تمحض الشر ولا يعمل شيئاً من الخير لما فسق مسلم أبداً ، لأن توحيده خير وفضل وإحسان وبر . وفى صحة القول بأن فينا عدولا وفساقا بنص القرآن . ورضاً وغير رضا ، بيان ما قلنا . ولو أخذنا بالتعديل وأسقطنا التجريح لكنا قد كذبنا المجرح وذلك غير جائز ، [1] .

فأنت ترى أن الحكم على شخص بالفسق يحتمل معه للمحكوم عليه الفضل ، فلربما تاب توبة لو قسمت على أهل الأرض جميعا لكفتهم ولم يأتنا ذلك ، ولربما غفر له الله ما تقدم من ذنبه ولم نعرف . وصدق ابن حزم : « ولنا فى الدنيا غير أحكام الآخرة » [2] .

* * *

وبين الذين ابتغوا الحكم على عقائد الرجال ليقدروهم حق أقدارهم فى أخذ هذا الدين عنهم ، وبين الذين اندفعوا إلى الحكم على عقائد الرجال حمية وغيرة ، اندس فريق ليست لهم مثل هذه النيات الحسنة ، وأولئك هم أهل الأهواء الطائفية كاليهود ، والشعوبية كالفرس ، والعصبية كالمعهود من القبائل فى تنازعها ، والمذهبية كما حدث بين الفرق .

وهؤلاء زادوا الخرق اتساعاً ، ولم يتقوا الله ولم يخشوا عواقب الكذب والزور والفتنة وإطلاق اللسان بالباطل . ومن هنا جاءتنا كتب التاريخ مشحونة بأقوال المبطلين ، إمّا ليجمع المؤرخ كل الروايات ويترك الباطل منها يكشف عن نفسه بوهن سنده ومتنه ؛ وإما ليلبس المؤرخ على الناس الأمر إذا كان من أهل الأهواء . وتلقف المستشرقون هذه الأباطيل ، وتعجلوا طريق البحث ، ولم يتذوقوا خاصية العلم الإسلامى فى الرواية والإسناد - إلا القليل منهم - فاستوى عندهم الحق والباطل ، وأضافوا إلى ذلك دخيلة حقد على الإسلام ودولته وتاريخه فى نفوسهم ، ودعوى منهج تحليلى يكذبون به على الحقائق ، ويستنطقون السطور بما لا تنطق به ، ويزعمون أن هذا ما وراء السطور ، فأحالوا تاريخ الأمة التى عرفت فى جاهليتها بالبساطة والصراحة والشهامة ، وعلّمها الإسلام الوضوح فى القول والعمل ، والسر والعلن ، والحرب والسلم - أحالوا ذلك التاريخ إلى تاريخ

---

(١) المصدر نفسه ص ١٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ـ حـ ٢ ص ٨٥ .

مؤامرات ودسائس ، تجعل من خيام العرب فى الصحراء ، قصوراً لها من مكايد البلاط ما عرفته أوربا !!

ومن هنا كان لابد من (غربلة) التراث الإسلامى ، على طريقة من كتبوه بمعرفة السند المعتل من الصحيح ، وتبين الحق من الباطل ، لا على طريقة المستشرقين وتلاميذهم ممن فتنوا بتصنيف أحداث التاريخ على هواهم قبل تصحيح المادة التاريخية نفسها . ويحتاج منا هذا إلى ألا نضيق (بالدين) كما حدث أحيانا للسيد رفيق العظم حين شاهد الإسراف فى الحكم على الرجال بالكفر أو النفاق أو الفسق ، ولا ننظر إلى تاريخ المسلمين كأنه (سياسة) يستباح فيها أى قول وأى حكم ، بل يحتاج هذا منا إلى أن نقف الموقف الوسط العدل الصحيح ونقدر الدين قدره ، ونعرف أن أمانة الدين تدعو إلى أمانة العلم وهى محمودة مشكورة .

يقول القاضى أبو بكر بن العربى فى خاتمة تحقيقه لمواقف الصحابة بعد النبى ﷺ :

« إنما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق ، وخاصة من المفسرين والمؤرخين وأهل الآداب ، فإنهم أهل جهالة بحرمات الدين ، أو على بدعة مصرين . فلا تبالوا بما رووا ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاما إلا للطبرى [1] ، وغير ذلك هو الموت الأحمر ، والداء الأكبر ، فإنهم ينشئون أحاديث فيها استحقار الصحابة والسلف والاستخفاف بهم ، واختراع الاسترسال فى الأقوال والأفعال عنهم ، وخروج مقاصدهم من الدين إلى الدنيا وعن الحق إلى الهوى .

فإذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول سلمتم من هذه الحبائل ولم تطووا كشحا على هذه الغوائل . ومن أشد شيء على الناس جاهل عاقل ، أو مبتدع محتال . فأما الجاهل فهو ابن قتيبة فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما فى كتاب الإمامة والسياسة إن صح عنه جميع ما فيه [2] ، وكالمبرد فى كتابه الأدبى . وأين عقله من عقل ثعلب الإمام المتقدم فى أماليه ، فإنه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة . وأما المبتدع المحتال فالمسعودى ، فإنه يأتى منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك ، وأما البدعة فلا شك فيه ...

(١) بالطريقة التى وصفت فى مقالة (تاريخ الأمم والملوك) فى ص ٢١٠ - ٢١٥ من مجلة الأزهر فى سنتها الماضية .

(٢) ولم تصح نسبة الامامة والسياسة إليه وهو من هذا الكتاب برىء .

وهذا المأمون كان يقول بخلق القرآن وكذلك الواثق وأظهروا بدعتهم ... وهذا أشد من برودات أصحاب التواريخ من أن فلانا الخليفة شرب الخمر أو غنى أو فسق أو زنى . فإن هذا القول فى القرآن بدعة أو كفر – على اختلاف العلماء فيه – وهذه المعاصى لم يتظاهروا بها إن كانوا فعلوها ، فكيف يثبت ذلك عليهم بأقوال المغنين والبرّاد من المؤرخين الذين قصدوا بذكر ذلك عنهم تسهيل المعاصى على الناس ، وليقولوا إذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا فما يستبعد ذلك منا وساعدهم الرؤساء على إشاعة هذه الكتب وقراءتها لرغبتهم فى مثل أفعالهم ، حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وحتى سمحوا للجاحظ أن تقرأ كتبه فى المساجد وفيها من الباطل والكذب والمناكير ونسبته الأنبياء إلى أنهم ولدوا لغير رشدة كما قال فى إسحق عليه السلام فى كتاب الضلال والتضلال ، وكما مكنوا من قراءة كتب الفلاسفة فى إنكار الصانع وإبطال الشرائع لما لوزرائهم وخواصهم فى ذلك من الأغراض الفاسدة والمقاصد الباطلة ... وقد بينت لكم أنكم لا تقبلون على أنفسكم فى دينار بل فى درهم إلا عدلا بريئا من التهم سليما من الشهوة ، فكيف تقبلون فى أحوال السلف وما جرى بين الأوائل ممن ليس له مرتبة فى الدين فكيف فى العدالة (١) .

* * *

التعديل والتجريح ، ثم الحمية والغيرة . . . ثم الافتراء والهوى ، هذه العوامل الثلاثة فى نظرى هى التى أدت إلى أن يجد السيد رفيق العظم ما يجد فى نفسه وفى الكتب ، ثم يقول ما يقول (٢) .

إن تاريخنا الإسلامى يحتاج منا إلى جهد جهيد . . . يحتاج منا إلى نشر مكتبتنا نشراً جديداً محققاً مفهرساً ، ويحتاج منا إلى « مفاتيح منهجية » تكون كشافا بين يدى هذا التاريخ فى الرواية والرواة ، وفى التعديل والتجريح ، وفى تحديد صورة « الفرد المسلم » و « المجتمع المسلم » و « الدولة المسلمة » حتى يكون ذلك فى أيدينا ونحن بصدد تقديم « التفسير الإسلامى

---

(١) العواصم : ص ٢٤٧ – ٢٥٢ – راجع الحواشى أيضا فان فيها بيان طريقة الطبرى فى التأليف وإثبات أن الامامة والسياسة كتاب منحول لم يكتبه ابن قتيبة ، وعلاقة المبرد بالخوارج والمسعودى بالشيعة .

(٢) زد على ذلك ان كتبا كثيرة من كتب الاقدمين لم تطبع إلا بعد تأليفه كتابه ، ولو كانت فى متناول اليد يومئذ لا ينتفع بها .

للتاريخ ، فلا نغمط أقدار الرجال أو المجتمعات أو الدول ولا نبخس حظها من الإسلام ، ولا نغلو فى هذا الحظ تأثراً بالبريق واللمعان ... وتستطيع أن تقارن بين القلة المؤمنة التى أصابها القرح فى أُحد ، وبين الكثرة المنتصرة من المنتسبين للإسلام أيام الخلافة العثمانية على أيدى الانكشارية والدلاتية فى آسيا وأوربا ، لتعرف كيف يكون الميزان عند أهل الإيمان .

وإن التاريخ اليوم فى منهجه الحديث « تاريخ حضارة » ... وإن تاريخنا بهذه النظرة هو « تاريخ دعوة » لا مجرد « تاريخ دولة » ... فنحن نحتاج إلى من يتعقب هذا التاريخ فى صفوف الشعوب لا فى مقاعد الحكم وحدها .

فنتصل حلقات الداعين إلى الله على بصيرة منذ ترك محمد صلى الله عليه وسلم هذا المكان العظيم لورثة الأنبياء ، على اختلاف الزمان ، واختلاف المكان .

نحن نحتاج إلى الكثير ، حتى لا يخطىء الكثير فى فهم الإسلام وتاريخه ، وحتى لا يقول البعض ما قاله كتاب وزارة المعارف للسنة الثانية الثانوية « أهم مميزات الدولة الأموية أنها كانت سياسية أكثر منها دينية ، فكان كثير من خلفائها لا يهتمون كثيرا لأمر الدين بل كان بعضهم غير مكترث بالشعائر الإسلامية يدمنون الخمر ويتلهون بالصيد » !!! بل إن كتاب المعاهد الدينية الثانوية فيه كلام كهذا الكلام .

ويا ليت فى هذا الباطل سبة لمسلك فرد ، ولكنه سب لشعب بأسره ، ترك الدين ، وخذل عليا ، وقبل السياسة ، ومكن لمعاوية . !!!

فأى شعب هذا الذى قيل عنه هذا ؟ ؟ . إنه ليس شعب الزط أو الغجر أو الهنود الحمر أو زنوج استراليا . إنه شعب الإسلام ، وجيل الصحابة والتابعين ، والأمة المثالية التى كافأها الله بنشر دعوة الإسلام تحت راياتها فى أنحاء الأرض .

فاللهم رحماك ، ومغفرتك لما لا نعلمه من حق الذين سبقونا بإحسان ، وحق الإسلام الذى يراد أن يحكم ضده — إذ يحكم ضدهم لأنهم ثمرته ونتيجته ؟

محمد فتحى محمد عثمان
مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

غزوة بدر الكبرى

ميدان الاستراتيجية — والتكتيك — والفن الحربي

— ٢ —

تعليمات القائد :

بعد أن عدل النبي ﷺ صفوف المسلمين قال « إن دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبال (أي ادفعوهم عنكم بالنبل) واستبقوا نبلكم (أي لا ترموها على العدو وهو بعيد) ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم .

وبتحليل هذا الأمر نجد النقط المهمة الآتية : —

(ا) تأخير قذف السهام من النبال حتى يقترب الأعداء .

(ب) منع استعمال السيوف إلا إذا أصبح العدو قريبا جداً منهم . وقد ناقشنا هذا الأمر في بداية بحثنا ، وانتهينا إلى الإعجاب بمحمد رسول الله ﷺ الذي لم يتعلم الحرب ولا درس فنها في أي مدرسة عسكرية ، ثم يصدر تعليمات حربية تطابق تماما الأصول الحديثة في استخدام الأسلحة .

فإن من المبادىء الحديثة في الدفاع كبت النيران إلى اللحظة التي يصبح فيها العدو في المدى المؤثر لهذه الأسلحة ، وهذا ماعناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « استبقوا نبلكم » ، وذلك ليضمن تماماً ألا يطيش من سهامه سهم .

أما السلاح الأبيض فهو بطبيعة الحال سلاح القتال يداً ليد ، والذي لا يلجأ إليه إلا إذا أصبح العدو وسط القوات . وهذا ماعناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » .

الروح المعنوية :

لما بدأ القتال بين المسلمين وقريش أشفق النبي ﷺ على رجاله الثلاثمائة الذين يقاتلون قرابة الألف من المشركين ، فتوجه إلى ربه داعياً بكل جوارحه ، وظل مقبلا على

الدعاء حتى أنزل الله قوله تعالى : «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ، ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون » .

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجاله وقال لهم « والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » .

ألهب هذا الحديث نفوس المسلمين ، وزادهم قوة فى الروح المعنوية وإيمانا فوق إيمانهم . ويجدر بى أن أبين أن هذه الروح المعنوية للمسلمين كانت فى أرقى مراتبها ، لأن المسلمين كانوا يقاتلون عن إيمان وعقيدة ، يقاتلون بصدق فى سبيل مبدأ آمنوا بسلامته ، وآمنوا بأن له حق الانتشار ، وأدركوا أن عليهم واجبا مقدسا ألا وهو المحافظة عليه من خطر قريش الذين آذوهم بشتى صنوف الإيذاء ، وأخذوا منذ ظهور الإسلام يعذبون كل من أسلم ويبذلون كل ما فى وسعهم لمحاربة هذا الدين . هذه الروح المعنوية التى تأتى صادقة عن إيمان بالرسالة هى أرقى مراتب الروح المعنوية .

ولنأخذ مثلا من الأمثلة العديدة لارتفاع روح المسلمين المعنوية ، فإنه لما سمع عمير بن الحمام قول النبي صلى الله عليه وسلم كان فى يده بعض التمر يأكله ، فقال : أما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ وقذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، وما زال يقاتل حتى استشهد رضى الله عنه . وهاك مثلا آخر ، فإن قطبة بن عامر رمى حجرا بين الجيش وقال : لا أفر إلا إن فر هذا الحجر . وذلك دليل على عزمه الأكيد على الثبات فى محله حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا .

بل هناك ما هو أقوى وأغرب ، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان من المشركين ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

القناصة :

وفى خلال المعركة أمر بعض المسلمين بتوجيه كل همهم لاصطياد زعماء قريش وساداتها من بين صفوف الأعداء واستئصالهم ، وهذا هو كما نعلم صميم عمل القناصة الذين نعرفهم والذين يوجهون اهتمامهم لاصطياد الأشخاص الرئيسيين فى جيش العدو كالضباط وغيرهم ممن تحدث بقتلهم صدمة لجيشهم وارتباك .

وإذا كانت القاعدة الحديثة فى اختيار هـؤلاء القناصة هى المهارة فى الرماية ودقة الملاحظة ، فإن المسلمين زادوا عن ذلك بأن اختاروا لهـذا الواجب من كان بينه وبين أحد زعماء قريش ثأر قديم ، أى زادوا ما يمكن أن نسميه الرغبة المصلحية أو الشخصية فى القتل ، فقد اختاروا بلالا مثلا لا صطياد أمية بن خلف وهو من كبار قريش وكان يتفنن فى تعذيب بلال بسبب اعتناقه الإسلام فى أيام ظهوره ، فكان يأخذه إلى الصحراء فى القيظ ويضجعه على ظهره ويضع صخرة عظيمة على صدره ليرجع عن إسلامه ، ولكن بلالا كان يردد قولته المشهورة « أحد أحد » . وكذلك اختاروا ابن العفراء لقتل أبى جهل لمثل ذلك .

انتصار جيش الإسلام :

انتهى القتال برجحان كفة المسلمين على قلتهم العددية ، ولكن يرجع السر فى النصر إلى الروح المعنوية البالغة أرقى درجاتها ، فقد كان المسلمون يقاتلون عن عقيدة يؤمنون بها أشد الإيمان .

وقد خسرت قريش ٧٠ قتيلا و ٧٠ أسيرا ، وولى الباقون الأدبار . واستشهد من المسلمين أربعة عشر ولم يؤسر منهم أحد .

معاملة القتلى والأسرى :

أمر النبى صلى الله عليه وسلم بنقل قتلى قريش من مكان المعركة إلى مكان متسع منخفض يسمى بالقليب ودفنهم فيه ، ولقد كان من المعتاد فى هذه الأزمنة أن يمثل المنتصر بجثث عدوه المغلوب بقصد التشفى . ومن طرق التمثيل بالقتلى جدع الأنف وصلم الأذن وبقر البطن وغيرها ، ولكن النبى الكريم وضع الأسس الكريمة لمعاملة قتلى العدو فأمر بدفنهم ولم يفعل ما اعتاد الناس فعله فى هذا الزمن .

أما الأسرى فقد استقر رأى المسلمين على أخذ فداء منهم نظير إطلاق سراحهم ، وكان على المسلمين أن يقودوا أسراهم تحت الحراسة إلى المدينة حتى يفتديهم ذووهم ، وقد وضع لنا النبى صلى الله عليه وسلم القواعد الكريمة فى معاملة الأسرى فقال لأصحابه ـ بعد أن فرق بينهم الأسرى ليحرسوهم ـ « استوصوا بهم خيرا » . فنفذ المسلمون تعليماته .

ولنستمع فى ذلك إلى أسير من قريش اسمه أبو عزيز بن عمير يقول « كنت فى رهط

من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله إياهم بنا ، ماتقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها فأستحى فأردها على أحدهم فيردها على ما يمسها » .

هذه شهادة شاهد منهم تنطق بما لاقاه من حسن المعاملة وهو فى الأسر .

الغنائم :

أخذ المسلمون بعد انتهاء المعركة يتساءلون عن موضوع الغنائم التى بلغت ١٥٠ من الإبل و ١٠ أفراس ومتاعا وثيابا وطعاما كثيرا كان المشركون قد حملوه للتجارة .

انقسم المسلمون ثلاثة أقسام :

(ا) قوم جمعوا الغنائم فقالوا : نحن جمعناها فهى لنا .

(ب) وقوم طاردوا العدو فقالوا : نحن أحق بها ، فلولانا ما جمعتموها .

(ج) وقوم كانوا يحرسون النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما أنتم ولاهم أحق بها منا ، وكان لنا أن نقتل العدو ونأخذ المتاع .

أمر النبى ﷺ بجمع الغنائم ، وأقام عليها حارساً ، وبدأ يوزعها تنفيذاً لقوله تعالى (واعلموا أن ما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) .

كان العدل التام أساساً للتوزيع ، فلم ينس من استشهد فى المعركة ، بل أمر بنصيبه لورثته . وجعل حصة لمن لم يشهد المعركة ممن تخلفوا فى المدينة والجواسيس ، وأذكر منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد .

وهكذا جعل النبى ﷺ لكل من ساهم فى المعركة سواء بالقتال أو بجهود لصالح القتال نصيباً من الغنائم .

ولا يخفى ما لتوزيع الغنيمة من أثر على روح المقاتلين المعنوية . وحبذا لو حدث ذلك فى أقرب فرصة ، ولذة النصر لاتزال فى أشدها ، كما حدث فى هذه الغزوة .

خاتمـــة

وبعد فهذه غزوة بدر الكبرى أولى غزوات جيش الإسلام ، وقد نادى فيها محمد ابن عبد الله قائد جيش المسلمين فى صحراء العرب بمبادئ وأساليب جديرة بالبحث وقمينة بالإعجاب والتقدير .

ا ـ فقد أبرز أهمية القضاء على قوة العدو الاقتصادية وجعلها لا تقل أهمية عن القضاء على قوته العسكرية وتلك هى الاستراتيجية الصحيحة .

ب ـ وأبرز مبدأ الشورى ، وأن القائد الحكيم هو الذى يستشير ويستفيد من خبرة الخبراء كما يستفيد من شجاعة الشجعان .

ج ـ تعليمات القائد بكبت النيران .

د ـ الروح المعنوية وأرقى مراتبها .

هـ ـ استخدام الجواسيس والقناصة وقواعد اختيارهم .

و ـ معاملة القتلى والأسرى من الأعداء .

محمد جمال الدين محفوظ
يوزباشى أركان حرب



حكم عربية

• ما تكلمت فى الغضب بكلمة ندمت عليها فى الرضا .

مؤرق العجلى

• رب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشـــد منه .

الأحنف بن قيس

• الأعمى من يرى بغير عينه ، والأصم من يسمع بغير أذنه .

شوقى

نشأة كتب الأمالي وخصائصها

أمالي الشهاب الخفاجي

الخفاجي هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر قاضى القضاة الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصرى .

وهو يرجع نسبه إلى قبيلة (خفاجة) وسكن أبوه سرياقوس قرية من قرى الخانقاه .

وقد ترجم الشهاب نفسه فى آخر كتابه (ريحانة الألبا) فقال : كنت فى سن التمييز فى مغرس طيب النبات عزيز ، فى حجر والدى ، ممتعاً بذخائر طريفى وتالدى ، فلما درجت من عشى ، قرأت على خالى سيبويه زمانه علوم العربية ، ثم ترقيت فقرأت المعانى والمنطق وبقية علوم الأدب الإثنى عشر ، ونظرت كتب المذهبين : مذهب أبى حنيفة ، والشافعى .

ومن أجل من أخذت عنه شيخ الإسلام ابن شيخ الإسلام الشمس الرملى ، قرأت عليه شيئاً من صحيح مسلم ، وأجاز لى بذلك وبجميع مؤلفاته ومرياوته بروايته عن شيخ الإسلام القاضى زكريا الأنصارى .

ومنهم العلامة خاتمة الحفاظ والمحدثين إبراهيم العلقمى قرأت عليه الشفاء بتمامه . ومنهم العلامة فى سائر الفنون على بن غانم المقدسى الحنفى ، حضرت دروسه وقرأت عليه الحديث وكتب لى إجازة بخطه .

وممن أخذت عنه الأدب والشعر شيخنا العلامة أحمد العلقمى ، والعلامة محمد الصالحى الشامى .

وممن أخذت عنه الطب الشيخ داود البصير .

ثم ارتحلت مع والدى للحرمين الشريفين وقرأت ثمة على الشيخ ابن جار الله العصام وغيره .

ثم ارتحلت إلى قسطنطينية فتشرفت بمن فيها من الفضلاء والمصنفين واستفدت منهم وتخرجت عليهم . وأجلهم أستاذى سعد الملة والدين بن حسن أخذ عن خاتمة المفسرين أبى السعود العمارى .

وكان لما وصل إلى الروم فى رحلته الأولى ولى القضاء ببلاد روم إيلى حتى وصل إلى أعلى مناصبها ثم فى زمن السلطان مراد توصل حتى اشتهر بالفضل الباهر ، فولاه السلطان قضاء سلانيك فحصل بها مالا كثيراً ، ثم أعطى بعدها قضاء مصر .

أخذ عنه جماعة اشتهروا بالفضل ، من جملتهم العلامة عبد القادر البغدادى صاحب الخزانة

أما آثاره العلمية فكثيرة منها :

١ — الريحانة واسمها (ريحانة الألبا ، وزهرة الحياة الدنيا) يقول فيها : « هذه ذخائر من خبايا الزوايا ، فيما فى الرجال من البقايا » ، وهى تراجم أدبية واسعة لشعراء القرن الحادى عشر وأدبائه وعلمائه فى مصر والشام واليمن والحجاز والمغرب .

وقد بنى الخفاجى الريحانة على التراجم ، ولكنه توسع فى تراجم الشعراء فشرح أقوالهم ونقد ما يستحق النقد منها — وهو كتاب أدب وتاريخ جليل الفائدة .

٢ — شفاء الغليل ، بما فى كلام العرب من الدخيل .

صدره بمقدمة فى التعريب وشروطه ، ثم أورد الكلمات المعربة مرتبة على حروف المعجم وبيّن أصلها فى لغاتها الأولى ، وكان يأتى بين هذه الألفاظ بكثير من المحرف والمولد ، مع الإشارة إلى أصلهما . غير أن به أوهاماً تدل على عدم معرفة الشهاب باللغات التى أسند إليها الألفاظ كالفارسية — والحبشية — والرومية .

٣ — شرح درة الغواص ، فى أوهام الخواص . وهو نقد شديد للحريرى فى درته تعقبه فى كل ما أورده فى « درة الغواص » ورد عليه بحجج وشواهد قوية تدل على سعة اطلاعه وغزارة علمه .

٤ — طراز المجالس . وهو كتاب (الأمالى) الذى سنفصل الحديث عنه .

٥ — حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ، سماها « عناية القاضى ، وكفاية الراضى » على تفسير البيضاوى وهى خير كتبه وأخصبها وأظهرها دلالة على فضله وروعة تحقيقاته .

٦ — شرح شفاء القاضى عياض ، وسماه « نسيم الرياض ، فى شرح شفاء القاضى عياض » .

وللخفاجى ديوان شعر منه نسخة خطية بخط المؤلف فى الخزانه التيمورية .

توفى رحمه الله تعالى لاثنتى عشرة خلت من شهر رمضان سنة تسع وستين وألف ، وقد أناف على التسعين ، فرحم الله الشهاب رحمة واسعة كفاء علمه وخصوبة بحثه وشمول فضله .

طراز المجالس :

وهو مجموع مجالس رتبه على خمسين مجلسا ، قال فى مقدمة هذه الأمالى : « فهذه بنات فكر زففتها إليك ، وأمالى مجالس أمليتها عليك ، مما تقربه عين الأدب ، ويتحلى بذوقه

لسان العرب . لو رآها ابن الشجرى لقال هـذه ثمرات الألباب ، أو ابن الحاجب لقام بين يديها من جملة الحجاب ، أو ثعلب لراغ عما أملاه ، أو القالى لهجر ما أملاه وقلاه . أو دعتها مالا يبلى على مرور الحقب ، وهل يصدأ مكنون الذهب » .

فأنت ترى من هـذه المقدمة أن الشهاب كان معجباً بنفسه مفتخراً بجهده ، وليس أدل على ذلك مما جاء فى خاتمة هذه المجالس حيث قال :

« هذه أبكار معان لم يشعر بها شاعر ، ودرر لم يغص فى بحارها خاطر ، إلا أن بها أمرا حميدا ، ومبدأ ساميا ، وهو إهداؤه لها إلى ساكن طيبة محمد سيد الرسل الكرام صلوات الله عليه

فالشهاب لم يقدم أماليه إلى ملك أو أمير ، ولم يرفعها إلى وال أو خليفة ، بل قدمها حسبة إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ، مما يدل على صدق إيمانه وعظيم تقواه .

ولا عجب فللشهاب قصائد عدة فى مدح الرسول ﷺ . منها مقصورته التى عارض بها مقصورة ابن دريد ، إلا أن ابن دريد كان قالها يمدح بها الشاه بن ميكال ، والشهاب قالها يمدح بها محمداً رسول الله ﷺ ، وللشهاب أيضاً ميمية عارض بها ميمية زهير بن أبى سلمى .

والذى يظهر لى أن هذه المجالس إنما ألفها الشهاب تقليدا للقدماء ، وجريا على سنن الأئمة السابقين ، ولا أحسب أنه كان يعقد لها مجلساً أو يحدد لها يوما .

وهو قد تناول فيها مسائل من علم الكلام ، ومسائل من علم الأصول والفقه ، ومطالب فى علوم المعانى والبيان ، ومشاكل فى علم الإعراب والنحو . ثم هى تضم فى ثناياها جملة من الأمثال ومقطوعات من الشعر وشرحا لدقائق من اللغة .

وأسلوبه فيها أن يفتتح المجلس بقوله .

سألت أقر الله عينك . أو سألت أكرمك الله ، أو سألت حماك الله . وأحيانا يترك هذه الافتتاحات ويأخذ فى الموضوع من غير هذه الديباجة .

وهى أيضاً تمتاز بالنقل عن كتب نادرة ، مثل كتاب (التعاقب) لابن جنى ، و (الأمالى) لابن الحاجب ، وكتاب (استطالة الفهم) للجاحظ .

وهذا أمر يسير متى علمنا أن مكتبة الشهاب قد حوت ما يزيد على عشرة آلاف مجلد .

ومن خير مجالسها المجلس الثانى الذى تكلم فيه على « التضمين » ، والمجلس الخمسون الذى ناقش فيه ابن حزم .

وسنكتفى بأن ننقل صورة لهذا المجلس لخطورته فى الدلالة على قوة عارضة الشهاب وصدق إيمانه وسعة عقله .

المجلس الخمسون :

طالعت كتب أبى محمد بن حزم ، فوجدته يمشى على غير الجادة ، فيأتى بأمور تأباها الطباع السليمة مع كثرة اطلاعه ، وطول باعه ، وفيها فوائد جليلة وعوائد جميلة .

فمن فوائده رحمه الله ما ذكره عن رجل من البصرة يسمى أحمد بن حائط المعتزلى تلميذ النظام وتلميذه أحمد بن يانوس ، ذكر أن له آراء فاسدة فيها رائحة لنقيصة الأنبياء وبعض الصحابة .

ثم ساق الشهاب مناقشة ابن حزم لأقوال ابن حائط .

وقال ابن حزم فى كتاب الملل والنحل :

إن فرقة من المبتدعة تقول إن نبينا ﷺ ليس هو بعد موته بنبى ورسول . وهذا قول ذهب إليه الأشعرية وأبو سليمان الباجى ومحمد بن حسن بن فورك الأصبهانى ، وبسببه قتله بالسم محمود بن سبكتكين . وهو قول مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة من ابتداء الإسلام إلى يوم القيامة .

ثم ساق رد ابن حزم على ابن حائط المعتزلى . غير أن الشهاب عقب على قول ابن حزم فقال :

إن فيما ذكره ابن حزم أموراً .

أما ما ذكره من أن رسالة النبى ونبوته باقيان بعد موته فهذا مما لا شبهة فيه ، لكن نسبة ضده للأشعرية غير صحيحة ، لأن السبكى ذكر أنه لم يقل به أحد منهم .

وأما ما نقله عن الباجى وابن فورك فلا يعلم حاله نفياً وإثباتا ، لأنه كلام يقتضى أنه لم يقل به أحد حتى الكرامية . وتفصيله فى الطبقات .

ومن المجالس التى ظهرت فيها شخصية الشهاب المجلس الحادى والعشرون :

المجلس الحادى والعشرون :

قوله عز وجل : « فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » .

قال ابن الحاجب فى الأمالى ما ملخصه :

فيها إشكالان :

الأول أن قوله (أن تضل) وقع تعليلا لاستشهاد (المرأتين) ، والظاهر أن العلة التذكير .

والجواب أن العلة فى الحقيقة هى التذكير ، لكن عادة بلغاء العرب أنه إذا كان للأمر علة ولعلته علة ، قدموا علة العلة وعطفوها عليها بالفاء لتحصل الدلالتان بعبارة واحدة نحو (أعددت الخشبة لأن يميل الحائط فأدعمها) ولو قيل إن الميل والضلال هو السبب لم يبعد على حد (قعدت عن الحرب للجبن والخوف) على أن هذا هو الباعث لاعداد الخشبة ولتعدد المرأتين فى الشهادة لا على أنه علة غائية .

الإشكال الثانى أنه أتى بالظاهر وهو (إحداهما) الثانية والمقام يقتضى الإضمار وأن يقال (فتذكر الأخرى) .

والجواب أن أصل الكلام (أن تذكر إحداهما الأخرى عند ضلالها) فقدم وأخر لما مر ، واقتضى ذلك أنه لا يقال إلا على ما عليه النظم ، لأنه لو قيل (أن تضل إحداهما فتذكرها الأخرى) وجب عود ضمير المفعول على الضالة كقولك (جاء رجل وضربته) فالجائى هو المضروب وهو مخل بالمعنى ، لأنها قد تكون الآن ضالة فى الشهادة ثم تكون ذاكرة فى زمن آخر ، والمذكرة هى الضالة . فإذا قيل فتذكرها الأخرى لم يفد ذلك لتعين عود الضمير إلى الضالة . وإذا قيل فتذكر إحداهما الأخرى كان مبهما فى كل واحدة منهما ، فلو ضلت إحداهما الآن وذكرتها الأخرى فذكرت كان هذا داخلا فى الكلام ، ولو انعكس الأمر والشهادة بعينها فى وقت آخر اندرج أيضاً تحته لأن قوله (فتذكر إحداهما الأخرى) غير معين .

ولو قال فتذكرها الأخرى لم يستقم أن يكون مندرجا إلا على التقدير الأول . فعلم أن العلة هى التذكير من إحداهما للأخرى كيفما قدر وإن اختلف ، وهذا لا يفيده إلا ما ذكرناه ، فوجب أن يقال (فتذكر إحداهما الأخرى) . وهذا الوجه الثانى هو الذى يصلح أن يكون جاريا على الوجهين المذكورين أولا ، وأنه فى التحقيق هو الذى وجب لأجل مجيئهما ظاهرين .

وأما الوجه الذى قبله فلا يستقيم إلا على التقدير الأول ، لأن الثانى جعل الضلال علة ، فلا يستقيم حينئذ أن يقال إن أصله (أن تذكر إحداهما الأخرى بضلالها) مع أن الضلال هو العلة . فثبت بما ذكرنا وجوب مجىء الآية على ما هى عليه ، ولو غير إلى المضمر اختل المعنى واختص ببعضه . انتهى .

قال الشهاب :

أقول هذا الكلام مع تعقيده فيه ما يكدر موارد الأفهام . وحاصل ما قاله أن « إحدى » الأولى هى الضالة أى الناسية المعينة ، والثانية غير معينة ليشمل النظم من يضل فى وقت أو حال أو بعض من المشهود به وتذكر فى غير ذلك فإنه قد يتفق مثله ، وهذا هو المراد . فلو أتى بالضمير لم يفده فليس هذا من وضع الظاهر موضع المضمر ، ولا من التكرار فى شىء .

وعلى هذا فقوله تذكر إحداهما الأخرى إحداهما فاعل والأخرى مفعول ، وهو يحتمل أيضا أن يكون إحداهما فاعلا والأخرى صفة والمفعول مقدر أى تذكرها إلى آخره .

ويحتمل أيضا أن إحداهما مفعول مقدم والأخرى فاعل وفيه تكلف ، وهو حينئذ من وضع الظاهر موضع المضمر وعلى ما قبله ، والذى اختاره ابن الحاجب ليس كذلك كما مر .

ثم إنه يرد على ما فى الأمالى أن لا يكون التفريع صحيحا ، لأنه لا يترتب على ضلال واحدة معينة إلا تذكير أخرى معينة . وأما تذكير واحدة ما لامرأة ما أخرى فلا . وسماجته أظهر من أن تذكر .

والحق عندى أن « إحدى » الأولى هى المخلة بشىء من الشهادة ! والثانية هى المذكرة لها ولهذا وصفت بالأخرى ، والأصل تذكرها إحداهما الأخرى ، وعدل عن تذكرها الأخرى مع أنه أوجز وأظهر لاقتضاء الجزالة والمقام له فإنه قد يتوهم أن التقصير فى إحدى الشهادتين مخل بها وكذا تلقينها للأخرى مما يوهم ضرره كتلقين أحد الشاهدين الممنوع شرعا .

وأشار بعنوان المرأة بأنها إحداهما إلى أنها مرضية وإن كان هذا ووصفها بالأخرى إشارة إلى مغايرتها للأولى دفعا للبس وهى مع المضلة كشىء واحد فلا يضر تلقينها . ولذا استنبط الفقهاء أعزهم الله أنه لا يفرق بين المرأتين فى الشهادة كالرجلين ، وما أشار إليه ابن الحاجب من الصور داخل فيه .

عبد الوهاب حمودة

طُرَفٌ : اللَّحْنُ عَلَى اللُّغَة

واللحن هنا الخطأ فى الأعراب قال ابن أسماء .

وحـــديث ألذه هو مما تشتهيه النفوس يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيا نا وأحلى الحديث ما كان لحنا

« تلحن أحيانا » فسره الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين « ص ١٤٧ ج ١ ط لجنة التأليف والنشر » بأنها تخرج على الإعراب فى حـديثها مسايرة لسليقتها وإرسالا للنفس على سجيتهـا .

ورده عليه رجال من العلمـاء باللغة ذاهبين إلى أن معنى اللحن فى البيت التورية فى الكلام ، من لحن له إذا قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره [1] فأراد الشاعر أن هذه المرأة تارة تتكلم بكلام واضح يفهمه جميع من سمعه ، وأخرى تخرج من التصريح إلى التلويح ليفهم من تريد إفهامه وحده « أمالى القالى ج ١ ص ٨ ، سمط اللآلى ج ١ ص ١٧ ، الفائق للزمخشرى ج ٢ ص ٥٦ ط حلبى » فهو كقول القطامى يصف سحر الحديث وأثره فى نفوس المحبين وما يجرى بينهم من اللمحات الدالة عندهم :

يقتلننا بحـــديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه بادى
فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع المـاء من ذى الغلة الصادى

واللحن بمعنى التورية كثير فى كلام العرب [2] من ذلك قول السيد الرسول لسعد ابن معاذ وسعد بن عبادة ائتيا بنى قريظة فإن كانوا على العهد فاعلمنا بذلك ، وإن كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنا لى لحنا أعرفه ، ولا تفتا فى أعضاد المسلمين « ج ٨ ص ١٩ رغبة الآمل »

وبيت مالك بن أسماء يحتمل المعنيين معاً وربمـا كان ما ذهب إليه الجاحظ أقرب

---

[١] المجلة ــ ولمـا كوشف الجاحظ بذلك اعترف بخطأه ، فقيل له : وهلا صححته ، فقال . كيف وقد سارت به البغال إلى أنحاء الأرض .

[٢] وقد ألف فيه ابن دريد صاحب الجمهرة كتابا مستقلا اسمه [الملاحن] طبع فى المطبعة السلفية بالقاهرة

إلى المراد ، لأنه يصف مجلس شراب وغناء ويحمد من الجارية فى مغانى اللهو أن تخلط جداً بهزل وتمزج إعرابا بإعجام وتبعد قليلا عن لغة الخفض والرفع ، فذلك أشبه بدلها، وأحرى أن يظهر مواطن الجمال فيها .

والعرب قبل اختلاطها بالأعاجم كانت صحيحة المنطق جارية على طبيعتها من الإعراب ، فلما امتدت الغزوات وكثرت السرارى فى البيوت وامتزجوا بغيرهم من الأمم فسدت سلائقهم ودب اللحن فى كلامهم وعظم الخطب فيه . وهم يحدثوننا أن من البلغاء وأبناء الخلفاء من كان يلحن .

روى المبرد فى كامله « ج ١ ص ١٩٦ » أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالداً فقال : لقد هممت اليوم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك . فقال : بئس والله ما هممت به فى ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين . فقال : إن خيلى مرت به فعبث بها وأصغرنى فقال له خالد : أنا أكفيك . فدخل خالد على عبد الملك — والوليد عنده — فقال : يا أمير المؤمنين الوليد ابن أمير المؤمنين مرت به خيل ابن عمه فعبث بها وأصغره — وعبد الملك مطرق — فرفع رأسه وقال « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » فقال خالد « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » فقال عبد الملك : أفى عبد الله تكلمنى ، فوالله لقد دخل على فما أقام لسانه لحناً . فقال خالد : أفعلى الوليد تعول ؟ فقال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان . فقال خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد فقال الوليد : اسكت يا خالد فوالله ما تعد فى العير ولا فى النفير . فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ، فمن العير والنفير غيرى ؟ جدى أبو سفيان صاحب العير ، وجدى عتبة ابن ربيعة صاحب النفير . ولكن لو قلت : غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان ، لقلنا : صدقت .

هذه المحاورة تعطينا أن رجلين من الأمويين أرباب البيان نشآ فى ظل الخلافة وغذيا بلبان الملك كانا يلحنان . والأمثلة تتكاثر فى هذا الباب فإن أردت المزيد منها فارجع إلى كتاب البيان والتبيين ولا سيما الجزء الثانى منه فقد عقد الجاحظ بابا للحن وعد فيه كثيرا من اللحانين . من ذلك أن الوليد صلى يوما الصبح بالناس فقرأ : « ياليتها كانت القاضية » (وضم تاء ياليتها) ، فسمعها عمر بن عبد العزيز فقال : ياليتها واسترحنا منك . ومما

أخذوه على الحجاج قراءته أحبُّ بالرفع فى قوله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره » . (الجمحى طبقات ص ٦ ، ابن الانبارى نزهة ص ١٩ ، ياقوت ارشاد ص ٢٩٦) .

وذكروا من اللحانين فى عصر بنى أمية عبيدالله بن زياد والحسن البصرى وخالداً القسرى وابن صفوان [1] . وفى الجزء الرابع من رغبة الآمل أن خالد بن صفوان كان يدخل على بلال بن أبى بردة يحدثه فيلحن ، فلما كثر ذلك على بلال قال له : أتحدثنى أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاءات ! فكان خالد يأتى المساجد ويتعلم الإعراب ، على أن خالداً هذا كان آية فى الفصاحة وكان الحجاج منقطع النظير فى البيان العربى وهم يقولون إن أربعة لم يلحنوا فى جد ولا هزل الشعبى وعبد الملك والحجاج وابن القرّية . وظنى أن أخبار لحنهم قد تزيد فيها خصومهم ليحطوا من أقدارهم فزادت فى أخطارهم ، ولولا أن الأحاديث فى الوليد بلغت مبلغا من الكثرة والاختلاف فى الرواية لما سوغنا اللحن على الحجاج وأضرابه ممن كانوا يعتبرون أئمة البيان ويتبوءون صدر ديوان المحسنين فى اللغة وآدابها ، إلا إذا قلنا : إن اللحن طرأ على الطبقات العليا فى عصر بنى أمية ، وقد يجوز أن تقع من الحجاج وأمثاله هنوات فى لحظة من لحظات السهو والغفلة فتحصى الرواة عليهم هذه السقطات لأن لحنة البليغ بلقاء مشهورة ، على أن الذى لاشك فيه هو أن اللغة فى أواخر هذا العصر طرأ عليها وهن أصاب فى الصميم مادتها وهدد بالمسخ صورتها .

لقد كان عمر بن الخطاب بعيد النظر ثاقب الذهن نافذ البصيرة حين أمر الغزاة ألا يتخذوا فى البلاد المفتوحة دوراً ولا ضياعا حتى تظل أخلاق العرب ولغتها بعيدة من الاضطراب ، وحتى لا تغرق هذه الفئة فى غمرات الأعاجم .

ولكن أكان هناك سبيل إلى عزلة تامة شاملة تكون كهفا حريزاً للطبائع العربية ولهجاتها ؟ لقد أخبرت الأيام أن هذا فى حكم المحال ، وأن هذه التطورات كان لابد منها ، لأن الرق أكثر من السرارى فى بيوت الطبقة الحاكمة فنشأ من الأمهات الأعجميات

(١) المجلة — وإنما ذكروا ذلك لغرابة اللحن من مثل هؤلاء ، وكان يقال عن الحجاج والحسن البصرى أنهما أفصح القرويين (أى المتحضرين) .

ناشئة تنزع فى كلامها إلى لكنات أعجمية [1] ويصعب عليها أن تقول فتعرب . ولأن هؤلاء الأعاجم دخلوا فى دين الله أفواجا ، فلم يمض مائة عام من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى غلب الإسلام فى كل بلد دخله الفاتحون ، وهؤلاء المسلمون الجدد يشق عليهم أن يقلدوا أهل البادية فى طرائق تعبيرها من غير أن يتعثروا فى الطريق ، وأن تنقاد لهم ألسنتهم من غير أن تنزع إلى ما كانت عليه ، وتاريخ اللحن قديم يرجع إلى ماقبل الإسلام إذا سلمنا بما يقوله الرواة ، ووجد فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم من قبل الموالى والمتعربين الذين دخلوا فى الإسلام ، ولكنه لم يكثر إلا بعد انتشار العرب فى الأمصار الأعجمية فأحس العقلاء بحاجة ملحة إلى وضع النحو وضبط قواعد اللغة ، ويكادون يجمعون على أن أبا الأسود الدؤلى أول من وضع أصوله بإرشاد الإمام على ، ويذكرون أنه سمع قارئا يقرأ « إن الله برىء من المشركين ورسوله » بالجر فوضع باب العطف ، وأنه سمع ابنته تقول : ما أحسن السماء (برفع أحسن) ؟ فقال : نجومها . فقالت . إنما تعجبت . فقال : افتحى فاك . ووضع باب التعجب . ثم جاء من بعده تلميذه عنبسة بن معدان المهرى . ثم ميمون الأقرع . ثم عبد الله الحضرمى . ثم عيسى بن عمر الجرمى . ثم الخليل بن أحمد الفراهيدى العالم المنقطع النظير فى علوم العربية كلها ، وعنه أخذ سيبويه ، فكمل أصوله وأكثر فروعه واستشهد عليه وألف كتابه فى النحو فجاء غاية فى الحسن والإحسان ، وإماما مرضيا لايجد طلاب العربية معدلا عنه ولا بديلا منه .

على أن النحو وحده وإن عصم من الزيغ فى الإعراب لم يعصم من الزيغ فى القراءة ، فاضطروا إلى شكل الحروف وإعجام المتشابه منها حفظا لكتاب الله أن يقرأ على غير وجهه .

ذلك أن القرآن فى عهد الرسول لا خوف عليه من الزلل فيه ، لأن الرسول يرد الشارد إلى الحظيرة ويأخذ بيد الضال إلى الجادة ، كذلك فى عهد الراشدين لتوفر عنايتهم على تناقله وضبط ألفاظه ، فمضت عهودهم والناس لا يفتقرون فى قراءته إلى شكل ولا إعجام . ثم وضع أبو الأسود نقطا لتمييز الحركات فالفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة أسفله والضمة بين يديه ، وهذا هو المعبر عنه بالشكل . وكان يكتب بالمداد الأحمر مخالفا للون الخط . وفى دار الكتب المصرية مصحف كوفى مشكول على هـــذه الصفة وجد فى جامع عمرو

(١) المجلة : ومن الأمثلة على ذلك عبيد الله بن زياد ، فقد طرأت اللكنة عليه من قبل أمه ، وهى لكنة فى مخارج الحروف لا فى صحة الاعراب .

وهو من أقدم المصاحف المعروفة ، وكانوا يستحسنون الشكل فى القرآن ويستهجنونه فى غيره ولم يكن الخواص فى حاجة إليه ، وكانوا يقولون : شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه .

فأما الإعجام فهو تمييز الحروف المتشابهة فى شكلها كالجيم والخاء والباء والتاء والثاء ، والغرض منه حماية القرآن من التصحيف فيه ، فإن الحجاج لما رأى الناس يقرأون كثيرا من كلمات التنزيل مصحفة فزع إلى كتابه أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابهة ، ودعا نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر فأدخلوا هذا الإصلاح على الخط العربى بعد معارضة شديدة من بعض معاصريهم ، ولكن سيف الحجاج كان حداً فاصلا ، فقبل الناس الإعجام وعمموه ، ونجا الخط العربى من فوضى التشابه ، وحفظ القرآن من التحريف فيه . والفضل فى ذلك لأبى الأسود وتلاميذه ، وللخلفاء بنى أمية وولاتهم الذين حاربوا اللحن بكل سلاح مستطاع ، وشجعوا العلماء وبذلوا لهم كل نفيس .

وبعض مؤرخى الآداب يرى أن أبا الأسود نقل قواعد النحو من السريانية لفروض افترضها ومشابهات التمسها ، وكلها تعوزها الحجة ويردها النظر الصحيح ، ومهما كان فلأبى الأسود وتلاميذه الأيادى البيضاء على العربية وعلومها ، فجزاهم الله خير ما يجزى به عباده العاملين ؟

عبد الغنى اسماعيل
أستاذ فى كلية اللغة

الأخلاق

قال روزفلت أحد رؤساء الولايات المتحدة : صحيح أن الذكى قد يعمل فى بعض الشئون أكثر وأفضل مما يعمل رجل الخلق ، كما أن صاحب القوة الفطرية الذى يدرب قد يتغلب على الضعيف المدرب — مهما كانت عزيمة هذا قوية وقلبه قلب أسد — ولكنك لن تجد فى أغلب معارك الحياة الكبرى قيمة للذكاء الفطرى أو الكمال الجسدى توازى قيمة تلك الفضائل الإيجابية أو السلبية التى تسمى « الأخلاق »

عقـــــــد التأمين

فى التشريع الاسلامى

— ٢ —

٨ — هـذا عن ولاء الموالاة فى التشريع الإسلامى ، أما عن الأساس القانونى الذى اعتمد عليه فى القول بوجود هذا الولاء فى المجال التشريعى الحالى ، ووجوب تدخل المشرع للاعتراف به ، والتوفيق بينه وبين التطور القانونى الوضعى الحديث ، فالقول فيه يتلخص فى أن عقد ولاء الموالاة هو صورة حية من صور (عقد التأمين Contat d'assurance) الشائع والمعترف به قانوناً هى صورة (التأمين على المسئولية Assurance de responsabilité) ولفهم ذلك يمكن التعرض لبعض الشىء لهذا العقد وهذه الصورة .

٩ — يعرف عقد التأمين بوجه عام بأنه عملية يحصل بها أحد الطرفين ، وهو المستأمن أو المؤمن له L'assuré على تعهد لمصلحته أو لمصلحة غيره فى نظير مقابل مالى ، ويتعهد فيها الطرف الآخر وهـو المؤمن L'assuré بدفع عوض مالى فى حالة تحقق خطـر معين ، أى بتحمله تبعة مجموعة من المخاطر[١] .

ولعقد التأمين أركان أربعة : أولها : الخطر ويشترط فيه أن يكون حادثاً احتمالياً

---

(١) انظر : Hémard, Théorie et pratique des assurances terrestres, t. 10, p. 73,74 ودكتور محمد على عرفه فى (شرح القانون المدنى الجديد فى التأمين والعقود الصغيرة) سنة ١٩٥٠ ص ١٠ وما بعدها — وانظر فى عقد التأمين :

Planiol et Ribent,. Traité pratique de droit civil français -t-XI-
Clin et Capitant, Cours élémentaire de droit civil français, -t-II q. 737.

هذا وقد عرف القانون المدنى للمصرى عقد التأمين فى المادة ٧٤٧ منه بقوله : « التأمين عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدى إلى المؤمن له أو إلى المستفيد الذى اشترط التأمين لصالحه مبلغا من المال أو إيراداً مرتبا أو أى عوض مالى آخر فى حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر المبين بالعقد ، وذلك فى نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن » .

incertain مستقبلا futur ، وليس إرادياً محضاً purement potestatif . وثانيها : المقابل المالى الذى يحصل عليه المؤمن من المستأمن ، ليتحمل الأول تبعة الخطر المؤمن منه ، وهنا يبدو أن عقد التأمين معاوضة تنشىء التزامات متقابلة فى ذمة الطرفين . وثالثها : العوض المالى الذى يلتزم المؤمن دفعه عند تحقق الخطر . ورابعها : المصلحة فى التأمين أو المصلحة القابلة للتأمين (Intérêt assurable) [١] .

١٠ — والتأمين على المسئولية - وهو ما يهمنا هنا - صحيح وجائز قانونا ، وهو بالطبع أفضل من الإعفاء من المسئولية ، لأنه فضلا عن أنه يزيح عن عاتق المسئول عبء المسئولية فإنه لا يحرم الطرف المضرور من حقه فى التعويض ، وهذا النوع من التأمين ميسر وذائع فى الحياة العملية بسبب انتشار شركات التأمين .

ويلاحظ فى هذا التأمين أنه يجوز للشخص أن يؤمن على مسئوليته التى تترتب على الخطأ عقدياً كان هذا الخطأ أو تقصيرياً ، ولا يهم كون الخطأ التقصيرى مفترضاً أو ثابتاً ، وكون الخطأ الثابت يسيراً أو جسيما ، بيد أنه يمتنع التأمين على المسئولية التى تنشأ عن الخطأ العمدى الشخصى ، وعلة ذلك أنه لا يجوز أن ييسر الشخص لنفسه سبيل الغش [٢] .

١١ — وقد أسلفت التكييف القانونى لعقد الموالاة فى التشريع الإسلامى ، ومنه يتضح أن أركانه تتفق إلى حد كبير وأركان عقد التأمين فى صورة التأمين على المسئولية فى التشريع الحديث ، فهو أولا عقد بين طرفين : أولهما : (مولى الموالاة) ويقابل المؤمن L'assureur وهو شركة التأمين Société d'assurance وثانيهما : (المعقول عنه) وهو المستأمن أو المؤمن له L'assuré ، وهو يتضمن ثانياً عنصر (العوض المالى) الذى يلتزم المؤمن (وهو مولى الموالاة) دفعه عند تحقق الخطر المؤمن منه ، وهو يتمثل

---

(١) تعتبر غالبية الشراح ركن المصلحة غير لازم فى (التأمين على الأشخاص) وإن يكن من مستلزمات (التأمين على الأضرار) — ويبدو أن المشرع المصرى لم يأخذ بهذه التفرقة ، أى أنه يلزم هذا الركن حتى لانعقاد التأمين على الأشخاص — انظر : دكتور محمد على عرفه — السالف ص ٢٥ ، ٢٦ .

وانظر : المادة ٧٤٩ من التقنين المدنى المصرى السالف الذكر .

(٢) انظر : دكتور عبد الرزاق السنهورى فى « الوسيط فى شرح القانون المدنى الجديد » سنة ١٩٥٢ — ص ٩٨١ وما بعدها .

فى الدية أو التعويض عن الجريمة التى نتج عنها الضرر للغير المستحق له ، كما هو الحال فى المسئولية عن الأضرار الناشئة من ارتكاب جريمة تترتب عليها الغرامة المالية . وهو يتضمن ثالثاً عنصر (المقابل المالى) الذى يحصل عليه (مولى الموالاة المؤمن) مقابل تحمله تبعة الخطر ، وهو يتمثل فى (مال التركة الموروثة) إذا توفى عنه (المعقول عنه المستأمن) غير مخلف وارثاً مطلقاً باستثناء الحالة التى يوجد فيها مع مولى الموالاة أحد من الزوجين ، فيكون ما يتبقى من مال التركة بعد فرض هذا الزوج حقاً مستحقاً لهذا المولى المؤمن ، أما شرط المصلحة فى التأمين فمفهوم كما سلف أنه من مستلزمات صورة التأمين على المسئولية ، وهى الصورة التى ينطبق عليها عقد ولاء الموالاة .

١٢ — وقد يثور الاعتراض على هذا التوفيق الذى أقول به ؛ وذلك بشأن المقابل المالى الذى يحصل عليه مولى الموالاة المؤمن ، وهو مال التركة من حيث كون عقد الموالاة الذى يحتوى عليه ، فيه تعامل « فى تركة إنسان على قيد الحياة » ، والتعامل فى التركة المستقبلة ـ حسب القانون المدنى الجديد ـ تعامل باطل سواء صدر من الوارث أو من المورث نفسه [1] ، وفى الحالين يقع باطلا بطلانا مطلقاً ، ولا تلحقه الإجازة ، ويجوز لكل ذى مصلحة أن يتمسك به ، وللمحكمة أن تقضى به من تلقاء نفسها [2] .

١٣ — وردى على هذا الاعتراض ـ إن ثار ـ أن المادة ١٣١ من القانون المدنى فى فقرتها الثانية نصت على أن « التعامل فى تركة إنسان على قيد الحياة باطل ، ولو كان برضاه ، إلا فى الأحوال التى نص عليها فى القانون » ، وقد قصد المشرع بالأحوال المستثناة التى نص عليها القانون حالة قسمة المورث تركته بين الورثة [3] .

وقد اعتمد المشرع المصرى فى استثناء هذه الحالة على حكمة التشريع ؛ فالمورث إنما يقصد من تقسيم تركته بين ورثته بالاتفاق بينهم حال حياته وفقاً لقواعد الميراث أن يتفادى

---

(١) انظر : المادة ١٣١ فقرة ٢ من التقنين المدنى المصرى .

(٢) انظر : المادة ١٤١ فقرة ١ من التقنين نفسه .

وانظر : دكتور أنور سلطان فى « شرح البيع والمقايضة » سنة ١٩٥٢ ـ ص ١٤٧ وما بعدها .

(٣) انظر : المادة ٩٠٨ وما بعدها من التقنين السالف الذكر .

ويلاحظ أنه فى ظل القانون المدنى المصرى القديم ذكرت حالة القسمة مثالا للأحوال التى لا تنطوى على مخالفة النظام العام ـ انظر : دكتور السنهورى (باشا) فى (نظرية العقد) بند ٤٥٦ هامش ٢ .

النزاع بينهم بعد وفاته على هذا التقسيم ، فهنا ولو أنه يوجد تعامل فى تركة مستقبلة ، إلا أن هذا التعامل مندوب فى حد ذاته ، وليست به أية مخالفة للنظام العام أو الآداب التى هى أساس حظر التعامل فى التركات المستقبلة (١) .

١٤ — ومن هنا نستطيع أن نقيس على حالة القسمة حالة عقد الموالاة ، وما دام قد تبين اتفاقها مع التشريع الوضعى فى اعترافه بنظام التأمين وتنظيمه له بالنصوص القانونية الصريحة ، ولكن المفهوم أن هذا القياس لايكون بمجرد القول ؛ لأن الاستثناء لا يتوسع فيه ولا يقاس عليه كما هو معلوم ؛ ولأن النصوص القانونية التى اشتملت على حالات الاستثناء من قاعدة بطلان التعامل فى التركات المستقبلة لا نجد فيها بالطبع نصاً يقرر استثناء عقد ولاء الموالاة من هذه القاعدة .

---

(١) ومثال عدم بطلان الاتفاق المتعلق بالارث للمخالفة للنظام العام أو الآداب : الاتفاق الذى يحصل بين أحد النسابة généal - ogiste ووارث على أن يكشف النسابة له عن نسبه حتى يمكنه الحصول على ميراث يستحقه ، ما دام أنه لم يخدع المتعاقد معه ، وإنما كشف له عن سر حقيقى كان خفيا عليه.

انظر ذلك : دكتور السنهورى فى « الوسيط » ـ السالف ـ ص ٤١٣ .

هذا ويهمنا أن نقول : إن القضاء المصري قد حكم ببطلان عقدين ، صدر أحدهما من زوج والآخر من زوجته ، يتبرع كل واحد منهما فى عقده للآخر بجميع أمواله يتملكها حال وفاة الآخر قبله ، وقيل إنه تبين أن أيا من الزوجين لم يرد حقيقة الوصية التى هى عبارة عن تمليك مضاف لما بعد الموت بطريق التبرع ، إذ أن كلا منهما قد جعل وصيته للآخر سببها وصية صاحبه له ، وقد شبه هذا التصرف بولاء الموالاة ، ولكن فى غير موطنه المشروع هو فيه ، لأنه ثبت فى الواقعة الجزئية أن لكل من المتعاقدين ورثة يمنع وجودهم قيام هذه الموالاة ، وعلى هذا ظهر جليا أن الغرض من هذا التصرف هو حرمان هؤلاء من حقوقهم الشرعية فى الميراث ، فضلا عن أنه تصرف ينطوى على تبادل منفعة معلق على الخطر والغرر ، ومن أجل هذا اعتبر هذا التصرف من قبيل الرقبى المحرمة شرعا ، إذ فيه تحايل على قواعد الميراث ـ انظر : حكم محكمة النقض المصرية الصادر فى ١٤ يونيو سنة ١٩٣٤ ـ فى « مجموعة القواعد القانونية » ج ١ رقم ١٩٩ ص ٤٤٩ وما بعدها ـ بيد أنه يلاحظ هنا أن ثمة فرقا كبيراً بين عقد الموالاة وبين مثل هذا التصرف المذكور ، إذ تبين كما سلف أن هذا الولاء إنما يشترط فيه ألا يكون وارث ، حتى لا يكون تحايل على قواعد الميراث وحرمان للورثة الشرعيين من الارث ، كما رأينا أن الوصية بجميع المال صحيحة على الرأى الراجح ، إذ كان صاحبها لا وارث له ، ولم يتعلق بما له حق لأحد ، وذلك على سبيل التفضيل لنظره إلى نفسه على نظر المشرع له !

١٥ — ولذلك نرى أنه يجدر بالمشرع أن يتدخل لينص على هـذه الحالة الجديدة باعتبارها استثناء ثانياً إلى جوار حالة القسمة ، إقراراً منه للتوفيق بين قواعد الشريعة الغراء وقواعد التشريع الوضعى الحديث ، ما دام قد ثبت أن القواعد الأولى فيها ما يلائم التطور القانونى والاتجاه التشريعى الجديد ، وهذا بعد تعديل يحدث فى قانون الميراث الصادر فى سنة ١٩٤٣ ، بمقتضاه يذكر ولاء الموالاة ضمن أسباب التوريث كما كان الحال فى الأصل [١] وأن يعدل عن تلك العبارة الركيكة الواردة فى مذكرته الإيضاحية والقائلة بأن عدم ذكر هذا الولاء سبباً للميراث فى القانون يرجع الى عدم وجود هذا النوع من الولاء منذ زمن بعيد ؟

أحمد طه السنوسى

المجـــلة — نشكر الأستاذ الباحث صاحب هذا المقال النفيس على ما فيه من الإحاطة والدقة وحسن المقارنة ، ونتمنى أن يكثر الباحثون فى مثل هـذه الموضوعات التى لا تزال بكراً . غير أننا نلاحـظ على تشبيهه ولاء الموالاة بعقود التأمين التى تعقد بين المستأمن والمؤمن ، بأن هناك عنصراً معنويا يقوم عليه ولاء الموالاة وهو مفقود فى عقد التأمين . ولهـذا العنصر المعنوى من عظيم الأهمية ما يجعـل ولاء الموالاة غير عقد التأمين إن الولاء فى الإسلام - من حيث هو - صلة ولحمة كصلة القرابة ولحمتها . ومولى القوم منهم . وكبار أئمة الإسـلام الذين يتصلون ببعض القبائل بصلة الولاء يفتخرون بهذه الصلة حتى بعد زوالهـا لأنهم يعتبرونها قرابة كقرابة الدم ولحمـة كلحمة الرحم . وهذا المعنى الأدبى موجود فى ولاء الموالاة لأنه ولاء على كل حال ، والولاء نصرة ، وفيـه كل ما فى معانى التبنى والإخاء والقرابة . والرجلان اللذان يتعاقدان عقد الموالاة يترابطان برباط القرابة والتناصر الأدبى حتى يكون ذلك هو الأصل فى هـذا التعاقد ، ثم تـكون نتائجه المالية من ثمرات ذلك : أما عقود التأمين فلا حظ فيها لهذا العنصر المعنوى ، وإنمـا هى تعاقد بين مصالح مالية محضة ، وللمخاطرة دخل كبير فيها ، وما ينتظره المتعاقد عقد الولاء من معونة صاحبه له فى الحياة وأعبائها الأدبية والمادية لا ينتظره المتعاقدان عقد تأمين إلا فيما نص عليه العقد من نتائج مالية محدودة لا مطمع فى غيرها ، لأنها فى سبيل غير سبيل عقد الموالاة .

---

(١) انظر : المـادة ٥٨٤ من الأصل .

١٢ صفر

عيد الجهاد الإسلامى

في هذه الأيام التى ينفض فيها المسلمون - فى كل مكان - عن أنفسهم غبار الخمول والذل والهوان ، ويقفون للمحن الهوج . ينابذون الاستعمار ، ويكافحون عوامل الضعف والانحلال ، وفى هذه اللحظات التى تتحفز فيها قوى التحرير للوثوب إلى قمة المجد فى وادى النيل ، جدير بالمسلمين أن يذكروا يوما عظيما من أيامهم الخالدة ، هو اليوم الذى وضع الله فيه الحجر الأساسى لبناء الحرية الإنسانية ، وصرح القوة العربية . والعزة الإسلامية ، وهو اليوم الذى اتفق جمهور العلماء على أن الله تعالى قد أنزل فيه على الرسول الكريم قوله : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . وإن الله على نصرهم لقدير » فكان ذلك الإذن إعلانا للجهاد ضد المشركين المعتدين الظالمين للمسلمين ، كما كان ذلك فى الواقع استجابة ربانية لرغبات المسلمين الذين كانوا يتحرقون شوقا إلى مجابهة أعدائهم الذين لا يكفون عن العدوان ، كما كانوا يتبرمون بالموقف السلبى الذى يقفونه منهم ، وكانوا دائما يقولون للرسول عليه السلام عند كل داع : حتى متى لا نؤمر بقتال ؟ - ولولا إيمان قوى بالله ورسوله ، وثقة مطلقة فى وعد الله الذى لن يضيع أولياءه ، لتحول هذا التبرم إلى تمرد . ولكن الله سلم . فأدركتهم حكمة الله بتشريعه ، فأذن لهم فى قتال المعتدين ، وأباح لهم جهاد عدوهم ، ودفع الظلم عن دينهم وحرياتهم وشخوصهم ؛ وكان هذا الإذن بقتال المشركين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر صفر من السنة الثانية للهجرة ، فحق أن يسمى هذا اليوم - عيد الجهاد الإسلامى ، أو عيد التحرير الأول ، وجدير بالمسلمين أن يحتفلوا به كلما أظلهم ، فهو يوم من أيام الله - وما أكثر ما يحتفل المسلمون بأيام لا تدانيه مجداً وشرفا . على المسلمين أن يكرموا ذكرى هذا اليوم - سيما وهم اليوم فى حالة تشبه فى كثير من نواحيها حالة المسلمين الأولين يوم أذن الله لهم بقتال عدوهم ؛ وليستوحوا العبرة من ماضيهم لحاضرهم ، وليتبعوا منهج أسلافهم فى مجالدة أعدائهم الذين يتحلبون عليهم من كل مكان « ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا » .

ولقد توالت بعد هذا الإذن الكريم التشريعات الربانية التى نظمت أمور الحرب ، ووسائل القتال وآدابه ، وكل ما يتعلق به من فنون ، وتحركات ، وهجوم ودفاع ، وتحديد علاقات ومسئوليات ، وما يجب وما لا يجب أن يكون مما يكوّن بحق أول دستور عسكرى واضح الحدود والمعالم فى تاريخ المدنية .

ومنذ أعلن الجهاد طبق عمليا ، ولم يقف عند حد النظريات والمنطق . فقد بدأت عمليات القتال فور الإذن به . إذ بعث الرسول عليه السلام السرايا إلى أماكن العدو فقامت بمناوشات كثيرة ، وعمليات كشف واستطلاع ، ولقد قصد عليه السلام - على ما أعتقد - بهذه السرايا تدريب المسلمين تدريبا عمليا فى صورة - مجموعات - على عمليات الميدان ، وكان عليه السلام حكيما ، فأخرج أولا عدة « سرايا » من المهاجرين ليدربهم قبل غيرهم حتى لا يقول المنافقون ، والذين فى قلوبهم مرض ، والمرجفون فى المدينة : إن محمدا ضن بأهله وعشيرته فجنبهم الخطر ، ولأنهم هم الذين احتملوا أذى المشركين وظلمهم فى مكة . فهم أرغب فى الثأر منهم ، وأشوق إلى مجالدتهم ، هـذا من جهة ، ومن أخرى : هم أبناء الأرض التى ستشهد هذه العمليات ، فهم أعرف من غيرهم بها وبالأماكن التى يتسللون اليها ، كما أنهم أعرف بأهلها وطباعهم ، وأقدر على التمييز بين أبناء القبائل التى تحالفهم أو تحالف عدوهم ، ثم هم أجرأ على اقتحام أرض قومهم ، والسير فيها ، والإفادة عسكريا من معرفتهم بأرضهم - وأقدر على التصرف بما يضمن سلامتهم فيها عند الخطر .

وإذا لاحظنا أن اتجاه هذه السرايا كان أولا إلى مكة وضواحيها ، وأن أهم أغراضها هو الاستطلاع والاستكشاف ، وأن هـذا الغرض لا يمكن أن يقوم بتحقيقه إلا خبير بالأرض وسكانها ، وذو تجربة سابقة فيها ، أدركنا عظم هـذا الإجراء العسكرى الحكيم الذى يبدو فى تخصيص المهاجرين لهذه السرايا الأولى ، وهو إجراء يدلنا على تمام حرص القائد الأكبر على جنده ، وعمله على ضمان سلامتهم من المفاجآت فى أرض لا يعرفونها ؛ وحسن اختياره لمن يكلفه بالأمور الهامة ، وكان هذا دستوراً عسكريا التزمه الخلفاء وكبار الأمراء بعد الرسول عليه السلام . فكانوا لا يلقون بالمسلمين فى أرض يجهلونها ، قبل ارتيادها ، وكشف أحوالها ، والتعرف إلى كل ما يتعلق بطبوغرافيتها ، وليس حقا أن نقول : إن الرسول عليه السلام قصد بإخراج المهاجرين أولا إثارة حمية الأنصار ، لأن الأنصار فى الواقع لم يكونوا أقل من المهاجرين تحرقا إلى قتال المشركين ، وغيرة على الدين ، وحبا للرسول الكريم ، الذى يفدونه جميعاً ، ويضعونه فوق الظنون والشبهات ، وليس عندى إلا هـذه الاعتبارات التى أسلفتها . والتى يقتضيها الفن العسكرى الذى وضع أصوله ومثله العليا محمد عليه السلام . ولهذا نجد الرسول عليه السلام يشرك الأنصار مع المهاجرين . بعد أن تمرن كثير منهم على أرض المعارك ، وعرف المسلمون عنها كثيرا من المعلومات . على أننا نجد مع هذا أن عنصر المهاجرين ظل غالبا فى هذه السرايا ، ولم يكن من المعقول عسكريا أن تخرج إلى أرباض مكة سرية من الأنصار وحدهم ، وهو ما لم يحدث .

وإذا كان الغرض من هذه السرايا كما يبدو لنا — هو التدريب العسكرى على عمليات الميدان — فقد قصد بها أيضاً ما يسمى فى هذا العصر « حرب الأعصاب » إذ أن خروج هذه السرايا المتتابعة إلى طريق تجارة مكة مع الشام . كان يقلقهم ويحطم أعصابهم ، كما أن بعض السرايا هاجمت ضواحى مكة هجوما خاطفاً فى خفة وحركة سريعة كحركات الكوماندوس اليوم . وكانت أخبار هذه السرايا ، والأنباء عن قوة الفدائيين المسلمين تصل إلى مكة مبالغاً فيها ، فتشيع فيها الخوف والهلع ، وكان أهل مكة وحلفاؤهم فى منازلهم التى غشيتها السرايا ، يقيمون فى فزع دائم ، واستعداد مستمر لحرب تباغتهم فى وقت غير معروف ، وبهذا التكتيك السريع المحكم ، أرهق العدو إرهاقا كبيراً أضعف من معنوياته ، وكان له أثره الفعال فى نفوس القوم بعد أشهر معدودة .

وكانت خاتمة هذه السرايا السرية التى قادها ابن عمة الرسول عبد الله بن جحش إلى نخلة - بين مكة والطائف - وهى السرية التى نقلت طابع السرايا العام . من الاستطلاع والكشف وإرهاب العدو ، إلى عملية التحام فعلى ، وقتال حقيقى ، فكانت بذلك مقدمة للمعركة الخالدة معركة بدر الكبرى يوم ١٧ رمضان من نفس السنة الثانية للهجرة ، أى بعد سبعة أشهر تقريباً من يوم إعلان الجهاد ، وفيها تحقق للمسلمين وعد الله لهم يوم الإذن « وإن الله على نصرهم لقدير » .

وإذا كان نصر المسلمين فى بدر قد أظهر لهم شخصية قوية . وجعل لهم كيانا ظاهراً . وقوة عزيزة يحسب حسابها ، وعليه انبنى مجد المسلمين وتركزت دولتهم - إذ كان ذلك كذلك - فإن أساس هذا البناء الإسلامى الشامخ هو الإذن بقتال الظالمين الذى فتح أبواب المجد على مصاريعها أمام المسلمين فى اليوم الثانى عشر من صفر من السنة الثانية .

فليذكر المسلمون هذا اليوم يوم عيد الجهاد الحقيقى . يوم عيد تحرير الإنسانية بالوسائل العملية يوم لفت الله أنظار المسلمين إلى أن النظريات وحدها لا تقيم دولا وأنه ما لم تطبق عملياً فلا خير فيها . وأن الحق والقوة إلفان . لابد لكل منهما من الآخر ، فالحق بلا قوة ضياع والقوة بلا حق جبروت ووحشية ، « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل . فتفرق بكم عن سبيله . . . . . » .

أكتب هذا للذكرى التى تنفع المؤمنين . ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ؟

محمود فياض
أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين

الأزهر والتضحية الوطنية

من الحملة الفرنسية إلى الثورة العرابية

مرت مصر خلال هذه الفترة بأحداث مثيرة استدعت بذل ضروب عالية من التضحية ، وقد خاض الأزهر غمار هذه الحوادث ، واستجاب زعماؤه لداعى الوطن ، باذلين ما فى وسعهم من تضحيات فى سبيله ، وسنحاول فى هذا المقال أن نسجل ما قام به علماؤنا من التضحيات ، إحياء لذكراهم ، وتخليداً لتاريخهم العاطر .

العلماء الذين تعرضوا لانتقام الفرنسيين .

لم تكد تستقر الحملة الفرنسية فى القطر المصرى فى صفر ١٢١٣ (يوليه ١٧٩٨) حتى نفر الشعب وزعماؤه دفاعا عن كرامة الوطن وحريته ، فقامت الثورات فى جميع أنحاء القطر لطرد المستعمرين من البلاد ، وكانت القاهرة مركزا لثورتين مهمتين : الأولى فى جمادى الأولى ١٢١٣ (اكتوبر ١٧٩٨) وعلى رأسها الشيخ السادات ، وكان رئيساً لمجلس الثورة . والثانية فى ٢٣ شوال ١٢١٤ (٢٠ مارس ١٨٠٠) وعلى رأسها زعيم العلماء فى ذلك الوقت السيد عمر مكرم نقيب الأشراف . وقد استعمل الفرنسيون جميع أنواع القسوة لكبت الشعور القومى والقضاء على المقاومة الأهلية ، ولكنهم لم ينجحوا فى خطتهم ، وانتهى الأمر بفوز المقاومة الأهلية ، وجلاء الغاصبين عن أرض الوطن .

وسنذكر العلماء الذين تعرضوا لانتقام الفرنسيين خلال هاتين الثورتين :

(١) ثورة القاهرة الأولى فى ٩ جمادى الأولى ١٢١٣ (٢٠ اكتوبر ١٧٩٨) :

بعد انتهاء ثورة القاهرة الأولى وجه نابليون نظره إلى الأزهر ، إذ كان يعلم أنه المعسكر العام للثورة ، فقبض على زعماء الحركة ، وأصدر أمره إلى الجنرال بون قومندان القاهرة بأن يأخذهم ليلا إلى شاطىء النيل - ما بين مصر القديمة وبولاق - حيث يعدمهم ، ثم يلقى بجثثهم فى النهر . وبهذه الطريقة خفى علينا تاريخ كثير من المجاهدين الذين استشهدوا فى هذه الثورة .

أما الذين حوكموا رسميا من العلماء باعتبارهم من زعماء الثورة فهم :

الشيخ اسمعيل البراوى والشيخ أحمد الشرقاوى وكانا يقومان بالتدريس فى الأزهر ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى وكان يقوم بقراءة كتب الحديث كالبخارى ومسلم فى المشهد الحسينى ، والشيخ يوسف المصيلحى وكان يقوم بالتدريس فى جامع الكردى ، والشيخ سليمان الجوسق وكان من العلماء المشهورين بشدة السطو والبأس ، وكانت محاكمهم سرية وقد حكم عليهم بالإعدام فى يوم ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣ (٣ نوفمبر ١٧٩٨) .

وفى الساعة الثامنة من صباح يوم ٢٨ جمادى الاولى (٤ نوفمبر) أخرجوا من سجنهم إلى القلعة حيث تلى عليهم الحكم ، ثم أعدموا رميا بالرصاص ، ولم يعلم لهم قبر بعد مقتلهم ، ويروى الجبرتى أن الفرنسيين ألقوهم من السور خلف القلعة بعد تنفيذ الحكم .

وقد نشرت صحيفة (كوريبه دليجبت) بالعدد الصادر فى ١٠ نوفمبر سنة ١٧٩٨ م (غرة جمادى الآخرة ١٢١٣ هـ) نبأ إعدامهم ، وأضافت إلى الأسماء التى ذكرها الجبرتى اسم (السيد عبد الكريم) الذى لم نقف له على ترجمة .

وكان الشهداء من العلماء خلال هذه الثورة أكثر من هذا العدد ، إذ قرر الشيخ عبد الله الشرقاوى فى تاريخه (تحفة الناظرين) أن الفرنسيين قتلوا ثلاثة عشر عالما ، ويؤيد ذلك ما رواه المعلم نقولا الترك فى كتابه (ذكر تملك الفرنساوية للديار المصرية) إذ قرر أن نابليون أمر بإعدام اثنين من العلماء كانا من أعضاء المجلس العالى .

وبالرغم من أن نابليون كان يعلم تمام العلم أن الشيخ السادات كان رئيساً لمجلس الثورة إلا أنه لم يمسسه بسوء نظراً لمكانته فى نفوس المصريين المستمدة من نسبه الشريف ، وقد طلب الجنرال كليبر من نابليون أن يقبض عليه ، فأجابه بأن إعدام مثل هذا الشيخ الجليل لايفيد الفرنسيين بل يؤدى إلى عواقب وخيمة .

(ب) ثورة القاهرة الثانية من ٢٣ شوال سنة ١٢١٤ هـ إلى ٢٥ ذى القعدة سنة ١٢١٤ هـ (٢٠ مارس — ٢١ إبريل سنة ١٨٠٠ م) :

غادر نابليون القطر المصرى تاركا قيادة الحملة الفرنسية للجنرال كليبر الذى لم يلبث أن واجه أعنف ثورة قامت بها القاهرة ، ويرجع عنف هذه الثورة إلى أن رأسها المفكر كان

زعيم علماء ذلك الوقت السيد عمر مكرم نقيب الأشراف ، ولولا خيانة المماليك لكان لهذه الثورة الوطنية الجارفة شأن آخر. أما العلماء الذين تعرضوا لانتقام الفرنسيين بعد إخمادها فهم:

الشيخ مصطفى الصاوى وقد فرضت عليه غرامة ٢٦٠ ألف فرنك .

الشيخ محمد الجوهرى وأخوه فتوح وقد فرضت عليهما غرامة قدرها ٢٦٠ ألف فرنك .

تعذيب الشيخ السادات :

كان الشيخ السادات معروفا لدى الجنرال كليبر بوطنيته منذ تزعم الثورة الأولى ، ولكنه لم يتمكن من النيل منه لمعارضة نابليون ، فانتهز فرصة اشتراكه فى هذه الثورة لينكل به تنكيلا ، إذ فرض عليه غرامة قدرها ثمانمائة ألف فرنك ، وسجن فى غرفة قذرة بالقلعة حيث كان ينام على التراب ويتوسد بحجر ، مع ضربه ضربا مبرحا . ثم سمح له بالنزول مخفورا إلى داره ليسعى فى سداد الغرامة المفروضة عليه ، فجمع ما فى منزله من المال ، وقوم الفرنسيون ما وجدوه من مصاغ وملابس ومتاع فبلغت قيمة ذلك كله ١١٢ ألف فرنك ، ولم يكتف الفرنسيون بذلك بل جاسوا خلال الدار وحفروا الأرض بحثا عن الخبايا حتى أعياهم البحث ولم يجدوا شيئا ، ثم نقلوه إلى السجن وصاروا يضربونه خمس عشرة عصا فى الصباح ومثلها فى الليل ، وجدوا فى البحث وراء زوجته وابنه حتى قبضوا أخيرا على تابعه محمد السندوبى الذى عذبوه حتى أقر على مكانهما ، فقبضوا عليهما ، وسجنوا زوجته معه ، وصاروا يضربونه أمامها زيادة فى التعذيب ، فشفع فيها كبار العلماء لنقلها من السجن ، فأصدر الجنرال كليبر أمرا بتاريخ ٢٢ مايو بنقلها إلى منزل الشيخ سليمان الفيومى . وصودرت أملاك الشيخ السادات ومرتباته وأوقاف أسلافه ، وبقى معتقلا حتى أفرج عنه فى عهد قيادة الجنرال مينو فى ٢٥ صفر سنة ١٢١٥ (١٩ يوليه سنة ١٨٠٠) وشرطوا عليه ألا يجتمع بالناس ، وألا يركب دون إذن من القيادة الفرنسية . وقد بقى رهن المراقبة فى داره حتى اعتقل للمرة الرابعة فى أواسط شوال سنة ١٢١٥ (أوائل مارس سنة ١٨٠١) بعد وصول الحملة الانجليزية العثمانية إلى مصر ، وقد اتخذ الفرنسيون هذا الإجراء خوفا من أن يثير عليهم الشيخ السادات الاهالى . ولما توفى ابنه أثناء اعتقاله أذن له بتشييعه مخفورا ، ولما انتهى ذلك أعيد إلى سجنه بالقلعة .

يقول نابليون فى مذكراته تعليقا على اضطهاد الشيخ السادات : إن تعذيبه كان من أهم الأسباب التى أدت إلى مصرع الجنرال كليبر فى ٢ صفر سنة ١٢١٦ (١٤ يونيه سنة ١٨٠٠) .

السيد عمر مكرم : كان الرأس المفكر لثورة القاهرة الثانية ، وإليه يرجع الفضل فى تعبئة القوات الوطنية تعبئة قلما تتوفر فى ثورة من الثورات ، ولم يستطع الفرنسيون القبض عليه عقب إخماد الثورة إذ تمكن من الفـــرار من القاهرة تاركا أملاكه عرضة للنهب والمصادرة ؛ ولم يدخل القاهرة بعد ذلك حتى تم جلاء الفرنسيين عن عاصمة البلاد فى ربيع الأول سنة ١٢١٦ (يوليه سنة ١٨٠١) .

بين زعيم العلماء ومحمد على باشا :

اختارت الزعامة الشعبية ممثلة فى السيد عمر مكرم والشيخ عبدالله الشرقاوى محمد على باشا والياً على مصر بشرط أن يحكم بمشورة وكلاء الشعب . ولكن محمد على كان يميل إلى الحكم المطلق ، وسرعان ما ضاق ذرعا برقابة وكلاء الشعب خصوصاً السيد عمر مكرم زعيم العلماء الذى أخذ يحاسب محمد على باشا على جمع الضرائب التى فرضها . وبلغ من حماسته فى الدفاع عن حقوق الشعب أن عقد مجلساً عاماً من العلماء فى (أواسط جمادى الأولى سنة ١٢٢٤ أول يوليه سنة ١٨٠٩) ، وقد أقسم المجتمعون على ألا يلينوا حتى يجيب الوالى مطالبهم التى تتلخص فى عدم فرض ضرائب جديدة وإلغاء الضرائب المستحدثة ، وقد ازدادت العلاقات توتراً حينما رفض السيد عمر مكرم أن يوقع الميزانية السنوية . كما يريدها محمد على باشا ، وكان من المعتاد أن يوقع على الميزانية وجوه المصريين قبل إرسالها إلى السلطان العثمانى .

تنكر محمد على باشا للسيد عمر مكرم ، وأخذ يسعى فى التخلص منه ، حتى سنحت له الفرصة فى رجب ١٢٢٤ (أغسطس ١٨٠٩) فقرر خلعه من نقابة الأشراف ونفيه إلى دمياط ، وقد تلقى السيد عمر مكرم هذا النبأ بقوله « أما منصب النقابة فإنى راغب عنه وزاهد فيه ، وليس فيه إلا التعب ، وأما النفى فهو غاية مطلوبى لأرتاح من هـذه الورطة ، ولكنى أريد أن أكون فى بلدة لاتدين لحكم الباشا » .

مكث السيد عمر مكرم أربع سنوات فى دمياط نقل بعدها إلى طنطا التى استمر بها حتى عام ١٢٣٣ (١٨١٨) ثم أذن له بالعودة إلى القاهرة ، ولكن استقبال الشعب الرائع

لزعيمه أثار شكوك محمد على باشا مرة أخرى فأمر بنفيه إلى طنطا عام ١٢٣٧ (١٨٢٢) حيث توفى فى نفس العام .

الاحكام الصادرة ضد العلماء الذين اشتركوا فى الثورة العرابية :

قام الأزهر بتأييد القوات الوطنية فى جهادها ضد الانجليز ، وأفتى زعماؤه فى المؤتمر الوطنى المنعقد بتاريخ ٢٢ يوليه عام ١٨٨٢ بمروق الخديو عن الدين لانحيازه إلى الجيش المحارب لبلاده غير مبالين بالسلطان العثمانى ، وقام العلماء ببذل مجهود كبير فى سبيل الدفاع عن الوطن سواء بالتطوع أو إعداد الجيش بالمؤن والذخائر أو الدعوة إلى الجهاد ، وبعد انتهاء الثورة العرابية قبض على زعمائها وعلى المشتركين فيها وقدموا جميعاً إلى المحاكمة وقد نشرنا فى مقال سابق (١) أسماء العلماء المقبوض عليهم والأحكام التى صدرت عليهم ، وقد حكم على ثلاثة وعشرين عالما بالتجريد من الرتب وعلامات الشرف والامتيازات مع نفى سبعة منهم خارج القطر المصرى مددا تتراوح ما بين ثلاث إلى خمس سنوات .

هذه هى صورة موجزة للعلماء الأبطال الذين ضحوا فى سبيل وطنهم فمنهم من استشهد ومنهم من صودرت أملاكه ومنهم من عذب ومنهم من نفى .

فإلى هؤلاء الأبرار الذين نفثوا فى الأمة روح الحماسة فكانوا مثلا علياً يقتدى بها كل مواطن صالح ؛ إلى هؤلاء الأبطال الذين أثبتوا أن مصر لم توجد لتسخر وتؤكل ، ولم تخلق لتذل وتهان ، بل أثبتوا أن فى الكنانة رجالا يضحون فى سبيل الوطن بكل عزيز لديهم .

إلى هؤلاء نتقدم بهذه الذكرى المتواضعة أداء لما لهم علينا من حقوق ؟

أحمد عز الدين عبد الله خلف الله
المدرس بمعهد دسوق

(١) الأزهر والثورة العرابية : عدد شعبان سنة ١٣٧٢ .

رأى الاسلام فى شروط من يعينون فى الوظائف

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

جرى حديث لمندوب المصرى مع فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر عن رأى الإسلام فى شروط التوظف والسن التى يجب توافرها فيمن يلى الوظائف فى الإسلام. فأجاب فضيلته على ذلك بقوله :

ولاية الأمور العامة فى الإسلام يتوخى فيها شرطان أساسيان : أحدهما الكفاية العلمية التى تناسب العمل العام الذى يراد ممن يتولاه أن يقوم بأعبائه ، والآخر العنصر الخلقى ومناطه الإخلاص.

ومهما تتبع الدارس الشروط والمؤهلات التى يطلبها الإسلام فيمن يلى الأمور العامة ويصف بها ولاة الأمر المثاليين ، وعمال الحكومة الصالحين ، فإنه يجدها لا تخرج عن هذين الشرطين.

وانظر ما وصف الله به أنبياءه الذين تولوا شئون أممهم ، كنبى الله يوسف عليه السلام فقد جاء فى كتاب الله عز وجل على لسانه : « قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم » فذكر العلم ، وفيه الإشارة إلى الكفاية العلمية ، وذكر الحفظ وهو يستلزم العنصر الخلقى المطلوب فى مثل هذا العمل وهو الأمانة والإخلاص.

وقال الله سبحانه مخاطباً داود « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » فذكر الحكم بين الناس بالحق ولا يكون ذلك إلا بالعلم ومعرفة الأحكام ، وشرط الانتهاء عن اتباع الهوى ، وفى ذلك إشارة إلى العنصر الخلقى ومناطه الإخلاص.

وتاريخ الولاية فى الإسلام يدور فى نصوصه وتطبيقها فى أصلح عهوده حول هذين الشرطين ، من غير نظر إلى السن والقدم ، لأن المطلوب فى العمل الكفاية للقيام به والإخلاص فيه ، وهذه هى الأهلية لولاية العمل العام فى الإسلام. وقد ورد فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ».

إن العلم واسع ومتشعب ولا حدود له ، والمطلوب منه فى ولاية الأمور العامة ما يحتاج إليه فى حسن إدارتها وتوخى المصلحة فى شئونها. ففى الأمور العسكرية والحربية يكون العلم المطلوب هو العلم العسكرى وفنون الحرب ، وفى الأمور المالية علوم الحساب وتدبير المال

وفى الأمور الإدارية أو الهندسية أو الطبية أو القضائية الإلمام الكافى بكل واحد منها لمن يتولاه بقدر ما يلزم للإحسان فيه .

ومما يدل على أن المعرفة والإخلاص هما اللذان كان الإسلام يتوخاهما فى تولية العمال دون السن أو القدم ما ذكره التاريخ من أن النبى ﷺ لما تم له فتح مكة ـ وهى يومئذ أعظم أمصار الإسلام ، وفيها بيت الله ، وهى وطن مولد النبى ﷺ ـ اختار للولاية عليها عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية وكان عمره حين تولاها نيفا وعشرين سنة ، فأحسن الولاية عليها فى حياة النبى ﷺ وأقره أبو بكر عليها إلى أن مات يوم مات ، وقد برهن طول مدة ولايته على كمال الكفاية الإدارية والإخلاص لله ، روى عبد الله بن يسار عن عمرو بن أبى عقرب أنه سمع عتاب بن أسيد وهو مسند ظهره إلى بيت الله يقول : « والله ما أصبت فى عملى هذا الذى ولانى رسول الله ﷺ إلا ثوبين معقدين كسوتهما مولاى كيسان » .

ومن أمثلة ولاية الأكفاء للعمل وإن كانوا حديثى السن تأمير النبى ﷺ أسامة ابن زيد على جيش كان من جنوده أبو بكر وعمر وأمثالهما ، لميزات توفرت لأسامة فى ذلك العمل ، وانتقل النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى واختار المسلمون أبا بكر للخلافة عليهم فأقر ولاية أسامة على ذلك الجيش ، وأراد أن يستبقى عمر فى المدينة ليكون مستشاره ووزيره ، فلم يأمر أسامة بالتخلى عن عمر بل « استأذنه » فى ذلك باعتبار أن أسامة هو الآمر على عمر فلا يجوز ـ ولا للخليفة ـ التصرف فى أمره إلا بإذن آمره المباشر ، وهى سنة من سنن الإسلام الحكيمة فى نظام الحكم سنها ولاة أمور المسلمين فى صدر تاريخهم ولم تتوصل إلى مثلها الدول العريقة فى تقاليد الحكم إلا بعد دهر طويل .

ومما يدل على التقدم بالكفاية دون السن والقدم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يحضر عبد الله بن عباس وهو شاب حديث السن فى جملة كبار المهاجرين والأنصار ويستشيره لما بدا له من معرفته وإخلاصه .

والكفاية المطلوبة لكل عمل هى التى فيها مصلحة الدولة والأمة فى مدة العمل . قال القاضى أبو الحسن الماوردى فى الأحكام السلطانية : « إذا كان أحد المرشحين للإمامة أعلم والآخر أشجع يراعى فى الاختيار ما يوجبه حكم الوقت ، فإن كانت الحاجة إلى فضل الشجاعة أدعى لانتشار الثغور وظهور البغاة كان الأشجع أحق ، وإن كانت الحاجة إلى فضل العلم أدعى لسكون الدهماء وظهور أهل البدع كان الأعلم أحق » .

وقال فى شروط تقليد الوزارة : « إنه يحتاج فيه إلى شرط زائد على شروط الإمامة ، وهو أن يكون من أهل الكفاية فيما وكل اليه من أمر الحرب والخراج خبرة بهما ومعرفة بتفصيلهما ، فإنه مباشر لهما تارة ومستنيب فيهما أخرى ، فلا يصل إلى استنابة الكفاة إلا أن يكون منهم ، كما لا يقدر على المباشرة إن قصر عنهم ، وعلى هذا الشرط مدار الوزارة وبه تنتظم السياسة » .

وقال فى شرط ولاية كاتب الديوان : « المعتبر فى صحة ولايته شرطان : العدالة والكفاية ، فأما العدالة فلأنه مؤتمن على حق بيت المال والرعية ، فاقتضى أن يكون فى العدالة والأمانة على صفات المؤتمنين ، وأما الكفاية فلأنه مباشر لعمل يقتضى أن يكون فى القيام به مستقلا بكفاية المباشرين » .

وأنت ترى أن مدار الولاية فى الإسلام على الكفاية الممثلة فى معرفة ما يلزم للعمل الذى يراد تولية العامل عليه ، والعنصر الخلقى ومناطه الإخلاص ، والغرض من ذلك أن يكون العامل جامعا للصفات التى تتحقق بها مصلحة الدولة والأمة فى ذلك العمل بحسب ظروفه الزمانية والمكانية .

ومن هنا يقال فى تولية ولى الأمر أقاربه ، فإن كانت ظروف العمل ، والصفات التى يتحلى بها أقارب الإمام ، تقتضى توليتهم لما يتوسم فيهم من الحرص على بقاء الدولة ونجاحها والإخلاص فى جلب المصالح لها ودرء المفاسد عنها فتكون توليتهم من مقاصد الإسلام وسننه ، واعتبر ذلك بجهاد مسلمه بن عبد الملك فى خلافة أبيه وإخوته فقد قام للإسلام بما لو حرمت الدولة من قيادته وولايته لكان ذلك خسارة كبيرة على الإسلام ، أما إذا كانت ظروف العمل والصفات التى يتصف بها أقارب الإمام تنافى المصلحة فى تعيينهم فيكون من سنة الإسلام اجتناب ذلك . ولما طعن أمير المؤمنين عمر وأراد أن يجعل الأمر شورى فى الستة الذين سماهم اقترح عليه بعض الصحابة أن يستخلف ابنه عبد الله - وإن ابنه عبد الله من أعلم الصحابة وأكملهم - ومع ذلك فإن عمر رأى الخير فى الطريقة التى رسمها ، وأبى أن يستخلف ابنه لأنه كان يتوخى مصلحة الكيان الإسلامى على ما يحب أن يلقى الله عليه .

إن سنن الإسلام فى تولية العمال قائمة - كما ذكرنا - على عنصرى المعرفة والإخلاص ، ومدار ذلك على ما تتحقق فيه مصلحة الدولة والأمة ، وقد كانت الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية فى خير إلى أن خرج الانانيون من الحكام عن هذه السنن ، ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

لغويات

حميدة . حميدون : غُيُر . نُخُر . عدوَّة

من المقرر فى العربية أن ما كان على زنة فعيل فى معنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث ، فلا يلحق مؤنثه التاء . فيقال امرأة جريح لا جريحة ، وشاة ذبيح لا ذبيحة . فإذا قلت اشتريت ذبيحة فهذا ليس وصفا بل هو اسم ، وهو ما يعد للذبح ، وقع عليه الذبح أولم يقع ، والتاء فيه للنقل من الوصفية للاسمية وليست للتأنيث ، ومن هذا النطيحة والأكيلة .

ومن ثم كان مما أشكل علىّ قولهم فى الوصف : رجل حميد وامرأة حميدة ، وفى القاموس : « حمده — كسمعه — حمدا ، ومحمِدا ومحمَدا ومحمِدة ومحمَدة ، فهو محمود وحميد ، وهى حميدة » .

وأشكل علىّ أيضاً فى هذا الباب جمع حميد على حميدين ، وقد تقرر أن الوصف إذا استوى فى المذكر والمؤنث لا يجمع جمع التصحيح ، وقد ورد هذا الجمع « حميدون » فى قول غوية بن سلمى يرثى رجالا من قومه فى قطعة فى الحماسة :

أصابتهم حميدين المنايا فدى عمى لمصبحهم وخالى

ولشد ما استرحت وزاح عنى ثقل من القلق حين وقفت على أن العرب خرجت بهذه الكلمة عن الوجه فى نظائرها ، وحملتها على ما يسوغ فيه هذا التصرف . ذلك أنها حملتها على سعيد أو رشيد مما هو فى معنى فاعل ، ونظرت إلى التقارب فى المعنى ، فألحقت بحميد التاء لذلك ، وقد تنبه علماء العربية لهذا . ففى اللسان : « والأنثى حميدة . أدخلوا فيها الهاء وإن كان فى المعنى مفعولا تشبيهاً لها برشيدة . شبهوا ما هو فى معنى مفعول بمعنى فاعل لتقارب المعنيين » ، وأصل هذا فى كلام سيبويه إذ يقول فى الكتاب [1] : « وقالوا رجل حميد وامرأة حميدة . يشبه بسعيد وسعيدة ، ورشيد ورشيدة ؛ حيث كان نحوهما فى المعنى واتفق فى البناء » .

---

(١) ج ٢ ص ٢١٣

وبهذا زال الإشكال عن جمعهم حميدا على حميدين - كما فى قول غوية السابق - إذ صار حميد مما يفرق فيه بين المذكر والمؤنث بالتاء فزال ما كان يحول دون هذا الجمع .

وترى هذا مما يدخل فى باب تدريج اللغة . فقد أدخل العرب التاء فى حميد ، وتدرّجوا من هذا إلى أن جمعوه على حميدين . وهذا الباب أوسع القول فيه ابن جنى فى كتبه . وانظر الخصائص طبعة دار الكتب ١ / ٣٤٧ .

ويفضى بنا الكلام إلى عدوّ وعدوّة . فهذا أيضا مما يسترعى النظر . ذلك أن فعولا إذا كان فى معنى فاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث كصبور وغفور . فما بال عدوة خالفت هذا القياس ؟ . والجواب أن عدوا وعدوة حملا على صديق وصديقة ، فدخلت التاء كما دخلت فى صديق وصديقة . وفى اللسان (عدا) : « قال الفراء : وإنما أدخلوا فيها (أى فى عدوة) الهاء تشبيها بصديقة ؛ لأن الشىء قد يبنى على ضده » .

ويتصل بما سلف أن الأقلام جرت فى هذا العصر على جمع الغيور على الغيورين والفخور على الفخورين فيقال : نحن غيورون على كل ما يتصل بالعرب ، وفخورون بالذود عن حياضنا . وهذا من الخطأ الذى يجب تجنبه . والصواب أن يقال : الغُيُر والفُخُر .
وقد قال طرفة :

ثم زادوا أنهم فى قومهم غفر ذنبهم غير فخر

الحمد لله الذى نجح محمود

يجرى هذا الاسلوب على ألسنة الناس كثيرا . وهو فى ظاهره مجاف للأساليب العربية . وإنما يقال : الحمد لله أن نجح محمود أو إذ نجح أو بفضله أو به أو عنه نجح محمود . وذلك ليتحقق لاسم الموصول إذا جىء به عائده .

وكنت أظن أن هذا الاسلوب نشأ فى العصور المتأخرة التى فشا فيها اللحن ، حتى وقفت على أن ابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ ﻫ نبه عليه إذ يقول [1] : « تقول : الحمد لله إذ كان كذا وكذا . ولا تقل : الحمد لله الذى كان كذا وكذا حتى تقول : به أو منه أو عنه » .

وقد تابعه الحريرى فى درة الغواص إذ يقول : « ويقولون : الحمد لله الذى كان كذا

(١) اللسان (جيأ) .

وكذا ، فيحذفون الضمير العائد إلى اسم الله الذى به يتم الكلام ، يريد عائد الموصول ، وهو به أو عنه أو له ، كما تقدم فى كلام ابن السكيت .

وقد مهد هذا للشهاب الخفاجى شارح الدرة ، أن يحكم بصواب الأسلوب ، وارتكاب حذف العائد للعلم به فقال : « وكأنه لم يسمع قول الناس فى المتون : إن العائد يحذف باطراد كثيرا » وفى الحق أن هذا الموضع ليس من المواطن التى يحذف فيها العائد باطراد ، فذلك نحو شربت مما شربت منه ، فلك أن تحذف « منه » غير أن ظهور المراد يسوغ هذا الحذف مع كثرة الاستعمال .

وقد كان جل همى فى إيراد هذا الموضوع أن أبين عن قدم هذا الأسلوب .

لَمس . يلمَس . يلمُس . يلمِس

اشتهر على الألسنة يلمس - بفتح الميم - فى مضارع لمس - بفتحها - وهذا لا يتفق مع ماقرره الصرفيون فى فعل يفعل بفتح العين فيهما . فمن شرط هذا أن تكون العين أو اللام حرف حلق ؛ كفتح يفتح ، وسأل يسأل . ولا يخرج عن هذا إلا ما جاء شاذاً أو محمولا على تداخل اللغتين ، كما فى أبى يأبى ، وقنط يقنط ، ورِكن يركن ، ولهذا باب نفيس أحسن القول فيه ابن جنى فى الخصائص .

إن الماضى (لمس) بفتح الميم ، لا محالة ، وفى الكتاب العزيز فى سورة الأنعام : « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » وفى سورة الجن : « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا » وإذا خلص الماضى لفتح العين فلا مجال لفتحها فى المضارع ، وإنما فيه الضم أو الكسر ، وقد جاء الوجهان فى اللغة ، فيقال : يلمُس ويلمِس .

وهذا الخطأ قديم نبه عليه العلماء . فيقول الرملى الفقيه الشافعى فى شرحه للمنهاج فى مبحث البيوع المنهى عنها ٣ / ٥٧ : « (بأن يلمس) بضم الميم وكسرها . وما اشتهر على الألسنة من الفتح فلا وجه له ؛ لأنها فى الماضى مفتوحة وليست حرف حلق » . وكتب الشبراملسى فى حاشيته عليه : « (قوله : لأنها فى الماضى مفتوحة) نقل الأسنوى فى باب الأحداث الكسر فى الماضى . وعليه فيكون المضارع بالفتح . فلعل الشارح اقتصر على

الأشهر » . وهذا الذى نقله عن الأسنوى لا يعرف فى كتب اللغة . وكأنه اشتبه عليه لمس بمس . وهذه الأخيرة بكسر العين . والله أعلم .

ليس أضرّ بالمروءة من قلة المال . ليس أفضل من علىّ

وقع السؤال عن هذا التركيب ، وكيف يقرأ « أضر » أبا لرفع أم بالنصب .

والذى يظهر أنه يقرأ بالرفع فيكون اسما لليس ، وخبرها محذوف أى ليس شىء أضر بالمروءة من قلة المال موجودا ، وليس عندنا أفضل من على مثلا . وقد ذكر الصبان فى كتابته على الأشمونى فى مبحث عدّ أخوات كان أن ليس يجوز حذف خبرها عند فريق من النحويين ، وعزا ذلك إلى التسهيل لابن مالك . ونصه : « ذكر فى التسهيل أن ليس تختص بجواز الاقتصار على اسمها وحذف خبرها . قال الدماميني : « حكى سيبويه : ليس أحد أى هنا » وذكر الصبان بعد هذا أن جواز حذف خبر ليس مذهب الفراء .

التصميم : الخِطة

أرى أن توضع الخطة - بكسر الخاء - لما يعرف فى هذا العصر بالتصميم أو المشروع وهو الرسم الذى يقدره المرء لبناء أو عمل آخر . وفى كتابة المدابغى على الخطيب فى مبحث الجمعة : « خطة . هى بكسر الخاء أرض خط عليها أعلام للبناء فيها » .

محمد على النجار

ابدأ بالواجب الذى بين يديك

قال توماس كارلايل : « ابدأ قبل كل شىء بالواجب الذى بين يديك ، أى بالعمل الذى تعرف أنه واجب ، فإنك إن فعلت اتضح لك الواجب التالى » .

أحمد بن حنبل

عقيدته . مذهبه . محنته

نشأ الإمام أحمد فى العصر العباسى الأول ، حيث أدرك أئمة الفقه والحديث وأخذ عنهم ، فأخذ الفقه عن الإمام الشافعى ، وأخذ الحديث عن الأئمة الذين نوهت بهم فى كلتى الماضية عن هذا الإمام الكبير . وقد غلب على الإمام أحمد طريقة أهل الحديث ، بل كان إماماً لهم فى لزوم التمسك بظواهر الكتاب والسنة وما جاء عن السلف من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، لا يقبل فى شىء منه ملاينة ، ولا يستبيح فيه إدهانا ولا هوادة .

وقد شاء الله سبحانه أن يمتحن هذا الإمام العظيم . كما يمتحن عباده المقربين فكان ظهوره فى عهد ظهرت فيه الفلسفة وعلم الكلام المختلط بها ، وفتن الناس بهذه البحوث ، وتعدى ذلك الأمر إلى الخليفة المأمون ، وقرب أصحاب الكلام من أمثال ابن أبى دؤاد ويحيى بن أكثم وغيره ، وورثه المأمون الخلفاء من بعده ، وقد كانت فى الخليفة المأمون نزعات إلى البحث والدرس والتنقيب فى مختلف علوم الإسلام والعلوم الحديثة حينذاك . والجديد بطبعه محبوب .

كان المأمون أشد الخلفاء مناصرة للحرية فى البحث ، وتشجيعاً لرجال العلم ، وإغراء لهم بالمناظرات ، يعقد لها المجالس فى القصور ، ويعقدها فى المساجد ، ويعقدها فى غير ذلك من الأماكن : استخراجا للحقائق ، واستنباطاً للدقائق . وكان قد أمر يحيى بن أكثم منذ دخل بغداد لجمع له وجوه الفقهاء وأهل الرأى والعلم لذلك . وهذا المعنى — على ما فيه من حسنات جلى — فقد اتصلت به سنة سيئة هى فتنة خلق القرآن ، وقد يكون دعا إليها بحسن نية وحرص على حق يراه ، ولكن فاته أنه تنكب سنة السلف الصالح رضى الله عنهم وإن كره ذلك أصحاب الإمام أحمد لأنهم يرون كفره . وكفر كل من قال بقوله ، وعند الله سبحانه الهداية والتوفيق .

من أجل ذلك نشأت فتنة خلق القرآن التى ابتلى الله بها من شاء من عباده . وكان فى بغداد وغيرها من الأمصار معسكران : أما أحدهما فلأصحاب الكلام من المعتزلة الذين

يقولون بخلق القرآن ، ويكفرون من لا يقول به ، لأنهم ينكرون صفة الكلام لله ، ويقولون إن الله سبحانه وتعالى : إذا أراد الكلام خلقه فى شجرة أو نحوها . بل إنهم ينكرون صفات المعانى لله كما تقرر ذلك فى علم التوحيد ، لأنه ينبنى عليها تعدد القدماء فى رأيهم ، والقول بذلك كفر . ولهم مذهب معروف يرجع فى جملته إلى قاعدتين : العدل التى من فروعها مسألة الحسن والقبح وخلق الأفعال . والتوحيد التى من فروعها إنكار صفات الله ، ويتفرع عنها القول بخلق القرآن .

وأما المعسكر الثانى فلأصحاب الحديث الذين يأبون أن يعرفوا غير ما قال السلف الأولون ، ويأبون أن يخوضوا فى غير ما كان السلف يخوضون فيه ، وتشددوا فى ذلك حتى كفروا من قال بخلق القرآن لأنه كلام الله . وكلام الله غير مخلوق لأنه صفته ، وصفات الله قديمة .

وقد كان الإمام أحمد يمثل هذا الاستمساك أقوى تمثيل كما قلت لك ، ذكر الثقات أن رجلا جاءه يوما فقال : يا أبا عبد الله ، إجماع المسلمين على الإيمان بالقدر خيره وشره ، قال نعم . قال : ولا نكفر أحدا بذنب قال : اسكت اسكت ، من ترك الصلاة فقد كفر ، ومن قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، وقال عبدوس بن مالك القطان سمعت أحمد بن حنبل يقول : أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه الصحابة ، وترك البدع ، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدل ، وليس فى السنة قياس ، ولا يضرب لها الأمثال . والقرآن كلام الله غير مخلوق ، وإنه من الله ليس ببائن منه . وإياك ومناظرة من أحدث فيه ، ومن قال باللفظ وغيره . ومن قال : لا أدرى أمخلوق هو أم غير مخلوق ، وإنما هو كلام الله فهو صاحب بدعة . . الخ .

ويظهر لى أن قوله إنه من الله ليس ببائن منه قول من آثار الجدل والخصومة ، نضح عليه من بعض مخالطات اقتضتها ظروف المدارسات العلمية ، وإلا فإن السلف من الصحابة والتابعين فيما أظن لم يتكلموا بمثل ذلك . وكان أحمد يقول : من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر .

كان أحمد يرى إذاً ما يدل عليه ظاهر الكتاب والسنة ، ويقاوم كل فكرة فى الدين مستحدثة . ويا ليت أمر الخليفة المأمون وقف عند حد حرية الرأى ، والاتساع فى البحث ليذهب كل عالم نظار إلى ما يرجحه عنده الدليل ، إذاً لهان خطب أصحاب الحديث ، ولعاشوا

فى أمن من هذه النكبات التى سنرى صورة منها فى الإمام ابن حنبل . ولكن الله ابتلاه وابتلى أهل السنة بطائفة من المعتزلة علماء الكلام ، زينوا للمأمون أن يحمل الناس على التوحيد بالمعنى الذى ذهبوا إليه ، وهو يتحق بنفى الصفات عن الله مع أنه وصف بها نفسه ، ومنها صفة الكلام كما قدمت لك . ثم زعموا للمأمون أن مرضاة الله فى النهى عن المنكر . وأنه يجب أولا وقبل كل شىء تجريد عقائد الناس من ذلك ، وحملهم على القول بخلق القرآن ومعاقبة من تظهر منه مخالفة ذلك بما يعاقب به أهل الكفر . ولهم فى ذلك أدلة من العقل والنقل ليس فيها عند التحقيق مقنع ، وليس هذا مجال الخوض فيها .

ولعمرى لقد صرف هؤلاء الناس عن التوفيق ، وفتحوا فى هذه الأمة بابا من الابتداع وثغرة من الجدل والخلاف لم يعرفها السلف الأولون ، ولا يتسع لها دين تبنى عقائده على الاتباع وترك الجدل والمراء ولو فكروا قليلا لاقنعوا أنفسهم أنه يسع المسلمين إلى يوم القيامة ما وسع أصحاب محمد ﷺ وتابعيهم بإحسان . وأنه لا عيب على شخص مهما بلغت مرتبته فى العلم والبحث ألا يعلم فى الدين ما لا يعلمه محمد وصحبه .

على أن أصحاب الخلاف تغالوا فكفروا من قال بخلق القرآن . ويخيل إلى أنهم أسرفوا فى ذلك بما وسعوا به شقة الخلاف ، نسأل الله العافية .

وقد جاء بعد ذلك علماء فصلوا هذا البحث تفصيلا علمياً ، فرقوا فيه بين الكلام النفسى والكلام اللفظى ، وعلى رأسهم الإمام أبو الحسن الأشعرى ، ثم الإمام الغزالى وغيرهما ، وقد بدأت بوادر هذا البحث فى عهد الإمام أحمد نفسه ، ولكنه كان ينفر من ذلك ويأباه كل الإباء .

قال إسماعيل بن الحسن السراج عمن قال : القرآن مخلوق . فقال هو كافر . وعمن قال : لفظى بالقرآن مخلوق ، فقال هو جهمى .

فهو يرى أن من ذهب إلى أن التلفظ بالقرآن مخلوق مبتدع ، لأنه قال شيئاً جديداً لا يعرف عن الأولين . وربما كان حقا ولكنه شىء جديد فى الدين . على أن من أتباعه من علل كلامه فى ذلك تعليلا فلسفيا فقال إن كلمة (لفظى) مشترك بين معنيين : المعنى المصدرى الذى هو (التلفظ) وهو مخلوق لا محالة ، ومجموع التلفظ مع الملفوظ الذى هو القراءة مع المقروء ، وهذا ليس بحادث ، لأن فيه القرآن ، وهو غير حادث .

فلما كان اللفظ مشتركا موهما لخلق القرآن ، منع الإمام أحمد ذلك وعده بدعة مما أحدثه جهم بن صفوان . واحتج لأصل مذهبه من أن القرآن كلام الله غير مخلوق بإجماع السلف على أن القرآن كلام الله مع علم المسلمين أن القرآن بلغه جبريل عن الله إلى محمد ﷺ وبلغه رسول الله إلى الخلق ، والكلام إذا بلغه المبلغ عن قائله لم يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه . فهو كلام من قاله مبتدئا ، فالقرآن كلام الله إلى أن تقوم الساعة . وإلى ما شاء الله .

وأنت ترى أن هذا القدر لا يقتضى تكفير من قال بخلق القرآن (والعياذ بالله من ذلك) ولكنه مخالف لم يقم البرهان على كفره .

والحق عندى أن هذه كانت محنة خطيرة فرقت كلمة الجماعة ، وكانت العافية ألا تكون ، ولكنه إذ قضى الله باختلاط العرب بالأجانب ، ولهم ثقافات فلسفية ، وبحوث تشكيكية ، زلت أقدام المعتزلة ومن على مذهبهم فأصابوا من هذه المعارف أو المجاهل ما حكموه فى عقائد المسلمين ، فورطوا بعضهم باتباعهم ، وبعضا آخر بابتداع ألفاظ وبحوث اضطرهم إليها ظرف اختلاف الطائفتين ، ومحاولة انتصار كل منهما على الأخرى ، مع تكفير كل فرقة لمخالفتها ولاحول ولا قوة إلا بالله . حتى إن الإمام أحمد رضى الله عنه حكم بكفر من قال : لا أدرى القرآن مخلوق أم غير مخلوق ، ولو أراد هذا القائل أن يستبرىء لدينه ويخرج من مأزق الاضطراب والخلف الحادث فى هذه الأمة .

ولقد جاء بعد ذلك من صالحى هذه الأمة من خالف الإمام أحمد كأبى الحسن والغزالى وغيرهما من الفحول ، فتمد فرقوا بين الكلام النفسى والكلام اللفظى كما قدمت لك [1] وعندى أن هذه المسائل الدينية جدير بها أن تكون فى موضع الحيطة لمن أراد السلامة كما هو طريق أهل الحديث فإن فى الألفاظ متسعا فى الدلالات ، وجهات من الاحتمالات واستحداثا فى الموضوعات ، وفضفضة فى الأداء والانفهام .

ومن شاء فليدرس لفظ الحادث والقديم والخلق والكلام وغيرها من هذه العبارات التى كانوا يتباحثون بها ، فسيرى أن الخطب فيها غير هين . وأن تطرق الاحتمال فيها واقع وواضح ، فليعلم بعد ذلك أن السلامة فى نقل ما قال السلف الأولون . أما تكفير بعض الناس بعضا فليس سهلا فى دين الإسلام ، ولقد جر كثيراً من الويلات على هذه الأمة .

---

(١) المجلة ـ والمشهور عن الامام الاشعرى أنه عاد بعد ذلك إلى مذهب السلف الذى كان يذهب إليه الامام أحمد واستقر على ذلك .

خبر المحنة فى خلق القرآن :

كان أول من دس عقيدة القول بخلق القرآن إلى المأمون القاضى أحمد بن أبى دؤاد ، وكان هذا القاضى ممن تضلعوا بعلم الكلام ، وأخذه عن هياج بن العلاء السلمى صاحب واصل بن عطاء رأس المعتزلة ، وكان معظما عند المأمون فما زال يحسن هذه العقيدة عنده حتى اعتقدها كل الاعتقاد ، ثم حسن له هو وجماعة أن يدعو الناس إليها تطهيراً للعقائد بزعمهم : فأجمع رأيه فى سنة ٢١٨ ﻫ على الدعاء إليها ، فكتب إلى نائبه على بغداد إسحاق ابن إبراهيم الخزاعى فى امتحان العلماء كتاباً طويلا ندد فيه بمن ينكرون خلق القرآن وسبهم واحتج عليهم بما تعلم من أهل التوحيد من المعتزلة ، وأمره فى آخر الكتاب أن يجمع من بحضرته من القضاة ، ويقرأ عليهم كتاب الخليفة ، ويعلمهم أنه لا يستعين فى عمله بمن لا يقول بخلق القرآن . وأنهم إذا أقروا بذلك فليأمرهم ألا يقبلوا شهادة من لا يقول بخلق القرآن ، ثم كتب إليه فى إشخاص سبعة من أئمة الحديث إلى الخليفة ليمتحنهم بنفسه ، فكلهم أجاب المأمون تقية بعد أن توقفوا . ثم ردهم إلى بغداد وأمر إسحاق بن إبراهيم فأحضر الفقهاء ومشايخ الحديث وأخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعة فامتنع جماعة من الاعتراف به ، منهم أحمد بن حنبل ، وبشر بن الوليد الكندى ، وأبو حسان الرازى وغيرهم .

فأمره الخليفة بإحضارهم إليه ، فاستدعاهم إسحاق وبلغهم أمر الخليفة وناظرهم قبل أن يتصرف فى أمرهم ، فمنهم من ورّى فى قوله ، ومنهم من أصر على امتناعه ، وكان الحديث مع أحمد هكذا :

إسحق — ما تقول يا أحمد ؟

أحمد — كلام الله .

إسحق — أمخلوق هو ؟

أحمد — لا أزيد على هذا .

ثم وجه بأجوبتهم إلى المأمون ورد عليه المأمون بكتاب تناول فيه الجميع بالسب إلا من أقر ، وكان مما قال : « وأما أحمد فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى مقالته ، واستدل على جهله وآفته ، وفى نهاية الكتاب « ومن لم يرجع عن شركه فاحملهم موثوقين إلى عسكر أمير المؤمنين ليسألهم ، فإن لم يرجعوا حملهم على السيف » . فلما علموا ذلك أجابوا جميعاً

تقية ما عدا أحمد بن حنبل وسجادة والقواريرى ومحمد بن نوح ، فأمر بهم إسحق فقيدوا ثم سألهم من الغد وهم فى القيود فأجاب سجادة ، ثم عاودهم ثالثاً فأجاب القواريرى ، ووجه بأحمد بن حنبل ومحمد بن نوح إلى طرسوس فلما صاروا إلى الرقة بلغتهم وفاة المأمون ، ومات محمد بن نوح فى الطريق ، وكان عديلا لابن حنبل فى المحمل ، فغسله أحمد وصلى عليه ودفنـــه .

وكان المأمون قد كتب وصية يحرض الخليفة من بعده على حمل الناس ليقولوا بخلق القرآن ، واستقل المعتصم بالخلافة ، فلما صارت الخلافة إليه عمل بوصية المأمون واشتدت المحنة على أهل السنة ، وقد دعا أحمد مرتين فى مجلسين يطول شرحهما ، وفى الليلة الثالثة جمع الحشود ، وحشد الجنود ومعهم السياط ثم أمر العلماء بمناظرة الإمام وطالت المناظرات فى حضرة المعتصم فلما ضجر المعتصم دعاه وقال : ويحك . أجبنى حتى أطلق عنك بيدى . فقال له : أعطنى شيئاً من كتاب الله . فقال له عليك اللعنة وما زال يسبه . وقال : خذوه واسحبوه واخلعوه . ثم شدت يداه فى الخشب حتى تخلعتا . وهم المعتصم أن يسامحه لما رأى من صلابته وتدينه ، ولكن القاضى أغراه به وقال : إنه كافر ولا يسعك أن تغير سنة المأمون فدعا بالجلادين وجعلوا يتبادلون على الإمام حتى ضرب تسعة عشر سوطاً بغاية الشدة . ثم قال المعتصم : يا أحمد علام تقتل نفسك ، إنى والله عليك لشفيق . فجعل جندى ينخسه بسيفه ويقول : أتريد أن تغلب هؤلاء جميعاً ؟ وآخر يقول له : الخليفة على رأسك . وجعل الناس يقولون للخليفة : أنت صائم ، وأنت فى الشمس قائم . وهو يقول : أجب يا أحمد : والإمام أحمد يقول : أعطونى شيئاً من كتاب الله . وما زال على هذه الحال يعذب بألوان العذاب وهو صائم لا يفطر . وصابر لا يتحول عما يعتقده الحق والدين .

رحمك الله يا ابن حنبل ، وجعل للعلماء ورجال الدين فيك الأسوة الصالحة الكريمة ، فقد طال تعذيبه وهو صائم طاو لا يأكل ولا يشرب ولا يترفه بشىء فى سبيل مبدأ يراه الحق ويعتقد فيه الهدى والرشاد . وقد أمر المعتصم به فخلى سبيله ولم يستطع أن يقتله . ـ على أنه قتل غيره من أئمة الحديث ـ خوفاً من الرأى العام الذى حف بالإمام وأيده وأحبه حباً شديداً . وقد جاء فى بعض الخبر أن الناس اجتمعوا حول قصر الخليفة وهتفوا بأحمد حتى خاف السلطان .

وهكذا هكذا يجب أن يأخذ المسلمون ورجال الدين العبرة فى هذا الإمام الصالح الورع الزاهد الصابر المحتسب ، فإن فى هذه الصفات ما جعل فى هذا الإمام ومن على شاكلته علماء كأنبياء بنى إسرائيل يتفانى الناس فى حبهم . ويفزعون إليهم فى مهماتهم ويتخذون منهم الملوك والقادة يلتمسون فيهم خلافة الله فى الأرض .

اللهم جنبنا وعلماء هذا الجيل عثرات التذبذب والتكالب على الدنيا ، وهبنا توكلا عليك وزهداً فيما يشغل عنك . واجعل عصمتنا بك وحدك يا الله يا كريم .

ومات المعتصم سنة ٢٢٧ بعد محنة أحمد بن حنبل بسبع سنوات لم يتعرض له فى أثنائها بل تركه وما يدين مقدراً فيه شجاعته وثباته .

وتولى الواثق منذ ذلك أمر المسلمين وكان أوسع ثقافة من سلفه حتى كان يسمى المأمون الأصغر ، وتعصب للقول بخلق القرآن عن درس وبحث ، وجرت فى عهده مناظرات ومناوشات . واستدعى أحمد الخزاعى وقال له : ما تقول فى خلق القرآن ؟ فقال : كلام الله غير مخلوق . فحاول الواثق أن يحمله على أن يقول : إنه مخلوق فأبى . ثم ناظره فى مسائل أخرى من علم الكلام . فخالفه . وانتهى الأمر بقتله كما قتل غيره . ولكنه لم يتعرض للإمام أحمد بأكثر من قوله « لا تساكنى فى بلد أنا فيه » .

وجاء المتوكل بعد ذلك فلم يتعصب للقول بخلق القرآن ، بل نهى عن القول بذلك بعد نحو سنتين من خلافته ، فعظمه الناس وبالغوا فى الثناء عليه والدعاء له ، وكانت فتنة وقى الله الناس شرها على يد هذا الخليفة رحمه الله وغفر له . ومدحه الشعراء ، ومن أحسن من قال فيه البحترى الذى يقول فى بعض قصائده :

يا بانى المجد الذى قد كان قوض فانهدم
اسلم لدين محمد فإذا سلمت فقد سلم
نلنا الهدى بعد العمى بك والغنى بعد العدم

وفى عهد المتوكل كانت وفاة الإمام أحمد فى سنة ٢٤١ رحم الله الجميع وغفر لهم ؟

محمود النواوى

مقدمة الواجب

بعد أن ذكرنا تقاسيم الواجب المشهورة عند الاصوليين ، نرى أن نلم بشيء مما يسمونه مقدمة الواجب ، وإنما يقصد بها ما لا يتم الفعل المطلوب إلا به ، بمعنى أن المكلف إذا أمر بإقامة الصلاة فهل يجب عليه ضمن ذلك تحصيل الوضوء الذى تتوقف عليه الصلاة شرعا ولا تتم حقيقتها الشرعية إلا به .

والذى يتوقف عليه الواجب ينقسم إلى أسباب وشروط . وكل منهما عقلى أو عادى أو شرعى . فالسبب العادى كالنظر الصحيح الموصل إلى العلم بالوجوب ، والسبب الشرعى كالنطق بلفظ العتق الذى يترتب عليه تحرير الرقاب ، والشرط العقلى كترك الضد لأداء الواجب لاستحالة جمع الضدين . والشرط العادى كغسل جزء من الرأس ليتحقق غسل الوجه والشرط الشرعى كالوضوء لصحة الصلاة ، وبيان ذلك أن الأسباب ضرورية لوجود المسببات فلا بد من توجه الخطاب إلى طلبها حين يتوجه إلى طلب مسبباتها إذ هذه لا توجد إلا بوجود تلك ضرورة . فإذا طلب الشارع عتق رقبة فقد أمر بالإتيان باللفظ الذى هو سبب للعتق وإذا طلب العلم فإنما يطلب أن يتوجه إلى النظر الصحيح . فالحقيقة أن المسببات التى توجه إليها الطلب ظاهراً ليست من فعل العبد ، وإنما هى آثار لأسباب هى التى تنالها قدرته ويتناولها كسبه . فالطلب إنما يتوجه إلى هذه الأسباب أولا .

أما الشروط الشرعية فقد استفيد وجوبها من أوامر خاصة بها كالوضوء وستر العورة والطهارة وهى التى دلت على كونها شروطا ، وإذاً فلا حاجة بها إلى أن تستفاد من الإيجاب ضمن غيرها . وإذا تكلفنا موجبا آخر للشروط الشرعية فإنما يقال إن المكلف مطالب بتحصيل الواجب وهو لا يتحصل إلا بتحصيل شروطه ليتم مطلوب الشارع . وهذا هو الذى نقوله فى بيان أن الشروط العقلية والعادية واجبة التحصيل ليتم تحصيل الواجب المأمور به ، ويختصر تفصيل ما تقدم فى قاعدة قائلة ـ ما يتوقف عليه الواجب وهو مقدور للمكلف فهو واجب به ـ وإنما قيدت هذه القاعدة بالمقدور للمكلف ليخرج ما ليس مقدورا كاليد فى الكتابة والرجل فى المشى ودلوك الشمس لتحقيق المطلوب فى قوله جل شأنه « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل » .

الحرمة : هذا هو الثانى من أحكام التكليف . ويقال له التحريم والمحظور والمحرم والمعصية والذنب والمزجور عنه والمتوعد عليه والقبيح . وهذه العبارات تتردد على ألسنة الاصوليين والفقهاء . فالمحظور فى اللغة ما كثرت آفاته ومنه يقال لبن محظور أى كثير الآفة . وقد يطلق بمعنى المنع والقطع ومنه قولهم حظرت عليه كذا أى منعته منه . ومنه الحظيرة للبقعة المنقطعة تأوى اليها المواشى ، والحرام هو ما ينتهض فعله سبباً للذم شرعا بوجه ما من حيث هو فعل له ، فانتهاض فعله سبباً للذم يميزه عن الواجب والمندوب وسائر الاحكام . وقد يعرف بأنه طلب ترك الشىء طلباً جازما بحيث يثاب على تركه ويذم على فعله . وإذ قد علمنا أن الواجب هو ما طلب فعله ، فوجوب ترك الفعل يكون منافيا لوجوب طلبه وقد اتفق الأصوليون على استحالة الجمع بين الحظر والوجوب فى فعل واحد ، من جهة واحدة . على القول الراجح من عدم جواز التكليف بالمحال . ثم اختلفوا فى جواز انقسام النوع الواحد من الافعال إلى واجب وحرام ، كالسجود لله تعالى ، والسجود للصنم ، فأجازه جمهرة الأصوليين والفقهاء ، ومنعه بعض المعتزلة ، استنادا منهم إلى أن السجود نوع واحد وهو مأمور به لله تعالى فلا يكون حراما ولا منهيا عنه بالنسبة إلى الصنم من حيث هو سجود وإلا كان الشىء الواحد مأموراً به ومنهيا عنه وذلك محال . فالمحرم المنهى عنه قصد تعظيم الصنم وهو مغاير للسجود . وكما اختلف فى الواحد بالنوع بين أهل السنة وبعض المعتزلة اختلف فى الواحد بالشخص كالصلاة فى الدار المغصوبة فعند الأكثر تصح إذ لا مانع من ذلك لاختلاف جهتى الوجوب والحرمة ، فان الكون فى المكان المغصوب وإن كان واحدا بالشخص ، لكنه متعدد باعتبار كونه صلاة وعبادة لله تعالى ، وباعتبار كونه غصبا وتعديا على الغير فيمكن افتراق إحدى الجهتين عن الأخرى . فبالجهة الاولى يكون واجبا وبالجهة الثانية يكون حراما ، نظير ذلك إذا أمر عبده بالخياطة ونهاه عن السفر فسافر وخاط فى السفر فإنه مطيع فى الخياطة ، وعاص فى السفر . وهناك مخالفات فيما ذكرنا للقاضى أبى بكر الباقلانى والجبائى وغيرهما . وقد أقاما أدلة لما ذهبا إليه وقد ضعفت بحيث تعجز عن الوقوف أمام أدلة الجمهور .

والنهى تارة يرجع إلى ذات المنهى عنه فلا يمكن إيجابه ، وتارة يرجع إلى وصف فى المنهى عنه فيجوز إيجابه ، وذلك كوجوب الطواف مع النهى عن إيقاعه مع الحدث

وكمشروعية الصوم مع النهى عن إيقاعه يوم النحر . فيقال الصوم من حيث هو صوم مشروع ومن حيث أنه واقع فى هذا اليوم غير مشروع ، والطواف مشروع بقوله تعالى « وليطوفوا بالبيت العتيق » ولكن وقوعه فى حالة الحدث مكروه . والبيع من حيث أنه بيع مشروع لكن من حيث وقوعه مقترنا بشرط فاسد مكروه . والطلاق من حيث أنه طلاق مشروع ومن حيث وقوعه فى الحيض مكروه ، إلى غير ذلك من التصرفات المقرونة بأوصاف توجب الكراهة دون الفساد .

ويذهب الشافعى إلى أن المحرم بوصفه مضاد لوجوب أصله . وصورة المسألة ما إذا أوجب الصوم وحرم إيقاعه فى يوم العيد ، ذاهبا إلى أن المحرم هو الصوم الواقع فى هذا اليوم فألحق المحرم بوصفه بالمحرم بأصله ، وجعل تحريمه مضادا لوجوبه ، وذهب أبو حنيفة فى هذه الصورة إلى أن المحرم نفس الوقوع لا الواقع ، وهما غيران ، فلا تضاد ، فألحق المحرم باعتبار الوصف بالمحرم باعتبار الغير .

وكما وقع الاختلاف فى هذه المسألة وقع الاختلاف فى جواز تحريم أمر مبهم من أمرين معينين إذ لا مانع من ورود النهى بقوله لا تكلم زيدا أو عمرا ، وقد حرمت عليك كلام أحدهما لا بعينه ، ولست أحرم عليك الجميع ولا واحدا بعينه . ولا شك أنه إذا كان كذلك فليس المحرم بمجموع كلا منهما ولا كلام أحدهما على التعيين لتصريحه بنقيضه ، فلم يبق إلا أن يكون المحرم أحدهما لا بعينه . وذهب بعض المعتزلة إلى منع تحريم واحد مبهم من أمرين معينين ويكفى للرد عليهم أنهم خالفوا اللغة فيما ذهبوا إليه .

وإذ قد ذهب الحنفية إلى التفرقة بين الفرض والواجب كما سبق بيانه ، ذهبوا إلى التفرقة فى النهى مستندين إلى أن النهى ينقسم إلى قسمين باعتبار طريق الثبوت .

فالأول ما ثبت قطعا بنص الكتاب والسنة المتواترة والإجماع ، فمفاد ذلك التحريم المقابل للفرض .

والثانى ما ثبت ظنا كالثابت بأخبار الآحاد والقياس ، وهذا مقتضاه كراهة التحريم فهو يقابل الواجب . فالمكروه تحريما منزلته تقرب من الحرام عند أبى حنيفة وأبى يوسف . وقال محمد : كل مكروه حرام ، ولا خلاف بينهم وبين غيرهم من الأصوليين فى المعنى ، وهو أن المكروه معاقب عليه كالحرام ، إلا أن جاحده لا يكفر ، لأن ما طريقه الظن لا يكفر جاحده عند الجميع .

عبد الله المراغى

السيد جمال الدين الأفغاني

نسبه وحياته :

هو السيد محمد بن صفدر ، وقد ولد فى سنة ١٢٥٤ هـ (سنة ١٨٣٨ م) فى أسعد أباد بمقاطعة كابل بأفغانستان ، من أسرة شريفة يرجع نسبها إلى الحسين بن على ، ومن أجل هذا كان يدعى بالسيد . وكان على الترمذى المحدث الشهير من أجداده . وتروى بعض المصادر الأخرى أنه ولد فى أسد أباد بالقرب من همدان بفارس ، وأنه هو الذى قد تعمد تغيير مسقط رأسه لينجو من الطغيان الفارسى . وعلى أى الأحوال قد أمضى السنين الأولى من حياته بالقرب من كابل فى أفغانستان . ولما شب درس الفلسفة والرياضة فى تلك الأصقاع بقدر ما كانت المناهج الشرقية تسمح به فى ذلك العهد .

وفى سنة ١٢٧٣ هـ ارتحل إلى مكة ليؤدى فريضة الحج . وبعد عودته إلى أفغانستان التحق بخدمة الأمير « دوست محمد خان » . وعلى أثر موت هذا الأمير قذفت به صداقته مع محمد أعظم شقيق « شير على » الأمير المتطلع إلى العرش فى معمعان الاضطرابات التى وقعت بين الأسر المالكة . وبعد أن تم الأمر للأمير الجديد عين جمال الدين وزيرا له ، ولكن حكم هذا الأمير لم يدم طويلا . وعلى أثر سقوطه صمم جمال الدين على أن يهجر أفغانستان فغادرها فى سنة ١٢٨٥ هـ إلى الهند ثم إلى القاهرة حيث أقام أربعين يوما انعقدت أثناءها الصلة بينه وبين الدوائر الأزهرية ، وألقى فى منزله على بعض الناهضين من الأزهريين محاضرات ودروسا . وفى سنة ١٢٨٧ هـ ارتحل إلى القسطنطينية ، وكانت شهرته قد سبقته إليها ، فاستقبلته الهيئات العالية فى تركيا استقبالا فخما ، ولم تلبث أن عينته فى وزارة المعارف وكلفته بإلقاء محاضرات عامة فى مسجد « أياصوفيا » وفى جامع السلطان أحمد ، فحسده رجال الدين هناك ، وعلى رأسهم شيخ الإسلام حسن فهمى ، وظلوا يترقبون الفرصة للإيقاع به . وقد قدم إليهم جمال الدين نفسه هذه الفرصة حيث صرح ـ فى محاضرته التى ألقاها فى دار الفنون عن فوائد الفن ـ أن النبوة هى إحدى الوظائف الاجتماعية وأنها فن من الفنون ، ففهم هؤلاء من ذلك أنه يعنى أن النبوة مكتسبة .

لم يكد هذا التصريح يعلن حتى ثارت ثائرة شيخ الإسلام ، واتهمه بالمروق عن الدين وفى الحال غادر جمال الدين العاصمة العثمانية واتجه إلى القاهرة ، فاستقبله القائمون بالأمر خير استقبال ، واحتفت به البيئات المثقفة أجل احتفاء ، ومنحته الحكومة المصرية اثنى عشر ألف قرش سنويا دون أن تكلفه بعمل محدد .

مكنته هذه المعونة من أن يلقى فى منزله على الشبان الناهضين المتعطشين إلى العلم محاضرات فى الفلسفة والتوحيد وفى إيضاح طريق الإنتاج الادبى . وفى أثناء هذه الدروس كان يتحين الفرص لإيقاظ الشعور الوطنى فى نفوس هذا الشباب الغافل، فيشوقه إلى الحرية الكاملة والاستقلال التام ، ويحبب إليه الأنظمة الدستورية الحرة ولما كان الشباب المصرى يتشرب تعاليمه فى شغف ويسارع إلى العمل بها فقد ضايقت سياسته الإنجليز فى مصر كما ضايقت تجديداته ودروسه الفلسفية البيئات الازهرية يومئذ ، فتذرع الاولون بسخط الآخيرين وأمروا بطرده من مصر ، فارتحل إلى الهند ، وهناك أرغمته السلطات الإنجليزية على أن لا يبرح حيدر أباد ، وفيها ألف رسالته : « الرد على الدهريين » .

بيد أن تعاليمه لم تنطفىء فى مصر بعد رحيله منها ، بل قد يكون لهذه التعاليم أثر فى الحركة الوطنية التى اشتعل أوارها فى سنة **١٨٨٢** م ، والتى انتهت بضرب الإسكندرية والاحتلال الانجليزى .

وبعد أن تم الأمر للانجليز فى مصر ، وأيقنوا بأن أقدامهم قد تثبتت فيها ، وأن الدعاية ضدهم لم تجد لها مجالا ، سمحوا لجمال الدين بمغادرة الهند ، فارتحل إلى أمريكا بنية اعتزام التجنس بالجنسية الأمريكية ، ولكن يظهر أنه لم ينفذ هذه الفكرة ، وفى سنة **١٨٨٣** ارتحل إلى لندن فبقى فيها وقتا قصيراً ، ثم غادرها إلى باريس ، فأقام بها يرافقه صديقه وتلميذه الشيخ محمد عبده ، وهناك نشر فى تفصيل آرائه السياسية التى هاجم فيها بعنف تدخل انجلترا فى مصير الشعوب الإسلامية . وقد فتحت كبريات الصحف وأكثرها تأثيرا صدورها لمقالاته التى عنيت بها البيئات الممتازة ، والتى كانت تمس سياسة انجلترا وروسيا فى الشرق ، وتعنى بأحوال تركيا ومصر ، والتى كشفت مغزى حركة المهدى فى السودان .

وفى هذا الوقت عينه حدثت مناقشاته مع المسيو رينان بسبب المحاضرة التى ألقاها هذا

الأخير فى السوربون عن الإسلام والعلم ، والتى حمل فيها منشئها على الإسلام حملته الجائرة الشهيرة ، فرد عليه السيد جمال الدين بمقال قيم نشر أولا فى جريدة « الديبا » ثم ترجم إلى اللغة الألمانية ، وبعد زمن قصير ترجم حسن أفندى عاصم محاضرة رينان إلى العربية ، ونشرها مع رد السيد جمال الدين .

غير أن نشاط السيد جمال الدين السياسى والأدبى قد ظهر على الأخص فى مجلته : العروة الوثقى الأسبوعية . التى كان يصدرها بمعونة الشيخ محمد عبده ، والتى كانت تطبع على نفقة جمعية إسلامية هندية ، والتى كانت تهاجم فى قسوة لا تعرف اللين أعمال انجلترا فى البلاد الإسلاميه ، ولا سيما فى مصر والهند .

لم يكد العدد الأول من هذه المجلة يظهر فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠١ (١٣ مارس سنة ١٨٨٤) حتى تعقبتها السلطات الانجليزية فى الشرق فمنعت دخولها إلى مصر والهند ولم ينجح القائمون بها فى إدخالها إلى تلك البلاد إلا بوضعها فى أغلفة كأنها رسائل خاصة .

لم يطل أجل هذه المجلة إذ لم يظهر منها إلا ثمانية عشر عددا كان آخرها فى ٢٦ ذى الحجة سنة ١٣٠١ (١٧ أكتوبر سنة ١٨٨٤) ولكن تأثيرها كان رغم ذلك عظيما فى انتشار روح الحرية وكراهية الانجليز فى البيئات الإسلامية ، ويمكن أن تعتبر طليعة أدبية للحركات الوطنية التى جعلت تنمو منذ ذلك العهد فى البلاد الإسلامية المملوكة لانجلترا ، بل يمكن الاقتناع بأن أهميتها لم تنقص إلى الآن . ومن آيات ذلك أن حسينا محى الدين الحبال مدير مجلة « أبابيل » أعاد طبع « العروة الوثقى » فى سنة ١٣٢٨ (سنة ١٩١٠) .

على الرغم من هذه الكراهية العلنية التى كان يبديها السيد جمال الدين نحو الانجليز ، فإن رجال الحكومة الانجليزية قد دخلوا فى مفاوضة شخصية معه ليستعينوا به على إخفات الحركة السودانية فى سنة ١٨٨٥ م ، ولكن هذه المفاوضة لم تنتج أية فائدة عملية .

وفى سنة ١٨٨٦ وكان حماسه لإيقاظ الشعوب الإسلامية قد جعل ينمو ويمتد ـ دعى برقيا إلى بلاط الشاه ناصر الدين بطهران فلبى الدعوة ، وهناك استقبل استقبالا حافلا وعين فى مناصب رفيعة ، ولكن تأثيره وشعبيته لم يلبثا أن حملا الشاه على الاحتياط منه ، بل على التبرم به ، فلما رأى هذه الحالة غادر بلاد فارس مدعيا أن ذلك لأسباب صحية ، ثم اتجه

إلى روسيا حيث ألف صلات سياسية هامة ، وأقام بتلك البلاد إلى سنة ١٨٨٩ م . وفى ذلك التاريخ التقى أثناء سفره لزيارته معرض باريس العام بالشاه فى مونيخ ، فحمله هذا الأخير على العودة إلى فارس فعاد وحظى بثقته ، ولكن هذه الحالة لم تدم طويلا ، إذ لم يلبث الوزير ميرزا على أصغرخان أمين السلطان أن حسده ورأى فى شخصيته خصما له ، فأخذ يدس له حتى نجح فى تصييره موضع ريبة السلطان . وقد استعان على هذه الدسيسة بالتجديد الذى كان السيد جمال الدين يريد إدخاله على التشريع ، فأحس بالخطر الذى يتهدده ، فالتجأ إلى مسجد السلطان عبد العظيم بالقرب من طهران ، والذى من دخله كان آمنا ، وظل فيه سبعة شهور يحوطه عدد من المعجبين به ، الذين كانوا يتلقون فى شغف نظرياته عن التجديد السياسى ، فى البلاد المضطهدة ، ولكن ذلك الوزير أخذ يضاعف دسائسه له عند الشاه ويبين له الأخطار الناجمة عن تعاليمه حتى دفعه إلى الاعتداء على حرمة ذلك الملجأ فبعث إليه خمسمائة فارس أحضروه مكبلا فى الحديد ، رغم سوء حالته الصحية ، واقتادوه فى هذه الأغلال إلى الحدود الفارسية التركية ، وكان ذلك فى أوائل سنة ١٨٩١ م فاتجه إلى البصرة وأقام فيها وقتا قصيرا ثم ارتحل إلى انجلترا حيث قام - فى مقالاته ومحاضراته - بحملة عنيفة ضد الفزع السائد فى فارس . وفوق ذلك فإن طرده من تلك البلاد قد ساعد كل أنصار التجديد فيها على الظهور لا سيما وأنه كان على اتصال دائم بهم يشجعهم فى رسائله على السير فى طريقهم .

ولما منحت الحكومة الفارسية إحدى الشركات المالية الإنجليزية امتياز احتكار التبغ وظهرت نتائج هذا التصرف السيئة التى سلبت البلاد جانبا عظيما من ثروتها ، اتخذ السيد جمال الدين هذا الحادث وقودا لنار حملته . وفى أثناء ذلك بعث إلى ميرزا حسن الشيرازى - وكان أول مجتهدى سامرّا إذ ذاك - رسالة مشتملة على حملة عنيفة على الحكومة اتهمها فيها بالسفه ، وبالتبذير فى المال العام لمصلحة أعداء الإسلام . ومما جاء فى هذه الرسالة قوله : إن الأوربيين قد منحوا قبل ذلك عدة امتيازات هامة ، جعلتهم فى الصف الأول من صفوف الاقتصاد . والآن سينتهى امتياز احتكارهم التبغ بتسليمهم بلاد فارس نهائيا .

لم يقتصر السيد جمال الدين على إبلاغ ميرزا حسن هذه التهمة ، بل أبان له بعض المظالم الأخرى التى ترتكبها الحكومة ، وعلى الخصوص قسوة أعضائها ، وعلى رأسهم ميرزا على أصغر خان . وقد أراد بذلك كله أن يوقظ السلطات الدينية والشخصيات المثقفة من نومها العميق ليدفعها إلى عمل عظيم باسم الدين .

كانت النتيجة الأولى لهذه الرسالة أن أصدر المجتهد فتوى حرم فيها استعمال التبغ على جميع المؤمنين حتى تلغى الحكومة عقد الاحتكار . وعلى أثر ذلك اضطرت الحكومة إلى الإذعان فألغت العقد ودفعت تعويضا ماليا كبيرا للشركة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن تأليب جمال الدين للشعب ضد الشاه أخذ ينمو حتى تحول إلى حركة تجديدية عنيفة لم تلبث أن انفجرت بمساعدة رجال الدين وانتهت بقتل الشاه فى ١١ مارس سنة ١٨٩٦ بيد ميرزا محمد رضا أحد أنصار جمال الدين .

وفى أثناء مقام السيد جمال الدين فى انجلترا تسلم رسالة من السلطان عبد الحميد يطلب إليه فيها أن يذهب إلى القسطنطينية فينزل ضيفاً على السلطان ، فلم يتردد فى السفر ، وعند وصوله إلى تلك المدينة منحه السلطان خمسة وسبعين جنيها تركيا فى الشهر ، ومنزلا جميلا على تل « نشان طاش » بالقرب من قصر يلدز حيث استطاع أن يعيش عيشة الأمراء ، فأمضى هناك الأعوام الخمسة الأخيرة من حياته ، وقد وصف أحد الرحالة الألمان حالته فى ذلك العهد فصرح بأنه كان فى سنة ١٨٩٦ يتأرجح بين نعم السلطان عبد الحميد ، ودسائس أتباعه التى لا تندرج تحت حصر ، وأنه طلب عدة مرات السماح له بالسفر فلم يؤذن له فى ذلك ، ومعنى هذا أنه كان يحيا فى هذا المنزل الجميل الموضوع تحت تصرفه حياة من يعيش فى أسر مذهب .

وبعد قتل الشاه جعلت حالة جمال الدين تتعقد شيئاً فشيئاً ، إذ أذاع أعداؤه فى بلاد فارس أنه هو الذى يدبر — وهو فى القسطنطينية — المؤامرة ضد الشاه ، وأنه هو الذى دفع القاتل ، وهو من أنصاره المخلصين ، إلى ارتكاب جريمته ، وبالرغم من أن السلطان عبد الحميد قد أبى أن يسلمه إلى الفرس ، فإن تهمته قد أخذت تنمو وتنتشر فى مختلف الأوساط ، ولما كان من بين خصومه الخطيرين أبو الهدى ، وهو أكثر رجال الدين تأثيراً فى البلاط إذ ذاك ، فقد اتهم بدس السم له فى ٩ مارس سنة ١٨٩٧ ، ولكن ذلك غير صحيح ، إذ أن السيد جمال الدين قد توفى بالسرطان ودفن فى مقبرة « نشان طاش » .

منتجاته :

أما منتجاته فأكثرها محاضرات متفرقة ، ودروس منثورة ، لأنه - رغم هذا العلم الغزير - لم يترك كثيراً من المؤلفات ، ومن أهم ماسجل من منتجاته : (ا) رسالته فى الرد على الدهريين

وقد كتبت باللغة الفارسية ، وترجمها الشيخ محمد عبده إلى العربية بعنوان : « رسالة فى إبطال مذهب الدهريين ، وبيان مفاسدهم وإثبات أن الدين أساس المدنية ، والكفر فساد العمران ، وطبعت للمرة الأولى فى بيروت فى سنة ١٣٠٣ هـ ، وللمرة الثانية فى القاهرة فى سنة ١٣١٢ هـ ، وترجمت كذلك إلى اللغة الأوردية (ب) « تتمة البيان » وهو موجز فى تاريخ أفغانستان ، وله صورة فوتوغرافية أخذت فى القاهرة . (ج) مقال عن الباب فى دائرة معارف البستانى . (د) رده على رينان ، وقد نشره حسن أفندى عاصم بالعربية . (هـ) مقالاته فى مجلة العروة الوثقى . (و) مقالاته فى مجلة ضياء الخافقين ، وهى مجلة شهرية باللغتين العربية والإنجليزية ، كان السيد جمال الدين أحد مؤسسيها ومحرريها ، وكان يكتب فيها بتوقيع السيد أو السيد الحسينى أعنف المقالات هجوما على الشاه . (ز) محاضرتان فى التربية والمهن ، وقد نشرتا فى مجلة «مصر» فى ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩٦هـ . (ح) مقالان سياسيان عنوانهما : فى الحكومات الاستبدادية ، نشرا فى المجلد الثالث من المنار .

الدكتور محمد غلاب

سبب تأخر المسلمين

قال الأستاذ هنرى لاوست : من القرن الخامس عشر الميلادى بدأ الانحطاط فى العالم الإسلامى . وللمسلمين اهتمام شديد فى البحث عن أسباب هذا الانحطاط : فمنهم من يرى أنه ناشىء عن عدول المسلمين عما كان عليه سلفهم فى العصر الأول . وبعض الأوربيين يرى أن سبب تأخر المسلمين عدولهم عن البحث فى فلسفة أرسطو . والذين يقدرون تقدم الآلات الميكانيكية فى الغرب يرون أن سبب تأخر المسلمين تقصيرهم فى الأخذ بأسباب الصناعة ومجاراة الأمم فيها . وفى الواقع أن المسلمين لم يقتبسوا الطباعة إلا فى أزمان متأخرة ولو بكروا فى ذلك لكان له الأثر الطيب . ويعد فى جملة أسباب تأخر المسلمين ما كان من تعصب الترك على القومية العربية حتى قصرت عن بلوغ ما تستطيعه .



كمال الايمان

روى أبو داود عن أبى أمامة رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان » .

فى هذا الحديث الشريف يجلى لنا رسول الله ﷺ أربعة أمور يقوم عليها نظام الحياة ، وتتوثق بها روابط الجماعة ، وتتضافر لنا أسباب العزة ، فى خلوص من الشوائب ، ونقاوة من الأكدار ، وترفع عن الزلفى ، وسمو بالغرض النبيل .

ذلك أن علاقات الأفراد والجماعات تتجاذبها عوامل الحب والبغض ، وأن تعامل الأفراد والجماعات يتردد بين الإعطاء والمنع ، ولا بد من أساس يقوم عليه هذا التعامل وتتركز به تلك العلاقات .

فالحب لله عزة وسمو ، والبغض لله تنمية وتزكية ، والإعطاء لله وصلة صادقة لا تبلى ، والمنع لله تأديب بالغ ، وزجر مشكور .

ولا يحب من أحب لله إلا محبوباً مهذب النفس ، كريم الشمائل ، طاهر اليد ، عف اللسان ، طيب السيرة ، محمود السريرة ، يحبه لله لأن له صفات يحبها الله .

وفى ذلك ربط وثيق بين المتحابين ، وتدعيم لهذه الأسس الكريمة التى يحفظها الله ويباركها الله ، أما أن يكون الحب لغاية رخيصة فى متعة زائلة ، من مال ، أو جاه ، أو منصب ، فلن يدوم هذا الحب ، ولن يسلم من عوامل الكراهية والبغضاء ، وهو بعد ، لا يخلص لله أبداً ، ولا يبلغ الغاية أبداً .

روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .

والحب فى الله يستتبع الإجلال والإكبار لمن أحب ، والتفانى فيه ، والذود عنه ، والنصح له . كل ذلك فى إخلاص لا يشوبه رياء ، وولاء لا يلابسه ملق ، وتقدير وتوقير

لكرامة النفس، ونبالة الأخلاق. فالولاء للحاكم العادل حب لله، وتقدير الجندى الباسل المجاهد حب لله، واحترام الموظف الأمين حب لله، وتشجيع العامل الوفى حب لله، والإقبال على التاجر الصادق حب لله، لأننا أحببنا فى هؤلاء عدالتهم، وبسالتهم، وأمانتهم، ووفاءهم، وصدقهم. وكلها صفات كريمة يحبها الله. ويأمرنا بها، ويحفزنا على أن نهيء مكانها فى أعماق النفوس وبين طيات الجوانح، فإذا اجتمعنا على هذا الحب من أجل هذه المكرمات، فإن فضل الله يغمرنا، ونوره يغشانا، ونصره يلاحقنا فى أمن ويمن وإعزاز، روى أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله، قالوا: يا رسول الله فتخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، وقرأ هذه الآية: «ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون».

وروى الحاكم عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا فى الليلة الظلماء. وأدناه أن تحب على شىء من الجور؛ وتبغض على شىء من العدل، وهل الدين إلا الحب والبغض؟».

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلهم فى ظلى، يوم لا ظل إلا ظلى».

وكما يكون الحب لله من كمال الإيمان، يكون البغض لله كذلك من كمال الإيمان.

فبغض الحاكم الظالم المستبد بغض لله، وبغض الجندى المتبلد الذى لا يقوم بواجبه بغض لله وبغض الموظف المتراخى بغض لله، وبغض العامل الخامل بغض لله، وبغض التاجر الخائن بغض لله.

والبغض لله يستتبع القضاء على تلك المفاسد، وإزالة هذه الشرور، فإننا حين نبغض لله إنما نبغض ظلم الحاكم، وبلادة الجندى، وتراخى الموظف، وخمول العامل، وخيانة التاجر وتلك لعمر الحق آثام ومناكر يبغضها الله، فوجب أن نبغضها لله فنسارع لإهدارها والإنكار عليها، وتطهير المجتمع منها ليقوم مجتمع صالح. ويسود شعب نظيف. ومن رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان. كما حدث بذلك الرسول الحكيم صلى الله عليه وسلم.

أما الإعطاء لله ، فهو البذل من غير مَن ولا أذى ، لسد حاجة السائل والمحروم ، وهو إنما يكون لله ، إذا وقع فى شغف بالبذل ، وفرح بالإيتاء . والمعطى من ماله كالمعطى ذات نفسه ، وكالمعطى من جاهه ، ففى كل عطاء . فمن ضاق به ماله فليبذل من نفسه طلاقة وجه ، وبشاشة لقاء ، وليبذل من لسانه دلالة على الخير وهداية إلى البر ، وليبذل من قوته وفتوته مقاومة للمستعمر ومدافعة عن حمى الوطن ، وليبذل من تفكيره ونضج عقله صواب الرأى وجمال التوجيه . فنى الحديث « صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، والصدقة خفيا تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر ، وكل معروف صدقة ، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة ، وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة ، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف » .

فالحديث الكريم يبين أن كل معروف صدقة ، وليست الصدقة قاصرة على بذل المال .

فابذلوا ـ أيها الناس ـ من مالكم . وجاهكم ، وقوتكم ، وتفكيركم لنفع البلاد . ونفع العباد ، ففى ذلك كله إعطاء لله ، وما أجمل قول الشاعر :

إذا ملكت كفى منالا ولم أنل فلا انبسطت كفى ولا نهضت رجلى
على الله إخلاف الذى قد بذلته فلا متلفى بذلى ولا مسعدى بخلى
أرونى بخيلا طال عمرا ببخله وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

والمنع لله هو الإحجام عن إنالة كل ما يساعد على الإثم والفسوق والعصيان . وهو كذلك يتناول قبض اليد عن البذل فيما يجر ضررا . والكف عن معاونة الأعداء ، والتضييق عليهم ، وحصارهم حتى تضيق عليهم الأرض بما رحبت ، وتضيق عليهم أنفسهم ، وكل منع وإعنات ، وتضييق فى هذا السبيل ، فهو منع لله . . .

وبعد فهذه يا معشر الناس ، هى الباقة المزدهرة العطرة ، التى قدمها لكم سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لتجدوا من نفحها النبوى ، ونورها المحمدى ، وتماسكها القوى ، روحا وريحانا ، نروح فى ظله ، ونعبق من ريحه ، فنؤدى واجب النفس ، وواجب الغير . وواجب الوطن . لتسود أمتنا ، وتظفر نهضتنا ، ونسعد فى ديننا ودنيانا .

والسلام على من اتبع الهدى ؟

محمد عبد التواب
أستاذ بكلية الشريعة

نداء الأستاذ الأكبر إلى الطلاب

بمناسبة افتتاح العام الدراسى بالأزهر

فى يوم السبت ٢٢ صفر بدأت الدراسة فى الأزهر ، ومعاهده ، وكلياته . وقد وجه يومئذ صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر هذا النداء :

أبنائى طلاب الأزهر والمعاهد الدينية

سلام الله عليكم ورحمته

أما بعد فإنكم اليوم تستقبلون عاما جديدا من حياتكم الدراسية الميمونة ، وإنه ليطيب لى ولأساتذتكم أن نتلقاكم بالابتهاج والترحيب ، وأن نؤازركم فيما تبغون من خير ، وتنشدون من آمال ، وأن أبذل لكم النصح ، راجيا لكم التوفيق والسداد .

أبنائى :

إنكم تعدون لغاية نبيلة ، ومقصد عظيم ، يتقاضاكم أن تتزودوا من العلم ، وأن تتحلوا بأحاسن الأخلاق ، وتتجملوا بآداب الإسلام . فارصدوا لذلك أوقاتكم ، وقفوا له جهودكم واصرفوا فيه مواهبكم مخلصين صادقين .

فبإخلاصكم ومثابرتكم تبلغون آمالكم ، وتبنون مجدكم ، ومجد الأمة التى تحوطكم بقلوبها ، وتعلق عليكم آمالها . فإن العلم أهدى سبيل إلى المجد ، وأقوى دعامة لحضارة الأمم ورقيها .

وقد نهضت الأمة إلى المجد واطرحت حياة البطالة واللهو ، فاستشعروا الواجب عليكم لدينكم ولأمتكم ، وكونوا فى طليعة العاملين ، وفقكم الله ، وعصمكم من بواعث الشر ، ونفعكم بالعلم ونفع بكم . . .

والسلام عليكم ورحمة الله .

نظرة في شاهد

قال الشاعر :

قد ثكلت أمه من كنت « واحده » وبات منتشباً في برثن الأسد

هذا البيت منسوب إلى حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من شواهد النحو ، استشهد به ابن عقيل فى شرحه لألفية ابن مالك على جواز تقدم الخبر الجملة على المبتدأ حيث لا ضرر من التقديم ، موافقة لرأى الناظم ابن مالك فى هذا الرأى . وقد شرح شراح الشواهد هذا البيت على الصورة التى هو عليها فى أول هذا الكلام قائلين : إن حسان بن ثابت رضى الله عنه مدح به أحد شجعان المحاربين بأن من « يجده » هذا الشجاع فى الحرب تفقده أمه ، ويبيت بعد قتله منتشبا — أى معلقاً — فى كف الأسد يأكله بعد موته .

وظاهر من هذا الشرح أن كلمة « واحده » بالحاء مصحفة عن كلمة « واجده » بالجيم وهى موجودة كذلك بالجيم فى النسخة الخطية من شرح ابن عقيل . وقد شرح هذا الشاهد أحد أساتذتنا المعاصرين وأثبت كلمة « واحده » بالحاء ولم يتعرض لشرحها ، وتكلم عما عداها من الكلمات ، ولم يهتد تبعاً لذلك إلى شرح معنى البيت الإجمالى كما ينبغى .

ولكن بعد الرجوع إلى ديوان حسان رضى الله عنه تبين لى أن الشراح القدامى ومعهم أستاذنا المعاصر لم يعنوا أنفسهم بالرجوع إلى ديوان الشاعر حتى يعرفوا المناسبة التى قيلت فيها القصيدة التى منها البيت ، وحتى يعرفوا إن كان هذا البيت مصحفا أو غير مصحف ، وأن المعنى الذى استنبطوه منه يطابق المعنى الذى قصده الشاعر أو لا يطابقه والحق أن المناسبة التى قيلت فيها القصيدة والمعنى الذى قصده الشاعر ، ينافيان منافاة تامة ما فهمه الشراح القدامى والمحدثون .

ولبيان ذلك أقول : إن لهذا البيت وقصيدته قصة ، تلك أن حسان بن ثابت رضى الله عنه كان ممن تكلموا فى حادثة الإفك ، وكان صفوان بن المعطل السلمى ممن اتهموا فى تلك الحادثة ، لحلف ليضربن حسان رضى الله عنه ضربة بسيفه ، وجعل ينتهز الفرصة لذلك حتى أنزل الله البراءة فى قوله تعالى (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم

لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم . والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين ، لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) فعند ذلك بر صفوان بقسمه ، وضرب حسان ضربة بسيفه لم تمتله ، ولكنها جرحته . فأخذ رهط حسان ـ صفوان فأوثقوه واحتبسوه عندهم حتى يقتص منه ، فبلغ الخبر صحابة رسول الله ﷺ ، فذهب سعد بن عبادة رضى الله عنه إلى القوم وطلب أن يذهبوا بصفوان إلى رسول الله ﷺ ، فذهبوا به ، فلما مثل صفوان وحسان بين يدى الرسول الكريم استوهب صفوان حسان جرحه ، أى طلب من حسان أن يعفو عن حقه عنده بسبب جرحه ، فوافق حسان ووهبه جرحه ، فكافأه النبى ﷺ على ذلك بأن وهبه جاريته سيرين أخت مارية القبطية زوجه ، فأصبح حسان سلف رسول الله ﷺ أى زوج أخت زوجه ، فقال حسان بعد ذلك قصيدة يعتز فيها برهطه ، ويلوم قبيلة مزينة التى آذته وهددته بإخراجه من المدينة ويقول لها : لا تحسبى أننى ليس لى رهط يدافع عنى . فما زال قومى بحمد الله أحياء لم تثكلهم أمهم ولم تأكلهم السباع . وإلى القارىء ثلاثة أبيات من القصيدة التى فيها بيت الشاهد ، وسيرى من ذلك بعد المعنى الذى فهمه شراح الشواهد عن المعنى الذى قصده حسان . قال حسان :

جاءت مزينة من عمق لتخرجنى ... إخسى مزين وفى أعناقكم قددى
يرمون بالقول سراً فى مهادنة ... يهدى إلى كأنى لست من أحد
قد ثكلت أمه من كنت صاحبه ... أو كان منتشباً فى برثن الأسد

وظاهر من هذه الأبيات أن حسان يقول : كيف تهددنى مزينة بإخراجى ، وكيف تجرؤ على إيذائى غير هيابة ، كأنى لست من أحد — أى من قوم — يقدرون على الدفاع عنى ، أو كأن قومى ثكلتهم أمهاتهم فماتو أو أكلتهم السباع ، فليس البيت مدحا لأحد الشجعان كما فهم الشراح وإنما هو اعتزاز من حسان برهطه وبنفسه .

بقى بعد ذلك محل الشاهد فى البيت وهو أن « من » هنا مبتدأ مؤخر وهو اسم موصول صلته جملة « كنت صاحبه » و « قد ثكلت أمه » خبره المقدم وهو جملة ، وفى ثكلت ضمير محذوف مفعولها تقديره ثكلته . ولا يجوز اعتبار « من » مفعولا لثكلت لأن ذلك يقتضى

عود الهاء فى أمه على متأخر لفظاً ورتبة وهو ممنوع إلا فى مواضع ليس هذا الموضع منها. لأنه إذا جعلت « من » مفعولا تكون رتبتها التأخير فيعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة أما إذا اعتبرت مبتدأ فرتبتها حينئذ التقديم ، فيعود الضمير على متأخر لفظاً متقدم رتبة ، وهوجائز غير ممتنع .

وأعود فأقول : إن الأمانة العلمية تقتضى الباحث إذا لم يهتد إلى المعنى الذى يطمئن إليه أن يرجع إلى أصول بحثه فينقب فيها عله يهتدى إلى الصواب ، فإذا لم يجد ما يهديه أثبت عدم اطمئنانه إلى فهمه حتى يكون قد أدى الأمانة العلمية ، وخرج من التبعة ، وحتى يحمل غيره من العلماء على البحث وراء بحثه فربما وصلوا إلى ما لم يصل إليه ، وليس عيباً أن يقول المرء لا أعلم أو يقول بحثت فلم أهتد ، وإنما العيب أن يقعد عن البحث ويفسر بغير ما يطمئن إليه ؟

طه الزينى
عالمية من درجة أستاذ فى النحو والصرف

المروءة

قال سلام بن عبد الله الباهلى : « أسباب المروءة مرتبطة بشرف النفس وعلو الهمة — إذا اجتمعا ولم يفترقا — فإن من علت همته وتواضعت نفسه طلب مالا يستوجبه ، وتعدى إلى مالا يستحقه فلا تتم له المروءة . ومن صغرت همته وكبرت نفسه قصر عما يستحقه ، وترك ما يستوجبه ، فنقصت مروءته . فان لكل وجه من هاتين الحالتين حظا من الذم ، ونصيبا من اللوم . ومن تعلق به لوم ، أو نيط به ذم فليس بداخل فى حال من أحوال المروءة .

المُغرِب في حُلى المَغرِب

لابن سعيد

سلام على الأندلس .

سلام عليه يوم فتحه العرب .

وسلام عليه يوم زال منه ملك العرب .

سلام على الأبطال ، وسلام على الأمجاد ، وسلام على المسلمين .

الأندلس ، ذلك اللفظ الذى يثير الخواطر ، ويبعث الحنين ، وينشر فى الجو شذى ينبه النفوس ، ويحيى القلوب . ويبعث الآمال .

الأندلس ، تلك الواحة التى تشهد للعرب بمجد تليد ، وعز مكين ، تدل عليه آثارهم ، وينطق به ما خلفوه من تراث شامخ ، يتخطى السنين ، ويعبر الأجيال ، ويظل ثابت الأركان ، يدعو أهله إليه ، وهم عنه لاهون .

الأندلس ، هو ذلك الركن الضخم من تراثنا القديم ، والرقعة القاصية من الإمبراطورية الإسلامية ، التى لم نولها العناية الكافية ، ولم نعكف عليها دارسين منقبين كما عكفنا على المشرق ، ونمثله فى نفوسنا متميز المعالم ، واضح القسمات .

لم يكن الأندلس أهون شأنا من العراق ، وليست حضارة الأندلس أقل خصبا من حضارة الشام ، بل ربما كان شأن الأندلس أخطر ، وحضارته أثرى وأخصب . ففيه التقى المشرق والمغرب ، وفيه تمثلت العقلية العربية فى أصفى معادنها وأوضح مميزاتها ، بل فيه تمثل الروح العربى فى شتى مظاهره الفكرية والنفسية والمادية .

ولقد كانت صلتنا بالأندلس حتى عهد قريب صلة الذكرى ، وصلة الحنين . تتطلع إليه أرواحنا ، وتهفو نفوسنا ، ولكننا لم نكن نعرف عنه الشىء الكثير ، بل كانت معرفتنا به قاصرة ، وكان تصورنا له ناقصا ، وتمثلنا له بعيداً عن حقيقته . وقد أدركنا منذ عهد قريب هذا القصور ، وذلك النقص ، فبدأ الدارسون يميلون براحلتهم مع الشمس الغاربة نحو المغرب ، وراحوا يتطلعون إلى أفقه الوردى الجميل . حتى إذا ما استقر بهم المقام فى مجريط أنشأوا

معهداً للدراسات الإسلامية ، وقفوا فيه حياتهم على بعث التراث الإسلامى فى الأندس ، وتصويره حيا نابضا فى نفوس المسلمين تصويراً يمتاز بالصدق ، كما يمتاز بدقة العلماء .

ولم يكن العلماء فى الشرق أقل حرصا على الاهتمام بالأندلس وبعث تراثه الذى يصوره تصويراً دقيقا . ولعل أبناء الأنداس أنفسهم كانوا قد أدركوا مآل دولتهم ، وأنها ستزول يوما ما ، فدفعهم حرصهم على حضارتهم إلى أن يصوروها فى المؤلفات الضخمة التى جمعوا فيها فأوعوا وكان أن دالت دولتهم ، وورثنا عنهم فيما ورثنا هذه المؤلفات الضخمة ، ولكننا بكل أسف لم نقرأها إلا بالأمس ، حين كونت الجامعة لجنة « الذخيرة » وهى « ذخيرة » ابن بسام . وكأن هذه اللجنة ـ شأن كل اللجان عندنا ـ قد فترت عزيمتها ، فلم تتابع السير ، ولم تدأب على العمل . وأصبح العمل الفردى أكثر جدوى وأكثر إنجازا .

فلقد ندب الأستاذ الدكتور شوقى ضيف نفسه لإخراج مؤلف من أعظم المؤلفات التى خلفها لنا الأندلسيون عن دولتهم إن لم يكن هو أعظمها . ندب نفسه لإخراجه إلى النور بعد أن سئم حياة الظلام ، وأن يجمع شتاته ، بعد أن فرقت يد الزمن بين أجزاء منه وأجزاء ، وطوحت بها فى البلدان ، وأعنى كتاب « المغرب فى حلى المغرب » لابن سعيد . ذلك الكتاب الذى يقع فى خمسة عشر سفرا ضخما ، تروى لنا فى إسهاب قصة مصر ، وقصة المغرب ، وقصة أندلس .

ولقد كان الإحساس بالحاجة اللازبة إلى دراسة الأندلس والتنقيب عنه هى التى جعلت الأستاذ المحقق يصرف جهده كله إلى تحقيق ذلك الجزء الذى صور فيه ابن سعيد بلاده الأندلس . وقد بدأ يعمل منذ عدة سنوات عملا دائباً لا يعرف الكلال . ولم تكن الصعوبات التى صادفها لتثنيه عن المضى فى سبيل تحقيق هذا النص القيم ، فأخرج لنا من تلك الأوراق « الدشت » التى تعبث بها « العثة » فى مخازن دار الكتب ، صورة منظمة مستوية واضحة . ولم تكن كل مهمته أن يعيد تنظيم هذه الأوراق على مايكلف ذلك وحده من جهد يستنفده متابعة السياق فى كل ورقة وفى غيرها من الأوراق ، بل إنه كشف نقصاً فى مجموعة الأجزاء التى تتناول الأندلس ، وكأن جزءا قد ضاع من الكتاب وليس إلى العثور عليه من سبيل . ولكن يد الزمن كانت رحيمة حين طوحت بهذا الجزء إلى بلصفورة فى سوهاج ؛ فهناك وجد المحقق ضالته ، واستوت بين يديه الأوراق كاملة لا خرم فيها .

وفى سبيل إخراج صورة واضحة لهذا النص لم يكن بد من أن يرجع المحقق إلى الأصول التى استمد منها الكتاب والفروع التى أخذت عنه . وهنا يكتشف أول أهمية لهذا الكتاب ؛

فهو « يصلح كثيراً مما فسد واضطرب فى أصوله وفروعه المطبوعة ... إذ يصحح خطأها ويداوى سقمها » .

والحق أن هذا المؤلف الذى اشتهر لابن سعيد قد اشترك فى تأليفه معه خمسة آخرون تعاقبوا عليه خلفاً عن سلف ، وكان ابن سعيد هو أوضح حلقة فى هذه السلسلة التى صنفته بالموارثة فى مائة وخمس عشرة سنة ، وأفرادها هم أبو محمد الحجارى ، وهو أول من وضع فكرة الكتاب حين وفد على عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد بالقرب من غرناطة سنة ٥٣٠ هـ ، وسأله ابن سعيد أن يصنف له كتابا فى أدباء الأندلس فصنف له كتاباً سماه « المسهب فى غرائب المغرب » ، وهو الكتاب الذى عكف عليه ابن سعيد بعده وتناوله بالتهذيب ، فأضاف إليه حينا ، واختصر منه حينا آخر . وخلفه عليه ابناه أحمد ومحمد إلى أن استقر عند موسى بن محمد فأضاف إليه بدوره ، وورثه عنه ابنه على ، وهو الذى أعطاه صورته النهائية .

ومعنى هذا أن هؤلاء الستة قد أودعوا الكتاب كل معرفتهم ، فهو خلاصة معارف كثيرة ، ربما كان أكثرهم حظاً منها موسى بن محمد « وكان أشغفهم بالتاريخ وأعلمهم به » . والواقع أن المادة التى بالكتاب ليست مادة تاريخية فحسب ، بل إن به بجانب ذلك مادة جغرافية وأدبية . وقد كان مؤلفوه يستمدون معرفتهم الجغرافية من المشاهدة ، فهم أبناء البلاد يذرعونها جيئة وروحة ، يصفون مشاهدها ، ويحللون ظواهرها الطبيعية ويسجلونها ، وهم إلى جانب ذلك يطلعون على ما ألف فى الجغرافيا فيقرأون ويفيدون .

وهم فى معرفتهم التاريخية يعتمدون على مؤلفات ابن حيان والرقيق القيروانى وابن حزم وغيرهم ، ثم هم يأخذون مادة وفيرة عن كتب التراجم ، ويستوعبون هذه الكتب حتى إننا نجدهم لا يقصرون اطلاعهم على الكتب المغربية منها ، بل يفيدون كذلك من كتب المشارقة التى ترجمت للأندلسيين كيتيمة الدهر للثعالبى وغيرها .

أما فيما يختص بالمادة الأدبية فهى مادة غزيرة كانوا يروون الكثير منها ، ويتناقلونه شفاها ؛ كانوا يستمعون إلى معاصريهم من الأدباء والشعراء ويحفظون لهم أو يدونون ، ولكن هذه المادة تعرف فى جزء منها مصادر أخرى هى تلك المؤلفات الأدبية الأندلسية الخاصة . فكأن هذا الكتاب خلاصة معارف مفرقة وكثيرة ، تمثلت فى الأندلس فى القرون الرابع والخامس والسادس والسابع للهجرة .

والواقع أن هذا الكتاب بجانب ما فيه من تراجم قيمة ، أحصى فيه مصنفوه حتى كأنهم لم يتركوا شخصاً يستحق أن يترجم له إلا أعطوه حقه ومكانه ، فإننا نجد فيه من المعلومات الأدبية ما هو كفيل أن يدفع المؤرخين للشعر الأندلسى » إلى أن يعيدوا النظر فى تاريخهم وما أثروه من أحكام فيه ، فيعدلوا فى هذه الأحكام تارة ويلغوها ويثبتوا موضعها أحكاما جديدة تارة أخرى . ومعنى ذلك أنه يحمل كثيراً من الحقائق الأدبية التى كنا نجهلها عن الأندلسيين وحياتهم الفنية ، وما أكثر ما نجهل عنهم ! » .

ويروعنا المنهج الذى اختطه وسار عليه مصنفو هذا الكتاب الثمين ، فهو منهج معقد ولكنه المنهج الذى يضمنون به سلامة الإحصاء والاستقصاء . وهو منهج يقوم على البلاد ومرتب بحسبها . فإذا ما تكلم عن الأندلس بعامة راح يقسمها إلى غرب وموسطة وشرق وأفرد لكل قسم كتاباً ، ثم ينعطف على كل قسم يقسمه إلى ممالكه ثم يقسم كل مملكة إلى كورها المختلفة ، وهكذا . وهو فى كل ذلك يحدثنا عن طبقات الناس : الأمراء والرؤساء والعلماء والشعراء واللفيف .

ولن أضيف هنا جديداً فى وصف منهج الكتاب فقد وصفه الأستاذ المحقق وصفاً دقيقاً فى تقديمه للكتاب ، وهو يعد أول من خبره وعاناه ، وبذل فيه من الجهد ما يضن به الكثيرون من القادرين .

هذا الكتاب إذن موسوعة أدبية ، استمد منها منذ القدم كثير من المصنفين والمؤلفين ، ولكن نقولهم عنها لم تكن نقولا وافية ولا منظمة . وحديث ابن خلدون عن الزجل والزجالين ليس إلا استلهاماً لما ورد فى المغرب عن هـذا اللون الطريف من الأدب الذى شهرت به الأندلس . ولا شك أننا إلى عهد قريب كانت معرفتنا بهذا النوع الأدبى قاصرة . أما وقد نشر « وشى الطرس فى حلى جزيرة الأندلس » ، وهو الاسم الذى أطلقه المصنفون على القسم الخاص بالأندلس من كتاب « المغرب » فقد أصبحت المادة الأصيلة متوافرة أمام أبصارنا . وقل مثل ذلك عن غير الزجل . فتحقيق هـذا الكتاب ونشره إذن يقفنا على المورد الأصيل والمنهل الصافى الذى استقى منه كثير من القدماء ، والذى يستطيع أن يمدنا بالمعرفة الصحيحة ، ويصور لنا الأندلس صورة صادقة .

لقد أسدى الأستاذ الدكتور شوقى ضيف إلى الأدب والعلم خدمة جلى بتحقيقه ونشره هذا الكتاب ، وما زلنا نطمع فى علمه وتثبته ، وننتظر على يديه الخير الكثير .

عز الدين اسماعيل

خرافة الميتافيزيقا

— ٢ —

بينا فى المقال السابق ما قاله كرناب وآير ، والأستاذ زكى نجيب محمود فى قوانين المنطق ، ومنها قانون التناقض ، وتلونا قول الأستاذ آير — إن قوانين المنطق يستحيل أن تتعارض مع الواقع ، لأنها فى ذاتها لا تقول شيئا عن الواقع ، وقوله إنه ليس ثمت ما يلزمنا بألا نقبل التناقض ، إنما هو اتفاق بيننا نشأ عن اتفاقنا على طريقة معينة نستخدم بها لغة التفاهم ، إننا اتفقنا على أن يكون لأداة النفى « لا » معنى معين بحيث إذا قلنا عبارة كهذه — ق ولا ق — جاءت عبارة بغير معنى ، أى لم نجد لها مدلولا فى عالم الأشياء ، وليس ذلك لأن فى طبيعة العالم نفسه ما يأبى ذلك ، بل لأننا نحن الذين صنعنا لغتنا على نحو يجعل ضم القضية إلى نقيضها لا يفيد وصفا لشىء ، وتلونا قول كارناب : إن قواعد المنطق صادقة بمعنى أننا اتفقنا عليها حين اتفقنا على رموز اللغة ، وطريقة استخدامها ، فقواعد المنطق مختارة منا اتفاقا ، وصدقها اتفاقى . إننا اصطلحنا بحكم القواعد التى تواضعنا عليها فى اللغة واستعمالها ، على أن كلمة النفى - لم - إذا وجدت فى جملة كان معناها أن الجملة تصبح متناقضة مع نفس الجملة إذا خلت منها ، بحيث يستحيل صدقهما معا أو كذبهما معا .

وقد رددنا على ذلك إجمالا ، واليوم نريد أن نتناول الرد بشىء من التفصيل ، ونبين الخيال الذى تراءى لهم فأوقعهم فى هذا الغلط .

لا يجتمع فى الواقع : سقراط وجد ، سقراط لم يوجد ، ولا يجتمع : الإسكندر إنسان ، الإسكندر ليس بإنسان ، وأمثالهما مما هو إثبات شىء لشىء ونفيه عنه فى آن واحد ، ومكان واحد ، هذا فى الواقع والوجود الخارجى ، وإن لم توجد لغة ولم يوجد إنسان .

وقد لاحظ العقل ذلك فاستخرج هذا القانون الكلى وهو أن النقيضين لا يجتمعان ؛ هذا فى العقل ولو استطاع الإنسان أن يفكر بدون لغة لكان الأمر كذلك أيضا عند العقل وهو أن النقيضين لا يجتمعان ، لأنه حكم منتزع من الواقع ، ولو لم توجد لغة ، وتواضع واصطلاح .

وقد وضع الإنسان اللغة واصطلح عليها وعلى دلالة ألفاظها على معانيها ، ومن ذلك الكلمات والأدوات التى تستعمل فى القضايا ، مثل سقراط وجد ، سقراط لم يوجد ، فقد اصطلح على معنى كلمة - لم - وهو النفى ، وعلى معنى المفردات سقراط ، ووجد ويوجد ، فهذا اصطلاح فى الدلالة ما فى ذلك شك ، وكان يمكن أن يجعل لكلمة - لم - معنى غير النفى ، ولكن ينبغى أن

نفرق بين التواضع على دلالة الألفاظ وعلى القانون الذى بينا أنه منتزع من الخارج ، ولو لم توجد لغة ولم يوجد تواضع واصطلاح ، ولم يدرك الأستاذ ان كارناب وآير الفرق بينهما فحكما بأن قانون التناقض مواضعة واصطلاح تواضعنا عليه عندما تواضعنا على معانى الألفاظ ، وبعبارة أخرى ينبغى أن نفرق بين شيئين ، بين دلالة الألفاظ على معانيها ، وبين قانون التناقض الذى بينا أنه منتزع من الخارج ولو لم توجد لغة ولم يوجد تواضع واصطلاح ، فليس إثبات المواضعة فى دلاله الألفاظ على معانيها هو إثبات المواضعة لقانون التناقض ولا مستلزماله .

وهنا مسألة فنية نحب أن ننبه عليها ، لقد مثل الأستاذان آير وكارناب للتناقض برمزى ق ولا ق وهما رمزان إلى تصورين لا إلى قضيتين ، والتناقض إنما هو فى التصديقات لا فى التصورات ، لأن النقيضين هما الأمران المتعاندان اللذان يتنافيان ، فلا يجتمعان ولا يرتفعان .

ولا تعاند فى التصورات فإنسان ولا إنسان يجتمعان فى الخارج وفى التصور ، إن إنسان أفراده : خالد وابراهيم وعلى وحسين ، ولا إنسان أفراده : النبات والحجر والجمل والطاووس من كل حيوان غير إنسان ، وهى موجودة فى الخارج كلها وموجودة فى التصور ، فلا تعاند ولا تنافى بين التصورات إنما التعاند بين التصديقات ، فإذا نسب التصور إلى شىء ثم نفى عنه بذاته كان التناقض كقولنا إبراهيم إنسان ، إبراهيم ليس بإنسان ، فلا يمكن أن يجتمع فى الخارج أن يكون هو إنسانا ولا إنسان ، وإذا كان إنسانا لم يكن لا إنسان وإذا كان لا إنسان لم يكن إنسانا .

ولعل قائلا يقول : كيف تقرر أن التصورات لا تناقض لها ، وقد عقد المناطقة بابا لبيان النسبة بين الكليين ، وأثبتوا فيه نقائض للتصورات حيث قالوا . نقيضا الكليين المتساويين متساويان .

قلنا هذا مع اصطلاح آخر فى النقيضين ، وقد عرفوهما عليه بأنهما الأمران المتباينان اللذان بينهما غاية الخلاف ، ولم يعرفوهما بالتعريف الأول ، وهو الأمران المتمانعان اللذان لا يوجدان معاً ولا ينتفيان معا ، بل إن وجد أحدهما انتفى الآخر ، وإذا انتفى أحدهما ثبت الآخر ، أو إثبات النقيض لها باعتبار حملها على شىء فتؤول حينئذ إلى التصديقات ، فإنسان ولا إنسان نقيضان باعتبار نسبتهما إلى شىء واحد وهو شخص خالد مثلا . وإنما دافعنا عن قانون التناقض بحرارة وقوة لأننا نعتقد أن قانون التناقض هو ميزة النوع البشرى الذى امتاز به على سائر الحيوان ، وبه أدرك هذه المعارف الجمة ، وكانت له الخلافة فى الأرض

وحكم الحيوانات الأخرى التى هى أضخم أجساما ، وأمضى أسلحة طبيعية ، وأعظم قوى ، وهو الهادى فى بيداء المجهولات والمؤدى إلى واحة المعرفة .

انظر إلى القاضى الذى يستمع إلى شهادة شاهد فيراه يثبت الشيء ونقيضه . ألا تراه يعلم بذلك كذبه لأن النقيضين لا يجتمعان ؛ وانظر إليه حين يسمع دفاع المحامى فيراه يترك نفى التهمة وينفى شيئاً آخر مما يمكن أن يجتمع مع إثبات التهمة لأنهما ليسا نقيضين ألا تراه يبادر برفض الدفاع .

وانظر إلى الباحث حين يستدل من إثبات شيء على نفى نقيضه أو من نفى شيء على إثبات نقيضه ، ألا ترى ذلك مبنياً على قانون التناقض ، وهو أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان . بل إن الشكل الأول الذى يكاد يكون بديهى الإنتاج ، وهو قريب من الطبع جداً ، ذاك لأنه مبنى على قانون التناقض ، ولو لاحظ المرء حركات فكره حين يبتكر أو يستنتج لرأى قانونى التناقض كعلمين فى طريق موحش يهديانه إلى الجادة ، وينكبانه كل مهلكة فهما شعاع مشرق ونور هاد ، هما من نور الله الذى هو كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى ، يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء .

ونحن نشكر الأستاذ زكى نجيب محمود إذ أتاح لنا أن نناقش أعلاما من أعلام الغرب مشهوداً لهم بالعلم والفلسفة ، فى مسألة عقلية يسهل إدراكها ، ووجه الحق فيها ، فتكون فرصة طيبة لإعادة الثقة بالعقل الشرقى فى نفوس الشرقيين ، إذ يرون أن الصواب ليس بجانب الغرب دائماً ، وأن الضعف والانحطاط ليسا ملازمين للشرق ، بل فى استطاعة الشرق أن ينازل الغربيين فى العلوم العقلية ، ويستعين بما ورثه عن آبائه الصيد الأماجد ، من علوم ومعرفة على الفوز والفلج .

وليس بقليل أن نعيد للشرقيين الثقة بعقولهم وعلومهم ، فليس أفسد للأمم وأدعى إلى فتور الهمم من فقدان الثقة بالنفس ، وليس أدعى للتسامى والجد من الثقة بالنفس والإيمان بالقدرة والمقدرة .

كما نشكره على أن أتاح لنا أن نناقش مسألة من المنطق أمام القراء ، فلعل ذلك يكون حافزاً لدرس هذا الفن والاشتغال به ، وهو كسب عظيم أيضاً ، لأن المنطق ميزان الفكر ومعيار العلم ، وقد أنتج اليونان هذه الثروة العظيمة فى العلم حين علموا قوانين الفكر . وكذلك العرب . وهذه الحضارة وليدة اشتغال الغرب بعلوم المنطق وبحثها ونقدها ، وإنى أرى أن نهضتنا العلمية فى بلاد الشرق تنقصها العناية بالمنطق ومعرفته على وجهه وهذا يكون بتعاون الأزهر والجامعة تعاونا علميا ؟

محمد عرفه
عضو جماعة كبار العلماء

ليس في الإسلام موسيقى دينية ولا رقص ديني

سألني زائر أجنبي أثناء زيارته للمكتبة الأزهرية وتقصى فنونها : هل عندكم بالمكتبة كتب للموسيقى الدينية ؟ ويقصد بالموسيقى الدينية الموسيقى التي تصاحب بعض الشعائر في الأديان الأخرى . فدهشت لهذا السؤال ، وكدت أتهم الزائر في تفكيره وثقافته . وعجبت أن تكون هناك موسيقى دينية إسلامية وتخفى على ، وأنا من رجال الدين الإسلامى ، وقلت له : ليس عندنا كتب من هذا النوع ، وليس هناك موسيقى دينية إسلامية كما يوجد في بعض الأديان الأخرى ، لأن الإسلام يكره أن يشغل المتعبد نفسه بما يفرق قلبه ، ويشغل جوارحه عن تمام التوجه إلى الله ، والإقبال عليه ، واستحضار جلاله وعظمته . ولهذا كره للمصلى أن يغمض عينيه ، أو يلتفت يميناً أو يساراً ، أو يفرقع أصابعه ، أو يعبث بثوبه وبدنه ، أو يتشمم طيباً ، أو يستمع إلى موسيقى ، ونحو ذلك مما يشغل البال ، ويخل بالخشوع . وطلب إليه أن يلتفت إلى موضع سجوده يستجمع قلبه وجوارحه في مناجاة ربه . والموسيقى التي تشير إليها تناهض روح الإسلام ، وتناقض تعاليمه ، فلا يجيزها الإسلام ولا يترخص فيها أثناء الصلاة .

شغلني سؤال الزائر وأخذت أعمل الفكر وأبحث عما أوحى إليه به ، حتى عثرت عليه وبدا لى وجه العذر فيه . فهناك بعض الطوائف الإسلامية تقوم بنوبات الذكر على توقيع الموسيقى ، بطريقة تثير دهش الفنانين وإعجابهم ، ويحرص كثير من السائحين على مشاهدتها . ومن هنا كان مبعث الظن في أن للإسلام موسيقى دينية ، وأن لها كتباً تدرس إلى جانب العلوم الدينية ليمكن أداء العبادات على وجهها الكامل .

وقد أذكرني هذا الحادث بحادث قرأته في الصحف أثار عاصفة من استنكار الرأى العام الإسلامى ، فقد نشرت بعض الصحف الأجنبية صورة لجماعة من الراقصين كتب أسفلها تعليقا عليها : « صورة من الرقص الديني الإسلامى » وكان مبعث هذه الفكرة أيضا أن بعض الطوائف الإسلامية في القرى وفي القاهرة تقوم أثناء الذكر بحركات تشبه حركات الراقصين بل هو الرقص في صوره الدقيقة ، ويحرص غواة الرقص على مشاهدة

هذه الحفلات للمتعة والترويح ، فيظن بعض من يشاهدها من أبناء الأديان الأخرى ومن جهلاء المسلمين أن هناك رقصا دينيا إسلاميا يصاحب الذكر الإسلامى، كما أن هناك موسيقى دينية إسلامية . وهنا موضع الخطر ، إذ تلصق بالإسلام وعباداته أعمال يبرأ منها ويبغض مبتدعيها ، وقد استعيرت هذه الأعمال على غفلة من هذه الطوائف وجعلت من شعائرها ، وظن فى خطأ أنها بعض شعائر الإسلام .

وقد نبه العلماء إلى موضع الخطأ والخطر فيها ، ولكنها مع ذلك ظلت قائمة ، وظل أهلها حريصين عليها متميزين بها لا يبغون عنها حولا ، وليس لنا بعد ذلك إلا أن نلجأ إلى أولى الأمر فى دره ذلك الخطر . وأولو الأمر الآن من أعرف الناس بتعاليم الإسلام ومكان الخطأ فيه وأقدرهم على إصلاحه ، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

إن روح الإسلام هى البساطة فى عقائده وعباداته ، وبذلك امتاز عن غيره من الأديان ، وكل ما يطلبه من المسلم أن يخلص القصد فى عبادته لله ، ويخلى نفسه من كل شىء سواه ، وأن يلتزم الرسوم التى رسمها فى العقائد والعبادات والمعاملات . ألا وإن أشياء كثيرة غير ما ذكرنا قد أدخلت فى الإسلام على غفلة من سوء آثارها ، أو بتأويل خاطىء ممن يظن أنه أهل للتأويل ، وقد اتخذها أعداء الإسلام ذريعة لتشويه الإسلام والزراية بأهله ، وعلى رجال الطرق الصوفية أن يتعاونوا مع العلماء فى تبيان أخطارها ، وبعدها عن جوهر الإسلام الكريم ، وهؤلاء وأولئك يحفظون قول الرسول الكريم :

« من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد » .

أبو الوفا المراغى

مولود ربيع

من ذا الذى حملت تلك البتول ومن قامت لمقدمه الدنيا على قدم
نور من الله سواه وصوره خلقاً وزكاه بالآداب والحكم
فى ليلة لم تر الدنيا لها مثلا فيما تقضى من الأجيال والأمم

الشيخ محمد عبد المطلب

الله أكبر يا محمد

طافت بأسماع الزمان بشائره فهفا له قلب الزمان وخاطره
وتعلقت عين الحياة بدار « آ منة » ، تناجى ليلها وتساهره
فإذا مهاد أشرقت جنباته وزكت بأعطار السماء ستائره
وإذا ملائك حوله ، يتبشرو ن به ، وجبريل الأمين يسامره
وإذا بنار الفرس تخمد فجأة ولسانها المشبوب يسكن ثائره !!
وإذا بذعر يأخذ « الإيوان » فاهتزت به شرفاته ومقاصره !!
وإذا بليل الجاهلية يختفى وتذوب فى النور السنى دياجره
وإذا بماضى الكون يستر وجهه خجلا ليحتل الصدارة حاضره
وإذا ببعث دافق ينساب فى بادى الوجود فتستقيه حواضره
وإذا لسان الدهر يسأل حائراً هذا السنا الأخاذ : أين منائره ؟
وإذا مجيب فى السماء « محمد » هو وحده وحى السنا ومصادره

* * *

الله أكبر يا محمد أنت أجـ ـفان الهدى وفؤاده ومشاعره
والمجد أنت ، فمنك أول بدئه وإليك يرجع يا محمد آخره
وإذا تضوع فى الورى حسب وطا ب ، فمنك وحدك طيبه ومجامره

* * *

أما البيان : فأنت ناظم عقده وإليك ينسب دره وجواهره
لك من جوامعه ومن آياته ما أعوزت أشباهه ونظائره
ولك البدائع تفتن الفصحى ويحـ ـسد فنها السحر البديع وساحره
يكفيك أن « الجذع » حن حنينه لما استبان إليه أنك هاجره

ما لاذ مسكين بجودك مرة إلا وقــد غمرته منك غوامره
وكأنني بالجود ود لو آنه مسكين كفك بالعطاء تبادره

* * *

أما عن الخلق العظيم : فأنت من بســتانه ، أعطاره وأزاهره
تكفيك فيه شهادة القرآن أنـ ـك صاحب الخلق العظيم وناشره

* * *

أما الشجاعة : فهى طبعك خالطت دمك الزكى فحيث سار تسايره
يكفيك أنك أنت ذو العزم الذى بتر الســيوف المشرفية باتره
ما كنت تعبأ بالخطوب ، ولا تخا ف الموت تلعب بالرقاب أظافره
ولكم لقيت الموقف الصعب الخط ـير ببسمة : فتهيبتك مخاطره

* * *

مولاى : مولدك المبارك مولد بهرت عيونَ الكائنات مناظره
هو مولد العدل الذى قد أعوزت أفق الوجود الجاهلى مظاهره
هو مولد الحرية انبثقت : فعزْ زَ بها الأسير ، وهان منها آسره
هو مولد الإنسان تسمو نفسه الدْ دنيا ، وتصفو روحه وسرائره
هو مولد الإسلام : تهدى للعلى والخير والخلق الرفيع شعائره
هو مولد بعث الضمائر حيــة فى عالم لم تحى قبل ضمائره
هو مولد لا تنتهى أمجاده أو تنقضى آثاره ومآثره
صلى عليك الله ما طلع الصبا ح ، وما صفا أفق وغرد طائره

ابراهيم على بديوى
من علماء الأزهر

المدارس الأجنبية

لمناسبة ما ذكر عنها في لجنة الدستور

نشرت لى مجلة الأزهر فى عددها الثامن للسنة الماضية بتاريخ رجب سنة ١٣٧٢ هـ مقالة بعنوان : « الغزو الفكرى للبلاد الإسلامية بعد فشل الغزو العسكرى الصليبي » وقد أوردت فى تلك المقالة الوثائق التى تدل على أن الهدف المقصود من إنشاء المدارس الأجنبية فى بلاد المسلمين والعرب ، إنما هو التبشير الدينى المسيحى ، ومحاربة العقيدة الإسلامية بالسعى لتنصير المسلمين ، وتوطيد دعائم الاستعمار الأجنبى ، وخدمة أغراضه ومطامعه ، فى بلاد الشرق العربى والإسلامى . وحذرت ولاة أمور المسلمين من ذلك الغزو الثقافى الأجنبى ، وأكدت أنه لا يقل خطراً عن الغزو العسكرى ، وطالبت بمقاومته بكل الوسائل الممكنة .

وقد دعانى للعودة إلى الكتابة فى هذا الموضوع أننى اطلعت أخيراً على مقال نشرته مجلة روز اليوسف فى عددها ١٣٢٤ الصادر فى ٢٦ / ١٠ / ١٩٥٣ بعنوان : « الدفاع عن الكنيسة القبطية » قالت المجلة فيه ما نصه : « أثار الدكتور طه حسين عند مناقشة نظم التعليم فى لجنة الحريات والحقوق العامة بلجنة الدستور ، مسألة المدارس الأجنبية ونظمها ، وذكر أن هدفها الأول هو التبشير الدينى ، حتى خلقت من الأقباط المصريين ثلاث طوائف هى : الكاثوليكية والبروتستنتية والارثوذكسية ، وقال إنه فى الوقت الذى تتجه فيه التربية القومية إلى محو كل ما يتصل بالتعصب الدينى نرى أن هذه المدارس « الأجنبية » تثير التفرقة بين أبناء الدين الواحد ، وقال الدكتور طه فى كلامه : إن الهدف المقصود من التبشير الأميركى والانجليزى والفرنسى هو هدم الكنيسة القبطية ، مع أن هذه الكنيسة جزء هام من تراث الدولة يجب المحافظة عليه » .

وإنا لنشكر للدكتور طه حسين دفاعه عن مواطنينا الأقباط ، ومطالبته بحمايتهم ، وحماية كنيستهم من خطر التفرقة التى تثيرها بينهم المدارس الأجنبية ، حرصا على الوحدة القومية بين المصريين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم .

وكم يسرنا لو أن الدكتور طه حسين وهو وزير سابق للمعارف المصرية، عرف حقيقة مقاصد المدارس الاجنبية، وأغراضها التبشيرية والاستعمارية الخطيرة، قد عنى إلى جانب دفاعه عن الكنيسة القبطية بالدفاع أيضا عن قومه المسلمين الذين هم أكثرية شعب مصر، وليت الدكتور طه ذكر لنا كم طائفه خلقت المدارس الاجنبية من مسلمى مصر وغيرها من بلاد الشرق، وكم خلقت فيهم من ملحدين وانجليز وفرنسيين وأمريكيين وصهيونيين طبعهم المعلمون الأجانب بالطابع الغربى وأبعدوهم عن كل ما هو شرقى، وجردوهم من أخلاقهم وفضائلهم وتقاليدهم الإسلامية والعربية الحميدة، وأوجدوا بينهم فريقا عاقا مذبذبا كان وما زال حربا على أمته ووطنه، عونا للعدو المحتل منفذا لسياسته وخططه. وفات الدكتور طه أن يذكر للجنة الدستور أن الهدف الأول للمدارس الاجنبية العمل على هدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجعل أوطانه وأقطاره فريسة للاستعمار الأجنبى، وما ذكره الدكتور طه حسين من خطر المدارس الاجنبية على نصارى مصر وتفرقتهم قد سبق أن شعر بمثله نفر من أحرار نصارى لبنان وأدبائهم.

وفى عام ١٩٤٧ نشر الاديب اللبنانى الشاعر رشيد سليم الخورى كلمة شديدة فى مجلة العصبة الأندلسية أعرب فيها عن ألمه للضرر الذى أصاب مواطنيه المسيحيين فى لبنان من الإرساليات التبشيرية عامة والبروتستانتية خاصة فقال « أما من الناحية الدينية فإن إقامتى الدليل على عدم نزاهتهم لا تقتضى أن أكون بارعا فى الجدل أو عالما بالتاريخ. إن طوائفنا العديدة قد زيدت بفضل تعرفنا على الرسالة الامريكية طائفة جديدة اسمها الطائفة الإنجيلية « البروتستانتية » وكم أنفق رجالها لكى يعرفونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه كأننا أشد افتقاراً إلى فضائل المسيحية من الامريكيين أنفسهم ».

وجدير بالذكر هنا أن المبشرين لم يخفوا مقاصدهم وأغراضهم فهم يعلنون على رءوس الاشهاد أنهم إنما يريدون من مدارسهم وكلياتهم وجامعاتهم فى بلاد المسلمين محاربة الإسلام والسعى لإخراج المسلمين من دينهم، فهذا المستر بزوز الرئيس الحالى للجامعة الامريكية فى بيروت يقول فى كلمة له ما نصه « إن المبشرين يمكن أن يكونوا قد خابوا فى هدفهم المباشر وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات، إلا أنهم قد أحدثوا بينهم آثار نهضة.

ثم يقول مستر بزوز « ولقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التى استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها فى سعيهم لتنصير سوريا ولبنان »[١] .

وفى رأى المبشرين أن تؤسس الكليات فى المراكز الإسلامية ، ولذلك لم يكتفوا ببيروت ، بل أرادوا أن يكون ثمت كلية فى القاهرة نفسها إلى جانب الجامع الأزهر[٢] وهكذا أصبح للمبشرين الأمريكيين الكلية الأميركية فى القاهرة بعد كلية روبرت فى استانبول .

وإنا لنرجو أن تسفر أبحاث لجنة الحريات والحقوق العامة بلجنة الدستور عن إعداد قانون بتوحيد نظم التعليم العصرى فى جميع البلاد المصرية ينص على منع فتح مدارس أجنبية جديدة ، ووجوب تعليم الدين فى جميع مراحل التعليم ، وإلزام المدارس الأجنبية بذلك ، وبإنشاء مساجد فى كل المدارس المصرية والأجنبية ، ليؤدى فيها الطلبة والطالبات من المسلمين صلواتهم وشعائرهم الدينية فى أوقاتها .

وينبغى أن ينص فى القانون بصراحة على جميع الضمانات التى تمنع كيد المبشرين ومفاسد مدارسهم الأجنبية ، وتكفل للشعب المصرى وحدته القومية ، وتصون دينه وعقائده وفضائله من العبث ، ويقرر منع المدارس الأجنبية من التبشير الدينى ، ومن تدريس كل كتاب أو بحث يخالف الروح الدينية والوطنية والنظام العام .

وقد تنبهت حكومة الجمهورية السورية إلى خطر المدارس الأجنبية وما تسببه فى بلادها من مشاكل وتفرقة فعالجت ذلك علاجا حاسما ، فقررت بالمرسوم التشريعى الصادر فى ١٧ / ٣ / ١٩٥٢ نظام المدارس الخاصة ، وهو يتألف من ٥٧ مادة نصت المادة الثانية منه على أنه لا يسمح مطلقاً بتأسيس مدارس خاصة أجنبية فى الجمهورية السورية ، أما المدارس الأجنبية القائمة فتطبق عليها الاحكام الانتقالية الواردة فى هذا المرسوم التشريعى . ونصت المادة الثالثة على أنه يجب أن يهدف التعليم فى جميع المدارس الخاصة إلى ما يهدف اليه التعليم الرسمى وفقا لما تنص عليه قوانين المعارف وأنظمتها ، ونصت المادة السابعة منه على أنه يحظر على جميع المدارس الخاصة أن تقوم بتدريس أو تلقين ما من شأنه أن يؤدى إلى فساد الاخلاق أو إضعاف الروح الوطنية ، أو التفرقة الطائفية ، والشقاق بين المواطنين أو مس كرامة الشعب السورى والأمة العربية .

---

(١) كتاب التبشير والاستعمار — المطبعة العلمية — بيروت ١٩٥٣ ص ٤١

(٢) Milligan 124 f. اه من كتاب التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ٧٧

ونصت المادة الثامنة على أنه لا يسمح مطلقا بفتح مدارس خاصة لغايات تبشيرية .

وجاء فى المادة ١٣ أن لوزارة المعارف أن تمنع تدريس كل كتاب فى المدارس الخاصة يخالف الروح الوطنية أو النظام العام أو ينافى الآداب أو يمس أحد الأديان .

وفى المادة ١٥ أنه لا يجوز للمدرسة الخاصة أن تسمح لطلابها بحضور دروس وطقوس دين غير دينهم ، ولا أن يحملوا أو يستعملوا شارات تنافى عقائدهم ، ونصت المادة ١٩ منه على أنه لا يجوز للمدارس الخاصة قبول إعانات نقدية أو عينية من مصدر أجنبي أو دولى إلا بموافقة خطية من وزارة المعارف . ونصت المادة ٥٢ على أن كل مدرسة أجنبية لا تطبق القانون المذكور تعتبر ملغاة .

هذه خلاصة موجزة للنظام السورى الذى تخضع المدارس الأجنبية فى سوريا لنصوصه وأحكامه ، وإلا فهى عرضة للغلق والمنع . وإن بإمكان لجنة الدستور أن تستأنس بذلك القانون لتنسج على منواله ما يلائم حاجة مصر ويتفق مع مصلحتها العامة وسيادتها .

وإنى على ثقة بأن قادة الثورة المصرية يعلمون الكثير عن ضرر المدارس الأجنبية وخطرها وما تقوم به من التبشير والتضليل ، وخدمة المطامع الاستعمارية تحت ستار الدين ، وأن ما تعانيه قضية السودان من كيد بعثات التبشير وما تبثه بين إخواننا السودانيين من عوامل التفرقة والفساد فى سبيل توطيد الاحتلال الانجليزى ، والتمكين له لما يحفز على العمل السريع لاستئصال هذا الشر الأجنبى من جذوره ومعالجة الموضوع من أساسه ، ولعل فيما عملته سوريا الشقيقة فى هذا الشأن ما يدعو للمبادرة إلى سن قانون بمنع فتح مدارس أجنبية جديدة وتوحيد نظم التعليم العصرى فى البلاد المصرية جميعها وجعل الدين والتربية الدينية مادة أساسية فيه ، وإلزام المدارس الأجنبية بتطبيقه وتنفيذ ذلك بالحزم ، وإغلاق كل مدرسة أجنبية تخرج على ذلك النظام ، حرصا على دين الأمة وكيانها ووحدتها القومية . وإنهم لعاملون إن شاء الله . وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . والله الموفق ، ومنه العون .

محمد صبرى عابدين
من علماء الأزهر الشريف

بمناسبة المولد النبوى



المدائح النبوية

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله

هذه هى الكلمات الأولى فى العقيدة الإسلامية ، وفيها يقترن اسم محمد بن عبد الله باسم الله العلى العظيم ، خالق الأرض والسموات ـ والمسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها يكررون هذه الشهادة فى الصلوات الخمس ، وفى غير الصلوات الخمس ، فهى كلمة تقال فى اليوم الواحد مئات الملايين ، وكفى بذلك فخراً وامتداحا .

ولكن الشعراء وقد ملأت نفوسهم محبة الرسول ، واختلط الإيمان بدمائهم ، أرادوا أن ينالوا شرف المثول ببابه ، والقلوب إذا امتلأت فاضت على الألسنة ، والصدور إذا غلبها الشوق ألقته على الصحائف ، وقد علم الشعراء أن نبيهم ﷺ ليس كغيره من أعيان الرجال ، وكبار الساسة ، وعظماء المصلحين ، أولئك الذين يرفع المديح من أقدارهم ، ويعلى من مكانتهم ، بل هو أعلى فى الشرف مكانا ؛ فقد رفع الله ذكره ، وفضله على العالمين ، فما به حاجة إلى شعر الشعراء ، ونثر الكاتبين ، علموا ذلك ، ولكنهم أرادوا أن يتمسحوا بالأعتاب وأن يقفوا بالباب ، وأن يرجوا حسن الثواب ، كما قال أمير الشعراء : ـ

لزمت باب أمير الأنبياء ومن ... يمسك بمفتاح باب الله يغتنم
علقت من مدحه حبلا أعز به ... فى يوم لاعز بالأنساب واللُّحم

مدح الله رسوله الكريم بقوله : (وإنك لعلى خلق عظيم) ، وامتن عليه بما من فقال (وكان فضل الله عليك عظيما) ، فماذا يصنع الشعراء ، وأى سبب يتعلقون به حتى يصلوا أو يقاربوا .

غاية المدح فى علاك ابتـــداء ... ليت شعرى ، ما يصنع الشعراء

إنهم أحسوا أنهم كالنافلة ، بينها وبين الفرض بون بعيد ، وعرفوا مكانهم الحق ، فقال عمر بن الفارض :

أرى كل مدح فى النبى مقصرا ... وإن بالغ المثنى عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذى هو أهله ... عليه ، فما مقدار مايصنع الورى ؟

وقال الإمام البوصيري :

إن من معجزاتك العجز عن وصـــــفك ، إذ لا يحـــده إحصاء

ويعجبني جد العجب ما يقوله هذا الإمام الجليل ، وهو غاية في المدح والثناء ، والإعلان عن الوقوف دون الشأو :

فمبلغ القول فيه أنه بشر وأنه خـــير خلق الله كلهم

كما يعجبني قول التقي الصالح عبد الرحيم البرعي :

صفوه بما شئتم فو الله ما انطوى على مثله في الكون أم ولا أب

والباحث يجد كثيراً من الشعر في مدح الرسول يكاد يعيي الباحث ، وفي مجموعة واحدة ، هي مجموعة النبهاني . عشرون الف بيت ، مع أن صاحبها لم يدون كل ما قيل ، ولا جزءا من عشرة أجزاء منه .

وقد كان للرسول في حياته شعراء يمدحونه ، ويهجون خصومه ، ويدافعون بألسنتهم عن الدين ، وكان من أشدهم على المشركين حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وقد دعا الرسول لحسان فقال : « اللهم أيده بروح القدس » . ومن مدائح القدامى المشهورة ، مدحة كعب بن زهير ، ومدحة النابغة الجعدي ، ومدحة أعشى بكر ، وكانوا يمدحون النبي ﷺ بحسن الخلق ، والصدق في القول ، والإخلاص في العمل ، والعفو عند المقدرة ، وما أشبه ذلك من الصفات النفسية ، فلما كانت العصور المتأخرة توسع الشعراء في المديح ، وجعلوا يضيفون إلى ذلك كل ما يتصل بالسيرة النبوية ، فيذكرون معجزاته ، وإرهاصات نبوته ، ومولده ورضاعه ، وغزواته ، وهكذا ، وكان إمام المداحين غير منازع ، الإمام شرف الدين محمد بن سعيد الأبوصيري ، وهو شاعر مصري ، مات في نهاية القرن السابع الهجري ، وقبره بمدينة الإسكندرية بجوار قبر أستاذه التقي الورع أبي العباس المرسي ، وقد أكثر البوصيري من مدح الرسول ، وقصيدته البردة مشهورة محفوظة ، وقد كان لها ولبقية شعره أكبر تأثير فيمن أتى بعده من الشعراء ، ويكفي أن البردة خمسها أكثر من تسعين شاعراً ، وممن عارضها محمود سامي البارودي وأحمد شوقي ، وسبب إنشائها أن شرف الدين أصابه فالج ، فعملها واستشفع بها إلى الله تعالى أن يعافيه ، فرأى النبي ﷺ في المنام ، فمسح بيده الكريمة على جنبه ، وألقى عليه بردة فقام من نومه كأنما نشط من عقال .

ولا شك أن البوصيرى أحدث تحولا فى الشعر العربى بمدائحه فى الرسول ، فقد اقتدى به كثير من العلماء والشعراء . يقول شوقى :

المادحون وأرباب الهوى تبع لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم
مديحه فيك حب خالص وهوى وصادق الحب يملى صادق الكلم

والرجل يمتاز حقا بالإخلاص ، وفيه روحانية قلما نجدها فى شعر غيره من الشعراء ، نعم يهز النفس أمثال ابن الفارض ، والبرعى ، والشهاب محمود ، ولكن البوصيرى فى هذا المعنى إمام الركب .

وقد يسأل متسائل : ما بال كبار الشعراء أمثال المتنبى والبحترى وأبى تمام لم يقولوا فى مدح الرسول ؟ وقد أجاب بعض الكاتبين عن ذلك بأن مدح الرسول من جملة الطاعات ، وهؤلاء لم يوفقوا لهذه الطاعة . كما أن كثيراً من الأغنياء لا يحجون ولا يزكون ، ولا يتصدقون ، ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أن أغراض الشعر العربى لم تكتمل كلها دفعة واحدة بل ظلت تنمو وتتدرج ، فيضيف كل عصر إليها غرضاً أو أكثر ، فشعر السياسة — مثلا — نشأ فى العصر الأموى ، وشعر الوعظ والزهد نشأ فى العصر العباسى ، وشعر المدائح جاء فى العصر المملوكى ... وهكذا .

ولم يكن مدح الرسول أو آل بيته غرضا مستقلا فى الشعر كما كان ذلك فى العصر المملوكى ، ومهما يكن من شىء فقد أفاض المتأخرون فى مدح الرسول ، وبعضهم نظم فى هذا الغرض دواوين بأكملها ، ونجد هذا الاتجاه الطيب فى شعراء السودان الذين عاشوا فى أول هذا القرن . فما منهم إلا من مدح الرسول ، وبعضهم له ديوان كامل فى المديح ، وبعض هذه الدواوين باللغة العامية وما زال ديون (أبى شريعة) منهلا يرده كل من أراد المديح من أصحاب هذه الصنعة الرائجة فى السودان .

وشعراء المديح وإن لم يكونوا كلهم من الشعراء المبرزين ، فقد أغناهم سمو الغرض ، وذات الممدوح عن بلوغ الذروة فى البلاغة ، والنفس المؤمنة تجد فى هذا الشعر غذاءها الروحى ، وإن لم تجد فيه البلاغة العالية ، والأسلوب الرصين .

وشعراء المديح منذ عهد كعب بن زهير يتخذون الغزل مفتاحا لمدائحهم ، وهذه عادة عربية قديمة ، يبتدئون أكثر قصائدهم بالغزل ، وقد هجرت هذه العادة فى بعض العصور ،

عند بعض الشعراء ، ولكنها بقيت ملازمة للمدائح النبوية ، ولذلك قل أن تجد مدحة — لا سيما المطولات — ابتدئت بغير الغزل . وغزل أمير الشعراء فى نهج البردة ، وغزل البوصيرى فى بردته . معروفان مشهوران ، ولكن غزل شعراء المديح أكثره مهذب مؤدب ، وقد رسم ابن حجة الحموى صورة لهذا الغزل فقال : « وهنا فائدة ، وهو أن الغزل الذى يصدر بالمديح النبوى يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتضاءل ، ويتشبب مطربا بذكر سلع ورامة وسفح العقيق ، والعذيب والغوير ولعلع ، واكتاف حاجر » . وقد كفانا ابن حجة مئونة القول فى غزل المداحين ، ونسوق مثلا من غزلهم ، يقول الشهاب محمود الحلبى المتوفى سنة ٧٧٥ هـ .

رأى الركائب تحدى فانثنى كلفا صب بكى أسفا ، والبين قد أزفا
مغرى بحب الحمى تهفو جوانحه إن برقه لاح أو قمريه هتفا
يكاد يقضى عليه فرط لوعته إذا تذكر عهداً بالحمى سلفا

ومن غزل أمير الشعراء فى نهج البردة :

لما رنا حدثتنى النفس قائلة يا ويح قلبك بالسهم المصيب رمى
جحدتها وكتمت الحب فى كبدى جرح الأحبة عندى غير ذى ألم
يا لائمى فى الهوى العذرى معذرة لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم
يا ناعس الطرف لا ذقت الهوى أبدا أسهرت مضناك فى حفظ الهوى فنم

وربما ابتدأوا بغير الغزل كما فى مدحة للبوصيرى :

أمدائح لى فيك أم تسبيح لولاك ما غفر الذنوب مديح
نبئت أن مدائحى فى المصطفى كفارة لى ، والحديث صحيح
أربح بمن أهدى إليه ثناءه إن الكريم لرابح مربوح

والمدائح النبوية ديوان كامل للسيرة المحمدية ، فلم يترك الشعراء صغيرة ولا كبيرة إلا ذكروها ، مرة بإسهاب ، وأخرى باختصار ، كما نجد فيها ذكر الأماكن الحجازية ، والتشوق إلى زيارة بيت الله ، والحنين إلى مشاهدة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيها ذكر الصحابة ، ومحاسن الشريعة ، ومقارنتها بالديانات الأخرى . وتكاد تكون المدائح أكثر الأشعار اشتمالا على الحكم والمواعظ ، وهى مواعظ مؤثرة غاية التأثير ، فإنها تواجه

النفس وهى فى جو صفاء روحانى، فتتمكن منها، وتدفعها إلى الطاعات، وكثيرا ما يتخذ المادح من معاتبة نفسه ومحاسبتها عظة للآخرين يقول البرعى :

متى يستقيم الظل والعود أعوج ... وهل ذهب صرف يساويه بهرج
هى النفس والدنيا وإبليس والهوى ... بطاعتهم عن طاعة الله أزعج
أريد مقام الصالحين وليس لى ... كمنهجهم فى الدين دين ومنهج
إذا حضر الإخوان للذكر والبكى ... حضرت كأنى لاعب متفرج

وللمولد النبوى مكان ملحوظ فى أشعار المديح، فهو أول ما يبتدئون به بعد الغزل، ثم يذكرون رضاعه ﷺ، وما ظهر فيه من بينات، فهذه المرضعات تفدن إلى مكة، تطلب كل واحدة منهن طفلا ترضعه لتنال من ورائه خيرا، وقد أبت المرضعات أن يأخذن هذا الطفل لأنه يتيم، وماذا تجد امرأة فقيرة من طفل يتيم، ثم يدفع سادات مكة أطفالهم إلى مرضعات البادية، ولكن واحدا منهم لم يقبل أن يدفع طفله لحليمة السعدية لأنها امرأة فقيرة لا يجد الطفل فى بيتها غناء، فترضى حليمة باليتيم، لأمر يريده الله، وتأخذه فتأخذ معها اليمن والبركة والسعادة، فيخصب عيشها، ويجرى اللبن فى ضرع شاتها العجفاء، ويفيض الله عليها النعمة، وتنال شهرة الأبد.

وبدت فى رضاعه معجزات ... ليس فيها عن العيون خفاء
إذ أبته ليتمه مرضعات ... قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة ... قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها ... وبنيها ألبانهن الشاء
أخصب العيش عندها بعد محل ... إذ غدا للنبى منها غذاء
وإذا سخر الإله أناسا ... لسعيد فإنهم سعداء

وقد أكثروا فى هذه المدائح من الحنين إلى الحجاز، وإظهار الرغبة فى زيارة الرسول، وأشهر من عرف بذلك عبد الرحيم البرعى، والشهاب محمود، ولهم فى هذه المعانى قصائد تستنزف الدموع من العيون.

ونسأل والدار تدنو بنا ... عن القرب فى كل يوم مرارا
وما ذاك أنا سئمنا السرى ... ولكن دنونا فزدنا انتظارا

على محمد حسن العمارى
من علماء الأزهر

شخصية الإسلام والمسلمين

قال رسول الله ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه ، ولو أن أحدهم جامع امرأته فى الطريق لفعلتم » ، وورد فى رواية السؤال عن « من كان قبلكم » : اليهود والنصارى ؟ قال ﷺ « فمن إذاً؟ » .

قال العزيزى فى شرح هذا الحديث « هذا الخبر معناه النهى عن اتباعهم فيما نهى الله تعالى عنه صراحة أو ضمنا ، والمقصود أن هذه الامة تتشبه بأهل الكتاب فى كل ما يفعلونه حتى لو فعلوا هذا الذى يخشى منه الضرر البين لاتبعوهم . وتتمة مراد الحديث : فإذا فعلتم ذلك فعليكم بالتوبة ، فهى الملجأ . وقد ورد « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم » .

وبعد ـ فكثير من مسلمى اليوم يعيشون على التقليد والاتباع لمن كان قبلهم كما ورد فى الحديث ، وهو من أعلام النبوة : يعيشون على ذلك التقليد الأعمى الأصم الأغلف فى الأمور التى لا تؤدى إلا إلى فساد وضلال ، يحيون على الاتباع لجماعات من الناس كل ما يقال فيهم أنهم بشر . . .

لا تكاد ترى لأكثر الناس وضعاً من الأوضاع ، أو نظاماً من النظم ، أو طريقاً فى العلم والمعرفة ، أو أسلوباً فى الحياة والعيش ، أو سبلا فى اختيار الطعام واللباس ، أو مناهج فى التفكير والقول وغير ذلك ، لا تكاد ترى لهم شيئاً مما ذكرنا إلا وهى نتيجة التقليد الأعمى والاتباع الأغلف الذى أشير إليه فى الحديث النبوى .

وإليك أيها الأخ القارىء نموذجين موجزين تقيس عليهما الكثير :

١ ـ ينظر هؤلاء إلى دينهم كما ينظر إليه أولئك ، على أنه رابطة بين الله والقلب ، وعلاقة بين الروح والخالق ، وعبادة تقف عند باب البيعة (مثلا) ولا تتجاوزها إلى الشارع والمعمل والمدرسة والحياة ، مع أن طبيعة الإسلام تختلف عن طبيعة غيره ، ووظيفته مختلفة عن وظيفة الدعوات الأخرى ، فبينما غير الإسلام تنحصر رسالته فى العقيدة والعبادة وبعض نواحى الأخلاق ، أتى الإسلام ليشرع حياة جديدة فى المسجد والشارع والبيت والمعمل

والمدرسة والحياة ، حياة جديدة تستوحى الرشد والنجح من الله تعالى فى كل مسألة وحالة ، حياة جديدة لا تعترف بطبقة كعلماء روحيين ورجال دين فقط ، لأن قوام الإسلام الروح والمادة ، والدنيا والدين ، وأفراده جميعا مطالبون بأن يكونوا علماء بفروضه وأركانه لقول الرسول ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وإن كان لا مناص من التفاوت بين أفراده فى زيادة الإلمام بالأصول والفروع أو الاجتهاد والتقليد مثلا .

ينظر هؤلاء إلى دينهم كما ينظر إليه أولئك ، دون أن يكلفوا أنفسهم البحث عن حقيقة الإسلام ووظيفته ، ويؤلفون (مثلا) قوانين لتسيير مصالح المسلمين ، ويشرعون نظما فى العقوبات والعقود ويرونها - وهى من صنع من سبقهم - خيراً لأمتهم من حكم الله جل وعلا ويعرضون جهلا واستهتاراً عن وعيد الله تعالى فيمن يترك الحكم بشرعه ، ليطلب العدل فى سواه .

قال الله تعالى (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله وإلى الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) . وقال : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .

٢ — ينظر هؤلاء إلى دنياهم كما ينظر إليها أولئك ! فالعلم (مثلا) يطلبونه لما يطلبه أولئك له ، لا دينا يربى النفس ويؤدب القلب وينشر الرخاء ويزيد الحب والتعاون الأدبى بين الناس ، وإنهم يتعلمونه لا ليرفعوا به الجهل عن أنفسهم ، ولا ليعرفوا طريق الله ، وغاية العيش ، مع أن من تحقير العلم والتصغير من شأنه قلب طبيعته باستخدامه والتقصير فى خدمته ومن إضاعة العلم العمل به فى غير ما أمر الله تعالى ، ولكن هؤلاء أيضاً يصنعون هذا ... تقليداً واتباعا لمن كان قبلهم .

وأسلوب الحياة والعيش قد جاروهم فيه وماشوهم عليه ، فجعلوا من الحياة الدنيا غاية والمعيشة المادية هدفا ، رعوا فيها ورتعوا ، نسوا كغيرهم ممن سبقهم وظيفتهم فى هذه الدنيا وهدفهم من هاته المعيشة ، فكانوا حقا يعيشون ليأكلوا ولا يأكلون ليعيشوا . نسوا أن هذه الحياة الدنيا لهو ولعب وغرور وسراب وتمويه وخداع ، وأن الآخرة بالعمل الصالح لهى الحيوان فوجهوا همهم إلى هذه الحياة المادية واطمأنوا إليها ، ركنوا إلى باطلها ونسوا يوما هو آت لا بد منه (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) ولا بد لأجل ذلك اليوم من إيمان وطاعة وعبادة وخلق وبر وإحسان وحب وإيثار .

ويتجاهل هؤلاء أيضاً أن الله تعالى قد جعل للإسلام والمسلمين شخصية وعلامة تميزهم عن غير أهل ملتهم ، وحدد للإسلام ذاتيته ومقوماته حتى لا يشتبه بدعوة أخرى .

ومن مظاهر ذلك أن الصلاة فى الإسلام قد شرعت غير مشابهة لعبادة فى دعوة ما فجعلها الله شاملة لعمل الروح والجسد . وأعد لها ، أنشودة سماوية — فى الأذان — ولحناً قدسياً تتجاوب به الآفاق « الله أكبر الله أكبر » ، وجعلها غير مقبولة إلا بالاتجاه فيها إلى عين الكعبة المشرفة أو جهتها دون المسجد الأقصى أو غيره ، وشرط لها شروطا من طهارة الجسد والنية وستر العورة ، مما لا يجتمع فى عبادة لدعوة ما ، ومثل الصلاة غيرها من العبادات والطاعات ، تتألف منها جميعاً شخصية مستقلة للإسلام لا تشبهها أو ترقى إليها دعوة أخرى .

واعتبر المسلمين هيئة خاصة لها شخصيتها ، يجب على أفرادها أن يحققوها فى أنفسهم إذا أرادوا الكمال لإسلامهم .

فهذا رسول الله ﷺ ينهى عن التشبه بغيرهم فيما نهى الله تعالى عنه صراحة أو ضمنا فيقول « من تشبه بقوم فهو منهم » رواه أبو داوود وصححه ابن حبان . ويقول « ليس منا من تشبه بغيرنا » . وتفصيل ذلك قد ألف فيه أئمة الإسلام الكتب ومنها كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) للإمام ابن تيمية .

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين يوجه قائدا إلى ميادين الجهاد والفتح يأمره بجعل لباس المسلمين مخالفاً للباس أهل البلاد حتى لا يشتبه بالمسلم غيره ، وحين يرى رضى الله عنه امرأة مجوسية قد تسترت كمسلمات زمانه يزيح عنها الستر ويقول لها : أتتشبهين بالحرائر يا لكاع ؟ !

وحين يكون للإسلام فى أهله سلطان على قلوب أتباعه ، نرى العلماء الصادقين يحرمون على المسلمين لبس ما هو خاص بغيرهم مستوحين ذلك من روح الإسلام وشخصيته المستقلة إذ يرون — كما يرى الأغيار أيضا — أن هذا التقليد مدرجة للاتباع ، وقد يؤدى ذلك إلى الرضا بدين الغير وعقيدته فيكون الكفر بعد الإيمان وخسران الدنيا والآخرة !

هذا الإمام الشافعى رحمه الله تعالى حين يقرأ على الناس حديثا ويسأله أحد المستمعين : هل يعمل هو بهذا الحديث فيقول له الإمام الشافعى : « أرأيتنى نصرانيا ، أرأيت على وسطى زناراً ، أرأيتنى خارجا من الكنيسة ؟ » ، وهؤلاء بقية الأئمة الأربعة وغيرهم يرون تشبه المسلمين بغيرهم فيما هو خاص بهم محرما ، إلا على مضطر وصاحب عذر .

وهذا القاضي البيضاوي يقول في تفسير قوله تعالى « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » . يقول « وإنما عد لبس الغيار (وهو شأن أهل الذمة يومئذ) وشد الزنار كفراً لأنها تدل على التكذيب ، فإن من صدق الرسول لا يجترئ عليها ، لا لأنها كفر بنفسها ، بل استعمالها في ظاهر الشريعة كذلك » .

وهذا الكاتب الأوربي الذي أسلم منذ سنوات قليلة « محمد أسد الله » يقول في كتابه (الإسلام على مفترق الطرق) عند بحث التقليد :

« إذا حاكى المسلم أوربة في لباسها وعاداتها وأسلوب حياتها فإنه ينكشف عن أنه يؤثر المدنية الأوربية مهما كانت دعواه التي يعلنها ، وإنه من المستحيل عمليا أن تقلد مدنية أجنبية في مقاصدها العقلية والبديعية من غير إعجاب بروحها ، وإنه لمن المستحيل أن تعجب بروح مدنية مناهضة للتوجيه الديني وتبقى مع ذلك مسلما صحيحا » .

والآن ليستعرض القارىء الكريم الإسلام في عقيدة أولئك الناس وعملهم ، ما نصيب الإسلام عندهم في شخصيته واستقلاله عن غيره ؟ وما نصيبهم هم من شخصية الملة الإسلامية وذاتيتها ؟ إن من يستعرض ذلك فسيرى عجبا عجيبا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم إنا نسألك في يوم مولد رسولك محمد صلى الله عليه وسلم أن تهب لنا من العزم والقوة ما نبرز به شخصية الإسلام والمسلمين مرة أخرى صريحة قوية صادقة أمام الناس جميعاً ، وأن ندع هذا التقليد الضار الذي شوه إسلامك ويكاد يذلنا جميعاً ويجعلنا عبيداً للناس لا لك يا الله ! .

نسألك في يوم مولد رسولك عليه صلواتك وبركاتك ، أن تعيد لنا عزتنا وعظمتنا وشخصيتنا ، فنعمل ونجاهد لنكون مرة أخرى قدوة صالحة للناس ، لا مقتدين بأشباه الناس ومرشدين للحق لا مسترشدين بالهوى ، ونوراً للعالم يبدد الظلمات لا قطيعاً يتبع عبيد الشهوات ، اللهم إنك أردت لنا أن نكون « خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله » ، فيسر لنا اللهم ذلك لنا ، حتى نكون كما أردت لنا أن نكون .

اللهم قد سألناك في يوم مولد رسولك فاستجب لنا يا أرحم الراحمين .

وهبي سليمان الألباني
مجاز في القضاء من الأزهر الشريف

الكتب

مختصر التحفة الاثنى عشرية

للسيد محمود شكرى الألوسى ، ٣٥٠ ص قالبين ، المطبعة السلفية بمصر

أصل هذا الكتاب النفيس من تأليف شاه عبد العزيز الدهلوى (١١٥٩ - ١٢٣٩) ابن مؤلف (حجة الله البالغة) الامام المجدد شاه ولى الله الدهلوى (١١١٤ - ١١٧٦) وهو أكبر أبنائه ووارث علمه . ويكاد يكون أعلم مسلمى عصره بمذاهب الشيعة وأغراضهم ، وأكثرهم إحاطة بنصوصهم ومعرفة برجالهم . وقد قام بتأليف هذا الكتاب عند ما استفحل طغيان هذه الدعوة فى الهند ، فاضطر إلى تأليفه دفاعا عن رسالة الإسلام ، وإثباتاً للحقيقة الجلية وهى أن أهل السنة هم محبو آل البيت ، وأن آل البيت هم حملة السنة كما يعرفها أهل السنة ، وأن عليا كان أخا حبيبا لأبى بكر وعمر ، وأنه طالما شكا شيعته وتبرأ منهم ، وكذلك كان موقف بنيه وسائر الأئمة الاثنى عشر . وإنما سماه التحفة الاثنى عشرية لأنه ألفه فى سنة ١٢٠٠ ، وكان قد جعله فى ١٢ بابا ، ولأنه دافع فيه عن الأئمة الاثنى عشر وبين أنهم فى صف أهل السنة . وأن أهل السنة هم الذين يحبونهم ويكرمونهم .

وكان تأليف أصل هذا الكتاب باللغة الفارسية فى أكثر من ألف صفحة ، والتزم مؤلفه ألا يناظر الشيعة ويقيم عليهم الحجج إلا من كتبهم وبنصوصهم والقضايا المسلمة عندهم ، ولذلك انتشر كتابه فى البلاد يومئذ وتناقلت الأقلام نسخه المخطوطة . وبعد ربع قرن شعر أفاضل مسلمى الهند بالحاجة إلى نقله للعربية ، وأول من اقترح ذلك الحافظ محمد حيدر من كبار رجال طريقة المجدد السرهندى ، فكاشف فى ذلك الأمير محمد عبد الغفار خان بهادر ثابت جنك ابن محمد على خان واختاروا لترجمته عالماً جمع بين التضلع بمعرفة مذاهب الشيعة والاطلاع على كتبهم وبين التمكن من اللغة الفارسية ، إلا أنه غير بليغ فى العربية وهو معذور فى ذلك ، وهذا المترجم هو الحافظ غلام محمد بن محيى الدين بن عمر الأسلمى ، فقام بما طلب منه أحسن قيام ، وانتهى من ترجمة التحفة الاثنى عشرية فى شهر شعبان سنة ١٢٢٧ بمدينة مدراس بالهند . وفى سنة ١٣٠٠ تجدد الطغيان مرة أخرى فشعر مسلمو العراق بالحاجة إلى كتاب التحفة الاثنى عشرية ، لكنهم وجدوه مطولا وفى ترجمته للعربية

ضعف ، فطلبوا من عالم بغداد وإمامها السيد محمود شكرى الألوسى أن يختصره ويهذبه ويخرج منه كتابا ينفع الناس ويضع حداً للمغالطات والبغى على خير من أنجبتهم الانسانية وهم أصحاب محمد ﷺ وتابعوهم والتابعون لهم باحسان ، وليقضى على الخرافة السخيفة ، وهى أن عليا خصم لإخوانه وأن إخوانه خصوم له ، وأن آل البيت فى غير الصف الذى فيه أهل سنة جدهم صلوات الله عليه ، فقام السيد محمود شكرى الألوسى بهذه المهمة ولله الحمد ، وكان من نتيجة عمله الصالح ظهور هذا المختصر النفيس لكتاب التحفة الاثنى عشرية.

وفى سنة ١٣١٥ قامت إحدى مطابع بومباى الهند بطبعه على الحجر ، ولكنها كانت طبعة كثيرة الاخطاء لصعوبة المواصلات يومئذ بين الهند والعراق فلم يتمكن السيد الألوسى من تصحيح ملازم الطبع قبل طبعها ، ومع ذلك فقد انتشرت تلك الطبعة فى الآفاق ، وتزاحمت عليها الأيدى ، فنفدت نسخها منذ نحو خمسين سنة ، ثم كاد أهل السنة ينسون هذا الكتاب ، إلى أن ذكرهم به مؤلفو كتب الزهراء ، والسقيفة ، والرد على رد السقيفة وأمثال هذه النشرات المليئة بما أشرنا إليه ، وحينئذ اقترح وجيه الحجاز العالم الجليل الشيخ محمد نصيف على رئيس تحرير مجلة الأزهر أن يحقق هذا المختصر ويعلق عليه ويخرج منه طبعة جديدة تجلو الحقائق وتبين الأمور من أصولها ، فقام بذلك على قدر ما اتسع له الوقت. ولما شعر فى خلال العمل بالحاجة إلى الوقوف على أصل الكتاب أرسل إليه حضرة الشيخ محمد نصيف نسخة مخطوطة من الأصل المترجم بالعربية وهى فى أكثر من ألف ومائة صفحة. وقد تم فى هذين اليومين طبع المختصر مصدراً بمقدمة ومختوما بخاتمة كلتاهما من قلم رئيس تحرير هذه المجلة. وقد اقتصر السيد الألوسى على تسعة أبواب من الأصل: الباب الأول فى ذكر فرق الشيعة ، وكيفية حدوثها. والباب الثانى فى أقسام الحديث عند الشيعة ، وأحوال رجال أسانيدهم ، وطبقات أسلافهم. والباب الثالث فى مواطن خلافهم مع المسلمين فى الإلهيات ، وتحقيق البحث عن معرفة الله بالوجوب العقلى أو الشرعى ، وإثبات مخالفة الشيعة لكتاب الله وللنصوص الثابتة عن العترة سلام الله عليهم. والباب الرابع فى مواطن خلافهم مع المسلمين فى النبوة ، واعتقادهم أن بعث الأنبياء واجب على الله ، وأن علياً أفضل من الأنبياء والرسل غير أولى العزم ، وقولهم ان الأئمة أزيد من الانبياء علماً فيكونون أفضل منهم رتبة. والباب الخامس فى الإمامة ، وأن المسلمين يوجبون على الأمة نصب الإمام ، بينما الشيعة يوجبونه على الله ، وبيان نتائج ذلك. والباب السادس فى بعض عقائد الشيعة المخالفة لعقائد المسلمين كاعتقادهم

وجوب البعث على الله ، وقولهم بخرافة الرجعة قبل يوم القيامة ، وأن حب على وسيلة النجاة ولذلك فإن محبيه لا يعذبون فى صغيرة ولا كبيرة لمجرد هذا الحب المزعوم . والباب السابع فى الأحكام الفقهية التى انفرد بها صناديدهم وفيها العجب العجاب ، وفى هذا الباب بيان أن أحد كبار أعلامهم ـ وهو أحمد بن إسحاق الأحوص القمى ـ اخترع لهم قبل أكثر من ألف سنة (عيد بابا شجاع الدين) وبابا شجاع الدين هذا هو عدو الله أبو لؤلؤة المجوسى قاتل أمير المؤمنين عمر . وفى الباب الثامن استعراض مطاعنهم على الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام وأم المؤمنين عائشة الصديقة والرد عليهم . وفى الباب التاسع ذكر ما اختص به الشيعة كإنكارهم كرامات الأولياء ، وإقامتهم حفلات الجاهلية فى المحرم ، واعتقادهم عصمة الأئمة ، وزعمهم أن من فى قلبه محبة على يدخل الجنة ولو كان مشركا ، وتسميتهم أمة محمد ﷺ « الأمة الملعونة » وتفضيلهم لعن عمر على ذكر الله وسائر العبادات ، وقولهم ان أبا بكر وعمر وعثمان منافقون ، إلى غير ذلك .

ومن العجيب أن مجتهدهم وآيتهم ـ الذى كانت كبرى هيئاتنا الإسلامية فى مصر تحتفل به وتكرمه لما تظاهر لهم به من عشقه للاتحاد ـ هو القائل فى صفحة ٦٣ من الجزء الأول من كتابه إحياء الشريعة فى مذهب الشيعة : « من قال أجمعت الأمة على نصب أبى بكر ، قلنا : لاحق لهم أن يجمعوا » ، وهو القائل « ولو كان هناك إجماع فما الدليل على حجيته » والقائل « إن فى آية الغار إشعاراً نتحرج عن ذكره لأنا لانريد الطعن على أبى بكر » . فإذا كان هذا داعية الاتحاد والمتحبب إلى السعوديين فى الحجاز هذا العام ، والمصريين فى مصر أخيرا ، فماذا يقال فى مفترى الزهراء ، والسقيفة ، والرد على رد السقيفة ، ومخترع كتاب المراجعات كما تخترع القصص والروايات ؟ وياليتهم يسكتون فنرضى منهم بالسكوت !

المهدية فى الاسلام

للأستاذ سعد محمد حسن ، ٣٢٠ ص قالبين . نشرته جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر

هو كتاب أهداه مؤلفه لوجه الحق وحده ، وقدم له الدكتور عبد الحليم النجار الأستاذ بجامعة القاهرة . ومؤلفه من الذين جمعوا بين ثقافتى الشرق والغرب ، وكتابه حافل بدراسة حسنة لموضوعه على قدر ما واتته المراجع الكثيرة التى وقف عليها . وقد اختص الفصل الأول منه بالإمامة عند مختلف الفرق ، والفصل الثانى للكلام على الرجعة وتسربها من اليهود إلى الشيعة ، والفصل الثالث للمهدية ومستنداتها وتأليه الأئمة عند غلاة الشيعة ، والفصل الرابع لمذاهب فرق الشيعة إزاء هذا المعتقد ، والفصل الخامس لشعر الشعراء فى المهدية ،

والفصل السادس للمهدية عند بقية الفرق الإسلامية وآثار عقيدة المهدى فى المجتمع الإسلامى ، والفصل السابع للمهدية فى العصر الحديث ونشأة الشيخية والبابية والبهائية والقاديانية .

وكنا نتمنى لو أن المؤلف توسع فى مصادره ، ونعتقد أنه سيفعل ذلك فى نشاطه العلمى الذى يلى هذا الكتاب ، لأن هذه البحوث لا تزال بكرا فى خارج محيط الشيعة ، وكلما زادها المثقفون من رجالنا دراسة ستتفتق لهم عن حقائق تستحق التدوين والعرض . وهى جهود مشكورة نأمل مواصلتها .

دراسات إسلامية

للأستاذ سيد قطب ، ٢٧٠ ص جابر ، المطبعة السلفية بمصر

الأستاذ سيد قطب كاتب إسلامى موهوب ، وقد عرفه قراء العربية بكتبه وفصوله الملتهبة فى المجلات والصحف . وأنفس ما كتبه فصول إسلامية أملاها عليه جو الطغيان فى آخر العهد البائد ، ثم جو التحرير لما أراد الله لعهد الطغيان أن يتحطم ويخزى . وهذه الفصول جمعت فى كتاب عنوانه (دراسات إسلامية) افتتحه سيد قطب بفصل عنوانه (محطم الطواغيت) ، وهل حطم الطواغيت كلها إنسان مؤيد من الله كما حطمها محمد ابن عبد الله ؟ فالفصل الافتتاحى من الكتاب فى التعريف بمحمد بن عبد الله من ناحية تحطيمه للطواغيت ، وبعده فصل عنوانه (انتصار محمد بن عبد الله) وفصل عنوانه (طبيعة الفتح الإسلامى) ثم (التكافل الاجتماعى فى الإسلام) و (كيف ندعو الناس إلى الإسلام) و (نحن ندعو إلى عالم أفضل) و (خذوا الإسلام جملة أو دعوه) و (تحت راية الإسلام) و (مصر أولا .. نعم ، ولكن !) ثم (إلى النائمين فى العالم الإسلامى) و (ضريبة الذل) و (العبيد) ... إلى غير ذلك من أمثال هذه الفصول النفيسة التى دعى رئيس تحرير مجلة الأزهر إلى أن يكتب مقدمة لها فكتب مقدمة يتأسف فيها لأنه ليس فى سن الشباب حتى يلهب قراءه بمقدمة متقدة كاتقاد هذه الفصول ، وأعلن أن كتاب (دراسات إسلامية) هو كتاب هذه السنة فى أدب القوة ، وتمنى لو أن سيد قطب متع شباب الجيل بمثل هذا الكتاب فى كل سنة .

رحلة المنشى البغدادى

نقلها من الفارسية الأستاذ عباس العزاوى ، ١٢٨ ص كبيرة ، مكتبة الخانجى

المنشى البغدادى هو محمد آغا الفارسى وهو إيرانى كان من موظفى المقيمية البريطانية

ببغداد إلى سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠ م) وقام بهذه الرحلة أيام ولاية داود باشا على العراق [1] بصحبة كلاديوس جمس ريتش المقيم البريطانى فى بغداد . وكتب رحلته بالفارسية . وتناولت الرحلة ديار الكرد (شهرزور ، وسنة ، وسقز ، وكركوك ، وألتون كوبرى ، وإربل) والموصل وأنحاء أخرى ، ورافق المقيم البريطانى فى التنقيب فى خرائب نينوى .

والباب الأول فى الرحلة يتناول ما وقع بين داود باشا والمقيم البريطانى من اختلاف أدى إلى خروج المقيم البريطانى من بغداد . والباب الثانى فى ذكر بغداد وأحوال عشائر العرب وطوائف الأكراد فيها وفى قراها ونواحيها . والباب الثالث فى المنازل من بغداد إلى كرمانشاه وذكر الآثار القديمة التى فى الطريق . والباب الرابع فى المنازل بين بغداد والسليمانية وكردستان وأحوال تلك الجهات والباب الخامس فى طريق بغداد إلى كركوك ومنها إلى السليمانية وبين السليمانية وكوى سنجق . والباب السادس فى الذهاب من السليمانية إلى همذان من طريق شهرزور . والباب السابع فى طريق السليمانية إلى سنة من طريق زيربار وأحوال مقاطعة سنة . والباب الثامن من سنة إلى تبريز ومراغة وكرمانشاه . والباب التاسع فى طريق السليمانية إلى الكبرى وإربل والموصل ، وشرح أحوال الموصل ونينوى وطريق دجلة بين الموصل وبغداد . والباب العاشر فى وصف البلاد والأصقاع بين بغداد والبصرة .

والمؤلف الإيرانى لهذه الرحلة البريطانية يسمى نفسه بأنه السيد محمد بن السيد أحمد الحسينى وينعت نفسه بأنه المنشى البغدادى ، وقد علمنا أنه إيرانى أقام فى بغداد عدة سنوات فى خدمة السياسة البريطانية ، ثم لما أجلى داود باشا المقيم البريطانى مستر ريتش عن بغداد اختار خادم سياسته محمد أغا الفارسى الإقامة تحت جناح الجنرال ألفنستين حاكم بومباى وأهدى إليه فى سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢) هذه الرحلة التى عنى مؤرخ العراق الأستاذ عباس العزاوى بنقلها من الفارسية إلى العربية بأمانة وعناية وتحقيق لتستفيد الأمة العربية بعض ما ينقصها من دخائل السياسة البريطانية فى العراق يومئذ وقد ألحق بها ستة فهارس للمواضيع والكتب والأشخاص والأمكنة والقبائل والنحل والألفاظ الاصطلاحية . فجاء الكتاب نفيسا ممتعا كسائر مؤلفات الأستاذ العزاوى وأعماله العلمية .

---

(١) انظر لتاريخ ولاية داود باشا على العراق تاريخ ابن سند المسمى (مطالع السعود) طبع المطبعة السلفية .

محاضرات فى تفسير سورة الأنفال

للأستاذ مصطفى زيد - ١٩١ ص كبيرة - مطبعة العلوم

هى محاضرات نفيسة ألقاها الأستاذ المؤلف على تلاميذه طلبة السنة الثانية بكلية دار العلوم فى الموسم الدراسى المنصرم ، ثم أخرجها للناس فى كتاب ليعم النفع بها . ويقول فى مقدمتها إن سورة الأنفال - على قصرها - هى إحدى سور قليلة جمعت إلى مبادىء القتال مبادىء السلام ، وإلى صفات المؤمنين الكاملين صفات الكفار والمنافقين وضعاف الإيمان ... وهى السورة التى وصفت موقعة بدر وتحدثت عن النصر الأول فى الإسلام ، ثم هى السورة التى نزلت بالمدينة والمسلمون حديثو عهد بالهجرة من مكة ، فكادت بهذا الاعتبار تبدأ عهداً جديداً فى القرآن ، كما ختمت بدر فى تاريخ الإسلام عهداً ليبدأ بعده عهد آخر . قال المؤلف : ثم شاء الله أن تلقى هذه المحاضرات فى عام بدأ به المصريون فى تاريخهم عهداً جديداً .

إن القرآن دستور المسلمين أفراداً وجماعات وحكومات ، وسورة الأنفال زاخرة بالمبادىء الكثيرة التى يجب على المسلمين وجماعاتهم وحكوماتهم أن يتدبروها ليعلموا ما يحب الله لهم أن يكونوا عليه ، ومن هذه الوجهة كان الأستاذ مصطفى زيد يحاضر تلاميذه فى دار العلوم فى تدبر آيات هذه السورة ومعرفة مبادىء الإسلام فى الحرب والسلم والمجتمع . ولما انتهى من ذلك لخص هذه الحقائق كلها واستخرج من السورة مايقرر مبدءاً ، أو يدعو إلى حق ، أو يأمر بخير .

وحبذا لو واصل الأستاذ مصطفى زيد هذه الطريقة فى تدبر آيات الكتاب الحكيم سورة سورة ، لا فى محاضراته التى يلقيها على تلاميذه طلبة دار العلوم وحسب ، فإن ذلك يطول أمره ، بل كلما واتاه الوقت وأسعفته الظروف ، فإن شباب المسلمين فى حاجة ماسة إلى تيسير فهم كتاب الله عليهم ، كما فعل المؤلف فى سورة الأنفال . فشكراً له ، وبارك الله له فى وقته وجهده .

تجريد التوحيد المفيد — للمقريزى

بتعليقات الأستاذ الشيخ طه الزينى — ٧١ ص جاير — المطبعة المنيرية

هذه الرسالة لتقى الدين أحمد بن على المقريزى من أنفس ما ألف فى التوحيد وعقائد الإسلام ، ودعوة جمهور المسلمين إلى الوقوف عند حدود الله واتباع سنة رسوله . وقد سبق طبع هذه الرسالة ولا يزال الناس فى حاجة إلى أمثالها ليرجعوا فى دينهم إلى أصوله . وقد قام فضيلة الأستاذ الشيخ طه محمد الزينى من علماء الأزهر بتصحيح أصولها والتعليق عليها بما نرجو الله له المثوبة عليه .

خالد بن الوليد

الأستاذ صادق عرجون ، ٣٥٠ ص قالبين ، مطبعة عيسى الحلبى

التاريخ الإسلامى فى حاجة إلى إعادة دراسته من جديد تحت ضوء الحقائق الإنسانية التى توصل بها المؤرخون فى هذا العصر إلى إنصاف عظماء الرجال وكبريات الأحداث ووزنهما بموازينها .

وقد سبق لفضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون شيخ معهد أسيوط الدينى إخراج كتاب نفيس عن أمير المؤمنين عثمان كان موضع التقدير من المؤلفين والقارئين ، والآن يتقدم إلى المكتبة الإسلامية بهدية جديدة عن حياة سيف الله المجاهد الفاتح خالد بن الوليد والدور الذى مثله فى التاريخ بنشر رسالة الإسلام ومقاومته طغيان الظلم السياسى والظلمات الأدبية .

وأول شروط من يؤلف فى تاريخ الإسلام أن يعرف الإسلام ويكون كأنه قد عاش مع رجاله الذين يؤرخ لهم ويحسن تقدير القيم للأعمال الصادرة عنهم . وإن توفر هذه الشروط فى فضيلة الأستاذ الشيخ صادق عرجون على أتم ما ينتظر من المؤرخ المسلم قد جعل كتابه (خالد بن الوليد) فى طليعة ما ينبغى لكل مسلم مثقف — ولا سيما شباب هذه الأمة من الجامعيين والأزهريين — أن يكرروا قراءته ، وأن ينظروا إلى تاريخ الإسلام من هذه الزوايا السليمة التى ينظر إليه منها مؤلف هذا الكتاب ، والأمل فيه أن يواصل عمله فى التأليف وأن يكون أول ما يطالعنا به كتاب عن فاتح مصر أبى عبد الله عمرو بن العاص والانقلاب الذى جرى على يده بمصر فى مجتمعها وبيانها ، وأثر الإسلام فى نفوسها وكرامتها ومستوى أخلاقها ، وإنه فاعل إن شاء الله .

التفسير الواضح

الأستاذ محمد محمود حجازى ، الأجزاء ١٢ - ١٥ ، مطابع دار الكتاب العربى

سبق لنا التنويه بهذا التفسير النافع فى ص ١١٨ و ص ١٠١٦ من السنة الماضية . وقد أهدى إلينا فضيلة مؤلفه الأستاذ الشيخ محمد محمود حجازى أربعة أجزاء أخرى من الثانى عشر إلى الخامس عشر أى من سورة هود إلى سورة الكهف ، وبذلك تم تفسير نصف كتاب الله لأن المؤلف التزم أن يفسر كل جزء من الأجزاء الثلاثين القرآنية بجزء من تفسيره ، وكان موفقاً بتسميته (التفسير الواضح) فجاء اسماً صادقاً على مسماه . وإننا نكرر الثناء عليه . ونرجو له من الله التوفيق فى إتمامه .

الأدب والعلوم في شهر

رسالة العلم

دعا رئيس الجمهورية المصرية شيخ الأزهر وشيوخ الكليات والمعاهد الأزهرية ومديرى الجامعات المصرية وعمداء كلياتها إلى تناول الشاى معه ومع إخوانه ضباط مجلس قيادة الثورة والوزراء فى نادى الضباط ، وكان سيادته فى استقبالهم والترحيب بهم . وبعد تناول الشاى ألقى خطبة فياضة عن العلم ورسالته فى عيد التحرير . ومما قاله فيها :

لقد امتحنت الجامعة وتقاليدها فى الماضى القريب ، كما امتحن كل شىء عظيم فى هذا البلد الأمين . ولكننا لا نحب أن نعيش فى الماضى ولا أن نحصى الأخطاء والزلات ولذلك أسائلكم أن تتجهوا بقلوبكم وبكل ما فيها من أمل ورجاء إلى المستقبل المنشود الذى نودعه فى ثقة وحسن ظن بين أيديكم .

وقد يكون من نافلة القول أن أتحدث عن التقاليد التى تودون ، والتى أود ، أن تقوم عليها جامعاتنا . ولكن قد يكون من الخير مع ذلك أن نتناجى فيما بيننا بما يحبه كل منا ويتمناه .

وأول ما نتمناه أن يفهم الناس أن أستاذ الجامعة لا ينظر إلى عقل الطالب وحده ، فعقل الطالب جزء خطير من شخصيته ، وأما باقى الشخصية ففى قلبه وجسمه ، والجامعة خلقت لتوجد التوازن بين هذه العناصر الثلاثة ، لتخرج للناس علماء يقوون على تكاليف البحث ، ويحتملون متاعبه ، ويؤمنون فى الوقت نفسه بعقيدة تجعل منهم مواطنين صالحين ، وأفرادا فى الجماعة الإنسانية نافعين.

وقد كنا نعيش فى الماضى بلا عقيدة ملهمة حافزة ، أما اليوم فقد بانت لحياتنا أهداف مرسومة أجملناها فى شعارنا المثلث « الاتحاد والنظام والعمل » . ولكن أساتذة التاريخ والاجتماع والفلسفة وغيرهم من العلماء يعرفون كيف يفصلون هذا الإجمال ، حتى يثبت فى يقين كل شاب أن لمصر - التى كانت ثقافتها أم الثقافات الحديثة - رسالة إنسانية إذا تحررت أدتها على الوجه الكريم الذى أدت عليه تلك الرسالة فى الماضى .

ولا أحسب أن أستاذ الجامعة قادر على أن ينمى شخصية الطالب إذا اقتصرت علاقته

بتلاميذه على ساعة الدرس وحدها ، فانها أضيق من أن تسمح له بالتعرف عليهم ، وتبين الفوارق بين ذواتهم وميولهم . وقد نشأت في مصر أقدم جامعة في العصر الحديث وهي (جامعة الأزهر) التي وضعت التقليد الرفيع الذي كان التلاميذ في ظله أصدقاء لأساتذتهم يأخذون عنهم العلم ، ويتأثرون بهم في الحياة ، ويستفتونهم في مشاكل العيش .

ونحن ننتظر - في صبر نافد - الوقت الذي يبعث فيه هذا التقليد الجليل ، فيصبح لكل أستاذ من أساتذتنا أبناء يحبون العلم من أجله ويحبونه من أجل العلم ، وقد يسرع بتحقيق هذا الأمل الجميل أن نخلق الجو العلمي السليم الصادق في الجامعة ، فيتفرغ أساتذتنا بعد إلقاء دروس المنهج المقرر للبحوث الكبرى ، فينشرونها في كتب ورسائل يرجع إليها الطلاب الراغبون في مزيد من العلم ، وينتفع بها العلماء الزعماء .

أيها السادة : إننا نجتاز فترة من أدق مراحل حياتنا ، وقد تحالفت قوى الشر والاستعمار ضدنا تحاول أن توهن من عزيمتنا ، أو تنال من تصميمنا على تحقيق أهداف ثورتنا العظيمة وغايتها السامية ، وهي تحرير مصر والسودان من رجس الاحتلال ، ليتمتع أبناء وادي النيل جميعا ، وعلى قدم المساواة ، بالحرية ليعيشوا أعزة ، كراما في بلادهم .

وهذه الفترة فترة جهاد بمعنى الكلمة ، فهي تتطلب منا تركيز جميع ما نملك من قوة معنوية ومادية ، وتوجيهها نحو الهدف حتى ننتصر ، ولن يكون هذا إلا بتضافر الجهود ، والتعاون الوثيق بين جميع أفراد الأمة كبيرها وصغيرها عالمهم وغير العالم ، جنديها وتاجرها وصانعها ، ويقتضي من كل فرد الشعور بالواجب وتقدير المسئولية ، وأن يتفانى كل فرد في أداء الواجب منكرا ذاته ، متجردا عن كل مصلحة شخصية ، مقدما عليها الصالح العام ، وبعبارة أخرى نحتاج في هذه الفترة إلى إبراز أسمى معاني شعار حركتنا والتمسك بها ، وهي : الاتحاد والنظام والعمل ، كما نحتاج إلى الصبر والصلابة والجلد والتقشف والاقتصاد ، والتمسك بمكارم الأخلاق ومبادىء الرجولة الحقة .

والعدو من جانبه يتربص بنا ، ويسعى ما وسعه الجهد من سعي ليجد ثغرة ينفذ بها إلى صفوفنا .

ولكنه لن يفوز بطائل ما دمنا متيقظين ، وما دمنا نعرف واجبنا فنؤديه ، وما دمنا لا نتخلى عن أقوى سلاح في أيدينا ، وهو الاتحاد المتين ، والعمل الدائب المتواصل في سياج من النظام الحسن فنحن أصحاب حق .

لقد ألبوا علينا إسرائيل - طفلهم المدلل - ولكن شكراً لاسرائيل فهي في جسم العروبة

سرطان يؤلم ذلك الجسم باستمرار ، فينبهه باستمرار إلى الخطر الداهم .

أنى باسم جمهورية مصر ، وحكومة مصر ، وباسم العهد الجديد ، أعلن أن كل قائد ، وكل وزير ، وكل عامل فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا يضع يده فى أيديكم ، ويشد عليها فى حرارة وصدق ، متمنيا لكم النجاح فى كفاحكم الشريف ومهمتكم الخطيرة . مؤملا أن تخلفوا من أبنائنا علماء نضجت عقولهم ، واستوت شخصياتهم ، وكملت عواطفهم ، لا يراهم أحد حتى يقول : هذا مصرى قوى ، خرج من جامعة مصرية متينة البناء ، على أيدى أساتذة يؤمنون بالله والوطن .

الدراسات العليا فى الأزهر

قررت مشيخة الأزهر استئناف الدراسات العليا بالكليات الثلاث ، وأباحت الالتحاق بها هذا العام ، بعد أن كانت معطلة منذ إحدى عشرة سنة ، وكتبت بذلك للكليات الثلاث للاستعداد لهذه الدراسات .

التقدم لشهادات الأزهر من الخارج

وجه مندوب جريدة المصرى سؤالا إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عن البواعث التى حملت الازهر على إباحة التقدم للشهادات الازهرية للخارج ، فأجابه : « إن مهمة الأزهر الأولى هى نشر التعليم الإسلامى وتيسير وسائله للراغبين فيه . ولما كان بعض الراغبين فى العلم والتثقف بالثقافة الإسلامية تحول ظروفهم الخاصة دون مواصلة التعليم ، أو لا تمكنهم من الاستمرار فى الدراسة والمواظبة عليها ، رأينا من المصلحة عدم إيصاد الباب فى وجوههم وإباحة التقدم للامتحان من الخارج لأى شهادة من شهادات الأزهر بالشروط التى ستوضع فى هذا الشأن كى يصبحوا رجالا نافعين لدينهم ووطنهم .

والأزهر يسره أن يكون عدد خريجيه أضعاف ما هم عليه ، وان التوجيه الدينى هو الضمان الوحيد لتوجيه الشعب والنشء توجيها صالحا يحميه من الميول الفاسدة والاتجاهات المعوجة ، وأيضاً فان البلاد الإسلامية تطلب مدرسين من الأزهر للتعليم فيها ونشر ثقافة الإسلام هناك ، وفى هذا إلى جانب نشر العلم توثيق للروابط وتوحيد للأفكار التى تقرب بين أفراد الأمة الإسلامية .

وهناك حقيقة يجب ألا تغيب عن البال وهى أن الثقافة - دينية أو مدنية - أمر مشكور فى حد ذاته ، ويجب أن ننظر إلى التعليم والثقافة على أنهما مقصد لا على أنهما وسيلة للتوظف فى الحكومة ، فمتى كانت الوظائف مقصدا لذى همة ، وغرضا لمجتهد ؟ ونلاحظ أن العهد الجديد يوجه النشء إلى التحرر من الفكرة التى كانت مسيطرة عليه وهى أنه يتعلم للوظيفة » .

مكتبة أديب كبير

تهديها أسرته إلى الأزهر

تقدم أخيراً الأستاذ حفنى الهيهاوى إلى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر راغبا فى إهداء مكتبة والده الأديب الشاعر محمد الهيهاوى رحمه الله إلى الأزهر.

وقد تقبل الأستاذ الأكبر هذه الهدية وكلف مدير مكتبة الأزهر بتسلم المكتبة المهداة ونقل مجلداتها إلى المكتبة الأزهرية.

معهد دينى بالملايو

أرسلت إدارة (معهد المحمود) فى الملايو مذكرة إلى الأزهر تتضمن تفاصيل شئون الدراسة فى المعهد وتحمل رغبة المشرفين عليه فى أن يتولى الأزهر امتحان طلبة المعهد بالمراسلة. ويرى الأزهر إيفاد مندوب إلى الملايو لتحرى حالة المعهد تمهيدا لاتخاذ الوسائل الكفيلة بتوثيق العلاقات الثقافية بين الأزهر ومسلمى الملايو

التحاق

٣٥٠٨ بمعاهد الأزهر

وافق مجلس الأزهر الأعلى على قبول ٣٥٠٨ من الطلبة الجـــدد بمعاهد الأزهر فى القاهرة والأقاليم. منهم ٢٨٩٩ للمعاهد النظامية وعددها ١٦ معهداً والباقى للمعاهد الحرة وعددها ١١ معهداً.

تلاميذ المدارس الابتدائية فى مصر

يؤخذ من الإحصاءات أن عدد الذين قبلوا بالمدارس الابتدائية فى عام ٥١ / ١٩٥٢ هو ١٤٦ر١٧٠ ارتفع فى عام ٥٢ / ١٩٥٣ إلى ٣٦٣ر٢١٣ وفى هذا العام (٥٣ / ١٩٥٤) إلى ٧٣٤ر٢٦٩، هذا مع أن إحصاء سنة ١٩٥١ يشمل ٧٠٧٢٨ تلميذا وتلميذة قبلوا بالمدارس الابتدائية القديمة وكانوا قبل ذلك برياض الأطفال أو بالمدارس الأولية، وقد اعتبروا فى سنة ١٩٥١ مستجدين، أما هذا العام فقد اعتبر أمثالهم منقولين من السنة الثانية إلى السنة الثالثة الابتدائية فى النظام القديم فلم يدخلوا فى الاحصاء.

ومعنى هذا أن عدد المستجدين الذين قبلوا بالمرحلة الابتدائية سنة ١٩٥١ هو ١٠٠ ألف طفل ووصل فى هذا العام إلى ٢٧٠ ألف طفل وهذا بالرغم من ظروف الميزانية، وبالرغم من أن مؤسسة أبنية التعليم لم تتمكن من إنشاء المدارس الثلاثمائة التى كان مقررا إنشاؤها فوعدت بتسليم ستمائة مدرسة للعام القادم يمكن أن تستوعب نحو ٣٠٠ ألف تلميذ باعتبار أن المدرسة الواحدة تتسع لنحو ٥٠٠ تلميذ.

ولا شك أنه كلما زادت الاعتمادات المالية المخصصة لوزارة المعارف كلما زاد التوسع فى نشر العلم وتعميم التعليم، لأن من مبادىء العهد الجديد تعليم المصريين أجمعين.

العالم الإسلامي في شهر

فترة حرب منظمة
يشنها الاستعمار على العرب

خطب الرئيس اللواء محمد نجيب فى جماعة من أبناء الدول العربية فقال :

« نحن فى فترة حرب منظمة يشنها الاستعمار على العرب ، ولا يمكن للعرب أن يصلوا إلى شىء إلا بالاتحاد ، وواجب كل عربى أن يضع يده فى يد أخيه ناسين أنفسنا ومصالحنا الشخصية ومطامعنا الخاصة ، وأن نترك الداء الذى يتفشى فينا وهو (حب الظهور) الذى يقصم الظهور . إن الاستعمار لم يحكمنا إلا بشىء واحد وهو (فرق تسد) وقد تزاحمنا على المناصب والجاه والسلطان وتمكن المستعمرون من أن يكره بعضنا البعض الآخر . ولكننا لو رجعنا إلى سيرة الرسول والخلفاء الراشدين لعلمنا كيف كانوا يتعاونون فى الجهاد لاعلاء كلمة الدين ، وكانوا يتعاونون بقلب سليم ، وضربوا أعظم الأمثلة لإنكار الذات .

فيجب على العرب أن يتنبهوا ويكونوا يقظين لهذه الفترة التى تمر بهم » .

باكستان جمهورية إسلامية :

قررت الجمعية التأسيسية الباكستانية فى الدستور الجديد أن تكون باكستان جمهورية ، وسيكون اسمها (جمهورية باكستان الإسلامية) ولم يعارض أحد هذا القرار .

وكان قد عرض على الجمعية التأسيسية اقتراح من بعض أعضائها بأن يكون النص هكذا : « باكستان جمهورية إسلامية خارج نطاق مجموعة دول الكومنولث » ، ولكن الأكثرية لم توافق على هذه الإضافة .

تبصير المسلمين بالإسلام :

ووافقت الجمعية التأسيسية كذلك على إثبات مادة فى الدستور الباكستانى تنص على تكوين هيئة تعمل على تبصير الشعب الباكستانى بتعاليم الإسلام ، وأن ينحصر الانفاق على هذه الهيئة من المسلمين .

مزاعم ايدن
عن انتخابات السودان

تورط مستر ايدن وزير خارجية انجلترا فأعلن اتهام مصر بالتدخل فى انتخابات السودان . ولما وقف رئيس الجمهورية المصرية يخطب فى الحفلة التى أقامها بنادى الضباط لرجال الأزهر والجامعات المصرية استطرد لهذا الموضوع وقال :

بالأمس ألقى ايدن كلمة فى البرلمان الانجليزى فجاءت ضغثا على ابالة ، ولكنها حشرجة الموت وعقلية فئة من غلاة المستعمرين فهو إذ يتهمنا بالتدخل فى انتخابات السودان ، نسى أنه لا يوجد مصرى فى السودان له أى نفوذ يمكنه التأثير فى الانتخابات ، وغاب عنه أن

تحت أيدينا مستندات دامغة لإثبات هذه التصرفات ، ولكننا التزاما منا لجانب الحيدة التامة امتنعنا حتى عن إذاعة هذه الأمور حتى لا تؤول إلى أنها دعاية مثل دعاياتهم التى يذيعها ركن السودان فى محطة الشرق الأوسط أو غيره . ونسوا أنى أجلت حتى رحلتى إلى بلاد النوبة أكثر من أسبوعين عامداً متعمداً وجعلت مداها بلدة - ادندان - آخر الحدود المصرية مع أن عندى برقيات كثيرة من اخواننا فى حلفا وفى السودان يطلبون منى زيارتهم وهى أمنية من أعز أمانى .

نسوا كل هذا ورمتنا بريطانيا بدائها وانسلت ، ولكن ردى على هذه الافتراءات هو أن المستعمرين - كما قال زميلى الصاغ أركان الحرب صلاح سالم - قد أزعجهم سير الانتخابات نحو الحرية والحق فكشفوا عنها كما أنها مناورة يشغلون بها الرأى العام البريطانى الذى أقلقه تعثر المفاوضات الخاصة بالقناة ، ونسوا ما نوهت عنه منذ أكثر من شهرين من أن ساسة الاستعمار يتعمدون تأجيل المفاوضات إلى انتهاء انتخابات السودان خوفا من أن يؤثر فوز مصر فيها على الانتخابات فيشتد ساعد أنصار الاتحاديين ، وهو ما صرح به وأغرى به الكثيرون من ساسة البريطانيين وصحافتهم أخيراً .

ولكنهم نسوا أن السودانيين يطلبون حرية بلادهم كما نطلبها ، ولن يقف فى سبيل الحرية شىء ما دمنا مؤمنين بحقنا ، مصممين على الوصول اليه ، وسنصل اليه ان شاء الله .

اللغة العربية

لغة أجنبية فى الجزائر

لمناسبة قيام لجنة حقوق الإنسان ببحث مشكلة الجزائر وضعت جامعة الدول العربية تقريراً قالت فيه : إن فرنسا تعتبر اللغة العربية لغة أجنبية فى الجزائر . واستشهدت على ذلك بقرار رسمى أصدره مسيو شوتان أحد المقيمين الفرنسيين الذين تولوا حكم الجزائر باسم دولتهم .

تعاون العرب

تبرعت الحكومة السعودية بعشرين ألف دينار لإعادة بناء قرية القبية التى أصابها البغى من اليهود . وهذه القرية واقعة فى منطقة الأردن على حدود إسرائيل . وسبق للحكومة السعودية أن قدمت لحكومة الأردن ٨٥٠٠ دينار لتسليح الحرس الوطنى الأردنى .

البترول تحت مياه الخليج الفارسى

تألفت أخيراً شركة رأسمالها مليون جنيه لتتولى تنفيذ المشروعات الخاصة باستخراج البترول من المستودعات الكامنة على طول ساحل قطر فى الخليج الفارسى . وتشرف على هذه العمليات شركة شل التى نالت هذا الامتياز فى العام الماضى من حاكم قطر على أساس تقسيم الأرباح مناصفة . ومن المرجح أن تنشأ أول بئر تحت الماء فى العام القادم .

حقوق الزوجية ونظام الاسرة فى الاسلام

تلقى الأزهر مشروعا وضعته الهيئة التشريعية فى بورما لتنظيم حقوق السيدات المسلمات هناك ، وأرفق به السكرتير العام للمؤتمر الاسلامى فى عاصمة بورما رسالة عما تعانيه السيدات المسلمات فى تلك البلاد من معاملة الأزواج بما لا يتفق وآداب الإسلام .

وطلب السكرتير أن يبدى الأزهر رأيه فى حقوق المرأة المسلمة ، على أن يرسل الرد والمشروع إلى مركز المؤتمر فى (رانجون) .

وقد أحال الأستاذ الأكبر هذا الطلب إلى الأستاذ الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر السابق بوصفه عضواً بجماعة كبار العلماء فوضع مشروع قانون يتضمن حقوق الزوجية ونظام الأسرة فى الإسلام وترجم إلى اللغة الانجليزية وأرسل إلى بورما عن طريق وزارة الخارجية .

شلل الأمم المتحدة

أعلن الدكتور سيريل كاربيت (أسقف يورك) أن أصوات يهود نيويورك هى السبب فى شلل أعمال الأمم المتحدة فيما يتعلق بالشئون العربية .

تحريم الكتب العربية فى تركيا :

استورد الأستاذ حكمت أوزاك كتبا عربية إسلامية إلى تركيا ، فرفعت عليه النيابة هناك قضية لاعتبارها هذا العمل جريمة يعاقب عليها القانون . وفى المحكمة وجه القاضى إلى المتهم السؤال الآتى :

هل تعلم أن قيامك بإدخال مطبوعات عربيه وترويجها مخالف للقانون رقم ٢٩٣ لسنة ١٩٢٧ ، كما أن فيه ضرراً معنوياً بالشعب

فأجاب المتهم بشجاعة :

ليس هناك أى ضرر من هذه الكتب ما دامت محتوياتها لا تمس الآداب العامة أو العقيدة السياسية ، وكان الأولى أن يوجه مثل الاتهام إلى أصحاب المكتبات الافرنجية فى حى بيرا (الحى الافرنجى فى استنبول) الذين يستوردون كتبا ومجلات من باريس تفيض خلاعة ومجونا .

وهنا وقعت ضجة فى قاعة المحكمة ، فرفع القاضى الجلسة ، وأجل القضية لموعد آخر .

مصادرة مجلة الأزهر بتونس

كتب إلينا من تونس أن السلطة الفرنسية صادرت جزء شهر المحرم من هذه المجلة ، ويستطيع القراء أن يفهموا من مثل هذا الحادث الصغير روح الاستعمار الفرنسى فى شمال إفريقيا ، وإيمانه بضعفه ، وتوقعه الخطر على مصيره حتى من مثل مجلة الأزهر فى اعتدالها ورزانتها واقتصارها على البحوث العلمية والحقائق الإنسانية .

فهرس

الجزء الثالث — المجلد الخامس والعشرون



مجلة الأزهر

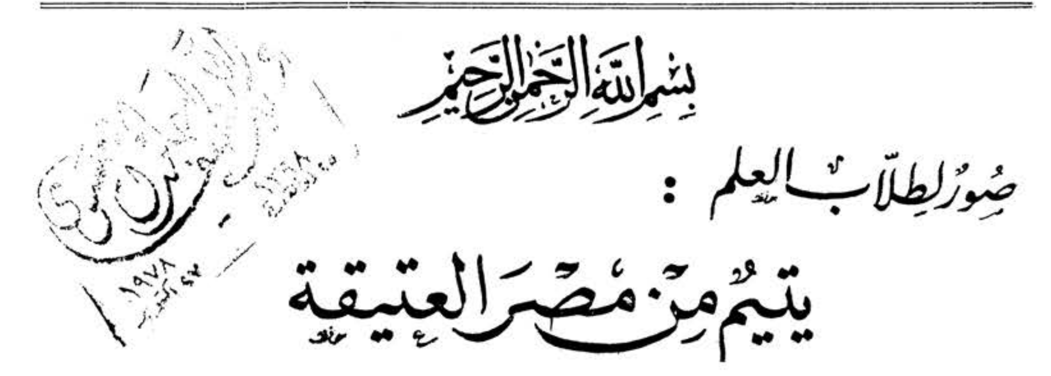
مجلة شهرية جامعية

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الاشتراك السنوى

٥٠ فى مصر والسودان
٣٠ للطلبة فى مصر والسودان
٦٠ فى الخارج
٤٠ للطلبة فى الخارج
ثمن الجزء ٥

الجزء الرابع ـ القاهرة فى غرة ربيع الآخر ١٣٧٣ ـ ٨ ديسمبر ١٩٥٣ ـ المجلد الخامس والعشرون



... وكان الطفل يوم مات عنه أبوه فى رجب ٧٧٧ هـ لم يكمل السنة الرابعة من عمره ، وكانت مصر العتيقة ـ التى ولد فيها الطفل ونشأ بين بيوتها ـ كأنها الشمس بعد غروبها ، لأن العبيديين جنوا على الفسطاط ـ فى أول عهدهم ـ بانصرافهم عنه إلى القاهرة سنة ٣٥٨ ليسدلوا سجف الإهمال والنسيان على البقعة التى حمل إليها أصحاب رسول الله ﷺ نور الهدى ودين الحق فسطعت أشعته وانتشرت من وادى النيل إلى إفريقية لجبال الأطلس حتى استنارت بها لجج بحر الظلمات . واجتاز قبس منها مضيق الزقاق إلى أوربا ، فتبلج فى آفاق الأندلس أبهج أضوائها . ولولا خدعة من خدع الأراجيف صدرت عن جواسيس شارل مارتل لجازت على الأبطال المجاهدين تحت ألوية عبد الرحمن الغافقى لكانت العربية لغة فرنسا وأوربا الآن ، ولكان نظام الإسلام العادل الرحيم هو نظام الأوربيين والأمريكيين جميعاً . كل ذلك بفضل أشعة النور الأولى التى انتشرت من هذا الفسطاط الأعظم الذى تحول عنه العبيديون إلى القاهرة فى عهدهم الأول ، ثم ختموا فى عهدهم الأخير جنايتهم على هذه البقعة المباركة بإحراقها سنة ٥٦٤ ، فاستمرت ألسنة الحريق تلتهم من عمرانها

ومن معالم الإسلام فيها مدة أربعة وخمسين يوما بلياليها، إلى أن ذهبت النيران بما لا يمكن أن تتصوره العقول من مساجد ومدارس ومؤلفات قديمة نفيسة فى علوم الشريعة والعربية والأدب والتاريخ والتراجم وسائر فنون العرب والإسلام مما لا متسع للتحدث عنه فى هذا المقال. ومن بعد هذا الحريق الرهيب تسربلت أطلال الفسطاط بسرابيل الكآبة والحزن، ثم أفاقت من غشيتها بعد عشرات السنين، فأخذت تسترجع وعيها، وتقيم على ذكريات العزة والمجد منازل متواضعة حول أول مسجد أقيم للإسلام تحت سماء مصر، فعاد العمران الحزين يطل بأعناقه مرة أخرى فيما بين النيل وتلول عين الصيرة ممتداً نحو الشمال، حتى إذا انطوى بعد هذه الفاجعة قرن آخر من تاريخ الإسلام فى مصر صارت عروس «الفسطاط» الأولى تعرف عند الناس فى شيخوختها باسم «مصر العتيقة»، وفيها ولد هذا اليتيم الذى أحببت أن أتحدث عنه إلى طلاب العلم فى موسم افتتاح الدراسة هذا العام، لتكون لهم فى سيرته أسوة، وليكون لهم من الطريق الذى سلكه إلى أهدافه طريق يسلكه خيارهم ونجباؤهم إلى أهدافهم، بل لتكون لهم من حياته صورة مشرقة تحبب إلى كل ذى نفس غالية عليه من طلبة هذا العام أن يحاول بعزيمة صادقة ونفس راضية السير فى طريق «يتيم مصر العتيقة». ولا أذيع سرا إذا قلت لهم إن هذا اليتيم كان يدعى: أحمد ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ — ٨٥٢).

قلت فى صدر هذا المقال إن أحمد فقد جناح رحمة الأبوة، فغدا يتيما من سنة ٧٧٧ ولما يكمل السنة الرابعة من عمره. فلما مر على موت أبيه الحول الأول حضر إلى بيته وصيه الشيخ زكى الدين الخروبى فأخذ بيده وذهب به إلى الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ كتاب الله. وكان الشيخ زكى الدين يتعهده - مع الزمن - بجميل الوصايا، ومنها أن يحب العلم لله ليحبه الله، وأن يكون صادق العزيمة فى حفظ كتاب الله الحكيم، وقد حدثه بما لذلك من عظيم المثوبة عند الله فى الدنيا والآخرة، ولا سيما إذا أخلص نيته فى ذلك لله عز وجل. وقد نصح له بأن يوجه مداركه كلها إلى ما تصل إليه يده من زاد الحكمة ونعمة العلم ليكون عما قريب رجلا وجيها عند الله وعند الناس. وما كاد أحمد يتقن القراءة والكتابة وتتفتح مواهبه للحق والخير حتى عاهد ربه على كل ما كان ينصح له به وصيه الشيخ زكى الدين الخروبى. وروى المؤرخون الذين زينوا كتبهم بباقات عطرة من زهور سيرته أنه حفظ سورة مريم — وهى ثمان وتسعون آية — فى يوم واحد. ولما بلغ التاسعة من عمره

(سنة ٧٨١) كان قد أتم حفظ كتاب الله وبعض متون الشريعة وقواعد العربية وغيرها ومنها العمدة فى أحاديث الأحكام للحافظ عبد الغنى المقدسى ، والحاوى الصغير فى فقه الشافعية للنجم القزوينى ، ومختصر ابن الحاجب فى أصول الفقه ، وملحة الإعراب للحريرى منشىء المقامات ، وغير ذلك . وفى أواخر سنة ٧٨٤ بدا له أن يقصد بيت الله الحرام ليحج فى موسم الحج وليلبث بعده مجاوراً فى مكة فيتلقى العلم عن علمائها . وبالفعل استمر فى مكة سنة ٧٨٥ وبعض سنة ٧٨٦ وشرع فى تلقى الحديث النبوى فسمع صحيح الإمام البخارى من عفيف الدين عبد الله بن محمد النشاورى (٧٠٥ — ٧٩٠) وأخذ عن عالم الحجاز محمد بن عبد الله ابن ظهيرة المخزومى (٧٥٠ — ٨١٧) ، وأدى فى مكة امتحاناً عملياً فى حفظ كتاب الله فصلى به التراويح من أوله إلى آخره ليالى شهر رمضان سنة ٧٨٥ تجاه الكعبة المشرفة . وعاد فى سنة ٧٨٦ إلى مصر ليواصل طلب العلم على شيوخها بالهمة العالية التى وطن عليها نفسه وظهرت للناس آثارها حتى ذلك الحين ولما يبلغ الحلم .

وها هو ذا الآن فى بيته بمصر العتيقة ، وقد بلغ الرابعة عشرة من عمره . لقد وجد نفسه واقفا على مفترق الطرق يسترجع بذاكرته ما مر عليه فى الحجاز ، وما تلقاه عن علمائها من معارف لم يكن له عهد بها ، وما اكتسبه قبل ذلك من أشياخ طفولته وصباه ، وما كان ينصح له به محبوه من نصائح بدا له صدقها وعظيم نفعها فى تجارب سنواته القليلة التى تذوق فيها حلاوة العلم ، وتمتع فى خلالها بمراقبة أخلاق العلماء المنقطعين للعلم والذين يبتغون به وجه الله وحده .

إن قليلا من التفكير السليم فى مثل هذه السن الطاهرة التى بلغها أحمد بن حجر ، سيهديه ـ بلا شك ـ إلى طريق السلامة والعافية والسعادة ، ليكون إن شاء الله من أهل الخلود .

لقد عول فتانا على أن تكون مهمته فى الحياة الإلمام بتركة الإسلام التى توارثها ثمانية قرون مضت ، فرسم خطته للاتصال بكل من أظلتهم سماء مصر من العلماء والأدباء والإخصائيين ، ليأخذ عنهم خير ما عندهم ، وليروى عنهم كل ما تفردوا بإتقانه من علومهم وما ورثوه عن شيوخهم من أمهات كتب الشريعة واللغة والأدب والتاريخ . حتى إذا استوفى ذلك وأتى منه على أقصى ما تستريح إليه نفسه ، فإنه سيقوم بعد ذلك برحلات علمية إلى الأقطار الإسلامية ليستكمل ما عند أئمتها وأعلامها . لذلك رأيناه بعد أوبته

من الحجاز يغشى أبواب المدارس المصرية التى اشتهرت بنضوج علمائها ونشاط تلاميذها ، ويتنقل بين حلقات الدروس فى المساجد الكبيرة ، ويلازم كبار العلماء وأساطين المعرفة لينظر إلى أهدافه بعيونهم ، ويسدد خطواته فى طريقه على نور هداهم وتجاريبهم . قال معاصره الحافظ ابن فهد المكى (٧٨٧ - ٨٧١) : « أول ما كان نظره فى الأدب والتاريخ ففاق فى فنونهما ، وقال الشعر الحسن ، وطارح الأدباء » . ثم أخذ الحديث عن الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى (٧٢٥ - ٨٠٦) وشهد له بأنه أعلم أصحابه فى الحديث . وتفقه على جماعة منهم شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى (٧٢٤ - ٨٠٥) وهو أول من أذن له بالإفتاء والتدريس . وتتلمذ للشيخ سراج الدين عمر بن على بن الملقن (٧٢٣ - ٨٠٤) . وأخذ الأصول عن العز عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن جماعة الكنانى ، كما أخذ اللغة عن صاحب القاموس المحيط مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى (٧٢٩ - ٨١٧) .

وفى تمام سنة ٨٠٠ ازداد شعوره بحاجته إلى وقته ، وكان يضيع عليه منه شطر ثمين فى كل يوم بالانتقال فيما بين مصر العتيقة والقاهرة ، فتحول إلى مزدحم أقدام الطلاب ، تاركاً وراءه فى خطط الفسطاط ذكريات صباه وشبابه ، وذكريات صبا الإسلام وشبابه فى مصر ، واتخذ لنفسه منزلا فى القاهرة ليكون على مقربة من حلقات الدرس وخزائن الكتب ومعاهد العلم والعلماء .

وفى سنة ٨٠٢ — وكان قد ناهز الثلاثين — رأيناه قائماً برحلة فى ديار الشام ، فأدرك فى دمشق بقية من تلاميذ محدث الشام الطبيب المؤرخ العالم القاسم بن مظفر ابن عساكر (٦٢٩ — ٧٢٣) ، وتتلمذ هناك للعلامة زين الدين عمر بن محمد البالسى (٧٣٢ — ٨٠٣) ، ولفاطمة بنت على بن محمد بن المنجا التنوخية ، وقد نوه بها فى كتبه وقال إنه أكثر الأخذ عنها ، ومع أنها شيختة عاشت بعده بضعا وعشرين سنة . وأخذ كذلك فى دمشق عن فاطمة بنت محمد بن عبد الهادى المقدسية (٧٢٢ — ٨٠٣) ، وقد أدركها قبل وفاتها بسنة واحدة ، وقال : قرأت عليها الكثير من الكتب والأجزاء فى صالحية دمشق بسفح قاسيون ونعم الشيخة كانت ، وأخذ عن أختها محدثة دمشق عائشة (٧٢٣ — ٨١٦) وقرأ عليها كتبا عديدة ، وقال عنها : إنها تفردت بالسماع من الحافظ

الحجاز ، وكانوا يسمونه « مسند الآفاق » ، ولبث ابن حجر بدمشق فى تلك الرحلة سبعين يوماً يستفيد فى كل يوم بل فى كل ساعة من علمائها ويفيد شبابها وطلابها ، حتى قيل إنه قرأ فى تلك المدة الوجيزة قريباً من مائة مجلس أو أزيد ، ورحل أيضا إلى بيت المقدس فأخذ فيها عن شمس الدين القلقشندى وبدر الدين بن مكى ومحمد المنبجى ومحمد بن عمر بن موسى ، وزار الخليل وأخذ فيها عن صالح بن خليل بن سالم ، ومر بالرملة فتلقى فيها عن عالمها أحمد ابن محمد الأيكى ، وقصد غزة ليروى عن أحمد بن محمد الخليلى ، ولعل وصوله إلى هذه المدن الفلسطينية كان وهو فى طريق رحلته إلى دمشق ، أو عند عودته منها . ثم تعددت رحلاته إلى الحجاز ، وبلغ فى بعض ذلك إلى اليمن ، ولا غرض له فيها إلا لقاء العلماء والأخذ عنهم وربط صلته بشيوخهم وأسلافهم والاطلاع على مالم يكن اطلع عليه من المصنفات المهمة والنادرة .

وقد سجل روابطه بشيوخه وعلماء عصره فى مصر وسائر الأقطار بكتب ألفها وكانوا يسمونها « المعاجم » و « الفهارس » ثم صارت تسمى « الأثبات » . وهذا من آثار عناية السلف بالرواية ، وبيان مصدر كل فقرة من فقرات العلم ، وتسمية الشيخ الذى وصلت منه إلى تلميذه . وذلك لأن العلم فى الإسلام أغلى على أهله من المال ، وكما أن قاعدة « أنى لك هذا ؟ » يهتم لها البشر فى أمر المال ، فإن هذه القاعدة نفسها يهتم لها علماء المسلمين فى أمر العلم ، والعلم عندهم عبادة ودين ، وبهذه الطريقة يفتضح الكذبة الذين يأتون بالعلم المزيف ، والتاريخ المموّه ، والحديث الموضوع ، لأنهم مطالبون بأن يردوه إلى مصادره المحترمة والموثوق بها ، فإن لم تكن لهم هذه المصادر المحترمة بان للعلماء عوار بضاعتهم ، وتحاماها الناس ، واشتهرت فى سوق العلم بالتمويه والغش والتزييف . والرواية عند علماء المسلمين ولاسيما عند علماء الحديث كالأنساب للناس ، وكما أن فى الأطفال لقطاء لا يعرف الناس آباءهم ، فكذلك فى أخبار التاريخ ومرويات الحديث ومسائل العلم أخبار ومرويات ومسائل لا يعرف أصلها ، أو تلصق كذبا بأصول لا صلة لها بها ، وذلك من صنع الكذبة الوضاعين أصحاب الأغراض والأهواء والمذاهب الفاسدة . ولكن علماء الإسلام وأعلامه من ورائهم يفضحون أغراضهم ويميزون الطيب من الخبيث بقواعد وقوانين ودراسات فى النقد دونوها وألفوا فيها الكتب . ولذلك صار كل عالم حريصا على أن يسمى شيوخه ، ويبين مصادر علمه .

ومن خواتيم هذه العناية الكتب التى ذكرناها ويسمونها المعاجم والفهارس والأثبات . وللحافظ ابن حجر كتب يذكر فيها شيوخه أحدها كتاب (المجمع المؤسس ، بالمعجم

المفهرس) وهو فى مجلدين وتوجد مسودته بخط ابن حجر فى مكتبة الجامع الأزهر ، وفى مكتبة الأزهر كتاب آخر له فى مجلدين أيضا ، والظاهر أنه غير الأول واسمه (المعجم المفهرس) ، وله غيرهما (فهرس المرويات) وكان هذا الكتاب معروفا عند معاصريه والذين جاءوا من بعدهم .

ومن الأخلاق التى عرفت عن الحافظ ابن حجر فى سنوات طلبه للعلم ، وقد ذكرها معاصره الحافظ ابن فهد المكى ، أنه « كان فى حالة طلبه للعلم مفيداً فى زى مستفيد ، إلى أن انفرد فى شبابه بين علماء زمانه بمعرفة فنون الحديث لا سيما رجاله وما يتعلق بهم » . وهذا الخلق فى طالب العلم - أى أن يكون مفيداً فى زى مستفيد - هو من أخص آداب طلب العلم فى الإسلام ، وقد علموا بالتجربة أن « من تواضع لله رفعه » والكبرياء لا تجتمع مع العلم فى نفس واحدة . فإذا لقيت العالم وأنت لا تعرف منزلته فى العلم فانظر إلى تواضعه وكبريائه ، فكلما كان أكثر تواضعاً كان أكثر علماً ، وكلما كان صاحب كبرياء كان ذلك دليلا على فقره فى العلم . ولأن علماء المسلمين نشأوا على التواضع بارك الله لهم فى جهودهم وفى أوقاتهم ونفع الناس بمؤلفاتهم وعلومهم واستطاع الواحد منهم أن يؤلف عشرات الكتب ، وإن من علمائنا مئات ومئات تجاوز عدد مؤلفات الواحد منهم المائة بل المئات ، وهذا يتيم مصر العتيقة الذى نستعرض هذه الصورة الجميلة من حياته استطاع بالتواضع والمثابرة والصبر أن يكون نابغة مصر والعالم الإسلامى ، ولم يفارق هذه الحياة الدنيا إلا بعد أن زاد عدد مؤلفاته على مائة وخمسين ، والكتاب الواحد منها قد يكون فى بضعة عشر مجلداً وقد يكون فى بضع مجلدات وقد يكون فى مجلد ضخم . هذا مع ولايته القضاء أكثر من عشرين سنة ، ومع رحلاته المتعددة إلى سوريا وفلسطين والحجاز واليمن ، ومع إلقائه الدروس اليومية على الطلبة الذين صاروا علماء ، ثم على الذين صاروا علماء من بعدهم ، حتى قيل إن من تلاميذه الجد والأب والحفيد . ومر زمان بعد وفاة الحافظ ابن حجر لا يكاد الإنسان يجد فيه منتسباً إلى العلم فى مصر إلا وهو من تلاميذ يتيم مصر العتيقة أو من تلاميذ تلاميذه . فمتى ياترى وجد هذا الرجل الوقت الكافى لتأليف مائة وخمسين كتاباً مليئة بالأحاديث المنصوصة بأسانيدها ، وبالأقوال المعزوة إلى الأئمة والعلماء ، وبالتحقيقات النفيسة التى هى نتيجة علم وتفكير ، فضلا عن التراجم المحررة عن الرواة

والعلماء والحفاظ ، وكل كلمة فيها تحتاج إلى مراجعة وتنقيب وتثبت ؟ إن وقت أمثال الحافظ ابن حجر قد بارك الله فيه ، لأن صاحبه كان متخلقاً بأخلاق يرضى الله عنها ، ولذلك مكنه من جمع هذه الثروة العلمية لأمة بعث الله فيها رسوله بالعلم والهدى .

وبعد أن اجتزنا مع الحافظ ابن حجر هذه المرحلة من حياته نلقاه الآن وهو يناهز الاربعين ، والاربعون هى سن النضوج والحكمة ، فلا غرو إذا رأيناه مشمراً عن ساعد الجد لجرد تركة الإسلام والإحاطة بكنوزها ، وأثمن كنوزها ما حفظه سلفنا من أقوال بانى هذه الأمة وهاديها إلى الحق والخير صلوات الله وسلامه عليه وما صح عنه من أعمال . وابن حجر بدأ صلته بالحديث النبوى من رحلته الأولى إلى الحجاز سنة ٧٨٤ وكان لا يزال فى الثانية عشرة من عمره . فلما بلغ أشده واستوى اتصل بالحافظ زين الدين العراقى الذى شهد له بأنه أعلم أصحابه فى الحديث . ويقول الجلال السيوطى إن ابن حجر كان يحفظ ما يزيد على عشرين ألف حديث . ويقول مترجمو الحافظ ابن حجر إنه تولى تدريس الحديث فى خانقاه بيبرس نحوا من عشرين سنة وأملى ما يزيد على ألف مجلس فى الحديث من حفظه ، ونيط به التدريس فى المدرسة الجمالية ، وفى دار الحديث الكاملية بين القصرين ، ودرس التفسير فى المدرسة الحسينية ، وفقه الإمام محمد بن إدريس الشافعى فى المدرسة الخروبية البدرية ، ودرس مختلف العلوم فى القبة المنصورية ، وفى المحمودية ، والشريفية الفخرية ، وفى الشيخونية ، والصالحية النجمية ، والمؤيدية ، وفى الصلاحية المجاورة لإمامه الشافعى رحمه الله ورضى عنه . وهذه المدارس كانت يومئذ أعظم عناية بالعلم وتحقيقه والتعمق فيه من أرقى كليات هذا العصر . وسبب ذلك أنهم كانوا يطلبون العلم للعلم ولمرضاة الله عز وجل وعلى أنه عبادة ، أما فى زماننا المادى فالغالب على طلاب العلم أن يطلبوا به الدنيا ، وهم يشتغلون منه بما له سوق رائجة . وشتان ما بين القصدين ، وبين الثمرتين . ومن الحكم التى تعزى إلى السيد المسيح سلام الله عليه قوله « من ثمارهم تعرفونهم » . ولم يكتف ابن حجر بالقضاء والتدريس بل إنه تولى الإفتاء أيضاً بدار العدل ، وتولى الخطابة بالجامع الأزهر ثم بجامع حامل رسالة الإسلام إلى مصر سيدنا عمرو بن العاص رضوان الله وسلامه عليه . ولمحبة ابن حجر للكتب ورغبته فى مجاورتها تولى - فى جملة ما تولاه - خزن الكتب فى المدرسة المحمودية . فكانت مكتبتها الكبيرة الثمينة كأنها مكتبته الخاصة يطالع فيها ويراجع ويؤلف ما شاء الله له أن يؤلف .

ولو لم يقم الحافظ ابن حجر بخدمة للإسلام غير تأليفه كتاب (فتح البارى) لكان ذلك كافياً لتخليده . وما كاد يتم تأليفه حتى تزاحم أعلام العلماء ونجباء الطلبة على استنساخه واقتنائه ، وبيعت النسخة منه فى حياة مؤلفه بثلاثمائة دينار ذهبا . وذهب المثل يومئذ بين علماء الحديث بأنه « لا هجرة بعد الفتح » لأن فتح البارى يغنى متدبره عن الانتقال عنه إلى غيره . وقد بلغ هذا الكتاب فى طبعاته المتعددة ثلاثة عشر مجلدا ، وكان الأقدمون يجزئونه فى ضعف هذا العدد ، ولو أنه طبع طبعة دراسة وتحقيق وعناية ومقارنة لخرج فى أربعين مجلداً وأكثر .

ولفتح البارى مقدمة فى مجلد كبير اسمها (هدى السارى) جمع فيها الحافظ ابن حجر جميع مقاصد فتح البارى .

أما الأحاديث النبوية التى هى من أدلة الأحكام فى التشريع الإسلامى فكان بين أيدى أهل العلم منها فى طفولة يتيم مصر العتيقة كتابان متداولان أحدهما مختصر صغير للحافظ وهو (العمدة) للحافظ عبد الغنى المقدسى وقد تقدم فى هذا المقال أن الحافظ ابن حجر كان يحفظه من طفولته . والكتاب الآخر مطول للدراسة وهو (المنتقى من أحاديث الاحكام) للإمام مجد الدين بن تيمية جد شيخ الإسلام تقى الدين . وقد رأى الحافظ ابن حجر أن يجمع فى أحاديث الأحكام كتابا وسطا بينهما حتى إذا حفظه الطلبة كانت مادتهم فى أحاديث الاحكام أغزر ، ولذلك ألف كتابه الشهير (بلوغ المرام) . وإن الإنصاف العلمى والمذهبى الذى كان يغلب على أخلاق الحافظ ابن حجر فى فتح البارى وغيره من مؤلفاته كان مما أثر فى بعض نوابغ علماء اليمن فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، ونرى أثر ذلك فى شرح السيد محمد بن اسماعيل الصنعانى (١٠٥٩ - ١١٤٢) لكتاب بلوغ المرام ، كما نجد مثل هذا الأثر فى شرح القاضى الشوكانى (١١٧٢ - ١٢٥٠) لكتاب المنتقى من أدلة الأحكام ، حتى لا يكاد قارىء الكتابين يشعر بأن مؤلفى الشرحين من كبار علماء الزيدية مع أن مؤلفى المتنين من كبار أئمة أهل السنة . وبمثل هذه الاخلاق ، ولا سيما خلق الإنصاف مضافا إلى خلق الإخلاص ، يكون التقريب المعقول بين أهل المذاهب ، لأن الإنصاف والإخلاص يجمعانهم جميعاً على احترام ما صح من سنة رسول الله ﷺ وإجلال حفظتها من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان .

وهـذا ما توافر فى كتاب (سبل السلام) للسيد محمد بن اسماعيل الصنعانى وكتاب (نيل الأوطار) للقاضى الشوكانى . أما أن يأتينا رجال ينكرون السنة الصحيحة ويروجون الأحاديث المكذوبة ، ويبغضون الصالحين من أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم وصادقى الرواة عنهم ، ويدافعون عن شانئيهم والذين يفترون الكذب عليهم ، ثم يدعون الناس إلى التقريب ، فأى تقريب هذا بين الطيب والخبيث ، وبين الحق والباطل ، وبين الإسلام وضده ؟!

ومن كتب الحافظ ابن حجر فى الحديث (تسديد القوس ، فى مختصر مسند الفردوس) يوجد الجزء الأول منه فى مكتبة الأزهر بخط الحافظ .

ومن أوائل كتبه فى الحديث (تعليق التعليق) ، وقد عنى فيه بوصل ما ذكره الإمام محمد بن إسماعيل البخارى فى صحيحه معلقا ، ويوجد من هذا الكتاب فى المكتبة الأزهرية مخطوطة فى ستة أجزاء بمجلد واحد وعليها خط المؤلف . وقد اختصره المؤلف بكتاب سماه (التشويق) ، ثم اختصر هذا المختصر بكتاب (التوفيق بتعليق التعليق) .

ومن خدمته للحديث تأليفه كتاب (إتحاف المهرة بأطراف العشرة) وهو فهرس للأحاديث المدونة فى الكتب المشهورة ، وله فهرس خاص بمسند الإمام أحمد سماه (المسند المعتلى بأطراف المسند الحنبلى .

ومن كتبه فى الحديث (المطالب العالية ، فى الزوائد الثمانية) ، و (تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة) ، و (تبصير المنتبه بتحرير المشتبه) .

وقد عنى بتخريج أحاديث الكتب المشهورة ككتابه (تخريج أحاديث الأربعين النووية) ، و (تخريج أحاديث كتاب الأذكار للنووى) ، وله (تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب فى الأصول) وهو فى مجلدين ، و (تخريج أحاديث الهداية فى فقه الحنفية) الذى ألف فيه الزيلعى كتاب نصب الراية ، ومن هذا الباب كتابه (التخليص الحبير فى تخريج أحاديث شرح الوجيز الرافعى الكبير) فى فقه الشافعية .

وله فى مصطلح الحديث (نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر) وشرحه (نزهة الفكر فى توضيح نخبة الفكر) .

وكتبه فى تراجم رواة الحديث من أنفس الكتب وأعظمها ، منها (تهذيب التهذيب) طبع فى حيدر أباد الدكن بالهند فى ١٢ مجلداً . وقد هذب به كتاب « تهذيب الكمال فى أسماء

الرجال ، لمحدث الشام الحافظ المزى . ثم لخصه فى (نهاية التقريب) ، واختصره بعد ذلك فى (تقريب التهذيب) ، وكل منها نافع فى بابه وضرورى للمشتغلين بعلم السنة .

ومن تمام التعريف برواة الحديث العناية بالمطعون فيهم من الرواة ، وكان الحافظ الذهبى قد ألف فى ذلك (ميزان الاعتدال) فى ثلاثة مجلدات ، فنقحه الحافظ ابن حجر وزاد عليه وأخرج من ذلك كتابه (لسان الميزان) فى ستة مجلدات ، وقد طبع فى حيدر أباد الدكن بالهند .

وكما وفى الرواة حقهم ، فإنه قام بمثل ذلك لأئمة الرواة ورءوسهم وطليعتهم الأولى وهم أصحاب رسول الله ﷺ ، فبعد أن كان المتداول قبله فى هذا الباب كتاب (الاستيعاب) لحافظ الأندلس ابن عبد البر وكتاب (أسد الغابة) لابن الأثير الجزرى ، أخرج الحافظ ابن حجر كتابه الوافى الحافل وهو (الإصابة) فى أربعة مجلدات كبيرة فأصبح هو العمدة فى هذا الباب .

ولأنه كان قاضى قضاة مصر ترجم لأسلافه من قضاة مصر فى كتاب (رفع الإصر) وهو من أنفس الكتب .

وترجم لأهل القرن الثامن الذى عاش فيه ، وذلك فى كتابه (الدرر الكامنة ، فى أعيان المائة الثامنة) وقد طبع فى حيدر أباد الدكن فى أربعة مجلدات .

وترجم لأقرانه ولداته فى كتاب استمر على تأليفه إلى سنة ٨٥٠ ، وهو كتاب (إنباء الغمر ، بأبناء العمر) ، ومسودته بخط الحافظ ابن حجر فى دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وكانت هذه المسودة إلى وقت طفولتى ضائعة فى دشت مهمل بتلك المكتبة ، حتى قام شيخنا الشيخ طاهر الجزائرى رحمه الله فى رمضان سنة ١٣٢٠ (على ما أذكر) بتنظيم ، زكائب ، ذلك الدشت واستخرج منها مخطوطات أثرية قيمة ومنها مسودة الحافظ ابن حجر لهذا الكتاب ، وهى الآن معروضة للمطالعة والمراجعة فى مكتبة العاصمة السورية .

إن الحافظ ابن حجر كان يتوقع - قبل أن يستبحر علمه فى الحديث النبوى ومعرفة رواته وتراجمهم وطبقاتهم - أن يكون أديبا بليغاً ينظم الشعر ويتفنن فى منثور القول وتدبيج الرسائل . غير أن إيمانه بضرورة جرد تركة الإسلام وتنظيم نصوصه وتيسير فهمها وتمييز صحيحها من مريضها ، أنساه الشعر والأدب وبلاغة الترسل . إلا أن ملكة البيان بقيت

متأصلة فيه ، فكان إذا سنحت له سوانح المعانى صاغها عفواً فى لطائف من الشعر تؤثر عنه ويتناقلها الناس . وأكتفى - بعد أن طال هذا المقال - بمثال واحد لهذه الناحية من مواهب هذا الرجل العظيم :

فى أواخر سنة ٨٢٠ مالت منارة جامع المؤيد التى بنيت على البرج الشمالى بباب زويلة وكادت تسقط ، واشتد خوف الناس من سقوطها ، فتحولوا من حواليها ، وكان المهندس الذى بناها يسمى ابن البرجى ، فأمر الملك المؤيد بأن تنقض ، فنقضت بالرفق إلى أن أمنوا شرها ، فنظم الحافظ ابن حجر فى هذه الواقعة هذين البيتين :

لجامع مـــولانا المؤيد رونق ... منارته بالحسن تزهـــو وبالزين
تقول وقد مالت عن القصد أمهلوا ... فليس على جسمى أضر من العين

وبلغ ذلك معاصره الشيخ بدر الدين العينى ، فظن أن ابن حجر عرض به ، فاستعان بالنواجى الابرص - وكان شاعراً - فنظم له بيتين معرضاً بابن حجر ونسبهما العينى لنفسه وهما :

منارة كعروس الحسن إذ جليت ... وهدمها بقضاء الله والقـــدر
قالوا أصيبت بعين ، قلت ذا غلط ... ما أوجب الهدم إلا خسة الحجر

وبلغت الكلمتان مسامع تقى الدين ابن حجة فقال :

على البرج من بابى زويلة أنشئت ... منـارة بيت الله والمعبد المنجى
فأخنى بهـا البرج الخبيث أمالها ... ألا صرحوا يا قوم باللعن للبرجى

والبرجى هو الذى كان قائماً على عمارة المنارة قبل أن تميل . ومثل هذه المطارحات كانت من اللطائف التى يتبادلها العلماء والأدباء على سبيل الفكاهة ، ويكون لهـا جميل الوقع فى المجالس والسهرات فى تلك الايام التى لم يكن فيها للناس صحف يتحدثون بمـا يرد فيها .

وبعد فإن الإلمـام بأعمال يتيم مصر العتيقة ، وما اتسعت له حياته المباركة من درس ، ومطالعة ، وتفكير ، وتأليف ، وتدريس ، ورحلة فى الاقطار - مضافا ذلك كله إلى ولايته القضاء الأعلى فى القاهرة ، والقضاء يومئذ واحد يشمل قضايا القطر - ليس ممـا تتسع له هذه الصفحات . وقد حاول تلميذه محمد بن عبد الرحمن السخاوى صاحب الضوء اللامع فى تراجم أعيان القرن التاسع أن يفرد ترجمة شيخه الحافظ ابن حجر فى كتاب مستقل فجاءت فى مجلدين اثنين ، ولو شاء رجل من أهل عصرنا أن يدون ما فى كتاب السخاوى بأسلوب يستوفى به

ظروف الوقائع ويجلوها لقرائه حتى يكونوا كأنهم معاصرون لها ومشاهدون لتطوراتها ، لجاء من ذلك كتاب أوسع وأبسط من كتاب السخاوى ، لأن ترجمة رجل كالحافظ ابن حجر هى تاريخ لعصره فى سياسته وثقافته وأخلاق عظمائه وآداب مجتمعه ومستوى طبقاته وأمانى الناس فيه وآمالهم ونواحى قوتهم ومواطن ضعفهم ، ولا بد لأمتنا أن تتعرف إلى رجالها فى العلم والسياسة والحرب والمال والأدب - من صدر الإسلام حتى الآن - على هذه الطريقة ، ليكون كل عصر من عصور تاريخنا الإسلامى نابضاً بحيويته أمام أنظارنا ، معلنا لفضائله ونقائصه بأصولها ونتائجها ، لتتم لنا العبرة بذلك ، ونعرف كيف وبماذا كنا من أهل الخير ، وبماذا ضاع منا ذلك الخير ، فصرنا ضعافا حتى سهل على المستعمرين الاستيلاء علينا ، والتصرف فى أوطاننا وعقولنا وقلوبنا وأذواقنا وأخلاقنا ، إلى أن صرنا كما أرادوا لنا أن نكون ، لا كما أراد لنا قائدنا الأعظم ﷺ أن نكون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولو أن هذا اليتيم كان فى طفولته وصدر شبابه ضعيف العزيمة متوسط الهمة ، أو كان يطلب العلم ليعيش منه ، لذهب فى قافلة الموتى خاملا منسيا ، ولاضمحلت صورته فى ظلام الماضى كما تضمحل صور الموتى الخاملين فى كل يوم وفى كل ساعة ثم لا يذكرهم أحد بخير . بينما الرجل العظيم الذى يستعمل حياته القصيرة فى هذه الدنيا بما ينفع أمته ، ويوفر لها أسباب عظمتها فى الأخلاق وحسن التوجيه حتى تكون عظيمة بفضائلها وثرواتها الأدبية والمادية فإنه يبقى حيا مع الأجيال الآتية بعده كما كان حيا مع جيله ، ويذكره الناس بالخير ، ما تمتعوا بما خلف لهم من مآثر الخير .

أيها الطالب النجيب :

ها أنت الآن فى بداية سنة جديدة من حياتك فى طلب العلم ، فإما أن تكون نفسك عزيزة عليك فتقف جهودك كلها على طلب العلم للعلم وحده ، ولوجه الله وحده ، كما كان يفعل يتيم مصر العتيقة منذ كان يتيما إلى أن صار فتى وشابا ورجلا وشيخا جليلا ترفرف القلوب من حوله بمحبته وإجلاله ، وحينئذ ستجد نفسك سائرا فى طريق مفخرة الزمان ، زين الحفاظ قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، وأحسبنى قد أخذت بيدك منذ ساعة فسرت بك من ورائه خطوة خطوة ، حتى عرفته من بداية أمره يوم ولد فى سنة ٧٧٣ إلى أن ختم الله له بالحسنى بعد ثمانين سنة قمرية ، وأزيدك الآن أن مصر كلها

سارت فى مشهده يوم روعت بخبر موته ، فلم يبق فيها عالم ولا عظيم ولا أمير إلا سار فى هذا المشهد الرهيب ، وكان السلطان الملك الظاهر جقمق يتناوب مع العظماء حمل نعشه . ولما أرادوا الصلاة عليه قدم السلطان الخليفة العباسى لذلك ، فأذن الخليفة لعلم الدين البلقينى بأن يؤمهم فى وداعه الأخير ، وكان الجميع ساعتئذ من ورائه يذكرون عظمة هذا العالم الإسلامى الكبير فيقولون مع إمامهم « الله أكبر » ، المرة بعد المرة بعد المرة بعد المرة ، وكان ذلك فى يوم السبت ٢٨ من ذى الحجة سنة ٨٥٢ . وكما كان وصيه الشيخ زكى الدين الخروبى هو الموجه له فى طفولته لتكون نيته فى أعماله خالصة لله ، وكما كانت المدرسة الخروبية إحدى المدارس التى عاش فيها شطراً من عمره متعلما وعالما ، فقد اختير لدفنه تربة بنى الخروبى فى القرافة الصغرى تجاه الجامع الديلمى على مقربة من قبر إمامه محمد بن إدريس الشافعى رحمهما الله ورضى عنهما وجعلنا فى قافلتهما مع الصالحين الدائبين العاملين من أئمة هذه الأمة وعلمائها ومجاهديها إلى يوم الدين .

محب الدين الخطيب

طلاب الوظائف

قال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة :

« يا عبد الرحمن . لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها . وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فائت الذى هو خير ، وكفر عن يمينك » .

نفحات القرآن

— ١٠ —

سحر هاروت وماروت

[وما يعلمان من أحد حتى يقولا : إنما نحن فتنة فلا تكفر]

١ — تمهيد — من القضايا التى اتسعت لها جوانب القرآن ، وتناولها سياقه فى غير موضع : قضية السحر والسحرة .

وما كان القرآن ليغفل ظاهرة علمية - كظاهرة السحر - أخذت مجراها على مسرح الحياة ، حتى اتصلت بالعقيدة ، وكانت مثار الجدل ، بل مبعث اللجاج بين فريقين يختصمان حول الحق والباطل ، وينقسمان حول الدعوة الدينية فى بعض أزمنة النبوة .

والمتصلون بالقرآن يعلمون ما شجر من خلف صاخب بين فرعون وسحرته وبين موسى عليه السلام ، ويعلمون ما كان للسحر على فرعون وبطانته من تأثير ، ثم ما كان لموسى عليهم من الغلب : إذ بطل السحر ، « وألقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين » . فكان من نفحات القرآن أن يبصرنا بتلك الظاهرة التى باتت مزلة للعقيدة ، وفتن بها خلق كثيرون .

ولكن . . من أى ناحية يعرض القرآن للسحر ، وله جوانب عدة ؟ ؟
عهدنا بالقرآن أن يعنى بجانب الموعظة والإرشاد ، ويسوق من الآيات ما يتصل بهدفه ، وينير المحجة لأتباعه ، ويقيم الحجة على مخالفيه .

أما ما بعد ذلك من غايات أخرى - كتاريخ السحر ، ووسائله ، وتطوراته ، وأنواعه ، وتفصيل آثاره - فقد لا يذكرها القرآن ، أو لا يذكر بعضها إلا عرضا ولتمام الفائدة . . وهو يدعها لبعدها عن مقصوده الأول - العظة - أو لأنها غير محدودة : فهى تختلف باختلاف الأزمنة ، وتتفاوت فى تقديرها العقول .

وحديث القرآن عن السحر يتصل بموسى ، ويتصل بسليمان بن داود عليهم السلام ، ويتصل كذلك بهاروت وماروت من الملائكة المكرمين .

وقد ارتضيت أن أختار - سحر هاروت وماروت - مطلعاً للحديث لأن زمنهما أسبق من زمن موسى ، ومن زمن سليمان ، إذ كانا فى زمن إدريس ، وزمن إدريس قبل الطوفان ، وأما موسى وسليمان فهما من ذرية إبراهيم ، وبديهى أن إبراهيم وبنيه بعد الطوفان ، وسلام الله عليهم أجمعين .

ونظرة إلى الآيات « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان - إلى قوله تعالى عطفاً على ما ذكر - وما أنزل على الملكين ببابل : هاروت وماروت » توهم أن زمن سليمان أسبق تاريخاً لتقدمه فى الذكر ، وذلك فى بادىء الرأى يخالف ما أسلفت .

ويدفع هذا الوهم أن العطف بالواو - بين قضية سليمان وقضية هاروت وماروت - لا يفيد ترتيباً فى الزمن ، وإنما هو لمطلق الجمع فى السياق ، ولو كان المعطوف أسبق حدوثاً من المعطوف عليه - وذلك شأن مفروغ منه ، سيما أن القرآن الكريم لا يتقيد برعاية التاريخ ، فذلك غير ما يعنيه ، وما كان يغض من روعة القصة أن تكون على ترتيب الزمن فيبدأ فيها بذكر هاروت وماروت على ذكر سليمان .. ولكن الشأن فيما يبدو لنا يقضى بورودها على النمط الذى جاءت به . لأن سليمان رسول .. وقد لصق به السحرة من الأباطيل ما فيه كفر ، والله يغار على رسله من سفه أعدائه ، وأعدائهم ، وأعداء الحق .

فكانت الحكمة السامية أن تبادر الآيات إلى تبرئة سليمان عليه السلام مما عزى إليه « وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا » .

ولنا بعد هذا التمهيد أن نواجه الموضوع .

٢ — من تدبير الله فى ملكه أن يفضى إلى الملائكة بما كان غيباً ثم حان وقته فلم يعد غيبا ، وللملائكة فيما بينهم مناجاة بما ألقى إليهم من شئون كونية ، وكانت للشياطين جولات علوية تمكنهم أن يسترقوا السمع مما يدور بين الملائكة ، ثم تهبط الشياطين بما تلقفته ، وتخلط حقاً بباطل ، فتضيف إلى ما سمعت كثيرا من الأكاذيب الشيطانية ... وينتهون بذلك كله إلى أناس من الأشرار نصبوا أنفسهم للضلال ، واتخذوا الشياطين

أولياءهم ، فأصبح شياطين الجن وشياطين الإنس أعوان فتنة ودعاة إفساد « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ، ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » .

ثم ظهرت موالاة أناس للجن بشكل واضح فى عهد إدريس عليه السلام ، وكان علم السحر فاشيا حينئذ بين الناس ، فاستطاع السحرة أن يستعينوا بما يأخذون عن الشياطين : « شياطين الإنس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » وكانت وسيلة هؤلاء المفسدين إلى السحر تجارب ودعت لهم ، وصيغا حفظوها من كتب لا ندرى مصدرها ، كما كانت المنكرات وسيلتهم فى التقرب إلى الشياطين ، فهم يرددون ما يوسوس إليهم مردة الجن ، ويفعلون من الكفريات ما يعجبهم ، ويستهينون بما لا يقدم عليه إلا من خبثت نفسه ، وفسدت طويته وطاب له أن يمعن فى الشر قولا ، وعملا ، وعقيدة ليرضى شهوته وشيطانه .

راجت أباطيل السحرة بأرض بابل - بالعراق - فجرف الناس تيار السحر ، وفتنتهم تخيلاته ، حتى التبس عليهم الحق بالباطل وزعموا أو زعم كثير منهم ، جواز الأخذ به على الإطلاق فى غير حرج ، وتزعزعت عقيدة الناس فى كثير من الحقائق الدينية ، فظنوا أن السحرة يعلمون الغيب ، ويخبرون بالمستقبل ، وأن مقام السحرة أشبه بمقام الأنبياء ، وهكذا .

وكان من مرحمة المولى بخلقه من أهل تلك الديار أن يبعث إليهم من ملائكة السماء - هاروت ، وماروت - ليعلما الناس أن الشائع بينهم سحر ، بل ليعلماهم نفس السحر ، حتى يتبينوا أنه صناعة تكتسب بالتعلم ، وليس علما سماويا ، وأنه يستعان فيه بالوسائل المادية كالعزائم ، والرقى ، وأن محاولات السحر - وهى عمل إنسانى - قد تصح ، وقد لا تصح . وليس كذلك ما يكون من علم السماء .

إذا عرف الناس ذلك فقهوا وفطنوا إلى الصواب ، واهتدى من فيه صلاحية للهداية ، وكان من أمانة الملكين - كما عهد الله إليهما - أن ينصحا كل أحد من الناس قبل تعليمه ، فيقولا له [إنما نحن فتنة - ابتلاء - فلا تكفر] فلا تغتر بتعلمك السحر ولا تعتقد حله ، فتستبيح به المحظور .

وبهذا يتضح سبيل الرشد من سبيل الغى ، فمن انتصح واجتنب السحر من أولئك عقيدة وعملا ـ فهو المؤمن الثابت . ومن تطوع للشيطان فهو غوى من الغاوين ، فكأن تعليم هاروت وماروت امتحان من الله لعباده ، ليتبين لهم ما لا يعرفون من خبايا أنفسهم ، ولله سبحانه ـ أن يختبر خلقه بما يشاء ، حتى ينفى الخبث عن دينه ، ويبعد الزيف عن خلصائه [أحسب الناس أن يتركوا : أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم] .

ومع تحذير الملكين لمن ينصحانه لم تكن النفوس كلها خيرة : ففريقا هدى ، وفريقا حقت عليهم الضلالة ، واتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، وأصبح السحر لديهم مفسدة مستباحة ، يلحقون به الأذى بمن شاءوا ، ويغوون به من يركن إليهم ، ويفرقون به بين الصاحب وصاحبه ، بل بين المرء وزوجه . وبقى السحر ظاهرة فاشية ، يتوارثها من الخبيثين خلف عن سلف ، والشياطين يتعهدونهم بالإمداد من أكاذيبهم ، وإغوائهم ، إلى أن جاء عهد سليمان عليه السلام .

٣ ــ وهنا يرد على الخاطر سؤال : هو أن الطوفان فصل بين سابق ولاحق ، وذهب بالأشقياء ، ونجى الله منه نوحا ومن آمن معه ، فمن أين جاء الأشرار الذين يستحوذ عليهم الشياطين ، ويجددون على أيديهم بواعث الفساد حتى يصلوا إلى عهد سليمان من بعد ؟

والجواب الذى نحاوله : هو أن الطوفان كان عقوبة لأولئك الذين أسرفوا فى كفرهم حتى تمردوا على نوح عليه السلام ، ولم تتحول به الدنيا إلى جنة مطهرة من الخبث والخبائث بل هى الدنيا على حقيقتها ، والشياطين فيها إلى أن يقضى الله فيها قضاءه .

ومعقول جداً : أن يكون فى الناجين مع نوح من يكون عالما بالسحر لا ليستخدمه فى الفساد فإذا تجددت الحياة ، واستأنف الناس فيها مذاهبهم ، ووجد فيهم من يتعلم السحر حديثاً فسيعود فيهم طراز من غواة الفساد ، ولو من ذرية نوح نفسه ، ومن ذرية المؤمنين به .

وما دام الشياطين على ما ألفنا منهم ، والمفسدون على ما عهدنا فيهم ، والدنيا دار امتحان وبلاء ، فلا غرابة أن تكون للسحر وللسحرة نشوة أخرى فى عهد سليمان ، وأن يعود الفساد سيرته الأولى . وهذه سنة الله فى دنياه ، وتعالت حكمته عن الريبة .

٤ ــ كانت معجزات سليمان عليه السلام : أن يركب الريح ، وأن تجرى بأمره ، وأن يتحكم فى الجن ، ويستخدمها فى الأعمال على اختلافها ، ويحضرها ، ويصرفها ، ويطلق

بعضها ، ويقيد بعضا ، وأن يجمع الطير إذا شاء ، ويرسلها إذا ما أحب ، وهكذا ما طلبه وأجيب إليه ، وحدثتنا عنه الآيات فى قوله سبحانه « قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الأصفاد ، هذا عطاؤنا ، فامنن ، أو أمسك ، بغير حساب » وفى قوله تعالى : « وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون » ، وكذا فى قوله : « وتفقد الطير فقال ما لى لا أرى الهدهد ، أم كان من الغائبين ، لأعذبنه عذابا شديدا ، أو لأذبحنه ، أو ليأتينى بسلطان مبين . . الآيات » .

فى ضوء من هذه المعجزات نشط السحر ، وكثرت أباطيله ، ودأب الساحرون على إفكهم ليقاوموا هذه المعجزات ويكذبوها فى اعتبار الناس ، ويصوروا لهم أن سليمان لا يأتى بمعجز ، ولا يختص بتأييد من الله ، حتى تأثر بذلك جمهرة من البسطاء ، وحسبوا أنه لا فرق بين ما يصدر عن دعاة السحر وما يأتى به سليمان ، وأدى بهم ذلك إلى أن يزعموا للناس أن كتبهم التى يعتمدون عليها فى التعاويذ ، والرقى ، والأبخرة ، واستخدام الجن ، هى نفسها من كتب سليمان ، وكأنهم نجحوا أو كادوا فى إقناع أفراد من القوم بأن الكفر الذى يجرونهم إليه هو من دعوة سليمان التى جاء بها .

وغنى عن الإيضاح أن هذا نقض للرسالة من أصلها ، وأنه غاية ما يصدر عن المخالفين من خيانة لله ، وكيد خبيث لرسله ، والله لا يهدى كيد الخائنين . وإنما يبتلى بعض عباده .

« ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا ، فيجعله فى جهنم ، أولئك هم الخاسرون » .

٥ — ونحن الآن فى نقاش مع اليهود ، وما أكثر النقاش معهم !!

فكتابهم التوراة جاءهم بالحق من عند الله ، وكشف لهم من أمور الغيب ما يجب الإيمان به : من أحداث ، وأحكام ، ونبوات متجددة ، وليس فى كتابهم ، ولا فيما توارثوه عن أنبيائهم ، ولا فيما حدثهم به أحبارهم الأمناء . أن كتابهم آخر الكتب ، ولا أن النبوة تنتهى فيهم .

بل فيه تبشير بأن لله أنبياء منتظرين من غير بنى إسرائيل ، وفيه تمهيد للقرآن ،

وللنبي العربي الذى تنتهى به الرسالات . . فكان سهلا عليهم أن يطمئنوا ، ويعتقدوا فى غير ريبة ، وألا يجعلوا للأنانية سبيلا إلى المعتقدات الدينية .

ولكن مع استقرار أنباء التوراة فى وعيهم ، كلما حان لخبر من أخبار السماء أن يتحقق سارع أحبارهم إلى التكذيب ، وحفزتهم نزعة الأثرة إلى التبديل فى التوراة ، ونفضوا أيديهم من سابق علمهم الحق ، وركنوا إلى عماية الجهل المصطنع (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) .

فكان من شأنهم مع المسيح بن مريم - عليه السلام - ما لا يطيب لذى عقل وحساسية أن يقول به فى إنسان من جمهرة الناس : فضلا عن نبى مؤيد بكتاب مقدس من عند الله .

ولما جاء محمد - صلوات الله عليه - ووجدوا كتابه مصدقا لأنباء التوراة عن نبى العرب ورسالته زادهم حنقاً والتواء ، حتى أنكروا ما عرفوا ، وتجهموا للتوراة فيما حدثتهم به ونبذوا الأخذ بها فيما تطابق عليه القرآن والتوراة (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم ، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب - كتاب الله وراء ظهورهم : كأنهم لا يعلمون) ويكفى فى ترك التوراة أن يتركوا بعضها ، إذ الإيمان لا يتجزأ .

وبعد نبذهم للتوراة . اعتاضوا عنها — وواضح أن تارك الحق لا يجد عوضاً عنه إلا بباطل ، ضرورة أن الحق لا يتعدد . (فماذا بعد الحق إلا الضلال) ؟ ؟

كذلك كان — اعتاض المارقون من التوراة بالسحر ، فاتخذوه علماً وعملا وشعاراً ، ووجدوا فى ضروب السحر وآثاره مشتهاهم من السيطرة على الأوهام ومن جمع الأموال ، وإفساد العلائق ، وكل ما تبتغيه نفوس منهومة لا تعرف التريث فى سبيل غاياتها وإن جمحت أو تجاوزت الجموح .

وإذ كان السحر بالغا أشده فى عهد سليمان ، ومن قبله فى عهد إدريس منسوباً إلى الملكين لمز القرآن اليهود بإعراضهم عن الحق الصراح ، ولجوئهم إلى الباطل البواح ، فقال الله تعالى [واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان - على عهده - وما كفر سليمان - بعمل السحر - ولكن الشياطين كفروا : يعلمون الناس السحر - وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما

ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ـ اختاره علما وعملا ـ ما له فى الآخرة من خلاق] من نصيب . فاليهود هم الآخذون بالسحر الموروث عن عهد سليمان ، وعن الملكين من قبل ، التاركون للقرآن . وقد ظل السحر إلى يومنا هذا بابا من أبواب الشر ، ووسيلة من وسائل الضلال ، حتى ليتخذه بعض الغاوين وسيلة عيشهم ، وسبيلا إلى مخادعة الناس عن الدين وتعاليمه الحقة ، ويضاف إلى ذلك أن أغلب مدعيه جهلة بوسائله ، فهم يخوضون فى المنكر عن معرفة بأساليبه المرذولة مرة ، وعن جهل بها مرات .

بل يبلغ من تبذلهم وسفههم أن يموهوا على الناس بأنه آيات من القرآن ، وصيغ مشروعة ، وقد يصادف أن يتحقق شيء مما يعملون له فتتأصل الفتنة ، ويتركز الضلال [وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون] .

وبعد ــ فإن لله حكمة بالغة فى أن يكون بنو إسرائيل أصحاب الموقف البارز فى كل فتنة ثائرة ، وأصحاب محاولات ماكرة فى الفرار من الحق ، واللياذ بالباطل ، حتى لو لم يجدوه لاختلقوه ، فإذا وهن موقفهم ، ولم تسعفهم المعاذير نشطوا فى المراوغات كما كانوا ينشطون إلى قتل أنبيائهم : مبالغة فى تجافى الهداية ، وتأبيهم السمع والطاعة ، ولئن كان لهم نشاط فى عمارة الدنيا ، وإنهاض بعض الصناعات ، فإن ذلك وأضعاف ذلك لا يغير من نفسيتهم ، ولا يرفع من خسيستهم ، بل كلما برزوا فى الميدان الاقتصادى بانت لهم شرور كانت مكبوتة وابتدعوا رذائل كانت مجهولة ؛ فإن أفادوا فى جانب فهم يضرون فى جوانب ، ولعل الضرر منهم يرجح على نفعهم ، فإن شرف الأفراد والجماعات إنما ينهض على القيم الأدبية ، ويقاس بالمعنويات : أكثر مما ينهض على القيم المادية ، أو يقاس بالثروات .

وليت شعرى !! لو لم يكن من صنع الله أن تكون يهود كما عهدناها . . أكانت دعوات الأنبياء تتعثر بمثل ما تعثرت بهم ، أو كانت الجماعة الإنسانية تتصدع بمثل ما يصيبها على أيديهم ؟؟ ولكن الله أراد ...

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

السنة

خصومة الأكابر

الخصومة من طبيعة البشر ـ موقف الإسلام من الخصومة ـ أنبل خصومة عرفها التاريخ ـ شذرة من مناقب العمرين ـ فضل الصديق على الفاروق ـ درس نبوى عظيم ـ درس إلهى أجل وأعظم ـ شعار الخيرين بعد الدرسين .

عن أبى الدَّرداء رضى الله عنه قال : كنت جالساً عند النبى ﷺ إذ أقبل أبو بكرٍ آخذاً بطرَف ثوبه حتى أبدَى عن ركبته ؛ فقال النبى ﷺ : أمَّا صاحبُكم فقد غامرَ . فسلَّم وقال : يارسولَ الله ، إنه كان بينى وبين ابنِ الخطَّاب شىءٌ ، فأسرعتُ إليه ثم ندمتُ ! فسألتُه أن يغفرَ لى فأبى علىَّ ! فأقبلتُ إليك . فقال : يغفر اللهُ لك ياأبا بكرٍ ! ثلاثاً . ثم إنَّ عمرَ ندِم فأتى منزلَ أبى بكر فسأل : أثَمَّ أبو بكر ؟ فقالوا : لا ، فأتى إلى النبى ﷺ فسلم عليه ، فجعل وجهُ النبى ﷺ يتمعَّرُ ! حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال : يارسول الله ، أنا كنت أظلمَ ! مرتين . فقال النبى ﷺ : إن الله بعثنى إليكم فقلتم : كذبتَ ! وقال أبو بكر : صدق ! وواسانى بنفسه وماله ؛ فهل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ مرتين . فما أوذى بعدها . رواه البخارى .

* * *

غامر : دخل فى غمرة الخصومة ، والمغامر : هو الذى يرمى بنفسه فى الأمر العظيم ، وأصل الغمرة : الماء الكثير .

يتمعر : يتغير وتذهب نضارته من أجل الغضب ، والظاهر أنه من قولهم : مكان أمعر إذا لم يكن به خصب ؛ وفى نسخة : يتمغر : أى يحمر ، كأنه صبغ بالمغرة .

واساني ، وفى رواية : آساني بالهمز ، وهى الأصل ، وعليها يقتصر بعض أهل اللغة ، والحديث حجة عليه : والمواساة : المعاونة .

تاركولى صاحبي ، بحذف نون الإضافة ، وفى رواية بإثباتها وهى الأصل ، ولذا قال أبو البقاء إن الحذف من خطأ الرواة ، أفلا يبلغ رواة البخارى عنده مبلغ رواة النحاة ؟! مع أن لمثل هذا الحذف بين المضافين فى العربية وجها وجيها وشاهدا .

* * *

الخصومة من طبيعة البشر فى هذه الحياة الدنيا ، لا مَعدى لهم عنها ولا محيص لهم منها ، ما داموا يختلفون ويتجادلون « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » . « وكان الإنسان أكثر شيء جدلا » .

بيد أنها تختلف قوة وضعفا ، ورفقا وعنفا ، وقصدا وسرَفا ، تبعا لاختلاف الطبائع والميول ، والآراء والعقول ، وكبر النفوس وصغرها ، وعلو الهمم وسفلها .

ولا يؤاخذ الإسلام أحداً باختلاف أو خصومة فى سبيل الحق والجهاد فيه والعمل له ما دام سليم القصد حسن الطوية ، نزاعا إلى الخير ، ولو أخطأ فى بعض أحيانه قصد السبيل ، بل ربما يدعو الإسلام إلى الهجرة ـ وهى توءم الخصومة ـ إذا كانت سبيلا إلى التربية والتأديب . وفى هجرته ﷺ نساءه شهراً أبلغ حجة وأبين دليل .

كما لا يؤاخذ الإسلام أحداً كذلك بالنزغة ينزغها الشيطان فى مخاصمته لأخيه ، إذا استغفره أو استغفر الله له ، معترفا بذنبه ، عائذاً من الشيطان بربه ، غير مصر على ما فعل ، ولا مجادل فى الحق بعد ما تبين .

* * *

على هذا النحو من النبل فى الخصومة ـ إن لم يكن بد منها ـ كانت خصومة أصحاب رسول الله ﷺ فيما شجر بينهم ، وعليه تكون خصومة الذين جاءوا من بعدهم « يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم » .

وفى هذا الحديث مثل من أروع الأمثال فى شرف الخصومة ونبلها ، يضربه لنا الصديق والفاروق بين يدى الرسول الأكرم ﷺ فنرى فيه من أعاجيب الفضل والنبل والسودد

ثم من أساليب التربية والتزكية والتعليم ، ثم من الاعتراف بالجميل لأهله ، ما يجل عن وصف الواصفين .

* * *

كان بين الصاحبين الكريمين رضوان الله عليهما محاورة ومعاتبة ، أسرع فيها الصديق إلى الفاروق فأغضبه .. انصرف عمر غضبان أسفاً ! واتبعه أبو بكر نادما معتذرا ! يسأله أن يتقبل عذره فلم يقبل ، ويتوسل إليه أن يغفر له فلم يفعل ، بل تحرز بعد الفرار منه بداره ، وأغلق بابه فى وجهه ! إنها الكبيرة ، وسابقة جد خطيرة ، ليس لها أن ترفع ، إلا إلى الشفيع المشفع صلوات الله عليه وسلامه ...

أقبل رضوان الله عليه ، والرسول ﷺ ينظر إليه ، وقد كشف عن ركبته ، وأخذ من ثوبه بحاشيته ، حتى سلم وجلس ، وقص ما كان بينه وبين صاحبه لم يظلم منه شيئا ، وما إن فرغ من شكاته ، حتى طمأنه الرسول الكريم بدعوته : أن يغفر الله له ، ثلاث مرار يكررها ...

* * *

كان الفاروق رضى الله عنه فى هذه الأثناء راجع نفسه فندم على ما كان منه لأحب الناس إليه بعد رسول الله ﷺ ، فليسرع إذاً إلى بيته ليغفر له ويتقبل معذرته ، بل ليستغفره ويعتذر له ! فلما لم يجده بمنزله أسرع إلى النبى ﷺ .. ومن خير المربين تلقى درساً شديداً قاسيا ، غير أنه كان عظيم النفع ، حميد العاقبة .

لم يكن درساً لعمر وحده ، بل كان درساً للأمة كلها فى شخص عمر ، ذلك الذى أعز الله به الإسلام ، وفرق به بين الحق والباطل ، وأعده لأمر عظيم هو أحق به وأهله ، بعد أفضل الناس وأحبهم إلى رسوله وأولاهم به ، ذلكم ثانى اثنين الله ثالثهما ، ذلكم الصديق أبو بكر رضى الله عنه .

فليجلس عمر إذاً من الرسول ﷺ مجلس التلميذ من معلمه ، ولا بأس إذاً بأن يعرض عنه صلوات الله وسلامه عليه مراراً ، لأنه كان صاحب حق فأضاعه وصار مدينا ، وليذكر - إن كان نسى - من هو أبو بكر ؟ صاحب الأيادى البيضاء التى ذكرها أعرف الناس للصنيعة وأذكرهم لها صلوات الله عليه وسلامه ، فقال فيما قال من فضائله التى لم يشرك فيها

أحداً غيره : إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر [1] وقال : ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه بها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر .

* * *

وبينا النبي ﷺ يؤنب عمر ويعتب عليه أن لم يقبل عذر أبي بكر ولم يغفر له بعد أن استغفره ، وكان الظن به ألا يحوجه إلى اعتذار أو استغفار ـ أشفق أبو بكر على عمر أن يناله من رسول الله ﷺ ما يكره ، فيبرك على ركبتيه معتذراً آسفا ، ويقسم للنبي ﷺ مرتين أنه كان أظلم ، لأنه هو الذي بدأ صاحبه بالإساءه ! وهنا يكف النبي ﷺ عن تأنيب عمر وتوبيخه ، ثم يذكر بعض مآثر أبي بكر ومناقبه وسبقه إلى التصديق برسالته ، ومؤاساته له بنفسه وماله ، ثم يختتم حديثه عن أولى الناس به من صحابته بهذه الكلمة المدوية الجامعة : « فهل أنتم تاركو لي صاحبي » ؟ ويكررها مرتين أو ثلاثا كما في بعض الروايات ، تلك الكلمة التي كانت فصل الخطاب ، في فضل مقدم الأصحاب ، فلم يناله من الصحابة رضوان الله عليهم مكروه بعدها .

* * *

وإذا أثمرت هذه الخصومة الكريمة بين العمرين ذلك الدرس النبوي العظيم ، فثمت درس إلهي أجل وأعظم ، لا يعنينا أن كان لاحقاً أو سابقاً ، ولكن يعنينا أنه تأديب رباني للناس كافة ، ولأولى الأمر منهم خاصة ، وفي مقدمتهم الإمامان الخيران : أبو بكر وعمر .

ففي صحيح البخاري وغيره أنه لما قدم على النبي ﷺ ركب من بني تميم قال له أبو بكر رضي الله عنه . أمّر عليهم القعقاع بن معبد ؛ وقال عمر رضي الله عنه : بل أمّر الأقرع ابن حابس : فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي ، وقال عمر : ما أردت خلافك . فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ، ونزل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله » إلى قوله « عظيم » فما كانا يكلمان رسول الله ﷺ بعد ذلك إلا سرارا .

اختصما في الخير والمصلحة للأمة ، ولكنهما افتاتا على رسول الله ﷺ ، إذ لم يكن

---

(١) رواه الشيخان والترمذي ، وروى الذي يليه الترمذي .

استشارهما ، ثم عزب عنهما أن مجلسه أجل وأرفع من أن يكون فيه تنازع أو صخب ، وهما الأسوة الحسنة بعد رسول الله ﷺ ، فكان فى هذه الآيات التأديب الإلهى الرائع ، الذى يملأ النفوس إجلالا وإكباراً للرسول الأكرم ، وينقى المراجعة أو المجادلة مما يشوبها من كدر الخصومة ولجاجها .

وكذلك كان هذا الأدب الرفيع شعارهما فيما يختلفان فيه بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهما يقلبان وجوه الرأى ، لا وجهة لهما إلا الخير والمصلحة ، وسرعان ما يتفقان على ما هو أهدى سبيلا ، ومن ذلك اختلافهما فى قتال مانعى الزكاة وكان رأى أبى بكر أن يأخذهم بالسيف حتى يؤدوها كاملة ، ورأى عمر مسالمتهم وتألفهم خشية أن يكون القتال نكبة على الإسلام والمسلمين ! ولكن عزم الصديق وهو الرفيق اللين ، غلب سلم الفاروق وهو المقدام الصنديد ! ومن ذلك اختلافهما فى جمع القرآن كما أشار عمر وتحرج أبى بكر أن يفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ، فلم يزل يراجعه حتى شرح الله صدر أبى بكر للذى شرح له صدر عمر

* * *

هذا مثل من أمثال كثيرة فى خصومة أولى الفضل والنبل ينادينا ألا تلغوا ولا تخاصموا فإن لم يكن بد من لغو أو خصام ، فحسبكم أن تمروا عليه مرور الكرام .

طه محمد الساكت

الهدم والبناء

قيل للخليل بن أحمد : استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو . فقال : نعم ، كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه .

مولد رسول مولد رسالة

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

أذاع حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر الكلمة الآتية فى صباح يوم ١٢ ربيع الأول من دار الإذاعة المصرية :

يحتفل المسلمون الآن بمولد خير الخلق ، المبعوث بالهدى ودين الحق .

إنه مولد الإنسان الكامل ، الذى ولدت بمولده رسالة الإنسانية الكاملة .

والإنسان الكامل الذى نحتفل بذكرى مولده ، قد تمكن - فى ثلاث وعشرين سنة هلالية قضاها فى حياته النبوية على الأرض - من أن يقدم للتاريخ أنموذجا للأمة المثالية يعرضه على الأجيال منذ نحو أربعة عشر قرنا ، لتقوم حجة الله على الناس فيما ينبغى لهم أن يأخذوا به ، وما ينبغى لهم أن يتحرجوا منه ، فيكونوا هم أيضاً صورة أخرى من صور الأمة الكاملة التى صنعها الله بيدى حامل أكمل رسالاته ، فإن فعلوا كانوا من أهل الهدى ودين الحق ، وفتح الله لهم كنوز السعادة ينعمون فيها بنعمة الطمأنينة والرضا ، إلى أن يلقوا الله راضياً عنهم وهم راضون عنه .

إن هذا المولود الكامل صلوات الله وسلامه عليه لم يكن فى زمن مضى ولا فى زماننا هذا بحاجة من الإنسانية إلى تخليد ذكراه ، فإن الله قد رفع له ذكره ، منذ شرح صدره للهدى والحق ، وقرن اسمه إلى اسمه عز وجل فى شهادة الملايين له آناء الليل وأطراف النهار بأنه أدى رسالة الله كاملة ، واعترفت له الأمم على اختلاف العصور بأنه صنع من أمته أمة لا يعرف تاريخ الإنسانية أمة بلغت شأوها فى فضائلها وأقدار ساداتها وعظمة عظمائها .

إن هذا المولود العظيم صلوات الله وسلامه عليه ليس فى حاجة إلى إحياء ذكراه وتخليدها ، فإن الدهر يفنى ولا تفنى ذكراه الطيبة الخالدة . ولكننا نحن معاشر المسلمين المنتسبين اليه ، المغتبطين بأننا من أهل الإجابة لدعوته ، فى أشد الحاجة لأن يذكر بعضنا بعضاً بأن سعادتنا وهناءنا وكرامتنا وقوتنا وصدق انتسابنا إلى صاحب هذه الذكرى - كل ذلك موقوف

على أن نعود إلى الأخذ برسالته وأنظمتها : فى أنفسنا وبيوتنا وأسواقنا ، ومجتمعاتنا ، ومحاكمنا ودور حكمنا ، فى كل ما اشتملت عليه هذه الرسالة الكاملة من أغراض ومبادىء وأخلاق وأحكام ومقاصد .

علينا أن نحتفل اليوم بإحياء ذكرى (رسالة الإسلام) فى عمومها وشمولها . وأول المظاهر فى إحياء هذه الذكرى أن نتخذ الأسباب للعمل بها ، وأول العمل بها أن يعمل بها كل مسلم فى ذات نفسه ، وفيما بسط الله عليه سلطان مسئوليته وولايته من أهل وولد ، أو أمة وبلد .

إن الرسالة التى بعث الله بها صاحب هذه الذكرى - سلام الله ورحمته عليه - تنحصر فى كلمتين اثنتين هما : « الحق » و « الخير » ، وإن وراء هاتين الكلمتين من مدلولات المعانى والأمانى ما لا آخر له ، ومجموع ذلك هو الإسلام الذى بعث الله به صاحب هذه الذكرى ﷺ . ولا نعرف أحداً يخاف الحق والخير أو يتنعض منهما ويعارض فى إقامتهما وظهورهما ، إلا أن يكون مبطلا أو شريراً . ولذلك كانت رسالة الإسلام عامة إلى جميع الأمم فى كل زمان ومكان . وجدير بكل من يحب الحق والخير أن يتدبر رسالة الإسلام وما اشتملت عليه منهما ليعمل بما انطوت عليه من حق وخير بقدر ما يرى فيها من مواتاة الحق والخير ، وأن يصلى ويسلم عند ذلك على صاحب هذه الرسالة لأنها رسالة الإنسانية الكاملة ، والإنسان - من حيث هو إنسان - جدير به أن يؤمن بها ، وأن يكون من أوليائها ، وأن يحيي عليها إلى أن يموت عليها .

أيها المسلمون ، إذا كان الإنسان - من حيث هو إنسان - جديراً به أن يتدبر الرسالة التى ولدت بمولد هذا الرسول الكريم ، وأن يعمل بها ، وأن يصلى ويسلم من أعماق قلبه على المختار من الله لحملها والدعوة إليها وطبع أمم الأرض بطابعها ، فأنتم أجدر الناس بأن تعاهدوا الله فى هذه الذكرى المباركة بأن تجعلوا تدبر رسالة الإسلام أعظم أعمالكم ، وأن تؤمنوا بكل ما انطوت عليه من حق وخير ، وأن تعيدوا إليها جمالها بما يراه الناس من ذلك فى أعمالكم . وهذا العهد أو فق العهود لذلك ، ولا سيما فى ذكرى مولد خير الخلق ، المبعوث من الله بالهدى والحق ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وكل من عمل برسالته .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ديوان مجد الإسلام

من بدائع الشاعر الإسلامي الكبير أحمد محرم رحمه الله

بتعليق الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

غزوة أحد

كانت فى شوال من السنة الثالثة ، وأحد جبل من جبال المدينة ـ لما أصاب قريشاً يوم بدر ما أصابها ، مشى عبد الله بن أبى ربيعة ، وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية إلى أبى سفيان ، وإلى من كان له تجارة فى العير التى كانت سبباً للموقعة ، وكانت لا تزال موقوفة فى دار الندوة ، يحرضون على الحرب ، وأن يجعل ربح التجارة لتجهيز الجيش . فقال أبو سفيان : أنا أول من يفعل ، وبنو عبد المناف معى ، ورضى القوم ، وكان الربح خمسين ألف دينار ، وقيل خمسة وعشرين ألفا ، وفى ذلك نزلت : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » .

* * *

أدأبك أن تريد المستحيلا ؟ تأمل أيها المولى قليلا

لبثت تعالج الداء الدخيلا وتضمر فى جوانحك الغليلا

وما يجديك لاعجه فتيلا

أما تنفك تذكر (يوم بدر) وما عانيت من قتل وأسر

وراءك إنها الأقدار تجرى بنصر (للنبى) وراء نصر

وكان الله بالحسنى كفيلا

(أبا سفيان) دع (صفوان) يبكى و (عكرمة) يطيل من التشكى

وقل للقوم فى بر ونسك نهيت النفس عن كفر وشرك

وآثرت المحجة والسبيلا

أراك أطعتهم وأبيت إلا سبيل السوء تسلكه مدلا [١]
تريد (محمداً) وأراه بسلا رويدك يا (أبا سفيان) هلا
أردت لقومك الحسن الجميلا ؟

(قريش) لم تزل صرعى هواها و (عير الشؤم) لم تحلل عراها
أجل عينيك وانظر ما عساها تسوق من الجنود إلى وغاها ؟
فقد حملت لكم أسفاً طويلا

دعا (صفوان) شاعره [٢] فلبى وكان يسومه شططاً فيأبى
أحل له الهجاء ، وكان خبا [٣] أحب من الخيانة ما أحبا
يريد العيش محتقراً ذليلا

يذم (محمدا) ويقول نكرا ولولا لؤمه لم يأل شكرا
تغمد حقه [٤] وجزاه شرا وأمسى عهده كذبا وغدرا
وإن له لمنقلباً وبيلا [٥]

ألم يمنن عليه إذ الأسارى تكاد نفوسها تهوى حذارا ؟
تطوف به مولهة حيارى تود لو انها ملكت فراراً
وهل يعطى عدو الله سولا ؟

---

(١) المدل الواثق بنفسه وبما لديه .

(٢) قال صفوان لأبى عزة : يا أبا عزة إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك ، ولك على إن رجعت أن اغنيك ، وإن أصبت أجعل بناتك مع بناتي . قال : إني عاهدت محمدا حين أطلقني فيمن أطلق من أسارى بدر ألا أظاهر عليه أحدا . فقال صفوان : بل أعنا بلسانك يا أبا عزة . فخرج هو ومسافع يستنفران الناس .

(٣) الخب : الخداع.

(٤) تغمد حقه : أنكره وأصل المعنى ستر الشيء وإخفاؤه .

(٥) ظفر به النبي صلى الله عليه وسلم فى وقعة حمراء الأسد فأمر عاصم بن ثابت بقتله ، وحمل رأسه إلى المدينة .

(جبير[١]) أكان عمك حين أودى (كعم محمد) شرفاً ومجداً ؟
أ (حمزة) أم (طعيمة) كان أهدى ؟ رويدك يا (جبير) أتيت إدا
وإن قضاء ربك لن يحولا

أراد فما (لوحشى) محيد ولا لك مصرف عما يريد
أليس (لحمزة) البأس الشديد ؟ فما يغنى فتاك ، وما يفيد ؟
تبارك ربنا رباً جليلا

تولوا بالكتائب والسرايا [٢] وساروا بالحرائر والبغايا [٣]
منايا قومهم جلبت منايا فسيرى فى سبيلك يا مطايا
ولا تدعى الرسيم ولا الذميلا [٤]

وياخيل اركضى بالقوم ركضا وجوبى للوغى أرضاً فأرضا
لعل الناقم الموتور يرضى نشدتك ، فانفضى البيداء نفضا
ووالى فى جوانبها الصهيلا

ويا (هند[٥]) اندبى القتلى ونوحى وزيدى ما بقومك من جروح
وراءك كل منصلت [٦] طموح تهيج بأسه ريح الفتوح
وراءك فتية تأبى النكولا [٧]

---

(١) جبير بن مطعم بن عدى دعا غلامه وحشيا ، وقال له : اخرج بحربتك مع الناس ، فانك إن قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى (وكان قتله حمزة رضى الله عنه فى وقعة بدر) فأنت عتيق .

(٢) كان عددهم ثلاثة آلاف رجل .

(٣) خرجت النساء مع المشركين بالدفوف ، ويقول ابن الجوزى : وساروا بالقيان والدفوف وللمعازف والخمور والبغايا .

(٤) الرسيم والذميل نوعان من سير الابل ، والاول أسرع .

(٥) هند زوج أبى سفيان كانت ممن خرج مع الجيش من النساء يبكين قتلى بدر ويحرضن على القتال وترك الفرار .

(٦) المنصلت هنا : الماضى فى الأمور .

(٧) النكول : النكوص والجبن .

وراءك نسوة للحرب تزجى ترج دفوفها الأبطال رجا
وتلك خمور عسكرك المرجى وكان الغى بالجهلاء أحجى [١]
كذلك يطمس الجهل العقولا

رأيت الرأى شؤماً أى شؤم وما تدرى يمينك أين ترمى
لعمرك إنه لرسيس هم [٢] تغلغل منك بين دم ولحم
فيا (ابنة عتبة) اجتنبي الفضولا

أعن جسد الرضية (بنت وهب) يشق القبر يا امرأة (ابن حرب) ؟
ويقطع بالمدى فى غير ذنب ؟ ليفــدى كل مأسور بإرب
فياعجبا لقول منك قيلا [٣]

هى الهيجاء ليس لها مرد فمن يك هازلا فالأمر جد
لبأس الله يا هنـــد أشد له جند ، وللكفار جند
وإن لجنده البطش المهولا

سيوف (محمد) أمضى السيوف وأجلب للمعاطب والحتوف
إذا هوت الصفوف على الصفوف وأعرض كل جبـــار مخوف
مضت ملء الوغى عرضاً وطولا

أرى (السعدين)[٤] قد دلفا وهذا (على) بالحسام العضب لاذا

---

(١) أحجى بمعنى أخلق .

(٢) رسيس الهم وغيره ما يثبت منه .

(٣) لما بلغ المشركون الأبواء أشارت هند عليهم بنبش قبر أم النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخذ جثمانها ، قالت : فان أسر منكم أحد فديتم كل أسير بارب من آرابها [الارب الجزء] ، فأبوا ، خيفة أن ينبش بنو بكر قبور موتاهم .

(٤) سعد بن معاذ وسعد بن عبادة .

و (حمزة) جد ممتزما ، فماذا ومن للقوم إن أمسوا جذاذا [١]
وطار حماتهم فمضوا فلولا

وفى الأبطال [٢] فتيان رقاق بأنفسهم إلى الهيجا اشتياق
لهم فى الناهضين لما انطلاق دعا داعى الجهاد فما أطاقوا
بدار السلم مثوى أو مقيلا

أعادهم (النبى) إلى العرين شبولا سوف تصلب بعد لين
يضن بها إلى أجـــل وحين رعاك الله من سمح ضنين
يسوس الأمر يكره أن يعولا [٣]

وقيل (لرافع) نعم الغلام إذا انطلقت لغايتها السهام
تقـــدم أيها الرامى الهمام إذا الهيجاء شب لها ضرام
فأمطرها سهامك والنصولا [٤]

ونادى (سمرة) أيرد مثـــلى ويقبل صاحبى ، وأنا المجلى ؟ [٥]
أصارعه ، فإن أغلب فسؤلى وكيف أذاد عن حق وعدل ؟
وأمنع أن أصول وأن أجولا ؟

---

(١) صار الشيء جذاذا أى قطعا .

(٢) عرض النبي جيشه بعد أن عسكر بالشيخين ـ جبلان أو أطمان ـ فوجد فيه جمعا من الفتيان لم يبلغوا الخامسة عشرة ، وقيل الرابعة عشرة ، فردهم وأجاز رافع بن خديج من دونهم ، لما قيل له إنه يحسن الرماية ، وقال سمرة بن جندب لزوج أمه : أيقبل رافع وأرد ، وأنا أصرعه ؟ فبلغت مقالته النبي فقال : تصارعا ، فصرع سمرة صاحبه فأجازه .

(٣) عال فى الحكم جار ومال عن الحق ، وعاله الأمر : شق عليه وثقل .

(٤) نصل السهم : حديدته ، والنصول جمع .

(٥) المجلى : الأول من خيل السباق .

وصارعه ، فكان أشد أسراً [١] وأكثر فى المجال الضنك صبرا
وقيل له : صدقت ، فأنت أحرى بأن ترد الوغى فتنال نصرا
ألا أقبل ، فقد نلت القبولا

(أعبد الله) مالك من خلاق [٢] فمد بالناكفين ذوى النفاق
كفاك من المخافة ما تلاقى ومالك من قضاء الله واق
وأن أمسيت للشعرى نزيلا

أبيت على (ابن عمرو [٣]) ما أرادا وشر القوم من يأبى الرشادا
نهاك ، فلم تزد إلا عنادا ألم يسمع فريقك حين نادى
أطيعوا الله واتبعوا الرسولا ؟

يقول : نشدتكم ، لا تخذلوه وموثق قومكم لا تنقضوه
(رسول الله) إلا تنصروه فإن الحق ينصره ذووه
ألا بعداً لمن يبغى الغلولا [٤]

تجلى نور ربك ذى الجلال وهز الشعب صوت من (بلال)
بلال الخير أذن فى الرجال فهبو للصلاة من الرحال
وقاموا خلف (سيدهم) مثولا [٥]

---

(١) الأسر : الخلق بخاء مفتوحة ، وشدة الأسر من صفات القوة .
(٢) عبد الله بن أبى [ابن سلول] رجع ومن معه من المنافقين ، وكانوا ثلثمائة رجل ، وهو يقول : عصانى وأطاع الولدان ومن لا رأى له ، سيعلم . لا ندرى علام نقتل أنفسنا ؟ ارجعوا أيها الناس — الخلاق : النصيب الوافر من الخير ، وقيل ما يكسب الانسان هذا النصيب من أفعاله الممدوحة .
(٣) عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضى الله عنهما ، انطلق فى أثر المنافقين يريد ردهم ويقول لهم : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم . فلم يطيعوه . فقال أبعدكم الله ، سيغنى الله تعالى عنكم نبيه . (٤) الغلول : الخيانة .
(٥) مضى صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فصف المسلمين . وحانت صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فأذن بلال رضى الله عنه للصلاة ، وصلى النبى بأصحابه — الرحال جمع رحل وهو هنا بمعنى المنوى ، أو المنزل ، أو ما يكون مع الرجل من الاثاث ، ومثول : جمع ماثل أى قائم .

علا صـوت الاذين فأى معنى لمن هو مؤمن أسمى وأسـنى ؟
إله النـــاس فرد لا يثنى تأمل خلقـــه إنساً وجنا
فلن تجد الشريك ولا المثيلا

أجل الله أكبر لا مراء فهل سمع الألى كفروا النداء ؟
أظن قلوبهم طارت هباء فلا أرضا تطيق ولا سماء
جلال الحق أورثهم ذهولا

سرى الصوت المردد فى الصباح فضج الـكون ـ حى على الفلاح ـ
تلقى صيحة الحق الصراح فقام يصيح من كل النواحى
يسبح ربه غب [1] ارتيـاح ويحمده بألسنة فصاح
تعطفت الجبـال على البطاح وكبرت المدائن والضواحى
وأوبت [2] البحار مع الرياح وصفق كل طـير بالجناح
كتاب الحق ، ما للحق ماح يرتل فى الغدو وفى الرواح
فقل للناس من ثمل وصاح شريعة ربكم ما من براح
فمن منكم يريد بهـا بديلا ؟

ألا طابت صلاتك إذ تقـام وطاب القوم إذ أنت الإمام
أقمها يا (محمد) فهى لام [3] تساقط حولها الجنن العظام [4]
بها يتخطف الجيش اللهـام وليس كمثلها جيش يرام
قضاها الله ، فهى له ذمام وذاك نظامها ، نعم النظام
بوطد من بنى ، وهى الدعام ويصعد بالذرى وهى السنام

(١) غب : بمعنى بعد .
(٢) التأويب هنا : ترجيع الصوت [يا جبال أوبى معه] .
(٣) الـلام [جمع لامة] : وهى الدرع .
(٤) الجنن [جمع جنة] : وهى هنا ما يتقى به من السلاح .

نهضت لها ، وما هب النيام وبادرها الميامين الكرام
مقام ما يطاوله مقام ودين من شعائره السلام
يصون لواءه جيلا لجيلا
(هدى الأجيال) يخطب فى الهداة ويأمر بالجهاد وبالصلاة [١]
وبالأخلاق غـــرا طيبات ملقى الوحى والإلهام هات
وصف للنـاس آداب الحياة وكيف تكون دنيا الصالحات
وخذهم بالنصائح والعظات مضيئات للعالم مشرقات
شعوب الأرض من ماض وآت عيالك ، فاهدهم سبل النجاة
إذا ضلت دهاقين [٢] الثقات وأمسى الناس أسرى الترهات
وخف ذوو الحلوم الراسيات فأصبحت الممالك راجفات
أقمت الأرض تكره أن تميلا
ألا برز (الزبير) فأى وصف (حوارى الرسول) يفى ويكفى؟
برزت (لخالد) حتفاً لحتف تصد قواه عن كر وزحف
وتدفعه إذا انبعث الرعيلا [٣]
ألم تره و (عكرمة) استعدا ؟ فإما جدت الهيجاء جدا

---

(١) خطب صلى الله عليه وسلم أصحابه عند صلاة الصبح يحثهم على الجهاد والصلاة ، ومن قوله فى هذه الخطبة : « ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم الى النار إلا وقد نهيتكم عنه ، لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شىء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربكم ، وأجلوا فى طلب الرزق ، لايحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله ، والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى اليه سائر جسده ، والسلام عليكم .

(٢) الدهاقين : الذين لهم قوة التصرف من كبار الرجال .

(٣) أقبل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل فى طليعة خيل المشركين ، فامر الزبير بن العوام أن يذهب على رأس قوة من المسلمين فيقف بازائه ، وأرسل جماعة من أصحابه ليكونوا فى جانب اخر وقال : لاتبرحوا حتى أوذنكم ، ولا يقاتلن أحد منكم حتى آمره بالقتال. والرعيل : القطعة من الخيل .

بنى لها (رسول الله) سدا ومثلك يعجز الابطال هدا
ويترك كل ممتنع مهيلا [١]
لمن يرث الممالك ، لا سواه أعد (القائد الاعلى) قواه
وبث الجيش أحسن ما يراه تعالى الله ، ليس لنا إله
سواه ، فواله ودع الجهولا
(رماة النبل) ما أمر (النبى) فذلك ، لا يكن منكم عصى [٢]
إذا ما زالت الشم الجثى [٣] وكان لها انطلاق أو مضى
فكونوا فى أماكنكم حلولا
(رماة النبل) ردوا الخيل عنا وإن نهلت سيوف القوم منا
فلا تتزحزحوا ، فإذا أذنا فذلك ، أن للهيجاء فنا
تلقنه الجهابذة الفحولا [٤]
تلق (أبا دجانة) باليمين حسامك من يد (الهادى الامين) [٥]

(١) المهيل من الرمل ونحوه : ما انهال .

(٢) كان الرماة خمسين رجلا ، أمر النبى عليهم عبد الله بن جبير ، وقال له : انضح الخيل عنا بالنبل ، لايأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا ، وفى رواية - إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا قتلنا فلا تعينونا ، ارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل . إنا لانزال غالبين ما مكثتم مكانكم ، اللهم إنى أشهدك عليهم .

(٣) الجبال الرواسى كأنها فى صورة من يجثو أى يجلس على ركبتيه أويقوم على أطراف أصابعه .

(٤) الجهابذة [جمع جهبذ] : وهو الناقد البصير .

(٥) أخرج النبى صلى الله عليه وسلم سيفا مكتوبا فى إحدى صفحتيه :

فى الجبن عار ، وفى الاقبال مكرمة والمرء بالجبن لاينجو من القدر

ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ، فقام اليه رجال فأمسكه عنهم ، وكان من جملتهم على بن أبى طالب قام ليأخذه فقال : اجلس ، وعمر فأعرض عنه ، والزبير [وطلبه ثلاث مرات] فكذلك ، وقام أبو دجانة فقال : ما حقه يا رسول الله ، قال : تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى ، قال : أنا آخذه بحقه ، فدفعه اليه .

وخذه بحقه فى غير لين لتنصر فى الكريهة خير دين
يرف على الدنا ظلا ظليلا

نصيبك نلته من فضل رب قضاه لصادق النجدات ضرب [١]
تخطى القوم من آل وصحب فكان عليك عضباً فوق عضب
تبختر، وامض مسنونا صقيلا [٢]

(أبا سفيان) لا يقتلك هما ولا يذهب بحلمك أن تذما [٣]
أحين بعثتها شرا وشؤما أردت هوادة، وطلبت سلما ؟
مكانك، لا تكن مذلا [٤] ملولا

من الداعى يصيح على البعير : أمالى فى الفوارس من نظير ؟ [٥]
أرونى همة البطل المغير إلى فما بمثلى من نكير [٦]
أنا الأسد الذى يحمى الشبولا

تحداه (الزبير) وفى يديه قضاه خف عاجـله إليه
رمى ظهر البعير بمنكبيه وجرعه منيته عليه
فأسلم نفسه وهـوى قتيلا

---

[١] الضرب من الرجال : الماضى فى الامور .

[٢] كان أبو دجانة يختال عند الحرب، وقال النبى صلى الله عليه وسلم وقد رآه بين الصفين : إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن .

[٣] نادى أبو سفيان عند اصطفاق القوم : يا معشر الأوس والخزرج، خلوا بيننا وبين بنى عمنا وننصرف عنكم، فشتموه أشد الشتم .

[٤] المذل : القلق الضجور .

[٥] خرج رجل من المشركين على بعير يدعو للبراز فأحجم عنه الناس، وقام إليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير، ثم عانقه فاقتتلا فوق ظهره، فوقع المشرك ووقع عليه الزبير فذبحه، فأثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم، وقال : لكل نبى حوارى، وإن حوارى الزبير، وقال : لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه .

[٦] نكر الرجل الآخر نكيراً : جهله ولم يعرفه .

ألا بعداً (لطلحة [١]) حين يهذى — فيأخذه (على) شر أخذ
أصيب بقسورى البأس فذ — يعد لكل طاغى النفس مؤذ
يعالج داءه حتى يزولا

أمن فقد إلى فقد جديد ؟ — لقد أضحى اللواء بلا عميد
بصارم (حمزة) البطل النجيد — هوى (عثمان) إثر أخ فقيد [٢]
وأم الكفر ما برحت ثكولا

أبى شر الثلاثة [٣] أن يريعا [٤] — فخر على يدى (سعد) صريعا
ثلاثة إخوة هلكوا جميعاً — وراح (مسافع [٥]) لهم تبيعا
رمت يد (عاصم) سما نقيعا — تورد [٦] جوفه فجرى نجيعاً [٧]
وجاء (أخوه [٨]) يلتمس القريعا — فأورد نفسه ورداً فظيعاً
أ (عاصم) أنت أحسنت الصنيعا — فعند الله أجرك لن يضيعا
وإن لربك الفضل الجزيلا

---

(١) طلحة بن أبى طلحة ـ من بنى عبد الدار ـ حامل لواء المشركين ، طلب المبارزة وجعل يهذى بكلام منه : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وأن قتلانا إلى النار ، وفى رواية ـ إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة ، فهل أحد منكم يعجلنى بسيفه إلى النار ، أو أعجله بسيفى إلى الجنة ؟ كذبتم واللات والعزى ـ خرج إليه على بن أبى طالب فقتله .

(٢) لما سقط لواء المشركين بعد قتل طلحة أخذه أخوه عثمان فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتزره .

(٣) لما قتل عثمان بن أبى طلحة أخذ اللواء أخوه أبو سعيد بن أبى طلحة ، فرماه سعد ابن أبى وقاص فأصاب حجزته فقتله .

(٤) يريع : بمعنى يرجع .

(٥) مسافع بن أبى طلحة الذى قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه ـ أخذ اللواء بعد أبى سعيد فرماه عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح فقتله .

[٦] توردہ بمعنى ورده .

[٧] النجيع : ما كان إلى السواد من الدم ، أو هو دم الجوف .

[٨] أخو مسافع الحارث بن طلحة أخذ اللواء بعد أخيه فرماه عاصم فقتله . والقريع هنا المقارع .

رميتهما فظلا يزحفان ... يجران الجراح وينزفان [1]
وخلفهما من الدم آيتان ... هما للكفر عنوان الهوان
ترى الرأسين مما يحملان ... على الحجر المذمم يوضعان
أمن ثديي (سلافة) يرضعان ؟ ... تقول وقلبها حران عان
على الجود بالمائة الهجان [2] ... لمن يأتي بهامة من رماني
فواظمأى إلى بنت الدنان ... تدار بها على فودعاني

وموتا ، إن للقتلى ذحولا [3]

دعاة (اللات والعزى) أنيبوا ... فليس لصائح منكم مجيب
وليس لكم من الحسنى نصيب ... لرب الناس داع لا يخيب
ودين الحق يعرفه اللبيب ... وما يخفى الصواب ولا يغيب
رويداً إن موعدكم قريب ... وكيف بمن يصاب ولا يصيب ؟
سليب النفس يتبعه سليب ... أما يفنى الطعين ولا الضريب ؟
لواء ليس يحمله (عسيب) [4] ... عليه من منايا كم رقيب

كفاكم ، ياله حملا ثقيلا

رمى بالنبل كل فتى عليم ... فرد الخيل دامية الشكيم [5]
بنضح مثل شؤبوب الحميم ... يصب على فراعنة الجحيم

---

[١] كان كل واحد من مسافع والحارث بعد أن رماه عاصم يأتى أمه سلافة ويضع رأسه فى حجرها فتقول : يا بنى من أصابك ، فيقول سمعت رجلا يقول : خذها وأنا ابن الأفلح ، فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وجعلت لمن يجىء به مائة من الابل

[٢] الهجان : الخالصة .

[٣] جمع ذحل : وهو الثأر .

[٤] اسم جبل ، وقد تتابع القتل فى حملة اللواء ، فتمزق المشركون .

[٥] حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات وهى تنضح بالنبل فترجع مغلولة ، وحمل المسلمون عليهم فحمى القتال ـ الشكيم (جمع شكيمة) : وهى حديدة اللجام فى فم الفرس .

وصاحت (هند [١]) فى الجمع الآثم تحرض كل شيطان رجيم
ألا بطل يذب عن الحريم ؟ ويضرب بالمهند فى الصميم ؟
فهاجت كل ذات حشى كليم تبث الشجو فى الهذر الذميم
وتذكر (طارقا) دأب المليم يسيء ويدعى [٢] لأب كريم
وأين مكانهن من النعيم ؟ ومن جرثومة الحسب القديم ؟
زعمن الشرك كالدين القويم لهن الويل من خطب عميم

رمى الأبناء وانتظم البعولا

من البطل المعصب [٣] يختليها [٤] رقابا ما يمل الضرب فيها ؟
بأبيض تتقيه ، ويعتريها وتكره أن تراه ويشتهيها
لها من جده وال يليها وتنتزع الحكومة من ذويها

---

[١] قامت هند زوج أبى سفيان فى النسوة اللاتى معها لما حميت الحرب فأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويقلن :

ويها بنى عبد الدار • ويها حماة الادبار • ضربا بكل بتار

ثم ينشدن :

نحن بنات طارق • نمشى على النمارق • مشى القطا النوازق
والمسك فى المفارق • والدر فى المخانق • إن تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق • أو تدبروا نفارق • فراق غير وامق

وكان النبى إذا سمع ذلك يقول : « اللهم بك أحول ، وبك أصول ، وفيك أقاتل . حسبى الله ونعم الوكيل » .

[٢] ينتسب .

[٣] أبو دجانة كان له عصابة حمراء يعصب بها رأسه فى الحرب فسميت [عصابة الموت] جعل لا يلقى احداً إلا قتله بالسيف الذى أخذه من رسول الله ، وكان يشحذه بالحجارة كلما كل ، فما زال يضرب به حتى انحنى وصار كأنه المنجل .

[٤] يجزها أو ينزعها ، تشبيها لها بالخلا الرطب إذا فعل به ذلك .

برزت (أبا دجانة) إذ تريها — وحى الموت [١] تطعمه كريها
صددت عن (السفيهة) [٢] تزدريها — وتكرم سيفك العف النزيها
تولول للمنية تتقيها — فإيها يابنة الهيجاء إيها
نجوت ولو رآك له شبيها — مضى العضب المشطب يقتضيها
حياة مناجز ما يبتغيها — إذا شهد الكريهة يصطليها
فأرسلها دماً ، وهوى تليلا [٣]

أصدق وصف للمرأة

فى مسند الإمام أحمد من حديث أبى هريرة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تستقيم لك المرأة على خليقة واحدة ، وإن تتركها تستمتع بها وفيها عوج » .

---

[١] الوحى : السريع

[٢] هند سمعها أبو دجانة تحرض على القتال أشد التحريض فحمل عليها بسيفه يظنها رجلا فولولت فأعرض عنها ، إكراما لسيف رسول الله .

[٣] التليل الصريع .

نظرية الدفاع الهجومي

بعد انتصار المسلمين في بدر

كانت هزيمة قريش فى بدر ضربة شديدة لكبريائها وعظمتها ، فكان من الطبيعى أن تفكر فى الثأر ، وهذا أبو سفيان كبير قريش ، ينذر بعد بدر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً . .

وما كان ذلك ليخفى على محمد رسول الله ﷺ قائد جيش المسلمين ، فلم يلهه النصر عن التفكير فى عواقبه ، وكان فى تفكيره بصيرا واعيا . . .

فقريش تلك الأمـــة العربية القديمة ، كانت تعيش — فى جاهليتها — عيشة ترضاها كانت قوية الشوكة ، كبيرة المقام بشيوخها وزعمائها ، وبسواعد رجالها الشبان الذين كانوا يردون عنها كل عادية ، ويصدون عنها كل غارة ، ويدفعون عنها كل شر . وكانت سعيدة ترفل فى رغد من العيش ، وبسطة من الرزق : تجارتها العظيمة فى الشام تأتى لها كل عام بالوفير من موارد الخير ووسائل الحياة ، ثم يجيء رجل منهم من أوساطهم يدعى نبوة ، ويحمل رسالة ، فيقوم بأداء واجبه بالدعوة سرا ثم جهرا ، ويعيب عليهم ما يعبدون من أصنام ، فيقاومونه بشتى وسائل التعذيب فلا ينثنى ، ولا يزداد إلا إيمانا بدعوته ، ويصدونه عن سبيله بكل ما أوتوا من قوة فلا يرجع ، ولا يزداد إلا إمعانا فى رسالته ، حتى إذا ما فشلت محاولاتهم يناصبونه العداء ، ويبعثون رجالهم عليه ويقاتلونه فى بدر ، فتكون الدائرة عليهم ، وتنزل بهم الهزيمة على الرغم من قلة رجاله ، وضعف عدته ، بل ويهلك فى ذلك خير زعمائهم ، وصفوة رجالهم .

ولم يغفل الرسول أمر يهود المدينة ، فقد كان هذا حالهم أيضا ، وهم قد كانوا من قبل يناهضون المسلمين ، وزادت أحقادهم حين رأوا هذا الأجنبى الذى جاءهم من مكة منذ عامين ، يزداد سلطانا وبأسا حتى ليكاد يكون صاحب الكلمة فى أهل المدينة جميعا ، ولولا أنهم عاهدوه ألا يحاربوه لحدث بين اليهود والمسلمين قتال وحوادث جسام .

وهكذا خلص محمد من تفكيره ذاك إلى أن موقفه من عداء قريش واليهود أصبح يقتضيه الحذر المستمر، واليقظة الدائمة، وأنه من الواجب أن يكون على تمام الأهبة وكامل الاستعداد للقتال فى أية لحظة وفى أى مكان.

والأمر الجدير بالملاحظة والتقدير هنا أن محمدا لم يقنع بالوقوف موقف المدافع الذى ينتظر حتى يغير عليه أعداؤه، فيقوم لدفعهم، بل استن خطة بارعة فى الدفاع، بأن يخرج للقاء أعدائه فور علمه بجمعهم له، وبذلك يتسنى له القضاء عليهم فى عقر دارهم ولما يكمل استعدادهم.

هذه الخطة الحكيمة طبقها النبى ﷺ عدة مرات فى الغزوات القصيرة التى حدثت فى الفترة بين بدر وأحد مثل غزوة بنى سليم، وغزوة بنى قينقاع، وغزوة السويق، وغزوة غطفان، وغزوة بحران . . .

وهذه الخطة الحكيمة التى وضع أصولها وطبقها قائد جيش الإسلام منذ ثلاثة عشر قرنا هى بعينها نظرية الدفاع الهجومى، وهى نظرية حديثة تتبعها اليوم جيوش العالم ويلقنها رجالها فى المعاهد العسكرية.

فإن النصر فى الحروب إنما يأتى نتيجة للأعمال الهجومية، وهى وحدها التى تقرر مصير أحد الفريقين، وليس الدفاع إلا وسيلة مؤقتة قد يضطر الطرفان لاتباعها لغرض كسب الوقت حتى يتسنى لكل منهما أن يعد عدته لاستئناف الهجوم.

ونظرية الدفاع الهجومى هذه تتلخص فى أن المدافع الذى يضطر لاتخاذ وضع الدفاع يجب عليه ألا يستكين فى مواقفه الدفاعية انتظارا لهجوم عدوه عليه، بل عليه أن يقوم بحركات هجومية تتصف بروح العدوان تسمى فى العرف العسكرى بالأعمال التعرضية، ومنها إرسال دوريات القتال عبر الأرض الحرام الواقعة بينه وبين عدوه لمناوشته أو إزعاجه أو قتل بعض رجاله، أو أخذ بعض أعدائه أسرى أو تدمير شىء من تجهيزاته.

ولنظرية الدفاع الهجومى المزايا الآتية:

١ — إحباط خطط العدو فى مهدها.

٢ — حرمان العدو من ميزة المفاجأة وحرية العمل أو المبادأة كما يطلق عليها فى العرف العسكرى وترجمتها (Initistive)

٣ — رفع الروح المعنوية للجنود المدافعين ، لأن الانتظار يورث فى النفوس الملل والضعف ، وتسوء حالة الجند المعنوية بمرور الأيام ، وتقل بذلك رغبتهم فى القتال ، والروح المعنوية فى الدفاع معناها الرغبة فى القتال التى لا تتولد إلا باتباع نظرية الدفاع العدوانى ، وبدون الروح المعنوية قد تفشل أحسن الخطط الدفاعية التى يضعها أكبر القادة حنكة وبراعة .

وهكذا أثبت لنا الرسول الكريم ﷺ أنه قائد عسكرى غير منازع ، ولا أدل على ذلك من أنه خرج لغزوة بنى سليم ولما يمض عليه فى المدينة بعد بدر إلا سبع ليال !

وفى هذه الغزوة خرج بعد أن استعمل سباع بن عرفطة الغفارى على المدينة ، وسار حتى بلغ بئراً تسمى الكدر ، فأقام هناك ثلاث ليال ، ولم يخرج أحد لقتاله لأن بنى سليم لما علموا بخروجه هربوا وتركوا وراءهم خمسمائة بعير غنمها المسلمون وعادوا بها إلى المدينة .

وكانت غزوة السويق بعد شهرين من عودة المسلمين من بدر ، فإن أبا سفيان أراد أن يبر بيمينه الذى أقسم فيه أن يغزو محمداً وألا يمس النساء والطيب حتى يبر بقسمه ، فجمع من قريش مائتى رجل راكبين ، وغادر مكة وسار حتى وصل إلى جبل يقال له (ثيب) بالقرب من المدينة فتوقف وعزم على المبيت فى هذا المكان .

وفى جوف الليل ترك رجاله وسار صوب المدينة حتى دخل حياً من أحياء اليهود لبنى النضير ، وقصد إلى بيت حيي بن أخطب وهو من رؤساء بنى النضير فأوجس حيي من زيارته خيفة فلم يفتح له ، فانصرف وجاء إلى سلام بن مشكم وهو سيد بنى النضير فطرق بابه ففتح له وأكرمه . ثم سأله أبو سفيان عن أخبار المسلمين وسرهم فأجابه .

ورجع أبو سفيان إلى أصحابه بالجبل ، فبعث بعضاً منهم إلى المدينة فحرقوا نخلا كثيراً فى ناحية منها تسمى العريض ، ووجدوا رجلا من الأنصار هو معبد بن عمرو ورجلا آخر حليفاً للأنصار فقتلوهما ثم قفلوا راجعين إلى الجبل .

وسرعان ما ذاع الخبر فى سائر المدينة وبلغ رسول الله ﷺ فجمع مائتين من المهاجرين والأنصار وخرج على رأسهم ، وكان ذلك فى الخامس من ذى الحجة قاصدا أبا سفيان . .

ولما أحس أبو سفيان بخروج المسلمين لاذ بالفرار بعد أن خفف من أحماله حتى يمكنه

الفرار بسرعة . وكان أكثر ما تركه طعاما يسمى السويق [١] وبذلك سميت الغزوة (غزوة السويق) ، أما المسلمون فقد غنموا ما ترك أبو سفيان وعادوا إلى المدينة .

وفى الثانى عشر من ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة علم الرسول ﷺ أن بنى ثعلبة ومحارب اتفقوا على الإغارة عليه بقيادة غورث بن الحارث ، فجمع من المسلمين ٤٥٠ رجلا وخرج إليهم ، فلما سمعوا بمجيئه هربوا فى رءوس الجبال . . . فعاد الرسول وكانت تلك الغزوة غزوة غطفان .

وفى السادس من جمادى الأولى من نفس السنة اتفق جمع من بنى سليم على شن غارة على المدينة ، فاجتمعوا فى بحران لهذا الغرض ، فبلغ ذلك الرسول عليه السلام فجمع ثلاثمائة من أصحابه ، وسار مسرعا حتى بلغ بحران ، وكان قبل وصوله إليها لقى رجلا منهم وأخبره أن القوم قد تفرقوا فحبسه النبي حتى يتبين صحة قوله ، فلما وصل إلى بحران وجدهم قدتفرقوا لما شعروا بخروجه فأطلق الرجل ، وعاد إلى المدينة فى السادس عشر من نفس الشهر ، وسميت تلك الغزوه غزوة بحران .

هـذه الغزوات ، وإن كانت صغيرة ولم يحدث فيها قتال ، إلا أنها دليل واضح على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مستعدا فى كل لحظة للخروج للقتال ، وهو فى هذه الغزوات قد خرج فعلا ، أما أنه لم يقاتل أحداً فلأن من خرج لقتالهم هربوا .

تلك نظرية الدفاع الهجومى بأجلى معانيها ، فلا يسلم المدافع بحرية التصرف والمفاجأة لعدوه ، وإنما يخرج له ، ويفسد خطته وهى فى المهد ، وبذلك يحافظ على هيبته ويرفع الروح المعنوية لرجاله المدافعين .

محمد جمال الدين محفوظ
يوزباشى أركان حرب

---

[١] السويق . هو أن تحمص الحنطة أو الشعير ثم تطحن ، وتؤخذ فى السفر وعند استعمالها تمزج باللبن والعسل والسمن أو الماء وهى تشبه ما نسميه [الفريك] .

العالم فى ظلال المذاهب البشرية

تدخلت الأديان السماوية فى كل شأن من شئون الفرد لذاته ، وباعتباره عضوا فى الجماعة الإنسانية ، وفى كل شأن من شئون الدنيا والآخرة ، كما تدخلت فى شئون الجماعات ونظمت هذا التدخل فى صورة شرائع من عقائد وعبادات ومعاملات وآداب وأخلاق ، ولاحظت استعداد الجماعات لهذه الشرائع فتدرجت بها فى التكاليف كما يتدرج المربى الماهر فى تربية الناشئة وتأديبهم وأخذهم فى كل مرحلة بما يطيقون ، وتوافقت جميع الأديان على ذلك ، فلم يمتحن رسول من الرسل أمته بما يعلو عن مداركها ، ويخفى على عقولها وجه الحكمة والرشاد فيه ، وإذا تعرضت الأديان لما لابد من التعرض له مما يعجز العقل عن استكناهه والوصول إلى حقيقته تجلى فيها الرفق والرحمة بهذا العقل الضعيف ، فإذا عرضت للآخرة والجنة والنار والحساب ، وحال الموتى فى قبورهم وكيفية البعث وما إلى ذلك طلبت إلينا أن نصدق بذلك إجمالا وأعفتنا عن التفاصيل ، فالعقل البشرى أعجز من أن يستبطن أسرارها ويدرك أغوارها ، وإذا اقتحم ذلك عرض له الشك والإنكار ، وتاه فى عباب من الحقائق لا يصل إلى شاطىء السلامة فيه .

ذلك شأن الأديان عامة مع بنى الإنسان ، وما يجده الإنسان أحياناً من معميات وطلسمات وطقوس فى العقائد والعبادات يباهى بمعرفتها طائفة من الناس ، فليس ذلك من حقائق الأديان فى شىء ، بل هى أصداء تراكمت فوقها على مر العصور ، وفى غفلة من أولى الأمر لأغراض دنيوية زائلة سيتولى الله جزاء مقترفيها كما قال تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

وكان خاتمة الأديان الدين الإسلامى ، فقد أكمل الله به الأديان السابقة ، واستوفى حاجات البشرية عامة ونظم شئون الأفراد والجماعات وعلاقاتهم بالله وبالناس تنظيما دقيقاً واضحاً يكفل لهم الاستقرار والرضا والطمأنينة والسعادة ما استقاموا عليه ولم يكلهم إلى أنفسهم ، فمن وكل إلى نفسه تضافرت عليه عوامل الهم والقلق والعذاب النفسى ، فيضطرب

عقله ويختل تفكيره ويضعف إنتاجه ، وتضطرب لذلك شئون الجماعة وتسودها الفوضى ، ولا تستطيع أن تصل إلى غاية من غايات الإنسانية الرشيدة .

ولقد جاءت الأديان بأصول العقائد والآداب والأخلاق والعبادات لتطهر النفوس وتربط الأفراد بعضهم ببعض ، وتربط الجماعات كذلك ، وإن اختلفت أديانهم بأسباب المحبة والتعاون ، فلا يطمع قوى فى ضعيف ، ولا يبغى حاكم على محكوم ، ولا يفضل جنس جنسا ، يسير الجميع فى ظلال هذه التعاليم إلى غايتهم ، فالأديان مستقر السكينة ومهبط الطمأنينة ، وهى القوانين الصالحة لسياسة الجماعات تعصمها من الزيغ والضلال .

وقد عاشت أكثر الأمم فى ظلال الأديان السماوية قرونا طويلة رخية العيش ناعمة البال تسعى إلى شئون الحياة فى قناعة ورضا ، يرضى أفرادها بما قدر لهم من رزق ، ويقنع كل بما يسر له فيشكر الغنى ويرضى الفقير .

فالأديان وبخاصة الدين الإسلامى تقوى فى الفرد نوازع الخير والحق والعدل والفضيلة والقيام بالواجب ومراقبة النفس واحترام حقوق الغير والتضحية والتعاون على البر التقوى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وتحول بينه وبين الارتكاس فى الآثام والمنكرات ، وتشد فيه عزيمة التضحية والدفاع عن الوطن ، وتصرفه عن حياة العبث والمجون إلى حياة الجد والوقار .

وظلت الأديان قوانين الأمم المقدسة ودساتيرها المحترمة : يزن الأشخاص أعمالهم بموازينها ، ولا يعترفون بغيرها ولا يرون السعادة إلا فى ظلالها ، وظلت علاقات الأفراد بعضهم ببعض وعلاقات الجماعات علاقة سلم وتواد واحترام ، لا علاقة تحاسد وتباغض وانتقام . وكانت حياة الأمم فى ظلال الأديان حياة سهلة رتيبة فى كل شأن من شئونها السياسية والقضائية والإدارية والاجتماعية والمعاشية ، ولم يكن فيها هذه الإدارات المتعددة ولا هذه القوانين المتلاحقة المتزاحمة التى لا تكاد تصدر حتى يلاحقها النسخ والتعديل والتنسيق والتحوير ، فقد كان يقوم مقام ذلك الضمير الحى الطاهر الذى يزع النفوس عن مزالق المطامع والأهواء ، ويعصمها عن مهاوى الفسق والفجور والطغيان والظلم . وإذا استيقظ فى الإنسان ضميره وصفت نفسه فلن يصدر عنه إلا ما هو خير لنفسه ولجماعته .

وفى أواخر القرن التاسع عشر وطوال هذه الحقبة من القرن العشرين وتحت تأثير

عوامل مختلفة من الثقافة والاقتصاد واشتداد الظلم والاضطهاد فى بعض البلاد اشتدت الدعوة إلى التحلل من الأديان بدعوى أنها عوائق فى طريق تقدم الرقى الإنسانى ، وأنها كانت دعوات إصلاحية مؤقتة استنفدت أغراضها ، وأنها لم تعد تلائم العصر ولا تساعد على التقدم الذى تنشده البشرية . والنفس البشرية أمارة بالسوء ، والتكاليف الدينية قيود لها ، سرعان ما تحاول التفلت منها إن دعا إلى ذلك داعى الهوى والشيطان . وقد استجاب لهذه الدعوة ذوو النفوس الضعيفة وتهافتوا عليها كما يتهافت الفراش على النار .

وقد كان القائمون على تلك الدعوات ذوى مكر ودهاء : فنشطوا فيها ، وتسلحوا لها بأخطر الأسلحة ، وتوسلوا إليها بوسائل تتصل بعواطف الناس وأطماعهم ، وزخرفوها بأغشية براقة خلابة ، فجعلت تلك الدعوات تشتد ويكثر أشياعها حتى اكتسحت العالم ونجحت فى بعض الشعوب نجاحا كاملا ، كما نجحت فى الشعوب الأخرى بنسب مختلفة ، وما زالت تجد وتجد حتى زحزحت القيم الدينية عن منزلة القداسة فى نفوس الناس إلى الموضع الذى أرادوه لها ، وأحالوهم فى مجموعهم إلى أنواع من الجماعات لها صور الأناسى وسماتهم وليس لها نفوسهم وعقولهم ، ينظرون إلى الأمور بعين الهوى والمصلحة واللذة العاجلة ، وما الفاصل بين الإنسان والحيوان إلا ما يمتاز به من القيم الروحية والأخلاقية .

وإن من المغالطة والتغاضى عن الواقع أن يزعم زاعم أن الشعوب ما تزال على شىء من التدين إن لم يبلغ حد الكمال فهو تدين على كل حال ، لأن الواقع أن كثيراً من شعوب العالم قد كفرت بالأديان وبتعاليمها ، وظل بعضها مستمسكا برواسم الأديان ومظاهرها دون حقائقها وجواهرها ، ومن التسامح أن يسمى ذلك تدينا ، فليس التدين رسوما ومظاهر وإنما هو إيمان يخالط النفوس وتبدو آثاره فى الواقع أعمالا نافعة ، وفضائل حميدة ، ومراقبة لله فى كل شأن من الشئون .

تلك هى المرحلة الأولى التى قطعها دعاة الإلحاد ، أما المرحلة الثانية ، فهى أنهم حاولوا أن يسدوا الفراغ الذى أحدثوه بنجاحهم فى الدعوة إلى التحلل من الأديان ، فأرادوا أن يضعوا نظما تقوم مقام الأديان ، والأديان مجموعة من النظم والقوانين الإلهية سياسية واقتصادية وإدارية وقضائية وغيرها ساس الله بها البشر ، وأنقذهم من أواصر الأوهام والخرافات ، وحمل تبليغها عن الله ، ملائكة أصفياء ورسل أوفياء ، فبلغوها من حضرهم ، ووصلت إلى من بعدهم بالطرق الموثوق بها من العلماء - وكان الفراغ كبيراً فاعتصروا

عقولهم فى وضع القوانين التى تحل محل الأديان فى النواحى التى أشرنا إليها ، وتقود العالم إلى الكمال ، وتفرقوا شيعاً وأحزابا : فجماعة شيوعية ، وثانية اشتراكية ، وثالثة ديمقراطية ، ورابعة نازية ، وخامسة وسادسة إلى جماعات كثيرة مما نعرف وما لا نعرف ، هدف الجميع واحد هو إسعاد البشرية وإن اختلفت وسائلهم ، وتركزاهتمامهم فى الناحية الاقتصادية ظنا منهم أن المادة هى سبيل السعادة ، وأن ارتفاع مستوى المعيشة وإلغاء الفوارق بين الطبقات كفيل بالقضاء على أسباب الشر والقلق فى العالم .

وقد وضعوا النظم والقوانين التى حسبوها تسد الفراغ الذى أحدثوه برفضهم للقوانين الدينية : وضعوا نظما اقتصادية واجتماعية وسياسية إقليمية وعالمية ، فأسفر التطبيق عن الفرق بين قوانين الخالق وقوانين الخلق ، أسفر التطبيق عن فشل هذه القوانين فى الوصول إلى الغايات التى قدروها ، فبعد قرابة نحو قرن فى تجارب القوانين البشرية ، نرى العالم قد استحالت حاله ، وخابت فى قادته آماله ، ومل العيش به نساؤه ورجاله . ونرى السعادة التى كانت تسوده فى ظلال الأديان قد خبا نورها وذهبت بهجتها ، وأصبحت الحياة كالحة عابسة تنقبض لها الصدور ، وتضيق بها النفوس ، وعمت الشكوى وتفاقمت البلوى ، وأنى توجهت ألفيت نيرانا مستعرة ، ومشا كل مستعصية ، ومظالم ليس لها من دافع ، وحقوقا مضيعة ليس لها من ولى ولا ناصر ، وساد قانون القوة كل شىء ، وفتن العالم بالمادة فصارت معبوده المطاع ، يخضع لسلطانها فى سائر شئونه ، وكفر بالأخلاق والآداب والمثل العليا للإنسانية الراشدة ، وأفلس كل ما وضع من قوانين لإصلاح العالم كما زعموا وقدروا .

أفلست قوانين السياسة ففقدت الثقة بين الأمم ، واستحكم فيها سوء الظن ، وتربصت كل بالأخرى ، وانصرف نشاط الأمم واقتصادها إلى الإعداد الحربى ، واستنفدت ميزانيات الحروب أكثر ميزانياتها ، وانكمشت أبواب المشروعات الإنتاجية والإصلاحية ، وانخفض مستوى المعيشة ، وثقلت الحياة على الأفراد فى كثير من الأمم ، وتجاوبت أصداء الشكوى فى بقاع العالم ، وأفلست قوانين الاقتصاد ، وعم الكساد ، وأدرك الناس زمان صار الغذاء فيه بالأوقيات والدراهم ، وتهددت الجماعات شعوبا بالفناء رغم أن الناحية الاقتصادية هى التى تركزت فيها جهود العلماء وأفكار المصلحين . وأفلست قوانين القضاء والإدارة فكثرت الجرائم وافتن المجرمون فيها وأصبحوا لا يبالون بقانون ولا يرهبون العقاب ، وطمع الناس بعضهم فى بعض واعتدى بعضهم على حقوق الآخرين ، وغصت المحاكم بالقضايا

والمتقاضين والمدافعين ، وتعددت جماعات الشرط وتنوعت اختصاصاتها وما أغنى ذلك شيئا وما وقى من شر وما دفع من ضر . فقد أولع الناس بالخصومات إذا اضطربت أعصابهم وضاقت بهم سبل العيش حتى هانت عليهم نفوسهم وشاع الانتحار فيهم . وأفلست قوانين الأخلاق . وإن أشد ما يعانيه العالم اليوم هو الفوضى الخلقية التى فشت فى جميع النواحى فقد تمزقت أثواب الحياء والعفة فى النساء والرجال ، وبدت عوراتهم الخلقية كما بدت عوراتهم الجسمية تؤذى العيون وتصك الأسماع ، وتردى كثير من الأمم فيما يشبه الإباحية الحيوانية ، وقد ألبست هذه الإباحية أثوابا براقة من المدنية والرقى والذوق واللياقة وما إلى ذلك من الفاظ ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب ، وفسدت الذمم والضمائر ، وغاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت مسافة الخلف بين القول والعمل ، فلا اعتداد بين الناس بالعهود والمواثيق إلا أن يساقوا إلى ذلك بسياط القانون والقوة ، وأولع الناس بالمال يجمعونه من وجوهه المشروعة وغير المشروعة ، وأصبح الغش فى الصناعة والتجارة مهارة ، والصدق والأمانة خيبة وخسارة . ويضيق المقام عن الاسترسال فى تصوير ما يعانيه العالم من بؤس وشقاء وبلاء وعناء ، ونكتفى بهذه الصورة الموجزة ، وإنها لصورة قاتمة الظلال كالحة الألوان ، قد يتهمنى بعض الناس بالغلو فى تصويرها والخطأ فى اختيار ألوانها ، ولكنها فيما أرى صورة صادقة انتزعت ألوانها من واقع الأمور فى الشعوب ، يراها المنصف بالعين المجردة دون معاناة أو تعب ، وها هى ذى صحف العالم ومذياعاته . وكلاهما مرآة الأمم فى هذا العصر ـ فليقرأها وليستمع إليها من شاء ، ولن يقرأ ولن يسمع فى جميع أنحاء العالم إلا أحاديث عن مشاكل يأخذ بعضها برقاب بعض ، وكلما عولجت مشكلة بدت أخرى أشد استعصاء على الحل من سابقتها حتى كاد زعماء العلماء ييئسون من الإصلاح والعلاج .

وبالأمس القريب خطب زعيم من أكبر زعماء العالم ، فقال : إن العالم يعيش الآن فى حالة من الارتباك المزعج ، ومن الصعب أن تجد فى أى جزء من العالم جماعة من الأقوام لاتحاول العمل على مناوأة جماعة أخرى ، ولقد فكر جماعة من ساسة العالم وقادته فى أن يصلحوا من شئون العالم وينتشلوه من وهدته وينهضوه من كبوته ويعيدوا إليه ما فقده من أمن وطمأنينة ، واجتمعت آراؤهم على تأليف جماعة دولية تنظر فى مشاكله وتصف ما تراه من علاج ، فألفت جماعة ثم جماعة تعلقت بهما آمال العالم ، وأضاءوا الشموع لمولدها

ولكنها قضت نحبها قبل أن تنقضى هذه الشموع ، وكان الحزن فى ساعة الموت أضعاف السرور فى ساعة الميلاد ، وإنما فشلت هذه الجماعات لأن نجاحها كان يستدعى عنصرين مهمين : هما الإخلاص ، والتطبيق العملى من القائمين عليها ، ولم يتوافر لها ذلك ، وظل العالم على حالة من القلق والانزعاج تتزايد يوما فيوما وعاما فعاما . كالغريق تتقاذفه الأمواج فى سواء البحر ، وتنقطع به أسباب الرجاء ولا منقذ ولا مجير .

قد يعجب بعض الناس للحالة التى صار اليها العالم ويقول : كيف ذلك والعلم يطير إلى الكمال بجناحين حتى سمى عصرنا عصر العلم والسرعة ولا تكاد تنقضى للعلم دهشة من مخترع عجيب حتى تفجأه دهشة أخرى تكاد تذهله عن وجوده ، فلماذا لم يحقق العلم للعالم أحلامه فى الأمن والرخاء والسلام ، وقد ينقضى عجبه إذا علم أن العالم قد تقدم بالعلم حقيقة ، ولكن فى الناحية التى تتصل بغرائز الإنسان الحيوانية ، وهى غرائز البطش والقوة والمتاع الحسى ، تقدم فى صناعة الدبابات والطيارات وصناعة السينما والراديو والكهرباء والتلفزيون ، واكتشف للناس أنواعا لا تحصى من الأدوية تقى الناس شرور الأمراض وتعالجهم منها واكتشف لهم المخصبات الزراعية المختلفة إلى مكتشفات كثيرة تتصل بشئون حياتهم المادية ، وما زال العلم يجد ويدأب ويظفر فى كل يوم بجديد مفيد ، إلا أن العلم مع اهتمامه بالناحية المادية أهمل الناحية الإنسانية والمعنوية فى الإنسان كالإيثار والرحمة والتعاون والتضحية واحترام الحقوق ولم يعرها اهتمامه فرجع العالم فيها القهقرى ، وأصبح الإنسان قاسى القلب غليظ الوجدان ، وتحكمت المادة فى كل تصرف من تصرفاته خوف الفقر والحذر من المستقبل فتضاعفت عليه همومه وتنغصت حياته مع توافر أسباب السعادة المادية من حوله .

لقد كان تقدم العلوم فى الناحية المادية ، وجمودها فى النواحى الخلقية والروحية سبباً من أسباب الشقاء الذى يعانيه العالم ، إذ فتح عليه تقدمه فى الناحية المادية أبوابا من الشر يحاول جاهداً أن يتفاداها ، وأصبح أبغض شىء إلى نفوس الناس هذا النوع من العلم الذى يرتاع لذكر تفاصيله وآثاره حين تدعو ضروره الحرب إلى تطبيقه واستعماله ، والعلم الذى كان مناط الرجاء فى إصلاح العالم وإسعاده غدا من أهم أسباب الشقاء الذى يعانيه ، والعالم الآن يعانى ألوانا من الآلام الجسمية والنفسية لاعهد له بمثلها فى عصور التاريخ .

لقد تحدث أحد علماء الذرة فقال : « إن العالم يجتاز طريقا قد يؤدى إلى القضاء على المدنية ، والكوكب الذى نعيش عليه قد يصبح قريباً جزءاً من الجحيم ، مالم نتخير الطريقة

المؤدية إلى الحياة فيه ، وإننى واثق أننا لم نصل بعد إلى هذا الحد . ثم قال : إن فى متناول البشرية الآن وسائل الاستئصال الجنسى البشرى » .

لقد أفلست المذاهب البشرية إذن فى تخفيف آلام العالم وطمأنينته وقيادته إلى ذرى العز والمجد والسعادة ، ووصل العالم بهذه المذاهب إلى ما وصفنا ، وقد شغل ذلك قادته وزعماءه ومفكريه . ورأى كثير منهم أن لا سبيل إلى ما ينشد العالم من استقرار واطمئنان إلا أن يستهدى بهداية الأديان ، فالأديان وحدها هى التى استكملت المقومات الضرورية لسعادة العالم وصلاحه وأمنه واطمئنانه ، وهى التى قدرت نواحى النفس الإنسانية العقلية والوجدانية ، والعاطفية والمادية فوضعت لكل ناحية مقتضياتها من المبادىء والتعليم ، وما أفلست المذاهب البشرية إلا لعنايتها ببعض ذلك دون بعض .

لقد نشطت الدعوة إلى الأديان فى كثير من الشعوب ، وتجاوبت أصداء الدعاة إليها من رجال الدين والسياسة والاجتماع ، وأخذ اعتقادهم يزداد شيئاً فشيئاً بأنه لا صلاح للعالم ولا علاج له من علله التى ألحت عليه إلا بتعاليم الدين ، ولم تقتصر هذه الدعوة على هؤلاء بل نشطت فى البيئات الفنية والأدبية ، حتى ما كان يظن أنها أبعد الناس عن الأديان وأزهدهم فيها ، فقد اتجهت الروايات السينمائية إلى الموضوعات الدينية وأخذت تستلهمها فى كثير من موضوعاتها ، وقد أغرى نجاح الروايات الدينية مؤلفى تلك الروايات إلى العناية بالموضوعات الدينية وازدياد الاقتباس منها وأخذ المتتبع لتلك الحركة يشعر بحسن أثر ذلك الاتجاه وحسن نتائجه فى أخلاق العامة وسلوكهم ، وأخذ كثير من الأدباء ممن كادت تفتنهم المدنيات المعاصرة وتوقعهم فى مزالق الشكوك والريب يؤمن بضرورة دعوة الشعوب إلى الأديان كوسيلة من وسائل الإصلاح فنشطوا إلى التأليف فى الحوادث الدينية التاريخية التى كان لها أثر فى تاريخ الشعوب وفى سير أبطالها ، ولاقت مؤلفاتهم رواجا زاد من نشاطهم ومجهوداتهم . والمتتبع للحركات الفكرية فى العالم بوجه عام يلاحظ اهتماما بالأديان والمباحث الدينية وانتعاش الروح الدينية فى كثير من الأمم ، وإذا قدر لهذه الحركات أن تسير قدما فى طريقها فستصل الشعوب إلى غايتها المنشودة فى الاستقرار والرخاء والسلام . فالأديان بما انطوت عليه من أسباب ذلك سبيل السعادة ، ولن تسعد الشعوب إلا إذا استنارت بنورها فى ظلمات الحياة ؟

أبو الوفا مصطفى المراغى
مدير المكتبة الأزهرية

الرباط في الإسلام

١ — مناسبة البحث :

نحن فى عصر مكافح مجاهد ، تتألب علينا فيه قوى الشر والبغى من كل جهة ، ونحتاج فيه إلى إعداد ما يستطاع لرد العدوان والخلاص من الطغيان ؛ والعدة قد تكون حسية كالمدفع والطائرة ، وقد تكون معنوية كالإيمان والشجاعة ؛ ومن أقوى الأسلحة المعنوية وأمضاها ، إحياء روح الجهاد والتضحية فى نفوس الجماهير ، والتذكير بمبادىء الثبات والإقدام ، وعرض الصور الرائعة للبطولات الخالدة ، والتنبيه على الأصول الحية التى تتكون منها العقيدة الثابتة ، والتى لها اتصال بناحية الحرية وإباء الضيم والتحريض على الاستجابة لكريم التعاليم والتوجيهات التى تحث على الإعداد والاستعداد ، بالعدد والأعداد .

ولمحاولة المشاركة فى هذا المقصد نتحدث عن الرباط فى التنزيل المجيد ، مصورين ما هو الرباط أولا ، وعارضين مواطن استعمال القرآن الكريم لكلمة « الرباط » ثانيا ، ومشيرين إلى المعنى العام المشترك لهذا الاستعمال ثالثاً .

٢ — الرباط فى اللغة :

ونبدأ أولا باستنباء اللغة عن « الرباط » : ما هى مادته ؟ وما معناه ؟ وما هى ألوان الحقيقة والمجاز فيه ؟ تكلم القاموس المحيط عن مادة (ربط) فذكر وجوها من معانيها واستعمالاتها ، ومما قاله : « ربطه يربِطه ويربُطه شده فهو مربوط وربيط ، والرباط ما ربط به جمعه ربط ، والفؤاد ، والمواظبة على الأمر ، وملازمة ثغر العدو كالمرابطة ، والخيل أو الخمس منها فما فوقها ، وواحد الرباطات المبنية ، أو المرابطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم فى ثغرة ، وكل معد لصاحبه ، فسمى المقام فى الثغر رباطاً . والربيط الراهب والزاهد والحكيم ، ظلف نفسه عن الدنيا كالرابط فى الثلاث »[1] .

(١) والربيط أيضا لقب الغوث بن مر بن طابخة ، لان أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش هذا لتربطن برأسه صوفة ، ولتجعلنه ربيط الكعبة ، فعاش ففعلت وجعلته خادما للبيت حتى بلغ فنزعته ، فلقب الربيط [القاموس] وهناك ربيط بنى إسرائيل الذى قال : زين الحكيم الصمت ، وهو زاهدهم وحكيمهم الذى ربط نفسه عن الدنيا أى شدها ومنعها [النهاية] .

وجاء الزمخشري فى (أساس البلاغة) فبين الأصل فى المرابطة فقال : « ورابط الجيش أقام فى الثغر ، والأصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم ، ثم سمى الإقامة فى الثغر مرابطة ورباطا ، والغزاة فى مرابطهم ومرابطاتهم وهى موضع المرابطة ، ووقف ماله على المرابطة وهى الجماعة التى رابطت ، ومنهم : اللهم انصر جيوش المسلمين ومرابطاتهم ، ومن المجاز ربط الله على قلبه : صبره » .

وفسر النووى فى (تهذيب الأسماء واللغات) رباطة الجأش فقال : « وفلان رابط الجأش وربيط الجأش أى شديد القلب ، قال الجوهرى : كأنه يربط نفسه عن الفرار » .

وتعرض ابن الأثير فى (النهاية) للمادة ، وأراد أن يبين العلاقة بين استعمالها اللغوى واستعمالها النبوى حينما سئل الرسول عن أفضل الأعمال فقال : « إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » . الرباط فى الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها ، فشبه به ما ذكر من الأفعال الصالحة والعبادة . أى أن المواظبة على الطهارة والصلاة والعبادة كالجهاد فى سبيل الله ؛ فيكون الرباط مصدر رابطت أى لازمت .

وقيل : الرباط ها هنا اسم لما يربط به الشيء أى يشد ، يعنى أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصى وتكفه عن المحارم .

وتعرض الأصفهانى فى (مفردات القرآن) للمرابطة بلونيها الحسى والمعنوى فقال : « . . . فالمرابطة ضربان : مرابطة فى ثغور المسلمين ، وهى كمرابطة النفس البدن ، فإنها كمن أقيم فى ثغر ، وفوض إليه مراعاته ، فيحتاج أن يراعيه غير مخل به ، وذلك كالمجاهدة ، وقد قال عليه السلام : « من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة ؛ وفلان رابط الجأش إذا قوى قلبه » .

٣ — فضل الرباط فى الحديث النبوى :

وردت أحاديث كثيرة فى فضل الرباط والحث عليه ، وإذا تذكرنا أن الرباط لون من ألوان الجهاد عرفنا أن كل تمجيد للجهاد فى السنة يعد تمجيداً للرباط ، وقد استفاضت السنة المحمدية بأحاديث الجهاد مما يحتاج إلى مؤلفات لا مقالات ؛ ومن أحاديث الرباط الحديث المتفق عليه : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط

أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها . والروحة يروحها العبد أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » . وعن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل » . وعن سلمان الفارسى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتّان » (الشيطان) . وعن عثمان بن عفان قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة بقيام ليلها وصيام نهارها » . وعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » . وعن فضالة بن عبيد أن الرسول قال : « كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فى سبيل الله ، فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن من فتان القبر » .

٤ — الرباط عند الفقهاء :

تطلق كلمة الرباط - كما فهمنا - عند علماء الإسلام على إقامة المجاهدين على الحدود وفى ثغور البلاد ومداخلها ، لحراستها والدفاع عنها ، وهم أثناء ذلك يقومون بربط خيولهم وخدمتها ، ويسمون بالمرابطين ، وهذا الرباط فرض كفاية ، إذا قام به البعض وكفوا سقط عن الباقين فرضا ، وإن استحسنه الإسلام وحث عليه فى كل زمن قدرة ، ولكن إذا هاجم العدو أرض المسلمين وتعرضت كلمة الإسلام للخطر وجب النفير العام على كل مستطيع . وتحديد وقته ومدته يخضع للظروف والملابسات .

وجاء فى كتاب (المغنى) لابن قدامة [1] : « فإن الرباط يقل ويكثر ، فكل مدة أقامها بنية الرباط فهو رباط ، قل أو كثر ، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : (رباط يوم ، ورباط ليلة) . قال أحمد : يوم رباط ، وليلة رباط ، وساعة رباط . وقال عن أبى هريرة : ومن رابط يوما فى سبيل الله كتب له أجر الصائم القائم ، ومن زاد زاده الله . وروى سعيد بن منصور بإسناده عن عطاء الخراسانى عن أبى هريرة : رباط يوم فى سبيل الله أحب إلى من أن أوافق ليلة القدر فى أحد المسجدين ، مسجد الحرام أو مسجد رسول الله

[1] المجلة - الامام موفق الدين ابن قدامة من كبار علماء فلسطين زمن الحروب الصليبية . هاجر إلى دمشق هو وأسرته ، واشترك فى محاربة الصليبيين هو وأخوه الأكبر الشيخ أبو عمر وتلاميذهم وكان لهم خيام فى معسكر صلاح الدين فى حملات الحروب الصليبية وفتح بيت المقدس ومعركة حطين .

صلى الله عليه وسلم ، ومن رابط أربعين يوما فقد استكمل الرباط ، وتمام الرباط أربعون يوما ، روى ذلك عن أبي هريرة وابن عمر ، وقد ذكرنا خبر أبي هريرة . وروى أبو الشيخ فى كتاب الثواب بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تمام الرباط أربعون يوما . وروى عن نافع عن ابن عمر أنه قدم على عمر بن الخطاب من الرباط ، فقال له : كم رابطت ؟ قال : ثلاثين يوما . قال : عزمت عليك إلا رجعت حتى تتمها أربعين يوما ؛ وإن رابط أكثر فله أجره كما قال أبو هريرة : « ومن زاد زاده الله »[1] اهـ .

٥ — الرباط فى القرآن الكريم :

وقد ذكر « الرباط » و « الربط » فى التنزيل المجيد فى خمسة مواضع ، اثنان منها وردت فيهما المادة بصيغة الأمر وهما قوله تعالى فى سورة آل عمران . « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » آية ٢٠٠ . وقوله فى سورة الانفال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » آية ٦٠ .

والثلاثة الباقية وردت فيها المادة بصيغة الإخبار وبمعنى الشد والتثبيت ، وهى قوله تعالى فى سورة الأنفال : « وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » ١١ . وقوله فى سورة الكهف « وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض» آيه ١٤ . وقوله فى سورة القصص : « إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين » آيه ١٠ .

ويلاحظ مع التأمل وشىء من التعميم المعنوى أن استعمالات القرآن الكريم لمادة « الربط » يشملها معنى واحد عام ، هو ما يفيد الشد والتماسك ، سواء أكان هذا التماسك ملموساً محساً كما فى الأشياء المادية الظاهرة ، أم كان معقولا مدركا كما فى الأمور العقلية المعنوية ؛ ففى الآية الأولى نسمع الحق تبارك وتعالى يقول : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . والمعنى : يا من صدقوا الله ورسوله وايقنوا بهما وبأمرهما . اصبروا على التكاليف ، واحتملوا المصائب والمتاعب ، واصبروا على طاعة الله والزموها ، واصبروا عن معاصيه وابتعدوا منها ، وصابروا أى جاهدوا أعداءكم واصبروا فى جهادهم كما يصبرون فى جهادكم وعداوتكم ، ورابطوا الكفار فى سبيل الله ، بأن تعدوا لهم من رباط الخيل ما يكون كفاء ما أعدوا لكم ورابطوا .

---

[١] المغنى ج ١٠ ص ٣٧٦ طبعة المنار .

وعبارة الزمخشرى فى كشافه : « (اصبروا على الدين وتكاليفه (وصابروا) أعداء الله فى الجهاد ، أى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب ، ولا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتا ، والمصابرة باب من الصبر ، وذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصاً لشدته وصعوبته (ورابطوا) وأقيموا فى الثغور مرابطين خيلكم فيها ، مترصدين مستعدين للغزو » .

وهذه الآية شاملة جامعة لأنواع الأوامر تكليفا ونهيا ، لأن الصبر يشمل لزوم الفرائض والعبادات ، مع اجتناب المنهيات والمحرمات ، والمصابرة تشمل مجاهدة الغير من الإنس والجن والنفس ، والرباط يدخل فيه الجهاد فى سبيل الله والدفاع عن وطن الإسلام وجماعته والدفاع عن الملة ، ثم تأتى تقوى الله فتفيد تعميم الانتهاء عن جميع المناكر والائتمار بجميع الأوامر ، فيكون من وراء ذلك كله النجاح والفلاح [١] .

والمرابطة هنا تفيد المعنى العام للمادة وهو الشد والتماسك ، لأن المسلمين لا يستطيعون مجاهدة أعدائهم متفرقين ، ولا يستطيعونها متراخين أو مستنيمين ، بل لا بد لهم من أن يشدوا شدة القوى ، وأن يتماسكوا تماسك المجتمعين المتعاونين ... ولذلك جاء فى التنزيل : « قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد » ، « واجعل لى وزيراً من أهلى ، هارون أخى ، اشدد به أزرى » ، « وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » ، « حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق » ، « قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » ، « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » ... الخ . وجاء أيضاً : « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا » ، « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، « فاستمسك بالذى أوحى إليك » الخ .

وفى الآية الثانية نسمعه سبحانه يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

فالله يأمر عباده فى الآية الكريمة بأن يهيئوا جميع الوسائل والأسباب التى تجعلهم فى قوة ومنعة وشدة ، وأن يبذلوا فى سبيل ذلك كل ممكن وكل مستطاع ، وأن يحرسوا حدودهم

---

[١] انظر تفسير مجمع البيان .

ومداخلهم وثغورهم بقوات الفرسان المدربة الفتية الشديدة ، حتى تكون تلك القوات جيشا مستعدا دائما للدفاع وصد هجمات الأعـداء ؛ وما أبلغ الآية حين تستعمل كلمة « القوة » الشاملة لأنواع من السلاح وألوان من العتاد والإعداد ؛ وما أبلغها حين تشير إلى الأعداء المعلومين لله وللناس ، والأعداء المجهولة من الناس المعلومة من الله ... إذن فالاستعداد يجب أن يكون على غايته ، وفى كل وقت ومكان ، وبكل حيلة ووسيلة ، لأن الأعداء ظاهرون وباطنون ، ومعلومون ومجهولون ، وحاضرون وغائبون ؛ « ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

ومن الجلى الواضح أن هذا الإعـداد وتلك الألوان من القوى والأسلحة لا تتهيأ ولا تدوم إلا إذا كانت فى المسلمين قوة وشدة ، وكان فى جمعهم تماسك وتكاتف وتساند ؛ كما أنه قد يكون من الواجب أن نشير إلى أن « المرابطة » لا تقتصر على ذات الخيل ، وإن ذكرتها الآية لمناسبة ما كان موجودا ، بل علينا أن نرابط الأعـداء بمثل عدتهم وأسلحتهم ووسائلهم .

والآية الثالثة تقول : « إذ يغشيكم النعاسَ أمنةً منه ، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » .

وقد نزلت هذه الآية ضمن الآيات التى نزلت فى غزوة بدر ؛ وهنا يتحدث الحق تبارك وتعالى عن النعم التى أنعم بها على المجاهدين الأولين ، فقد كانوا قلة وأعداؤهم كثرة ، وهذا يثير الخوف فى القلة ، والخائف لا ينام وإن رغب فى النوم ، فأنزل الله النعاس على المسلمين تطمينا منه وتأمينا وإذهابا للخوف عنهم ، وإراحـة لهم حتى يستعدوا للمعركة القادمة ، وكذلك أنزل الله عليهم ماء فى وقت جاف ومكان مجدب وساعات كلها ظمأ وحاجة إلى التطهر والاغتسال ... فتطهروا وأزالوا وسوسة الخناس عن نفوسهم ، وثبت الله أقدامهم بهذا الغيث إذ صارت الأرض الرملية اللينة صلبة متماسكة ، لا تلين فيها الأقدام ، بل تقوى وتشتد .

والقلوب إذا ارتبطت قويت واشتدت وجرؤت ، كما أن الأقدام لا تثبت إلا على أرض متماسكة صلبة ، فكأن الربط على القلوب هنا ـ وإن كان معنويا ـ يفيد الشدة والتماسك أيضا .

والآية الرابعة تقول : « وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها ، لقد قلنا إذن شططا » . وقد نزلت فى فتية الكهف الذين كفروا

بالوثنية والاصنام ، وآمنوا بالله الخالق للسموات والأرضين ، والله يحدث عباده فى قرآنه عن نعمته على هـؤلاء الفتية حين قواهم باليقين والصبر ، وشد قـلوبهم وجعلها متماسكة لا تتزعزع ، بل تقوى على هجر الأوطان والنعيم ، والفرار بالدين إلى الـكهف ، وتقوى على مجاهرة الطاغين والجبارين ومصارحتهم بكلمة الحق ، ولو لاقوا فى سبيلها الأذى والعنت ؛ فقد قاموا بين يدى الجبار (دقيانوس) دون خوف أو مبالاة ، وأظهروا إيمانهم ، وأصروا على هجر عبادة الأصنام ، لأن عبادة غير الله إفراط فى الظلم والضلال .

والقلوب الضعيفة تـكون خائرة متداعية تطير شعاعا عند كل صيحة ، وأما القـلوب المؤمنة المرتبطة بأسباب الله ، المترابطة فى سبيل الله ، فإنها تـكون شديدة فى حقها وصدقها ، متماسكة فى إقبالها على دعوتها ومجاهدتها لأعدائها .

والآية الأخيرة تقول : « وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ، إن كادت لتبدى به ، لولا أن ربطنا على قلبها لتـكون من المؤمنين » . وقد نزلت هذه الآية فى شأن أم موسى عليه السلام ، حين صنعت له التابوت ، وألقته فى اليم ليلتقطه آل فرعون ليـكون لهم عدوا وحزنا ، وقد خافت أم موسى على وليدها ووحيدها خوفا شديدا ، حتى تناهبت قلبها المخاوف والهواجس فأصبح فارغا متبددا ، وقاربت أن تـكشف سرها وتعلن سرها ، ولـكن الحق جل جلاله « ربط » على قلبها ، فجمع منه ما كان مشتتا ، وشد منه ما كان متداعيا ، فصـار فى امتلاء واشتداد واستمساك .

وهكذا نرى أن الاستعمال القرآنى الـكريم لمادة « الرباط » و « الربط » يشعر بالشدة والتماسك ، والشدة قوة لا تـكون إلا ببذل الجهود لتحقيق المقصود ، والتماسك لا يكون إلا بالتـكتل والتجمع والتعاون « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ؛ « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

٦ — إهابة :

يا بنى الإسلام . . . إن « الرباط » فى سبيل الله شعيرة من شعائر الملة ، وفريضة من فرائض الـكتاب ، وسنة لا يقطعها إلا جاحد أو جاهل ، وقد كتب الله الجهاد والقتال كما كتب الصيام والصلاة ، « ففروا إلى الله إنى لـكم منه نذير مبين » ، « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالـكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلـكم خير لـكم إن كنتم تعلمون » .

أحمد الشرباصى
من علماء الأزهر الشريف

ليس للمرأة شرعاً أن تمارس السياسة

لأن درء المفاسد المترتبة على ذلك مقدم على ما فيه من مصالح

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

قال مندوب « الأهرام » .

كان فضيلة الأستاذ الأكبر أمس عاكفاً على دراسة طائفة من المراجع الفقهية التي تحدثت في استفاضة وإبانة عن حقيقة موقف المرأة في نظر الشريعة الإسلامية ، وقد ذكر لي فضيلته أنه سوف يضع مذكرة مدعمة بالأدلة والبراهين القاطعة التي لا تدع مجالا لقائل بأن للمرأة أن تمارس شأناً من شئون السياسة العامة ، وسوف يفرغ من هذا البحث في خلال أيام قليلة .

الإســـلام دين الفطرة :

ومضى الأستاذ الأكبر فقال : لست أريد بهذا البحث أن أدخل في جدل حول موقف المرأة نفسها ، ولكني سأتحدث عن حكم الشريعة الإسلامية بوجه عام .

ومن الحقائق الدائرة على الألسنة ، المقررة بين علماء الإسلام ، أن الإسلام دين الفطرة وكان ذلك من أسباب سرعة انتشاره ، واستمرار حيويته ، وازدياد الإقبال عليه في كل العصور ، ولو أتيح له أن يعرف كما هو ، لكان هو نظام الإنسانية كلها .

ومن مظاهر كون الإسلام دين الفطرة أنك مهما استقصيت أوامره ، لا تجده يأمر إلا بما فيه مصلحة عامة ، ومهما أحصيت نواهيه ، لا تجده ينهى إلا عما فيه مفسدة ، والإسلام يترك غير المسلمين يتحاكمون إلى أهل ملتهم ، وإذا تحاكموا لدى القاضي المسلم حكم بينهم أو بينهم وبين المسلمين بالعدل ، فإن العدل تابع للتحاكم لا للإسلام ، وذلك شأن دين الفطرة وقد توصل علماء الإسلام إلى أن يستخرجوا من مجموع نصوص الشريعة وأحكامها قواعد عامة . كاستخراجهم قاعدة — الضرر يزال — من مثل قوله ﷺ « لا ضرر ولا ضرار » ، ويتفرع على ذلك أحكام لا تحصى في الفقه والقضاء .

ثم قال : إن القواعد شأنها أن تؤخذ من موارد متعددة فى الشريعة ، ولهذا كانت فى نفسها قطعية ، وإنما الظن القوى فى تطبيقها ، وذلك كاف فى حق المجتهد .

وقد يرى واضع القانون الضرر الصغير فى الواقعة فيمنعه ، ويبيحه الشارع لأنه وقاية من ضرر كبير ، ومن هنا نشأت قاعدة « ارتكاب أخف الضررين » ، ومن أصولها قول الله عز وجل « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » . فإن عيب السفينة ضرر ، لكنه أخف من أخذها غصبا .

وينظر بعضهم إلى مصلحة تظهر من شىء ، ولا تقع أنظارهم على المفاسد التى تنجم عنه ، فيظهر لهم أنه أحكم من منعه نظرا إلى مفاسده ، ومن هنا نشأت فى الشريعة قاعدة « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » ، ومن ذلك ما يدعيه القائلون بإعطاء المرأة حقوق الرجل السياسية ، فإنهم نظروا إلى ما فى المرأة من مزايا ، وغفلوا أو تغافلوا عما يترتب على ذلك من مضار تشاهد فى كل مكان ، فدفع المضار مقدم على ما يذكرون من المزايا .

ثم تحـــدث الأستاذ الأكبر مبينا ما فى الشريعة الإسلامية من النصوص والبراهين المؤيدة لهذا فقال :

من قواعد التشريع الإسلامى قاعدة « العادة محكمة » أى أنها تجعل حكما فى إثبات الأحكام إذا لم يعارضها نص ، وابتنى عليها قولهم : « الممتنع عادة كالممتنع حقيقة » وقولهم : « المعروف عرفا كالمشروط شرطا » وقولهم : « التعيين بالعرف كالتعيين بالنص » وقولهم « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان » أى أن الأحكام التى كانت مبنية على عرف طرأ عليه التغير تتغير بتغير ذلك العرف ، فتبنى دائما على العرف الذى لا يخالفه نص .

ثم قال : إن القواعد كما قلنا مأخوذة من النصوص ، والنصوص لا تأتى إلا للمصلحة العامة ، والمصلحة العامة تتمشى دائما مع الفطرة الإنسانية وسعادتها ، فإذا لم تجز الشريعة للمرأة أن تمارس حقا من حقوق السياسة فإنما قصدت بذلك الخير الشامل للمجتمع الإنسانى ، فإن وظيفة المرأة الأولى أن تكون أما ، وأن تكون ربة بيت ، وقد أبيح لها أن تمارس الوظائف التى تتمشى مع طبيعتها ، فإذا هى أرادت أن تتعداها فإنما تكون قد خرجت عن الطريق التى رسمت لها والتى تتفق مع طبيعة تكوينها ، وفى هذا مضرة بها ، ومضرة بالمجتمع ، وشر بالإنسانية جمعاء يجب أن نتكاتف على دفعه ، والله الموفق .

الرق وآثاره

في التشريع الإسلامي والمصري

---

١ — كاد إجماع الأمة في الفقه الإسلامي يكون منعقداً على أن الرق من موانع الإرث ، حتى لقد حكى الإجماع على ذلك في أكثر المصادر المعتبرة لهذا الفقه [١] . وقد كان مشروع قانون الميراث (٧٧ لسنة ١٩٤٣) ـ كما قدمته لجنة الأحوال الشخصية ـ مشتملاً على النص على الرق باعتباره مانعاً من الإرث ، بيد أنه رؤى حذف هذا النص ، بسبب الحظر القانوني للرق وزوال نظامه ؛ إذ أنه من الجرائم المعاقب عليها منذ ستين عاما ، ومن أجل ذلك قضى بأنه ليس ثمة فائدة من الناحية العملية من جراء إيراد نص في قانون الميراث يعتبر الرق مانعاً من موانع الإرث [٢] . وصدر قانون الميراث ، وقد خص موانع الإرث بالمادتين ٥ ، ٦ منه ، وذكر فيهما ثلاثة موانع هي : القتل ، واختلاف الدين ، واختلاف الدارين في حالة خاصة ، ولم ينص على الرق مانعاً من الميراث [٣] .

٢ — بيد أن المادة الخامسة صيغت بحيث تشعر بأن ما ورد فيها من موانع ، ليس على سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل ؛ إذ ابتدأت عبارتها بالقول « من موانع الإرث ... » وهذا تعديل أجرته عليها (لجنة الشئون التشريعية بمجلس النواب) وأكدت في تقريرها عن مشروع قانون الميراث ، أن السبب في ذلك هو جعل المادة المذكورة بحيث تكون أوضح في الدلالة على أن النص وارد على سبيل التمثيل لا الحصر [٤] .

---

(١) انظر : الأستاذ أحمد إبراهيم (بك) في « المواريث علما وعملا » سنة ١٩٤٢ — ص ٧٢

(٢) انظر : المذكرة الايضاحية لقانون الميراث في (مجموعة القوانين ، الوقف والوصية والميراث) جمع وترتيب محمد الغريب — الطبعة الثانية — ص ١٤٤ .

(٣) انظر : المادة ٥٨٠ من الأصل (كتاب الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية) لقدرى باشا ، إذ نصت على أن مانع الارث الأول هو « الرق وافراً كان كالقن والمكاتب أو ناقصاً كالمدبر وأم الولد ؛ لأن الرق ينافي أهلية الارث لأنها بأهلية الملك رقبة) .

(٤) انظر : المذكرة الايضاحية لقانون الميراث في (السالف) — ص ١٣٨

٣ — وأوردت المذكرة الإيضاحية فى تعليقها على نص م ٥ السبب فى جعل هذه المادة غير دالة على حصر موانع الإرث بقولها :

« حتى لا يظن أنه قصد بالحذف تغيير حكم شرعى أجمع عليه المسلمون » [١] .

٤ — وتعديل لجنة الشئون التشريعية لنص م ٥ لم يكن له لزوم فى نظرى ، بالرغم من السبب الذى أوردته المذكرة الإيضاحية ؛ إذ يترتب على جعل موانع الإرث فى القانون واردة على سبيل التمثيل إباحة إدخال موانع أخرى ، لم يكن المشرع يقصد بحال إدخالها ، ولقد كان الأصل ـ الذى كان معمولا به قبل صدور قانون الميراث ـ موفقا إذ حصر موانع الإرث بشكل لا يدع مجالا لإمكان دخول غيرها من الموانع المختلف فيها [٢] .

٥ — ثم إن المعروف هو أن القواعد المتعلقة بالتوريث وأحكامه المعتبرة شرعا ، ـ ومن هذه القواعد والأحكام موانع الإرث ـ هى من النظام العام L'orde public ، وقد قررت ذلك أحكام القضاء ؛ إذ قيل بأن أحكام الإرث من كون الإنسان وارثا أو غير وارث وكونه يستقل بالميراث أو يشارك فيه سواه إلى غير ذلك من الأحكام ، وكذلك الأحكام المتعلقة بتعيين الورثة وانتقال الحقوق فى التركات عن طريق الوراثة للمستحقين شرعاً ، مخالفة كل هذا باطلة لمخالفتها للنظام العام ، يحكم ببطلانها القاضى من تلقاء نفسه فى أية حالة عليها الدعوى ولا تصححها إجازة من أحد [٣] .

٦ — ومن هذا يفهم أن كل شخص قابل للإرث ، إذا توافرت فيه شروط التوريث ، وانطبقت عليه أحكام الباب الثانى من قانون الميراث الخاصة بأسباب الميراث ، ولم يكن فى

---

(١) انظر : المرجع السابق — ص ١٤٤

(٢) انظر : المواد من ٥٨٥ ـ ٥٨٨ من الأصل (كتاب الأحكام الشرعية) السالف الذكر .

(٣) انظر : حكم القضية رقم ٢ سنة ٤ قضائية فى (مجموعة القواعد القانونية) حـ ١ ص ٤٤٩ ، وجاء فيه أنه باطل كل اتفاق قبل وفاة شخص ما على شىء يمس حق الارث عنه ، لأن مثل هذا الاتفاق مخالف للنظام العام ـ وانظر كذلك حكم محكمة استئناف مصر (٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٦) فى (المحاماه) س ٣٠ ص ٧٥٢ رقم ٣٧٣ ، إذ يستفاد منه أن قواعد التوريث وأحكامه من النظام العام والتحايل عليها ممتنع لذلك .

حالة حجب مما هو منصوص عليه فى الباب الثالث ، إلا أن يكون ممنوعاً من الإرث ، فهذا المنع إذن من قبيل الاستثناء ، وفتح باب المادة الخاصة به (م ٥) لدخول موانع جديدة ليست معروفة لدينا خاصة بعد إلغاء الرق قانونا وحذفه باعتباره مانعا من الإرث ، وبعد ثبوت أن ليس فى القانون المصرى الوضعى على وجه العموم مانع من الإرث غير الموانع الثلاثة المذكورة فى قانون الميراث ، أقول إن هذا الفتح يعتبر من قبيل اللغو الذى كنا ننزه الشارع عن الوقوع فيه من الناحية الشكلية [١] .

٧ — أما السبب الذى أوردته المذكرة الإيضاحية ، فلست أفهم بصدده ما وجه الظن بتغيير حكم شرعى أجمع عليه المسلمون ، ما دام الرق قد ألغى فى مصر ولم يعد موجوداً ؟! ، بل إن (الرق) فى حد ذاته كان فى الإسلام نظاماً اقتضته ظروف مؤقتة خاصة به ، يدل على ذلك عدم تسجيل القرآن الكريم له ، وإنما سجل العتق ووسع فى أسبابه حتى يتسنى إلغاؤه والقضاء عليه ، حتى لقد قيل : إن أسباب العتق التى وضعها القرآن ، لو نفذت كلها ، فإنه لا يبقى رقيق فى دار الإسلام أكثر من عام واحد [٢] .

٨ — على أن دعوى الإجماع التى استندت إليها المذكرة مردودة وغير صحيحة على

---

[١] قد تتصور فكرة دخول موانع أخرى للميراث فى المادة ٥ ، إذا لاحظنا أن ثمة عدداً وافرا من هذه الموانع موجود عند الفقهاء على اختلاف ، ومثال هذه الموانع ، مانع الزنا ومانع اللعان ومانع التبرؤ من الولد ومانع عدم الاستهلال ومانع الشك فى الموت ومانع استغراق التركة بالدين ومانع الفقد ومانع الزواج المنقطع [المتعة] عند الشيعة الامامية إلا إذا اشترط أحد المتناكحين الميراث . الخ راجع فى هذه الموانع ، أحمد ابراهيم — السالف — ص ٩١ وما بعدها .

[٢] انظر . الاستاذ محمد أبو زهرة فى بحث [شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله] — فى [المسلمون] س ١ ص ٣٥ بند ١٠ — ومما هو جدير بالذكر أنه على الرغم من اعتراف الاسلام بشرعية الرق ، فانه كان يبيح للعبد أن يسلم مع بقائه عبدا ، ويقول البعض بأنه لو حدث يوما ما أن كان كل الناس مسلمين فان مصدر الرق ماكان ليبقى له وجود نتيجة لذلك ، ويوضحون ذلك بأن وضع العبد فى المجتمع الاسلامى كان فى العادة حسنا جدا ، وإعتاقه من سيده كان بابا مفتوحا لهذا الاخير ، يستطيع عن طريقه أن يكفر عن المعاصى والسيئات التى وقعت منه فى مواجهة الديانة الاسلامية ، وبصرف النظر عن هذا الغرض الخاص من الرق وهو التكفير ، فالعتق فى حد ذاته كان مندوبا ومطلوبا من الاسياد — انظر .
L'islamisme, par O. Haudas, Paris, 1904, p. 219

إطلاقها [١] ؛ وذلك لوجود خلاف ليس قليل الأهمية ، فى شأن الرق واعتباره مانعاً ؛ إذ وجد فقهاء كثيرون قالوا باعتباره غير مانع من الإرث [٢] .

٩ — ومن أجل كل هذا لا أرى معنى للتحفظ والخوف من الظن بتغيير حكم شرعى أجمع عليه المسلمون ؛ لأن هذا الظن وهم وخيال من جهة ، ومن جهة أخرى لأن هذا الإجماع المردود من المسلمين ، ليس عيباً خروج المشرع المصرى الحديث عليه ، ما دام بشأن مسألة خاصة ، رأينا أنها سلمت فى التشريع الإسلامى لوجود محلها الذى هو انتشار الرق فى بدء نشوئها ، ثم ما كان من محاولة هذا التشريع القضاء عليه ، بحثّه على العتق ، وإيراده للأسباب الكثيرة لتشجيع هذا الأخير .

١٠ — ويلاحظ أن قانون الميراث لم يتخلص البتة من آثار الرق ، يتبين ذلك من اعتباره (العصوبة السببية) سبباً ثالثاً للإرث بعد الزوجية والقرابة (م ٧) ، ويقصد بهذه العصوبة الميراث بولاء العتاقة وفق هذا القانون [٣] ، وصورة ولاء العتاقة هذا أن

---

[١] انظر . أحمد ابراهيم — السالف — هامش ص ٥٧

[٢] راجع فى ذلك . [القواعد ومفتاح الكرامة] و [حاشية الفنارى] و [ابن حزم] و [الروضة الندية وشرحها للشوكانى وصديق خان] و [الاهلية وعوارضها] و [نظام النفقات] لأحمد ابراهيم — عن : أحمد ابراهيم فى — السالف — ص ٧٢ وما بعدها

(٣) عرف الرومان ولاء العتاقة والتوريث على أساسه ، إذ كان لديهم نظام العتق ، وكان العتيق بمقتضاه يكتسب صفة الحرية والصفة الوطنية معا ، ولكنه لا يصير حراً على إطلاق ، إذ وضع القانون الرومانى عدة قيود تحد من حريته كى يعتبر فى مرتبة أدنى من مرتبة الأحرار الأصليين ، وخاصة ما يتعلق من هذه القيود بالحقوق المالية Bona ، ويهمنا هنا من هذه الحقوق : الحق الذى كان يخول السيد إذا أعتق والذى بمقتضاه يرث عتيقه إذا مات من غير وارث وبدون أن يترك وصية — انظر . الدكتور محمد عبد المنعم بدر والدكتور عبد المنعم البدراوى فى (القانون الرومانى) ص ١٥٢ ، ومفهوم أن القانون الرومانى قد عرف الرق واعتبره مانعا من الارث — انظر . السالف ص ١٤٣ ، كما عرف نظام الموت المدنى Capitis Demininutis انظر بيانا موجزا عن هذا النظام وتاريخه فى موجز القانون الرومانى لجيفار — طبعة ١٩٣٤ حـ ١ ص ٣٠٩ — ٣١١ . وجاء هذا النظام La mort ciuil إلى القانون الفرنسى ونص عليه فى ق سنة ١٨٠٤ — ثم ألغى بقانون سنة ١٨٥٤ انظر فى ذلك Code Civil annoté d'après la doctrine et la jurisprudence, par, H. Bourdeaux, p. 33, وانظر - Prof. Gaston Stefani, Les successions ab intestat et testamentaire en droit grançais comparé au dr. egyptian, Rev. Al-lanoun Wal Iqtisad, xx1 eannéc, No 1, p. 47.

يعتق الرجل عبداً أو أمة له ، فيترتب على ذلك أن يصبح العتيق منسوباً إلى المعتق بالولاء ، ومن أجل هذا أطلق على هذا الولاء (ولاء النعمة) ، وبمقتضاه يرث المعتق من العتيق دون العكس ، وسواء فى ذلك أحدث العتق من المعتق لوجه الله تعالى أم لوجه الحاكم أو السلطان ، وسواء أعتقه سائبة أم شرط ألا ولاء عليه ، كما أنه يستوى العتق بجعل أو بغير جعل أو بطريق الكتابة [1] .

١١ — والرأى الذى أخذ به القانون فى شأن ولاء العتق هو رأى الجمهور ، فهم الذين يعتبرونه سبباً من أسباب الإرث ، ويستندون فى ذلك إلى حجج يمكن تلخيصها فى سندين :

أولهما : سند قرآنى : إذ قال تعالى : « ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون » وقد فسروا « الموالى » فى الآية على أنها العصبات ، ومولى العتاقة يعتبر عصبة ، ومن أجل ذلك يرث . ويرد على ذلك بأمرين :

(الاول) أن كلمة الموالى فسرت أيضاً على أنها الورثة ، وبذلك تفتقر إلى دليل يدل على أن مولى العتاقة من هؤلاء .

(والثانى) أن المتوفى ليس والداً ولا قريباً لمولاه المعتق ، وهنا يتبين أن مولى العتاقة خارج عن الصورة الواردة فى الآية [2] .

وثانيهما : سند نبوى : ويتفرع فرعين :

(الأول) خاص بقول الرسول ﷺ إن « الولاء لحمة [3] كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب » إذ يدل هذا الحديث فى نظرهم على أن الولاء كالنسب (القرابة) سبب الإرث . وهذا القول مردود كذلك لاعتبارات ، منها أن هذا الحديث معلول [4] ، ومنها أن الولاء إن كان كالنسب ، فليس كل نسب سبباً فى الإرث عند من يقول بعدم توريث ذوى الأرحام ، ومنها أن وجه الشبه الوارد فى الحديث بين الولاء والنسب هو الخاص بالبيع والهبة فقط لا المتعلق

---

(١) انظر : شمس الدين السرخسى فى [المبسوط] جـ ٣ ص ٣٨ .

(٢) انظر . أحكام القرآن لأبى بكر الرازى الجصاص — وأحمد ابراهيم — السالف . ص ٣١ .

(٣) المراد باللحمة . الرابطة التى تربط شيئين أحدهما بالآخر .

(٤) أعله البيهقى .

بالإرث ، وكذلك لا دليل على توريث الجمهور للمعتق من العتيق دون إجازة العكس [١] .

والثانى خاص بتلك الرواية التى تتلخص فى أن النبى ﷺ ـ لما مات مولى لبنت حمزة تاركا ابنته ومولاته ابنة حمزة ـ أعطى الابنة نصف مال المتوفى والنصف الآخر أعطاه لبنت حمزة ، وهذا يدل على توريث النبى ﷺ للمعتق من العتيق ، ولكن الواقع أن هذه الرواية مضطربة الإسناد كل الاضطراب ، والأحكام الشرعية لا تثبت بروايات فيها مثل هذا الاضطراب [٢] .

١٢ ــ وعلى خلاف رأى الجمهور وجد رأى آخر ، هو رأى (الإباضية) [٣] ، يقول : إن ثبوت الإرث لا يكون إلا بدليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع ، وليس فى حالتنا هذه شىء من ذلك ، لأن أسباب الإرث الثابتة فى الكتاب والسنة هى القرابة والزوجية ، وأما عن الإجماع ، فإنه يروى أن قد مات مولى لابن عمر ، فجىء إليه بما ترك فرفض أخذه قائلا : لو كان لى لأخذته ، كما أنه يروى أن مولى لرسول الله ﷺ مات ، فدعى النبى من حضر من أهل أرضه ، وأعطاهم مال الرجل ، ولم يدع لنفسه إرثه بسبب الولاء [٤] .

١٣ ــ والواقع أنه لا مجال للرأى بعد أن نص قانون الميراث على هذا الولاء واعتباره

---

[١] انظر . أحمد إبراهيم ــ السالف ــ ص ٣٢ ــ ويلاحظ أن بعض الفقهاء يرون التوارث بين المعتق والعتيق . بيد أن الجمهور لم يجيزوا ذلك .

[٢] انظر : أحمد ابراهيم ــ السالف ــ ص ٣٣ ــ على أن بعض الفقهاء حاول الجمع بين مختلف الروايات فى هذا الشأن [نيل الأوطار] ولكن هذا لا ينفى ما ذكر فى المتن

[٣] هم أتباع عبد الله بن إباض التميمى ، وهم فرقة من الخوارج ، يتميزون عن سواهم من فرق الخوارج بأنهم لم يغلوا فى الحكم على مخالفيهم ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى طبيعة ظروف نشأتهم إذ أن صاحبهم السالف الذكر لم يخرج إلا فى أيام مروان بن محمد بعد أن قضى الأمويون على الخوارج أو كادوا وبعد أن تحول نضال الأحزاب بعد يأسهم حول الحكم إلى مذاهب علمية بحتة ـ انظر : دكتور حسن ابراهيم حسن فى [تاريخ الاسلام السياسى] حـ ١ سنة ١٩٣٥ ص ٤٦٩ وهامشها ـ هذا ولاعتدال هذه الفرقة بقى منها ناس إلى اليوم ، انظر : محمد أبو زهرة فى [أحكام التركات والمواريث] هامش ص ٩٢

[٤] انظر : شرح النيل (من كتب الاباضية) ونيل الأوطار [الشوكانى] ــ وأحمد ابراهيم ــ السالف ــ ص ٢٩ .

سبباً للتوريث ، وقد أخره عن توريث ذوى الأرحام وعن الرد على الزوجين ، وهو فى ذلك يعمل بمذهب الإباضية إذا كان ذوو أرحام أو أصحاب فروض ، ويأخذ برأى الجمهور حين لا يكون أحد من الأقارب قط ؛ إذ يقرر هذا الجمهور أن التوريث الثابت بالولاء على أنه عصبة سببية يعقب ذلك المتعلق بالعصبة النسبية ، ويسبق الرد على جميع أصحاب الفروض وكذلك ذوى الأرحام [١] .

١٤ — غير أنه بالرغم من هذا الاهتمام الذى أبداه المشرع المصرى بمسألة مولى العتاقة وتوريثه من عتيقه ، ونصه على ذلك فى المادة السابعة من قانون الميراث ، وإيراده مادتين خاصتين بأحكام توريثه (م ٣٩ ، ٤٠) والتعب الذى لاقاه فى سبيل ترجيح رأى الجمهور ، يضيق نطاق تطبيق ما جاء به فى هذا الشأن كل الضيق ؛ وذلك نظراً لأن الرق قد انتهى كما أسلفت منذ زمن بعيد ، ويعد من الجرائم المعاقب عليها من عشرات السنين [٢] .

١٥ — ويلاحظ بعد هذا أن الحجة العملية المعقولة التى يمكن تسليمها فى شأن توريث المولى الذى أعتق من عتيقه هى التى تقول بأن تقرير ذلك التوريث إنما يشجع على العتق ؛ لأن المعتق يقدم على الإعتاق إذا علم أن علاقته بعتيقه سوف لا تنقطع وأنه سيكون وارثه فيما يخلفه من مال بعد موته [٣] ، بيد أنها حجة لا مجال للأخذ بها هنا فى قانون الميراث ؛

---

[١] انظر محمد أبو زهرة — فى السالف — ص ٢٣٦ — وقد بين القانون أحكام الارث بالعصوبة السببية فى الباب السادس — راجع نص المادتين ٣٩ — ٤٠ وتعليق المذكرة الايضاحية عليها فى — [مجموعة القوانين] — السالف — ص ١٥٨ .

[٢] الظاهر أن اعتبار المشرع المصرى لولاء العتاقة سببا للارث يرجع إلى وجود فئة [الأغوات] وهم شرذمة من العتقاء عاشوا فى القصور الملكية المندثرة ، ويمكن التعليق على ذلك بأن نظام هؤلاء القوم نظام خاص ، واهتمام المشرع بإدراج هذه النصوص فى قانون الميراث خاصة بتوريث الموالى منهم وضع منتقد لاعتبارات لا تخفى على فاحص ، ولئن صح أن هذه الفئة من المخلوقات هى التى ينطبق عليها وحدها قانون الميراث فى شأن مولى العتاقة باعتبار أنها من العتقاء الذين يرثهم مواليهم إذا ماتوا من غير وارث إذا صح ذلك — وفى علمى أنها الفئة الوحيدة فى هذا الصدد — فإنه يمكن تصور مبلغ الضيق فى نطاق تطبيق قواعد الارث فيما يتعلق بولاء العتاقة ، ولئن صح هذا كذلك فلا محل لاعمال هذه القواعد بعد انقلاب الحكم فى مصر وزوال الملكية وقيام الجمهورية . . !

(٣) انظر : محمد أبو زهرة — فى السالف — ص ٢٤٢ .

إذ كيف نندب العتق بتقرير توريث مولى العتاقة ، وأساس العتق الذى هو الرق ملغى لا وجود له [١] ؟!

أحمد طه السنوسى

(١) يلاحظ أن ولاء العتاقة هو أحد نوعين للولاء ، يعرف ثانيهما بولاء للموالاة ولم يتعرض له المشرع ، وهو عبارة عن عقد بين عربى وأعجمى أسلم مثلا بمقتضاه يلتزم العربى دفع الدية عن الأعجمى إذا أجرم هذا الأخير ، ويرثه إذا توفى وليس له وارث قط ، ومن المفيد بيان التفرقة بين الولاءين من الوجهة القانونية والعلمية ، وهذه التفرقة تتلخص فى ثلاثة أمور :

الأول : أنه فى ولاء العتاقة يرث الأعلى وهو مولى العتاقة من الأسفل وهو العتيق دون العكس ، على حين أنه فى ولاء الموالاة يكون التوريث على مقتضى الاتفاق بين الطرفين ، وبناء ذلك أن ولاء العتاقة إنما سبب التوريث فيه الاعتاق وهو يوجد من الأعلى فى حق الأسفل دون العكس ، بينما السبب فى ولاء الموالاة هو العقد والشرط ، والحكم يثبت على الوجه الذى يوجد عليه الشرط والعقد .

والثانى : أن ولاء العتق لا يحتمل النقض والفسخ على حين يحتمل ولاء الموالاة ذلك ، وعلة هذا مفهومة ، وهى أن سبب الأول وهو الاعتاق لا يحتمل النقض بعد ثبوته ، والمعروف أن ثبوت الحكم يكون على وفق السبب ، وهذا على خلاف الحال فى ولاء للموالاة ، إذ السبب فيه الايجاب بطريق التبرع وهو يحتمل النقض ، وتظهر القدرة عل الفسخ فى التفرقة بين الحال بعد العقل وقبله ، وتتضح فى حالات أولها : أن الموجب ينفرد بالفسخ ما لم يعقل عن الطرف الآخر ، ولـكنه لا ينفرد به بعد ما عقل عنه جنايته ، والسبب فى ذلك انه قبل عقل الجناية العقد تبرع بالنسبة له ، والمتبرع له الفسخ قبـل حصول المقصود بغير رضاء الطرف الآخر ، على عكس الحال إذا تحمل عنه جريرته ، فالعقد هنا يصير معاوضة ، ولا يحدث الفسخ فى المعاوضة من جانب واحد بل لابد من رضاء الطرفين . وثانيهما : أن الموجب ما دام يملك فسخ العقد قبل العقل ، فهو يملك التحول بولاية الى سواه ، وذلك بأن يتعاقد مع غيره معاقدة ولاء ، فينفسخ العقد عندئذ بينه وبين المتعاقد الأول بذلك العقد اللاحق ، أما إذا عقل الجناية ، فهو لا يملك مثل هذا التحول ، وثالثها : أن من لم يوال أحداً لا يستطيع أن يعقد عقد موالاة مع أحد ، فى حالة ما إذا جنى وعقل بيت المـال جنايته ، وذلك لان ولاءه صار لبيت المـال ، وتأكد هذا بعقل الجناية : فلا يستطاع من بعد إبطال هذا الولاء ، وهذا على خلاف الحال قبل عقل بيت المـال جناية الجانى ، إذ يستطيع عقد الولاء مع آخر باتفاقه معه ،

والثالث : أن مولى العتاقة مقدم فى [المذهب الحنفى] على ذوى الأرحام ، على حين أن مولى الموالاة مؤخر عنهم ، والسبب فى ذلك ثبوت العصوبة لمولى العتاقة بالشرع ، أما فى حالة ولاء الموالاة ، فالموت هو الذى أوجب صلة التوريث بالعقد ، وعلى هذا يكون بمنزلة الوصية بجميع المال ، وهى ممتنعة هنا لحق ذوى الارحام وحق العصبات ، وشأنها فى ذلك شأن الميراث ، وعلى هذا لا ينال مولى الموالاة شيئا إن كان ثمة أحد من ذوى الأرحام . انظر فى هذا : شمس الدين السرخسى ـ السالف ـ ج ٣ ص ٤٥ .

انتكاس الإنسانية والحضارة
بانتصار "شارل مارتل" على "عبد الرحمن الغافقي"

في معركة تور Tours يوم السبت ٨ شعبان سنة ١١٤ (أكتوبر ٧٣٢)

في افتتاحية هذا الجزء من (مجلة الأزهر) إشارة إلى قبس النور الذي سطع من فسطاط مصر فتبلج في آفاق الأندلس ، وكادت تستضيء به فرنسا وأوربا فتكون العربية لغة فرنسا الآن ، ويكون نظام الإسلام العادل الرحيم هو نظام الأوربيين والأمريكيين جميعا ، لولا خدعة من خدع (الأراجيف) صدرت عن جواسيس شارل مارتل فجازت على الأبطال المجاهدين تحت ألوية الأمير القائد المجاهد عبد الرحمن الغافقي ، فتغير بذلك اتجاه التاريخ ، وتحولت به زعامة التمدن من ذات اليمين إلى ذات الشمال ، فكان ذلك نكبة على الإنسانية والحضارة .

وقد شعرنا بعد مثول المقال الافتتاحي للطبع ، أن هذا الموقف يحتاج إلى بيان تكمل به الفائدة من تلك الإشارة الخاطفة ، فاخترنا نقل النصوص الأجنبية الآتية :

شهادة مسيو كلود فارير :

لما ترجم أحد أساتذة مدرسة اللغات الشرقية في باريس رواية (العباسة أخت الرشيد) لجرجي زيدان من العربية إلى الفرنسية طلب إلى أديب الفرنسية الأشهر مسيو (كلود فارير) أن يكتب لهذا الكتاب مقدمة . فلبى طلبه ، ومما جاء في تلك المقدمة ما يأتي :

« في سنة ٧٣٢ م (١١٤ هـ) حدثت فاجعة ربما كانت من أشأم الفجائع التي انقضت على الإنسانية في القرون الوسطى ، وكان منها أن غمرت العالم الغربي — مدة سبعة قرون أو ثمانية إن لم نقل أكثر — في طبقة عميقة من التوحش لم تبدأ بالتبدد إلا على عهد النهضة (رونسانس) وكاد عهد الإصلاح يعيدها إلى كثافتها . هذه (الفاجعة) هي التي أريد أن أمقت حتى ذكراها ، وأعني بها الانتصار البغيض الذي ظفر به على مقربة من بواتيه [1] أولئك البرابرة المحاربون من الافرنج بقيادة الكارولنجي شارل مارتل على كتائب العرب

---

(١) بقعة من الأرض الفرنسية قريبة من بلدة (تور) في مقاطعة شمبانيا .

المسلمين الذين لم يحسن عبد الرحمن الغافقي جمعهم على ما ينبغي من الكثرة فانهزموا راجعين أدراجهم .

في ذلك اليوم المشئوم تراجعت المدنية ثمانية قرون إلى الوراء . ويكفي المرء أن يطوف في حدائق الأندلس ، أو بين الآثار العربية التي لا تزال تأخذ بالأبصار بما يبدو من عواصم السحر والخيال (إشبيلية ، وغرناطة ، وقرطبة ، وطليطلة) ليشاهد — والألم الغريب آخذ منه — ما عساها أن تكون بلادنا الفرنسية لو أنقذها الإسلام العمراني الفلسفي السلمي المتسامح - لأن الإسلام بمجموعة كل هذا - نخلصها من الأهاويل التي لا أسماء لها . وكان من ذلك أن نتج خراب غاليا القديمة التي استعبدها أولا لصوص أوسترازيا ، ثم اقتطع جزءا منها قرصان النورمانديين ، ثم تجزأت وتمزقت وغرقت في دماء ودموع ، وفرغت من الرجال بما انبعث في أرجائها من الدعوة للحروب الصليبية ، ثم انتفخت بالأشلاء والجثث بما دهمها من الحروب الخارجية والأهلية الكثيرة العدد .

حدث ذلك في حين كان العالم الإسلامي - من نهر الوادي الكبير في أوربا إلى نهر السند في قلب آسيا - يزدهر كل الازدهار في ظل الإسلام ، تحت أعلام أربع دول سعيدة : الأموية ، فالعباسية ، والسلجوقية ، فالعثمانية .

ليس ما أكتبه فصلا من التاريخ الرسمي [1] ، بل هو التاريخ الحقيق الذي يتعلمه المرء بنفسه ، بما يجتازه من بحار ، ويقطعه من فياف وآفاق ، ويقلبه من خزائن الكتب الأجنبية . وليس هذا بعزيز على حياة سائح يريد أن يفضح - عقب رحلة له - ما كان يلمسه بأطراف بنانه من تلك الأكاذيب الكبرى السفيهة التي أراد معلمونا - ولا يزالون يريدون - وضعها أمام أعيننا كأنها حقيقة ، بل هي الحقيقة ... » .

إن هذه الشهادة من أديب فرنسا الأكبر مسيو كلود فارير للحضارة الإسلامية تنادي بأنه كان من الخير لفرنسا لو انتصر عبد الرحمن الغافقي على شارل مارتل ، ليكون نصيب

---

(١) وما أكذب التاريخ الرسمي ، لأن الأقوياء يملونه على المنافقين والمغرضين والكذبة بوسيلتي الترغيب والترهيب . ثم يحتاج الى تصحيح ، كما شعرنا الآن بالحاجة إلى تصحيح تاريخ الأسرة العلوية بمصر ، وكما يشعر علماء المسلمين بالحاجة إلى تصحيح تاريخ الصحابة والتابعين والتابعين لهم باحسان ، وكما يعلن كلود فارير حاجة أوربا إلى تصحيح تاريخها الرسمي الذي يتهكم به . [المجلة]

الفرنسيين فى لغتهم وثقافتهم كنصيب أهالى قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغرناطة ، يوم كان العرب المسلمون يقيمون فيهن معالم الحق والحضارة والحكمة والعمران .

شهادة هنرى دى شامبون :

وإليك شهادة ثانية من فرنسى آخر هو المسيو هنرى دى شامبون مدير مجلة (ريفو بارلمنتير) قال :

« لولا انتصار جيش (شارل مارتل) الهمجى على تقدم العرب فى فرنسا لما وقعت فرنسا فى ظلمات القرون الوسطى ، ولما أصيبت بفظائعها ، ولما كابدت المذابح الاهلية الناشئة عن التعصب الدينى والمذهبى . ولولا ذلك الانتصار البربرى على العرب لنجت إسبانيا من وصمة محاكم التفتيش ، ولولا ذلك لما تأخر سير المدنية ثمانية قرون .

إننا مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا : فى العلم ، والفن ، والصناعة . مع أننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على تلك الشعوب العريقة فى الفضائل . وحسبها أنها مثال الكمال البشرى مدة ثمانية قرون ، بينما كنا يومئذ مثال الهمجية . وإنه لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف ، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى » .

وصف تاريخى للمعركة :

وكأنى بك بعد هذا وذاك تريد أن تعرف شيئاً عن تلك المعركة التى تغير بها سير التاريخ ، وتسألنى : وكيف كان ذلك ؟ فأحيلك — فى تفصيل ما سألت — على الأستاذ حنا خباز من أدباء الشام ومؤرخيها ، قال :

« نشأت الدعوة الإسلامية فى مكة المكرمة بالحجاز ، وأتمت إخضاع العرب فى حياة منشئها العظيم ، ومن ثم شرعت فى نشر سطوتها فى العالم .

وليس فى تاريخ العالم أغرب من سرعة انتشار الدعوة الإسلامية فى سنين قلائل : فى سوريا ، والعراق ، وكردستان ، وأرمينيا ، وقوقاسيا ، والعجم ، والتتار ، ومصر ، وطرابلس الغرب ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش . ولم تقف عند هذا الحد ، بل تخطته إلى ما هو أبعد مكاناً وأعظم مغزى : فهاجمت أوربا أولا من ناحية قسطنطينية ، وإذ امتنعت

عليها دارت بها من ناحية إسبانيا ، ودخلتها عن طريق جبل طارق ، وساعدتها الأقدار على استعمار إسبانيا وسمتها الأندلس » .

ولست أرمى هنا إلى شرح تاريخ الدعوة الإسلامية فى الأندلس ، ولا إلى إيراد فتوحاتها المجيدة فى بلاد الفندال والفزيغوت ، بل أقول : إنها امتدت شمالا إلى جبال بيرنيه وعبرتها إلى فرنسا . وشنت الغارة على فرنسا بقيادة (عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى) سنة ١١٤ ﻫ (٧٣٢ م) ، وكان هذا قائداً خبيراً بفنون القتال ، دمث الأخلاق ، محبوباً من جميع جنوده . فاجتاح (غسقونيا) وكل (وادى غارون) ، وقهر الكونت (إيدو) وهزمه ، وكانت على نهر غارون مذبحة هائلة نشرت الرعب فى قلوب جميع سكان أوربا . ثم تقدم عبد الرحمن بجيشه اللجب إلى (وادى اللوار) ولم يقف فى سبيله حاجز حتى وصل نواحى مدينة (تور) وهو يفتتح ويغنم ويحرق .

(ميدان المعركة) : فى رحاب شمبانيا الشاسعة — بين بواتيه وتور — المؤلفة من مروج خصبة وافرة المرعى غنية الحاصلات ، تنساب فيها جداول الشار والكروز والفيان والسكلاين والأندر ، وكل هذه الجداول فروع من نهر لوار العظيم . وترقط تلك الرحاب هضبات وأنشاز امتازت بنضارتها وجناتها ، تخترق بعض أقسامها حراج وغابات تفصل بين مروجها الخضراء ، فهى جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وتغرد على ميلاء أفنانها صادحات الأطيار ، ويهب فى غاباتها النسيم عليلا ، وينساب لجين مائها على در حصبائها فراتا سلسبيلا .

وقد ازدان تاريخ تلك الرحاب - أو تشوه - بأخبار معارك عديدة شبت فيها فى مختلف الأزمان ، بين الغزاة الفاتحين والوطنيين المدافعين فى مختلف الأمم والأحوال . وأهم ما سطر فى صفحات تاريخها أخبار المعركة الفاصلة بين (شارل مارتل) و (عبد الرحمن الغافقى) أو بين العرب والجرمانيين ، بل بين الساميين والآريين ، بين آسيا وأوربا ، بين الشرق والغـــرب .

هنا لك كانت نقطة التحول والانقلاب فى مجار كثيرة هى : الفتح العربى ، الامتداد الإسلامى ، الطموح الشرقى ، النهضة الآسيوية . ومن ثم نكصت هذه المجارى راجعة من جوار باريس إلى ماوراء جبال بيرنيه ، ثم برحت أوربا إلى العالم القديم ، فساد أوربا التمدن المسيحى والأمم الجرمانية .

(جيوش المعركة) : نشر الإسلام رواقه على شمال إفريقية وغربى آسيا . وتعمق فى هذه إلى ما وراء دجلة ، فاكتسح بلاد الفرس والتتار وما فيها من جبال ووهاد ، وأغوار وأنجاد ، وبحيرات وأنهار ، ومدائن وأمصار ، وأمم وأسباط ، فكان (جيش عبد الرحمن الغافقى) خليطا من كل تلك الأمم من بدو وحضر وعرب وبربر ، وفيه من الفزيغوت والفندال من شعوب إسبانيا والبرتغال . واختلف المؤرخون فى عدده بين ٨٠ ألفا و ٧٠٠ ألف [1] . وأثبت أحد مؤرخى الأجيال الوسطى خسارة العرب فى معركة تور ٣٥٠ ألفا . ولا سبيل لنا إلى تحقيق ذلك ، والأرجح أن فيه مبالغة كبيرة . على أنا إذا فحصنا الأمور بنور الحقائق تجلت لنا القواعد التى تؤيد أهمية المعركة ووفرة جنودها . قال أحد مؤرخى الأديار : « حل الإسلام إسبانيا بخيله ورجله ، وجاءها المسلمون بأبنائهم وأزواجهم ، وشكلوا الممالك ، ونشروا التمدن العربى والفنون الشرقية ، وحشدوا جيوشهم فى تلك الأصقاع ، وجمعوا أسلحتهم وذخائرهم ، وعبروا بكل هذه الأشياء إلى فرنسا ، فاكتظت بها الأقدام ، وغمرتها الجحافل والأعلام » .

أما (جيش شارل مارتل) فكان فيه الجرمانيون ولا سيما التيوتون الذين سكنوا غرب نهر الرين ونبذوا عنهم عيشة البداوة الخشنة واعتنق بعضهم النصرانية ، ولكن أكثرهم ما زال إلى ذلك الحين على الجاهلية . وكان زعماؤهم فى نزاع مستديم على التفوق . وأخيراً قبض كلوفيس على أزمة الأمور سنة ٥٨٩ ، وهذا أساس الدولة الفرنسية ، ومن ذريته (شارل مارتل) بطل معركة تور ، وهو دوق الفرنج الأوستراسيين ، وهم أشجع الجرمانيين . وكانت تحت لوائه جموع كثيرة من الغاليين والنورمنديين والسكسونيين والثورنجيين والغيرسانيين والبافاريين والإيطاليين والأوستروغوثيين .

(أوصاف المعركة) : كتب العرب تاريخ هذه المعركة ، وترجم ذلك إلى اللغة الإسبانية الدون خوسيه أنطونيو كوندو فى (تاريخ الممالك العربية فى إسبانيا) وقد طبع هذا الكتاب فى مدريد سنة ١٨٢٠ وعنه أخذ المؤلف الإنجليزى إدورد كريسى سنة ١٨٥١ فى كتابه (١٥ معركة فاصلة) وهذه ترجمته :

---

[١] ويتمنى مسيو كاود فارير لو أن الجيش العربى كان أكبر من ذلك ليتم له سحق جيش شارل مارتل ويستولى على فرنسا لتأخذ بثقافة العرب وحضارتهم وأدبهم ويكون لها مالهم وعليها ما عليهم .

« ... فجمع الكونت جموعه ، وحارب وهو على غير يقين بالفوز . فساقهم عبد الرحمن أمامه ، وطاردهم جنوده بما فى نفوسهم من الحماسة الناشئة عن انتصاراتهم الماضية وثقتهم التامة بالفوز . فضرب المسلمون أعداءهم ضربات حاطمة ، واجتازوا نهر غارون فدمروا البلاد ، وأخذوا الأسرى بدون عدد ولا إحصاء ، وسارت جيوش عبد الرحمن فى عرض البلاد الفرنسية سير العواصف الكاسحة لا تبقى ولا تذر . وتمادت الجيوش الإسلامية فى الرخاء والغنائم ، ودفع عبدُ الرحمن الكونتَ عن ضفاف النهر فارتد إلى حصونه ، فحاربه المسلمون وقهروه وانتزعوا منه حصونه وذبحوه بحد السيف وفازوا بخطف الأرواح . فارتاعت قبائل الإفرنج من هول الجيوش العربية وارتجفوا ، وذهبوا إلى ملكهم (كالدوس) وقصوا عليه الروع الذى ألقاه فرسان المسلمين فى نفوسهم ، وأنهم اجتاحوا بلاد نريون وتولوز وبوردو وأصبحوا أحرارا فى البلاد ، وأخبروه بموت الكونت قائدهم ، فطيب كالدوس قلوبهم ووعدهم بالنجدة .

وامتطى كالدوس صهوة جواده سنة ٧٣٢ م (سنة ١١٤ هـ) وقاد جيشاً لا يحصى عددا ونزلوا لقتال المسلمين ، فأدركهم فى نواحى مدينة تور العظيمة . ورأى عبد الرحمن وغيره من الزعماء انتقاض حبل النظام بين الجنود الإسلامية لاشتغالهم بالغنائم والأسلاب ، ولم يتجاسروا أن يغيظوهم بشىء . ووثق عبد الرحمن ببسالة جنوده ، وبيمن الطالع الذى رافقه . ولكن انحطاط الروح الحربية فى الجيش هو على الدوام آفة الآفات ، فهاجم عبد الرحمن وجيوشه مدينة تور ليغنموا الغنائم وحاربوها ببسالة قبلما أدركتها النجدة ، وكان صياح المجاهدين المسلمين كهياج النمور لدى فرائسها . ولكن الله أهملهم لتوغلهم فى الملاذ والأطماع الدنيوية ، فالتقى الجيشان قرب نهر (لوار) وهما مختلفان فى اللغة والدين والصفة المدنية (وكان ذلك يوم الجمعة ٧ شعبان سنة ١١٤ - ٢ أكتوبر سنة ٧٣٢) . وبدأ عبد الرحمن وجنوده الحرب بقلوب ملؤها الغضب والكبر ، وهجمت فرسان المسلمين على صفوف الفرنج فثبت هؤلاء لهم ثبات الأبطال ، وتكدست جثث القتلى إلى الجانبين ، وظلوا فى كر وفر إلى غروب الشمس ، وفصل ظلام الليل بين الجيشين .

واستأنف المسلمون القتال عند ضوء الفجر ، واخترق فرسانهم طريقاً إلى قلب الجبهة النصرانية ، ولكن قلوب كثيرين من المسلمين كانت مشغولة بالغنائم التى جمعوها فى خيامهم .

وذاع فى صفوفهم نداء كاذب : إن الأعداء بغتوا المحلة (أى ساحة خيام المعسكر) ونهبوها . فبادر بعض فرسانهم للدفاع عنها وطرد الأعداء ، فظن إخوانهم أنهم انهزموا من الميدان ، فاضطربت جيوش المسلمين . وفيما كان عبد الرحمن يهدئهم ويسكن روعهم ليردهم إلى الميدان ، أحاط به محاربو الفرنج واخترقت صدره حرابهم فخر صريعاً ، فهرب جنوده أمام الأعداء ومات منهم خلق كثير » .

ويقول المؤلف الإنجليزى كريسى (تعليقا على ما نقله دون خوسيه انطونيو كوندو الإسبانى عن مؤرخى العرب) : وندر أن نجد إنصافا كهذا فى تاريخ الحروب القديمة ، وصراحة كالصراحة التى يصف بها العرب انكسارهم فى تور [1] . ولكن مؤرخى النصارى يخالفونهم فى بعض التفاصيل ، ولا خلاف بين الفريقين فى نتيجة المعركة ، وهى انسحاب العرب من فرنسا إلى ما وراء جبال بيرنه ، فانفرد شارل مارتل ثم ابنه فحفيده شارلمان بالحكم فى فرنسا ، وهم ملوك الدولة الماروفنجية الشهيرة ، فتأسست على أنقاض معركة تور (الإمبراطورية الرومانية الغربية) ، وتوج البابا شارلمان إمبراطوراً على فرنسا وألمانيا وإيطاليا سنة ٨٠٠ (١٨٤ هـ فى زمن أمير المؤمنين هارون) وبذلك بدأ التمدن المسيحى .

(آراء كتاب أوربا فى معركة تور) :

من غرائب الأمور أن المعركة التى احتدم أوارها تحت سماء فرنسا قلما أعارها قدماء الكتاب الفرنسيين حقها من الاعتبار ، ولكن ما فاتهم لم يفت كتاب الإنجليز والألمان والعرب ، فوفوها حقها من الأهمية ، وكشف بعضهم صفاتها الفلسفية والاجتماعية . وإنى أورد هنا أقوال بعضهم على مسئولية كتابها :

١ — قال (جبون) المؤرخ الانجليزى الشهير : « إنها المعركة التى بها نجا آباؤنا البريطانيون وجيراننا الغاليون (أى الفرنسيون) من أبناء العرب والإسلام » . وقال

---

[١] المجلة ـ ونحن لا نرى أنه كان انكسارا ، فالافرنج خرجوا من المعركة خائرى القوى وعاجزين عن تعقب المجاهدين المسلمين ، وقد جاء ذلك عقب يأسهم من النجاة لولا تلك الخدعة التى صرفت فرسان العرب إلى خيامهم للمحافظة على ما فيها ، واعتقاد بعض الكتائب أن الذين انصرفوا للمحافظة على المعسكر قد انهزموا . أضف إلى ذلك وقوع البطل الأعظم الأمير عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى شهيدا فى ساحة الجهاد

فى المجلد الثانى من تاريخه ص ٧ : « لو لم يصد ذلك الهجوم لـكانت العربية تدرس اليوم فى جامعات انجلترا وألمـانيا [١] » .

٢ — وقال (شليفل) فى (تاريخ الفاسفة) ص ٣٢١ : « ذلك النصر العظيم الذى أحرزه شارل مارتل ، وبه نجا التمدن المسيحى فى غربى أوربا » .

٣ — وقال (ف . ل. برانك) فى (تاريخ جرمانيا) المجلد الاول ص ٥ : « إن حادثة القرن الثامن هى من أهم حوادث التاريخ كافة ، وبهـا وقفت الدعوة الإسلامية فى جانب والمسيحية فى جانب ، وكانت غاليا (أى فرنسا) وإيطاليا بين نارين : العرب من الجنوب والجرمانيون الوثنيون من الشمال الشرقى . وقد قيض الفوز للتمدن المسيحى بيد الفتى الجرمانى الأصيل (شارل مارتل) الذى قاد البلاد إلى طريق النجاة » .

٤ — وقال (أرنولد) فى (تاريخ الإمبراطورية الرومانية) المجلدالثانى ص٣١٧ : « إن فوز شارل مارتل أعظم كثيراً من فوز أرميفيوس ، وكانت له نتائج أرسخ فى حياة الجنس البشرى » .

٥ — وقال (درابر) : « قد وصل طرف الهلال العربى الواحد إلى البوسفور ، ووصل طرفه الثانى الى إسبانيا ، وامتد إلى فرنسا ، وكان يهدد أوربا ببلوغ البدر التمام فيمحو التمدن اللاتينى العتيد من الوجود ويغمر أوربا » .

٦ — وقال (إدوردكريسى) : « كلماتذوقنا أهمية معركة تور زاد تقديرنا لاهميتها ، وبها نرى أنقاض الإمبراطورية الرومانية تتنازعها قوتان هما القبائل الجرمانية والجيوش العربية ، وكانت هاتان القوتان تتنازعان تراث أعظم إمبراطورية ظهرت فى التاريخ . وأخيراً اشتبكت القوتان فى تور . وقد وصف المؤرخ (جبون) الإنجليزى المعركة كوصف (هوميروس) معارك طروادة » .

كلمة شاعر مسيحى :

وأخيرا بعد هذه الإلمـامة بتاريخ الوقعة كما دونها الأستاذ حنا خباز ، نورد القطعة الشعرية التالية بقلم شاعر من أبلغ مسيحيي لبنان وهو الأستاذ شبلى ملاط ، لمـا فيها من الروح العربية العالية ، قال :

---

[١] المجلة ـ العربية تدرس اليوم فى جامعات انجلترا وألمـانيا » ولم يرد (جبون) مجرد تدريسها ، وإنما أراد أن العربية كانت تـكون لغة التدريس فى جامعات أوربا ، ولغة الحديث والتأليف والنشر فى أوربا كلها ، لو أن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى بقى يومئذ حيا إلى أن يكسب المعركة ويبسط نفوذ العقل العربى على أوربا .

من للزمان بمثل فضل محمد — وعدالة كعدالة الخطاب
رفع الرسول عماد أمة يعرب — وأعزها بالآل والأصحاب
غشت الفتوح وصفقت راياتها — فى الشرق فوق أباطح وهضاب
وتغلغلت فى الغرب طائرة على — أكتاف صقر جارح وعقاب
لولا تجلد شرل مرتل خيمت — فى قلبــه بسرادق وقباب
ولكان صار الغرب أندلساً به — شوقى يقول سواحراً وسوابى
حى الجزيرة فى مسارحها وما — فى الريف من رى ومن إخصاب
واسمع فديتك نبرة مضرية — عربية فى منطق خـــلاب
واستنشد القرآن قوماً جودوا — منه بآى فى النفوس عذاب
واقرأ به فصحى اللغات مدلة — فى المشرقين بجوهر الأحساب
أخذت قريش بجزلها وبكت بها — غرناطة فى رقة وعتاب
لولا يد الإسلام لم تسلم بما — فيها من الأخلاق والآداب
ولو ارعوى من صد عنها زاهداً — متعللا بعناكب الأسباب
من لم يصن لغة الجدود فليس من — قومية تنميه فى الأنساب

كلمة الفيلسوف نيتشه :

ونختم هذا الفصل بكلمة إن لم يرد فيها ذكر معركة عبد الرحمن الغافقى وشارتل مارتل فقد ورد فيها ذكر الصدام الذى وقع بين حضارة الإسلام العربية الرحيمة ، وحضارة الغرب المادية القائمة على الجشع المنظم ، والختل المسلح بالجهل ثم بالعلم والثقافة الواسعة . وهذه الكلمة مما عربه الأستاذ سلامة موسى من كلام الفيلسوف الأشهر (نيتشه) ، وذلك فى العدد ٣ من مجلة (المستقبل) لسنتها الأولى الصادر فى ٢٤ مايو سنة ١٩١٤ . قال الفيلسوف :

« لقد حرمتنا المسيحية من ميراث العبقرية القديمة ، ثم حرمتنا بعد ذلك من الإسلام . لقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة ، مدنية الأندلس المغربية . ولماذا ؟ لأنها نشأت من أصول رفيعة ، ومن غرائز شريفة . نعم من غرائز رجال . إن تلك المدنية الإسلامية لم تنكر الحياة ، بل أجابتها بالإيجاب ، وفتحت لها صدرها . ولقد قاتل الصليبيون تلك المدنية بعد ذلك ، وكان أولى بهم أن يسجدوا لها على التراب ويعبدوها . وما مدنيتنا فى هذا القرن التاسع عشر إلا فقيرة وانية بجانب مدنية الإسلام فى ذلك الوقت » .

طغيان الاستعمار وخطر الشيوعية

ما نأخذ من نظم الغرب وما ندع

قالت جريدة القاهرة :

استقبل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر صحفياً ألمانياً يمثل صحفاً ثمانيا ، وهو اتو بونجراتش الذى قدم إلى مصر وسيسافر إلى سوريا ليوافى صحفه بمشاهداته فى الأقطار الإسلامية .

وقد سأل الصحفى فضيلته عن رحلته فى ألمانيا فقال فضيلته : كانت هذه الرحلة فى أيام الحرب الكبرى ، وكنت مع الأسرى الإفريقيين أتردد عليهم وأعود إلى برلين . وقد زرت ألمانيا مرتين : أولاهما استغرقت تسعة أشهر ، والثانية سبعة أشهر .

ثم سأل الصحفى الأستاذ الأكبر عن أهم مشكلة فى نظر المسلمين .

فقال فضيلته : إننا نعمل على التخلص من طغيان الاستعمار على حقوق الأوطان الإسلامية والعربية .

وسأل : إذا كانت روسيا من الدول الاستعمارية فما هو خطرها على العالم الإسلامى ؟

فأجاب فضيلته : إن الشيوعية نظام يخالف الإسلام ، والمبادىء الشيوعية يقف الإسلام فى وجهها ، ولن تروج عندنا ، وللأزهر وعاظه فى أنحاء القطر ومهمتهم نشر الفضائل الإسلامية ومقاومة التطرف فى أى صورة من صوره ، ولن تروج الشيوعية إلا عند أفراد لا يتخذون منها مذهباً أو عقيدة ، وإنما يجعلونها مغنما مالياً .

وسأل الصحفى الألمانى عن رأى الإسلام والمسلمين فى طرق الحياة الغربية عامة . فأجاب شيخ الأزهر : فى نظم الغرب ما يوافق الإسلام . وهنالك نظم وتقاليد يجرى عليها الغرب لا يقرها الإسلام . والذى يدعو إلى تقليد الغرب فى كل شىء مغالط .

ونحن نخالف هؤلاء الدعاة فيما يخالف تقاليدنا الإسلامية ، مثل إعطاء المرأة الحرية المطلقة .

قال الصحفى : هل تقصد فضيلتكم أن تبقى المرأة على النظام القديم ؟ فأجاب : أعنى أنها لا تختلط بالرجال الأجانب عنها .

وسأل الصحفى الألمانى : هل على المرأة أن تطيع زوجها ؟

فأجاب : عليها الطاعة فيما هو الحق والمصلحة . وقص فضيلته معنى ما روى عن عمر ابن الخطاب : كنا مُعاشر قريش نغلب نساءنا ، فجئنا الأنصار وهم قوم تغلبهم نساؤهم ، فأخذ نساؤنا بأدب الأنصار . وكلمت زوجتى فراجعتنى فى القول فأنكرت عليها ، فقالت : نساء النبى يراجعنه فى القول .

فنحن نريد زوجة تطيع فيما هو حق ، ولها أن تراجع زوجها متى كان الحق فى جانبها .

فلما قال الصحفى : ومن يحكم بين الزوجين فى الخلاف ؟

أجابه الأستاذ الأكبر : المدار على خلق الزوج . وإذا كان الخلاف كبيراً فالمرجع إلى القاضى ، مثل الخلافات المالية إذا عجز الأهل والأقارب عن حلها .

وهل يبيح الإسلام أن تشكو المرأة زوجها ؟

نعم ، لها أن تذهب إلى القاضى .

وانتقل الصحفى إلى أنه كان مع درية شفيق ، وأنها تحتج على رأى الأستاذ الأكبر بالنسبة لتعدد الزوجات .

وهنا ابتسم فضيلة الأستاذ الأكبر وقال : تحتج على رأى الإسلام ؟ . . . و . . الإسلام أباح تعدد الزوجات ، وليس للزوج أن يتعدى ما حددته الشريعة .

لقد اشترطت الشريعة العدل والإنفاق ورخصت للقادر أن يتزوج من أربع ، وإذا خشى عدم القدرة على الإنفاق كان عليه أن يقتصر على زوجة واحدة ، والحكمة فى تعدد الزوجات ظاهرة ، لأن الزوجة قد تكون مريضة وقد تكون عقيما ، والزوج يريد إنجاب الأولاد .

وكثيراً ما ترضى الزوجة أن تظل مع زوجها وتسمح له بالزواج من غيرها .

والرجل ممنوع شرعا من مباشرة غير زوجته ، فإذا لم يبح الإسلام له الزواج ربما ضاعت عفته .

ولما قال الصحفى : إن التعدد يشاهد كثيراً بين أفراد الطبقة الفقيرة ؟

أجاب الأستاذ الأكبر بأن الإسلام اشترط العدل فى الإنفاق والمبيت . . . (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) - والعرب كانوا يكثرون من الزوجات ، فحارب الإسلام هذا الإكثار ونظمه وحدده .

واستفسر الصحفى عن معنى (الرجال قوامون على النساء) - وهل يدل ذلك على أن طبقات الرجال أعلى من طبقات النساء ؟

فقال فضيلة الشيخ . إن عقول الرجال أوسع من عقول النساء ، وفى النساء من هن أرجح عقلا . والقوامة للرجال من جهة المال والإنفاق على النساء ، والزوجة ذات المال غير مسئولة عن نفقتها ولا نفقة أولادها إلا إذا تبرعت بمساعدة الزوج أو الأولاد .

ومهمتها فى البيت مهمة عظيمة ، والإسلام لا يمنعها من التعلم والتثقيف ، على أن تباعد بينها وبين الاختلاط بالرجال الأجانب عنها .

والإسلام يرعى صالح المرأة ويحرص على كيان الأسرة لإنشاء المجتمع القوى فى الحياة .

استفتاء لغوى

لفضيلة الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب أدام الله نفعه ، وأطال عمره

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد - فإننى ممن يتابع قراءة مجلة الأزهر القيمة ، ولى شغف بتلك اللغويات التى يحبرها قلم الأستاذ المدقق محمد على النجار .

وقد أشكلت على كلمة أجدها كثيراً فى الصحف ، وأسمعها فى الإذاعة ، ولم أجدها فى القاموس المحيط ، ولا فى الأساس ، ولا فى مختار الصحاح . مما بين يدى من كتب اللغة ، وهى كلمة « بَعثة » يقولون ذهبت بعثة مصرية إلى إيطاليا ، وجاءت « بعثات » أوربية فيجمعونها على « بعثات » ويريدون بها الجماعة المبعوثة ، والذى فهمته من كتب اللغة أن الجماعة المبعوثة يقال لها : « بعث » والجمع « بعوث » ، و « البعثة » للمرة ، يقال بعثته بعثة أى مرة ، فهل هـذا التعبير الشائع صحيح ؟ هذا ما أردت السؤال عنه ، وأرجو من الأستاذ النجار التفضل بالجواب على صفحات المجلة المحبوبة ، وله منى الشكر ، ولكم مزيد التحية والاحترام .

دمشق ١٩ ربيع الاول سنة ١٣٧٣ أحمد نصيب المحاميد

جدد نفسك

جددتُ بالأمس نفسى، وهى صافيةٌ   وعدتُ أوقظ فى دنياىَ أحلامِى
ألمنى الشعرَ، فاهتزت خمائلُه   وفاضَ فى موكب الأطيارِ إلهامِى
والشعرُ يوقظ أقواماً ويبعثهم   فكمْ بعثتُ بهِ فى الشرق أقوامِى

* * *

مشت علىّ (الفتح) أحداثٌ مؤرّقةٌ   وكنتُ أودعته سرّى وآلامى
وعشت يغمرنى نورٌ، ويرفعنى   (أبو قصى) ... فكانتْ خير أيامِى
إنا التقينا، وفى اللقيا لنا عبرٌ   فانسابَ شعرى، وغنّى فى الربا جامى
تلك «المحاريب» هزتها سواجعها   فالروضُ ما بين مياسٍ وبسّام
وفى رحاب الهدى جددت بيعتنا   وصافح الليلَ ... هذا الشاعرُ الظامى

* * *

دعائم الحق أرساها عباقرةٌ   وطهروا الروض من رجسٍ وآثام
فموكب النيل يحدوه ملائكةٌ   والقوم ما بين أطهارٍ وأعلامِ
جدد النفس: وابلغ ما تشاء بنا   من المكارم ... قد جددْت أنغامى

الزقازيق   صابر على رمضان الجوشنى

المعاهدات فى الدول الاسلامية

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

كتب مندوب « الأهرام » يقول :

آثر الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يستريح طيلة يوم أول أمس فى منزله ، وقد رأيت أن أقضى فى صحبته بعض الوقت ، وطاب له أن يطرق مع زائريه مختلف الأحاديث فى عديد من الشئون العامة الهامة . وقد رأيت أن أنتهز هذه الفرصة الطيبة لأقف على رأى الإسلام حيال « المعاهدات » الدولية التى يبرمها الأقوياء مع الضعفاء ، وحيال المعاملة التى يصح أن يعامل بها المسلمون ضيوفهم من « الأجانب » الذين يقيمون بين ظهرانينا ، وقد تفضل فضيلته فاستهل حديثه بقوله :

العهود بين الدول :

لا شك أن العهود بين الدول فى أزمان السلم والحرب هى مناط الثقة فى الحضارة الإنسانية ، وعليها يتوقف الأمن الدولى العام ، والاستقرار الاقتصادى، إذا قامت على أسس من العدل والإخلاص فى الوفاء .

الدس الخفى :

غير أن مما لا ينكره أحد أن أكبر العقول فى كل دولة تتجه عند تدوين المعاهدات إلى الدس الخفى . ليكون حجة فى التأويل عند الحاجة إلى ادعاء ما لم يكن واضحا منه فى وقت التدوين . وإذا كانت المعاهدات والعقود الدولية بين قوى وضعيف ، أو بين غالب ومن قضت عليه الظروف أن يكون مغلوبا ، فقد لا يبالى القوى بأن يتحمل عناء التأويل . وإن الإنسانية لا تنسى فى الحربين العالميتين تسمية الأقوياء للمعاهدات . بأنها « قصاصات ورق » ونستطيع أن نضرب الأمثال على هذا النوع من المعاهدات . وفى طليعتها صك الانتداب على فلسطين الذى تعهد فيه أصحابه تعهدا رسميا صريحا بعدم المساس بحقوق العرب ، وقد رأيت ما انتهى إليه ذلك الصك من الظلم الصارخ على أصحاب البلاد الذين سلبت منهم أوطانهم وأملاكهم وحقوقهم سلبا وقذف بهم فى العراء تحت الأمطار والعواصف .

المعاهدة الملغاة :

بل إن معاهدة سنة ١٩٣٦ التى فرضت على مصر تحت ضغط قوات الاحتلال منصوص فيها على أنه لا يسمح للإنجليز بأن يكون لهم فى منطقة القنال إلا عشرة آلاف جندى. وخلافاً لذلك التعهد ضاعفوا عدد تلك القوة إلى ثمانية أضعاف ما تعهدوا به ووقعوا عليه.

المثل العليا :

واستطرد فضيلته فقال :

إن المعانى الإنسانية العليا ، ومدلولات الحق والعدل ، هى آخر ما يخطر على البال عند الدول الحديثة عند ما يجلسون إلى الموائد الخضراء ليكتبوا صيغ المعاهدات ونصوصها أما الإسلام فقد كان فى نصوصه وتطبيقها العملى دلائل قائمة على أن المعانى الإنسانية لها شأن كبير فى العهود التى يعقدها المسلمون مع غيرهم فى حالتى السلم والحرب. وأظهر ما تمتاز به هذه العهود إذا صدرت عن المسلمين أن تكون صريحة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام. وكثيراً ما يراعى فيها المقابلة بالمثل بصرف النظر عن قوة أحد الطرفين وضعف الطرف الآخر.

الوفاء بالعهد :

ويرى فقهاء المسلمين أن المسلم إذا كان أسيرا فى يد العدو وأطلقوه بشرط أن يبعث إليهم مالا ، وإن عجز عن إحضار المال عاد إليهم ، لزمه الوفاء لهم عملا بقول الله عز وجل « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » ، وقول نبيه ﷺ : « المسلمون على شروطهم » .

وفى منح الأمان للعدو من المعانى الإنسانية فى الشرع الإسلامى ما لا يوجد فى أى تشريع آخر قديم أو حديث . ومن المعقول أن يمنح الحاكم الأعلى أمانا للأعداء جميعا ، ومن المعقول أيضا أن يمنح قائد جيش أمانا للجيش المقابل له ، ولكن مما لا يعرف إلا فى التشريع الإسلامى أن يصدر عن جندى عادى فى جيش إسلامى لجندى من جنود العدو . أو لبضعة جنود ، أو لقافلة كاملة ، ثم يصبح الجيش الإسلامى كله ملزما بقبول هذا الأمان والعمل به . إن هذا لا يعرف فى تاريخ الأمم إلا عند المسلمين وفى تشريعهم ، وإلى هذا يشير الحديث النبوى « ويسعى بذمتهم أدناهم » ، وقد أمضى النبى ﷺ تأمين أم هانىء بنت أبى طالب لرجل من الأعداء وقال لها النبى ﷺ : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » وهذا الخبر فى صحيح البخارى .

ومن عجائب التشريع الإسلامى والمعانى الإنسانية العليا التى يرمى إليها أن الجيش الإسلامى إذا كان محاصرا لحصن أو بلد ، وتقدم له من الحصن أو البلد من يتطوع بفتح الحصن فى مقابل إعطائه الأمان ، ثم بعد فتح الحصن اشتبه أمره واختلط بغيره ، كان على الجيش الإسلامى أن يمتنع عن قتل الجميع والتعرض لحريتهم . لأن القاعدة الشرعية أن المباح إذا اشتبه بالمحرم وجب تغليب التحريم ، وفى الحالات التى يترتب فيها على ذلك ضرر حربى عام يؤخذ من أهل الحصن أى واحد بالقرعة ويعطى الأمان الذى كان موعودا به ذلك الشخص المتطوع بفتح الحصن . وفى كل الأحوال ينبغى للمسلمين إذا وعدوا بوعد أن يفوا بوعدهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

وفى مذهب المالكية أن الوعد إذا كان مسبباً ووقع السبب وجب الوفاء به . أما إذا لم يكن مسببا فالوفاء به من مكارم الأخلاق .

وإذا تبينت للجيش الإسلامى قرائن واضحة على أن العدو المعاهد يريد خيانة العهد ، فلا يجوز للمسلمين المبادرة إلى نقض العهد السابق بينه وبينهم اعتماداً على تلك القرائن مهما كانت قوية بل ينبذون إليهم عهدهم علانية ، وهذا منتهى النبل فى آداب الحرب بين الأمم .

ما يجب على المسلمين نحو الأجانب :

إن المخالفين للمسلمين ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : محاربين ، ومعاهدين ، وذميين . فالمحاربون هم الذين حدثناك ببعض أحكام الإسلام المتعلقة بهم . والمعاهدون تقوم عهودنا معهم على أنبل الأسس الإنسانية ، وأقلها مراعاة قاعدة المعاملة بالمثل . والذميون ضمن لهم الإسلام أنفسهم وأموالهم وأعراضهم . وواجب على الحكومة الإسلامية حفظهم ، ومنع الغير من أذاهم . واستنقاذ من أسر منهم . والبلاد التى فتحها المسلمون فى زمن الصحابة كان فى إمكان الفاتحين أن يلغوا الأنظمة الدينية التى وجدوها فى البلاد ، ولكنهم لم يتعرضوا لها وأقروا رؤساء الأديان على ما كانوا عليه ، بل أحسنوا معاملتهم أكثر مما كان يعاملهم به الحكام السابقون الذين كانوا من أهل دينهم ، وأباحوا من الشعائر والطقوس والأحكام مالا تبيحه الدول الأخرى غير الإسلامية حتى فى زماننا هذا . والمنصفون من المؤرخين وغيرهم يعترفون بهذه الحقائق ، ولا سيما عند المقارنة بين الأنظمة والتشريعات . وكلما كان المواطنون ـ على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ـ أكثر إخلاصاً لأوطانهم ومواطنيهم كانت السعادة أشمل لهم جميعاً وعاشوا مع مواطنيهم فى تعاون وتراحم وتبادل للحقوق على أحسن الوجوه وأسعدها .

وإلى هنا رأيت أن الشيخ الأكبر قد أوفى على الغاية فى وضوح ، فاستأذنت فضيلته فى نشر هذه الآراء الطيبة فأذن مشكوراً مقدوراً .

الترجمة العربية لكتاب إيساغوجي

إيساغوجي
لفرفريوس الصوري ، نقل أبي عثمان الدمشقي
للدكتور أحمد فؤاد الأهواني
أستاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول
القاهرة ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م

نشر هذا الكتاب الزميل المحترم ، وأراد من نشره له أن يكون عوناً على فهم كلام ابن سينا فى مدخله فى أول كتاب الشفاء ، لأن ابن سينا ، كما يقول : « لا ينفك يرجع إلى صاحب إيساغوجى ، آخذاً عنه تارة ، ناقداً إياه تارة أخرى ، قادحاً فيه وذاماً تارة ثالثة » وقد قدم الناشر لكتابه بمقدمة ضافية عن حياة فرفوريوس وفلسفته لا نريد أن نتعرض لها لأن الذى يهمنا هو نص إيساغوجى كما نشره الناشر ، وذلك لإبداء ما لنا من ملاحظات على ضبط النص ولا سيما أنه نص هام ، فهو كما يقول الناشر ، قد قصد به أن يكون معيناً على فهم كتاب المقولات لأرسطو ومدخلا له ، ولذلك كان ضبط النص المنشور لا يقل أهمية عن الغرض من نشره ، ومن جهة أخرى نريد من نقدنا هذا أن نصحح عمل الأستاذ الزميل تحقيقاً للفائدة الكاملة من كل بحث يوضع فى متناول المثقفين .

وقد اعتمد الزميل فى نشرته على صورة شمسية مأخوذة عن النسخة الوحيدة العربية لكتاب الأورجانون ، وهذا الجزء من المخطوط العربى واضح إلى حد كبير وسهل القراءة .

أما ما نلاحظه بوجه عام ، فهو قلة تدقيق الناشر فى ترقيم النص ، وسقوط كثير من الكلمات ، وسقوط جمل بأكملها أحيانا ، وذكر بعض الكلمات فى الهامش على أنها فى الأصل مخالفة لما هى عليه ، وكتابة كلمات على غير وجهها ، وقد نشأ عن هذا كله تغيير فى الصورة الدقيقة للفكرة أو تحريف فى المعنى . وهذا كله وليد السرعة .

وستكون ملاحظاتنا مقصورة على نص إيساغوجى فقط من الناحية الفنية ، تاركين

الشروح التى جعلها الناشر فى آخر الكتاب - وكان يحسن أن تكون مع النصوص الخاصة بها - لأنه ترك كثيراً من الشروح ، وتاركين أيضا الكثير من الملاحظات المتعلقة بطريقته فى كتابة أسماء الأعلام باللغة العربية التى منها اسم فرفوريوس نفسه ، فالناشر يكتبه فرفريوس مع أنه موجود فى المخطوط فى أكثر من موضع على الصورة الصحيحة التى تجعله أقرب إلى أداء نطقه باللغات الأخرى .

ص ٦٨ س ٣ - ٤ : نص الناشر : « يقال جنس لجماعة قوم لهم نسبة بوجه من الوجوه إلى واحد أو لبعضهم إلى بعض » . ويقول الناشر فى الهامش ، إن عبارة : أو لبعضهم ، يقابلها فى الأصل : ولبعضهم وبدلا من أن يتابع الأصل اختار تعديله وجعله : أو لبعضهم . والنص الأصلى أصح ؛ ذلك لأن الجنس يطلق على جماعة ينتسبون إلى أصل واحد ، فبينهم وبينه نسبة و بينهم نسبة بعضهم لبعض ، وهى مستمدة من النسبة الأولى ، وكلمة : أو ، ربما تفيد الانفصال بين النسبتين ، على حين أن النسبتين مرتبطتان ارتباطاً ضرورياً . والمقصود هو أن فكرة الجنس تتضمن النسبتين معاً .

وبمراجعة الترجمة الفرنسية والألمانية لإيساغوجى نجد فى كل منهما حرف العطف البسيط الدال على الجمع بين المعطوفين والنسبتين ، وهو كلمة et و und .

ولا يبقى أى شك بعد مراجعة الأصل اليونانى ، حيث نجد حرف العطف لا يقبل الترجمة بحرف آخر .

ص ٧٠ س ٣ - ٤ : نص الناشر : « فالأجناس تخالف الأشياء التى تحمل على شىء واحد فقط بما توصف به من أنها تحمل على كثيرين » . والمعنى فاسد بسبب الخطأ فى النقل عن الأصل المخطوط ، ففيه : « ... بما توصف به من أنها ... » ، ووجه صحة الأصل هو أن الأجناس تختلف عن الأشياء التى تطلق على شىء واحد بأنها تحمل على أشياء كثيرة ، وتتفق الترجمتان الفرنسية والألمانية فى ترجمة هذه الكلمة بما يعادل الترجمة العربية بلفظ « بما » ، ويعادل الأصل اليونانى أيضاً .

ص ٧١ س ٧ - ٨ : نص الناشر : « فأما النوع فقد يقال على صورة كل واحد بمنزلة ما قيل : أما أولا فصورته مستحقة لذلك » .

وفى المخطوط الذى اعتمد عليه الناشر ، وهو الصواب أيضاً ، نجد الشطر الأخير من النص هكذا : « ... بمنزلة ما قيل : « أما أولا فصورته مستحقة للملك » .

ومن الغريب أن الناشر كما يدل عليه كلامه فى الهامش قد رأى تعليق تريكو (Tricot) ، مترجم إيساغوجى إلى الفرنسية ، على هذه العبارة المنسوبة إلى أوريبيديس (أو : أوريفيدس بوجه أدق) . ويترجمها تريكو جاعلا بدل كلمة الصورة كلمة بمعنى الجمال .

ويقول الناشر فى الهامش : إن العبارة بيت شعر لأوريبيدس ، والصورة بمعنى الجمال ، وفى هامش المخطوط العربى : « فصورته أى نوعه » ، وعلق تريكو (المترجم الفرنسى) على هذا النص بما يفيد هذا الرأى . ولا يمكن معرفة هذا الرأى الذى يقصده الناشر ؛ فإن كان يتعلق بأن الصورة بمعنى الجمال . فمن المعلوم أن الكلمة اليونانية وهى المقابلة لكلمة الصورة تدل إلى جانب دلالتها على النوع المقابل للجنس فى المنطق ، على الصورة عند أرسطو وعلى المثال الأفلاطونى ، وتدل أيضاً على صورة الخلقة ومظهر الإنسان وعلى الجمال والشمائل الإنسانية بوجه عام .

أما ما يقول الناشر عنه إنه موجود فى هامش المخطوط العربى فغير موجود فى الهامش وإنما توجد فى المتن فوق كلمة : فصورته . كلمة : أى نوعه ، وذلك على سبيل الشرح لكلمة صورة . أما الذى فى الهامش فهو هذه العبارة المفيدة التى لم يذكرها الناشر لا فى مكانها ولا فى التعليقات التى جمعها فى آخر كتابه ، وهى فى أعلى الأصل العربى إلى الشمال ، فهى : « هذا قاله بعض الشعراء فى أغاممنن لما رآه ، ويقال إنه أودساوس ، ويقال إنه أوريفيدس » .

أما الشرح الذى فوق كلمة « فصورته » ، فهو غير موفق فى هذا المعنى الذى تستعمل فيه كلمة صورة . لأنها بمعنى صورة الخلقة وإلا كان النوع كله مستحقا الملك ، وهذا مستحيل .

فإذا كان تعليق تريكو المترجم الفرنسى خاصاً بدلالة الصورة على النوع فى هذا المقام فلا شك أنه تعليق خطأ أيضاً . وصاحب إيساغوجى يصرح بالمعنى فيقول : «صورة كل واحد» ، مما يؤكد قصده بوضوح .

س ٩ : يقول الناشر : إن عبارة : وصفنا يقابلها فى الترجمة الفرنسية : وضعنا ، ولكن هذا غير صحيح لأن معنى العبارة الفرنسية هو : الجنس المذكور أو المبين أو ما أشبه ذلك ، وخصوصاً أن الكلام قد تقدم عن الجنس قبل ذلك .

ونجد فى الأصل اليونانى ما يمكن ترجمته بقولنا الجنس المذكور أو المتقدم ذكره .

ص ٧٢ س ١ - ٤ : نص الناشر : « وقد يصفونه (أى النوع) أيضاً على هذه الجهة : النوع هو المحمول على كثيرين مختلفين بالعدد من طريق ما هو . ولكن هذه الصفة أيضاً هى لنوع الأنواع ، ولما هو نوع فقط » .

وفى المخطوط الأصلى : « ... ولكن هذه الصفة إنما هى لنوع الأنواع ولما هو نوع فقط » .

واستعمال كلمة «أيضا» ، بدلا من كلمة «إنما» ، أفسد المعنى ، خصوصاً لأن الكلام التالى مباشرة يؤيد استعمال كلمة « إنما » وتدل الترجمات الأجنبية لإيساغوجى على صحة الأصل العربى المخطوط ، فليس فيها مايقابل كلمة أيضا ، وليس فى الأصل اليونانى مايقابلها بل نجد فى هذا الأصل كلمة تدل على التأكيد البسيط .

ص ٧٥ س ١٢ - ١٣ : نص الناشر : « فأما النوع فليس يحمل إلا على الجنس القريب منه ، ولا على الأجناس التى فوق ذلك الجنس ، لأنها لا تنعكس » . وفى المخطوط الأصلى نجد النص هكذا : « ... فأما النوع فليس يحمل لا على الجنس القريب منه ولا على الأجناس التى فوق ذلك .

ومن الواضح أنه بمراعاة المخطوط الأصلى يزول التناقض الموجود فى الكلام السابق واللاحق كما نشره الناشر .

ص ٧٦ س ١٤ — ١٧ : نص الناشر : « فالنوع إذن يحوى الأشخاص ، والجنس يحوى النوع ؛ لأن الجنس كلٌّ ما ، والشخص جزء ، والنوع كل وجزء ، غير أنه جزء لشىء آخر ، وليس هو كل لآخر ، لكنه كل فى أجزاء ، ذلك أن الكل فى الأجزاء » . وجاء فى المخطوط الأصلى ما يلى : « غير أنه جزء لشىء آخر ، وليس هو كل لآخر ، لكنه كل فى آخر ، وذلك أن الكل فى الأجزاء » .

والمعنى بحسب المخطوط الأصلى أصح وخال من التكرار الذى لا قيمة له ، وهو مطابق للأصل اليونانى ومتفق تمام الاتفاق مع الترجمتين الألمانية والفرنسية .

ص ٧٩ س ١٧ - ص ٨٠ س ١ : « وقد يحُدُّون هذه الفصول ويقولون : إن الفصل هو الذى به يفضل النوع على الجنس . وذلك أن الإنسان له شىء يفضل به على الحى ، وهو الناطق والمائت ؛ لأن الحى ليس هو واحداً من هذين ، وإلا فن أين اقتنت الأنواع فصولا ؟ ولا الفصول أيضاً المتقابلة بأجمعها له ، ولا صارت الفصول المتقابلة لشىء واحد بعينه معاً » .

والخطأ فى هذا النص فى الشطر الأخير منه ، حيث قرأ كلمة « وإلا » ، على أنها : ولا .

وبذلك ضاعت معالم التقابل المنطقى فى الكلام وأصبح كأنه بلا نتيجة فيجب تصحيح النص هكذا : « ولا الفصول أيضاً المتقابلة بأجمعها له ، وإلا صارت الفصول المتقابلة لشىء واحد بعينه معاً » . وربما كان يكون من الخير ولأجل مصلحة القارىء أن توضع الجملة المعترضة الأولى بين شرطتين ، لكى يمكن إدراك تسلسل الفكرة .

ولما كان صاحب إيساغوجى يقول فى هذا الموضع : إن النوع يفضل على الجنس ويقول بعد ذلك (ص ٨٦ س ٨) إن الجنس يفضل على النوع ، فقد كان من الخير التعليق على هذين الموضعين بما يسهل على القارىء الفهم ، ولا سيما أن نص الترجمات الأوربية لإيساغوجى ، سواء منها الفرنسية أو الألمانية ، يشتمل على ما يبين أن فضل النوع على الجنس من حيث المفهوم لأن معنى الإنسان مثلا أغنى مضمونا من معنى حيوان .

ص ٨٧ س ١٢ — ١٣ : هذا الجزء داخل فى القطعة المخرومة من الأصل العربى، وقد ترجمها الناشر عن الفرنسية . وهذه الترجمة ليست دقيقة تماماً ، لكن المهم هو أن بعض أجزائها بعيد جدا عن التعبير عن معنى النص الفرنسى

نص الناشر : « وأيضا فإن الخاصة تحمل على الشىء الذى هى خاصة له ، فأما الجنس فلا ينعكس » .

وهذه العبارة تدخل ضمن بيان الاختلاف بين الجنس والخاصة : فالجنس يحمل على أنواع كثيرة ، ولكن ليس بينه وبينها تبادل فى الحمل . فلو قلنا مثلا إن الإنسان حيوان فإننا لا نستطيع أن نقول : الحيوان إنسان ، وليس بينهما تلازم فى الوجود ، فلا يتحتم إذا وجد الحيوان أن يوجد الإنسان ، أما الخاصة فهى تحمل على أشياء هى خاصة لها ، ثم إن بينها وبين ما تحمل عليه تبادلا تاما فى الحمل وتلازما تاما فى الوجود ؛ فنستطيع أن نقول الإنسان ضحاك ، وأن نقول فى نفس الوقت الضحاك إنسان . وإذا كان الانسان موجوداً فالضحاك موجود والعكس . والترجمة العربية الصحيحة للترجمة الفرنسية ينبغى أن تكون هكذا.

« وأيضاً فإن الخاصة تحل فى الحمل محل ما هى خاصة له ، على حين أن الجنس لا ينعكس بتة » .

ومن الواضح أن ترجمة الناشر لا تبين الفرق المقصود بيانه ، مع أن الكلام التالى يعين فى الترجمة الصحيحة وفى ترجمة فرنسية أخرى نجد العبارة تصير بالعربية هكذا :

« وأيضاً فإن الخاصة ذات حمل متبادل مع الشىء الذى هى خاصة له ، فأما الجنس فليس له هذا الحمل بتة » .

والترجمة الألمانية أوضح وإذا نقلت إلى العربية تصير هكذا :

« والخاصة وما هى خاصة له يقال أحدهما على الآخر بالتبادل ؛ وليس الجنس كذلك »

أما النص اليونانى فإن ترجمته هى : والخاصة تبادل الحمل ما هى خاصة له ، أما الجنس فلا يبادل الحمل (= الخاصة تنعكس فى الحمل على ما هى خاصة له . أما الجنس فلا ينعكس =) والخاصة تكافىء فى الحمل ما هى خاصة له ، أما الجنس فلا يكافىء

على أن فى ثنايا النص العربى لإيساغوجى مايدل على الفكرة تمام الدلالة .

فنجد (ص ٩١ س ٨ - ٩) : « فأما الخواص فإنها تكافىء فى الحمل الأشياء التى هى لها خواص ، من قبل أنها تنعكس عليها » ، (ص ٩٤ س ٣ - ٤) : « وذلك أن الخاصة قد تكافىء فى الحمل الشىء الذى توجد له » .

ونجد (ص ٩٢ س ٨) : ويعم النوع والخاصة أن أحدهما يكافىء الآخر فى الحمل ، وذلك أن الإنسان إذا كان موجوداً ، فالضاحك موجود ، والضاحك إذا كان موجوداً فالإنسان موجود .

وليس من شك فى أنه يمكن مع العناية بتتبع نص إيساغوجى أن يترجم الجزء المخروم ترجمة دقيقة من حيث المعنى وحتى من حيث الألفاظ ، فلا تكاد توجد فى إيساغوجى عبارة أو فكرة إلا تكررت .

ص ٩١ س ١٣ : نص الناشر : « ويعم الفصل والأعراض غير المفارقة أنهما يوجدان فيه دائماً ، وجميعه » . والمعنى مبتور لأن الأصل المخطوط هو هذا :

« ويعم الفصل والأعراض غير المفارقة أنهما يوجدان لما يوجدان فيه دائماً ولجميعه » .

ص٩٤ س٢ - ٣ نص الناشر : « ... فليس (السواد) يوجد للزنجى وحده ، بل قد يوجد أيضاً للغراب ، والفحمة ، والأبنوس ، ولأشياء غير متنفسة » والنص فى المخطوط هكذا أيضاً .

غير أن عبارة « غير متنفسة » تستلفت النظر ، لأن الكلام عن السواد ، باعتباره عرضاً غير مفارق بالنسبة للزنجى ، يوجد لأشياء أخرى ، فما معنى ذكر الأشياء غير المتنفسة فى سياق عام لأشياء ليس لها حدود .

وقد تبين بمراجعة الترجمة الفرنسية لأكثر من مترجم ، ومراجعة الترجمة الألمانية ، أن الذى يقابل عبارة غير متنفسة ، هو مامعناه : أشياء أخرى . ولا شك أن كلمة : غير متنفسة العربية تحريف عن كلمة : غير متعينة ، وبهذا يتفق النص العربى لإيساغوجى مع الترجمات الأخرى اتفاقا أقرب .

وفى الأصل اليونانى نجد فى هذا الموضع مايفيد « ولأشياء أخرى غير معينة » وإذا نظرنا فى كلمة الأصل اليونانى فى هذا الموضع تبين لنا أن الترجمة العربية لإيساغوجى قد بلغت منتهى الدقة .

وثم ملاحظات أخرى أقل شأناً مما تقدم وهى تتصل بكلمات أو جمل سقطت من الناشر ، أو كلمات حرفت أو زيدت . وكانت الدقة تحتم النقل عن المخطوط كما هو [1] .

هذه أهم ملاحظاتنا على نص إيساغوجى كما نشره الزميل . وإنما أحببنا أن نكتب هذا النقد ليستفيد به من يقرأ إيساغوجى .

وتركنا أخطاء قليلة الأهمية كما تركنا أخطاء أخرى كثيرة فى ضبط الشروح التى انتزعها الناشر من مكانها وجعلها فى آخر الكتاب بعيدة عن موضعها الذى يمكن من الاستفادة منها فيما هى شرح له .

ولا يمكن أن يستفيد أحد الفائدة الحقيقية من نشرة الزميل لإيساغوجى إلا بعد تصحيحها على النشرة القيمة الصحيحة التى أكمل بها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى المجلد الثالث من منطق أرسطو ، مزوداً بالشروح والتعليقات راجعاً فى تحقيق الترجمة العربية العتيدة إلى الأصل اليونانى .

ولولا أننا أردنا أن نحقق بعض المواضع فى نشرة الزميل الأستاذ الأهوانى بالرجوع إلى المخطوط الذى اعتمد عليه وبالرجوع إلى الترجمات المختلفة لكان فى الإحالة على نشرة الأستاذ بدوى ما يغنى عن كل ما قلناه .

وبعد فإننا نرجو أن نكون قد حفانا بجهد زميلنا الأستاذ الأهوانى على النحو الذى يرضى الباحث عن الحقيقة ويحقق الخير للقراء .

الدكتور

محمد عبد الهادى أبو ريدة

---

(١) المجلة — وقد أورد الكاتب كثيرا من هذه التصويبات ، ولأنها لا ينتفع بها إلا من عنده نسخة من الكتاب اقتصرنا على نشر ما تقدم . وقد اطلع الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى على ملاحظات زميله فكتب إلينا الفصل الآتى .

فى أصول النشر

اطلعت على التصويبات التى ذكرها الزميل الدكتور عبد الهادى أبو ريدة لكتاب « إيساغوجى » لفرفريوس الصورى ، نقل أبى عثمان الدمشقى ، وإنى أشكر له عناءه فى تعقب النص والرجوع إلى الأصل المخطوط .

غير أن معظم تصويباته ترجع إلى اتخاذه أصولا للنشر تختلف عن الأصول التى نعتمد عليها . ذلك أن « إيساغوجى » مترجم عن السريانية ، لا عن اليونانية ، كما يتضح من تعليقات الحسن بن سوار الذى يشير إلى النقول السريانية الموجودة فى زمانه . والنص السريانى مفقود ، وبذلك تتعذر الموازنة بين الترجمة العربية وبين النقل السريانى . ولهذا السبب كنت أرجع إلى الأصل اليونانى فى ترجمته الفرنسية على سبيل الاستئناس ، لا على سبيل تقويم النص العربى ، لأن تغييره يعد تغييراً فى النص لا نملكه . وقد نبهت إلى بعض هذه الاختلافات فى الهامش ، وأبقيت النص العربى على حاله . ولكن الدكتور أبو ريدة يذهب مذهباً آخر هو الاعتماد على النص اليونانى ، مما يخرج نشر المخطوط العربى عن حاله .

مثال ذلك لفظة « وصفنا » ص ٧١ التى وردت فى هذه العبارة « وقد يقال نوع أيضا للمرتب تحت الجنس الذى وصفنا » . وهى فى الأصل اليونانى والترجمة الفرنسية عنه « وضعنا » وكنت أستطيع تغيير النص العربى ، ولكنى لم أفعل حفظاً للأصل ، ولأن الناقل العربى ، وهو أبو عثمان الدمشقى ، جرى على استعمال لفظة الوصف دون الوضع خلال الكتاب بأسره . وسبب ثالث هو ائتلاف لفظة الوصف مع اللسان العربى ، هذا إلى أنها تفيد المعنى ولا تبعد عنه كثيرا . يضاف إلى ذلك أن الدكتور عبد الرحمن بدوى الذى امتدح نشرته ، أبقاها كما هى ولم يعلق عليها .

ومثال آخر جره إليه تمسكه بالأصل اليونانى ، هو قراءة لفظة « متنفسة » هكذا « متعينة » وهى فى المخطوط كما قرأتها ، وكذلك قرأها الدكتور عبد الرحمن بدوى ، وهى

تستقيم مع السياق العربي إذ العبارة كما يأتي « ... السواد ، فليس يوجد للزنجي وحده ، بل قد يوجد أيضاً للغراب ، والفحمة ، والأبنوس ، ولأشياء غير متنفسة » . فالمقصود بالأشياء غير المتنفسة هي كالفحمة والأبنوس ، وغير « متعينة » التي يقترح زميلنا الدكتور أبو ريدة قراءتها لا تستقيم في اللسان العربي ولو أراد الناقل هذا المعنى لقال « وما أشبه » .

وما دمنا بصدد الحديث عن الترجمة ، وذلك فيما يختص بالصفحة المفقودة من الأصل العربي والتي نقلتها ، فإني أخالف الدكتور أبو ريدة في الترجمة التي يقترحها لهذه العبارة « وأيضاً فإن الخاصة تحمل على الشيء الذي هي خاصة له ، فأما الجنس فلا ينعكس » . ذلك أن اقتراحه « تبادل الحمل » اقتراح لا يمكن أن يؤخذ به ، إذ ينبغي أن نلتزم روح المترجم العربي الذي جرى عليه ، ولم نسمع أن مناطقة العرب قالوا بتبادل الحمل .

وقد تعجب الدكتور أبو ريدة من رسم « فرفريوس » هكذا بدون الواو التي تفصل بين الفاء والراء ، كما جاء في المخطوط . وقد فعلت ذلك عن قصد ، سواء في المقدمة التي كتبتها عن حياة فرفريوس ، أو في المخطوط ، وذلك لأن المناطقة فيما بعد تخففوا من الواو لأن الضمة تكفي بدلا عنها . أما قوله إن هذا الرسم أقرب إلى اليونانية ، فأقرب منه إذا شاء التزام اللغة اليونانية أن يرسمها پرفوريوس ، فالفاء الأولى ليست فاء ، ولكنها باء ثقيلة ، استثقلها العرب فنطقوها من الشفة فاء .

وهناك أصول أخرى تختص بقراءة النص المخطوط . ويرجع هذا الأصل إلى طريقة الكتابة في العصور المختلفة . فلكل نوع من الخط قاعدة وطريقة ، ولكل ناسخ أسلوب ولوازم . ومن جملة تلك اللوازم كتابة « واو » العطف في أول الكلمة بحيث تشتبك مع الكلمة نفسها ، والواو تشبه في كثير من الأحيان حرف الفاء ، ولذلك تشتبه القراءتان ويرجحهما المعنى والسياق . وقد جرى الدكتور أبو ريدة على قراءة الواو التي أقرؤها فاء ، وعلى قراءة الفاء واواً ، فإذا أثبت « وكما » قرأها « فكما » ، وهكذا . وهذا ذوق في القراءة أعتقد أنه لا يأتي إلا من معاناة النشر والاطلاع على أساليب النساخ . وهذه التغييرات لا قيمة لها . ومن هذا القبيل أن قدماء النساخ ما كانوا ينقطون الحروف بل يتركونها معجمة ، وكذلك لا يضعون شرطة الكاف بحيث تلتبس مع اللام ، ومن

أجل ذلك يتحير الناشر فى قراءة « كذلك » أهى « لذلك » والتصويبات التى من هذا القبيل ترجع إلى اللبس المذكور ، وهى لا تغير المعنى كثيراً ، إذ فى بعض الأحيان لا تكون « لذلك » نتيجة عن مقدمات ويستوى معها استعمال « كذلك » .

وننتقل إلى قراءات يرجحها المعنى ، من ذلك ما ذهب إليه الدكتور أبو ريدة مخالفاً إياى فى قراءة واو العطف ، التى نبهت عليها فى الهامش أنها كذلك وصححتها فى المتن وجعلتها « أو » . والوجه الذى أثبته هو عندى أليق ، دون حاجة إلى بيان الفرق اللغوى بين أو والواو وكذلك اعتراضه على شكل بعض الألفاظ . ولست أدرى كيف يريد أن يضبطها ؟ أما رجوعه إلى الأصل اليونانى أو إلى الترجمة الفرنسية فلا يفيده شيئاً فى ضبط الكلمة ، وكنا نود أن نرى الوجه الذى يقترحه هو .

فهذه عدة أصول فى فن النشر تختص بالكتب المترجمة قديما ألخصها فيما يلى :

أولا : الاعتماد على النص العربى مع الاستئناس بالأصل اليونانى بالإضافة إلى تراجمه الفرنسية والإنجليزية ، مع العلم أن العبارة اليونانية تفهم على أوجه كثيرة ، ولذلك تعددت التراجم الأجنبية فى اللغة الواحدة لاختلاف المترجمين فى فهم الأصل اليونانى .

ثانيا : معرفة قاعدة رسم النساخ للكتابة العربية عموماً . وقاعدة الناسخ الذى نرجع إليه ، وهذا شىء لا يكتسب إلا مع طول الخبرة والممارسة .

ثالثا : التزام الذوق العربى فى كتابة الألفاظ الأجنبية ، وفى ترجيح العبارات .

رابعا : معرفة موضوع العلم الذى ينشر معرفة تامة حتى يدرك المقصود .

وإنى أكرر الشكر للزميل الذى أتاح لى فرصة الحديث عن النشر وأصوله وطرقه . ولعلنى أفصل هذا الحديث مرة أخرى بناء على ما اكتسبته من خبرة بعد طول النظر فى المخطوطات المختلفة والتى نشرتها فى الفلسفة ؟

أحمد فؤاد الأهوانى



لغويات

تجنبوا الفوضى والاضطراب ـ أمر القوم شتى

يرى القارىء استعمال (الفوضى) فى الكتابة والحديث كما فى الاستعمال المدون. والفوضى فيه بمعنى الحدث. ويعنى بها مخالفة النظام وتجنب المنهج السوى.

وهذا الاستعمال لا يقف عليه الناظر فى الكلام العربى. وإنما ترد (الفوضى) مورد الوصف، ويعيي الباحث أن يجد ما يساوق الاستعمال العصرى.

ويذكر اللغويون للفوضى الموارد الآتية :

١ ـ فيقال : قوم فوضى أى متساوون لا رئيس لهم. ومن هذا قول الأفوه الأودى من قدماء شعراء الجاهلية وحكمائهم فى قصيدته [١] الحكمية الاجتماعية :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

ومن هذا قول الزمخشرى فى المفصل فى مبحث الحرف حين ذكر حروف الإضافة أى حروف الجر : « سميت بذلك لأن وضعها على أن تفضى بمعانى الأفعال إلى الأسماء. وهى فوضى فى ذلك، وإن اختلفت بها وجوه الإفضاء» ويقول ابن يعيش فى شرحه [٢] له : « وهى متساوية فى إيصال الأفعال إلى ما بعدها وعمل الخفض، وإن اختلفت معانيها فى أنفسها. ولذلك قال : هى فوضى فى ذلك أى متساوية ؛ يقال : قوم فوضى أى سادة لا رئيس لهم ». وأكبر الظن أن الذى بعث الزمخشرى على إيثار (الفوضى) فى هذا الموطن الرغبة فى التجنيس مع « تفضى » و « الإفضاء ».

٢ ـ ويقال : قوم فوضى : مختلطون، ونعام فوضى : مختلط بعضه ببعض. ويقال : جاء القوم فوضى أى مختلطين، والمال فوضى بين القوم أى مختلط : من أراد منهم شيئاً

---

(١) توجد كاملة مع غيرها مما عثر عليه من شعره فى الفرائد الأدبية من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٢) ص ٧ جـ ٨.

أخذه . ومن هذا ما جاء : كانت خيبر فوضى أى مشتركة بين الصحابة غير مقسومة ؛ كما فى المصباح .

٣ — ويقال : الوحش فوضى فى الفلاة ، أى متفرق يتردد ويجول فيها . وهذا قريب من المعنى السابق . ومنه قول أبى العلاء المعرى من قصيدة [1] له فى سقط الزند :

دع الطير فوضى إنما هى كلها طوالب رزق لا تجىء بمفظع

يقول هذا فى النهى عن زجر الطير وترقب حركاتها ليتعرف منها — كما كانوا يزعمون — عاقبة أمرهم . فهو يقول : دع الطير يتردد فى مجاله ، ولا تتعرض له للاستنباء من حركاته عما سيكون ، فإنما يتردد لطلب الرزق ، ولا صلة لحركاته بما يخشى من الأمور .

وترى أن أكثر موارد (الفوضى) أن تقع من وصف الجمع . وقد تقع من وصف المفرد كما رأيت فى قولهم : المال فوضى بين القوم ، وفى المخصص ١٥ / ١٨٥ : « ويقال : متاعهم فوضى بينهم إذا كانوا فيه شركاء » . وترى أن استعمالها فى معنى الحدث كما تستعمل فى هذه الأيام لم يأت فى مواردها اللغوية .

وقـد بدا وجه من تصحيح الاستعمال المشهور : أن يقدر موصوف محذوف . فإذا قيل : وقع الناس فى الفوضى فالتقـدير : فى الأمور الفوضى أى الأمور والشئون المختلفة المتفرقة ، وكذلك إذا قيل : وقعت الفوضى فمعناه : الشئون الفوضى . ويضعف من هـذا الوجه أن التقدير لا يخطر ببال المتكلمين بهـذا الأسلوب ، ومن الخير أن يعدل الكتاب عنه إلى السنن القويم والنهج الواضح .

ويبقى بعد هـذا فضل بحث فى (الفوضى) من جهة بنائها ، ومن أى ضرب هى من ضروب الأسماء ؛ فهل هى مفرد أو جمع ؟ وإلى أى مادة لغوية يرجع كيانها ؟

وأقدم مانلفيه فى الكلام عليها نجده فى كتاب [2] سيبويه إذ يقول : « فأما فَـعْلى فعلى الأصل فى الواو والياء . وذلك قولهم : فوْضى وعيْشى » يريد أن ما جاء على وزن فعلى — بفتح الفاء — وكانت عينه واوا أو ياء فإنهما يصحان ولا يعلان . وعيْشى مؤنث عيشان من العيث أى الإفساد . فعيثان : مُفسد ، وعيثى : مفسدة . وهذا كما يقال سكران وسكرى .

---

(١) انظر شروح سقط الزند ص ١٥٣٠

(٢) ص ٣٧١ ج ٣

ونرى أن سيبويه لم يُبن عن أمرها : أمفرد هى أم جمع ؟

ويجيب عن هذا الأزهرى فى التهذيب إذ يقول : « صار الناس فوضى أى متفرقين . وهو جماعة الفائض . ولا يفرد كما يفرد الواحد من المتفرقين ، فالفوضى عنده واحدها الفائض . و(الفائض) هذا من فاض يفوض لا من فاض يفيض حتى يتسق مع الفوضى التى عينها واو . ويذكر الأزهرى أن هذا الوصف المفرد لم يستعمل ، إذ لم يستعمل فعله ، فلم يرد فاض يفوض ، وإنما ورد من الأفعال المزيد ، يقال : « فوضت أمرى إلى الله » . وإذاً فالوارد من هذه الصيغة الجمع فقط .

والقارىء بعد هذا له أن يعقب على كلام الأزهرى وغيره بهذين السؤالين :

١ — إذا كان (الفوضى) جمعا فما باله جاء للمفرد على ما تقدم ؟

٢ — وما بال الفعل (فاض يفوض) لم يستعمل هو ولا وصفه المفرد (فائض) ؟

وإنى أعرض تخريجا لى فى هذا المقام على بساط البحث والنظر .

فالأصل مادة الفض . وهو يكون للكسر والدق . ومن ذلك قوله ﷺ للعباس : لا يفضض الله فاك أى لا يكسر أسنانك ، والفم هنا الأسنان ؛ كما يقال : سقط فوه أى أسنانه وكذلك دعا الرسول ﷺ بهذا الدعاء للنابغة الجعدى حين أنشده قصيدة استحسنها عليه الصلاة والسلام . ويقال من هذا : فض الجماعة : فرقها ، لما كان الكسر ينشأ عنه التفريق . وقد تفرع عن هذا الفيض فى قولهم : فاض النهر إذا جاوز الماء مجراه ، فإن ذلك فيه تفرق وعدم التئام .

ومن الفض يقال : الفضيض أى المفرق ، وهو فعيل فى معنى مفعول ، وهذا إذا أشعر بنقص أو عيب يجمع على فَعْلى ، كجريح وجرحى وأسير وأسرى . فكان القياس فى جمع الفضيض أن يقال : الفضَّى ، ويظهر أنهم استثقلوا هذا لما فيه من التضعيف الذى قد يتجنبه العرب ، فقالوا فيه : الفوضى ، بإبدال أول المثلين حرف لين .

وصار الأصل فى معنى « الفوضى » المتفرقين . ولما كان المتساوون الذين لا رئيس لهم يجمع شملهم ويوحد كلمتهم فى معنى المتفرقين أطلق الفوضى على هؤلاء ، ودخل الكلمة معنى التساوى من هذا الباب ، فقيل : المتاع فوضى بين القوم أى هم شركاء فيه متساوون ، ويدخل هذا فى باب التدريج اللغوى .

وقد يسأل سائل . هلا أبدلوا من التضعيف ياء فقالوا : فيضى ؟ والجواب أن العرب تستحسن فى حشو الكلمة الواو وتستكثر منها . وترى الصرفيين يحكمون للألف التى هى عين الكلمة إذا جهل أصلها أنها مقلوبة عن الواو : كما قالوا فى الصاب ، يصغرونه على صويب لا صييب . وعلى أنه ورد (الفيضى) كما فى التاج .

ويبقى بعد هذا السؤال الآتى : إذا كان الفوضى جمعا فكيف جاء للمفرد على ما تقدم ؟ .

والجواب أنه من باب التوسع فى العربية . ويدخل هذا فى فروع كثيرة حتى عقد له ابن جنى فى الخصائص بابا سماه « شجاعة العربية » وذكر فيه ما هو أبعد من هذا .

ومبنى هذا استعمال وصف الجمع فى المفرد[1]. ويذكر من هذا قولهم : « ذهب به الدينار الحمر والدرهم البيض » وقول مزاحم العقيلى :

ولو بذلت أنسا لأعصم عاقل ... برأس الشرى قد طرّدته المخاوف
لظل رهينا خاشع الطرف حطه ... تخلب جدوى والكلام الطرائف

فتراه وصف (الكلام) بالطرائف .

وقد وجدت للفوضى فى هذا نظيرا فى وزنها ومعناها ، وهو (شتى) فشتى جمع شتيت . ويقول أبو حيان فى البحر المحيط ٦ / ٢٤٤ : « شت الأمر شتا وشتاتا : تفرق . وأمر شت متفرق . وشتى : فعلى من الشت ، وألفه للتأنيث ، جمع شتيت كمريض ومرضى ، ومعناه : متفرقة » . يقول السعد فى شرحه للتلخيص عند قول الخطيب : « وله ملابسات شتى » : « أى مختلفة : جمع شتيت كمريض ومرضى » .

ومع هذا ورد (شتى) وصفاً للمفرد . وفى اللسان : « وقعوا فى أمر شت وشتى » . جاء فى الآية ٥٣ من سورة طه . « وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى » ويقول أبو حيان : « والأجود أن يكون (شتى) فى موضع نصب نعتاً لقوله : (أزواجاً) لأنها المحدث عنها . وقال الزمخشرى : يجوز أن يكون صفة للنبات ، والنبات مصدر سمى به النابت كما سمى بالنبت ، فاستوى فيه الواحد والجمع » . وما رأينا المصدر المفرد إذا سمى به الجنس أو إذا لم يسم به يطرد وصفه بوصف الجمع ، فليس من المستساغ أن يقال : النبت القويات أو الكثيرات ، ولكن هذا توسع أجرته العرب فى (شتى) .

---

(١) انظر الخصائص طبعة دار الكتب ٢٥/١ .

وجاء من هذا أيضاً قوله تعالى فى الآية ٤ من سورة الليل : « إن سعيكم لشتى » . وترى أبا حيان يقول : « أى مساعيكم » ، وهذا ليسوغ وصف المفرد بالجمع . ولكن لو قيل إن سعيكم تحاسبون عليها أو عليهن أفكان ذلك يسوغ فى الكلام ؟ وعندى أن هذا توسع ترتكبه العرب فى بعض كلامها ، ولا يكون منهجاً مطرداً .

وجاء (شتى) وصفا للاثنين . وإنى أسوق إليك فى هذا الموطن القصة [1] الآتية :

روى أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجانى الذى قدم الأندلس من المشرق سنة ٤٠٦ أن ابن الأعرابى الإمام اللغوى الكوفى المتوفى سنة ٢٣٠ رأى فى مجلسه رجلين يتحادثان . فقال لأحدهما : من أين أنت ؟ فقال : من أُسبيجاب [2] . وقال للآخر : من أين أنت ؟ فقال : من الأندلس . فتعجب ابن الأعرابى ، وأنشد :

نزلت على قيسية يمنية ... لها نسب فى الصالحين هجان
فقالت ـ وأرخت جانب الستر دوننا ... لأية أرض أم من الرجلان ؟
فقلت لها : أما رفيقى فقومه ... تميم وأما أسرتى فيمان
رفيقان شتى ألف الدهر بيننا ... وقد يلتقى الشتى فيأتلفان

فترى قوله : « رفيقان شتى » كيف جاء (شتى) وصفا للاثنين . وعندى أن الفوضى سرت فى هذا السبيل . والله الهادى إلى سواء السبيل ؟

محمد على النجار

---

(١) انظر جذوة المقتبس ١٧٣ ، ومعجم الأدباء (طبعة الحلبى) ٧ / ١٤٧

(٢) اسم بلدة كبيرة من بلاد ما وراء النهر فى حدود تركستان . ووردت فى معجم البلدان : اسفيجاب

طرائف لغوية وأدبية :

نظرة في شاهد

يستشهد النحويون والبلاغيون بهذا البيت :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

الأولون يستشهدون به على جواز تقدم الخبر الجملة على المبتدأ حيث لا ضرر من التقديم ، فقد تقدمت جملة الخبر وهي « ما أمه من محارب » على المبتدأ وهو « أبوه » وجاز عود الضمير الذي في أمه على الأب مع تأخره لفظا لأنه متقدم في الرتبة ، فالمبتدأ رتبته التقدم على الخبر . والآخرون يستشهدون به على التعقيد اللفظي بسبب التقديم والتأخير الذي لا يفهم معه المعنى إلا بعد تأمل وإعمال فكر .

والبيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ويستجديه لقومه وقد أصابهم قحط ، ومطلع القصيدة :

كم من مناد والشُّريفان [1] دونه إلى الله تُشكى والوليد مفاقره
ينادي أمير المؤمنين ودونه ملا [2] تمطى بالمهارى ظهائره

إلى أن قال :

رأوني فنادوني أسوق مطيتي بأصوات هلاك سغاب حرائره [3]

(١) الشريفان : جبلان يسمى أحدهما (شريف) بصيغة التصغير ، وهو أعلى جبل في بلاد العرب . ويقول مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس إنه صمده . وبجواره جبل آخر يسمى (شرف) بوزن قمر ، فغلب الفرزدق اسم الجبل الأول وجعل التثنية له .

(٢) الملا : الصحراء .

(٣) الهلاك : جمع هالك ، وهو الميت . واستعمل الفرزدق الهالك بمعنى الميت في الضعيف المهزيل على سبيل الاستعارة . والقرينة قوله « بأصوات » لأن الهالك ليس له صوت . والسغاب : جمع ساغب وسغبان وسغب كفرح ، ومعناه الجائع أو الجائع المتعب .

فقالوا أغثنا إن بلغت بدعوة ... لنا عند خير الناس إنك زائره
فقلت لهم إن يبلغ الله ناقتى ... وإياى أنبى بالذى أنا خابره

ثم يأتى بيت الشاهد بعد ذلك بأبيات ، ولكنه ليس كما رواه النحاة والبلاغيون ، وإنما يختلف عن روايتهم اختلافا يترتب عليه اختلاف معناه واختلاف الشاهد فيه ، وتأتى بعده أبيات تؤكد خطأ رواية النحويين والبلاغيين ، وإلى القارىء الشاهد وما بعده كما ورد فى ديوان الفرزدق فى النسخة المطبوعة فى أوربا وهى معجمة وواضحة :

إلى ملك ما أمه من محارب ... أبوها ولا كانت كليب تصاهره
ولكن أبوها من رواحة ترتقى ... بأيامه قيس على من تفاخره
زهير ومروان الحجاز كلاهما ... أبوها لها أيامه ومفاخره
بهم تخفض الأذيال بعد ارتفاعها ... من الفزع الساعى نهارا حرائره

وهنا يظهر عدم ائتلاف بيت الشاهد على الرواية الأولى مع الأبيات بعده من جهة اللفظ ، إذ كيف يقول الشاعر إلى ملك « ما أمه من محارب أبوه » ثم يقول بعد ذلك « ولكن أبوها من رواحة » ثم يقول كلاهما أبوها ، والمعنى يختلف أيضا على هذه الرواية عنه على الرواية السابقة . إذ معناه على الأولى أبو هذا الملك ليست أمه من قبيلة محارب وتقدير الكلام حينئذ « إلى ملك أبوه ما أمه من محارب » .

والمعنى على الرواية الأخيرة ، أبو أم هذا الملك ليس من قبيلة محارب ، إذ تقدير الكلام حينئذ « إلى ملك ما أمه أبوها من محارب » كما تقول محمد ما أبوه حاضر ويترتب على ذلك تغير الخبر ، فهو على الرواية الأولى جملة « ما أمه من محارب » وعلى الثانية شبه جملة وهو الجار والمجرور اللذان هما « من محارب » ولا يجوز تقدم المبتدأ وهو أبوها على لفظ الأم لأن المبتدأ حينئذ جزء من جملة خبرما ، إذا أعملت عمل ليس وجزء من جملة خبر المبتدأ الذى هو أمه إذا أهملت ما ، وفيه ضمير يعود على اسم ما أو على المبتدأ الأول على الاعتبارين السابقين ، فإذا تقدم (أبوها) على (أمه) لزم عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة لأن المبتدأ الثانى رتبته التأخر عن المبتدأ الأول ، وكذلك خبر ما رتبته التأخر عن اسمها وعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة لا يجوز إلا فى مسائل ليست هذه المسألة منها .

أما على الرواية الأولى فقد سبق بيان جواز تقدم لفظ الأب على الأم وعدمه ، ويختلف الاستشهاد بالبيت عند النحويين ، فبعد أن كان يستشهد به على جواز تقدم الخبر الجملة على المبتدأ أصبح يستشهد به على جواز تقدم الخبر شبه الجملة على المبتدأ إذ يجوز أن يقال « ما أمه من محارب أبوها » أو « ما أمه أبوها من محارب » .

والغريب أن جميع شراح الشواهد كالعينى والجرجاوى والشيخ قطة العدوى وغيرهم رووا هذا الشاهد على الرواية الأولى وشرحوه على المعنى الأول واستشهدوا به على ما فيه من جواز تقدم الخبر الجملة على المبتدأ حيث لا ضرر ، وهذا مخالف للواقع ولما قاله الشاعر وأراده ، حتى المحدثون الذين شرحوا شواهد ابن عقيل وغيره ، نهجوا نهج القدامى ، ولم يفكر أحد من السابقين أو اللاحقين فى الرجوع إلى ديوان الفرزدق ، ولو رجعوا إليه لتبين لهم خطأ الرواية الأولى واختلاف معناها عن الواقع وعن كلام الشاعر ومراده .

وأعجب من ذلك أن شارحاً حديثاً روى هذا البيت :

رأونى فنادونى أسوق مطيتى ... بأصوات هلاك سغاب حرائره

رواه هكذا :

رأونى فنادونى أسوق مطيتى ... بأصوات هلّال صعاب جرائره

ولم يشرحه مع أنه يشرح كل بيت يأتى به تبعاً لأحد أبيات الشواهد .

ولعل الذى حمله على ذلك أنه لم يستطع معرفة مرجع الضمير فى قول الشاعر « سغاب حرائره » فغيره من عند نفسه إلى ما رأيت حتى يعود الضمير فى « جرائره » على كلمة « هلال » ولو قرأ القصيدة كلها بإمعان وتدبر لظهر له مرجع الضمير واضحاً .

ولعلى بذلك بينت خطأ وقع فيه القدماء والمحدثون من العلماء لأخذهم ما يعرض لهم من الشواهد من غير أن يفتشوا فيه أو يبحثوا وراءه ، وكان الصواب قيد شعرة منهم لو تنبهوا إليه ، ولكن لهم مع ذلك عذراً فى تصديق من روى لهم إذا كان ممن يوثق به ، أما أن يؤخذ النص من كتاب دون بحثه والتنقيب على ما خلفه فهذا ما لا يرضى عنه العلم ، ولا تقبله الأمانة العلمية ، وما ينبغى أن يتنزه عنه رجال الأزهر على وجه الخصوص .

طه الزينى
أستاذية فى النحو والصرف

الدخيل وكتب التفسير

تفسير القرآن الكريم من العلوم الشرعية التى عنيت بها الأمة الإسلامية عناية فائقة، إذ عليه يتوقف فهم الكتاب العزيز، ومعرفة ما فيه من حكم وأحكام وآداب ومواعظ، والكشف عما فيه من هداية وإرشاد، وأسرار فى التشريع والاعجاز. وقد حث الله عز شأنه على تدبر القرآن وتفهمه فقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) وقد كان النبى ﷺ يبين لأصحابه معانى القرآن كما يبين لهم ألفاظه، قال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم). وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً. وهذا هو السر فى أنهم كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة، وأن الرجل منهم كان يجل فى أعين أصحابه بمقدار ما يحفظ من القرآن.

وقد روى مالك فى الموطأ أن ابن عمر أقام على حفظ البقرة ثمانى سنين. وقال أنس رضى الله عنه: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل فى أعيننا. فالصحابة قد تلقوا تفسير القرآن وبيانه عن النبى صلوات الله وسلامه عليه وأضافوا إليه ما أدركوه بصفاء فطرتهم وذكاء قريحتهم ومعرفتهم التامة باللغة وأساليب البيان وما فهموه من الظروف والملابسات التى كانت عند نزول الوحى. والخلاف بين الصحابة فيما صح عنهم من التفسير قليل، وأغلبه يرجع إلى اختلاف التنوع لا التضاد، ثم تلقى التابعون عن الصحابة تفسير القرآن كما تلقوا علم السنة، وإن كانوا يتكلمون فى بعض التفسير بالاستنباط والاستدلال كما يتكلمون فى بعض السنة بهما أيضا [١]، وأضاف التابعون إلى ما سمعوه ما تلقوه عن أهل الكتاب من المعارف وفسروا القرآن ببعضها، ومن هنا دخل البلاء على الإسلام كما سأبين ذلك فيما بعد. وقد كان الاختلاف بين التابعين أكثر منه بين الصحابة، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين، وهكذا حتى دونت الكتب فى شتى العلوم والفنون، ومنها كتب التفسير.

(١) مقدمة التفسير لابن تيمية.

وقد ألفت كتب فى التفسير بالمأثور كما ألفت كتب فى التفسير بالرأى والاجتهاد، وكتب هذا النوع الثانى لا تخلو من التفسير بالمأثور أيا كان منحاها، ذلك أن التفسير بالاجتهاد لا يكون منوطا بالقبول إلا إذا اعتمد فيه على ما صح من المنقول، ولا سيما فيما لا يعلم إلا من طريق النقل كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقصص ونحوها، فهذا النوع من التفسير قل أن ينفرد عن النوع الأول كما قال ابن خلدون، والتفسير بالمأثور أسبق فى الوجود من التفسير بالرأى والاجتهاد، وهو يعتبر جزءاً من الحديث، والذين ألفوا فى الحديث لم تخل كتبهم منه. وقد عقد الإمام البخارى فى صحيحه كتابا فى التفسير، وقد استنفد ذلك جزءاً من صحيحه لا يستهان به، وكذا فعل مسلم وغيره من أصحاب الكتب المعتمدة، ولم يقتصروا فيما ذكروه على المرفوع، بل ذكروا ما ورد عن الصحابة والتابعين. وهذا الصنيع يدل على الصلة الوثيقة بين الحديث والتفسير بالمأثور.

والحق أن الحديث بالنسبة لغالب العلوم بمنزلة الأم، وعليه معول كثير من المؤلفين، فالمفسر والفقيه والمؤرخ كلهم فى حاجة إليه.

والذين ألفوا فى التفسير بالمأثور فى القديم ذكروا ما روى عن النبى ﷺ وعن الصحابة والتابعين وصبغوه بالصبغة الحديثية من ذكر للسند ونقد للرجال وتصحيح المتن أو تضعيفه، إلى أن جاء ابن جرير الطبرى فزاد توجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض وذكر الأعاريب والاستنباط، ثم ألفت من بعد كتب التفسير بالاجتهاد، ولم يسر مؤلفوها فى الغالب - فيما اشتملت عليه كتبهم من مأثور - على سنن السابقين الأولين، فحذفوا الأسانيد، واختصروا الأقوال، ولم ينسبوها لقائليها. وصار من يسنح له قول يورده، ومن يجىء بعده ينقله ظانا أن له أصلا، ولم يكلف نفسه مؤونة البحث عن أصل الرواية ولا من يرجع إليه هذا القول، فاختلط الصحيح بالسقيم والمقبول بالمردود [1].

ولما كان الحديث قد دخله الوضع فلا جرم أن دخل التفسير بالمأثور الوضع أيضا، ومن ثم اشتملت كتب التفسير - سواء منها ما كان مختصا بالمأثور أو شاملا له وللتفسير بالاجتهاد - على قطعة كبيرة من الموضوعات والإسرائيليات والآراء الزائفة التى لا تستند إلى نقل صحيح ولا يؤيدها عقل سليم. وكان لذلك أسباب عدة نجتزىء بذكر بعضها:

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ٢ ص ١٩٠.

فمن طريق الزنادقة دخل الكثير من الموضوع ونسبوه إلى النبي ﷺ حينا، وإلى الصحابة والتابعين حيناً آخر. وكذلك كان للعصبية المذهبية ضلع كبير فى التزيد: فالشيعة نسبوا إلى سيدنا على ما هو براء منه، والمتزلفون لبنى العباس نسبوا إلى ابن عباس ما لم يقله تقربا إليهم، وهـذا هو السر فى تضخم التفسير المنسوب إليهما دون غيرهما من الصحابة الذين تصدوا للعلم والرواية. وهناك سبب آخر مهم وهو النقل عن مسلمة أهل الكتاب، والأخذ عنهم فيما لا تعلق له بأصول الدين وأحكام الشريعة، كالقصص وأخبار الأمم الماضية، وإلى ذلك أشار العلامة ابن خلدون فى مقدمته فى أثناء تكلمه على التفسير بالمأثور فقال «وقد جمع المتقدمون فى ذلك وأوعوا، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود. والسبب فى ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شىء مما تتشوق إليه النفوس البشرية فى أسباب الكائنات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة، ومعظمهم من حمير الذين أخـذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التى يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم، وفى أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التى يجب العمل بها. ويتساهل المفسرون فى مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات [1]».

وقد أخذ عن مسلمة أهل الكتاب فى هـذه الأغراض السابقة الكثير من التابعين وبعض أجلة الصحابة كابن عباس وابن مسعود وأبى هريرة.

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث بما فيهما بما فهمه من الإذن فى حديث «بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج. ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخارى.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٦٨.

ثم إن هذه الإباحة فيما لم يعلم كذبه ، أما ما علم كذبه فيحرم التحديث به ، ولا تجوز روايته إلا مشفوعا ببيان كذبه . وعلى هذا يحمل ما ورد من النهى عن التحديث عنهم . وذلك أن أخبار بنى إسرائيل على أقسام ثلاثة :

١ — ما علمنا صحته بما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح ، ونحن فى غنية عنه بما عندنا ، ولا مانع من التحديث به .

٢ — ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه ، فهذا يجب تكذيبه .

٣ — ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا ولا من ذاك ، فلا نؤمن به ولا نكذبه . وغالب ذلك مما لا فائدة فيه ، وكثيراً ما يختلف علماء أهل الكتاب فيه ، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كاختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف ، واسم الغلام الذى قتله الخضر [1] ومقدار سفينة نوح ونحو ذلك .

ولو أن هذه الاسرائيليات ولا سيما المكذوب منها وقف بها عند قائليها لكان الأمر محتملا ولكن الشناعة وكبر الإثم أن ترفع بعض هذه الإسرائيليات إلى المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، وهنا يكون الضرر الفاحش ، فقد وجد أعداء الدين فى ذلك ثغرة ينفذون منها إلى التقول على الإسلام وعلى نبى الإسلام بما هو برىء منه ، وبعض هذه الإسرائيليات جاء موقوفا على الصحابة فظن من لا علم له بحقيقة الامر أنها متلقاة عن النبى ﷺ لانها مما لا مجال للرأى فيها فلها حكم المرفوع . ولكن جهابذة الحديث ونقاده كانوا أبعد غوراً وأدق نظراً حينما قالوا : إن كلام الصحابى فيما لا مجال للرأى فيه له حكم المرفوع بشرط أن لا يكون الصحابى معروفا بالاخذ عن أهل الكتاب ، ولا ممن يعرف بذكر الإسرائيليات وبذلك يجد الباحث المنصف مخرجاً من هذه الروايات الموقوفة بأنها إسرائيليات تقبلت بحسن نية ، إن لم تكن مدسوسة على هؤلاء الأئمة دسها عليهم الزنادقة .

وقد تنبه بعض الصحابة إلى ما فى رواية أهل الكتاب من المغالط والكذب وإن لم يكن عن تعمد : روى البخارى فى صحيحه عن معاوية رضى الله عنه أنه ذكر كعب الاحبار فقال « إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون من أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » وإذا كانت مقالة السيد معاوية فى كعب كما ترى وهو من أصدقهم —

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جزء أول ص ٨ ط المنار ومقدمة التفسير لابن تيمية ص ١٨ ط السلفية .

فما بالك بغيره ممن لم يصل إلى درجة صدقه . وقد حسن العلماء الظن بكعب فقال ابن حبان « أراد معاوية أنه يخطىء أحيانا فيما يخبر به ، ولم يرد أنه كان كذابا » وقال ابن الجوزى « أى أن بعض ما يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه يتعمد الكذب » (١) ومع موافقتى للإمامين على ما رأياه فإنى أرى أن ذلك لا يقلل من خطر مثل هذه المرويات .

وقد تنبه العلماء المحدثون وأئمة الدين إلى ما دخل التفسير بالمأثور من موضوعات وإسرائيليات زائفة مما روى مرفوعا أو موقوفا على الصحابة والتابعين ، فنقدوه ، وبينوا الحق من الباطل والصحيح من السقيم . وقد صح عن الإمام الشافعى رحمه الله أنه قال : « إنه لم يثبت عن ابن عباس إلا شبيه بمائة حديث » وقالوا : أصح الطرق عن ابن عباس طريق على بن أبى طلحة عنه ، وهى التى قال فيها الإمام أحمد « إن بمصر صحيفة يرويها على بن أبى طلحة عن ابن عباس لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً عليه » .

وقد اعتمد عليها البخارى فى صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس . وطريق ابن جريج تحتاج إلى بحث وتدقيق ، لأنه جمع فى كل آية من الصحيح والسقيم ، كما قالوا : أوهى الطرق طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس . فاذا انضم إليها محمد بن مروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب . وكثيرا ما يخرج عنها الواحدى والثعلبى . وكذلك نقدوا ما روى فى التفسير عن على وابن مسعود وأبى بن كعب وغيرهم وبينوا الطرق الصحيحة من غيرها (٢) كما نقدوا ما روى فى التفسير عن أئمة التابعين وبينوا منزلة كل منهم فى الرواية ، وهكذا نجد غير قليل من النقد التفصيلى لرواة التفسير بالمأثور كما نجد النقد الإجمالى لهذه المرويات .

فالإمام أحمد له الكلمة المعروفة « ثلاثة ليس لها أصل التفسير والملاحم والمغازى » وقد حمل الخطيب هذه المقالة على كتب مخصوصة فى هذه المعانى فأشهرها كتابان للكلبى ومقاتل بن سليمان . وقال غيره : لأن الغالب عليها المراسيل ، ومحققو أصحابه « على أن مراده أن الغالب ليس لها أسانيد صحيحة متصلة وإلا فقد صح من ذلك كثير » . وقد عقب السيوطى على هذا القول فقال : « الذى صح من ذلك قليل جدا بل أصل المرفوع فى غاية القلة » وقد سرد ما صح من ذلك فى آخر الإتقان . والحق أن ما صح من المرفوع إذا ما ضم إلى ما صح من الموقوف على الصحابة والتابعين فإنه يصفو لنا من ذلك شىء غير قليل ؟

(يتبع) محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

(١) فتح البارى جزء ١٣ ص ٢٨٤ ط الأزهرية
(٢) الاتقان فى علوم القرآن ص ١٨٨ ، ١٨٩ جزء ٢

الحساب الفلكي

واعتماده لتحديد أوقات الصلوات الخمس

نشر الشيخ محمد رحيم أحد شيوخ طرابلس الشام فى الأقطار العربية الشقيقة « كتيباً » أسماه « وقت الظهر » ، وأرسل نسخة منه إلى مشيخة الازهر سابقاً لاستطلاع رأيها ، ذكر فيه دعاوى ...

منها : « لا يعتمد الحساب الفلكى فى بيان الأوقات الشرعية » ، وهى كما ترى « مجرد دعوى فقط » ، إذ لم يسندها بأى دليل ، غير أنه نقلها كما هى عن « ابن عابدين » الحنفى الذى عزاها هو أيضاً إلى « ابن دقيق العيد » الشافعى .

ولا يخفى ما قاله علماء « البحث والمناظرة » من أن ناقل الدعوى مجردة عن السند لا يناظر فيها إلا بالمنع المجرد أيضاً عن السند بأن يقال له مثلا ، أنا أمنع تلك الدعوى ، ثم تنقطع المناظرة ... إلا إذا التزم هـذا الناقل تصحيحها ، وقد كان . فإن الشيخ رحيم قد انقاد لمعناها وعمل بمقتضاها إذ يقول فى كتيبه أيضاً : إنه حين اطلع عليها فى حاشية ابن عابدين على الدر المختار عمد إلى قياس الظل لتحديد أوقات الصلوات . ولذلك صحت مناظرته فيها وحينئذ نسائله : —

« أولا » عما أراده بالحساب الذى لم يعتمد عليه ، فإن أراد به « الحساب التقريبى » كحساب المنازل وبعض القواعد القديمة التقريبية ، سلمنا له ذلك ؛ إذ ورد فى كتب الفقه منع الاعتماد عليه من العلماء المحققين حتى قال بعضهم : إن من أذن لوقت الفجر على حساب المنازل أدب وعوقب لأنها تقريبية ، وإنما شرعت المنازل ليعلم قرب الصبح فقط فيكف الصائم ويتأهب المصلى حتى إذا تبين الفجر الصادق صلى ...

وإن أراد الشيخ رحيم « الحساب الفلكى » مطلقاً أى ولو كان تحقيقياً منتجاً لما لو تأمله الحس لأدركه ، لا نسلم له ذلك ، وقلنا :

إن الحكم الذى شملته هذه الدعوى معارض بما عليه إجماع الأمة ، من العمل بالجداول

الحسابية ، والنتائج السنوية المضبوطة ، وتقدير الزمن بالمزاول والأرباع الدستورية وغيرها ، وبالساعات الميكانيكية المنظمة جيبية أو حائطية ، من أول نشأة الحساب إلى الآن . وإن تمسكه بما لم تلتفت إليه الأمة . وانقياده لمعنى هذه الدعوى مع خلوها عن الدليل يعد شذوذاً منه وخروجا على الاجماع ...

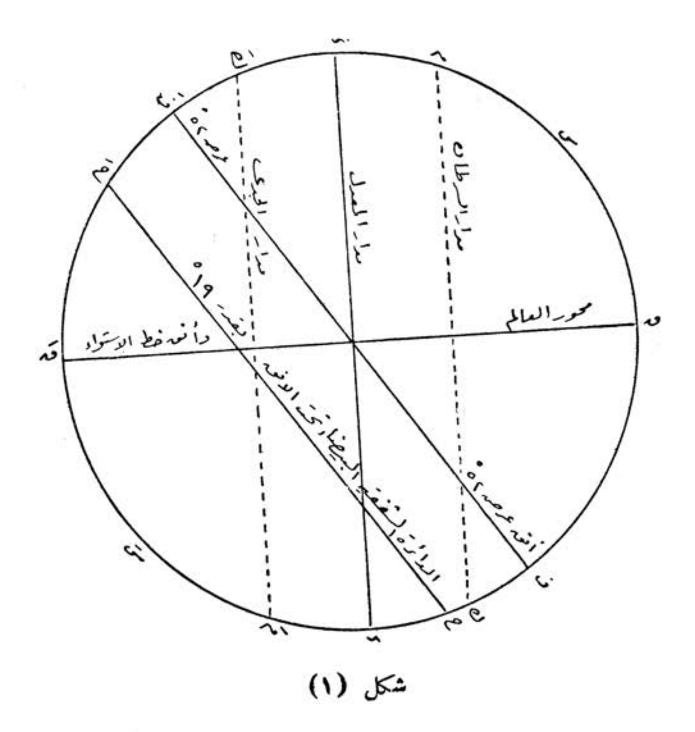
على أن سائر علماء الشافعية وغيرهم من المحققين والخواص فى كل بلد وأوان نراهم يهرعون إلى الصلاة على حساب الساعات الفلكية وتقدير الجداول السنوية ، ولم نسمع أن اثنين منهم قد اتفقا على ترك ذلك إلى قياس الظل فى أى عهد من العهود المتقدمة ...

ثم « ثانيا » ننقض عموم الحكم فى هذه الدعوى ، إذ يعم البلاد التى ينعدم فيها علامة وقت العشاء أو غيرها فى بعض أيام السنة ومقتضاه أنه لا يعتمد فيها على الحساب » . كيف وأن إجماع السادة الشافعية ومنهم « ابن دقيق العيد » على وجوب الصلوات الخمس فى تلك البلاد وتقدير أوقاتها بالساعات الفلكية بحسب أقرب البلاد أو الأيام المعتدلة مع أنه لا غروب ولا شروق للشمس ولا للشفق ولا بلوغ لظل شيء مثله أو مثليه فى هذه الأوقات هنالك فى بعض أيام السنة ولا بد لهذا التقدير من الحساب ...

ووافقهم على ذلك علماء السادة المالكية وكذا المحققون من الحنفية كالكمال بن الهمام وغيره وحجتهم على ذلك قوية كما سيأتى :

البلاد التى ينعدم فيها بعض علامات الأوقات :

أما البلاد التى ينعـــدم فيها فى بعض أيام السنة علامات الأوقات الشرعية ، فمنها ما عرضه (٤٩) درجة فأكثر إلى (٦٦) درجـة كبلاد الإنجليز ، والبلجيك وهولاندة ، وبولاندة وشمال فرنسا وألمـانيا وجنوب فنلندة وجنوب السويد والنرويج وجنوب كندا وأواسط روسيا ، فإن فى هـذه البلاد ينعدم فى بعض أيام السنة أعنى حول (٢١) يونية علامة وقت العشاء فيدور الشفق من نقطة غروب الشمس إلى نقطـة شروقها حول آفاقها من جهة الشمال دون أن يختفى فى الأفق ثم يصعد فى السماء حتى تطلع الشمس ، ومعناه بقاء علامة المغرب إلى أن توجد علامة وقت الصبح وتنعدم علامة وقت العشاء أصلا وهى غياب الشفق فى الأفق الغربى .. انظر الرسم رقم (١) .



شكل (١)

وأما البلاد القطبيـة وهي التي يزيد عرضها عن (٦٦) درجة كبلاد سيبريا وجزيرتي إيسلندة وجرينلندة وشمال كندا وروسيا والسويد والنرويج ؛ فإن للشمس فيها ثلاث حالات كلها مواعظ وعبر (ربنا ما خلقت هذا باطلا) .

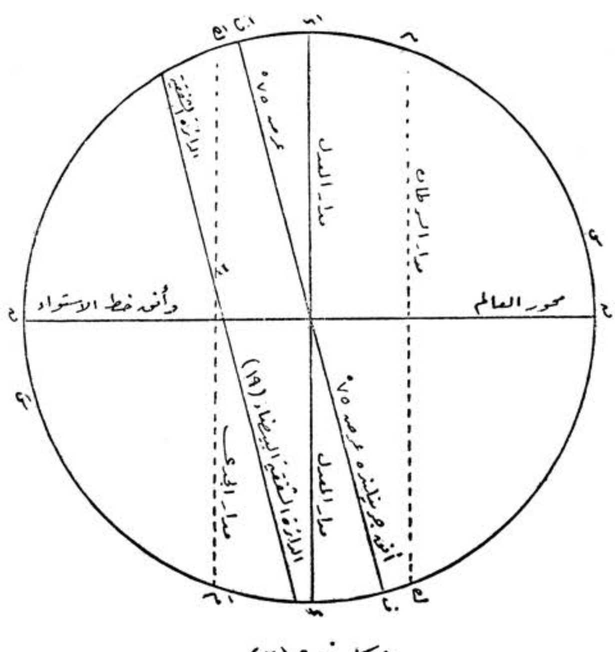
ففي الحالة الأولى : تدور الشمس في السماء فوق الأفق جملة أيام قبل وبعد (٢١ يونيه) دون أن تتوارى في الأفق ، وحينئذ تنعدم علامات وقات المغرب والعشاء والفجر لدوام النهار وانعدام الليل ، إذ لا غروب ولا شروق للشمس ولا للشفق ، وكذا تنعدم علامة العصر لصيرورة الظل في اللانهاية ، وإنما يعرف الظهر بزوال الشمس عن وسط السماء (خط نصف السماء أي منصفها من الشمال إلى الجنوب) لأن مدار الشمس اليومي وإن ارتسم كله فوق الأفق إلا أنه يمر بهـذا الوسط مرتين إحـداهما تمثل الاستواء وهي الجنوبية وزوال الشمس عنها يمثل علامة وقت الظهر ، والأخرى وهي الشمالية تمثل انتصاف الليل ، كما يمكن أن يعتبر شروق الشمس بعد مرورها بالنقطة الشرقية من المدار بنحو درجة وكذا الغروب بعد مرورها بنقطة المدار الغربية وهكذا . ومن هنا يسهل حساب الأوقات فلكياً قياسا على أوقات البلاد التي فيها شروق وغروب .

وفى الحالة الثانية — تتوارى الشمس فى الافق بعد (٢١ سبتمبر) وتدور تحته ، وما دامت على بعد من الافق أقل من (١٧ درجة) أو (١٩) يتبعها الشفق فى هذا الدوران ويبقى ظاهراً دائرا حول الأفق مدة جملة أيام معتدلة كما لوكان فى حصة المغرب ، ومعناه انعدام جميع علامات الأوقات لهذه الايام .

وفى الحالة الثالثة — يختفى الشفق أيضاً ويحبك الليل ظلمته على الأفق ويدوم أيضاً ذلك مقدار جملة أيام معتدلة ثم يظهر الشفق عائداً إلى حالته السالفة جملة أيام ، ثم تظهر الشمس كذلك وهكذا ، وفى هاتين الحالتين يمكن أن يحكم بأن جميع العلامات للأوقات الشرعية منعدمة . . . انظر الرسم رقم (٢)

وأى شىء يمكن أن يعتمد عليه فى تقدير الأوقات الخمس حينئذ غير الحساب الفلكى مع مساعدة الساعات الميكانيكية التى يمكن ضبطها أيضاً بحركة النجوم ومطالعها . . .

ولا شك أن حديث الدجال وإن كان مسوقا لبيان حكم الصلاة فى أيامه ولكن يعلم منه أن مدار العبادات على الدورات اليومية والشهرية والسنوية وبيان حكم الصلاة فى أيام الدجال بيان لحكمها فيما يماثل أيامه .



شكل نمرة (٢)

فالشارع وإن علق وجوب الصلوات بأوقات يغلب وجود علاماتها الحسية كما فى غالب الجزء المعمور من الأرض ، لكنه لم يهمل حكم غير الغالب ، فقد أخرج مسلم فى صحيحه من رواية ابن يونس بن سمعان من حديث الدجال وفيه « قلنا يا رسول الله : فذلك اليوم الذى كسنة ؛ أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له » وكذلك عدة أحاديث غيره فى هذا المعنى .

ولا يلزم أن يكون كل الناس عارفين بهذه العلامات التى تدل على الأوقات ، بل من لم يعرف يعرف ممن يعرف (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) كما لا يلزم امتناع التعريف بغير الغالب كالآلات الدقيقة والحساب الصحيح والساعات المضبوطة والأوراد والحرف والصناعات إلى غير ذلك ...

وبالجملة فإذا قبل العلماء المحققون التقدير بالأوراد والصناعات ، أفلا يقبل التقدير بالساعات المحررة وجداول الحساب المضبوطة ، وقد أجمعت الأمم كلها على ضبط مواعيدهم فى أعمالهم وصناعاتهم وزراعاتهم وتجاراتهم وبرقياتهم وسفرهم وبريدهم إلى غير ذلك بالساعات والحساب . وعلماؤنا أول الواضعين لها كما يعلم من تواريخ الحساب الفلكى والساعات ، أقصد الحساب المبنى على براهين هندسية وقوانين جبرية وحساب مثلثات مستوية وكروية ، ومن الكتب المتداولة فى الأيدى كتاب « طيب النفس » لادريس باشا راغب وكتاب « رياض المختار » لمختار باشا الغازى وكتاب « الدرر البهية » لاسماعيل باشا الفلكى وكتاب « الفلك العملى » لحسن مصطفى بك العبادى وغيرهم من أرباب الكتب الحديثة فى الفلك .

أما الكتب المعتمدة القديمة فكتاب « الدر المنثور » للشيخ عبد الله المارديني وكتاب « حاوى المختصرات » لسبطه محمد بن المارديني وكتاب « جامع المبادى والغايات » لأبى الحسن المراكشى وكتاب « النفع العام » لابن الشاطر . فإن كل ما حوته هذه الكتب من القواعد الفلكية مطرد الإنتاج لكل ما لو تأمله الحس لادركه من العلامات للأوقات الشرعية دون خطأ أو مخالفة لابتنائها على براهين وقوانين معقولة .

وفقنا الله جميعاً لخدمة العلم والدين ؟

محمد أبو العلا البنا
مدرس الفلك بالأزهر

كنوز بلاد سدوم

خطرها على الشرق

[إن في ذلك لآيات للمتوسمين]
« سورة الحجر »

ورد فى سورة الحجر عن بلاد قوم لوط : « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ، إن فى ذلك لآيات للمتوسمين » . والتوسم هو التأمل والتفرس والاعتبار . هكذا إجماع التفاسير . ولم تذكر هذه الكلمة فى القرآن الكريم جميعه إلا فى هذا المقام . وظلت هذه المنطقة لا يعرف الناس عنها إلا الشيء القليل ، إلى أن ظهرت الآلات الحديثة ، فاكتشفت ما فيها ، فأظهرت إعجاز القرآن فى هذه الآية . وإليك ما قرره علماء الجيولوجيا وطبقات الأرض .

تبين أن بحيرة لوط تنخفض عن سطح البحر (٤٠٠ متر) ، وأن هذا العمق نتج عنه ارتفاع درجة الحرارة فى البحيرة حتى أصبحت تبلغ مثل درجة حرارة خط الاستواء ، وقدروا ما يتبخر من مياهها يومياً بستة ملايين طن . ومع أن المياه المتبخرة يعوض معظمها من مياه الشمال التى تنصب فى البحيرة فإنه لكثرة التبخر يتناقص ماء البحيرة على مر الأحقاب وقد اشتدت ملوحة مائها وكثف بالنسبة إلى باقى البحار ، وبهذا فقدت الحياة من البحيرة فلا يوجد فيها أسماك ولا يغرق السابح فيها ، ولهذا أطلق عليها اسم « البحر الميت » . وقد قرر العلم أيضاً أن البحر الميت والأغوار المجاورة له إنما حدثت نتيجة لاضطرابات أرضية (أى خسف) قبل ألوف السنين . ولم يقف العلم عند هذا الحد ، بل حلل المياه فوجد فيها مواد كيماوية كثيرة منها البوتاس والصودا الكاوية والصودا العادية (القلويات) والمغنسيوم والأورانيوم الذى تصنع منه القنبلة الذرية .

لهذه الثروات وغيرها من الأسباب تآمر اليهود والإنكليز والأمريكيون فلم يكد

الجنرال اللنبي يفتح القدس سنة ١٩١٧م حتى استقدم تلوك المهندس والخبير البريطاني الكبير فكتب تقريراً ضافياً عن كنوز البحر الميت رفعه اللنبي إلى الوزارة البريطانية ، وقد جاء فيه : أن المواد الكيماوية فيه تقدر بـ ١٣٠٠٠٠ مليون طن ، وتقدر قيمتها بـ ٢٤٠ ألف مليون جنيه . وأن قوة انحدار النهر تقدر بمليون حصان .

بهذه المطامع يقنع اليهود الأمير كان والانكليز بضرورة الاستيلاء على المملكة الأردنية فلم يكد يعلن الانتداب على فلسطين حتى أخذت شركة يهودية امتيازاً لاستخراج المواد الكيماوية من هذا البحر باسم شركة البوتاس ، وقد حصلوا على امتياز آخر للاستفادة من قوة انحدار النهر سموه « مشروع روتنبرغ » وهذا المشروع أصبح ينير ويدير المدن والمستعمرات والمعامل في أكثر بقاع فلسطين . أما العرب فلم يستفيدوا من ذلك حتى الآن إلا ملح الطعام . يضاف إلى هذا خيرات الأغوار فإن خصوبة أراضيها مضرب المثل ، ولسرعة نضوج مزروعات الغور أطلق عليه اسم « طباخ » . وفيه تزرع وتنمو مزروعات وأشجار المناطق الحارة كالنخيل والموز والقطن والفول السوداني والأرز وقصب السكر وغيره مما يزرع الآن وما جرب قبلا ، وهو يزرع ثلاث مرات في السنة إذا توفرت له المياه .

هذه الكنوز الكيماوية والمنافع الموجودة في وادي الأردن والبحر الميت هي التي يود اليهود تحويل الاردن لأجلها ليسهل عليهم تجفيف البحر الميت . أما الأراضي فيستفاد من الجداول والروافد لإروائها .

إن هذا العدوان الوحشي الذي يقوم به اليهود ويغطي عليه أنصارهم وأعوانهم ومؤيدوهم هو لأجل إيقاع الرعب والفزع في قلوب سكان هذه الديار - وقد ضربوهم بالإفلاس - ليهاجروا ويتركوا البلاد خرابا يبابا كي يحتلها اليهود باسم المحافظة على الأمن والعمران .

هذه حقائق لا ريب فيها وإن الأمر ليس أمر حدود . ولقد كنا قبل الحرب ننذر بالخطر على فلسطين ، وها نحن الآن ننذر بالخطر على المملكة الاردنية .

فهل آن لنا أن نستيقظ ؟ نابلس إحسان النمر

تصحيح

وقع في الجزء الماضي ص ٣٦٧ س ١٠ خطأ صوابه (إلى الله والرسول)



نظام السلم والحرب فى الاسلام

للأستاذ السيد مصطفى السباعى * ٤٨ صفحة جيب * مطابع الكشاف فى بيروت

الأستاذ السيد مصطفى السباعى من نوابغ خريجى الأزهر ، ومن حملة الدكتوراه فى التشريع الإسلامى ، وقد أهلته مواهبه لقيادة الرأى العام الإسلامى فى الديار الشامية ، وله جهاد بالسلاح فى فلسطين كجهاده بالبيان لتوضيح رسالات الله كما جاء بها الإسلام . وهذا الكتيب اللطيف بداية سلسلة وعد بإصدارها تحت عنوان « هذا هو الإسلام » تبحث عن الفكرة الإسلامية الحديثة من مختلف النواحى . وقد تكلم فى هذه الرسالة الأولى من تلك السلسلة عن موقف المسيحية من السلم والحرب . وموقف الإسلام ، ومبادىء السلام فى الإسلام ، ونظام السلم الداخلى ، ونظام السلم الخارجى ، وواقع الحروب الإسلامية فى التاريخ . وكل ما يكتبه الأستاذ السباعى جدير بشباب الإسلام فى كل مكان أن يستفيدوا منه .

أسس الحكم فى الاسلام

للأستاذ محمد عبد الله السمان * ٨٠ صفحة جيب * مطابع دار الكتاب العربى .

هذه الرسالة هى الحلقة الرابعة من سلسلة رسائل الفكرة الإسلامية للأستاذ السمان ، بدأها بعد المقدمة بتمهيد عن الحكم فى الإسلام ، وعن الحكم والاستقرار . ثم انتقل إلى موضوع « الاعتراف بالإسلام » ، فتحدث عن الذين يرتجفون من الدعوة إليه وعن الدستور الإسلامى والقانون الإسلامى والنظام الإسلامى ومرونة التشريع وختمه بالإشارة إلى خطوة إيجابية . ثم انتقل إلى موضوع « الاعتراف بالشعب » ، فتكلم فيه عن البيعة ، وعن براءة الإسلام من الحكم الوراثى ، وعن موقف أهل الحل والعقد من الإمام إذا جار وظهر غشه . وخلط المؤلف بعد ذلك بين نظام الإسلام والأنظمة الأجنبية عنه مع أن الإسلام لا يحكم العامة بالخاصة ولا يعرف الشورى إلا فى أهل الحل والعقد . وبعد أن ضرب الأمثلة انتقل إلى موضوع « الحكومة المستقيمة » ، فتكلم على استقامة الحاكم وبشريته وعفته وعن تحقيق العدالة والمسئولية الشاملة وعن الشعوب المغلوبة . ووعد بأن تكون الرسالة القادمة عن الدعوة الإسلامية

الأدب والعلوم في شهر

خزائن الكتب العراقية

يقول الأستاذ فؤاد جميل فى (إذاعة باكستان) إن فى مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ١٠٫٢٠٠ كتاب منها أكثر من ثلاثة آلاف مخطوط . وهذه المكتبة جمعت من مكتبات مساجد بغداد قبل نحو ربع قرن ، ويقومون الآن بتنظيم فهرس لها على غرار فهرس دار الكتب المصرية . ومن مخطوطاتها كتاب « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة كتب فى مدينة واسط سنة ٤٧٢ .

وفى مكتبة المتحف العراقى خزانة كتب مهمة لكل ما يتعلق بالعراق والبلاد العربية والشرقية ولا سيما فى تاريخها القديم مما تسهل معه المقارنة بين الحضارات القديمة فى مختلف الأماكن كالهند والصين واليونان والرومان فضلا عن الأمم التى سكنت العراق . وفى هذه المكتبة نسخة من كتاب العين للخليل ابن أحمد بخط السماوى منقولة عن نسخة قديمة يقال إنها فى الكاظمية . وفيها بعض أجزاء من وفيات الأعيان قيل إنه بخط القاضى ابن خلكان .

أما مدينة الموصل فإن ما فيها من خزائن الكتب قد وصفها الدكتور داود الجلبى فى كتابه المشهور (مخطوطات الموصل)

ولوزارة المعارف العراقية مكتبات عامة فى مقاطعات العراق الأربع عشرة وفى مناطق أخرى ثانوية . ومبلغ مجموع ما فيها من الكتب مضافا إلى مكتبة مديرية الآثار حسب آخر تقرير لوزارة المعارف ١١١٫٠٩٧ كتابا

جامعة القاهرة

أعدت إدارة جامعة القاهرة إحصاء عن هيئة التدريس فى الكليات والمعاهد المختلفة ، وعدد الطلبة والطالبات فى الجامعة ، وبعض البيانات الخاصة بهم . وفيما يلى أهم ما يتضمنه الإحصاء :

يوجد فى الكليات والمعاهد التابعة للجامعة ١٦١ أستاذا و ٢٣٠ أستاذا مساعدا و ٣٠٣ مدرسين و ١٠٠ مدرس مساعد و ٣٦٦ معيدا و ٧ أساتذة غير متفرغين و ٧ أساتذة زائرين و ٤٨ مدرسا خارجين عن هيئة التدريس ، وبذا تكون هيئة التدريس مكونة من ١٢٢٢ من الأساتذة والمدرسين .

وتضم الكليات والمعاهد هذا العام ٢٠٥٤٠ طالبا و ١٨٩٩ طالبة ؛ ومن بين هذا العدد ٣٥٧ طالبا سودانيا ، و ٩٦٣ طالبا من مختلف الدول العربية الشقيقة ، علاوة على ٨٥ طالبا من الطلبة المغاربة ، و ٦٦٠ طالبا من الأقطار الشرقية ، و ١٨ طالبا من جنسيات مختلفة .

مخطوطات أثرية بالقدس

انتهت بعثة اللجنة الثقافية للجامعة العربية من البحث عن المخطوطات العربية ذات القيمة التاريخية وتصويرها بعد أن قضت فى بلاد الأردن نحو أسبوعين لإنجازها .

وقد صرح أحد أعضائها بأن البعثة عثرت فى القدس على مخطوطات ذات أهمية أثرية وتاريخية لا مثيل لها فى العالم ، وستزور دمشق وبيروت للغاية ذاتها .

لا يعرفون العربية

لاحظ أعضاء لجان حصر ممتلكات أفراد أسرة محمد على أن معظم هؤلاء الافراد لا يعرفون اللغة العربية ولا يتكلمون بها فى قصورهم مع أنهم مضى عليهم مائة وخمسون سنة وهم يتناسلون فى مصر . وهم يتكلمون - مع التركية - الفرنسية والألمانية والإيطالية

وسأل أحد أعضاء اللجان سيدة من أفراد هذه الأسرة : ألا تعرفين اللغة العربية (ليكلمها بلغة البلاد) فردت قائلة : لا أعرفها .

واضطرت هذه اللجان إلى كتابة كثير من إقرارات التسليم والتسلم باللغات التركية والألمانية والفرنسية ليستطيع سكان القصور والمساكن الذين لا يعرفون العربية قراءة هذه الإقرارات والتوقيع عليها .

هوة سحيقة

أعلن الدكتور محمد طلعت عميد كلية الطب بجامعة الإسكندرية فى حديث له أن هوة سحيقة قد نشأت بين البعض من الأطباء وبين مثلهم العليا ، وهم يتسابقون إلى المادة فى عالم مضطرب . ثم أورد من تفاصيل ذلك أن الإخصائى الاستشارى يفحص أى مريض يستطيع دفع الأجر ، وهو يتقاضاه أجراً مضاعفاً إذا تقدم إليه دون وساطة الطبيب المعالج . وإخصائيو المستشفيات العامة والتعليمية يعملون على اجتذاب المرضى إلى عياداتهم الخاصة ، وهم فى ذلك يلتحقون أو يتطوعون للعمل فى أكبر عدد من المستشفيات فيحرمون زملاء لهم من العمل ، وربما اضطرت حاجة هؤلاء إلى النزول بالمستوى الاجتماعى للمهنة . وقد أدى هذا التكالب بأحد الجراحين الإخصائيين إلى أن يعلن عن استعداده أن يدفع عوناً مالياً لمستشفى يتطوع فيه . وفى إحدى العيادات الخارجية التى أعرفها شخصياً اعتادت الممرضة أن تنصح من يدل لباسه على شىء من اليسر بأن الأوفق

لمصلحته استشارة الطبيب فى عيادته الخاصة وفى كثير من الأحيان تكون كلمة السر لدخول المستشفى زيارة سابقة بأجر معلوم للطبيب فى العيادة الخصوصية . . . الخ .

خطر الارتجال

فى الخطاب العظيم الذى ألقاه الرئيس محمد نجيب فى هيئة التحرير بأسيوط قال :

« إننى أحذركم من الوقوع فى براثن مرض فتك بأعمالنا فى الماضى وهو الارتجال ، فكم من مشروع قضى عليه فى المهد لأنه لم يدرس ولم يعرف القائمون به الصعاب التى تعترضه والثغرات التى تعيبه : فضاع وضاعت معه الجهود التى بذلت فيه والأموال التى جمعت له . فاتعظوا بهذا الماضى ، وادرسوا مشاكل المجتمع الذى تعيشون فيه ، واجمعوا الإحصائيات ، وقيسوا جهودكم على الأعمال المطلوبة منكم . فإذا فرغتم من الدرس والبحث فنفذوا مشروعاتكم معتمدين على الله وعلى ثقة مواطنيكم بكم » .

علو الطبقة المتعلمة

ألقى البكباشى جمال عبد الناصر نائب رئيس الوزراء خطبة فى منيا القمح قال فيها :

« إن الطبقة المتعلمة طالما تملقت العهود الماضية على حساب باقى المواطنين . وكانت الحكومات ترى أن الطبقة المتعلمة ذات ألسنة طوال تستطيع أن تمتد إلى الحكومة لتقول لها مثلا : إنك لا تسيرين فى الطريق المستقيم . . فتبادر الحكومة بصرف العلاوات ، وبدل التفرغ ، وبدل التخصص ... وكانت هذه العلاوت كلها رشوة . وإنى لأربأ بالمتعلمين فى هذا العهد أن يقبلوا على أنفسهم هذا الوضع . إننا لن نحابى طبقة على حساب طبقة ، ولكننا سنمضى بالوطن ـ كمجموعة ـ نحو الحياة القوية . أرجو أن نعرف هذا ونفهمه ، فإن الوطن لا يكون قوياً بوفرة الحياة لنصف مليون متعلم ... إننا نريد أن يأكل ويلبس ويعالج ويسكن كل المواطنين . وأنتم تعلمون أن العهود الماضية تركت لنا مواطنين لا يجدون ما يأكلون ، ولا ما يلبسون ، ولا مأوى يأوون إليه » .

محكمة المياه العربية

ما زالت قائمة فى أسبانيا

كان مما لفت نظر مندوبى غرفة الاسكندرية التجارية فى أثناء زيارتهما الأخيرة لإسبانيا ، « محكمة المياه » التى ما زالت قائمة فى إسبانيا منذ العهد العربى . وهى تقوم بحسم كل خلاف بين الزراع فى منطقة بلنسية على رى أراضيهم فتنصف المغبون وتوقع العقوبة المناسبة على من يجور على حقوق غيره ولو كان من قضاتها

وهذه المحكمة المؤلفة من الأهالى تتمثل فيها العدالة العربية فى بساطة إجراءاتها وشعبية نظامها ودقة أحكامها التى لا تتقيد بأى قانون وضعى بل تستند إلى التقاليد المرعية والعرف الذى توارثه قضاتها عن العرب . وهى تتمتع باحترام عميق فى نفوس الإسبان شعبا وحكومة لا يقل عن احترامهم لأكبر هيئة قضائية فى بلادهم .

العالم الإسلامي في شهر

قوة العرب أجمعين

خطب الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومي في المؤتمر السياسي بمدينة الإسكندرية فقال : لقد وكل إلى هذه الأمة المصرية أمر قيادة شعوب العرب في أهم منطقة من العالم . ولكن بكل أسف لم تقم مصر في الماضي بما يجب أن يبذل في هذا المضمار حتى تتمكن من السير - بقوة العرب أجمعين - إلى مجد العرب أجمعين ، مجد العرب وعزتهم أجمعين

يجب أن نفهم أن وطننا ليس مقتصراً على مصر فقط ، إن هناك ملايين عديدة تقف إلى جوارنا وتنتظر منا أن نقودها إلى مجدها السابق . إننا لن ننجح في هذه الناحية إلا إذا تبصرنا جيداً هذه الأمور واضعين نصب أعيننا أن الوطن هو منطقة العروبة جمعاء .

لقد سمعتم من أخي جمال منذ شهر مضى أنه اقترح عقد اجتماع لقادة العرب كل شهرين أو ثلاثة ، وليكن هذا الاجتماع في مكة المكرمة ، نناقش فيه أمور دنيانا وننسق أعمالنا ونوحد خطتنا وأغراضنا وأهدافنا . وإني مطالب وأوجه هذه الكلمة لكم لنجد صداقتنا في نفوس العرب في كل مكان . إني مطالب - كمسئول في هذه الأمة - أن أدبر اجتماعات شعبية تمثل العرب في كل مكان . وليكن هذا الاجتماع في القاهرة في أقرب وقت ممكن ، يحضره ممثلو الشعوب لا الحكومات ، يتدارسون ويتباحثون ويتناجون ويدرسون الخطط التي توصل إلى تحطيم الظلم والإرهاب والاستعمار . بهذه القوة البشرية الهائلة ، وهذه الموارد الهائلة التي بين أيدينا ، وبهذه المنطقة الحيوية ، وبسواعدنا وتماسكنا ، وبتوحيد خططنا ، نستطيع أن نستغني عن العالم أجمع ، وأن ننبذ إلى الأبد فكرة العون من الغرب أو من الشرق

موقف مصر من الاستعمار

ألقى الرئيس اللواء أركان الحرب محمد نجيب خطاباً في مدينة أسيوط قبل عودته إلى القاهرة تحدث فيه عن أهداف هيئة التحرير ، وعن زعامة الشباب ، كما تحدث عن فكرة الحرس الوطني والإنجليز والخدمة العسكرية . وفي

ختام خطابه وجه لدول الغرب إنذاراً حاسما قويا ، وكان مما قاله :

إن الاستعمار أفقرنا ، وأجاعنا ، وفرض علينا المرض . . فالقتال من أجـــل الحرية سيجمعنا فى ظـل الشدة ، وسيجعل كلا منا رفيقا وزميلا لأخيـه المصرى من غير أن يسأل ابن من هو .

ولتعلم دول الغرب هذه الحقائق ولتفـكر فيها جيداً ، لأن النار التى يودون إشعالها فى الشرق العربى ستحرقهم قبل أن تحرقنا . بل ستحرقهم دون أن تحرقنا ، وسنبقى أقوياء ظافرين ، لأننا على حق وهم معتدون .

إما صداقة أساسها حريتنا الكاملة ، وإما عـــداوة ستقف إلى جوارنا فى حربها شعوب العرب .

إنى أقر بإيمان أن الحرس الوطنى سيكشف عن مواهب أبناء الشعب الـكامنة فيه ، وأنه حينما تدق ساعة الجهاد سيبهرون العالم .

مساعدات هذه الدول

قال وزير الإرشاد القومى الصاغ صلاح سالم : « إننا إذا كنا سنظل نأمل فى مساعدة هذه الدول فلن نصل إلى شىء ولتعلموا أنه لاتوجد أية دولة مستعدة لمجاملتنا ، فكل دولة تنظر إلى مصلحتها وإلى مصلحتها فقط . ولن نحصل على شىء إلا إذا انتزعناه بسواعدنا .

وفى اليوم الذى نستطيع فيـه انتزاع حريتنا نصبح أمـة قوية ، ولن تقف يومئذ أمامنا أمريكا ولا بريطانيا ولا أية دولة أخرى » .

الـكهرباء بالمدينة

وضع الملك سعود بن عبد العزيز أثناء زيارته للمدينة المنورة الحجر الأساسى لمحطة توليد الـكهرباء .

الاتحاد الإسلامى

وجه مندوب جريدة (القاهرة) إلى حاكم الباكستان السؤال التالى :

س - ما رأيكم فى قيام اتحاد إسلامى بين الدول الإسلامية على نمط الـكومنولث ؟

فأجابه : أرى أن التـكتل بين الدول يزيد من قوتها ، وكلما اتجهت الدول الإسلامية نحو التـكتل زادت قوتها وقوى نفوذها ، ولا شك أن الدول الإسلامية لو توحدت فى نظام يجمعها لأصبحت قوتها الدولية لا تقل عن قوة كل من الـكتلتين الشرقية والغربية ولست وحدى الذى يحبذ هـذا المشروع ، بل إن سلفى السيد محمد على جنه - الحاكم العام السابق لباكستان - طالما نادى بهذا الرأى وإن بعث هذه الفـكرة ليس سابقاً لأوانه .

الى الاتحاد الاسلامى

صرح الرئيس اللواء محمد نجيب بأن وحدة وادى النيل مقدمة لتأليف اتحاد إسلامى واسع النطاق . فقد قال فى الخطاب الذى ألقاه فى جامعة القاهرة : « لو بحثتم عن السر فى تمسك بريطانيا بالتفريق بين شطرى الوادى لعرفتم أن وراء إتمام وحدة وادى النيل هدفا أعظم ، هو أن يصبح وادى النيل المتحد العمود الفقرى لاتحاد إسلامى عظيم يمتد من شمال إفريقيا إلى الملايو شرقا ، ومن شمال البحر الأبيض المتوسط حتى جنوب إفريقيا .

المؤتمر الاسلامى فى القدس

استقبلت مدينة القدس فى الأسبوع الأخير من شهر ربيع الأول الماضى وفود الأقطار الإسلامية لعقـــد مؤتمر ينظر فى القضية الفلسطينية على ضوء الأحداث التى وقعت إلى الآن ، وما ينبغى أن يكون موقف العالم الإسلامى منها . وفى صباح يوم الخميس ٢٦ من ربيع الأول الذى افتتح فيه هذا المؤتمر نشرت « الأهرام » البيان الآتى من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قال :

ينعقد المؤتمر الإسلامى فى القدس اليوم للنظر فى موقف المسلمين من أعظم كارثة ارتكبتها الإنسانية فى هـذا العصر ، وهى إخراج أمة من بيوتها وحقولها ووطنها ، وإلقاؤها بنسائها وشيوخها وأطفالها فى خارج الحدود ، لتحل فى محلها أمة أخرى غريبة عن البلاد .

وإذا كان المهيمنون على القوة البشرية قد ارتضوا لأنفسهم أن يقفوا موقف المتفرج بل موقف المؤيد لهذه الفاجعة ، وما سيتلوها من بغى على الأماكن المقدسـة ، وتبييت للعـدوان على جهات أخرى ـ فإن هنالك خمسمائة مليون مسلم عاصروا مراحل هـذا الحـادث الإنسانى العجيب ، وراقبوه من مرحلة إعلان صك الانتداب على فلسطين ، إلى تنظيم الهجرة اليهودية المتواصلة ، إلى ابتكار فكرة تقسيم فلسطين ، إلى المصارحة بإقامة دولة إسرائيل ، إلى التمتع بسماع أنين الإنسانية والفضائل حزنا على فتك القوات الشريرة بالضعفاء والمضطهدين من سـلالة أصحاب فلسطين ومالكيها من قبل أن يخلق إسرائيل بآلاف السنين .

لقد دعيت للاشتراك فى هـذا المؤتمر ، استنكاراً لأبشع بغى وقع فى تاريخ الإنسانية فحالت الظروف بينى وبين أن أكون مع الذين اشتركوا فيه .

ولـكن قلبى وقلوب خمسمائة مليون مسلم تضطرب باشمئزاز وسخط غضباً على التنكيل بالأبرياء جهرة على سمع القوة وبصرها ، وإنى

وكل مسلم على وجه الأرض مشتركون فى كل ما يقرره المؤتمر الإسلامى فى القدس لإزالة هذه السبة عن الإنسانية التى وقعت كارثة فلسطين تحت سمعها وبصرها .

إن هذا بغى ، والبغى مصرعه وخيم ، وعلى الباغى تدور الدوائر ، وإن الله لبالمرصاد للظالمين .

وإنى لأهيب بالمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يجودوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل إنقاذ المشردين الجائعين من أهل فلسطين ، فإن فى إنقاذهم محواً لعار يهدد كيان البشرية بأسرها ، وإنقاذاً لكرامة المسلمين أمام العالم ، والله يوفقنا ويهدينا سواء السبيل .

أفيونه

استطاع البكباشى جمال عبد الناصر فى خطبة له أن يصور حقيقة الموقف السياسى بوضوح ، ودقة ، وإيجاز ، قال :

إن ما يزعمه « العالم الحر » من مساعدة الشعوب الصغيرة ليس إلا « أفيونا » لتخدير هذه الشعوب كى تنام ، ويظل هذا « العالم الحر » مسيطراً عليها .

إنهم يعتبروننا أسواقا لترويج منتجاتهم ، وإنهم ينهبون أرزاقنا ويسرقونها ويقدمونها لأهليهم ، ويعطوننا بدلا منها وعوداً كاذبة .

إن ما قيل من أن أمريكا ستمنحنا قروضاً لتنفيذ مشروعاتنا الإنتاجية ، والاجتماعية والثقافية لم يكن إلا خداعا ، وبهتانا . فها نحن بعد أربعة عشر شهراً من قيام الثورة لم نر شيئاً ، ولم نصدق شيئا .

لا بد من الاعتماد على أنفسنا .

إن أمريكا مرتبطة تمام الارتباط بحليفتها انجلترا . وللاثنتين عدو مشترك هو روسيا . وأمريكا لا ترضينا لتغضب إنجلترا .

لا تصدقوا أن أمريكا ستساعدنا ، فإنها وحليفتها انجلترا خطتهما واحدة . .

الخطر على روحانية الصحراء

من اتساع الرخاء المادى

عرضت مجلة (إيكونومست) لموضوع مهم يتعلق بالبترول فى صحارى بلاد العرب ، والروحانية التى كانت تتجلى على تلك الصحارى قبل الـــثراء الطارىء ، وما يخشى على تلك الروحانية من خطر ينشأ عن اتساع الرخاء المادى الطارىء عليها بسبب استغلال آبار البترول .

ولما وقع نظرنا على ملاحظة هذه المجلة الأجنبية تذكرنا حديث عمرو بن عوف فى

صحيح البخارى الذى يرويه عنه المسور بن مخرمة وهو قول رسول الله ﷺ : « والله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وهذا الحديث من اعلام النبوة .

والمال فى نفسه ليس خطراً على فرد ولا على جماعة ، ولكن الخطر ينشأ عن وضعه فى غير مواضعه ، وعن استعماله فى المهم دون الأهم ، والاستجابة فيه لوحى الساعة فلا نصغى إلى نداء المستقبل .

انقاذ السودان

كشف الصاغ صلاح سالم عن سر خطير يذاع للمرة الأولى ، فقد أوضح فى الخطاب الذى ألقاه فى جامعة القاهرة كيف أن الاستعمار البريطانى كان قد أعد خطة لفصل السودان عن مصر قبل انتهاء عام ١٩٥٣ ، قال .

« فى ابريل عام ١٩٥٢ قدم الحاكم العام للسودان الذى كانت له السلطة الأولى مذكرة لمصر تتضمن الملاحظات على دستور الحكم الثنائى . وكانت أهم نقطة فى هذا الدستور تقول : « يحق للسودان أن يقرر مصيره فى عام ١٩٥٣ إذا أراد » . ومعنى ذلك أنه كان من الممكن أن تمضى بريطانيا فى سياستها لفصل السودان عن مصر بأن تقيم دولة مستقلة صورية قبل انتهاء عام ١٩٥٣ . ثم تعقد هذه الدولة معاهدة مع بريطانيا مثل معاهدة ليبيا مثلا ! . . وربما كنا أطلقنا نحن المصريين فى ذلك الوقت على السودان اسم « دولة السودان المزعومة » . وكان ذلك كله قبل حركة الجيش بشهور قليلة . ولذلك حرصنا عندما قمنا بالحركة على أن نتصل بالسودانيين أنفسهم لنتعرف على رغباتهم التى هى رغباتنا . فهم يريدون إجلاء المستعمر كما نريد نحن . وقد واجهنا الحقائق بشجاعة فمزقنا مناورات ومؤامرات المستعمرين .

أسوان بين أمسها وغدها

خطب السيد رئيس الجمهورية فى أهل أسوان عند زيارته لهم فى الشهر الماضى ، فكان مما قاله لهم :

« كان جهد الحكام فى العهد المنقرض يقف بهم عند المديريات القريبة من القاهرة . أما أنتم فأبعد ما تكونون عنهم . لقد كانت مديرياتكم وعواصمها ومراكزها منفى لا يبعث اليه إلا بكل مغضوب عليه مطرود من رحمة الله ولا يشارككم مشاق العيش إلا من لفظته الحكومة . مع أن مديرية أسوان هى صلة الوصل بين شق الوادى ، والشريان الذى يصل الرأس بالجسد . وان هذه المنطقة وما حواليها

هى التى شهدت فى الماضى مولد مجد مصر وحضارة مصر ، وهى التى قام بها خزان أسوان واحتملت فى سبيل إقامته ـ المرة بعد المرة ـ ما لم تحتمله مديرية أخرى .

وقد كان خزان أسوان ـ ولا يزال ـ الجهاز المحكم فى صدر حياتنا ، أعنى النيل العظيم ، وسيكون فى الغد القريب بإذن الله مصدراً لرزق جديد . فسنولد منه الكهرباء فينبثق نورها يضيء ، وتنطلق حرارتها تخلق صناعات كبيرة كصناعة السماد والحديد .

إن التاريخ يعيد نفسه ، فلقد خرجت الحضارة من بلادكم ، وستساهم بلادكم فى وضع أساس الصناعة المصرية الفخمة التى نؤمن إيماناً عميقاً بأنها الوسيلة الناجعة للقضاء على الفقر الذى نكابده ، والمرض الذى يفتك بأولادنا فتكا ذريعاً . وعندما تقوم هذه الصناعات الفخمة ستفتح المصانع الكبيرة أبوابها لأولادكم ليتعلموا فيها ولينتجوا مصنوعات تزيد من دخلنا وتعيننا على أن ننشيء ما نحتاج اليه من مدارس ومستشفيات ، ونشق ما يلزمنا من مصارف وطرقات ، ونستصلح ما ينتظر الإصلاح من أراضينا الزراعية ، ونروى ما يحتاج إلى الرى من مناطقنا الصحراوية .

إنى لا أداعبكم بالأمانى إن أنا قلت لكم : إن إسم أسوان سيطير فى الآفاق وسيكون على لسان كل إنسان فى عالم الصناعة » .

الزراعة فى الواحات

وزعت وزارة الزراعة على أهالى الواحات الداخلة والخارجة عشرة آلاف شجرة من الزيتون والموالح والعنب والرمان والمشمش بالمجان ، كما وزعت عليهم أشجاراً خشبية لاستعمالها كسياج لمقاومة سفو الرمال على مزارعهم . وذلك رغبة فى توفير ما يكفى حاجة البلاد من الموالح والفاكهة والتصدير منها .

موقف مصر الاقتصادى

ألقى الدكتور عبد الجليل العمرى وزير المالية والاقتصاد محاضرة فى قاعة يورت موضوعها « ما نريده فى شئوننا الاقتصادية » ومما قاله فيها :

لاشك أن مستوى المعيشة منخفض فى مصر وهذه حقيقة تحز فى نفوسنا ، ومرجع هذا إلى تزايد عدد السكان . وقد تناول الباحثون هذه الناحية بإسهاب ، وتظهر هذه المشكلة بجلاء بمقارنة الزيادة المطردة فى السكان بالزيادة فى موارد الإنتاج على اختلاف أنواعها من أراض ومصانع ومصادر للقوى المحركة وما إلى ذلك ، وأهم ما يسترعى النظر فى هذا الصدد هو أنه بالرغم من نمو الاستثمار الصناعى فإن عدد المشتغلين بالصناعة فى آخر

تعداد سنة ١٩٤٧ لم يتجاوز المليون مقابل ثلاثة أرباع المليون فى سنة ١٩٢٧ ، ولم يزد نصيب الصناعة فى الدخـــل القومى زيادة تذكر ، بينما زاد عـدد المشتغلين فى الزراعة من ثلاثة ملايين ونصف مليون فى عام ١٩٢٧ إلى سبعة ملايين ونصف مليون فى عام ١٩٤٧ بينما الأراضى الزراعية تراوحت تقـديراتها بين ٥١ر٥ و ٦ ملايين من الأفدنة مما أدى إلى ازدحام الريف وتناقص إنتاج العامل وقصور الأراضى المزروعـة عن تزويدهم بالغذاء الكافى . ولهذا يجب أن نعمل على زيادة الإنتاج من الرقعة الحالية وهو مانسعى إليـه فى الوقت الحاضر عن طريق التقاوى المنتقاة ، وإبادة الحشرات ، واستعمال الأسمدة العضوية والكيماوية ، والآلات الزراعية ، مع تحسين وسائل الرى والصرف الحالية .

وتقترن بتحسين طرائق الإنتاج زيادة الرقعة المنزرعة ، وهذا هو أساس إحداث زيادة ملحوظة فى الدخل الأهلى تساعد على زيادة طلب الكثرة على مختلف السلع مما يسهل قيام التصنيع وازدهاره .

ونريد فى السنوات القـادمة أن يسير استصلاح الأراضى بنسبة تقرب من نسبة زيادة عدد السكان أو تربو عليها .

ولقد خصصت الحكومة اعتمادات كبيرة فى الميزانية الإنتاجية للسنة الحالية والسنوات المقبـلة لاستصلاح منطقة تقرب من ربع مليون فدان فى مختلف أنحاء البلاد ، كما أنها تسير بخطوات موفقة لاستكمال أبحاث السد العالى وإعـداد وسائل تمويله مما ينتظر معه زيادة المساحة المنزرعة بنحو مليون و ٢٠٠ ألف فدان خلال ١٥ عاما .

ونريد إلى جانب ذلك زيادة الاستثمار الصناعى زيادة مطردة بحيث تستوعب جانبا من الزيادة فى عدد السكان ، فان عدد القادرين على العمل يزداد سنويا بنحو ١٥٠ ألف نسمه ونريد أن يتحول من هؤلاء إلى الصناعة قرابة ٥٠ ألف نسمة .

ويجب أن نسعى أيضا لاستغلال الصناعات الحاليـة إلى أقصى حـد ، لاجتناب استيراد مـا يماثل منتجاتهـا ، كما نريد ألا يقتصر تفكيرنا على الصناعات الضخمة ، وليكن الهـدف الذى نسعى إليه هـو اقتفاء أثر اليابان فى الاهتمام بالصناعات الصغيرة إلى جانب الصناعات الكبيرة .

الحياة النيابية فى مصر

من سنة ١٩٢٤ إلى سنة ١٩٥٢

قال الدكتور محمد حسين هيكل فى شهادته بقضية أحمد عبد الغفار : «وكان عندنا نقص فى الدستور من حيث أننا مركزون كل السلطة فى القاهرة ، والملك كان فى يده السلطة والبرلمان والوزارة . أما الهيئات النيابية فى الأرياف فليس لها سلطة مطلقاً ، والشعب مافيش فى يده سلطة . فكان بطبيعة الحال يضطر أن يجارى السلطة القائمة . وفى مدة الحياة النيابية من سنة ١٩٢٤ إلى ١٩٥٢ تغيرت فى مصر أكثر من عشرين وزارة ، والمجلس اللى ما يرضيش الملك كان يحل ، والوزارة التى ما تعجبش الملك كانت تقال » .

الأزهر يستولى على مبنى

من أوقاف عبد العال

طلب الأزهر إلى وزارة الأوقاف ، اتخاذ مبنى الملجأ المنشأ حديثا من وقف عبد العال مقرا لدراسة الفصول الزائدة من طلاب معهد سمنود الدينى .

وقد استجابت الوزارة لهذا الطلب وأحالت أوراق هذا المبنى إلى المحكمة الشرعية للبت فى الموضوع .

حياد أندونيسيا

أعلن السيد سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا فى خطابه ألقاها بمدينة (سوراكارتا) أن بلاده ستقف على الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية .

الأحلاف فى ايران

قال الدكتور مصدق رئيس وزارة إيران السابق فى أثناء محاكمته فى طهران : إن إيران كانت مرتعاً للخيانة ، وإن حكومته لم تكن تتخذ أى قرار سرى حتى تعرفه لندن فوراً . وإن الأجانب هم الذين دبروا انقلاب ١٩ أغسطس ١٩٥٣ ، لا الشعب ، ولا الشاه الذى فرض عليه هذا الانقلاب من الدول الأجنبية .

محمد على

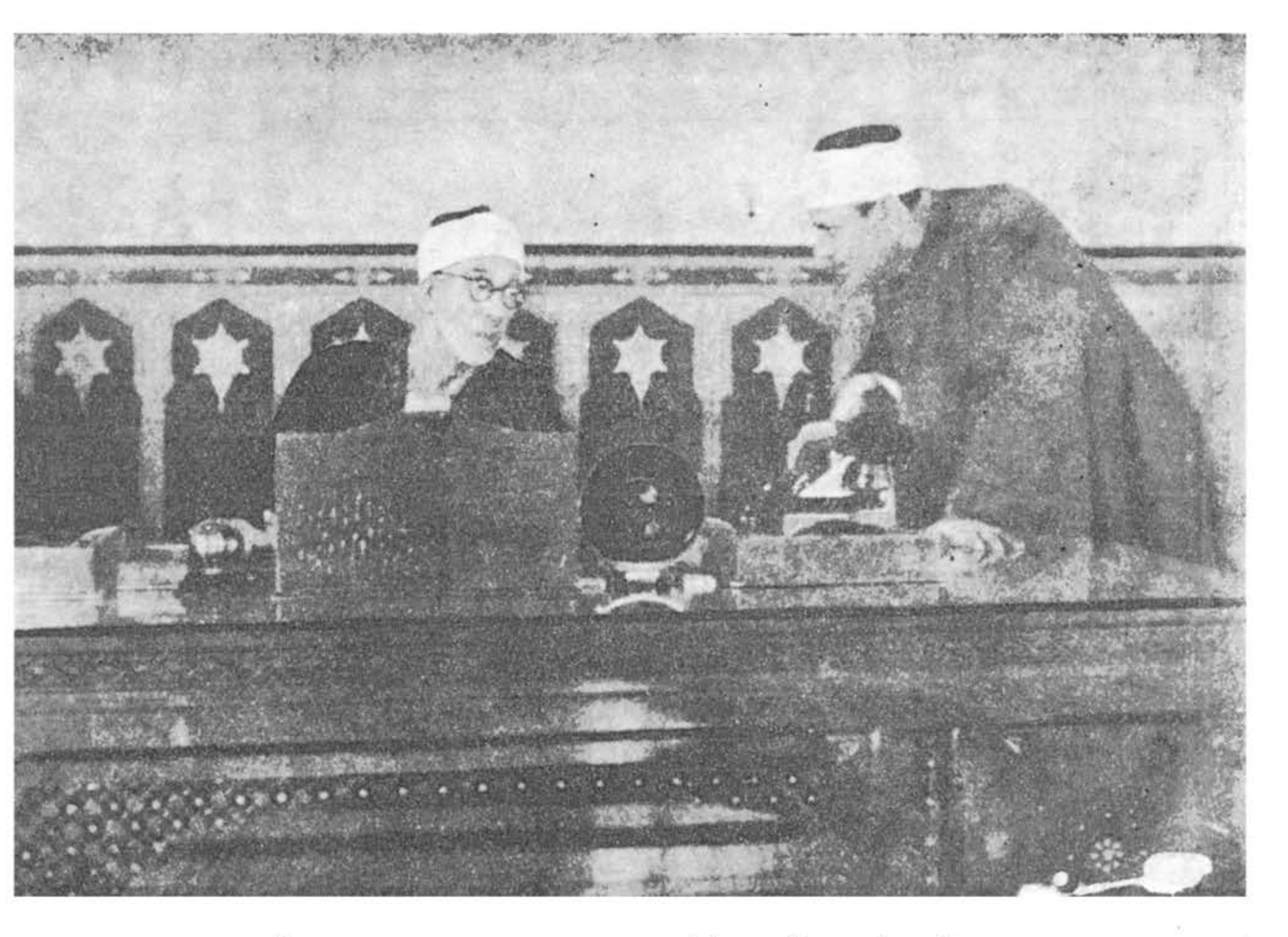
يشنق جد الأستاذ سليمان حافظ

صرح السيد سليمان حافظ ، أن محمد على عندما كان يطارد المماليك إلى أقاصى الصعيد ، كان يختار أربعة من زعماء القبائل فى كل بلد ، ويعدمهم بقصد الإرهاب .

وقال السيد سليمان حافظ : إن أحد أجدادى كان من هؤلاء الضحايا فى بلاد النوبة ، وقد شنق فى قلعة ابريم .

فهرس

الجزء الرابع ـــ المجلد الخامس والعشرون



حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

مشيخة الأزهر الشريف

تعيين صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج

قرر مجلس الوزراء فى جلسته المنعقدة يوم الخميس ٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧٣ (٧ يناير سنة ١٩٥٤) الموافقة على قبول الاستقالة المقدمة من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر ، واختار لهذا المنصب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج عضو جماعة كبار العلماء وأستاذ الشريعة الإسلامية فى كلية الحقوق بجامعة إبراهيم وعضو لجنة وضع مشروع الدستور .

وفى يوم السبت ٤ جمادى الأولى (٩ يناير) صدر قرار مجلس الوزراء الخاص بتعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخاً الأزهر ، وقد أبلغته السكرتيرية العامة لمجلس الوزراء إلى فضيلته .

وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج مولود بمدينة أسيوط سنة ١٣١٤ (١٨٩٦) ونال شهادة العالمية بالمرتبة الأولى سنة ١٣٤١ (١٩٢٣) وشهادة التخصص بالمرتبة الأولى أيضا سنة ١٣٤٥ (١٩٢٦) وعين بعد تخرجه مدرسا بمعهد أسيوط الدينى ثم نقل إلى المعهد الأزهرى سنة ١٩٣١ ثم اختير أستاذا بكلية الشريعة سنة ١٣٥٢ (١٩٣٣). وفى سنة ١٣٥٥ (١٩٣٦) اختير عضواً فى أول بعثة للأزهر إلى أوربا ومكث فى فرنسا سبع سنوات وثلاثة أشهر . ونال الدكتوراه من جامعة السوربون ، وعاد من فرنسا سنة ١٣٦٢ (١٩٤٣) فاختير للتدريس فى قسم تخصص القضاء الشرعى ، ثم عين مفتشا للعلوم الدينية والعربية بالمعاهد الأزهرية ، وعين شيخا لمعهد الزقازيق الدينى ، ثم شيخا للقسم العام والبعوث الإسلامية بالأزهر ، وعضواً دائما وسكرتيرا فنيا للجنة الفتوى بالأزهر وقد كان فى عضوية هذه اللجنة منذ إنشائها فى سنة ١٩٣٥ ، واختير أستاذا للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق فى جامعة إبراهيم ، وحصل على عضوية جماعة كبار العلماء سنة ١٣٧٠ (١٩٥١) وكان موضوع رسالته « السياسة الشرعية والفقه الإسلامى » . واختير عضواً فى لجنة وضع مشروع الدستور الجديد عند تكوينها فى العام الماضى .

وفى صباح يوم الاثنين ١١ يناير توجه فضيلة الأستاذ الا كبر إلى إدارة المعاهد الدينية حيث تسلم مهام منصبه الجديد ، وكانت فى استقبال فضيلته جموع حاشدة من أساتذة الازهر وطلابه ، وتعالت الهتافات بحياة فضيلته وحياة رجال الثورة الأحرار .

وقد أقبل أعضاء جماعة كبار العلماء وأساتذة الكليات والمعاهد الدينية والموظفون الإداريون على مكتب فضيلته مهنئين . وبعد أن استمع فضيلته لكلماتهم أطل على جموع الازهريين المحتشدين أمام مبنى الإدارة وارتجل الكلمة الآتية :

« أشكر لكم هذه الحفاوة البالغة وهذا الاستقبال الرائع . وإنى أرجو أن يوفقنى الله لان أتقدم بالأزهر إلى المكانة العالية التى كان يتبوؤها من قبل

وإنى أبشركم بأن بوادر هذا المستقبل الزاهر المرجو للأزهر قد لمستها فى جلسات قصيرة خفيفة مع رجال هذا العهد السعيد . فقد لمست فيهم إيماناً خالصاً وضراعة إلى الله تعالى أن يعينهم على ما فيه خير الأزهر .

والذى أرجوه أن ينصرف كل منا إلى واجبه وأن يحافظ على النظام ، ولا أطيل عليكم ، وسأجمل برنامجى فى كلمة قصيرة وهى :

انى سأعمل على أن يكون العدل بين جميع الازهريين رائدى ، وعلى أن يحافظ كل منا - وأنا أولكم - على أداء واجبه . فليحافظ كل منا على أداء هذا الواجب ، وسينال كل حقه كاملا إن شاء الله ، والله المستعان ، وبيده الحول والطول ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وفى اليوم نفسه زار الأستاذ السيد فتحى رضوان وزير الدولة مكتب صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر فى إدارة المعاهد الدينية .

وتوجه فضيلة الأستاذ الأكبر والأستاذ الشيخ صالح موسى شرف السكرتير العام للأزهر إلى قصر الجمهورية وقيدا اسميهما فى سجل الزيارات لمناسبة تعيينهما فى منصبيهما .

فنضرع إلى الله عز وجل أن يجعل عهده عهد إصلاح وحيوية وتجديد للجامع الأزهر وكلياته ومعاهده ليتجدد به شباب الإسلام ، ويعود المسلمون إلى طريقهم نحو السعادة والرضا الإلهى .

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
العنوان
ادارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر والسودان
٣٠ للطلبة في مصر والسودان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
ثمن الجزء ٥

الجزء الخامس - القاهرة في غرة جمادى الأولى ١٣٧٣ - ٦ يناير ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

وسائل ... وغايات ...

إن الاستعمار يعالج الآن سكرات الموت ...

وبعد أن كان التاريخ واقفاً منذ ثلاثمائة سنة يشاهد انسياب هذا الأخطبوط نحو الأوطان الإسلامية - وطن بعد آخر - ليفشب فيها أرجله المصاصة، وليفرض عليها وصايته - بل عبوديته - في معايشها وحقولها وأسواقها وصناعاتها وأذواقها وتثقيف أبنائها وغزو عقائدهم بترويج مبادىء تخالفها وإدارة بلادها بما لا يتفق مع مصالح أهلها والقضاء بينهم في حقوقهم ودمائهم بأحكام غير أحكامهم؛ رأيناه بعد الحربين العالميتين واقفاً يشهد قصة انسحاب هذا الحيوان المفترس : فرفعت هولاندا قبضتها الحديدية عن إندونيسيا بعد أن تحكمت فيها أكثر من ثلاثمائة سنة، وانكمش الاستعمار البريطاني من باكستان والهند بعد أن استغل كل ما فيهما من مدر وحجر وشجر وبشر مدة مائة سنة استغلالا سافراً ومدة خمسين سنة أخرى قبل ذلك باسم الضيافة والتجارة وصيانة المصالح، وتحررت البلاد الشامية من الانتداب الفرنسي السمج بعد أن عانت منه الأمرين فيما بين الحربين، وانقلبت إيطاليا من ليبيا وأريتريا فقبعت في حذاء وطنها المغمور في البحر لتستيقظ فيه من أحلام موسوليني بتجديد سطوة الرومان وجبروتهم على الأرض . وها نحن الآن نرى السودان مقبلا على

عهد جديد من حياته العامة تتولاه وزارة من أبنائه الأحرار بإشراف مجلسيه النيابيين عليها ، وسيسجل التاريخ عما قريب خروج آخر جندى أجنبي من منطقة القنال فى مصر ، ثم من فلسطين ، وشمال إفريقية ، ومن كل بقعة أخرى فى دنيا المسلمين .

إن هذه الاحداث من أعظم أحداث التاريخ ، وما بقى منها أيسر مما أتم الله به نعمته علينا حتى الآن . وإن عظمة هذه الأحداث فى عواقبها أهم وأغزر بركة من بوادرها ، بشرط محتم لا مناص منه وهو أن يضع المسلمون حداً لحياة الارتجال ، وأن ينتهوا إلى رأى حكيم فيما ينبغى لهم أن يأخذوا وما ينبغى لهم أن يدعوا ، وأن يرسموا طريقهم السوى إلى مستقبلهم الذى هم ماضون إليه .

هذه العملية ، عملية تكوين الرأى الحكيم فيما نأخذ وما ندع ، وعملية رسم الطريق إلى المستقبل ، هما شطر العمل العظيم الذى نحن مقبلون عليه وهو إقامة كياننا الكريم فى الخلافة على الأرض ، أو فى الخلافة الصالحة على أرضنا وشعوبنا فى الاقل .

الأساس يجب أن يكون متناسباً مع البناء الذى سيقوم عليه . فاذا أراد الفراش أن يقيم سرادقا لحفلة تنتهى فى ليلة ثم يقوض سرادقه فإنه لايحتاج إلى إقامة أساس للسرادق . وأنا لما بنيت بيتى فى روضة الفسطاط رأى المهندس أن متراً واحداً تحت الارض يكفى لإقامة الأساس الصالح للبيت . ولكنهم لما أرادوا أن يقيموا فى ميدان التحرير هذا البناء المجمع الذى لا تقل مرافقه عن مرافق بلدة من ضواحى القاهرة احتاجوا إلى أن يبذلوا من العناية فى أساسه المتوارى تحت الأرض مالا يقل عن عنايتهم بإقامة هذا الصرح الجسيم الذى لا يضارعه بناء آخر حتى الآن فى بلاد الجمهورية المصرية . إن كل أساس يجب أن يكون متناسباً مع كل بناء يراد إقامته عليه ، وقديماً قالوا «على قدر أهل العزم تأتى العزائم» .

رأينا كثيرين ممن يشتغلون بالامور العامة يتسامحون فى البدايات على أمل أن يتلافوا ذلك فيما بعد . ومثل هؤلاء كمثل المهندس الذى يريد أن يقيم بناء كالبناء المجمع فيتسامح فى أساسه على أمل أن تكون العناية مبذولة بعد ذلك فى تقوية البناء الذى سيقوم فوق الأساس . إن هذا التسامح عظيم الخطر ، وهو عمل من يبنى ليومه ، ولا يبالى بما يأول إليه بنيانه فى غده . هو عمل الفراش الذى يقيم السرادق لاجل ليلة واحدة ، لا عمل المهندس الذى أشرف على تشييد البناء المجمع ليبقى كما هو بعد دهر طويل .

نحن مقبلون على تشييد بنائنا الأعظم وتكوين كياننا الخالد ، وكما نفعل هنا سيفعل أمثال لنا فى الشام والعراق والمملكة السعودية واليمن ، وإخوان لنا فى الباكستان واندونيسيا وفى كل بقعة من دنيا المسلمين . كل ناحية من هذه النواحى تنظر إلى نظائرها فى النواحى الأخرى لتقتبس منها ولتنقل عنها ولتسير على مواطىء أقدامها وآثار خطواتها .

يقول مكون كياننا الأول ، بانى بنيان النظام الإسلامى الخالد صلوات الله وسلامه عليه : « أيها الناس ، إن لكم معالم ... فانتهوا إلى معالمكم ! » .

ومعنى هذا أن القافلة إذا أوغلت فى الصحراء ، حيث تتشابه الجبال والفيافى والأودية ، فإنه ينبغى أن تكون لها معالم تسترشد بها فى تعيين طريقها بين مصدرها وموردها ، بين بداية سيرها ونهايته ، وأول معالم كل وحدة من وحدات المجتمع الإنسانى الأعظم هو أن تعلم هذه الوحدة من هى لتعرف بعد ذلك من هم أولياؤها ومن هم شانئوها ، وأن تعرف ما هى أهدافها لتعرف بعد ذلك هل هى تدنو من تلك الأهداف أم تبتعد عنها ، وهل ماتهم أن تأخذ به ييسر لها الوصول إلى ما تريد أم يحول بينها وبين ذلك ؟

ولا نستطيع — وقد وصلنا إلى هذا الموقف — إلا أن نعود فنذكر الأسئلة الخطيرة التى وجهها وزير خارجيتنا الأستاذ محمود فوزى إلى أمته ، ولا تزال إلى الآن بلا جواب قطعى يقترن القول فيه بالعمل ، وهذه الأسئلة هى : من نحن ؟ أين نحن ؟ ماذا نريد ؟ ماهى وسائلنا لنحقق ما نريد ؟

إنها أسئلة حكيم ، وقد أضعنا نحو سنتين من حياة الأمة منذ وجهت إلينا هذه الأسئلة . ولو أننا انتهينا فيها إلى نتيجة قطعية لكانت هذه النتيجة صالحة لتكون أساساً يقوم عليه بنيان كياننا المنشود .

لقد خرجنا من حياة الاستعمار ، ونريد أن ندخل فى حياة التحرير . وها نحن أولاء نحاول أن نتحرر من كثير من عوائق الحرية والاستقلال التى مكن لها الاستعمار فى بلادنا إن لم يكن هو الذى أقامها بعناية قد أجهد رجاله فى بذلها ، وسهر على رسم خططها وتنفيذها فى جملتها وتفصيلها .

قرأت للبكباشى أركان حرب حسين الشافعى فى « رأى » له سديد أعلنه فى العدد الرابع من « الجمهورية » هذه الكلمة البعيدة الغور ، العريقة فى الحكمة :

« لا يمكن القضاء على الاستعمار إلا إذا تعرفنا على وسائله وأسلحته المختلفة ، وحددنا - فى نفس الوقت - الأسلحة المضادة التى يمكن مقابلته بها . فقد يستخدم الاستعمار (المبادىء) ليغزو بها (العقيدة) ، فيجب أن نتسلح بمبادىء وعقيدة تمنع هذا السلاح الخطير الذى يتسلل إلى عقول أبنائنا فيجد لنفسه العون فى أبناء الأمة التى يريد غزوها . ولنا فى مبادئ ديننا خير العون على مقابلة سلاحه بسلاح أقوى وأمنع » .

وعجيب أن يتنبه لهذه الحقيقة العظيمة أحد دعائم الثورة وأعلامها ، ويغفل عنها مديرو الجامعات وعمداء الكليات وأساتذتها وقادة الفكر وأهل الرأى .

نعم ، كما أن هناك استعماراً عسكرياً ، واستعماراً سياسياً ، واستعماراً اقتصادياً ، فإن هناك استعماراً عقلياً أيضا . هنالك استعمار من أسلحته (المبادىء) وهو يغزو بها (العقيدة) . وكما ينتظر أن يحاربنا الاستعمار بهذا السلاح فإن مما ينبغى لنا أن ندرسه ما سهر الاستعمار على دسه فى تربة أوطاننا وعقول مثقفينا وقلوب جماهيرنا من قنابل هذا السلاح عندما كان الاستعمار يفرض علينا وصايته - بل عبوديته - فى معايشنا وحقولنا وأسواقنا وصناعاتنا وأذواقنا وتثقيف أبنائنا وغزو عقائدهم بترويج مبادىء تخالفها وإدارة بلادنا بما لا يتفق مع مصالح أهلها والقضاء بينهم فى حقوقهم ودمائهم بأحكام غير أحكامهم . وأنا أقول عن إيمان واقتناع : إن الاستعمار العسكرى لم تطب نفسه بالهزيمة التى منى بها فى أوطان المسلمين إلا بعد اطمئنانه إلى أنه قد خلف وراءه فى دنيا المسلمين استعماراً عقلياً لعله أعز عليه من الاستعمار العسكرى الذى وطن نفسه على الرضا بما قضى الله عليه به من هزيمة وإفلاس .

إن الاستعمار العقلى شر على الأمم الإسلامية من الاستعمار العسكرى : لأن الاستعمار العسكرى يستعبد الأجسام والمرافق ، أما الاستعمار العقلى فيستعبد النفوس والقلوب والعقول . ولأن الاستعمار العسكرى يدافع عن نفسه برجاله ، أما الاستعمار العقلى فيدافع عنه رجال منا . ولأن الاستعمار العسكرى يشترك فى النفرة منه ويساهم فى مناصبته العداء خاصة الأمة وعامتها ، أما الاستعمار العقلى فلا يشعر به عامة الناس ، وكثيراً ما يلتبس أمره على خاصتهم فيحسبون ما فيه من سم دسماً ، بل رأينا ألوفاً من المثقفين يمجدونه ويدافعون عنه ويسمونه تقدما وارتقاء . لذلك كان التخلص من الاستعمار العقلى أصعب من التخلص من الاستعمار العسكرى ، لأنه مما تختلط فيه الوسائل بالغايات ، وقد يباح فى الوسائل ما لا يباح فى الغايات .

لما كانت اليابان تحاول فى أواخر القرن التاسع عشر ما نحاوله نحن الآن فى أواسط القرن العشرين من الأخذ عن الغرب للنهوض بالشرق زار البارونُ كنتارو كانيكو اليابانى الفيلسوفَ الأشهر هربرت سبنسر العالم البريطانى، وطلب منه النصيحة لوطنه فى أسئلة وجهها إليه، فكان مما أجابه به الفيلسوف سبنسر:

«إن سياسة اليابان يجب أن تكون إبعاد الأمريكيين والأوربيين عنها ولو قيد ذراع فإن موقفكم حرج، والخطر محدق بكم مزمن لوجود أمم أخرى أقوى منكم. فابذلوا أقصى جهدكم فى منع الأجانب من أن يتمكنوا فى بلادكم، ويظهر لى أن المعاملات التى تفيدكم ولا تضر بكم إنما هى المعاملات اللازمة لتبادل الحاصلات الطبيعية وغير الطبيعية من صادرات وواردات، فلا تمنحوا امتيازات لأمم أجنبية، وخصوصاً الأمم التى هى أقوى منكم إلا ما كان لازماً لهذه المعاملات، فإنى أرى أنكم تريدون من تنقيح المعاهدة التى بينكم وبين دول أوربا وأمريكا أن تفتحوا بلادكم كلها للأجانب ولأموالهم، فساءتنى هذه السياسة لأنها الضربة القاضية عليكم، فإذا أردتم أن تعلموا ماسيحل بكم فاقرأوا تاريخ الهند: أنيلوا إحدى الدول القوية موطىء قدم فى بلادكم ومستنداً تستند إليه فتتحول إلى الاعتداء عليكم بعد زمن، ويفضى الأمر إلى النزاع بينها وبينكم، فتشيع عنكم أن ذلك النزاع إنما هو اعتداء منكم عليها فيجب أن تثأر لنفسها منكم، فتضع يدها على قسم من بلادكم وتستعمره بأبنائها وتتخذه قاعدة تحمل منها عليكم لإخضاع سائر البلاد اليابانية. نعم إنكم ستجدون المصاعب فى تجنب هذا الخطر، ولكن إذا منحتم الأجانب امتيازات غير التى ذكرتها سهلتم عليهم ما يسعون إليه».

والذى نصح به سبنسر لليابانيين يتناول شئون الاستعمار الاقتصادى والسياسى والعسكرى. وأفظع منه ما يتعلق بشئون الاستعمار العقلى، فإن مخازيه أبقى، وعواقبه أطول، وأضراره تستعصى على من يعالجونها بعد أحقاب.

إن هذه الحضارة الغربية اندفعت على الدنيا بتيارها الرهيب. والمسلمون منها على ثلاثة مذاهب: أولها مذهب كان يمثله الإمام يحيى باليمن، وهو أن يسد الباب فى وجهها فلا يقبل منها خيراً ولا شراً. والمذهب الثانى يمثله أحد المؤلفين المصريين فى الثقافة، وهو يذهب فى كتابه إلى أن حضارة الغرب كل لا يتجزأ، وعلينا أن نقبلها بخيرها وشرها، وما فيها من محاسن وفواحش. والمذهب الثالث هو الذى يقول أصحابه بأن هناك وسائل وغايات.

وهو ما أراد أن يوقظنا إليه البكباشي أركان حرب حسين الشافعي في « رأي » نشرته له « الجمهورية » بعددها الرابع . وهو الذي كان يجول في ذهن الأستاذ محمود فوزي يوم وقف يسأل : من نحن ، أين نحن ، ما ذا نريد ، ما هي وسائلنا لنحقق ما نريد ؟ وقد أدرت الكلام حول هذه الأسئلة في الجزء الرابع من السنة الماضية لمجلة الأزهر .

والآن نوجه هذا السؤال الصريح إلى كل مفكر في دنيا المسلمين مهما كان مذهبه واقتناعه : هل يرجو أن يخرج المسلمون عن دينهم فيتنكروا له ويتحولوا إلى غيره ؟ أنا أزعم أنه لا يرجو ذلك إلا من فقد عقله وارتضى أن يعيش في عالم الخيال . وما دام المسلمون سيبقون مسلمين حتما ، فمن الصواب لكل من يواطنهم ويعاملهم وينوي أن يستمر في عشرتهم أن يجيب بصراحة وشجاعة على السؤال الأول من أسئلة الأستاذ محمود فوزي فيقول بلا تقية ولا تردد : نحن مسلمون . وإذن فلماذا لا نبني كياننا الذي ننشده على أساس أننا مسلمون ؟ ولماذا لا نمضي في كل تجديد نستحدثه في معارفنا ومدارسنا وثقافتنا وآدابنا وفنوننا على أن يكون هذا التجديد إسلاميا ؟ ولماذا لا تفتح جامعاتنا صدورها للدراسات والبحوث الإسلامية باعتبارأنها دراسات قومية ، وبحوث في صميم الكيان الذي ننتسب إليه ؟

أنا أعلم أن الكثيرين منا يشمئزون من هذا التوجيه ، ويظنون أنه ليس في مصلحة هذه الأمة . ولكني مع علمي بنزعتهم أزعم أن روح الاشمئزاز هذه من بقايا الاستعمار العقلي ، وأن الاستعمار قد غرسها في النفوس بعناية ورعاية وطول تفكير وتصميم ، وأن أول ما يجب علينا ونحن في صدد التجديد والتحرير أن نتحرر من الاستعمار العقلي الذي يريد أن يشكك المسلمين في إسلامهم ، ويهاجم بين كل فترة وأخرى ناحية من نواحي هذا الكيان الإسلامي ، وإذا غلب الاستعمار العقلي على أمره ووقف من الإسلام وجها لوجه فاضطر إلى الاعتراف به يحاول أن يؤمن ببعضه ويكفر ببعضه ، داعياً إلى الحكم على الإسلام بالحبس بين جدران المساجد فيقصره على عنصر واحد من عناصره وهو العبادات . أما حياة المسلمين العامة فيريد أن يبسط عليها ظله الاستعماري قائلا إن حضارة الغرب كل لا يتجزأ . . .

لا يا سيدي ، ولا كرامة . إن حضارة الغرب أصبحت بلاء على الغرب نفسه ، وهو يئن منها . ومن مظاهر أنينه منها شكوى نيتشه الفيلسوف الألماني التي نشرناها في الجزء الماضي (ص ٤٦٢) من أن الغرب كان سيء الحظ يوم حرم من اعتناق حضارة

الإسلام . وشكوى كلود فارير (التى نشرناها فى ص ٤٥٤ - ٤٥٥) من أن الإنسانية تأخرت فى حضارتها ثمانية قرون يوم تغير اتجاه التاريخ بخروج قيادة الحضارة من أيدى المسلمين . ومثل ذلك كلمة هنرى دى شامبون صاحب مجلة ريفو بارلمنتير التى اطلع عليها القراء فى ص ٤٥٦ من الجزء الماضى

إن حضارة الغرب لم تكن فى يوم من الأيام كلا لا يتجزأ ، وقلما يوجد فى الكون كل لا يتجزأ ، والذرة التى كان الفلاسفة والطبيعيون يعتقدون من ألوف السنين أنها جزء لا يتجزأ شاهدنا فى عصرنا حادثة تحطيمها وتجزيئها فكان ذلك من أعظم أحداث التاريخ . وحضارة الغرب التى يريدون منا أن نقبلها على أنها كل لا يتجزأ - هى فى الواقع مكونة من شطرين مختلفين : أحدهما « وسائل » وعماده هذه العلوم المحضة ونتائجها فى الصناعات والتنظيم ، وهى مما تعاقبت الأمم والعصور على المساهمة فى إيجاده وتنميته والتقدم فيه ، وكان للعرب والمسلمين حظ فى ذلك عظيم ، إلى أن وصلت هذه العلوم وثمراتها إلى الغرب ، وهو معترف بأنها علوم عالمية لا تستأثر بها أمة دون غيرها ، ولا يدعى الفضل فيها شعب على سائر الشعوب . وهذه العلوم - من رياضية وطبيعية ، وما أثمرته من صناعات وتنظيم - نعدها « وسائل » ، ونحرص على الأخذ بها ، والمساهمة فى إنهاضها واستثمارها إلى أبعد غايات التقدم والاستثمار . أما الشطر الثانى من الحضارة فهو الشطر الثقافى وما يتعلق منه بالمقومات الأدبية والفكرية والاجتماعية والأغراض الإنسانية ، فهذا مما لا يرى المسلمون أن الإنسانية عرفت منه ما يضارع الذى جاء به الإسلام وجنح إليه المسلمون يوم كانوا مسلمين . ولذلك يعتبره المسلمون من صميم « الغايات » التى لا يرضون بها بديلا ، ويرون أن ما طرأ عليها من تصرف يخالفها فى معاهد تعليمنا ومرافق دولتنا وأذواق شعوبنا إنما كان بما دسه علينا الاستعمار من حيث لا نشعر ، أو فرضه علينا بسلطانه العسكرى والسياسى ليكون من دعائم استعماره العقلى الذى يرجو أن يستخلفه علينا يوم ينكمش استعماره العسكرى والسياسى عن أوطاننا . ومن تمام تحررنا من الاستعمار أن نتحرر من هذا الاستعمار العقلى بعناية وبصيرة وخطط نرسمها للخلاص منه كالخطط التى رسمها الاستعمار لفرضه علينا وترويجه فى مجتمعنا وبثه فى كياننا حتى نستغنى به عن إسلامنا ونتخذ منه « غايات » نكتفى بها عن غاياتنا .

« الوسائل » هى التى نحن فى حاجة إليها فى نهضتنا وصناعاتنا وأسباب قوتنا . و « الغايات » هى « المعالم » التى أرشدنا مكون كياننا محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى أهميتها ، وأمرنا

بأن ننتهى إليها ، وأن نجعلها على مرأى منا ، ما دمنا سائرين بقافلتنا فى فيافى الحياة . وكل ما نفرط به من « غاياتنا » فهو كسب للاستعمار يقيم فى موضعه احتلالا من استعماره العقلى يزحزحنا به عن قلاعنا ومعاقلنا لننسلخ عن كياننا الذى لأجل المحافظة عليه نقاوم الاستعمار وإن لم نحافظ عليه بمقاومة الاستعمار العقلى تكن مقاومتنا للاستعمار العسكرى والسياسى لهوا ولعبا .

أيها المسلمون ، إن لكم معالم ... فانتهوا إلى معالمكم !

محب الدين الخطيب

مؤسس « الاستعمار العقلى » فى مصر

كان حسين فخرى باشا يتولى فى وزارة فهمى باشا الثانية وزارتى المعارف والأشغال معا ، وكانت شئون الأشغال كلها فى يد مستشارها مستر جارستن ، وكانت شئون المعارف كلها فى يد مستشارها القسيس دانلوب مؤسس « الاستعمار العقلى » فى مصر . وليس لحسين فخرى باشا فى كلتا الوزارتين غير التوقيع والختم . وبعد أن دامت هذه الحال عشر سنين أعطيت وزارة المعارف لسعد زغلول وانفرد حسين فخرى بختم وزارة الأشغال . وعلى أثر ذلك نشرت (المؤيد) رجزاً بليغا يقال إنه من شعر شوقى ، وهو هذا :

تعزيتى لذى الوزارتين تعزية الشيعة فى الحسين
قد كان يعطى الختم باليدين فصار يعطيه لجارستين
مطبعة فى مثل حجم العين يديرها الكاتب دورتين
فيظفر الرئى بمليونين

* * *

زين الوزارات وأى زين قد استرحت بعد طول الأين
وكنت متعبا بالاثنتين كمتعب الزوج بضرتين
فراق « دنلوب » كسد الدين فلا تعد تلقاه بعد بين
لا يلدغ المؤمن مرتين

نفحات القرآن

— ١١ —

لقمان الحكيم

ولقد آتينا لقمان الحكمة : أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غنى حميد

هبة من الله ، تفضل بها على عبده لقمان ، فعاشت ذكراه بين الذكريات الحية ، وصارت له نفحة أريجة بين تلك النفحات العلوية التى يتضوع بها القرآن .

فإن يكن لقمان واحداً منا فقد جعله الله مثلا طيباً فى الأولين والآخرين .. وإن يكن عبداً أنعم عليه ربه كما ينعم علينا ؛ فقد آتاه الله الحكمة [ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً] .

فمن - يا ترى - لقمان المذكور فى كتاب الله ؟ ؟ .. وما الحكمة التى امتدحه بها مولاه ؟؟

١ — أما هو - فقد حاول أسلافنا أن يحددوا نسبه ، ووطنه .. بل ولونه ، وطول قامته .. دون أن يتوفر لهم دليل ثابت على شىء من ذلك ، فاضطرب لديهم القول ، دون حاجة إلى هذا الاضطراب ، ثم خرطه بعضهم فى عقد النبوة اجتهاداً منهم .. وكأنهم استكثروا أن يشيد القرآن بغير النبيين ، فهل علينا من سبيل أن ندع هذا التحرى ولا نخوض فيه .. وحسبنا أنه عبد كريم على ربه : أضفى عليه من فضله ما نستمد منه علماً واسعاً ، وهدياً نافعا .. وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ؟ ؟

٢ — وأما الحكمة التى أوتيها فليست - بالإجماع - ما نعهد من طب وعلاج للأمراض الحسية .. وهى بعد ذلك مجال ذهب فيها المفسرون مذاهب شتى .

وإذ كان القرآن أطلقها عن التقييد ، فما بالنا نحصرها فى معنى دون آخر ؟ ؟ لكأن

القرآن يريدها شاملة لكل ما ينطوى تحتها من مواهب ، ولو قصرناها على موهبة دون أخرى لكان هذا تحجيرا لها . . وإشادة القرآن بها تأبى ذلك التحجير .

فليقل ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن حكمة لقمان : إنها العقل ، والفهم ، والفطنة . وليقل غير ابن عباس : إنها العقل ، والفقه ، والإصابة . أو إنها إتقان الشيء علما وعملا . . . أو هى كمال حاصل باستكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية ، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها . . . فكل ذلك صحيح ، وكل ذلك هو الحكمة ، وليس من سبب للتضييق ، ومجانبة ما يبدو من إطلاق القرآن . . . ولعل فيما يغمرنا به العلماء من شواهد الحكمة عن لقمان ما يزيدنا ارتياحا إلى إفساح معناها . . فقد رووا أنه صحب داود ـ عليه السلام ـ شهورا ، وداود يسرد الدرع ـ يصنعها ـ فلم يسأله لقمان عما يصنع ، فلما لبسها داود وقال : نعم لبوس الحرب أنت ! ! عرف لقمان فائدتها دون أن يسأل ، وقال : الصمت حكم ـ حكمة ـ وقليل فاعله .

ورووا أن داود أمره يوما أن يأتيه بأطيب مضغتين من الشاة ، فأتاه بالقلب واللسان ، ثم أمره يوما آخر بأخبث مضغتين من الشاة ، فأتاه بالقلب واللسان ، فسأله داود ليعرف ما عنده ، فقال لقمان : هما أطيب شيء إذا طابا . وأخبث شيء إذا خبثا . وهو طبعا لا يقصد مذاقهما أكلا ، وإنما يقصد عملهما ، وذلك يتمثل فى الحديث النبوى « المرء بأصغريه : قلبه ولسانه » .

ورووا كذلك من حكمه : يا بنى . لا تأكل على شبع ، فإن إلقاءك إياه للكلب خير من أن تأكله . يا بنى : لا تكن حلوا فتبلع ، ولا مرا فتلفظ . يا بنى : ذقت المرار فلم أر شيئا هو أمر من الفقر . وحملت كل شيء ثقيل ، فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء .

وهكذا من مأثور حكمه الوفيرة التى عرفت عنه ، ثم صارت أمثالا موروثة على التاريخ وكان من أروعها بهجة ، وأخلدها أثرا ما يرويه القرآن ، ويتخذ من حكايته وسيلة فى التهذيب . فإن القرآن كعهدنا به يسوق من قصص الأولين ما يقرب العظة به إلى النفوس ، ويغريها بالقبول ، مستأنسة بمدح من سلف ، فإن التقليد من نوازع الفطرة ، وإذا عرف الإنسان شيئا مدح فى غيره هان عليه أن يأخذ به . كما أنه إذا عرف شيئا عيب على غيره رغب عنه وتحاشاه ولو ظاهراً ، ولأن القرآن فى هذا وفى غيره أولى بمسايرة الفطرة ، وتوجيه العقول من مسالكها الهينة، كثر فيه القصص والتمثيل .

وقد اهتدى المربون إلى ضرب الأمثال ، حتى ليخترعونها على ألسنة الحيوان ، توصلا إلى بث المعارف المرغوبة ، وتلقيح الفكر بما يراد تزويدها به مصورة فى صورة الواقع المحكى .

فكان من منهج الكتاب العزيز أن يطالعنا بشىء من أدبه محكيا عن لقمان فى وصيته لابنه : وإذ كان لقمان حريصا أبلغ الحرص على تزويد ابنه بكل خير يرتجيه له فى دينه ودنياه كان مأخوذا برحمة الأبوة ، مترفقا معه فى ألين أسلوب ، حتى ليدعوه فى وصيته بلهجة الوالد الواله : يا بنى . يا بنى . يا بنى .

دعوات ثلاث . هتف فيها لقمان بابنه ليستيقظه من غفلته ، ويستحثه على الخير مجموعا فى ثلاث غايات : فى توحيد الله ، وعمل صالح ؛ وأخلاق حسان .

ويجمل بنا أن نتروى مع القارىء فى عرض هذه الثلاث لنستوضح من خلالها مبلغ الحكمة ، ونقتبس من هديها نورا ؛ نرجو إلى الله أن يدوم .

الغاية الأولى — التوحيد :

١ — « يا بنى ! لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم »

بدأ لقمان يغرس فى ولده عقيدة التوحيد ، ويطبعه على الثقة بالله وحده ، ويشعره فى قوة بأن الاتجاه إلى غير مولاه شرك ، والشرك ظلم تجفل منه النفوس الطيبة : بل هو الظلم العظيم .

٢ — ثم يركز لقمان هذه العقيدة فى قلب ولده فيناديه ثانيا . . « يا بنى ! ! إنها إن تك مثقال حبة من خردل ، فتكن فى صخرة ، أو فى السموات ، أو فى الأرض ، يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير » .

يبين لقمان لابنه : أن من خصائص الوحدانية التفرد بالعلم الشامل ، ويؤكد له أن ذلك حق فى جانب الله وحده ، وأنها — أى شئون الناس عامة — وجميع حسناتهم ، وسيئاتهم معلومة كلها لله ، وأنه سيأتى بها ويجزى عليها ، مهما غابت عن أذهان خلقه ، أو زعموها ضئيلة كحبة من خردل ، أو حسبوها مع هذه الدقة مستكنة فى صخرة ، أو سابحة فى السموات أو مقذوفة فى مجاهل الأرض — إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء — وقد تعالى من لطفه ، ودقة علمه ، ما يعرف به السر وأخفى . . كما له من عظيم خبرته وكمال قدرته ما يدبر به ملكوته ، ويكشف به عن حكمته ، ويحقق به عدالته .

بهذا الإيجاز الذى جمعه لقمان فى وصف الله باللطف وبالخبرة يوجه ولده إلى صدق الإيمان بالله، والإخلاص فى توحيده، حتى يكون قدر الله تعالى حق قدره كما هو شأن المؤمنين.

٣ — وإنما تكرر نداء لقمان لابنه مرتين فى جانب العقيدة: لأنها الأساس فى تكوين الصلة بالله، وعليها تنبنى الأعمال المقبولة، وتنهض الأخلاق المنشودة؛ فكل شيء بعدها متفرع عنها، ومظهر لها . . .

٤ — وبين النداء الأول والثانى من كلام لقمان نرى إضافة جديدة ليست محلية عن لقمان، وإنما هى خبر من جانب الله سبحانه بأنه شرع طاعة الولد لوالديه قديما، وألزمه الوصية بهما، كفاء فضلهما عليه « ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهنا على وهن، وفصاله فى عامين، : أن اشكرلى، ولوالديك، إلى المصير . . الخ » حملته ضعفا يزيد بعد ضعف، وعانت فى رضاعه حتى فطمته بعد عامين.

وهذه الإضافة — التى يسمونها اعتراضا بين كلام لقمان — مقصودة لتعزيز قضيته مع ابنه، ومؤازرته فى دعوته إياه إلى الإيمان، وما بعده من إرشاد . . . فكأن هذه الإضافة تقول: إذا كان من مقتضيات الأبوة أن يبذل الأب لولده إرشاده، ويبتغى كلا الوالدين لولدهما كل خير، فقد حق على الولد أن يطيعهما فى ذلك، ضرورة أن فضلهما سابق عليه، وأننا وصيناه قديما بمراعاة حقهما، وبرهما والمبادرة إلى ترضيتهما فى جنب الله، حتى ولو كانا على شيء من الشذوذ، فليصاحبهما فى الدنيا معروفا.

وفى ذلك توجيه شامل نحو حق الوالدين، يكشف ويؤكد الغرض من حكاية وصية لقمان، ويكشف ويؤكد أن الوصية بالوالدين مما شرعه الله من فجر التاريخ، وعززها القرآن فى تعاليمه.

٢ — الغاية الثانية فى وصية لقمان - العمل الصالح.

[يا بنى !! أقم الصلاة، وأمر بالمعروف: الآية].

٣ — الغاية الثالثة — الأخلاق الحسان.

[ولا تصعر خدك للناس: الآية].

ونحن نرى: أنه أهاب بابنه مرة ثالثة، وأنه جمع فى حوزة هذا النداء الثالث كل ما قصد إليه من عبادة وأخلاق، بعد أن فرغ من دعوته إلى العقيدة وأيدها بالدليل.

وكأنه لم يفرق بين ما يعتبر من رسوم العبادات ، وما يعتبر من الأخلاق : فالصلاة ، والأمر بالمعروف ، والقصد فى المشى ، وعدم تصعير الخد للناس : كل ذلك من قبيل واحد فى وصية لقمان ، باعتبار أنها مظهر العقيدة الصحيحة ، وأنها لا تتوفر إلا عند من توفر فيه إيمان صادق ، فإن يكن للعبادات شأنها الراجح ، وعليها ثوابها المقدور . فكذلك للأخلاق الكريمة شأنها الراجح ، وعليها ثوابها المقدور . .

وإن تكن بين العبادات والأخلاق فروق أخرى : فالدين ينظر إلى الأخلاق نظرة إكبار ، ويعول عليها فى قيام الحياة المنشودة كالعبادة ، حتى ليطلبها من أهله مع غير أهله . وقد نعلم من أحكام الشريعة أن الله يحبط عبادة عابد لسوء خلقه ، وأن الله قد يتسامح فى حقه مع عبد من عباده لطيب أخلاقه . وما مدح الله عبده ورسوله محمداً - ﷺ - بأصرح مما مدحه فى قوله [وإنك لعلى خلق عظيم] . وسنة الرسول حافلة بالتوجيه نحو كرم الخلق ، ومنها « أقربكم منى مجلساً يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقاً ، الخ » .

١ — [يا بنى . . أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور] . فهذه أمور أربعة : ما بين صلاة ، وصفات أخرى يغلب عليها الطابع الدينى ، وواضح أنها تكشف عن عقيدة سليمة قوية ، فإنه لا يقيم الصلاة ، ولا يأمر بالمعروف حقاً إلا من كان مطمئناً قلبه بالإيمان .

ولا ينهى عن المنكر فى إخلاص مشكور إلا من كان متحاشياً لفعل المنكر .

ولا يصبر على مصابه راضياً محتسباً إلا من هانت عليه نفسه ، ورخصت عنده الدنيا طمعاً فى مثوبة الله ، وثقة بوعده للصابرين .

فتلك أهداف قصد إليها لقمان ، وعلم ابنه أن الآخذ بها آخذ بآكد وأقوى ما عزم الله به ، وطلبه إلى عباده ، وهى فى ذاتها من مقومات النفوس ، ومن بواعث الإجلال ، وأسباب القدوة الحميدة .

ومن هذا لم تكن هينة يطيقها ذو همة فاترة ، وإنما هى عظائم : ينهض بها من تسامى عن الهوان ، وتعشق الكمال - إن ذلك من عزم الأمور -

٢ — [ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش فى الأرض مرحا ، إن الله لا يحب كل مختال فخور] .

من أمراض الإبل داء يعرف بالصعر ، إذا أصاب البعير لوى عنقه فيصير مائلا ، . . وحينما يبتلى المرء بآفة الغرور ظانا فى نفسه ميزة على غيره ، قد يأخذه الإعجاب بنفسه حتى يباهى بتصعير خده ولى عنقه ، على نحو ما نرى فيمن يحدر طربوشه إلى أحد صدغيه ، أو يكفأ عمامته على جبهته ، رغبة فى المباهاة ، وحسبانا أن ذلك مما يبرز بهاء الشكل وحسن الهندام . . نرى هذه الظاهرة بادية فى رجل انتفخت أوداجه ، تظاهرا بالقوة ، أو الجاه ، أو نحوهما مما يفتتن به صغار النفوس ، ونرى مثل ذلك فى امرأة زعمت فى نفسها ما ليس لغيرها من النساء ، ويقوم مقام هذا التظاهر أحاديث الغرور التى تساق للتمدح ، والإعلان عن النفس . . فكل ذلك ممقوت ، ولا يرفع من قدر صاحبه .

وقد اعتبره القرآن حكاية عن لقمان مرضا مشوها للخلقة الطبيعية ، وهو مرض الصعر المعروف فى الإبل . . وكفى بهذا التشبيه تنفيراً من الكبر والمتكبرين ، وتحقيرا لما يقع من المخدوعين ، فكل غرور مبعثه الغلو فى تزكية الإنسان لنفسه ، وحامل له على الاختيال والتبختر يعتبر من الخيلاء وتصعير الخد ، ولو لم يكن هناك تصعير خد .

والمرح ـ ظهور الإنسان فى مظهر الطيش والتمدح بما ليس من ذاتياته ، ككثرة ماله ، او بسطة نفوذه ، أو بعدد ولده وأهله ، أو امتداد صيته ، واتساع شهرته ، ونحو ذلك من العوارض التى يستغلها المأفون فى التمدح ، والافتخار بين الناس .

كل ذلك مسخوط عند الله تعالى : وغير محبب إلى القلوب ، وهو مناف لما يدعو إليه القرآن من التجمل بمكارم الأخلاق ، والتلطف فى استرضاء الغير ، وتوثيق المحبة ، وقد أنذر الله بكراهيته أصحاب الاختيال — وهم الصنف الأول ، وأصحاب الفخر — وهم الصنف الثانى « إن الله لا يحب كل مختال فخور » . وإذا كانت كراهية الله لاحقة بمن يلتاث بالخيلاء والفخر الصارفين عن الكمال ، فماذا بقى للمختال أو الفخور من حظ ؟ ؟

٣ — [واقصد فى مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير] .

عند التجمل يكون البدء بإزالة الأوساخ ، ثم يثنى بالملبس الجميل ، وهذا ما يسميه العلماء ـ تخلية ، وتحلية ـ وقد جرت وصية لقمان فى هذه الآية على التخلية ثم التحلية ، فهى تطلب عدم تصعير الخد ، وعدم المشى مرحا فى الارض ، ثم تأمر بالقصد فى المشى وهو الاعتدال : فلا تبختر ، ولا هوج ، ولا شذوذ عن السمت المألوف ، وهو التوسط المقبول .

وقد كانت مشية الرسول صلوات الله عليه بين السريع والبطيء ، وروى عنه عليه السلام أنه قال « سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن » وذلك أنها تدل على الخفة .

وقد يتباطأ بعض الناس فى مشيته تظاهرا بالتقوى ، ويحاولون أن يكسبوا ثقة الناس فيهم ، وهذا أيضا من الرياء والخيلاء ، وقد رأى عمر رجلا مطأطىء الرأس فى مشيته فقال له : ارفع رأسك ، فإن الإسلام ليس بمريض . . . ورأت عائشة ـ رضى الله عنها ـ رجلا كاد يموت فى مشيته ويتخافت فى حديثه ، فقالت : ما لهذا ؟ ؟ فقيل لها : إنه من القراء ، فقالت : كان عمر ـ رضى الله عنه ـ سيد القراء ، وكان إذا مشى أسرع ، وإذا قال أسمع ، وإذا ضرب أوجع .

والغض من الصوت : الخفض منه والتهدئة ، وذلك أوفر للراحة ، وأحب إلى النفوس وأخف على المسامع . وربما كان الجهر بالصوت وسيلة من وسائل الخيلاء تظاهرا بالسلطان ولفتا للأنظار ، وإعلانا بالرهبة .

وقد جاء تشبيهه بصوت الحمير غاية فى استهجانه ، وتأكيداً لقبحه ، والتنفير منه ، ومفهوم أن القصد فى المشى والغض من الصوت مطلوب فى ذاته : إذا لم يدع داع إلى شىء منهما ، وعند الداعى لا يكون حرج . والضرورة تقدر بقدرها .

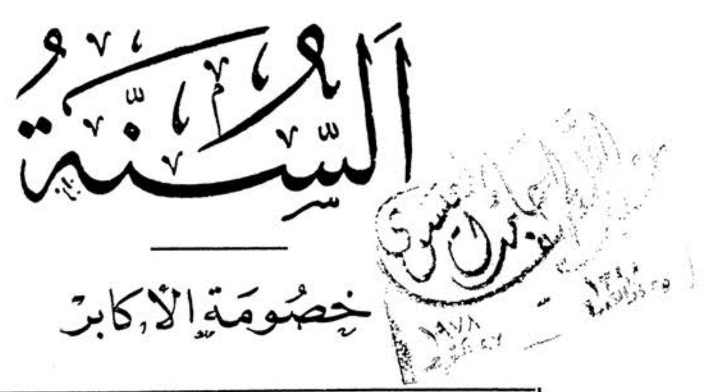
وإلى هنا تكون وصية لقمان حكمة من حكمه الجامعة جمعت من الخير قسطا غير قليل : ففيها التوحيد ، وفيها فروعه ، وفيها أدب الدين والدنيا .

ورب قائل : إذا كانت الحكمة هبة من الله تفضل بها على لقمان ، فأى فضل للقمان فيها حتى يمتدح من أجلها ؟

والجواب ـ أن الخير كله من جانب الله تعالى . . وليس هناك جهة أخرى يستمد منها العطاء ، ولكن الله يعطى تكرما ، ثم يشكر تفضلا . فمن تمام نعمائه أن يحمد لعبده كيف تلقى نعمته ، وكيف تصرف فيها على وجهها الحق . . إذ يكون العبد برهن على أن الله وضع نعمته موضعها ، ولعل ذلك هو الوجه فى أن المولى سبحانه يحب أن يرى آثار نعمته على عبده ، كما فى الحديث .

وقل مثل ذلك فى كل نعمة تكرم الله بها على عبده : من علم ، أو مال ، أو قدرة ، أو جاه وسلطان ، (إن الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون) .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



خصومة من طراز آخر — شذرة من تاريخ الصديقة — أبرز صفاتها — شذرة من حياة ابن الزبير — هجرة الأكابر للتأديب — حسنات الأبرار — ألطف الحيل فى إصلاح ذات البين — ابن بار وأم حنون — خصومة الخير والبركة .

عن عروةَ بنِ الزُّبَير قال : كان عبدُ الله بنُ الزُّبير أحبَّ البَشر إلى عائشة رضى الله عنها ، بعد النبىّ ﷺ وأبى بكر ، وكان أبرَّ الناسِ بها ؛ وكانت لا تمسك شيئاً مما جاءها من رزق الله تصدَّقت ! فقال ابن الزبير : ينبغى أن يؤخذ على يديها !! فقالت : أيؤخذ على يدىَّ ؟ ! علىّ نذر إن كلمته ! فاستشفع إليها برجال من قريش ، وبأخوال رسول الله ﷺ خاصةً ، فامتنعت ؛ فقال له الزُّهرِيُّون أخوال النبى ﷺ — منهم عبد الرحمن بنُ الأسود بن عبد يغوث ، والمِسْوَرُ بن مخرمة — : إذا استأذنا فاقتحم الحجاب ، ففعل ، فأرسل إليها بعشرِ رقاب ، فأعتقتهم . ثم لم تزل تعتقهم حتى بلغت أربعين ، فقالت : ودِدْتُ أنى جعلتُ حين حلفتُ عملا أعمله فأفرغ منه . رواه البخارى(١)

* * *

سقنا حديث الجزء الماضى — مكتفين به — شاهدا عدلا على أنبل خصومة عرفها التاريخ . ثم بدا لنا فى آخر الأمر أن نسوق حديث هذا الجزء شاهداً آخر من طراز آخر ، يختلف عنه سابقه بأنه مس رابطة الصحبة وجلالها ، ويختلف هو عن سابقه بأنه أثار عاطفة

(١) فى باب مناقب قريش من أوائل كتاب المناقب ، ورواه مطولا فى باب الهجرة من أواسط كتاب الادب ، وفى الرواية المطولة تفصيل لكثير مما أجمل فى هذه الرواية المختصرة ، استعنا به فى الشرح .

الرحم ودلالها ؛ ثم يختص هـذا بألطف الحيل وأشرف الوسائل إلى بلوغ المثل الأعلى فى صلة الرحم ، وترضية الأم ، على حين يتفق الشاهدان كلاهما فى أصالة النبل والفضل ، وجلالة العبر والذكرى !

* * *

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ودوداً كريماً ، وفياً أبياً ، فطناً ذكياً ، لايبلغ أحد مبلغه من مكارم الأخلاق ، حاشا من بعث ليتممها صلوات الله وسلامه عليه ؛ وكان إلى ذلك مرهف الوجدان ، رقيق الحس ، ومن هنا كانت تعتريه - إذا مس أحد عقيدته أو مروءته - حدة ربما غلبت على حزمه وعزمه ، وهما من نفسه الأبية فى حصن حصين ؛ وقد لخص ترجمته ترجمان القرآن ابن عباس رضى الله عنهما فى كلمة جامعة فقال : « كان أبو بكر خيراً كله على حدة كانت فيه ، وايم الله إنها فورة الحق ، وغضبة الإيمان والصدق وإنها لفضيلة من فضائله ، وإن عابها هو من نفسه الكريمة رضوان الله عليه ، وكذلك كانت ابنته الصديقة رضى الله عنها .

ورثت عنه كثيراً من مكارمه ، كما ورثت عنه حدته التى كانت تعتريه ، إلى جانب ما ورثت من مكارم النبوة من شمائل وفضائل جعلتها بالمنزلة التى لا تسامى عند خاتم النبيين. ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه يغفر لها حدتها ، ويحميها من أبيها إذا هم بها ، وقد بدرت منها بادرة تستوجب المؤاخذة والتأنيب .

* * *

وكان من أبرز صفاتها رضى الله عنها كرم وجود ، وإنفاق فى سبيل الله والرحم لا يبقى على شىء ، وحسبك أنها ابنة الصديق أجود الناس بعد زوجها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وكان عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنهما أحد العبادلة ، وأحد الشجعان من الصحابة ، وأحد من ولى الخلافة - أحبُّ الناس قاطبة إلى خالته عائشة بعد رسول الله ﷺ وأبى بكر رضى الله عنه ، كانت أشد حباً له من أبويه وأقرب الناس إليه ، ومن آيات هذا الحب أنه لما أخذ من وسط القتلى يوم الجمل وفيه بضع وأربعون جراحة ، أدت إلى البشير الذى بشرها بأنه لم يمت عشرة آلاف ! .

وأساس هذا الحب أن عبد الله أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة ، وكانت يهودٌ تقول : قد سحرناهم فلا يولد لهم بالمدينة ولد ، فكبر الصحابة حين ولد وفرحوا به فرحا شديداً ، ثم جاءت به أمه أسماء إلى رسول الله ﷺ ووضعته فى حجره ، فبرّك عليه ، وتفل فى فيه ، فكان أول شىء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم قال لعائشة : هو عبد الله ، وأنت أم عبد الله ، فما زالت تكنى به وما ولدت قط ، ثم إنها استوهبته من أبويه فكان فى حجرها يدعوها أماً ، هذا إلى ما لها عليه من حق التربية ، ثم حق الأمومة العامة الذى كتبه الله لأمهات المؤمنين على جميع المؤمنين .

* * *

ليس عجباً بعد الذى قدمنا أن تغضب هذه الأم الرءوم على ابنها العاق غضبة الحق ، وتعتزم قطيعته وهجرانه فلا تكلمه أبدا حتى يفرق بينهما الموت ! ثم تؤكد الهجرة ودوامها بنذر عظيم لربها العظيم ، يتفق — إن هى كلمته — مع فظاعة العقوق وبشاعة الجرم [1] . وأى عقوق فى شرعة الأبوة الرحيمة ، والأمومة البرة الكريمة ، أشد من تسفيه رأيهما والحجر فى الخير عليهما ؟ ! وهل ذنب أم عبد الله أم المؤمنين عند ابنها هذا الذى سخط عليها بيع دارها ، حتى قال لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها ، إلا أنها طبعت على إغاثة الملهوف ، وصنائع المعروف ، وألا تدع شيئا عندها من رزق الله إلا تصدقت به ؟ !

إن أقل عقوبة لهـــذه الجريمة هى الهجرة حتى الموت ... وكذلك أجمعت أمرها ، ووطنت عزمها ، فلا تردد ولا شفاعة .

* * *

ومن ذا الذى يؤاخذ أم المؤمنين أو يعيب عليها هذه الهجرة ، وهى الفقيهة فى دين الله ، المتأدبة فيما تدع وتأخذ بأدب رسول الله عليه صلاة الله وسلامه ؟ وأقل ما تتسم به مثل هذه الهجرة إباحتها إن لم ينهض دليل على وجوبها .

ولقد هجر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أمهات المؤمنين - للتأديب - شهرا ، وهجر بعضهن أربعين يوما ؛ وهجر كعب بن مالك وصاحبيه : مُرارة بن ربيعة ، وهلال

---

(١) نذرها معلق بدليل إن الشرطية ، واستدللنا على عظمته بأمرين : معنوى وهو إبهامه ، وحسى وهو إعتاقها فى كفارة نذرها أربعين رقبة وظنها بعد ذلك أنها لم توفه كما ينبغى له .

ابن أمية ، وأمر أصحابه بهجرتهم — خمسين يوما ، ولولا أن تاب الله عليهم وأنزل توبتهم بعد ما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ما كلموهم أبدا !!

ولقد رأى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه رجلا يضحك فى جنازة فقال له مسفهًا : تضحك مع الجنازة ؟! لا أكلمك أبدا . وكان لأنس بن مالك رضى الله عنه امرأة فى خلقها سوء ، فكان يهجرها السنة والأشهر وهى تتعلق بثوبه وتقول أنشدك بالله يابن مالك ! أنشدك بالله يابن مالك ! فما يكلمها . والنهى عن الهجران فوق ثلاث ليال إنما هو رخصة لحظ النفس ورغبتها ، فأما إذا كان لخوف مضرة أو أذًى فى الدين أو الدنيا فإنه لا حد له .

وبعد هذا كله فإنه يستعظم من صاحب الشأن فى رحم أو قرابة أو علم ودين مالا يستعظم من غيره ، ورب حسنة من صغير تعد سيئة من كبير ؛ ولذلك لم يمنع النبى ﷺ كلام من تخلف من المنافقين فى غزوة تبوك كما منع كلام الثلاثة ، ولم يؤاخذهم مؤاخذتهم ازدراء للمنافقين وتحقيرا ، وإعظاما للصادقين وتقديرا .

ومن هذا القبيل كانت عقوبة أم المؤمنين لأحب الناس إليها وأبرهم بها .

* * *

طالت هجرة أم المؤمنين على عبد الله ! ونقصه الله بهجرتها فى أمره كله ، ولم يستطع على تلك الحال صبرا ! فأخذ يستشفع إليها بكل جدير أن يشفع ، وهى تقسم بالله لا تشفّع فيه أحدا . ولا تحنث فى نذرها أبدا ، ولقد بالغت فى الرد ، حتى إن الزهريين أخوال النبى ﷺ وذوى قرابته لم ينالوا من الشفاعة لديها مأربا .

ازدادت قسوة الأم على ابنها ، واشتد خوف الابن من هجرها ، فلم يكن بد من إعمال الحيلة ، وتحنيثها فى نذرها بكل وسيلة ، رحمة بعبد الله وشفقة عليه ، وليقض الله أمرا كان مفعولا .

كانت أم المؤمنين لا تدخل أحدا فى بيتها إلا بإذنها ، ومن دخل فبينه وبينها حجاب ، إلا ذوى محارمها ، ومع هذا فلا يدخلون عليها حجابها إلا بإذن . وكانت حيلة الزهريين التى بيتوها أن يقبل المسور وعبد الرحمن بعبد الله مشتملين عليه بأرديتهما ، فيستأذنا على أمهما ويقولا : السلام عليكِ ورحمة الله وبركاته ، أندخل ؟ فتقول : ادخلوا ، فيقولا : كلنا ؟ فتقول : نعم ادخلوا كلكم ، وهى لا تعلم أن معهما ابن الزبير . وكذلك نجحت الحيلة النبيلة فى مصالحة أم المؤمنين ... فأنعم بها ! .

دخلوا ، واقتحم عبد الله الحجاب فاعتنق أمه ! وطفق يناشدها ويبكى ! وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه ، ويقولان : إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة ، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال .

فلما أكثروا على أم المؤمنين من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكى ، وتقول إنى نذرت ! والنذر شديد ! فلم يزالا بها حتى كلمت ابنها ، وكفرت عن نذرها . ولا يعلم إلا الله مدى ما اشتمل عليه من فرح الأوبة ، وقبول التوبة . وعودة الابن البار إلى أمه الحنون !!! .

وأرسل إليها عبد الله عشر رقاب فأعتقتهم جميعاً ، ثم لم تكتف بهم كفارة لنذرها ؛ بل بعثت إلى اليمن بمال تبتاع به رقابا فلم تزل تعتق منهم حتى بلغ ما أعتقته فى نذرها هذا أربعين رقبة مؤمنة .

وهكذا كانت خصومتها خيراً وبركة ، وفتح باب فسيح لتحرير هؤلاء المساكين ؛ وكم لآل أبى بكر من بركات وخير كثير .

ثم كانت بعد ذلك تذكر نذرها وتبكى حتى تبلّ دموعها خمارها وتقول وددت أنى جعلت حين حلفت عملا أعمله فأفرغ منه . . وددّت والله أعلم لو حددت نذرها ، حتى تكون على بينة من الأمر حين تكفر عنه إذا حنثت فيه ، لكن هذا النذر المبهم المجهول لاحدّ لكفارته إلا أن يطمئن قلبها ، وها هى ذى تعتق أربعين رقبة كاملة ثم تخشى ألا تكون قد وفت بحق نذرها وأدت إلى الله ما عليها !

وبعد ، فإذا كان فى الحديث الأول أنبل خصومة عرفناها بين الإخوان والأصدقاء فإن فى هذا الحديث الثانى أجمل مصالحة عرفناها بين الأبناء والآباء ؛ فإن يرد الله أن يعززهما بثالث فإننا نرجو بتوفيقه ومعونته ، أن يكون فى الإصلاح بين السادة الكبراء ، وموعدنا الجزء التالى إن شاء الله ، والله المستعان .

طه محمد الساكت

الروح التقدمية في الإسلام

شاهد بأنه من صنع الله لا من انعكاس البيئة

للأستاذ الكبير سيد قطب ، نظرة تحليلية موفقة فى أن النظام الإسلامى موحى به من (أعلى) ، وليس نتيجة للفكر البشرى المعاصر من (أسفل) . فهو يقول إن آية ذلك أن النظام الإسلامى عبر القرون ليساير الاتجاه العالمى الآن نحو الاشتراكية مع تميز وأصالة ، فى حين أنه نزل فى عصر الرق . وهذه طفرة لا تتأتى إلا لنظام ربانى ! !

والحقيقة أن الدارس للبيئة العربية ، بل للفكر المتداول فى العالم المعروف وقت الجاهلية ، يجد أن الأفكار الإسلامية لا يمكن أن تكون نتيجة الظروف الاجتماعية والفكرية القائمة وقتذاك .

ونحن نستطرد على هامش تلك الحقيقة التى قررها الأستاذ فى تحليله ، لنثبت الفكرة ، ونسوق المثل والأدلة .

عالمية وإنسانية :

فالأمة العربية عاشت فى جاهليتها على العصبية التى تفرق بين الشمال والجنوب ، بل بين القبيلة والقبيلة ، بل بين الأفخاذ والبطون فى القبيلة الواحدة . والعالم فى ذلك الوقت كان حديث عهد بالأوطان الصغيرة والنزعات المحلية والآفاق الضيقة ، وكان توسيع الرقعة وتكوين الإمبراطورية لا يذيب شخصية البلدان المقهورة والشعوب المغلوبة بحال من الأحوال .

وفى هذه الظروف يأتى الإسلام ليجعل وطنه فى جميع العالم ، ويجعل أمته مشاعة بين كل الأجناس . فباستثناء أمتار مربعة من الأرض فى مكة هى البيت الحرام ، وأمتار أخرى فى المدينة هى المسجد والروضة النبوية المطهرة ، وأمتار فى ثالث الحرمين فى المسجد الأقصى باستثناء هذه المواضع الثلاثة كل الأرض سواء وجميع الأوطان سواء . والأرض كلها جعلت مسجداً وطهوراً .

والدنيا بتخومها الجغرافية وحدودها السياسية لا تصلح لأن تكون سبباً للنزاع ،وأساساً للعواطف الموضعية المحدودة ، فكلها تشترك فى صفة « الأرض » ، لذلك ترد هذه الكلمة كثيراً فى سياق القرآن لتذكر الناس بحقيقة الوضع « يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون » « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » . وهكذا تصبح الأرض مسرحاً للنشاط البشرى كوحدة ، تتداول عليها الأجيال دون أن تنعقد النفوس حول تضاريس الطبيعة وفواصل السياسة .

وأبناء الإسلام فى حركة قد تدعوهم إلى الهجرة ، فالأرض كلها أرض « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيراً وسعة » ، فلا يصح أن تحتجز المسلم أرض عن أرض « مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » ؟ ! وفى الحج تدريب عملى إجبارى على تغيير الأرض وهجرة الوطن ، إلى أرض لا ترغب فى سياحة أو نزهة أو متعة ، حتى لا يكون المسلم أسير إلف ولا عادة « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

والقانون الدولى فى الإسلام لا يعرف التقاسيم الجغرافية والسياسية ، إنما يعرف أن الأرض كلها سواء ، وهى محكومة بحكم العقيدة التى تنفسح لكل أرض وتنفسح لها كل أرض ، فهى إما دار حرب أو دار إسلام ، إلا ما حكمته العهود والعقود حكما خاصاً .

ورسول الإسلام ﷺ غرس هذه العالمية بسيرته ، فهاجر إلى المدينة رغم نشأته فى مكة وحبه لها ، وقد أرسل الوفود لكل حاكم معروف فى وقته . وحين هزم المسلمون فى أحـــد ، لم يشأ رسول الله ﷺ أن يدع هؤلاء المسلمين للحقد والضغينة والطيرة ولو بالنسبة لشبر من الأرض فقال « إن أحُداً يحبنا ونحبه » .

ومن مقتضيات العالمية « الإنسانية » ...

والإسلام كان إنسانياً لأنه لم يقدس جنسا ليسود على سواه كما لم يقدس أرضا إلا فى أضيق نطاق « كلكم لآدم وآدم من تراب » ، واختلاف الشعوب والقبائل من أجل التعارف والتعاون والتكامل « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

وحلقة الإسلام الأولى « عصبة أمم » ففيها عرب من أنساب وقبائل مختلفة ... وفيها صهيب الرومى وبلال الحبشى وسلمان الفارسى ، وما أكثر الأحاديث فى فضل هؤلاء من غير العرب .

وإذا كان الإسلام قد ضرب نطاقا حول الجيل الأول من المؤمنين المشهود لهم بحسن البلاء والمبشرين بحسن الجزاء حتى لا ينال منهم عيب اللسان ، فهذا الجيل الأول ممن صحبوا رسول الله عليه الصلاة والسلام فيهم مختلف الأجناس والألوان .

وإذا كان الله قد اختار العرب ليكونوا حملة رسالته ، فإن هذا يقطع بأفضليتهم لهذا العبء والتشريف ، ولكنه لا يعين أن تكون هذه « الميزة التاريخية » ضربة لازب فى كل حال وفى كل حين .

وإذا كان الله قد اختار العربية لتكون لسان دينه الأخير ، فقد فتح الباب لتعلمها على مصراعيه ، حتى تصبح العروبة لوناً ثقافيا ، لا عصبية دموية .

ولقد كان انتصار الإسلام ، انتصاراً للحق المطلق الذى قامت به السموات والأرض فى كل زمان ومكان ، لا انتصارا لأرض على أرض ، ولا لشعب على شعب .

وعمر بن الخطاب الذى أوصى واليه عمرو بن العاص بسكان مصر ، لم يكن عمر العربى الذى لا يأبه بما يناله عمرو العربى ما دام يكسبه من غير العرب ، وما دام يحكم قطرا غير جزيرة العرب .

هذه عالمية ، وهذه إنسانية ، ليس فى وسع عقل أن يلحقها بالفكر البشرى فى وقتهما ، وقد كان لا يعرف إلا العصبية .

إنها تقدمية تساير القرن العشرين الذى يبشر فيه بالعالم الواحد والأسرة الإنسانية ، مع فارق واحد ، هو الفارق بين الحق والباطل ، وبين الإخلاص والخداع .

فالعالمية ، والإنسانية ، قامتا فى الإسلام فى ظل عقيدة تنير الضمير وتكون الضمان ، والعالمية والإنسانية الآن صيحتان لتبرير الاحتلال والاستعمار ، حتى ننسى المظالم ونغرق فى العالمية ، والعالميون قولا يخدمون أوطانهم فعلا ونحن عليهم متفرجون ، بل من أفكارهم مقتبسون .

الحرية لا الرق :

والأمة العربية عاشت فى جاهليتها وهى تقر الرق فى أوضاعها الاجتماعية ، حتى قامت عليه حياتها الاقتصادية ، والعالم كله جرى على الاسترقاق فى الحروب إبان ذلك الوقت .

والإسلام يأتى ليقول إن الحرية أصل والرق عرض ، ويجعل النص الصريح فى معاملة الأسرى المن أو الفداء ، ويجيز الاسترقاق على قاعدة المعاملة بالمثل ، لأن هذا كان هو الوضع العالمى وقتذاك . . . وهو يضيق مصادر الرق حتى يقصرها على الأسر فى حرب شرعية ، ولا يجيز النخاسة والخطف ، وهو كذلك يوسع مصارف الرق فيجعلها من واجب الحكومة فى حصيلة الزكاة « وفى الرقاب » ويجعلها شريعة على المحكومين فى الكفارات والقربات ، فضلا عن اتفاق الرقيق مع صاحبه على أن يعتقه ويدفع له مالا ويسمى هذا بالمكاتبة ، وللإمام أحمد فى رواية أنها واجبة متى دعا الرقيق سيده إليها على قدر قيمته أو أكثر ، وللرقيق الاتجار ليدفع للسيد الأقساط ، وعلى السيد أن يتركه يشتغل أين شاء وفيما شاء ، والمالكية تجبره على الكسب ليتحرر ما دام قادرا عليه إذا لم يكن معه مال ، والحنفية تجبره على أداء مال المكاتبة إذا امتنع عن السداد وكان معه مال . ويشترط الفقهاء أن يراعى فى عقد المكاتبة حال الرقيق ، كما يرون أن أقل وعد من السيد أو أقل احتمال للوعد بالتحرير يجعل التحرير ضروريا [1] .

وما يتبقى بعد ذلك من رقيق « شكلا » فإن الإسلام يلغى رقهم موضوعاً ، إذ يمنع من إرهاقهم بالعمل ، ويأمر بمعاونتهم فيما يغلبهم ، وينهى عن إيذائهم حتى بكلمة عبد أو أمة ، ويجعل لهم لباساً وطعاماً كطعام السيد ولباسه ، حتى يصبح الرق مغرماً لا مغنما . وإيذاء المملوك بعد ذلك كفارته العتق وحده دون أى شىء آخر .

وحاشى للإسلام وقد ضمن للرقيق هذا العيش الرغيد وضيق الحدود على الاسترقاق أن يجيز الرق كمبدأ وكقاعدة ، واستمع معى إلى علماء المسلمين يقررون ذلك .

يقول النسفى فى تفسير قوله تعالى « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة » : « قيل لما أخرج نفساً مؤمنة من جملة الأحياء ، لزمه أن يدخل نفساً مثلها فى جملة الأحرار ،

---

(١) الاسلام دين الفطرة ـ عبد العزيز جاويش .

لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها ، من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات ، إذ الرق أثر من آثار الكفر ، والكفر موت حكما « أو من كان ميتاً فأحييناه » [١] . ا . هـ

ويقول الأستاذ الشيخ أحمد إبراهيم فى حكم الوقف : « قال أبو يوسف يزول ملك الواقف بمجرد القول قياساً على الإعتاق بجامع إسقاط المال فى كل . وقال محمد لا يلزم الوقف إلا بالتسليم إلى المتولى قياساً على الصدقة المنفذة بجامع التبرع فى كل . . . ولا وجه لقياسه على الإعتاق لأن الإعتاق إتلاف للمالية وإرجاع للشيء إلى أصله ، إذ الأصل فى بنى آدم الحرية ، وأما الأموال فإنها خلقت لتملك وينتفع بها » [٢] ا . هـ

واتفق الأئمة على أنه لو كان فى يد إنسان غلام بالغ عاقل ، وادعى عليه أحد أنه عبده فكذبه الغلام ، فالقول للغلام مع يمينه أنه حر . وبتطبيق القاعدة المشهورة « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » نجد أن الشرع قد اعتبر أن حرية الإنسان هى الأصل وأن الرق أمر عارض ، فكلف من ادعاه بالبينة واكتفى ممن أنكر باليمين . أضف إلى ذلك إجماع الفقهاء على أنه إذا التقط شخصان لقيطاً فادعى مسلم أنه عبده ، وادعى كافر أنه ابنه ، فإنه يقضى ببنوته للكافر حتى يكون حراً ، ولا يقضى للمسلم حتى لا يكون رقيقاً [٣] !!!

فهل يمكن أن يكون هذا التشريع من نتاج عقول البشر فى عصر الرق !؟

ألا إن فلسفة العصر كانت تقسم الجنس البشرى إلى « حر بالطبع » و « رقيق بالطبع » فما أبعد الفرق ثم ما أبعد الفرق !

فإذا انتهت طريقة الإسلام التشريعية فى التدرج بالإنسانية إلى أن يقل الرقيق بتضييق موارده ، ويزيد العتق بفتح أبوابه ، وإذا تغيرت القاعدة الدولية فى الإسترقاق تطبق هذه القاعدة الشرعية المقررة فى اعتبار الرق أمراً عارضا ، وتتعامل دولة الإسلام مع غيرها على أساس المقابلة بالمثل بعد أن زال عرف الاسترقاق فى الحروب . وفى هذا الضوء يفهم الحديث الذى أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر وصححه السيوطى فى الجامع الصغير « شر المال فى آخر الزمان المماليك » .

(١) جـ ١ ص ١٨٩ ـ طبعة الحسينية . (٢) المعاملات الشرعية المالية ص ٣١٤ .

(٣) الاسلام دين الفطرة ص ٦٢ والنظم الاسلامية ص ٣٦٥ .

التكافل الاجتماعى ... لا الفردية والطبقية :

وفى عصر الرق ، يتخطى الإسلام العصر ويتخطى عصر الإقطاع وعصر الرأسمالية من بعده ليساير الاتجاه الاشتراكى فهو يعتبر الملكية وظيفة اجتماعية وليست تسلطاً وتجبراً . يقول تعالى فى سورة الأنعام : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » . فالله حين مايز بين الناس فى درجاتهم ، فإنما كان هذا من أجل ابتلائهم واختبارهم ، لا من أجل تأييد التفرقة بينهم ، وإقامة الفوارق الجائرة الجامدة بين طبقاتهم . فمن أوتى مالا فهو مطالب بأن يؤدى واجبه إزاءه ، ومن حرم المال فهو مطالب بأن يطالب بحقه ويبتغى من فضل الله . وبذلك تتساند القوى فى إقامة صرح الحياة ، ويتعاون رأس المال مع العمل على أساس من الاشتراك فى الغنم والغرم ، فيندفع تيار الحياة الاجتماعية وتستمر حركة تداول الثروة ، كما يسير التيار الكهربى بين الموجب والسالب . وصدق الله العظيم . « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » :

أما أن تتحكم طائفة فى احتجاز الثروة ، وتستهلك طائفة فى الحرمان ، فإن معنى هذا مخالفة خطيرة لمقصد الشارع من تباين درجات الناس ، وتجميد للطبقات القائمة ، وتضييق لمجال التداول والنشاط الاقتصادى . فينقسم المجتمع قسمين : أحدهما قسم موجب مكتظ الخزائن ، والآخر سالب معروق الأبدان ، دون أن يتصل التيار الاجتماعى بينهما بما يحقق التوازن وينير الحياة . وفى هذا الضوء يصدق ما قاله الأستاذ الدكتور محمد صالح رحمه الله « ... التكاليف التى فرضت على المالك تجعل من الملكية وظيفة اجتماعية إن لم يضطلع بها المالك على هذا الوجه زالت ملكيته » [١] .

والتكافل الاجتماعى له سنده الإسلامى فيما يتعلق بمرافق الإنتاج وبحاجيات الاستهلاك فمن ذلك ما رواه أحمد وأبو داود عن الرسول ﷺ « المسلمون شركاء فى ثلاثة : الماء ، والكلأ ، والنار » ، وروى البخارى عن جابر ورافع « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها فإن أبى فليمسك أرضه » [٢] ومن ذلك ما رواه أبو داود عن أبى سعيد الخدرى

(١) مجلة « المسلمون » — السنة الأولى .

(٢) روى مثله مسلم عن أبى هريرة وأورد أحاديث فى هذا المعنى أبو داود والنسائى وهذه حجة المبدأ الذى يقول : الأرض لمن يزرعها .

« من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل مال فليعد به على من لا مال له ـ فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل » .

وأخرج الطبرى عن حبيب بن أبى وائل : قال عمر بن الخطاب « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين » . كما قرر عمر ابن الخطاب فيما أخرجه الطبرى عن السائب بن يزيد أنه ما من أحد إلا وله فى مال الدولة حق يتقاضاه وفقا للقرآن والسنة ، « فالرجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وغناؤه (كفايته) ، والرجل وحاجته » .

ومن كلام عمر يظهر أن الدولة الإسلامية كانت هى التى تلتزم إقرار التكافل الاجتماعى باعتبارها نائبة عن المجموع ، لذلك جرّد أبو بكر الصديق الجيوش الجرارة فى أدق ظروف الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ دفاعاً عن الزكاة حق الفقير .

وإلى القارىء كيف فهم فقيه القرن الخامس الهجرى نصوص الإسلام هذا الفهم التقدمى العظيم ـ يقول الإمام ابن حزم فى كتابه « المحلى » : ـ

« وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم ، ولا فىء سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة » ا . هـ

وهو يستعرض نصوص القرآن ، ثم يستعرض نصوص الحديث ويعلق عليها بما يدعم به هذا الرأى فيروى بالسند الصحيح « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » ثم يقول : ومن كان على فضلة ورأى المسلم أخاه جائعا عريان ضائعا فلم يغثه ، فما رحمه بلا شك .

ويروى أيضا بالسند الصحيح عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق « ان أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء ، وان رسول الله ﷺ قال : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » .

ويروى كذلك « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » ، ثم يقول : من تركه يجوع ويعرى ـ وهو قادر على إطعامه وكسوته ـ فقد أسلمه .

إلى أن يقول ابن حزم : والنصوص من القرآن والأحاديث تكثر جدا .

ثم ينقل ابن حزم عبارة عمر « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت . . . الخ » ويقول عن إسنادها : وهذا إسناد فى غاية الصحة والجلالة .

وينقل عن على بن أبى طالب بسنده « إن الله تعالى فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم ، فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء ؛ وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه » .

وعن ابن عمر « فى مالك حق سوى الزكاة » . وعن عائشة والحسن بن على وابن عمر أنهم قالوا كلهم لمن سألهم : « إن كنت تسأل فى دم موجع ، أو غرم مفظع ، أو فقر مدقع ، فقد وجب حقك » وصح عن أبى عبيدة وثلاثمائة من الصحابة أن زادهم فنى فأمرهم أبو عبيدة فجمعوا أزوادهم فى مزودين ، وجعل يقوتهم إياها على السواء .

إلى أن يقول ابن حزم : فهذا إجماع مقطوع به من الصحابة رضى الله عنهم ، لا مخالف لهم منهم .

ثم ينتقل ابن حزم بعد الاستدلال بالقرآن والسنة ثم أقوال الصحابة ، إلى من يلونهم فيقول : « وصح عن الشعبى ومجاهد وطاوس وغيرهم ، كلهم يقول : فى المال حق سوى الزكاة » .

ثم يختم ابن حزم كلامه بقذيفة حق مدوية :

« ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير ، وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو لذمى ، لأن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع ، فإذا كان كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير . وله أن يقاتل عن ذلك ، فإن قتل فعلى قاتله القود ، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله لأنه منع حقاً ، وهو طائفة باغية . قال تعالى « فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » ومانع الحق باغ على أخيه الذى له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق مانع الزكاة » [1] .

---

(١) المحلى : ج ٦ طبعة المنيرية ص ١٥٦ ـ ١٥٩ .

وهكذا يقرر ابن حزم بالنسبة لحق الفقير قوتين تسهران على استنقاذه وحمايته : الإلزام الحكومى ، والكفاح الشعبى .

ترى أفى القرن الخامس الهجرى كان يعيش ابن حزم ، بل كان يعيش الصحابة والتابعون الذين استند إلى أقوالهم وأعمالهم ، أم فى القرن الرابع عشر الهجرى الذى نعيش فيه ؟

لقد علق محقق كتاب المحلى الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر على هذه النصوص فقال :

« من هذا ومن أمثاله فى الشريعة الإسلامية يرى المنصف أن التشريع الإسلامى فى الذروة العليا من الحكمة والعدل . وليت إخواننا الذين غرتهم القوانين الوضعية وأشربتها نفوسهم يطلعون على هذه الدقائق ويتفقهونها ، ليروا أن دينهم جاءهم بأعلى أنواع التشريع فى الأرض : تشريع يشبع القلب والروح ، ويطبق فى كل مكان وكل زمان ، إن هو إلا وحى يوحى . ولو فقه المسلمون أحكام دينهم ، ورجعوا إلى استنباطها من المنبع الصافى والمورد العذب : الكتاب والسنة ، وعملوا بما يأمرهم به ربهم فى خاصة نفسهم وفى أمورهم العامة وفى أحوال اجتماعهم – لو عملوا هذا لكانوا سادة الأمم . وهل قامت الثورات المخربة الهادمة ، والفتن المهلكة إلا من ظلم الغنى للفقير ، ومن استئثاره بخير الدنيا وبجواره أخوه يموت جوعاً وعريا . والمثل كثيرة ، ولو فقه الأغنياء لعلموا أن أول ما يحفظ عليهم أموالهم إسداء المعروف للفقراء ، بل القيام نحوهم بما أوجبه الله على الأغنياء . فليفقهوا أو ليعلموا أو يعملوا ، فقد جاءتهم النذر . هدانا الله جميعاً » ا . هـ

* * *

العلم ... لا الأمية :

نزل القرآن فى بيئة تفشو فيها الأمية ، وصدع بتبليغه نبى أمى ، فكان انعكاس البيئة هنا أن تمجد الأمية ، أو يفلسف الأمر الواقع .

ولكن القرآن افتتح خطابه للبشرية بالدعوة إلى القراءة والعلم « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم »

والقرآن ملىء بالأوامر بالتدبر والتفكر والعلم ، وبتكريم العلماء وأولى الألباب .

وهـو يشير إشارات دقيقة إلى كتاب الـكون ، تستثير البصائر والأبصار ، وتحفز الهمم للبحث والكشف ، ثم الإبداع والاختراع . « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

وكثير من الباحثين ألمع فى إجمال أو تفصيل إلى ما ورد فى القرآن من إشارات تتعلق بمباحث علم الفلك « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » ، « لا الشمس ينبغى لهـا أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار . وكل فى فلك يسبحون » ، وإشارات تتعلق بموضوع علم النبات « وأرسلنا الرياح لواقح » ، « وأنبتنا فيها من كل شىء موزون » ، وإشارات لها صلة بعلم طبقات الأرض « ومن الجبال جـدد بيض وحمر مختلف ألوانها » ، أو بعلم المناخ « ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعـله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله . وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار . يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » كذلك يلمع القرآن إلى علم الأجنة « يخلقكم فى بطون أمهاتـكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » ، « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قـرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخـر ، فتبارك الله أحسن الخالقين » ، والآيات فى ذلك كثيرة ، حتى استلهم الـكتاب من بعضها انقسام الذرة حين ترد عبارة « مثقال ذرة » ، ثم يرد من بعدها « ولا أصغر من ذلك ولا أكبر » ، وهكذا .

هذا الاستنهاض للعلم لم يتركه الإسلام لحب الاستطلاع وحده ، بل جعله فريضة لازمة فطلب العلم فريضة كما ورد فى روايات كثيرة ومن طرق كثيرة صحيحة . وفى غزوة بدر كان فى الأسرى المشركين من يكتب ، ولم يكن فى الأنصار من يحسن الـكتابة ، وكان منهم من لا مال له ، فيقبل منه أن يعـلم عشرة من الغلمان الـكتابة ويخلى سبيله . قال عامر الشعبى : كان فداء الأسرى من أهل بدر أربعين أوقية أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علّم عشرة من المسلمين ، فـكان زيد بن ثابت ممن عـلم وأخرج الإمام أحمد من حـديث عكرمة عن ابن عباس حديثا يتضمن هذه الواقعة [1] .

---

(١) إمتاع الأسماع للمقريزى ص ١٠١ .

والعلم إذا قصد به وجه الله وامتثال فرضه كان عبادة قدسية ، فيها تسبيح للخالق الصانع المبدع بكشف الغطاء عن إتقان الصنعة وإحكام الخلق ، وفيها حمد لله بنشر نعمه وآلائه المودعة فى خلقه والمطمورة عن أعين الناس ، وفيها إفادة من قوى الكون التى سخرها فاطره للإنسان « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

وفى الشرع ما يسمى بالواجب الكفائى ، وهو ما لو قام به البعض فقد أدى الواجب وسقط الإثم والحرج عن باقى الأمة ، وإذا لم يقم به أى فرد من المكلفين أثموا جميعاً بإهمال هذا الواجب . ومن ذلك ما يحتاج إليه الناس من مهن وصناعات وحرف ، ومنها الطب والهندسة والطيران والصناعات المختلفة من آلية وكهربية وكيماوية وغير ذلك . وليس من سبيل لرفع الإثم عن الأمة جميعها ، وأداء هذا الواجب الكفائى غير التعلم .

يقول الإمام ابن حزم فى كتابه « الإحكام فى أصول الأحكام » :

(قال الله تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » فبين الله فى هذه الآية وجه التفقه كله ، وأنه ينقسم قسمين : أحدهما يخص المرء فى نفسه وذلك مبين فى قوله تعالى « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » فهذا معناه تعليم أهل العلم لمن جهل حكم ما يلزمه . والثانى تفقه من أراد وجه الله تعالى بأن يكون منذراً لقومه وطبقته ، قال تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » . ففرض على كل أحد طلب ما يلزمه على حسب ما يقدر عليه من الاجتهاد لنفسه فى تعرف ما ألزمه الله تعالى إياه) .

وقد حدد ابن حزم حداً أدنى للثقافة يلزم عمار العامة ، وجعل الحاكم ملزماً بجعل هذا القدر من التعليم إجبارياً فقال :

إن كل مسلم عاقل بالغ من ذكر أو أنثى ، حر أو عبد يلزمه الطهارة والصلاة والصيام فرضاً بلا خلاف من أحد من المسلمين ، وتلزم الطهارة والصلاة المرضى والأصحاء ، ففرض على كل من ذكرنا أن يعرف فرائض صلاته وصيامه وطهارته وكيف يؤدى كل ذلك .

وكذلك يلزم كل من ذكرنا أن يعرف ما يحل له ويحرم عليه من المآكل والمشارب والملابس والفروج والدماء والأقوال والأعمال .

فهذا كله لا يسع جهله أحدا من الناس : ذكورهم وإناثهم ، أحرارهم وعبيدهم وإمائهم. وفرض عليهم أن يأخذوا فى تعلم ذلك من حين يبلغون الحلم وهم مسلمون ، أو من حين يسلمون بعد بلوغهم الحلم ، ويجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم ماذكرنا ، إما بأنفسهم وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم ، وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك ، وأن يرتب أقواما لتعليم الجهال » . اهـ .

وبعد هذا القدر المشترك ، يعدد ابن حزم ما فرض على كل طائفة تخصصت فى عمل بعينه من العلم ، فيقول :

... ثم فرض على كل ذى مال تعلم حكم ما يلزمه من الزكاة ، وسواء الرجال والنساء والعبيد والأحرار ، فمن لم يكن له مال أصلا فليس تعلم أحكام الزكاة عليه فرضا .

ثم من لزمه فرض الحج ففرض عليه تعلم أعمال الحج والعمرة ، ولا يلزم ذلك من لاصحة لجسمه ولا مال له .

ثم فرض على قواد العساكر معرفة السير ، وأحكام الجهاد ، وقسم الغنائم والفىء .

ثم فرض على الأمراء والقضاة تعلم الأحكام والأقضية والحدود ، وليس تعلم ذلك فرضا على غيرهم .

ثم فرض على التجار وكل من يبيع غلته تعلم أحكام البيوع وما يحل منها وما يحرم ، وليس ذلك فرضا على من لا يبيع ولا يشترى .

ثم فرض على كل جماعة مجتمعة فى قرية أو مدينة أو دسكرة ـ وهى المجشرة عندنا ـ أو حلة أعراب أو حصن أن ينتدب منهم لطلب جميع أحكام الديانة أولها عن آخرها » .

فهل تكون هذه الدعوة الحارة للعلم ، إلا ممن « علم بالقلم ؛ علم الإنسان مالم يعلم » .

يتبع

محمد فتحى محمد عثمان
مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

جمال الأسلوب القرآنى

نقلنا فى ص ٢٤٧ من الجزء الثانى لهذه السنة من مجلة الأزهر قول أبى عثمان الجاحظ عن المترجم إذا أراد أن يترجم كتابا لحكيم من الحكماء : « إنه لا يؤدى ما قاله الحكيم على خصائص معانيه وخفيات حدوده ، إلا أن يكون فى العلم بمعانيها وتأويلات مخارجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه . ومتى وجدناه قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما وكلما كان الباب من العلم أعسر والعلماء به أقل كان أشد على المترجم وأجدر أن يخطىء فيه » .

ونقلنا هناك قول تاغور الفيلسوف البرهمى الذين اقترحوا عليه فى مصر ترجمة كتبه بالهندوستانية باللغة الانجليزية التى يجيدها كأهلها ، فأجابهم : « إن لكل لفظة فى لغة من اللغات جواً يحيط بها ويتأثر به سامع تلك اللفظة بتلك اللغة ولو أمكن أن توجد لكل لفظة فى كتبى الهندية لفظة فى لغة الانجليز قريبة منها فان الجو الذى لتلك اللفظة فى لغة الهند لا يمكن نقله إلى لغة الانجليز ، فتأتى الترجمة ناقصة ، ولا تؤدى فى اللغة المنقول إليها الصورة الكاملة التى كانت لها فى اللغة المنقول منها » .

ثم قلنا يومئذ : إن الترجمة تكون فى العلوم الطبيعية والرياضية بالشروط التى ذكرها الجاحظ ، وتكون فى التاريخ والسير كالتوراة والانجيل . أما فى الكلام البليغ المعجز فان ما ذكره تاغور يؤيد (استحالة) ترجمة مثل القرآن . ومن زعم أنه ترجمه فان عمله ناقص ولا يؤدى صورة الأصل حتى لو كان حسن النية ومستوفيا كل ما اشترطه الجاحظ .

والآن لمناسبة نشر المقال التالى نعود إلى التذكير بهذه الحقائق .

المحرر

ليس هدفى فى هذا المقال أن أعود إلى إثارة مشكلة ترجمة القرآن من جديد ؛ هل تجوز أم لا تجوز ، ولكن المشكلة التى أردت أن أواجهها الآن هى البحث فى القضية العامة ، قضية الترجمة ، من الناحية الأدبية الفنية .

والقضية فى صورتها العامة تذهب إلى أن الجمال القرآنى يضيع عندما تترجم الآيات إلى لغة غير اللغة العربية . ولكن ما هو هذا الجمال ؟ وكيف يضيع ؟ هذه مشكلتنا الآن . وكثيرون

أولئك الذين يتحدثون عن جمال القرآن ، ولكن من منهم وضع إصبعه على موطن الجمال فحلله إلى عناصره ، وبين لنا ما يفقد من هذه العناصر فى أثناء عملية الترجمة ، وكيف يفقد ؟ .

وسبيلنا إلى بحث هذه المشكلة أن نلجأ إلى المقارنة ، فهى الوسيلة الوحدى التى نستطيع أن نلمس من خلالها تلك الفروق بين النص العربى للقرآن والنص فى الترجمة . وقد يُظن عندما نجد فرقاً بين الترجمة والأصل أن الترجمة ليست دقيقة ، وأن العيب إنما يرجع إلى ضعف المترجم ، وأنه إذا وجد المترجم الدقيق فإنه يستطيع أن يقدم إلينا ترجمة كاملة تنقل إلينا ما فى القرآن من جمال ؛ فليست المشكلة فى الواقع مشكلة دقة فى فهم المترجم وفى ترجمته ، فالذين ترجموا القرآن أولوه من العناية والدقة مالم يولوا به عملا آخر ، ثم إننا إذا كنا نتحدث عن الدقة فليست الدقة هى الجمال ، بمعنى أن الترجمة عندما تكون دقيقة تكون جميلة ؛ فإنه رغم الدقة التى اتصف بها بعض المترجمين لم يخرج نص الترجمة شاملا لكل عناصر الجمال التى يتضمنها الأصل . والسر فى ذلك أن الدقة تهتم بالمعنى ، والترجمة الدقيقة هى تلك التى تحافظ على المعنى المنقول فتحاول أن تنقله كاملا دون زيادة أو نقصان .

وليس القرآن مجموعة من المعانى فحسب ، وإلا فإن الترجمة الدقيقة ستنقله نقلا كاملا أمينا ، ولكن هذه المعانى مغلفة بعناصر أخرى تكسبها جمالا ، وهى عناصر لا يمكن ضبطها بالنسبة للشرقى بله الغربى ، ولكنها عناصر تحس وتعمل فى خفاء ، وقد نستطيع أن نتنبه إليها ، ولكننا فى الغالب لا نستطيع حصرها وتحديدها .

ويحسن بنا أن نعرض الآن لآية من الآيات ندرسها دراسة عملية ، ونقارن الأصل بالترجمة ، ونحاول كشف العناصر الجمالية التى فى الأصل وكيف هى تضيع فى أثناء عملية الترجمة .

وقد قلت إن ترجمات القرآن كثيرة جدا ، وسأكتفى فى هذه الحالة بمجموعة منها فقط لقصد المقارنة .

وأقدم ترجمة بين يدى الآن هى ترجمة انجليزية بعنوان : (١) The Alcoran of Mahomet

---

(١) نحب أن نلفت النظر هنا إلى تلك النسبة التى نجدها فى بعض الترجمات ، فليس هو « قرآن محمد » إلا أن يكون المعنى « القرآن الذى أنزل على محمد » صلى الله عليه وسلم .

وهى منقولة عن ترجمة فرنسية قام بها Du Reyer ، وقد ظهرت الترجمة الإنجليزية فى لندن سنة ١٦٤٩ .

فإذا أخذنا آية مثل قوله تعالى : « والضحى ، والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى » فإننا نجد فى الآية واو القسم وواو العطف وإذا الظرفية فى قوله : « والضحى والليل إذا سجى » . ويبقى بعد عناصر الربط هذه : الضحى والليل ، وهما كما نعلم ظاهرتان كونيتان خالدتان يعرفهما كل الناس فى كل زمان ومكان . ووراء لفظتى الضحى والليل من ألوان الأحاسيس ما يشعر به كل إنسان ، فكلاهما ـ الضحى والليل ـ مستودع لإحساسات لا يمكن حصرها لأنها تختلف من فرد إلى آخر فى قليل أو كثير . ولست أريد أن يجرنى السياق إلى الحديث فى موضوع آخر هو موضوع العناصر الكونية فى الصور القرآنية . فإذا انتقلنا إلى لفظة « سجا » وربطنا بينها وبين الليل ، وجدنا أن هذه الإحساسات الغامرة التى يحسها الناس فى الليل على اختلاف أنواعها ودرجاتها قد أخذت تتحدد فى نفوسهم ، فلا يتسرب إليهم منها سوى تلك الإحساسات التى يحسونها فى الليل إذا سجا . وكأن كلمة سجا هنا قد ولدت هذه الإحساسات لا لأن معناها « سكن » ، فليس السكون وحده هو ما تشعه كلمة « سجا » ، ولكنك تحس منها السكون والهدوء ، كما يتمثل لك الامتداد والطول الذى تصوره لك الألف الممدودة فى آخر الفعل ، فكأنها ممتدة إلى غير نهاية أو إلى غاية بعيدة . ويستطيع كل منا أن يحس أن كلمة سجا لا يمكن أن يكتفى فى معناها أو دلالتها بالسكون . ولو أن الآية كانت : والضحى والليل إذا سكن ، لفهمنا فيها معنى وافتقدنا جمالا ، ذلك الجمال هو الذى امتازت به لفظة « سجا » على « سكن » ، وهذا بغض النظر عما فى لفظة سجا من قيمة إيقاعية نلمسها إذا ما وقفنا عند نهاية كل آية من آيات السورة .

وعندما حاول المترجمون أن يترجموا هذه الآية فإنهم أفقدوا اللفظة جمالها الذى نجده واكتفوا منها بالدلالة على السكون ، وفى الترجمة التى سبق أن أشرت إليها ضاعت كلمة سجا نهائيا . ويحسن بنا أن نقرأ النص . يقول فى عنوان السورة : "The Chapter of the Sun rising" وطبيعى أن « الضحى » هنا قد انتقلت إلى معنى الشروق ، ثم يقول فى ترجمة السورة :

"I sweare by the brightnesse of the rising of the Sun, and by the darknesse of knight, that the Lord has not forsaken thee".

فهنا نجد أنه قد نقل القسم إلى هذا المعنى : « . . . وأقسم بظلام الليل . » وطبيعى أن القرآن يقسم بالليل إذا سجا لا بظلام الليل .

ولنمض الآن فى استعراض ترجمات مختلفة لهذه الآية ، لنلمس مدى الفشل فى نقل جمالها من النص العربى إلى الصورة الأجنبية .

يقول مارماد يوك بكثول M. Pickthall فى ترجمته لمعانى القرآن .

" The Meaning of the Glorious Koran " (١) :

By the morning hours
And by the knight when it is stillest . . . etc.

فهو هنا يجعل الضحى ساعات الصباح ، ثم هو يقسم بالليل فى أشد حالات سكونه . وإذن فكلمة « سجا » تعنى « سكن » وحسب .

وهو إذا كان قد ذكر لنا أنه إنما يترجم معانى القرآن لا نص القرآن فإنه ضمناً يكون قد اعترف بأنه لن ينقل إلينا ذلك الجمال الذى نجده فى النص العربى للقرآن . ولكننا نستطيع أن نلاحظ أن الذين أخذوا على عاتقهم ترجمة القرآن لا ترجمة معانيه لم يخرجوا فى ترجمتهم عن هذا النطاق وهو نقلهم كلمة سجا بمعنى سكن ، وهنا يستوى الذين يترجمون المعنى والذين يترجمون النص ، لأنهم جميعاً فى الحقيقة - إنما يترجمون المعنى ، ولا يستطيعون إلا أن يترجموا المعنى أو بعضه .

ولننظر فى ترجمة جورج سيل G. Sale (ط ٥ سنة ١٨٦٨) ص ٤٩٢ فسنجده يقول :

" By the brightness of the morning, and by the night, when it groweth dark, . . . etc ".

وهو يقسم بالليل عند ما يظلم . وكأن الليل عند ما يظلم تتساوى مع الليل إذا سجا . والحق أنها قد تتساوى من حيث المعنى من بعض الوجوه ، ولكنها لا تتساوى مطلقاً من حيث الدلالة الفنية .

وحتى الآن يكون هناك ترجمتان لكلمة سجا : ا - سكن ، ب - أظلم .

ويقول كازيميرسكى فى ترجمته " Le Koran ", par M. Kasimiriski, (Paris 1869) ، ص ٥١٢ :

(١) أحسن هذا المترجم إذ نص على أنه إنما يترجم معانى القرآن .

" J'en jure par la matinée.

Par la nuit, quand ses ténèbres s'epaississent, . . . etc ".

أى أقسم بالليل عند ما يتكاثف الظلام . وكأن سجا قد دلت عنده على تكاثف الظلام فى الليل .

ولمحمد على اللاهورى ترجمة مشهورة للقرآن عنوانها : "The Holy Qur-'an" ، يقول فى ترجمته لهذه الآية ، ط ٢ سنة ١٩٢٠) ص ١١٩٨ :

" Consider the early hours of the day.

And the night when it covers with darkness .etc. "

فهو هنا يقسم بالليل عندما يغطيه أو يشمله الظلام . وكأن « سجا الليل » هى « غطى أو شمل الظلام الليل » . وعلى كل فهذا معنى من المعانى التى انتبه إليها المترجم غير المعانى التى سبق أن رأينا فى الترجمات التى عرضناها .

وهناك ترجمة فرنسية أحدث من هذه الترجمة لادوار منتيه E. Montet بعنوان : " Le Coran " (ط باريس ١٩٢٩) ، يقول فيها فى ترجمة الآية ، ص ٨٤٧ :

" (Je le jure) par la matinée. Et par la nuit, quand l'obscurité vient " . .

فقد أقسم بالليل عندما يأتى الظلام ـ وكأن « سجا الليل » هى : « أتى الليل » .

ولست أحب أن أتعرض لترجمات أكثر من ذلك ، فليس هناك سبيل إلى حصر هذه الترجمات ، فضلا عن أن قضيتنا لا تحتاج إلى أكثر من هذه الشواهد .

والذى نلاحظه الآن بصفة عامة هو أن لفظة سجا لم تترجم ترجمة واحدة مشتركة متفقا عليها عند مختلف المترجمين ؛ فبعضهم ترجمها بمعنى سَكَن ، وآخر ترجمها بمعنى أظلم ، وغيره ترجمها بمعنى تكاثف ، وغيره ترجمها بمعنى غطى أو شمل ، ومنتيه ترجمها بكل بساطة بمعنى أتى

وإذا نحن وضعنا أى لفظة من تلك الألفاظ مكان لفظة سجا فى النص العربى لقلت قيمته الفنية إن لم تتلاش نهائيا . ومعنى هذا أن كل هذه الترجمات لم تنقل اللفظة بكل إمكانياتها الفنية ، ولكنها وقفت فقط عن بعض دلالاتها المنضبطة المحددة .

والذى أتصور أنه حدث أو يحدث عادة فى مثل هذه الحال هو أن المترجم يقف أمام كلمة سجا عاجزا فى فهمها فيذهب لتوه إلى معجم من معاجم اللغة وليكن لسان العرب لابن

منظور مثلا ، وهناك يقرأ فى معانى الكلمة : « سجا معناه سكن ودام ، وقال الفراء : إذا أظلم وركد فى طوله ، كما يقال بحـــر ساج وليل ساج إذا ركد وأظلم ، ومعنى ركد سكن . ابن الأعرابى : سجا امتد بظلامه ... الخ » [1] وهنا يجد المترجم ضالته ، فيختار أحد هـذه المعـانى [2] ، ويبحث بدوره عن اللفظ المقابل فى اللغـة التى ينقل إليها ، ثم يثبته فى نص الترجمة .

فى هذه العملية التى تتم على أكثر من مرحلة يموت اللفظ ويفقد كل حيويته ، أو لعل يفقد كل العناصر الفنية التى استودعها فيه أصحابه ؛ لأن اللفظ فى النص الأدبى لا يؤخذ معناه من المعجم ، فالمعجم لا يعطى كل إيحاءات اللفظة التى يعتمد عليها المتفنن فى صوره الأدبية كل الاعتماد . ولذلك نلاحظ أن كلمة سجا بمعانيها المختلفة فى المعجم هى التى تمثلت أو تمثل بعضها فى الترجمات التى عرضناها . ومن هنا يأتى العيب ، وهو أن هذه الترجمات قد نقلت المعانى المتجمدة المتحجرة فى المعجم للفظة ، فى حين أن الآية لم تهتم بهذه المعانى بقدر اهتمامها بموقع لفظة « سجا » من العبارة ، وما يمكن أن يكون لها من قدرة على إيحاء هذه المعانى وأكثر منها فى نفس السامع .

ومن كل ذلك ننتهى إلى أن أى ترجمة لا يمكن أن تحافظ على جمال الأصل ، وإن نقلت المعنى نقلا دقيقاً ، وأن جمال القرآن يضيع فى خلال عملية الترجمة التى يدخل فيها المعجم ، فلا تخرج منه الألفاظ إلا وقد فقدت حيويتها وفنيتها ، أو إن شئت فقدت جمالها .

عز الدين اسماعيل

---

(١) اللسان حـ ١٩ ، ص ٩١

(٢) قـد يرجع المترجم إلى الشروح ، ومراجعة الشروح عادة لا تعطى أكثر مما فى اللسان . راجع الكشاف حـ ٢ ص ١٦١٥ ، والطبرى حـ ٣٠ ص ١٤٧

حافظ الصحابة أبو هريرة رضي الله عنه والطاعنون فيه

ظهر فى هذا الشهر الجزء الثانى عشر من مسند الإمام أحمد بتحقيق الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر، وبهذا الجزء تبدأ مرويات أبى هريرة رضى الله عنه من أحاديث رسول الله ﷺ وقد صدرها الأستاذ الشيخ أحمد شاكر بكلمة قيمة عن أبى هريرة جاء فيها ما يأتى :

هو حافظ الصحابة، وأكثرهم رواية عن رسول الله ﷺ. روى له الإمام أحمد فى هذا المسند ٣٨٤٨ حديثاً وفيها مكرر كثير، باللفظ أو بالمعنى، كعادة المسند فى تكرار الحديث. ويصفو له منها - بعد حذف المكرر - خير كثير، وهو أكثر الصحابة رواية على كل حال.

وقد لهج أعداء السنة، أعداء الإسلام، فى عصرنا، وشغفوا بالطعن فى أبى هريرة، وتشكيك الناس فى صدقه وفى روايته. وما إلى ذلك أرادوا، وإنما أرادوا أن يصلوا - زعموا - إلى تشكيك الناس فى الإسلام، تبعاً لسادتهم المبشرين. وإن تظاهروا بالقصد إلى الاقتصار على الأخذ بالقرآن، أو الأخذ بما صح من الحديث - فى رأيهم. وما صح من الحديث فى رأيهم إلا ما وافق أهواءهم وما يتبعون من شعائر أوربة وشرائعها. ولن يتورع أحدهم عن تأويل القرآن، إلى ما يخرج الكلام عن معنى اللفظ فى اللغة التى نزل بها القرآن، ليوافق تأويلهم هواهم وما إليه يقصدون !

وما كانوا بأول من حارب الإسلام من هذا الباب، ولهم فى ذلك سلف من أهل الأهواء قديما. والإسلام يسير فى طريقه قدما، وهم يصيحون ما شاءوا [1]، لا يكاد الإسلام يسمعهم، بل هو إما يتخطاهم لا يشعر بهم، وإما يدمرهم تدميرا.

ومن عجب أن تجد ما يقول هؤلاء المعاصرون، يكاد يرجع فى أصوله ومعناه إلى ماقال أولئك الأقدمون، بفرق واحد فقط : أن أولئك الأقدمين - زائغين كانوا أم ملحدين - كانوا علماء مطلعين، أكثرهم ممن أضله الله على علم !

أما هؤلاء المعاصرون، فليس إلا الجهل والجرأة، وامتضاغ ألفاظ لا يحسنونها، يقلدون فى الكفر، ثم يتعالون على كل من حاول وضعهم على الطريق القويم.

ولقد رأيت الحاكم أبا عبد الله (المتوفى سنة ٤٠٥) حكى فى كتابه المستدرك

---

(١) المجلة - وآخر هؤلاء شيخ من سلالتهم اختص أبا هريرة رضى الله عنه بكتاب مستقل طبع فى صيدا سنة ١٣٦٥

(٣ : ٥١٣) كلام شيخ شيوخه ، إمام الأئمة ، أبى بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة (المتوفى سنة ٣١١) فى الرد على من تكلم فى أبى هريرة ، فكأنما هو يرد على أهل عصرنا هؤلاء. وهذا نص كلامه :

« وإنما يتكلم فى أبى هريرة ، لدفع أخباره ، من قد أعمى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معانى الأخبار :

« إما معطل جهمى ، يسمع أخباره التى يرونها خلاف مذهبهم - الذى هو كفر - فيشتمون أبا هريرة ، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه ، تمويها على الرعاء والسفل ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة .

« وإما خارجى ، يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، خلاف مذهبهم - الذى هو ضلال - لم يجد حيلة فى دفع أخباره بحجة وبرهان ، كان مفزعه الوقيعة فى أبى هريرة .

« أو قدرى ، اعتزل الإسلام وأهله ، وكفر أهل الإسلام ، الذين يتبعون الأقدار الماضية التى قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها ، إذا نظر إلى أخبار أبى هريرة ، التى رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم فى إثبات القدر - لم يجد حجة تؤيد صحة مقالته التى هى كفر وشرك ، كانت حجته عند نفسه : أن أخبار أبى هريرة لا يجوز الاحتجاج بها !

« أو جاهل ، يتعاطى الفقه ويطلبه فى غير مظانه ، إذا سمع أخبار أبى هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه واختاره ، تقليدا بلا حجة ولا برهان - تكلم فى أبى هريرة ، ودفع أخباره التى تخالف مذهبه ، ويحتج بأخباره على مخالفيه إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه !

« وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبى هريرة أخباراً لم يفهموا معناها ، أنا ذاكر بعضها بمشيئة الله عز وجل ، (ثم ذكر على سبيل المثال بعض تلك الأخبار وأجاب عنها بما يغنى عن إيراده الرجوع إلى أصله) .

(المجلة) : والحقيقة التى توصلنا اليها بعدطول المراقبة والتأمل والاستقصاء أن هناك طوائف انتسبت الى الاسلام لتقوم بافساده وتعطيل رسالته وتغيير اتجاهه رأت أن أبا هريرة رضى الله عنه قد أنعم الله عليه بنعمة الحفظ ، وساعدته ظروفه على ملازمة النبى صلى الله عليه وسلم والحرص على حفظ كل مايصدر عنه من قول أو عمل كما رزق رواة عنه حفظة فى طليعتهم سعيد بن المسيب فتم بذلك للمسلمين صيانة هذه الامانة العظمى على أيديهم . فرأت تلك الطوائف المدسوسة على الاسلام أنها بهدم أبى هريرة تتوصل الى هدم ركن ركين من أركان الاسلام وتابعها على ذلك ملاحدة هذا العصر وجهلتهم ، فكانوا جميعا :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

البدن في نظر الإسلام

تعنى كل أمة ناهضة بتدعيم أسس الرياضة البدنية بين أبنائها ، وخاصة بين شبابها ، وذلك لإيمانها بأن الرياضة تقويم وتعليم ، وبأن العقل السليم فى الجسم السليم ، وقد حشدت كل أمـــة لتلك الناحية من مالها ووقتها وجهدها وتوجيهها الشىء الكثير .

ولا يزال يوجد مع الأسف — من يعتقد أن تلك العناية البادية بالرياضة لا تتوائم مع تعاليم الدين ، لأن الدين فى نظر أولئك الزاعمين يحصر رسالته فى إيقاظ الجوانب الروحية فقط ، ولو ضحى فى سبيل ذلك بسلامة الأبدان .

وهـذا زعم صاحب باع طويل فى مجال الوهم والخطأ ، وخطأه ذو شعبتين ، الشعبة الأولى لأن الرياضة البدنية كما رسم مناهجها المربون ليست مقصورة على تقوية الأجسام دون الأفهام ، والشعبة الثانية لأن العناية بالبدن أمر ليس غريباً على الدين فهو واجب شرعا كما هو واجب عقلا ، وصدق رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يوم قال : « إن لبدنك عليك حقاً » .

إن هذا الجسم بناية الله ، وحسب البدن تشريفا أن يكون بناء الرحمن ، الذى لا يعتدى عليه إنسان ، وإلا استوجب لعنة الديان ، فلا يتصرف فى هذا الجسم أصلا إلا بانيه ، حتى صاحبه نفسه لا يملك التصرف فيه بما يسوءه أو يرديه ؛ ولذلك حرمت الأديان من قبل كما حرمت القوانين من بعد إتلاف البدن ولو من صاحبه بالانتحار أو الاعتداء أو الإهمال .

والقرآن الـــكريم — دستور الإسـلام الأقدس — قد كرم الإنسان فى جسمه وصورته ، واعتبر ذلك نعمة كبرى من نعم الله ، يمن بهـا ويلفت إليها وينبه عليها ، فيقول القرآن المجيد فى مفتتح سورة التين : « والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » .

فهذا التقويم البالغ غاية الحسن فى تكوين خلق الإنسان وتهذيب صورته ، مظهر من مظاهر العناية الإلهـية الصمدية ببدن الإنسان ، وإن كان التقويم يشمل غير البدن .

ويقول القرآن الـكريم : يأيها الإنسان ما غرك بربك الـكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك ، ؟ فهذه الأدوار المتلاحقة من الخلق والتسوية والتعديل واختيار الصورة بيان أى بيان عن قيمة البدن فى الإنسان .

بل إن الله تبارك وتعالى قد جعل قوة الجسم يوما ما سبباً من أسباب الاصطفاء والإيحاء ... ألم تستمع إلى القرآن المجيد حيث يقول : « وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟ قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، والله واسع عليم » .

فنحن نرى فى الآية الكريمة أن الحق سبحانه قد فضل بسطة العلم والجسم على شرف النسب وعلوه ، لأنهم قالوا : « ونحن أحق بالملك منه » لأنهم ورثته ، وفضل بسطة العلم والجسم على المال والثروة ، لأنهم قالوا : « ولم يؤت سعة من المال » وهم عندهم المال ، وعندهم النسب من قبل ؛ ولكن بسطة النسب وبسطة المال انهزمتا أمام بسطة العلم وبسطة الجسم ؛ وقد قرن الله بسطة العلم ببسطة الجسم ، وجمع بينهما ، وياله من تمجيد ليس وراءه تمجيد .

ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام قد قيل فى وصفه ـ كما فى حديث ابن أبى هالة ـ « إنه بادن متماسك » . والبادن هو الممتلىء ، فليس هزيلا ، والمتماسك هو الذى يمسك بعض أعضائه بعضا ، فليس إذن مترهلا ولا متخاذلا ، بل هو معتدل الخلق قوة ومنظرا . والرسول عنوان الرسالة وقدوة الأتباع العليا ، فهو مثلهم السامى فى كل ناحية من نواحى الحياة .

ولقد اهتم الرسول صلوات الله عليه بالرياضة البدنية ، فأنشأ أول ساحة رياضية فى الإسلام ، وكانت خارج المدينة المنورة ، وكان يدرب فيها الشباب على الجرى والرمى وفنون المبارزة ؛ واعتبر الرسول فى بعض أحاديثه هذه الساحة قطعة من الجنة ، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يخلعون نعالهم عندها ، فلا يطأونها إلا حفاة الأقدام ؛ إظهاراً للاحتفال والإكرام ...

ولقـــد مارس محمد ﷺ الرياضى الأول فى الإسلام فنونا من الرياضة ، فسابق أعز الناس عليه وهى عائشة ، فسبقته مرة وسبقها أخرى ، وقال لها : هذه بتلك . وصارع ركانة الذى كان مضرب المثل عند العرب فى المصارعة والقوة ، صارعه فصرعه مرات ، وكان ذلك سببا فى دخول ركانة الإسلام ؛ ورمى بالقوس ، وسابق بين الخيل ، ونظم هذه المسابقات بين ذوات الخف والنصل والحافر ، وجعل ميدان السباق من الحفياء إلى ثنية الوداع ، وبينهما نحو سبعة أميال ؛ ووضع للمسابقات نظاما دقيقا ينزهها عن الخـــداع والمؤثرات الخارجية ، فهو مثلا يقول عن السباق : « لا جلب ولا جنب فى الرهان » والجلب

أن يأتى المتسابق برجل يجلب على فرسه ، أى يصيح عليه حتى يسبق ، والجنب أن يجعل المتسابق فرسا بجانب فرسه ، حتى إذا تعب المركوب تركه وركب المجنوب .

واشترط الرسول التكافؤ أو التقارب بين الجياد ، بحيث لا يكون النصر مؤكدا لجانب فقال : « من أدخل فرسا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فلا بأس ، ومن أدخل فرسا بين فرسين وهو آمن أن يسبق فهو قمار » .

وكان الرسول يعلم عليا طريقة التنظيم فى السباق والإشراف عليه ، ففى حديث على : « فصُفَّ الخيل ، ثم ناد هل من مصلح للجام ، أو حامل لغلام ، أو طارح لجل ، فإذا لم يجبك أحد فكبر ثلاثا ، ثم خلها عند الثالثة يسعد الله بسبقه من شاء من خلقه » . وكان على يقعد عند منتهى الغاية ، ويخط خطا ، ويقيم رجلين متقابلين عند طرف الخط ، طرفه بين إبهامى أرجلهما ، وتمر الخيل بين الرجلين ، ويقول : إذا خرج أحد الفرسين على صاحبه بطرف أذنيه أو أذن أو عذار فاجعلوا السبقة له ، فإن شككتما فاجعلا سبقهما نصفين » .

ولقد مر الرسول ﷺ على بنى إسماعيل وهم يترامون ، فقال : ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا ، ارموا وأنا مع بنى فلان . فأمسكوا فقال : مالكم لا ترمون ؟ فقالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال : ارموا وأنا معكم كلكم فكان ذلك درسا فى تشجيع الرياضة وتأييد الرياضيين على شريعة سواء .

وكان للرسول ناقة تسمى (العضباء) ، وكانت لا تسبق ، لجاء أعرابى على قعود فسبقها ، فاشتد ذلك على المسلمين ، وجعلوا يقولون : سبقت العضباء سبقت العضباء . فقال الرسول : « إن حقا على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه » فكان ذلك درسا فى التحريض على الرضا والصبر والثبات ، وعدم الزلزلة عند الانهزام .

وحينما لعب الأحباش بحرابهم وسيوفهم فى مسجد الرسول ، وتطلع إليهم الرسول وزوجته عائشة ، أفهمونا ضمنا أن الرياضة ليست لهوا ، وليست عملا دنيويا محضا ، وإنما هى قوة للدين والدنيا معا ، فتكتسب من هنا معنى العبادة بمعناها العام ، لأن كل عمل طيب أريد به وجه الله يكون عبادة .

ولقد تلا رسول الله ﷺ يوماً قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ثم قال : ألا إن القوة الرمى (ثلاثا) . والرمى كان محصورا يومئذ فى الرمى بالسهام ، ولكننا لو أخذنا الكلمة بمعناها العام المطلق لشملت كل لون من ألوان الرياضة ، فالقوة

هى الرمى ، والرمى هو محور الرياضة وأساسها ... قذف كرة القدم رمى ، ودفع اليدين للكرة الطائرة رمى ، ودفع الساعدين للثقل الحديدى إلى أعلى رمى ، وضرب المضرب لكرة المنضدة رمى ، وتصويب كرة السلة نحو الهدف رمى ، والجرى من الأشخاص أو من الجياد رمى ، لأن الجرى اندفاع إلى الأمام ، فكأن الإنسان يقذف بجسمه فى حركة وسرعة إلى الأمام ...

وإذن يمكن أن نقول : إن القوة هى الرمى ، والرمى يشمل كل ألوان الرياضة ، فكأننا مطالبون شرعا بكل هذه الألوان ، حتى نعد لأعدائنا كل قوة مستطاعة !! ...

* * *

لكن هذه المنزلة العالية للبدن وتقويته فى نظر الدين مشروطة بشرط ، هو أن يكون من وراء أجسام العمالقة أخلاق الفضلاء وعقول الحكماء ، وإلا كان طغيان البدن وبالا ونكالا .

إن الله تبارك وتعالى يقول فى صفة المجرمين من الكافرين :

« وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون » .

إذا تطلعت إليهم رأيت الأجسام الفارعة ، وإذا نطقوا راعتك الأصوات الجهيرة القارعة ؛ ولكن لا شىء وراء ذلك ... لا عقل ولا خلق ولا روح ، وإذن فلا ثبات ولا يقين : « كأنهم خشب مسندة » . . ولذلك يفزعون ويهلعون عند كل صرخة ، على الرغم من ضخامة الجسم وجهارة الصوت ، فيحاولون الفرار من كل صيحة ، والتنائى عن كل صراخ ، حتى ولو كانت الصيحة على سواهم ، وحتى لو كان الصراخ على غيرهم « يحسبون كل صيحة عليهم » . . فليست عندهم أخلاق تحكمهم ، أو أرواح تزنهم ، فهم هواء وهم للمسلمين أعداء : « هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون » !! .

* * *

فيا شبيبة الإسلام ، كرموا أجسامكم ، فهى وديعة ربكم عندكم ، كرموها بصيانتها وتقويتها ، واعمروا هذه الأجسام بضيائها وسنائها ، اعمروها بمكارم الأخلاق ...

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف



الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِير

— ٢ —

لقد اشتملت كتب التفسير – مما لم يصح – على شيء كثير ، ومن ذلك جزء غير قليل من الموضوعات ، قال الإمام تقى الدين أحمد بن تيمية . « وكما أن على الحديث أدلة يعلم بها أنه صدق وقد يقطع بذلك فعليه أدلة يعلم بها أنه كذب ويقطع بذلك مثل ما يقطع بكذب ما يرويه الوضاعون من أهل البدع والغلو فى الفضائل ، مثل حديث يوم عاشوراء وأمثاله مما فيه أن من صلى ركعتين كان له كأجر كذا وكذا نبيا . وفى التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة مثل الحديث الذى يرويه الثعلبى والواحدى والزمخشرى فى فضائل سور القرآن سورة سورة . فإنه موضوع باتفاق أهل العلم . والثعلبى هو فى نفسه كان فيه خير ودين وكان حاطب ليل ينقل ما وجد فى كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع . والواحدى صاحبه كان أبصر منه بالعربية لكن هو أبعد عن السلامة واتباع السلف . والبغوى تفسيره مختصر من الثعلبى لكن صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة ، والموضوعات فى كتب التفسير كثيرة ومنها الأحاديث الكثيرة الصريحة فى الجهر بالبسملة ، وحديث على الطويل فى تصدقه بخاتمه فى الصلاة فإنه موضوع باتفاق أهل العلم . ومثل ما روى فى قوله (ولكل قوم هاد) أنه على . (وتعيها أذن واعية) أذنك يا على [1] » .

وفى الحق أن كتب التفسير اشتملت على زيف كثير فى فضائل السور ، وفى أسباب النزول ، وفيما يتعلق بتبيين مبهم ، أو تفصيل مجمل ، أو بأحوال الأمم السابقة ، وقصص الأنبياء ، وأحوال المعاد ، وبدء الوجود ، وأسرار الكائنات ، فقد دخل ذلك كله دخيل من خرافات بنى إسرائيل وأباطيلهم التى لا تتفق هى وشريعتنا ويجب تكذيبهما .

وكتب التفسير من عهد ابن مردويه وابن جرير الطبرى إلى اليوم لا يخلو تفسير منها من موضوعات إذا استثنينا تفسير ابن كثير والألوسى والمنار وبعض التفاسير المستحدثة ،

---

(١) مقدمة التفسير لابن تيمية ص ٣٢ ط السلفية .

وتفسير ابن جرير على جلالة قدره قد ذكر بعضا منها إلا أنه قليل جدا بالنسبة لما فيه من الروايات المأثورة . ومن حسنات ابن جرير أنه يذكر السند مما يساعد المطلع إن كان من أهل الحديث أو كان ممن ينشد البحث الصحيح على أن يميز الحق من الباطل ، والمقبول من المردود . ويظهر أنه ممن يرى أن فى ذكر السند خروجا من العهدة ولا يلزمه البيان ، وعلى نهج ذكر السند والعزو إلى من خرج الرواية سار الإمام السيوطى فى تفسيره « الدر المنثور » وقد جمع فيه من الروايات ما الله أعلم بصحته ، وفيه من الموضوعات ما حكم جمع من الحفاظ ببطلانه ، بل فى تفسيره هـذا ما وافق هو على وضعه فى كتبه الأخرى كاللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ، ولعله اكتفى بذكر السند والتخريج عن التنصيص على الوضع ، أو أن ذلك كان سهوا . وكتاب الثعلبى ملىء بالموضوعات والقصص الإسرائيلى . ومن العجيب أنه ذكر فى مقـدمة كتابه أن الله رزقه ما عرف به الحق من الباطل وميز به الصحيح من السقيم وعاب من جمع بين الغث والسمين . وتفسير الزمخشرى وهو « الكشاف » مع خلوه غالبا من القصص الإسرائيلى قد ذكر بعض الموضوعات فى الفضائل والقراءات وأسباب النزول ونحوها . وتفسير النسفى تابع لتفسير الكشاف غالبا فى كل ما ذكره ، إلا أنه لم يذكر الحديث المروى فى الفضائل إلا نادرا مثل ماذكره فى آخر سورة يوسف وطه ، وتفسير الخازن أكثر من ذكر القصص الإسرائيلى وأخبار الأمم الماضية وذكر بعض الموضوعات فى أسباب النزول ، إلا أنه مما يذكر له أنه يكر على بعضها بالإبطال وذكر أقوال المحققين ، مثل ما فعل فى قصة هاروت وماروت والغرانيق وقصة داود وسليمان على ما يرويها القصاص ، وقد يغفل عن بعض الموضوعات مما لا يدركه إلا جهابذة الحديث وأئمة الرواية وتفسير الفخر الرازى وتفسير أبى السعود قـد تنبه مؤلفاهما إلى بعض الروايات الباطلة ورداهـا ، وبخاصة من جهـة العقل والنظر ، إلا أنهما خفيت عليهما بعض الموضوعات مما لا يدركه إلا أئمة الحديث . ولهما فى الرد جولات موفقة ، ولا سيما ما يطعن فى عصمة الأنبياء والملائكة منها . ومما ينبغى أن يعلم أن بعض المفسرين كان لهم جهاد مشكور فى رد المفتريات والتنبيه عليها كالأئمة ابن كثير والآلوسى ومحمد عبده فى تفسيره الذى نشره صاحب المنار . وفارس هـذه الحلبة هو الحافظ ابن كثير فقد جاء تفسيره مصفى من الموضوعات والإسرائيليات ، وكان له فضل التنصيص على بطلانها وبيان كيف تسربت إلى الإسلام ومن أين أتت . ولا عجب فهو حافظ وخريج مدرسة عرفت بأصالة النقد .

ولو أن المفسرين جميعهم رزقوا هذه الملكة لما دخلت عليهم هذه الأباطيل ، ولنفوا هذا الخبث من كتبهم ، فقد صار حجاباً على فهم القرآن فهماً صحيحاً ، واغتر به من لا يعلم حقيقة الأمر فأذاعه ، كما كان مثاراً للطعن فى الإسلام ونبينا عليه الصلاة والسلام من أعداء الدين ، وقديماً شعر بعض العلماء المحدثين بالنقص الذى يوجد فى كتب التفسير من ذكر الأحاديث بلا سند ولا عزو فألف الحافظ الزيلعى تخريجاً لأحاديث الكشاف [1] . وقد اختصره الحافظ ابن حجر فى كتاب سماه « الكاف الشاف من تخريج أحاديث الكشاف » . وقد أحسنا بهذا العمل الجليل صنعاً إذ ميزا المقبول من المردود ، وما أحوج كتب التفسير إلى مثل هذا التخريج . وبحسبنا الآن أن نذكر بعض ما فى كتب التفسير من موضوع وإسرائيليات مع بيان مواقعها من الكتب المشهورة على قدر الاستطاعة لتكون نبراساً يهتدى به القارىء فى هذه التفاسير .

أحاديث فضائل السور والآيات :

فمن ذلك الحديث الطويل الذى يروى عن أبى بن كعب مرفوعاً فى فضائل السور سورة سورة ، فقد بحث مؤمل بن اسماعيل حتى وصل إلى من اعترف بوضعه ، قال مؤمل حدثنى شيخ بهذا الحديث فقلت له : من حدثك بهذا ؟ قال : رجل بالمدائن وهو حى ، فسرت إليه فقلت : من حدثك بهذا ؟ فقال : حدثنى شيخ بواسط ، فسرت إليه فقال : حدثنى شيخ بالبصرة ، فسرت إليه فقال : حدثنى شيخ بعبادان ، فسرت إليه فأخذ بيدى فأدخلنى بيتاً فإذا فيه قوم من المتصوفة ومعهم شيخ ، فقلت : ياشيخ من حدثك ؟ فقال : لم يحدثنى أحد ، ولكنا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن [2] . وقد خطأ المحدثون من ذكر هذه الأكاذيب من المفسرين فى كتبهم كالثعلبى والواحدى والزمخشرى والبيضاوى وأبى السعود ، لكن من أبرز سنده كالأولين فهو أبسط لعذره ، إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده وإن كان لا يجوز له السكوت عليه ، وأما

---

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٢) هذا وأمثاله من الوضاعين كأبى عصمة نوح بن أبى مريم يضعون الأحاديث فى الفضائل احتسابا فيما زعموا ، وبئس ما فعلوا ، وهم مخطئون وآثمون وداخلون تحت قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ، وهم أعظم أصناف الوضاعين ضرراً لاغترار بعض الناس بما أظهروه من صلاح مزيف . وقد قيض الله لهم من أئمة الحديث من كشف عوارهم ورد كذبهم

من لم يبرز سنده وأورده بصيغة الجزم كالآخرين فخطؤه أفحش . والثعلبي يذكر هذا الحديث المزعوم فى صدر السور ، أما الزمخشرى ومن تابعه فيذكرونه فى آخر السور . ومن أمثلة ذلك ما ذكروه فى آخر سورة آل عمران « من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم » . وما ذكروه فى آخر المائدة « من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ، ومحى عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى » ، وكل ما ذكروه فهو على هذا النمط .

وقد يذكر بعض المفسرين فى فضائل بعض السور أحاديث موضوعة عن غير أبى بن كعب ، وذلك مثل ما ذكره الزمخشرى ومتابعوه فى فضائل الفاتحة . وعن حذيفة بن اليمان أن رسول الله قال « إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب : الحمد لله رب العالمين ، فيرفع الله عنهم العذاب أربعين سنه » ، قال فيه ولى الدين العراقى : فى سنده الجويبارى ومأمون الهروى كذابان ، فهو من وضع أحدهما [1] .

وقد يذكر المفسرون فى فضائل الآيات مالا أصل له وما لا يعرفه المحدثون المشهود لهم بالحفظ والاطلاع وما هو منكر جدا ، وذلك مثل الحديث الذى ذكره أبو السعود فى تفسيره فى فضل آية الكرسى « من قرأها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة » فهو لا أصل له [2] ، ومثل ما ذكره الزمخشرى والنسفى وأبو السعود فى تفاسيرهم فى فضل آية الكرسى من حديث « ما قرئت فى دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة » ، وكذا حديث « ان الصحابة تذاكروا فضل ما فى القرآن ، فقال على كرم الله وجهه : أين أنتم من آية الكرسى قال له رسول الله ﷺ « يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد وسيد الجبال الطور وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى » فقد قال الحافظ فى تخريجه لم أجدهما .

ولا يتوهمن متوهم أن جميع ما ذكره الزمخشرى ومن تابعه فى الفضائل موضوع وكيف ؟ وقد ذكر أحاديث فى غاية الصحة مثل ما ذكره الزمخشرى فى تفسيره فى خواتيم سورة البقرة « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » فهو متفق عليه ، ومثل حديث

(١) عن كتاب محاسن الصور فى الكشف عن أحاديث السور « مخطوط » .

(٢) تفسير الالوسى جزء ٣ ص ١١ ط منير

« أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي » فقد أخرجه أحمد والنسائي ، ومثل ما ذكره في فضائل الفاتحة حيث قال : « وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبيّ : ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت : بلى . قال : فاتحة الكتاب ، إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي والحاكم وصححه على شرط مسلم ، ومثل الحديث الذي ذكره في آخر سورة البقرة وهو « السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة » فقد رواه الإمام أحمد .

وتفسير الحافظ ابن كثير أجل ما يعتمد عليه في باب الفضائل ، وكثيراً ما ينبه على ما فيه ضعف شديد أو نكاره وما هو مختلق موضوع . والسور التي صحت في فضائلها الأحاديث الفاتحة والزهراوان ـ البقرة وآل عمران ـ والأنعام والسبع الطوال بجملة ، والكهف وياسين والدخان والملك والزلزلة والنصر والكافرون والإخلاص والمعوذتان ـ وما عداها لم يصح فيها شيء . وأصح ما ورد في فضائل السور هو ما ورد في سورة الإخلاص . وكذلك ورد في الفضائل أحاديث حسان وضعاف لم تصل إلى حد الوضع . وقد سرد الثابت في فضائل السور الإمام السيوطي في إتقانه على ترتيب السور [1] وكذلك ذكر الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما ما صح على شرطهما في الفضائل ، والإمام أحمد في مسنده ذكر الكثير منها .

وقصارى القول أن الأحاديث المذكورة في كتب التفسير في الفضائل منها ما هو موضوع قطعا ، ومنها ما هو ضعيف ، ومنها ما هو صحيح أو حسن ، فليكن القارىء فيها على بينة من ذلك ، ولا يروى حديثا منها إلا بعد التأكد من معرفة درجته من الصحة أو الحسن ، ومعرفة ما إذا كان مقبولا أو مردودا ، وليس بعسير على أهل العلم والمتصدين للتعليم والوعظ الوقوف على درجة الأحاديث من مظانها ، وكل ساعة تنفق في ذلك فهي لله وفي سبيل الحق .

أما بيان الدخيل في غير الفضائل من أسباب النزول والقصص وأحوال الأمم الماضية وما فيه الطعن في عصمة الأنبياء والملائكة فوعدنا به المقالات الآتية إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

(١) الاتقان في علوم القرآن جزء ٢ ص ١٥٣ ـ ١٥٥ .

لغويات

فى مصر علاّمون . وفيها رجال مدركات لما جلّ ودق

يرد علاّمة فى مبالغة علاّم ، وهو مبالغة فى عالم . وكذلك مُدْرِكة يأتى فى مبالغة مدْرِك . وقد وقع البحث فى جمع هذا الضرب من الأوصاف المختومة بتاء المبالغة .

والجمع المطرد فى الأوصاف - كما هو مقرر فى موضعه - جمع التصحيح ، أى جمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم .

وعلى هذا فأى الجمعين أولى بهذا الضرب من الأوصاف وآثر به ؟

إن المعروف أن ما كان مختوماً بالتاء لا يجمع جمع المذكر السالم ، أيا كانت التاء . فيستوى فى ذلك تاء التأنيث وتاء المبالغة . وفى الحق أن تاء المبالغة فيها معنى التأنيث ، فقد قيل فى توجيه المبالغة بها الذهاب بالوصف إلى معنى الداهية أو الغاية والنهاية ، وقيل غير ذلك مما يرجع إلى هذا . ومن ثم يقول صاحب التوضيح فى الحديث عن جمع المذكر السالم : « ويشترط فى كل ما يجمع هذا الجمع ثلاثة شروط : أحدها الخلو من تاء التأنيث . فلا يجمع نحو طلحة وعلامة » وقال الشيخ خالد فى شرحه التصريح : « لئلا يجتمع فيهما علامتا التأنيث والتذكير . ولو حذفت التاء التبس بالمجرد منها » فترى أن التاء فى علامة أدرجت فى تاء التأنيث . وعلى هذا فلا يقال فى جمع علامة : علامون ، ولا فى جمع مدركة : مدركون .

ومع هذا فقد ورد فى طبقات ابن سعد [1] : « عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز فى نسبه معد بن عدنان بن أُدَد ، ثم يمسك ويقول : كذب النسابون . قال الله - عز وجل - : « وقروناً بين ذلك كثيراً » والمعروف فى واحد النسابين هو النسابة .

ومن قبيل ما جاء فى الحديث ما جاء فى كلام ابن جنى فى التنويه بالكوفيين من النحويين والموازنة بينهم وبين البصريين إذ يقول : « الكوفيون علاّمون بأشعار العرب مطلعون عليها فوق البصريين . والبصريون أجود قياساً » وقد أورد هذا النص عن ابن جنى السيوطى فى الاقتراح فى المسألة السادسة عشرة من الكتاب السادس .

وقد عقب ابن علان شارح الاقتراح فقال : « علامون جمع علام بغير هاء ، مبالغة

(١) جـ ١ ص ٢٨ طبع أوربة .

فى عالم ؛ كعلام الغيوب . وليس جمع علامة بالهاء ؛ لأن شرط ما يجمع هـذا الجمع من أوصاف المذكر تجرده من هاء التأنيث ؛ كما قرروه . وهذا أولى من قوله فى الشرح : إنه شاذ ؛ بناء على أنه جمع علامة ».

وفى الحق أن ما وقع من ابن جنى إن لم يرد عن العرب وكان مخالفا للقياس كان خطأ من القول لاشاذا ؛ إذ الشاذ لا يقبل إلا إذا ورد عن العرب .

ويؤخذ من كلام ابن علان الجواب عن « النسابين » فيقدر أن واحده نسَّاب لا نسابة وقد ورد الوصفان كلاهما .

على أنه عرف عن الكوفيين أنهم يجيزون جمع نحو طلحة على « طَلْحين » ويوافقهم ابن كيسان من البصريين ، غير أنه يفتح اللام فيقول : طَلَحون . ويقول صاحب[1] الإنصاف : « ذهب الكوفيُّون إلى أن الاسم الذى فى آخره تاء التأنيث إذا سميت به رجلا يجوز أن يجمع بالواو والنون . وذلك نحو طَلْحة وطلحُون . وإليه ذهب أبو الحسن بن كيسان ؛ إلا أنه يفتح اللام فيقول : الطَلَحون ؛ كما قالوا : أرَضون ، حملا على أرَضات . وذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز » .

ولا ينبغى أن يفهم من كلام الإنصاف أن هذا الحكم خاص بالاسم إذا سمى به ، كما هو ظاهر كلامه . فالوصف مثل العلم لا يختلف عنه فى شىء : وإنما عُنى صاحب الإنصاف بهذا التقييد فى جانب الاسم لأنه لايسوغ جمعه هذا الجمع إلا بعد التسمية به وتصييره علما . فأما الوصف فلا كلام فيه . ومما يؤيد هذا أن الناقلين عن الكوفيين أطلقوا القول فى العلم والوصف . يؤخذ ذلك من كلام الشيخ يس فى حاشيته على القطر ، وقد ذكر من جمع الوصف عندهم رَبْعين فى جمع رَبْعة . وفى اللسان : قال الفراء : من العرب من يقول : امرأة ربعة ونسوة ربعات . وكذلك رجل ربعة ورجال ربعون » .

ومع هـذا فصاحب الإنصاف فى سياق حجج البصريين يقول : « إذا وصفوا المذكر بالمؤنث فقالوا : رجل ربعة جمعوه بلا خلاف فقالوا : ربعات ، ولم يقولوا : ربعون » وترى هذا يخالف ما سبق عن الفراء فى اللسان ، وإطلاق النحويين .

وأرى أن فى جمع نحو علامة على علامين سعة من قبل مذهب الكوفيين إذا فهمناه على الإطلاق فى العلم والوصف .

---

(١) ص ١٨

وبعد فقد عرفت من هذا أن جمع هـذا الضرب بالواو والنون غير مستقيم المنهج عند الجميع ، فإن البصريين ينكرونه .

والجمع المطرد فيه هو جمع المؤنث السالم . فيقال : رجال علامات ومدركات وراويات للأخبار . وقال الفاكهى فى شرحه للقطر : « والذى يجمع بألف وتاء قياسا مطردا خمسة أنواع : ذو التاء مطلقا » فقال الشيخ يس فى كتابته عليه : « ذو التاء مطلقا أى تاء التأنيث المبدلة فى الوقف هاء ؛ كتمرة ، والساكن ما قبلها ؛ كبنت وأخت : وكذا كيت وذيت لو سمى بهما ، ولو مذكرا . وشمل قوله : (مطلقا) العلم ، واسم الجنس ، والمدلول فيه بالتاء على تأنيث أو مبالغة ، كنسابات » .

ويقول صاحب اللسان (نسب) : « وتقول : عندى ثلاثة نسابات وعلامات . تريد ثلاثة رجال ، ثم جئت بنسابات نعتا لهم » . وفيه أيضا (نكح) : « قال أبو زيد : يقال إنه نُكحة من قوم نكحات ، ونكحة التاء فيه للمبالغة ؛ كما هو معروف .

ويقول أبو جعفر النحاس فيما نقله عنه صاحب الخزانة : « وعلى هذا تقول : عندى عشرة نسابات ؛ لأنك تريد الرجال ، وإنما نسابات نعت » .

كفى كلاما !

كفى شغلا بالمال ونأيا عن المعانى السامية !

يكثر هذا الأسلوب فى الحديث والخطاب ، يكثر الكلام فى مجلس عن عمل الخير وتدبير الخطط الناجحة ورسم المنهج القويم ، فنقول : كفى كلاما ، وعليكم بالفعل وحسبكم القول .

وقد جرى بحث فى هـذا التركيب وموافقته لقواعد العربية . وموضع البحث فاعل « كفى » ما هوه ؟

ويبدو أن التأليف صحيح ، وأن فاعل كفى محذوف مقدر أو ضمير أى كفى ما أنتم عليه أو الحال التى ترونها ، و « كلاما » تمييز .

وقـد قرىء فى أواخر سورة البقرة قوله تعالى . « وإن كان ذا عسرة » [1] قرأ بذلك أبى وابن مسعود وعثمان وابن عباس ، أى إن كان المدين . قال الفراء [2] : « إذا نصبت أضمرت فى كان اسما ، كقول الشاعر :

(١) البحر ٢/٣٤٠ . (٢) معانى القرآن ١/١٨٦ .

لله قومى أىُّ قوم لحرّة إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

وقال آخر :

أعينىّ هلا تبكيان عفاقا إذا كان طعنا بينهم وعناقا

فقوله إذا كان يوما أى إذا كان اليوم يوما ، وقوله : إذا كان طعنا أى إذا كان القتال أو الجلاد طعنا .

ويقول سيبويه فى الكتاب [٢] : وقال عمرو بن شأس :

بنى أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

أضمر لعلم المخاطب بما يعنى ، وهو اليوم ، ويقول الأعلم : « أى إذا كان اليوم يوما وأضمر لعلم المخاطب . ومعناه إذا كان اليوم الذى يقع فيه القتال » .

ومن هذا قول الشاعر :

فإن كان لا يرضيك حتى تردّنى إلى قطرىّ لا إخالك راضيا

قال ابن يعيش فى شرح المفصل [٤] : « المراد : فإن كان لا يرضيك ما جرى فى الحال التى نحن عليها » . ويقولون : إذا كان غدا فأتنى أى إذا كان ما نحن عليه غدا ، كما ذكره فى المفصل . وقرىء فى سورة الأنعام قوله تعالى : « لقد تقطع بينكم » بفتح النون فى (بينكم) حمل على أن المراد : تقطع الأمر أو العقد أو الود بينكم . وهذا بعض ما قيل فيها .

ومما لم يذكر الفاعل فيه قول الراجز :

يكفيك من سوداء واعتجانها وكرك الطرف إلى بنانها
ناتئةُ الجبهة فى مكانها صلعاء لو يُطرح فى ميزانها
رطل حديد شال من رجحانها

وسوداء اسم امرأة . واعتجانها : الغمز إليها . فتراه أضمر الفاعل فى « يكفيك » أى يكفيك ما أتيته . ولا ينبغى أن يقال : إن « من » حرف جر زائد والمجرور هو الفاعل ؛ لأن « من » لا تزاد فى الإثبات ، ولا حين يكون المجرور معرفة . وقد ورد هذا الرجز فى اللسان (عجن) .

محمد على النجار

(١) ١/٢٢ . (٢) ١/٨٠

أبو دهبل الجمحي

شاعر أموى ، جال فى نواح من الشعر يكثر فيها الغزل والنسيب ، على أنه يمثل لك فى شعره الغزلى - مع ما يتصل به من أخباره - العصمة والعفاف ، والبعد عن السفساف . ويمثل لك من حام حول الحمى وعصمه الله فلم يواقعه . ويصور لك من طلبته ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله رب العالمين . ومن حفظ نفسه من الزلل برغم المغريات التى تصبى الحليم ، وتستهوى الكريم ، فتعرف ما يصنع الدين بمن لجأ إلى كنفه والتمس العيش الطيب فى بحبوحته . إنه ليقيم على صاحبه رقيباً أميناً منه ، وضميراً حياً يحول دون المكروه والإثم . ويجعل فيه كرامة تسعد حياته ، وتقوم خلقه ، وتحفظ جسمه ، وتحظ دنياه ، وتؤمن أخراه ، على أن للشعر هنوات يغفرها الله لمن يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ، إن ربك واسع المغفرة .

شهد هذا الشاعر من عصور الخلفاء عصر على بن أبى طالب كرم الله وجهه فما بعده حتى عصر هشام بن عبد الملك من ملوك بنى أمية . وقال الشعر فى آخر عهد على كما قالوا ، ولكنا لم نرو له شعراً قبل عهد معاوية مما سنرى بعضه . وقد كان الشعر لتلك العهود التى شهدها أبو دهبل غضاً فطرياً لم يتعقد بالصناعة ، ولم يثقل بالتكلفات البديعية البعيدة عن المقصود ، كان شعراً كالنثر ينظمه قائله لآلىء فى عقد فيحفظه من التفرق ، وييسره للتحفظ ، ويدنيه من النفوس بما يعبر عن خلجاتها ويلمس نزعاتها . ولا سيما فى شعر العاطفة والحكم الخالدة .

هذا الشاعر (أبو دهبل) وهو وهب بن زلفة ، كان شاعراً فحلا لا يبلغ فيما نرى أمثال جرير والفرزدق والأخطل ممن اتخذوا الشعر حرفة وصناعة . ووفروا أنفسهم له ينافسون به وفيه ، ويحاولون المجادة من تعاطيه ، على أنه لم يكن كهؤلاء ، منتمياً إلى حزب قوى علوى أو أموى ، ولكن ظروفا قضت أن يكون زبيرياً وأن يخدم فى دولة الزبير حتى كان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن . ولو قد أتيح له أن يكون من أنصار بنى أمية وشعرائها لكان فيما نظن أقوى وأشهر مما هو الآن . على أننى قد قلت لك إنه فحل فى الشعر وإن كان غير مشهور . وفى أخباره ما يجعله أشعر الناس عند بعض الناس .

ذكر صاحب الأغانى بسنده أن قوما مروا براهب فقالوا له : ياراهب ، من أشعر الناس ؟ فقال : مكانكم حتى أنظر فى كتاب عندى ، فنظر فى رق له عتيق ، ثم قال : وهب ابن وهبين من جمح أو جمحين. وإذا شاء معلق أن يعلق على هذا الخبر فسيقول إنه غريب إن صحت روايته ، وإن فيه دلالة على شيء من القصور الذهنى والعقلى . فما كان من عمل الراهب أن يحكم فى الشعر ، ولا سيما بعد أن قضى الإسلام على خرافات التكهن وأحكام الرهبان . وأنت ترى فى صورة هذا الحكم أنه استمده من رق له عتيق ، وليس ذلك سبيلا فى القضاء ، ولا طريقاً فى الفصل بين الشعراء .

وقد كانت لهذا الشاعر حوافز من عصره الذى عاش فيه ، وقومه بنى جمح المعرقين فى العروبه ، واستعداده الصادق الخصيب مما جعله يبلغ منزلة رفيعة فى الشعر ، فى ألفاظ جزلة مصقولة إلى حد ، بما أضفاه أدب الإسلام وتهذيبه للغة العربية فى شتى نواحيها ، ومعان تؤثر اللمح والإشارة ، وعدم الإغراق والتوغل ، وترضى بالميسور من الخيال من مثل ما تجد فى قوله وهو يفتخر بقومه :

قومى بنو جمح قوم إذا انحدرت شهباء تبصر فى حافاتها الزغفا
أهل الخلافة والموفون إن وعدوا والشاهدو الروع لا عزلا ولا كشفاً [١]

على أن له معانى فخمة ، يزيد فى روعتها تخير ألفاظها وصحة الطبع فيها من روح الشاعر وقوة طاقته . ومماله من ذلك قوله يمدح عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن الأزرق عامل عبد الله بن الزبير على اليمن :

اعلم بأنى لمن عاداك مضطغن ضباً ، وأنى عليك اليوم محسود [٢]
إن تغد من منقلى نجران مرتحلا يرحل من اليمن المعروف والجود

وهذه المعانى وإن كانت مسلوكة فإن ذلك فى النادر القليل ، على أن العرض يزيد فى قوتها كما قلت من قبل .

ومما أستحسن من معانيه قوله :

عفا الله عن ليلى الغداة فإنها إذا وليت حكما على تجور
أأترك ليلى ليس بينى وبينها سوى ليلة ، إنى إذاً لصبور

---

[١] الشهباء ــ الكتيبة الكثيرة العدد والمدد . والزغف : الدروع . والأكشف : المنهزم ، جمعه كشف . (٢) الضب : الغيظ والحقد .

فأما أغراض الشعر فى شعر أبى دهبل فإنها - كما قلت - نواح أكثر ما رأيناه منها النسيب والغزل ، وقد مدح وهجا ، وافتخر ورثا ، وذكر أهله وحن إليهم فى بعض أسفاره ، ولو أتيح لنا أن نرى الكثير من شعره لاستطعنا الاستقصاء فى الحكم عليه ، ولكننا نوالى البحث إن شاء الله ، عسى أن نظفر بغير ما ذكرنا من أغراض شعره .

غزله :

والآن أستطيع أن أتحدث معك فى بعض ما جاء من شعره فى الغزل ، وأخباره مع من تغزل معهن من النساء فإنه أكثر ما رأينا من شعره ، وأخباره فيه كريمة شريفة غير مسفة كغيره ، وإن كان هناك أيضاً غزل عذرى لأمثال جميل والمجنون ولكن الأمر فيهم مشهور معروف .

تغزل أبو دهبل فى غير واحدة من كرائم العقائل ، فلم تكن واحدة فيهن ساقطة ولا نازلة .

وكان فى غزله أديباً مهذباً لا يهجر ولا يفحش ، ولكنه يصف الهيام بالوصف العام ، ويشكو الجوى والصبابة ، والسهد والكآبة ، ويبرم بالواشين والوشاية . . ويشفق من الفراق ويضيق ذرعا بالهجر وعدم التلاق ، ويألم من الوعد والمنى دون استجابة ، ويتوجع لكبده المتصدعة من جفوة الحبيب وما إلى ذلك فى أنماط وكُسا لطبقة غير مستهجنة .

واشتهر أبو دهبل بحب فتاة تسمى عمرة من قومه ، وكانت امرأة جزلة [1] يجتمع إليها الرجال والنساء للمحادثة وإنشاد الشعر والأخبار فتتيم أبو دهبل بها ، وكان لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها ، وكانت هى أيضاً تحبه وتألفه وكان حباً شريفاً قيل إنه انتهى بالزواج بينهما . وكان أبرز ما هاج شجوه . وألهب فى عمرة شعره ، أن عمرة كانت تحرص على كتمان ما بينهما وتوصيه بذلك ، ولكن زوج أبى دهبل اطلعت على الأمر فدست إليها عجوزاً أوهمتها فى لباقة أن حديث الحب بينهما شاع حتى تحدثت به أشراف قريش فى مجالسها وسوقة أهل الحجاز فى أسواقها ، والسقاة فى مواردها ، فما يتدافع اثنان أنه يهواك وتهوينه فوثبت عمرة من مجلسها فاحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير إليها ، وجاء أبو دهبل على عادته فحجبته وأرسلت إليه بما كره ، ففى ذلك يقول :

(١) جزلة : حصيفة الرأى .

تطاول هـذا الليل ما يتبلج ... وأعيت غواشي عبرتي ما تفرج
وبت كئيباً ما أنام كأنما ... خلال ضلوعي جمرة تتوهج
فطوراً أمني النفس من عمرة المنى ... وطوراً إذا ماج بي الحزن أنشج [1]
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يوصل الحبل أحوج
رأوا غرة فاستقبلوها بألبهم [2] ... فراحوا على ما لا نحب وأدلجوا
وكانوا أناساً كنت آمن غيبهم ... فلم ينههم حلمي ولم يتحرجوا
فليت كوانيناً من أهلي وأهلها ... بأجمهم في قعر دجلة لججوا [3]

ومن المعاني اللطيفة والطريفة فيها قوله :

ولو تركونا لا هدى الله سعيهم ... ولم يلحموا قولا من الشر ينسج
لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا ... ولا يستقيم الدهر والدهر أعوج

وهذا نسج قوي وأسلوب جليل . ثم قال :

وقلت لعباد وجاء كتابها : ... لهـذا وربي كانت العين تخلُج
وإني لمحزون عشية جئتها ... وكنت إذا ما جئتها لا أعرج
أخطط في ظهر الحصير كأنني ... أسير يخاف القتل ولهان مفلج [4]
فلما التقينا لجلجت في حديثها ... ومن آية الصرم الحديث الملجلج

ومن المعاني الأولية فيها قوله :

وأشفق قلبي من فراق خليلة ... لها نسب في فرع فهر متوج
وكف كهدّاب الدمقس لطيفة ... بها دوس حناء حديث مفرج
يجول وشاحاها ويغتص حجلها ... ويشبع منها وقف عاج ودملج [5]

ومن قوله في عمرة :

يا عمـر حم فراقكم عمرا ... وعزمت منا النأي والهجرا
إن كان هذا السحر منك فلا ... ترعى عليَّ وجدّدي السحرا [6]

---

(١) النشيج : صوت معه توجع وبكاء . (٢) يجمعهم .
(٣) الكوانين : الثقلاء . (٤) المفلج : الفزع .
(٥) يغتص : يمتلىء . والوقف : سوار من عاج . (٦) الارعاء : الابقاء .

إحدى بنى أود كلفت بها	حملت بلا وتر لنا وترا
وترى لها دلا إذا نطقت	تركت بنات فؤاده صعرا
كتساقط الرطب الجنى من الـ	أفنان لا بثراً ولا نزرا
أقسمت ما أحببت حبكم	لا ثيباً خلقت ولا بكرا
ومقالة فيكم عركت لها	جنبى أريد بهالك العذرا
ومريد سركم عدلت به	فيما يحاول مركباً وعرا

وهذا الشعر فى جملته كأنه أسلس من سابقه أسلوبا ، وإن كانت فى سابقه معان أعمق إلى حد ، على أنك إن تعجب فقد ساق صرف الدهر أبا دهبل الجمحى فرأى عاتكة بنت معاوية وهى فى فريضة الحج ، فعلقها فؤاده وتغزل بها ، وسار بمسيرها هاجرا الأهل والوطن ، فلولا لطف الله وحلم معاوية وخشية القالة لكان فى ذلك حينه . ولكن الله سلم ، فنجا وهب وهو التقى الورع المحفوف برعاية الله ولطفه . لعمر أبيه لقد كان يأوى إلى ركن شديد من ربه فغفر له وآمن خوفه . إنه لم يخف بطش الخليفة ، ولا جبروت يزيد أخيها . ولعله كان فى باطن نفسه لا يؤمن بخلافة بنى أمية كما أشرت لك من قبل أو لا يستجيب .

وحديث أبى دهبل مع عاتكة بنت معاوية ظريف وعجيب نذكره ليجد القارئ فيه بعض السلوى ، وليرى فيه بعض العبر ، وليتصور فيه شيئاً من أدب أبى دهبل الغزلى .

تحدث أبو الفرج الاصبهانى فى إسناد ذكره قال :

حجت عاتكة بنت معاوية بن أبى سفيان فنزلت من مكة بذى طوى ، فبينا هى جالسة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق ، إذ أمرت جواريها فرفعن الستر وهى جالسة فى مجلسها عليها شفوف لها تنظر إلى الطريق ، إذ مر بها أبو دهبل الجمحى وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرا ، فوقف طويلا ينظر إليها وإلى جمالها وهى غافلة . فلما فطنت له سترت وجهها ، وأمرت بطرح الستر وشتمته ، فقال أبو دهبل :

إنى دعانى الحين فاقتادنى	حتى رأيت الظبى بالباب
يا حسنه إذ سبنى مدبرا	مستتراً عنى بجلباب
سبحان من وقفها حسرة	صبت على القلب بأوصاب
يذود عنها إن تطلبتها	أب لها ليس بوهاب
أحلها قصرا منيع الذرى	يحمى بأبواب وحجاب

يغفر الله لك يا أبا دهبل ، فما كان أحرى بمثلك ـ وأنت التقى الورع الطاهر كما تحدث عنك الرواة وسارت الأخبار ـ أن تكرم نفسك عن تلك المواقف الفاتنة ، وألا تقتادك تلك النظرات الخاطئة . ولقد أرشدك الدين الشريف ، وذلك المنطق السليم ، أن النظر مبدأ الحوادث ، والشرر مبعث الحرائق ومذهب المخاطر :

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا   لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر   عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

ولكن ماذا نقول وللشباب جهالة لا منجاة منها لغير المعصوم ، وللشاعرية انزلاقها وتدفقها المحتوم ، وللقدر حكمه اللازم المقسوم ، وللشرع الشريف تجاوزه لمن لم يندفع فى تيار الشر ولمن طلب ما أحله الشرع مثلك كما يترجم عن ذلك ما يتمناه قولك :

يذود عنها إن تطلبتها   أب لها ليس بوهاب

ثم تقول الرواية : وسمع هذه الأبيات بعض الناس فشاعت بمكة وشهرت وغنى بها المغنون حتى سمعتها عاتكة إنشادا وغناء فضحكت وأعجبتها وبعثت إليه بكسوة . وجرت الرسل بينهما ، فلما صدرت من مكة خرج معها إلى الشام ونزل قريباً منها فكانت تعاهده بالبر واللطف حتى وردت دمشق وورد معها فانقطعت عن لقائه وبعد من أن يراها ومرض بدمشق مرضاً شديداً فقال شعراً منه :

طال ليلى وبت كالمحزون   ومللت المقام فى جيرون [1]
وأطلت المقام بالشام حتى   ظن أهلى مرجمات الظنون

إلى أن يقول :

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغو   اص ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبتها لم تجدها   فى سناء من المكارم دون

قال المبرد فى الكامل : والذى كأنه إجماع الناس أن هذا الشعر لعبد الرحمن بن حسان فى بنت معاوية . على أن لصاحب الأغانى رواية أخرى تقول إنه لعبد الرحمن فى أخت معاوية . ومهما يكن فإن صاحب الأغانى يطرد فى حديثه هنا فيقول : إن هذا الشعر شاع

(١) : هى دمشق .

حتى بلغ معاوية فأمسك عنه حتى إذا كان يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهبل ، فلما انصرف الناس استدناه ثم خلا به فقال له : ما كنت أظن أن فى قريش أشعر منك حيث تقول :

ولقد قلت إن تقاصر نومى　　وتقلبت ليلتى فى فنون
ليت شعرى أمن هوى طار نومى　　أم برانى البارى قصير الجفون (١)

غير أنك قلت ، ومعى زهراء ، البيتين السابقين . والله إن فتاة أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت ، وأى شىء زدت فى قدرها ؟ ولقد أسأت فى قولك :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضـ　　ـراء تمشى فى مرمر مسنون

ثم هدده بيزيد وجبروته وأمره بالخروج من الشام . ثم خرج أبو دهبل إلى مكة وقال أشعارا شاعت فى عاتكة ، وبلغ بعضها معاوية وبلغ بعضها يزيد . وانتهت القصة بأن معاوية زوجه إحدى بنات عمه وأفاض عليه من ماله وحلمه حتى أمسك عن عاتكة تائبا على يد هذا الداهية الحليم . ولكنها صروف الدهر لم تهادن أبا دهبل فقد جر عليه تقلب الأيام هوى وهوى .

وقد عشقته فى طريقه إلى الغزو سيدة فى بيت عريق واحتالت عليه حتى تزوجها وأقام عندها هاجرا أهله وولده حتى ظنوه قد فنى وهو حى فى متعة ولهو حلال . ثم استأذنها وعاد إلى وطنه وقال فى ذلك شعرا حن فيه إلى أيامه مع عشيقته الحلال ويصف بعض نعيمها وعلاقته بشعر منه قوله :

وقباب قد أسرجت وبيوت　　نظمت بالريحان والزرجون
قبة فى الشتاء قد ضربوها　　عند حد الشتاء فى قيطون
ثم فارقتها على خير ما كا　　ن قرين مفارقا لقرين

رحمك الله أبا دهبل قد طال الحديث عن غزلك حتى خفت ملل القارىء .

محمود النواوى

---

(١) الحق أن المعنى فى هذا البيت لطيف .

فن الحصار في غزوة بني قينقاع

تحدثت فى المقال السابق عن نظرية الدفاع الهجومى التى طبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم قائد جيش الإسلام بعد بدر، وتجلى هذا التطبيق فى الغزوات القصيرة التى جرت فى الفترة ما بين بدر وأحد، وقد تحدثت عن هذه الغزوات كلها تقريبا إلا واحدة هى غزوة بنى قينقاع، فقد رغبت فى أن أفرد لها مقالا خاصا لأنها كانت غزوة من نوع فريد، جاءتنا بشيء جديد وفن جديد من فنون الحرب ظهر لأول مرة وهو فن الحصار...

فى هذه الغزوة لم يلق محمد أعداءه فى الميدان، بل آثر أن يحاصرهم فى دورهم حتى تضيق بهم الحياة فيعلنوا التسليم، ووجه العظمة فى تلك الخطة الحكيمة التى اتخذها النبى ﷺ أنها كانت الخطة المثالية التى تناسب طبيعة الأعداء، فكانت هى الوسيلة الفعالة فى القضاء عليهم.

وأحسن الخطط ما وضع على أساس من الدراسة التحليلية لطبيعة الأعداء، والقائد المحنك هو الذى يعرف نقط الضعف عند أعدائه، حتى إذا ما وجه ضربته كان واثقا من نتيجتها القاضية.

إن الغرض النهائى من القتال أمر واحد هو القضاء على قوة العدو، ولكن وسائل تحقيقه قد تتعدد، وإحدى هذه الوسائل الحصار.

ولكن ما الذى يدفع القائد إلى اتخاذ خطة الحصار بالذات؟ وما الذى يدعوه إلى تفضيله عن لقاء عدوه فى الميدان مثلا؟ ذلك هو الأمر الجدير بالذكر والملاحظة..

هناك شرطان أساسيان لا ينجح الحصار بدونهما فى القضاء على العدو هما: —

١ — انعدام الاكتفاء الذاتى لدى العدو "Self Sufficiency"، والاكتفاء الذاتى، اصطلاح معروف عند العسكريين يعبر عن توفر المؤن والذخائر ووسائل العيش دون الحاجة إلى موارد أو مساعدات خارجية، فإذا انعدمت الكفاية الذاتية عند العدو

المحاصر وقطعت عنه وسائل الاتصال بالخارج فسوف لا يمكنه تحمل الحصار لمدة طويلة وسوف يضطر مرغما على التسليم . .

وقد رأينا فى الحروب الحديثة كيف تحاول الدول المحاربة تموين جيوشها المحاصرة وتزويدها باللوازم من مؤن وأسلحة وذخائر ومهمات طبية وذلك عن طريق الجو ، فترسل طائراتها فوقهم ثم تسقط لهم هذه اللوازم ، وفى سبيل ذلك تتحمل تضحيات جسيمة وخسارة كبيرة لأن عدوها لن يتركها دون تدخل منه .

٢ — ضعف الروح المعنوية للعدو المحاصر . . فالروح المعنوية عامل له قيمته فى الحرب وبدونه تهزم أحسن الجيوش تسليحا ، وأضخمها عددا . ويحدثنا التاريخ عن جيوش حوصرت فى أحوال سيئة ولكن روحها المعنوية كانت عالية ، فصمدت وتحملت الحصار مددا طويلة نذكر منها القوات الانجليزية فى طبرق فى الحرب العالمية الثانية فقد صمدت ثمانية أشهر ، وكذا القوات المصرية فى الفالوجة فى حملة فلسطين سنة ١٩٤٨ فقد كانت مثالا رائعا وآية معبرة أصدق تعبير عن مدى تأثير الروح المعنوية على الجيوش فى الميدان .

وغير هذين الشرطين ، هناك اعتبارات أخرى لها قيمتها مثل قوة تحصينات المدافعين وغيرها ، غير أنى اكتفيت بهما فى مقام الحديث عن غزوة بنى قينقاع لكفايتهما فى هذا المقام .

وبنو قينقاع هم أشهر قوم من اليهود ، كانوا مثال الشجاعة فيهم ، وكانوا صاغة ، فجاءت إلى سوقهم امرأة من العرب المسلمين كانت زوجة لبعض الأنصار الساكنين بالبدو فجلست إلى صائغ منهم ، فاجتمع حولها جماعة من اليهود يغرونها أن تكشف عن وجهها فأبت ، فما كان من أحدهم إلا أن غافلها وعقد طرف ثوبها إلى ظهرها بشوكة دون أن تشعر ، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها ساخرين ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، ولكن اليهود لحقوا به فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون وتواثبوا من كل ناحية ، فبلغ الخبر النبى ﷺ فقال « يا معشر يهود ، احذروا من الله ما نزل بقريش من النقمة — يعنى فى بدر — وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله تعالى إليكم به » فقالوا : يا محمد ، إنك ترى أنا قومك

(أى تظننا مثل قومك) ولا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا . .

وبذلك كان بنو قينقاع أول من نقض العهد من اليهود ، ولم يكن بد من قتالهم ، فولى النبي على المدينة بشير بن عبد المنذر ، وخرج إليهم فى الخامس عشر من شوال وكان حمزة حامل اللواء ، فتحصنوا فى دورهم ، فحاصرهم المسلمون وكان عدد اليهود ثلاثمائة رجل مسلحين بالدروع ، وأربعمائة غير مسلحين ، واستمر الحصار خمسة عشر يوما متتابعة لا يخرج منهم أحد ، ولا يدخل عليهم بطعام أحد ، ولما اشتد بهم الحال ، وكادوا يهلكون ، أعلنوا التسليم ...

من هذا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد انتهج خطة الحصار ، فكانت ناجحة كل النجاح ، وكانت عملا بارعا آية فى الدلالة على الفطنة والحنكة والحكمة . . .

فإذا رجعنا إلى الشروط التى ذكرتها للحصار الناجح نجد أنها تنطبق تمام الانطباق على حالة يهود بنى قينقاع :

أولا : انعدام الاكتفاء الذاتى :

فلم يكن لبنى قينقاع نخيل أو زرع يعيشون من خيراته ، فلقد كانوا صاغة يعيشون مما يصوغون من حلى وغيرها ، وبذلك كانوا يعتمدون على غيرهم فى الطعام ، وهكذا كان حصارهم وقطع الصلة بينهم وبين غيرهم أنجع وسيلة لقهرهم ، لأنهم كانوا لن يطيقوا الصبر على الحرمان من ألزم مقومات الحياة . .

ثانياً : ضعف الروح المعنوية :

كانت الروح المعنوية عند بنى قينقاع ضعيفة ، وكانت هناك لهذا الضعف أسباب قوية وهى :

١ — لم يكن لهم أنصار قريبون منهم لأن سائر اليهود المنتسبين إلى المدينة كانوا يقيمون بعيداً عنها بخيبر وما أشبهها ، ولا شك أن شعورهم ببعد النصير عنهم فى وقت هم فيه محاطون بأعدائهم لما يضعف روحهم المعنوية تماماً . .

٢ — سبب هذا الحصار وانقطاع أسباب اتصالهم بالخارج ، كساد الحالة التجارية لهم ، وبالنظر إلى غريزة حب المال المطبوعة فى هذه الطائفة إلى درجة العبادة . نجد أن انقطاع ورود المال إلى أيديهم ، واختفاء بريقه عن عيونهم من أقوى أسباب انخفاض روحهم المعنوية ، فلم يكن من المستغرب أن يضيقوا ذرعاً بتلك الحال وأن يسرعوا إلى التسليم . .

ثم إن هناك اعتباراً آخر جعل النبى صلى الله عليه وسلم يفضل حصار بنى قينقاع على قتالهم وهو أنهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم مالا ، فرأى أنه إذا قاتلهم فى الميدان ربما يفر منهم بعضهم ليستعدوا للجمع له والإغارة عليه ، فوجد أن الخلاص منهم جميعاً مرة واحدة أحسن وذلك بحصارهم وأسرهم .

وقد قرر النبى صلى الله عليه وسلم — بعد أن استشار أصحابه — قتلهم جميعاً ليستريح من شرهم ، فلم يرض بذلك عبد الله بن أبى (ابن سلول) وكان حليفاً لليهود وللمسلمين ، فألح على الرسول قائلا : يا محمد أحسن فى موالىَّ . .

فأعرض عنه النبى ، فأدخل يده فى جيب درع النبى من خلفه ؛ فقال له غاضباً (ويحك أرسلنى) وكررها مرتين ، فقال : والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى فإنهم أعزتى وإنى والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم ، خذهم لا بارك الله لك فيهم » .

وأمر صلى الله عليه وسلم بإجلاء اليهود عن المدينة وكلف عبادة بن الصامت رضى الله عنه بهذا الأمر ، فأمهلهم ثلاثة أيام ليستعدوا فيها للجلاء ، وكان ذلك سهلا فلم تكن لهم بالمدينة كما ذكرت أراض زراعية أو نخيل . ورحلوا عن المدينة تاركين وراءهم السلاح وأدوات الذهب الذى كانوا يصوغون وساروا إلى أذرعات بالشام .

ولقد كان إجلاء اليهود عن المدينة تصرفا سياسيا آية فى الدلالة على الحكمة وبعد النظر فلم يكن أضر على وحدة المدينة من تنازع الطوائف فيها ، فكان إجلاء اليهود مقدمة لم يكن منها بد للآثار السياسية التى ترتبت بعد ذلك على خطط الإسلام ؟

محمد جمال الدين محفوظ
يوزباشى أركان الحرب

من نوادر المخطوطات

إنباء الغمر بأبناء العمر

أشار الأستاذ السيد محب الدين الخطيب فى ترجمته الوافية لابن حجر فى الجزء الماضى من مجلة الأزهر إلى مؤلفات ابن حجر القيمة فى الفنون المختلفة وعد منها كتاب « المجمع المؤسس للمعجم المفهرس » الذى ترجم فيه لشيوخه ، وعد منها كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر. وقد تحدثنا إلى القراء فى كلمة سابقة بهذه المجلة عن كتاب المجمع المؤسس الذى توجد مسودته بمكتبة الأزهر ، ونتحدث إليهم اليوم بمناسبة كلمة السيد محب الدين عن كتابه « إنباء الغمر بأبناء العمر » .

وأول ما نلاحظه على الكتاب أن بعنوانه غرابة على بعض القراء ، فكلمة « الغمر » بضم الغين بمعنى قليل الخبرة والتجربة تخفى على كثير منهم وإن كانت متداولة فى بعض قرى الصعيد بهذا المعنى . وخلاصة عنوان الكتاب أنه إخبار للغافلين بأخبار علماء عصره وعظمائه وأعيانه ، كما يلاحظ أيضاً التجنيس فيه بين إنباء وأبناء والغمر والعمر ، والتجنيس فى عناوين الكتب ظاهرة شائعة قديماً وحديثاً . وقد جمع ابن حجر فى كتابه هذا حوادث الزمان ووفيات الأعيان وبخاصة أعيان رجال الحديث الذين أخذ عنهم وتلقى منهم ، واعتمد فى مادة الكتاب على مشاهدته أو نقله عمن وثق بهم من الأشخاص والكتب ، وعدد بعض هؤلاء الأشخاص فى خطبة الكتاب كما يأتى . واستحسن ابن حجر أن يعتبر هذا الكتاب ـ من حيث الحوادث ـ ذيلا على تاريخ ابن كثير ، فإنه انتهى فى ذيل تاريخه إلى هذه السنة ، وأن يكون ذيلا على الوفيات لتقى الدين بن رافع من حيث وفيات الأشخاص فإن كلا منهما انتهى فى تاريخه إلى السنة التى ابتدأ فيها ابن حجر بتأليف كتابه سنة ٧٧٣ هـ .

والكتاب يصور عصر ابن حجر تصويراً دقيقاً ، خصوصاً من ناحية النظم الإدارية ورقابة الحكومة للحالة الاقتصادية وعلاقتها بالتجار ، كما يصور علاقة أهل الأديان بعضهم ببعض ، ويروى فى ذلك نوادر غاية فى الطرافة .

وإلى القارىء تعريف الكتاب كما جاء فى خطبته :

أما بعد : فيقول العبد الضعيف أحمد بن على بن محمد بن على ... ... ابن حجر العسقلانى الأصل المصرى المولد القاهرى الدار : هـذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان

الذى أدركته منذ مولدى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وهلم جرا ، مفصلا فى كل سنة عن وفيات الأعيان ، مستوعبا رواة الحديث ، خصوصاً من لقيته وأجاز لى . وغالب ما أورد فيه ما شاهدته أو تلقفته ممن أرجع إليه ، أو وجدته بخط من أثق به من مشايخى ورفقتى ، كالتاريخ الكبير للشيخ ناصر الدين بن الفرات ، وقد سمعت عليه جملة من الحديث . ولصارم الدين بن دقماق ، وقد اجتمعت به كثيرا ، وغالب ما أنقله من خطه ومن خط ابن الفرات عنه . وللحافظ العلامة شهاب الدين أحمد بن علاء الدين حجى الدمشقى ، وقد سمعت منه وسمع منى والفاضل البارع المفتن تقى الدين أحمد بن على المقريزى . والحافظ العالم شيخ الحرم تقى الدين محمد بن أحمد بن على الفاسى القاضى المالكى بمكة . والحافظ صلاح الدين خليل ابن محمد بن محمد الأقفهسى وغيرهم ، وطالعت عليه تاريخ القاضى بدر الدين بن محمود العينى وذكر أن الحافظ عماد الدين بن كثير عمدته فى تاريخه وهو كما قال ، لكن منذ قطع ابن كثير صارت عمدته على تاريخ ابن دقماق حتى كان يكتب منه الورقة الكاملة متوالية ، وربما قلده فيما يَهِمُ فيه حتى اللحن الظاهر . وأعجب منه أن ابن دقماق يذكر فى بعض الحادثات ما يدل على أنه شاهدها فيكتب البدر كلامه بعينه بما تضمنه وتكون تلك الحادثة وقعت بمصر وهو بعد فى عنتاب [1] ولم أتشاغل بتتبع عثراته بل كتبت منه ماليس عندى مما أظن أنه اطلع عليه من الأمور التى كنا نغيب عنها ، وسميته « إنباء الغمر بأبناء العمر » والله أسأل أن يختم لنا بخير ، وهذا الكتاب يحسن - من حيث الحوادث - أن يكون ذيلا على تاريخ الحافظ عماد الدين بن كثير ، فإنه انتهى فى ذيل تاريخه إلى هذه السنة ، ومن حيث الوفيات أن يكون ذيلا على الوفيات التى جمعها الحافظ تقى الدين بن رافع فإنها انتهت إلى أوائل هذه السنة وعلى الله أعتمد ... ثم قدر الله سبحانه لى الوصول إلى حلب حرسها الله تعالى فى شهر رمضان سنة ست وثلاثين وطالعت تاريخها الذى جمعه الحاكم بها العلامة الأوحد الحافظ علاء الدين ذيلا على تاريخها لابن العديم وقد بيض أوائله ، فطالعته كله من المبيضة ثم من المسودة وألحقت فيه أشياء كثيرة وسمعت منه أيضا وسمع منى ... » .

---

[1] المجلة : وكان جرجى زيدان يقع فى مثل هذا الخطأ . ومن ذلك أنه فى الطبعة الأولى من كتابه تاريخ مصر زعم أنه رأى جهة باب زويلة قبل أن يحدث فيها التعديل والتغيير ، مع أن التغيير الحادث كان أقدم من زمن جرجى زيدان . ثم نبه العلامة المحقق أحمد تيمور باشا إلى أن جرجى زيدان نقل عبارة مؤرخ فرنسى ذكر تيمور باشا اسمه ، وذلك المؤرخ الفرنسى هو الذى رأى ما نقله عنه جرجى زيدان دون أن يعزوه إليه .

والكتاب بالمكتبة الأزهرية ، وهو من نوادرها فى فن التاريخ ، ويقع فى مجلدين كبيرين عدد أوراقهما ٣١٨و٢٢٧ ورقة وسطور الأول مختلفة بين ٢٣ و ٢٥ والثانى بين ٢٥و٢٨ سطرا وكلمات السطور مختلفة بين ١٧و٢٢ كلمة ، وهما بخط على بن داود الخطيب وكان الفراغ منه فى رمضان سنة ٨٧٩ كما ذكر فى آخره أى بعد وفاة المؤلف بنحو ربع قرن فقد توفى الحافظ بن حجر سنة ٨٥٢ هـ .

وبظاهر الصفحة الأولى من المجلد الأول مذهب مستطيل بأعلاها فى وسطه « الجزء الأول » ، وبوسط الصفحة مثمن به « لشيخ الإسلام حافظ العصر شهاب الدين بن حجر » وبأسفلها مستطيل مذهب به اسم الكتاب « إنباء الغمر بأبناء العمر » وببعض أوراقه ترقيع ذهب ببعض الكلمات كما أن به خرما ، وعلى هامشه تعليقات واستدراكات وتكميلات تاريخية قيمة بخطوط مختلفة تخالف خط الأصل ، وبه تمليكات متعددة تدل على أن الكتاب تداوله بالمطالعة مؤرخون لبعضهم تضلع فى علم التاريخ يبدو ذلك فى التصويب والتكميل . فإذا أهمل ابن حجر بعض مؤلفات من يترجم له استدرك بعض المطالعين ذلك على هامشه فأكمله ، وإذا أخطأ فى حادثة تاريخية صوبها ، والكتاب بهذه الهوامش قد استوفى عناصر التحقيق العلمى الصحيح . ويعيب هذه النسخة ما فيها من خرم وترقيع ، وربما أمكن إخراج نسخة كاملة منها ومن المسودة التى ذكر الأستاذ محب الدين أنها بالمكتبة الظاهرية بدمشق وهى بخط المؤلف .

وقد فرغ ابن حجر من كتابه هذا بعد كتاب « المجمع المؤسس » فقد فرغ من المجمع سنة ٨٢٩ هـ ، لذلك تكررت بعض تراجم رجاله وبخاصة تراجم شيوخه ، وقد أشار إلى ذلك بعض المعلقين على هوامش النسخة فى مواضع كثيرة .

وبعد — فإن الحافظ ابن حجر شخصية دينية تاريخية خصبة جديرة بأن تدرس وتعرض وتنشر صحائف مجدها العلمى لتكون أسوة يقتفى أثرها شباب الإسلام ويستنيرون بأضوائها إلى أهدافهم العلمية .

غفر الله له وأفسح له فى جناته وأسبغ عليه سحائب الرضوان ؟

أبو الوفا المراغى
مدير المكتبة الأزهرية

اختلاف الدارين

فى التشريع الإسلامى والقانون المصرى

— ١ —

١ — من موانع الإرث فى التشريع الإسلامى مانع يتعلق بالمركز القانونى للأجانب بمقتضاه يمتنع الميراث بين غير المسلم (الذمى) الذى يعيش على إقليم تنبسط عليه السيادة الإسلامية ، وبين غير المسلم الخارج عن نطاق هذا الإقليم أى الموجود فى بلد ليس خاضعاً للسيادة الإسلامية ، وهذا المانع ليس مجمعا عليه من جميع فقهاء الشريعة الغراء ؛ إذ يقول به الحنفية والشافعية فقط ، ولا يراه الإمامان مالك وأحمد مانعاً [١] .

٢ — ويتضح معنى الإقليم الذى تنبسط عليه السيادة الإسلامية من سواه ، من القول بأن التشريع الإسلامى يقسم العالم إلى دارين : أولها دار الإسلام ، وهى الإقليم الإسلامى أو مكان الإسلام [٢] وهذه الدار تسكنها ثلاث طوائف من الناس ، الأولى طائفة المسلمين والثانية طائفة الذميين ، والثالثة طائفة المستأمنين ، ويعتبر أهل الكتاب [٣] من الذميين ، ومثالهم المسيحيون واليهود والصابئة — وثانيهما دار الحرب وهى بلاد الحرب [٤] وتشمل كل البلاد التى لا تدين بالإسلام ، ولا تجرى عليها أحكامه ، ولا يأمن من فيها بأمان المسلمين [٥] ، ويستوى فى ذلك أن تقوم دولة واحدة بحكم هذه البلاد أو أن تقوم بحكمها دول كثيرة ، ولا يهم أن يكون بعض السكان القاطنين بها يعتنقون الإسلام ما دامت قوانين الإسلام وأحكام الشرع غير ظاهرة فيها ، وما دام المسلمون لا يستطيعون إلى إظهار

---

(١) تعرضت لهذا المانع المادة ٥٨٨ من [كتاب الاحكام الشرعية فى الاحوال الشخصية لقدرى « باشا » بقولها : « اختلاف الدارين فى حق المستأمن والذمى فى دار الاسلام ، وفى حق الحربيين والمستأمنين من دارين مختلفين ، وفى حق الذمى والحربى . . . » .

(٢) Le Locus de l'Islam انظر بحثا للاستاذ أحمد رشيد فى « مجموعة أكاديمية القانون الدولى » سنة ١٩٣٧ تحت عنوان : L'Islam et le droit des gens. t. 60 p. 415.

(٣) "Gens du Livre" (٤) Le Locus de la guerre.

(٥) انظر : الشيخ عبد الوهاب خلاف فى « السياسة الشرعية » سنة ١٣٥٠ هـ المطبعة السلفية ص ٦٩ .

أحكام وقوانين دينهم فيها من سبيل ، فالديانات والعقائد التى لا تخضع للإسلام هى التى يكوّن معتنقوها فى الواقع إقليم الحرب أو دار الحرب [١] .

٣ — ولتفهم هذا المانع القائم على أساس اختلاف الدارين لدى الحنفية ، نقول إن الميراث فى المذهب الحنفى ينبنى على أساس العصمة والولاية فيما بين الأفراد ، سواء أكان هؤلاء الأخيرون مسلمين أم كانوا غير مسلمين : ذميين أو مستأمنين أو حربيين [٢] ، واختلاف الدار يعنى تميز البلد وانفصاله فى عسكره ونظام حكمه وأحكام قوانينه ، وهذا التميز والاختلاف إنما ينشأ عنه انقطاع العصمة والولاية بين الأفراد ، ومن أجل ذلك يمتنع الميراث ، ويعتبر هذا الاختلاف فى الدار مانعاً من الإرث بين التابعين لدولة معينة والتابعين لدولة أخرى .

٤ — واختلاف الدار قد يكون اختلافاً حقيقياً ، وقد يكون اختلافاً حكمياً ، والاختلاف الحقيقى مثاله الاختلاف الواقع بالنسبة للحربى من جهة والذمى من جهة أخرى ، وفيه يمتنع ميراث أى منهما من الآخر ، فلا توارث بينهما إذا مات الحربى مثلا فى دار الحرب وله أب أو ابن ذمى فى دار الإسلام ، أو إذا مات الذمى فى دار الإسلام وله أب أو ابن فى دار الحرب .

والعلة فى ذلك واضحة ، وهى اختلاف الدارين بالنسبة إليهما ؛ إذ ثمة تباين بين دار الذمى ودار الحربى ؛ فدار الأول هى دار الإسلام ، ودار الثانى هى دار الحرب ، وهذا الاختلاف

---

(١) انظر : "La conception et la pratique du dr. inter. privé dans l'Islam" (Etude juridique et historique) par Choucri Cardahi, Recueil des Cours, op. cit, p. 518.

وانظر بحثا لنا تحت عنوان La conception de la nationalité et l'Etat des étrangers, " dans la legislation islamique "

(٢) يعيش الذميون فى دار الاسلام بناء على « عقد الذمة » وهو عقد مؤبد عقده معهم المسلمون حين امتد سلطانهم إلى مختلف البلدان التى فيها ثبت بعض الاهالى على عقيدتهم الاولى كالمسيحية واليهودية ولم يدخلوا فى دين الاسلام ، وبمقتضاه يترك هؤلاء وما يدينون به ، ويعاملون معاملة طيبة ، ويأمنون فى دار الاسلام على أنفسهم وأموالهم وإلى جوار هذا العقد المؤبد عرف عقد آخر هو [عقد الامان] وهو خاص بتأمين الحربيين الذين يفدون إلى دار الاسلام ، ولكنه عقد مؤقت بمام ، لأن الحربيين هم من الاجانب عن المسلمين ، فهم من دار الحرب التى تعتبر دار عداء بالنسبة لدار الاسلام وبالنسبة للمسلمين فيها . انظر : دكتور محمد عبد المنعم رياض (بك) فى « مبادىء القانون الدولى الخاص » سنة ١٩٤٣ — ص ٢٠٨ .

يقطع الولاية فيما بينهما ، ومن شأن انقطاع الولاية امتناع التوريث القائم على أساسها ، وذلك بالرغم من اتحاد الملة بين هذين الشخصين [١] .

٥ — والاختلاف الحكمى مثاله الاختلاف الحاصل بين المستأمن [٢] من جهة ، والذمى من جهة أخرى ، وتوضيح هذا الاختلاف أن المستأمن هو من أهل دار الحرب ، ولكنه أتى دار الإسلام [٣] وأمنه المسلمون بأمان مؤقت خاص ، فهو ليس أصيلا فى دار الإسلام ولا مستطيعاً أن يمكث فيها أكثر من وقت معين ، وإن فعل دخل فى زمرة الذميين وطبقت عليه أحكام الإسلام فى شأن هؤلاء الأخيرين ، وهو ليس أصيلا فى دار الإسلام ، بمعنى أنه يستطيع أن يغادرها ويؤوب إلى بلاده أو إلى غير بلاده خارج نطاق بلاد المسلمين ، ولذلك فوضعه مع الذمى فى دار واحدة هى دار الإسلام لا يعنى اختلاف الدار بالنسبة إليهما حقيقة ، وإنما يعنى اختلافهما حكما ، بالرغم من أن الواقع المشاهد هو أنهما فى الحقيقة موجودان فى دار واحدة .

على أنه لا فرق فى الميراث بين حكم اختلاف الدار حكما وحكم اختلافها حقيقة ، بمعنى أن اختلاف الدار حكما يمنع التوارث بين المستأمن والذمى تماماً كما يمنع اختلافها حقيقة الوراثة بين الحربى والذمى .

٦ — وقد استقى المشرع المصرى الحديث أحكام التشريع الإسلامى فى مادة المواريث

---

(١) انظر : الشيخ عبد الله مصطفى المراغى فى « التشريع الاسلامى لغير المسلمين » ص ١٠٥

(٢) المستأمن هو حربى فى الأصل ، ولكن سمح له بدخول دار الاسلام بأمان خاص ، يصير بمقتضاه آمنا على نفسه وماله فيها ، وبغير هذا الامان لا تعصم نفسه ولا ماله فى هذه الدار ، فيعتبران فيئا للمسلمين ، ويعرض لقتلهم وأسرهم إياه ما لم يعتنق الديانة الاسلامية ، وقد يطيل المقام فى دار الاسلام ، وحينئذ يأمره المسلمون بالخروج منها فان بقى بعد هذا الامر سنة كاملة فرضت عليه الجزية وصار ذميا ، وكذلك يعتبر ذميا بطريق ضمنى إذا حدث منه ما يدل على أنه قد أزمع التوطن والعيش فى هذه الدار كشرائه لأرض خراج وزراعتها والتزامه الخراج — انظر فى هذا الصدد : القاضى أبا يوسف فى « الخراج » طبعة السلفية سنة ١٣٥٢ ص ١٨٧ وما بعدها .

(٣) يأتى المستأمن إلى دار الاسلام لاغراض شتى ، منها التجارة ، ومنها الزيارة .

وأصدر قانوناً خاصاً بذلك هو القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ (١)، بيد أن المشرع المذكور لم يأخذ فى هذا القانون بمانع اختلاف الدارين على إطلاقه. ولفهم ما ورد فيه خاصاً بهذا المانع، نقول إن الأمر الآن وفقاً لهذا القانون يتلخص فى ثلاثة فروض رئيسية :

أولها خاص باختلاف الدارين بالنسبة للتوارث بين المسلمين وغير المسلمين.

وثانيها خاص باختلاف الدارين بالنسبة للمسلمين.

وثالثها خاص باختلاف الدارين بالنسبة لغير المسلمين.

٧ — الفرض الأول : وهو المتعلق باختلاف الدارين بالنسبة للتوارث بين المسلمين وغير المسلمين :

يلاحظ بشأنه أنه لا توارث بين المسلمين وغيرهم على الإطلاق، وهذا حظر شرعى قرره التشريع الإسلامى، ولا أهمية ولا اعتبار لاختلاف الدارين فيه، وحظر هذا التوارث هو نفسه مانع من الإرث، مما نفضل معه أن نبحثه فى بحث مستقل قادم إن شاء الله.

---

(١) يمكن القول من وجهة نظر [القانون المقارن] الآن إن مانع اختلاف الدارين فى التشريع الاسلامى والقانون المصرى يشابهه ذلك المانع المتعلق بالمركز القانونى للاجانب الذى عرفه القانون الفرنسى، إذ نصت المجموعة المدنية الفرنسية الصادرة فى سنة ١٨٠٤ على حرمان الاجنبى من ميراث الاموال التى يملكها أبوه فى إقليم [المملكة الفرنسية] سواء أكان هذا الاب فرنسيا أم كان أجنبيا (Voir l'art. 126 de Code C. F.) بيد أن هذا المنع لم يمكث أكثر من أربعة عشر عاما، إذ صدر فى فرنسا بتاريخ ١٤ يوليو سنة ١٨١٩ قانون بمقتضاه يكون للأجانب حق الارث والتصرف من الفرنسيين، كما لهؤلاء الأخيرين أن يرثوا منهم ويتصرفوا إليهم تماما فى جميع أرجاء فرنسا. هذا وقد جاء هذا القانون بتقرير حق خاص أطلق عليه Le droit de prevélèment وفيه ما يدل على تمسك بالمساواة بين الوارثين الفرنسيين والوارثين الاجانب إذا كانوا مشتركين فى تركة واحدة، إذ بمقتضى هذا الحق يستطيع الوارث الفرنسى الموجود بالخارج فى مثل الفرض السالف إذا كان القانون الأجنبى يجعله مستحقا لأموال واقعة فى الخارج أن يحصل من الأموال الموجودة فى فرنسا على قيمة معادلة لتلك الأموال، ما دام الفرض أن التركه تضم أموالا ليست كلها فى فرنسا بل يوجد بعضها فى خارج حدودها.

انظر : Prof. Gaston Stefani, Les successions abintestat et testamentaire en droit français conporé au droit égyptien, Rev. Al-Qanoun wal Iqtisad, XXI[e] année, No I p. 47.

٨ — الفرض الثانى : وهو المتعلق باختلاف الدارين بالنسبة للتوارث بين المسلمين :
المتفق عليه بغير خلاف هو أن اختلاف الدار ليس مانعاً من الميراث بين المسلمين ، أى أن المسلم يرث المسلم مهما اختلفت دولة كل منهم ، وهنا نلاحظ صورتين :

٩ — الأولى : إذا كان التوارث بين مسلم مصرى ومسلم غير مصرى قاطن فى إحدى البلاد الإسلامية ، وهنا يتضح تماماً أن اختلاف الجنسية حسب القوانين الوضعية الحديثة لا يمنع التوارث بين هذين المسلمين ، إذا قام سببه ؛ لأن التوارث يتعلق فى الإسلام بالجنسية المعتبرة فيه لا بالجنسية الوضعية ، والجنسية المعتبرة فيه هى الجنسية الإسلامية التى يتمتع بها أبناء « دار الإسلام » ، وما دام طرفا الميراث : المورث والوارث فى هذه الصورة ، هما من دار الإسلام ؛ إذ أن كلاً منهما يتبع بلداً إسلامياً ، فالتوارث بينهما واقع ، لأن العبرة فى وقوعه هى بالجنسية الإسلامية العامة فى دار الإسلام ، وليست العبرة بجنسية كل منهما بحسب القانون الوضعى فى البلدين اللذين يتبعان لها : وتطبيقاً لذلك يحدث التوارث بين المسلمين فى مصر والمسلمين فى أى بلد من البلاد العربية كسوريا ولبنان وليبيا والمملكة العربية السعودية والكويت والبحرين واليمن ، وكذلك المسلمون فى البلاد الإسلامية كأندونيسيا والباكستان ؛ لأن كل هذه البلاد تجمعها دار الإسلام .

١٠ — الثانية : إذا كان التوارث بين مسلم مصرى ومسلم غير مصرى قاطن فى أى بلد من بلاد العالم غير البلاد الإسلامية أو متجنس بجنسيته ، وهنا يحدث التوارث بينهما ، وذلك متفق عليه بغير خلاف ، والعلة فيه أن ولاية المسلم فى الميراث هى للإسلام مهما اختلفت الدار التى يتبعها ومهما اختلفت الجنسية الوضعية التى يتجنس بها ، أى أننا فى هذه الصورة لا نحتاج إلى التقسيم الثنائى للعالم إلى دار إسلام ودار حرب ؛ لأن الدار غير معتبرة هنا فى التوريث ، وتطبيقاً لذلك يقع التوارث بين المسلم المصرى والمسلم الروسى أو الألمانى أو النمساوى أو الفرنسى أو البلجيكى أو الأسبانى أو الإنجليزى أو الأمريكى . . . الخ .

أحمد طه السنوسى

دولة الشعر

مهداة إلى شعراء العربية وأدبائها فى مصر والشرق العربى

« فلسفة العالم فلسفة كاذبة »

« ما أبعد فجر هذا العالم وما أرهب ظلمته »

يا دولة الشعر ثورى حسب العروبة هجرا
فما لوُرْقك نشوى وما لغيدك أسرى ؟ !
فالنيل فى مصر يجرى أما لأيْكاك مسرى ؟ !
بلابلَ النيل .. ثورى وأرسلى الشعر بكرا
ملأت سمعى همساً وصحت فى الشرق دهرا
وصغت زهر القوافى من الفراديس درا
فهل طوى الشعر . . ليل وكم طوى الليل شعرا !
مثلت بالأمس دوراً فمثلى اليوم . . دورا

* * *

« يا دولة الشعر » . . ثورى فالكون حولى . . يثور
والأرض بالناس تجرى طوراً ، وطورا تدور
والنيل صاح . . فصاحت فى المشرقين الدهور
فدُك صرحٌ ودالت للمالكين ... عصور ...
وروع الدهر وارتا عت فى الروابى الطيور
ففى العرين أسود وفى الفضاء نسور . .
وفى الخمائل . . عُرس وفى الودائف . . نور
وموكب النصر يمشى والدهر فيه يسير

* * *

يادولة الشعر ثورى قد ضاق هذا الفضاء
فالغرب ثار وُجنَّت ساساته ... الأدعياء

والغرب تعصف فيه رياحه ... الحمقاء ...
وتصرخ الجن فى لا بقيه ... والظلماء ...
سلى (فرنسا) أفى (تو نس) تراق الدماء ؟
ففى (الجزائر) نار وفى البوادى .. عواء !!
و (الدار) ولول فيها وفى الدياجى الفناء [1]
فما على الأرض حب وما بها ... رحماء
فنحن فى الجرح والبلو ى فى الحياة .. سواء
شعب على الحب يحيا وأمة ... عزلاء
فأين فى الأرض تلك الشرائع ... الوضاء ؟
هزوا قلوب الليالى يأيها .. الشعراء
فالشعر وحى ، وذكرى وحكمة ... وغناء

* * *

يا دولة الشعر ثورى طال النوى واللقاء
يا شرق .. يا مهبط الوحى ضجت « الخضراء » [2]
فهذه الأرض ضاقت فهل تضيق السماء ؟!
أين السلام ؟ وأين الحرية الحمراء ؟
وأين تلك الحضارات أيها ... الدخلاء ؟
شريعة الكون حب ورحمة .. وإخاء ..
سلى « فرنسا » أ للظلم دولة .. وبقاء ؟
عوت شياطينها والمعا بد .. الخرساء ! !
يا دولة العلم والفلسفا ت أين .. الحياء ؟!
دارت عليك الليالى وناحت .. النكباء
« شريعة الغاب » ماتت ومال هذا البناء ..
مهد الحضارات .. أين القضاة ، والحكماء
فالحب فيك جفاء والجور فيك قضاء ..

---

(١) هى الدار البيضاء من ثغور المغرب الاقصى .
(٢) هى تونس التى يقوم الفرنسيون فيها بتعذيب الاحرار المجاهدين .

شاب الزمان وضلت سبيلها .. العلماء ..
فأين يا أم دفْرٍ جنا تُلك الفيحاء ؟
وأينَ علمُ الليالى والشعر والشعراء ؟

* * *

يا دولة الشعر ثُورى وأيقظى .. النُوَّاما
هـذا شراعك يجرى فأرسلى الأنغاما
وودعى الأمس ، وامضى واستقبلى الأياما
جددتُ بالأمسِ نفسى لجددى (الإسلاما)
وشيعى الظلم والظا لمين .. والأوهاما
فمصر قد شيعتها والدهر كان غلاما
نادى (نجيبٌ) فثورى وحطمى .. الأصناما
فالبغيُ أدمى قلوباً والجورُ أدمى عظاما
فابنى مع الدهر صرحاً يشيبُ .. : « الأهراما »
تمتلك مصرٌ ، ومصر تكرِّم .. الأعلاما
فكرمى اليوم (شعباً) وأمةً وَ (لهاما) [1]
وحطمى القيد وامضى وجردى الأقلاما
تلك الجحافل تمشى فألهبى الأفهاما
وأرسلى الشعر ناراً وأرسليه سهاما
فالشعر يبنى شعوباً ويلهم الأقواما ..
خذى (الكتاب) دليلا وهادياً ... وإماما
فنحن قوم .. عرفنا مع الحياة النظاما
ولا نخاف الليالى ولا نهاب الحماما
وإن كررنا بعثنا ها لجّة ... وضراما
وإن سجا الليل كنا حربا ، وكنا سلاما
أمجادنا خالدات تشيب الأعواما

---

[١] اللهام بضم اللام : الجيش العظيم ، كأنه يلتهم كل شيء .

الأرض صارت جحيما والكون أمسى ظلاما
فإن سهونا ضللنا سبيلنا ، والمقاما
وإن مشينا بلغنا مع الجهاد المراما ..
صاح (الهزبر) فهزت صيحاته .. الآجاما
وزلزلت فى الليالى صرحا على الظلم قاما
فصيرته يباباً وصيرته حطاما
فأيقظ فى الروابى الدوح والأكماما
ومزق الحجب ، وامضى وحقق . . الاحلاما

* * *

يا دولة الشعر ثورى فالأرض كادت تميد
فالنيل للشعر روض وللفنون . . مهود
ضاق الفضاء فثورى إن الحياة قصيد . .
الشرق قد كبلته سلاسل ، وقيود . .
ففى المدائن هول يشيب منه الوليد
وفى (فلسطين) صرعى وساغب وشريد
وفى البطاح كماة وفى (العرين) أسود
بينى ، وبينك عهد فأين منا العهود ؟ ؟

* * *

يا دولة الشعر ثورى فالنصر صافح مصراً
وداعب النيلَ فجر وأيقظ الفجر زهراً
وهادن الدهر مصراً وحقق الدهر أمراً
وألف الله شعباً وجمع الله قطراً
صحبت فى الدهر جيلا وعشت فى الناس عمراً
فأين « شوقى » وجيل من الغطاريف مراً ؟
أرى على الشط نوراً وفى الخمائل . . فجراً
مصر الفتية . . ثارت وأصبح النيل حراً

الزقازيق

صابر على رمضان
الجوشنى

الاضطرابات العقلية

فى أمراض الشخصية

عند العلامة ريبو [1]

يقول وودورث « إننا إذا اعتبرنا الشخص دائماً وحدة مستقلة فإنه يحتاج إلى ما يملكه هذه الوحدة ، فإن ميوله الطبيعية المختلفة ورغباته لا تعمل مجتمعة دواماً ، بل إن بعضها يناقض - بالضرورة - البعض الآخر ؛ حتى إننا أحياناً نقول عن الشخص الذى يسلك سلوكا مخالفاً لسلوكه العادى . إنه شخص آخر ، وقد نصف شخصاً بالكمال ، ونريد بذلك عدم تغيره وارتباط ميوله المختلفة ارتباطاً محكما بحيث أصبحت تعمل مجتمعة ؛ ونقول عن آخر إنه غير كامل ، وإنه قلق لا يثبت على حال ... »

والذى يهمنا من كلام العلامة وودورث أن الشخصية تنقسم وتتعدد وتسير فى أكثر من طريق واحد ، فيكون للإنسان شخصيتان أو أكثر : شخصية له فى عمله، وأخرى فى منزله ، وقد تكون الغرائز والميول والرغبات المسيطرة على الإنسان مختلفة فى كل جهة عنها فى الأخرى . فما هو السبب فى ذلك ؟ إن الإجابة على هذا السؤال تلتمس عند العلامة ريبو .

فقد أفرد ريبو كتاباً خاصاً لأمراض الشخصية ، وهو يقسمها إلى اضطرابات عضوية واضطرابات عاطفية واضطرابات عقلية ؛ ثم تكلم عن انحلال الشخصية ، وأوضح بعد ذلك النتائج التى حصل عليها من تجاربه . ويعنينا هنا ما قاله عن الاضطرابات العقلية .

١ — يبدأ ريبو الفصل الخاص بالاضطرابات العقلية متسائلا عن مهمة الحواس الخمس ، وعن الدور الذى تلعبه فى الشخصية ؛ وعما يحدث للشخصية لو قصرت إحدى الحواس أو بعضها فى أداء وظيفتها ، ويجيب على ذلك بأن الشخصية لا تتأثر بذلك . وفقدان الحواس قد يكون وراثياً وقد يكون مكتسباً . وبالرغم من شدة تأثيره فى الحالة الاولى عنه فى الثانية إلا أن « فقدان حاسة أو عدة حواس ، فطرياً كان ذلك أم مكتسباً ، لا يجر على الشخصية أية حالة مرضية . والتربية كفيلة بإصلاح أى أثر يحدث » . فالحواس تحدد الشخصة ولكنها لا تكونها .

---

(١) Ribot: Les Maladies de la Personalité

وأمراض الحواس عديدة ، ولكل حاسة أمراض تختلف شدة وضعفاً ، وباجتماع بعض هذه الأمراض تخلق عناصر شخصية جديدة ، وتصدق العبارة المشهورة « لقد فقدت شعورى بوجودى ، ولم أعد أنا نفسى » بل قد يستفحل الأمر فتزدوج الشخصية ويشعر المريض بأن لديه شخصية تفكر ، وأخرى تنفذ . غير أن « الأنا » الجديد لا يستطيع الظهور فى كل حالة بل إنه سرعان ما يزول بعد تكونه ولا يستطيع أن يحل محل « الأنا » الأصلى . ويرى الدكتور مورتن برنس أن الشخصية الجديدة قد ترث الأولى علماً وعملا وقد لا ترثها فى شىء مطلقاً أى يصبح الفرد كأنه طفل حديث الولادة لا يدرى عن الحياة شيئاً .

وتؤثر بنية الشخص وتركيبه الجسدى فى الشخصية ، ويصعب مع هذا التمييز فى الحياة العادية بين الخصال العقلية والجسدية وإن أمكن ذلك فمن الناحية النظرية فقط ، فحجم الإنسان يؤثر على العلاقات بينه وبين الناس ؛ فالضخم يستولى على غيره بسهولة لضخامة جسمه ، ولهذا يميل إلى البشاشة ، بينما الصغير الحجم يميل إلى الغيرة وإلى إظهار السلطة الذاتية ؛ كما أن للنمو العضلى وملامح الوجه أثرا وأى أثر .

٢ — ويحدثنا ريبو بعد ذلك عن « الهلوسة » ويقول إنها تؤثر أحيانا فى حس واحد وأحيانا فى أكثر من حس ؛ وأنه ليس هناك مرض أصيل للشخصية بل هى اضطرابات ثانوية ظاهرية . وازدواج الشخصية الناتج عن الهلوسة متنوع متعدد ، فهناك ازدواج بصرى وازدواج سمعى ... الخ ؛ ومن الازدواج البصرى أن يرى الشخص شخصيته الثانية ويحادثها أو يسخر منها مثلا . وقد تزدوج الشخصية البصرية والسمعية ، كما يروى ذلك المسيو بال عن أحد الأمريكيين الذى كان يسمع شخصا يحييه كل صباح ومع ذلك كان لا يرى إلا نصفه الأعلى ... واستمر الحال هكذا حتى أمره بأن يلقى بساعته وجريدته فى الأرض ، وبأن يلقى بنفسه آخر الأمر من النافذة ، وعلى كل حال فليست الهلوسة دائما ذات آثار خطيرة حادة .

ولقد ثبت أن تضافر النصفين الكرويين فى المخ ينتج انتظام الروح وينتج من اختلافهما اضطرابات مختلفة ، ولقد كان لاكتشاف الأستاذ بروكا Broca فى الأفازيا قيمة كبيرة ، فقد افترض آخر الأمر أن النصف الكروى الأيسر هو المركز الرئيسى للذكاء والإرادة ، وأن النصف الأيمن مركز للحياة النامية . وعلى أساس هذا التقسيم يفسر ريبو الحالات المتضادة المتآنية ، فقد يفرح الإنسان ويغضب فى وقت واحد ، وهذا يدل على أن ناحيتين مختلفتين

فى الشخص تعملان فى وقت واحد ، وعلى أن كلا من النصفين الكرويين مستقل أحدهما عن الآخر استقلالا نسبيا يؤدى أحيانا إلى اثنينية تامة وبذلك ينتج ازدواج الشخصية ، بل قد تتثلث الشخصية كما روى عن أحد القسس الذى كان يرى كل شىء ثلاثة ، وكان يطلب عند جلوسه على المائدة ثلاثة أطباق وثلاث فوط وثلاث ملاعق لاعتقاده أنه ثلاثة أشخاص .

هذا التضارب فى الشخصية ليس تضاربا فى الهواء ، وإنما هو كما يقول الأستاذ لوس Lawes « أوضاع متتابعة للأنا » . ويذكر لنا وود ورث فى كتابه مثالا عن الدكتور مورتن برنس . فقد أحضر هذا الأخير فتاة وجعلها تنتقل من حالتها الطبيعية إلى الحالة الشاذة وذلك بطريقة تشبه طريقة التنويم المغناطيسى ، وأخبرها أثناء نومها أنها مكلفة بحل مسائل حسابية معينة ولم يرها الأعداد الحقيقية فى الجواب ؛ ولما رجعت إلى حالتها الأولى أراها الأعداد لمدة وجيزة من الزمن ثم نومها مرة ثانية وسألها عن الأجوبة ، فقالت : إن الأجوبة كانت حاضرة لديها وكانت تنتظر إعلانها بفروغ صبر ، ثم أجابت إجابة صحيحة ... وهذا مثال يذكره مورتن لمن يشك فى وجود شخصية ثانية .

ونحب أن نذكر أخيرا أن ريبو لم يجب على السؤال الآتى : هل توجد حالتان شعوريتان فى وقت واحد ، أم أنهما تتتابعان سريعا فتظهران متآنيتين ؟ فقد تركه ريبو للبحث والتفكير

(٣) والذاكرة لها صلة وثيقة بموضوع الشخصية فالشخصية ليست ظاهرة ولكنها تطور ، حدث وقتى ؛ هى تاريخ حاضر وماض . والذاكرة التى تهمنا هنا ليست الذاكرة العقلية أى الإحساسات والتصورات والمعارف المخزونة فينا ، فكل هذا يمكن اختفاؤه جزئياً أو كليا تبعا لأمراض الذاكرة ؛ بل المهم هى الذاكرة الذاتية أى ذاكرة حياتنا الفيزيولوجية والإحساسات والمشاعر التى ترافقها . فهل توجد مثل هذه الذاكرة ؟ الواقع أن كل شىء يتغير ، فنحن عندما نرى شيئا لأول مرة ثم نراه مرة ثانية فإننا لا نحس نفس الإحساسات التى أحسسنا بها فى المرة الأولى ، وهذا التغير يتقابل فى ثلاث صور هامة تختص بالذاكرة : فقد تظل الشخصية الجديدة وحدها بعد فترة تحول قصيرة أو طويلة وقد تفنى الأولى وإن كان هذا نادرا إذ لابد من بقاء آثار لها . تبقى الذاكرة العضوية القديمة على الرغم من التحول العضوى الجديد ، وتظهر من وقت إلى آخر فى الشعور كما تظهر ذكريات الطفولة التى لم يثرها التكرار . أما فى حالات التغير فإن لكل ذاكرة حالات عضوية وأنهما يتناوبان

الظهور ... وهذه الحالات تجعلنا نتساءل عما إذا كان من الممكن وجود ذاكرتين إحداهما سليمة والأخرى مريضة ، وبذلك يصبح عندنا حالتان متميزتان للتكوين العضوى ؟

٤ — بقى أن ننظر فى هذا العامل الجديد أثناء عمله ونبين ما ينتجه بنفسه وبمفرده . فهناك حالات يضطرب فيها التكوين العضوى والعاطفى والحسى ، فيرى المريض فى حالة غير حالته الطبيعية ، ويشعر شعوراً مختلفاً ويبدى آراء تخالف آراءه ، وهو فى حالته الطبيعية الأولى ، ويقوم بأعمال غريبة آلية قد تعد فوق الطاقة البشرية العادية تحت سيطرة العقل الباطن ، وقد يفكر فى أشياء لا وجود لها مطلقاً ، وقد يتكلم فى أمور بعيدة عن العقل والمنطق ، وقد يعتقد أن له جسمين ينامان فى سريرين مختلفين ؛ وفى حالة الذهول والنوبة العصبية يشعر بعض المرضى أحياناً بفقد أسنانهم أو فقد أمعائهم وما إلى ذلك من أعضاء . وأوضح مثل للتحول هو اعتقاد الرجل بأنه تحول إلى امرأة واعتقاد المرأة أنها تحولت إلى رجل دون أن يكون هناك حالات جنسية تؤيد هذا التحول . وفى بعض حالات الانجذاب لا تمحى العناصر العضوية والعاطفية والعقلية للشخصية الحقيقية بل تكون فى حالة كمون أى موجودة بالقوة ، فلو حدث ما يخرجها إلى الوجود الفعلى عادت الشخصية السليمة . وهناك حالات اختفاء الشخصية حيث يشعر بعض المتصوفة أنهم فى حالة فناء تام .

سعيد زايد

على لسان إبليس

قال إبليس :

إن ابن آدم الترابى أضحى شعلة من نار ! ضعيف الروح ، سمين البدن ، جميل اللباس . قلبه بحال النزع ، وعقله ناضج ومحتال !

إن ما قضت شريعة المشرق بأنه رجس ، أفتى فقهاء المغرب بطهارته !

ألا تعلم أن حور الجنة قد باتت حزينة لخراب فردوسها ؟

إن أرباب السياسة اليوم هم (أبالسة) الأمم ، فلم يعد لبقائى من ضرورة تحت السماوات .

محمد إقبال

طرائف لغوية وأدبية :

نظرة في شاهد

قال الشاعر :

سرينا ونجم قد أضاء فمذ بدا محياك أخفى ضوؤه كل شارق

يستشهد النحويون بهذا البيت على جواز وقوع النكرة مبتدأ إذا وقعت بعد واو الحال . فقد وقعت كلمة « نجم » بعد واو الحال فساغ الابتداء بها . قال الشيخ الخضرى فى حاشيته على ابن عقيل : ليس ضرورياً أن تقع النكرة بعد واو الحال ، ولكن المسوغ للابتداء بها وقوعها فى أول الجملة الحالية ، سواء كانت الواو سابقة عليها أو كانت الجملة خالية من الواو مربوطة برابط آخر كما فى قول الشاعر :

تركت ضأنى تود الذئب راعيها وأنها لا ترانى آخر الأبد
الذئب يطرقها فى الدهر واحدة وكل يوم ترانى مدية بيدى

فمدية مبتدأ سوغ الابتداء بها وقوعها فى أول الجملة الحالية التى هى « مدية بيدى » ولم تربط بالواو وإنما ربطت بالضمير الذى هو الياء فى « يدى » العائدة على صاحب الحال الذى هو الياء فى « ترانى » .

غير أن سؤالا يتردد فى النفس ، ما الذى يسوغ الابتداء بالنكرة الواقعة فى أول الجملة الحالية ؟ مع أن السبب العام لتسويغ الابتداء بالنكرة أن تكون مفيدة حتى تضارع المعرفة فى إفادة معنى خاص يصح الحكم عليه بالخبر ، وأى معنى خاص أفادته النكرة بوقوعها فى أول الجملة الحالية ؟

وجواباً على ذلك أقول : إن كون جملة الحال قيداً فيما قبلها أى فى عاملها وهو متقدم عليها فى الغالب يقلل شياع النكرة حتى يجعلها خاصة هى وخبرها بصاحب الحال فتحصل الفائدة المرجوة ، ففى قوله « ونجم قد أضاء » ليس النجم عاما عموماً مطلقاً وإنما هو النجم الخاص الذى أضاء وقت سرى الشاعر وصحبه ، وفى قوله « مدية بيدى » ليست المدية عامة

عموما مطلقا وإنما هى المدية الخاصة بالشاعر التى تراها غنمه كل يوم فى يده . فلذلك كانت النكرة هنا كالمعرفة ، ومثلها كل نكرة وقعت فى أول الجملة الحالية . وفهم خصوصية النكرة فى كل جملة على حدة ليس بالأمر العسير .

ثم إن لى بعد ذلك ملحوظات على شراح الشواهد والمعربين فى شرحهم لهذا الشاهد وإعرابهم له :

أولا : فسروا كلمة « نجم » على أنها مطلقة على المفرد ، ولكن الذى يقرأ البيت بإمعان يظهر له أنها مطلقة على عدد من النجوم كثير ، بدليل قول الشاعر « أخفى ضوؤه كل شارق » فهو يقول : سرنا ليلا وقد أضاءت نجوم كثيرة فى السماء ، فلما أشرق وجه حبيبه أخفى ضوؤه ضوء كل نجم طالع ، واستعمال النجم فى النجوم ليس غريبا على اللغة العربية ، فقد ورد فى القرآن الكريم استعمال النجم فى النجوم ، قال تعالى فى سورة النحل « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ، وعلامات وبالنجم هم يهتدون » أى يهتدون بالنجوم ليلا إلى الطرق والقبلة والوقت ، ولم يكن العرب يهتدون بنجم واحد وإنما كانوا يهتدون بنجوم كثيرة معروفة الأسماء والمواقع بعضها شرقى وبعضها غربى وشمالى وجنوبى ، يضاف إلى ذلك أن الشاعر يريد تشبيه محبوبته بالشمس ، والشمس يختفى عند ظهورها جميع النجوم .

ثانيا : قال الشيخ عوض الجرجاوى فى شرحه لهذا الشاهد : إن الفاء فى قوله « فمذبدا » زائدة لتحسين اللفظ . وهذا قول غير مستساغ لأن معنى العطف فيها ظاهر ، وهى فى الواقع ليست داخلة على « مذ » وإنما هى داخلة على « أخفى » ، والتقدير : سرينا وقد أضاءت نجوم فأخفى ضوء محياك مذبدا كل شارق . فقد عطفت الفاء جملة « أخفى ضوؤه » على جملة « سرينا » وتخريج الحرف على التأسيس أولى من تخريجه على الزيادة .

ثالثاً : أعرب بعض الشراح كلمة « مذ » مبتدأ ولم يذكر خبره ، وربما يفهم أن خبره جملة « بدا محياك » وليس الأمر كذلك لأن «مذ» إذا وقع بعدها مرفوع أو جملة اسمية فكل منهما خبرها ، أما إذا وليها جملة فعلية فخبرها حينئذ اسم زمان مضاف إلى الجملة الفعلية ، فالتقدير فى قوله « مذبدا محياك » مذ وقت أو زمان بدا محياك برفع وقت وزمان على أنهما خبر « مذ » وهما مضافان إلى الجملة بعدهما . هذا من ناحية عدم التنبيه على الخبر ، وأما من ناحية

إعراب « مذ » مبتدأ قبل الجملة الفعلية فهو ضعيف ، والقول المشهور أنها ظرف زمان مضاف الى الجملة بعده ، والتقدير : فأخفى ضوء محياك مذ بدا ضوء كل شارق ، فالعامل فى « مذ » الفعل « أخفى » لأن الإخفاء واقع فى وقت ظهور وجه المحبوب ، والظرف ينصب بالواقع فيه .

رابعاً : فهم بعض الشراح من قول ابن مالك :

ومذ ومنذ اسمان حيث رفعا   أو أوليا الفعل كجئت مذدعا

أن مذ ومنذ إذا وقعت بعدهما جملة فعلية فهما ظرفان لا غير ، ولكن الواقع أنه يجوز كونهما مبتدأين خبرهما زمان مضاف إلى الجملة الفعلية كما سبق ذلك فى الملحوظة السابقة .

خامساً : قال بعض الشراح : ويجوز أن يكون مثل بيت الشاهد قول الشاعر :

عندى اصطبار وشكوى عند فاتنتى   فهل بأعجب من هذا امرؤ سمعا

فإن الواو فى قوله « وشكوى عند فاتنتى » يجوز أن تكون واو الحال وشكوى مبتدأ وهو نكرة وعند ظرف متعلق بمحذوف خبر المبتدأ ، فإذا أعربناه على هذا الوجه كان مثل بيت الشاهد تماما .

وأقول : أعرب الشراح هذا البيت على وجهين ، أحدهما أن الواو عاطفة لا حالية والتقدير : عندى اصطبار ولى شكوى عند فاتنتى فتكون شكوى مبتدأ مؤخرا وسوغ الابتداء بها تقدم الخبر عليها أو وصفها بالظرف بعدها ، والوجه الثانى أن الواو للحال وشكوى مبتدأ نكرة سوغ الابتداء به وقوعه فى أول جملة الحال .

ولكن هناك وجه ثالث لم يتنبه له الشراح : ذلك أن الياء فى « شكوى » ليست هى الألف المقصورة المكتوبة ياءً ، وإنما هى ياء المتكلم والواو قبلها مكسورة ، والشكوُ بوزن شمس معناه العلة والمرض فيكون المعنى عندى اصطبار وعلتى عند فاتنتى وتكون الواو للحال والمبتدأ معرفة لأنه مضاف إلى ياء المتكلم ، أو تكون الواو للعطف ، كأنه يقول : عندى اصطبار وعلتى عند فاتنتى فهل سمع أحد بأمر أعجب من ذلك . ويكون هذا الوجه أقوى إعرابا من الوجهين السابقين لأن المبتدأ فيه معرفة وفيهما نكرة والأصل فى المبتدأ أن يكون معرفة فإذا جاء نكرة احتاج إلى مسوغ وما كان على الأصل ولا يحتاج إلى مسوغ أولى من غير الأصل المحتاج إلى المسوغ ، والمعنى عليه أحسن وأجمل ؟

طه الزينى
أستاذية فى النحو والصرف

مشاكل العالم الإسلامى هل تحلها المؤتمرات ؟

يحث الإسلام فى صميم دعوته ، ولب رسالته ، على العزة والكرامة والقوة ، ويدعو المسلمين دائماً أن يكونوا أعزة على أعدائهم ، أقوياء فى نفوسهم لا يستسلمون لضعف ، ولا يخضعون لهوان وذلة . تحل بهم النعمة فلا يطغيهم بريقها ، ولا يبطرهم رونقها ؛ بل يحترسون منها أشد من احتراسهم من النقمة . وتطوف بهم الشدائد ، وتنزل بساحتهم المحن فلا تنال منهم ، ولا يستقر لديهم أثرها إلا بمقدار ما يقتبسون منها العبرة الحسنة ، والموعظة البالغة ، ذلك أن عدتهم فى الملمات ، وسلاحهم فى الأحداث هو كما رسمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله : « إنى لا أعد للحادث الذى يحدث سوى طاعة الله ورسوله ، وهى عدتنا التى بلغنا بها ما بلغنا » ، وبهذا كان المسلمون أقوى الناس حين كان المسلم يستشعر سلطان ربه على نفسه ، ورقابته على أفعاله وتصرفاته ، لا تستهويه شهوة ، ولا تفتنه لذة ، ولا يظهر للناس بمسوح الرهبان ، وأردية العباد ، وبين جنبيه ذئاب عاوية ، وكلاب نابحة ، لا تعيش إلا فى ظلال الإثم ، وتحت جنح المعصية .

كان للمسلم ظاهر يشوق الأنظار ، ويستهوى الأنفس ، وباطن طاهر نظيف يحمده من يطلع عليه ، ويلمس أثره ، وكلاهما يستويان فى الصدق والصراحة والنجدة والفناء فى الجماعة ـ قد يختلف الأخ مع أخيه فى الرأى ، أو يفترق فى الوجهة ، ولكنهم كانوا يقابلون العدو صفاً مرصوصاً ، لا ثغرة فيه ، ولا ضعف يعتريه ـ كانوا يؤمنون إيماناً صادقاً أن ما وهبهم الله من عزة بالدين ، وقوة فى اليقين ، هو شارة المجد ، ودليل السيادة ، وأنهم بذلك خلفاء فى الأرض ، ينشرون الفضيلة ، ويمكنون للعدالة ، ويرفعون لواء الأمن والاستقرار ، وبهذه العقيدة القوية التى خامرت القلوب ، وسكنت فى أعماق النفوس ، وبهذا الإيمان الراسخ استطاع أفراد قلائل أن يثبوا على ملك كسرى ودولة قيصر صائحين بدعوة الحق والعدل ، مرددين من أعماقهم شعار الإسلام وكلمته « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

ووقف التاريخ يسجل فى دهشة ، والعالم يرنو فى إعجاب ، والمشفقون يتطلعون إلى الفاتحين ،

وقد وضعوا أيديهم على جنات وعيون ، وزروع وكنوز ومقام كريم . ولكن الدنيا كانت لا تزن فى نفوس هؤلاء المؤمنين جناح بعوضة ، والشيطان كان أضعف من أن يفتنهم بأعراض زائلة جعلوها تحت أقدامهم ، حتى لقد بكى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أتى إليه بتاج كسرى وعليه من الجواهر واليواقيت ما لم تقع عليه عين عربى قط ، وقال : « اللهم إنك قد منعت هذا نبيك ورسولك ، وكان أحب إليك منى وأكرم ، ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك منى وأكرم ؛ فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بى » وما زال يبكى حتى رحمه من حوله .

تلك حال المسلمين الأولين الصالحين الذين فتحوا الدنيا ، وعمروا الأرض ، وأقاموا ميزان العدل ، وجعلوا الناس كما أمر الله سواسية كأسنان المشط .

ثم دالت على المسلمين أحداث ؛ وتعاورتهم خطوب أضعفت نفوسهم ، وأرخت صلاتهم بربهم ، وجلبت القسوة والنسيان إلى قلوبهم ؛ فاغتروا بما تهيأ لهم من زهرة الدنيا وزينتها واستسلموا للشهوات الطاغية ، وخضعوا للأهواء القاتلة ، وعكف كل على هواه ، وانطوى على رغباته لا يعنيه سوى أن يأكل ويتمتع ، ويحطب من كل ناحية ويجمع ، وإن قتل أخوه جوعا ، وقضى جاره مخمصة ، ومن هنا طمع فيهم العدو ، وتمكن منهم الدخيل ؛ فاغتصب حقوقهم ، وامتص دماءهم ، واستلب أموالهم ، واحتل ديارهم ، وسلط جماعة على جماعة ، وأغرى فريقا بفريق .

ها هى ذى بلاد المسلمين ودولهم أصبحت نهبا للطامعين ولقمة سائغة للناهزين المستغلين ، كل بلد قذفت فيها الاستعمار ، وأنهك قواها العدوان ، ودب فيها دبيب الفرقة والشقاق ، وخدعها الغاصب بالأكاذيب والأضاليل ؛ حتى زعزع إيمان الناس ، وأضعف عقائدهم ، وجعل غايتهم المنفعة وهدفهم أن يعيشوا على موائد الطامعين .

كل دولة قد استغلت مرافقها ، واستبيحت أرضها وديارها ، وزروعها ومنتجاتها الأجنبى الذى يحاول دائما أن ينسيها مقوماتها ، ويقضى على تراثها ، ويهدم مقدساتها ، ويجعل أفرادها عبيدا يخرجون له من الأرض ذهبا ، ويجعلون له فى الهواء سببا ، ورضى المسلمون بهذا ، وأقاموا آمادا لا تمر بهم السنون والأعوام إلا لتزيدهم بلادة وانتكاسا ، وظلمة على القلوب وقسوة فى النفوس .

ولكن شعاعا من الإيمان كان يضىء لهم بين حين وآخر وصوتا مجلجلا من أعماق التاريخ

كان يهتف بهم أحيانا ، ليوقظهم من غفلتهم ، ويحركهم من ركودهم ، فكان يثور الثائرون ويتمرد المتمردون محاولين القضاء على ما أصابهم من بغى أو لحقهم من ضيم ، ولكنهم لا يلبثون أن يلقوا أشد أنواع العذاب وأقسى ضروب النكال ، وتنتهى حياتهم بالسجن أو التشريد والموت الذى لا رحمة فيه .

قد يرضى الراضون طمعا فى غنم آثم ومكسب حرام ، وقد يتملق المتملقون فيكسوهم العدو الحرير ، ويجعل تراب الأرض من تحتهم تبرا ، ولكن ذلك ليس حبا فيهم ، ولا إيثارا لهم ، بل ليفتن المؤمنين ويزعزع عقائد المجاهدين حتى لقد بلغ الأمر أن رأينا بعض ضعاف الإيمان صغار النفوس يحملون سلاحهم على إخوانهم تأييدا للاستعمار ، وتثبيتا لأقدامه . أليس هذا من الفساد الذى يدمى القلوب ويفتت الأكباد ؟ أليس هذا من تحلل العقيدة ، وفساد الضمائر ؟

لقد شرب المسلمون المر من خصومهم ، وهم أشداء قساة القلوب غلاظ الأكباد ، ولو أتيح لى أن أنشر بعض ما أعرف من الوسائل البربرية ، والطرائق الهمجية التى يعذب بها المسلمون ، ويفتنون عن دينهم ، ويحاربون فى عقائدهم ومشاعرهم ، ويكرهون على نسيان مقوماتهم ومقدساتهم ، وحتى أسمائهم — لو أتيح لنا هذا لعرف الناس ما ينزل بإخوانهم من ألوان الفجائع التى تقشعر منها الأبدان ، وتشيب لهولها الولدان .

ونحن نخدع أشد الخديعة حين نفهم أن لونا من ألوان الاستعمار أخف من لون ، أو أن عدوا أهون من عدو ، أو بعض هذه الدول المعتدية المستغلة أكثر رفقا وأشد عطفا على المسلمين من بعضها الآخر . كلا إن الغاية واحدة هى القضاء على الإسلام حتى يعبد الشيطان فى الأرض من دون الله ، والهدف واحد هو كسر هذه الشوكة التى تخز جنوبهم ، وتفت فى أعضادهم وإن تعددت الوسائل وتنوعت الأسباب .

ها هم أولاء المسلمون فى إفريقيا شمالها وجنوبها وشرقيها وغربيها ، وفى آسيا وأوربا ، يتسلط عليهم أعداء لا يرقبون فيهم ضميرا ، ولا يرعون أقل واجبات الإنسانية ؛ فإذا أقيمت بعيدا عنا أستار حديدية تحجب صيحة الصائحين ، وآهة المتأوهين فقريب منا ألوان بشعة من الفتنة والاضطهاد يستمع إليها الضمير العالمى دون أن يستخذى وأن يخجل ، ومن غير أن يحس بعاطفة رحمة ، أو خالجة إنسانية .

ماذا صنع المسلمون للذود عن حماهم ، والدفاع عن ديارهم وأنفسهم ؟ ماذا قدموا من جهاد وتضحيات ؟ ماذا بذلوا من أرواح وأموال ؟ أى خطوة إيجابية رمقتها العيون أو سمعت بها

الآذان ؟ نسمع كل آن بمحاولات للعلاج فى شكل مؤتمرات تعقد ، وتكثر وتتعدد ، ويخف المؤتمرون ويتسابق المتسابقون إلى حضور المؤتمرات ، وتنميق الخطب ، وتدبيج البيانات ، ويحاول كل خطيب أن يكون جهير الصوت ، رائع العبارة ، واضح الإشارة ، بليغ الاسلوب ، رابط الجأش ، يهز المنبر بما يستطيع من نصاعة الحجة ، وقوة الدليل ، وحسن سوق الفكرة ، وتضيع الأهداف الحقة وتبدد الأغراض المشتركة فى زحمة الإعجاب بالبلاغة والإنصات للسحر البيانى ينساب من أفواه الخطباء . وتحفل الموائد بالأطعمة التى تسابق الخطابة فى الإتقان والجودة ، ثم ينفض المؤتمرون وقد سطروا على الصحائف بضعة قرارات لا يلبث الزمن أن يطمس آثارها ، ويمحو معالمها فلا يبقى فى النفوس منها شىء .

لقد عقدت مؤتمرات كثيرة ، وسجلت محاضرها ومناقشاتها آراء واقتراحات تمخضت عنها عقول ، وتفتقت بها دراسات . فماذا بقى لنا منها بعد ذلك ؟ أى فكرة تحققت ، وأى ثمرة قطفت؟ ماذا كسب المسلمون المشتتون داخل صفوف الأعـــداء وهم يرقبون الفرج وينتظرون ساعة الخلاص ؟ لقد أوشك صبرهم أن ينفد وكاد أملهم أن يتبدد ، والناس لا يزالون فى حمى المؤتمرات تائهين .

أنا لا أحارب هذه المؤتمرات ، ولا أكره انعقادها ؛ بل أدعو إليها وأحبذها ؛ ولكنى أريد أن نؤمن بما نتخذه من قرارات ، وأن ننفذ ما نتفق عليه من آراء ، وأن نكافح ونجاهد فى سبيل ما نعتقد من رأى ، وما ندين به من فكرة ؛ أما أن نقول وننسى ، ونخطب ثم تذهب الخطب أدراج الرياح فذلك مالا يتفق وما نشكوه من داء ، أو يساورنا من أمراض . يجب أن نحاسب أنفسنا فى كل مؤتمر عما نفذناه من قرارات المؤتمر الماضى ، ليعرف الجميع أننا نسير إلى هدف ونتجه إلى غاية .

وبعد - فهل لى أن أتوجه إلى السادة المجاهدين الذين تملأ الغيرة قلوبهم ويسكن الإخلاص نفوسهم برجاء أن تتكون فى عواصم البلاد الإسلامية جمعيات قوية لإعداد المكافحين من كل لون وجنسية وتسليحهم بالأخلاق والعزائم والإيمان بالأهداف حتى إذا تم تدريبهم وآمنوا برسالة الإسلام فى أبعد غاياتها انطلقوا فورا إلى بلادهم ، يوقظون النائم ، وينبهون الغافل ، ويحملون راية الجهاد حتى يرتفع لواء الإسلام ، وتعلو كلمة الله . وإن لنا لعودة إن شاء الله إلى بيان الوسائل التى ينهض بها المسلمون والله المستعان .

عبد الحميد محمود المسلوت
المدرس فى كلية اللغة العربية

ديوان مجد الإسلام

من بدائع الشاعر الإسلامي الكبير أحمد محرم رحمه الله

بتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

الرماة

لما قُتِل أصحاب لواء المشركين واحداً بعد واحد انهزموا وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح ، وينتهبون الغنائم ، فألقى نساؤهم الدفوف ، وذهبن إلى الجبل صارخات مولولات ، ففارق الرماة أماكنهم ، ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير رضى الله عنه ، فتركوه وانطلقوا يبتدرون الغنائم إلا فريقاً منهم دون العشرة ثبتوا معه فى أماكنهم . ونظر خالد بن الوليد إلى قلة من بقى فى الجبل من الرماة فكر بالخيل ومعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على هذه البقية فقتلوها ، ومثلوا بأميرها ، وخرجت أحشاؤه لكثرة ما طعن بالرماح :

أئن تولت جنود الشرك مدبرة ... خف الرماة وظنوا الأمر قد وجبا ؟
كأنهم والرعان الشم [1] تقذفهم ... سيل تدفق فى شؤبوبه صببا
يخالهم من يراهم ساعة انطلقوا ... سهامهم حين جاش البأس فالتهبا
ردوا على (ابن جبير) رأيه ومضوا ... إلا فريقاً رأى ما لم يروا فأبى
أصابها (خالد) منهم (وعكرمة) ... أمنية لم تصب من ذى هوى سبباً
فاستنفرا الخيل والأبطال وانطلقا ... فى هبوة تزدهى الأرماح والقضبا

---

(١) الرعان : أنوف الجبال ، والجبال بجملتها ، والشم الطوال .

هم خلفوا رمم القتلى مطرحة — وغادروا الجند جند الله والسلبا
طاروا إلى جبل راس على جبل — ما اهتز مذقام من ضعف ولا اضطربا
قال (الرسول) فأعطاه مقالته — وما سوى نفسه أعطى ولا وهبا
توزعوه ، فلو أبصرت مصرعه — أبصرت فى الله منه منظراً عجبا
طعن وضرب يعاف البأس عندهما — سلاح من طعن الأبطال أو ضربا
سلوا حشاه فظلت من أسنتهم — تموج فى الدم يجرى حولها سربا
تتابع القتل يجتاح الألى معـــه — لولا المناقب لم يترك لهم عقبا
تلك الدماء التى سالت على (أحد) — لو أنبت الدم شيئاً أنبتت ذهباً
ظلمتها ما لشىء مثـــل رتبتها — وإن تخطى المدى ، أو جاوز الرتبا
لم يبق سهم ولا رام يسدده — تغيب الوابل الهطال واحتجبا
وكرت الخيل تردى (١) فى فوارسها — بعد الفرار فأمسى الأمر قد حزبا (٢)
المسلمون حيارى ، كيف يأخذهم — بأس العدو ، أما ردوه فانقلبا ؟ (٣)
حلوا الصفوف وجالوا فى مغانمهم — ما ظن عسكرهم شرا ولا حسبا
تنكرت صور الهيجاء واتخذت — من الأعاجيب أثوابا لهـا قشبا
خرساء صماء ، تعمى عن معالمها — عين البصير ، وتعمى الحاذق الدربا

---

(١) ردت الفرس : رجمت الأرض بحوافرها .

(٢) حزب الأمر : اشتد ، وهو يتعدى فيقال حزبه الأمر .

(٣) أحاط المشركون بالمسلمين وقد شغلوا بالنهب والأسر ووضعوا السيوف فيهم فتفرقوا فى كل وجه ، وانتقضت صفوفهم ، فاختلطوا وصار يضرب بعضهم بعضا وهم لا يعلمون ، وقيل إن مناديا منهم قال : ياعباد الله أخرا كم ، يريد احترزوا من جهة أخرا كم فعطفوا على أخراهم يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون ، وذهبت طائفة منهم إلى المدينة فأقامت ثلاثة أيام ثم رجعت فأنزل الله تعالى . « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم » .

وثبت النبى صلى الله عليه وسلم لما تفرق أصحابه وصار يقول . (إلى يا فلان ، إلى يافلان ، أنا رسول الله ، والنبل يأتيه من كل ناحية ، والله يصرفه عنه ، وثبت معه جماعة من أصحابه ، واستمر أبوطلحة بين يديه - وكان راميا مجيدا - ينثر كنانته ويقول : نفسى لنفسك الفداء ، ووجهى لوجهك الوقاء وما زال صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه الكتوم (التى لا يسمع لهـا صوت) حتى صارت شظايا .

مغبرة الجو ما زال الخفاء بها حتى تقنع فيها الموت وانتقبا
ترى الليوث وإن كانوا ذوى رحم لا يتقى بعضهم بعضا إذا وثبا
يعدو على مهجة الضرغام صاحبه ولا يجاوزه إن ظفره نشبا
هذا البلاء لقوم مال غافلهم عن رأى (سيدهم) إذ يحكم الأربا[1]
قال : اثبتوا فتولوا ما عصى أحد منهم ، ولكن قضاء واقع غلبا
أمر من الله مرجو عواقبه يقضيه تبصرة للقوم أو أدبا
إن (النبي) ليمضى الأمر فى وضح من حكمة الله يجلو نوره الريبا
مسدد الرأى ، ما تهفو الظنون به الخير ما اختار ، والمكروه ما اجتنبا
للسلم والحرب منه حازم يقظ يعيى الدهاة ويردى الجحفل اللجبا
إن الذى زين الدنيا بطلعته حابى[2] العروبة فيه واصطفى العربا

* * *

زيادة بن عمارة

رضى الله عنـــه

كان من أعظم أبطال هذه الغزوة ، ثبت بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم يتاقى السهام دونه ، ويدافع القوم عنه ، حتى أثقلته الجراح فسقط ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال : أدنوه منى ، فأفرشه قدمه الشريفة ، فمات وخده عليها : —

* * *

أكان يزيد بأسك إذ تصاب ؟ (زيادة) ذلك العجب العجاب
تكاثرت الجراح وأنت صلب يهابك فى الوغى من لا يهاب
قوى تنصب ممعنة حشاشا وللدم فى مواقعها انصباب
ترد الهنــدوانيات ظمــأى يخادعها عن الرى الشراب

(١) جمع أربة وهى العقدة التى لا تنحل حتى تحل .

(٢) حاباه نصره واختصه ومال إليه .

تريد (محمداً) والله واق فترجع ، وهى محنقة غضاب
(زيادة) دونه سور عليه من النفر الألى احتضنوه باب
وما (بمحمد) خوف المنايا ولا فى سيفه خلق يعاب
ولكن جل منزلة وقدراً فبر رجاله ، ووفى الصحاب
هوى البطل المغامر واضمحلت قواه ، وخارت الهمم الصلاب
فتى صدقت مشاهدة فظلت تعاوره القواضب والحراب
وهى منه الأديم ، فلا أديم وأعوزه الإهاب فلا إهاب
تمزقت الصحائف من كتاب طواه فى صحائفه (الكتاب) (١)
تلقاه برحمته وروت غليل جراحه (السور) العذاب
أيادى الله يجعلها ثوابا لكل مجاهد ، نعم الثواب
أهاب (محمد) : أدنوه منى ، فذلك صاحبى المحض اللباب
على قدمى ضعوا لليث رأسا أحاذر أن يعفره التراب
ففاضت نفسه نوراً عليها وماج الجو ، وامتد العباب
عباب تنطوى الآفاق فيه ويغرق فى جوانبه السحاب
مضى صعدا عليه من الدرارى ومن بركات خالقه حباب (٢)
تلقته الملائك بالتحايا منضرة تحب وتستطاب
وزخرفت الجنان ، وقيل هذا مآبك — إنه نعم المآب

مصعب بن عمير رضى الله عنه

قاتل مصعب بن عمير رضى الله عنه قتالا شديداً فى هذه الغزوة ، وصنع الأعاجيب بين يدى رسول الله ﷺ ، يدافع عنه ويقيه بنفسه ، ولما قطعت يده اليمنى فسقط اللواء وهو يجاهد المشركين ، أخذه بيده اليسرى وبقى يعمل بين يدى الله ورسوله ، فلما قطعت يده اليسرى وسقط اللواء ، جثا عليه ، وضمه بعضديه إلى صدره ، ثم دأب على القتال حتى قتله

---

(١) القرآن الكريم .

(٢) حباب الماء : معظمه أو طرائقه ، أو فقاقيعه التى تطفو عليه .

عبد الله بن قمئة يظنه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع إلى المشركين يقول : قتلت محمداً ، وذلك بعد أن أقبل على المسلمين وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجا ، وفي رواية أن قاتل مصعب هو أبي بن خلف : —

* * *

هو مرتمى الأبطال ، مالك دونه متزحزح ، فاصبر له يا (مصعب)
ولقد صبرت تخوض من أهواله ما لا يخوضُ الفارس المتلبب [1]
ترمى بنفسك دون نفس (محمد) وتقيه من بأس العدى ما ترهبُ
تبغي الفداء ، وتلك سنة من يرى أن الفداء هو الذمام الأوجبُ
دعْ من يعض على الحياة ، فإنه غاوٍ يضلل ، أو دعى يكذب
ما اختار نصرة دينه أو رأيه من لا يرى أن الفداء المذهب
ما هذه المثل التي لا تنتهي ؟ هذا هو المثل الأبر الأطيب
طاح الجهاد به شهيداً صادقاً أو في بعهد إلهه يتقرب
إيمان حر ما يبالي كلما ركب العظائم أن يهول المركب
يرسو وأهوال الوقائع عصف تذرو الفوارس ، والمنايا وثب
إن يضربوه ففارس ذو نجدة ما انفك يطعن في النحور ويضرب
كم هارب يخشى بوادر بأسه ويخاف منه مشيّعاً ما يهرب
الموت في وثباته يجرى دماً والموت في نظراته يتلهب
سقطت يداه وما يزال لواؤه في صدره ، يحنو عليه ويحدب
لو يستطيع لمدَّ من أهدابه سبباً يشد به إليه ويجذب
يمناه أم يسراه أعظم حرمةً أم ساعداه وصدره والمنكب ؟
جاري منيته فكل يرتمى في شأنه جللا ، وكل يدأب
حتى دعاه الله يرحم نفسه فأجاب يلتمس القرار ويطلب
إن كان ذلك من أعاجيب الوغى فالبخل بالدم في المحارم أعجب
إن امرءاً كره الجهاد ، فلم يفز بالموت في غمراته لخيب

---

(١) تلبب الرجل للحرب . تحزم وتشمر .

كلمتان عن كتابين

١ – كتاب (المضنون به على غير أهله)

مكذوب على حجة الإسلام الغزالى

اطلعت على عدد صفر لمجلة الأزهر فرأيت مقالا لفضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى وقد تعرض فى هذا المقال لكتب الغزالى وخص بالذكر كتاباً فى الأصول ، وود لو طبع لينتفع به الجمهور . والأستاذ صاحب المقالة فى غنى عن التقريظ والإشادة ، فهو يقرظ نفسه بأدبه وعلمه ، بيد أننا رأينا فى غضون هذا المقال ذكر كتاب (المضنون به على غير أهله) ونسبه للغزالى ، وليس الأستاذ وحده هو الذى ذكر هذا بل كثير من المؤرخين ينسبونه إليه ، ولكن رأينا فى شرح الإحياء للسيد مرتضى الزبيدى الجزء الأول صفحة ٤٤ ما نصه : اعلم أنه قد عزى إلى الشيخ كتب ، منها (المضنون به على غير أهله) ، قال ابن السبكى : ذكر ابن الصلاح أنه منسوب إليه وقال : معاذ الله أن يكون له . وبين سبب كونه مختلقاً عليه ، والأمر كما قال . وقد اشتمل هذا الكتاب المكذوب على الغزالى على التصريح بقدم العالم ، ونفى علم القديم بالجزئيات ، وكل واحد من هذا يكفر الغزالى قائله هو وأهل السنة أجمعون ، فكيف يتصور أنه يقول ذلك ، وفى المسامرة لمحي الدين بن عربى أن هذا الكتاب من تأليف على بن خليل السبتى . وكذا صرح صاحب تحفة الإرشاد بأنه موضوع عليه . وقد صنف أبو بكر محمد بن عبد الله المالقى كتاباً فى رده وتوفى سنة ٧٥٠ هـ . وكذا النفخ والتسوية منسوب إليه . وقد نسب إليه أيضاً قصيدة :

قل لإخوان رأونى ميتاً ‏ ‏ ‏ ‏ أنا ذاك الميت والله أنا

وهى قصيدة طويلة . وقد ذكرها العلامة الشيخ يوسف الدجوى رحمه الله فى كتابه سبيل السعادة واغتبط بها وروى لها حكاية : أنه قبل موت الغزالى تطيب واغتسل ثم مات ، فوجد عند رأسه هذه القصيدة وساقها بتمامها فى الكتاب المذكور . وهذه القصيدة نبه عليها أيضاً الشيخ محي الدين بن عربى فى كتابه المسامرة ، ونص على أنها منسوبة للغزالى

وليست له وإنما هى لعلى بن خليل . ثم قال : وقد رأيته بسبتة ، فدل على أنه معاصر لابن عربى ، وابن عربى توفى سنة ٦٣٦ ﻫ أى بعد الغزالى ، فإن الغزالى توفى سنة ٥٠٥ ﻫ والقصيدة لو أمعن الناظر فيها لجزم بأنها ليست للغزالى ، فنسبتها إليه تشوه أمثاله وهو حجة الإسلام ، ولنا عودة فى تحقيق الغزالى القديم والغزالى الجديد ولمن له هذه الكتب الكثيرة .

٢ — عبقرية محمد

والأستاذ العقاد

رأينا فى صفحة ١٤٤ من هذا الكتاب حديثا وهو « امرؤ القيس حامل لواء الشعر وقائدهم إلى النار » ، واطمأن العقاد إلى أنه حديث ، وقد نبه عليه المحدثون بأنه غير صحيح ، فإن هذا الشاعر جاهلى من أهل الفترة ، وأهل الفترة ناجون ، ومبحث نجاة أهل الفترة أو عدم نجاتهم فيه نزاع طويل بين العلماء قديما ، فلو صح هذا الحديث لكان دليلا لمن قال بعدم نجاتهم ، والآية الكريمة صريحة فى نجاتهم وهى قوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وهذا هو المعول عليه عند أهل التحقيق من العلماء الأعلام الذين لهم القدح المعلى فى فهم الشريعة والاتساع فيها ، فجاء هــذا الحديث عرضا فى هذا الكتاب ولم ينتبه المؤلف إلى ما حوله من نزاع ملأ الصحف والكتب قديما ، وقد ألفنا كتابا سميناه المباحث المحررة فى نجاة أهل الفترة طبع منذ عشرين سنة . ولنا ملاحظة على المؤلف فى تسميته كتابه بعبقرية محمد سننشرها بعد ، فإنا لا نستسيغ هذا ، فإن العبقرى نسبة إلى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شىء عجيب ، فهذا أولى بأن ينسب إلى الزعماء والأبطال ، أما من تولى الله أمره وأدبه واصطفاه فليس فى أمره عجب ولا يطلق عليه بأنه عجيب ، فإنه إذا ظهر السبب بطل العجب ، وليس عجيبا أن يختاره الله للأمم والشعوب بل أمره أكبر من هذا ، فإنه وإن كان منا أى من أنفسنا — إلا أنه صار بتوجه الله إليه شيئا آخر .

وإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

فهذه النسبة — أى العبقرية — ينبغى إطلاقها على الزعماء والأبطال لترفع من قيمتهم والإعجاب بهم ، ولكن إنسانا كرمه الله بالرسالة والألقاب السامية لا ينبغى أن نصفه بوصف الرجال الذين نبغوا ، ولو اقتصر الأستاذ فى ذلك على النبى الكريم لتساهلنا ، ولكنه جاء

بعد وقال « عبقرية عمر » فسوى بين النبي ﷺ وعمر ، وما يدرينا فلعله يجيء بعد ويقول عبقرية الحاكم وقد جاء الأستاذ العقاد فى جريدة أخبار اليوم وعبر عن جيتى فقال اتجهت إلى عبقرية جيتى وتاريخ الأخبار ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٣ فقد سوى بين الشعراء والأنبياء ومن يعرف الذوق فى الأساليب والألقاب يسلم لنا نقدنا ، ومن ليس بدقيق يتساهل، والذوق شيء ليس فى الكتب ، فمن نازعنا فليتهم ذوقه ، والمسألة مسألة ذوق لا أكثر ولا أقل . وأنا شخصيا أمج هذه النسبة وأصفه كما وصفه ربه : النبي ، رسول الله ، خاتم الأنبياء . وقليل من الناس من يفرق بين أسلوب وأسلوب وفهم وفهم ، ففرق بين قولك لآخر : ليس ذمك الناس من عادتك ، وبين : ليس ذم الناس من عادتك ، فمن حرم الذوق أجازه . على أن هذا باب واسع أغلق مصراعاه لم يفتح منه شيء ولعلنا نتعرض بعد للكلام فى هذا الصدد .

ولقد ألف كارليل صاحب كتاب الأبطال وذكر النبي ﷺ فى ضمن الأبطال ، وهذا غربى لا يتوجه إليه ملام ، وقــد مدح النبي صلى الله عليه وسلم بمدائح عظيمة ، ووصفه بأوصاف جميلة وبأروع الأساليب ، ولكنه قد ضيع كل هذا بعبارة ما أسخفها وما أكذبها وسنوردها بعد لتتقى فالسم فى الدسم ، فمدح ليتوصل إلى غرس كلمة شيطانية تروج عند المسلمين الذين لم يتأسس دينهم على المعرفة واليقين بل هم مسلمون جغرافيا ؟

سيد على الطوبجى



- من أحب الحمد أحسن السيرة .
- الملل من كواذب الأخلاق .
- الاختيار دليل العقل .
- إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا .
- من أجدب انتجع .
- الهوى مفتاح السيئات .
- شرار الناس الذين يكرمون اتقاء شرهم .

من حديث الكتب :

خرافة الميتافيزيقا

كتاب للأديب الفاضل الدكتور زكى نجيب محمود - مدرس الفلسفة فى (جامعة القاهرة) بسط فيه آراء باحثى الغرب الواقعيين فى (الميتافيزيقيا) أوما يسمى ما وراء الطبيعة . وقد انتصب لنقده أحد أفاضل علماء الأزهر فى عددى صفر وربيع الأول سنة ١٣٧٣ من (مجلة الأزهر) فعرض لمسألة تافهة مما أنكر على المنطق ، وهى مسألة تقابل النفى والإثبات فى شىء واحد ورمز لها بـ (ق) و (لا ‍ ق) وجمع همته للرد على منكريها وذكر أنه يدافع بذلك عن تراث العقل البشرى ، ثم حمد نفسه وحمد المؤلف إذ أتاح له فرصة الرد على علماء الغرب ومناضلتهم . ولو علم الشيخ الفاضل الناقد أن فى المنطق خيالات فاسدة أقعدت المشتغلين به فلم يقدموا أى نفع للبشرية ولو إبرة خياطة - بله ما ازدهر على أيدى رافضى المنطق من صناعات البخار والكهرباء وتحليل مركبات المادة وتركيب بسائطها — لما وصفه بأنه تراث العقل البشرى . ولو علم الشيخ الفاضل أن علماء الإسلام بينوا فساده وإفساده للعقول وللغة وللدين ، وأخص منهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذى كتب الكتب وألف الرسائل فى تهافته وفساده وإفساده للعقول والأديان ، وظهر له فى عالم المطبوعات ردان أحدهما مطول طبع فى بمبى (الهند) بمطبعة آل شرف الدين ، والثانى مختصر طبع فى مصر ، وقد فصل القول فى بطلان قضاياه وخرج بنتيجة ذهبية فيه هى أن أكثره باطل فاسد والقليل منه صحيح يستغنى عنه الأذكياء ولا يفيد الأغبياء . وإنى أهيب بناقد كتاب (خرافة الميتافيزيقيا) أن يرجع إلى أحد الردين المذكورين أو كليهما — ولا تخلو منهما المكتبات العامة — فإذا سمح الشيخ الناقد وحفزته همته إلى مطالعتهما أو أحدهما فإننى أعتقد بأننا سنتفق رأيا فنجتمع لدفن رمم هذا العلم ، هـــذه الرمم المنتنة التى آذت البشرية أحقابا طويلة وأخرت جماعات عن ركب الحضارة والاختراع والعمل الصالح .

هذا وقد سمعت أن بوقا من أبواق الإلحاد وكاتبا يتظارف بالدعوة إلى ترك الدين فرح بهذا الكتاب وتمنى أن فى استطاعته شراء نسخ منه بعدد طلاب (كلية دار العلوم) ليوزعها

عليهم مجانا ، لظنه أنه يهاجم الأخلاق ويهدم أركانها . ونحن نسوق إلى هذا البوق ما يزيده غيظا ويحرق كبده ، هو أن الكتاب لا يمس الدين فى قليل ولا كثير ، والدين هو أساس الأخلاق — ولكن هذا الكتاب يهدم خيالات أفلاطون وأرسطو ومن قلدهما من متفلسفة العرب — من المجردات التى لا وجود لها إلا فى خيال من تخيلها . وأضرب لذلك أمثلة يتبين منها سلامة الدين وأصوله وأركانه — بينما تتقوض دعاوى من زعم أو تخيل أن فى الوجود مالا يمكن أن يحس أو يرى أو يلمس .

المثال الأول : الروح - أو النفس الناطقة - يقول عنها أفلاطون وأرسطو ومن قلدهما : إنها جوهر مجرد عن المادة لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا حيز لها ولا زمان ولا مكان ، ولا طول ولا عرض ، ولا ، ولا ، مما يحمل العقلاء جميعاً أن يقولوا إن ذلك شىء لا يعقل ولا يتصوره إلا المبرسمون . أما الدين فيقول عن الروح : إنها فى البدن صاحبها ، وإنها نفخت فيه ، وإنها تخرج من البدن حين النزع (فلولا إذا بلغت الحلقوم) ، (والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم) . وفى الحديث « لا تؤمن يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك التى بين جنبيك » و « إن أمسكت روحى فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

المثال الثانى : زعم فلاسفة اليونان أفلاطون وتلميذه أرسطو ومن قلدهما من بعدهما أن هناك مجردات مثل أفلاطو وعقول عشرة ونفوس فلكية تسعة وأنها مجردة عن المادة لا داخل العالم ولا خارجه ولا طول ولا عرض ، ولا تحس ولا ترى ولا تلمس ولا ولا . مما لا يمكن وصف المستحيل بأبلغ مما وصفوها به . وظن بعض المتفلسفة أنها المرادة بالملائكة عند أهل الأديان ، وشتان بين خرافة هذه المجردات وبين الملائكة عند أهل الأديان ، فالأولى أمر لا يعقله إلا متهوسو المتفلسفة ، وحق للواقعيين من بنى آدم أن يعدوا ذلك خرافة وتفاهة ولا معنى له . أما الملائكة عند المؤمنين بها من أهل الأديان فهم - كما جاء فى الكتب السماوية أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، وتمثل أحدهم وهو جبريل لمريم بشراً سويا ، وتمثل كثير بصورة أعرابى يسأل رسول الله ﷺ ويراه ويسمعه الصحابة ، وتمثل الملائكة ضيوفاً لإبراهيم حتى قدم لهم عجلا حنيذاً ، وتمثلوا للوط وقومه شباناً جميلى الصور ، ويصعدون إلى السماء وينزلون إلى الأرض - إلى آخر ما جاء فى وصفهم فى الكتب السماوية - فلا تنالهم خرافة الميتافيزيقيا بسوء ولا تعرض لهم فى قبيل ولا دبير .

المثال الثالث : خالق السموات والأرض رب العالمين ، يقول عنه المتفلسفة إنه علة العلل والعقل الأول وإنه واحد من كل وجه ، وإنه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا ولا . من السلوب التى تجعله هو والعدم سواء ، فلو قيل لهم صفوا العدم أو المستحيل لما وصفوه بأكثر مما وصفوا به رب العالمين . أما المسلمون - بل واليهود والنصارى - فيؤمنون أن رب العالمين فوق العرش وأنه يرى فى الآخرة ويتكلم بكلام يسمعه من شاء من خلقه كموسى ومحمد ، وأنه عرج إليه النبى ﷺ ليلة المعراج وسمع كلامه ، ورآه أو رأى نوره ، وأنه تشرق الأرض بنوره يوم القيامة ، وأنه يجىء والملك صفاً صفاً لفصل الحساب ، وأن له يدين مبسوطتين ، وبيده الميزان يخفضه ويرفعه ، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ، إلى آخر ما جاء فى وصفه فى القرآن والحديث والتوراة والإنجيل - وآمن به المسلمون واليهود والنصارى الذين لم يمرضوا بمرض الفلسفة والتعطيل كمن قلدوا متهوسى اليونان الذين بدأوا طفولة تفكيرهم فى عصرهم الجاهلى الوثنى وقلدهم فى هذه الآراء الصبيانية والخيالات البدائية فى التفكير مرضى الفلسفة من العرب كالفارابى وابن سينا وابن رشد والرازى - بله الجهمية والمعتزلة .

هـذا وإننا نحب انتشار هذا الكتاب وأمثاله آمنين على جانب الدين منه حتى يشفى به مرضى المجردات الخيالية المسماة عندهم بالعقول العشرة والنفوس الفلكية التسعة والنفوس الناطقة — إلى آخره — ولسنا نخاف على الدين وأصوله وأركانه أن يصدم بمخالفة تفكير صحيح من عقلاء بنى آدم ، ولو أن المؤلف الذى لخص بحوث عقلاء الغرب رفع رأسه قليلا إلى تراث علمائنا المحققين — كمؤلفات شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية وتلميذه شمس الدين ابن القيم ، وأسلافنا من الأئمة المقتدى بهم لرأى فيها ما يثلج صدره من إنكار الميتافيزيقيا عقلا ونقلا ، وأن مجردات الفلاسفة لا وجود لها إلا فى أذهان متخيليها ، ولا وجود لها فى الواقع وخارج الأذهان ، ولرأى أن ما لخصه من تحقيق علماء الغرب إنما استفادوه من تحقيق علمائنا الأعلام ، حرص عليه الغرب وارتشف علماؤه من رحيق أزهاره وقدموه لنا عسلا ظنناه من صنع أيديهم وليس الأمر كذلك ، وإنما مثلهم فى ذلك كمثلهم فى (خامات) الشرق يأخذونها عنه ثم يعيدونها إليه مصنوعات براقة مدهشة تعشى بصر من يراها ممن لا يعرف الحقيقة ، والعيب عيبنا نحن ، عندنا (خامات) لم نحسن أن ننتفع بها وأدوية لم نتعالج

بها . فنحن مرضى والدواء فى دارنا ، وجياع وخيرات الدنيا بين أيدينا ، وجهال لم ننتفع بما كتب محققونا .

ولعل المؤلف الفاضل ترتفع همته إلى مطالعة تراثنا الشرقى فيجمع بينه وبين ما يعرف عن الغرب فيخرج لنا كتابا يجمع مشرق شمس الحقيقة ومغربها - فيحبب شباننا فى مراجعة تراث أسلافهم فيستفيدوا الحق من القديم والحديث ، ومن لا قديم له لا جديد له .

هذه العجالة حفزنى إلى كتابتها ما قرأته فى مقدمة كتاب (خرافة الميتافيزيقيا) ولما آت على الكتاب بتمامه ، وخصوصا باب الخير والشر فقـــد رأيت من بعض الأحباب اشمئزازا منه ، فلعل الفرصة تواتى لاستيعاب الكتاب فأكتب عنه ما أرى فيه من حسنات وغيرها ــ فإلى مقال آخر والسلام ؟

محمد عبد الرزاق حمزة

وصية أحمد محرم إلى صديق له

يا حارس الإسلام حسبك أن ترى   من كيد كل مناجز محروسا
فاطرد دعاة السوء عنه ولا تدع   فى المؤمنين الصادقين دسيسا
اعمل لربك لا يرعك مضلل   يجفو الإله ويصطفى إبليسا
سبحان ربك لن يغادر عدله   بين البرية عاملا مبخوسا

من هم العبيديون ؟ ولماذا أحرقوا مدينة الفسطاط ؟

كتب إلينا السيد محمود محمد عيد وكيل إدارة التوريدات والمخازن بوزارة الشئون الاجتماعية يقول :

« قرأت مقالكم الأخير فى جزء ربيع الآخر من (مجلة الأزهر) بعنوان (يتيم من مصر العتيقة) وقد جاءت فى ثناياه كلمات عابرة عن (العبيديين) وتعمدهم إحراق مدينة الفسطاط . فمن هم العبيديون ، وما هى حقيقة هذا الحريق ؟

ولما كان هذا الموضوع قد كثر فيه القول من ألف سنة إلى الآن ، ثم جدت فيه مراجع ونصوص وتحقيقات لم تكن معروفة قبل عصرنا هذا ، رأينا من المفيد أن نجيب على سؤال السائل بما يأتى ، موجزين فيه القول بقدر ما يحتمله المقام .

العبيديون :

هم سلالة (عبيد الله المهدى) ، وهو عراقى ، ولد فى الكوفة سنة ٢٦٠ هـ واختبأ فى بلدة سلمية بؤرة الاسماعيليين الباطنية فى شمال الشام ، وكان من ولادته إلى أن استقر فى سلمية يعرف باسم سعيد بن أحمد بن حسين بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح . وفى منطقة سلمية ومصياف من بلاد الشام مات الحفيد الرابع لاسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو على ابن الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل [1] ، فرسم دعاة الباطنية بعد موته خطة جديدة لدعوتهم قرروا فيها نقل الإمامة من ذرية إسماعيل بن جعفر الصادق إلى ابنهم بالنكاح

---

(١) اسماعيلية الشام وهم جماعة أغا خان أقاموا مزارات سرية لهذا وغيره من أئمة الاسماعيليين فى سلمية ومصياف . وتجد صور هذه المزارات وكلاما عنها وعن الاسماعيلية فى الكتاب الرسمى لنحلة أغا خان ، وهو باللغة الاوردية عنوانه (نور مبين حبل الله المتين) تأليف على محمد جان محمد جنارا أحد عبيد أغا خان . وهو مطبوع فى بومبى الهند بنحو ٦٧٠ صفحة كبيرة غير عشرات الصور المضافة إليه والمطبوعة على الورق الصقيل .

الروحى وهو سعيد بن أحمد القداح ، وقرروا تغيير اسمه الحقيق (سعيد بن أحمد) باسم (عبيد الله المهدى) ، وناطوا الدعوة إليه برجلين أحدهما أرسلوه إلى اليمن واشتهر باسم (منصور اليمن) واسمه الحقيق حسن بن فرح بن حوشب بن زاذان الكوفى [1] ، وأرسلوا الداعية الآخر إلى شمال إفريقية واشتهر فيها باسم أبى عبد الله الشيعى . وقد نجح أبو عبد الله الشيعى فى شمال إفريقية بما لم ينجح بمثله ابن حوشب فى اليمن . وبعد أن اطمأنوا إلى نجاحهم نقلوا القداح (أى عبيد الله المهدى) إلى شمال إفريقية ، وبعد فوات الفرصة وخروج الأمر من يد حكومة المغرب يومئذ وهى حكومة بنى الأغلب انتبهت لهذا الفساد الذى استشرى فى غفلة منها فقبضت على عبيد الله المهدى وحبسته فتمكن داعيته أبو عبد الله الشيعى من مهاجمة السجن بالثوار من أهل نحلته وأخرج عبيد الله وصارت له بجماعته قوة لا تغلب ، وكان أول أعماله قتل داعيته أبى عبد الله الشيعى فلقى فى الدنيا جزاء عمله . ولما أصبح الأمر فى القيروان والبلاد التونسية إلى عبيد الله المهدى احتل مدينة رقادة ، وطرد عنها بنى الأغلب فى ربيع الأول سنة ٢٩٧ واستقر بها ملكه ، فقال فى ذلك أحد شعرائه مشيراً إلى عقيدتهم فى الحلول :

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو البرايا وكل شىء سواه ريح

ثم بنوا له على اسمه بلدة (المهدية) وبقى الحاكم فيها إلى أن مات سنة ٣٢٢ ، فخلفه على هذه الدعوة ابنه القائم نزار (٢٨٠ - ٣٣٤) ، وتولى بعد القائم ابنه المنصور إسماعيل العبيدى (٣٠٢ - ٣٤١) وهو والد المعز معد (٣١٩ - ٣٦٥) الذى استولى على مصر سلماً بجيش على رأسه عبده جوهر الصقلى ، وبنيت له القاهرة المعزية .

اعتراف الإسماعيليين بأن المهدى من ذرية القداح :

هذا هو أصل العبيديين ، وقد علمت أن نسبتهم إلى عبيد الله المهدى ، وأن شخصيته الحقيقية ونسبه الصحيح : سعيد بن أحمد بن حسين بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح ، والعبيديون لما مات آخر أئمتهم على بن الحسين بن أحمد بن محمد بن اسماعيل انتقلوا عن ذرية اسماعيل بن جعفر الصادق إلى سعيد بن أحمد من ذرية ميمون القداح زاعمين أنه ابن السلسلة الإسماعيلية ، وخالفهم فى ذلك جميع المسلمين فى المغرب نفسها وفى كل مكان ، وفى طليعة

---

(١) هو معاصر للهمدانى مؤلف (الاكليل) و (صفة جزيرة العرب) ، وقد أشار فى الكتاب العاشر من الاكليل ص ١٨٢ - ١٨٥ الى بعض نشاط ابن حوشب هناك .

الذين أنكروا ذلك عليهم الأشراف العلويون، وسنشير إلى طرف من حوادث هذا الخلاف فى هذا المقال . إلا أننا نبادر الآن بالإشارة إلى مصادر إسماعيلية وباطنية لم يكن يعرفها أسلافنا لأنها من كتب الاسماعيليين السرية ، فلما ظهرت الآن زال الغموض حول هذه النقطة ، وتبينت حقيقة نسب العبيديين ومذهبهم هم فى ذلك ، فمن تلك الكتب كتاب دينى إسماعيلى يسمى (غاية المواليد) ألفه الخطاب بن الحسن بن أبى الحفاظ الهمدانى المتوفى سنة ٥٣٣ وهو من علماء الإسماعيليين ودعاتهم ، يقول فيه :

« ... وذلك ما روى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ فى تسليمه الأمر إلى ولده إسماعيل ﷺ وغيبة إسماعيل [١] — وولده محمد بن إسماعيل فى حد الطفولة ، ولم تكن الإمامة ترجع القهقرى منه كما لم ترجع من غيره — فأودع حجته المنصوبة بين يدى (ميمون القداح) مقامه لولده ، وأقامه ستراً عليه وقدمه بين يديه ، واستكفله إياه إلى بلوغه أشده . ولما بلغ أشده تسلم وديعته .ثم جرى الأمر فى عقبه خلفا عن سلف ، حتى انتهى الأمر إلى على ابن الحسين بن أحمد بن إسماعيل [٢] ... وكان على يديه طلوع الشمس ، وذلك أنه لما ظهر النور باسقا باليمن وبلاد المغرب [٣] سار ولى الله فى أرضه علىّ بن الحسين يريد بلاد المغرب حتى كان فى بعض طريقه إلى الشام وأظهر الغيبة [٤] واستخلف حجته (سعيد الخير الملقب بالمهدى) عليهم السلام ، فبث قواعد الدعوة وجرى عليهما من ضدهما بسجلماسة من العمال بالمغرب ما جرى [٥] ووقى الله بوليه كيده » .

وهذا النص نقله الدكتور برنارد لويس B. Lewis أستاذ تاريخ الشرق الأدنى والأوسط

---

(١) يعبر الاسماعيليون عن موت أئمتهم بلفظ (الغيبة) لأنهم يزعمون أن أئمتهم يغيبون ولا يموتون وهذا متفرع عن اعتقادهم حلول الألوهية فى أولئك الأئمة .

(٢) هكذا وردت السلسلة الاسماعيلية فى كتابهم الدينى (غاية المواليد) وكتب أخرى . أما كتاب أغا خان الرسمى فانه فى ص ١١٩ يورد سلسلة النسب هكذا : عبدالله بن محمد بن أحمد بن محمد بن اسماعيل وإن اضطرابات الاسماعيليين أنفسهم فى ايراد الاسماء الاولى من النسب يدل على مجافاتهم الحقيقة حتى فى هذا الامر المهم الذى تقوم عليه دعواهم من أولها الى اخرها .

(٣) اى على يدى الداعيتين ابن حوشب باليمن وأبى عبد الله الشيعى فى المغرب .

(٤) أى مات . وهذا التعبير يشعر بأن موته باختياره لا كما نموت نحن . ومثله عند الاثنى عشرية ماجاء فى أوثق كتبهم عندهم وهو (الكافى) ص ٦٢ طبعة سنة ١٢٧٨ « باب أن الائمة يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم » . .

(٥) يشير إلى حبس سعيد بن أحمد القداحى المنتحل اسم عبيد الله المهدى .

بجامعة لندن فى كتابه (أصول الإسماعيلية) ص ١٢٨ — ١٢٩ وقد استفدنا منه اعتراف الاسماعيليين بثلاث حقائق : الأولى الاعتراف بميمون القداح والدور الذى مثله فى صدر هذه النحلة بعد الأساس الذى أقامه لهم أبو الخطاب . والحقيقة الثانية أن عبيد الله المهدى هو سعيد ابن أحمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح) . والثالثة ـ وهى النتيجة المحتمة ـ هى أن العبيديين الذين يسمون أنفسهم الفاطميين هم من سلالة القداح لا من سلالة محمد ابن إسماعيل بن جعفر ، إلا أن يكونوا غير صادقين فى أن القائم نزارا هو ابن لعبيد الله المهدى .

ويقول الدكتور برنارد لويس فى ص ١٢٩ : وقد أخبرنى صديق الأستاذ الأعظمى [١] بأن أمثال هذه العبارة واردة فى كتب إسماعيلية باطنية أخرى يملكها ، وتضيف بعض العبارات إلى العبارة السابقة أن سعيداً نفسه من ولد القداح .

وهنالك وثيقة باطنية أخرى وهى رسالة (تقسيم العلوم) [٢] خلط فيها نسب القداح بالنسب الإسماعيلى ـ على قاعدة التبنى الروحى أو النكاح الروحى التى سيأتى الكلام عليها ـ فقد قيل فى هذه الوثيقة الباطنية عن نسب سعيد القداح : إنه ابن « أحمد بن الحسين بن محمد ابن عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل » فأسماء « أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله » لسلالة قداحية ، وما بعدها وهى أسماء « أحمد بن محمد بن إسماعيل » لسلالة علوية (وانظر لذلك ص ١٦٣ من كتاب « أصول الإسماعيلية » للدكتور برنارد لويس) وقد قال قبل ذلك فى ص ١٦١ : « ما زالت سلسلة الأئمة بين (محمد بن إسماعيل) و (سعيد — المهدى) مشكلة من أعقد المشاكل فى التاريخ الإسلامى ، فالمؤرخون من أهل السنة يروون لها روايات عديدة مختلفة ، والإسماعيليون لا يبدو أنهم متفقون فيما بينهم عليها . وقد بحث كثير من القدماء هذه المشكلة وناقشها نقاشا دقيقا ، وحققها دى خويه M. J. De Goeje [٣] وبلوشيه من المحدثين » ثم قال : « والظاهر أننا نستطيع أن نتلمس مفتاح المشكلة فى عقيدتى « التبنى الروحى » و « الإمامة المستودعة » .

---

(١) هو إسماعيلى هندى من المعاصرين معروف كثيرا فى مصر . وهو منسوب إلى مدينة [أعظم كر] ومن أهلها سنيون وإسماعيليون ونسبتهم جميعا [أعظمى] . أما فى العراق فالأعظمى من ينتسب الى حى فى بغداد يقوم فيه مسجد الامام الأعظم أبى حنيفة ومدفنه .

(٢) مخطوط رقم ١٤١٥ ورقة ١١٧ وما بعدها . عن دى ساسى ٢ : ٥٧٨ .

(٣) كان أستاذ العربية بجامعة ليدن بهولندا ، وهو الناشر الأول والمحقق الدقيق لتاريخ الامام ابن جرير الطبرى فى القرن الماضى ، وله خدمة واسعة النطاق جدا للعلوم الاسلامية .

ما هو النسب الروحي ؟

يتقدم الأستاذ لويس ماسنيون برأى خاص فى مشكلة النسب فى الإمامة فيقول [١] : إن القرامطة اعتبروا حق العلويين الشرعى فى الخلافة كوسيلة لا غاية ، فالإمامة ليست ميزة محتكرة تورث فى عائلة ، وإنما هى ميزة فكرية وتولية إلهية وتفويض (أى من حامل أسطورة الحلول الإلهى) إلى حامل اللقب على أثر التنوير الذى يشرق فيه مما يجعله الخلف أو « الابن الروحى » لسلفه . ولهذا لم يعبأ عبيد الله المهدى ببيان نسبه لأنه لم يكن مهما بالنسبة لأتباعه ، إذ كانوا يريدون قبل كل شىء أن يكون حاصلا على التفويض الإلهى والمستوى الذهنى الخاص ، سواء أكان علويا أم لم يكن . فهو هنا يؤكد فكرة « النسب الروحى » فى الامامة .

ثم جاء فى مقدمة أصول الاسماعيلية (ص ٣١) تلخيصا لنتيجة بحث الدكتور برنارد لويس فى هذا الباب : « فى حياة الصادق كوّن أبو الخطاب - بالتعاون مع إسماعيل بن جعفر الصادق كما يظهر - مذهبا كان أساس المذهب الإسماعيلى فيما بعد ، واشتغلوا لتكوين فرقة شيعية ثورية تجمع كل الفرق الشيعية الصغيرة حول إمامة إسماعيل وأولاده . وبعد وفاة أبى الخطاب وإسماعيل وجعفر انقسمت فرقتهم إلى عدة شعب متنازعة فى المبادىء والزعامة ثم اجتمع هؤلاء حول محمد بن إسماعيل الذى نجح — بمعونة بعض الأنصار وخاصة المبارك حول إسماعيل وعبد الله بن ميمون القداح — فى أن يجمع بحركة واحدة أكثر أتباع إسماعيل ومعظم الخطابية الذين أخذ مذهبهم مع بعض التعديل .

أبو الخطاب والاسماعيلية :

وأبو الخطاب الذى يتردد ذكره فى تاريخ تأسيس النحلة الإسماعيلية هو (محمد بن مقلاص ابن أبى زينب الكوفى الأجدع) ، كان من أصحاب جعفر الصادق وكان متظاهراً بالاستقامة فى أول أمره . ثم صار ينسب إلى جعفر الصادق علم الغيب ، ثم جمع طائفة من الملتفين حول جعفر الصادق وقام بمظاهرة فى الكوفة هتفوا فيها « لبيك جعفر لبيك ! » ، ثم صار

---

[١] عن مقدمة أصول الاسماعيلية ص ٢٤ بقلم الدكتور عبد العزيز الدورى أستاذ التاريخ الاسلامى فى دار المعلمين العالية ببغداد .

أتباع أبي الخطاب يزعمون أنه أفضل من رسول الله ، بل ادعى لنفسه وادعوا له أنه رسول الله وتروى الشيعة الاثنا عشرية عن عنبسة بن مصعب أن جعفرا الصادق سأله : أى شيء سمعته من أبي الخطاب ؟ قال عنبسة : سمعته يقول : إنك وضعت يدك على صدره وقلت له « عه ، ولا تنس » ، وإنك تعلم الغيب ، وإنك قلت عنه « هو عيبة علمنا وموضع سرنا ، أمين على أحيائنا وأمواتنا » . فقال جعفر : لا والله ما مس شيء من جسدي جسده إلا يده . وأما قوله إنى قلت أعلم الغيب فوالله الذى لا إله إلا هو لا أعلم الغيب [1] ولا آجرني الله فى أمواتى ولا بارك لى فى أحيائى إن كنت قلت له (وكانت أمام جعفر جويرية سوداء تدرج ، فقال) لقد كان منى إلى أم هذه ـ أو إلى هذه ـ بخطة القلم ، فأتتنى هذه ، ولو كنت أعلم الغيب ما كانت تأتيني . ولقد قاسمت مع عبد الله بن الحسن حائطاً ـ أى بستاناً ـ بيني وبينه فأصابه السهل والشرب وأصابني الجبل ، فلو كنت أعلم الغيب لأصابني السهل والشرب وأصابه الجبل . وأما قوله إنى قلت له « هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا » فلا آجرني الله فى أمواتى ولا بارك فى أحيائى إن كنت قلت له شيئاً من هذا قط [2] .

وقال عمار بن أبي عتبة هلكت بنت لأبي الخطاب فلما دفنها اطلع يونس بن ظبيان فى قبرها فقال : السلام عليك يا بنت رسول الله . ولما انكشف عن أبي الخطاب ستار كفره قال جعفر الصادق : اللهم العن أبا الخطاب فإنه خوفنى قائما وقاعدا وعلى فراشى ، اللهم أذقه حر الحـــديد . والأنباء مستفيضة عن اتصال أبي الخطاب بإسماعيل بن جعفر الصادق وتعاونهما على إقامة كيان دينى جديد باسم إسماعيل بن جعفر على الأسس التى يدعـو إليها أبو الخطاب . وشعرت الدولة العباسية بهذا النشاط فأرسل عيسى بن موسى بن على بن عبدالله ابن عباس ـ وكان عامل المنصور على الكوفة ـ من قتل أبا الخطاب وطائفـة من رجاله وهم فى المسجد ، لأنهم كانوا يلزمون أساطين المسجد ليرى الناس أنهم من أهل الدين والعبادة ، فقتلهم عند هذه الأساطين التى كانوا يلازمونها . ولما بلغ جعفرا الصادق خبر قتلهم قال

---

(١) ومع أن الاثنى عشرية هم الذين يروون هذا القسم المغلظ عن لسان جعفر الصادق بأنه لا يعلم الغيب فان أوثق كتبهم وهو (الكافى) الذى يعتبرونه كصحيح البخارى عندنا قد جاء فى ص ٦٤ منه « باب أن الائمة يعلمون علم ما كان ، وما يكون ، وأنه لا يخفى عليهم شيء ! » .

(٢) عن ترجـمة أبي الخطاب فى (تنقيح المقال) للمامقانى ٣ : ١٩٠ وهو أحفل كتب الجـرح والتعديل عند الاثنى عشرية الآن .

ـ فيما سمعه منه عمران بن على الحلبي ـ : لعن الله أبا الخطاب ، ولعن من قتل معه ، ولعن من بقى منهم ، ولعن من دخل قلبه رحمة لهم . وروى سدير بن حكيم الصيرفى من أصحاب الباقر والصادق قال : كنت جالساً عند جعفر وميسر عنده ونحن فى سنة ١٨٨ فقال له ميسر : جعلت فداك ، عجبت لقوم كانوا يأتون معنا لهذا الموضع فانقطعت آثارهم وفنيت آجالهم . فقال جعفر : ومن هم ؟ قال : أبو الخطاب وأصحابه ـ وكان جعفر متكئاً فجلس ورفع إصبعه إلى السماء ثم قال : على أبى الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وأشهد بالله أنه كافر فاسق مشرك وأنه يحشر مع فرعون فى أشد العذاب غدواً وعشيا .

أما إسماعيل بن جعفر الصادق المتعاون مع أبى الخطاب هذا فكان أكبر إخوته ، وكان أبوه شديد المحبة له والبر به ، ومات فى حياة أبيه بالعريض ـ بعد انتقالهم من العراق إلى المدينة ـ فحمل نعشه من العريض إلى المدينة على رقاب الرجال حتى دفن بالبقيع . ونقل المامقانى فى تنقيح المقال (١ : ١٣٢) أن الصادق قال فى حق ابنه إسماعيل « عاص ، عاص ، لا يشبهنى ولا يشبه أحدا من آبائى » ، وقال الوحيد (من علماء الشيعة) : وفى الصحيح عنه « والله ما يشبهنى » ، وفى حديث عنه أنه نهاه عن إعطاء ماله شارب الخمر فلم يفته فتالف . وفى (الكافى) فى باب النص على الرضا : لو كانت الإمامة بالمحبة لكان اسماعيل أحب إلى أبيك منك . ورووا فى كتاب (الخرائج) أسطورة أذاعها الوليد بن صبيح الكوفى (من رجال جعفر الصادق) قال : جاءنى رجل فقال لى : تعال حتى أريك ابن إلهك . فذهبت معه فجاء بى إلى قوم يشربون (أى الخمر) فيهم اسماعيل بن جعفر عليه السلام ، فخرجت مغموما ، فجئت إلى الحجر فإذا اسماعيل بن جعفر متعلق بالبيت قد بل أستار الكعبة بدموعه فرجعت أشتد فإذا اسماعيل جالس مع القوم ، فرجعت فإذا هو آخذ بأستار الكعبة قد بلها بدموعه . قال : فذكرت ذلك لأبى عبد الله جعفر الصادق فقال : لقد ابتلى ابنى بشيطان يتمثل بصورته (عن تنقيح المقال للمامقانى : فى ذلك الموضع) .

أما ميمون القداح وابنه عبد الله فقد سقط بينهما محمد بن إسماعيل ، وفى هذه البؤرة تطورت الإسماعيلية ، ونظمت على أساس تغيير دين الإسلام عما كان يعرفه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، إلى ما صار معروفا بعد ذلك فى سيرة الباطنيين والإسماعيليين فى ألف سنة ، والركن الأول فى ذلك هو التنكر لأصحاب رسول الله ﷺ ، ولكل ما فهمه الصحابة من دين الإسلام ، ومحاولة تأويل القرآن بغير ما كان معروفا فى عصر تنزيله لتكون منه رسالة أخرى غير الرسالة المحمدية .

الفسطاط قبل العبيديين

ودولة العبيديين تأسست فى القيروان وبلاد المغرب منذ أسس عبيد الله المهدى (٢٦٠ — ٣٢٢) بلدة المهدية هناك ، ولما مات سنة ٣٢٢ تولى بعده ابنه القائم نزار (٢٨٠ — ٣٣٤) ، ثم حفيده المنصور اسماعيل (٣٠٢ — ٣٤١) والد المعز بانى القاهرة ومؤسس دولتهم فى مصر ، وفيما بين عبيد الله المهدى والمعز كانوا يستعدون بالمال والرجال للاستيلاء على مصر ، وحاولوا ذلك مرتين قبل المدة الأخيرة التى استفادوا فيها من اختلال أمر مصر بموت كافور الإخشيدى (١٠ جمادى الأولى ٣٥٧) ، فاستطاع قائدهم جوهر أن يستولى على مصر سلماً بلا حرب ولادفاع ، وكان قيام جوهر من القيروان (تونس) يوم الجمعة ١٤ ربيع الأول سنة ٣٥٨ ووصل إلى مصر فى شعبان من تلك السنة ، وتم له فى يوم ١٧ شعبان الاستيلاء على السلطة المطلقة فى وادى النيل ، وكانت العاصمة المصرية — من بدء دخول الإسلام مصر إلى يوم دخول جوهر — هى مدينة الفسطاط (مصر العتيقة الآن) وكانت من أعمر الأمصار الإسلامية وأغناها وأسعدها ، وقد وصف القاضى محمد بن سلامة القضاعى (المتوفى سنة ٤٥٤) ما كانت عليه مدينة الفسطاط قبل أن تبنى القاهرة ، فقال : كان فيها من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد ، ومن الحمامات ألف ومائة وسبعون حماما ، ومن الشوارع المسلوكة ثمانية آلاف شارع ، وكانت أسواقها عامرة بكل شيء من أنفس البضائع إلى أكمل الكماليات ، وضرب المثل لذلك بأن قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون احتاجت إلى ألف تكة من التى تساوى الواحدة منها عشرة دنانير ذهبا فجاء رسلها إلى سوق الفسطاط بعشرة آلاف دينار فوجدوا ما طلبوه ميسورا بأسرع وقت وأهون سعى ، وكانت الفسطاط عامرة بالمنازل الشاهقة ، وكثير منها بخمس طبقات وست وسبع ، وكان بعض المنازل من السعة وكثرة المرافق بحيث يتسع المنزل الواحد لمائتين من الناس ، وكان فى الفسطاط دار عبد العزيز بن مروان يصب فيها لساكنيها فى كل يوم أربعمائة راوية ماء ، وفى داخل هذه الدار خمسة مساجد واسعة وحمامان كالحمامات العامة وعدة أفران كاملة العدة يخبز بها عجين أهلها . أما بضاعة العلم فى الفسطاط فكانت أغلى البضائع وأنفسها وأكثرها رواجاً ، وفضلا عن الأسواق التى كانت للكتب ، فقد كانت صناعة النسخ واسعة النطاق يعيش منها آلاف من المشتغلين

بالعلم ، لأن المكتبة كانت زينة المنزل فى كل أسرة مثقفة ، وحلقات العلم تعقد فى المساجد التى بلغ عددها ستة وثلاثين ألف مسجد ، وكان جامع عمرو الذى يسمى تاج الجوامع مباءة التحديث والتدريس من زمان الصحابة رضوان الله عليهم إلى زمن الأئمة الليث بن سعد ومحمد بن إدريس الشافعى وأضرابهما ، وحتى فى سنة ٧٤٩ كانت حلقات الدرس الدائمة كل يوم بلا انقطاع فى جامع عمرو لاتقل عن بضع وأربعين حلقة كما ذكر ذلك الجلال السيوطى فى حسن المحاضرة (٢ : ١٣٦) فما بالك بما كانت عليه الحال قبل الإعراض عن الفسطاط واتخاذ القاهرة عاصمة للبلاد .

هذه هى الفسطاط التى جاء جوهر حاملا أوامر مولاه المعز بأن يعرض عنها ، وأن ينشىء عاصمة أخرى غيرها للبلاد ، فأنشأ جوهر فى شمالى الفسطاط مدينة سماها فى بادىء الأمر (المنصورية) نسبة إلى المنصور إسماعيل (٣٠٢ — ٣٤١) وهو والد المعز العبيدى

مجىء المعز الى مصر

وفى أوائل رمضان سنة٣٦٢ وصل المعز من المغرب ، فخرج أعيان الفسطاط وأشرافها وعلماؤها لاستقباله فى الجيزة ، واستعدت الفسطاط لاستقباله فزينوها له أجمل زينة ، فلما سار موكبه من الجيزة وجاز النيل إلى الشاطىء الشرقى أبى أن يدخل الفسطاط وجعلها خلف ظهره بما فيها من زينات واستعداد لم يسبق له نظير ، وأمر موكبه بالاتجاه إلى المنصورية التى صدر أمره فى ذلك الحين بأن تسمى (القاهرة المعزية) .

وفى أثناء سير الموكب أراد أشراف الفسطاط من العلويين أن يعلموا درجة قرابتهم من ابن عمهم الجديد ، فتقدم إليه ثلاثة منهم ـ وهم الشريف أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسينى والشريف أبو اسماعيل ابراهيم بن أحمد الحسينى الرسى وأحد أبناء الشريف أبى محمد عبد الله بن أحمد بن على بن الحسن بن ابراهيم بن طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ـ فسألوه : إلى من ينتسب مولانا ؟ فقال المعز: سنعقد مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا . فلما اجتاز المبانى الجديدة فى المنصورية ـ التى صار اسمها القاهرة ، وكانت خالية خاوية وعلى غير استعداد لاستقباله للاعتقاد السائد بأنه سيقابل المصريين فى بلدهم الفسطاط ـ وصل موكبه إلى القصر الذى بنى له ، فلما استقر به المقام جمع الناس فى مجلس عام ، وقال للأشراف : هل بقى من رؤسائكم أحد ؟ فقالوا : لم يبق معتبر . فسل

عند ذلك نصف سيفه[1] وقال: « هذا نسبي » ، ونثر عليهم ذهباً كثيراً ، وقال : « هذا حسبي » فقهموا من ذلك أن الرجل من معدن آخر غير معدنهم ، واكتفوا بهذا الجواب عن السؤال الذي كان يحيك في نفوسهم ولا يجدون جوابا عليه .

ولاية ابنه العزيز

وفي السنة الثالثة من دخول المعز مصر ، مات (وكانت ولادته بالمهـــدية ووفاته سنة ٣٦٥) فتولى ابنه الأصغر العزيز نزار (وكان قد ولد بالمهدية سنة ٣٤٤ ثم أدركته منيته في بلبيس سنة ٣٨٦) وفي بداية ولايته صعد المنبر في يوم جمعة فوجد في أعلى درجاته رقعة فيها هذه الأبيات :

إنا سمعنا نسباً منكرا يتلى على المنبر في الجـــامع
إن كنت فيما تدعي صادقا فاذكر أباً بعد الأب الرابع[2]
وإن ترد تحقيق ما قلتـه فانسب لنا نفسك كالطائع[3]
أو لا دع الأنساب مستورة وادخل بنا في النسب الواسع[4]
فإن أنساب بني هاشم يقصر عنها طمع الطامع

والعزيز العبيدي هذا بلغ به الغرور في السنة الاولى من ولايته أن كتب إلى الخليفـة الأموي بالأندلس ـ وهو الحكم المستنصر ابن عبد الرحمن الناصر ـ كتاباً يسبه فيه ويهجوه من غير مناسبة ولا داع إلى ذلك ، ومعلوم أن الحكم المستنصر من كبار علماء قريش في عصره ، ومن أكثر فضلاء المسلمين إلماما بالأدب والتاريخ واضطلاعا بمعرفة الأنساب ،

---

[١] وقد أخطأ مؤلف الكتاب الرسمي لآغا خان فرسم صورة للمعز في هذه الحادثة ، وجعل السيف مسلولا كله بيده ، وذلك تجاه الصفحة ٢٣٠ من كتاب [نور مبين] .

[٢] الأب الرابع هو عبيد الله المهدي الذي شوهوا حقيقته باخفاء اسمه الحقيق ، ولو أن العزيز ابن المعز قبل تحدى ناظم الأبيات لاضطر إلى ذكر أحمد القداحي فيفتضح أمره .

[٣] الطائع هو الخليفة العباسي في بغـداد المعاصر للعزيز العبيدي ، ونسب الطائع إلى عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب صريح نظيف واضح لا يختلف فيه ولي ولا شانيء .

[٤] أي النسب الذي يجمع بني آدم .

فاكتفى الحكم بأن كتب إلى العبيدى أربع كلمات جواباً على كتابه أصابت منه مقتلا ، لأنها وافقت الحقيقة التى أراد العبيديون أن يغالطوا بها التاريخ وأهله . وهذا هو جواب الحكم المستنصر :

« عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك » .

ومعلوم أن المذهب الباطنى الذى كان العبيديون يقومون على حراسته ونشره وتأييد دعوته ، يقضى لهم بالحلول وعلم الغيب ، وهذا هو الأساس الأول الذى أسسه لهم أبو الخطاب محمد بن مقلاص بن أبى زينب من أيام جعفر الصادق ، واستحق عليه اللعنة من الصادق ، وسفك الدم من أمير المؤمنين المنصور على يد عامله العباسى على الكوفة . فلما أخذ العزيز يدس هذه العقيدة على أيدى دعاته ودعاة دعاته ، لم يكن المصريون ليسكتوا له على هذه الحماقة ، فذكر القاضى ابن خلكان أن العزيز العبيدى صعد المنبر يوما فرأى فيه رقعة كتب له فيها :

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماقه
إن كنت أعطيت علم غيب فاذكر لنا كاتب البطاقه

إمامهم الثالث :

وإمامهم الثالث بعد المعز والعزيز هو الحاكم العبيدى (٣٧٥ — ٤١١) ابن العزيز الذى أشرنا إلى طرف من أخباره ، تولى وهو ابن إحدى عشرة سنة ، ثم نكبت مصر بأحكامه أكثر من ربع قرن ، وكانت له شخصيتان مختلفتان : إحداهما شخصيته الصريحة التى يصدر فيها عما اعتقده أهل بيته من أيام أبى الخطاب فى زمن جعفر الصادق وابنه اسماعيل . والشخصية الأخرى هى التى يمثل فيها دور صاحب السلطان إذا راعى ظروف سلطانه ، فمن شخصيته الصريحة التى صدر فيها عن عقيدة أهل بيته أنه أمر الناس وهو فى الثامنة عشرة من عمره (سنة ٣٩٣) بالسجود إذا ذكر اسمه فى الخطبة [1] ، وفى سنة ٤٠٨ أى بعد خمس عشرة سنة نهى عن تقبيل الأرض له وعن الصلاة عليه ، واكتفى بأن يقال فى خطبة الجمعة السلام على أمير المؤمنين [2] ، وأصدر أمره وهو فى العشرين من عمره (سنة ٣٩٥) بأن يكتبوا على

[١] حسن المحاضرة للجلال السيوطى [٢ : ١٥٠] .
[٢] ابن خلكان [فى ترجمة الحاكم] .

جدران المساجد والمدافن والشوارع سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب المراسيم الرسمية إلى جميع ولاة الدولة وعمالها يأمرهم بتعميم هذا السب ، وما زال مستمراً فى بغيه هذا على دين الله ورسوله سنتين كاملتين ، ثم عاودته شخصيته الثانية - أو أيقظه لها بعض من يخافون على هذه الأسرة أن ينقلب بغيها عليها - فأصدر أوامره فى سنة ٣٩٧ بالعدول عن هذه الزندقة . وفى سنة ٤٠٠ بنى داراً زعم أنها للعلم ، وأنه أباح فيها ذكر مناقب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنه عاد بعد ثلاث سنوات فهدم الدار وسفك دماء خلق ممن كان فيها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير والديانة ، ذكر ذلك الجلال السيوطى فى حسن المحاضرة .

وفى سنة ٤٠٢ كتب فى بغداد محضر تاريخى فى إنكار نسب العبيديين وقع عليه جماعة من الأشراف والقضاة والعلماء والفقهاء والمعدلين والصالحين — سنيين واثنى عشرية — فمن العلويين المرتضى وأخوه الرضى وابن البطحاوى العلوى وابن الأزرق الموسوى العلوى والزكى أبو يعلى عمر بن محمد وأبو طاهر بن أبى الطيب ومحمد بن محمد بن عمرو بن أبى يعلى . ومن القضاة والعلماء ابن الاكفانى وأبو القاسم الحريرى وابن السيورى وأبو العباس الأبيوردى وابن الخرزى ، ومن الفقهاء أبو حامد الاسفراينى والقدورى والصيمرى والبيضاوى وأبو الفضل النسوى وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم ، شهدوا جميعاً أن الناجم بمصر - وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزى والنكال والاستئصال ، ابن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله ، فإنه لما صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدى ، ومن تقدم من سلفه . . . أدعياء خوارج ولا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب ، ولا يتعلقون منه بسبب ، وأنه منزه عن باطلهم ، وأن الذى ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور ، وأنهم لا يعلمون أن أحداً من بيوت الطالبيين توقف عن إطلاق القول فى هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء ، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً فى الحرمين ، وفى أول أمرهم بالمغرب ، منتشراً انتشاراً يمنع من أن يدلس على أحد كذبهم أو يذهب وهم إلى تصديقهم ، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه . . . معطلون ، وللإسلام جاحدون ، ولمذهب المنوية والمجوسية معتقدون . . لعنوا السلف وادعوا الربوبية . وكتب فى ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة .

أيام الظاهر العبيدى :

وبعد الحاكم ذى الشخصيتين تولى ابنه الظاهر العبيدى (٣٩٥ — ٤٢٧) . وفى أيامه بدأت الشام تتحرر من الحكم الإسماعيلى ، وتندفع عن آفاقها العقيدة الباطنية وما تفرضه على الناس من تنكر للإسلام وأهله الأولين . وفى السنة الثالثة من أيام حكمه تقدم فى موسم حج سنة ٤١٣ رجل طويل جسيم أحمر أشقر من موالى والد الظاهر العبيدى متظاهراً بأنه يريد تقبيل الحجر الأسود - وكان ذلك يوم النفر الأول - فلما وصل إلى ركن الكعبة ضرب الحجر الأسود بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات ونادى : إلى متى يعبد هذا الحجر ، ولا محمد ولا على فيمنعنى مما أفعله ، فإنى أهدم اليوم هذا البيت ! وكان تخلف عنه عند باب الحرم جماعة من الفرسان ليحموه وليمنعوه ممن يريده بسوء . وما لبث أن تقدم له رجل من أهل اليمن فى منطقته خنجر « جنبية » كعادة أهل اليمن ، فوجأه به وتكاثر عليه الناس فقطعوه قطعا . ولم يستطع الفرسان أن يحموه لتكاثر الناس إلا أن الناس لما علموا بأن الفرسان من أصحاب هذا الملحد طاردوهم وقتلوا منهم جماعة . وسقط من الحجر ثلاث فلق مثل الأظفار ، فأخذ بنو شيبه (سدنة الكعبة) تلك الفلق فعجنوها بالمسك واللك وحشوا بها تلك الشقوق التى بدت . قال الإمام السيوطى (فى حسن المحاضرة) بعد الإلماع إلى ما تقدم : وذلك ظاهر فيه — أى فى الحجر الأسود — إلى الآن .

المستنصر :

وتولى بعد الظاهر العبيدى المستنصر (٤٢٠ — ٤٨٧) ويزعم أغا خان وأئمة البهرة أنهم من ذرية هذا الرجل ، أما أغاخان فيقول إنه من ذرية نزار بن المستنصر ، وأما البهرة فيقولون إن أئمتهم أمن ذرية أخيه المستعلى بن المستنصر ومن المفارقات العجيبة أن تتعلق فرق الإسماعيلية بهذين الأخوين حتى الآن ، مع أنهما كانا عدوين ، حتى أن المستعلى بنى جداراً دفن وراءه أخاه نزاراً وهو حى حتى مات خنقاً وجوعا . وفى أيام المستنصر انتشر إلحاد الإسماعيلية فى اليمن على يد على بن محمد الصليحى (الذى اغتيل سنة ٤٧٣ هـ [1]) ولما كان الباطنيون حريصين على كتمان إلحادهم إلا عن الذين أوقعوهم فى حبائلهم ، فقد

---

[١] الذى أفسد عقيدة على بن محمد الصليحى وهو صغير رجل اسمه عامر بن عبد الله الرواحى ، ولم يكتف بتلقينه الالحاد وهو حدث حتى ترك له كتبا أوصى إليه بها بعد موته تثبيتا لكفره .

قيض الله عالما من علماء اليمن وهو محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليمني فاندس بين الصليحيين ملتحقا بهم - إما مخدوعا أو على سبيل الاختبار - وأوهمهم أنه صار منهم إلى أن صرحوا له بعقائدهم فاكتشف باطنهم وقارنه بظاهرهم وألف في ذلك كتابا سماه (كشف أسرار الباطنية) وقد طبع في مصر سنة ١٣٥٧ وننصح لكل مسلم بالاطلاع عليه ليعرف حقيقة مذهب العبيديين ومن والاهم . وفي مدة المستنصر هذا أيضا قام المعز ابن باديس أمير المغرب بإزالة ذكر طغاة العبيديين من منابر المسلمين في القيروان وغيرها فطهرها الله من ذلك . قال أبو المحاسن في النجوم الزاهرة (٥ : ٥٣) وفي سنة ٤٤٤ - أي في ولاية المستنصر - برز محضر من ديوان الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالقدح في أنساب العبيديين وأنهم ديصانية خارجون عن الإسلام ، وهو من جنس المحضر الذي برز في أيام القادر بالله سنة ٤٠٢ وأخذ فيه خطوط القضاة والأشراف .

المستعلي وابنه الآمر

وتولى بعد المستنصر ابنه المستعلي (٤٦٩ — ٤٩٥) الذي ذكرنا أنه بنى جداراً على أخيه نزار (الذي تنتسب إليه جماعة أغا خان) . وكانت بيت المقدس تابعة لدولته ، فانتزعها منه الصليبيون وقتلوا فيها ما يزيد على سبعين ألفا ، وانزعج المسلمون بسبب ذلك في جميع بلاد الإسلام إلى أن استردها بطل الإسلام حامي حمى السنة والجماعة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رضي الله عنه . وكانت بيت المقدس في أيدي الأمراء بني أرتق قبل تغلب العبيديين عليها . قال القاضي ابن خلكان في ترجمة المستعلي : ولو بقي بيت المقدس في يد الأرتقية لكان أصلح للمسلمين . ثم استولى الافرنج على كثير من بلاد الساحل الفلسطيني في أيام المستعلي هذا .

وتولى بعد المستعلي ابنه الآمر (٤٩٠ — ٥٢٤) وكان عند ولايته في الخامسة من عمره لا يعقل شيئا . قال القاضي ابن خلكان : ولما اشتد وفطن لنفسه قتل وزير أبيه الأفضل ابن أمير الجيوش واستوزر محمد بن فاتك البطائحي فاستولى هذا الوزير عليه وقبح سمعته وأساء سيرته ، ولما كثر ذلك منه قبض عليه واستصفى أمواله وقتله وصلبه بظاهر القاهرة وقتل معه خمسة من إخوته . قال ابن خلكان : وكان الآمر سيء الرأي جائر السيرة مستهتراً متظاهراً باللهو واللعب . وفي أيامه أخذ الفرنج مدينة عكا وطرابلس الشام وعرقة

وبانياس وصور وبيروت وصيدا . ووصل بردويل الفرنجى إلى الفرما من الديار المصرية وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها ورحل عنها وهو مريض فهلك فى الطريق قبل وصوله إلى العريش . أما الآمر العبيدى فكانت عاقبته أن قتله بعض المصريين على الجسر القائم بين الفسطاط وجزيرة الروضة . قال القاضى ابن خلكان : وكان قبيح السيرة ظالما للناس يأخذ أموالهم ويسفك دماءهم وارتكب المحظورات واستحسن القبائح فابتهج الناس بقتله .

الحافظ عبد المجيد :

وانتقل ملك العبيديين من الآمر إلى ابن عمه الحافظ عبد المجيد (٤٦٧ - ٥٤٣) وكان أحمد بن الأفضل أمير الجيوش محبوساً فى حبس الآمر منذ قتل الآمر وزير أبيه الأفضل . فلما تولى الحافظ العبيدى هجم الجند على السجن وأخرجوا أحمد بن الأفضل وولوه الوزارة للحافظ . وكان أول أعمال الوزير أحمد بن الأفضل أن رفض إمامة هذه الأسرة العبيدية جميعاً . قال أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة (٥ : ٢٣٩) : « ثم أهمل خلفاء بنى عبيد والدعاء لهم ، فإنه كان سنياً كأبيه » . ولما كان من الصعب إرجاع الدولة إلى أحضان السنة المحمدية والجماعة لكثرة أنصار العبيديين ورجال المناصب منهم ، رأى الوزير أن يعالج الموقف بحالة وسطى يتخلص بها من سلالة العبيديين فأظهر مذهب الاثنى عشرية ، وأعلن أن الإمام هو المهدى المنتظر الغائب فى السرداب ، وأمر بأن يدعى له على المنابر ، وكتب اسمه على السكة . ولم يكن الإسماعيليون ودعاتهم وأصحاب مناصبهم ليسكتوا على هذه الإهانة فتربصوا له بتدبير الحافظ ، ووثب عليه مملوك افرنجى من مماليكهم (كالذى أرسلوه إلى مكة ليكسر الحجر الأسود ويهدم الكعبة) وكان ذلك فى البستان الكبير فى ظاهر القاهرة عند خروج الوزير إلى لعب الكرة ، وكان ذلك فى العشرين من المحرم سنة ٥٢٦ فقتله ، وبادر الجند بإخراج الحافظ عبد المجيد العبيدى وبايعوه ، وأعادوا الدعاء له على المنابر بدلا من الغائب فى السرداب . وفى مدته تآمر عليه ابنه حسن وكاتب الأمراء وكاتبوه ثم خافوا فأفشوا سره لأبيه . وسكت عنه أبوه ، فخافوا أن يفتك الابن بهم فتجمعوا وطلبوا تسليم الابن إليهم ليقتلوه . ولما أبى الحافظ هددوه بالخلع وأحضروا الحطب والنيران لتحريق القصر . ورأى الحافظ أن يخرج من الورطة بأن يقتل ابنه بالسم ، واستعان على ذلك بطبيبه اليهودى ابن قرفة . وبعد موت ابن الحافظ بالسم وتثبت الأمراء من ذلك بطعنه طعنات

متعددة انتقم الإمام العبيدى من طبيبه اليهودى ابن قرفة فرماه فى خزانة البنود وصادر أملاكه وموجوده .

وفى سنة موت الحافظ العبيدى (٥٤٣) تمكن السلطان المجاهد نور الدين محمود بن زنكى رضى الله عنه من منع عمال العبيديين عن الاستمرار فى سب أصحاب رسول الله ﷺ فى حلب ، وأزال من صيغة الأذان فيها جملة « حى على خير العمل » وأعلن أن من استمر فى سب الصحابة رضوان الله عليهم فجزاؤه القتل . قال أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة (٥ : ٢٨٢) فلم يعد أحد إلى ذلك .

العشرون سنة الأخيرة من ملك العبيديين :

وتولى بعد الحافظ العبيدى أصغر أبنائه واسمه إسماعيل (٥٢٧ - ٥٤٩) وتلقب (الظافر) وكان ابن سبع عشرة سنة وأشهر . قال سبط ابن الجوزى فى (مرآة الزمان) : وكانت أيامه مضطربة لحداثة سنه واشتغاله باللهو . وكان ينادم ابن وزيره عباس الصنهاجى ويعاشره ويبيت فى دار الغلام فى السيوفية متخفياً ويسكر عنده ، فكثر لغط الناس فى ذلك فأمر الوزير ابنه أن يقتل الظافر العبيدى إذا بات عنده ليرحض عن نفسه قالة السوء ، فقام ابن الوزير بالمهمة وقتل إمامه العبيدى وألقاه فى بئر . قال سبط ابن الجوزى : فأخذ عباس (الوزير) وابنه ما قدرا عليه من المال والجواهر وهربا إلى الشام . فبلغ الفرنج ذلك من كتابة وردت إليهم من أخت الظافر ووعدتهم بمال جزيل إذا خرجوا عليه وأخذوه ، فخرجوا إليه بالقرب من عسقلان وغزة وقتلوا الوزير وأسروا ابنه ، ثم قتل الابن فى السنة التالية . وكان قتل الإمام العبيدى الماجن فى سلخ المحرم سنة ٥٤٩ . قال ابن خلكان : وكان من أحسن الناس وجهاً .

وتولى بعده ابنه عيسى الفائز (٥٤٤ - ٥٥٥) وكان فى الخامسة من عمره ، ومدة ولايته ٦ سنين و ٦ أشهر وتوفى وهو ابن ١١ سنة . وكان وزيره طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح .

وتولى بعد الفائز عبد الله بن يوسف بن الحافظ (٥٤٦ - ٥٦٧) ولقب بالعاضد وفى زمنه عضد الله شجرة هذا البيت . وكان وزير دولته شاور ، وفى زمنه استعان العبيديون

على المسلمين بالصليبيين غير مرة ، وفى زمنه كان حريق الفسطاط ، وكان الله أرحم بمصر وأعدل فى خلقه من أن يملى للعبيديين بأكثر مما أملى لهم . وقبل أن يزيلهم من الوجود تدارك كنانته برجال يخلقهم الله لإنقاذ هـذا الدين وأهله على حين فترة من الزمان . فكان ذلك ولله الحمـد والمنة على أيدى الملك المجاهد نور الدين محمود بن زنكى ، ورجل دولته أسد الدين شيركوه ، وابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . ولما أيقن العاضد العبيدى بعدل الله وقضائه الصارم ، وأن مثل هذه النحلة الإسماعيلية لا يمكن أن تتحكم بالوطن الإسلامى أكثر مما تحكمت ، عمد حينئذ إلى خاتم كان فى يده له فص مسموم فامتصه ومات ، وماتت بموته هـذه الدولة إلى الأبد . وجلس صـلاح الدين فى عـزائه ، ومشى فى جنازته ، وتولى غسله وتكفينه ودفنه عند أهـله ، واستولى السلطان صلاح الدين على ما فى القصر من الأموال والذخائر والتحف والجواهر والعبيد والخدم والخيل والمتاع وغيره مما لم يكن مثله عند خليفة ولا ملك .

لماذا أحرقت مدينة الفسطاط ؟

فى سنة ٥٥٨ وهى السنة الثالثة من ولاية العاضـد كان يتنازع السلطة فى دولة العبيديين ثلاثة من رجال دولتهم وهم شاور السعدى وضرغام صاحب الباب والعادل بن رزيك . وكانت الغلبة أولا لشاور ، فلما استبد بالإمرة حسده ضرغام وجمع جموعا كثيرة وغالب شاورا على الوزارة فى شهر رمضان سنة ٥٥٨ ، فسار شاور إلى الشام مستنجدا بمليكها المجاهـد السلطان نور الدين محمود بن زنكى . وكانت لنور الدين خطة سياسية بعيدة المدى ترمى إلى إنقاذ مصر من إلحاد ملوكها العبيديين وفسادهم ، وإلى قطع الخطة على الصليبيين لئلا يستولوا على مصر أو يتمكنوا منها برضا العبيديين أو بغير رضاهم . فلما استنجد شاور بنور الدين كان نور الدين يعلم أن شاورا لا يستحق النجدة والمعونة ، إلا أن مصر تستحق التحرير من العبيديين وقطع الطريق على الصليبيين . وبناء على ذلك عقد نور الدين اتفاقا مع شاور على أن يكون لنور الدين إذا عاد شاور إلى الوزارة ثلث خراج مصر بعد إقطاعات العساكر ، وأن يبقى أسد الدين شيركوه (عم صلاح الدين) بعساكره فى مصر ، وأن يكون التصرف فى أمور البلد بأمر نور الدين . وبعد الاتفاق على ذلك وتسجيله أصدر نور الدين أمره فى جمادى الأولى سنة ٥٥٩ بإعداد جيش قوى عقد لواءه للأمير أسد الدين شيركوه

وجعل ابن أخيه صلاح الدين من قواد هذا الجيش . ولما دنا جيش أسد الدين من الأرض المصرية خرج له ضرغام بعساكر العبيديين وحاربه فى بلبيس ، فكتب الله النصر لأسد الدين وانهزم ضرغام عائدا إلى القاهرة وعاد فنظم قواته للدفاع عنها مصمما على منع جيش نور الدين من أن يستولى على العاصمة . ووقعت معارك بأرض الطبالة والمقس (ميدان باب الحديد الآن) ثم دخل أسد الدين الفسطاط واستولى عليها وعسكر بباب اللوق وانتهى الأمر بقتل ضرغام فى سلخ جمادى الآخرة سنة ٥٥٩ وقدم أسد الدين شاورا ليتولى الوزارة حسب اتفاقه مع نور الدين . وما كاد شاور يتولى أمور الدولة العبيدية حتى عاودته سياستها وأخلاقها فجنح إلى جانب الخيانة وأخلف عهوده مع الملك نور الدين محمود بن زنكى ومنع الغلال والأرزاق عن جيش أسد الدين ، فأرسل أسد الدين ابن أخيه صلاح الدين إلى بلبيس ليجمع له الغلال وغيرها من الأموال للإنفاق على الجيش . وبلغت القحة بالوزير العبيدى شاور أن حشد قوة قاتل بها أسد الدين وجيشه فى وقائع احترق فيها وجه الخليج خارج القاهرة بأسره واحترقت قطعة من حارة زويلة . ولم يكتف شاور بذلك بل بعث رسله إلى عسقلان وفلسطين يستنجد بالصليبيين على أسد الدين وصلاح الدين وجيشهما ، فخرج ملكهم أمرى من عسقلان بجموعه . ولما علم أسد الدين بذلك انسحب إلى بلبيس ليمنع الصليبيين من دخول مصر ، وفى بلبيس اتحدت قوات العبيديين بقيادة شاور وقوات الصليبيين بقيادة أمرى وحاصروا أسد الدين فى داخل بلبيس وكانت إذ ذاك حصينة ذات أسوار ، وبقى أسد الدين محصوراً يقاتل من داخل بلبيس ثلاثة أشهر إلى أن جيش نور الدين جيوشه وقام بغارات شديدة على البلاد الفلسطينية المحتلة بالفرنج وأخذها من أيديهم ، وبذلك اضطرهم إلى الإخلاء عن أسد الدين شيركوه وتمكينه من العودة إلى الشام . وكان ذلك فى ذى الحجة سنة ٥٥٩ .

وفى سنتى ٥٦٠ و ٥٦١ أخذ نور الدين أهبته لتأديب العاضد ووزيره شاور على ما ارتكبت حكومتهما من نقض العهد ، وعلى خيانتهما لله ورسوله باستدعاء الصليبيين لحرب الجيش الإسلامى الذى يقوده أسد الدين . وفى النصف من ربيع الأول سنة ٥٦٢ سار جيش جديد من دمشق بقيادة أسد الدين وابن أخيه صلاح ، وتجنب فى طريقه البلاد المحتلة بالصليبيين فاختار طريق الرمل فى شرق الاردن ووصل إلى أطفيح فى سادس ربيع الآخر ، وعبر منها إلى الجانب الغربى وأناخ بالجيزة محازاة للفسطاط ، فأقام هناك نيفا وخمسين يوماً . وفى خلال

ذلك عاد العبيديون إلى الاستعانة بالصليبيين فاستدعوهم إلى مصر ورتبوا لهم سوقا بالقاهرة وانتشرت قوات الفرنج من بلاد مديرية الشرقية إلى بلاد مديرية الغربية . وسار إليهم أسد الدين فالتقوا فى موضع يسمى البابين ، ونشبت معركة بين جيش أسد الدين وجيش الافرنج ومن انضم إليهم من قوات العبيديين ، وكتب الله النصر لجيش أسد الدين وقتلوا من الفرنج والعبيديين ألوفا ، ووقع بيده سبعون بارونا من فرسان الصليبيين (الشفالية) . ورأى أسد الدين أن يتوجه بعد هذا الانتصار نحو الإسكندرية فاستقبله أهلها بالتأييد والمساعدة من صميم قلوبهم ، لأنهم كأهل الفسطاط والصعيد كان هواهم مع أهل السنة على العبيديين ولا سيما بعد أن خان العبيديون الملة باستدعاء الصليبيين مرتين ، وأراد أهل الإسكندرية أن يحصنوا ثغرهم وأن يقنعوا أسد الدين بالانضواء بقواته إليهم ومحاربة من يقصدهم من العبيديين أو الفرنج ، ولكن أسد الدين قال لهم : أنا لا يمكننى أن أحصر نفسى ، وأخذ عسكره وسار به نحو بلاد الصعيد فأحسنت استقباله واستولى عليها وجبى خراجها ، وترك صلاح الدين بالإسكندرية ليتعاون مع أهلها . فسار شاور والفرنج إلى الإسكندرية وحاصروها أربعة أشهر ، وصدق أهل الإسكندرية القتال مع صلاح الدين ، وقوى أسد الدين فى قوص وسائر الصعيد ، فاستنهض أهل الصعيد للانضمام إليه وقصد الإسكندرية لرفع الحصار عن ابن أخيه صلاح الدين ، وقبل أن يصل إلى الإسكندرية رفع الفرنج الحصار عنها وانسحبوا . وكان شاور قد استمال عنصر التركمان الذى كان فى جيش أسد الدين وأغراهم بالذهب فمالوا معه ، وحينئذ رأى أسد الدين أن يجيب العبيديين إلى المهادنة بشرط أن يدفعوا له خمسين ألف دينار فى مقابل ما غرمه فبذلوا ذلك له . وعاد إلى دمشق فوصلها فى ١٨ ذى القعدة سنة ٥٦٢ .

وقد تبين لشاور والعبيديين من هذه الحوادث أن استمرار الحكم العبيدى فى مصر من مائتى سنة لم يضعف من سلطان عقيدة أهل السنة والجماعة على المصريين ، وأن الفسطاط على الخصوص وكذلك الإسكندرية وبلاد الصعيد كلها صادقة الميل نحو نور الدين وصلاح الدين لما يمثلانه من العقيدة الإسلامية السليمة . وكان ظاهرا لهم أن دولتهم أشرفت على الزوال ، فقرر دعاتهم أن ينتقموا لهزيمتهم بإحراق الفسطاط — مدينة الذكريات الإسلامية — ليزيلوها من الوجود ، وليبيدوا ما فيها من ملايين المصنفات الإسلامية المخطوطة التى كانت تزداد وتنمو فى أكثر من خمسمائة سنة . وكما أغرقت فى دجلة ثروة

الإسلام العلمية بخيانة ابن العلقمى ومستشاره العلمى ابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة ، كذلك أحرقت ثروة الإسلام العلمية فى الفسطاط بخيانة شاور ومستشاريه من دعاة العبيديين زاعمين لأهل الفسطاط عندما أمروهم بالخروج السريع من بيوتهم ليحرقوا البلد أنهم مضطرون إلى إحراقها خوفاً عليها من استيلاء الفرنج ، مع أنهم كانوا حلفاء الفرنج وهم الذين كانوا يستدعونهم المرة بعد المرة ، والفرنج لا تهمهم الفسطاط بقدر ما تهمهم القاهرة ، وكان المعقول أن يحرق العبيديون القاهرة لا الفسطاط . ولكن الفسطاط كان يمثل تراث أصحاب رسول الله والأئمة المقتدين بهم ، والقاهرة كانت تمثل إسماعيلية العبيديين والدعاة الملتفين حولهم . ولهذا وحده أحرقت الفسطاط فى سنة ٥٦٤ حريقاً مكتسحاً جارفا التهم الأخضر واليابس ، وابتلع ألوف الشوارع وما يتفرع منها من دروب وأزقة وحارات ، وما يقوم بينها من عشرات ألوف المساجد وعشرات ألوف المكتبات الحافلة بأنفس المخطوطات فى العلوم الإسلامية ، وقد أعجلوا الناس عن نقل شىء من مدخرات هذه المدينة الإسلامية التى حفلت بتراث نحو ستة قرون كان يتوارث فيها الأبناء عن آبائهم وأجدادهم وأجداد أجدادهم كل ما تعتز به أمة إسلامية من مصاحف وكتب ومبان أثرية وزخارف يضن الزمان بمثلها . ولو أن زلزالا عنيفاً وقع فى الفسطاط بدلا من النار لبقيت هذه المدخرات تحت الردم ولأمكن للباحثين فيما بعد أن يستخرجوها ، لكنه حريق وأى حريق ، استمر أربعة وخمسين يوما بلياليها ، وإن مصر لا تزال كلما ذكرت الفسطاط وحريقه يتجدد بها الأسى والحزن وهى إلى هذه الساعة تبكى على ما أهمل المسلمون فى مصر العتيقة من أمجادها وذكرياتها ؟

محب الدين الخطيب

تصحيح

وقع فى السطر الأخير من الصفحة الأولى من الجزء الماضى رقم ٦٦٤ خطأ وصوابه (٥٦٤) .

الأدب والعلوم في شهر

نفقات البعوث الإسلامية
فى ميزانية الأزهر

قرر مجلس الوزراء فتح اعتماد إضافى قدره ٣٤٠٤٠ جنيهاً فى ميزانية الجامع الأزهر والمعاهد الدينية للسنة المالية ١٩٥٣ - ١٩٥٤ لتكملة نفقات المبعوثين من الأزهر إلى العالم الإسلامى لنشر الثقافة الإسلامية ، وطلاب البعثات الوافدة إلى الأزهر من مختلف الأقطار.

الأزهر أبو الجامعات :

ألقى الأستاذ فتحى رضوان وزير الدولة الكلمة الآتية فى مؤتمر كليات الأزهر بهيئة التحرير :

الأزهر عندى هو أبو الجامعات : لا فى مصر وحدها ، بل فى العالم بأسره ، فقد نيف على الألف وليس فى الجامعات الحية جامعة بلغت هذا العمر أو دانته .

وقد سميت المعاهد العليا باسم الجامعة اشتقاقاً من الجامع الأزهر وقد نسجت على منواله ونهجت نهجه تلك المعاهد ككمبردج واكسفورد والسوربون ، فقد كان أساس التعليم الأزهرى أن يختار التلاميذ أستاذهم ، فيجلس الأساتذة كل منهم إلى عمود ويتحلق الطلاب من حولهم حلقات يستمعون إليهم مختارين فى أدب ، ثم يناقشونهم فى شجاعة .

وقد أنتجت هذه الأسس الحرة نتاجها الحتمى ، فازدهر العلم فى الأزهر وضرب علماء المسلمين بسهم فى كل فن حتى فى الرياضيات وفى الطبيعيات .

ثم حفظ الأزهر لنا تراث آبائنا ... بل تراث الحضارة كلها ، ومن هنا أدرك الاستعمار خطر الأزهر فى استمساك المصريين بقوميتهم وفى تقدمهم الحضارى ، فأراد أن يقوضه ، فأخذ يضرب فيه بمعاوله . وأول معاوله صرف العلماء عن علمهم . وقد نجح ببعض الذى أراده ، ولكنه لم ينجح فيه كله ، فقد بقى الأزهر علماً ، لا على حضارة مصر وحدها ، بل على تلك الحضارة التى أنتجها العرب والمسلمون فى بلادهم وفى المشارق والمغارب .

وقال أيضاً :

إن نكبتنا جاءت فى الماضى من إزاحة الأزهر عن تبوء مكانته العظمى . وإننا نرجو أن يعود الأزهر إلى استعادة مجده الأول

إن العهد الجديد ـ الذى يقوم على الصدق

والأمانة ومصارحة الوطنيين بما يستطيع وبالذى لا يستطيع - لأحرص ما يكون على إعطاء الأزهر فرصته الكبرى حتى ينهض مع الأمة التى تتعاون كل عناصرها الصالحة فى الوصول بها إلى مكانتها اللائقة بها بين الأمم.

الصلاة

جزء متمم لمنهج الدين فى المدارس

طلبت الإدارة العامة للتعليم الحر بوزارة المعارف إلى جميع المدارس الحرة إنشاء مصلى فى كل منها ليتمكن التلاميذ من أداء فريضة الصلاة واعتبارها جزءاً متمما لمنهج الدين، فضلا عن أثرها النفسى فى تقويم أخلاقهم وتوجيههم توجيهاً سليما.

الأزهر فى مؤتمر نيروبى

مثل الأزهر فى المؤتمر الإسلامى بمدينة نيروبى عاصمة شرق إفريقية الأستاذ الشيخ محمد الدهان مبعوث الأزهر فى زنجبار.

واجب العلماء والمثقفين:

خطب الصاغ صلاح سالم فى نادى التجارة بالإسكندرية فكان مما قاله: «إننى أتحدث الآن إلى رجال العلم والمعرفة، وأرجو أن تسمحوا لى أن أقول فى صراحة: إن العلماء لا يقومون بواجبهم الكامل وحينما أذكر العلماء أتذكر طلبتهم، فطالب الزراعة الذى تنفق عليه الحكومة مائة جنيه فى السنة من دم الفلاح وعرقه ليحضر إلى المعامل ويستمع إلى المحاضرات لينال مجرد «شهادة» يخرج بعدها وقد ترك وراءه ١٤ مليونا من الفلاحين هم فى أشد الحاجة إلى علمه ومعرفته وجهده. هذه الملايين من الفلاحين من الذى يعالج مشاكلهم ويأخذ بأيديهم، ويرشدهم فى عملهم؟ أهى الحكومة بموظفيها المعدودين فى وزارة الزراعة، ولا يزال من بينهم المتربص بإخوانه والطامع فى ترقية!

أقولها بصراحة: إذا اعتمدنا فى حل مشاكلنا الزراعية على هذا الجهد الحكومى فقط، فلن نحقق شيئا، أما إذا انتهز طالب الزراعة فرصة عطلته الأسبوعية وذهب إلى الريف وترك اللهو فى المدينة واجتمع بأهله فأرشد الفلاحين إلى وسائل الإنتاج الصحيح ودخل فى بيوتهم وأفهمهم وسائل النهوض بإنتاجهم - إنه لو فعل ذلك لانتفع الفلاح بذلك وظل يذكر له هذا الفضل ولأدى لبلده كل الخير».

«أمركة» التعليم:

نقلت (الجمهورية) عن مجلة (حول العالم) التى تصدر فى عمان:

«ان هناك خطة مرسومة لأمركة التعليم فى الأردن عن طريق وزارة المعارف وتحت

إشرافها : لقد كان مدير كلية المعلمين فى عمان خريج جامعة لندن ، فنحى عن عمله وعين أحد خريجى الجامعة الأمريكية فى مصر مديراً لها وتشرف على إدارة مدرسة المعلمات فى بلدة (رام الله) إحدى خريجات المعاهد الأمريكية ويشرف على إدارة مدرسة المعلمين الريفية فى بيت حنينا أحد خريجى المعاهد الأمريكية ترى ... أجرى الأمر صدفة ؟ أم أن وزارة المعارف تخضع فى ذلك لشروط النقطة الرابعة التى ساهمت فى نفقات بناء هذه المدارس ؟ » .

(مجلة الأزهر) لا تتخلص القومية العربية ولا الجامعة الإسلامية من « الاستعمار العقلى » وهو شر من الاستعمار العسكرى والاستعمار السياسى إلا إذا رسمت خطط التحرير الثقافى على ما تقتضيه حيوية العروبة والإسلام وأهدافهما ، كما أشرنا إلى ذلك فى افتتاحية هذا العدد . أما إذا استمر الحال على أن يكون تثقيف الجيل وتكوين كيانه القومى بأيدى عملاء أمريكا وإنجلترا وفرنسا فمن الكذب أن ندعى أننا عاملون للتحرر من الاستعمار ..

العرب اكتشفوا أمريكا :

يقول الأستاذ جفريز (أحد العلماء المعروفين فى مادة تاريخ الجنس البشرى بجامعة وتاترساند فى الترنسفال) : إن العرب كانوا أول شعب أدخل زراعة الذرة فى أواسط إفريقية وجنوبها .

وقد خصص البرفسور جفريز - وهو قاض سابق فى نيجريا - معظم وقته فى بحث تاريخ العرب ودراسته ، وهو من القائلين بأن العرب هم الذين اكتشفوا أمريكا قبل خرستوف كولومب .

متحف لعلم الحيوان :

أصبح فى حكم المقرر تحويل قصر الأمير السابق يوسف كمال إلى متحف لعلم الحيوان وسيضم إلى المتحف كل مجموعات الطيور والحيوانات الموجودة بمتاحف القطر المصرى كلها ، ليصبح المتحف المصرى فى مركز المتاحف العالمية .

إنشاء ١٥٧ مدرسة ابتدائية : و ٢٦٩٢ فصلا فى العهد الجديد

أعدت وزارة المعارف تقريراً عن المشروعات التى قامت بها فى العهد الجديد تنفيذاً لسياسة التوسع فى التعليم جاء فيها أنه تم إنشاء ٧٠ مدرسة ابتدائية للبنين والبنات منها مدرسة نموذجية للعميان و ١٢٠٠ فصل بالمدارس الابتدائية و ٧ فصول بمعاهد النور وسبعة بمعاهد الصم وتسعة بمدارس تحفيظ القرآن

وجاء فيه أن الوزارة فى سبيل إنشاء ٨٧ مدرسة ابتدائية و ١٦ مدرسة للحضانة هذا

العام وكذلك إنشاء ١٤٩٢ فصلا بالمدارس الابتدائية و١٥٣ فصلا بالتعليم الحر و ٨ فصول بمعاهد النور و ٨ مدارس ابتدائية راقية ذات صبغة تجارية وصناعية و ٩ مدارس ابتدائية راقية ريفية للبنين و ٦ مدارس راقية لتحفيظ القرآن و ١١ مدرسة راقية للبنات .

أما فى المرحلة الثانوية فقد أنشأت الوزارة ٤٥٠ فصلا فى العام الماضى و ١٢٥ فصلا فى العام الحالى . كما أنشأت ٣ مدارس معلمين عامة و ٥٠ فصلا معلمين خاصة وريفية و٦٩ فصلا للمعلمات العامة والخاصة .

مدرسة الألسن

تنشىء قسما للغة الإسبانية

افتتحت مدرسة الألسن قسم اللغة الإسبانية فيها ، وقد حضر حفل الافتتاح سفير إسبانيا فى مصر ، يصحبه الملحق الثقافى الإسبانى وبعض رجال السفارة .

وألقى عميد المدرسة الدكتور مراد كامل كلمة أشاد فيها باللغة الإسبانية وما كان لها من وثيق الصلات بماضينا العربى العريق فى الأندلس .

وألقى السفير كلمة قيمة عبر فيها عن تمنياته للمدرسة وطلابها لكى تؤدى رسالتها الحيوية فى سبيل النهوض الثقافى فى عصر جديد جدير بمصر أن تأخذ فيه بالثقافات المختلفة ومفاتيحها هى اللغات .

وقد قررت السفارة الإسبانية أن تعمل على إيفاد قسم اللغة الإسبانية بالمدرسة إلى إسبانيا فى رحلة علمية لزيارة معالمها التاريخية .

فرنسا والبعوث الأزهرية

يحول الاستعمار الفرنسى فى أفريقيا الغربية دون إيفاد الطلبة الذين يرغبون فى تلقى العلم فى مصر .

وقد استقبل الأزهر ثلاثة عشر طالبا وفدوا من (داكار) عاصمة السنغال عن طريق بعض التجار الذين ساعدوهم فى التنقل من مقاطعة إلى مقاطعة ، وقد ألحقوا بالفصول المناسبة لمستواهم ، فقامت إدارة الحسابات بتدبير المال المناسب لإعانتهم وأجر سكنهم .

لصوص الأعراض

وافق مجلس الوزراء على قرار هذا نصه :

« يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سبعة أيام كل من تعرض لأنثى على وجه يخدش حياءها بالقول أو بالفعل فى طريق عام أومكان مطروق . فإذا عاد الجانى إلى ارتكاب جريمة من نوع الجريمة المنصوص عليها فى الفقرة السابقة مرة أخرى فى خلال سنة من تاريخ الحكم عليه فى الجريمة الأولى تكون العقوبة الحبس لمدة لا تزيد على ستة أشهر وبغرامة لا تزيد على خمسين جنيها » .

العالم الإسلامي في شهر

لاسترداد فلسطين

أذاعت شركة برقيات (أسوسياتدپرس) لأمريكية برقية من الرياض قالت فيها : إن الملك سعود عاهل الدولة السعودية العربية أدلى بحديث إلى فريق من الصحفيين الأردنيين قال فيه : « إن السبيل الوحيد الذى يتحتم على الدول العربية أن تسلكه حيال إسرائيل هو أن (تستأصلها) كما يستأصل السرطان . فلم لا نضحى بعشرة ملايين من رجالنا البالغين خمسين مليونا لنعيش ونحن محتفظون بكبريائنا واحترام أنفسنا . إن الدول العربية لن تجرى مباحثات مباشرة مع إسرائيل لأننا لن نعترف بها . ولقد خسر العرب فلسطين فى سنة ١٩٤٨ لأنهم لم يكونوا متحدين ولم يكونوا مخلصين فى أعمالهم وجهودهم . إن إسرائيل جرح خطر فى جسم العالم العربى ولن نطيق الألم من هذا الجرح إلى الأبد . ونحن لن نصبر على أن تظل إسرائيل قائمة وتحتل جانباً من فلسطين زمناً طويلا . وإذا أرادت الدول العربية أن تحقق أمانيها فى الحرية والوحدة فيجب عليها أن تنبذ سياستها الحالية ، وهى أسس الكوارث التى حلت بالعرب فى الجيل الحاضر » .

ثم قال : « إن المملكة السعودية تبسط يدها لكل حكومة عربية ترغب فى العمل معها لتحقيق أهداف العرب . وإنى أقولها كلمة صريحة : إننا نحن الملوك والقادة إذا لم نتبادل وجهات النظر على أساس غاية فى الصراحة فإننا لن نضع أقدامنا على بداية الطريق الذى يؤدى إلى تحرير فلسطين المحتلة »

علماء جامع القرويين

يقولون « لا ! »

طلب الفرنسويون وأذنابهم فى حكومة المغرب من علماء جامع القرويين بمدينة فاس أن يصدروا فتوى شرعية يقولون فيها إن الفدائيين المغاربة الذين يقاومون الاستعمار الفرنسى يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً ، وأن حكم الإسلام فيهم هو الإعدام . ولكن علماء جامع القرويين أبوا أن يصدروا هذه الفتوى ، وقالوا إن الإسلام لا يحكم بذلك على من يحاربون الاستعمار .

ولما أصر هؤلاء العلماء الأبرار على أن يقولوا « لا » ، بادر الجنرال جيوم إلى القبض على ٢٤ عالماً من أفاضلهم وكبارهم وزج بهم فى السجون ، وقد أضرب الطلبة احتجاجا على هذا البغى الذميم .

الاسلام والاستعمار

نقلت (الجمهورية) فى العدد ٢٣ عن مقال لجريدة (التيمس) اللندنية الفقرات الآتية :

« يتقدم الإسلام بخطى سريعة فى غرب إفريقية ، حتى أن بعثات التبشير والاوربيين على السواء ليبدون قلقاً شديداً مما قد يترتب على انتشار الإسلام فى المنطقة كلها .

وكان الاعتقاد قديماً أن الإسلام هو دين شعوب الصحراء ، وقد يتقدم إلى الحضر ، وما كان أحد يصدق أنه يستطيع أن يخترق المناطق الاستوائية وأن يصل إلى الجنوب كما حدث فى (سيراليون) و (ساحل العاج) و (ساحل الذهب) و (داهومى) .

ويخشى رجال الإدارة على الأخص من أن انتشار الإسلام فى هـــذه البقاع يتبعه اتصالات بالقاهرة ، وبالعالم العربى .

ويختلف المفكرون الغربيون فى اتجاههم الفكرى نحو مستقبل الإسلام فى إفريقية : فن قائل إن تقدم الإسلام لن يضر بالمصالح الاستعمارية ما دام يسير فى (الخطوط التى رسمها له المستعمر) بينما يرى آخرون ضرورة (الحد من تقدم الإسلام) عن طريق نشر البدع والخرافات (أى نشر البدع المخالفة لأصل الإسلام لإفساده وإزالة حقيقة الإسلام عنه مع بقاء اسم الإسلام عنوانا له) حتى يكون هـــذا بمثابة حائل يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد » .

حدود الحرم المكى

أذاعت وزارة الداخلية السعودية بياناً لجميع المقيمين فى جدة من الاجانب تحذرهم فيه من تجاوز حدود الحرم المكى أو الذهاب إلى أماكن بعيدة بقصد الصيد أو لأى سبب آخر بدون إذن من الجهة المختصة .

وجاء فى البيان أن الحكومة غير مسئولة عما يقع لمن يخالف هذه التعليمات .

خط الحجاز الحديدى

قابل وزير المملكة السعودية المفوض فى الأردن السيد فوزى الملقى رئيس الوزراء وأبلغه رغبة الملك سعود فى أن يستهل عهده بإعادة تسيير خط الحجاز الحديدى بين المدينة المنورة والاردن وسوريا ، توثيقاً للصلات الاخوية ، وتحقيقاً للتقارب المنشود بين العرب وقد أعرب الرئيس الأردنى عن موافقته مبدئياً على الفكرة ، وسيجرى تشكيل لجان مشتركة من الجانبين لدراسة هـذا الموضوع دراسة تفصيلية والعمل على تنفيذه فى أقرب فرصة ممكنة .

قرارات المؤتمر الإسلامي بالقدس

انتهت يوم ٣ ربيع الآخر جلسات المؤتمر الإسلامي الذى انعقد بالقدس واستمر سبعة أيام وحضره مندوبون من مختلف الأقطار العربية والإسلامية ، وقد أصدر المؤتمر قرارات هامة هى :

١ — اضطلاع الشعوب الإسلامية بقضية فلسطين واعتبارها قضية كل مسلم ، واعتبار الدفاع عن الأرض المقدسة فرض عين على جميع المسلمين لا يعفيهم منه إلا القيام بأدائه فوراً كل بما يستطيع .

٢ — إعلان بطلان الوضع الذى أحدثه اليهود فى فلسطين بما يشتمل عليه من تقسيم واحتلال ، واعتبار كل ذلك وما نشأ عنه من تشريد للمواطنين وغصب لحقوقهم اعتداء على حقوق المسلمين جميعاً .

٣ — اعتبار الصلح مع إسرائيل أو التعامل معها خيانة ينتقم لها واعتبار التفكير فى تدويل القدس مؤامرة يقف العالم الإسلامى فى وجهها .

٤ — طرح وسائل الاستخذاء والسلبية التى أثبتت فشلها وإعداد العدة وتعبئة القوى الشعبية للكفاح الإيجابى وتمكين اللاجئين من استرداد ديارهم وأموالهم وإلى أن يتم ذلك يجب تحسين أحوال اللاجئين المادية وتربيتهم وتعليمهم بكافة الوسائل .

٥ — تكوين صندوق إسلامى عام لقضية فلسطين وتدبير الأموال اللازمة له ليتولى وسائل الإنعاش الاقتصادى ومساعدة المشروعات الاقتصادية فى المملكة الأردنية عامة وفى القدس خاصة وللقيام بكل ما يلزم فى قضية الكفاح العام وتنظيم لجان لتدبير هذا المال .

٦ — إنذار الدول المستعمرة التى أقامت إسرائيل وما تزال تسندها بعداء الشعوب الإسلامية كافة إذا لم تكف عن موقفها الجائر فى قضية فلسطين وتوجيه الشعوب إلى حمل حكوماتها لتقف موقف العداء كذلك من تلك الدول .

٧ — اتخاذ يوم ٢٧ رجب يوم فلسطين ويكل المؤتمر إلى المكتب الدائم اتخاذ التدابير اللازمة لتنظيم ما يلزم عمله فى ذلك اليوم وإذاعته بين المسلمين فى أنحاء العالم .

اليهود فى بلاد العرب

اكتشفت السلطات العسكرية العراقية فى كنيس لليهود بمدينة البصرة ستة مدافع رشاشة صغيرة و ١٣ صندوقا للذخيرة وعدداً من القنابل اليدوية وكمية من المواد المتفجرة ومع هذه الأسلحة علم إسرائيلى وكتاب عن الفن الحربى مكتوب باللغة العبرية .

الحرس العربى بالأردن

تلقت حكومة الأردن ٢٠٠ ألف جنيه من مصر و ١٤٢ر٥٧ دولاراً من الحكومة العراقية و ١٧٤ر٣٥ دولاراً من جامعة الدول العربية و ٥٧١ر٢٣ دولاراً من الحكومة السعودية لتقوية الحرس العربى ، وقد سبق أن قررت جامعة الدول العربية أنها ستقدم مليونين من الجنيهات لهذا الغرض

البترول السعودى

أعلنت شركة الزيت العربية الأمريكية أن إنتاج زيت البترول الخام فى الأراضى السعودية خلال شهر نوفمبر الماضى بلغ ٢٤ مليونا و ٦٧٧ و ٣٥٢ برميلا بمعدل ٨١١،٧٥٦ برميلا فى اليوم . وبلغ مقدار زيت البترول الخام الذى كرر فى معمل تكرير الشركة فى (التنورة) خمسة ملايين و٩٦ر٢١٠ برميلا بمعد ٦٧٣ر١٧٣ برميلا فى اليوم .

الانجليز فى كينيا

تحدث صحفى انجليزى مع أحد سكان كينيا ، وهو أحد الذين تنصروا على أيدى المبشرين ، فقال الرجل للصحفى :

« لما جاء الانجليز إلى بلادنا كنا نملك الأرض ، وكانوا هم يحملون الإنجيل . أما الآن فإنهم صاروا يملكون الأرض ونحن نحمل الإنجيل ! » .

التماثيل

فى محاكمة مصدق بطهران وجه رئيس المحكمة سؤالا إلى مصدق بشأن الأوامر التى كان أصدرها بعدم التعرض للذين حطموا تماثيل شاه إيران ، فأجاب مصدق :

« إن الإسلام يحرم إقامة التماثيل ، وأنا مسلم وأحترم دينى ولذلك أكره التماثيل . وأنا أتحداكم أن تجدوا لى بنداً فى قانوننا الجنائى يحمى التماثيل ويعاقب الذين يكرهونها مثلى » .

تحسين أحوال العمال

نتيجة لزيادة الإنتاج وتحسينه

قدم مصر أخيراً مستر مورس مدير مكتب العمل الدولى ، وبعد جولة دراسة واختبار قام بها من الإسكندرية إلى أسوان تحدث عن رأيه فى نهضة مصر الاقتصادية فقال :

« إن الإنتاج يجب أن يسبق كل شىء . وليس هذا أوان تحسين أحوال الموظفين أو العمال ، بل يجب أولا مواصلة العمل لزيادة الإنتاج ، وبعد ذلك تزيد الثروة ، ويتبعها تحسين أحوال العمال » .

ومدير مكتب العمل الدولى كان وزيراً للعمال فى أمريكا واشتغل طوال حياته فى مسائل العمل والعمال .



فهرس

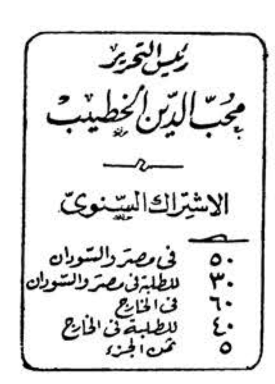
الجزء الخامس — المجلد الخامس والعشرون

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤



تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي



الجزء السادس ـ القاهرة في غرة جمادى الآخرة ١٣٧٣ ـ ٥ فبراير ١٩٥٤ ـ المجلد الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الجيل المثالي

من أيام افلاطون (٤٣٠ ـ ٣٤٨ ق . م) « وكتابه الجمهورية » .

ثم من عصر أبي نصر الفارابي (٢٦٠ ـ ٣٣٩ هـ) وكتابه « المدينة الفاضلة » .

إلى زمن السرتوماس مور Tomas More (١٤٧٨ ـ ١٥٣٥ م) وكتابه « يوتوبيا » Utopia .

من تلك العصور والأزمان ـ إلى يوم الناس هذا ـ والإنسانية تحلم بالجيل المثالي الذي يود البشر لو يظفرون به فيتخذونه قدوة لهم في السلم والحرب ، والمنشط والمكره ، في مختلف أطوار الحياة ، ليكون لهم من كماله الإمكاني ، المثل المقتدى به في كمالهم الإنساني .

هي أمنية من أماني الشعوب والامم ، من أقدم الأزمان إلى الآن ، تحدث عنها الحكماء ، وتغنى بها الشعراء ، وترنم بها رخيم أصوات الهاتفين ، وهمس بها صفوة الضارعين والمناجين ، من كل صادح أو باغم .

بل إن « الجيل المثالي » هو الذي دعا إلى تكوينه وحمل على تحقيقه الانبياء من أولى

العزم ، وهو الذى تمناه الحكماء وأهل العلم ، وهو الذى كانت الإنسانية ولا تزال ترنو إلى شبحه المرجى فى أحلام يقظاتها وفترات غفواتها .

تريث موسى بقومه فى آفاق العريش وبرية سيناء وصحارى النقب وحوالى بئر سبع أربعين حولا يلتحف معهم سحائب السماء ويفترش أديم الغبراء ، وهو يحاول أن يربى منهم جيلا مثالياً يستن بسنن الله ، ويتخلق بأخلاق الرفق والحزم والتضحية والاستقامة والاعتدال فيرضى بها عن ربه ويرضى ربه عنه ، ثم مات موسى ولما يبلغ من أمته هذه الأمنية . . .

ونبغ فى الصين حكيمها الأعظم كونغ فوتس الذى عرفناه من طريق الافرنج باسم كونفوشيوس (٥٥٠ - ٤٧٩ ق . م) ، ولا شك أنه كان من أصدق الدعاة إلى أن يتعامل الناس بالمروءة ، لكنه لم يرتفع بدعوته إلى تخليص الصين من عبوديتها لابن السماء (الامبراطور) ولما فى السماء من شمس وقمر وكواكب وسحائب ورعود وصواعق وأمطار ، ولا إلى تخليصها من عبادة الأرض وما فى الأرض من جبال وبحار وأنهار ، ولا من أرواح الآباء وماتقيمه فى سبيلهم من حدود وسدود وقيود . وقد أخفق كونغ فوتس (كونفوشيوس) فى كل ما قام به من دعوة فى أرجاء الصين ، فعاد إلى بلده يؤلف الصحائف فى الدعوة إلى المروءة ، وقد رأينا تفصيل ذلك فى كتابه (الحوار [1]) . ثم مات كونفوشيوس وليس له من المتأثرين بدعوته إلا عدد قليل من تلاميذه ، وبقيت الصين هى الصين من ذلك الحين إلى الآن . . .

وأعلن حكماء اليونان مذاهبهم فى الحكمة وتهذيب النفس ، فصنفوا فى ذلك المصنفات ، وألقوا به الخطب . وقد اشتطوا فى كثير مما صنفوا وخطبوا . وكتاب « الجمهورية » لافلاطون من أبرز الأمثلة على هذا الشطط . ثم انقضى زمن حكماء اليونان وحكمتهم ، دون أن تعمل شعوبهم بما دعوها إليه ، لأن الدعوة والمدعوين للعمل بها لم يكونا أهلا لذلك . . .

وعالج المسيح فى فلسطين عقول مواطنيه من العامة والخاصة ، ممن كانوا يقصدون هيكل

---

(١) نقله إلى العربية السيد محمد مكين الصينى عن اللغة الصينية مباشرة باقتراح رئيس تحرير هذه المجلة ونشرته المطبعة السلفية .

أورشليم، أو يتسلقون جبل الزيتون، أو يترددون على شواطىء بحيرة طبريا وحقول أرض الجليل وحدائقها، فلم يستجب لدعوته إلا عدد ضئيل لا يكاد يسمى جماعة، فضلا عن أن يكون أمة.

إن الإنسانية من أقدم أزمانها، وفى مختلف أوطانها، لم تشهد «الجيل المثالىّ» إلا مرة واحدة حين فوجئت بإقباله عليها من صحارى أرض العرب يدعو إلى الحق والخير بالقوة والرحمة، فكان ذلك مفاجأة عجيبة لكل من شهد هذا الحادث التاريخى الفذّ من روم وفرس وآراميين وكنعانيين وعبريين ومصريين وليبيين وبربر وفاندال ولاتين وتيوتون وسكسونيين وصقلبيين وغيرهم.

كانت المفاجأة عجيبة — بمصدرها، وكيفيتها، وأطوارها — ثم كانت عجيبة العجائب بنتائجها التى لا تزال إلى اليوم من معجزات التاريخ.

أين كان هؤلاء؟ وكيف تكوّنوا على حين غفلة من الأمم؟ وما هذه الرسالة التى يحملونها؟ وكيف نجحت؟ وما هى وسائل نجاحها؟

سلسلة من الأسئلة لا يكاد الناس يتساءلون بأولها حتى يفاجأوا بما ينسيهم تاليه أوله، إلى أن رأوا من صفات هذه الأمة المثالية ما أيقنوا به أنها تحمل إلى الإنسانية رسالة الحق والخير، وأنها تترجم عن رسالتها بأخلاقها وسيرتها وأعمالها، وأن الذى اعتقدته وتخلقت به ودعت الأمم إليه هو الحق الذى قامت به السماوات والأرض.

وكما تساءل الناس عن هذه العجائب فى زمن وقوعها، ثم أنساهم بعضها بعضاً، كذلك نحن نتساءل اليوم عن كثير من أسرارها. وبالرغم من ضياع العدد الأكبر من المراجع القديمة فيما احترق مع بيوت الفسطاط ومدارسها وجوامعها مدة أربعة وخمسين يوماً، وفيما غرق بمياه دجلة أيام ابن العلقمى ومستشاره ابن أبى الحديد، وفيما خسرناه بضياع الأندلس وكوارث الحروب الصليبية، وفيما فرطنا به فى أزمان الجهل والانحطاط - بالرغم من كل هذا - فإن النفوس استيقظت الآن لدراسة أحوال «الجيل المثالى» الفذ الذى عرفته الدنيا، ولنقد الأصيل والدخيل من أخباره، وتحليل عناصر الخير التى انطوى عليها، ومعرفة الأسباب التى صار بها جيلا مثالياً، لتستفيد الإنسانية من الاقتداء به، والتأسى بسننه وأخلاقه وتصرفاته.

وأول ما نعلمه ونؤمن به من أسباب الكمال فى هـذا الجيل المثالى أنه تلقى تربيته على يد معلم الناس الخير خاتم رسل الله المبعوث بأكمل رسالات الله ﷺ . إن هـذا السبب فى طليعة أسباب الكمال لهذا الجيل المثالى ، لا يشك فى ذلك عاقل فضلا عن مؤمن . ولكن يحق لنا أن نتساءل : ألم يكن موسى أحد المبعوثين برسالات الله ؟ ألم يتح لموسى أن يعاشر قومه فى الحل والترحال معاشرة تربية ودعوة أكثر من أربعين سنة ؟ ومع ذلك فقد جاء فى « سفر العدد » من التوراة الموجودة الآن فى أيدى قومه (١٤ : ٢٦ - ٢٧) ما نصه : « وكلم الرب موسى وهارون قائلا : حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علىّ ؟ ، ٢٩ « فى هـذا القفر تسقط جثثكم جميعاً ، المعدودين منكم حسب عددكم ، من ابن عشرين فصاعدا الذين تذمروا علىّ » .

أين — من أصحاب موسى هؤلاء — أصحاب محمد عليهما صلاة الله وسلامه يوم سار بهم إلى بدر وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ليناجزوا ثلاثة أضعافهم من أهل الرجولة والحماسة والبأس ، فلما بلغ النبى ﷺ بهذه القلة القليلة من أصحابه وادى ذفران أراد أن يختبر إيمانهم فأخبرهم عن قريش واستشارهم فى الموقف ، فقام الصديق الأعظم أبو بكر فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب الذى أعز الله به الإسلام فقال وأحسن ، ثم قام فارسهم المقداد بن عمرو (الأسود) الكندى فقال : « يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له . ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا علىّ أيها الناس » . فقال له سعد بن معاذ سيد الخزرج وأقوى زعيم فى الأنصار : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ » قال : « أجل » . قال سعد : « فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة . فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك . فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً . إنا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء لعـل الله يريك منا ما تقر به عينك . فسر بنا على بركة الله » . وقد كان عملهم أبين من قولهم وأصدق .

هكذا كانوا فى مواقف البأس وعند الشدائد . ورأيناهم فى تحريهم الحقوق وإذعانهم للإنصاف والعدل فى حياتهم السلمية كما تحدثت عنهم أم سلمة رضى الله عنها — فيما رواه عنها الإمام أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه — قالت : « جاء رجلان يختصمان إلى رسول الله ﷺ فى مواريث قد درست ليس بينهما بينة ، فقال لهما رسول الله ﷺ إنكم تختصمون إلى ، وإنما أنا بشر ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضى بينكم على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى بها اسطاما فى عنقه يوم القيامة . فبكى الرجلان ، وقال كل واحد منهما حق لأخى ! فقال لهما رسول الله ﷺ أما إذا قلتما ذلك فاذهبا ، فاقتسما ، ثم توخيا الحق ، ثم استهما (أى اعملا قرعة على القسمين بعد قسمهما) ، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه » وهذان الرجلان المثاليان فى الإيمان بالحق لا نزال إلى الآن نجهل اسميهما لأنهما من عامة الصحابة لا من خواصهم الممتازين بالفضائل الإنسانية النادرة المثال كالعشرة المبشرين بالجنة وطبقتهم ممن اختصهم النبى صلى الله عليه وسلم بالمكانة والمناقب . وهذه الطريقة فى تربية محمد ﷺ لأصحابه على محبة الحق واستجابة أصحابه له فيما أحب ﷺ أن يكونوا عليه ، قد أشاعت هذا الخلق فى الخاصة والعامة من أبناء ذلك الجيل المثالى ، فلما كانت خلافة الصديق الأعظم رضوان الله وسلامه عليه ناط منصب القضاء برمز العدالة فى الإنسانية — وهو عمر بن الخطاب — فكانت تمر على عمر الأشهر ولا يأتيه اثنان يتقاضيان عنده ، وأى حاجة بهذه الأمة المثالية إلى القضاء والمحاكم وهى أمة الحق ، ومن أخلاقها أن تتحرى الحق بنفسها فلا تحتاج إلى تحكيم القضاء فيه .

بل إن الطبقة الدنيا فى هذا الجيل (وأحوالها وأخلاقها معروفة فى كل جيل وقبيل) وهم ممن يستطيع الشيطان فى العادة أن يغلبهم على إرادتهم فى بعض الأحيان فيقعون فى زلة يستوجبون عليها الحد الشرعى ، فإن من أعجب ما وقع فى تاريخ البشر أن يأتى من يقع فى شىء من تلك الزلة من أهل تلك الطبقة إلى رسول الله ﷺ فيعترف له بزلته ، ويلح بلجاجة وإصرار على طلب إقامة الحد عليه (وفى ذلك حتفه) ليتطهر مما دنسه به الشيطان . وكان نبى الرحمة إذا رأى هذا الإيمان العجيب فى هذه الطبقة من أصحابه الطيبين يحاول جهده أن يدرأ الحد عنهم بكل ما يجيزه الشرع ، فيأبون إلا أن يتعجلوا عقوبة الدنيا ليتقوا بها عقوبة الآخرة .

وهذه الملاحظة - عن هذه الطبقة بالذات - قد سبق إلى التنويه بها والتحدث عنها إمام كبير من أئمة أهل البيت من زيدية اليمن، وهو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان ابن حمزة (المتوفى ببلدة كوكبان باليمن سنة ٦١٤) نقل ذلك عنه عالم الزيدية فى القرن التاسع السيد محمد بن إبراهيم بن على المرتضى الوزير (٧٧٥ - ٨٤٠) فى كتابه الروض الباسم (١ : ٥٥ - ٥٦) فذكر تلك الطبقة وقال : « إن أكثرهم تساهلا فى أمر الدين ممن يتجاسر على الإقدام على الكبائر، لا سيما معصية الزنا .. وذلك دليل خفة الأمانة ونقصان الديانة، لكنا نظرنا فى حالهم فوجدناهم فعلوا ما لا يفعله من المتأخرين إلا أهل الورع الشحيح، والخوف العظيم، ومن يضرب بصلاحه المثل، ويتقرب بحبه إلى الله عز وجل . وذلك أنهم بذلوا أرواحهم فى مرضاة رب العالمين، وليس يفعل ذلك إلا من يحق له منصب الإمامة فى أهل التقوى والدين » . أى أن طبقة الدهماء فى ذلك الجيل المثالى - ممن قد يقعون فى الكبائر - كان لهم من صدق الإيمان والاستقامة على الحق ما يرفعهم إلى مرتبة من يحق له منصب الإمامة فى أمة من أهل التقوى والدين، فكيف بخاصة الصحابة الذين نزههم الله عز وجل عن أصغر الهفوات، ورفعهم إلى أعلى الدرجات . ولولا أن النبوة ختمت بمربيهم وهاديهم إلى الحق ﷺ لما كان مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى أقل من الأنبياء الذين سلفوا فى الأمم الأخرى . وإن هذا الذى يتكلم عن الزناة من دهماء الصحابة واستحقاقهم لمنصب الإمامة إمام من أئمة أهل البيت يعنى ما يقول، ويعلم معنى أقواله . لكنه رأى هذه الطبقة فى ذلك « الجيل المثالى » قد صدر عنها من صدق الإيمان ما لم تر أمة من أمم الأرض مثله، فحكم بعلمه، وكان منصفاً لنفسه، وللحق، ولدعوة الإسلام وآثارها فى أهلها الأولين .

وقد علق على كلام الإمام المنصور بالله علامة الزيدية السيد محمد بن إبراهيم الوزير (١ : ٥٦ - ٥٧ من الروض الباسم) قائلا يخاطب قارىء كتابه : « فأخبرنى على الإنصاف : من فى زماننا - وقبل زماننا - من أهل الديانة سار إلى الموت نشيطاً، وأتى إلى ولاة الأمر مقراً بذنبه مشتاقاً إلى لقاء ربه، باذلا فى رضا الله لروحه، ممكناً للولاة أو القضاة من الحكم بقتله ؟ ! وهذه الأشياء تنبه الغافل، وتقوى بصيرة العاقل . وإلا ففى قول الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » كفاية وغنية، مع ما عضدها من شهادة المصطفى عليه السلام « بأنهم خير القرون » ، وبأن غيرهم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، إلى أمثال ذلك من مناقبهم الشريفة ومراتبهم المنيفة » .

ونعود إلى المقارنة الأولى بين أمة محمد ﷺ وأمة موسى عليه السلام — وكلاهما من الأنبياء أولى العزم — وموسى أتيح له من الوقت لتربية أمته ضعف الوقت الذى أتيح لمحمد ﷺ فى تربية أمته، فكيف نالت أمة محمد ﷺ هذه المكرمة فكانت «الجيل المثالى» الذى خلده الله عز وجل فى القرآن بقوله فى سورة آل عمران ١١٠ «كنتم خير أمة أخرجت للناس»، بينما الجيل الذى كان مع موسى استحق أن يدمغ بما ورد فى سفر العدد (١٤ : ٢٦ - ٢٧ و ٢٩) كما نقلناه آنفاً عن التوراة التى يطبع منها فى كل سنة ملايين النسخ بكل اللغات ؟

أنا فكرت فى هذا الأمر كثيراً من خمسين سنة إلى الآن، ومن ذلك الحين وأنا أراقب كل ما يقع عليه نظرى من تحقيقات العلماء وخطرات أفكارهم لأصل إلى حكمة الله فى هذا الامتياز الذى اختص به أصحاب رسول الله ﷺ فجعلهم «الجيل المثالى» الوحيد الذى عرفه تاريخ الإنسانية.

فكرت فى معادن الأمم، ومواهبها، وسجاياها، فراقبتها جميعاً وهى فى بداوتها (أى فى مادتها الخام) قبل أن تطرأ عليها الحضارات والعلوم المكتسبه والصناعات والأنظمة الاجتماعية التى هى من صنع التشريع البشرى، فتبين لى أن الأمة التى منها «الجيل المثالى» فى الإسلام امتازت فى بداوتها على كل أمة أخرى فى بداوتها بسعة المدارك ونضوج العقل ودقة المشاعر وجودة الأخلاق، وأنها امتازت فى بداوتها بلغة هى أرقى على الإطلاق من كل لغة أخرى للبشر فى طورهم البدوى. وكل رقى لأى لغة أخرى غير اللغة العربية هو من أثر الحضارة واتساعها الحادث فى الصناعات والعمران والفنون والثروة، ولو أن عالما من علماء اللغات أمسك بيده قلما بالمداد الأحمر وشطب به كل لفظة فى المعجم الألمانى أو الإنجليزى أو الفرنسى يرى أنها من الألفاظ التى حدثت بعد التقدم الصناعى أو العلمى أو الاقتصادى أو الفنى، ولم تكن للألمان أو الإنجليز أو الفرنسيين فى بداوتهم، لما بقى لهذه الأمم فى أكبر معاجمها اللغوية إلا ما يعادل نصف جزء من أجزاء لسان العرب العشرين إن لم يكن أقل من ذلك، والعرب لما استفحل ملكهم وصارت لهم جيوش عظيمة واصطلاحات عسكرية وإدارية وفلسفية وعلمية وصناعية أبى علماؤهم أن يقحموا على معاجمهم وأصل لغتهم هذه الاصطلاحات الطارئة، فألفوا كتبا مستقلة للاصطلاحات، وبقيت معاجم اللغة تمثل أصل اللغة بشواهدها من شعر العرب وحكمتهم وأمثالهم فى أيام بداوتهم، فهى برهان حسى قائم

أمام الأنظار على ما امتازت به العربية بين جميع اللغات التى نطق بها البشر . ومما امتازت به الأمة التى ظهر منها ، الجيل المثالى ، إنسانيتها العليا فى معاملة الغير وإكرامه بالأمن والقرى وإذا استثنينا ما يكون فى حالة الحرب بين القبيلة وغيرها من العرب ، فإن جزيرة العرب من أقدم أزمانها إلى هذه الساعة أعظم بلاد الله أمنا على الإطلاق ، ينتقل فيها من شاء حيث شاء فيجد لنفسه فندقا مجانيا عند كل بصيص ضوء يعشو إليه فى الليل ، أو أى خباء يلوح له فى النهار ، وله (حق) الضيافة ثلاثة أيام بلا من عليه ولا فضل لمضيفيه . ومن آداب الضيافة عندهم أن لا يسألوا ضيفهم حتى عن اسمه ، وكان عندهم نظام الأشهر الحرم يمتنع فيها القتال بين المتحاربين ، وكان عندهم الأمن المطلق حتى للحمام والظباء وسائر الصيد فى داخل أعلام الحرم فى جميع أيام السنة ، ولو لقى الرجل قاتل أبيه فى أرض الحرم ما كان له أن يروعه أو يزعجه . أنا مقتنع بأنه كما اختار الله محمدا ﷺ لأكمل رسالاته وآخرها ، اختار كذلك العربية لكتابه الحكيم لأنها أكمل اللغات وأغناها ، واختار أيضاً لرسوله أصدق الأمم وأكرمها معدنا وأجمعها للصفات التى تكفل نجاح هذه الدعوة وتقوى بها على حمل هذه الأمانة ، فكانت بها خير أمة أخرجت للناس ، وقد دعت إلى الإسلام بسيرتها وأخلاقها وتصرفاتها ، فتعرفت الأمم إلى الرسالة المحمدية بما رأت العيون من سيرة أصحابه أكثر مما سمعته الآذان من بيانهم . وأصحاب رسول الله ﷺ لما استجابوا لهذه الدعوة وتشرفوا بالدخول فى الإسلام كانوا متفاوتين فى مبلغهم من سجايا أمتهم : فبعضهم كان أسرع إدراكا من بعض ، وإذا امتاز أحدهم على أخيه بناحية من نواحى الخير كان لأخيه ناحية أخرى من الخير يمتاز بها كان أبو بكر أسبق من عمر إلى إدراك الحق فى دعوة الإسلام ، لكن عمر حتى فى أشد عصبيته على الإسلام يوم بلغه إسلام أخته وابن عمه وجاء ليبطش بهما طرقت سمعه صيحة من صيحات الحق التى يهتف بها الإسلام ، فبردت عصبيته ، وتغلب نزوعه للحق على نزوعه لنصرة الإلف ، فكان — فى خلال دقيقتين اثنتين — من أكرم أنصار الحق على الله ، ومن أسرع البشر إلى الاستجابة لنداء الحق . وخالد بن الوليد كان شابا من أبناء الأعيان من رؤساء قريش سكر بخمرة النصر على المسلمين فى أحد ، وعاد إلى مكة نشوان بها ، لكن الحق الذى كان الإسلام يهتف به كان يطرق مسامع خالد ، فتأمل فيه فوجده حقاً ، فترك ثروة أبيه وجاهه ومربط خيله الواسع فى مكة وخرج قاصداً المدينة ليدخل فى دين الذين حاربهم وانتصر عليهم فلقى فى طريقه عمرو بن العاص وحامل مفتاح الكعبة وعلم أنهما مثله قد تبين لهما الحق وخرجا

فى طلبه والالتحاق بأهله والجهاد فى سبيله ، فقال النبى ﷺ فيهم عند بلوغهم المدينة : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها .

مثل هذه الأخلاق كثيرة جداً فى « الجيل المثالى » الذى صنع منه محمد ﷺ أصحابه . ولكننا قلما نجد ذلك شائعا فى الأمم الأخرى . نعم إن الخير موجود فى كل الأمم ، ولكن لا إلى الحد الذى يقوم به الجيل المثالى ، ولذلك كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى فى صحيحه (الكتاب ٦١ - الباب الأول) من حديث أبى زرعة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تجدون الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » . ومما لا شك فيه أن العرب كانوا على وثنية ، ولكن من من الأمم لم يكن عند ظهور الإسلام من أهل الوثنية بمختلف معانيها ؟ إلا أن العرب كانوا أحدث الأمم فى وثنيتهم ، لأنها طرأت عليهم قبيل الإسلام بمئات قليلة من السنين على يد عمرو بن لحى الخزاعى فى خبر طويل لا يتسع المقام للإفاضة فيه . وكانت العرب قبل ذلك من أهل الحنيفية دين إبراهيم وإسماعيل ، وبنو إسماعيل انتشروا من مكة وتوطنوا فى جميع البقاع الشمالية من جزيرة العرب إلى أسوار مدينة دمشق . ومن العرب من كانوا على دين شعيب وقد ترك التاريخ لنا نصوصا فى هذا المعنى . وهذه الوثنية الطارئة على العرب لم يكن لها عندهم من الهياكل والسدنة والتهاويل ما يضارع الذى لها عند غيرهم ، فكانوا أقرب أمم الأرض إلى دين الفطرة ، وبذلك استحقوا ثناء الله عليهم فيما جاء بسورة البقرة ١٤٣ « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع إيمانكم ، إن الله بالناس لرءوف رحيم » ، وما جاء فى سورة الأنفال ٦٤ : « يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ، وما جاء فى سورة التوبة ١٠٠ « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » .

نقل الحافظ ابن حجر فى الإصابة (٣ : ٢ طبعة السلطان عبد الحفيظ) عن الزبير بن بكار « أن رجلا قال لعمرو بن العاص : ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت أنت فى عقلك ؟

قال : إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم (يعنى أباه ومن هو فى طبقته) وكانوا ممن توازى حلومهم الجبال . فلما بعث النبي ﷺ فأنكروا عليه ، قلدناهم ، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا ، فإذا حق بين ، فوقع فى قلبي الإسلام ، فعرفت قريش ذلك منى ، من إبطائى عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه ، فبعثوا إلى فتى منهم فناظرنى فى ذلك ، فقلت أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك : أنحن أهدى أم فارس والروم ؟ قال : نحن أهدى (يعنى الصدق والعدالة والأمانة والتعاون المحمود) . قلت : فنحن أوسع عيشا أم هم ؟ قال : هم . قلت : فما ينفعنا فضلنا عليهم إن لم يكن لنا فضل إلا فى الدنيا وهم أعظم منا فيها أمرا فى كل شيء ؟ وقد وقع فى نفسى أن الذى يقوله محمد - من أن البعث بعد الموت ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته - حق ، ولا خير فى التمادى فى الباطل » .

إن المسلمين - بل الإنسانية كلها - أشد ما كانوا اليوم حاجة إلى معرفة فضائل أصحاب رسول الله ﷺ وكرم معدنهم وأثر تربية رسول الله ﷺ فيهم ، وما كانوا عليه من علو المنزلة التى صاروا بها « الجيل المثالى » الفذ فى تاريخ البشر . وشباب الإسلام معذور إذا لم يحسن التأسى بالجيل المثالى فى الإسلام لأن أخبار أولئك الأخيار قد طرأ عليها من التحريف والأغراض والبتر والزيادة وسوء التأويل من قلوب شحنت بالغل على المؤمنين الأولين فأنكرت عليهم حتى نعمة الإيمان ، وقد أصبح من الفرض الدينى والقومى والوطنى على كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات وأن يبادر له ويجتهد فيه ما استطاع ، إلى أن يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به ويجددون عهده ويصلحون سيرتهم بصلاح سيرته .

وهذه المعانى تحتاج إلى دراسات علمية عميقة ، ليتبين لنا سر الله فى تكوين هذا « الجيل المثالى » على يد حامل أكمل رسالات الله . وإن مقالا فى مجلة أضيق من أن يلم - ولو بإشارات قصيرة ولمحات سريعة - لمثل هذه المعانى التى تخطر على البال فى أثناء المطالعات والتفكير ، ونحن نكتفى بتسجيلها ليتخذ منها أذكياء الطلبة الأزهريين والشبان الجامعيين مواضيع للدراسة والتمحيص . والله الموفق .

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ١٢ -

طالوت ...... وجالوت

طالوت فى قلة مؤمنـــة ... وجالوت فى كثرة غير مؤمنة

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .

نحن وقراؤنا على بينة من قبل بأن كتاب الله تعالى يعنى من القصص بجانب العبرة التى يحتويها البيان ، ويمتزج بها السياق : تبصيراً لنا بوجوه السداد ، وتربية لنا فى ضوء الواقع الذى مر بأسلافنا ، وإقناعاً بأن سنة الله فى خلقه لا تتبدل ، فالدنيا هى الدنيا وإن تعاقب أهلها ، وأعمال الناس فيها متشابهة فى الخير أو الشر ، فالخير للخيرين ، والشر للأشرار ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من وعظ بنفسه .

وموقفنا أمام قصة طالوت وجالوت موقف الآخذ لنفسه ما يجديها ، ويصلح من شأنها غير ظانين ما يظنه آخرون من أنها أحداث كانت لغيرنا ، وفى زمن سابق على زمننا ، فليس القرآن قصد فى ذكر قضاياه لمجرد العلم بأنها كانت ، أو للتذكير بتاريخها فحسب .

ونحن بعد هذا التقديم أمام قصة تناولتها الآيات عن بنى إسرائيل .

وكم عرض القرآن لشأن هؤلاء فى ذكريات بعضها أغرب من بعض ، وأمعن فى الضلال وما لنا بد من الإلمام بما يعرضه القرآن عن بنى إسرائيل أو سواهم حتى تستبين عبره لمن شاء الهداية لنفسه من أفراد وأمم .

والقصة الحاضرة ذات مراحل متتابعة .. ونحن نستقيها من القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مسترشدين بما وعاه المفسرون .

١ — المرحلة الأولى : ـ أن بنى إسرائيل ـ وكان مقامهم على حدود مصر الشرقية ـ طابت لهم الحياة حتى غمرهم الترف فى زمن ما ، فوهنت قواهم عن الكفاح ، وتحللت قوميتهم ، وكان من تغافلهم عن دعم حياتهم بما يدرأ عنها أسباب الانهيار أن طمع فيهم الوثنيون من أهل فلسطين ، وواجهوهم بحروب لا طاقة لهم بها حتى غلبوهم على نواح من وطنهم

وأخرجوهم منها ، وفرقوا بينهم وبين بنيهم بالتشريد ، وأخذوا منهم التابوت الذى يعتزون به من عهد موسى عليه السلام .

والتابوت صندوق صنعه موسى على صفة خاصة كما أمره الله وكان وعاء توضع فيه بعض الوثائق الدينية من التوراة ، ومن تقاليدهم يومئذ أن يضعوه فى إبان الحرب أمام صفوفهم فيكون وجوده من أسباب انتصارهم ، وكأنه يبارك جهادهم ، ويحفزهم على المقاومة ، ويبعث فيهم النشاط وحب التضحية ذوداً عن دينهم ، ووطنهم ، وأرواحهم ، ولكنه ضاع من أيديهم بسبب إخلالهم بواجبهم الدينى ، وتقاعدهم عن صيانة الوطن .

٢ - المرحلة الثانية — أن رمقا من الغيرة جاش بنفس الإسرائيليين بعد أمد من الزمن ، وأن ذكريات الماضى بعثت فى نسلهم أخيراً شيئاً من الحنين إلى استعادة مجدهم واسترداد ماضاع منهم ... وكان ذلك على عهد نبيهم شمويل - صموئيل - وهو الزمن الذى ظهر فيه داود عليه السلام ولم يكن نبياً الآن .

نهض الملأ منهم - وهم أشرافهم - وطلبوا إلى نبيهم أن يختار منهم والياً عليهم فى الملك ، ليتولى قيادتهم فى حرب أعدائهم الفلسطينيين ، وكانت أمورهم لا توكل إلى ملوك من قبل ، بل كانت إلى الأنبياء وأهل العلم . ولأنه اتجاه من الملأ إلى نظام غير معهود لم يكن شمويل مطواعا لهم ، وهو فوق ذلك على علم بوهن عزائمهم ، وغير ناس لما مر من أسلافهم طوال الزمن ، وهؤلاء ورثتهم ... والعصا من العصية .

فكان طبيعياً ألا يستجيب لهم فى هوادة ، حتى ألحوا عليه ، صارحهم بما يتوقعه من خذلانهم ، فهم يرددون عليه قولهم (ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله) وهو يقول (هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ؟) يريد : هل أتوقع منكم نكوصاً عن القتال وتخلفا عن العهد كما عهد فى أسلافكم ، ؟

فكان تشككه فيهم ، وارتيابه فى وفائهم إغراء لهم بتوكيد العهد ، والتبرى مما يخالجه فى شأنهم ، (قالوا : وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) ؟ ؟ وكان لابد أن ينتهى الجدل إلى قبول منه ، وانتظار منهم لما يأتيهم به النبى بعد .

وفى هذا الموطن وقبل الدخول فى المرحلة الثالثة تواجهنا آية تتعلق بالطرف الأخير من القصة ، ومكانها الواقعى يكون فى النهاية لا فى البدء ، وهى قوله سبحانه « فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين » وهذا إخبار بنكوص أكثرهم

ولم يكونوا أمروا بالجهاد بعد...وحكمة ذلك التقديم أن الله يعلم من أمرهم أنهم سيشذون ، وتلك عادات معهودة فى بنى إسرائيل ، والله ـ سبحانه ـ يعجل بإفادتنا لما كان من شأنهم أخيرا ليريح القارئ والسامع من التطلع إلى النتيجة ولو على سبيل الإجمال .

وفى التعجيل إجمالا حافز على الاسترسال فى تعرف التفاصيل ، وبذلك تستقر القضية فى النفس ، ويتنبه الذهن إلى أن المنتظر منهم لا يبعد عن المألوف عنهم من نكث العهود والتعلل بالمعاذير ، وشىء من هذا لا ينبغى أن يحدث ممن يزعمون الطاعة وينتمون إلى دين ... فالتعجيل بالفائدة كشف عما يخفى على القارئ إلى نهاية التلاوة ، وذلك غاية فى التشنيع أو التنفير من حسن الظن بهم ولو زمناً قليلا ريثما يقرأ إلى النهاية .

٣ ـ المرحلة الثالثة ـ أن الله تعالى أذن لنبيه (شمويل) أن يختار طالوت ملكا عليهم ، لما يعلمه الله من صلاحيته وتوفر صفات فيه لم تكن فى غيره منهم (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وكان مفروضا وهم حريصون على مطلبهم أن يتلقوا نبأ ذلك بالترحيب ، وأن يعتبروه مكرمة من ربهم ، ولكن ما كاد شمويل يطالعهم بهذه البشرى حتى ابتدروه بالإنكار ونزعوا إلى الأنانية (قالوا : أنى يكون له الملك علينا . . ونحن أحق بالملك منه . . ولم يؤت سعة من المال؟) .

فهم يأبون الاعتراف بطالوت ، ويستبعدون اختياره للمُلكِ ، وينكرون صواب هذا الاختيار ، وإن كان من عند الله كما أخبرهم نبيهم ، لأنه ليس من بيت يساوى بيوتهم ، وليس ذا مال بينهم ، فلم يكن للجانب الإلهى اعتبار فى حسابهم . . وكذلك تقدير العوام غالبا فى أنهم لا يخضعون إلا لمن كان على شاكلتهم ، وينسون ما هنالك من المواهب الشخصية التى تنهض بصاحبها إلى مصاف الأكابر ، ومقاليد الحكم . . نعم . . إذا تهيأ لإنسان أن يكون راجح النسب وأن تكون له المميزات على غيره من الناحية الشخصية كان أجدر بالاطمئنان إليه ، ولكن الأمر فى الزعامات منوط بالجانب الذاتى ، أكثر من نوطه بالوراثة كما زعموا ، وكان حسبهم أنه غير مغموز فى بيئته ... لذلك قرع شمويل أسماع قومه بذكر صفات أربع ليست فى واحد منهم ، وكان ينبغى أن يراعوها فى طالوت .

١ ـ (إن الله اصطفاه عليكم ـ فضله ـ ٢ ـ وزاده بسطة فى العلم ـ ٣ ـ والجسم ... ٤ ـ والله يؤتى ملكه من يشاء) فاستعداده ، وعلمه ، وفراعة جسمه ووجاهته ، واختيار الله له الملك كافية لاقتناعهم لو كانوا ينصفون .

وكان من تمام الاحتجاج عليهم أن يلفتهم إلى أن ذلك كله من شأن الله وحده فهو - سبحانه - يقضى فى شئون عباده على ما يرى ويعلم وعلى مقتضى علمه الواسع ، وحكمته السامية (والله واسع عليم) .

ويبدو أن نفوس القوم لم تسكن إلى هذا التوجيه ، وظلت تساورهم الحيرة والريبة فأتاهم شمويل بحجة أخرى تزيدهم ركونا واطمئنانا ، فلا يتمادون فى المكابرة ، وساق لهم فى ذلك بشرى جديرة بانتزاع الأنانية من نفوسهم ، وهى عود التابوت إليهم قبل أن يتكلفوا لها حربا لعدوهم (وقال لهم نبيهم : إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت ، فيه سكينة من ربكم ، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، تحمله الملائكة ، إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) .

ونحن ما نسينا أن أخذ التابوت من أيدى أسلافهم كان من أفدح الخطوب عليهم ، فضلا عما أصابهم من ويلات الحرب ، وإخراجهم من ديارهم وأبنائهم .

فإذا أكد لهم النبى أن الامارة الصادقة على تولية طالوت وتأييد الله له أن يعود إليهم التابوت ، وفيه ما كان فيه من آيات الله التى تسكن بها النفوس ، ويزداد الإيمان ، وفيه كذلك ما كان فيه من آثار موسى وهارون ، وأنه سيأتى إليهم وهم فى ديارهم . . إذا أكد لهم ذلك ثم صدق خبره فجاء التابوت وجب أن تزايلهم الشكوك ، ووجب أن يكونوا عند عهدهم الأول فيستجيبوا للملك إذا دعاهم ، ويتابعوه إذا خرج بهم للقاء عدوهم واسترداد ما ضاع من ملك أو متاع .

فهل جاء التابوت ؟ ؟ وهل صدقوا ما عاهدوا النبى عليه ؟ ؟

نعم جاء التابوت ، وكما صرحت الآية : كانت تحمله الملائكة . . وتفسير هذا على ما نقله العلماء : أنه جاء على عربة يجرها بقرتان ، وليس مع العربة سائق ، وإنما كانت تسير بتوجيه الله ، وفى كفالة الملائكة حتى وصلت إلى بنى إسرائيل كما وعدهم نبيهم . .

والسبب فى رد التابوت أن الوثنيين من أهل فلسطين أيقنوا أن التابوت كان شؤما عليهم منذ اغتصبوه ، فأصابتهم الأمراض ، وأكلت زروعهم الآفات ، ولم يكن فيه نفع لهم كما توقعوا ، وكما كان يمنا وبركة على بنى إسرائيل .

فلم يروا بدا من حمله على عربة ، وإطلاقها تأخذ طريقها إلى مقام الإسرائيليين فى وطنهم وهذه أفاعيل القدر الإلهى ، ولا يبعد على الله شىء وإن تعاظمته العقول .

فماذا صنع بنو إسرائيل ؟ ؟ هذا مبدأ المرحلة الرابعة . . وسنعود إليها إن شاء الله .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



حاجتنا إلى هذا الإصلاح - من ذا الذى يضطلع به؟ - إياكم والحالقة! - لابد للأمم الناهضة من سياسة الحسن وكياسة معاوية - من نبل السادة نبذ الخصومة عند الشدائد - دعوة السادة إلى زكاة السيادة.

عن أبى بَكْرة رضى الله عنه يقول : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر ، والحسن ابن عُلى إلى جنبه ، وهو يُقْبِل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : « إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . رواه البخارى .

* * *

فى أول جزء من المجلد الثامنَ عشرَ شرحنا حديث الصحيحين « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً . . » وبينا هنالك فضل الإصلاح بين الناس عامة ، وإلى أى مدى دعا الإسلام إليه ، وأعد لأهله من الأجر العظيم والخير العميم . . ثم قلنا فى خاتمة الشرح : إن الإصلاح بين الناس جزء من شرائع الانبياء والمرسلين ، بل إنه عماد دعوتهم وأساس رسالاتهم ؛ وما أحوج البشر — وقد اصطخبت بينهم المعارك ، واشتعلت فيهم نيران الخصومة — إلى من ينهج فى إصلاحهم منهج النبيين ، ويستار فيهم سيرة الصادقين المخلصين « وما ذلك على الله بعزيز » .

ونريد أن نقصر القول فى هذا الحديث ، على صنف خاص من هذا الإصلاح العام نرى أن أمتنا الإسلامية — التى كانت فى أوج مجدها أمة واحدة — أحوج ما تكون إليه ونعنى به الإصلاح بين سادة كل أمة وكبرائها وأولى العلم والأمر فيها ، ثم الإصلاح

بين أكابر الأمم وساداتهم ، فإنهم الذين إذا صلحوا صلح الناس جميعاً ، وإذا فسدوا فسد الناس جميعاً .

وليس هذا الإصلاح الخاص الذى نعنيه ، وندعو إلى الاضطلاع بعبئه ، وتمهد له منذ زمن بعيد - ليس بالأمر اليسير الهين ، الذى يضطلع به كل فاضل خير ؛ ولكنه أمر عظيم جد عظيم ، لا يضطلع بخطره من السادة النجب ، إلا من أخذ من النبل والفضل ، والهدى والتقى ، والحزم والعزم ، بحظ عظيم .

* * *

ولئن كان الحسن بن على رضى الله عنهما نسيج وحده فى السادة المصلحين ، إن من بعده قلة تنهج منهجه سداداً ورشداً ، وتدعو بدعوته حقاً وصدقا ، حقنا للدماء ، وصونا للأعراض والأموال ، وحرصاً على ذات البين أن تفسد ، فإن فساد ذات البين هى الحالقة .

بهذه القلة الكريمة المباركة يرجى للأمم صلاحها ورشادها ، وإلى هذه القلة الكريمة المباركة نتوجه - أول ما نتوجه — ببيان هذه المنقبة العظمى : منقبة الإصلاح بين الأكابر التى بشر بها النبى ﷺ علماً من أعلام بيته ، فانتدب لها ، وكان أحق بها وأهلها ، بل كان إمام الأئمة الذين جاءوا من بعده من الهداة المصلحين .

* * *

كل الناس يعلم من هو الحسن ؟ وكل الناس يعلم مكانه من رسول الله ﷺ وكثير منهم يود لو يتخلق بخلق الحسن رضى الله عنه ويقتدى به وبجده صلوات الله عليه وسلامه . ولكن القليل النادر هو الذى يقدر هذه الأخلاق النبوية قدرها ؛ وأقل من هذا القليل النادر من يحتملها ، ويصبر عليها ويوفيها حقها . ومن ذا الذى يستطيع أن يرفض الملك ، والملك يسعى إليه ؟ أو يعرض عن الدنيا ، والدنيا مقبلة عليه ، إلا الحسن وأمثاله ؟! من هذه الفئة القليلة النادرة ، التى يصطفى الله الواحد بعد الواحد منها ، فيجدد به للأمة أمر دينها ويجمع به شملها ، ويحييها بعد موتها ، من الالى يهبون الدنيا على خصاصة وخبرة ، ويرجون الآخرة على بينة وعبرة ، ويدعون إلى الله على هدى وبصيرة .

* * *

وإذا آمنا إيماناً لا ريب فيه بما بشر به النبى ﷺ أمته ، من سيادة سبطه الحسن ، وتحقيق منقبة الإصلاح الكبرى على يديه ، ثم آمنا أن هذه البشارة العظمى ووقوعها علم

من أعلام النبوة - فلنؤمن كذلك إيمانا لا شك فيه بتحقيق بشارته صلوات الله وسلامه عليه لمعاوية رضى الله عنه ودعائه له إذ قال « اللهم اجعله هاديا مهديا واهـده به » « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب » وقد استجاب الله لنبيه ﷺ فحدثنا التاريخ المنصف الصدوق أنه كان بهديه وحلمه ورفقه وسياسته وكياسته ، أجدر الناس بالخلافة والملك طول ولايته ، وأرعاهم للأمة وأعظمهم بلاء فى دين الله ، وأكبرهم شأنا وسلطانا فى أعين عدو الله وها هو ذا ملك الروم يزحف إلى حـــدود الدولة الإسلامية بجند عظيم ، ومعاوية فى معمعة القتال مع على بصفين ، فيكتب إليه معاوية منذراً فيقول : والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك لأصطلحن أنا وابن عمى عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت . فيخاف ملك الروم وينكف .

وإن تكن له أخطاء يبالغ فيها ويجسمها من لا يبالى أن ينال من أصحاب رسول الله ﷺ فالله يغفرها له بجانب ما قدم للإسلام والمسلمين من جهاد وفتح ، وإعزاز وقوة .

وما لنا نؤمن ببشارة النبى ﷺ للحسن بما أجرى الله على يديه من هدى وإصلاح ، ولا نؤمن ببشارته ﷺ لمعاوية وقد مهد لهذا الإصلاح نفسه وكان شريكا للحسن فيه ؟ فقد حدثنا التاريخ أنه لما تهيأت الفئتان العظيمتان للقتال أو كادتا ، أسف معاوية أسفاً شديداً وخاف على المسلمين الهلاك ، وقال فيما قال : من لذرارى المسلمين ونسائهم وضعفائهم! ثم أرسل رسولين من قريش من ذوى الشأن والرغبة فى الإصلاح ، وفوض إليهما الأمر فى كل ما يريان وفى كل ما يطلب الحسن من مال ، لترضية الثائرين ، وتعويض الغارمين ، وتسكين فتن كقطع الليل المظلم ، حتى لقد روى المؤرخون أن معاوية أرسل رسوليه ومعهما صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها ، وكتب إليه أن اكتب إلىَّ فى هذه الصحيفة التى ختمت أسفلها بما شئت فهو لك . وما ذاك إلا لشفقته على المسلمين ، ورحمة بهم ، وحقنا لدمائهم ، وقد تواتر أنه رضى الله عنه ما كان يضع سيفا حيث يغنى عنه سوط ، وما كان يضع سوطاً حيث تغنى عنه كلمة ، لا جرم أنه لا يقاتل حتى لا يجد من القتال بدأ .

وها هو ذا البخارى يحدثنا بسنده حديث هذا الصلح فيقول :

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال حدثنا سفيان عن أبى موسى ، قال سمعت الحسن [البصرى] يقول : استقبل - والله - الحسنُ بن على معاويةَ بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص والله إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها ؛ فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين - أىْ عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء .. ! من لى بأمور الناس ؟ ! من لى بنسائهم ؟ ! من لى

بضيعتهم ؟ ! فبعث إليه رجلين من قريش ، من بنى عبد شمس : عبد الرحمن بن سمرة ، وعبدالله ابن عامر بن كُريز ؛ فقال اذهبا إلى هذا الرجل ، فاعرضا عليه ، وقولا له ، واطلبا إليه . فأتياه فد خلا عليه ، فتكلما وقالا له فطلبا إليه ؛ فقال لهما الحسن بن على : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عاثت فى دمائها [١]. قالا فإنه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ويسألك . قال : فمن لى بهذا ؟ قالا : نحن لك به ، فما سألهما شيئا إلا قالا : نحن لك به ، فصالحه . فقال الحسن [البصرى] ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ... الخ الحديث .

هذا نص رواية البخارى فى كتاب الصلح ؛ ورواها فى كتاب الفتن مختصرة [٢] وكلتا الروايتين — وناهيك بهما صحة وقوة ووثوقا — شاهدة على صدق رغبة الحسن ومعاوية ورسوليه فى الإصلاح بين الطائفتين ، وأن اشتراكهم جميعا فى هذه المحمدة التى تعاونوا عليها من أجلّ المحامد التى تدخر فى صحائف المصلحين ، وتسجل بمداد من النور والشرف فى سجلات الخالدين .

ولما سلم الحسن لمعاوية الأمر بايعه على إقامة كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ ، ودخل معاوية الكوفة ، وبايعه الناس أفواجا ، وسمى عام هذه البيعة عام الجماعة ؛ لاجتماع المسلمين بعد الفرقة وائتلافهم بعد النفرة ، وسلّ سيوفهم لحماية الدعوة الإسلامية ، بعد أن عطلها قتلة ذى النورين رضى الله عنه بضع سنين . وبايع معاوية كل من كان معتزلا للقتال ، من أمثال عبد الله بن عمر وسعد بن أبى وقاص ومحمد بن مَسلمة رضى الله عنهم . وأجاز معاوية الحسن بثلاثمائة ألف ، وألف ثوب ، وثلاثين عبدا ، ومائة جمل .

ولما تنازل الحسن لمعاوية رجع إلى المدينة ؛ وولى معاوية الكوفة المغيرة بن شعبة ، والبصرة عبد الله بن عامر ، وهو أحد رسوليه إلى الحسن ، ورجع هو إلى دمشق .

ولم يبال الحسن رضى الله عنه أن يجترىء عليه بعض السفهاء من دعاة الفتنة ، فيقول له وقد تم الصلح : يا عار المؤمنين ! فيجيبه بجواب من قبس النبوة : العار خير من النار . .

---

(١) فيحتاج إرضاؤها فى دمائها إلى مال كثير ، وكان رضى الله عنه جواداً كريما لايدخر شيئا وقد راعى هذا الكرم معاوية عند الصلح .

(٢) وروى الحديث مقصورا على سيادة الحسن وإصلاح الله به فى علامات النبوة ، وفى فضل الحسن . والمناسبات فى هذه المواضع الاربعة ظاهرة .

ولئن كان لمّ الشمل ، وجمع الكلمة ، عاراً عند السفهاء ، إننا لنرحب بهذا العار ونقر به عيناً ، ونطيب به نفساً .

* * *

أما بعد ، فليس من شأننا فى هذا المقام أن نطيل بذكر الأحداث التى جرت فى ذلك العهد ولا أن نرجح بعض الروايات المتضاربة فيها على بعض ، ولا أن نفاضل بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهما فى أمر الخلافة أو الملك ، ثم نقضى لأحدهما بأنه أجدر به من صاحبه وأحق ؛ فما إلى شىء من ذلك قصدنا . . وإنما الشأن كل الشأن أنهما اشتركا فى الصلح بين المسلمين وتعاونا عليه ، حقناً للدماء ، وصوناً للحرمات ، وقصداً إلى السداد والرشاد [1] .

وإذا كان من سيادة الحسن ، وعظيم ورعه ، ورغبته فيما عند الله عز وجل ، أن يدع الأمر لصاحبه وهو أحق به منه ، بعد أن بايعه أربعون ألفاً على الموت ـ فمن سياسة معاوية وكياسته وجدارته باضطلاع هـذا الأمر ألا يعرض جيشه ، وهو أطوع له من جيش الحسن له ، لمعركة يسيل فيها دم ، أو تقطع فيها رحم ، أو يشمت بالإسلام فيها خصم . ولكل منهما مقام معلوم ، لا يمارى فيه من كان على حق . ولولا كتاب من الله سبق باستشهاد الحسين رضى الله عنه ، لاستمع للناصحين له بألا يخرج ، وعلى رأس نصحائه عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما ، ولنهج منهج أخيه الحسن فى الأخذ بالحيطة ، وإمعان التبصر فى العاقبة ! ولكن أبى الله إلا أن يكون الحسن فى الرعيل الأول من سادة الحكماء ، وأن يكون الحسين فى الصف الأول من سادة الشهداء .

* * *

وفصل الخطاب فيما ندعو إليه سادتنا وكبراءنا ، وأولى الفضل والنبل منا ـ وهم من وصفنا بالقلة الكريمة المباركة ـ أن يؤدوا زكاة السيادة كما أداها الحسن كاملة ، بالإصلاح النقى الجلى ، وبالشفاعة الحسنة الخالصة ، وبالدعوة الجادة الصادقة إليهما ، ما استطاعوا إلى الجد والصدق سبيلا .

طه محمد الساكت

---

(١) من أهم مراجعنا فى شرح هذا الحديث : كتاب العواصم من القواصم ، فى تحقيق مواقف الصحابة . للقاضى أبى بكر بن العربى ، بتحقيق السيد محب الدين الخطيب .

ابن سيرين

المتوفى سنة ١١٠

ذلك إمام جليل من أئمة التابعين يشبه إماما جليلا من أئمة التابعين سبق تناولى له على صفحات هذه المجلة الغراء (سعيد بن المسيب) ، بينهما مشابه طيبة الشكول فى نواح عدة . على أنه إن فات ابن سيرين أن يكون أفضل التابعين أو سيدهم كما قالوا عن سعيد بن المسيب ، لقد أجمعوا على أنه أورع التابعين ، وأبعدهم عن شبهة الحرام . وقالوا إنه أصدق من رأوا وحدثوا لهم . وإن فات ابن سيرين أنه كان يرجع إليه صحابى جليل هو عبد الله بن عمر فى فتاوى عمر كسعيد بن المسيب فذلك لأن ابن سيرين لم يعاصر عمر وإنما عاصره سعيد وعكف على نقل أخباره وأحكامه حتى كاد يسمى راوية عمر ولم يزاحمه أحد من التابعين فى ذلك فيما نعلم .

هما يشتركان بعد فى أكثر المعانى التى تتوفر فى رجال العلم والدين : تتلمذ كل منهما لكثير من الصحابة ، واختص ابن سيرين بمولاه أنس العالم الحافظ الراوية ، كما اختص ابن المسيب بصهره أبى هريرة العالم الحافظ الراوية وأخذ كل منهما عن صاحبه علما جما ، مع الاستعداد الخصيب العجيب . على أن كلا منهما تتلمذ لأستاذ الآخر وأخذ عنه بعد ذلك الاختصاص والملازمة . كان كل منهما يعبر الرؤيا تعبيراً خارقا عجيباً عبقريا ، وقد طعن الأستاذ أحمد أمين فى براعة ابن سيرين فى ذلك أو نفى دلالة المصادر عليها ، وسترى مناقشته أثناء البحث .

وجمع كل منهما بين الحديث والفقه والورع والعبادة والزهد والتعفف عما فى أيدى الناس والتماس الرزق فى التجارة وفى تجارة الزيت . ثم كانا متعاصرين يسبق ميلاد أحدهما - وهو سعيد - بما يقرب من تسع عشرة سنة ، فقد ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ثم توفى سنة ٩٤ فى خلافة الوليد بن عبد الملك . وأما ابن سيرين فقد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وتوفى سنة ١١٠ فى عهد هشام بن عبد الملك عن إحدى وثمانين سنة .

ومهما يكن من أمر فلقد كان كل منهما مثال المسلم الفائز من خيار العالمين فى خيار القرون .

كان سيرين والد محمد بن سيرين عبداً لأنس بن مالك الصحابي الكريم ، أخذه من سبي عين التمر الذين ظفر بهم خالد بن الوليد أثناء توغله في الفتح في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ففرقهم في الناس فكان سيرين حظ أنس .

قال ابن خلكان وهو يترجم ابن سيرين : وكانت أمه صفية مولاة أبي بكر الصديق طيبها ثلاث من أزواج النبي ﷺ ودعون لها ، وحضر إملاكها ثمانية عشر بدرياً فيهم أبي ابن كعب يدعو وهم يؤمنون .

وإذا فقد كان من الموالي الذين نبتوا في أحضان حملة لواء الإســـلام من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فصهر نفسه في بوتقة الدين ، وغرس شخصه في تربة العلم الصحيح ، وهو غراس كريم صالح ، لا ينشد إلا العلم والدين . لقد كان ابن سيرين غريبا لا نسب له إلا التقوى ، ومتواضعاً يرفعه ما يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم ، ولم يزل التواضع أساس العلم والهدى ، والسيل حرب للمكان العالي . ذلك في التحقيق — مع الاستعداد الخصيب — هو الذي جعل من الموالي حملة لواء العلم والأدب في المسلمين . ثم إذا شئت أن تتبع في التاريخ صفات ابن سيرين لتتخذ منه أسوة صالحة ، ومثلا مهذبا ، ودراسة واعظة ، فستقف له على خصال ومزايا أهمها ما أسوق لك :

(١) الفقه في الدين :

وقد كان رضي الله عنه فقيها بكل ما تحتمله الكلمة من معنى . وكان إماما في الأحكام ومرجعا إذا أشكلت المسائل ، يفتي على غرار ما أخذ عن أئمة العلم ومبلغيه من الصحابة والتابعين المعاصرين ، أخذ عن أنس مولاه كما علمت ، وأخذ عن أبي هريرة في حلقته مع ابن المسيب وأبي سلمة والأعرج وأبي صالح وطاوس ، وأخذ عن عبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير وعمران بن حصين ، وانقطع لشريح القاضي من التابعين ، ومن شريح ؟ لقد كان مضرب المثل في الذكاء ، والفقه والقضاء ، استقضاه عمر بن الخطاب ، ومن عمر بن الخطاب ؟ وظل في القضاء على ما قالوا خمسا وسبعين سنة لم يتعطل إلا ثلاث سنين منذ فتنة ابن الزبير ، ولا نطيل في هاته الناحية ، وإنما نجمل واسطة عقدها شهادة الإمام الشعبي المعاصر : عليكم بهذا الأصم . وأشار إلى ابن سيرين وكان في أذنه صمم .

(٢) تعبير الرؤيا :

وهى ناحية مستفيضة عن ابن سيرين شهر بها كثير من الكاتبين الثقات عنه كالحافظ ابن حجر العسقلانى فى تهذيب التهذيب، ونقل ذلك عن الثقات، وأبى نعيم فى الحلية، وزكاه بذكر غرائب عنه. وقد عرف ذلك السيد المرصفى فى كتابه رغبة الآمل وقال: إنه علامة فى التعبير. فما ذكره الأستاذ أحمد أمين فى كتابه فجر الإسلام[1] من قوله « وقد اشتهر فيما بعد بتفسير الأحلام وزيف عليه كتاب فى ذلك، ولكننا لا نجد أثراً لشهرته فى كتب المتقدمين أمثال طبقات ابن سعد ». هذا الذى ذكره الأستاذ لا ينفى ما شهد به الأوائل وما رووه عنه من الغرائب بالأسانيد. نعم أنا أعتقد أن الكتاب مزيف عليه، ولكن ذلك على الأستاذ لا له لأن التزييف للترويج، والترويج إنما يكون بالمألوف المعروف. فهل نستطيع أن نقول للأستاذ: إننا وجدنا لك أثراً فى كتب المتقدمين يؤيد شهرة ابن سيرين بالتعبير. فأما ما ذكره أبو نعيم فى الحلية من غرائب تعبيرات ابن سيرين فإننا نكتفى بإيراد بعضه واثقين من نقل هذا الحافظ فى مثل ذلك.

١ — روى أبو نعيم بسنده إلى خالد بن دينار قال: كنت عند ابن سيرين فأتاه رجل فقال: يا أبا بكر رأيت فى المنام كأنى أشرب من بلبلة لها مثقبان، فوجدت أحدهما عذباً والآخر ملحاً. قال ابن سيرين: اتق الله، لك امرأة وأنت تخالف إلى أختها.

٢ — أن رجلا قال لابن سيرين: رأيت كأنى أبول دما قال: تأتى امرأتك وهى حائض؟ قال: نعم. قال: اتق الله ولا تعد.

٣ — أن رجلا رأى فى النوم كأن فى حجره صبيا يصيح، فقص رؤياه على ابن سيرين فقال: اتق الله ولا تقرب العود.

٤ — أن امرأة رأت فى المنام أنها تحلب حية فقصت على ابن سيرين فقال: اللبن فطرة، والحية عدو وليست من الفطرة. هذه امرأة يدخل عليها أهل الأهواء.

٥ — رأى الحجاج بن يوسف فى منامه كأن حوراوين[2] أتتاه فأخذ إحداهما وفاتته الأخرى، فكتب إلى عبد الملك فقال: أبشر يا أبا محمد هنيئاً. فبلغ ذلك ابن سيرين فقال: أخطأت استه الحفرة. إنما هما فتنتان يدرك إحداهما وتفوته الأخرى، قال: فأدرك الحجاج وفاتته الأخرى.

---

(١) راجع فجر الاسلام ج ١ ص ٢٢٨ و ٢٢٩ (٢) تثنية حوراء.

٦ — جاء رجل لابن سيرين فقال له : رأيت كأنى ألعق عسلا من جام من جوهرة . فقال : اتق الله وعاود القرآن فإنك رجل قرأت القرآن ونسيته .

٧ — قال رجل لابن سيرين : رأيت كأنى أحرث أرضاً لا تنبت . قال : أنت رجل تعزل عن امرأتك .

٨ — قال له رجل : رأيت كأنى أغسل ثوبى وهو لا ينقى . فقال : أنت رجل مصارم لأخيك .

٩ — قال له رجل : رأيت كأنى أطير بين السماء والأرض . فقال : أنت رجل تكثر المنى .

١٠ — قال رجل : إنى رأيت كأن على رأسى تاجا من ذهب . فقال له ابن سيرين : اتق الله ، فإن أباك فى أرض غربة ، وقد ذهب بصره ، وهو يريد أن تأتيه . فما راده الرجل الكلام حتى أدخل يده فى حجزته فأخرج كتابا من أبيه يذكر فيه ذهاب بصره وأنه فى أرض غربة ويأمره أن يأتيه .

وهذه عجائب كان يعين عليها سلامة الفطرة وحدة الذكاء ومعرفة الكنايات والتقاط الدلالات .

(٣) الذكاء :

كان فى هذا الرجل ذكاء عجيب ، قد رأيت بعض صوره فى تعبير الرؤيا . ومن يتبع أخبار هذا الإمام وفتاويه وأقواله ومحاوراته للناس على اختلافهم يتجلى له ما أوتيه ذلك الإمام من ذكاء . لقد كان ذكاء فطريا ، وذكاء مكتسبا ، وذكاء روحياً رياضيا . تجمعت هذه كلها لذلك الإمام فكان نمطا عجيباً فى بابه .

ليس عجيباً أن يكون فيه وفى أمثاله الموالى الذكاء الفطرى ، فإنهم عناصر نفاذة دراكة متعمقة بالفطرة ، وذلك مع مدنيتهم مما جعلهم يتفرغون لنقل العلم والتصرف فيه بالتأليف والتصنيف والتوليد العجيب .

وليس عجيباً أن يكون لابن سيرين ذكاء عقلى كسبى وهو الرجل الممتاز فى حرصه واجتهاده وصحبته لأئمة العلم والدين ، ومن كانوا فى الذكاء من المعرقين ولا سيما شريح .

ولم يكن عجيباً أن يكون فى ابن سيرين ذكاء رياضى روحى يجىء من إشراقات التقوى ، والزهد فى الدنيا ، والإقبال على الله .

ومن أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، فما ظنك بمن وهب نفسه لله واحتمل فى ذاته كل بلاء (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم) . وأذكر أن الفقهاء يشترطون التقوى فى الاجتهاد الفقهى لأن من المشاكل ما لا يحل إلا بالإلهام والتوفيق الإلهى الذى خصه بالمتقين ، ولأن الاجتهاد إمامة وهى أمانة ودين . ولقد تعاونت هذه الناحية مع الورع الذى سأحدثك عنه فى ابن سيرين ، فكان شفاء ورحمة للمؤمنين ، ومن مفاتيح الخير والفرج للصادقين ، وكان سلاما على الناس ، وما أحسن العلم والدين إذا اجتمعا ، وأقبح أن ينفرد أحدهما كما قال على كرم الله وجهه : قصم ظهرى رجلان ، جاهل متنسك ، وعالم متهتك .

أما صور الذكاء من أخبار ابن سيرين فتتجلى فى حضور البديهة وسلوك المذاهب الكلامية المفحمة كما ترى فى هذه الجزئيات :

سئل عمن يسمع القرآن فيصعق . فأجاب بقوله : ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن كله فإن سقطوا فهم كما يقولون . وهذا الكلام يحتمل المناقشة ولكنه رضى الله عنه علم أن الكثرة من هؤلاء مراءون مبتدعون يفعلون ما لم ينقل عن أئمة الدين من الصحابة والتابعين . والمرائى بمثل ذلك يفحم .

وكان مسلم بن قتيبة يزور الإمام على برذون ، ثم أتاه يوما راجلا ، فقال له : ما فعل برذونك ؟ قال : بعته : قال : ولم ؟ قال : لمؤونته . فقال . أتراه خلف رزقه عندك ؟ وهذا جواب طريف جداً لجمعه مع وجازته بين الإفحام وقوة الإيمان ، والتوكل مع الفكاهة المحرجة .

وادعى عليه رجل درهمين فأنكر ، فقال الرجل : تحلف ؟ قال : نعم . فقيل له : يا أبا بكر من أجل درهمين ؟ قال : لا أطعمه حراما وأنا أعلم . وعكس ذلك ما روى عن عثمان رضى الله عنه أنه افتدى نفسه من يمين فى مثل ذلك ، فخوطب فى ذلك فقال : أخاف أن أبتلى ببلية فيقول الناس : ذلك ليمينه الفاجرة ، ولكل وجهة . على أن ما فعل ذو النورين يشبه مذهبه فى الحياء . وما فعل ابن سيرين يشبه مذهبه فى الورع والدقة . ولقد حق ما قال عثمان من البلاء فصدقت فراسته وسلم رضى الله عنه .

وروى أبو نعيم فى الحلية بالسند إلى السرى بن يحيى أنه قال لابن سيرين : إنى قد اغتبتك فاجعلنى فى حل ، فقال : إنى أكره أن أحل شيئاً حرمه الله . لم يكن رحمه الله يجهل أن من أحل مسيئاً وصفح عن مذنب فلا حرج ، بل ذلك أعون لأخيه المؤمن على الخلاص من زلته ، ولكنه رضى الله عنه رأى أن ذلك أيضاً أعون على تهذيب أخيه حتى لا يعود ، وهو أحرى ألا تشيع مساءة الإساءة ، وهى وجهة كريمة تدل على فطنة كريمة .

ترى ابن سيرين يوصى بالوصاة فى وقتها المناسب ذات أثر بين فى الإفادة وذات أثر بالغ فى العظة ، لأنه يتوخى ذلك من أقرب سبله ، فيقول للمسافر فى التجارة : اتق الله واطلب ما قدر لك من الحلال ، فإنك إن تطلبه فى غير ذلك لم تصب أكثر مما قدر لك . ويقول لمن يسمعه يسب الحجاج : مه أيها الرجل ، فإنك لو قد وافيت الآخرة كان أصغر ذنب عملته قط أعظم عليك من أعظم ذنب عمله الحجاج ، واعلم أن الله تعالى حكم عدل ، إن أخذ من الحجاج لمن ظلمه فسوف يأخذ للحجاج ممن ظلمه ، فلا تشغلن نفسك بسب أحد . هو لا يبقى على الحجاج ولا شخص بعينه ، ولكن هذه دقة الإمام وفطنته وحسن توجيهه بالجديد من المعانى فى الأغراض المعروفة ، وإلا فإنه يحتقر الحجاج فى نفسه ويدل على ذلك قوله آخر العبارة : لا تشغلن نفسك بسب أحد من الناس .

ويقول لمن هو بصدد أن يستقبل أخاه ويتعرض لوفوده عليه : لا تكرم أخاك بما يشق عليك .

وترى ابن سيرين يعلم الناس حسن التصرف ويفسح لهم مجال الترخص إذا ألجأت مناسبة أو عرضت عارضة ؛ فيقول : الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف . ترى أن لك أن تتظرف وتداعب مع الاحتفاظ بالصدق ، وذلك أن تسلك مسلك التعريض والكناية .

ويقول لمن سأله عمن يتبع الجنازة حياء من صاحبها : أله أجر ؟ . قال ابن سيرين : أجر واحد ؟ بل له أجران: أجر للصلاة على أخيه وأجر لصلته الحى . لله دره فقيها لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يسد أمامهم باب خير ، وكذلك تكون الفطنة والذكاء فى الأئمة العلماء . قال الفضيل بن عياض قال الحسن : إنما هى طاعة الله أو النار . وقال ابن سيرين : إنما هى رحمة الله أو النار .

كان ابن سيرين يدعى إلى الوليمة فيلتزم أن يجيب ولكنه كثيراً ما يعتذر عن الطعام

بمانع ما ولديه المعاريض فإنه لم يكن يأكل طعام كل الناس ، على أنه كان إذا شاء أن يأكل بدأ ببيته فتناول فيه شيئاً من الحساء لئلا يحمل حر جوعه على طعام الناس . وهذا تصرف العالم الكريم الورع اللبق .

(٤) الورع والتحرى :

وقدمت لك فى صدر هذا المقال أن ذلك مما أجمع الناس عليه لابن سيرين .

كان هذا الإمام يكلف نفسه فى سبيل التورع ما لا يطيقه الناس ، وعرف ذلك فيه عرفانا بينا .

قال أبو قلابة وذكر عنده محمد بن سيرين : وأينا يطيق ما يطيقه ؟ إنه يركب مثل حد السنان . وما ظنك بسفيان الثورى [1] ذى التاريخ الناصع ومحيي السنة فى عهده ومن أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته ، إنه يعترف له فيقول : لم يكن بصرى ولا كوفى فى مثل ورع ابن سيرين . ومؤرق العجلى يقول : ما رأيت رجلا أفقه فى ورعه ولا أورع فى فقهه من محمد بن سيرين . والمزنى يقول : من سره أن ينظر إلى أورع أهل زمانه فلينظر إلى محمد ابن سيرين ، فو الله ما أدركنا من هو أورع منه . وهشام بن حسان يقول : ترك محمد بن سيرين أن يفتى فى شىء ما يرون به بأسا ، وكان يتجر فإذا ارتاب فى شىء من تجارته تركه حتى ترك التجارة .

هكذا كان ذلك الإمام ، وكذلك يكون أو يقارب من يتخذ فى الصالحين الأسوة الحسنة ، فقل للمتجرين على اختلافهم وللغشاشين فى معاملاتهم : هلم إلى مائدة الورع التى هى خير لكم وأجدى عليكم ، والله هو الرزاق ، لقد حبس ابن سيرين فى الدين لأنه لم يستطع أن يسير فى التجارة لكثرة ما أخذ به نفسه من الورع والحيطة ، فكانت كلها خسرانا عليه ، ولكنه ربح سعادة الأحدوثة والمثوبة التى لا تَعْدِلُها مثوبة ، اشترى بأربعين ألف درهم زيتا فوجد فى زق منه فأرة فتوهم أن الفأرة كانت فى المعصرة التى أخذ منها الزيت فيكون الزيت كله نجسا فصب الزيت كله . ؟

---

(١) الامام المجتهد سفيان بن سعيد الذى كان يشبه بعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس . راجع ابن خلكان ص ٢٦٣ ج ١ .

وقال هشام : إن ابن سيرين اشترى بيعاً فأشرف منه على ثمانين ألفا فعرض فى قلبه منه شيء فتركه. قال هشام : ما هو بربا . هكذا ظلت حال ابن سيرين حتى ترك التجارة وافتقر وركبته الديون ودخل السجن فلزمه ورعه وصدقه ، وإيمانه وصبره قال له السجان : إذا كان الليل فاذهب إلى بيتك فإذا جاء الصباح فعد إلى السجن . فرفض ذلك لئلا يعينه على خيانة السلطان ويكون شريكه فى الإثم . وتوفى أنس مولاه رضى الله عنه وهو فى السجن ، وكان أوصى أن يصلى عليه ابن سيرين ، فلما أخبر بذلك قال : أنا فى السجن ، فقيل له : إن الوالى رضى بخروجك ، فقال إن الوالى لم يسجنى إنما سجننى صاحب الحق ، فرجعوا إليه فأذن بخروجه فصلى على مولاه ثم عاد . يا لها نفسا ، ويا له دينا . وكان فى ذلك السجن رفع لقدر هذا الإمام ، وظهور لكثير من مزاياه ، وتأس بالصالحين من الأنبياء وأولياء الله . وكان رضى الله عنه يقول : إنى لأعرف بم سجنت ذلك السجن : إنى أذنبت ذنباً ، قلت لرجل يوما : إنك مفلس . وقد حدث بذلك أبو سليمان الدارانى الصوفى الجليل فقال : قلت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون وكثرت ذنوبى وذنوبك فلم ندر من أين نؤتى .

وقد مر ابن سيرين يوما ببعض أصدقائه فقال له : لم يكن يمنعنى من مجالستكم إلا مخافة الشهرة ، فلم يزل بى البلاء حتى أخذ بلحيتى فأقمت على المصطبة ، فقيل هذا ابن سيرين يأكل أموال الناس .

ولقد كان ابن سيرين يكون فى أصحابه كواحد منهم ، فإذا سئل عن شيء من الفقه الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذى كان . وهذا تقدير للمسئولية وعرفان لقدر ما يحمل من عبء . فهل لى ولمشايخى وإخوانى أن نأخذ من هذا الورع وخوف الله فى هؤلاء دروساً وعبرة .

وكان ابن سيرين لا يجيز رواية الحديث بالمعنى ، ويرى المحافظة على لفظه لحق الأمانة ولخشية التبديل . ولو ذهبت أتبع لك صوراً من ذلك لأعيانى القلم ولأعياك النظر فحسبى وحسبك .

(٥) النسك والعبادة :

كان لهذا الإمام (رحمه الله ، وجعل لنا فى سيرته عظة كريمة) نواح من الإقبال على الله ملأت نفسه بالإيمان والتوكل والمراقبة ، وطهرت قلبه من كل رجس من رياء أو نفاق

أو ملق أو مداراة لظالم أو تدليس فى قول ، وعرف بذلك برغم محاولة إخفاء نفسه حتى كان إذا رؤى فى السوق ذكر الناس الله برؤيته ، على أنه أحيانا كان يعلن بذكر الله اتباعا للسنة المحمدية التى تحث على ذكر الله بين الغافلين . قالوا إنه كان يدخل السوق نصف النهار يكبر ويسبح ويذكر الله تعالى ، فقال له رجل يوما : يا أبا بكر فى هذه الساعة : قال : إنها ساعة غفلة .

وقال زهير الأقطع : كان ابن سيرين إذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدة . وكان يجلس فى أصحابه يتمثل الشعر ويذكر الشيء يضحك حتى إذا جاء الحديث من السنة كلح وانضم بعضه إلى بعض . فأما أخوه أنس بن سيرين فإنه يحدث عنه فيقول : كان لمحمد ابن سيرين سبعة أوراد يقرؤها بالليل ، فإذا فاته شيء قرأه من النهار ، وكان الضيف ينزل عنده فيسمع بكاءه الليل ، ثم يسمع ضحكه بالنهار . هذا لأن لهؤلاء القوم مع الله حالا من الخشوع والقنوت والخشية وحالا مع الناس من الإيناس والسرور والبهجة ، ولذلك عرف هذا الإمام بالدعابة والتبسط والضحك المشروع يرضى به المجتمع ويحملهم على ما يطيقون ويحتال لنفعهم ويرفه عن نفسه معهم حتى تحمله وتسايره ، ولقد نضح عليه ذلك النسك والإقبال على الله أنه كان يخشن للسلطان فما يبالى ما يصيبه بقدر ما يلين للناس ويتواضع لهم لأنه لا يخشى أحدا إلا الله . وقد جرى أن ابن هبيرة والى العراقين بعث إليه وإلى الحسن والشعبي فدخلوا عليه فقال لابن سيرين : ماذا رأيت منذ قربت من بابنا ؟ قال : ظلما فاشيا ، فغمزه ابن أخيه بمنكبه فالتفت إليه ابن سيرين فقال : إنك لست تسأل ، إنما أنا أسأل ، فأرسل الوالى إلى الحسن بأربعة آلاف وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف وإلى الشعبي بألفين ، فأما ابن سيرين فلم يأخذها .

وفى ابن سيرين نواح من الكرم والسخاء ، ونواح من البر والوفاء ، ونواح من اللطف والدعابة ، ونواح من النكت المستطابة . وهى منثورة فيما بين يديك من كتب الأدب والتاريخ ، أخشى أن أطيل عليك فى وصفها وتحليلها ، فحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق ، وعند الله سبحانه التوفيق والهداية .

محمود النواوى

الدخيل وكتب التفسير

— ٣ —

الموضوع فى أسباب النزول : —

من ذلك ما روى فى سبب نزول قوله تعالى « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية » [1] فقد روى عن ابن عباس أنها نزلت فى عبد الله بن أبى وأصحابه حين التقوا ذات يوم بنفر من الصحابة ، فقال ابن أبى : انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم ، فأخذ بيد الصديق فقال : مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وثانى رسول الله فى الغار . وأخذ بيد عمر فقال : مرحبا بالفاروق سيد بنى عدى الباذل نفسه وماله لرسول الله . ثم أخذ بيد على فقال : مرحبا بابن عم النبى وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ، ثم افترقوا فقال لأصحابه : انظروا كيف أرد هؤلاء ، فإذا قابلتموهم فافعلوا معهم مثل ما فعلت ، وهو من رواية السدى عن الكلبى عن أبى صالح . قال ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف : « هو سلسلة الكذب ، وآثار الوضع لائحة عليه ، وسورة البقرة نزلت فى أوائل الهجرة وتزوج على بفاطمة كان فى السنة الثانية[2] ، وقد ذكر هذا السبب الثعلبى والواحدى والزمخشرى وأبو السعود ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور إلا أنه قال : بسند واه ، فنبه على سقوطه .

* * *

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين فى سبب نزول قوله تعالى « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » الآية[3] . فقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما عن خباب . قال : جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا فى أناس من الضعفاء ، فلما رأوهم حول النبى صلى الله عليه وسلم حقروهم وقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا مجلسا يعرف به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحى أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا وإذا نحن فرغنا فاقعد معهم .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤ .

(٢) فى هذا وغيره دلالة على أن المحدثين كانوا يعتمدون فى تزييف الموضوع على نقد المتن كما يعتمدون على نقد السند .

(٣) سورة الأنعام الآية ٥٢ .

قال : نعم . قالوا : اكتب لنا كتاباً بذلك ، فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ، فنزل جبريل على النبي بهذه الآية .

وهذا غير صحيح ، وهو من الغلط الذي يلحق بالوضع ، فإن الآية مكية بل قد ورد أن سورة الأنعام أنزلت كلها جملة واحدة ، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الفتح ، وهما من المؤلفة قلوبهم ، فكيف يعقل نزول الآية في ذلك ؟ والصحيح أن القائل هم المشركون وهو الذي رواه الإمام أحمد والطبراني وغيرهما [1] وليس في السبب الصحيح أن النبي ﷺ وافقهم على مقالتهم ، ولا أنه دعا بالصحيفة والكاتب إلى غير ذلك من التزيدات التي تنزه مقام النبوة عنها . وقد ذكر هذا السبب المزيف بعض المفسرين ولم ينبه على ما فيه من دخل ، إلا العلامة ابن كثير في تفسيره . والإمام الألوسي وهو من المفسرين المتأخرين الذين عنوا برد الموضوعات والتنبيه عليها ، ذكره ولم يعقب عليه بشيء . ولعل هذا السبب هو ما عناه ابن تيمية بقوله في المنهاج [2] . « وكقولهم إن آية : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي نزلت في أهل الصفة ، فإن هذا الكذب مما لا يخفى على غير أهل الحديث » .

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين كالزمخشري والنسفي والخازن وغيرهم في سبب نزول قوله تعالى « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » من أنها نزلت في علي حين مر به سائل وهو في الصلاة فطرح له خاتمه ، وقد حكم عليه بالوضع ابن الجوزي وابن تيمية . وأثر التعصب الشيعي ظاهر عليه وجميع أسانيده لا تخلو من ضعف وجهالة ، والمعهود من الصحابة أنهم ما كانوا يشتغلون في الصلاة بغيرها بل كانوا في غاية الخشوع والخضوع .

* * *

قصة الغرانيق :

ومن الموضوعات ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته » الآية . قال السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر من طريق بسند صحيح - كما زعم - عن سعيد بن جبير قال : قرأ النبي ﷺ بمكة « والنجم » فلما بلغ قوله تعالى « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن

---

[1] أسباب النزول للسيوطي على هامش تفسير الجلالين ج ١ ص ١٥٨ ط الحلبي .

[2] منهاج السنة جزء ٤ ص ١١٥ ط بولاق .

لترتجى ، فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجدوا وسجد فنزلت . وأخرجه البزار وابن مردويه بوجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه [١] . وقال : لا يروى متصلا إلا بهذا الإسناد . وبعد أن ذكر له طرقا كثيرة قال : وكلها إما ضعيفة أو منقطعة سوى طريق سعيد بن جبير الأولى ، وهذا الطريق وطريقان آخران عند ابن جرير هي معتمد المثبتين للقصة كابن حجر والسيوطى .

وهذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ولا من جهة العقل والنظر .

أما من جهة النقل فقد طعن فيها كثير من المحققين والمحدثين . قال البيهقى — وهو من كبار رجالات السنة — « هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل » وقال القاضى عياض فى الشفاء « إن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم . ومن حكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية الخ ما قال [٢] ، وكذا أنكر القصة القاضى أبو بكر بن العربى وطعن فيها من جهة النقل . وسئل الإمام محمد ابن إسحق بن خزيمة عن هذه القصة فقال : إنها من وضع الزنادقة ، وصنف فى ذلك كتابا . وأنكرها أيضاً الإمام أبو منصور الماتريدى حيث قال « الصواب أن قوله تلك الغرانيق العلا من جملة إيحاء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين ليرتابوا فى صحة الدين » .

ومما يقلل الثقة بالحديث المزعوم اضطراب الروايات اضطرابا فاحشاً ، فقائل يقول : إنه كان فى الصلاة ، وآخر يقول : كان فى نادى قومه ، وثالث يقول : قالها وقد أصابته سنة ، ورابع يقول : بل حدث نفسه فسهى ، ومن قائل إن الشيطان قالها على لسان النبى ، ومن قائل أعلمهم الشيطان أن النبى قرأها . كما رويت « تلك الغرانيق العلا » على أنحاء مختلفة ، وكل هذا الاضطراب مما يذهب الثقة بالرواية ويوهنها ، والحق أبلج والباطل لجلج .

---

[١] الشك فى وصل الحديث وهو يقلل الثقة به .

[٢] الشفاء جزء ٢ ص ١١٧ وما بعدها ط عثمانية .

وإنى لأجيب على ما ذكره الحافظ بن حجر فى فتح البارى [1] من جعله لهـذه القصة أصلا والاحتجاج بالمرسل فيها بمـا يأتى :ـــ

١ ــ أن جمهور المحـدثين لم يحتجوا بالمرسل وجعلوه من قسم الضعيف لاحتمال أن يكون المحذوف غير صحـابى وحينئذ يحتمل أن يكون ثقة وأن يكون غير ثقة ، فلا يؤمن أن يكون كذاباً . والإمام مسلم قال فى مقدمة صحيحه « والمرسل فى أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة ، وذكر نحواً من ذلك ابن الصلاح فى مقدمته [2] بشرطه .

٢ ــ الاحتجاج بالمرسل إنما هو فى الفرعيات التى يكفى فيها الظن ، أما الاحتجاج به على إثبات شىء يصادم العقيدة فغير مسلم .

٣ ــ ما أضعف هـذا التأويل الذى ارتضاه الحافظ عند النظر والتأمل فهو يوقع متأوله فيما فر منه ، وفتح هذا الباب خطر على الرسالات ، والحق أن نسج القصة مهما تأول فيها المتأولون فهو مهلهل متداع لا يثبت أمام البحث ، وان أغلب البلاء دخل على الإسلام من المراسيل والمنقطعات .

مصادمة القصة للقرآن : ما أفادته الروايات المرسلة والمهلهلة فى هـذه القصة مخالف لقوله تعالى « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » ، وأى أحد أحق بهذه العبودية من الأنبياء بله رسول الله ، وقال تعالى « إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » . وأى بشر أصدق إيمانا وأشد توكلا على الله من الأنبياء ولا سيما خاتمهم ، وقد أقر الشيطان بأنه لا سلطان له على عباد الله المخلصين ، فقال كما حكاه الله عنه فى قوله عز وجل « قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ، ومن أحق من الأنبياء بالاصطفاء ؟ أو من أشد إخلاصاً منهم ؟ فهؤلاء الزنادقة الحاقدون نسبوا إلى الشيطان ما أقر هو بأنه لا قبل له به ووضعوا هذه الروايات الباطلة التى تصادم نص القرآن الذى لا ريب فيه .

وأما بطلان القصة من جهة العقل والنظر فقد قام الدليل القطعى وأجمعت الأمة على عصمته عليه الصلاة والسلام ، وكل ما جاءت به الروايات الباطلة ممتنع فى حقه أن يقوله من قبل نفسه عمداً أو سهوا لمكان العصمة . قال القاضى عياض « وقد قررنا بالبراهين والإجماع

(١) فتح البارى جزء ٨ ص ٣٥٤ ط الازهرية (٢) مقدمة ابن الصلاح ص ٥٨ ط العلمية بحلب

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ : هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إلاَّ إحدَى الحُسْنيَيْن ونحنُ نَتَرَبَّصُ بِكُم : أنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِن عِنْدِهِ ، أوْ بِأَيْدِينَا ؛ فتربَّصُوا . إنَّا مَعَكم مُتَرَبِّصُونَ »

(مِن سورة التوبة) صدق الله العظيم

عصمته ﷺ من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقيه الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه، قال الله تعالى «ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية»، وقال تعالى «إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية»[1]، ولو جوزنا شيئا من ذلك لذهبت الثقة بالأنبياء ووجد المارقون سبيلا للتشكيك فى الأديان.

ووجه آخر لفساد هذه القصة وهو أن الله تعالى ذم الأصنام فى سورة النجم وأنكر على عابديها وجعلها أسماء لا مسمى لها. وما التمسك بعبادتها إلا أوهام وظنون، فلو أن القصة صحيحة لما كان هناك تناسب بينها وبين ما قبلها وما بعدها، ولكان النظم مفككا، والكلام متناقضا. وكيف يطمئن إلى هذا التناقض السامعون، وهم أهل اللسن والفصاحة وأصحاب عقول لا يخفى عليها مثل هذا، ولا سيما وفيهم أعداؤه الذين يتلمسون له العثرات والزلات، فلو أن ما روى كان واقعا لشغب المعادون، وارتد الضعفاء من المؤمنين، ولثارت ثائرة مكة، ولاتخذ منه اليهود بعد الهجرة متكأ يستندون إليه فى الطعن على النبى ﷺ وعصمته، ولكن شيئا من ذلك لم يكن.

ووجه ثالث وهو أن بعض الروايات ذكرت أن فيها نزل قوله تعالى «وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك» الآيتين[2] وهاتان الآيتان تردان الخبر الذى رووه، لأن الله ذكر أنهم كادوا يفتنونه ولولا أن ثبته لكاد أن يركن إليهم ومفاده أن الله عصمه وثبته حتى لم يكد يركن إليهم فقد انتفى قرب الركون فضلا عن الركون، فالأسلوب القرآنى، جاء على أبلغ ما يكون فى تنزيه ساحته صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وهم يروون فى أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون بل افترى بمدح آلهتهم وهذا ضد مفهوم الآية، وهو توهين للخبر لو صح فكيف ولا صحة له، ولقد طالبته ﷺ ثقيف وقريش إذا مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ووعدوه الإيمان به إن فعل، فما فعل، وما كان ليفعل، وإذا كانت القصة غير ثابتة من جهة النقل، وهى مخالفة للقرآن ولما قام عليه الدليل العقلى، فلا جرم أن التحقيق يدعونا إلى أن نصدع بأن حديث الغرانيق مكذوب، اختلقه الزنادقة الذين يريدون إفساد الدين.
وإذ قد انتهينا إلى هذه النتيجة الممحصة، فما معنى الآية إذا؟ وللإجابة على ذلك أقول:

---

(١) كتاب الشفاء ص ١١٩. (٢) سورة الاسراء آية ٧٣، ٧٤.

إن التمنى المراد به تشهى حصول الأمر المرغوب فيه ، والأمنية من هذا المعنى ، ومامن نبي أو رسول إلا وغاية مقصوده وجل أمانيه أن يؤمن قومه . وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك فى المقام الأعلى ، قال تعالى « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » وقال « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » وعلى ذلك يكون معنى الآية : وما أرسلنا من قبلك رسولا بشرع جديد كإبراهيم وموسى وعيسى أو نبياً مجدداً لشرع جاء به رسول قبله ، كأنبياء بنى إسرائيل إلا إذا تمنى هداية قومه وإيمانهم ، ألقى الشيطان فى سبيل أمنيته هذه العقبات ، ووسوس فى صدور الناس فثاروا فى وجهه وجادلوه حينا ، وحاربوه حينا آخر ، حتى إذا ما أراد الله هدايتهم ، أزال تلك الوساوس التى ألقاها الشيطان فى نفوسهم ووفقهم لإدراك الحق وإجابة داعى الله ، وبذلك ينسخ الله ما ألقى الشيطان من الشبهات ، ويحكم آياته بنصر الحق وأهله على الباطل وحزبه ، وينشىء من ضعف أنصاره قوة ، ومن ذلهم عزة ، وتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، ليجعل ما يلقى الشيطان فى سبيل دعوات الأنبياء فتنة للضعفاء ، وليعلم الذين أوتوا العلم أن ما جاء به الرسل هو الحق ، فتخبت لهم قلوبهم وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ؟

محمد محمد أبو شهبه
الأستاذ بكلية أصول الدين

اتصال الثقافة

مما لاحظه فقيد الاستشراق الإيطالى الأستاذ نلينو على المؤلفين والمترجمين فى الرياضة والفلسفة عندنا ، أنهم لا يستعملون الألفاظ والاصطلاحات التى استعملها العرب قديما فى هذين الموضوعين . قال : وكان يحسن بالمترجمين والمؤلفين ، أن يعملوا لاتصال الثقافة ، بأن يراعوا الحدود العلمية والفلسفية التى وضعها العرب أيام العباسيين .

الروح التقدمية في الإسلام

شاهد بأنه من صنع الله، لا من انعكاس البيئة

- ٢ -

مكانة المرأة ... تقرير وتقدير، لا وأد وتحقير:

ثم ما مكان المرأة فى ذلك النظام الإسلامى البديع ؟ ؟

إن الإسلام يأتى فى البيئة التى كان يحدث فيها أحيانا أن توأد البنت، وكان يحدث أن تعضل، أو تورث كرها، أو تزوج قسرا، أو تحرم الإرث ...

إن الإسلام يأتى فى هذه البيئة لينصف المرأة من جهة الجنس، ومن جهة الحقوق الشخصية، ومن جهة الحقوق المدنية والاجتماعية.

فأما من جهة الجنس، فالمرأة من الرجل، فلا تطاول ولا تحقير «يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء»، «فاستجاب لهم ربهم، أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض». وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى عن عائشة رضى الله عنها، والبزار عن أنس رضى الله عنه حديث رسول الله ﷺ «إنما النساء شقائق الرجال»، وصحح السيوطى فى جامعه هذا الحديث.

وقد قدّم القرآن الكريم فى قصصه نماذج رفيعة لنساء كريمات، مثل أم موسى، وامرأة عمران، ومريم ابنة عمران، «وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون».

وقد قدم تاريخ الدعوة الإسلامية نماذج ممتازة من إيمان النساء، فدور خديجة زوج رسول الله فى أول رسالته، وبطولة سمية زوجة ياسر، وأول شهيدة فى الإسلام، من خير الشواهد على ذلك. ولا ينسى التاريخ بذل عائشة، وزينب بنت جحش، وعاتكة بنت

يزيد بن معاوية . ومغازى رسول الله ﷺ تضم فى ثناياها أسماء لامعة لنساء مؤمنات : مثل عائشة ، وأم سليم ، وأم عطية ، فضلا عن أم عمارة .

وكفاح الجور يشهد لأسماء بنت أبى بكر وأم عبد الله بن الزبير بموقفها من الحجاج .

والمرأة حين تبذل فى الإسلام ما تبذل ، فهى إنما تفعل ذلك عن عقيدة فى دين أنصفها ورعى حقها . فقدر لها رأيها فى اختيار زوجها ، وفى إدارة بيتها ، وفى تربية أولادها « فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » . وحفظ حقها أثناء الزواج وعند وفاة الزوج ، وعند الطلاق .

والمرأة فى شريعة الإسلام لها نصيبها المقرر فى الميراث ، ولها حقها فى أن تتولى أمورها المالية ولها استقلالها الاقتصادى عن زوجها .

والإسلام قد حفظ للمرأة حقوقها الاجتماعية ، كما حفظ لها حقوقها الشخصية والمدنية . فلها حق التعليم ، بل هو واجب عليها فى الوقت نفسه . روى أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى فى السنن عن أنس « أن النساء أتين يوماً إلى رسول الله ﷺ يشكون من غلبة الرجال على مجالسه ويطلبن وقتا خاصاً ، ليتعلمن أحكام دينهن ، فأجابهن إلى ذلك » .

والمرأة تستطيع أن تفعل الخير للناس على قدر طاقتها وفى حدود الشرع « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » . وإن جهود امرأة عمر مع المرأة الفقيرة التى جاءها المخاض ، تتوّج نشاط المرأة فى ميدان الخدمة الاجتماعية . ولزبيدة زوجة الرشيد مأثرتها المذكورة المشكورة فى إسالة عين يشرب منها الحجاج فى الحجاز ، ولقد أتت بالفنيين وفتحت لهم الخزائن ، وقالت لمدبر ذلك الأمر ، أو مدير ذلك المشروع « اعمل ، ولو كلفتك ضربة الفأس دينارا » !!

ولقد قال الإمام ابن حزم الأندلسى فى تعليم المرأة « ويجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم ما ذكرنا ، إما بأنفسهم وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم » ا . هـ

وقد ناقش فى موضع آخر مسئوليات المرأة المختلفة فقال :

« فإن قالوا : فأوجبوا الجهـــاد فرضا على النساء ، قيل لهم وبالله تعالى التوفيق :

لولا قول رسول الله ﷺ لعائشة ـ إذ استأذنته في الجهاد ـ « لكن أفضل الجهاد حج مبرور » لكان الجهاد عليهن فرضا ، لكن بهذا الحديث علمنا أن الجهاد على النساء ندب لا فرض ، لأنه عليه السلام لم ينهها عن ذلك ، ولكن أخبرها أن الحج لهن أفضل منه ... فإن قالوا : فأوجبوا عليهن النفار للتفقه في الدين ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، قلنا وبالله تعالى التوفيق : نعم هذا واجب عليهن كوجوبه على الرجال ، وفرض على كل امرأة التفقه في كل ما يخصها ، كما أن ذلك فرض الرجال . ففرض على ذات المال منهن معرفة أحكام الزكاة ، وفرض عليهن كلهن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصوم ، وما يحل وما يحرم من المآكل والمشارب والملابس ، وغير ذلك كالرجال ، ولا فرق . ولو تفقهت امرأة في علوم الديانة للزمنا قبول نذارتها ، وقد كان ذلك .

فهؤلاء أزواج النبي ﷺ وصواحبه ، قد نقل عنهن أحكام الدين ، وقامت الحجة بنقلهن ، ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلتنا في ذلك ، فمنهن سوى أزواجه عليه السلام : أم سليم ، وأم حرام ، وأم عطية ، وأم كرز ، وأم شريك ، وأم الدرداء ، وأم خالد ، وأسماء بنت أبي بكر ، وفاطمة بنت قيس ، وبسرة ، وغيرهن . ثم في التابعين عمرة ، وأم الحسن ، والرباب ، وفاطمة بنت المنذر ، وهند الفراسية [ويقال القرشية وهي هند بنت الحارث صاحبة أم سلمة وروت عنها] وحبيبة بنت ميسرة ، وحفصة بنت سيرين وغيرهن »[1] .

وحسب الفقه الإسلامي دليلا على أنه لم يتعصب ضد المرأة كجنس ، أن « مذهب الطبري والمذهب الظاهري ، جوزا للمرأة أن تكون قاضيا على الإطلاق في كل شيء ، خلافا لأبي حنيفة الذي لم يجوز لها ذلك إلا في قضايا الأموال ، وخلافا لباقي الفقهاء الذين أبوا عليها ذلك الحق مطلقا »[2] . ونحن لسنا هنا بصدد إقرار هذا الرأي أو رفضه ، ولكن بصدد الدلالة على خلو الفقه الإسلامي من كل أثر للتعصب ضد المرأة كجنس ، والنظر كل النظر في حجية الدليل الشرعي دون متابعة الأهواء .

---

(١) الاحكام ج ٣ ص ٨١ ـ ٨٢ .

(٢) فلسفة التشريع في الاسلام ـ محمصاني ص ٢٥ وأشار في حواشيه إلى بداية المجتهد ج ٢ وإلى المحلى ج ٩ .

يقول ابن رشد فى كتاب الأقضية : الباب الأول : فيمن يجوز قضاؤه : —

« وكذلك اختلفوا فى اشتراط الذكورة ، فقال الجمهور هى شرط صحة الحكم . وقال أبو حنيفة يجوز أن تكون المرأة قاضياً فى الأموال . قال الطبرى يجوز أن تكون المرأة حاكما على الإطلاق فى كل شىء .

فمن رد قضاء المرأة شبهه بقضاء الإمامة الكبرى ... ومن أجاز حكمها فى الاموال فتشبيها بجواز شهادتها فى الأموال . ومن رأى حكمها نافذا فى كل شىء قال : إن الأصل هو أن كل من يتأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز ، إلا ما خصصه الإجماع من الإمامة الكبرى »[1] . ا . هـ

فهل تكون هذه الروح التى ألهمت أصحاب هذا الرأى ما قالوه ـ صوابا كانت النتيجة الفقهية أم خطأ ـ إلا من هداية رب الأرض والسماء ، الذى لا يحابى الرجال ، ولا يتحامل على النساء ؟ ؟

مع غير المسلمين ... سماحة وعدالة ، لا عداوة وعدوان :

وقد يقال أخيراً : إن الإسلام قد حارب الأهواء العصبية والطبقيه كى يقيم بين الناس حروباً دينية .

والإسلام برىء مما يرمى به فإن الإسلام لا يحارب اختلاف الأديان ، وإنما يحارب البغى والعدوان « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

والإسلام حين يأمر بقتال الباغين المعتدين من غير المسلمين ، يقاتل الباغين المعتدين من المسلمين أيضاً « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » .

---

(١) بداية المجتهد جـ ٢ ص ٣٨٤ .

وحين تكون المسالمة هى أساس المعاملة ، يعطى الإسلام غير المسلمين ممن دخلوا فى ذمته واستأمنوا فى دولته من الحقوق مثل ما للمسلمين « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » ، وإن كان لا يلزمهم بما يلزم به المسلمين من واجبات فى العقيدة ، والعبادة ، والأحوال الشخصية .

واختلاف العقيدة لا يبرر القطيعة « ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدى من يشاء ، وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » وقد نقل ابن كثير عن ابن عباس بسنده « كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فرخص لهم فنزلت هذه الآية » ، والصلات الاجتماعية موصولة باقية « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات . والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب » .

أما الجزية فهى بدل نقدى عن الخدمة العسكرية ، فما كان الإسلام ليكلف مخالفيه شططا : إذ يلزمهم بذل دمائهم فى سبيل دولة تقوم على عقيدة لا يعتنقونها . فالجهاد فى الإسلام هو فى « سبيل الله » ، والدولة فى الإسلام تحكم بالقرآن ، فهل هناك أسمح من أن يعفى غير المسلمين من حرج القتال فى سبيل ما لا يؤمنون به ، ويكتفى منهم بهذا البدل النقدى اليسير ؟

لقد كتب خالد بن الوليد حين وصل الفرات لصلوبا بن نسطونا « إنى عاهدتكم على الجزية والمنعة ، فلك الذمة والمنعة ، وما منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا » . وتكرر مثل هذا المعنى فيما كتبه سويد بن مقرن أحد قواد عمر لمرزبان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان ، وما كتبه عتبة بن فرقد أحد عمال عمر لأهل أذربيجان ، وما كتبه سراقة عامل عمر لشهربراز وسكان أرمينيه . وقد صالح الجراجمة على جبل اللكام أبا عبيدة على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح وألا يؤخذوا بالجزية . وحين اضطر أبو عبيدة لضرورات عسكرية ، أن ينسحب من حمص أثناء فتح الشام رد لأهلها جزيتهم ، لعدم استطاعته الوفاء بشرطها وهو الحماية والمنعة ، وكذلك فعل فى دمشق حين كان يتجهز لليرموك . ولقد كان فرض ضريبة الجزية مقصوراً على الأشداء الأقوياء الذين كانوا يستطيعون الخدمة فى الجيش ، فهى لا تؤخذ من الشيخ الفانى ، أو المرأة ، أو الطفل ، وهذا مما يتضامن مع القول بأنها بدل نقدى عن الخدمة العسكرية .

ولو كان المسلمون قوما تستعر فى صدورهم العصبية الدينية ، لما رضوا من غيرهم بغير اعتناق دينهم بعد أن ذاقوا حلاوة النصر ، ليشعروا بنشوة الظفر معنويا ، ويجبوا الزكاة بأقسامها المختلفة وهى تربو على قيمة الجزية ماديا . ولو فعلوا لتناقضوا مع أصلهم الشرعى الذى يقول « لا إكراه فى الدين » ، ومع أصلهم الاعتقادى النفسى الذى يجعل العبرة بما وقر فى القلب ، لا بما يتلفظ به اللسان !!! وإن الناظر إلى ما يفرض على الأمم المغلوبة اليوم من تعويضات والتزامات ليجد المدى واسعاً بين المعاملة هنا وهناك .

فالإسلام لا يقتلع العصبية والطبقية والجهل واضطهاد المرأة ، ليثير الطائفية والمذهبية . والتطبيق التاريخى خير شاهد ودليل . فبلاد الحبشة اختلفت فى ديانتها عن المسلمين ، ولكن لم يمنع هذا الاختلاف من أن يفر المسلمون بدينهم إلى تلك البلاد . يرجون عند مخالفيهم فى العقيدة الحماية والأمان !!!! ولقد قويت دولة المسلمين بعد ذلك واستطالت سلطتهم ، حتى نالت من امبراطوريات القياصرة والأكاسرة ، ومع ذلك لم تقذف بهم الشهوة إلى المساس ببلاد الحبشة ، وهى التى تخالفهم فى الدين ، وكان يتأجج فى قلوبهم عليها أحقاد قومية دينية منذ حادث الفيل فى الجاهلية !!!

وفلسطين قد عاش فيها اليهود منذ حكم الخلفاء الراشدين إلى نهاية الدولة العثمانية فى ظل حكم إسلامى — ولو من ناحية الشكل فى آخر الأمر — وما اتجهت دولة الإسلام مرة واحدة أثناء تلك القرون الطوال ، إلى صرف هؤلاء اليهود عن دينهم أو اضطهادهم فى معاشهم ، وهم المكروهون قومياً واجتماعيا بل ودينيا ، فهم قساة القلوب ، غلاظ الرقاب ، حرفوا الكلم عن مواضعه ، وجعلوا كتاب الله قراطيس !!!! وعندما برزت مطامع الصهيونية كان للمسلمين والمسيحيين موقف أملته اعتبارات ليس بينها بحال مجرد الاختلاف فى الدين !!

لقد حاولت الدولة العثمانية يوما أن تسير فى مشروع إجبار غير المسلمين على الإسلام ، فأفتى شيخ الإسلام للسلطان بأن هذا حرام ثم حرام !!!

فهل تكون هذه أحكام دين تمليه أهواء البشر ، أم هى من مصدر يعلو عن الأرض ويسمو عن الإنسان ؟؟؟

محمد فتحى محمد عثمان
مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

(يتبع)

المؤمنون حقا
كما وصفهم القرآن الكريم

من السنن التى جرى عليها القرآن الكريم ، أن يفرق الحديث عن بعض الأغراض ، فأنت تراه يتحدث عن معنى من المعانى ، أو يقصد إلى غرض من الأغراض ، فيمر به مراً خفيفاً فى بعض الأحايين ، ويطيل فيه بعض الإطالة أحيانا أخرى ، ثم يعاود الحديث عنه مرات عندما تعرض المناسبة ، فإذا تتبعت هذه الآيات المتفرقة ، ورتبت ما تضمنته من المعانى ، استوت لك صورة واضحة لهذا المعنى الذى قصد القرآن أن يسجله . وإذا تأملت هذه الصورة ، تبين لك أن القرآن استقصى جميع ما يتصل بها ، بحيث لا تستطيع أن تقول إنها ينقصها شىء ، قل أو كثر .

تحدث القرآن عن طوائف من الناس ، وأبان فى كل طائفة عن نواحى الخير أو الشر فيها ، وقد شاع فيه الحديث عن المؤمنين الصادقين ، وعن الكافرين المعاندين ، وعن المنافقين المخادعين ، وجاء الحديث عن هذه الطوائف الثلاث فى أول سورة البقرة ، وهى السورة التى نزلت فى الطريق بين مكة والمدينة ، فذكر شيئاً من أوصاف المؤمنين ، أتبعه ببعض الآيات عن المشركين ، ثم أطال فى وصف المنافقين ، حتى جاوزت تلك الآيات فى أوصافهم الثمانين .

ونحن إنما قصدنا فى هذا البحث أن نجمع الآيات التى تحدثت عن المؤمنين حقا ، كما وصفتهم آيات الأنفال ، أو (عباد الرحمن) كما وصفتهم آيات الفرقان ، أو (المتقين) كما ذكروا فى آيات البقرة وآل عمران .

قال الله تعالى فى سورة الأنفال : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون ؛ الذين يقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ، ومغفرة ورزق كريم » .

تضمنت هذه الآيات أوصافا كثيرة ، فبدأت بوصف هؤلاء المؤمنين ، بأنهم يخافون

عند ذكر الله ، ثم ثنت بأن آيات الله إذا تليت عليهم تزيدهم إيمانا ، ثم وصفتهم بالتوكل على الله وحده ، وبأنهم يقيمون الصلاة ، وينفقون مما رزقهم الله .

وقد ذكر المفسرون فيما يتعلق بالوصف الأول ، أن المؤمن إذا ذكر الله فزع قلبه ، استعظاما لشأنه الجليل ، وتهيبا منه جل وعلا ، ثم قالوا : والاطمئنان المذكور فى قوله تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » لا ينافى الوجل والخوف ، لأنه عبارة عن ثلج الفؤاد ، وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد ، وهو يجامع الخوف ، وقال بعضهم : إن الذكر فى إحداهما ذكر رحمة ، وفى الأخرى ذكر عقوبة ، فلا منافاة بينهما . وقال السدى : هو الرجل يريد أن يظلم ، أو يهم بمعصية ، فيقال له : اتق الله تعالى فيوجل قلبه ، وهذا بخلاف المتكبر المشار إليه فى قوله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام) . (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) أى ثبتت قلوبهم ، وقوّت يقينهم . وذلك لما يصلون إليه حين يتأملون هذه الآيات من معان خفية ، وما يجدونه فى أنفسهم لها من أثر عميق .

وقد جاء وصف حال المؤمنين عند تلاوة القرآن فى غير موضع من القرآن . فجاء فى سورة السجدة قوله تعالى « إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكّروا بها خروا سجداً ، وسبحوا بحمد ربهم ، وهم لا يستكبرون ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفا وطمعا ، ومما رزقناهم ينفقون) . فهم يستمعون لهذه الآيات ، ويخرون على وجوههم سجداً عند سماعها ، ويطيعون أوامر الله ، ويجتنبون نواهيه فيها ، ولا تأخذهم الكبرياء عن الطاعة والانقياد ، كما يفعله الجهلة ، وكيف ؟ والله تعالى يقول : (إن الذين يستكبرون عن عبادتى ، سيدخلون جهنم داخرين) .

وجاء فى سورة الزمر قوله تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ، مثانى ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ، ومن يضلل الله فما له من هاد » .

ومعنى (مثانى) — كما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما — أن القرآن يشبه بعضه بعضا . أما اقشعرار جلودهم ، فذلك ناتج مما يفهمون من القرآن ، من الوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد ، فإذا رجوا ما عند الله من الرحمة واللطف لانت جلودهم ، وهكذا

كان شأن المؤمنين الصادقين من السابقين حين يسمعون القرآن ، تضطرب فرائصهم ، وتفيض دموعهم ، ويعلو نحيبهم ، وربما مر أحدهم بالآية من كتاب الله ، وهو فى أول الليل ، فلا يزال يرددها حتى يصبح ، يصحب ذلك خوف شديد ، وبكاء حار . حدث رجل قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز ، قرأ ذات يوم : « وما تكون فى شأن ، وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل ، إلا كنا عليكم شهودا ، إذ تفيضون فيه » فبكى بكاء شديداً حتى سمعه أهل الدار ، فجاءت فاطمة زوجته ، فجلست تبكى لبكائه ، ويبكى أهل الدار لبكائهما ، فجاء عبد الملك ابنه ، فدخل عليهم ، وهم على تلك الحال يبكون ، فقال : يا أبت ، ما يبكيك ؟ قال : خير ، يا بنى ، ودّ أبوك أنه لم يعرف الدنيا ، ولم تعرفه . والله ، يا بنى ، لقد خشيت أن أهلك ، والله يا بنى ، لقد خشيت أن أكون من أهل النار .

وروى أن محمد بن المنكدر بكى ليلة حتى فزع أهله ، وأبى أن يخبرهم فجاءوه بأبى حازم ، فقال : يا أخى ما أبكاك ؟ قد روعت أهلك ! قال : ذكرت آية من كتاب الله « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » فبكى أبو حازم معه ، واشتد بكاؤهما ، فقال بعض أهله لأبى حازم : جئنا بك لتفرج عنه ، فزدته ، فأخبرهم .

وهـذا الذى حدث لسيدنا عمر ، ولمحمد بن المنكدر ، ولأبى حازم . حدث لكثير غيرهم من عباد الله المؤمنين . وهؤلاء المؤمنون الذين تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله ، يستمعون إلى القرآن بانتباه شديد ، ولا يشغلهم عن آياته شاغل ، ويفقهون معانيها ، ولا يعرضون عنها . وهذا معنى قوله تعالى فى سورة الفرقان فى وصف عباد الرحمن « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم ، لم يخروا عليها صما وعميانا » كما أنهم يلتزمون جانب الأدب عند سماع الآيات ، فلا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس فيهم ، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد فى ذلك .

وهم كذلك تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفا وطمعا ، وهـذه صفة من أنبل صفات المؤمنين ، فهم يقومون الليل ، ويهجرون النوم ، لا ليدبروا شأنا من شئون الدنيا ، ولا ليبكوا على ما فاتهم مما تتصدع النفوس الضعيفة له ، وإنما ليعبدوا الله ، ويناجوه ويحاسبوا أنفسهم على ما فرطت فى جنب الله ، ويتفكروا فى يوم العرض والحساب . وفى الحديث الكريم أن النبى ﷺ قال لبعض أصحابه : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تكفر الخطيئة ، وقيام العبد فى جوف الليل ، ثم تلا هذه

الآية « تتجافى جنوبهم عن المضاجع . . الآية » وفى حديث آخر : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع اليوم ، من أولى بالكرم ، ثم يرجع فينادى ، ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفا وطمعا ، فيقومون ، وهم قليل . وقد وصفهم الحسن البصرى فقال : « أدركت من صدر هذه الأمة قوما كانوا إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم ، يفترشون خدودهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون مولاهم فى فكاك رقابهم ، إذا عملوا حسنة سرتهم ، وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، وإذا عملوا سيئة ساءتهم ، وسألوا الله أن يغفرها لهم .

ومما وصف به المؤمنون فى آيات الأنفال التوكل على الله ، فهم يعتمدون على الله وحده لا يشركون به شيئاً ، ولا يرغبون إلى غيره . فقلوبهم خالية مما سوى الله ، فلا سلطان ، ولا جاه ، ولا مال ، ولا حاكم ، ولا رئيس ، ولا أحد ، ولا شيء له موضع فى قلوبهم ، رهبة أو رغبة ، وإنما اعتمادهم كله على الله وحده ، هو الخالق وهو الرازق ، وهو المحيي وهو المميت ، لا يملك غيره ضراً ولا نفعاً ، فهموا ذلك أتم الفهم ، فشغلوا أنفسهم بالاتجاه إليه تعالى ، ولم يشغلوها برجاء مخلوق .

وقد سمع بعض العلماء فى تفسير قوله تعالى : (إلا من أتى الله بقلب سليم) أن العبد يأتى ربه وليس فى قلبه أحد غيره ، فقال هذا العالم : منذ ثلاثين سنة ما سمعت تفسيراً خيراً من هذا التفسير . وكان أولئك المؤمنون ـ لهذا ـ يأنفون أن يطلبوا من أحد غير الله شيئاً . روى أن أبا حازم الأعرج دخل على بعض خلفاء بنى أمية فقال له : يا أبا حازم ، ما المخرج مما نحن فيه ؟ قال : تنظر إلى ما عندك فلا تضعه إلا فى حقه ، وإلى ما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه . قال : ومن يطيق ذلك يا أبا حازم ؟ قال : فمن أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين ، قال : ما مالك ؟ قال : مالان ؛ الثقة بما عند الله ، واليأس مما فى أيدى الناس . قال الخليفة : ارفع إلينا حوائجك ، قال : هيهات ، رفعتها إلى من لا تختزل الحوائج دونه ، فإن أعطانى منها شيئاً قبلت ، وإن زوى عنى شيئاً رضيت .

وقيل لرابعة القيسية : لو كلمنا رجال عشيرتك فاشتروا لك خادماً تكفيك مؤونة بيتك ، فقالت : والله ، إنى لأستحى أن أطلب الدنيا ممن يملك الدنيا ، فكيف أسألها من لا يملكها .

والمؤمنون يجدون فى هذا التوكل سلامة نفوسهم ، ونقاوة دينهم ، وضمان أرزاقهم . فهم يؤمنون أشد الإيمان وأقواه بقوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » . وهم يفقهون كل الفقه المعنى الحقيقى للتوكل ، فليس من دأبهم أن

يناموا فى بيوتهم ، أو يعتكفوا فى مساجدهم ، ثم لا عمل . ولكنهم توكلوا وعملوا ، فكان من أسلافهم الخواص والخراز والبزاز ، ولهم كلمات رائعة فى الحث على العمل ، والحض على كسب الرزق بعرق الجبين .

أما هذا التواكل الذى نراه فى بعض المدعين والغافلين ، فذلك ما ينهى عنه الدين أشد النهى .

على العمارى
المدرس بالأزهر

تفسير بيت من شعر جاهلى

أرجو أن تفسح المجلة صدرها لهذا التعقيب الذى جاء بعد أوانه ، فقد وقع فى يدى متأخراً جزء جمادى الأولى ١٣٧١ وفيه مقال للأستاذ عز الدين إسماعيل عن الشعر الحماسى فى العصر الجاهلى ، وقد جاء فى صفحة ٤٥٥ منه ما يأتى : —

« إن الدم لا يشفيه إلا الدم ، ولذلك كان الأخذ بالثأر أكرم عند العربى من قبول الدية ، واستشهد على ذلك بقول كبشة أخت عمرو بن معد يكرب على لسان أخيها عبد الله :

فإن أنتم لم تثأروا واتديتم   فمشوا بآذان النعام المصلم

وفسره بقوله : « أى أنكم إن لم تثأروا وقبلتم الدية ، فستمشون كما يمشى النعام المقطوع الأذن ، لا تسمعون ما يقال فيكم من العار » .

ولم يصب الأستاذ التوفيق فى هذا التفسير إذ جعل قول كبشة « فمشوا » من « المشى » والصواب أنه من « المش » بمعنى المسح ومنه « المشوش » ، أى المنديل الذى يمسح به . والبيت أورده أبو على القالى فى أماليه (٢ : ٢٢٦ طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٦) .

وقد كانت العرب تمسح أيديها بأعراف الخيل كقول امرىء القيس :

نمش بأعراف الجياد أكفنا   إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وكبشة تقول للذين يقبلون الدية بدلا من دم قتيلهم : اتخذوا من آذان النعام مشوشاً بدلا من أعراف الخيل لأنكم لستم من فرسانها . وقد سأل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان جلساءه يوما : أى المناديل أفضل ؟ فذكروا له مناديل مصر كأنها غرقىء البيض ، ومناديل اليمن كأنها زهر الربيع ، فقال لهم : بل مناديل عبدة بن الطبيب فى قوله :

ثمت قمنا إلى جــــرد مسوّمة   أعرافهن لأيدينا مناديل

محمد بدوى المختون
المدرس بالجيزة الثانوية للبنات

فى فلسفة الحياة

حواريون

« شابت ناصية الليـــل ، ومن وراء تلك الآزال »
« ينبعث من أعماق الكون هـــذا الصوت ، وينساب »
« هذا اللحن ، فيسبح حواريو الإسلام بحمد ربهم ، وينادى »
« داعى السماء حىَّ على الصـــلاة . . . . »

حواريونَ ، إن نُودوا وصاح مؤذن . . الفجر
وجلجل فى الدجى صـــوت يثير . . غوافى . . الدهر
وسار الركب فى صمت وجـــد الليل فى السير

* * *

حواريون . . يجمعهم صفاء الروح والفكر
وأقبـاس ، وأضـــواء بآفاق المـــدى تجـــرى

* * *

حواريون . . قد عبروا صراط النـــور والطهر
وطـافوا حول كعبتهم كأسراب من الطـير
وأيقظ وجـــدهم صوت من الفردوس كالسحر
ونادى بعضهم بعضـــاً وكبر موكب . . الشعر
وصلت وُرقـه شكراً وغنى ساجع . . الفجر

* * *

موت الأمم

إذا ضاع فى أمـــة (دينها) وساد بها الفاجر الجاهل
فقـد ضاع فى الأرض سلطانها ومات بها الحاكم .. العادل
وناحت على مجدها النائحا ت ، وشيعها الزمن الهازل

رحـلة الـكون

ولست أبالى حـين أعلم أننى جهلت ، فإنى حـين أعلم أجهل
وللجهل أوزار ، وللعـلم مثلها ونحن بهذا الجهل والعلم نُقتل
هبطنا إلى تلك البقـاع ، وإننى لأعلم أنا بعـــد لأى سنرحل
فما حب ليلى والرباب ، وما الذى وراءك ياشعرى ، وهل أنت تعقل؟
وماذا وراء الفلسفات لعـالم سيمضى ، وماذا أنت بالعلم تفعل ؟
وتلك لعمرى .. رحلة .. طال ليلها وما أنت إلا خائف .. يتعجل !!

أسرار الخـلود

ليـلاى . . . ماذا فى ضمـــير الدوح من سر الخـلود ؟
عـــبروا إليـه شواطئ المـا ضى ، وطـافوا بالوجود . .
فهـــوت فلاسـفة الزمـا ن ، وضـل فى الوادى قصيدى
ليـلاى . . . ما هـــذا الخـلو د ؟ أفى الربا ؟ أم فى النجود ؟
فى هاتفـــات الروض آ يات .. وفى همس الورود
فى الصخـر ، واليـنبوع .. يا ليـلى ، وفى نجـــوى الوليد
فى عالم الأرواح ، والأ نسام ... « أسرار الخـلود »

صابر على رمضان الجوشنى

الحصار الاقتصادى لقريش

فى سرية زيد بن حارثة إلى القَرْدة

تحدثت فى المقال الفائت عن الحصار الحربى الذى جاءتنا به غزوة بنى قينقاع ، وبينت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اتخذ خطة الحصار الحربى ، حيث كانت تقضى الحكمة والبراعة العسكرية .

واليوم أتحدث عن نوع آخر من الحصار ، سمع عنه العالم فى العصر الحديث فقط ، وأخذ به قادة الحروب الحديثة ، وآمنوا به وعدوه من أقوى أسلحة الحرب فتكا بالعدو ، ذلك هو الحصار الاقتصادى » .

وفى هذا جاءت النظرية العسكرية الحديثة التى تقول بأن القضاء على قوة العدو الاقتصادية لا يقل أهمية عن القضاء على قوته العسكرية ، وأصبحنا نسمع اصطلاحات عسكرية لم تكن معروفة من قبل ، مثل الحرب الاقتصادية ـ الحصار الاقتصادى ـ المال عصب الحرب ... الخ

والدول العربية ـ منذ وقف القتال على أرض فلسطين ـ مثلا تحاول ما وسعها ذلك ضرب نوع من الحصار الاقتصادى على إسرائيل لتحرمها مما يفيدها عسكريا : فتفتش السفن المارة بموانيها قاصدة إسرائيل ، وتصادر المواد التى يمكن أن تستخدم أو تفيد فى المجهود الحربى كالمعدات والأجهزة والخامات بل والأغذية ، وهى علاوة على ذلك تفرض رقابة شديدة على صادراتها للخارج للتأكد من الجهات المرسلة إليها حتى لا تصل إلى إسرائيل ، بل وتمتنع عن التعامل مع الشركات والمؤسسات التى تتعامل معها ، إلى غير ذلك من الوسائل التى يطلق عليها ـ على العموم ـ « الحصار الاقتصادى » بقصد حرمانها مما يساعد على تقويتها من الناحية العسكرية ،

ولا شك أن هـذا الحصار قد ضايق إسرائيل كل المضايقة ، فإن الانتعاش الاقتصادى فى ذاته متوقف على فتح أسواق الدول العربية ـ وهى المجاورة لها ـ لمنتجاتها .

وهذا ما جعلها تجأر بالشكوى فى المحافل الدولية .

وكلنا قد سمع عن ذلك الحصار الاقتصادى الذى كانت الدول المتحالفة تفرضه على ألمانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية ، وقد كان هذا الحصار عنيفا استخدمت فيه الأساطيل والغواصات وغيرها للقضاء على القوافل البحرية .

هذا الحصار الاقتصادى عرفه العالم فى العصر الحديث ، أما قائد جيش الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم فقد عرفه ونادى به منذ ثلاثة عشر قرنا ، وطبقه على أحسن ما يكون التطبيق ، ووضع لذلك خطة كانت فى غاية الإحكام .

كان ذلك فى سرية زيد بن حارثة إلى القردة فى جمادى الآخرة من السنة الثالثة الهجرية . فإنه على إثر غزوة بدر ، وما كان من أمر قافلة أبى سفيان ، أصبح طريق القوافل من الحجاز إلى الشام مهددا محفوفا بالأخطار ، وخاصة بعد أن تعاهد المسلمون مع كثير من القبائل التى تقطن على هذا الطريق .

فخشيت قريش إذا هى عاودت إرسال القوافل فى هذا الطريق ، أن ينالها سوء من المسلمين . وأخذت تفكر فى مخرج من هذا المأزق ، فوقف صفوان بن أمية يوما فى قريش وقال لهم :

« إن محمدا وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا ، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه ، فما ندرى أين نسكن . وإن أقمنا فى دارنا هذه أكلنا رءوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام فى الصيف ، وإلى الحبشة فى الشتاء » .

فقال له الأسود بن المطلب : « تنكب الطريق على الساحل ، وخذ طريق العراق » .

وهكذا قر قرارهم على اتخاذ طريق العراق وهو طريق طويل مقفر ، واختاروا فرات ابن حيان ليدلهم عليه . وقد قال لهم : « طريق العراق ليس يطؤها أحد من أصحاب محمد ، فإنما هى أرض نجد وفياف » .

ولم تضيع قريش وقتا بل جهزت قافلة من الفضة والبضائع ، وخرج فيها مع صفوان أبو سفيان بن حرب ، وحويطب بن عبد العزى ، وسارت القافلة فى طريق العراق .

لكن خبر هذه القافلة بلغ رسول الله ، فأرسل على الفور زيد بن حارثة فى مائة راكب فلقيها عند القردة وهى بئر قريبة من نجد ، وكانت مفاجأة مفزعة لرجال القافلة ، فهربوا

تاركين كل شيء ، العير وما فيها ، فأخذها زيد وقدم بها على رسول الله ﷺ فقسمها كما نصت الشريعة ، وقد بلغ قيمة الغنيمة ١٠٠,٠٠٠ درهم ، وكانت هذه أول غنيمة ذات قيمة أصابها المسلمون .

بهذه السرية أكمل الرسول حلقات الحصار الاقتصادى المحكم الذى فرضه على قريش ، وكانت خطة هذا الحصار فى غاية الروعة ، فقد استطاع النبى ﷺ أن يسد عليها جميع الأبواب ، فلم يدع لها منفذا إلى الخارج لتصريف التجارة إلا سده ، وكان لها بالمرصاد . وينطق بذلك ويدل عليه بمنتهى الوضوح ، قول صفوان بن أمية الذى ذكرناه والذى يقول فيه « وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام فى الصيف ، وإلى الحبشة فى الشتاء » .

ويجدر بنا أن نلم بحلقات تلك الخطة جميعها لندرك قيمة إحكامها :

أولا : حرص النبى ﷺ على موادعة القبائل المقيمة على طريق التجارة إلى الشام والتحالف معها ، حتى أصبح هذا الطريق محفوفاً بالمخاطر .

ثانيا : حرصه على استطلاع أخبار قوافل قريش ، وقد ظهر هذا جليا فى سرية عبد الله ابن جحش فى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة ، وقبل غزوة بدر بشهرين ، وقد جاء فى كتاب الرسول الذى دفع به إلى عبد الله بن جحش ، وامض فيمن تبعك حتى تأتى بطن نخلة فترصد بها عير قريش ، وتعلم لنا من أخبارهم » .

ثالثاً : غزوة بدر نفسها فى رمضان من السنة الثانية الهجرية ،كان الغرض الأصلى منها القضاء على قافلة أبى سفيان فى عودتها إلى مكة . وفى هذا كان قول النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه « هذه عير قريش ، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها » .

رابعا : وأخيرا سد طريق العراق الذى لجأت إليه قريش بعد أن سدت فى وجهها السبل فى سرية زيد بن حارثة إلى القردة .

وهكذا نرى أنها خطة حصار اقتصادى فى غاية الإحكام ، وضعها النبى ﷺ على خير ما تكون الخطط دقة وبراعة ، وقبل أن يعرفها الفن الحربى الحديث بثلاثة عشر قرناً من الزمان ؟

محمد جمال الدين محفوظ
صاغ أركان الحرب

أحاديث الأستاذ الأكبر

١ — حديثه إلى مراسل النيويورك تايمس

تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر بمكتبه إلى مراسل النيويورك تايمس فى الشرق الأوسط مستر روبرت رونى .

وقد وجه الصحفى إلى فضيلته أسئلة عن النزعة الدينية فى الشرق الاوسط ، ثم تطرق إلى السؤال عن رسالة الإسلام .

فأجاب الأستاذ الأكبر بأن الإسلام دين السلام ، وأجمل فضيلته المبادئ الإسلامية السامية ، وأنه الدين الذى به وعليه صلاح البشرية .

ولما سأل الصحفى عن أسباب الانحلال فى بعض الأفراد ، قال فضيلته : ليس ذلك راجعاً إلى الدين ، وإنما يرجع إلى التأثر بالمبادىء المادية ، ثم شرح جانب القوة فى الإسلام ، والمعانى التى تقوّم الشعوب ، وتعلو بالأفراد والجماعات .

مركز المرأة الشرقية :

وسأل الصحفى عن مركز المرأة الشرقية ، والفرق بينها وبين المرأة الغربية فى الزواج ، والطلاق ، والميراث ، والحياة العامة .

فأجاب فضيلته بأن المرأة الشرقية فى الزواج : متى كانت راشدة عاقلة ، فلا سلطان لأحد على تزويجها دون إرادتها .

أما فى الميراث ، فالمرأة لها نصف ما للرجل ، لأن الرجل عليه تبعات ، وله عليها القوامة . وتبعاتها واجبة على الرجل .

أما من حيث الطلاق ، فمعروف أن ناحية العاطفة فيها أقوى ، ولو سلم لها زمام الطلاق ، فإنه يخشى من انحرافها وراء العاطفة . على أن الإسلام لم يحرمها حق طلب الطلاق عند المضارة .

المـرأة والتعليم :

أما فى الحياة العـامة ، فالإسلام أباح لها التعليم بل أوجبه عليها ، ونساء الصدر الأول كن عالمـات بتعاليم الإسلام . بل إن بعض الرجال من ذاك العصر كانوا يأخذون عن بعضهن العـلم .

التصرفات المـالية :

وقال فضيلته : والإسلام أعطى المرأة حرية التصرفات المـالية . لها أن تبيع ، وتشترى وترهن ، ولا حجر عليها فى التصرف المـالى .

الإسلام يمنع الفتنة :

والشيء الذى منعه الإسلام ، هو أن تظهر المرأة بمظهر يفتنها أو يفتن الرجال بهـا .

وهكذا مضى فضيلة الأستاذ الأكبر ،يحدث الصحفى عن معانى الإسلام ورسالته الخالدة .

وفى النهاية شكر الصحفى لفضيلته حسن استقباله له ، وهنأه بتقلده منصبه ، وقدم فضيلة الأستاذ الأكبر للصحفى مطبوعا ، عن تاريخ الأزهر باللغة الانجليزية .

٢ ـ حديثه إلى جريدة المصرى عن أزمة الزواج

قال مندوب جريدة (المصرى) :

فى زحمة الأعباء وجدت فضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الجديد ، فلما ألقيت إليه بأسئلتى حاول أن يعتذر وقال : إن تبعات المنصب لا تترك لى فرصة من الوقت . قلت : ولـكن هذا المنصب يفرض عليك أيضاً أن تجيب فقال :

أزمة الزواج :

ترجع أزمة الزواج إلى عوامل كثيرة :

الأول ـ المغالاة فى المهور سبب فى إعراض كثير من الفتيان عن الزواج ، لعدم استطاعتهم

القيام بهذا الواجب الذى يحتمه آباء الفتيات ، فلو كان يقتصد فى هذه الناحية ، ويقتصر على تخير الزوج الصالح الذى يهمه أن يبنى حياة زوجية يرمى بها إلى التعاون والقيام بتكوين أسرة نافعة ، لما صعب أمر الزواج ولما كانت أزمة .

ومن الأسباب أن كثيرين من الناس يفهمون أن نظام الزواج ليس إلا مجرد قضاء الحاجة الجنسية ، مع أن المقصود منه التناسل والتوالد الذى ينشىء رجالا يعملون فى هذه الحياة ليجنوا ثمراتها ، فإذا كان ما يرمى إليه بعض الشبان هو مجرد قضاء الحاجة الجنسية فإن ذلك يكون من أكبر الصوارف عن الزواج الذى هو نواة تكوين الأسر ، ولذلك يستبيح بعض الفتيان أن يصرح بأن الزواج فيه حجر على الحرية فى الاستمتاع الجنسى بمن يشاء من غير تحمل الواجبات التى يفرضها نظام الإسلام وتعاليمه فى الزواج .

وإذا أخذ بهذه الفكرة المخطئة الخاطئة فإن أمر الأمة يصير إلى التفكك والانحلال واختلاط الأنساب الشائن ، فينشأ الناس فى همجية وفوضى أسوأ حالا من فوضى سائر الحيوان .

وبعض الفتيان إذا أراد أن يتزوج فإنه يعمل على أن يصاهر رجلا صاحب جاه أو نفوذ أو ثروة ، ولا يقصد من الزواج تلك المعانى السامية التى يبغيها الإسلام بنظام الزواج ، ومن أجل ذلك تراه لا يلبث طويلا على حياة الزوجية إذا زال جاه من صاهره أو ضاعت ثروته ، فتظهر فور ذلك مظاهر النكد والتنغيص فى هذه الحياة ، وتكون النتيجة أن يطلق امرأته بزوال كل ما كان يرمى إليه من هذا الزواج . وقد يحاول بعد ذلك أن يدخل فى تجربة أخرى من هذا النوع فلا يصيب فيها خيراً مما أصابه فى التجربة الأولى ، وبذلك يغاضب شريعة الزواج ويحمل عليها ، ويرى أن الزواج مشكلة مستعصية الحل ، وأن الإنسان لا ينال منه فى أغلب الأحوال إلا الشر والنكد والعناء ، فينصرف لذلك عن الزواج ، ويكتفى بأن ينال مما تقضى به طبيعة النوع فى الإنسان ما حرم الله .

فلو أننا كنا نراعى مبادىء الإسلام وما يقصد إليه من الزواج ونترفع عن تلك الأغراض النازلة الهابطة التى لا ترمى إلى فضيلة ولا عفة ولا تكوين أسرة ، فلا شك أن تستقيم بذلك أمور الزواج وتكون حياة الزوجية هنيئة سعيدة مثمرة ثمرتها الصالحة .

إن الزواج لا يصرف الطالب عن درسه ، ولا العامل عن أن يعمل ، ولا التاجر عن تجارته ، وإنه يكون من المستطاع ومن اليسير على كل من يريد عفة نفسه من الوقوع فى الفجور والمحافظة على كرامته وشرفه ، وعلى التمسك بمبادىء دينه أن يتزوج ، فنى الزواج عون له على القيام بواجبه الذى يكدح فى الحياة من أجله ، لأن الزوجة يد تعمل معه على تيسير أسباب هذه الحياة .

الكبت الجنسى :

والكبت الجنسى له مضار كبيرة يقررها الأطباء : فهو ضار بجسم الإنسان وعقله وقلبه ، فقلما تجد واحدا من هؤلاء الذين يضطرون إلى هذا الكبت صحيح البنية سليما معافى من الأمراض المتنوعة التى هى أثر من آثار هذا الكبت ، ولا شك أن الإنسان إذا ضعفت بنيته واضطرب تفكيره وضعف قلبه فإنه لا يستطيع أن يقوم بعمل نافع قوى ، فإن الضعف لا ينتج إلا ضعفا ، والمرض لا يكسب قوة ، وبذلك تضعف الأمة فى كثير من نواحى الحياة وأساليبها .

وكذلك يقرر الأطباء أيضا أن الكبت الجنسى يسبب الوساوس والهوس .

الاختلاط المحرم :

ليس هناك فى الإجابة عن هذا النداء الجنسى ما يبيح الاختلاط المحرم « الزنا » فإن مساوىء هذا الاختلاط كثيرة من ناحية الصحة ، ومن ناحية ما يصلح للمجتمع ، ومن ناحية الدين ، ولا يشك فى هذا إنسان . والذى يضعف قوة هذه النزعات الجنسية هو انصراف الشخص إلى ما يزاوله من عمل انصرافا كاملا يستطيع به الوصول إلى غايته من طريق قريب ، وعدم مطاوعة النفس بالتفكير فى الاختلاط الجنسى .

وعوامل تخفيف الكبت كثيرة : منها انصراف الشخص إلى ما فيه من عمل دراسى أو صناعى أو تجارى انصرافا كاملا ، وعدم التطلع إلى النساء وزينات النساء مما يثير فيه المعنى الجنسى . ولقد قال رسول الله ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (واجبات الزوجية) فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

ولا يبيح الإسلام أبداً بأى حال البغاء سواء كان رسمياً أم غير رسمى .

الخيانات الزوجية :

قد يكون من أسباب هذه الخيانات عدم الاحتياط والتحرى فى تخير أحد الزوجين للآخر بسبب أن بعض الناس لا يقصدون بالحياة الزوجية ما يقصده الإسلام - فقد يندفع الزوج بأسباب الإغراء المادية التى ترجع كما قلنا إلى الطمع فى الانتفاع بجاه أو مال ، ثم لا يصل هذا الطامع إلى غايته من ذلك ، فتتنكد الحياة الزوجية وينصرف أحد الزوجين أو كلاهما إلى الاتصال غير المشروع ، وقد يكون سبب هذه الخيانات أن الزوجين كانا أو أحدهما قبل الزواج على اتصال غير شريف ، والشخص الذى ليست عنده مناعة وحصانة من الدين لا يقنع بامرأة واحدة ، بل يكون شأنه دائماً التطلع إلى نساء أخريات .

ومن أكبر أسباب هذه الخيانات الزوجية ظهور النساء للرجال الأجانب بمظاهر الفتنة ، والاختلاط بين النساء والرجال فى المجامع والمنتديات والحفلات الراقصة وغير الراقصة ، والواقع الملموس يشهد بأن هذا الاختلاط من أقوى دواعى الفجور ، قال الله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون » « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » . فإن الاختلاط لا يتم بين الرجل والمرأة فجأة بل يتم بمقدمات .

اختلاف الدارين
في التشريع الإسلامي والقانون المصري
— ٢ —

١١ — الغرض الثالث : وهو المتعلق باختلاف الدارين بالنسبة للتوارث بين غير المسلمين :

ونفرق بشأنه بين صورتين :

١٢ — الصورة الأولى : صورة ما إذا كان التوارث بين غير مسلم مصرى – طرفاً أولا – وغير مسلم من دار الإسلام – طرفاً ثانياً –

وفيها يجرى التوارث بصرف النظر عما إذا كان القانون الوضعى للدولة الإسلامية التى يتبعها غير المسلم الطرف الثانى فى التوارث ، يجيز توريث الأجنبى عنها أو لا يبيحه ، وعلى هذا يرث المسيحى الإيرانى من المسيحى المصرى إذا وجد سبب التوريث بينهما ، وكذلك الأمر بالنسبة للتوارث بين المسيحى الأندونيسى ، والمسيحى المصرى ، وبالجملة يقع التوارث بين غير المسلم المصرى وغير المسلم التابع لدولة إسلامية ، وهذا هو المقرر فى مذهب الحنفية ، ولم يخرج عليه قانون الميراث المصرى ، إذ لم ينص على ما يخالفه .

١٣ — والصورة الثانية : صورة التوارث بين غير المسلم المصرى . وغير المسلم التابع لبلد من دار الحرب ، وفى هذه الصورة حالتان :

أولاهما : حالة ما إذا كان التوارث بين غير مسلم مصرى ، وغير مسلم فى بلد من دار الحرب لا تمنع شريعته الوضعية من توريث الأجنبى عنها ، وهو فى هذه الصورة المصرى غير المسلم ممن يموتون من رعاياها ، فهنا يحصل التوارث ، ولا يعد اختلاف الدار مانعاً من التوارث .

١٤ — وقد استقى القانون حكم هذه الحالة من المذهب المالكى والمذهب الحنبلى ، أما المذهب الحنفى – الذى لم يؤخذ به فى هذه الصورة – فقد كان يقول بأنه لا توارث

بين أهل دار الحرب إذا اختلفت الدول التى يتبعون إليها ، بالمنفعة والسلطان ، ولم يكن بين دولة المورث ودولة الوارث تعاون وتناصر على أعدائهما ، وترتيباً على ذلك إذا وجد مستأمنان فى بلاد الإسلام : أحدهما يابانى ، والآخر صينى ، ومات أحدهما وكان بالآخر سبب للإرث منه ؛ فإنه لا يقع التوارث بينهما فى حالتين : الأولى حال ما إذا كانت حرب فعلية بين الصين واليابان ، والثانية حال ما إذا لم تكن حرب بالفعل دائرة رحاها بين الدولتين ، ولكن ليس يقوم بينهما تناصر وتعاون على أعدائهما ، ويستند هذا المذهب فى تقرير ذلك إلى أن الموالاة والمناصرة هى سند الوراثة ، فإذا انتفت امتنع الميراث ، لأن مال الشخص لا يعطى لأعدائه أو أعداء قومه[1] . بيد أن القانون المصرى كما سلف لم يأخذ بهذا المذهب وتبنى مذهب المالكية والحنابلة ؛ لأنه يحقق التسوية بين المسلمين وغيرهم فى حالة اختلاف الدار فى مجال التوريث [2] . وهنا نجد المشرع قد استند فى تقريره لحكم هذه الصورة إلى أساس (المعاملة بالمثل) وهو أساس معروف بين الدول المتمدينة تأخذ به فى صدد تنظيم علاقات أبنائها بأبناء غيرها فى مجال القانون الدولى .

١٥ — وثانيتهما : حالة ما إذا كان التوارث بين غير مسلم مصرى ، وغير مسلم من بلد من دار الحرب تمنع شريعته الوضعية توريث الأجنبى عنها ممن يموتون من رعاياها ، وهذه الحالة هى الحالة التى يعتبر اختلاف الدار فيها مانعاً من الإرث ، وقد استقى القانون حكمها من المذهب الحنفى الذى يعد اختلاف الدارين مانعاً من الميراث فى جميع الحالات !

والظاهر أن اختلاف الدار المانع من الإرث فى هذه الحال ، المعتبر فيه هو الاختلاف الحكمى ، أى اختلاف الجنسية ، أو الرعوية . وليس مجرد الاختلاف فى الإقامة لأنه لا عبرة باتحاد الإقامة ، ما دام ثمة اختلاف فى الرعوية [3] .

---

(١) انظر : الأستاذ أحمد ابراهيم (بك) فى « المواريث علما وعملا » سنة ١٩٤٢ - ص ٨٨

(٢) انظر المذكرة الايضاحية لقانون الميراث المصرى فى « مجموعة القوانين : الوقف والوصية والميراث » جمع وترتيب محمد الغريب . الطبعة الثانية - ص ١٤٥ - هذا وقد ورد نص م ٦ من قانون الميراث خاصا بمانعى اختلاف الدين والدارين ، وتقول المادة فى فقرتها الثانية (ويتوارث غير المسلمين بعضهم من بعض ، واختلاف الدارين لا يمنع من الارث بين المسلمين ، ولا يمنع بين غير المسلمين الا إذا كانت شريعة الدار الأجنبية تمنع من توريث الأجنبى عنها) .

(٣) انظر الشيخ محمد أبو زهرة فى « أحكام التركات والمواريث » — ص ١١٥ .

١٦ — وهنا يمكن التعرض لصورة غير المسلم الحربى الذى أتى إلى مصر بقصد التجارة أو الزيارة مثلا، ونقصد به « المستأمن » إذا مات فى مصر وله ورثة فى بلده التى هى فى دار الحرب، نقول: إن المذهب الحنفى، يرى فى هذه الحالة وجوب وقف مال « المستأمن » إذا مات فى دار الإسلام - ومنها القطر المصرى - لورثته الذين فى دار الحرب [١]، والتكييف القانونى لذلك، هو أن حكم الأمان يبقى فى مال المستأمن حتى بعد وفاته؛ لأنه متعلق بحقه الذى اكتسبه من عقد الأمان، وهذا الأخير يرتب للمستأمن جملة حقوق يعتبر واحداً منها وجوب إيصال مال المستأمن لورثته إذا أتته المنية فى دار الإسلام [٢]

١٧ — ويمكن الأخذ بهذا الحكم الخاص بميراث المستأمن فى ظل قانون الميراث إذ أنه يترتب على القول بأن عقد الأمان الذى يعقده المسلمون مع المستأمن فى دار الإسلام، يترتب عليه التزام المسلمين إيصال ماله بعد وفاته لورثته الذين فى دار الحرب، وهذا الالتزام ينشأ من احترام الحرمة التى لهذا العقد ولسائر العقود فى الشريعة الغراء، ولا ينشأ من احترام ملكية المقيمين بدار الحرب.

نقول إنه يترتب على هذا القول عدم تعليق حق الخزانة العامة أى بيت المال باعتبارها مستودع الضوائع التى لا يعرف لها مالك، بمال المستأمن المتوفى فى دار الإسلام والمخلف ورثة فى دار الحرب؛ إذ يتبين من التكييف السابق، أن مال المستأمن ليس مالا ضائعاً لسببين.

أولها: أن له مالكا فى دار الحرب.

وثانيهما: أنه مال محترم تولد احترامه من عقد الأمان نفسه، وهذا هو السبب أيضاً فى أن المستأمن إذا أوصى بكل أمواله لشخص فى دار الإسلام، استحق هذا الشخص هذه الأموال بصرف النظر عن حقوق الورثة؛ إذ أن إرادته المنفردة فى مصير أمواله، هى المعتبرة عند المسلمين الذين عقدوا معه عقد الأمان؛ ذلك العقد الذى ترتب عليه وجوب صيانة أمواله [٣].

---

[١] قيدت المادة ٥٨٨ من كتاب [الأحوال الشخصية] وقف مال «المستأمن» فى دار الحرب لورثته الذين فى دار الحرب باتحاد دارهما، ولسنا نفهم من ذلك إلا أن يخرج عن حكم هذه المادة صورة ما إذا كان ورثة المستأمن ليسوا فى دار الحرب بل فى دار الاسلام، لأن المعروف أن ما خرج عن مجال هذه الدار الأخيرة هو دار حرب، ودار الحرب هى دار المستأمن الأصلية لأنه من أهلها، ومقامه مؤقت فى دار الاسلام، فلا مبرر لشرط اتحاد الدارين بين المستأمن وورثته إلا خروج الصورة التى أسلفناها.

[٢] انظر: عبد الله مصطفى المراغى فى السالف — ص ١٠٥.

[٣] انظر: محمد أبو زهرة فى السالف — ص ٩١.

١٨ — ولسنا نستند فى الأخذ بهذا الحكم ، إلى التكييف الشرعى والقانونى السالف فحسب ، وإنما نعتمد كذلك على نص فى القانون المدنى المصرى [1] ، مقتضاه أن « يسرى على الميراث والوصية وسائر التصرفات المضافة إلى ما بعد الموت ، قانون المورث أو الموصى أو من صدر منه التصرف وقت موته . » فالأموال التى تكون ميراث المستأمن — فضلا عن احترامها بموجب عقد الأمان والتزام إيصالها لورثته — تخضع كذلك لقانون المورث « الذى هو هنا المستأمن » أى قانون البلد الذى يتبع إليه هذا الشخص فى دار الحرب ، ويدخل فى ذلك تعيين هذا القانون لورثته ، فمتى كان له ورثة فى دار الحرب أو بالأحرى فى البلد الذى يطبق فيه هذا القانون بحسب التعيين والتحديد الوارد فيه ، صارت مهمة الحق الذى خول لهذا الشخص بمقتضى عقد الأمان أن توصل أمواله إليهم !

* * *

١٩ — بقيت مسألة أخيرة فى هذا المجال ، خاصة بحق الخزانة العامة [2] ـ وهى بيت مال المسلمين ـ باعتبارها مستودع الضوائع التى لا يعرف لها مالك ، فيما يتعلق باختلاف الدارين ، ولتفهم ذلك يمكن التعرض لهذه المسألة فى حالتين :

٢٠ — الحالة الأولى : حالة ما إذا مات شخص فى مصر وهى بلد من دار الإسلام وله تركة ، وليس له ورثة مطلقاً : وفى هذه الحالة نجد فرضين :

٢١ — الأول : أن يكون هذا الشخص مسلماً مصرياً ، وهنا بصريح نص القانون [3]. يؤول ماله إلى الخزانة العامة .

٢٢ — والثانى : أن يكون هذا الشخص ذمياً مصرياً .أوله جنسية إحدى الدول الإسلامية فى دار الإسلام ، وهنا أيضاً تستحق الخزانة العامة تركته التى خلفها ، وينطبق هذا كذلك على الفرض الذى يكون فيه الذمى أحد رعايا دولة إسلامية غير مصر فى دار

---

[١] هو نص الفقرة الأولى من المادة ١٧ من القانون المدنى الجديد الصادر به القانون رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨ .

[٢] وزارة المالية .

[٣] انظر : الفقرة الأخيرة من م ٤ من قانون الميراث ، ونصها : « فاذا لم يوجد أحد من هؤلاء ، آلت التركة أو ما بقى منها إلى الخزانة العامة » .

الإسلام ، فحينئذ تكون الخزانة العامة لحكومة تلك الدولة هي التي يؤول إليها مال هذا الشخص بعد وفاته من غير وارث .

٢٣ — والحكم في هذه الحالة مأخوذ من المذهب الحنفي ، الذي يقسم بيت المال إلى أقسام ، من بينها قسم خاص بأموال الضوائع ، وأساس استحقاق الخزانة العامة لمال من لا وارث له في هذا المذهب ، لا يستند إلى أنها وارثة للمتوفى ، مسلماً كان ، أم ذمياً ، وإنما يستند إلى اعتبارها موئل الضوائع التي ليس لها مالك ، وهذا مفهوم في فرض المتوفى المسلم الذي لا وارث له ، أما في فرض المتوفى الذمي ، فيتضح هذا الأساس من القول : بأن الخزانة العامة هي بيت مال جماعة المسلمين ، ولو قررنا حكم استحقاقها على أساس أنها وارث للمتوفى الذمي ، لظهر التناقض في أحكام التشريع الإسلامي في شأن الميراث ؛ لأن هذا التشريع قد أجمع فيه على أن اتحاد الدين شرط للوراثة بين المورث والوارث ، وأن اختلافه مانع من موانعها ، ومن أجل هذا لا يكون صحيحاً تكييف استحقاق الخزانة على أنها وارثة للذمي لأن هذا الأخير غير مسلم ؛ ولأنها تمثل جماعة المسلمين ، ولا توارث بين مسلمين وغير مسلمين .[1]

٢٤ — ويؤيد هذا التكييف ، أن الخزانة العامة إذا وضعت يدها على تركة المتوفى فهي إنما تستولي على مال ضائع ، فإذا ادعى شخص بعد ذلك ملكيته لهذا المال وأحقيته له بأن أقام الدليل على أنه الوارث لهذا المال دون سواه ، انتفت عن المال صفة الضوائع ، ووجب على الخزانة العامة أن تسلمه لهذا الشخص ، لأنه مالكه ؛ ولأنها ليست ذات أحقية في الاستيلاء عليه ، ومثل الخزانة في ذلك مثل الشخص الذي يجد شيئاً ضائعاً فيعرّف عنه ، ثم يجد من يدعي ملكيته له ويقيم الأمارات المثبتة لهذه الملكية ، فعندئذ يصير واجباً على الملتقط أن يسلم إليه ماله الذي فقده [2] .

٢٥ — وهذا التكييف أخذ به القضاء المصري بالفعل [3] ، وأوجب الأخذ به في القانون المصري بعض الفقهاء المحدثين [4] ، ويشارك المذهب الحنفي في القول به ، المذهب

---

[١] انظر : الأستاذ محمد زيد الابياني في « شرح الأحكام الشرعية ، في الاحوال الشخصية » حـ٣ ص ٢٦ .

[٢] انظر : محمد أبو زهرة في السالف ـ ص ٩٠ :

[٣] انظر : « مجموعة القواعد القانونية » لمحمود عمر س ١ ص ١٠٨ حكم محكمة النقض المصرية في ٢٦ مايو سنة ١٩٣٢ — وانظر : مجلة التشريع والقضاء س ٢ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥ استئناف مختلط ٣٠ ابريل سنة ١٩٤٠ .

[٤] انظر : دكتور عز الدين عبد الله في « القانون الدولي الخاص المصري » جـ٢ في « تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي الدوليين » سنة ١٩٥٣ — ص ٢٧١ .

الحنبلى وبعض المالكية كذلك، وخالفه بعض الشافعية، الذين اعتبروا الأساس فى استحقاق الخزانة العامة للتركات الضوائع، هى أنها وارثة من لا وارث له، إذ أنها تمثل جماعة المسلمين وهؤلاء يستحقون الأموال التى يخلفها من يموت دون وارث، كما أنهم يعقلون عن جناية من لا عاقلة له، فالتزامهم هذا العقل الذى يوجبه كون المعقول عنه لا عاقلة له، يقابله حقهم فى أن يرثوا مال من لا وارث له [1].

٢٦ — غير أنه يلاحظ أن قيمة هذا الخلاف فى تكييف استحقاق الخزانة العامة ضئيلة الشأن من الناحية العملية، ما دام أن النتيجة العملية لكل من المذهبين واحدة؛ إذ تتمثل فى استحقاق بيت المال لمال المتوفى من غير وارث، وتقتصر قيمته على الناحية النظرية، وهى مهمة فى هذا المجال من حيث التناقض الذى يظهر من الرأى القائل باعتبار بيت المال وارثاً، مع أن شرط الميراث اتحاد الدين، ولا اتحاد فى الدين بين المورث إذا كان ذمياً، وبين جماعة المسلمين، وهم من يمثلهم بيت المال [2].

٢٧ — على أننا نستطيع أن نؤكد أن القانون المصرى فى عمومه، قد تبنى تكييف المذهب الحنفى القائل باستحقاق الخزانة العامة لتركة من لا وارث له، لا على اعتبار أن هذا حق من حقوق الإرث مخول لها، بل على اعتبار أنها مستودع الضوائع، والدليل على ذلك نص ورد فى قانون المرافعات المدنية والتجارية المصرية [3]، إذ جاء فيه [4] أن:

«على الوصى أن يثبت حالة التركة بمحضر جرد، ولا يمكنه أن يبيع المنقولات إلا بالأوضاع المبينة فى هذا القانون لبيع الأشياء المحجوز عليها.

---

[1] هذا فضلا عن أن السنة جاء فيها: [أنا وارث من لا وارث له] انظر: شرح السراجية للسيد الشريف ص ١٧ وانظر: أحمد ابرهيم فى بحث له بمجله القانون والاقتصاد س ٤ ص ٥١.

(٢) أخذت بعض التشريعات الاجنبية كالتشريع المدنى الالمانى [فى م ١٩٣٦] والتشريع المدنى السويسرى [فى م ٤٦٦] بفكرة اعتبار الدولة وارثة لمن يموت مخلفا تركة لا وارث لها، انظر فى ذلك وفيما يؤدى إليه تكييف حق الدولة فى تركة من لا وارث له على أنه من حقوق الارث: دكتور محمد عبد المنعم رياض فى السالف — ص ٤٤٦ — أما التشريعات التى لم تنص صراحة على تكييف حق الدولة فى أخذ تركة من لا وارث له كالتشريع الفرنسى، ففيها تعددت الآراء وتباينت، انظر فى ذلك: دكتور حامد سلطان فى تطبيق أحكام المواريث — مجلة الحقوق سنة ١٩٤٣ ص ١٣٤.

(٣) الصادر به القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٩.

(٤) الفقرات الأخيرة من المادة ٩١٨ من القانون السالف الذكر.

وإذا عين غير مصلحة الأملاك وصياً على التركة وجب عليه أن يبلغ تلك المصلحة خبر تعيينه فى عشرة أيام ، وعلى المصلحة المذكورة أن تباشر فى بلد المتوفى الأصلى التحريات اللازمة لمعرفة ما إذا كان هناك ورثة .

فإذا لم يظهر أى وارث فى خلال سنة من تاريخ التبليغ المشار إليه فى الفقرة السابقة ، وجب على الوصى أن يسلم التركة باعتبارها تركة بلا وارث إلى مصلحة الأملاك » .

٢٨ — الحالة الثانية : حالة ما إذا مات شخص غير مسلم فى مصر (أو فى دار الإسلام) ، وكان هذا الشخص قد استؤمن بأمان المسلمين ، أى صار أجنبيا مستأمنا ، وكان له تركة لم يخلف لها وارثاً :

هنا فى هذه الحالة ، يجب إعمال القاعدة العامة وتطبيقها ، وعلى ذلك نجد أن تركته تؤول إلى بيت المال كذلك باعتباره خزانة المال الذى لا مالك له .

٢٩ — غير أن البحث يثور فيما يتعلق بالقانون الواجب الأخذ به فيمن يعتبر وارثاً لهذا المستأمن ، أهو قانون دولته التى ينتمى إليها ومنها أتى (وهى من دار الحرب) أم هو قانون الدولة الإسلامية (مصر) التى توفى فيها ، أى قانون افتتاح التركة ؟!

٣٠ — ونرى فى هذا المجال أن القانون المعتبر فى هذه الحال ، هو قانون الدولة الأجنبية التى يتبعها المستأمن ، وذلك تفريعاً على القول بأن مال المستأمن يوقف حال موته فى مصر أو فى البلد من دار الإسلام ويسلم لورثته فى بلاده ؛ لأن ذلك ما يوجبه عقد الاستئمان ، وعلى ذلك إذا اعتبر شخص بحسب قوانين الدولة الأجنبية وارثاً للمستأمن ، كان له ماله الذى توصله إليه الدولة الإسلامية التى توفى فيها هذا الأخير ، وكذلك إذا لم يوجد من يعتبر بحسب قوانين تلك الدولة الأجنبية وارثاً له ، صار مال المستأمن مالا ضائعاً لا مالك له تأخذه الخزانة العامة للدولة المصرية التى أسلم روحه فيها ، إذا لم يكن قانون دولته ينص على مآل تركة رعاياها الذين يموتون من غير وارث فى خارجها ، فإذا كان هذا القانون يعتبر خزانة دولته هى الوارثة فى هذه الحالة ، كان المعتبر هو حكم القانون الأجنبى ، وذلك تطبيقاً لنص الفقرة الأولى من المادة السابعة عشرة من القانون المدنى المصرى الذى يقرر أنه :

« يسرى على الميراث والوصية وسائر التصرفات المضافة إلى ما بعد الموت ، قانون المورث أو الموصى أو من صدر منه التصرف وقت موته » .

أحمد طه السنوسى

ميناء العقبة

لقد كثر ترداد ذكر العقبة ، منذ قام الملك على مقام والده فى جدة ، واستمرت حوادثها وأسباب ذكرها حتى أيامنا هذه . والقلائل من القراء من يعرفون ما فيها وموقعها ومستقبلها وخطرها ، فأحببت أن أكتب هذه الكلمة للذكرى والبيان ، مشفوعة بكلمة عن تاريخها .

فى رأس البحر الأحمر (وهو بحر القلزم) خليجان يكونان من البحر كأذنى الأرنب ، يعرف الشرقى منهما قديما باسم (خليج أيلة) ويسمى (خليج العقبة) فى القرون الأخيرة .

وفى سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) زرت العقبة لأن أخى رحمه الله كان موظفا فيها ، وأقمت فى ربوعها أربعين يوما ، فعرفت موقعها ، وتتبعت حوادثها قديما وحديثا .

إن رأس الخليج فى الشمال قليل العرض بحيث لا يزيد عن كيلو متر ، وعلى مسافة نحو بضعة كيلو مترات من زاويته الشمالية الغربية إلى الجنوب يقع رأس مراخ الذى يكون ميناء طبيعيا هادئاً فيصبح فى نهايته كأنه بركة ماء كبيرة .

وفى الشمال الغربى من رأس الخليج تقع خرائب أيلة ، وفى الشمال الشرقى تقع بلدة العقبة ، ويقع ما بينهما وادى العرابة ، وهو يتصل بالغور والبحر الميت الذى تكلمت عن كنوزه فى جزء سابق لهذه المجلة . وتقع أيلة (أيلات) اليوم ضمن النقب وحدود إسرائيل ، وتقع العقبة ضمن المملكة الأردنية ، وما بينهما فى فم وادى العرابة تنزل القوات البريطانية ، وعلى بعد كيلو مترات من أيلة تقع طابة وهى الحد المصرى ، وعلى مسافة مرحلة يقع الحد السعودى ويبدأ ببلدة ضبا ، فنى هذه المساحة الضيقة حول رأس الخليج تقع أربع دول ، وترابط خمسة جيوش ؛ ووراءها أربعة أقطار : الحجاز ، والأردن ، وفلسطين ، ومصر . ومن موانئها يمكن الاتصال بسائر موانىء البحر الأحمر ؛ ومنه يمكن الخروج إلى البحر الأبيض شمالا وإلى باب المندب والبحر العربى والمحيط الهندى جنوبا .

إن اليهود يطمعون فى إنشاء ميناء على خليج العقبة لتصدير المعادن والأملاح بل الكنوز التى يستخرجونها من البحر الميت والنقب ، ولاستيراد خيرات الشرقين الأقصى والأوسط . ويطمع الانكليز فى التمركز بها إذا انسحبوا من فايد ليتخذوها مركزاً حربياً وتجارياً ،

يتصلون منه بالشرق الأدنى شمالا ، وبالشرقين الأوسط والأقصى جنوباً وشرقاً ، ويطمعون فى موقعها الستراتيجى الخطير الذى يمكن السيطرة منه على سيناء وفلسطين والأردن والمملكة السعودية ، ويمكن أن يرسو أسطول فيه فيهدد جميع سواحل البحر الأحمر .

* * *

وأهمية العقبة معروفة لمملكة الأردن والمملكة العربية السعودية ، وكادت تقع الحرب بينهما بسببها عقب انتهاء الحرب الحجازية النجدية سنة (١٣٤٣ ﻫ ، ١٩٢٤ م) إلا أن الأمر توقف بهدنة مدتها سبع سنين ، ثم استطاعت الأردن أن تقنع المملكة السعودية بترك الحال على ما هى عليه . فلما ضاعت سواحل فلسطين وأصبحت الأردن تلاقى صعوبات فى نقل البضائع من ميناء بيروت عادت تفكر فى ميناء العقبة ، وبهذا أصبحت موضع اهتمام الأردن أيضاً ، وشعرت مصر وشعرت المملكة السعودية بأن وجود ميناء معاد لها فى نهاية الخليج خطر على البلاد وسواحلها فاستيقظوا ، وبهذا تحول الاهتمام إلى خليج العقبة ، وسيزداد هذا الاهتمام فيما بعد متى خرج الانكليز من فايد واحتاج اليهود إلى تصدير معادن وأملاح وكنوز البحر الميت والنقب ، فيشتد الضغط على الأردن وتصطدم مصر والمملكة السعودية باليهودية المعادية وبالانكليز ، وتصبح العقبة (تريستة العرب) .

إن ميناء العقبة بموقعها الستراتيجى واتصالاتها بالشمال والجنوب تنبىء بمستقبل عظيم ، وفى نفس الوقت تنذر بشر مستطير يتصل اتصالا وثيقاً بالشرور التى تنجم عن كنوز البحر الميت والنقب ، وعلى الأمم العربية أن تستعد لهذه المواقف من الآن .

تاريخ العقبة وقلعتها

لا نعرف اسم « العقبة » إلا فى القرون الأخيرة ، إذ كانت الشهرة فى العهد الأول لأيلة التى تقع تجاهها فى أول النقب ، وهى القرية التى كان أهلها يعدون فى السبت ، ويتوارث اليهود أنهم قد مسخوا قردة وخنازير ، وهى فى العبرانية (أيلات) . وكانت تتصل بغزة وفلسطين وبمصر والشام والعراق والحجاز . ولم يرد لها ذكر فى الفتوح الإسلامية إلا مرة واحدة حينما وفد صاحبها على الرسول ﷺ فى تبوك ، وقد دفع الجزية وكتب له النبى صلى الله عليه وسلم عهدا كما ذكر الشهاب القسطلانى .

وفى الحرب الصليبية استولى عليها صاحب الكرك المعروف عند العرب بالبرنس رينود

أورنيالد (ريجنيالد عند الافرنج) وأنشأ فيها أسطولا هاجم به سواحل عيذاب ، وهاجم قوافل السفن التى تقل الحجاج ، وقد هاجم الحجاز وبلغ جيشه نقطة تبعد يومين عن المدينة المنورة ، فرده أشراف ينبع بقيادة الشريف قتادة ، وأسرهم الشريف وقتلهم جميعاً ، فكان هذا سبباً لتولى الشريف قتادة وبنيه إمارة مكة ، وهم أشراف الطبقة الرابعة من حكام مكة .

ثم أنشأت الحكومة المصرية أسطولا فقضت به على الأسطول الصليبى ، وأنشأت بلدة العقبة تجاه عقبة طريق معان ، وأصبحت إحدى منازل الحج الساحلية ، وقد بنيت فيها قلعة فى عهد قنصوه الغورى آخر ملوك المماليك الشراكسة كما قرأت على باب قلعتها من الداخل . وبقيت العقبة ذات شأن بمرور الركبين الشامى (ومركزه نابلس) والمصرى (ومركزه غزة) وكان أمراء الركبين من المماليك الفقاريين آل فروخ فى نابلس وآل رضوان فى غزة ، فكانا يلتقيان فى الكرك ومنها يسيران إلى العقبة . ولما انقرض الفقاريون وأصبح آل العظم ولاة دمشق أمراء للركب الشامى أصبح الركب يسير من الداخل فيأتى إلى معان حيث يلتقى بالركب الشامى ويسيران معا إلى العلا فالمدينة المنورة ، وبذلك أهمل شأن العقبة ، وظلت كذلك إلى أن احتل الانكليز مصر ، وثارت اليمن وعسير سنة ١٩٠٥ وأصبحت الدولة العثمانية مضطرة إلى سوق الجيوش إلى اليمن فاتخذت دمشق مركزاً داخليا لحركات الجيش ، والعقبة ميناء بحرياً لذلك .

وفى السنة التالية أى سنة ١٩٠٦ حاول الانكليز الاستيلاء على العقبة باسم تصحيح الحدود ، فحشد السلطان عبد الحميد فيها أربعين طابوراً ، وقد هيأ له معتمده فى مصر أحمد مختار باشا الخرائط اللازمة ، فتظاهر بمحاولة الهجوم على مصر ، فقنع الانكليز بالحد الحاضر وهو (طابة) فى الجهة الغربية على الخليج ، وهى ترى من العقبة ، وظلت العقبة مركزاً لسوق الجيوش العثمانية إلى موانىء الحجاز واليمن .

ولما وقعت حرب طرابلس الغرب سنة ١٩١١ م ضرب الأسطول الإيطالى القلعة فدمرها ، فلم يبق منها سوى الباب وبعض السور والأبراج . ولما وصل الخط الحجازى إلى المدينة المنورة أهملت العقبة ، إلا أنها عادت واستردت مكانتها السابقة بعد أن اتخذها الأمير (الملك) فيصل والحلفاء مركزاً لقيادة الجيش الشمالى فى الحرب العالمية الاولى وأنشىء فيها ميناء ومداخر ، وأصبحت تعج بالجيوش والمتطوعين والبدو والذخائر .

ثم أهملت العقبة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وأصبحت كالمعلقة بين الحجاز والشام: فالمداخر لفيصل، والإدارة لوالده، وقد ذاق أخي الشيخ [١] أحمد نجيب النمر بوصفه (مدير المدخر) مشقات إلى حد المخاطرة بنفسه للمحافظة على المدخر من شيوخ البدو والأشراف الطامعين فيه، إلى أن بلغ الأمر جلالة الحسين بن على فأرسل باخرتين شحنتا ما فيه من سلاح وعتاد وذخائر وكافأ أخي ورفاقه.

وقد عنى الملك حسين بالعقبة عناية كبيرة فجعلها قائمقامية (أي بدرجة «مركز» في الإدارة المصرية) وعين فيها رؤساء دوائر للمالية والبرق والبريد والجمرك ولها قاض شرعى وقيادة درك وقيادة شرطة وجنود شرطة ودرك وهجانة ولاسلكى للمخابرة، ونقل إليها عدداً من المكيين وغيرهم لينمى سكانها، وهم خليط من الصعايدة والمعانيين وغيرهم. وكان ينفق على إدارتها ثمانية آلاف جنيه ذهبا، وقد رفع له أخي تقريراً بالاكتفاء لإدارتها باثنين من الموظفين وأن تكون نفقاتها نحو ألف جنيه فلم يقبل. وقد لجأ إليها الملك حسين بعد تنازله لابنه على عن الملك ومنها تسلمته المدمرة الانكليزية التى نقلته إلى قبرص. والملك على بن الحسين هو الذى تنازل عن معان إلى الأردن لما كان في جدة، وقد أبقيت مؤقتاً لسبع سنين في حوزة الأردن بموافقة السعوديين كما أشرت إلى ذلك آنفا، ثم بقيت كلياً على ما هي عليه. وبعد هذا ببضع سنين جرفت السيول نصفها فهاجر أهلها إلى معان وعمان وغيرهما. وبعد كارثة فلسطين نزح إليها كثير من اللاجئين، منهم بحارة من ثغر يافا، ورابطت فيها قوات انكليزية وأردنية للحيلولة دون تقدم اليهود، وأصبحت الأردن تعمل لإصلاحها وإنشاء ميناء فيها للشحن والتفريغ، وقد عنيت بها فرفعتها مؤخراً من (ناحية) إلى (قائمقامية)، إلا أن سير العمل بطىء جداً رغم زيارات وزراء المواصلات المتكررة. والمأمول بل الواجب أن تعمل الأردن ومصر والمملكة السعودية لعمران رأس الخليج فتحول دون تحصن غير العرب فيه ولا مجال للتريث؟

(نابلس) احسان النمر

---

[١] كانت حكومة الحجاز تلقب جميع موظفيها بالشيخ.

الثأر في نظر الإسلام

غرض البحث :

موضوع هذا البحث هو الثأر فى نظر الشريعة الإسلامية، ونريد منه أن نعرف ما كان عليه الثأر قبل الإسلام، وما صار إليه بعد مجىء ذلك الدين الحنيف، ولمن يكون اختصاص الثأر فى الإسلام؛ أيكون للأفراد أم للدول والحكومات ؟ .

ولعل من الاستئناس بجو هذا البحث، أن نتعرف إلى الألفاظ المستعملة فى هذا المقام، سواء أكان الاستعمال لغويا، أم عرفياً، أم إسلامياً، فقد يكون فى تحديد التعبير عون على سلامة التفكير واستقامة التصوير.

هناك ألفاظ ثلاثة تستعمل غالباً فى هذا المجال، هى: الثأر، والقتل، والقصاص؛ فلنتعرف إلى معانيها الأصلية والاستعمالية فى اختصار وإيجاز .

كلمة الثأر :

الثأر ويسمى الذَّحل أيضاً [١] هو كما جاء فى لسان العرب [٢] والقاموس المحيط وغيرهما: الدم، أو الطلب بالدم، وقيل الثأر قاتل حميمك، والثأر هو الذى لا يبقى على شىء حتى يدرك ثأره؛ وتقول ياثارات فلان، أى يا قتلة فلان؛ ومنه قولهم قديماً : ياثارات عثمان، أى يا أهل ثاراته، ويا أيها المطالبون بدمه؛ وقال الجوهرى [٣] : يقال: يا ثارات فلان، أى يا قتلة فلان؛ فعلى الأول يكون قد نادى طالبي الثأر ليعينوه على استيفائه وأخذه، وعلى التقدير الثانى يكون قد نادى القتلة تعريفاً لهم وتقريعاً، وتفظيعاً للأمر عليهم، حتى يجمع لهم عند الأخذ بالثأر بين القتل وبين تعريف الجرم وتسميته، وقرع أسماعهم به ليصدع قلوبهم فيكون أنكى فيهم، وأشفى للنفس .

---

[١] فى القاموس المحيط : « الذحل الثأر، أو طلب مكافأة بجناية جنيت عليك، أو عداوة أتيت إليك، أو هو العداوة والحقد، جمعه أذحال وذحول .

[٢] انظر ج ٥ ص ١٦٥

[٣] النهاية لابن الأثير ج ١ ص ١٢٤ .

وقال الزمخشرى فى أساس البلاغة : « وجُمع الثأر الذى هو معنى فقيل : يا لثارات الحسين ، أريد : تعالين يا ثاراته ، أى يا ذحوله ، فهو أوان طلبكن ؛ قال حسان :

إنى لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا حتى المات ، وما سميت حسانا
لتسمعن وشيكا فى دياركم : الله أكبر ، يا ثارات عثمانا ! [١]

وقال الأصبهانى فى (مفردات القرآن) : « وثارت الحصبة ثوراً تشبيها بانتشار الغبار ، وثور شراً كذلك ، وثار ثائره كناية عن انتشار غضبه ، وثاوره واثبه ، والثور البقر الذى يثار به الأرض . . [٢] » .

ونلاحظ فى الاستعمالات الغالبة لمادة « الثأر » أنها تذكر بمعانى الحقد والعداوة ، وطلب الدم وإسالته ، وتحريك الغير للاشتراك فى الثوران للاشتفاء والاستيفاء ، وانتشار الغضب كما ينتشر الغبار بلا ضابط ، أو كما يقلب الثور الأرض ظهراً لبطن .

وكل هذه المعانى المستفادة من المادة ، تدل على الاندفاع والإسراع فى الشر ؛ ولذلك كانت المادة شعار العرب فى الجاهلية ، حين كانوا يشنون الغارات الشعواء فيهتفون : ياللثارات

كلمة القتل :

والكلمة الثانية « القتل » لأنها كما تطلق على القتل الأول الابتدائى ، تطلق على القتل الثانى الذى يكون عقاباً للأول ، ومن هنا قال العرب : « القتل أنفى للقتل » .

وأصل القتل ـ كما يقول الأصبهانى فى مفرداته [٣] ـ هو إزالة الروح عن الجسد كالموت ، لكن إذا اعتبر بفعل المتولى لذلك ، يقال قتْل ، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال موت .

وفى لسان العرب [٤] ـ باختصار ـ : قتله إذا أماته بضرب ، أو حجر ، أو سم ، أو علة ؛ ومن معانى القتل اللعن والطرد من الرحمة ، كقوله تعالى : « قاتلهم الله أنى يؤفكون » وقوله « قتل الإنسان ما أكفره » . وفى الحديث : قاتل الله اليهود ، أى قتلهم ، وقيل لعنهم ، وقيل عاداهم .

ونحن نرى المادة فى أصلها تدل على إزهاق الروح ، وإن استعملت فى الدلالة على عقاب جريمة القتل ، فإنما تستعمل على سبيل المشاكلة المعروفة فى علم البديع ، وكذلك تدل المادة على اللعن والطرد والإبعاد .

---

[١] أساس البلاغة ص ٨٨ طبعة دار الكتب . [٢] أساس البلاغة ص ٨٢ .
[٣] المفردات ص ٤٠١ . [٤] اللسان ج ١٤ ص ٦٤ .

كلمة القصاص :

والكلمة الثالثة هى القصاص، [1] ومعناها الأصلى المساواة [2]؛ والقصاص بمعنى عقوبة الجانى بمثل ما جنى يتضمن هذه المساواة، لأن الإنسان يفعل مثل ما فعل القاتل.

وفى اللسان أن القصاص هو القود، وهو القتل بالقتل، أو الجرح بالجرح، والتقاص يفيد معنى التناصف فى القصاص [3] ...

وسمى « المقص » مقصا لتعادل جانبيه، وسميت « القصة » قصة لأن الحكاية تساوى المحكى؛ ومن هذا نرى أن المعنى الأصلى لكلمة « القصاص » هو المساواة والتعادل؛ ولذلك كانت هذه الكلمة أنسب الكلمات للاستعمال فى موضوعنا؛ فلا يحسن أن نقول « الثأر » لأن الثأر يذكر بالدم والعداوة والأحقاد والإسراف، ولا يحسن أن نقول « القتل » لأنه أيضاً يذكر بإزهاق الروح والطرد واللعن؛ بل نقول « القصاص » لأنه عدل ومساواة وإنصاف ...

ويلوح أن هـذا هو السبب فى أن القرآن الكريم ـ دستور الإسلام وكتاب العربية الأقدس ـ لم يذكر كلمة « الثأر » فى آية من آياته، لا فى موطن القصاص، ولا فى غيره؛ وكذلك لم يرتض القرآن المجيد استعمال كلمة « القتل » فى الدلالة على عقوبة القاتل المتعمد، وإن جاز ذلك على وجه فى العربية كما سبق؛ وإنما استعمل القرآن كلمة « القصاص » العادلة المنصفة، فكأنه ينفر من البغى والطغيان فى هـذا المجال، وينفر من ذلك حتى فى التعبير،

---

(١) ومرادفه : القود، وفى القاموس : القود القصاص، وأقاد القاتل بالقتيل : قتله به.

(٢) فى مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى : « والقصاص والمعاوضة والمقاصة والمبادلة نظائر، يقال قص أثره أى تلاه شيئا بعد شىء، ومنه القصاص، لأنه يتلو أصل الجناية ويتبعه، وقيل : هو أن يفعل بالثانى ما فعله هو بالأول مع مراعاة المماثلة، ومنه أخذ القصص، كأنه يتبع آثارهم شيئا بعد شىء » ج ١ ص ٢٦٤.

(٣) انظر اللسان ج ٨ ص ٣٤١. وسمى القصاص قودا لأن المقتص منه يقاد فى الغالب بشىء حتى قتله، وفى النهاية لابن الأثير : « وفى حديث عمر : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه، يقال أقصه الحاكم يقصه، إذا أمكنه من أخذ القصاص، وهو أن يفعل به مثل فعله من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح » ج ٣ ص ٢٥٩.

ولا يرتضى هنا إلا « القصاص » المساوى العادل ، المؤدى إلى الردع المناسب ، والتأديب المطلوب ، يرتضيه تعبيراً ويرتضيه عملا وتطبيقا ...

لفظ القصاص فى القرآن :

فلنستمع إلى القرآن الكريم يتحدث عن « القصاص » فى القرآن فيقول :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ، فمن عفى له من أخيه شيء ، فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ، ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » . البقرة - ١٧٨و١٧٩ .

ويقول : « الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص [1] ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين » . البقرة - ١٩٤ .

ويقول : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » . المائدة - ٤٥

نرى فى هذه الآيات أن الله سبحانه قد كتب (القصاص) أى فرضه عند موجباته والمطالبة به ، ليرتدع الآثم عن عزمه على الجناية ، ولينال المجرم عقابه المؤدب الرادع عن جريمته ، وليتعظ غيره بحاله وعقابه ، فلا يقترف مثل ما اقترف ؛ ولذلك جعل القرآن الكريم القصاص حياة ، لأن تنفيذه فى فرد ينهى عن قتل أفراد فيبقون أحياء ، ولأن تشريعه يخيف الهامين بالقتل فلا ينفذونه ؛ وما أجمل هذا التعبير الذى يجعل القصاص مصدر الحياة [2] ...

---

(١) الحرمات جمع حرمة ، وهى ما يجب حفظه ويحرم هتكه .

(٢) أفاض السابقون والمتأخرون فى تبيان ما ينطوى عليه قوله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة » من وجوه البلاغة والاعجاز والايجاز ، ويراجع ذلك فى التفاسير المبسوطة ، وفى كتاب الاتقان لجلال الدين السيوطى وغيره .

ونرى فى الآيات الكريمة نصاً على أن يقف العقاب المؤدب عند حد المثل والتساوى، ففى الآية الاولى نجد: «فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم». وفى الثانية نجد: «فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم». وفى الثالثة نجد المقابلة بين الأجزاء وهى تشير بوضوح إلى التساوى: «والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن بالسن».

ونرى فى الآيات إشارة إلى العفو الذى يحسن أن يمن به صاحب القصاص على الجانى، ففى الآية الأولى نجد: «فمن عفى له من أخيه شىء، فاتباع بالمعروف، وأداء إليه بإحسان» وفى الثالثة نجد: «فمن تصدق به فهو كفارة له».

وإنما لم يذكر العفو فى الآية الوسطى التى أولها: «الشهر الحرام بالشهر الحرام» لأنها نزلت فى قتال المسلمين للمشركين المنتهكين حرمات الأشهر الحرم المتطاولين ببغيهم على المسلمين، وهذا لا يناسب ذكر العفو، وإلا دخل الضعف على كتيبة الإسلام إبان الجهاد...

وإذا كانت هذه الآية الوسطى لم يذكر فيها العفو، فقد ذكر فيها أمر آخر اشتركت فيه مع بقية الآيات، وهو التذكير بالتقوى، وإذا ذكر الإنسان ربه حين القصاص، وتدرع بشعار التقوى، ودثار الخشية، لم يكن منه فى القصاص إسراف أو اعتساف.

إننا نجد عقب الآية الأولى قوله: «لعلكم تتقون» وفى الآية الوسطى: «واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين» وفى الآية الثالثة ذكرت التقوى ضمنا، لأن الله أعدل العادلين قد حكم على من يخرج عن عدله وقسطاسه بالظلم وإذا لم يلتزم المرء التقوى، فقد ظلم نفسه، وظلم غيره؛ تقول الآية: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون».

وكل هذا تأكيد من القرآن الكريم، لالتزام العدالة، والقسطاس حين القصاص.

«يتبع»

أحمد الشرباصى
من علماء الأزهر الشريف



— ١ —

حكم إجارة البساتين

جاء إلى لجنة الفتوى ما يلى :

ما قول علماء الإسلام ، نفع الله بعلومهم الأنام ، فيما يقع كثيراً من إجارة الحوائط المشتملة على نخل مثمر، وقد يكون معه شجر قليل، بوزن معلوم، وصنف معروف، يدفع وقت الجذاذ. ويسمى هذا فى عرف العامة « قبالة » وفى عرف الموثقين « إجارة » يعنون أنها إجارة للأرض. والحال أن الأرض المسماة لها الأجرة ، لا تغل شيئا لأنها ليست ببياض وإنما هى مغمورة بظل النخل ومحتاجة لتنقيتها من الحشيش المضر بعروق النخل .

أفيدونا مأجورين ولكم من الله جزيل الثواب .

يوسف بن راشد المبارك

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن المفهوم من المذاهب الاربعة منع هذه الإجارة ، لأن عقد الإجارة إنما يرد على المنافع ، لا على الأعيان ، ويرى ابن القيم كما جاء فى كتاب زاد المعاد ، أن عقد الإجارة يرد على المنافع ، ويرد أيضاً على الأعيان التى تستوفى ثمرتها مع بقاء أصلها ، كاستئجار الشجر لأخذ الثمر ، والظئر للرضاع ، والأرض للزرع . وإنما الممنوع هو استئجار عين تستهلك بالانتفاع ولا يبقى بها أصل ، كاستئجار الخبز للأكل . واستدل على ذلك بأدلة كثيرة : منها إجارة الظئر للرضاع الثابتة بقوله تعالى - (فإن أرضعن

لكم فآتوهن أجورهن) وهى عقد على اللبن وهو عين من الأعيان . ومنها ما فعله عمر رضى الله عنه ، من أنه قضى بأخذ حديقة أسيد بن حضير مدة معلومة ودفع الاجرة فى دين عليه ، وهذه إجارة للحائط مدة معلومة ، بأجر معلوم ، وهو مقدار الدين الذى عليه . قال ابن القيم : ولا يعلم من الصحابة مخالف لعمر فى هذا ، وأطنب ابن القيم فى هذا وقال : إن دعوى أن عقد الإجارة إنما يرد على المنافع لا على الأعيان ، لا أصل لها من الدين .

وبناء على ذلك ـ يجوز استئجار الشجر بمقدار معلوم من الثمر مدة معلومة كما هو وارد فى السؤال ، إنما لا يصح اشتراط أن يكون الاجر من نفس الشجر المؤجر . لاحتمال أنه لا يخرج منه المقدار المشروط وذلك غرر يدخل فيما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . واللجنة لا ترى مانعاً من الاخذ بهذا الرأى الأخير ، تيسيراً على الناس ، وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

* * *

ـ ٢ ـ
استغلال الأطيان المرتهنة

زيد ارتهن قطعة أرض من عبيد قيمة فدان نظير ٥٠ جنيهاً ، فراح زيد يأخذ خيرات الأرض مدة ١٥ سنة ويضع يده على الأرض وإجارة الفدان . وعند سداد المبلغ وهو ٥٠ جنيهاً أخذها كلها من عبيد ولم يترك شيئاً أبدا . فنرجو الإفادة .

عبده عبد العزيز الجعفرى

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فتفيد اللجنة بأن هذه المعاملة محظورة شرعاً لما فيها من الربا المحرم. فلا يجوز للدائن أن يأخذ أكثر من رأس ماله ، وهو مبلغ الخمسين جنيهاً ، فعليه أن يرد إلى المدين ما أخذه زيادة على ذلك ، وهو أجرة مثل الفدان فى المدة المذكورة ، والله أعلم .

— ٣ —

استعمال مكبرات الصوت فى المساجد

١ — يستعمل أحد الأئمة (ميكروفونا) فى إذاعة خطبة الجمعة ، فهل عمل الإمام صحيح تبعاً للشريعة الإسلامية ؟ .

٢ — هل يجوز استعمال مكبرات الصوت فى المساجد للأغراض التالية : —

ا — الخطب . ب — الصلاة . (خمس مرات فى اليوم) . ج — التراويح
د — الوعظ . وغير ذلك من الاجتماعات الدينية . فنرجو الإفادة .

ناظم متولى جامع شولا — رانجون

الجـواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فتفيد اللجنة بأنه إذا كان الحـال كما ذكر بالسؤال جاز شرعاً استعمال مـكبر الصوت فى المسجد ، لإسماع من لا يسمع من المصلين ، سواء فى ذلك الخطبة والصلاة والوعظ وغير ذلك من الاجتماعات الدينية . وليس هذا من البدعة المذمومة شرعاً ،بل هو من أعمال البر والخير ، لمـا يترتب عليه من سماع من لا يسمع واتعاظه ، والله أعلم .

— ٤ —

حجر السيد البدوى وقدم الرسول ﷺ

زرت مقـام السيد البدوى (رحمه الله) فراعنى ما رأيته ، والحق أقول ، انه بعث فى نفسى أشد الأسى والحزن .

يجد الزائر فى زاوية من المقام قاعدة تلفت الأنظار، وموضوع فوقها حجر من الجرانيت

مطبوع عليه أثر قدم قيل : إنه قدم رسول الله ﷺ ، والناس يتزاحمون عليه للتبرك بلمسه ، ووضع اليدين فوق الوجه بعد اللمس . وهنا نتساءل : هل يوجد بجزيرة العرب أحجار من الجرانيت . أم حضر إلى مصر سيد الخلق صلوات الله عليه ، وهل من الجائز شرعاً ما يعمله الزائرون ؟.

محمد محمد سلطان

الجـواب

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فتفيد اللجنة بأن هذا الحجر المذكور لم يضع رسول الله ﷺ قدمه عليه . ووضعه للتبرك به ولمسه وتقبيله وإيهام العامة أنه مما يتبرك به ويتقرب إلى الله بلمسه أو تقبيله ضلال مبين . وفاعل ذلك ضال مضل . كما أن تقبيله ولمسه تقرباً إلى الله من قبيل العبادة بغير ما شرع الله . وهذا كله غير جائز بإجماع المسلمين ، ومعلوم حظره وعدم جوازه من الدين بالضرورة . ويجب على كل من يقدر على محو هذا الضلال وإزالة هذا المنكر محوه وإزالته والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

التقليد فى الزندقة

قال الجاحظ فى رسالة (أخلاق الكتاب) : « وقد قال أهل الفطن : إن محض العمى التقليد فى الزندقة ، لأنها إذا رسخت فى قلب امرئ تقليداً أطالت جرأته ، واستغلق على أهل الجـــدل إفهامه » .

لغويات

أرسل الأزهر بعثته إلى العراق

تطلق البعثة - بفتح الباء - فى هذا العصر على من يبعث ليقوم بأمر علمى أو غيره . وقد يكون هذا واحداً ، وقد يكون فوق الواحد ، وقد كتب (١) إلى إدارة مجلة الأزهر الأستاذ الفاضل أحمد نصيب المحاميد من دمشق يذكر أن الوارد فى المعاجم لتأدية هذا المعنى هو البعث ، ويجمع على البعوث ، وأن البعثة لم تعرف إلا اسما للمرة من البعث .

والذى ذكره الأستاذ الفاضل صحيح وحق ، وإنا نحمد له بحثه وزكانته ، وتهديه للصواب ؛ غير أن للبعثة فى معنى البعث - وإن لم يرد هذا فى المعاجم - وجها يسوغها ، وينأى بها عن الرد والإنكار .

ذلك أن إطلاق البعث على المبعوث ، الذى ورد فى اللغة ، هو استعمال جاء بطريق التوسع والتجوز ، وهو من قبيل إطلاق المصدر على الوصف ؛ كما فى ضرب الأمير ، وخلق الله ، ونسج اليمن . ويجعل البيانيون هذا مجازاً مرسلا علاقته التعلق الاشتقاقى . والتجوز لا حجر فيه ، وبابه واسع ، فلا ضير أن يستعمل اسم المرة فى الوصف تجوزا ؛ كما استعمل المصدر العام فيه . والوحدة مراعاة فى الوصف المراد باسم المرة ؛ كما فى اللفظة ، يراد بها الملفوظ مرة ، وأصلها اسم المرة ؛ كما لا يخفى . فالبعثة يراد بها من يبعث مع قصد وحدة فى شأنها من جهة الغرض أو من جهة أخرى ، فمن ثم أوثر لفظها على لفظ البعث .

وإذا كان الأمر يذكر بالأمر فإنى أذكر هنا أن المتداول على الألسنة فى البعثة كسر الباء ، وقلما كنا نسمع « بعثة الرسل » إلا بكسر الباء ، وقد اهتدى الناس فى العصر الأخير إلى الصواب ، وهو فتح الباء ، ومع هذا فقد وقفنى صديق الأستاذ الجليل عبد السلام هارون على نص فى اللسان والقاموس فيه ضبط البعثة بكسر الباء ، وذلك بضبط القلم ، فقد

(١) نشر هذا الكتاب فى جزء ربيع الآخر ١٣٧٣ .

جاء فى مادة « برهم » فيهما ما يأتى : « والبراهمة قوم لا يجوزون على الله تعالى بعثة الرسل» والظاهر أن هذا الضبط من النساخ على حسب ما تعودوا ، ولم يئلوا فيه إلى علم وثيق . ومن البعيد أن يراد هنا اسم الهيئة ، فالبراهمة ينكرون أصل البعث ، ولا يختص الإنكار بهيئته .

وأظن الآن ظنا يتاخم اليقين أن الأستاذ محمد عبد الرسول الذى كان فى دار الكتب المصرية ـ عليه رحمة الله ـ أخبرنى أن فى مقدمة الأدب للزمخشرى النص على البعثة بكسر الباء . ولم أقف على هذا ، وقد يقف عليه غيرى من الباحثين .

* * *

ما الذى أبطأ بك حتى سبقك الناس ! أهو كسلك ! أهو عزوفك عن المجد

يجرى هذا الأسلوب على أقلام الكتاب فى هذا العصر . وقد جاء فى جريدة المصرى فى يوم ٢٧/٤/١٩٥٢ فى مقال « لماذا يدبر حفنى باشا المقالب » ما يأتى : « وبقى أن نجيب على سؤال الجميع : لماذا يحب حفنى باشا أن يفكر فى تدبير المقالب ، وأن يحكم ذلك التدبير وأن يوقع فيها أعز الأعزاء ؟ أهى رغبة الباشا فى السخرية بالحياة والأحياء ؟ أهو شغف الباشا أن يتشفى فى إحراج الناس ؟ أهو الميل إلى التفرج على المتناقضات التى تؤدى إليها مقالبه ؟ أهو الولع بإظهار القوة واللعب بالعقول والقلوب من وراء ستار » .

وقد جرى بحث فى عربية هذا الأسلوب ، وموطن الشبهة فيه أنه وقع السؤال فيه أولا بالهمزة ، ولم يكرر السؤال مع أم ، والمعهود أن يكون تكرير السؤال بعد الاستفهام بالهمزة مقرونا بأم . تقول : أتسافر غدا أم بعد غد ، أنجح على أم أخفق ؟ . ولا تقول : أنجح على ، أأخفق ؟ وبالقياس على هذا كان الواجب فى المثال المصدر به البحث أن يقال : ما الذى أبطأ بك ! أهو كسلك ، أم هو عزوفك عن المجد .

وقد بدا لى أن الأسلوب الذى هو موضع البحث صحيح . وذلك على استئناف الاستفهام وأن كل استفهام مستقل عن سابقه ؛ ألا ترى أنه قيل : ما الذى أبطأ بك ، أهو كسلك أم هو عزوفك ، ولولا هذا لقيل : ما الذى أبطأ بك أكسلك أم عزوفك ، ويكون «كسلك» بدلا من « ما الذى أبطأ بك » ، والاستفهام كله فى قوة استئناف واحد .

وقريب من هذا قول النحاة إن أم الداخلة على الجملة تـكون منقطعة غير معادلة للهمزة . ففى المثال المصدر ثلاث جمل استفهامية ، كل جملة قائمة برأسها ، ولا عليك أن تعقد بينها ارتباطا يكلفك أن تأتى فيه بأم بعد الهمزة . ويقرب مما نحن فيه من استئناف الاستفهام أن يقول من يعد محاسنه وآثاره وفضله على سامعه : ألم أنقذك من الهلكة ؛ ألم أجنبك السوء ! ألم أغمرك بإحسانى ! وهذا وإن كان للتقرير أصله للاستفهام ؛ كما هو معروف .

وقد يشهد لصحة الأسلوب ما جاء فى الحديث [1] أن يهوديا رض رأس جارية بين حجرين ، فقيل لها ـ وهى تجود بنفسها ـ : من فعل هذا بك ؟ أفلان ؟ أفلان ؟ حتى سمى اليهودى ، فأومأت برأسها ، فأخذ اليهودى فاعترف ، فأمر به النبى ﷺ ، فرض رأسه بين حجرين . ألا تراه كرر الاستفهام دون أم . وسبيله ما ذكرت من استئناف السؤال .

* * *

الموسيقى

المشهور على الألسنة ضبط « الموسيقى » بفتح القاف . وقد جاء ذكرها عرضا فى القاموس فى ترجمة « ربب » . ففى هذه المادة : « ومحمود بن عبد الله الواسطى الربابى يضرب به المثل فى معرفة الموسيقى بالرباب » ، وكتب الشيخ نصر الهورينى مصحح القاموس : « قوله : الموسيقى هكذا فى النسخ بكسر القاف . وهو اشتباه سببه رسم الكلمة بالياء . وصوابه فتح القاف ، كما هو فى اللغة الرومية » ، ويريد باللغة الرومية اللاتينية . ويبدو أن الكلمة مأخوذة عن اليونانية ، فالكلمة تأصلت فيها ، ثم انتقلت إلى الرومية . وأصل الكلمة فى اليونانية هى (Muses) موز وهى الأرواح التى تلهم الأنغام واللحون وما إلى ذلك من الشعر والخيال وكان مقرها فى الأولمب فى اليونان ، ويعد بعض الشعراء عندهم هذه الأرواح تسعا . والكلمة فى الإغريقية بكسر الكاف أو القاف ، كما أخبرنى بذلك من له بصر بها . ويبدو من هذا أن ضبط القاموس ليس بخطأ ، وأن كتابة الياء فى الموسيقى لمد الكسرة ، لا أنها ألف ، فإن الكلمة الأعجمية ترسم فيها الألف ألفاً ولو زادت على ثلاثة الأحرف ؛ إلا ما شذ كبخارى وكسرى ؛ ألا ترى أنا نكتب أمريكا بالألف لا بالياء .

---

(١) انظر صحيح البخارى فى « ما يذكر فى الأشخاص ، والخصومة بين المسلم واليهود » .

ووردت الموسيقى فى قرينة للأرتماطيقى ـ وهو فن الحساب عند اليونان ـ ويبدو أن الأرتماطيقى أيضاً بكسر القاف . وذلك فى رسالة الصاحب بن عباد فى نقد المتنبى ص ٢٠ إذ يقول فى قصائد المتنبى : « تحـير الأفهام ، وتفوت الأوهام ، وتجمع من الحسنات ما لا يدرك إلا بالأرتماطيقى ، وبالأعداد الموضوعة للموسيقى » .

ووردت الـكلمة فى صورة أخرى ، وهى « الموِيسِق » بتقديم الياء على السين فى شرح الشيخ خالد لأزهريته . وكتب الشيخ حسن العطار فى حاشيته عليه : « قوله : الموِيسِق ضبطه شيخنا بكسر السين بلا ياء بعدها . كلمة يونانية ، معناها الأنغام والألحان » .

* * *

هذا المظروف فيه أوراق كثيرة ، والصواب : هذا الظرف . . . .

يستعمل المظروف هـــذه الأيام فى معنى الظرف الذى هو الوعاء أو ما يحوى غيره ويضمه . وفى جريدة المصرى فى يوم ٢١ / ٢ / ٥٣ : « وقد لوحظ فى المطار أمس أن الدكتور محمود فوزى حضر وبيده مظروف أخرج منه أوراقا » .

وهذا الاستعمال لا وجه له يصححه . ولم أقف على فعل من الظرف متعد ، فلا يقال : ظرفه أى وضعه فى الظرف ، حتى يقال : إن الأصل مظروف فيه ، فتوسع فيه بالحـذف والإيصال ، كما قيل : هذا الأمر مشترك أى مشترك فيه .

ويفسر النحويون الظرفية الحقيقية فى مباحث حرف الجر ويحدونها بأن يكون للظرف احتواء وللمظروف تحـيز ، فتراهم يستعملون المظروف ، وهـذا عندى خروج على اللغة وإحداث ما لا تجيزه أصولها .

محمد على النجار
الأستاذ فى كلية اللغة العربية

مشروع تقييد تعدد الزوجات

نشرت صحيفة الجمهورية الغراء مشروع قانون تقييد تعدد الزوجات ، وتنظيم حق الطلاق تحت اسم قانون حماية الأسرة ، ونشرت معه بعض أسماء أعضاء مجلس الخدمات العامة الذى أقر المشروع .

وحتى يتفضل السادة أهل الشرع والفقه بنقد هذا المشروع من الناحية الشرعية الصرفة يحل كاتب هذا المقال لنفسه أن ينقده كما أحل السادة أعضاء المجلس لأنفسهم أن يضعوه وليس بينهم عالم متخصص فى الدين ، بل وفيهم من ليس من المسلمين وهم المقصودون بهذا المشروع .

ومن القليل المنشور مع المشروع من مذكرته الإيضاحية يتبين أن المجلس صاحب المشروع يرى أن الشريعة الغراء لم تبح تعدد الزوجات إلا لحكمة تبرر هذا التعدد ، وأنها لم تبحه إلا فى ظروف خاصة وحيث لا يخشى الجور ، وأن لولى الأمر أن يتدخل فيقيده من أجل مصلحة عامة طبقا لما تمليه مقتضياتها .

أما أن الشريعة الإسلامية لم تبح تعدد الزوجات إلا لحكمة فصحيح ، لكنها لم تنص على تلك الحكمة وتركتها لاتساعها قيد البحث والتنقيب . فهل بحث عنها مجلس الخدمات العامة حتى تبينها ؟ وهل بينها ووضحها فى مذكرته الإيضاحية ؟ كان من الواجب أن يبين المجلس للناس حكمة إباحة الإسلام تعدد الزوجات ليطمئنوا إلى أن المجلس قد أحاط بها علما وأن مشروعه قد راعى جوانب تلك الحكمة فلم يخالف جانبا منها .

وأكبر الظن أن الحكمة فى رأى المجلس ليست إلا مراعاة تلك الظروف الخاصة التى يقول : إن الشريعة الإسلامية لم تبح التعدد إلا فيها ، فهل تناول المجلس فى مذكرته تلك الظروف بالتبيين ، وهل ساق الدليل على أن الشريعة قد قصرت التعدد على تلك الظروف فيكون فى غيرها غير مباح ؟

إن مجلس الخدمات العامة يدعى هنا دعوى لا علاقة لها بالرأى الشخصى لأعضائه . إنه يدعى على الشريعة دعوى يجب عليه إثباتها قبل أن يستقيم له وللناس أن مشروعه يتفق مع الشريعة الغراء ، فهل أثبت دعواه بنص من الكتاب ، أو بسنة عن النبى ، أو بإجماع أو شبه إجماع ، أو حتى بأغلبية من علماء المسلمين فى عصر من العصور ، أو بقياس صحيح إن لم يكن دليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع ؟

إذا كان المجلس قد قام ببحث الموضوع بحثاً فقهياً أصولياً فلينشر بحثه على الناس لينقده منهم أهل الاختصاص . أما إذا كان لم يزد على أن أخذ برأى أعضائه فيما ظنوا أنه يحفظ مصلحة الأسرة فله رأيه ، لكن لا يحل له ولا يجوز أن ينسب هذا الرأى إلى الشريعة إلا ببرهان .

إن الناظر فى كتاب الله لا يجد من آية فى التعدد إلا آيتين فى سورة النساء . والذين يضاهئون قول الغرب فى تعدد الزوجات كثيراً ما ينظمون من بعض الآيتين قياساً مقدمتاه « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ، « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . ولو لم يكن وراء هاتين المقدمتين شىء فى الآيتين يدل على مراد الله سبحانه لكانت النتيجة المنطقية الحتمية ألا تعدد فى الزوجات قط مهما كانت الظروف ، فكيف إذن وجد التعدد فى الإسلام مطلقاً من لدن عهد النبى ﷺ إلى يوم الناس هذا إذا كان الأمر كما زعموا وصح لهم فى القرآن هذا القياس ؟

لكن القياس كما نظموه غير موجود فى القرآن اللهم إلا على نمط « فويل للمصلين » و « لا تقربوا الصلاة » ! إن خصوم التعدد حين يريدون دليلا قرآنياً على مذهبهم يغفلون بقية الآية الثانيه ، وفيها حكم الله الذى ينقض ماذهبوا إليه . فالآية هى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » . وهذا صريح فى أن الله سبحانه أباح التعدد حتى مع بعض الميل والجور . فما ذهبت إليه المذكرة الإيضاحية من أن الشريعة أباحت التعدد حيث لا يخشى الجور هو إذن غير صحيح ، لأن قوله تعالى « فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » هو فى موضعه من الآية إباحة لا تحريم - إباحة حتى مع الجور ما دام الجور لم يبلغ المبلغ الذى يترك الزوجة لا هى بالمتزوجة المحصنة ، ولا هى حرة يمكن أن تتزوج . وهذا وحده دليل واضح أن الله سبحانه شرع التعدد اتقاء أضرار

اجتماعية ، هي شر من ذلك الجور المحدود الذى يصيب ثانية الزوجتين ـ أو رابعة الزوجات ـ من آن إلى آن .

فإذا كان أعضاء مجلس الخدمات العامة لا يعرفون تلك الأضرار التى وقى الله المجتمع شرها بإباحة تعدد الزوجات إلى أربع مطلقاً غير مقيد إلا بمقدار ما يكون عند الزوج من تقوى تحمله على مراجعة العدل بينهن قدر الإمكان كما يدل عليه تمام الآية الثانية الكريمة فى موضعها من سورة النساء ـ إذا كانوا لا يعرفون أضرار منع التعدد أو تقييده فإن عليهم أن يبحثوا عنها من ناحية ، وأن يشرعوا مايزيد من تقوى الله فى قلوب الأزواج والزوجات من ناحية أخرى ، حتى يحسنوا استعمال الحقوق التى وهبهم الله وشرع لهم .

أما أن يتركوا الناس ينشأون على جهل بالدين وقلة من تقوى الله ثم يتخذوا من آثار ذلك سبيلا إلى سلبهم تلك الحقوق أو تقييدهم فيها بمحض الرأى فذلك ليس لهم ، إذ ليس لأحد كائنا من كان أن يحمل الناس بقوة القانون على ما يخالف نص الكتاب وعمل النبي وإجماع المسلمين من لدن عهده صلى الله عليه وسلم إلى اليوم .

***

إن حكمة تعدد الزوجات فى الإسلام غير مقصورة على حالات مرض الزوجة أو عقمها أو ما شابه ذلك مما يريد أضداد التعدد أن يقصروه عليه . إذ ماذا يقول أصحاب المشروع مثلا فى حالات زيادة عدد النساء على عدد الرجال بحيث لو تزوج كل رجل لبقى من النساء عدد كبير محروما من الزواج ؟

إن الإحصاء يثبت وجود هذه الزيادة الكبيرة فى مصر وفى غيرها من بلاد الله . وهى زيادة تزداد تضخما واستفحالا بإعراض الشباب عن الزواج ؛ فماذا يكون مصير ذلك العدد الضخم من النساء اللاتى يفقدن كل فرصة فى الزواج إذا أغلق التشريع الوضعى أمامهن أو ضيق المنفذ الوحيد الذى فتحه الله لهن ، منفذ تعدد الزوجات ؟

والمشروع يوجب استئذان القاضى قبل التعديد ، فكيف يمكن القاضى أن يحكم أو يتصرف ليتلافى هذا الاحتمال أو ليحل إشكال زيادة عدد النساء على الرجال ، وهى زيادة مبثوثة فى الأمة غير محصورة فى مكان ؟

والمشروع يحتم على القاضى مراعاة المقدرة المالية للزوج ، ولكن من أدرى القاضى وأدرى أصحاب المشروع أن المرأة لا تفضل أن تشارك الزوج الفقير لقمته على أن تعيش بلا زواج ؟

وبأى حق يحرمون على المرأة أن تختار لنفسها أى الأمرين تشاء ما دام التعدد حين يكون إنما يكون برضى الطرفين ؟ أيظن أصحاب المشروع أن فى طبيعة المرأة أن ترضى بزوج متزوج وهى تجد بعلا خالصا لها فى الرجال ؟ لو أن أصحاب المشروع بدلا من التفكير فى سد هذا المتنفس فكروا فى مشروع يلزم الشباب بالزواج فلا يعيش الشباب فى رهبانية ولا مخادنة ، ولا يؤخر الزواج إلى أن يتقدم به العمر ؛ ولو أنهم فكروا فى تشريع يستوثق للمرأة بحرية الاختيار عند الزواج ويقيها شر كذب الرجل عند الخطبة فلا يزعم لها ولأهلها أنه وحيد وهو متزوج ، أو أنه غنى وهو فقير ، أو فقير وهو مدقع ، أو قليل الذرية وهو كثيرها ، أو مستقيم وهو فاسد ، إذن لعملوا فى غير إضرار بالمرأة وبالمجتمع كل ما يمكن عمله تشريعيا للحد من تعدد الزوجات .

* * *

إن الإسلام دين الفطرة ، وتشريع تعدد الزوجات فى الإسلام فيه مرونة الفطرة : سيتسع من نفسه ويضيق حسب الحاجة إليه ، لأنه إنما يقع ويتحقق برضا المرأة المخطوبة وموافقتها وهى أدرى بمصلحتها . وهذه نقطة يغفل عنها كل الذين يرون فى التعدد إهداراً لكرامة المرأة وظلماً لها ، ويظنون أنهم ينصفون المرأة حين يسلبونها حق الاختيار فيه فلا تتزوج إلا بإذن القاضى ! . فلو أن كل امرأة وكل فتاة وجدت زوجا خالصاً لها لانعدم التعدد من نفسه . أما إذا فقدت الأمل فى ذلك لسبب من الأسباب فإنها ترضى من الأزواج بالمتزوج فلماذا يريد أصحاب المشروع أن يتدخلوا فى الفطرة البشرية وما شرع الله لها فى الإسلام دين الفطرة ؟ ألم يقرأوا قوله تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » فهل من مصلحة الأسرة والمجتمع أن يخرجوا بالناس عن مرونة التشريع الإلهى الملائم للفطرة فى مظاهرها وتقلباتها المختلفة فى الناس إلى جمود التشريع الوضعى الذى يعامل الناس كأنهم سواسية فى الطباع والميول والغرائز والظروف ؟

لقد جرب ذلك مرة فى تقييد سن الزواج فكانت النتيجة أن لجأ الناس إلى الكذب والتزوير ليخرجوا من ذلك القيد الوضعى الذى لم يقيدهم به الله ، والذى إن لاءم بيئة فى وقت ما فلن يلائم جميع البيئات فى جميع الأوقات ، حتى اضطر المشرع أن يعود فيبيح سماع الدعوى ممن خالفوا قيد السن إذا هم بلغوها بعد الزواج . والمشروع الجديد يمنع من سماع الدعوى عند تعدد الزواج من غير الطريق الذى يريد أن يقيد به الناس ، فهو يعترف بصحة الزواج اعترافاً بشرعية النسل فيما يبدو ، لكنه يضار النسل وأبوه بعدم سماع

دعواهما عند الخلاف . فهل مثل هذا التشريع من الحق والصواب أو من مصلحة الفرد والمجتمع فى شىء ؟ هل فى الدين أو فى العقل أن ينشأ بين بعض الأفراد فى أمة خلاف من غير أن يتسع نظام القضاء فيها للنظر فيه ؟ .

إن الذى لولى الأمر فى الإسلام أن يمنع أى قاض من سماع أى نوع من الدعاوى ليوليها غيره ممن هو أقضى منه فيها ، وليس له أن يمنع جميع القضاة من السماع ، إذ يجب فى الدين والعقل أن يكون هناك لكل دعوى قاض يسمعها ويفصل فيها بين المتخاصمين حتى لا يكون المسلمون فوضى عند الخلاف فى أمر من الأمور .

وأحق الدعاوى بالسماع هى دعاوى الخلاف بين الزوجين ما دام الزواج قد تم برضاهما طبق كتاب الله وسنة الرسول .

إن الإنسانية لم تبلغ فى العلوم الاجتماعية عشر معشار ما بلغت فى العلوم الطبيعية . وقد شرع الله سبحانه الإسلام ليكفى الإنسانية شر جهلها بسنن الله فى الاجتماع ، وشر خطئها فى تطبيق ما قد تهتدى إليه من تلك السنن . فليس لأحد بالغاً ما بلغ أن يجعل الدين رأياً ، ولا أن يحاول أن يحمل الناس بحكم القانون على رأى يخالف ما شرع الله . فإذا ادعى أن رأيه يطابق شرع الله فليأت على ذلك بالبرهان ؟

محمد أحمد الغمراوى

أخلاق أمراء الصحابة

لما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين فى فتح الشام وبين أحد قواد الروم ، جاءه أمير الروم بطعام فاخر وقال له : — هذا طعام الأمير

فقال له أبو عبيدة : وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام ؟ .

قال : لم يتيسر مثله للجند .

فقال أبو عبيدة : لا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وحدنا من ألوان الطعام . وبئس المرء أبو عبيدة إن صحب جنداً من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهرقوا فاستأثر عليهم بشىء يصيبه . لا والله لا نأكل إلا مما يأكلون .

على هامش الأخبار

قلنا وقالوا!

قال بعض الغيورين على كرامة المرأة وأخلاقها وصوالحها والفاهمين لطبيعتها وغرائزها : إن للمرأة وظائف خاصة ينبغى أن تقصر عليها وتعنى بها وإن فى ذلك خيراً لها ولأمتها ، وليس من الخير مطلقا أن تستجيب المرأة لدعوة المتطرفات من جماعاتها والمتطرفين من أنصارها إلى أمور تفضى بنا ولا شك إلى الاضطراب والفوضى .

ومن الخطأ أن تجارى المرأة المصرية المرأة فى أمم لا تشابه أحوالنا أحوالهم ولا تقاليدنا تقاليدهم ، ولا تشابه شئونهم الاقتصادية شئوننا ، فقد يكون لاشتراك المرأة مع الرجال فى الأعمال هناك دوافع اقتصادية لا وجود لها بيننا ، فنحن فى وفرة من القوة العاملة من الرجال حتى بدأنا نشعر بشىء من التعطل والبطالة بينهم .

قلنا ذلك فثار علينا الثائرون من أنصارها ، ونبزونا بالتأخر والرجعية ، وقالوا : إننا دعاة إلى حرمان الأمة من جهود المرأة فى ميادين العمل ، وبتعبير آخر دعاة إلى حرمان الأمة من نصف قواها ممثلة فى المرأة ، وهذه جريمة فى حق الوطن لا يدعو إليها إلا جاهلون أو خائنون .

وقلنا : إن المرأة بطبيعتها عاطفية تستجيب لنداء العاطفة فهى تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال ، لا تثبت على رأى ولا يدوم على حال لها شأن ، فلا تصلح لحكومة ، ولا تفلح فى ولاية . فقالوا : أنانيون مضللون ، وحاسدون مبغضون .

وقلنا : إن المرأة من طبعها حب الظهور وحب السبق على اللدات فى هذا الميدان دون مبالاة بالوسائل والنتائج ، ولا تبخل فى هذا السبيل بوقت أو مال ، فقالوا : مغالون وكاذبون .

وقلنا : إن للرجل فضل قوة وعقل يقوى بهما على تحمل الآلام وتذليل الصعاب وإن المرأة تحس من نفسها الضعف والخور والحاجة الدائمة إلى رجل تعيش فى كنفه وتلوذ بحماه ، ولذلك تفرح بإنجاب الذكور أضعاف فرحها بإنجاب الإناث . فقالوا : هذه دعوى يعوزها البرهان .

وقلنا : إن واجبات الأسرة وتدبير المنزل ورعاية الأطفال وتربيتهم تقتضى أن تكون المرأة فى المنزل ترعى شئون الأسرة المالية والخلقية ، ومحال أن تستغنى الأسرة بالخدم

عن مديرة المنزل مهما كانت خبرتهم وأمانتهم ، على أن مستوى الخدم الخلقى كما نعرفه ونلمسه من سوء وانحطاط . فقالوا : إن ذلك رق واستعباد لا ترضاه المرأة ولا يرضاه لها أنصارها ، وإن عهود الرق والاستعباد قد انقضى زمانها ودال سلطانها ، وإن الدعوة إليه رجوع بالمرأة إلى عهود بالية عتيقة .

وقلنا : إن الإسراف فى اختلاط النساء بالرجال فى معاهد التعليم والمنتديات غير مضمون العواقب ولا محمود النتائج . فقالوا : إن ذلك سوء ظن بالفتاة واتهام لها فى أخلاقها وكرامتها وتشويه لسمعة الأمة فى المحيط العالمى المتمدين .

وقلنا : إن تربيتنا الدينية والمنزلية وعاداتنا الشرقية تجعل الفتاة تؤثر العزلة وتنفر من الاختلاط ضنا بسمعتها واحتفاظاً بكرامتها ، ولأن ذلك من صالحها فى مستقبلها ، فكثرة العرض تغرى بالزهد فيها والرغبة عنها ، فقالوا : ذلك حديث عن المرأة فى القرون الماضية لا حديث عن الفتاة فى القرن العشرين .

قلنا كل ما ذكرنا وأكثر منه ، وأقمنا على صحته من البراهين ماصح فى الدين ، ووضحت دلالته فى نظر العقل وواقع الحال ، ولكن حال دون الاقتناع به التعصب للرأى ، والمكابرة للهوى ، وقديما قيل : حبك الشيء يعمى ويصم . وقد عميت عيون عن الحق ، وصمت آذان عن سماعه ، واستنت نفوس فى طريق الضلال والغواية ، ولكن يأبى القدر إلا أن يمد أنصار الحق على تطاول الازمان بما يعضده من الأدلة ويمكنه ، عسى أن يستفيق له الجاحدون الغافلون .

ولقد ساق إلينا القدر فى يومين متتالين جملة من الأدلة الواقعية على ما دعونا إليه وكررنا الحديث فيه : وهو أن للمرأة وظائف خاصة تكفى أن تشغلها وتستنفد جهدها ووقتها ، فينبغى أن تقصر نفسها عليها وتنشط فى تأديتها ولا تقحم نفسها فيما لا طاقة لها عليه ولا تفلح فيه ولا تحسنه ، وما لا فائدة منه لنفسها ولا لأمتها . ووظيفة المرأة هى رعاية المنزل وتدبير شئونه والقوامة على أطفالها بالرعاية والتهذيب ، وان من حقها أن تتعلم من وسائل ذلك ما يمكنها من إتقانه وحسن أدائه . أما أن تتدخل فى الشئون العامة وتزاحم فى ميدانها وتعرض نفسها لمصاعبها وآلامها وتدنس أردانها بما يثار فيها من غبار وأوضار أو تلى من وظائف الدولة ما يتطلب من المؤهلات الطبيعية والكسبية ما هى محرومة منه

طبيعة وكسباً فذلك مالا نرضاه لها بل نكرهه ونعارضه ، لا بغضاً فيها ولا تجنياً عليها ، ولكن لما نعتقده من آثاره ووخيم عواقبه .

لقد ذكرت بعض الصحف قريباً أن جمعية نسائية تتكون من ثلاثين عضواً أرادت انتخاب واحدة منهن لمنصب شرفي فيها ، فتقدم للترشيح لذلك المنصب ثماني عشرة امرأة منهن ، فقلنا حين قرأنا ذلك الخبر : يا سبحان الله ، إننا لو أعطينا المرأة حق الترشيح لعضوية مجلس النواب لكان لنا عن كل دائرة بها مائة امرأة صالحة للترشيح نحو سبعين مرشحة في هذه الدائرة ، قياساً على ما حدث في هذه الجمعية ، وكيف يكون الحال لو كان في الدائرة ألف امرأة لها حق الترشيح

وأجرت بعض الصحف استفتاء من طالبات فصل في كلية من الكليات عن رأيهن في الاختلاط بالكلية ، فكان رأيهن عدم الموافقة على الاختلاط بما يشبه الإجماع . وسأل مندوب الصحيفة عميد هذه الكلية عن رأيه في نتيجة الاختلاط في الجامعة فقال : إن الاختلاط في الجامعة لا يسير على ما يرام ، ولهذا أسباب : أولها فساد البيئة التي يتربى فيها شبابنا من جهة ، وعدم وجود تربية أخلاقية ضمن برامجنا التعليمية من جهة أخرى ، فينشأ أبناؤنا مجردين من مثل أخلاقي يسيرون على هداه .

ومن أخبار الخارج : أن مؤتمر العمال بسويسرا قرر أخيراً تحريم تشغيل النساء في العمل الليلي ، كما قرر تحريم تشغيلهن في أعمال المناجم .

تلك هي بعض الأخبار التي قرأتها في الصحف في يومين متتاليين تتعلق بقضية المرأة وحقوقها المزعومة وهي تدحض بقوة وفي بيان واضح وشهادة المرأة نفسها من تصرفاتها وشهادة ذوي الخبرة والمعرفة ما يدعيه أنصار مساواتها بالرجل على الإطلاق .

إن الأيام والحوادث ستكون في جانبنا نحن الرجعيين [1] وتكشف عن سواء السبيل فيما ندعوا إليه المرأة من التنازل عن الحقوق السياسية المزعومة والاقتصاد في التبرج وعدم الاختلاط في معاهد التعليم ، والاستقرار في المنزل لتدبير شئونه ، وتشرف على تربية أطفالها ، وستبين الأيام أينا أغير على المرأة وأحرص على كرامتها ، وأينا أجدر بوصف الخصومة لها ، وأحق بالمدح والثناء . وإننا لنلمح في الأفق بروقا من الأمل في نجاح دعوتنا ونرجو ألا يكون برقنا خلباً .

أبو الوفا المراغي

---

(١) المجلة ـ الرجوع الى الحق فضيلة ، ورجوع المسلمين إلى سنن دينهم وآدابه هو سبيل قوتهم وسعادتهم .

تعليقات

— ١ —

الغيرة على الأزهر

تطالعنا الصحف من حين إلى حين بما يكتبه بعض الراغبين فى إصلاح الأزهر ، وليس من شك فى أن تجاوب الرغبات ، وترادف الدعوات إلى النهوض ، من أقوى الأسباب فى تركيز الفكرة الإصلاحية ، وإيقاظ الهمم الوانية ، وتعجيل الفكرة المرجوة ، فإن كل فكرة تتصل بالإصلاح تعتبر تحصينا للأمة من آفة التداعى ، وبخاصة إذا كان الإصلاح المطموع فيه على أساس الدين ، ومن طريق الثقافة الإسلامية التى يتعهدها الأزهر .

وكأن الداعين إلى إصلاح الأزهر يدركون حقا أن الثقافة الإسلامية — وهى نظام إلهى - كفيلة بكل ما يرتجى من الخير كما كانت فى نشأتها الأولى ، وقبل أن تتراكم فى سبيلها المعوقات .

ثم هم يرونها اليوم بحاجة إلى نشاط موصول فى إبرازها للناس فى صورتها الصحيحة ، وهى كفيلة بعد ذلك بإقناع المترددين فى الاعتماد عليها فى التربية , وهى مع كفايتها الذاتية لا تأبى أن تحتضن كل ما يؤازرها فى التثقيف من أفكار رشيدة .

هذا والأزهر وأهله يصغون فى وعى إلى تلك الصيحات الكريمة ، ويتهافتون عن رغبة تخامرهم فى تلبية هذه الأمنية المشكورة .

بل يصبون منذ آماد بعيدة أن تكون الصبغة الإسلامية غالبة على دور العلم فى كل واد .

وما ونى الأزهر ، ولا تريث أهله قليلا إلا لتكاتف المقاومين له ، وانصراف السلطات إلى النواحى التى تغذت من مواردها ، واستأثرت بها السياسة ، وآزرها التوجيه الاستعمارى زمناً ما ... فكان للأزهر عذره ، وكان عذره مفهوما عند المنصفين : وقليل ما هم .

ولعل يوما كان ينشده الأزهر قد أصبح مشرقا فى عهد النهضة الموفقة ... ولعل أملا يتعلق به الأزهر فى سيطرة الآداب الإسلامية على المجتمع أصبح دانيا .

هذا - ويلحظ الأزهر والواعون لما يجرى حوله أن صيحات الصائحين به من الكتاب

كثيراً ما تحمل فى طيها تهجما قاسيا عليه ، وانتقاصا من قدره ، وتنفيراً من الثقة فيه ، وإسرافاً فى النيل من سمعة رجاله وبنيه . وهذا التجريح والتحامل مما يشكك فى نيات الصائحين ، ويكشف عن مقاصد مريبة ، ويبعدنا عن تصديقهم فى الحدب على الأزهر ، أو رغبتهم فى مؤازرة الثقافة الدينية .

وإزاء ما نراه من تنقلهم بهذه النغمة المسمومة من جريدة إلى جريدة لا يكون مبالغا من أيقن فى دعوة هؤلاء الصائحين أنها خداع ، وأنها نفثات مصدور . فإن ظاهرها ليس فيه رفق ، وما خفى لديهم فهو شر وأنكى .

وهم بدافع الحنق على الأزهر ، أو مبالغة فى ترضية جهات معادية ، يسرها أن تطفىء نوره - بله نور الإسلام - يظنون أن خداعهم محجوب عن الأفهام ، وفاتهم أن ثوب الرياء يشف عما تحته .

وهم بدأبهم على هذه الجفوة سيظلون أشبه بالآثم الذى يفر من وجه العدالة ، ويتمادى فى غيه ظانا أنه على صواب ، والخطأ يغمره وليس داريا .

فهل لنا أن نلتقى معهم على الهدى ، ونسمع منهم دعوات بريئة ، ونلمس إخلاصاً غير مريب ، لنصغى إلى هتافهم فى رحابة صدر ، ونرفع لهم أصواتنا شاكرين ؟ ؟

(المجلة)

— ٢ —

التشكيك فى إيمان أبى بكر وعمر

ونسبة الإلحاد إلى مجلة الأزهر

وصلت إلى لجنة الإفتاء بالأزهر نشرة صادرة عن الشيخ محمد بن محمد مهدى الخالصى من مجتهدى الشيعة فى العراق ينسب فيها الإلحاد إلى هذه المجلة ، وقد وصل مثل هذه النشرة إلى جهات أخرى متعددة .

والبريد الذى حمل إلى مصر من العراق هذه النشرة العجيبة حمل معها عدد ١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٧٣ من رصيفتنا جريدة (السجل) اليومية التى يصدرها فى بغداد المجاهد الشهير

السيد محمد طه فياض العانى ، وفيها دفاع كريم بعنوان (الخالصى يبهت الأزهر بالإلحاد) ومما جاء بمقال جريدة (السجل) الغراء الفقرات التالية :

« تقول القاعدة الإسلامية : إذا اتهم شخص شخصاً بالكفر باء أحدهما بالوزر . والعلامة الخالصى لا يتورع عن اتهام المخالفين له والمقاومين لخطته بالإلحاد والكفر والزندقة . ولو رجع إلى نفسه لعلم أنه هو الذى يبوء بهذه المآثم ، وإلا فكيف يفترى على رجل يحرر مجلة تنطق بلسان الأزهر ، ويحرر فيها جماعة كبيرة من أفاضل العلماء ، بغض النظر عن مذاهبهم ومشاربهم » .

« ولو كان الخالصى من الصادقين فى قوله لنشر نماذج مما تنشره مجلة الأزهر من الدعوة إلى الإلحاد ، ولجعل الناس يصدقون قوله واتهاماته . فإن هذه المجلة يقرأها فى العراق ألوف من المسلمين ، فليدلنا سماحة الخالصى على بحث واحد يشم منه رائحة الإلحاد ، فإن فعل كان من الصادقين ، وإن احرنجم كان من الـ . . .

« إن هذه الصفيحة - فى نظر الخالصى - أفنت حياتها فى الذود عن حياض الإسلام ، ونشرت مجلة الفتح ومجلة الزهراء زهاء نصف قرن ، وكانت ميداناً فسيحاً لعلماء المسلمين سنيهم وشيعيهم وخارجيهم ، وقد كتب على مقدمتها : « الفتح لأهل القبلة جميعاً » ، ثم يأتى الخالصى يبهت هذا الرجل بأنه صفيحة الإلحاد ، فمرحى مرحى للمجتهد الأكبر » .

ومقال رصيفتنا جريدة (السجل) اليومية الغراء التى تصدر فى بغداد مقال فياض ، اقتصرنا منه على هذه الفقرات القليلة على سبيل المثال . ونحن نطمئن الرصيف الكريم بأن الأمر بالنسبة إلينا أهون من ذلك بكثير . لأن قلم الخالصى الذى نسب الإلحاد إلى رئيس تحرير مجلة الأزهر قد سجل على نفسه نفى نعمة الإيمان عن الشيخين صاحبى رسول الله ﷺ وخليفتيه على أمته أبى بكر وعمر . وإذا كان أبو بكر وعمر غير مؤمنين فى نظر الخالصى فأين يكون رئيس تحرير هذه المجلة وكل ما يود مثله أن ينال من الله الحظوة بأن يحشر يوم القيامة فى ركاب أبى بكر وعمر ؟

يقول الخالصى فى الجزء الأول من أكبر مؤلفاته وهو (إحياء الشريعة فى مذهب الشيعة) ص ٦٣ — ٦٤ ما نصه :

« وإن قالوا : إن أبا بكر وعمر من أهل بيعة الرضوان الذين نص على الرضا عنهم في القرآن (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قلنا : لو أنه قال « لقد رضى الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة » أو « عن الذين بايعوك » لكان فى الآية دلالة على الرضا عن كل من بايع ، لكن لما قال (لقد رضى الله عن « المؤمنين » إذ يبايعونك) فلا دلالة فيه إلا على الرضا عمن محض الإيمان » .

فالقلم الذى استباح نبز رئيس تحرير مجلة الأزهر بأنه صنيعة الملحدين ، قد استباح قبل ذلك إنكار حتى نعمة « الإيمان » على أبى بكر وعمر اللذين لولا أن النبوة قد ختمت بمحمد ﷺ لما كانا أقل من كثير من الأنبياء السابقين منزلة فى إقامة الحق على الأرض وتوخى رضا الله عز وجل .

لقد تواتر عن أمير المؤمنين على - كرم الله وجهه - أنه كان يقول على منبر الكوفة : « خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر » رُوى هذا عنه من أكثر من ثمانين وجها ، ورواه البخارى وغيره ، ولا يوجد تاريخ فى الدنيا صحت أخباره كصحة صدور هذا القول - من الوجهة العلمية التاريخية - عن على بن أبى طالب . وكان كرم الله وجهه يقول : « لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر إلا ضربته حد المفترى » فإذا انتقلت الإحنة والضغينة على أصحاب رسول الله ﷺ من موضوع المفاضلة إلى موضوع إنكار « الإيمان » على أعظم المؤمنين إيماناً فى الإسلام ، أصبح من الفخر لرئيس تحرير مجلة الأزهر أن يسجل عنه بعد موته أن الخالصى اتهمه بالإلحاد ، لأن للإلحاد والإيمان مدلولا عند الخالصى غير مدلولها الذى كان يعرفه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى المبشرون من خاتم رسل الله بأنهم معه فى الجنة .

نحن لا نرى لنا سبيلا على الخالصى من ناحية اعتقاده فى إيمان أبى بكر وعمر — فضلا عن رأيه فى إيمان رئيس تحرير هذه المجلة — فإن فى البشر ملايين لا يعتقدون حتى بإيمان خاتم رسل الله محمد بن عبد الله ، بل فيهم من لا يعتقد بالله . فليقل الخالصى وغير الخالصى ما شاء فى إيمان أبى بكر وعمر وغيرهما ، وما نحن بمسيطرين على عقائد الناس . ولكن الذى نعجب له أن تكون للخالصى دعوى طويلة عريضة فى توحيد المسلمين

والتقريب بين طوائفهم ، وأن يتقدم بهذه الدعوى إلى أهل الحجاز ونجد فى حجته الأخيرة ، وأن تقام له الحفلات فى الجمعيات الإسلامية بمصر لأجل هذه الدعوى ، ثم يكون أبو بكر وعمر غير مؤمنين فى اعتقاده ، ويسجل ذلك فى أكبر مؤلفاته (إحياء الشريعة فى مذهب الشيعة) ، وهل الاتحاد والتقارب يقومان إلا على أساس الأصل الأول ، وهو تعديل الرجال الذين تلقينا عنهم القرآن وسنن الإسلام ؟

وإذا كان هؤلاء غير عدول ، ولا مؤمنين ، ولا مرضيا عنهم من الله ، فأى ثقة لنا بالإسلام الذى تلقيناه عنهم ، وعلى أى إسلام غير الذى عرفناه منهم نتحد ونتقارب ؟

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا ووفقنا لاجتنابه يا أرحم الراحمين . (المجلة)

- ٣ -
نحو مجد الأزهر

سعيت إلى الأستاذ الجليل مدير مجلة الأزهر لأنهى إليه أملى فيه رجلا غيوراً على مجد الأزهر ، متوثبا إلى نهضته الكريمة ، وقد كنت ولا أزال على يقين من أن مجلة الأزهر تستطيع لو توفرت لها عناصر الحرية والحياة أن تسهم فى خلق أمل جديد ، وبناء مجد منشود للأزهر ، بعد أن تعاضدت عوامل الخمول على تعويق ركبه ، واتئاد خطاه .

وقد عرفت المدير الجديد لهذه المجلة ناقداً بصيراً لشئون الأزهر ، وذكرت له من قريب محاضرته التى ألقاها فى القاعة الكبرى للمحاضرات متوخيا بعث الهمم ، واستيقاظ العزائم وحشد الجهود للقيام برسالة الأزهر التى طرحنا جانبا منها عن كواهلنا ، أو حملناه متثاقلين .

وحدثنى أحد الزملاء أن رئيس تحرير هذه المجلة رجل لا يحرص على بلاغة المقال قدر ما يحرص على إخلاص صاحبه ، وإيمانه العميق بما يدعو إليه .

قلت لنفسى : فالقائمون على شئون هذا المنبر الضخم حريون بأن يُسمعوا صوت الأزهر ويستمعوا إليه ، وأن يمدوا فى هذا الصوت حتى يبلغ آذان الجاحدين والمكابرين ، وأن يعرضوا شئوناً جمة للأزهر فى معرض النقد والبحث والتمحيص ، لنأخذ بأسباب الكمال فى كل أمر يتعلق به ، ولست من المدعين للأزهر براءته من العيوب ، ولا نقاءه من الهنات ، فاعتقاد الكمال المطلق ، وادعاء الصلاح - وإن عزت أسبابه - عصبية جاهلة ، بها يتفاقم الداء ، ويستعصى الدواء .

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

لقد تعرض الأزهر لحملة ظالمة من الكتاب ، وغلا فريق من الناس فى لومه ، والتنكر له والتسخط عليه . بل ذهب بعض العاقين من أبنائه إلى أن الأزهر نقص كله ، ففيه النفاق الشائع ، والفتوى المأجورة ، والشريعة المشوهة ، بل هو « مقبرة حسا ومعنى » .

إن فى الأزهر الآن وعياً يقظا ، وشعوراً ساهراً متوثبا نحو حياة ماجدة ، متطلعاً إلى أفق جديد ، وفى كل يوم صيحة مدوية من أبنائه وشبابه الأغيار يدعون إلى اقتحام ميادين الكفاح ليذودوا عن الدين بأسلوب مجدد كريم ، وإلى تنقيح البرامج الدراسية تنقيحاً يجمع إلى العمق والدرس وضوح الفكرة ، وإشراق الأسلوب ، وإبراز الجوهر ، وإلى إعادة النظر فى مناهج الأزهر ، لتساير الحياة المتجددة ، والعقول المتحررة . والحكومة مستجيبة لهذه الصيحة ، وإدارة الأزهر ماضية فى هذه السبيل ، تدعو إليها على بصيرة .

هذا الهجوم المقذع الخبيث من خصوم الأزهر وأعدائه اللد يقتضى من مجلة الأزهر أن تفسح صدرها للرد النزيه ، والبحث الممحص ، وعرض ما فى أفق الأزهر مما هو طيب أو غير طيب ، كريم أو غير كريم ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة ، ولا بأس بأن يزحف بنقده إلى مجلة الأزهر الغيورون ولو من غير أبنائه ، حتى يكون هذا الصيال ممحصاً لفكرة قويمة ، أو مبينا لأساس رشيد ، ومن ثم نهيء للأزهر ما هو أهل له من النهوض والمستوى الرفيع ، أما ترك هؤلاء المارقين ينهشون الأعراض ، ويلغون فى الكرامات ، وينفثون السموم ، ويصورون الأزهر بهذه الصورة الشوهاء ، فى تجن وظلم وافتراء ، فذلك تبلد لا يليق أن ينسب لأبناء الأزهر عامة ، ولا بالحراص على كرامته خاصة .

على أن شيئاً لا يمنع أن يكون فى بعض هذه الأقلام ما يفيد توجيها ونصحاً ، ولا ضير على الأزهر أن يتلقف ذلك من كل لسان ، ولا عليه أن يأخذ الحكمة من أى فم خرجت .

وهذه الآمال الثائرة فى شباب الأزهر ، المتقدة فى صدوره ، الحافلة بالحب والوفاء له ليس لها أرحب صدراً من هذه المجلة ، تحمل آلامه وآماله ، ومتى حفلت بهذه وبتلك أشرقت حياة الأزهر ، واهتزت جنباته واتجهت إلى المجد والعزة غاياته ، وأصبح عسيراً على أعدائه أن ينالوا منه .

أنا مؤمن بأن فرداً واحداً لا يصلح الأزهر مهما عز شأنه وسمت عبقريته ، ولكن اجتماع الجهود ، واحتشاد الفكر ، يدعم أسس الإصلاح ، وينير إليها السبيل ، ولقد كان فى الماضى اختلاف المذاهب ، واضطراب العصبية ، مما يباعد بين القلوب ، فأما اليوم فالناس على كلمة سواء ، يسعى بذمتهم أدناهم .

على أن للإخلاص سمتا ، ولبناة الإصلاح روحا لا يكذب ، ومنطقاً لا يضطرب ، ومتى أقامت المجلة من ضميرها ويقظها رقيباً على تحرير هذه الصفحة نفت عنها الخبيث والدخيل وصاحب الهوى ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون .

إن مجلة الأزهر — فى اتهام بعض الناس — تحيا حياة رتيبة لا تلوين فيها .

وإنى لأزعم أن كثيراً من القراء — والأزهريين — سئموا ما تردده بنغمة واحدة من بحث علمى أو أدبى مهما سيق من عقل الفحول وبحثهم ، فإذا ماصحب ذلك انبعاث العزائم نحو الإصلاح ، واهتزاز القرائح بالرأى يأتلف حيناً ، ويختلف حيناً ، فذلك تنفيق لسوق المجلة ، واجتذاب لعقول القراء وقلوبهم ، ودعوة لكل صاحب رأى مؤمن أن يدلى به .

فلتقم هذه المجلة بهذه المثابة مقام لجان سياسة التعليم والمجالس العليا له فى غير الأزهر .

ولن يكون ذلك لو تم إلا حسنة للأزهريين ، وفضلا يعزى للقائمين على أموره ، يذكرون به بين المتحررين .

هذه أمنية تخالج نفسى ، وتمازج شعورى ، وحتى أن تكون مجلة الأزهر صوت الإصلاح الجهير ، وعينه الساهرة اليقظى ، ومؤتمره الواعى المتبصر .

أسوق هذه الأمنية للأزهريين الناهضين ، ولرعاة المجلة النابهين ، مستغنياً بهذه الأمنية عن كل تحية ، فيوم تؤتى أكلها سيعجز رعاتها عن شكر التحيات المتدفقة ، منبعثة من الأعماق والله ولى المحسنين ؟

محمد كامل الفقى

مدرس فى كلية اللغة العربية

التكرار في الكلام

التكرار ظاهرة واضحة فى أسلوب القرآن الكريم ، وهى كذلك ظاهرة فى حياة الأعراب أنفسهم . ولذلك قد يكون من خير الدراسات التى يفيدنا بها دارسو الإثنوجغرافيا أن يدرسوا لنا خصائص البيئة العربية فى شبه الجزيرة ، ويربطوا بينها وبين الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها ، ثم يربطوا بين كل ذلك وبين الحياة اللغوية والأدبية التى كانت سائدة . وقد حاول بعض الدارسين منذ أوائل القرن العشرين (راجع مس سامبل Simple فى كتابها القيم : مؤثرات البيئة الجغرافية .Influences of Geographical Environment ... etc) أن يقوموا بهذا العبء ؛ ولكننا لا نكاد نجدهم يتحدثون إلينا مرة واحدة عن شبه الجزيرة العربية ، ولا عن المناطق الجغرافية المشابهة لها . ولذلك فإن أى كاتب معاصر يريد أن يدرس ظاهرة فنية عامة عند العرب لن يستطيع أن يحكم حكما يستمع له ما لم تتوافر لنا تلك الدراسة .

حاول البعض أن يعلل ظاهرة التكرار من واقع البيئة العربية والروح السائد فيها ، ولكنها محاولات اجتهادية محضة ، تعجب القارىء وتأسره إليها ، ولكنها لا تستند على أساس مدروس .

وأمام القصور الذى ما زلنا نعانى منه فى مجال هذه الدراسات لا يسع الإنسان إلا أن يقف عند المفهومات العامة التى شاعت من قديم ، والتى ما تزال شائعة ليرى منها على أى نحو تصور القدماء المشكلة ، وعلى أى نحو يتصورها المحدثون .

والظاهرة العامة التى تسود الدراسات القديمة هى أنها كانت تفصل المشكلة المراد بحثها عن كل ما عداها من المشكلات : وتتصورها منفصلة عن كل شىء . ثم تعالجها فى هذا الوضع من الانفصال . ومن هنا لن نجد ناقداً عربيا (إلا فى النادر) يربط لنا بين ظاهرة لغوية أو أدبية وبين البيئة التى ظهرت فيها . وهكذا كان موقفهم من ظاهرة التكرار .

فابن رشيق يحدثنا عن التكرار فيقول : وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار فى الألفاظ دون المعانى ، وهو فى المعانى دون الألفاظ أقل ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك الخذلان بعينه . وهكذا يتحدث ابن رشيق عن التكرار فيتمثله

فى بعض النصوص فإذا به يرتاح له حينا ، وينفر منه حينا ، فيسجل لنا هذه النتيجة ؛ أن التكرار يحسن أحيانا ويقبح أحيانا . ولكن ما هو السر فى ظهور التكرار فى الأدب واللغة ، وما بواعثه ؟ هذا سؤال لا نعثر له على جواب .

وقد يقدم إلينا ابن رشيق صوراً للتكرار حين يقبح ، وصوراً له حين يجمل فيقول : فأما قول محمد بن مناذر البصيرى فى معنى التكثير :

كم وكم ، كم كم وكم ، كم كم وكم قال لى أنجز حر ما وعد

فقد زاد على الواجب ، وتجاوز الحد . ومن المعجز فى هذا النوع قول الله تعالى فى سورة الرحمن : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » ، كلما عدد منة أو ذكر بنعمة كرر هذا .

والآن لماذا يرتاح العربى للتكرار الذى فى الآية ولا يرتاح له فى البيت ؟

قد يبدو هذا السؤال غريباً ، لأن نفس الإنسان ترتاح لهذا ولا ترتاح لذلك . هذه هى المسألة ؛ فكأن المسألة مسألة نفسية صرفة ، ولكن ذلك فيما يبدو حل سريع ، وهو لا يكفى . ذلك أن الارتياح النفسى أو عـــدم الارتياح ليس قاصراً على ظاهرة التكرار فى صورها المختلفة كما نواجهها ، بل إن ذلك يتمثل حين نواجه ظاهرة التكرار وغيرها من الظواهر ، فنأخذ منها أحد الموقفين . وعلى ذلك ينبغى البحث عن الصلة التى بين التكرار بالذات وبين روح الحياة الكامنة فى البيئة العربية والتى كان العربى يحسها إحساساً عميقا ومباشراً .

ويترك القدامى هذا المبحث ويتحدثون إلينا عن فوائد التكرار فى الكلام . وهذا بطبيعة الحال كان يتمشى مع مهمتهم الأولى والأساسية ، وهى أن يعلموا الناس الأساليب ، متى تحسن ومتى تقبح ، وفى أى المجالات ، ولأى الأغراض ، وعلى أى نحو تستخدم .

والسيوطى يلخص لنا هذه الفوائد التى للتكرار فيقول : وله فوائد منها التقرير . وقد قيل : الكلام إذا تـــكرر تقرر .

وقد نبه تعالى على السبب الذى لأجله كرر الأقاصيص والإنذار فى القرآن بقوله : « وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً » ، ومنها التأكيد ، ومنها زيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول ؛ ومنه : « وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع » . فإنه كرر فيه النداء لذلك . ومنها

إذا طال الكلام ، وخشى تناسى الأول ، أعيد ثانيها تطرية له ، وتجديداً لعهده ؛ ومنه : « ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها ... الآية . ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها ... الآية . ولما جاءهم كتاب من عند الله - إلى قوله : فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به . لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب . إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » ومنها التعظيم والتهويل نحو : الحاقة ما الحاقة - القارعة ما القارعة - وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ... ومنه الترديد كقوله : الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى ... وقع فيها الترديد أربع مرات ، وجعل منه قوله : فبأى آلاء ربكما تكذبان ؛ فإنها وإن تكررت نيفاً وثلاثين مرة فكل واحدة تتعلق بما قبلها ، ولذلك زادت على ثلاثة ، ولو كان الجميع عائداً إلى شىء واحد لما زاد على ثلاثة ، لأن التأكيد لا يزيد عليها ، قاله ابن عبد السلام وغيره . وإن كان بعضه ليس بنعمة فذكر النقمة للتحذير نعمة . وقد سئل أى نعمة فى قوله : كل من عليها فان ، فأجيب بأجوبة أحسنها : النقل من دار الهموم إلى دار السرور ، وإراحة المؤمن والبار من الفاجر . وكذا قوله : ويل يومئذ للمكذبين فى سورة المرسلات ، لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة ، وأتبع كل قصة بهذا القول ، فكأنه قال عقب كل قصة : ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة . وكذا قوله فى سورة الشعراء « إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم » . كررت ثمانى مرات كل مرة عقب كل قصة . فالإشارة فى كل واحدة بذلك إلى قصة النبى المذكور قبلها وما اشتملت عليه من الآيات والعبر .

وكذا قوله فى سورة القمر : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » ، قال الزمخشرى : كرر ليجددوا عند سماع كل نبأ منها اتعاظاً وتنبيهاً ، وأن كلا من تلك الأنباء يستحق لاعتبار يختص به ، وأن يتنبهوا كى لا يغلبهم السرور والغفلة .

ويستمر السيوطى ينقل إلينا عن سابقيه تفسيراتهم للتكرار الذى صادفوه فى بعض الآيات بالذات .

ولاشك أن البحث عن الفوائد النفسية التى يقدمها التكرار أمر لا يكاد ينتهى ، لأن صورة التكرار فى أى نص من النصوص إنما هى حالة فردية بحتة ، بمعنى أن كل تكرار يكاد يكون له دلالة خاصة ويهدف إلى منحى نفسى ما يختلف فى كل نص عنه فى الآخر . فقد يكون

التكرار إذن للاستعطاف كما فى قول إبراهيم عليه السلام وتكراره «يا أبت ...»، وقد يكون إلى ذلك لاستدرار الرحمة كما فى تكرار «اللهم» فى الدعاء.

وهكذا نستطيع أن نجدما لا يحصى من المعانى أو الفوائد التى للتكرار. ولكن هذا الإحصاء لا يحل الإشكال فيما يبدو، لأن كل هذه المعانى كان من الممكن تأديتها بصور لغوية لا تكرار فيها. هنا يقول قائل: ولكنها عندئذ لن تكون بالقوة التى هى عليها فى حالة استخدام أسلوب التكرار. وهنا نسأل: ما هى هذه القوة؟ ولماذا يكون التكرار أكثر قوة؟

والمحدثون حين يقفون أمام ظاهرة التكرار هذه يفسرونها تفسيراً نفسياً، ذلك أن الدراسة النفسية قد وجدت طريقها إلى دراسة اللغة والأدب بما هو مظهر من مظاهر النشاط الروحى، ووجدت بعض المحاولات التى أخذت على عاتقها تفسير الأدب والظواهر الأدبية تفسيراً نفسياً محضاً. وهنا يأخذ المحدثون من هذا الأساس النفسى وسيلة للكشف عن السر فى قوة الأساليب ومن بينها التكرار. وهذه المحاولات طريفة ولا شك، ولكننى أريد أن أؤكد للقائمين بها أنهم لا يمسون المشكلة فى أعمق أعماقها، ويكفى أن أقدم هنا صورة تثبت ذلك. فمن الممكن أن يكون للتكرار أصل نفسانى أو بيولوجى كامن فى الإنسان (الشهيق والزفير مثلا عملية متكررة)، وهو حينما يلتقى فى الخارج بصورة من صور التكرار فإن هذا التكرار يحدث مع نفسه توازناً، ويكون الإعجاب بالتكرار هنا نتيجة لالتقاء طبيعى بين الخارج والداخل. وهنا يمكن أن نوجه هذا الاعتراض: أليس الشهيق والزفير قسمة بين جميع الناس؟ فلماذا إذن يغلب التكرار على لغة بذاتها أو يفشو فى أدب بذاته، حتى يكون ظاهرة واضحة فيه ولا يكون كذلك فى أدب آخر؟ ولماذا يرتاح الناس فى هذه الأمة إلى التكرار ولا يرتاح إليه الناس فى أمة أخرى؟

مرة أخرى أؤكد أن جواب ذلك كامن فى بحث الروح العام السائد فى كل أمة تعيش فى بيئة بذاتها، وأن هذا العمل هو موضوع الدراسات الاثنوجغرافية أولا وقبل كل شىء، وهى التى تدرس لنا أثر البيئة على الإنسان، ومدى ما بينهما من تفاعل. وحين تنصب هذه الدراسة على شبه جزيرة العرب فإنها عندئذ ستعطينا المفاتيح التى تفتح لنا تلك المغاليق، وتجيب لنا على تلك الأسئلة الكثيرة التى أسلفنا، دون أن نجد لها الجواب العلمى الكافى. وعندئذ سيتحقق لنا أن التكرار ليس إلا نتيجة لظروف بعينها، وأن انفعال العربى به كان نتيجة غير مباشرة لتفاعله مع بيئته.

عز الدين اسماعيل

صانع الفؤاد

من ذلك الذى لفه جنح الليل الرهيب ، وماجت بين عينيه آفاق الظلام المهيب ، وجثمت حوله قنن الصخور الشاخصة كعزيمته ، المتحدية كهمته ؟

من ذلك الذى تخترق غياهب الماضى نظراته ، وتنزف حسرة على الحاضر عبراته ، وتتحفز لتسبق فجر المستقبل وثباته ؟

من ذلك الذى تطارده المؤامرات وهو لائذ بإيمانه ، وتفغر فاها عليه الملمات وهو عائذ بقرآنه ، وتتقاتل عليه أغوال الشر وهو معتصم بمولاه ، وتتداعى عليه الأحقاد وهو مدرع بعناية الله ؟ .

إنه محمد بن عبد الله ، إنه معجزة الحياة ، إنه محارب الأرباب ، إنه صانع الانقلاب ، إنه قاهر العزى ومناة ، ومن عفروا من ثراها الجباه ، إنه أعلن الحرب على العقيدة التى تغلغلت فى الدماء ، وتوارثها الأبناء عن الآباء وآباء الآباء ، إنه يناضل الشيطان الذى تجسم فى هذه الأوثان ، إنه يصارع الطغيان الذى تمثل فى كل إنسان ، إنه ينظر إلى بناء العروبة وقد نسجت عليه العناكب ، ويتطلع إلى دعائمه فإذا هى رخوة الجوانب ، فوحدتها متراخية الأسباب ، مزعزعة الأطناب ، لا تمسكها وشيجة ولا تربطها آصرة ، والناس كلهم بين مجروم عليه وجارم ، ومحروم من لقمة العيش وحارم .

فأنىّ لقوة بانية أن تجعل من هذه الهاوية صروحا سامية ؟ ألا إنها قوة المعجزات التى تصنع الآيات .

وقف محمد على باب الغار يودع مدارج طفولته ومعارج صباه ، ويذكر حرب قومه لدعوته ، وتعذيبهم لمن والاه . ثم انطلق من قيود الحنين والوفاء التى أقعدته أعواما بين مرارة الإيذاء ، ومرارة البلاء ، وانفلتت معه الدعوة من ضيق هذه الحدود ، وأغلال ذلك الجحود .

وهاجرت الحياة من مكة الجدباء إلى المدينة الغراء ؟ هاجرت الحياة إلى من يؤمنون بطهارة الحياة . وإلى المدينة تطلع الوجود ، لينظر إلى محمد كيف يصنع الخلود .

إن محمداً عليه السلام يؤمن بأن خلق الهمة قبل بناء الأمة ، وبأن نكران الذات قبل قيادة الجماعات ، وبأن التغلب على هوى النفس قبل خوض معارك البأس ، وبأن الأخلاق المكافحة خير من خير الأسلحة .

بهذا وبكثير غير هذا راح محمد عليه السلام يصنع فى المدينة قادة ، وبين جوانب مسجده أنشأ مصنع القيادة : مصنع القيادة الذى يعد كل مسلم ليكون ماجدا ، وليكون حيثما كان قائدا .

مصنع القيادة الذى يصنع الأرواح ليهيئها ليوم الكفاح ، ويعبىء القلوب قبل أن تنزل إلى معامع الحروب .

مصنع القيادة الذى يصنع القائد الفاتح وادعا إذا ملك ، ويجعل المؤمن الصالح قانعا بما امتلك .

مصنع القيادة الذى يثقف الهداة كما يثقف الغزاة ، يصنعهم كتاب الله ، وتصقلهم سنة رسول الله ، بل لقد أنشأ بين جوانب مسجده مدرسة الثورة ... مدرسة الثورة على الأصنام التى عنت لها الهامات ، وسيقت لها القرابين ، ونحرت زلفى لها الذبائح .

مدرسة الثورة على العادات المتوارثة ، والأخلاق العابثة ، إنها مدرسة الثورة على الحياة الجاهلية كلها لتخلق حياة جديدة كلها .

وما انقضى عام حتى زلزلت قواعد اللات والعزى ، وانخلعت القلوب التى عاشت بينها الشياطين ، حينما رأت قريش على مياه بدر القوة المؤمنة تطحن ما عبأت مكة طحنا ، وتسوم العداة شجا وطعنا .

رأت قريش المؤمنين يكرون فى قوة دافقة ، وقلوب بحب الموت فى سبيل الله خافقة يستعذبون مرارة الجهاد ، ويتحمرن بحرارة الجلاد : فنفوسهم من مادة جديدة ، لا تعرف

الحور ، كأنما حللتها يد العناية من طباع البشر ، وهنا ذابت قريش على الصحراء أمام حرارة الإيمان كما يذوب البرد .

وانقطعت بعد ثمانية أعوام صيحات الوعيد والتهديد التى كانت ترسلها قريش ، حينما دخل القائد الأعظم مكة فاتحا لحطم الأرباب ، وقضى بقواد المدينة ومؤمنى العرب على الوثنية التى طرأت من أيام عمرو بن لحى على العرب ، وقد شهدت المدينة أفواجا من الفدائيين تخرجوا فى أعظم معهد عرفه تاريخ التضحيات ، وأنجبهم أقوى مصنع خلق الرجال ، وكلهم القائد الذى لا تفل له قناة ، والغازى الذى تخر أمامه جباه العتاة .

بل كلهم الهادى الذى امتلأ من هدى النبوة قلبه ، وكان لله ولرسول الله ولجماعة المسلمين عمله وحبه .

إن صانع القواد صنع المسلمين كلهم قواداً ، فإذا حمل اللواء أحدهم سار الجميع خلفه أجناداً .

وإذا أمر رسول الله زيداً فإنما يهدف من وراء ذلك إلى أن الإمارة ليست وقفاً على السابقين من المهاجرين ، ولا على الذين آووه وآزروه من الأنصار ، ولا وقفاً على العرب الماجدين ، بل إن كل المسلمين قادة وإن كلا يصلح للقيادة .

ولحق صانع القواد بالرفيق الأعلى وقد ترك وراءه مئات الآلاف من القواد ينشدون الدعوة ، ويفتحون لها البلاد ، وقد فتحوا لهذا الدين أقطارا استعصت على كل مغوار ، وأخضعوا حصوناً لم تدن أسوارها قبل لأى جبار ، وحق للإسلام وأولئك حماته ألا تصده الحدود ، أو تكبله عن الانطلاق فى أرض الله القيود .

وهكذا صنع العرب المعجزات لأنهم من صنع مدرسة محمد عليه السلام : تعلموا فيها كيف تتفانى ذواتهم فى خير أمتهم ، وتعلم كل كيف يعمل لأمته قبل أن يعمل لأسرته ، وتعلم كيف يسائل نفسه إذا أمسى ماذا صنع لدعوته وماذا قدم لدولته .

فما انقضت عشرة أعوام على الهجرة حتى اقتلعت قوة الإسلام جذور الوثنية من جزيرة العرب ، وحتى تبدل بطش الجبابرة رقة وادعة ، أمام حقوق الضعفاء ، وقوة رادعة أمام الصلف والكبرياء .

ودارت عجلة التاريخ عشرين عاما أخرى ، فإذا مئات الآلاف من القواد الذين صنعهم محمد عليه السلام يبهرون الدنيا بأعمالهم ، وإذا الوجود يقف مشدوها أمام أولئك الذين زحفوا من الصحراء شمالا فملكوا ملك فارس الواسع ، وانطلقوا غربا فملكوا ملك الروم الشاسع .

ثلاثون عاما مضت على هجرة الرسالة إلى المدينة غيرت وجه التاريخ .

ثلاثون عاما قصيرة فى عمر النهضات ، ولكنها خلقت للتاريخ ما تعجز عن خلقه القرون .

ثلاثون عاما بنى فيها كل مسلم بدمه وعقله وإيمانه وساعده وبكل حيويته مجد الأمة الإسلامية .

وبهذا خلفوا للإسلام تراثا عظيما ، وملكا عزيزاً لم تغب عنه الشمس ، فهل حماه بعدهم المسلمون ؟ وهل صانت عزته كثرتهم التى تضيق بها الآن رحاب الأقطار ؟ .

اللهم إنا نقف أمام هذا المجد الذى بناه أسلافنا منكسى الرؤوس ، اللهم إنا نقف أمام صفحات هذا التاريخ جرحى النفوس ، فحتى متى نقف ويطول بنا الوقوف ، ونجمد ويطول بنا الجمود ؟

أيها المسلمون .

إن جميع بلادكم أصبحت مرتعاً للاستعمار السياسى والاقتصادى والعسكرى والثقافى ، وليس ثمة بين بلاد المسلمين بلد لم تستعبد قواه أو يستنزف دمه أو تستغل أرضه أو يحرم أهله من خيره أو تربى على غير التربية الإسلامية عقليته .

فأين قادة الإسلام ليعملوا ؟! فلم يعد فى الزمن ما يتسع للخطب والمؤتمرات .

إن مئات الملايين من المسلمين تعركهم فى بلادهم رحى الاضطهاد ، وتسفع نواصيهم سياط الاستعباد ، وتنتهك حرماتهم وتستباح أعراضهم ، فالجناح المهيض جناحهم ، والسلاح المفلول سلاحهم ، والكفاح المائع كفاحهم .

أيها المسلمون .

إن المصنع الذى صنع فيه محمد عليه السلام قادة اعتزت بهم القيادة ، وجعلت لهم السيادة لم يزل حياً فى الصدور ، وفى السطور : كتاب الله وسنة رسول الله ، ولكنكم تسمعون ولا تعون ، وتحفظون ولا تعقلون ، فغيروا ما بأنفسكم يغير الله لكم وجه التاريخ قبل أن تصبحوا عبرة التاريخ .

أيها المسلمون .

لا تستجدوا العزة ممن لا يحبونكم أعزة ، ولا تطلبوا السلطان ممن يحبون لكم الهوان ، ولا تنتظروا الوعود ممن ينقضون العهود ، وماذا تناله الخطب والأسفار فى عصر الحديد والنار .

إن روح التضحيات والفداء هى التى صنعت ذلك المجد الغابر ، فهل حرص المسلمين على الحياة والدعة هو الذى جعلهم عبرة الحاضر ؟

لا . لا . أيها المسلمون : استمدوا من مصنع المعجزات قواكم ، وانقضوا لتشقوا إلى العزة السبيل أو انفضوا .

أما أنتم يا من تقدمتم الشعوب وتبوأتم مراكز قيادتها ، وارتقيتم إلى مرقى سادتها ، فاصهروا أنفسكم فى مصهر البطولة الذى صهر خالداً ، ثم اصنعوا بعد للإسلام تاريخاً خالداً ، واذكروا بسالة ابن الوليد وكفاحه المجيد ، ثم اذكروه واذكروه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة فيتميز حسرة وتصطك أنيابه أسفا ، لأنه لم يفز بالاستشهاد بين أهوال الجهاد ، وفى جسده أثر لمائة طعنة قاتلة لم ينل بها الشهادة ، ومن ثم يموت فى بيته مردداً : « أأموت على سريرى كما تموت النساء ! ! لا نامت أعين الجبناء » .

اذكروه أيها الفدائيون لعل ذكراه تصنع لنا مجداً ، ولعل فيكم من يكتتب بدمه فى صفحات الوجود خلداً ؟

محمد خليفة
المدرس بالأزهر

كيف ينهض المسلمون!

بم يسترد المسلمون ما سلف من مجدهم الغابر ، ومضى من عزهم التليد ؟ وكيف يسترجعون تلك المكانة السامية التى اقتعدوها فى ذروة التاريخ ؟ بم يعودون كما كانوا قادة الدنيا وهداة العالم، يحملون فى أيمانهم مشاعل العلم والحق والعدل ، لا يضعفون ولا يتخاذلون ؟ وكيف تعود هذه الرقعة الإسلامية زاخرة بالقوة المستنيرة المبصرة ، حافلة بالعزائم الفتية ، والهمم القوية التى تتحدى الخطوب ، وتزرى بالمحن ؟

تلك أسئلة تطوف بالفكر ، وتتردد على الذهن ، حين يستسلم المرء لتصوراته وتأملاته ، وتسرح خواطره خلال الأحقاب التاريخية ، تستعرض أمجاد المسلمين ، وتقرأ صحائفهم الناضرة اللامعة ، وهى أمنيات مثيرة ملحة تداعب المرء حين يستبد به التفكير ، ويملكه الأسى ، ويتأمل فيما غشى الأمة من أحداث ، ومر بها من خطوب . على أن العوارض التى تعرض للأمم ، والآفات التى تلحقها، فتؤخر وثباتها ، وتشل نهضاتها ، وتقلب أوضاعها ، وتنكس تاريخها ، كالعلل التى تعترى الأفراد فتنال من أجسامهم ، وتسلب من قواهم ، وتضعف من عزائمهم ، ثم لا تلبث أن تتلاشى أعراضها ، وتزول آثارها حين يحرص المرء على أن يأخذ بوسائل الطب وأسباب العلاج . كذلك الأمم والشعوب إذا حاول المصلحون أن يصلحوا أوضاعها ، ويعالجوا عيوبها وأمراضها ، ويهيئوا لها أسباب الحياة الكريمة ، ولازمهم الإخلاص فيما التمسوا من طب ، واتجهوا إليه من علاج . فلا بد أن تزول أسباب الضعف ، وتنمحى آثار العلل والآفات .

... قد تختلف الأنظار وتتباين الوجهات فيما يلتمس من دواء ، أو يرسم من سبل ، ولكن لابد من الوصول إلى الغاية المنشودة ، والهدف المأمول ، ما دام الناس يأخذون أنفسهم بما اتجهوا إليه من وجهة ، أو ارتبطوا به من سلوك ، وليس هناك أخطر على الأمة وأدعى إلى شيوع الداء واستشراء العلة من أن نبسط الآراء ، ونقترح الوسائل ، ثم لا نأخذ أنفسنا بوضع ، ولا نحملها على سلوك ، وقد حذرنا رب العالمين جل شأنه من هذه الخلائق

التى لا تحمل فى طياتها إلا الضعف والانحلال . « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

فإذا أردنا أن نعود إلى القوة الإسلامية الهادية البانية العادلة ، وإذا أردنا أن نعود إلى سيادتنا الرحيمة القويمة ، فما علينا إلا أن نتحلى بالشمائل التى خلقت هذه القوة ، وأنشأت تلك السيادة ؛ فإن أمر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها ، ما علينا إلا أن نتجمل بأخلاق أسلافنا ، ونتذرع بالأسباب والوسائل التى سلكوها إلى أهدافهم وغاياتهم ، والوسائل التى مكنت لهذا الدين ، وهيأت لتلك الأمة ملكها الواسع ومجدها العريض ، هى الوسائل الطبيعية التى شرعها الله لقيام الجماعات ، ونهوض الدعوات ، ونجاح الرسالات ، هى الوسائل التى لا تضل بها الآراء ، ولا تفشل فيها القوى والجهود .

ونحن نعلم من تاريخ ديننا أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه نهض بدعوته ، وقام برسالته بين جماعة استبد بهم ظلام العقل ، وتمكنت منهم قسوة القلب ، ولفهم الجهل بأغشية سميكة ، ولم يكن مع الرسول سلاح يحارب به ، ولا ذخيرة تحمل الناس على الخضوع له ، والإذعان لرسالته ، إلا قوة العقيدة والفناء فى الدعوة . كان يحمل بين جنبيه أنفذ سلاح وأمضى عدة . كان يحمل الإيمان الراسخ الذى لا يهن ، والعزم المصمم الذى لا يتردد ، والسيرة الناصعة التى لم تدنس بريبة ، والسلوك القويم الذى يحمل الناس فى قوة وروعة على الانقياد والتسليم ، ثم لم تلبث بشاشة الإيمان أن خالطت قلوبا شرحها الله للهداية ، ومازجت صدورا أضاءها الحق ، وزينتها الطاعة الصادقة ؛ فجاهدت فى الله حق جهاده ، حتى صارت كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وما هى إلا فترة وجيزة ولمحة عابرة من حساب الدنيا حتى تلفت التاريخ فى دهشة حائرة يطل على امبراطورية ممتدة الأطراف ، متسعة الرقعة ، زاخرة بالقوة الهادرة والنضج الإنسانى ، أقام دعائمها وأسس بناءها أولئك الذين لم يشهروا بمدنية ، ولم يعرفوا بحضارة ، ولم تتم لهم قبل ذلك دولة منظمة ، ولا سلطان مخيف .

ما الذى جعل هذا الملك يمتد فى فترة أدهشت العقلاء والمفكرين إلى الهند والصين شرقا ، وإلى بلاد الأندلس غربا ، وإلى سيبيريا شمالا ، والسودان جنوبا ، ما الذى جمع هذه الأشلاء المبعثرة ، وضم تلك القوى المتناثرة ؟ ما الذى ألف هذه القلوب المتنافرة ، وجمع تلك النفوس المتباغضة المتحاسدة ؟

ما الذى قهر الأعداء وأرغم الخصوم ، وأذل القوى الجبارة التى تتحكم فى العالم وتنازع سيادته لهذه القوى الفتية النابضة الناهضة ؟

إنه الإيمان وحده ، الإيمان الذى يخالط القلب ، ويمتزج باللحم والدم ، ويسرى فى جميع أنحاء النفس ، فلا يترك فيها مجالا لحقد مدمر ، ولا موضعا لغل مهلك ، وطمع دنىء خبيث ، ولا أثراً لشهوة فانية وأثر زائل .

إنه الإيمان الذى تسترخص فى ظلاله المهج والأرواح ، ويضحى من أجله بالأموال والأولاد . وبمقدار ما يقوى الإيمان فى الصدور ، وتتمكن العقيدة من النفوس ، تعظم قوة المسلمين ، وتشمخ عزتهم ، ويمتد سلطانهم ، ويرهب الأعداء جانبهم ، فإذا فتر الإيمان ، الإيمان بالله ، الإيمان بقوة الأمة ورسالتها ووضعها فى الحياة ، وتحللت العقيدة التى توحى باقتحام الأهوال ومغالبة الأحداث والانتصار على قوى الأعداء .

إذا استسلم الناس لما يساورهم من الوساوس الخاطئة والأوهام الضالة ، والشك فى رسالتهم فى الحياة ، فلا بد أن يتحلل سلطانهم ويتضاءل نفوذهم ، وتسقط هيبتهم من نفوس أعدائهم ، ولقد صدق الرسول الأكرم حين صور هذه الحالة أصدق تصوير بقوله : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصاعها . فقال قائل : أمن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : لا بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » .

إن أعتى عدو للمسلمين ، وأشد خصومهم جبروتاً وطغياناً لن يتمكن منهم ولن يستطيع أن يفرق جمعهم ويشتت صفوفهم ووحدتهم ، ويستذلهم أقبح الذلة ، إلا إذا تمكن أولا من قلوبهم ، فملأها بحب الدنيا وشهواتها الآثمة ، ونزواتها الظالمة ، وجعلها تحرص أشد الحرص على السلامة والعافية ، فلا تكلم فى جسم ، ولا تؤذى فى نفس ، ولا توتر فى مال . ومتى دب الحرص والوجل فى الأمم فقد تمكنت منها الاستكانة والرضى بما ينزل من هوان .

ماذا نقول الآن حين ننظر والأسى يملأ نفوسنا إلى هذه الرقعة الإسلامية التى كانت تزخر بالقوة ، وتنبض بالمجد ، وتتوثب بالسلطان ، فنرى أن أيدى الأعداء قد عبثت بمجموعها ، وأطماع المستعمرين قد مزقتها شر ممزق ؟

ماذا نقول حين نجد الهداة قد أصابهم العمى ، وشر العمى عمى القلوب ، ونجد العلماء قد ران على قلوبهم الجهل ، فتخلفوا عن الركب وأصبحوا يلتمسون من يحدد لهم الوجهة ويوضح أمامهم الغاية ؟

ماذا نقول حين نرى هـذه القوى تكدح وتستخرج كنوز الأرض وطيبات الرزق ؛ ليستمتع بها الأعداء ، ويستأثر بها المستعمرون . ؟

لا نقول إلا أن الإيمان قد خبا فى القلوب نوره ، وضعف على الأفئدة تأثيره ، فاستسلم المسلمون لسلطان المخلوق بعد أن هربوا من سلطان الخالق ، وعكفوا على عبادة الظالم بعد أن فروا من عبادة الواحد القهار . ومن تمرد على الله وكله الله إلى الناس .

هـذه بلادكم أيها المسلمون قـد غدت نهبا للطامعين ، ولقمة سائغة للمستعمرين . ما من دولة فيها إلا حاولوا أن يسيطروا على منافذها ومواردها ، وأن يمسخوا فى النفوس إيمانها وعقائدها ، وقد طال إلفنا لما ران علينا من ذل ، وتحكم فينا من ضعف ، مع أن الله تعالى يدعونا دائما إلى مواصلة الجهاد ، ويحثنا على مناهضة الأعداء بقوله : « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجـون وكان الله عليما حكيما » .

يجب أن يعود المسلمون إلى ربهم ، وإلى الإيمـان الذى غاب عن قلوبهم ، وأن يشعر كل مسلم بأنه رقيب على نفسه ، يحاسبها إذا أخطأت ، ويقومها إذا اعوجت ، ويهديها إذا ضلت.

وبهـذا يتيسر لنا أن ننهض ، ويتهيأ لنا أن نقوى وأن نأخـذ وضعنا ونؤدى رسالتنا فى الحيـاة ؟

عبد الحميد محمود المسلوت
المدرس فى كلية اللغة العربية

شاعر منعته أنانيته من الإسلام

كان أمية بن أبى الصلت من الشعراء الجاهليين الذين تفكروا فى هذا الكون ، وعرفوا بعقولهم أن مصيره للزوال ، وأنه لا بد له من خالق تجب عبادته ، كما يجب له وحده البقاء ، وأن ما يأتيه معاصروهم وإخوانهم فى بلادهم من المفاسد كشرب الخمر ولعب الميسر ومقارفة الفواحش وغير ذلك نقص ينبغى للرجل العاقل اجتنابه والابتعاد عنه ، حتى لا يخالف إرادة خالق هذا الكون . ومن هؤلاء الشعراء النابغة الذبيانى ، وزهير بن أبى سلمى وغيرهما . وكان أمية عالما بتاريخ الأمم السابقة وما حدث لها من انتقام من الله ، بسبب عصيانها له ، لأنه قرأ التوراة والإنجيل وكتب التاريخ ، وفى شعره كثير من الإلهيات ، ووصف لبعض الحوادث التى قص القرآن قصصها ، وكانت قد وردت فى الكتب القديمة ، من ذلك قوله يذكر قصة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون وإرسال الله تعالى لهما إليه :

وأنت الذى من فضل سيب ونعمة ... بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقال أعنى يابن أمى فإننى ... كثير به يارب صل لى جناحيا
وقلت لهارون اذهبا فتظاهرا ... على المرء فرعون الذى كان طاغيا
وقولا له هل أنت سويت هذه ... بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له هل أنت رفعت هذه ... بلا عمد أرفق إذن بك بانيا
وقولا له هل أنت سويت وسطها ... منيراً إذا ما جنه الليل ساريا
وقولا له من أخرج الشمس بكرة ... فأصبح ما مست من الأرض ضاحيا
وقولا له من أنبت الحب فى الثرى ... فأصبح منه البقل يهتز رابيا
فأصبح منه حبه فى رؤوسه ... ففى ذاك آيات لمن كان واعيا

ومن ذلك قوله يصف عرض الناس على الله وعلى النار كما ورد فى القرآن :

عند ذى العرش يعرضون عليه ... يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم نأتيه وهو رب رحيم ... إنه كان وعده مأتيا
يوم نأتيه مثل ما قال فرداً ... لم يذر فيه راشداً وغويا

أسعيد سعادة أنا أرجو أم مهان بما كسبت شقيا
رب كلا حتمته وارد النا ركتاباً حتمته مقضيا

ومن ذلك قوله فى خلق الكون ، وفناء الخلق ، وعاقبة الناس مجرمين ومتقين :

إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعاً شدادا بلا عمد يرين ولا حبال
وسواها وزينها بنور من الشمس المضيئة والهلال
وشق الأرض فانبجست عيونا وأنهاراً من العذب الزلال
وبارك فى نواحيها وزكى بها ما كان من حرث ومال
فكل معمر لا بد يوما وذى دنيا يصير إلى زوال
ويفنى بعد جدته ويبلى سوى الباقى المقدس ذى الجلال
وسيق المجرمون وهم عراة إلى ذات المقامع والنكال
فنادوا ويلنا ويلا طويلا وعجوا فى سلاسلها الطوال
فليسوا ميتين فيستريحوا وكلهم بحر النار صالى
وحل المتقون بأرض صدق وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنوا من الأفراح فيها والكمال

وكان يعلم أن نبياً سيخرج من العرب ، فأمل أن يكون هو ذلك النبى المبعوث من العرب ، فتنسك وحرم على نفسه الملاهى والمحرمات التى كان يتمتع بها قومه ، وكان يذهب إلى الرهبان يسألهم عن موعد ظهور النبى الجديد ، وعن صفاته ليطبقها على نفسه ، فإذا أخبره أحدهم بأوصاف ينطبق بعضها عليه زاد أمله فى النبوة ، وإذا أخبره أحدهم بأوصاف لا تنطبق عليه اكفهر وجهه واغبر ، وربما سكت مدة طويلة لا يتكلم ، وكان يسافر إلى بلاد الشام ليسأل الرهبان فى الطريق إليها وفى حواضرها ، فكانت إجاباتهم تسبب له هما ناصبا وحزنا شديدا ، لأنها تقطع رجاءه فى النبوة ، وتباعد بينه وبين أمله العذب وحلمه الجميل .

ولما بعث الرسول ﷺ ذهب أمية إليه ليراه وليعرف خبره ، فجلس بين يديه يسمع كلام الله المنزل على عبده الذى اصطفاه ، ومعجزته الخالدة التى طاولت الزمن ، وحار فيها العرب والعجم ، وتلا رسول الله ﷺ قوله تعالى « يوم يجمعكم ليوم

الجمع ذلك يوم التغابن ، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ، فبهت أمية وأخذته رعدة جعلته يضطرب اضطرابا عنيفا ، وأراد أن يؤمن ، ولكنه فتح فمه وهمهم همهمة غريبة ثم أقفله ، وحاور نفسه ، أهذا سحر ؟ ، لو كان سحرا لعرفه ، فقد رأى السحرة وخالطهم ، وما هذا بقولهم ، أهو شعر ؟ ؛ إنه الشاعر الذى نظم هذه المعانى فى شعره إذ يقول :

ويوم موعدهم أن يحشروا زمراً يوم التغابن إذ لا ينفع الحذر
وأبرزوا بصعيد مستو جرز وأنزل العرش والميزان والزبر
وحوسبوا بالذى لم يحصه أحد منهم وفى مثل ذاك اليوم معتبر
فمنهم فرح راض بمبعثه وآخرون عصوا مأواهم سقر

ولكن لم يكن لقوله مثل ما لهذا القول من سحر ، ولا لجرسه وقع يسبب الرعدة ، وما يشيع من الخضوع والاطمئنان فى النفس ، وخرج أمية من عند النبى صلى الله عليه وسلم مذهولا لا يدرى أين يذهب ولا ماذا يفعل ، ولقيه أحد الصحابة فسأله : هل لقيت محمداً ؟ فقال : أجل ، قال له : وهل أعجبك حديثه ؟ قال نعم ، وإن له لشأنا . قال : فهلا آمنت به ! قال : حتى أنظر . وانطلق ينشر الشائعات الكاذبة عن دين محمد الجديد وما فيه من إفساد لحياة الناس ، وتبديل لما تعلقوا به منذ نعومة أظفارهم ، فهو يدعو إلى المساواة بين الناس : فلا سيد ولا مسود ، وكل الناس عبيد الله ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . ثم كانت بدر الكبرى ، وقتل فيها شيوخ قريش وسادتها ، وفيهم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة ابنا خاله ، فرثاهما بقصيدته التى نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن روايتها ، وفيها يمدح القتلى بأنهم أهل المحامد والكرم إلى غير ذلك من الصفات التى تقدسها الجاهلية ، ولم يطق البقاء بالجزيرة العربية ، فهرب هو وأولاده إلى اليمن ، ثم لما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة رجع إلى الطائف .

وعاش إلى أن شاخ وعقه أولاده ، ومات على الكفر ، بعد أن كان داعية إلى الإسلام ، ولما حضرته الوفاة دبت فى نفسه الحسرة ، وأخذته اللوعة على انقضاء حياته الطويلة هباء دون أن يبلغ مأربه أو يقارب أمنيته .

وكان مما أنشده عند ذلك قوله :

كل شيء وإن تطاول دهراً صائر أمره إلى أن يزولا
ليتنى كنت قبل ما قد بدالى فى رؤوس الجبال أرعى الوعولا

* * *

هذا أمية بن أبى الصلت الشاعر الذى آمن لسانه ولم يؤمن قلبه ، كما قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى عرف الحق فغلبته أنانيته عن إظهاره ، وعقلت لسانه عن التلفظ به فهمهم بكلام غير مفهوم عند ما همت نفسه بالإيمان ، وأكل الحقد قلبه ، فشن الغارة على الإسلام ، لأن الله لم يختره نبياً للإسلام ، يريد أن تجرى الأمور على ما قدره هو وأراده لا على ما قدره الله وأراده ، فكان عاقبة أمره خسراً .

نسأل الله أن يباعد بيننا وبين الحقد ، وأن ينزع من قلوبنا الغل ، وأن يبغضنا فى الأنانية ويجعلنا إخوانا فى دينه ومحبته . إنه نعم المولى ونعم النصير ؟

طه الزينى
أستاذية فى النحو والصرف

الأستاذ محمد فريد وجدى

انتقل إلى سعة عفو الله ومغفرته العالم الجليل الأستاذ محمد فريد وجدى ، رئيس التحرير الأسبق لهذه المجلة ، عن نحو ثمانين عاما قضاها من بداية نشأته فى العلم والبحوث العقلية والفلسفية والإسلامية ، فألف الكتب ، وأصدر جريدة الدستور اليومية ، ومجلة الحياة ، ثم قام بتحرير مجلة الأزهر وإدارتها من أواخر سنة ١٣٥٢ هـ إلى أواخر سنة ١٣٧١ هـ وله من المؤلفات دائرة معارف القرن الرابع عشر ، وتفسير صفوة العرفان ومقدمته ، وكتاب الإسلام فى عصر العلم ، وكتاب المرأة المسلمة فى الرد على كتاب المرأة الجديدة لقاسم أمين ، وكتاب الحديقة الفكرية فى إثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية . ومن آخر مؤلفاته كتابه : الإسلام دين عام خالد . ومن الحقائق الملموسة فى سلسلة مؤلفاته وكتاباته الكثيرة أن آراءه فى الحقائق الكبرى دينية واجتماعية تطورت كثيراً مع الزمن ، ولا يتسع المجال هنا لدراسة هذا التطور ، فنكتفى بنعيه لقراء مجلة أشرف على تحريرها أكثر من ثمانية عشر عاماً ، منوهين بما قدمه للعلم من بحوث ، وما ألفه من كتب ، طالبين له من الله عز وجل الرحمة والمغفرة .

حول الفن القصصي في القرآن

في الكلمة التي نشرتها صفحة الجامعة في الأهرام لمدرس بكلية الآداب حول ما سماه بحث الفن القصصي في القرآن الكريم أخطاء كان ينبغي ألا يقع فيها جامعي مسلم .

فقد زعم أن صاحب الفن القصصي أستاذ جامعي ، في حين أنه لم يصل في الجامعة إلى درجة مدرس .

وزعم أن البحث نشر منذ أكثر من سنتين فلم ير الناس فيه كفرا ولا إلحاداً ، وهي دعوى على الناس تحتاج إلى دليل ، فقد يكون سكوت الناس عنه راجعاً إلى أنه لم يقرأه منهم إلا القليل ممن على شاكلة صاحب الكتاب ، أو ممن لم يجد سبيلا إلى إظهار الناس على ما فيه .

وكاتب هذه الأسطر لم يسمع بنشر البحث كتابا إلا عن طريق الكلمة المنقودة ، ولم يطلع عليه إلا ليستوثق من خطأ صاحب الكلمة فيما ادعاه .

وقد عجب كاتب الكلمة من أن صدور الجامعيين ضاقت بما زعم في الكتاب من تفكير على ، مع أن الذين أسقطوا ذلك البحث من الجامعيين كانوا من الأساتذة المعروفين بدقة النظر ، وسعة الصدر ، مثل أحمد الشايب ، وأحمد أمين .

وكل من تعود البحث العلمي ، وعرف ما القرآن ، واطلع على كتاب الفن القصصي ، لا يشك في أنه بعيد كل البعد عن التفكير العلمي ، لما فيه من خبط وخلط كثير . جرى فيه صاحبه خلف قساوسة المستشرقين مثل ردويل ومرجليوث ، حتى لقد بلغ الأمر به أنه لم يدرك ما هنالك من تناقض بين نسبة القرآن إلى الحق سبحانه والحكم على قصص القرآن الكريم أن أكثره غير صحيح .

وإذا كان عميد كلية الآداب بالنيابة لا يرى في هذا الحكم كفراً ولا شبه كفر ، فلعله يرى على الأقل أن تفكيراً يؤدي إلى جواز الجهل والكذب على الله لا يمكن بوجه من الوجوه أن يمت بسبب إلى التفكير الصحيح . إنه تفكير لا يستقيم إلا على فرض أن القرآن من عند محمد لا من عند الله كما يقول قساوسة المستشرقين . وإذا كانت الجامعة في عهد الإصلاح الجديد تحتاج إلى معونة مثل صاحب هذا التفكير ، فعلى الإصلاح العلمي والخلقي في الجامعة العفاء ؟ .

محمد أحمد الغمراوي

الأستاذ السابق بجامعة القاهرة

(المجلة) كان اللائق بهذه الكلمة أن تنشر في باب (التعليقات) لولا أنها وردت بعد انتهاء طبع ذلك الباب .



تاريخ العرب قبل الاسلام

الدكتور جـــواد على

الجزء الثالث — ٤٦٤ ص — نشره المجمع العلمى العراقى

أهدى إلينا المجمع العلمى العراقى الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الإسلام للفاضل المحقق الدكتور جواد على ، وهو كتاب نفيس حافل بما توصل إليه المستشرقون من بحوث عن ماضى الأمة العربية وبلادها ، وما أضاف إلى ذلك مؤلف الكتاب مما وقف عليه فى المراجـــع العربية .

ويشتمل هـذا الجزء الثالث على تاريخ مملكة النبط (المظنون أنهم من ذرية نابت ابن إسماعيل) وهذه المملكة قامت قبل الميلاد فى المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب وقد عاصروا بطالسة الاسكندرية وكانت بينهما وقائع وحروب . وكان رئيس تحرير هـذه المجلة قد اقترح قبل نحـو ثلاثين سنة فى رسالته (اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب) أن يرسم اسم هذه الدولة العربية بالتاء لأنه مشتق من اسم نابت بن إسماعيل ، وبذلك يتميز هؤلاء عن الأنباط المتوطنين فى البطائح بين العراقين ، ومتى دخل تاريخ العرب فى دور التنقيح فإن هذا الموطن منه جدير بأن يتناوله النظر والتحقيق .

ويلى تاريخ مملكة النبط تاريخ مملكة تدمر ، وهى دولة عربية قامت قبل الميلاد فى الشمال الشرقى من الديار الشامية وكانت واقعة على ملتقى طرق التجارة بين سلطتى الرومان والفرس فحافظت على حيادها أمداً طويلا ثم دخلت تحت نفوذ الرومان وبلغت فى الثروة والعمران مبلغاً عظيما .

وبعد أن انتهى الدكتور جواد على من استيفاء النصوص التى وصل إليها المستشرقون والعرب عن هاتين المملكتين انتقل فى الفصل الثالث إلى عرض ما أبقاه الدهر من نصوص وأخبار عن سبأ ذى ريدان وحضر موت واليمن . والقول عن هذه الحقبة من ماضى العرب ذو سعة ، وإن كان التاريخ فى أشد الحاجة إلى بحوث أثرية فى تلك الجهات لتمحيص ماضيها وإرسال الأضواء إلى المواطن التى لا تزال مجهولة من هذا الماضى .

وفى الفصل الرابع عرض المؤلف لمملكة كندة .

وفى الفصل الخامس والسادس تكلم عن العرب واليونان والرومان ، فأشار إلى ما دونه سترابون وديودورس الصقلى وبلينيوس عن العرب وممالكهم وأوطانهم وقبائلهم ، وعرض لكتاب (الطواف حول البحر الاريترى) لمؤلف مجهول معاصر لبلينيوس وهو يتضمن وصف البحر الأحمر فى القرن الاول للميلاد وثغور الحجاز واليمن وإفريقيا ثم تكلم عن علاقة خلفاء الاسكندر والبطالسة بالبلاد العربية وما دونوه فى كتبهم عنها وما ترجمه العرب منها فى أيام العباسيين . وفى هذا الفصل تحقيق مهم عن مدلولات أسماء الأعلام التى وردت فى كتب اليونان والرومان على أنها أعلام عربية وما ذكره المستشرقون وغيرهم فى تحقيق مواضعها وأسمائها .

والفصل السابع وهو الأخير عن العرب الشماليين وما اكتشف من كتاباتهم وما عرف من أخبارهم .

والأجزاء الثلاثة التى صدرت للدكتور جواد على عن تاريخ العرب قبل الاسلام خاصة بالتاريخ السياسى ، وقد وعد بأن يصدر أجزاء أخرى فى بقية التاريخ السياسى للعرب قبل الإسلام ثم فى تاريخهم الدينى والثقافى وتاريخ الفن العربى قبل الاسلام ، فشكراً له وللمجمع العلمى العراقى على هذه الخدمة العظيمة للعلم ، ولا نزال نرجو منهم المزيد .

معجم ألفاظ القرآن الكريم

الجزء الأول : إلى آخر الثاء — ١٨٥ ص — نشره مجمع اللغة العربية

هذا المعجم وضعت قواعد العمل لتأليفه فى سنة ١٣٦٠ (١٩٤١) ، وألفت لجنة لوضع المنهج العملى لإنشائه فى محرم ١٣٦٣ (يناير ١٩٤٤) . ثم قسمت مواد القرآن الكريم

على لجان فرعية كل لجنة مكونة من أحد أعضاء المجمع وأستاذ منتدب يساعده . والطريقة التى اتبعت فى وضع المعجم هى أنه إذا كانت الكلمة القرآنية ترد فى القرآن بمعنى واحد تشرح أولا شرحا لغويا ، فإن كانت فعلا ذكر بابه ومصدره ، وما ورد استعماله فى القرآن من مشتقاته ، وإن كانت اسماً اكتفى بمعناه ، وإن كانت مصدراً ذكر معناه وفعله . وإذا كانت للكلمة القرآنية معان لغوية مختلفة ينص على المعانى اللغوية كلها ويبين نوع الفعل والمصدر وتذكر المشتقات التى وردت من هذه المادة . ويؤخذ أولا أكثر المعانى دورانا فى القرآن . ثم تذكر المعانى الأخرى .

وقد كتب فضيلة مدير المجلة إلى المجمع اللغوى ينبهه إلى غلطة فى نص القرآن وردت فى آخر العمود الثانى من الصفحة الأولى من المعجم وهى قوله تعالى « حتى تؤمنوا بالله وحده » ، فقد وردت فى المعجم « حتى تؤمنوا بالله ورسوله » .

ولاحظ بعضهم أن الآيات القرآنية كلها غير مضبوطة بالشكل ، مع أن المعجم مطبوع بالمطبعة الأميرية ، وفيها الاستعداد التام لمثل هـذا الأمر الضرورى فى مثل هذا المعجم . بل كان ينبغى شكل المشكل من كل كلمة ولا سيما عين الفعل .

ولعل إبطاء المجمع عشر سنوات فى إصدار الجزء الأول من هذا المعجم لا يسرى على الأجزاء التالية ، فلا يمضى زمن يسير حتى يكون المعجم كاملا فى أيدى الناس إن شاء الله .

سبل الاسلام

للأستاذ أحمد مظهر العظمة — ٨٠ ص — نشرته جمعية التمدن الإسلامى بدمشق

هى ثمانى كلمات فى معان إسلامية أذاعها الأستاذ أحمد مظهر العظمة من دار الإذاعة السورية فى دمشق وجمعها فى هـذا الكتاب . والكلمات المذاعة هى : صدق عقائدنا ، سمو عباداتنا ، ثقافتنا الراشدة ، مكارم أخلاقنا ، استقامة معاملاتنا ، تربيتنا الإنسانية ، شمول نظمنا ، كيف يعود مجدنا .

والمؤلف من أفاضل المفكرين المسلمين الذين جمعوا بين ثقافة الغرب ومعرفة سنن الإسلام ، وقد سبق لنا التعريف بكتاب آخر له كهذا الكتاب عنوانه (مذاعات فى الإسلام) ، فنرجو الله أن ينفع بهما قراءهما كما نفع المستمعين إلى المؤلف عند إذاعتهما .

حول حقوق المرأة السياسية

للأستاذين : حسن وهدان . وأحمد فهمى أبو سنة - ٩٦ ص - نشرته جبهة علماء الأزهر .

أحسنت جبهة علماء الأزهر بنشرها هذا الكتيب النافع ، وهو ينطوى على محاضرة كان فضيلة الأستاذ الشيخ حسن وهدان ألقاها بالمركز العام لهيئة التحرير وأفاض فيها القول عن إنصاف الإسلام للمرأة ، وأنه ليس من مصلحة المرأة والمجتمع ، ولا من اتجاه التشريع الإسلامى إقحامها فى ميادين الحكم وادعاء أن لها حقوقا سياسية . وناقش المحاضر معارضيه بالبراهين ، ومنها اعتراف بعضهم بالحقائق فى مناسبات سابقة .

أما بحث فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد فهمى أبو سنة فقد ألقاه فى دار الشبان المسلمين ، وتكلم فيه عن التكييف الفقهى فى مسائل الخلاف حول الحقوق السياسية المزعومة للمرأة والشبه العارضة للمثبتين . ثم أفاض القول على ذلك من الناحية الاجتماعية . وختم بحثه بدعوة الباحثين إلى أن لا يتعرضوا للكلام فى الفقه إلا إذا كانوا من أهله ، ليكون قولهم فيه عن علم وحينئذ يكون مقبولا ومفيدا .

عبد الباقى العمرى

للأستاذ محمود الملاح - ٣٢ ص - دار منشورات البصرى بالبصرة

أهدت إلينا دار منشورات البصرى بالبصرة هذه الرسالة اللطيفة ، وهى سياحة فكرية فى ديوان شاعر العراق عبد الباقى العمرى (١٢٠٤ - ١٢٧٨) قام بها الكاتب الألمعى المجاهد الأستاذ محمود الملاح فبعث بها الحيوية فى المجتمع العراقى فى القرن الثالث عشر بما تناوله من نقد وتنوير لشعر هذا الشاعر ، وما فيه من حسنات أو نواحى ضعف انعكست عليه من مظاهر ضعف المجتمع فى ذلك الحين والتوجيه الذى كانت تقوم به الدولة العثمانية للشعوب التى كانت تحت أمانتها .

ولو أن كل شاعر انعكست أحوال عصره فى مرآة شعره قيض الله له ناقدا ، يستعرض شعره ويقوم باستجلاء حسناته ونواحى ضعفه ، كما فعل الأستاذ محمود الملاح فى شعر شاعر العراق فى القرن الماضى السيد عبد الباقى العمرى ، لكان ذلك من أعظم مظاهر الخدمة للأدب والتاريخ .

النيل فى ضوء القرآن

للأستاذ الشرباصى — ١٢٥ ص — مطابع دار الكتاب العربى

فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى من أفاضل علماء الأزهر ، وله حركة نشاط فى كل باب من أبواب الحيوية الإسلامية فى مصر ، وقد امتاز ببحوثه الممتعة فى هذه المجلة وغيرها من المجلات العربية والإسلامية ، وبمؤلفاته وخطبه المتواصلة . وكتابه الجديد (النيل فى ضوء القرآن) تكلم فيه أولا عن النيل فى اللغة وفى التاريخ وفى الشعر العصرى ، ثم عن النيل فى الحديث النبوى ، وفى القرآن الحكيم ، وأن من تمام ملك مصر أن يشمل النيل الممتد الموحد ، ونقل عن القلقشندى أن مصر سميت مصرا لالتقاء الشرق فيها بالغرب ، لأن المصر فى أصل اللغة الحد بين الأرضين ، وما زال المؤلف يستعرض ما فى القرآن عن النيل وعن مصر ويحسن عرضه بفهم ثاقب حتى وصل إلى نتائج البحث بما يجب على المصرى لمصر وأن أساس الوحدة الإسلام . وأنت ترى أن الكتاب طريف فى بحوثه كسائر ما يكتبه الأستاذ الشرباصى ، فشكرا له .

Mohammad the Prophet of Islam

للأستاذ عبد السميع المصرى — ١٣٠ ص مكتبة النهضة بالقاهرة

يشعر المتصلون بالغربيين من شباب مصر والعالم الإسلامى بالحاجة إلى رسائل باللغات الغربية فى التعريف بالإسلام وحامل رسالته ﷺ . وممن حاول سد هذا الفراغ الأستاذ عبد السميع المصرى نائب وكيل بنك مصر فى أسيوط فألف هذه الرسالة اللطيفة باللغة الانجليزية لخص فيها سيرة خاتم النبيين ﷺ من ولادته إلى أن اختاره الله عز وجل للرفيق الأعلى .

وقد راعى المؤلف فى وضع كتابه أن يكون بلغة سهلة وأسلوب مبسط تعريفاً للناطقين بالإنجليزية عامتهم وخاصتهم بحقيقة السيرة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، فشكراً له وجزاه الله خيراً .

الموسيقى العربية فى عهد المغول والتركمان

للأستاذ عباس العزاوى — ١٢٩ ص — شركة الطباعة المحدودة ببغداد

نوهنا فى أجزاء سابقة بمؤلفات قيمة للمؤرخ المحقق الأستاذ عباس العزاوى المحامى ، وأمامنا الآن كتاب آخر له عن تاريخ الموسيقى العراقية فى عهد المغـول والتركمان (من سنة ٦٥٦ إلى سنة ٩٤١ ﻫ) وبيان ما حدث فيها من تطور فى العراق . وقد آثر المؤلف هذه الحقبة لأن تاريخ الموسيقى العربية فيها غامض ، أما ما قبل ذلك حتى أواخر الدولة العباسية فالعلماء أشبعوا هذا الفن تمحيصا ووضعوا له قواعد ثابتة من ناحية الصنعة . ثم جاء المغول بموسيقى خاصـة بهم ، ولهم آلات تختلف بأسمائها ، ولا تعرف كتب خاصة بها ، فأراد الأستاذ السيد عباس العزاوى أن يسد هذا النقص فألف هذا الـكتاب ، وذكر فيه نوابغ الموسيقيين العراقيين فى عهد المغول وفى طليعتهم صفى الدين الأرموى (المتوفى سنة ٦٩٣) ، ولحاظ المغنية المعاصرة له ، وزين الدين الموصلى ، والشهربانى ، وشرف الدين السهروردى والتوريزى ، والسلطان أبو سعيد وغيرهم . ثم ذكر الموسيقى المغولية وما تتفق به أو تفترق عن الموسيقى العربية وما تأثرت به منها موسيقى العراق وما أثرت به عليها .

وانتقل إلى الموسيقى العربية فى أيام التركمان فذكر رجالها ومؤلفاتهم وتكلم عن الموسيقى فى أيام الصفويين (لأنهم يعدون من التركمان) فذكر رجالها ومؤلفاتهم . ثم عقد فصلا لأثر الموسيقى فى الأقطار ، وآخر لآلات الموسيقى ، وفصلا لمصطلحات الموسيقى فى العهدين .

وبعـد أن استوفى بحوثه فى ٧٢ صفحة ألحق بها (كتاب الملاهى وأسمـائها من قبل الموسيقى) للمفضل بن سلمة النحوى المتوفى سنة ٢٩٠ ﻫ نقلا عن مخطوطـة مكتبة سراى طوبقبو فى القسطنطينية وهى بخط ياقوت المستعصمى .

وأتبعها بنبذة فى اللهو والملاهى لابن خرداذبة منقولة عن مروج الذهب للمسعودى .

تليهما (أرجوزة الأنغام) لبدر الدين محمد بن على الخطيب الإربلى وقد نظمها سنة ٧٢٩ﻫ

وختم الـكتاب بسبعة فهارس : أولها للمواضيع ، ثم للـكتب ، فالأمكنة والبقاع ، فالأشخاص ، فالشعوب والقبائل والبيوت والنحل ، فالمصطلحات ، فالألفاظ . فجاء الـكتاب بذلك على أتم ما يرجى له من استيفاء البحث وبذل العناية والتحقيق والتجويد ، كدأب الأستاذ العزاوى فى مؤلفاته الـكثيرة النفيسة .

الأدب والعلوم فى شهر

لجنة مراجعة آثار السلف

قررت جماعة كبار العلماء فى جلستها المنعقدة فى يوم الخميس ٣٠ من جمادى الأولى (٤ من فبراير) تأليف لجنة لنشر وتصحيح ومراجعة آثار السلف فى الحديث والفقه والتاريخ الإسلامى والأدب العربى وسائر مواد الدراسة فى الأزهر . وللرد على ما ينشر فى الداخل والخارج من المفتريات والأخطاء الماسة بالعقيدة الإسلامية أو المنافية لتاريخ الإسلام .

وهذه اللجنة برياسة فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف وعضوية أصحاب الفضيلة الشيخ عيسى منون ، والشيخ الحسينى سلطان والشيخ محمد عبد الله دراز والشيخ محمد عبد اللطيف السبكى ، والشيخ محمد عرفة .

وقد عين صباح يوم الأحد ١٤ من فبراير لاجتماعها فى إدارة المشيخة بالرواق العباسى لتوزيع العمل على الأعضاء وتحديد موعد وأيام الاجتماع لمباشرة كل فريق عمله .

لجنة الفتوى بالأزهر

قررت جماعة كبار العلماء فى جلستها المنعقدة فى ٣٠ من جمادى الأولى (٤ من فبراير) أن يكون تأليف لجنة الفتوى فى الأزهر من حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ حسنين محمد مخلوف رئيسا (حنفى) والشيخ محمود شلتوت (حنفى) والشيخ عيسى منون (شافعى) والشيخ محمد عبد اللطيف السبكى (حنبلى) والشيخ محمد الطنيخى (مالكى) .

على أن تباشر تنظيم عملها وتحديد موعد وأيام اجتماعها فى صباح يوم الاثنين ١٥ فبراير .

خريجو الأزهر

والترقية للمدارس الثانوية

أصدر وزير المعارف قراراً لخريجى كليتى الشريعة وأصول الدين الحاصلين على الشهادة العالية أو العالية وإجازة التدريس ولم يحصلوا على دبلوم معهد الدراسات العليا ويستحقون الترقية من المدارس الإعدادية إلى المدارس الثانوية أن يعاملوا كما لو كانوا قد رقوا فعلا إلى المدارس الثانوية ، وإذا ما حصلوا على دبلوم معهد الدراسات العليا فى مدى ثلاث سنوات من تاريخ وجودهم فى جهة يستطيعون

فيها الالتحاق بهذا المعهد يمنحون أقدمية اعتبارية كمدرسين بالتعليم الثانوى من تاريخ تطبيق هذا القرار عليهم .

عناية الأزهر بالسودان

للأزهر فى معهد أم درمان ٦ مدرسين ، و ٥ بمعهد حلفا ، و ٣ بمعهد جوبا ، و ٣ بمعهد الملكال ، ومدرس بمعهد شجرة غردون .

ويدور البحث حول إنشاء معهد الخرطوم الذى رصد لإنشائه عشرة آلاف جنيه لتكون نواة لتأسيسه .

ورصد أربعة آلاف جنيه لإعداد مبنى شارع البرمونى ليكون مقراً لدراسة طلاب البعوث السودانية .

تشجيع تعليم الطيران

وافق مجلس الوزراء على مذكرة لمصلحة الطيران المدنى المصرى بشأن تشجيع الطيران وذلك بأن تتحمل مصلحة الطيران نصف الأجور لساعات التعليم لكل من يعمل على إجازة طيران خاصة أو تجارية ، وأن يكفل قانون تنظيم التطوع فى الطيران الحربى رفع بقية الأجور لمن تقبله وزارة الحربية من الطيارين .

شراء طائرات تعليم

وافق مجلس الوزراء على تمكين معاهد الطيران من شراء عدد من طائرات التعليم ، مع تقديم جميع المساعدات والتسهيلات اللازمة لها للحصول على الأدوات ووسائل التعليم النظرى .

الصور المنافية للآداب

عندما حضر السيد الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب إلى دار الرياسة ذات مساء بادر مندوبى الصحف بقوله : « انه فى الوقت الذى تعمل فيه الحكومة على حماية الفضيلة ومقاومة الرذيلة - لأن الامم بالأخلاق - لا تزال الصحف تنشر صوراً تتنافى كل المنافاة مع الآداب والأخلاق » . ورجا العدول عن نشر مثل هذه الصور بالطريقة الحسنى بدلا من اتخاذ إجراءات قانونية .

الإساءة إلى الإسلام فى كتاب مدرسى

احتج المسلمون فى سنغافورة على فقرات فى كتاب المطالعة باللغة الانجليزية أسيء بها إلى الإسلام بعبارات مغرضة شوه بها المؤلف بعض نواح من السيرة النبوية .

وكان المسلمون قد احتجوا قبل ذلك على صورة للنبى ﷺ وردت فى هذا الكتاب نفسه ورأوا أنه من غير اللائق وجودها فيه .

مستشفى تعليمى جامعى فى أسيوط

لمناسبة إنشاء كلية طب بجامعة أسيوط ، اتجهت النية إلى إقامة مستشفى تعليمى جامعى هناك ، يكون على غرار المستشفيات الجامعية المختلفة .

مكتبات المدارس

ثروة تربوية معطلة

روت الجمهورية أن النية فى وزارة المعارف متجهة إلى إخراج المكتبات المدرسية من دائرة اختصاص المخازن كى تؤدى رسالتها كمرفق أساسى للنشاط التربوى بالمدارس .

وقد لوحظ أخيرا أن نظام المكتبات الحالى يجعل الكتب فيها مادة غير مستهلكة بحيث يحاسب أمين المكتبة على كل كتاب فيها عند فقده أو تلفه ، الأمر الذى يجعل هذه المكتبات ثروة تربوية معطلة لا يستفيد منها التلاميذ .

آثار مأرب وسبأ

ستوفد الحكومات العربية بعثة من خبراء الآثار العربية إلى اليمن للتنقيب فيها عن آثار مأرب وسبأ ودول اليمن القديمة .

قضاء المرأة

نقلت جريدة (الأخبار) عن خطاب للقاضى الأمريكى ريتشارد أوستن ألقاه فى اجتماع القضاة بمدينة شيكاغو ، أنه هاجم قضاء المرأة ، وقال إنها تحكم (عواطفها) ولا تحكم (عقلها) . وروى أنه لما كان قاضياً عرضت عليه قضية ضبط فيها البوليس اثنين من الأشقياء ، متلبسين بخطف تاجرين . وبعد سماع الادعاء والدفاع طلب القاضى من المحلفات ـ وقد اتفق أنهن كن فى تلك القضية كلهن من النساء ـ أن يدرسن القضية ثم يعلن رأيهن فيها . وبعد ١٥ دقيقة أعلن فى الجلسة أنهن مجمعات على براءة الشقيين اللذين كانا متلبسين بجريمة الخطف ، ودهش القاضى عند ما سأل المحلفات عن مبرر واحد يؤدى إلى هذه البراءة فعجزن عن الرد .

العربية لغة دولية للسياحة

تلقت وزارة الخارجية المصرية من الأكاديمية الدولية للسياحة أنه تقرر إضافة اللغة العربية إلى اللغات المعترف بها فى القانون الدولى للسياحة . وقد أبلغت وزارة الخارجية هذا القرار إلى مصلحة السياحة لتتخذ ما ينبغى من إجراءات لترجمة المصطلحات المقررة فى السياحة إلى اللغة العربية ليتيسر التعامل بها .

أنباء العالم الإسلامي

كسوة الكعبة الشريفة
فى العهد الجديد

طلبت وزارة الأوقاف بواسطة وزارة الخارجية موافقة الحكومة السعودية على صيغة ما سيكتب على كسوة الكعبة فى العهد الجديد وهذا نصها : « تم صنع هذه الكسوة فى عهد جمهورية مصر برياسة اللواء أركان الحرب محمد نجيب وأهديت إلى الكعبة الشريفة فى عهد خادم الحرمين الشريفين سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية » .

الأسطول المصرى
فى زيارة باكستان والهند

تقوم قطع من السفن الحربية المصرية معقودة اللواء للقائمقام محمد عبد الفتاح إبراهيم برحلة إلى مياه باكستان والهند للمرة الأولى فى تاريخ البحرية المصرية . وهى مؤلفة من المدمرات طارق ودمياط ورشيد . وقد قصد بهذه الرحلة توثيق الروابط بين البحرية المصرية والبحرية الهندية والباكستانية ، علاوة على تدريب الطلبة الممتازين الذين يتدربون على الباخرة دمياط .

وقد اختار القائد العام للقوات المسلحة بعثة من ستة ضباط : ثلاثة منهم من الجيش وثلاثة من سلاح الطيران ، لمرافقة هذه الوحدات البحرية فى رحلتها .

وعند مرورها ببور سودان حضر لاستقبالها السيد خلف الله خالد وزير الدفاع السودانى .

عمران بلاد العرب

عادت من الحجاز البعثة الجامعية المصرية التى يرأسها الدكتور أحمد زكى مدير الجامعة ، وقد روى الدكتور أحمد زكى كلمة حكيمة سمعها من أحد الأمراء السعوديين وهى قوله : « إن الزيت جاء من عند الله وجاءت معه الثروة ، ولكنها نعمة لا ندرى كم تدوم ، والرزق الدائم لا ينبت إلا من الأرض زروعا أو خامات ، فعلينا عمار الأرض وعمارها سريعا وحيثما وجدنا لتعميرها سبيلا » .

المملكة السعودية والأردن

أذيع بيان رسمى بأن ملكى المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية انتهزا

فرصة اجتماعهما فى (بدنة) يوم ٢٠ جمادى الأولى ١٣٧٣ فعقدا جلسة خاصة استعرضا فيها مصالح البلدين ، كما بحثا عامة القضايا العربية ، وتبادلا وجهات النظر فيها ، مما أظهر اتفاق الرأى بينهما وحسن التفاهم ، حسب الخطط المتفق عليها ضمن الجامعة العربية وتبادلا عبارات الود والتأييد على المضى فى العمل لتوثيق الصلات بين البلدين خاصة وتحقيق الأمانى العربية العامة ، بالتضامن مع الدول العربية فى كل ما فيه الخير والفلاح للأمة العربية .

تبرع للحرس الوطنى الاردنى

لمناسبة اجتماع الملك سعود الأول ملك المملكة العربية السعودية بالملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية فى (عرعر) على الحدود بين المملكتين تبرع الملك سعود بخمسين ألف دينار من جيبه الخاص لمساعدة الحرس الوطنى الأردنى .

باكستان وفلسطين

تبرعت حكومة باكستان بنحو أربعة آلاف جنيه استرلينى للاستعانة بها فى إعادة بناء قرية (قبية) التى اعتدى عليها اليهود بوحشية فى شهر اكتوبر الماضى .

لاجئو فلسطين :

اللاجئون من عرب فلسطين يبلغ عددهم حوالى ٨٨٠ ألفاً ، يوجد منهم فى قطاع غزة تحت إشراف مصر ٢٠٤ آلاف ، وفى شرق فلسطين وشرق الأردن ٤٧٠ ألفاً وهم تحت إشراف حكومة شرق الاردن ، وفى لبنان ولا سيما جنوبيه المتاخم لشمال فلسطين الغربى ١٠٤ آلاف ، وفى سوريا ولا سيما فى جنوبها المتاخم لشمال فلسطين الشرقى ٨٤ ألفاً ، وفى العراق ٥ آلاف ، وهناك ١٩ ألفاً مشردون فى المناطق المحتلة بالاستعمار اليهودى الأجنبى . ولعل الحكومات العربية الاخرى التى لجأ إليها طوائف من عرب فلسطين تقوم لهم بمثل ما قامت لهم مصر بقطار الرحمة وبما تنويه لهم من خير .

الانجليز والمحميات :

يقول السيد على المؤيد وزير اليمن المفوض فى مصر إن الانجليز يحاولون تكوين حكومة جديدة من « المحميات » لتكون لهم السيطرة عليها وتسييرها بأهوائهم . وإنها إلى الآن لم تتمكن من موافقة أكثر رؤساء المحميات على التعاون معها . ولذلك فإن تأليف الحكومة الجديدة قد توقف أو تأخر .

قال : وإن الانجليز يعلمون أن منطقة شبوة اليمنية فيها آبار بترول يمكن اكتشافها بجهد قليل فارادوا ضمها إليهم للاستفادة من بترولها ومن وضعها الاستراتيجى .

الحزب الاسلامى بأندونوسيا

كتب إلى (أخبار اليوم) من مدينة

جاكرتا فى أندنوسيا أن الوزارة الأندنوسية الحاضرة يقل مستوى الكفاية بين أعضائها عن المتوسط . وأن كثيرين من أعضائها يخضعون كثيراً للنفوذ الشيوعى ، ويعتبرون آلات تحركها أيدى الحزب الشيوعى الأندنوسى

والذى يقف موقف المعارضة فى أندنوسيا هو (الحزب الإسلامى) وهو أكبر الأحزاب الأندنوسية وأقواها وأرسخها تقليدا . وتزداد محبة الجماهير له باستمرار . ويؤيده فى سياسته الاشتراكيون المعتدلون والحزب الديمقراطى والأحزاب المسيحية والكاثوليكية .

وقد رفض الحزب الإسلامى الاشتراك فى الوزارة لأنه كان يعلم سلفا أنها ستكون واقعة تحت تأثير الحزب الشيوعى .

وهنالك حركتان إسلاميتان إحداهما فى غرب جاوة والأخرى فى جزائر سيلبس . فالتى فى غرب جاوة هى جماعة دارول الإسلامية ويرأسها كرتو سواريجو ، وهى تفسر نظم الحكم الحالية فى أندونوسيا بأنها تبعد عن الفكرة الإسلامية الصحيحة ، وأنها تهبط بالإيمان إلى الدرجة المكملة ولا تعتبره بالدرجة الأساسية . وقد تشكلت هذه الجماعة فى جاوة عام ١٩٥٠ . أما جماعة جزائر سيلبس فيرأسها السيد عبد القهار مدكر من خريجى دار العلوم بالقاهرة وقد تأسست سنة ١٩٥١ ويبلغ عدد أعضائها عدة آلاف من الميليشيا .

الاسلام فى ملايو وسيام

تلقت (الجمهورية) رسالة من سنغافورة فيها بيانات محزنة عن تعصب الاستعمار على الاسلام والمسلمين فى الملايو وسيام . ويقول السيد هارون الحبشى عضو مجلس سنغافورة البلدى : « لا مثيل لجريمة أمريكا فى توطين اليهود فى فلسطين إلا جريمة انجلترا فى توطين الصينيين فى الملايو » . وجاء فى تلك الرسالة أن نسبة ما ينفق على العبادة البوذية إلى ما يصرف للعبادة الإسلامية فى سيام ٩٦ إلى واحد ، بالرغم من أن نسبة المسلمين لعدد السكان فى سيام هو ١ : ١٨ . وفى بورما يعادل المسلمون ١٠ ٪ والبوذيون ٧٥ ٪ ونصيب المسلمين من عناية الحكومة دون تعدادهم بكثير مع أنهم على قلتهم لهم نشاط دينى كبير ، ومساجدهم فى رانجون وحدها ٣٦٥ مسجداً ، ولهم ٥٠٠ مدرسة ابتدائية إسلامية ومدرسة ثانوية ومدرسة للبنات ، وينفق على ذلك من أوقافهم الأهلية وحدها .

تشجير مصر

وافق مجلس الوزراء على تخصيص عشرين ألف جنيه هذا العام للبدء فى تنفيذ مشروع إنشاء المشاتل لمشروع التشجير ، على أن يخصم هذا المبلغ من الاعتماد المدرج بميزانية المجلس الدائم وقدره ٢٢٠٫٠٠٠ جنيه لتنمية الانتاج القومى لمشروع التوسع فى زراعة الفاكهة والأشجار الخشبية .

مياه جوفية بوادى النطرون

اكتشف فى وادى النطرون مجرى جوفى للمياه التى تتسرب من النيل فى باطن الأرض وتنساب بين طبقات الصحارى مارة تحت أرض الوادى على عمق لا يزيد على متر واحد من تحت أقدام السكان الذين كانوا يشكون الفاقة والتعطل وكانوا على وشك أن يرحلوا عن أرضهم . وقد تمكن المشرفون على تعمير هذا الوادى من أن يشقوا سطح الأرض لمسافة طويلة تبلغ عدة كيلو مترات ليكشفوا هذا المجرى العميق للمياه التى ستكفى لرى عشرات الألوف من الأفدنة بواسطة آلات المطر الصناعى . وبالفعل بدأ سكان وادى النطرون فى زراعة أرضهم بشجر الزيتون والموالح والجوافة والأشجار الخشبية ، فضلا عن محاصيل الفول السودانى والشعير والبرسيم . ويجرى البحث الآن فى إنشاء مصنع للورق هناك من نبات البردى . وبعد أن زالت مشكلة العمال العاطلين التى كانت تقلق الأفكار فى وادى النطرون نشأت مشكلة الحاجة إلى الأيدى العاملة هناك .

الأمراض المتوطنة فى مصر

وخسائر الإنتاج

ورد فى تقرير حافل رفعه وزير الصحة فى هذا الشهر إلى مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء والإنتاج أن ٢١ مليوناً من المصريين مصابون بالبلهارسيا ، وأن البلاد تخسر سنوياً ٨٠ مليون جنيه بسبب ضعف انتاجهم .

وان وزارة الصحة تبذل جهودا شاقة لمقاومة ذلك حتى انخفضت نسبة الإصابات بالبلهارسيا من ٦٥ ٪ عام ١٩٣٢ إلى ٤٦ ٪ عام ١٩٥٢ ، كما انخفضت نسبة الانكلستوما فى هذه المدة من ٤٢ ٪ إلى ١٤ ٪ .

وكان الدكتور على توفيق شوشه قد أصدر منذ عهد قريب بياناً نوه فيه بأن الفقر ينشأ عنه المرض ، والمرض يؤدى إلى الفقر ، وكلاهما يعوقان الناس عن العمل المتقن ، ويصيبان الدولة بالفقر بما يكبدانها من نفقات باهظة وما يسلبانها من إنتاج .

ويضرب المثل لذلك بمرض البلهارسيا فى مصر فإنه يتحيف ٣٣ فى المائة من قدرتها الإنتاجية . وهذا المرض وحده مسئول — على الأرجح — عن الخسارة التى أعلنها وزير الصحة الآن وقدرها ٨٠ مليون جنيه مصرى تذهب سدى كل عام فيما تتكبده البلاد من مصروفات مباشرة ، وفيما تخسره من إنتاج زراعى .

ويقول الدكتور على توفيق شوشه : والملاريا مرض آخر ينكب الزراعة ويعوق إنتاجها ، ولا مفر من مكافحته والسيطرة

عليه إذا صح العزم على استثمار المساحات الشاسعة من الأراضى الصالحة للزراعة . ولا يعلم إلا الله مقدار الخسارة من السل فى هذا الإقليم .

وربما كانت وفيات الأطفال أفدح خسائرنا ، والعمى يستنزف اقتصادياتنا ، وقد دلت الأبحاث على أن ٨٠ فى المائة من حالات العمى تنشأ عن عدوى يمكن تفاديها أو شفاؤها إذا كوفحت فى المراحل المبكرة للمرض .

والواقع أن (الوقاية) هى مفتاح المستقبل وهى أيضاً مسألة اقتصادية ، فقد قدرت نفقات برنامج الطب الوقائى المحض فى البلاد المتقدمة فى المدنية بما يوازى ½ فى المائة من دخلها القومى ، بينما قدرت نفقات الطب العلاجى بعشرة أمثال هذا المقدار .

الميزان التجارى فى مصر

بلغت جملة الواردات إلى مصر فى العام الماضى ١٧٤ مليوناً و٦٣٨ر٦٩٦ ج ، وجملة الصادرات ١٣٥ مليوناً و ١٢٢ر٨٦٣ ج والبضائع المعاد تصديرها مليوناً و١٠٩ر٤٨٢ج وبذلك يكون العجز فى الميزان التجارى فى العام الماضى ٣٧ مليوناً و ٤٠٧ر٣٥١ ج بينما كان فى سنة ١٩٥٢ قد بلغ ٧١ مليوناً و ٧١١ر٨٦٥ ج وهو تحسن استهلك فيه أكثر من نصف العجز السنوى ، والمنتظر أن تكون سنة ١٩٥٤ خيراً من التى قبلها فيتلاشى العجز كله إن شاء الله .

محكمة عدل عربية

وافقت الحكومات العربية على مشروع إنشاء محكمة عدل عربية يكون مقرها القاهرة وتؤلف من سبعة قضاة عرب تجدد عضويتهم كل ثلاث سنوات .

وتختص هذه المحكمة بفض المنازعات التى تنشأ بين دولة عربية وأخرى .

معهد الدراسات العربية

فى نوفمبر عام ١٩٥٣ افتتحت جامعة الدول العربية معهداً فى القاهرة لتدريس المواد والحقائق العلمية التى يتخرج بها شباب مؤمن بالفكرة العربية . والتحق به هذا العام ١٤٤ طالباً من جميع الأوطان العربية . وهو مقسم إلى شعبة للآداب وأخرى للقانون وثالثة للاقتصاد والاجتماع وشعبة للتاريخ والجغرافيا . ويحاضر فيه الآن خمسون أستاذاً وبلغت ميزانية المعهد ٢٢ ألف جنيه ، ومدة الدراسة فيه عامان يمنح الطالب بعدها درجة الماجستير فى الدراسات العربية العالية بعد تقديم رسالة مبتكرة .

إلى حضرات القراء

السلام عليكم ورحمة الله — أما بعد :—

فيسر مجلة الأزهر إذ توجه إلى حضراتكم أطيب تحياتها أن تستقبل معكم فترة طويلة مباركة من حياتها العلمية فى عهد ميمون الطلعة إن شاء الله باختيار الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخاً للجامع الأزهر .

وإن المجلة لتصارحكم بما تشعر أنه يخالج حضراتكم من رغبة فى مضاعفة نشاطها والأخذ فى التحسين والدأب على محاولة الكمال .

وهى إذ تحرص على مسايرة هذه الرغبات المشكورة لكم ، لتأمل فى توفيق الله تعالى أن يتيح لها من توجيه الشيخ الأكبر ومن مؤازرتكم لها أسباب الظفر بما تصبو وتصبون إليه ، حتى تكون عند رغباتكم ، وتظفر بمزيد ارتياحكم إليها ورضاكم عنها ، وعند ذلك تطمئن كثيرا إلى أنها أدت واجبها نحو الأزهر فى نشر ثقافته الإسلامية ، وفى توثيق الصلة العلمية بينه وبين قرائها الأفاضل فى مختلف الأقطار الشرقية .

هذا وتود المجلة إلى حضرات الكتاب ، وهم عماد المجلة فى نهضتها ، أن يتكرموا بمراعاة ما يأتى :

١ — إرسال المقالات إلى المجلة فى النصف الأول من كل شهر عربى ، ليكون لدى القائمين على الطبع وقت متسع لإظهار العدد فى غرة الشهر التالى ، وهو الموعد المحدد ، فضلا عما فى تخلف المقالات أحيانا من فوات لفرصة النشر .

٢ — عدم الإطالة فى الكتابة حتى يتسع العدد لأكثر ما يرد إليها . وحتى لا نعرض القارىء للسآمة من التطويل ، مع بيان عنوان الكاتب بالكامل .

٣ — ترحب المجلة بما يرد إليها من توجيهات القراء نحو الإصلاح وبلوغ المجلة مبلغها المنشود .

ونسأل الله أن يكون عونا لنا ، وهو ولى التوفيق .

(المجلة)

فهرس

الجزء السادس — المجلد الخامس والعشرون

زيارة الرئيس للأستاذ الأكبر

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين (١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣) ١٥ / ٢ / ١٩٥٤ زار سيادة الرئيس اللواء أركان الحرب ، محمد نجيب ، فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى مكتبه بالإدارة العامة .

كلمة فضيلة الشيخ السبكى

وقد ارتجل بين يديه ، فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء ، الكلمة الآتية :

إن الأمة المصرية لتنظر إلى شخصكم وإلى أصحابكم من أبطال الثورة ، نظرتها إلى الأمل الباسم ، والحظ الميمون ... وإن الشعب كله ليرقبكم أينما سرتم أو حللتم ليبادلكم حباً بحب ، وليروى بمطلعكم عاطفة شوقه إليكم .. وإن الأزهر ليعتبر نفسه فى طليعة الأمة من هذه المعانى الكريمة .

وإذا كانت معاقل الجيش رمزا للقوة المادية التى هى سياج الأمة ، ومظهر سيادتها ، فإن الأزهر ، هو معقل القوة الروحية ، ومصدر الثقافة الدينية التى تحيا بها الأمة حياة مجيدة ، وإذا كانت النهضة الحقة تقوم على الدين والقوة جميعا ، فإن الدين هو القاعدة الأولى .

وقد نهض الإسلام أول نشأته على المبادىء الدينية ، ثم على الجيش : فآزر الدين ، واهتدى به فى شق طريقه إلى الأهداف المنشودة ، وعاش فى ضوئه مجاهدا مظفرا .

لذلك : يعتبر الأزهر نفسه أنه العضد القوى للجيش ، وأنهما معاً عماد النهضة المرجوة على أيديكم .

والأزهر مطمئن إلى تقدير الجيش له ، وحرصه على توثيق اتصاله بالدين من طريق الأزهر ، ليظل مؤيداً بتوفيق الله .

والأمل أن يكون عطفكم دائماً على الأزهر بما يليق بماضيه ، وينهض بحاضره ، ويحفظ عليه مستقبله .

وإذا تهافت بعض الصحف ، أو الأفراد على الغمز فى الأزهر ، فإنما هى نزغات يدفعهم إليها حنق شخصى ، أو طمع فى نفع مادى ، أو رغبة فى تمزيق الوحدة بين القوتين ، الروحية والمادية ، وهذا نقص فى الوطنية ، فوق أنه وهن فى التدين . وسيظل الأزهر حامل لواء الدعوة الإسلامية ، كما هو من قديم مبعث الصيحة الإصلاحية .

ونرجو الله تعالى .. أن يتولى جيشنا بالعون والرعاية ، وأن يطيل حياتكم ، ويحفظ عليكم العافية .

كلمة سيادة الرئيس

أعتبرها فرصة سعيدة لتشرفي بزيارة الأزهر مرة أخرى فى هذا العهد الجديد ، عهد هذا الشيخ الذى تعرفون عنه كل الفضائل ، وأرجو المعذرة إذا لم أستطع أن أعبر عن شعورى نحو الأزهر ، الذى هو معقل الإسلام ، ومنه النور الذى يشع على العالم أجمع ، وإذا كان « الشيخ السبكى » قد قال : إن الأزهر مع الجيش فإنى أقول : إن الجيش مع الأزهر ، لأنى أقدم العلم على القوة ، والإسلام وإن كان بنى على العلم والقوة ، فإن العلم هو الركن الأول فى بناء الأمم ، والإسلام جعل الأولوية للعلم ، ونور القرآن .

أسأل الله أن يساعدنا على النهوض ، والتخلص من آثار العهود السابقة ، من إذلال للنفوس ، وزلفى ، وعدم تقدير للعلم ، وخصوصاً إذا صدر ذلك من رجل عالم ، ولا أسمى عالماً من يقبل يد شخص آخر .

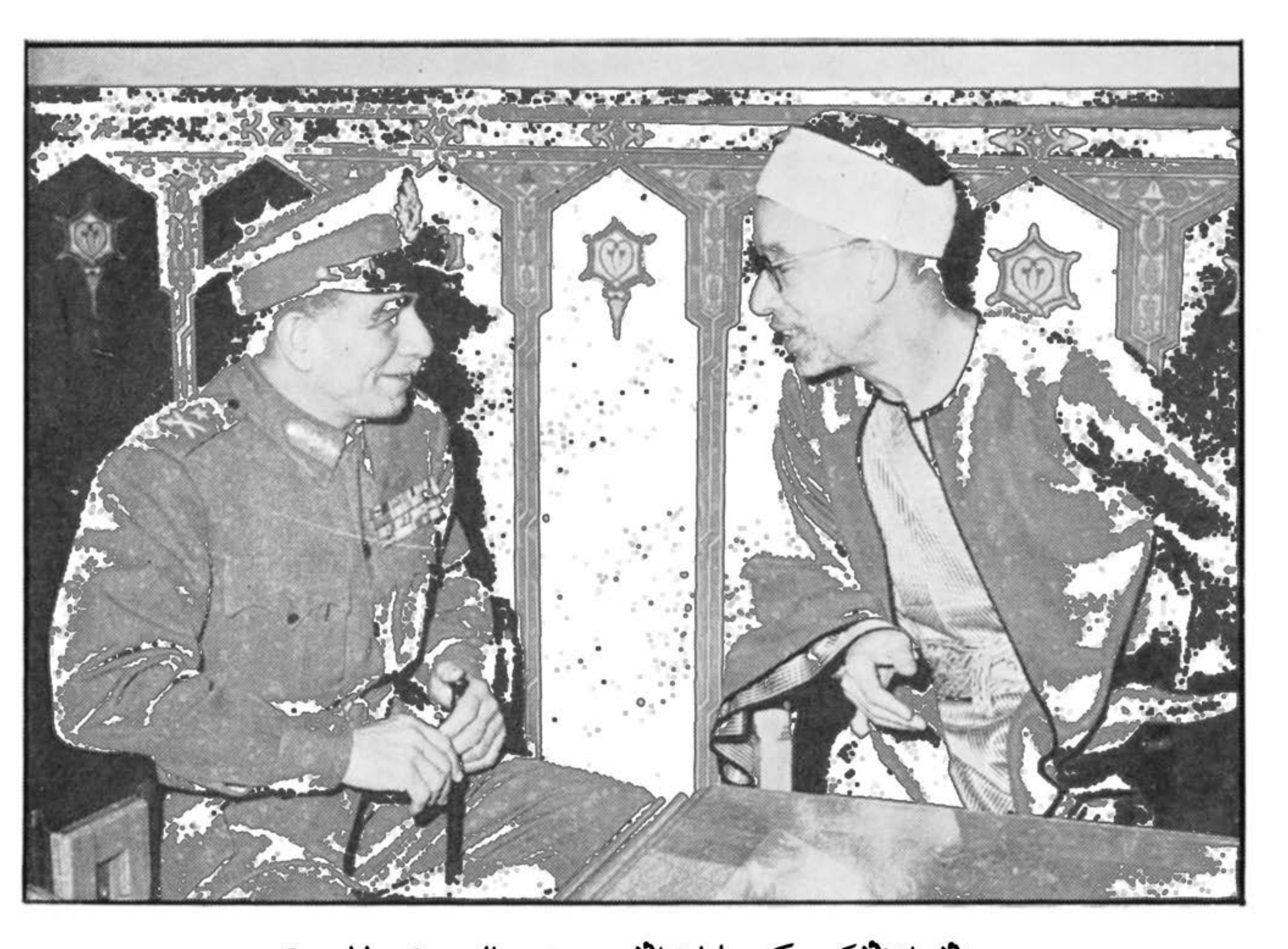
فالدين الإسلامى هو الناحية العملية التى توحى بالكرامة التى يجب أن يسعى إليها كل مسلم ، فيجب أن نعمل به حتى نصل إلى المكانة السامية ، ولا سلاح لنا إلا العمل على ربط القلوب ، وتطهيرها من الحقد والحسد والجرى وراء أعراض الدنيا الزائلة ، وبهذا نتخلص من الاستعمار ، ويجب أن لا نفسر أى عمل قبل تمحيصه ومعرفة حقيقته ، فالحكم عليه قبل ذلك يؤدى إلى خطأ كبير ، وأرجو أن نعمل بالحكمة القائلة (أحسن الناس أعذرهم للناس) .

إن آمال جميع المسلمين معقودة على الأزهر ، فهو الكعبة المشرفة كما قال مولانا فى حديثه أمس ، إن الأزهر هو الكعبة الثانية التى يشع منها على العالم الإسلامى نور العلم والمعرفة والقوة ، ويجب أن ننسى كل ما نريد لأنفسنا من مطالب شخصية ، وأن نغرس كل هذه المبادىء فى نفوس الطلاب وأبنائنا جميعا ، وإذا كان فى الماضى أخطاء تحتاج إلى إصلاح فلنتذرع بالصبر والمثابرة ، ونعمل على تلافيها ولنعطها حقها من الوقت .

نسأل الله التوفيق والسداد للأزهر فى أداء رسالته .

* * *

وقد قدم فضيلة الأستاذ الأكبر « المصحف الشريف » هدية لسيادته قائلا : وهذا هو ذخيرتنا ودستورنا الدائم الخالد ، وهو أساس ديننا الباقى الذى يقول الله فيه جل شأنه : « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » . فتقبله الرئيس شاكراً وقال : هذا هو الذى سيقصم ظهر الاستعمار .



الأستاذ الأكبر بمكتبه بإدارة الأزهر يرحب بالسيد رئيس الجمهورية

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر والسودان
٣٠ للطلبة في مصر والسودان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
٥ ثمن الجزء

الجزء السابع - القاهرة في غرة رجب ١٣٧٣ - ٦ مارس ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون



بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخنا

وقبل أن نتحدث عن تاريخنا ، ينبغي لنا أن نعرف من نحن ، ليتسنى لنا القول - على هدى - في ماضينا الذي تمخض عن حاضرنا فكان امتداداً له وحلقة في سلسلته ...

نحن جزء من موجودات هذا الكون الأعظم ، وإن المعارف التي ترشدنا إلى تاريخ الكون الأعظم، والأطوار التي تدرج بها حتى صار إلى ما هو عليه الآن ، هي من تاريخنا ...

ونحن بشر ، والحقائق التي توصل إليها البشر عن ماضي الإنسانية على الأرض ، وعن تطور جماعاتها وشعوبها ودولها حتى صارت على ما هي عليه الآن ، هي من تاريخنا ...

ونحن مسلمون ، نشترك مع مئات الملايين من المسلمين في اقتناعات والتزامات وأذواق وأنظمة ومشارب وواجبات ونزعات وميول وأمانيّ . ولهؤلاء المسلمين - منذ كانوا مسلمين - كيان مرت عليه أحداث ، وله أمجاد ، وأخطاء ، ومزايا ، وزلات ، وخدمة متواصلة للعلم ، وإخلاص للفضائل الإنسانية والحضارة البشرية ، وقد يكون لهذا الكيان انحراف عن بعض ذلك في بعض الأحيان . وإن لهذه الأمور تاريخاً نحن مساهمون فيه ، وقد دخل نصيبنا منه في ميزانية أرباحنا وخسائرنا . ومن مصلحتنا ، بل من خاصة شئوننا ، أن نقوم

بدراسته وتمحيصه وتحـــديد المسئوليات فيه ، وتعيين المسئولين عنها بأمانة وإخلاص ، والاعتراف بأمجاد هذا الماضي وفضائله لأصحابها ، وقبول ذلك كله على أنه من تاريخنا . . .

أنا أكتب هـذه الحقائق الآن بالعربية على أنها لغتى ولغة أمتى من بضعة عشر قرناً على الأقل ، وليس لنا لغة قومية غيرها . والجمهور الأعظم من قراء هذا المقال ـ فى العراق والديار المصرية والمملكة العربية السعودية واليمن ، وفى السودان وبلاد المغرب وسائر الأوطان العربية ـ يقرأون هـــذا الذى أكتبه بالعربية وهم على بينة من أنها لغتهم ولغة أوطانهم منذ عصور كثيرة وليس لهم لغة قومية غـيرها . فنحن إذن عـرب ، عريقون فى عربيتنا وعروبتنا ، بل نحن أعرق فيهما من تركيا فى تركيتها ، ومن جرمانيا فى جرمانيتها. وقـد شاءت لنا الحظوظ والأقدار أن نكون ورثة هـذه اللغة ، وأن نكون أهلها ، لا ينازعنا فى ذلك منازع . فنحن أصحاب الميراث التاريخى فى كل محمود وممدوح من تراث العربية والعروبة وثروتهما القومية وكنوزهما الأدبية والعلمية . وعلينا اليوم ـ فى مقابل هذه الملكية الضخمة والميراث العظيم ـ مسئولية ما وقع فيه التقصير من واجبات الناطقين بالضاد فى هذا العصر نحو لغتهم وثقافتها . ولن نتلافى هذا التقصير إلا إذا آمنا بعروبتنا ، ووضعنا أيدينا بالفعل على كنوزها ، وتفرغنا لدراسة تاريخها على أنه تاريخنا ، إلى أن نبعث فى العروبة حيويتها التى كانت لها فى أيام السيادة والخلافة على الأرض ، واتخذنا من ذلك أساساً للامتداد الذى نقيمه على دعائمها ، وبذلك يتم لها ـ ويتم لنا بها ـ البعث ، فتتبوأ هى المستوى اللائق بها بين اللغات والقوميات ، ونتبوأ نحن المستوى اللائق بنا بين الأمم .

وأنا أكتب هذه الحقائق فى هدأة من الليل ، بين مجرى النيل الأعظم عند احتـكاك لججه بشواطىء الجيزة وهى تحيي تربتها الطيبة بقبلات الإجلال والتـكريم ، وبين فرع النيل الذى تطل عليه أرض الفسطاط فتطل منها عليه ظلال أمجاد وهدايات يفنى الدهر ولا تفنى . إن هذه الشواطىء وما وراءها من تربة وآفاق ، وهـذه اللجج وما تحمله من ذكريات وعظات ، وما مرت وستمر عليه من مشاهد وبقاع ، هى مصر العزيزة التى شهدت طفولة الإنسانية وصباها ورجولتها ، وشاركت فى عبثها واضطرابها واتزانها ، وفى جاهليتها وحيرتها وهدايتها . هى مصر التى اختصها الله بنعمته الدائمة التى لا تزول : نعمة النيل فى ضمان رزقها لمعاشها ، ونعمة الإسلام ـ آخر رسالات الله وأكملها ـ فى ضمان استقامتها على الطريق السوى إلى سعادتها . وإن من شكرنا لله على هاتين النعمتين الباقيتين أن نعرف أقدارهما ، وآية ذلك

أن نقوم لهذا النيل ولهذا الإسلام بما ينبغى لنا أن نقوم به لهما من جهود وجهاد لتكون مصر بهما عروس البلاد وأسعدها .

وقد شاء الله لنا أن نكون امتداداً لمصر الإسلامية ، فلتكن مشيئته التى لا يكون فى الكون غيرها ، ولنقم لذلك بما يجب علينا من تكوين كياننا الحاضر على أنه متمم لكياننا المتصل به ، ولنرسم طريقنا إلى المستقبل على ضوء ما اقتنعنا بصلاحه من تجاريب مصر فى بضعة عشر قرنا ، مزودين بما ورثناه عنها من مواريث أدبية خالطت أرواحنا ، وتأصلت فى قلوبنا ، وجرى الاقتناع بها مع دمائنا فى شرايينا وأوردتنا ، وليكن من وفائنا لأنفسنا ولمواريثنا عن أسلافنا تمحيص تاريخ مصر الإسلامية وتنقيحه وتنظيمه ، لنجد فيه القدوة بمن يحسن الاقتداء به من عظماء رجاله الصالحين ، ولنجد فيه العظة والاعتبار بمن ينبغى لنا الاعتبار بأخطائه وزلاته من المتغلبين والمنحرفين .

وإن من حكمة الله فى وقوع هذا الانقلاب الأخير على مرأى منا ومسمع أن نعلم كيف أن الحقائق كانت تحرف ، وأن التاريخ كان عرضة للتشويه بتسمية الماجن صالحا ، والعظيم فى نفسه تافها ، وتلقين الأجيال أباطيل تفرض عليهم باسم العلم والثقافة فرضاً ، ثم لا يجدون السبيل إلى العلم بغيرها ، فجاء هذا الانقلاب لحكم كثيرة أرادها الله ، ومنها كشف الحجاب عما يصيب التاريخ من تشويه وتضليل لأغراض يتصورها الأقوياء ، فيفرضون على الأمم جحود الحق وأهله ، وتمجيد الباطل وأهله . وكما آمنا الآن بضرورة تصحيح التاريخ فى حقبته الأخيرة من ثورة عرابى إلى الآن ، بل من ولاية محمد على إلى الآن ، كذلك ينبغى لنا أن نؤمن بحاجة مصر إلى تصحيح تاريخها وتمحيصه من زمن العبيديين وقبلهم وبعدهم ، بل من الحادث الإنسانى الأعظم وهو دخول مصر فى الإسلام ، وكيف كان ذلك ، وما ترتب عليه من نتائج ، ومن ذا الذى ساهم فى تحقيق نتائج الخير التى ترتبت على دخول مصر فى الإسلام ، ومن ذا الذى عمل على تحويلها - قليلا أو كثيراً - عن المضى فى ذلك الطريق . وهى مهمة نحتاج إليها الآن فى تنقيح ثقافتنا وتفكيرنا ومناهجنا ، لأنها أساس لما يقوم عليها من بناء ثقافى . وعلى الأزهر أن يساهم بذلك فى مناهجه ودراساته ، كما أن على جامعاتنا أن تقوم بنصيبها من ذلك فى مناهجها ودراساتها .

إن من أعظم المفارقات فى تاريخنا أن نكون أغنى الأمم بالنصوص السليمة التى نستطيع أن نصحح بها تاريخنا فنبنيه على أساس قويم من الحقائق العلمية التى لا يتطرق الشك إليها ،

وأن نكون - مع ذلك - أشد أمم الأرض إهمالا للإفادة من ذلك حتى بقى تاريخنا مضطرباً كما أراده له الذين دسوا فيه ماليس منه ، وشوهوا من جماله ما جعل المسلمين يسيئون الظن بأمجد صفحات ماضيهم ، ويجهلون أن الجيل المثالى الوحيد الذى عرفته الإنسانية فى تاريخها منذ وجد الناس فى الأرض إلى الآن هو الجيل الذى شوه المغرضون جمال سيرته بما دسوه فيها من باطل ، وما اختزلوه من حق ، فكان من نتيجة ذلك أن رأينا فى أفاضل الناس وعلمائهم من يتنكر لأعظم الرجال الذين كانت لهم اليد الكريمة علينا فى إسلامنا وفى أمجادنا وفى أثمن ماكان ينبغى لنا أن نعتز به من مواريثنا .

إن تاريخ مصر الإسلامية فى حاجة إلى التمحيص والتنقيح والتصحيح .

وإن تاريخ العرب قبل الإسلام وعند ظهور الإسلام فى حاجة إلى البعث والكتابة من جديد .

وإن تاريخ المسلمين والإسلام أجدر تاريخ فى الإنسانية بأن يرجع به إلى نصوصه السليمة التى عرف رواتها بالصدق والدين والمعرفة الوثيقة .

ولا يقوم بهذه المهمة لتاريخ مصر والعرب والإسلام إلا المحققون وأهل الألمعية من أوفياء المصريين والعرب والمسلمين لمصريتهم وعروبتهم وإسلامهم .

إن سليمان بن داود لما تقاضت إليه امرأتان فى طفل ادعت كل منهما أنه ابنها ، وليس لإحداهما بينة راجحة على بينة خصيمتها ، قضى بأن يقسم الطفل بالسيف قطعتين يعطى لكل منهما قطعة من الطفل . فقالت إحداهما حينئذ : إنه ليس بابنى فلا تقطعه ، وأعطه للمرأة الأخرى . فعلم سليمان أن شفقة الأمومة هى التى حملتها على ذلك ، وحكم لها بأنه ابنها . وتاريخ مصر والعرب والإسلام فى حاجة إلى أمه الحقيقية الرفيقة به المشفقة على حقائقه وأمجاده ، فهل ترى أن هذه الأم هى الأزهر ، أم ترى أنها جامعة من الجامعات المصرية ، أم ترى أن هذه الأم ستظهر من بغداد أو دمشق أو غيرهما ؟ إن تاريخنا الآن أشبه باليتيم ، بل قد أهمله أهله أكثر مما يهمل اليتيم ، حتى أشفق عليه أعداؤه من المستشرقين وأمثالهم ، وحتى صار بعضنا عالة عليهم ، فبعد أن كان تاريخ العرب والإسلام فى مصر وسائر الأقطار ينوء بما شوهه به أصحاب الأغراض من الأقدمين ، أصيب فى عصرنا بمن يزيده تشويها من أصحاب الأغراض المعاصرين .

لقد فشت فى السنين الأخيرة بدعة جديدة فيمن يكتبون التاريخ من أذكيائنا ، فوضعوا على أعينهم نظارات سوداء يرون بها الأبيض أسود لئلا يتهموا بالتعصب لإسلامهم ولعروبتهم . بل رأيت فيمن لقيتهم من يظن أن المصرية شىء والعروبة شىء آخر ، ومن يظن أن الوفاء للعروبة ينافى الوفاء للإسلام ، وأن الاهتمام بأمجاد العروبة ومواريثها ينافى الاهتمام بأمجاد الإسلام ومواريثه .

بل رأيت فيمن لقيتهم من يمتعض لدعوة الجيل إلى الوفاء للإسلام ، ويرى أن ذلك يخل بالنزعة الإنسانية ، أو يغنى عنه التعلق بالوطنية الجغرافية .

هذا كله خطأ . وكما أن وفاء أبناء مديرية الشرقية لإقليمهم ، ووفاء أهل أسيوط وقنا لمناطقهم ، لا يخل بمحبتهم لمصر ووفائهم لها ، كذلك الوفاء لمصر فى مصر ، أو للعراق فى العراق ، وكذلك وفاء أبناء كل قطر عربى لقطرهم لا يخل بمحبتهم لعروبتهم ووفائهم لها ، ووفاء العرب لعروبتهم والأفغانيين لأفغانيتهم والأندونوسيين لأندونوسيتهم لا يخل بأخوة الإسلام والوفاء لجامعته .

إذا ألقيت حصاة فى بركة ماء رأيت حول موقع الحصاة من الماء دوائر ضيقة فى القرب من ذلك الموقع ، ثم تتسع فيما وراء ذلك . إن موقع الحصاة من الماء هو بلد الإنسان الذى ولد فيه ، والدائرة التى تلى ذلك هى المركز الذى يتبعه ذلك البلد ، والدائرة التى بعدها هى المديرية ، والتى أكبر منها هى الإقليم الجغرافى ، وفيما وراء ذلك الجامعة القومية وهى عندنا جامعة العربية والعروبة ، وأكبر منها أخوة الإسلام الجامعة بين المسلمين ، ثم الإنسانية ، فالكون الأعظم . وأنت إذا أردت أن تكون وفيا لبلدك فإن وفاءك له لا ينافى وفاءك لمديريتك أو إقليمك الجغرافى . ووفاؤك لإقليمك - وهو مصر - يعد جزءا من وفائك لقوميتك العربية التى لا شك أن مصر عضو فيها وركن من أركانها بل قطب دائرة ثقافتها وأدبها ، ووفاؤك لعربيتك وعروبتك عنصر من عناصر وفائك للاسلام ، لأن العرب مادة الإسلام كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

يقول (ول ديورانت) فى مقدمة كتابه (قصة الحضارة) : إن السيادة الأوربية تسرع الآن نحو الانهيار ، وإن من أعظم أخطاء الغرب تجاهلَه فضلَ الشرقِ ، واندفاعَه بالتعصب الإقليمى إلى غمط الشرق فى فضائله وحيويته وانتعاشه ، وإصرارَه على كتابته التقليدية للتاريخ بأن يبدأ قصة الحضارة من اليونان ويكتفى بالحديث عن آسيا كلها فى سطر واحد .

ومن العجيب أن المئات من الأساتذة والمدرسين الجامعيين عندنا قرأوا هذا الاعتراف من هذا المحقق المنصف ثم لا يزالون رابطين مناهجنا بعجلة هؤلاء الذين شكا ديورانت من تعصبهم الذى سيودى بهم وبسيادتهم إلى الانهيار .

وفى المؤتمر الدولى للعلوم التاريخية الذى انعقد من ١٤ إلى ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٨ بمدينة أوسلو من بلاد النروج حاضر الأستاذ بيرن فى موضوع (الفتوحات الإسلامية وبداية العصور الوسطى) فكرر دعوته التى أعلنها فى المؤتمر الدولى الخامس إلى اعتبار ظهور الإسلام هو خاتمة العصور القديمة وبداية إيقاظ الإنسانية فى أول عصورها المتوسطة ، لأن احتكاك الغرب بالإسلام هو الحد الفاصل بين شطرى التاريخ القديم والمتوسط ، وحينئذ بدأت أوربا الغربية تكوّن مدنية جديدة وحياة جديدة يجب معها اعتبار هذا الحادث هو بداية العصر المتوسط .

وفى ذلك المؤتمر التاريخى نفسه حاضر الأستاذ دوبرى فى « نشأة الاستكشافات الجغرافية والأسباب الباعثة عليها » ، فأعلن أن احتكاك الصليبيين بالمسلمين واستيلاء المسلمين على مفاتيح التجارة الشرقية هما السبب المباشر لبداية عصر الاستكشاف ، الذى يعتبر بداية العصر الحديث . إذن فإن ظهور الإسلام باعتراف الأستاذ بيرن هو الشرارة الأولى التى انتهت بها العصور القديمة وأشرق بها على الإنسانية نور جديد ، واحتكاك أوربا بالمسلمين هو الذى انتهت به عصور أوربا المتوسطة وبداية تاريخها الحديث .

إن تعصب الأوربيين - على ما اعترف به (ديورانت) فى « قصة الحضارة » - حملهم على كتمان كثير من الحقائق المتعلقة بالشرق والإسلام ، ومن النادر أن نسمع شيئا من هذه الحقائق على ألسنة المنصفين منهم ، ولكن هل ستبقى جامعاتنا ومؤلفونا مرتبطين بعجلة الغرب فى تقرير الاتجاه لتاريخنا ، وهل سيبقى تعليمه مبتوراً ومشوها لأبناء الجيل من الجامعيين ؟ .

وهل سنبقى مخدوعين بالدسائس التى دستها الطوائف القديمة وصناديد الشعوبية وأعداء الإسلام من الذين تظاهروا بالانتساب إليه ، فشوهوا بها تاريخنا ، مع أن فى نصوص علمائنا وأعلامنا ما يصححها ويزيل الغشاوة عن أعيننا فنرى جمال تاريخنا كما كان ينبغى لنا أن نراه ؟

إن العبرة التى أتاحها الله لنا فيما ظهر من حقائق عن تاريخ مصر الحديث جديرة بأن تحملنا على إعادة النظر إلى تاريخنا فنكتبه من جديد معتمدين على النصوص الصحيحة المعقولة التى خلفها لنا أئمتنا وأعلامنا من المحدثين ومؤلفى كتب التراجم . وسنرى حينئذ أن أسلافنا حملوا إلى الإنسانية أكمل رسالات الله ، وأنهم ضربوا أصدق الأمثلة من سيرتهم للعظمة التى تنشدها الأمم لنجد فيها الأسوة والقدوة ولنسير على نورها إلى غايتها من الحياة السعيدة .

محب الدين الخطيب

منكم تعلمنا

فى حفلة أقامتها الجالية السورية بين الحربين العالميتين فى مدينة (ديترويت) بأمريكا خطب القاضى الأمريكى أرثر لايسى فقال :

« يرجع الناس بأصول مدنيتنا إلى المدنيتين اليونانية والرومانية ، مع أن آثارهما كانت فى زوايا النسيان زمن العصور المظلمة ، ولو لم يقدّر لهما أن تتناولها أيدى العرب لأصابهما الوهن والاضمحلال .

إن إسبانيا العربية هى مدرسة أوربا التى علمتها الآداب والفلسفة والعلوم . ومنكم تعلمنا الكسور العشرية وحساب التفاضل والمقابلة ، ومنكم تعلمنا القول بكروية الأرض . وإن الكرة الفضية التى أهداها الشريف الإدريسى الجغرافى العربى إلى روجر الثانى أمير نابولى فى منتصف القرن الثانى عشر (القرن السادس الهجرى) خير شاهد على ما أقول . وكان ذلك قبل رحلات كولمبوس بخمسمائة سنة . وقد حسب محيط الأرض بأربعة وعشرين ألفاً وخمسمائة ميل . وشعركم وآدابكم كانت منهلا استقى منه أدباء الفرنسيين والإيطاليين والانجليز ، ومنه جاء دور البعث والتجديد إلى أوربا .

وأنا بالنيابة عن أبناء جنسى الانجلو سكسون أعترف بفضلكم وأشكركم شكراً وافرا .



- ١٣ -

٢ – طالوت...... وجالوت

طالوت فى قلة مؤمنة ، وجالوت فى كثرة غير مؤمنة

> « ولما برزوا لجالوت وجنوده ـ قالوا : ربنا أفرغ علينا صبراً . وثبت أقدامنا . وانصرنا على القوم الكافرين » .

تجاوزنا بك فى هذه القصة ثلاث مراحل :

الأولى — أن الملأ من بنى إسرائيل طلبوا من نبيهم ـ شمويل ـ أن يختار لهم ملكا يجمع شملهم ، ويؤلف جيشهم ، وينهض بهم إلى حرب عدوهم من جبابرة فلسطين .

الثانية — أن الله حقق رجاءهم ، واستجاب لدعوة نبيه ، واختار من بينهم طالوت ملكا على قومه هؤلاء . . ولكنهم لم يذعنوا فى هوادة كما تظاهروا ، بل أخذوا فى اللجاج مع نبيهم ، وأنكروا أن يتولى عليهم من لم يبلغ مبلغهم فى السيادة والمال ، وظل نبيهم ـ شمويل ـ يدحض كلامهم ، ويحبط تكبيرهم ، ويوجههم إلى أن الله اصطفى عليهم طالوت ، لما يمتاز به من بسطة فى العلم ، وفى الجسم ، وأن الله يؤتى ملكه من يشاء ، ممن يعلمه أليق من سواه ، وأوفق لحال الأمة .

الثالثة — أن شمويل أقام لهم أمارة على حقـّية الملك لطالوت ، وأن اختياره من عند الله ، وهى أن يعيد إليهم التابوت من أيدى الجبابرة من غير محاولة ، وقد صدق الله وعد نبيه ، وجاء التابوت على نحو ما حدثناك آنفا ...

فماذا كان شأن بنى إسرائيل وقد قامت عليهم الحجة ؟

هذه هى المرحلة الرابعة التى نتحدث عنها اليوم .

أصبح طالوت فى عرفهم ملكا ولا محالة ، وأصبحت غايته الأولى أن يعبىء جيشه ويواجه به عدواً جباراً فى ملكه ، معادياً لبنى إسرائيل ، ومتمرداً على دينهم وأنبيائهم . . فالأمر بحاجة قصوى إلى مؤازرة القوم لملكهم الذى تمنوه من قبل ، وتمنوا أن يجاهدوا فى سبيل الله تحت إمرته .

فهل هم على الولاء جميعاً لطالوت ؟؟ وهل بجدهم سواء فى صدق النية والحفاظ على العهد ؟؟

لم تزل نزعة الخبث كامنة فيهم ، ولم يزل تخليهم عن دعوة الحق من طبائعهم . . وكأنهم حسبوا أن تظاهرهم بالتسليم لطالوت سيكفى للاطمئنان إلى صدقهم ، وأنهم سوف لا يختبرون بعد ذلك فى إيمانهم ، وأن أمرهم سيظل مستورا فلا يستبين الجاد من الهازل .

وفاتهم أن لله سنة مقضية فى عباده ، يميز بها الخبيث من الطيب ، ويمحص بها المخلصين من المرائين ، وهى أن يبتليهم فيما آتاهم ، ويمتحنهم بما لم يكن فى حسبانهم من خير ، أو شر ، وعند ذلك تركن إلى الحق نفوس ، وتثبت على الصبر أقدام ، وتنحرف عن الحق نفوس ، ويزل عن الرشد أقوام . . هذه سنته فى خلقه أزلا . . وجدد القرآن ذكراها لنا فى قوله سبحانه : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » أى سنختبركم حتى يتبين منكم ما نعلمه فيكم قبل أن تعرفوه عن أنفسكم . وكذا فى قوله : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » وفى قوله : « أحسب الناس أن يتركوا : أن يقولوا آمنا ، وهم لا يفتنون ؟ ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين » أى . . فليبينن الله علمه بالصادق وبالكاذب .

وكان البلاء لبنى إسرائيل فى موقفهم مع طالوت إذ تهيأوا للخروج معه : أن أوحى إلى شمويل أمر يفضى به إلى طالوت ليتحدث به إلى جيشه بعد ... ليكون فى إعلانه من طالوت إشعار بأنه مؤيد من عند الله ، فيكون فى ذلك مسرة للقلوب العامرة ، ورجفة للنفوس الهازلة . . وليكون فى إعلانه كذلك لفتة قوية إلى أن أمر طالوت هذا ليس هيناً ، وليست سياسته فيهم ألعوبة . . وإنما هى جد لا هوادة فيه .

وكذلك تكون مواقف الحرب وقد تمنوها .. وهكذا تكون الجندية ، وقد سعوا إليها ... فليكونوا كما تظاهروا من قبل ـ وهم حينئذ أباة ضيم .. وأبطال حرب .. وعشاق مجد .. وطلاب سؤدد .

أو ليكونوا كما عرفهم التاريخ وهم لا يذكرون : قوالين لا يفعلون .. ومتهافتين وهم قاعدون ، ومتعاهدين ولكنهم كذابون ..

هذا أو ذاك ما يكشف عنه البلاء ، وإنه لقريب من بنى إسرائيل ، ثم قد حان اليوم الذى خرج فيه طالوت بالجيش إلى لقاء عدوه ، وأعلمهم بما سيمتحنهم به الله ... (فلما فصل طالوت بالجنود ، قال : إن الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس منى ، ومن لم يطعمه فإنه منى) .

ومعنى ذلك ـ أنهم سيمرون فى الطريق بنهر ، والمسافر غالباً على ظمأ .. فمن ترفق بنفسه وشرب : فذلك عبد نفسه ، لا يؤتمن على الجهاد ، ولا يحتمل لأواء الحرب فى سبيل الله مع طالوت ...

ومن تجشم احتمال الظمأ : إيثاراً لطاعة القائد ، واطمئناناً إلى سياسته وتوجيهه ، واستبسل معه فى الجهاد : فذلك العون الصادق ، والمغوار الجلد ، والجندى الوفى لقائده ، ووطنه ، ودينه ، ولا بد من يسر بعد عسر ..

ولكن هناك فريقاً ثالثاً : قد لا يشرب إلى أن يروى حتى يكون من المبعدين ، وقد لا يمتنع إلى الحرمان حتى يكون من المقربين ، بل يرطبون أكبادهم بالقليل من ماء النهر .. فهم بين البين كما نقول .

وقد تجاوز الله لهؤلاء عن غرفة باليد الواحدة ، واعتبرهم حكما من المستجيبين ، واستثناهم من الشاربين المبعدين بقوله سبحانه (إلا من اغترف غرفة بيده) .. يعنى فهؤلاء كذلك منى ، ومعى .. كمن لم يطعمه ولم يذقه .

ومن سنة الله فى معاملة خلقه : أن المسىء قليلا ـ كهؤلاء المغترفين باليد الواحدة ـ أقرب إلى مرضاته .. وأولى بالقبول من المسرف : ضرورة أن التريث فى الخطيئة ، والاقتصاد فى المعصية ، نزوع إلى الخشية ، وجانب من التقوى .. والله ـ عز شأنه ـ يضاعف الحسنة ، وإن كانت مثقال ذرة ...

ثم ماذا ؟ ؟ ثم كان البلاء كاشفاً للخبىء من شأن القوم حينما وردوا ماء النهر (فشربوا منه ، إلا قليلا منهم) فافتضح أمرهم . . وكانوا يخالون أن سيظل مستوراً إلى النهاية . . ولكن المكر السيء يحيق بأهله . . وإذا مكروا فالله خير الماكرين .

وإلى هنا ندخل بك فى المرحلة الخامسة فنستقبل جملتين متعارضتين فى سياق القصة .

إحداهما — قوله تعالى : (فلما جاوزه ـ النهر ـ هو والذين آمنوا معه) . فهذه ظاهرة فى أن الشاربين من النهر تخلفوا عنده ، ولم يجتازوه مع طالوت ... وإنما اجتازه معه المؤمنون فحسب . .

والجملة الثانية . . (قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فهذه كما ترى : تردد فى الإقدام على العدو . . وهو لا يتفق مع ما ثبت من صدق إيمانهم ، والوفاء بعهدهم . . وفوق ذلك . . هو مستبعد بعد نجاحهم فى الابتلاء بالنهر على ظمأ من وعثاء السفر فى الفلوات ، وبعد أن اجتازوه غير هيابين ... فماذا نفهم ؟ ؟

يقول بعض المفسرين ـ وهو الأرجح ـ : إن الجميع اجتازوا النهر مع طالوت . . غير أن الآية صارحتنا بأن الذين جاوزوا النهر مع طالوت ، هم المؤمنون دون ذكر الشاربين . . لأن المؤمنين على صدق فى متابعتهم ، فلم يتريثوا فى السير ، ولم يقفوا للشرب ، فكان سيرهم متصلا ، وكانت مجاوزتهم للنهر وسيلة جدية للحرب .

ومن أجل ذلك استحقوا التنويه بالإفصاح عنهم . . وكأن سواهم لم يجتازوا النهر ، لتخلفهم أولا . . ولأن مجاوزتهم كانت هزلا ورياء ، ، ولم تك وسيلة إلى غاية مفروضة ، فأهمل الله ذكرهم : تغاضيا وتحقيرا .

وفى هذا التوجيه ضوء يكشف الغموض عن الجملة الثانية : إذ تبين لنا فى وضوح : أن الشاربين من النهر لحقوا بسابقيهم ، وحينما رأوا جالوت العدو فى جيش لجب ؛ خارت قواهم أكثر ، وغلبت عليهم الرهبة لعدم تحصنهم بإيمان و (قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) وولوا أدبارهم . . وهذه رجعية إلى معاذيرهم المألوفة ، وانتهاء منهم إلى الارتكاس المتوقع (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) .

وإلى موقفهم هذا سبقت الآية بالخبر عنهم أول القصة ، كما نبهناك آنفاً عند قوله تعالى (فلما كتب عليهم القتال - أصبح لزاما - تولوا : إلا قليلا منهم ، والله عليم بالظالمين) . . وذلك القليل منهم : هم الذين لاذوا بربهم ، وعولوا على نصره لهم ، واستمدوا أملهم من قوة إيمانهم ، وقالوا : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ..) وبذلك التصوير لما أفهمه من محاولات الأشياخ لا غموض فى سياق الجملتين ، وحسبنا هذا عن تقديرات أخرى . . فعلى أى الفروض لم يقاتل مع طالوت غير النخبة من خيار أتباعه بعد أن تولى عنه من تولوا ، سواء أكان تخاف بعضهم قبل النهر ، أم بعده .

وحينما أصبحت القلة المؤمنة فى وجه الكثرة غير المؤمنة ، فزعت إلى الدعاء تستمد به رعاية الله ، وتغالب به الكثرة فى عددها وعتادها (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا : ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين) .

وتلك دعوات ثلاث : فيها غناء عن كثرة مضاعفة : فالصبر وسيلة أولى فى دفع الأوهام التى تنازع النفس عند لقاء عدو أكثر .

وثبات الأقدام : احتمال النوازل ، وذلك مبعث الرهبة عند الخصم ، وإيآس له من الظفر ، وإشعاره بأن الأمر أمر عزائم قبل أن يكون أمر كتائب .

والنصر : هو الغاية المرجوة ، ووعد الله الحق لمن نصر دينه ، على من حارب الله ورسوله .

المرحلة السادسة والأخيرة - أن جالوت برز من صفوف جيشه ، معتزا بجبروته ، وطلب من ينازله ، فكانت له أثارة من رهبة . . ولكن طالوت ترفع عن منازلته ، ونفخ من شجاعته فى جنده ، ووعد أن يزوج بنته لمن يقتله ، وأن يشركه معه فى تدبير الملك .

وكان فى القوم غلام لم يتعود حمل السلاح ، وإنما يرعى الغنم ، ويحمل المقلاع والأحجار فنهض بمقلاعه ، وقذف جالوت بحجر أصاب رأسه ، وصرعه ، ففر جيشه الزاخر ، وصدق الله وعده ، وأعز جنده ، وكفى الله المؤمنين القتال .

أما ذلك الغلام الراعى ، فهو داود بن يس ، وقد أخذ رأس جالوت ، وذهب بها فخور إلى الملك طالوت ، فأنجز له وعده وأصبح داود ذا شأن خطير ، وظهرت لله حكمة كانت

مكنونة فاجتمع لداود ملك طالوت ، واختاره الله للنبوة بعد شمويل ، وعلمه صنعة الدروع للحرب ، وأقام به دينا ودولة ، وهو أول من كانت له نبوة وملك - وكان ذلك تلبية الدعوات الثلاث . . كما حدثتنا آيات ثلاث هى (فهزموهم بإذن الله ، وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك والحكمة ، وعلمه مما يشاء) .

وقد يخطر بالبال سؤال عما وراء هذا التدبير الكونى : لم ينهض بنو إسرائيل يوما ، وينكمشون آخر ؟ ؟ وينتصرون مرة ، وتشرق فيهم هناءة العيش . . . وينهزمون أخرى ويأفل نجمهم فى الحياة ؟ ؟ أفى ذلك حكمة لمن أبدع الكون ليعمره بالخير ، ويجعله أمارة على وجوده ؟ ؟

ونفحات القرآن تنبه الغافل ، وترشد الحيران ، فالدنيا لا تعمر إلا بالأحياء ، ومظهر الحياة فيها صعود وهبوط ، ووثوب وتراجع ، وبناء وهدم ، وأخذ وعطاء . .

فمن سنة الإبداع أن يكون فى الكون خير وشر ، وتعمير وإفساد .

ودعاة الشر شياطين يهدمون ، وأهل الخير رحماء يبنون ، فإذا فهمنا فى دنيانا ، أن نظامها فى تتابع أحداثها ، وأن صلاحها فى تطاحن أهلها ، فقد ظهرت لنا حكمته ، ووضحت لنا آيته (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين) .

ومع التسليم بذلك فالمطلوب إلينا أن نكون رحماء مصلحين ، لا شياطين مفسدين ، وعسى أن يهدينا الله إلى صواب يرتضيه . ويكفلنا بتوفيق نرتجيه ، فلا نكون كبنى إسرائيل على إيمان مكذوب . . وفى حظ مسلوب ، فهو الهادى إلى خير سبيل ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

السُّنَّة

اشفعوا تؤجروا

الشفاعة الحسنة — ضروب من الشفاعة — الشفاعة في الحدود — أعجب الشفاعات وأحبها — شفاعة الملائكة — موقف كريم لأم سلمة — شفاعات نبوية — الشفاعة والمشيئة — آثار الشفاعة الحسنة في الأمة — حاجة الحاكم والمحكوم إليها .

عن أبي موسى رضي الله عنه ، عن النبيّ ﷺ أنه كانَ إذا أتاهُ السَّائلُ ، أو صاحبُ الحاجة قال : اشفَعُوا فلتُؤجروا ، وليقضِ الله على لسانِ رسوله ما شاء ،

رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري في كتاب الأدب (*) .

* * *

في خاتمة الحديث الماضي أهبنا ـ وما زلنا نهيب ـ بالكبراء والسادة ، أن يؤدوا زكاة السيادة ، بالإصلاح النقي الجليّ ، وبالشفاعة الحسنة الخالصة ، وبالدعوة الجادة الصادقة إليهما ، ما استطاعوا إلى الجد والصدق سبيلا ، .

وفي هذا الحديث نرجو أن نولي الشفاعة الحسنة بعض ما أولاها الإسلام ، ورسول السلام ، صلوات الله وسلامه عليه ، من رفيع الذكر ، وعظيم الأجر ، وبليغ العناية . . شأنه في تربية الفضائل ، وتنمية المكارم ، ودعم خصال العفو والصفح والإحسان

(*) في باب قول الله تعالى : من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها .

ومد ظلال المروءة والفضل والرضوان ، وتهيئة حياة طيبة مباركة ، للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب .

* * *

والشفاعة الحسنة التي يأمر بها الشفيع المشفع أمته صلوات الله وسلامه عليه ، هي نفسها التي يدعو الله إليها عباده في محكم كتابه إذ يقول جل ثناؤه : « من يشفَعْ شفاعة حسنةً يكن له نصيبٌ منها » .

وأجمع ما يقال في بيانها أنها التوسط ابتغاء وجه الله تعالى في جلب نفع للناس ، أو دفع ضر عنهم ، في غير معصية لله تعالى ولا حد من حدوده بعد أن يبلغ الإمام .

فأما الوساطة في حد الله بعد بلوغ الإمام ، أو في معصية من معاصيه ، أو مع رشوة أو هدية ، فهي الشفاعة السيئة التي نهى الله ورسوله عنها ، وحمّل صاحبها كفلا منها ! لأنها تجرىء الناس على انتهاك المحارم ، واقتحام المآثم ، والتلاعب بدين الله تعالى . وقد اشتد غضب النبي ﷺ على أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، وهو حبه وابن حبه ، لما كلمه في شأن فاطمة بنت الأسود المخزومي أن يرفع عنها الحد ، وكانت قد سرقت حليا في غزوة الفتح . . فأهم قريشا شأنها ، لشرفها وخيفة الفضيحة عليها . . ثم اختاروا أسامة شفيعا لها عند رسول الله ﷺ ، وقالوا : ومن يجترىء عليه إلا حبه وابن حبه ؟ ! فلما كلمه أسامة فيها تلون وجهه ﷺ وأنكر عليه ، وقال : أتشفع في حد من حدود الله ؟ ! فقال أسامة : استغفرلي يا رسول الله . . فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب على عادته في الأمر الجلل ! فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أيها الناس ، إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ! ثم أمر بها فقطعت [1] وقد تابت رضي الله عنها فأحسنت توبتها ، وكانت تأتي أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها فترفع حاجتها إلى النبي ﷺ .

* * *

---

(١) شرح الشيخ الجزيري رحمه الله حديث المرأة المخزومية شرحا مبسوطا في الجزأين : الاول والثاني من المجلد التاسع ، بين فيه الحكمة في الحدود الشرعية ومدى الشفاعة فيها . . .

وما شرع الله الحدود إلا لكسر شوكة الظالمين ، والقضاء على الفساد والمفسدين ، لا جرم أن الشفاعة فيها عند الحاكم عون لهذا الفساد والظلم ، ولا جرم أن قبول الحاكم الشفاعة حينئذ إضعاف لهيبته ، وإهدار لسلطته ، بل لسلطان الله فى الأرض ، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

أما الشفاعة فى العقوبة التى لم تبلغ الحد ، أو فى الحد قبل أن يبلغ الحاكم ، ولا سيما الشفاعة لأرباب المروءة والحياء ، الذين لم يستمرئوا العيوب ، ولم يصروا على الذنوب ، فإنها تدخل فى ستر العورات ، وإقالة العثرات ، والإصلاح بين الناس ، وتلك من مكارم الأخلاق . وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب ؛ ولقى الزبير رضى الله عنه سارقا فشفع فيه ، فقيل له : حتى يبلغ الإمام ، فقال : إذا بلغ الإمام فلعن الله الشافع والمشفع .

وكل ما جاء عن المعصوم ﷺ من فضائل الذب عن المسلم والستر عليه والإغضاء عنه وما إلى ذلك من نجدة ومروءة ودفاع ـ فموضعه ولا ريب فى غير حدود الله إذا بلغت الإمام ، أو نائبه من الحكام . ولقد كان النبى ﷺ أشد الناس حياءً ، وأكثرهم عن العورات إغضاءً ، وما كان يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله بها .

* * *

ومن أعظم الجرائم التى تسوىء الشفاعة الحسنة وتبطل أجرها ، أن تباع وتشترى بهدية أو رشوة أو عرض من الدنيا . والشافع والمشفع كلاهما يقترفان بذلك أمراً جسيما ، إلى ما يجتلبان من حقارة ودناءة ، ويستوجبان من لعنة الله والناس فى الدنيا والآخرة .

* * *

وتنتظم الشفاعة الحسنة التحريض على الصدقات للفقراء والمساكين ، وتفريج الكربات عن المكروبين ، وقضاء الحاجات لأصحابها ولا سيما العاجزين . ومن ذلك التوسط فى الإقالة من بيع لمضطر ، والإنظار إلى ميسرة فى دين على معسر ؛ وأما التوسط فى تخفيف الدين

عن المدين ، أو إبرائه منه ، أو تأديته عنه من غير من ولا أذى ـ فذلك من كرائم الشفاعات وعظائم المروءات .

ومن ذلك التوسط فى إعانة اللاجئين ، وإجارة المستجيرين ، وينبغى لهذين الصنفين من الشفاعة حديث خاص .

* * *

ومن أعجب الشفاعات الحسنة وأروعها ، وأحبها إلى الله ورسوله ، وأرجاها فى القبول ـ شفاعة الأخ المسلم لأخيه فى الغيب ، وما نفع أخ أخاه بمثل شفاعة أو دعوة يدعو له بها فى ظهر الغيب . تلك خلة من خلال الملائكة المقربين « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . . . » .

ومن شدة فرح الملائكة بدعاء المسلم لإخوانه فى ظهر الغيب ، أنها تؤمن على دعائه ، وتدعو له بمثله . ففى صحيح مسلم أن النبى ﷺ كان يقول : « دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل » .

* * *

ومن عيون الشفاعة فى ظهر الغيب شفاعة أم سلمة رضى الله عنها لأصحاب رسول الله ﷺ فى صلح الحديبية ، فقد دخل عليها مغضباً مهموما وهو يقول : هلك المسلمون ، أمرتهم بالأمر فلم يفعلوا ! ! فقالت : يا رسول الله لا تلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ، فاخرج إليهم يا رسول الله ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدنك وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه . . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً . . وجلا الله عنهم الكرب الذى كاد يقتلهم وسلمهم منه بأم المؤمنين أم سلمة .

ولا يتنبه لهذه الشفاعة العجيبة الرائعة إلا الأخيار الأبرار ، ممن لهم فى رسول الله أسوة حسنة . . فقد ضرب صلوات الله وسلامه عليه أعلى الأمثال فى الشفاعة لأمته والدعاء لهم بظهر الغيب فى أشد أوقاته وأحرجها ، وأولاها بالتشفى والانتقام ! !

ناداه ملك الجبال فسلم عليه ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وأنا ملك الجبال ، وقد بعثنى إليك ربك لتأمرنى بأمرك ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[1] فعلت . فقال ﷺ : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له » .

ولما كسرت رباعيته وشج وجهه الشريف يوم أحد ، شق ذلك على أصحابه شقاً شديداً وقالوا له : لو دعوت عليهم ! فقال : « إنى لم أبعث لعانا ، ولكن بعثت داعياً ورحمة ، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

وقد أعطى الله كل نبى دعوة دعا بها فى الدنيا فاستجيبت ، واختبأ النبى ﷺ دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة .

* * *

ومن اللطائف التى يجدر بنا أن نقف عندها ونتأملها مليا ، ما يشير إليه بعض شراح الحديث ، من أنه صلوات الله وسلامه عليه يأمر أصحابه بالشفاعة عنده مع علمهم بأنه مستغن عنها ، لأن عنده شافعاً من نفسه ، وباعثا من كرمه ورأفته ورحمته ، فما ظنك بالشفاعة عند غيره ، ممن يحتاج إلى بعث على الخير وتحريك للهمة ؟ ! لا جرم أنه صلوات الله عليه متخلق بأخلاق ربه ، إذ يقول له وهو ساجد يوم الفزع الأكبر : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعط ، واشفع تشفع . . .

لم يكتف صلوات الله عليه وسلامه بالاحتفال بالشفاعة الحسنة والدعوة إليها وتقبلها قبولا حسنا ، دون أن يشفع هو نفسه لدى أصحابه كلما دعا داعى الإنسانية المثلى ، والمروءة الفضلى ، واستجابت لأهلها مكارم الأخلاق . وحسبنا ـ ونحن نخاف السآمة كما كان يخافها صلى الله عليه وسلم على أصحابه ـ أن نشير إشارة خاطفة إلى مثلين اثنين :

---

(١) هما جبلا مكة : أبو قبيس ، ومقابله قعيقعان . وكان ذلك فى أثناء عودته من الطائف مهموما حزينا .

بعد ليال من غزوة الطائف ، قدم عليه صلوات الله عليه وسلامه وفد هوازن [١] مستشفعين به أن يرد إليهم نساءهم وأبناءهم ، فقال لهم : « أما ما لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم » ثم شفع لهم عند أصحابه أن يردوا عليهم سبيهم ، فقبل شفاعته المهاجرون والأنصار وقالوا : ما كان لنا فهو لله ورسوله . وامتنع جماعة من الأعراب ، فقال ﷺ : « من تمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبى أصيبه » ففرحوا واستجابوا .

وأعجب من هذه شفاعته فى بريرة ، وهى أمة كانت تخدم أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وكانت عائشة تعينها على تحريرها من الرق فلما عتقت وهى تحت زوجها مغيث ، وكان عبداً لآل المغيرة من بنى مخزوم - أضحى لها الخيار ، بحكم دين الحرية والسماحة ، أن تفارقه . وقد فعلت . . فكان مغيث يطوف خلفها يبكى ودموعه تسيل على لحيته . . حتى قال ﷺ لعمه العباس : « ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثاً ! ثم قال ﷺ لها : لو راجعته ! قالت : يا رسول الله تأمرنى ؟ قال : إنما أنا أشفع . قالت : لا حاجة لى فيه ... » ونقف هنا ملياً ساكتين خاشعين ، ثم نردد قوله تعالى « لقد من الله على المؤمنين ... » .

ولم يفت المربى الأعظم ﷺ وهو يدعو أمته إلى الشفاعة الحسنة بأبلغ عبارة وأوجزها - أن ينبههم على أمرين خطيرين كثيراً ما يحول أحدهما أو كلاهما دون الشفاعة : خوفهم ألا تقبل ، واحتجاجهم بقضاء الله النافذ ، وفق مشيئته المحجبة - ليعلمهم أن من أتى الشفاعة من بابها فله أجرها كاملا غير منقوص ، وافقت قضاء الله على لسان رسوله المعصوم صلى الله عليه وسلم ، أو خالفت ، وأن الغيب لله وحده ، لا ينبغى لأحد أن يتكل عليه ، ولا أن يحتج به ... وأخيراً ليعلم الأمة والأئمة جميعاً خطر الشفاعة الحسنة وعظيم منزلتها ، حتى لا يجبن الأفراد والجماعات أن يتقدموا بها ، ولا يتعاظم الولاة والحكام أن يستمعوا إليها ، وحتى يكونوا جميعاً بنيانا قويا يشد بعضه بعضا ، وجسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالسهر والحمى ! وما أحوج الحاكم والمحكوم إلى أن يكون بعضهم لبعض ناصراً وظهيرا ؟

طه محمد الساكت

---

(١) فى شرح المواهب اللدنية عن الواقدى أنهم كانوا أربعة وعشرين بيتا قدموا مسلمين وجاءوا باسلام من وراءهم من قومهم .



١ – التعاون مع الأعداء

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته – وبعد : فما هو حكم الإسلام فى زعيم قبيلة أو كبير عشيرة مسلم ، يتعاون مع حاكم غير مسلم يكيد لوطنه وقبيلته وعشيرته ؟ ؟ وما هو واجب المسلمين من بنى وطنه وعشيرته فى معاملتهم لذلك الزعيم الذى انحرف عن جادة الحق ، وتنكر لوطنه وبنى وطنه المسلمين .

أفتونا فى ذلك ، دام فضلكم .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

المخلص
توفيق أحمد البكرى
المشرف على ركن السودان بالإذاعة المصرية

الجـواب

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد – فقد ورد إلينا كتاب يسأل فيه صاحبه عن حكم الإسلام فى رجل مسلم يتزعم طائفة من المسلمين ، فيتصل بأعداء الإسلام : يواليهم ، ويمكن لهم فى وطنه ، ويسهل لهم السيطرة والتسلط على قومه .

وإنا نبين حكم الإسلام فى ذلك مأخوذاً من القرآن الحكيم ، وسنة النبي العظيم .
والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .
قال الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان . ومن يتولهم منكم ، فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

« الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ، فإن العزة لله جميعا » .

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه، وإلى الله المصير » .

وهذه الحالة المستثناة التى يتقى فيها شر الكافر هى حالة الضرورة القاهرة ، وليست الموالاة فيها موالاة حقيقية قلبية ، وإنما هى مسالمة ظاهرية ، على حد قوله تعالى : « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » .

بهذه الآيات البينات ، نهى الله المسلمين عن موالاة الكافرين وموادتهم ، مبينا أنه لا يجتمع الإيمان بالله وموالاة أعداء الله فى قلب واحد ، وأن العزة التى تبتغى عند الكافرين هى ذلة يأباها الإسلام لابنائه المؤمنين ، وأن الأموال والمنافع التى تجرى من أيدى الكافرين إلى أيدى الذين فى قلوبهم مرض ممن يعدون فى المسلمين ، هى أوزار وأحمال ثقال تحبط الإيمان ، وتجر إلى الهوان .

والمسلم الذى يرضى لنفسه هذا الوضع الآثم - فيصافى عدو الله وعدوه ، ويتخذه وليه وحبيبه ، يبذل له المعونة ، ويمكن له من السيطرة على مواطنيه وإذلالهم - خارج عن صف المسلمين ، داخل فى زمرة الفاجرين الخاسرين ، يجب على عامة المسلمين أن يقاطعوه ، ولو كان من الآباء أو من الأبناء ، لأنه قطع الصلة التى بينه وبينهم ، ووصل نفسه بأعداء دينهم ، ولا صلة أقوى من صلة الدين ، فإذا انفصمت فقد انفصمت عروة القربى والنسب . وقد فصم الله رحم القربى بين نوح عليه السلام وابنه الذى خالفه وخرج على أمره حين قال له : يا بنى اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين - قطع الله صلته به فقال تعالى : « يا نوح إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح » .

ولما تخلف نفر من أصحاب رسول الله ﷺ عن الجهاد فى غزوة تبوك ، أمر النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه بمقاطعتهم ونبذهم إلى أن تابوا وقبل الله توبتهم ، وأنزل فى شأنهم قرآنا يتلى ليعتبر بهم غيرهم .

فإذا كان المتخلف عن ركب الجماعة ، قد حكم الشارع بنبذه ومقاطعته ، فما بالكم بمن يخرج عن صفوف المسلمين ، ويقف فى صف أعداء الدين .

ولا سيما إذا كان زعيما أو كبير عشيرة ، له تأثير على أتباعه الضعاف ، فيعمل على تقويض مجدهم ، وتفريق كلمتهم ، وتمكين العدو من ديارهم ، وتهديدهم فى عقائدهم وتقاليدهم !! لا شك أنه يكون أشد إضرارا بالمسلمين من عدوهم الظاهر الذى اتخذه أحبولة مكره وكيده وخداعه . ويجب على المسلمين مقاطعته ومكافحته ، وصده عن عدوانه بكل وسيلة ، وفى كل سبيل ، لأنه ولى أمر عشيرته فخانها ، وعمل على إضعاف شوكتها ، وفصم عرى وحدتها ، والله تعالى يقول : « يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ، وتخونوا أماناتكم ، وأنتم تعلمون » ويقول الله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

وبهذا يتبين حكم الإسلام على الزعيم المسلم الذى يتعاون مع غير المسلم ضد أبناء دينه ، وكذلك حكم الإسلام على معاونيه وأتباعه .

نسأل الله العافية للمسلمين فى الدنيا والدين . والله الهادى إلى سواء السبيل .

شيخ الجامع الأزهر

٢ ـ شهادة الزور للوصول إلى الحق

وجاء إلى لجنة الفتوى ما يلي : ـ

رفعت دعوى على شخص أطالبه بحق ، فطلبت منى المحكمة إحضار الشهود ، ولما كان لا يعلم بصحة دعواى إلا شخص واحد .

فهل يجوز لى أن أحضر شاهد زور (بحسب الظاهر) لتكميل نصاب الشهادة فى سبيل وصولى إلى الحق .

عبد المجيد حامد

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن إقامة شاهد زور لتكميل نصاب الشهادة ، حتى يصل من أقامه إلى ما يريد ، لا تجوز بحال من الأحوال ، ولا يبررها أن مقيم هذا الشاهد صاحب حق فى الواقع ونفس الأمر ، والله أعلم .

* * *

٣ ـ حمل المصحف الشريف

رجل يحمل المصحف الشريف فى جيبه ، فى غدواته وروحاته ، ولا يفارقه .

فهل إذا دخل به المرحاض حرام مع تحفظه الشديد بوضعه داخل قطعة قماش نظيفة .

سليم السباعى

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأنه لا يجوز على مذهب الحنفية أن يدخل الشخص المرحاض ومعه المصحف الشريف . ولكن نص المالكية على جواز هذا الدخول ، إذا كان حامل المصحف قد اتخذه حرزاً له ، أو خاف ضياعه لو تركه فى الخارج ، بشرط أن يكون المصحف بساتر يصونه عن وصول القذر إليه . والظاهر موافقة باقى الأئمة للمالكية فى جواز دخول بيت الخلاء بالمصحف ، إذا خيف عليه الضياع بالشرط المذكور . فهذه الصورة تكون حينئذ مستثناة عند الحنفية من إطلاق قولهم بتحريم ذلك ، والله أعلم

* * *

٤ — هل على السجين زكاة

هل على السجين زكاة ، وإذا وجبت فمن الذى يخرجها ، وفى أى مكان تخرج ؟ أرجو الإجابة .

فؤاد عبد الرحمن

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد - فتفيد اللجنة بأن السجن لا يمنع من وجوب الزكاة ، فمتى توافرت شروط وجوبها على شخص وجبت ، وعليه أن يؤديها بنفسه أو بوكيل عنه لأهل بلده ، وإذا أداها لغيرهم من الفقراء جاز ، ولكن الأفضل أن يصرفها لفقراء المكان الذى فيه المال ، ولا ينقلها منه إلا لقريب أو أحوج أو أصلح أو أنفع فى غير بلد المال .

أما صدقة الفطر فالظاهر أن الأفضل للسجين أن يصرفها لأهل بلده . والله أعلم .

٥ — صلاة الجمعة بدون خطبة

اعتماداً على استماعها فى المذياع

جرت عادتنا أن نحضر « الراديو » بالمسجد يوم الجمعة ، لسماع الخطبة التى تذاع به عادة ، ثم نصلى الجمعة بدون خطبة .

وقد أنكر علينا ذلك بعض أهل العلم ، مدعياً أنه لابد أن يخطب فينا خطيب خاص . نرجو الإفادة .

إبراهيم على إبراهيم

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن ما قاله بعض العلماء المشار إليه فى السؤال من أن صلاة الجمعة بدون خطبة فى نفس المكان الذى فيه الصلاة اعتماداً على سماع خطبة فى مكان آخر بطريق المذياع باطلة ، وتجب إعادتها ـ ما قاله هذا البعض هو الصحيح الموافق للشرع ، ويجب على من فعل ذلك ألا يعود إليه . والله أعلم .

* * *

٦ — تعدد الجمعة فى بلد واحد

رجل يصلى الجمعة خلف الإمام بمسجد صغير ، وبمجرد خروج الإمام من الصلاة يقيم جماعة لصلاة الظهر ، ويزعم أنه شافعى ، وأن الجمعة لمن سبق ، ولا بد له من صلاة الظهر بتلك الهيئة التى تفوت وتضيع على المصلين سماع الموعظة من الإمام ، وختم الصلاة والاستغفار وغير ذلك . نرجو الإفادة .

محمود مرزوق

الجـواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه إذا تعددت الجمعة فى بلد واحد وكانت الحاجة ماسة إلى هذا التعدد ، لضيق بعض مساجد البلدة عن أن يتسع لأهلها ، فإنها تكون صحيحة فى كل مساجد البلدة ، سواء السابق منها واللاحق ، ولا تجب إعادتها ظهراً حتى على مذهب الإمام الشافعى ، وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم ؟

* * *

٧ ـــ حكم التبنى

عثر أجنبى مسيحى على طفل حديث الولادة ، ومعه ورقة مكتوب بها اسم إسلامى وبعد الإجراءات المعتادة أقر هذا الرجل على نفسه أمام قنصليته أنه تبنى هذا الغلام ، ومنحه اسم عائلته ، وجرده من اسمه الأصلى ، فأصبح الغلام مسيحى الديانة . ثم مرت الأعوام وتنكر الرجل للغلام ـ فما حكم هذا التبنى ـ وهل يجوز رفع دعوى حسبة بهذا الشأن ؟

سيد بغدادى المحامى

الجـواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هـذا السؤال ، وتفيد بأن التبنى على الوجه المفهوم من السؤال ، لا يجوز فى نظر الإسلام ، ولا تثبت به بنوة الولد المتبنى لمن تبناه ، بل لا يزال هذا الولد أجنبياً منه ، ليس عليه ما يجب على الولد لأبيه من الحقوق ، وليس له على من تبناه شىء من حقوق الأبناء على الآباء . قال الله تعالى : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم

بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل، ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ، أى فهم إخوانكم فى الدين، فادعوهم إخواناً ما دام لم يعرف لهم آباء . والولد فى نظر الإسلام مسلم من حيث نشأته ، وعليه أن يتقدم إلى المحكمة الشرعية ليسجل إسلامه فى سجلاتها ، حتى لا يكون لمن تبناه سلطان عليه .

ويجب على المسيحى الذى تبناه أن يبين الحقيقة بالنسبة لهذا الولد ، ويخلى سبيله ليسجل إسلامه كما قلنا . وأما رفع قضية حسبة فى هذا الموضوع فهو أمر يرجع فيه إلى نظام القضاء الشرعى . والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

تهنئة للأستاذ الأكبر

بمناسبة اختيار فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخا للجامع الأزهر ، أرسل إلينا الأستاذ محمد طاهر حسين اللبان المدرس بمعهد دمياط قصيدة عصماء ، نقتطف منها ما يلى :

حزت العلوم قديمها وحديثها ولأنت فخـر الباحثين الأكبر
نرجو الحياة قوية وعزيزة لا نرتضى ضعفا يذل ويقهر
نرجو لأزهرنا صلاحا شاملا حتى يعود له الصباح المسفر
فاسلك بنا النهج السديد لغاية يسمو إليها سابق ومظفر

موقف الاسلام من التغيرات

التى يمر بها العالم

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

حضر إلى إدارة الأزهر لمقابلة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر، شيخ الجامع الأزهر الأساتذة : هانى المان . فرنسيس ج . جولدنج . الكونت جيرارد رنسون . الهر هانز جورج جارنز ، من جماعة التسلح الخلقى العالمية .

وطلبوا من فضيلته أن يحدثهم عن مبادىء الإسلام وموقف تعاليم الإسلام والمسلمين إزاء التغيرات التى يمر بها العالم اليوم ، وما يلاحظ من التحول عن الناحية المادية إلى الاتجاه الروحى والخلقى ، وبينوا أن فى شعوبهم اتجاها لهذه الناحية .

فحدثهم فضيلة الأستاذ الأكبر عن الإسلام حديثاً مستفيضا ، شرح به مبادىء الإسلام القويمة ، وتعاليمه السامية ، وبدأ حديثه بقوله :

« أنا شاكر لكم هذه الزيارة الكريمة ، ومسرور بها كل السرور ، لأنها تدل على أنه لا يزال فى الناس من يعنى بتأكيد الروابط بين الأمم وبين مصر وعلى الخصوص الأزهر ، كجامعة ثقافية عالمية ، تنشىء أبنـــاء المسلمين على مبادىء الإسلام السليمة والثقافة العلمية الصحيحة .

ومن ناحية واجب الأزهر ودراساته الدينية ومبلغ تأثره بالنواحى الخلقية : فالإسلام جاء بأمرين عظيمين :

الأول الأساس فيه عبادة الله وحده ، وتقديسه وحده ، وألا يعترف بكائن من كان بالاشتراك فيما يستحقه من هذا التقديس .

فالمسلم لا يعبد إلا الإلـه الواحد ، ولا يقدس إلا الإلـه الواحد ، ولا يجوز لإنسان أن يذل لإنسان آخر ، لأنه مثله فى الإنسانية ، ولا يحق لأحد أن يقدس أحداً آخر ، لا أميراً ولا ملكا ، ولا رئيساً ، فإن الله هو الخالق ، والتقديس واجب له وحده .

هـذا الأساس وهو أساس التوحيد الصحيح إلى جانبه جاءت مبادىء تنظيم علاقة الإنسان بالله الذى يستحق وحده هذه العبادة وهذا التقديس ، وإلى جانبه مبادىء أخرى لا تقبل التغيير ولا التبديل ، وهى المبادىء الخلقية : من الصدق ، ومعاونة الضعيف ، والوفاء بالوعد ، وحب العمل النافع المنتج ، والحث على النظام والتعاون والمؤاخاة ، والعمل على استتباب الأمن والسلام فى جميع أنحـاء العالم . هذه المبادىء فى مجموعها هى الأساس الثانى . والمسلم أخو المسلم فى كل البقاع ، ومصر فيها مسلمون وغير مسلمين ، والـكل أمام الإسلام فى الحق وفى الواجب سواء .

والإسلام روحه حب السلام ، والعمل على تمكين روابط المحبة والألفة والتعاون بين الناس ، وهو يرمى دائماً إلى نشر السلام فى بقاع الأرض . والإسلام لا يحب العدوان ، وفى جميع الحالات التى اضطر فيها المسلمون فى عهد رسول الإسـلام إلى أن يستخدموا القوة لم يكونوا بادئين بعدوان ، بل كانوا دائمـا يعملون على الإقناع بالحق ، وبالحجة من طريق السلام .

والمسلمون فى ذلك العهد ، وتحت زعامة الرسول ﷺ ، كانوا فى حالات استعمالهم القوة مضطرين كل الاضطرار ، وكان يكرههم الأعداء المحيطون بهم إكراها بالغ الحد على أن يستخدموا هذه القوة التى لا بد لهم من استخدامها ، ليردوا عن أنفسهم وعن وطنهم عدوان أولئك المعتدين عليهم .

والإسلام لا يأخذ الناس بادىء الأمر بالشدة والقوة ، فقد جاء فى القرآن الـكريم قـوله تعالى (لا إكراه فى الدين) (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) .

كان إكراه أعدائهم لهم فى استعمال القوة على ألوان مختلفة : مرة بحشد الجيوش والقوات لمحاربة المسلمين ، والإحاطة بهم من كل جانب ، وكان مرات كثيرة أخرى بالحيلولة بين الدعاة إلى السلام من أهل دين الإسلام وبين أن يقوموا بواجبهم الدينى فى التعليم والتثقيف ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده وعدم تقديس غيره ، والدعوة أيضاً إلى نبذ الأخلاق الفاسدة ، والعادات الذميمة ، والظلم ، وعدوان الناس بعضهم على بعض ، كانوا يحولون بين الدعاة وبين غاياتهم التى لا يقصدون من ورائها حربا ولا تسلطا ولا استعماراً ، ولـكنهم كانوا يقصدون بها إنقاذ الناس من الجاهلية ومن فوضى الأخلاق ، ومن جميع العادات والتقاليد التى لا يرضاها الدين لعباد الله .

الإسلام حينما يراد بأهله الشر والظلم والغدر والجور ، فإنه لا يجيز فى هذه الحالة الضعف والاستكانة والتزام خطة الذلة ، وإنما يأمر أهله بالدفاع القوى ، والاستماتة فى هذا الدفاع ، لا يفرق فى هذه الحالة بين معتد ومعتد . وعلى درجات هذا العدوان ، وبحسب تفاوتها يكون كفاح المسلمين وجهادهم وتعاونهم لرد ذلك العدوان .

والإسلام لا يحابى ولا يمارى . ومبادئه يجب تنفيذها على كل إنسان من أهله . ومن يرتكب مخالفة أو جريمة ، فإنه لا يعفيه من المؤاخذة قرابته لصاحب جاه أو نبى أو رسول من رسل الله ، فقد قال فى ذلك رسول الله ﷺ ما معناه : لو أن فاطمة بنته سرقت لأخذها بالعقوبة كما يأخذ غيرها ممن يرتكب هذه الجريمة .

الإسلام يأمر أهله بالعمل للدين وللدنيا معاً ، وليست تعاليمه مقصورة على أوامر الصلاة والزكاة والصيام والحج وما إلى ذلك من أنواع العبادات والطاعات ، وإنما يأمر أهله ويحثهم حثا قويا شديداً على العمل للدنيا ، لتعميرها واستثمار ما فيها من قوى ، والانتفاع بما فى الأرض من ذخائر وكنوز ومعادن ، وما إلى ذلك .

فالاقتصار على النوع الأول وهو العبادة ، يعتبره الإسلام رهبانية وهو لا يجيزها للمسلمين كنظام عام ، فإن من المبادىء المحكمة فى الدين الإسلامى ، أنه لا رهبانية فى الإسلام .

وفى النوع الثانى الذى يطلب به العمل للدنيا يحذر من التهالك على هذه الدنيا إلى درجة تضعف القيام بالواجب الأول ، فإن هذا مذموم أيضاً لأنه يسبب طغيان المادية على المعانى الروحية السامية ، التى لا بد للإنسان منها ، والتى لا يستطيع العالم أن يعيش فى سلام بدونها . وقد أخذ الإسلام فى هذه الناحية ناحية العمل الدنيوى بنظام يمكن أن يعبر عنه بأنه نظام اشتراكى ، ولكنه نظام اشتراكى انفرد به الإسلام ، فهو لا يسخر المجموع لمصلحة فرد ، ولا يفنى جهود الفرد لأجل المجموع ، وإنما يحرص على أن يكون للفرد كيانه وقوامه وحريته التى يحافظ معها على حرية غيره ، ثم هو مع ذلك يحتم عليه أن يقوم للمجموع بنصيب عظيم من جهوده . وهذا هو أساس نظام الزكاة فى الإسلام ، فإنه يفرض على أهل الثروة والغنى أن يكون لغيرهم من الفقراء والضعفاء نصيب وحق فى أموالهم ، ولكن ذلك بنسبة خفيفة لا تؤثر على الغنى فى ماله ، وهى فى الوقت نفسه تقوم بمصالح الفقير الضعيف

هذه النسبة قدرها الإسلام بجزء من أربعين جزءا ، من الثروة فى كل سنة ، فالإسلام لا يذهب مذهب المادية ، ولا مذهب الرأسمالية العنيفة ، ولا مذهب الشيوعية ، ولا مذهب الاشتراكية المتطرفة ، ولكن نظامه فى هذه النواحى هو نظام الاعتدال من غير إفراط ولا تفريط .

هذه نبذة صغيرة من تعاليم الإسلام وأخلاقه ، ومصر بوجه عام ، والأزهر بوجه خاص يرحب بكل دعوة تدعو إلى نشر الفضائل والأخلاق الجميلة التى انكمشت فى عصرنا الحاضر عند غالب الأمم ، لتأثير الناحية المادية وتغلبها وطغيانها على النفوس .

وأنا أكرر لحضرات الزائرين عظيم سرورى وارتياحى لزيارتهم . وفوق ذلك قد سرنى كل السرور أنهم من دعاة هذه الفكرة ، فكرة العمل على نشر مبادئ السلام والمحبة والأخلاق الفاضلة بين جميع الناس ، لا فرق بين أهل قطر وقطر ، وأمة وأمة ، فإن هذه الفكرة التى يقومون بالعمل فى سبيلها ، هى جملة ما يدعو إليه الإسلام وتعبير صادق عن مهمته .

وأرجو أن تتعاون الجهود فى جميع الدول على تحقيق هذه الفكرة الصالحة الرشيدة ، ونحن نستعين فى ذلك بقوة الله وعنايته .

وتأكيداً لسرورى لهذه الزيارة أحب أن أقول : إن لى كتاباً صغيرا يعالج بعض هذه الشئون من وجهة نظر الإسلام ، هو الآن تحت الطبع ، وسيتم طبعه قريباً ، وسأعمل على أن أهدى إلى حضرات الأعضاء فى مركزهم العام بجنيف نسخاً منه ، ورجائى أن يتقبلوه رمز محبة ومودة ومناصرة لهم على عملهم الجميل .



الدخيل وكتب التفسير

— ٤ —

ومن المختلق المكذوب ما ذكره بعض المفسرين فى سبب نزول قوله تعالى « وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله » الآية (١) . فقد روى عن قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بيت زيد بن حارثة فرأى زينب بنت جحش فى زينتها ، وفى رواية أن الريح كشفت عن ستر بيتها ، فرآها فى حسنها ... فرجع وهو يقول : سبحان الله العظيم ، سبحان مقلب القلوب . فلما حضر زيد أخبرته بكلام رسول الله ، فذهب إليه زيد وقال : بلغنى أنك أتيت منزلى ، فهلا دخلت يا رسول الله ، لعل زينب أعجبتك فأفارقها ، فقال له رسول الله : أمسك عليك زوجك واتق الله ، فنزلت الآية .

وقد ذكر هذا السبب الجلال المحلى وفسر الآية على ذلك ، وذكر مثله الزمخشرى والنسفى وابن جرير والثعلبى وغيرهم ، إلا أن ابن جرير ذكر بجانب هذا الباطل رواية أخرى تتفق هى والواقع والحق ، وذكر مثل هذه الروايات ـ التى ليس لها شاهد من نقل صحيح ولا عقل ـ غفلة شديدة ، وإن كان من أبرز السند تبعته أخف . وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم متهم بالكذب والتحديث بالغرائب ورواية الموضوعات ، ولم يذكر هذا إلا المفسرون والأخباريون المولعون بنقل كل ما وقع تحت أيديهم من غث أو سمين ، ولم يوجد شىء من هذا الباطل فى كتب الحديث ودواوينه المعتمدة ، والذى جاء فى الصحيح يخالف هذا : روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن هذه الآية « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » نزلت فى شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة . واقتصر على هذا القدر ، ولم يذكر شيئا من هذا الخلط . وقال الحافظ بن حجر فى الفتح (٢) بعد ما ذكر رواية قتادة : « ووردت

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٣٧ (٢) فتح البارى ج ٨ ص ٤٢٥ .

آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم وابن جرير الطبري ، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها . وما أوردته هو المعتمد ، وهي شهادة لها قيمتها من الحافظ ابن حجر ، وهو من المتشددين في الحكم بالوضع أو بعدم الثبوت . والذي أورده هو ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق السدي في هذه القصة فساقها سياقا واضحا حسنا ولفظه « بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش ، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وكان رسول الله أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك ، ثم رضيت بما صنع رسول الله فزوجها إياه ، ثم أعلم الله عز وجل نبيه بعد ، أنها من أزواجه ، فكان يستحي أن يأمر زيداً بطلاقها ، وكان بين زيد وزينب ما يكون بين الناس ، فأمره رسول الله أن يمسك عليه زوجه وأن يتق الله ، وكان يخشى أن يعيب عليه الناس ويقولوا تزوج امرأة ابنه ، وكان قد تبنى زيدا » وهذا هو السبب الصحيح المعتمد وما ينبغي أن تفسر به الآية .

وروى ابن أبي حاتم أيضاً والطبري عن علي بن الحسين بن علي قال « أعلم الله نبيه أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد يشكوها وقال له : اتق الله وأمسك عليك زوجك . قال الله : قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه .

وزواج النبي ﷺ بزينب ، إنما كان لحكمة عالية وتشريع حكيم . ذلك أن العرب كان من عادتها التبني ، وكانت تلحق الابن المتبنى بالعصبي في الميراث ، وحرمة زوجته على من تبناه ، كما كان كبيراً عندهم أن تتزوج بنات الأشراف من موال ، وإن عتقوا وصاروا أحراراً . فلما جاء الإسلام كان من مقاصده أن يزيل الفوارق بين الناس التي تقوم على العصبية وحمية الجاهلية ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، وأن يقضي على حرمة زوجة الابن المتبنى . وقد شاء الله أن يكون أول عتيق يتزوج بشريفة في الصميم من قريش هو زيد ابن حارثة ، وأن يكون أول من يبطل عادة حرمة زوجة الابن المتبنى هو رسول الله ، وقد كان ما أراد الله ، فرسول الله يخطب زينب لزيد فتأبى ويأبى بعض أهلها ، فينزل الله « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » فتذعن زينب ويتزوج بها زيد . ولكنه وجد منها تعاظما فيرغب في فراقها ويستشير رسول الله فينصحه بإمساكها ، وكان جبريل عليه السلام أخبر رسول الله بأن زينب ستكون

زوجا له ، وسيبطل الله بزواجه بها هذه العادة . ولكن النبي ﷺ وجد غضاضة على نفسه أن يأمر زيداً بطلاقها ثم يتزوجها بعد ، فتشيع المقالة بين الناس من أعدائه ، وهو في دعوته إلى دين الله أحوج إلى التأييد والسلامة من إرجاف المرجفين . فهذا المقدار من خشية الناس ، حتى أخفى ما أخبره الله به ـ وهو نكاحها الذى أظهره الله فيما بعد ـ هو ما عاتبه الله عليه ، وقد صرح الله سبحانه بالسبب الباعث على هذا الزواج فقال : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا » ، فهذا هو التفسير الذى يوافق نص الآية والروايات الصحيحة المعتمدة .

وقد نسج المستشرقون والمبشرون من تلك الروايات المختلقة ثوبا من الكذب والخيال ، وصوروا السيدة زينب وقد رآها النبى الطاهر ، كما يصور الرجل الخيالى إحدى غادات المسرح ، وأطنبوا فى ذلك ما شاء لهم خيالهم أن يطنبوا ، وظنوا بذلك أنهم نالوا من الإسلام ونبيه . وهم فى ذلك واهمون ، فقد طعنوا فى غير مطعن ، وبنوا على غير أساس ، فما اعتمدوا عليه من الروايات أوهى من بيت العنكبوت ، وما هى إلا دسيسة دسها أسلافهم من أعداء الدين فى غابر الأزمان .

وثمة حجة دامغة تذهب بالقصة المختلقة من أساسها ، فالسيدة زينب هى بنت عمته ، وقد ربيت على عينه ، وله بحكم صلة القرابة معرفة بها وبجمالها ، ولا سيما والنساء كن يبدين من محاسنهن فى الجاهلية ما حرم الإسلام منه بعد ، وهو الذى خطبها على زيد مولاه وكرر الطلب حتى استجابت له ، فغير معقول ـ والحال كما ذكرت ـ أن لا يكون شاهدها . فلو صح ما يزعمون ، فأى شيء كان يمنع النبى عليه الصلاة والسلام من زواجها ، وإشارة منه كانت كافية لأن يقدمها أهلها له وما ملكت عن رغبة ورضى ، ومن بعد ذلك فحياة رسول الله من صباه إلى كهولته ترد هذه الفرية .

ما عرفت الدنيا أطهر ذيلا منه ولا أعف ، ولا لمست يده قط امرأة لا تحل له . ولو كان رسول الله صاحب هوى أو صبوة لأشبع رغبته وهى فى ميعة الشباب أيام أن كان الغيد الكواعب من بنات الأشراف تشرئب أعناقهن إلى أن يكن حليلات له ، ولكنه قضى شبابه مع سيدة تناهز الأربعين عاما ورضيها زوجا له حتى توفاها الله ، ومهما قيل فى جمال السيدة خديجة فهنالك غيرها من الأبكار الشابات كن يفقنها فى الجمال ، وللأبكار ما لهن من جاذبية وروعة ، ومن جادل فى ذلك فقد خالف سنة الله فى الفطرة .

ولم يكن زواج رسول الله بزوجاته إلا لحكم ومقاصد سامية : فزواجه بالسيدتين عائشة وحفصة توكيد للعلاقة بينه وبين وزيريه ، وزواجه بالسيدتين سودة وزينب بنت خزيمة تكريم لهما وللعقيدة فى شخص زوجيهما ، وزواجه بالسيدة أم سلمة جبر لكسرها وتعويض لها عن فقد عائلها ، وقد كان من خيار المسلمين ، وزواجه بالسيدة زينب بنت جحش لإبطال هذه العادة الجاهلية كما صدع القرآن . ويطول بى القول لو استقصيت الحكم فى زواجه ﷺ ، فلذلك مقام آخر .

والعجيب من هؤلاء الطاعنين إذا وقعوا على ما يشفى غليلهم من باطل الروايات ، تمادوا فى قلب الحقائق ، وأنكروا عقولهم ، وتجاهلوا الظروف والملابسات ، والبيئة وأحكامها ، وسنن الله الفطرية فى الكائنات ، بينما يطيشون فى الحكم على روايات فى غاية الصحة بأنها موضوعة ولا حامل لهم فى الحالين إلا الهوى والتعصب والحقد الدفين للإسلام ونبيه .

* * *

ومن الموضوع ما يذكره غالب المفسرين فى سبب نزول قوله تعالى فى سورة الإنسان « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا » ، فقد روى عن ابن عباس أن الحسن والحسين مرضا فعادهما جدهما رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فقالوا لعلى كرم الله وجهه : لو نذرت على ولديك ، فنذر على والسيدة فاطمة وجارية لهما إن شفيا أن يصوموا ثلاثة أيام شكراً لله ، فألبس الله الغلامين ثوب العافية ، فاستقرض سيدنا على ثلاثة آصع لجاء بها ، فقامت السيدة فاطمة إلى صاع فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص على عددهم ، فوقف بالباب سائل فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، أنا مسكين أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة . فآثروه وباتوا لم يذوقوا شيئاً . وفى اليوم الثانى جاء يتيم فأعطوه الأقراص الخمسة أيضا . وفى اليوم الثالث جاء أسير ففعل مثل الأولين فآثروه . وقد اشتمل الخبر على شعر ركيك[1] .

فهبط جبريل على النبى ﷺ وقال : خذها يا محمد ، هنأك الله فى أهل بيتك . وأقرأه « هل أتى على الإنسان » السورة . ويكاد لم يسلم تفسير من ذكر هذا الخبر - وقد ذكره الحافظ السيوطى فى الدر المنثور مع أنه وافق على وضعه فى اللآلىء . وقد نبه على أن هذا

---

(١) انظر تفسير القرطبى جزء ١٩ ص ١٢٩ وما بعدها لترى هذا الشعر الذى يكاد ينطق بالاختلاق .

السبب مختلق الحكيم الترمذى وابن الجوزى والحافظ ابن حجر فى التخريج وقال : « آثار الوضع لائحة عليه لفظا ومعنى . فبناء سيدنا على بالسيدة فاطمة كان بالمدينة فى السنة الثانية ، مع أن السورة مكية كما روى عن ابن عباس والجمهور » فليس من المعقول أن يكون هذا هو السبب .

ومن العجيب أن الإمام الألوسى قد حاول التكلف لإثبات هذا السبب بأن السورة مختلف فى مكيتها ومدنيتها وبأن ابن الجوزى متساهل فى الحكم بالوضع ، وقد سمعت آنفا أن ابن الجوزى لم ينفرد بذلك بل قد وافقه على الحكم بالوضع أئمة كبار ، وأن ابن عباس الذى روى عنه هذا السبب المكذوب ممن يقول بأن السورة مكية ، فكيف يعقل هذا الخلط من حبر القرآن ؟ !! الحق أن هذه الرواية أثر من آثار التعصب الطائفى لسيدنا على وآل بيته ، ونحن لا ننكر فضل على وآله ، ولكن فى الأحاديث الصحيحة الثابتة غنية عن هذا المختلق المصنوع .

* * *

ومن ذلك ما يذكره بعض المفسرين فى سبب نزول قوله تعالى « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » السورة . قال السيوطى فى الدر المنثور : أخرج الترمذى وضعفه ، وابن جرير والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل ، عن يوسف بن مازن الرؤاسى قال : قام رجل إلى الحسن ابن على بعد ما بايع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين . فقال له : لا تؤنبنى رحمك الله فإن النبى ﷺ رأى ابن أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت « إنا أعطيناك الكوثر » ونزلت « إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر » يملكها بعدك بنو أمية يا محمد . وقد قال فى هذا السبب ابن كثير : « إنه منكر جداً » ، وحكم ببطلانه أيضاً ابن جرير فى تفسيره حيث قال بعد ما ذكر هذا الحديث فى جملة أقوال ذكرها « وأشبه الأقوال بظاهر التنزيل من قال : عمل فى ليلة القدر خير من عمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر . وأما الأقوال الأخر فمعان باطلة لا دلالة عليها من خبر ولا عقل ، ولا هى موجودة فى التنزيل »[1] .

---

(١) تفسير الطبرى جزء ٣٠ ص ١٦٧ .

وهذا الحديث المزعوم معناه غير صحيح ، فإن السيد معاوية رضى الله عنه استقل بالملك سنة أربعين ، واستمر ملكهم إلى سنة ١٣٢ لم يخرج عن ملكهم إلا الحرمان والأهواز مدة ابن الزبير وهى تسع سنين . وخروج بعض الجهات عن ملكهم فى هذه الفترة لا يكون مبرراً لإنقاصها فمدتهم إذن اثنان وتسعون عاما وهى أكثر من الألف . ولو سلمنا إنقاص مدة ابن الزبير فالباقى لا يوافق الألف وإن كانت تقرب منها ، فعلى أى حال حملناه فمعناه غير صحيح ، مع أن لوائح الوضع ظاهرة عليه ، والترمذى قال فيه « حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم وهو ثقة وشيخه مجهول » وهل البلاء يأتى غالباً إلا من المجاهيل ؟

ومما يوهن هذه الرواية ويدل على اختلاقها أنها سيقت لذم دولة بنى أمية ، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق ، فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم ، لا يدل على ذم دولتهم ، وأيضاً فإن ليلة القدر شريفة ، والسورة الكريمة نزلت لبيان شرفها ، فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بنى أمية وهى مذمومة بمقتضى هذا الحديث المزعوم ، فالحديث لا يعطى ما أراده الواضع من ذم أيامهم ، كما يعارض ما دلت عليه السورة من شرف هذه الليلة مما لا ينبغى أن يختلف فيه اثنان ، وقديما قيل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره   إذا قيل إن السيف أمضى من العصى

ثم إن السورة ، مكية والمنبر إنما صنع بالمدينة اتفاقا ، فكيف يعقل أن يكون هذا سبب النزول ؟! الحق أن هذا اختلاق ، والتكلف لإثبات مثل هذا ليس من الدين فى شىء ولا يتفق وقواعد البحث العلمى النزيه ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

اللبانات

قال ابن حطان :

يأسف المرء على ما فاته   من لبانات إذا لم يقضها
وتراه ضاحكا مستبشراً   بالتى أمضى كأن لم يمضها
إنها عندى كأحلام الكرى   لقريب بعضها من بعضها

محنة الأدب وما هو السبب ؟

لا شك أن الأدب فى محنة ، ولا شك أن الأدباء كذلك فى محنة . ونعنى بالأدب ذلك الإنتاج الفنى الرصين الذى يعبر عن خوالج النفوس ، ولوعات القلوب ، وغرائب الحوادث ، ومبتدعات الفن والحضارة ، فى ثوب أنيق ، وأسلوب رشيق ، وتشبيه دقيق ، واستعارة رائعة ، وخيال مقبول ، ولا نعنى به ذلك الإنتاج المبتذل الرخيص المهلهل النسج ، الذى رصفت عباراته فى غير انسجام ، كما يرصف العطار الساذج بضاعته فى غير ترتيب ولا نظام ، فيضع الخل بجانب العسل ، والسمسم بجانب الخردل ، والسكر بجانب الحنظل ، وما إلى ذلك مما يدل على انعدام ملكة الذوق وفضيلة الانسجام .

ونعنى بالأدباء أولئك الذين يدركون ما فى ذلك الأدب من جمال ، ويتذوقون ما فيه من فوق وإبداع ، ويطالعونك به فى كتب فنية ، أو رسائل إنشائية ، أو دواوين شعرية .

أما الأدب أو كتب الأدب التى تطالعك بها المطابع فى كل شهر ، ويحملها إليك باعة الصحف فليست من موضوع حديثنا ، وليس من موضوعه كذلك مؤلفوها الذين يظنون أنهم ينتظمون بذلك الإنتاج السوقى فى سلك الأدباء .

وتتمثل محنة الأدب فى ندرة ما يظهر فيه من كتب . ونستطيع أن نلمس ذلك فى يسر خصوصاً فى الربع الثانى من هذا القرن . وإنه ليعييك أن تعد من هذه الكتب ما يبلغ أصابع اليد ؛ وكم من الكتب فى منثور الأدب تستطيع أن تذكره بعد كتب المنفلوطى ؟ وكم من دواوين الشعر تستطيع أن تذكره بعد ديوانى شوقى وحافظ ؟

وتتمثل محنة الأدباء فى انصراف القراء عن قراءة الأدب ، وعدم تشجيعهم الأدباء بالإسهام فى اقتناء كتبهم ، والتنويه بمجهوداتهم .

وقد كثر الحديث عن محنة الأدب والأدباء ، ومحاولة تعرف الأسباب فى تلك المحنة ، وذهب المتحدثون فى ذلك مذاهب مختلفة ، فحاول بعضهم أن يلقى مسئوليتها على القراء ، وحاول بعضهم أن يلقيها على الأدباء ، وقد يكون من أسباب ذلك اشتغال القراء عن

الأدب ، لشئونهم الخاصة وشئونهم العامة التى تتصل بمعاشهم ، مما لا يدع فرصة للإقبال على الأدب والتوفر على قراءته . والأدب عند أكثرهم ترف ثقافى يلوذون به عند فراغ البال ، واستقرار الحال ، وصفاء الخاطر ، وهيهات أن يتوافر ذلك وقد ثقلت على الناس أعباء الحياة ، وهموم العيش .

وقد يكون من أسبابه ارتفاع أسعار الكتب ارتفاعا يصعب احتماله على جمهرة القارئين .

ولكن السبب الحقيقى فيما نظن وراء ذلك ، وهو مزاحمة المتأدبين للأدباء ، ومحاولتهم أن يخلطوا إنتاجهم الغث الرخيص بالثمين الغالى من إنتاج هؤلاء ، معتمدين فى ذلك على الدعاية بوسائل لا تليق بالأدب ولا الأدباء ، وتظاهرهم على أهدافهم فوضى الألقاب الأدبية ، فهذا الأخطل ، وذاك حسان ، وثالث متنبى الزمان ، إلى نحو ذلك من اغتصاب الموتى ألقابهم وأسلابهم ، دون وازع من حياء ، أو زاجر من ضمير .

لقد طغى المتأدبون على الأدباء ، وزاحمت كتبهم ودواوينهم كتب ودواوين هؤلاء ، وقد يظهر فى عالم التأليف مؤلف لبعض المتأدبين لم تعرف منزلته الأدبية ، وتقبل على شرائه وقراءته مخدوعاً بالإعلان عن الكتاب وعن ألقاب صاحبه ، فإذا قرأته وقعت منه على ساقط من القول ، ومرذول من الكلام ، وراعك منه تهافت الأسلوب ، واضطراب الخيال ، وخروج بالشعر والنثر عن جادة الأدب وعما تذوقته منه فى كتب الأدب الرفيع ، ويكون من نتيجة ذلك أن تكره الأدب وتبغض الأدباء ، وتأخذ البرىء بجريرة المذنب ، وتنصرف نفسك عن كل ما يظهر من كتب ، ويسوء ظنك بالأدب والأدباء ، وتركد همتك عن الاستزادة من الثقافة الأدبية الجديدة مهما كان مصدرها .

ولست أقول ذلك جزافا أو تجنيا على المتأدبين ، ولعلى أعبر عما يشعر به كثير من القراء ويحسون بغضاضته ، ويأسفون على ما وصلت إليه حالة الأدب والأدباء الآن .

وها هى ذى المؤلفات الأدبية وهى كثيرة وكثيرة ، فكم منها ما يستحق أن ينظم فى كتب الأدب ؟ وكم منها ما هو جدير بالخلود كما خلدت كتب الأدب الراقى ؟ . وهل لنا أن نستفتى عشرة من أدبائنا المعروفين فى الكتب التى ظهرت مثلا فى عشر السنين الأخيرة

ازى كم منها ما يظفر بإجماع هؤلاء على تقديره ؟ وما لنا نستفتى وقد أفتى مجمع اللغة فى مسابقة قدمت فيها مئات الكتب فلم يظفر بتقدير المجمع منها إلا كتابان فيما نظن .

إنه بين أيدينا دواوين حديثة لشعراء تردد الصحف والمحافل أسماءهم، ويزهى أصحابها بألقابهم، ويدعون بالمجددين، لأنهم كثيراً ما أنكروا على المتقدمين من الشعراء مناهجهم فى الشعر، وشكوا غموض معانيهم، وبعد تشبيهاتهم، وتعقيد أساليبهم، وجدب خيالهم، وإغراقهم فى المقابلة والجناس والطباق، وما إلى ذلك من أنواع البديع، ونعوا عليهم تطفلهم فى معانيهم وأغراضهم، وانعدام الروح الشعرية فى شعرهم، حتى فقد تأثيره فى نفوس السامعين، وليس له من سمات الشعر إلا النظم فحسب .

لو شئنا لعرضنا على القارئ مقتطفات من أى ديوان شاء، وفى أى غرض من الأغراض، لينظر كم ترك هؤلاء المجددون مما أنكروه على الشعراء المتقدمين ؟ وما هو الجديد من الأخيلة والتشبيهات، وما هو المحاكى به، وحاشاى أن قول : المسروق أو المستعار !! إننا لو قلنا لكل تشبيه أو تخييل : عد إلى مكانك من شعر السابقين، لأضحت صفحات من تلك الدواوين بيضاء لا تسر الناظرين .

ولولا أن تضيق صفحات مجلة الأزهر بما يضيق به صدرى، لانطلق قلمى بعرض الشواهد على ما أقول، وإنها لكثيرة وكثيرة م؟

أبو الوفا المراغى

المـــروءة

رفع رجل إلى أمير المؤمنين فى ذنب اقترفه، فأراد معاقبته، فأخبر أن له مروءة فقال : « استوهبوه من صاحبه » .

اتّفاق الخواطر في الشّعر
عرض وموازنة

من آيات عظمة الشاعر، وعلامات قدرته الفنية، إعجاب الشعراء به، وتتبعهم لمعانيه. وتقبلهم لأساليبه، واستعارتهم أفكاره، وإلمامهم بأخيلته، وكلما كان الشاعر أكثر تأثيراً فى نفوس الشعراء وإيحاء لهم، كان ذلك أدل على حظه من القوة، ونصيبه من التوفيق والبراعة. فإن الأرض لا تمرع، والروض لا يزهر، إلا حين تستمد الحياة من الغيث المنسجم، والسحاب الهامى.

وكذلك كان الشاعر العباسى الحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس. فتح للشعراء مغاليق القول، وفتق لهم عن جيد المعانى وبارع الأفكار، حتى قيل فيه: كأن المعانى حبست عليه فأخذ منها حاجته وفرق الباقى على الناس [١].

وقال أبو حاتم: كانت المعانى مدفونة حتى أثارها أبو نواس فاستخرجها [٢]. ولقد أقبل الشعراء بعده على آثاره، فأخذوا منها، وانتفعوا بها، واستلهموها كثيراً من معانيهم وأفكارهم، حتى كان أبو تمام يستعمل معانيه فى شعره وفى خطابه وكان يسميه الأستاذ والحاذق.

وفى وفيات الأعيان [٣] قال على الرازى: رأيت أبا تمام الطائى عند ابن أبى دواد، ومعه رجل ينشد عنه قصيدة منها:

لقد أنست مساوىءَ كلِّ دهرٍ — محاسنُ أحمدَ بنِ أبى دواد
وما سافرت فى الآفاق إلا — ومن جدواك راحلتى وزادى

فقال له ابن أبى دواد: هذا المعنى تفردت به أو أخذته؟ فقال: هو لى، وقد ألممت فيه بقول أبى نواس:

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحة — لغيرك إنساناً فأنت الذى نعنى

فمعنى أبى نواس هو الذى ألهمه وأوحى إليه بمعناه.

---

(١) ص ٦٢ ابن منظور. (٢) ص ٦٤ ابن منظور. (٣) ج ١ ص ٢٤.

وهكذا كان كثير من الشعراء يأخذون من أبى نواس ويقلدون أشعارهم درر معانيه . وسنعرض هنا بعضاً مما أخذوه ، ليكون أبين شاهد على تأثر الشعراء به ، وتتبعهم لمعانيه .

قال الحسن بن هانىء :

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحة لغيرك إنساناً فأنت الذى نعنى

أخذ المتنبي هذا المعنى فقال :

وظنونى مدحتهم قديماً وأنت بما مدحتهم مرادى

ولكن بيت المتنبي يحمل فى طابعه وسمته التنكر لممدوحيه القدماء والتمرد عليهم . فهو يستجهلهم ويخطىء ظنهم حين فهموا أنه مدحهم . ولكن أبا نواس كان أكرم من ذلك ، إذ يقول لممدوحه : أنت المقصود ، والمعنى بالمديح ، وهؤلاء صنائعك ومواليك ، فإذا مدحناهم فإنما نمدحك ، لأنك أنت أحسنت اختيارهم ، ووفقت فى اصطفائهم لأمور الدولة وتصريف شئونها .

وقال الحسن :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

أخذه البحترى فقال :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت من المجد حتى عد ألف بواحد

وأخذه أبو هلال العسكرى فقال :

فمن رآك رأى الدنيا وما جمعت والناس كلهم فى شخص إنسان

وأخذه المتنبي فقال :

لما وزنت بك الدنيا فملت بها وبالورى قل عندى كثرة العدد

وقال أيضاً :

هدية ما رأيت مهديها إلا رأيت العباد فى رجل

وما يزال بيت أبى نواس متفردا بعمومه وشموله ، وإطلاق معناه ، وحسن إصابته للغرض .

وقال أبو نواس فى مدح الرشيد :

ملك تصور فى القلوب مثاله فكأنما لم يخل منه مكان

أخذه المتنبى فقال :

صدق المخبر عنك دونك وصفه من بالعراق يراك فى طرسوسا

وقد قصر المتنبى لأنه اقتصر على من بالعراق ، وعم أبو نواس القلوب والأماكن وبين الأسلوبين بون بعيد فى الصحة والجزالة .

وقال الحسن :

فكل شىء رآه ظنه قدحا وكل شخص رآه ظنه الساقى

أخذه المتنبى فقال :

وضاقت الأرض حتى كاد هاربهم إذا رأى غير شىء ظنه رجلا

فهو قد بالغ فى معناه حتى أحال وأفسد المعنى .

وقال أبو نواس :

وكلت بالدهر عينا غير نائمة بجود كفك تأسو كل ما جرحا

وكان النقاد فى عصره يعدونه أمدح بيت للمحدثين [1] أخذه المتنبى وزاد فيه حسن التشبيه فقال :

تتبع آثار الرزايا بجوده تتبع آثار الأسنة بالفتل

وقال الحسن :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعا همه من صدره برحيل

أخذه المتنبى فنقله إلى معنى آخر ، فقال :

وما هى إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت فى قلبه رحل العقل

ولقد كان المتنبى معجبا بأبى نواس ، مفتونا بمعانيه ، كثير الإلمام بها ، حتى يروى أنه

---

(١) ص ١٧٠ الصبح المنبى عن حيثية المتنبى .

تمارى مع على بن خالويه فى أيهما أشعر : أبو نواس ، أم أشجع السلمى ؟ فقال ابن خالويه أشجع إذ قال فى مدح الرشيد :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبه رعته وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام

فقال المتنبى : لأبى نواس ما هو أحسن فى بنى برمك وهو قوله :

لم يظلم الدهر إذ توالت فيهم مصيباته دراكا
كانوا يجيرون من يعادى منه فعاداهم لذاكا (١)

على أن قول أشجع مأخوذ من قول بعضهم لعبد الملك وقد قال له : إنى أجيرك من الحجاج . فقال له : يا أمير المؤمنين هبك أجرتنى منه فى اليقظة ، فمن يجيرنى منه فى النوم ؟

وقال أبو نواس :

لا تسدين إلى عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا
أنت امرؤ جللتنى نعما أوهت قوى شكرى فقد ضعفا

أخذه أبو تمام فقال :

كم من يد لك لولا ما أخففها به من الشكر لم تحمل ولم تطق
بالله ادفع عنى ثقل فادحها فإننى خائف منها على عنقى

والمعنيان مختلفان لأن أبا نواس ذكر أن نعم الممدوح قد غلبت الشكر ، فاستعفاه من نعمة أخرى حتى يقوم بشكر نعمته السالفة ، وأبو تمام قال : لولا ما أخففها به من الشكر لم أطق حملها . ثم أحسن وألطف فى قوله : فإننى خائف منها على عنقى . ومعنى أبى نواس أجود وأحسن سبكا وأقوى عبارة .

وقال أبو نواس :

ترى ضوءها من ظاهر الكأس ظاهرا عليك ولو غطيته بغطاء

---

(١) ص ٤٤ الصبح المنبى .

أخذه أبو تمام فقال :

فعجبت من شمس إذا حجبت بدت   من نورها فكأنها لم تحجب

والأصل من قول قيس بن الخطيم :

وقضى الله حين صورها الـ   خالق ألا يكنها سدف

وقال أبو نواس :

تبكى البـدور اضحكه   والسيف يضحك إن عبس [1]

أخذه أبو تمام وقصر عنه حين قال :

كل يوم له وكل أوان   خلق ضاحك ومال كئيب

وقال أبو نواس :

أبن لى كيف صرت إلى حريمى   وجنح الليل مكتحل بقار

أخذه أبو تمام فقال :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه   قد اكتحلت منه البلاد بإثمد

قال أبو هلال العسكرى [2] :

« وقول أبى تمام أجود ، لأن الاكتحال بالإثمد لا بالقار »

على أن العسكرى قد غفل أو تغافل عن الفرق بين المعنيين ، فهما فى نظرى مختلفان فى المنزع متباينان فى الهدف . إذ عند أبى نواس جنح لليل مكتحل بالقار , وأول ما يبده الإنسان هنا ويخطر بباله هو تشبيه المكتحل به بالقار لا جعل القار نفسه مكتحلا به . وعند أبى تمام جنح الليل قد أفاض على البلاد ظلاما ، وألبسها سوادا ، فكأنها قد أخذت منه إثمدا اكتحلت به . فالمنزعان مختلفان إذ الأول بيان لمبلغ سواد الليل ، والثانى لما أصاب البلاد من سواده .

---

(١) البدور هنا جمع بدرة .

(٢) حـ ١ صـ ٣٢٣ ديوان المعانى .

فأساس المفاضلة والتمايز على ما رآه العسكرى منقوض ، ويبقى لبيت أبى نواس روعته وشدة تأثيره ، وما يحمله من غرابة ودهشة إذ يقول « أين لى كيف صرت إلى حريمى » .

وقال أبو نواس :

حتى الذى فى الرحم لم يك صورة لفؤاده من خوفه خفقان

فقال أبو تمام :

لو أصخنا من بعده لسمعنا لقلوب الأيام منك وجيبا

ومع ما فى المعنيين من إحالة وبعد ، فإن المعنى الأول أقرب إلى الفهم والإساغة .

وقال أبو نواس :

طوى الموت ما بينى وبين محمد وليس لما تطوى المنية ناشر

أخذه أبو تمام فقال :

أمن بعد طى الحادثات محمداً يكون لأثواب العلى أبداً نشر

وقال أبو نواس :

ما يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود إليها القلب مشتاقا

أخذه ابن الرومى فقال :

أعانقها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تدان

هذا والمعانى التى اختلسها الشعراء من هذا الشاعر كثيرة ، والشعراء الذين تتلمذوا له وانتفعوا به عديدون . وما نحاول هنا الاستقصاء أو التمادى فى الموازنة والترجيح ، فذلك أمر يطول الكلام عنه ويتسع الحديث فيه . وإنما نبهنا على الكثير بالقليل وفى اللمحة ما يغنى عن الإسهاب والتطويل ؟

عبد الحميد محمود المسلوت
المدرس فى كلية اللغة العربية

من أعماق الماضي

وقفت على أبواب الماضي أرقب مواكبه الشامخة في جلالها، وصوره الساحرة في جمالها وأعنو في خشوع للتاريخ الذي عشيت من تألق أضوائه عيون الوجود، وقرأته الدنيا فطالعها في آياته قبس من آيات الخلود. ثم انتزعت خيالي الذي فتن بجمال الغابر، ودرت بعيني لمحة بين جوانب الحاضر، فما أحسست غير الحسرة تسري بي رجفتها، والخيبة تذري بي عصفتها، فطويت نفسي على نفسي، ودفنت بين كفيّ رأسي، لأعيش مع الماضي بروحي، ونزحت إلى أغواره السحيقة، فإذا النفوس وكأنها محاريب خشع بين يديها الزمن، وعبأت لها الدنيا شرور أسلحتها، وألوان فتنتها لتهدمها، أو تحطمها، فتحطمت في يد الدنيا أسلحتها، وعجزت عن الإغراء فتنتها، وبقيت هذه النفوس سامية سمو السماء، لأنها من صنع السماء.

هي نفوس سمت على زمنها وإن كانت تعيش فيه، فكأنما اختارها الله للدنيا على فترات ليرى فيها الوجود بريقا من حياة سيد الوجود، حياة الاعتزاز بالله وحده، والخضوع لله وحده، حياة العلو عن الأرض، والسمو عن المادة التي لا تعيش إلا في باطن الأرض، العلو في غير كبرياء، والسمو في غير خيلاء.

ذلك جانب مضيء من جوانب الرسول عليه السلام، وهي كثيرة بهرت الزمن، ومشت في تاريخ الوجود أشعة من تلك الحياة، تتلمس روحا فيها صفاء أرواح النبيين أو بعض صفائها، حتى إذا قيض الله لتلك الأشعة تلك الروح، لمحت فيها فاستضاءت وأضاءت بعض من في زمنها.

وليست نفس الأوزاعي الذي عاصر المنصور العباسي سوى نفس من تلك النفوس التي قيضها الله لزمنها، فنظرت إلى المنصور نظرة ليست هي النظرة إلى الخليفة المتوج الذي دان له ذلك الواسع ومن فيه إلا نفس الأوزاعي، ومن على شاكلة الأوزاعي.

ولكنها نظرة النفس السامية التي تصيح في المنصور :

« مهلا فإن مثلك لا ينبغى أن ينام ، إنما جعلت الأنبياء رعاة لعلمهم بالرعية : يجبرون الكسير ، ويسمنون الهزيلة ، ويردون الضالة ، فكيف من يسفك دماء المسلمين ، ويأخذ أموالهم !

أعيذك بالله أن تقول : إن قرابتك من رسول الله ﷺ تدعوك إلى الجنة ، إن رسول الله كانت فى يده جريدة يستاك بها فضرب قرن أعرابى ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله تبارك وتعالى لم يبعثك جبارا مؤيسا مقنطا تكسر قرون أمتك ، ألق الجريدة من يدك . فدعا الأعرابى إلى القصاص من نفسه . فكيف بمن يسفك دماء المسلمين ؟

واعلم أن ثوبا من ثياب أهل النار لو علق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من نتن ريحه ، فكيف بمن تقمصه ! ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبال الدنيا لذابت كما يذوب الرصاص حتى تنتهى إلى الأرض السابعة ، فكيف بمن تقلدها » .

أى نفس تلك التى ضمتها جوانح الأوزاعى حين أرسل تلك الكلمات النارية على الخليفة المنصور فأذابت نفسه وصهرت روحه ، إنها النفس التى لا يرهبها سلطان ، ولا يخيفها صولجان ، ولا يرعبها وعيد ، ولا يفزعها حديد .

وما أعظم أختها نفس سفيان الثورى الذى عاصر الرشيد ، حين كتب إليه هرون الرشيد يدعوه لزيارته ، ويذكر له وفود العلماء وغيرهم لتهنئته بالخلافة ، وعودتهم إلى منازلهم بالجوائز السنية .

وكان قد بعث الرشيد بذلك الكتاب مع رسوله إلى سفيان الثورى فى مسجد الكوفة ، فلما بلغ الكتاب قال سفيان : اقرأوه علىّ . فما كاد ينتهى من سماعه حتى ثارت نفسه المؤمنة العزيزة وقال : اكتبوا على ظهره . (وكان مما أملاه عليهم) .

« يا هرون قعدت على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت سترا دون بابك ، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك ، يظلمون الناس ولا ينصفون ، يشربون الخمر ويضربون من يشربها ، ويسرقون ويقطعون يد السارق . أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها الناس ، فكيف بك يا هرون إذا نادى المنادى : « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم » أين الظلمة وأعوان الظلمة ؟ فقدمت بين يدى الله تعالى ، ويداك مغلولتان إلى عنقك .

فاتق الله يا هرون فى رعيتك ، واحفظ محمداً صلى الله عليه وسلم فى أمته ، وأحسن الخلافة عليهم ، واعلم أن هذا الأمر لو بقى لغيرك لم يصل إليك ،وهو صائر إلى غيرك ، وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحداً بعد واحد ، فمنهم من تزود زاداً نفعه ، ومنهم من خسر دنياه وآخرته ، وإنى أحسبك يا هرون ممن خسر دنياه وآخرته ، فإياك إياك أن تكتب لى بعد هذا فلا أجيبك عنه . والسلام .

ووصل كتاب الثورى إلى الرشيد فقرأه ودمعه يتحدر من عينيه ، فقال بعض الحاضرين : اجترأ يا أمير المؤمنين ، فلو أثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن . قال هرون : اتركونى يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه ، والشقى من أهلكتموه . إن سفيان أمة وحده حقا إن سفيان أمة كانت تعيش فى أمة ، أمة فى قوتها وعتادها واجهت بالحق خليفة أمة ، أمة عاشت من دنياها الطاهرة ، وعزتها القاهرة ، فى برج مشيد ، تضاءل دون جلاله جلال الرشيد . إن سفيان سمت نفسه فلم تستذل لبريق الذهب ، أو تستعبد لرقيق العيش ، فالنفس المعتزة بقناعتها ، المدرعة بتقواها ، تعيش فى محراب فضائلها تصونها قناعتها ، وتحرسها تقواها ، فليس يجد الشيطان فى أخلاقها ناحية رثة يخرق نسجها ، وينفذ منها إلى حياتها القوية فيهتكها .

ثم ينزح الخيال من ماضى الشرق إلى ماضى الغرب إلى ماضى الأندلس ، فيلقى نفوسا فى قوة من عزتها ، لا تخشى بأس الملوك ، ولا ترهب سلطان العروش .

فالمنذر بن سعيد البلوطى حين ينقد إسراف الناصر فى العمارة والبناء ، يكشف عن نفس عزت بربها ، وتسلحت بإيمانها ، فلم تخنع أمام صاحب العرش الذى زلزل قلوب المتوجين فى أوربا .

لقد وقف بين يدى الناصر ليخطب الجمعة ، ولم يكن من أولئك الذين يخطبون ما يملى ، بل من المؤمنين الذين لا يتكلمون إلا بما يؤمنون .

لقد فكر المنذر فى عشرات الأعوام التى أنفق فيها الناصر ثلث ريع الدولة فى بناء قصر الزهراء للزهراء ، فكيف به يكتم تلك الثورة العاصفة ، إذاً فلتكن الخطبة ثورة فى لغتها لهيب النقد لا كلمات النصح ، ثورة تدمر النفس التى حماها الحديد والنار بسلاح غير الحديد والنار .

إنه سلاح القوى القهار ، يتفجر من قلب المنذر وعيداً وتهديدا « أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين ، فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون ، إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » .

وانطلق المنذر يرسل من وحى الاعتزاز بالله قذائف انهارت أمامها نفس الناصر فبكى من خشية الله ، وارتعش قلبه خوفاً من عذاب الله .

أيها العلماء : إن فى بطون الكتب سيرة كثير من أولئك الذين سموا بنفوسهم . فلم يمرغوها بين يدى صاحب جاه ولا سلطان ، وقد آن لنا أن نحيى سيرتهم بأعمالنا ، فنصل ما انقطع من أمجادنا وأسباب سعادتنا .

أيها العلماء : ألا هل من رجعة إلى الله ، واستمساك بحبل الله ، لتصلوا نفوسكم بالسماء ، قبل أن تحل علينا غضبة السماء ، فلا تجدى ضراعتنا وقد غلقت دوننا أبوابها ، وحاق بنا عذابها .

أيها العلماء : ارحموا أنفسكم ، واقتلعوها من أوحال المادة ثم طهروها ، وتساموا بها عن دنيا الرق ، لتكتبوا لتاريخ الأزهر صفحات جديدة ، ولتخلقوا على الزمن نفوسا يعنو لها جبين الزمن « إن الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

محمد خليفة
المدرس بالأزهر

(المجلة) بعد إعداد هذا المقال للطبع جاءتنا مقالة أخرى من الأستاذ عبد القادر شيبة الحمد المدرس بعنوان « من صفحات هذه الأمة المثالية : مثل للخلفاء والعلماء » وهى مبنية على رسالة الخليفة هارون الرشيد إلى سفيان الثورى وجواب سفيان عليها .

ومما لا شك فيه أن سفيان الثورى رحمه الله لم يدرك ولاية هارون الرشيد ، لأنه توفى قبل ولاية هارون بنحو عشر سنين وكان هارون عند وفاة الإمام سفيان الثورى صبيا فى الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره ، فمن غير المعقول أن تكون هذه المراسلة بين الخليفة والثورى ، ولعلها بينه وبين سفيان بن عيينة فهو الذى عاصر خلافة الرشيد . وعلى كل حال فإن هذه النصوص ينبغى أن تؤخذ عن روايات الثقات ، وعن كتب أهل التحقيق .

الدّعوة إلى الإسلام في الخارج والتوجيه الرّوحي في المدارس الثّانويّة

حديث في زيارة قائد القوات المسلحة للأستاذ الأكبر

زار سيادة القائد العام للقوات المسلحة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر في مكتبه الساعة العاشرة من صباح الأربعاء ١٣ جمادى الآخرة سنه ١٣٧٣ (١٧ فبراير سنة ١٩٥٤) وتحدث معه في بعض الشئون .

وقد تناول الحديث موضوع ترجمة القرآن فسأل : هل هناك ترجمة مصرية للقرآن الكريم إلى لغة من اللغات الأخرى غير العربية ؟ فقال فضيلته : ليس هناك ترجمة مصرية للقرآن كله ، إنما كان ينشر في مجلة الأزهر من حين لآخر ترجمة لمبادىء وأحكام من الدين الإسلامى مشتملة على ترجمة المعنى لآيات من القرآن الحكيم .

على أن الترجمة الحرفية للقرآن الكريم لا توصل إلى المطلوب ، ولا توصل إلى الغرض المقصود منه . وضرب أمثلة ببعض الترجمات الفرنسية التى قام بها بعض المستشرقين وبين فيها أن الترجمة خرجت بالموضوع عن المعنى المطلوب . وكذلك ضرب سيادة اللواء مثلا آخر فذكر أن توماس كارليل أحس بمثل هذا عند قراءته لترجمة القرآن .

وقال الأستاذ الأكبر : إنه خير المسلمين وللإسلام وللشعوب التى يعرض عليها الإسلام أن تكتب لهم كتب بلغاتهم تبين فيها محاسن الإسلام وأحكامه ، مستشهداً عليها من كتاب الله بما يعززها .

وعرض الإسلام على هـذا النحو له أثره فى نفوس من ينقل إليهم ، ويؤدى الغرض المنشود بأجلى بيان .

ثم قال : إن القرآن جاء لغايات كثيرة ، فهو لم ينزل ليكون كتاب قانون فقط ، بل فيه ذلك ، وفيه العظة والعبرة ، والآداب والأخلاق ، وغيرها . ولذلك حين يقرأ الإنسان القرآن يرى آية متعلقة بالأحكام ، تتبعها أخرى متعلقة بالأخلاق ، وثالثة لتنظيم العلاقات بين الناس ، لحكمة يعلمها منزل القرآن .

فحين يترجم على هذا النحو ثم يعرض على رجل يريد من القرآن أن يكون كتاب قانون أو كتابا يعالج ناحية خاصة من نواحى المعارف والعلوم المختلفة ، فإن ذلك لا يرضى رغبته ، وقد يدخل بذلك نوع من التردد إلى نفسه . وهـذا من الأمور التى تؤكد أنه من الخير ألا يترجم القرآن ترجمة حرفية .

وقال سيادة اللواء : إنى سمعت أن إندونيسيا تطبع القرآن وترسله إلى اليابان ، ونحن أولى بذلك منهم . لأننا لا نأمن أن يكون فى هذا المصحف أخطاء .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إننا نعمل جاهدين فى المحافظة على القرآن الكريم من كل وجه ، وخاصة كتابته برسمه المأثور ، لكيلا تمتد يد التغيير والتبديل إلى كتابته ، وبذلك لا نخضعه للقواعد الإملائية الجديدة التى يعرض عليها التغيير والتبديل ، ولا يجوز إدخال أى تغيير على رسمه ، ولذلك جاءت بعض شركات الاستيراد تطلب توريد مصحف طبع فى ألمانيا ، فلم نصرح بدخوله فى الأراضى المصرية ، أولا ـ لخوف وقوع الأخطاء فيه ، وثانياً ـ لأنه مطبوع فى حجم صغير لوضعه كحجاب أو فى قطعة من الحلى للزينة ، والقرآن لم ينزل لهذا ، ولا يصح أن يوضع هذا الموضع . ونحن لا نتوانى فى إرسال المصاحف إلى أى جهة تطلبها ، وقد طلبت بعثة من الضباط كانت مسافرة إلى إندونيسيا عشرين نسخة من القرآن لتوزيعها فسلمت إليها .

الاعداد الروحى بجانب الاعداد العسكرى

ثم عرض الحديث للجيش والمصانع الحربية ، وأن مصر آخذة فى الاستعداد الكامل فقال الأستاذ الأكبر : ذلك قول الله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وليس الأساس فى الإعداد المادى أن يراد به الاعتداء ، بل المحافظة على الأمة الإسلامية والدفاع عن كيانها . والمسألة تحتاج إلى إعداد روحى مع هذا الإعداد المادى .

فقال سيادة اللواء : إن هـذا من الأمور الهامة التى تأخذ منا تفكيراً متواصلا وجهوداً عنيفة .

فقال له فضيلة الأستاذ الأكبر : لقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه حين رجع من إحدى غزواته « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » يعنى جهاد النفس .

التوجيه الروحى فى المدارس الثانوية

فقال سيادة اللواء : وما دام الحديث انجر إلى الإعداد الروحى فإنى أعتقد أن الدين له أثره القوى . والذى يؤسفنى أن المرحلة التى قضيناها فى المدارس الثانوية ، لم يكن فيها هذا التوجيه الروحى المشبع بالدين ، وكانت دروسنا فى الدين بعض آيات تحفظ ، ولا يستفيد منها التلميذ شيئاً . مع أن هذا التوجيه هو الأساس فى التكوين الصحيح .

فقال الأستاذ الأكبر : إن هذه الناحية فى الماضى لم تكن قوية ، ولكنها فى هذا العهد أخذت فى طريق النمو والازدياد ، وليس المراد من التعليم الدينى إلقاء المعلومات من غير روح بل لابد للمعلم من (توجيه) سديد لتلاميذه ، ونحن فى أشد الحاجة إلى تربية استقلالية تدفع إلى النشاط والعمل الصالح وأداء الواجب ، لتخرج للأمة رجالا عمليين . وعلى المدرس والواعظ حين إلقاء درسه أن يقف عند الأمور الهامة ، وقفات يجلى فيها العبرة والعظة والتوجيه الصحيح .

وهنا استأذن سيادته فى الانصراف متمنيا لفضيلته كل التوفيق ، وقال : نحن معك فى كل وقت ، ونحن نشعر بالتبعة الملقاة على عاتقكم ، ونسأل الله تعالى أن يسدد خطاكم ، ونرجو أن يدرك الأزهريون ذلك . فشكر له الأستاذ الأكبر تمنياته وزيارته .

كلمتان لأبى بكر وعلى

كان من دعاء خليفة رسول الله أبى بكر الصديق إذا مدحه الناس أن يقول :

« اللهم أنت أعلم بى من نفسى ، وأنا أعلم بنفسى منهم . اللهم اجعلنى خيراً مما يحسبون ، واغفرلى واجعلنى خيراً مما يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون »

وكان أمير المؤمنين على يقول لمن يتملقه مغالياً فى مدحه :

« أنا دون ما تقول ، وفوق ما فى نفسك »

لغويات

قد لا يتيسر حضوري غداً

هذا الأسلوب على اشتهاره وكثرته كتب الكاتبون فى إنكاره وتهجينه . ومرد هذا إلى أن (قد) لا تدخل فى العربيـة على المنفى وإنمـا تدخل على المثبت ، فليس يصح أن يقال : قد لا أعلم هذا الأمر ، وإنمـا تقول : قد أجهله ، أو ربمـا لا أعلمه .

والحجة فى هذا الإنكار قول ابن هشام فى المغنى فى مبحث قد : « وأما الحرفية فختصة بالفعل المتصرف الخبرى المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس » فتراه ذكر اختصاصها بالفعل المثبت . وقد تبع السيوطى فى الهمع ٧٢/٢ ابن هشام إذ يقول : « قد حرف يختص بالفعل المتصرف الخبرى المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس . فلا يدخل على الجامد ، كعسى وليس ، ولا الإنشائى ، كنعم وبئس ، ولا المنفى ، ولا المقترن بمـا ذكر » .

والتقييد بالإثبات فى المضارع إذا كان بعـد قد لم أره لغير ابن هشام ومن استقفاه . وإنما يذكر فيه التجرد من الناصب والجازم وحرف التنفيس . ويقول ابن مالك فى التسهيل : « وتكون حرفاً ، فتدخل على فعل ماض متوقع لا يشبه الحرف لتقريبه من الحال ، وعلى مضارع مجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس لتقليل معناه ، وعليهما للتحقيق » . ويقول الدماميني فى شرحه : « فهى ثلاثة شروط . وإن شئت فشرطان : الرفع والتجرد من حرف التنفيس » . ويقول الرضى فى شرح الكافية ٣٨٨/٢ : « وتدخل أيضاً على المضارع المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس » .

ويذكر فى أحكام « قد » حكم قد يكون مبعث ما اشترط ابن هشام من الإثبات . وهو ألا يفصل بينها وبين فعلها بغير القسم . ويقول ابن مالك فى التسهيل : « ولا يفصل بين أحدهما بغير قسم » ويقول أبو حيان فى شرحه فى تعليل هذا الحكم : « وذلك أن الحرف

المختص بما دخل عليه إذا لم يكن عاملا فإنه يتنزل مما دخل عليه منزلة الجزئية ، فكما لا يفصل بين جزء الشيء وجزئه الآخر فكذلك هذا ؛ ألا ترى أنهم لا يفصلون بين أل والاسم بشيء فكذلك هذا » .

ونرى أنه يسوغ الفصل بالقسم ، وهذا أمر لا مرية فيه ، وإذاً فليست (قد) مطردة القياس على (أل) . وذلك أن أل لا يفصل بينها وبين مدخولها بالقسم ، وبذلك تراخى الاتصال بين قد والفعل عن مكانة الاتصال بين جزء الشيء وجزئه الآخر ، وهم يعللون استثناء القسم بأنه يؤتى به لتوكيد الخبر فساغ الفصل لذلك ، وقد يقال : إن أداة النفى شديدة الامتزاج بالخبر ، فالفصل بها لا يثلم الاتصال ولا يحل عقده المؤرب .

ونرى فى أبى حيان وابن يعيش فى التمثيل للفاصل ذكر الاسم وإهمال أداة النفى ، فيقول أبو حيان : « فإذا قلت : قد ضربت زيدا ، أو قد أضرب زيدا فلا يجوز قد زيدا ضربت ، ولا قد زيدا أضرب » ويقول ابن يعيش فى شرح المفصل ١٤٨/٨ : « اعلم أن (قد) من الحروف المختصة بالأفعال ، ولا يحسن إيلاء الاسم إياه » .

وإذ عرضت للفصل بالقسم أذكر هنا أنه استشهد عليه بقول الشاعر :

أخالد قد والله أوطئت عشوة ... وما العاشق المسكين فينا بسارق
أقر بما لم يأته المـــرء إنه ... رأى القطع خيراً من فضيحة عاشق
ولولا الذى قد خفت من قطع كفه ... لألفيت فى أمر الهوى غير ناطق

ولهذا الشعر قصة طريفة . وذلك أن فتى أخذ فى دار قوم ورفع إلى السلطان بتهمة السرقة ، وأقر الفتى ، فأمر خالد بن عبد الله القسرى أحد ولاة بنى أمية بقطع يده حداً . ولم يكن الفتى من همه سرق المال ، وإنما غشى الدار لهوى له فيها . وآثر أن تناله العقوبة ؛ ستراً لمن يحبها ، وحفاظاً على عرض أهلها . ولكن أخا الفتى لم يذهب مذهبه ؛ فكتب بهذا الشعر إلى خالد . فكان أن تبين الأمر ورفع العقوبة عن الفتى ، وحمل أهل الفتاة على أن زوجوها من الفتى . وقوله : « أوطئت عشوة » أى خدعت ولم يصدقك الفتى الخبر . « وتراه » ببناء الفعل للمفعول . وهذا ما رضيه البغدادى فى شرحه لشواهد المغنى ١ / ٩٦٣ وقد رسم فى الكتب : « أوطأت عشوة » وفى الأساس : « أوطأه عشوة : حمله على أمر غير رشيد » . وقد يكون المراد : أوطأت يا خالد أعوانك إذ أمرتهم بقطع يد الفتى عشوة ، وحملتهم على خطة فاتلة ، فالمفعول محذوف والفعل مبنى للفاعل .

وأعود إلى دخول قد على النفى فأقول : إن الظاهر أن لا بأس به . وترى سيبويه فى الكتاب ٢ / ٣٠٧ يقول : « وأما قد لجواب لقوله : لمّا يفعل ، فتقول : قد فعل . وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر . وتكون قد بمنزلة ربما ؛ قال الهذلى :

قد أترك القرن مصفراً أنامله كأن أثوابه مجت بفرصاد

كأنه قال : « ربما » . وقوله : « مصفراً أنامله » كناية عن موته ، والفرصاد : التوت . يريد أن أثوابه لطخت بالدم حين قتله . وترى سيبويه يقرر أنها تستعمل بمنزلة ربما ، ولم نر من اشترط فى (ربما) دخولها على المثبت ، وحظر دخولها على المنفى .

وقد ورد دخول قد على المنفى فى قول قيس الحنان الجهنى :

وكنت مسوداً فينا حميدا وقد لا تعدم الحسناء ذاما

وقد ورد هذا البيت بهذه النسبة فى المؤتلف والمختلف للآمدى ٨٩ ، وفى طراز المجالس ١٤٣ .

وجاء فى اللسان (ذ ى م) منسوبا إلى أنس بن نواس المحاربى . وفى معجم البلدان فى ترجمة (رذام) نسبته إلى قيس بن الحنان الجهنى . وأياما كان الأمر فهو شعر قديم يحتج به .

وورد فى كلام ابن جنى إذ يقول فى الخصائص ١ / ٢٠ : « كما أن القول قد لا يتم معناه إلا بغيره » .

* * *

لفظ أنفاسه الأخيرة ، أو آخر أنفاسه ، لفظ نفسه

تكثر العبارتان الأوليان فى الكناية عن الموت ، ولم أقف على هذا فى العربية . وإنما فيها : لفظ نفسه ، بسكون الفاء أى روحه ، وفى اللسان : « لفظ نفسه ، يلفظها لفظا كأنه رمى بها . وكذلك لفظ عصبه إذا مات . وعصبه : ريقه الذى عصب بفيه أى غرى به فيبس » . وفى التاج : لفظ نفسه ، يلفظها لفظا كأنه رمى بها ، وهو كناية عن الموت .

وكذلك قاء نفسه . وكذلك لفظ عصبه إذا مات » . وفى المخصص ٦/١٢٦ : « لفظ نفسه يلفظها لفظا يعنى : مات » ويقول ابن الرومى فى مدح صاعد بن مخلد :

حصرت عميد الزنج حتى تخاذلت قواه وأودى زاده المتزود
فظل - ولم تقتله - يلفظ نفسه وظل - ولم تأسره - وهو مقيد
وكانت نواحيه كثافا فلم تزل تحيفه سحتاً كأنك مبرد

وهو فى مختارات البارودى ١/٣٦٧ .

وقد ظهر أن العبارتين اللتين فيهما الأنفاس عن اللغات الغربية ، كما أخبرنى بذلك أخى الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار .

* * *

أحلف بهذا اليمين . حلف يمينا صادقا

يكثر على الألسن تذكير اليمين فى معنى القسم . وفى صحيفة الأهرام المؤرخة بيوم ٣-١١-٥٣ فى مرافعة الادعاء فى قضية القاويش أمام محكمة الثورة : « وأهم ما يتميز به رجل القضاء هو اليمين الذى أقسمه أن يكون حفيظا على هذا اليمين » .

واليمين للقسم منقول عن يمين الإنسان ، وهى ضد يساره . وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل واحد يمين صاحبه ، ولأن الحالف يشير بيمينه إلى الشىء المحلوف عليه . واليمين لليد مؤنثة البتة .

والتذكير لليمين منبعث عن الذهاب به إلى القسم . على أن هذا لا يسوغ إخراجه عن أصله التأنيث ، فإن التأويل فى هذا لا يسوغ إلا للعرب ، ولا يصح لنا القياس عليه . ولقد عيب على أبى نواس قوله :

وابن عم لا يكاشفنا قد لبسناه على غمره
كمن الشنآن فيه لنا ككمون النار فى حجره

إذ أعاد الضمير فى « حجره » على « النار » وهى مؤنثة . وقد سأله أبو على الضرير عن هذا فقال . « رددت التذكير إلى النور . ومثل هذا فى أشعارهم كثير إن فتشته » يريد أنه أول النار بالنور والضياء ، فأعاد الضمير عليها مذكراً . وقال فى الموشح ٢٧٩ بعد أن ساق قصة أبى على مع أبى نواس : « قال ابن أبى طاهر : وسمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبا يقول : قال الكسائى وسئل عن هذا البيت : إنما أراد . فى حجرها فغلط »

وقد عرض ابن جنى فى الخصائص ٢ / ٤١٥ لتذكير المؤنث لتأويله بالمذكر ، وقال فى ختام بحثه : « وتذكير المؤنث واسع جداً ؛ لأنه رد فرع إلى أصل » يريد أن الأصل التذكير ، فإذا أول المؤنث بمذكر كان ذلك رجوعا إلى الأصل ، وهذا بخلاف رد المذكر إلى المؤنث كما فى قول الشاعر :

أتهجــــر بيتاً بالحجاز تلفعت به الخوف والأعداء أم أنت زائره !

فتراه أنث فعل الخوف لتأويله بالمخافة ، وكما فى قول بعضهم : جاءته كتابى أى رسالتى وقد بان لك أن الصواب تأنيث اليمين وعدم النظر إلى تأويلها بالقسم ، والله الموفق للصواب ؟

محمد على النجار

شمم العرب

دخل عمارة بن حمزة على أمير المؤمنين المنصور وقعد فى مجلسه ـ وكان ذا عزة وثروة ونفس أبية ـ فقام رجل وقال :

ـــ مظلوم يا أمير المؤمنين !

قال المنصور : ومن ظلمك ؟

قال : عمارة بن حمزة غصبنى ضيعتى

فقال المنصور : يا عمارة ، قم فاقعد مع خصمك

فقال عمارة : يا أمير المؤمنين ما هو لى بخصم . إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لى فقد وهبتها له ، ولا أنزل عن مقام شرفنى به أمير المؤمنين لأجل ضيعة .

الثأر في نظر الإسلام

— ٢ —

شناعة جريمة القتل فى الإسلام :

إذا استثنينا القتال المشروع للجهاد فى سبيل الله بشروطه وقواعده ، نجد أن القرآن الكريم يعتبر القتل جريمة كبرى ، ويتوعد فاعله بأشد ألوان العقاب والعذاب فيقول :

« ... من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » . المائدة – ٣٢ .

ويقول عن ابنى آدم : « فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » . المائدة – ٣٠ .

ويقول فى صفات عباد الرحمن : « والذين لا يدعون مع الله إلٰها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا » الفرقان – ٦٨ و ٦٩ .

ويقول : « ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأعد له عذابا عظيما » [١] . النساء – ٩٣ .

وكما شدد القرآن المجيد فى النكير على جريمة القتل ، وبالغ فى التحذير منها ، جاء الحديث النبوى الشريف مشدداً ومحذراً ومنذراً ، فقال الرسول صلوات الله عليه : « لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما » . وقال : « إن هذا الإنسان بنيان الله ، ملعون من هدم بنيانه » . وقال : « إن من ورطات الأمور التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله » . وقال : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم » .

وجاء الفقهاء من بعد ذلك يؤكدون هذه الشدة ، فنجد ابن حزم مثلا يقول [٢] :

---

(١) من الميسور مراجعة تفسير هذه الآيات فى بعض التفاسير المطولة كالطبرى والقرطبى والآلوسى .

(٢) فى المحلى ج ١٠ ص ٣٤٢ .

« لا ذنب عند الله عز وجل بعد الشرك أعظم من شيئين : أحدهما تعمد ترك الصلاة الفرض حتى يخرج وقتها ، والثانى قتل مؤمن أو مؤمنة عمداً بغير حق » .

وقد جرى كلام بين الفقهاء عن توبة القاتل المتعمد ، وذهب بعضهم إلى أنه لا توبة له ، وقد استدلوا لذلك بقوله تبارك وتعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » لأنها آخر الآيات التى نزلت فى عقاب القتل .

واستدلوا كذلك بقول ابن عباس : « قاتل العمد لا توبة له » وبما روى فى القاتل عن سفيان : « كان أهل العلم إذا سئلوا قالوا : لا توبة له » [1] .

الثأر فى الجاهلية :

لا شك أن الثأر الباغى المنحلل من قيود العدل والإنصاف علامة من علامات الفوضى ، وسمة من سمات المجتمعات المنحلة ، وهو يترعرع حيث لا نظام ولا دولة ولا حكومة ولا سلطان ، لأن المرجع فيه حينئذ يكون إلى الغلبة والعنجهية وهوى النفس ، ولأن القائد فيه سيكون الشيطان الغوى المضل المبين ، والهوى الجامح الأعمى الأثيم .

ولقد كان الثأر فى الجاهلية شائعا ذائعا ، حيث كان المجتمع منفرط العقد ، وحيث كان النظام القبلى يقوم مقام الدولة ، وكل قبيلة تفاخر بنسبها وحسبها ، وتعتبر نفسها أفضل من غيرها ، وحيث القانون هو قول شاعرهم :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

وكانوا يظنون أو يدعون أن الإسراف فى القتل وأخذ الثأر يؤدى إلى قلة القتل ، ولذلك كانوا يقولون : « القتل أنفى للقتل » ويقولون : « أكثروا القتل ليقل القتل » ويقولون : « قتل البعض إحياء للجميع » .

ولكنهم فى الواقع لم يلتزموا روح هذه الأقوال ، بل أسرفوا فى الثأر والاعتداء ، حتى قامت بينهم الحروب الطاحنة المدمرة لأقل الدواعى وأتفه الأسباب ، وكتب التاريخ تحتشد بأنباء هذه المجازر البشرية المخربة .

وكانوا فى الجاهلية يزعمون أن القتيل إذا قتل — مهما كان سبب قتله — يخرج من رأسه طائر يدور حول قبره ، ويظل يصيح قائلا : اسقونى ، اسقونى ... ولا يكف

---

(١) راجع تفسير المنار ج ٥ ص ٣٣٩ .

عن هذا الصياح حتى يأخذ قومه بثأره كما يرضى ويرضون ، ولهذا يقول ذو الإصبع العدوانى مهدداً عدوا له .

يا عمرو ، إلا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حتى تقول الهامة : اسقونى

وكانوا من حرصهم على الثأر ، وإسرافهم فيه ، وخوفهم من العار إذا تركوه أو توانوا عنه ، يحرمون على أنفسهم النساء والطيب والخمر حتى ينالوا ثأرهم ، ولا يغيرون ثيابهم ، ولا يغسلون رءوسهم ، ولا يأكلون لحما ، حتى يشفوا أنفسهم بهذا الثأر ؛ ولذلك يقول الشاعر المهلهل :

خذ العهد الأكيد على عمرى بتركى كل ما حوت الديار
وهجرى الغانيات ، وشرب كأس ولبسى جبة لا تستعار
ولست بخالع درعى وسيفى إلى أن يخلع الليل النهار
وإلا أن تبيد سراة بكر فلا يبقى لها أبداً أثار !! (١)

وكانوا فى الجاهلية يثأرون مسرفين من الأباعد والأقارب ، فهذا مثلا قيس بن زهير يقتل قريبين له ثأراً لأخيه مالك ، ثم يقول :

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفى من حذيفة قد شفانى
فإن أك قد بردت بهم غليلى فلم أقطع بهم إلا بنانى (٢) !!

وكان النساء يحرضن على الثأر ، ويبرعن فى دفع الرجال إليه ، فهذه عجوز تسمى خويلة من بنى رئام ، يقتل من أسرتها ثلاثون رجلا ، فتقطع خناصرهم ، وتصنع منها قلادة تضعها فى عنقها ، وتهتف محرضة أحد رجالها على الثأر ، فتقول :

جاءتك وافدة الثكالى تغتلى بسوادها فوق الفضاء الناضب
هذى خناصر أسرتى مسرورة فى الجيد منى مثل سمط الكاعب (٣)

وكان النساء يعبن الرجال على قبول الدية والسكوت عن غسل الدم بالدماء ، فهذه امرأة من ضبة تحذر أهلها من أخذ النياق دية ، وتحرضهم على الثأر ، فتقول :

---

(١) كتاب شعراء النصرانية ج ٢ ص ١٦٤ .

(٢) قال هذا قيس بن زهير بن جذيمة العبسى فى قتله حمل بن بدر يوم جفر الهباءة طلبا لثار أخيه مالك الذى قتل فى بدء هذه الحرب . (٣) الأمالى ج ١ ص ١٢٧ .

ألا لا تأخذوا لبنا ، ولكن أذيقوا قومكم حد السلاح
فإن لم تثأروا عمراً بزيد فلا درت لبون بنى رباح !

ومن هذه الشواهد ـ ولها نظائر كثيرة ـ نستطيع أن ندرك شيوع الثأر فى الجاهلية ، وأنه كان يحتكم إلى القوة والغلبة ، ويستجيب للأهواء والنزعات ، ولا يعرف اعتدالا أو ارعواء ؛ فكان القتيل يقتل مثلا ، فلا ترضى قبيلته بقتل قاتله وحده ، بل تقتل به عشرة أو عشرين أو مائة أو أكثر من ذلك ، أو تقتل فى مقابل الفرد العادى منها رئيس القبيلة القاتلة ؛ وقد يترك القاتل حيا فى بعض الأحيان ، لسبب من الأسباب ؛ ومن هنا تقطعت روابط المودات ، وانتهكت الأعراض والحرمات ، وشاع البغى والتقاتل ، وخيمت على الحياة ظلال كثيفة تقطر منها دماء الطغيان والعدوان ، فلا أمن ولا اطمئنان ، ولا حب ولا إخاء ، بل عداوات وثارات ، وحروب وغارات ، فكيف تستقر الحياة أو يسعد الأحياء ؟ ! ...

الثأر فى الإسلام :

وجاء الإسلام دين السلام ... جاء ليهدم هياكل البغى القديمة ، وأوضاع الحياة السقيمة وليبنى بعد ذلك مجتمعا صالحا سعيدا ، تقوده العدالة ويسوده الإنصاف ، فدعا إلى الإخاء والوحدة ، وذكر الناس بأصلهم الواحد ، وربهم الواحد ، ونهايتهم الواحدة ؛ وذكرهم بالأخوة الإنسانية : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا [1] » ، « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير [2] » .

وذكرهم بعد هذا بأخوة الإسلام والإيمان : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا [3] » ، « إنما المؤمنون إخوة [4] » .

---

[1] سورة النساء ، الآية الأولى . [2] سورة الحجرات ـ آية ١٣
[3] سورة ال عمران ، آية ١٠٣ . [4] سورة الحجرات ، آية ١٠

وقضى الإسلام على خرافة الهامة ، وعـدها من أباطيل الجاهلية ، فقال الرسول : « لاهامة » . وحذر من الاعتداء على النفس أو حقوق الغير ، وأوعد على ذلك أشد الوعيد وأقام للناس حكومة نظامية تتولى معاقبة المعتدى ، وشرع قانون (القصاص) العادل ، لا الثأر الجامح ، ولا القتل الباغى ؛ فجعل العقاب على قدر الجريمة ، وجعل كل امرىء مأخوذا بذنبه وحده ، « . . . ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى [1] » .

وكان الإسلام فى أمر القصاص وسطا ، فبينما كانت الموسوية توجب قتل القاتل ، ولا ترتضى الدية ، وكان بعض الشرائع يوجب أخـذ الدية لا القتل ، جاء الإسلام بمبدأ القصاص للتأديب ، مع مبـدأ التحبيب فى العفو أو أخذ الدية ، ليكون الأول - وهو القصاص - رادعاً عند البغى والطغيان ، ويكون الثانى - وهو العفو الكامل أو العفو عن القصاص وأخذ الدية - ملطفا عند وجود المبرر أو الشبهة أو الخطأ .

وهناك مجرمون يرون أن الرضا بالدية والسكوت عن طلب الثأر عار لا يمحى إلا بالقتل المضاعف ، فيقتلون بالواحد أكثر من واحد ، وهناك جهلة يقولون : إن القصاص عنف وقسوة ، ويقترحون ترك عقوبة الإعدام إلى العقوبات المختلفة الأخرى ...

« وأما النافذ البصيرة ، العارف بمصالح الأمم ، الذى يزن الأمور العامة بميزان المصلحة العـامة ، لا بميزان الوجدان الشخصى الخاص بنفسه أو ببلده ، فإنه يرى أن القصاص - كما فى شرعة الإسلام - بالعدل والمساواة هو الأصل الذى يربى الأمم والشعوب والقبائل كلها ، وأن تركه بالمرة يغرى الأشقياء بالجراءة على سفك الدماء ، وأن الخوف من الحبس والأشغال الشاقة إذا أمكن أن يكون مانعاً من الإقدام على الانتقام بالقتل فى البلاد التى غلب على أهلها التراحم أو الترف أو الانغماس فى النعيم ، كبعض بلاد أوربا ، فإنه لا يكون كذلك فى كل البلاد وكل الشعوب ، بل إن من الناس فى هذه البلاد وغيرها من يحبب إليه الجرائم أو يسهلها عليه كون عقوبتها السجن الذى يراه خيراً من بيته » [2] .

ونستطيع بعد هذا أن نعرف أن القصاص فى الإسلام ليس ردعاً وتأديباً فحسب ، ولـكنه باب للأمان والاستقرار ، وهذا هو السر فى تعبير القرآن عنه بأنه سبب الحياة حين قال : « ولـكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلـكم تتقون » .

أحمد الشرباصى
من علماء الأزهر الشريف

---

[1] سورة النجم – آية ٣٨، ٣٩، ٤٠ . (٢) تفسير المنار جـ ٢ ص ١٢٤ .

إلى حضرات القراء

السلام عليكم ورحمة الله — أما بعد :—

فيسر مجلة الأزهر إذ توجه إلى حضراتكم أطيب تحياتها أن تستقبل معكم فترة طويلة مباركة من حياتها العلمية فى عهد ميمون الطلعة إن شاء الله باختيار الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخاً للجامع الأزهر .

وإن المجلة لتصارحكم بما تشعر أنه يخالج حضراتكم من رغبة فى مضاعفة نشاطها والأخذ فى التحسين والدأب على محاولة الكمال .

وهى إذ تحرص على مسايرة هذه الرغبات المشكورة لكم ، لتأمل فى توفيق الله تعالى أن يتيح لها من توجيه الشيخ الأكبر ومن مؤازرتكم لها أسباب الظفر بما تصبو وتصبون إليه ، حتى تكون عند رغباتكم ، وتظفر بمزيد ارتياحكم إليها ورضاكم عنها ، وعند ذلك تطمئن كثيراً إلى أنها أدت واجبها نحو الأزهر فى نشر ثقافته الإسلامية ، وفى توثيق الصلة العلمية بينه وبين قرائها الأفاضل فى مختلف الأقطار الشرقية .

هذا وتود المجلة إلى حضرات الكتاب ، وهم عماد المجلة فى نهضتها ، أن يتكرموا بمراعاة ما يأتى :

١ — إرسال المقالات إلى المجلة فى النصف الأول من كل شهر عربى ، ليكون لدى القائمين على الطبع وقت متسع لإظهار العدد فى غرة الشهر التالى ، وهو الموعد المحدد ، فضلا عما فى تخلف المقالات أحيانا من فوات لفرصة النشر .

٢ — عدم الإطالة فى الكتابة حتى يتسع العدد لأكثر ما يرد إليها .

وحتى لانعرض القارىء للسآمة من التطويل، مع بيان عنوان الكاتب بالكامل .

٣ — ترحب المجلة بما يرد إليها من توجيهات القراء نحو الإصلاح وبلوغ المجلة مبلغها المنشود .

ونسأل الله أن يكون عونا لنا ، وهو ولى التوفيق .

(المجلة)

المؤلفة قلوبهم

أنا قادم من جنوب السودان ...

فقد أتيحت لى الفرصة لزيارة السودان ، فشاهدت كثيراً من بلدانه من الشمال إلى الجنوب وخاصة الملاكال وجوبا وتوريت وكاتزى بالقرب من حدود أوغندا . وقد حرصت ـ خلال زيارتى ـ أن أشاهد بعينى وأتلمس بنفسى كثيراً مما كنت أسمع عنه من آثار الاستعمار فى جنوب الوادى .

وكان من أهم هذه الأمور أن المستعمر قد وضع خطته لفصل جنوب السودان عن شماله بوسائل متعددة : منها عزل الجنوب عن الشمال ، واعتباره منطقة مقفلة يحظر دخولها إلا بتصريح ، وبث الدعاية المغرضة لغرس روح الكراهية فى نفوس أهل الجنوب ضد أهل الشمال ، وفتح الباب على مصراعيه لإرساليات التبشير التى تستغل لخدمة الأغراض الاستعمارية لا للدعوة الدينية الخالصة .

كل هذه الأمور سمعت عنها ، ثم لمستها فى مجال الواقع ...

ولقد زرت بنفسى أحد المراكز التبشيرية ، ويشرف عليه جماعة من الأمريكيين ، فشاهدت فيها الآتى :—

١ — غرف الدراسة .

٢ — مبنى المستشفى والمنازل الصغيرة لعزل المرضى .

٣ — المساكن التى يقيم فيها الطلبة .

وهذه المراكز تكون شبكة منسقة وموزعة جغرافيا فى أنحاء الجنوب بحيث لا يزيد الفاصل بين المركز والآخر عن ستة عشر ميلا ، أى أن لكل مركز ما يشبه منطقة نفوذ فى هذا المدى ، ولعله من المهم أن نبين هنا ما تقوم به هذه المراكز ومدى ما لديها من إمكانيات ووسائل تعينها على عملها .

١ — يقدم الغذاء والمسكن لكل طالب .

٢ — تقوم المراكز بتعليم الدين المسيحى وبعض العلوم الأخرى باللغة الانجليزية، ويوجد قاموس لكل لغة من اللغات العديدة الموجودة فى الجنوب.

٣ — تقوم المراكز بتعليم بعض الصناعات العامة كالنجارة وغيرها وبعض الحرف كالغسل والكى والطبخ.

٤ — تصرف الكتب مجانا.

٥ — يوجد لكل مركز عيادة طبية تقدم العلاج مجانا لكل من يلجأ إليها من الأهالى، هذا فضلا عن الطلبة، وملحق بها عدة غرف يقيم فيها من تستدعى حالته الإقامة تحت الإشراف الطبي.

٦ — لكل مركز مساحة من الأرض حوله يقوم بزراعتها واستغلال منتجاتها.

٧ — لدى كل مركز وسائل الاتصال المختلفة من سيارات إلى زوارق إلى الطائرات فى كثير من الجهات.

٨ — تعقد المؤتمرات الدورية بين القائمين بشئون المراكز لتنسيق أعمالهم ومراجعتها وإعداد الخطط المستقبلة.

ومن الميسور على المرء أن يخلص من المقارنة بين نشاط مراكز التبشير تلك وبين نشاط الأزهر إلى أن الأمر يدعو إلى الاهتمام الشديد، وإلى توجيه العناية الفائقة لهذا الجزء من وادى النيل.

وقد حمدت لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر اتجاهه الذى صرح به أخيراً إلى إلغاء البعثات الإسلامية فى البلاد المتحضرة مثل انجلترا وأمريكا لعدم جدواها والالتفات نحو الجهات المتأخرة.

ولا يفوتنى أن أتحدث عن تلك الجمعية المتواضعة التى تألفت فى جنوب السودان واتخذت لها اسماً (جمعية المؤلفة قلوبهم بملكال) والتى تقوم بجهود متواضع فى سبيل الإسلام.

تكونت هذه الجمعية فى أول سبتمبر ١٩٥٠ وكان من أغراضها: —

١ ــ إيواء وكسوة وإطعام الذين يدخلون فى الإسلام حديثاً وليس لهم مأوى أو أقارب من المسلمين ريثما يجدون عملا لهم .

٢ ــ العمل لإيجاد عمل لمن يدخلون الإسلام .

٣ ــ القيام بتجهيز ودفن موتى من يعتنقون الإسلام حديثاً إذا لم يتركوا مالا .

٤ ــ حل أى مشكلة ماليـــة لهؤلاء الحديثى العهد بالإسلام إذا اقتنعت الجمعية بضرورة ذلك .

أموال الجمعيـة :

تتكون الجمعية من : ــ

١ ــ التبرعات والإعانات والهبات .

٢ ــ الاشتراك الشهرى الاختيارى على ألا يقل عن قرشين ولا يزيد عن عشرة .

٣ ــ جمع جلود الأضاحى وبيعها لحساب الجمعية .

٤ ــ الزكاة ، لأن المؤلفة قلوبهم مصرف شرعى من مصارف الزكاة .

تنظيم الجمعية :

يدير الجمعية ويقوم بكل شئونها مجلس مكون من رئيس ونائب رئيس وسكرتير ونائب سكرتير وأمين صندوق ومراقبين للحسابات وعشرة أعضاء وقد كان رئيس هـذه الجمعية الشيخ على عبد الرحمن وزير العدل فى الوزارة السودانية الآن ، ثم تنازل عنها لبعثة الأزهر ، وقد تسلم رئاستها فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز أحمد عيسى فى ١٩٥٣/٥/١ ويلاحظ أن الاشتراكات تارة تصل إلى ٣٠ جنيها مصريا وأخرى تنخفض إل ٩ جنيهات و ١٠

قطعة أرض للجمعية

ولما كان الأولاد الذين ينضمون إلى هذه الجمعية فى حاجة إلى رعاية وعطف ، لأن أغلبهم يأتى من جهات بعيدة ، فقد فكر أعضاء الجمعية فى شراء قطعة أرض يمكن إذا بنيت أن تستغل للدراسة نهارا وللنوم ليلا .

وفعلا اشترت الجمعية قطعة أرض مساحتها ٣٩٦ مترا فى أول يناير سنة ١٩٥٤ بثمن قدره ٣٢٥ جنيها مع أن القطع المجاورة تم المزاد عليها بخمسين جنيها إلى سبعين ، وقد علمت أنه إذا بنيت هذه القطعة تم تسجيلها ، وإذا لم يتم البناء فى عام من توقيع العقد نزعت ملكيتها .

والجدير بالذكر مع الأسف أن الجمعية مدينة الآن لأمين الصندوق وهو أحد التجار بمبلغ ثلاثين جنيها تقريبا سوى ما يستجد ، فإذا عرفنا أن هذه الجمعية كانت سببا فى إسلام الكثيرين وإيوائهم وذلك فى حدود إمكانياتها ، فقد أسلم حوالى ٤٠ شخصا خلال عام ١٩٥٣ وأن الفرد الواحد يتكلف حوالى ٣ جنيهات مصرية ليأكل أكلا رديئا ولكنه أفضل من العدم ثم إذا عرفنا أن الجمعية مدينة فى الوقت الحاضر أدركنا خطورة الأمر وأنه يجب تقوية مركز الجمعية المالى على الفور .

ولست بحاجة إلى دعوة القراء إلى شد أزر هذه الجمعية وإعانتها بالمال لتؤدى رسالتها وأومن أن فى مجرد عرض حالها وإيضاح موقفها المالى الكفاية .

ولى اقتراح بسيط ، وهو أن تجمع من أساتذة الأزهر ومن يرغب من طلابه اشتراكات شهرية تتراوح بين القرشين والعشرة تعد فى كشوف ثم ترسل للجمعية بانتظام كل شهر .

بهذه الطريقة نضمن للجمعية موردا مستمرا منتظما . نسأل الله لها التوفيق فى مهمتها السامية .

محمد جمال الدين محفوظ

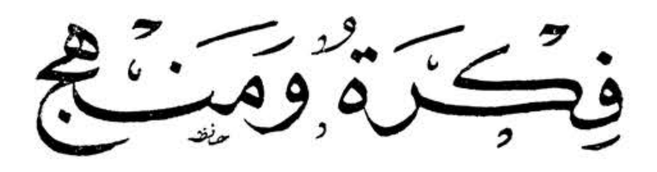
الاتباع والابتداع

من خطبة لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على منبر مسجد بنى أمية فى دمشق :

« أيها الناس ، ليس بعد نبيكم نبى ، وليس بعد الكتاب الذى أنزل عليه كتاب ، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة ، وما حرم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة » .

« ألا إنى لست بقاض ، وإنما أنا منفذ . ولست بمبتدع ، ولكن متبع . ولست بخيركم ، وإنما أنا رجل منكم ، إلا أنى أثقلكم حملا . ألا لاسلامة لامرىء فى خلاف السنة ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

في الشعر العربي :



أحب دائما ألا أفصل الشعر - والفن بعامة - عن الحياة الاجتماعية ، وقد أصبحت الآراء تجمع على أن العلم إذا كان يفسر الحياة تفسيرا تجريبيا ، والفلسفة تفسرها التفسير العقلي ، فإن الفن يفسرها التفسير الوجداني ، ومن الحق أن أقول إن الشعراء العرب نحوا هذا النحو ، إلا أن الذين درسوه ونقدوه بعدوا به عن الحياة ، وسلبوه طبيعته ، وأخضعوه للمنطق ، فإذا هو عند أغلبهم شيء جامد باهت لا ملامح له . حتى هؤلاء الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري وعقدنا عليهم الآمل وأعجبنا بنقدهم . . حتى هؤلاء اختلفوا فيما اختلف فيه السلف وظل الشعر في أذهانهم لا حقيقة وراءه إلا أن يكون مدحا أو هجاء أو رثاء ، ولا غناء فيه إلا ما يثيره من مقارنة وموازنة واستقصاء ، وملاحظة وجوه التشابه ووجوه الاختلاف . فليس عجبا بعد أن يدفع الشاعر إلى أن يرضى بقصيدته غرور الخلفاء من جانب ، وحاجة العلماء من جانب آخر .

نسوا روح الفن ووقفوا في جانب المتلقي وأعرضوا عن المتفنن نفسه ، فإذا كان علينا أن ننظر النظرة العادلة فلن يتم لنا ذلك إلا إذا بحثنا عن شخصية الشاعر وسألنا عما فعله ليسهم في تعبير الإنسانية عن نفسها . وقد يتصدى للدفاع من ينقل لنا أن أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا شرب ، فيظن أنه يتعرض لذات الشاعر . . فما دام امرؤ القيس أكثر وصفا للطرد وأكثر إجادة في التحدث عن الخيل فهو يعبر عن هواه ويحقق نفسه ، وما دام أرق شعر النابغة ما قاله في ساعات خوفه فالشاعر يحدثنا عن نفسه وهكذا . ونسى هذا كما نسى غيره أن الشعراء بعامة وصفوا الخيل وخافوا وطربوا وسافروا ووصفوا فأين الفروق الدقيقة في طريقة التناول . . في النظرة الخاصة التي تجعل من كل شاعر شخصية متفردة متميزة ، بل لقد اجترأ ابن سلام - صاحب الذوق العربي الأصيل - فجعل المجيد من الشعراء من في شعره مديح رائع ،

وهجاء مقذع ، وفخر معجب ، ونسيب مستطرف . فى حين يقرر الاصمعى أن الشاعر لا يصير « فى قريض الشعر فحلا حتى يروى أشعار العرب . . والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم » .

لقد غاب عن هؤلاء أن الإنسان كل تعمل فى تكوينه عناصر نفسية نتيجة لصراعه مع مجتمعه ، وذلك أثر للإطار الثقافى والعقيدى والاجتماعى الذى يعيش فيه ، وأثر لما فى أسرته من دوافع وموانع وحواجز وحوافز ، وأثر لما هو عليه من ظواهر فسيولوجية تحدد الزاوية التى ينظر منها إلى الناس والأشياء من حوله ، ثم هو أثر لما فى المجتمع كله من صراع يخلف مشكلات سياسية واقتصادية .

غاب عن هؤلاء ذلك كله كما غاب عنهم أن الشعر تعبير وأنه - كتعبير - لا يدرس من ألفاظه فقط ولا من معانيه الجزئية فحسب . بل غاب عنهم أن الشعر عمل ذاتى ولا يمكن دراسته أو نقده إلا بما فيه من صفات إنسانية مشتركة أو فروق ذاتية متمايزة ، وأنه - كفن قولى - جلاء لوقع العالم كله على نفس الشاعر ، والأمور النفسية على أى حال لا يبحث عنها فى الخطوط الشكلية أو فى جزئيات المعنى .

ونحن نخطىء إذا صدقنا كل ما قيل عن شاعر مثل بشار أو شاعر مثل أبى نواس ، ذلك أن أغلب الحديث الذى يساق عن أيهما قد ينطبق على الآخر ، وقد ينطبق على كل من تغزل وتماجن وهجا ومدح . وهذه الفروق السطحية المتواضعة التى يقررونها ليست كل شيء وينبغى ألا تكون كل شيء .

والحق أن هناك روح الشاعر ، ولو كان الأمر أمر هجاء أو مدح لما رأينا من كل شاعر - تقريبا - هذه المعاناة التى يصادفها حين يشرع فى عمل قصيدة . وقد ذكر ابن قتيبة أن للشعر دواعى تحث البطىء منها الطمع والشوق ، ومنها الغضب والشراب والطرب ، وكان الفرزدق يقول : أنا أشعر الناس وربما أتت على ساعة ، ونزع ضرس أسهل علىّ من قول بيت !

وكان ذو الرمة كلما شرع فى شيء خلا إلى نفسه يذكر أحبابه ، وكثير الشاعر يطوّف فى الرباع المحيلة والرياض المعشبة فيسهل عليه أرصن الشعر ويسرع إلى أحسنه . أما جرير فقد اعتاد أن ينشىء شعره ليلا ، وقد يشرب النبيذ ، وربما علا السطح وحده فاضطجع

وغطى رأسه . والفرزدق كان إذا صعب عليه الشعر ركب ناقته وطاف منفرداً فى شعاب الجبال ويطوف الأودية . وقيل لأبى نواس : كيف عملك حين تريد أن تصنع الشعر ؟ فأجاب : أشرب حتى إذا كنت أطيب ما أكون نفساً بين الصاحى والسكران صنعت وقد داخلنى النشاط وهزتنى الأريحية .

ومثل هذه الأخبار كثير ، وهى تدل على أن الشعر العربى لم يكن كله وليد التكلف ، وإنما كان يصدر عن شىء فى نفس الشاعر . ولا أريد أن أزعم أن الشعراء كانوا ينتظرون الإلهام ، ولكنى أقرر أنهم لم يكونوا يطلقون أشعارهم قبل أن تتهيأ أنفسهم لها . وهذا على أى حال لا ينفى تكلف الشاعر فى كثير من شعره بصفة عامة . وفى وسعنا أن نضع أيدينا على جانب الصدق فى كل قصيدة إذا عمدنا إلى تحليلها وتعرف الظروف التى قيلت فيها ومدى توافق نفس الشاعر مع ما ومن تقال فيه القصيدة .

لنقل إذاً إننا لو فعلنا ما فعله النقاد حين بعدوا ـ فى أعينهم ـ عن نفس الشاعر إلى المتلقى أخطأنا الحقيقة وجانبنا روح العمل الأدبى . إذ يجب أن نؤمن بأن الشعر ينظر إليه من جانب المنشىء حين نريد أن نربطه بالمتلقى ، لأن الشعر فن قبل كل شىء ، والفن عمل ذاتى ينبع من الوجدان . ومن هنا زعمت قبلُ أنه تفسير وجدانى للحياة .

وآية انصراف الشعراء إلى أنفسهم والتعبير عنها ما نجده عند بشار وسلم الخاسر وأبى نواس والخليع والعطوى . . فقد لاحظ هؤلاء أن الحياة تغيرت . والجاهلى الذى كان يقول الشعر تعبيراً عن نفسه لا يمكن للواحد منهم أن يتقمص روحه فيصف ما لم يشعر به ، وقد يمكن له أن يحافظ على النمط العام للقصيدة إلا أن هذا لا يمنعه من أن يطلق نفسه فى هذه الدائرة . وهو على أى حال إذا كان موهوباً استطاع بخياله أن يهيىء لنفسه الجو الشعرى الذى يريد ، والأمر بعد ليس أمر موضوع يطرقه الشاعر ، وإنما هو أمر الشاعر نفسه . . أمر عبقريته أو موهبته أو خياله المبدع !

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفسر ظاهرة وصف الأطلال عند أبى نواس مثلا بله عند جرير أو ذى الرمة أو الفرزدق . ولن يعنينا البحث عن أن نجد ذات الشاعر فى هذا الوصف والأمر مهما يكن يتوقف على تجربة الشاعر الوجدانية ومدى نجاحه فى التجريد ، حتى إذا لم يفعل تأخر عن غيره . ولقد روى أن ذا الرمة التقى بالفرزدق فى المربد فسأله عما يرى

فى شعر له ألقاه عليه فقال : أرى خيراً ! قال ذو الرمة : فمالى لا أعد فى الفحول ؟ قال : يمنعك عن ذلك صفة الصحارى وأبعار الإبل .

وكأنه أراد أن يقول له : إنك فى تفصيلك لما تصور من الصحارى تتبع الجاهليين . ومعنى ذلك أنه لم يعجبه منه أن يتقيد بالتفاصيل التى أثرت عن الأولين . وقد يشفع لذى الرمة أنه كان راعى إبل على ما يقول ابن سلام ، فطالت ألفته بالبيد ، وعرف مخابئها وأسرارها وأحاط بحيوانها وأعشابها ، إلا أنه مع ذلك ورغم ملاحظة الفرزدق فقد أحس نقاد عصره باختلاف شعره عن شعر الأقدمين فقال أبو عمر بن العلاء : إنما شعره نقط عروس يضمحل عن قليل وأبعار ظباء لها مشم فى أول شمها ، ثم تعود إلى أرواح البعر !

أجل ظل مع ذلك ورغم ملاحظة الفرزدق يعرض للطلل فنلحظ فى تفاصيل عرضه روح العصر وشخصيته هو ونفسه وروحه . . فلقد روى الرواة أنه كان صالحا فكان من أجل ذلك يذكر بجانب الآرى والسفع أعضاد المسجد المهدم فيقول :

عفت غير آرى وأعضاد مسجد وسفع مناخات رواحل مرجل

بل يتعمق هذا الجانب فينتهز فرصة وقوفه مع صاحبيه على الطلل فيدعو لهما أن يفوزا بالنعيم الخالد :

يا صاحبي انظرا آواكما درج عال وظل من الفردوس ممدود

فأين هذا من وقوف الجاهليين على دمنهم ؟

ولنستقرىء ما قاله جرير فى الأطلال فلن يطول بنا الأمر ، وسننتهى إلى أن الشعر ليس من الضرورى أن يصدر كله عن تجربة مباشرة ، وأنه كان متصلا فى أول الأمر بالحياة البادية ثم صار نوعا من الحنين ورد فعل للحياة السريعة المنهوبة المختلس فيها النعيم . نعود إلى جرير فى تفاصيله الدقيقة فنراه يبعد بها عن التفاصيل القديمة ، وهو على فرط تغنيه بالوقوف عليها لم يذكر السفع والنؤى والآرام والبعر ، ولعله ذكر الثمام ومنصب الخيام مرة واحدة فى قصيدته الرائعة :

ألا حى رهبى ثم حى المطاليا فقد كان مأنوسا فأصبح خاليا

وكان فى كثير من الأحيان يذكر الطلل فى بيت واحد فيقول :

أتعرف أم أنكرت أطلال دمنة بأثبيت فالجونين بال حديدها

وينتقل فى البيت التالى إلى التشبيب فيقول :

ليالى هنـــد حاجة لا تريحنا ببخل ولا جود فينفع جـودها

وكان مغرما بتشبيه الطلل بوحى الـكاف والميم أو بالـكاف واللام . وتشبيه الآثار بأحرف الـكتابة قديم إلا أنه لم يـكن بمثل هـذه الصورة التى صورها جرير . ويمـكن أن يقال إن هناك فروقا بين رسوم الجاهليين ورسوم الإسلاميين ، وإن البصريين ـ مثلا ـ الذين وصفوا الطلل وصفوه تخيلا فى أغلب الأحيان أو معاناة فى بعضها ، ولـكنهم لم يطيلوا الوقوف عند الأثافى والنؤى فبعدوا عن واحد مثل زهير فى معلقته .

ويتلون الطلل على مر الأيام بروح الشاعر المتحضر ويطبع بشخصيته حتى تنقطع صلته بالقديم ، فيقول بشار ويعجب قوله النقاد :

أبى طلل بالجزع أن يتـكلما وماذا عليه لو أجاب متيما
وبالفرع آثار بقين وباللوى ملاعب لا يعرفن إلا توهما

ويقول راويته سلم :

أمن ربع تسائله وقـــد أقوت منازله
بقلبي من هوى الأطلا ل حب ما يزايـــله
رويدكم عن المشفو ف إن الحب قاتله

فـكأنك تسمع منه تشبيهاً بواحدة ، وأين هذا مما قاله امرؤ القيس ؟ لا شك أن هناك خلافا كبيراً ، وحقق ذلك طواعية هذا الفن للتطوير وتلونه بلون العصر . ولعل هذا ماعمل على فشل دعوة أبى نواس إلى ترك الطلل والبـكاء عليه ، فـلم تجد أذنا صاغية ، ولم يختصم عليها أحد فماتت ، بينما شغل الناس بمذهب أبى تمـام . وكذا نتقدم فنقرر ــ بعد هـذا الاستطراد ــ أن الشعراء رغم خضوعهم لتقاليـد الشعر الجاهلى يفصحون عن أنفسهم ، فليس لنا فى هذه الحال أن نعتبر إقلاع شاعر عن وصف الأطلال ــ فى العصر العباسى ــ وفى مدينة كالبصرة أو بغداد بأنه تجديد أو نعتبره هو فى حرصه على هذا الوصف بأنه شاعر قديم . فالأمر كله موكول إلى درجة تقيده بالتفاصيل التى عنى بها الجاهليون ، وهذا عندى فيصل فى الحـكم على شاعر ، ولو فطن إليه نقاد العرب وتعمقوه لانتهوا من جدلهم ولوقفونا على أسباب أخرى غير تلك التى ذكروها فى معرض الخصومة حول مذهب أبى تمام وغيره.

إننا نؤمن بكل هذا ، ونؤمن بأن الشاعر العربى لم يدرس - حتى الآن - الدراسة التى تكشف لنا عن نفسه وعن طبيعة عمله وعن صلته بالحياة وعن أثره هو فى هذه الحياة . وينبغى لنا إذا حاولنا هذه الدراسة أن نطرح الكثير مما قيل فى تفسير تلك الخصومة الفنية التى دارت فى القرون الأولى الإسلامية ؛ فكثير منها يرجع إلى تعصب فكرى أو تعصب عنصرى ، وكتب النقد التى بين أيدينا تحفل - إلى جانب الصائب القيم - من الزيف والافتراء والغرور بالكثير ، وحسبنا أن ننظر فى كتاب الصولى « أخبار أبى تمام » لنقف من قرب على صحة هذه الدعوى .

ثم ماذا بعد ذلك ؟

ثم نؤمن أيضا بأن الصورة التى نقلتها الأثبات القديمة لا ترسم لنا ناسا يحسون وينفعلون ويعبرون ، وإنما تقيم أمامنا هيا كل تتحرك بمقدار ، وتتعثر فى قيود ، وتتنفس فى سجن . بل أخشى أن أقول إنها لا تصور إلا آلات صنعت لتتحرك حسب نواميس قدرت لها قسرا فحرمت نعمة الحياة . والشعراء فى الأصل قوم لهم تميزهم وإن كانوا يشتركون مع أبناء المجتمع فى انفعالهم به ، حتى ليبدو فى ظاهر الأمر أنه لا اختلاف فى النوع بين فرد وفرد . ولكننا إذا قلنا إن التوافق فى السلوك لا يعنى مطلقا توافقا فى الفطرة ، أدركنا نوعية الشاعر بإطاره الذى كونه لنفسه بفطرته . وقد لوحظ على أى حال أن الشعراء يكشفون دائما بسلوكهم عن تفردهم بميزات قد تكون شاذة فى كثير من الأحيان ، فيجب ألا ندهش بعد ذلك حين يتكلم « دى لاكروا » عن طبيعة الفن فى كتابه « سيكلوجية الفن » ويعرض للشاعر فيقرر له قدرات فطرية خاصة تميزه عن غيره ص ١٥٣ .

ويعنينى هنا أن أشير إلى الأصول الفسيولوجية كموجه لطاقة الشاعر . وهى إلى حد كبير تحدد وجهة نظره إلى المجتمع وإلى من يضطرب معهم ويسعى بينهم ، ومن ثم لها دورها الكبير فى شعره ؛ فنحن لا ننكر شدة العلاقة بين البواطن النفسية والظواهر الفسيولوجية . وعن هذه السبيل نستطيع أن نتعمق موقف بشار من مجتمعه وشذوذ أبى نواس ونرجسية عمر بن أبى ربيعة وتقول كثير وتباهى امرىء القيس وتسامى عنترة وهكذا .

بل يجب فى هذه الحال أن نعرض لطبقة الشاعر وجنسه وأسلوب حياته ودرجة

ثقافته ... فكل هذه تلقى الضوء على حقيقة ما يقول ، وتحدد الأفكار الرئيسية فى أثناء معالجته للفن وتضع الأساس النفسى لنبوغه كشاعر تمايز عن غيره بنوع من القلق فعبر عنه وصوره ، ومن ثم يمكن لنا أن نفسر موقف الفرزدق وجرير .

وهكذا نلمح من قريب أننا فى محاولتنا معرفة ذات الشاعر ننتهى إلى هذه الصورة العامة وهى أنه والمجتمع وحدة متماسكة .

احمد كمال زكى
ماجستير فى الآداب
مدرس بمدرسة محمد على الثانوية



* الهوى مفتاح السيئات .
* الوفاء ضالة ناشدها كثير ، وواجدها قليل .
* يبصر القلب ما يعمى عنه البصر .
* ينصب لكل غادر لواء يعرف به .
* الغنى اليأس مما فى أيدى الناس .
* الفرصة سريعة الفوت ، بطيئة العود .
* لا خير فى فقه إلا بورع .

الكتب والمناهج الأزهرية

أصبحت كتب الأزهر ومناهجه فى المدة الأخيرة هدفا لحملة منظمة ، تمتاز بالعنف والقسوة ، والتهويل والمبالغة ، واشترك فيها أفراد من الأزهر وغير الأزهر . وكثيراً ما تجد حديث الطلاب يدور حول مشكلة الكتب ، يلصقون بها التهم ، حتى يخيل إليك أنها غول تغتال العقول ، وألغاز وطلاسم تفتك بالألباب .

وتجدهم فى كل مؤتمراتهم يجعلون على رأس طلباتهم تعديل المناهج ، وتغيير تلك الكتب القديمة .

ولقد شهدت حفلة سمر أقامها طلاب إحدى كليات الأزهر منذ شهر ونصف فلم ينسوا حتى فى أوقات مرحهم ولهوهم الكتب الأزهرية فأوسعوها نكاتا لاذعة ، وحملات طاغية .

ويعلم الله أن هذه الكتب بريئة من كثير من هذه الاتهامات ، وأن الذين ينتقدونها من الأساتذة لا ينتقدونها عن عقيدة ؛ وإنما يتظاهرون بذلك رغبة فى شهرة ، أو استجلابا لمحبة ، وما مثلهم إلا مثل الحطيئة الذى لم يجد فى يوم من الأيام ما يذمه ويهجوه ، فذم نفسه وهجاها ، فقال :

أبت شفتاى اليوم إلا تكلما　　بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها شوه الله خلقه　　فقبح من وجه وقبح حامله

* * *

ليس العيب فى الحقيقة فى هذه الكتب ، وإنما العيب فينا نحن ، ومن الشجاعة أن نعترف بذلك ؛ فإن الله تعالى يقول : « ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا » .

إن هذه الكتب التى نعيبها قضى العلماء فيها زهرة أعمارهم وقد بذلوا كل جهودهم فى تحقيق

مسائلها ، وواصلوا ليلهم بنهارهم فى البحث والتمحيص ، وكانوا أمناء فى النقل ، حريصين على تدوين الحقائق ، ولم يشغلوا عنها بزخارف الحياة وزينتها .

ومن بين أصحاب تلك الكتب عمرو بن بحر الجاحظ الذى كان يستأجر المكتبات ويبيت فى داخلها ؛ منقبا باحثاً فيما تحتويه من نفائس ويدونها للأجيال من بعده .

ومنهم إمام المحدثين البخارى كان يسافر الأيام والشهور لتحقيق حديث من رواته ، وإن غيرهما ممن هو على شاكلتهما كثير وكثير كما هو مسطور فى تاريخ حياة هؤلاء الجهابذة الاعلام ، الذين قعدوا القواعد ، وقننوا القوانين العامة ، وطبقوها على الجزئيات والفروع ، ولم يكتفوا بذلك بل افترضوا وتخيلوا مسائل لم تقع ويستحيل وقوعها ، كل ذلك لتركيز القواعد واتساع مجال التطبيق . إن هذه الكتب الصفراء كنوز زاخرة وسراج لا يطفأ نوره ، ولا يخبو ضياؤه ، إنها هى التى صهرت فى بوتقتها الأفذاذ من الرجال ، وزودتهم بما دفعهم إلى الصدارة والقيادة ، وإيقاظ الشعوب من سباتها العميق ونشر الوعى الإسلامى والوطنى ، أمثال جمال الدين الافغانى ومحمد عبده وسعد زغلول والمنفلوطى والمراغى .

وإن الأثر لواضح لمن شبوا على دراسة هذه الكتب فى النواحى العلمية .

ولولا أنى لاأريد التجريح ولا التعريض بأحد ، لنقلت هنا نماذج لبعض مشاهير الكتاب قبل طبعها ليعرف من لا يعرف ومن على عينيه غشاوة تلك الأخطاء الفاضحة فى أبسط قواعد اللغة والنحو .

إن فقهاء القوانين ، وعلماء الدساتير والمعاهدات ، وقضاة المحاكم العليا ومستشاريها لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بالدقة فى التعبير ، والمحافظة على النصوص ، ووزن الألفاظ بميزان ذهبى دقيق ، ولم يتفاضلوا فيما بينهم إلا بالقدرة على تأويل النصوص ، ومعرفة العام منها والخاص ، والمطلق والمقيد ، والعلة والمعلول ، والإحاطة بأنواع الدلالات ، إلى غير ذلك من قواعد المنطق وأصول الفقه . على ما هو معروف فى نمط الدراسة الأزهرية .

فما بال بعض الناقمين على تلك الكتب يحاولون التخلص منها جميعا ؟ ثم من لهذه الكتب إذا تخليتم أنتم عنها ؟

ومن لكتاب الله الكريم وسنة نبيه إذا لم تفهموا وجوه الإعراب ، ومذاهب النحاة ، وأساليب البلغاء ، وقواعد الأصوليين ، وأقوال المتكلمين ؟

هل تتركون كل هذه الكتب للمستشرقين والأجانب ، ثم تكونون بعد ذلك عالة عليهم فى استردادها وفهمها .

إنكم ساعتئذ تفقدون كل ما تمتازون به ، وتسيرون بأزهركم الخالد بخطوات واسعة إلى الفناء ، وتستعجلون تطبيق حديث الرسول صلوات الله عليه وسلامه قبل الأوان : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من قلوب العباد ، ولكن يقبضه بقبض العلماء » .

صبراً صبراً أيها الطلاب الأزهريون ؛ إنها فتنة عمياء وبذور استعمارية بذرها المستعمرون وأذنابهم بالدعاية والإيحاء ؛ ليصرفوكم عن دينكم ، ويقضوا على حيويتكم وحمايتكم لشريعتكم الغراء ، وليجعلوا الأزهر مدرسة ابتدائية أو ثانوية ، ثم يستغنوا عنها بالمدارس الابتدائية الأخرى والثانوية .

إن الأزهر صخرة الاستعمار ، وغصة المستعمرين والملحدين ، وستتحطم قرونهم ، وستشتد غصتهم حتى تقضى عليهم ما دمتم أنتم متنبهين لما يراد بكم ، محافظين على ما جعلكم الله عليه أمناء ، محيطين أزهركم بعقولكم وأجسامكم .

إن الأزهر ليس لمصر فقط ، وإنما هو أمل المسلمين جميعاً ، وكعبة العلم والإسلام ولم تبايع الدول الإسلامية مصر بالزعامة لكثرة عددها ، أو لانتشار التعليم فيها ، أو لوجود بيت الله الحرام على أرضها ، وإنما بايعتها بذلك لميزة اختصها الله بها ، تلك الميزة هى الأزهر .

والأزهر ليس هو ذلك البناء الشامخ ، وإنما الأزهر بعلمائه وطلابه ، معقد آمال المسلمين ، وسراجهم الوهاج ، يبعثون إليه بفلذات أكبادهم ، ويلحون فى إيفاد علمائه إليهم .

وها هم علماؤه الذين غذتهم تلك الكتب الصفراء ، ورشفوا من معينها الصافى يعملون جاهدين فى تبليغ رسالة الأزهر ونشر دعوته . ومع ذلك يتهمهم البعض بأنهم مقصرون فى أداء رسالتهم ، مشغولون عنها بأنفسهم ، فلم يشاهد لهم الناس موقفا ناجحا فى القضاء على منكر .

ولكن متى كانت المنكرات تحارب بالعلم فقط إن لم يساعده القانون ، ويظاهره السلطان ، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وقد جاهد الاستعمار فى إبعاد أبناء الأزهر عن الحياة العملية ، وحاول دائما أن يقضى على دعوتهم . فحينما نادى الشيخ المراغى بتجنيب القاهرة ويلات الحرب ، حفظا لآثارها ومساجدها فى حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل . كان لذلك أثر من الضغط لمسه الناس جميعا .

إن مؤلفى الكتب الأزهرية لم يؤلفوها لتقرر على سنوات معينة ، وتفرض على عقول غضة لا تستطيع هضمها ، وقد جانب التوفيق الذين قرروها ، وغفلوا عن تطور الزمن ولم يراعوا الاحتمال المفروض لطلاب اليوم ، فمن الواجب أن نتلافى هذا الخطأ ، ونعترف بالواقع فنختار للطلاب من هذه الكتب ـ وما أكثرها ـ ما يوافق مستواهم وإدراكهم ، وأن نتدرج بهم من الأدنى إلى الأعلى ، وأن نؤلف اللجان من أكابر العلماء لتضيف إليها ما استحدث من معاملات وأحكام تختلف باختلاف العرف والوسط الاجتماعى ، وأن نجعلها شديدة الارتباط بحياتنا الواقعية ، متينة الصلة بالاصطلاحات العصرية .

بهذا وحده نحافظ على تراثنا الإسلامى ، وعلى ما امتاز به الأزهر من تعمق فى البحث ، وحب للمناقشة والجدل للإقناع والاقتناع .

والله الهادى إلى سواء السبيل ؟

ابراهيم أحمد الوقفى
مدرس بمعهد القاهرة الدينى

وصية عمر إلى أحد ولاته

كتب أمـــير المؤمنين عمر إلى أبى موسى الأشعرى عامله على البصرة :

« أما بعد ـ فإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته . وإياك أن تزيغ فتزيغ عمالك ، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغى بذلك السمن ، وإنما حتفها فى سمنها . والسلام » .

علماء الأزهر

واتصالهم بالمجتمع والحياة

قابل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفدا من أساتذة الجامعة الأمريكية وموظفي السفارة الأمريكية، وسكرتيرة من السفارة اليوغسلافية.

وقد دار بينهم وبين الأستاذ الأكبر حديث طويل تناول موضوعات شتى تمس نواحي مختلفة في الأزهر والإسلام. وقد طلب حضراتهم بيانات عن الأزهر ونظامه، فشرح لهم فضيلته مراحل الدراسة في الجامعة الأزهرية، والشهادات التي تمنح في نهاية كل مرحلة، وقال: إن هذا النظام لا يختلف في وضعه عن نظام الجامعات في الخارج.

الأزهر والنظريات الحديثة:

وتطرق الحديث إلى علماء الأزهر وكيف يواجهون النظريات الحديثة وهم لم يدرسوا غير العلوم الدينية. فقال فضيلته: إن الأزهر يدرس العلوم الحديثة بجانب العلوم الدينية لمواجهة المجتمع خاصة وأن الدين الإسلامي يدعو لذلك، لأنه يهدف إلى تنظيم علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقته بإخوانه في المجتمع، وبذلك لا تقتصر مهمة العالم في الأزهر على العبادة والصلاة، بل لابد من الاشتراك في الحياة العامة وأمورها. وإلا كان مقصراً.

الأزهر كعبة الثقافة:

وسأل أحدهم: كيف يسمى الأزهر كعبة الإسلام وهناك كعبة أخرى بمكة، وما الفرق بينهما؟

فأجاب فضيلته: إن الأزهر هو الكعبة الثقافية التي يشع منها نور العلم، أما كعبة مكة فهي التي يجتمع فيها المسلمون في المؤتمر العام في كل عام في موسم الحج يتدارسون شئونهم ومصالحهم.

لا فرق بين مسلم ومسلم:

وسألوا عن علاقة الأزهر بالمسلمين في خارج مصر. فقال: إن الأزهر لا يفرق

بين مسلم ومسلم ، فهم جميعاً أبناء دين واحد ، وهو يهتم بشئونهم ومصالحهم فى أى مكان ولا فرق بين مصرى وغير مصرى .

الأزهر بعيد عن الحزبية :

وسئل فضيلته عن موقف رجال الأزهر واشتراكهم فى المسائل السياسية . فقال فضيلته : إن رجال الأزهر من الشعب . فهم يهتمون به ، وإن اتصالهم بالسياسة يأخذ صبغة قومية . وهم بعيدون عن المسائل الحزبية ، لأنهم يعتبرون أنفسهم فوق الأحزاب لا يناصرون أحداً إلا الحق وحده .

ميزة الأزهر :

وسألوا عن المقارنة بين الحياة الجامعية فى الأزهر والحياة الجامعية فى الجامعات الأخرى ، فقال فضيلته : إن الطريقة واحدة ، وهى إلقاء الدروس بالمحاضرات .

ويزيد الأزهر على ذلك طريقة أخرى هى دراسة النصوص دراسة دقيقة ، وفهمها وبحثها ليتمكن الطالب من تمييز الحقائق وتوضيحها . وهذا اللون بدأت بعض الجامعات فى الأخذ به ، ولكن الأزهر يمتاز عنها بالسبق فى هذه الناحية .

من حكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

* ما عاقبت من عصى الله فيك ، بمثل أن تطيع الله فيه .
* إياكم وذكر الناس فإنه داء ، وعليكم بذكر الله فإنه شفاء .
* إنى أحب أن يكون الرجل فى أهله كالصبى ، فإذا احتيج إليه كان رجلا .
* من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به .
* لا يصلح لهذا الأمر إلا اللين فى غير ضعف ، القوى فى غير عنف .

الحسن البصرى

٢١ – ١١٠ هـ

الإمام التابعى الذى يقول فيه الخليفة عمر بن عبد العزيز – وقد قيل له : من وليت قضاء البصرة ؟ فقال : سيد التابعين الحسن البصرى ، على أن القدر الذى أستطيع أن أتقدم به إلى القارىء الكريم أنه كان لا يزاحم فى دقائقه . وأنه أعيا على معاصريه فى بلاغته . وأنه أخلص لله إخلاصا جعل الحكمة تنضح من قلبه على لسانه . والبيان الخارق يتفجر فى بيانه . والحق يسطع فى ثنايا منطقه وبرهانه . فيزيل الرين عن قلوب طالما ألح عليها المرض فكاد يفتك بها ، ويشرق فى نفوس طالما عشا فيها ظلام الغفلة والغرور فحجبها فهل لى أن أتعجل فأزف إلى سمعك بعض عرائسها المصونة ، أو أجلو بصرك بطلعة محاسنها النادرة عسى أن تصادف منك قلبا خاليا فتتمكن . ولعلها تلهب شوقك إلى التعرف إلى قائلها الإمام الحسن البصرى ، والتزود من صفاته ومحاسن أخباره ، بل لعلها هى نفسها تضع بين يديك تصويراً له . فإن من الكلام ما يجلو صفات قائله ، ويكون عنوانا له . بل ربما كان تاريخا يملأ الأسفار ، ويزرى بكل التواريخ والأخبار . وإليك قلا من كثر ، من تلك النفائس الدر [1] .

رأى الحسن رجلا يكيد بنفسه [2] . فقال : « إن أمرأ هذا آخره ، جدير أن يزهد فى أوله وإن أمرأ هذا أوله ، جدير أن يخاف من آخره » [3] .

وقريب منه فى الأسلوب قوله للحجاج وقد عاتبه فى انتقاصه إياه « إن من خوفك حتى تلقى الأمن خير ممن أمنك حتى تلقى الخوف » ، وله رضى الله عنه : « من خاف الله أخاف الله منه كل شىء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شىء » .

ومن كلامه : « اقدعوا هذه النفوس فإنها طلعة ، وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور ، واعصوها فإنكم إن أطعتموها نزعت بكم إلى شرغاية » .

---

(١) الدر جمع درة . (٢) يكيد بنفسه يجود بها كناية عن الاحتضار .

(٣) الأمر الأول الدنيا وآخرها الموت ، والأمر الثانى الآخرة وأولها الموت ، والأسلوب فنى بديع

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز : « كأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل . والسلام»
ومن مواعظه رضى الله عنه : « إنما الدنيا حلم ، والآخرة يقظة ، والموت متوسط بينهما ، ونحن فى أضغاث أحلام . من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر . ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل . ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم . ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل . فإذا زللت فارجع ، وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك . واعلم أن خير الأعمال ما أكرهت عليه النفوس » .

« من كان قوياً فليعتمد على قوته فى طاعة الله ، ومن كان ضعيفا فليكف عن معاصى الله - يا لها موعظة لو صادفت من القلوب حياة . أسمع حسيساً ولا أرى أنيسا . ما لهم تفاقدوا عقولهم . فراش نار وذباب طمع » .

« ابن آدم إنما أنت عدد ، فإذا مضى يومك فقد مضى بعضك » .

وقال له رجل : مات فلان فجأة ، فقال : « لو لم يمت فجأة لمرض فجأة ثم مات » .

ومن حكمه : « أدركنا قوما كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليهم » .

« ذم الرجل نفسه فى العلانية مدح لها . إذا رأيت فى ولدك ما تكره فاعلم أنه شىء تراد به فأحسن . شر الناس للميت أهله ، يبكون عليه ولا يهون عليهم قضاء ديونه ، إذا أراد الله بعبد خيراً فى الدنيا لم يشغله بأهل ولا ولد » .

وإنك أيها القارئ الكريم لو أخذت تتتبع ما لهذا الإمام العظيم من آداب وحكم ومعارف إذاً لظفرت بالكنز الثمين ، ولتجلت لك البلاغة سافرة مشرقة ، ولرأيت صفة الإيجاز كيف تكون فى أربابها ، ويكون على النفوس أثرها ، وهى آثار كما قلت لك تعرفك أن الرجل من ربانيى هذه الأمة ، وفقهائها العاملين ، ونصحائها المجاهدين ، وحجزة الناس عن الشر يأخذونهم بحجزهم إلى الجنة - وإليك شيئاً من تفصيل أحوال هذا الإمام ، وتقلبه فى شئون الكمال :

---

[١] اقدعوها : كفوها . وطلمة : كثيرة التطلع شرهة .

ولد هـذا الإمام فى السنة الحادية والعشرين لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وبقى إلى سنة ١١٠ هـ . فكانت سنو حياته تسعين سنة تقريبا ، وفى ظروف مختلفة ، تتباين أوضاعها ، وتختلف مناهج الحياة الاجتماعية فيها ، إلا أنه قضى زهرة حياته فى جمع العلم من أطرافه ، وأدرك (كما حدث عن نفسه) نحـو ثلثمائة من أصحاب (المدرسة المثالية الأولى) والعهد الذى لم تشهد الدنيا مثله : علماً ربانياً ، وأدباً سماويا ، وخلقاً عظيما . اتصل بهم فى المدينة المنورة التى هى العش الأول لهم ، وأخذ عنهم العلم فى حرص وإقبال ، دل عليه ما انتهى إليه من كمال . وقـد قضى شطراً من حياته ـ كما دلت أخباره ـ بالعراق موطن المدنيات القديمة ، ومستقر الملل والنحل من قبل ومن بعد . وهو بعد فارسى الأصل حصيف العقل ، مشرق النفس ، فاستطاع أن يرى الحق من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغاً للشاربين .

وكان مما امتاز به (كما امتاز ابن سـيرين صاحبه) أنه كان من الموالى . ومن موالى الصحابة أيضاً . فأبوه (يسار) مولى زيد بن ثابت الصحابى الجليل ، وأمه (خيرة) مولاة أم سلمة أم المؤمنين . وفى أخباره أنه ولد فى بيتها المبارك ، وأن أمه كانت تغيب أحيانا فى بعض الشأن لأمنا الكريمة أم المؤمنين فتعلله بثديها الطاهر ، وكان أحياناً يدر له فيشرب . فمن أنت يا أبا سعيد ؟ ومن ذا الذى ظفر بهذا الفضل المجيد مثلك . إنا لنظن كما ظن الناس من قبلك أن بيانك وحكمتك وغزارة مادتك إن هن إلا مدينات لتلك الرضعات النبويات . فلله إذا درك ، لا لأبيك ولا لأمك . ذلك لعمر أبى الحجاج هو الشرف . لا ما عيرك به إذ يقول لأهل الشام : أيشتمنى عبيد أهل البصرة وأنتم حضور فلا تنكرون !

تستطيع إذاً أيها القارئ الكريم أن تتحدث عن العوامل والمؤثرات التى كان لها خطرها فى تكوين هذه الشخصية زيادة على ما منحه الله من جمال وكمال جسمى فتقول :

١ ــ ولادته فى هذا البيت النبوى الكريم ، ونشأته الأولى فيه ، يسمع ما يتلى من آيات الله والحكمة ، فينبت عليها لحمه ودمه ، ويرى صوراً من الآداب ، ومظاهر الطاعات والإحسان ، فتمتزج بها نفسه ، مع أصالته وقوة استعداده وسلامة فطرته .

٢ ــ كونه من الموالى الفرس ، الذين أخذوا العلم على أربابه وحرصوا أن يسبقوا إليه ويكونوا أولى به . لأنهم تفرغوا لخدمة العلماء الربانيين ، ليس لهم رأس مال سواه . ولا حسب لهم بين العرب بدونه ، لهذا كانوا فى التاريخ أهل العلم الذين نبأ بهم النبى ﷺ

فى قوله « لو كان العلم بالثريا لناله رجال من فارس » ثم تلا الآية الكريمة (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) .

ولهذا كانوا مراجع للمسلمين والعرب فى علوم الدين واللغة . ولولاهم لذهب الكثير من معارف الإسلام القيمة ، وكان ابن سيرين فيهم بحيث علمت سبقا وامتيازا .

٣ — إن الحظ تكامل له فأدرك من صفوة الرعيل الأول فى مدرسة الإسلام ما هو كفيل أن يربى أحبارا وربانيين ويكون أجيالا من الفاضلين .

ولقد كونوا أئمة رجال القرن الأول والثانى . ومن أعظمهم انتفاعا وإفادة ، هذا الإمام الذى لقى ثلثمائة منهم ، فيهم سبعون من البدريين ، ويالها سعادة .

٤ — اتصل فى العراق بأولئك السريان الذين أنشأوا بها المدارس الثقافية فسمع منهم مختلف الآراء والمذاهب ، الصحيح منها والفاسد ، وكان يعرضها على علم الصحابة ، ومعارف الكتاب والسنة ، فيقبل مالا يدفعه الإسلام الصحيح ، ويدعم به معارفه ، ويزكى به أدبه ، ويلقح به معارفه . فأما ما يدفعه دينه (وهو أول ما صادف قلبه فتمكن واستحصد) فإنه يدفعه دفع الصديق الوامق عن صديقه . ويتخذ لحربه من الأسلحة ما هو جدير أن يرديه ، والحق قوى ، والباطل زهوق .

٥ — كان لما شهد الحسن من التناقض فى المشارب بين عهدين عهـــد الخلفاء الراشدين وهو ما تعلم ، وعهد من بعدهم وهو أيضا ما تعلم ، أثر بالغ فى نفرته من الثانى وقد امتلأ بالأول واندمج فيه وتفانى فى حبه ، فهو برم بما يغيره . أو يفسد قداسته ، فكان جديرا أن ينفر من الأحداث والمظالم وما يتصل بذلك أو يدعو إليه ، وهو إيثار الدنيا والاطمئنان بها ، والغرور بزبرجها ، ومن صور هذا التأثر فى نفسه الكريمة قوله « لو أن رجلا منكم أدرك من أدركت ... لأصبح مهموما وأمسى مغموما ، وعلم أن المجد منكم كاللاعب ، والمجتهد كالتارك ، ولو كنت راضيا عن نفسى لوعظتكم » .

كان لهذا كله ولغيره معه أثره فى نفس الحسن ، فجاء كما وصفه ابن خلكان ، وكما وصفه غير ابن خلكان « من سادات التابعين وكبرائهم ، جمع من كل فن : من علم وزهد وورع وعبادة »[1] ووصفه أبو نعيم فى الحلية « حليف الخوف والحزن ، أليف الهم والشجن ، عديم النوم والوسن ، الفقيه الزاهد » .

محمود النواوى

(١) راجع ابن خلكان ص ١٦٠ ج ١ .

لو رضى الناس !

يكاد يكون من المستحيلات أن تجد إنساناً راضياً عن مكانه فى الحياة . ذلك بأنك لا تلقى إنساناً فى المنزل أو فى النادى أو فى الطريق ، أو حتى فى أماكن اللهو واللعب إلا وجدته ساخطاً ثائراً يلعن الدنيا ، ومن فيها ، وما فيها ، ولا يحدثك إلا باكياً حزيناً ثم يقص عليك من فعل الزمن به ، ومن حوادث الأيام التى انتابته ، ما يستنزف من عينيك الدمع ، ويستنزل من قلبك الشفقة ، ثم لا ينسى ـ إن تمادى بينكما الحديث ـ أن يذكر لك ما يتمتع به الآخرون من نعيم ، وما يعيشون فيه من خفض وسعادة ، ويكاد يقسم لك أنه ـ وحده ـ المصاب المبتلى ، ولكن ما درى أن الأمر كما قال الشاعر :

لكل شجون فى الحياة كثيرة ... ولكن يوارى عن سواه شجونه
وكل امرىء يبكى لبلواه غابطاً ... فتى مثله باكى الفؤاد حزينه
ولم يدر إنسان بآلام غيره ... فهم مثل ما يبدو الجوى يكتمونه
وكل ينادى نفسه فى خلائه ... بأن جميع الناس تسعد دونه

والسر فى هذه الشكوى التى لا تنقطع ، وتلك الهموم التى تملأ نفوس الناس ، أن كل إنسان ينظر إلى ما ينقصه من متع الحياة ، ولا ينظر إلى ما عنده ، ولا يرضى فيما عنده ، مهما جل ، مغنياً عما يفقده ، وتراه كلما وصل إلى غاية تطلع إلى ما فوقها ، وهان عليه ما أدركه ، وقد عبر عن هذا المعنى رجل جليل القدر ، عظيم الشأن ، هو سيدنا عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى الزاهد فقال : « إن لى نفساً تواقة : تاقت إلى الإمارة فلما نلتها تاقت إلى الخلافة ، فلما نلتها تاقت إلى الجنة » .

والناس : يتطلع أحدهم إلى المال ، فإذا نال منه قسطاً طلب المزيد ، فإذا كثر ماله طلب الأكثر ، ولا يزال يطلب ويستزيد ، وهذا معنى قوله ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً » ، ويتطلع إلى الذرية ويسأل الله أن يهب له من لدنه ولياً يرثه ، ويرث آباءه ، فإذا رزق البنات طلب البنين ، فإذا رزق البنين اهتم بمكانهم وحظهم من

الحياة . وقل مثل ذلك فى الصحة والجاه والعلم ، فلا يزال فى هم من حظوظ الحياة ، ثم ينظر إلى الصفحة من جهتها الأخرى ، فإذا فيها حوادث الدهر ونكباته من نقص فى الأموال والأولاد ، وضعف فى الصحة ، وابتلاء فى النفس ، فلا يزال — كذلك — يشكو ويئن .

وقد أصبح من الأمور البديهية أن أعدى أعداء الإنسان هو الهم ، وأن اضطراب الأعصاب ، وكثيراً من الأمراض إنما يرجع إلى ما يعترى الإنسان من هم وغم وحزن ، ولذلك اتجه العلماء وجهة جديدة ، فأخذوا يؤلفون الكتب ، وينشرون المقالات والأبحاث التى تبين للإنسان كيف يتمكن من التغلب على الهموم ، وتيسر له كيف يجعل حياته سعيدة طيبة ، فدعوا - أول ما دعوا - إلى الرجوع إلى الدين (فإنه لا توجد مشكلة واحدة من مشكلات أولئك الذين بلغوا منتصف العمر لا ترجع فى أساسها إلى فقدهم الإيمان ، وخروجهم على تعاليم الدين ، ويصح القول بأن كل واحد من هؤلاء المرضى ، وقع فريسة المرض لأنه حرم سكينة النفس التى يجلبها الدين - أى دين كان -) كما يقول كارل يونج أعظم الأطباء النفسانيين فى هذا الجيل .

كما تعرض أولئك الباحثون لنصائح كثيرة يستعان بها على مواجهة الحياة ، لو اتبعها أصحاب الأمزجة الحزينة ، والعواطف الثائرة ، لاستراحوا وهدأت عواطفهم .

ونحن نجد فى ديننا الإسلامى أنجح علاج لهذه الأمراض ، ذلك هو الرضا ، الرضا بما حصل عليه الإنسان من خيرات ، وما حققه من آمال ، والرضا بما يصيبه من أحداث ، فإن الرضا أكبر داعية إلى هدوء النفس وطمأنينتها ، وإلى التغلب على آلامها وهمومها ولن يرضى الإنسان - حق الرضا - حتى ينظر إلى الحياة نظرا سليما ، وحتى يملأ نفسه الإيمان الخالص ، فإذا نظر إلى الحياة نظرا سليما رأى أنه أعطى من الخيرات ما يكفل له عيشة هنية راضية ، وإذا ملأ نفسه الإيمان الخالص رأى أن كل الأحداث التى تمر به أمور عادية فى الحياة ، ليس هو المختص بها من دون الناس . والفرق بين رجلين أحدهما صاحب مزاج ضاحك مستبشر ، والآخر صاحب مزاج باك حزين هو ما تعبر عنه هذه الكلمة : يقول المتفائل : إن كأسى ملأى إلى نصفها ، أما المتشائم فيقول : إن كأسى فارغة إلى نصفها لحظهما من الحياة لم يختلف ، ولكن اختلف نظرهما إليها . على أن الإنسان لو نظر إلى من

هو دونه - فى شئون الدنيا - كما أمر بذلك ديننا الحنيف - لملأت نفسه السكينة . وهذا أيضا ما نجده فى تعاليم المحدثين ، يقول أحدهم :

كاد القلق يبددنى هباء ... لأن قدمى افتقدتا حذاء
حتى رأيت منذ يومين ... شخصا بلا قدمين

ولو فكر الإنسان فيما عنده لرأى نفسه مقصرا فى شكر ما أنعم الله به عليه ، ولقد شكى بعض الناس فقره إلى بعض أرباب البصائر ، وأظهر شدة اغتمامه فقال له : أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا . قال أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا . قال : أيسرك أنك قطيع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا ؟ قال : لا . فقال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا . فقال : أما تستحى أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا ؟ !

لو فكر الناس تفكيرا سليما ، ولو آمنوا إيمانا خالصا ، لرضوا بنصيبهم من الحياة ، ولو رضى الناس بحظوظهم من الدنيا ، لعاشوا فى سعادة ونعيم ، ولا ستغنى العالم عن نصف الأطباء ، ولكن :

كل من لاقيت يشكو شجوه ... ليت شعرى هذه الدنيا لمن ؟

على محمد حسن العمارى



الدين والوطن

من لا خير فيه لدينه ، لا خير فيه لوطنه . لأنه إن كان بنقضه عهد الوطنية غادرا فاجراً ، فهو بنقضه عهد الله وميثاقه أغدر وأفجر . وإن الفضيلة للإنسان أفضل الأوطان فمن لم يحرص عليها فأحر به أن لا يحرص على وطن السقوف والجدران (المنفلوطى)



تعليقات

١ – حول الفن القصصى فى القرآن

جاء فى صحيفة الأهرام بتاريخ ٦ - ٢ - ١٩٥٤ تحت عنوان ـ الفن القصصى للقرآن ـ كلام لمدرس بكلية آداب القاهرة ، وتأييد له بحديث لعميد الكلية بالنيابة . ينتهيان إلى أن رسالة « الفن القصصى فى القرآن الكريم » ليس فيها كفر ولا نحوه ، وأن هذه الضجة التى أثيرت حولها منذ سنين سبع لا معنى لها ، وأن إبعاد صاحبها عن الجامعة لا مبرر له ، وأن الحياة خارج الجامعة تحتمل من حرية البحث ما لا تحتمله الحياة داخل الجامعة .

وقد يكون لهذا الكلام هدف خاص مثل إعادة صاحب هذه الرسالة إلى الجامعة بعد ما أقصى عنها بقرار جامعى ، حكومى ، برلمانى ، وقد يكون ذلك استجابة لبعض هذه المحاولات التى تجرى الآن فى كلية الآداب ، على أساس التكتل المعروف ... وهو شىء لا يهمنا .

وقد كان من المفروض الاكتفاء بهذا الرد الموجز القيم الذى نشرته مجلة الأزهر فى عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣ هـ للأستاذ الكبير السيد محمد أحمد الغمراوى ، ولكن للمسألة جوانب أخرى ينبغى أن تسجل فى هذه المجلة الكريمة ، ليكون الناس على بينة من أمرها ولئلا يخدعوا بشائعات المغرضين .

* * *

وأول ذلك أن مشروع هذه الرسالة حين تقدم إلى كلية الآداب سنة ١٩٤٧ رفضت لجنة الفحص تقديمه للمناقشة وأسقطته لأسباب علمية ، دينية ، خلقية ، ويكفى أن أشير بغاية الإيجاز إلى أن هذه الرسالة تقيس القصص القرآنى بمقاييس ليست وثيقة ولا مقررة فإن خالف القرآن تلك المقاييس كان عند أصحابها كذبا وافتراء على التاريخ ، أو كان نوعا من ذلك الفن الأدبى الذى لا يلتزم الواقع التاريخى ، ولا الصدق العقلى ، وإنما يخضع

فى تأليفه لهذه الحرية الفنية التى يخضع لها كل فنان موهوب ، وتطبيقا لهذه القاعدة ، صار القرآن - فى رأى هذه الرسالة - يتقول على اليهود وينطقهم بما لم ينطقوا به ، ويتقول أموراً لن تحدث . ويقرر أمراً خرافيا أو أسطوريا ثم يعود فيقرر نقيضه . ويغير الواقع ويبدل ويزيد وينقص بحكم هذه الحرية الفنية . وهكذا كانت قصة موسى فى سورة الكهف ليس لها أصل تاريخى ولا أسطورى ، والإجابة عن الأسئلة التى كان يوجهها المشركون للنبى ﷺ ليست تاريخية ولا واقعية . وقصة إبليس مع آدم من الخلق الفنى الذى لم يتشبث فيه القرآن بالواقع . ومصادر القصص القرآنى ، هى التوراة والإنجيل والأقاصيص الشعبية ، وما امتزج بها من عناصر فارسية وإسرائيلية ، وإن ما تمسك به المستشرقون على أنه من أخطاء محمد الناتجة عن جهله بالتاريخ ليس بذى بال . ذلك لأن المسألة تعلل بأكثر من سبب . فقد يكون ذلك من عمل الفنان الذى لا يعنيه الواقع التاريخى ، ولا الحرص على الصدق العقلى ، وإنما ينتج عمله ، ويبرز صوره ، ويوحى بما يشاء ، بقدرته على الابتكار والاختراع ، والتغيير والتبديل .

ثم تدعى كذبا ، وجهلا ، وخيانة على أمثال الزمخشرى ، والفخر الرازى ، ومحمد عبده أنهم قالوا بما يؤيد هذا الهراء الجاهل الضال .

* * *

وأخطر من ذلك أن ينشر أصحاب هذه الرسالة فى بعض الصحف أن كلا من فضيلتى الشيخ عبد المجيد سليم ، والشيخ محمود شلتوت قد أفتى لصالح هذه الرسالة ، ولكن فضيلتى الأستاذين يكذبانهم علنا فى الصحف . . . ثم ماذا ؟

ثم يطالب السيد عبد الرزاق السنهورى وزير المعارف حينذاك إلى فضيلة الشيخ محمود شلتوت فحص هذه الرسالة وكتابة تقرير عنها ، فإذا بهذا التقرير يدمغها ، بالكفر ، وبالجهل ، والفساد ، لأنها قامت على أسس فاسدة ، وأنها غارقة فى تكذيب القرآن الكريم ، وأن كاتبها افترى على العلماء ، وأنه جاهل لا يفهم النصوص ، وختم تقريره برجاء الرئيس الأعلى للجامعة أن يطهرها من هذه الدراسة التى تنافى الحرية العلمية ، وتنتهى إلى الفوضى ، وتهدم الأصول الإسلامية فى هذا البلد الإسلامى الكريم .

* * *

ولم يسكت الأزهر ، فقد قال رأيه فى هذه المسألة التى تعد من صميم اختصاصه . فقد أفتى أكثر من مائة عالم أزهرى فى طائفة كثيرة من نصوص هذه الرسالة بأنها مكفرة يخرج بها صاحبها من الدين الإسلامى . . . الخ .

* * *

ثم ماذا ؟ ثم تقدم النائب المحترم السيد الأستاذ عبد العزيز الصوفانى يستجوب الحكومة عن موقفها من هذه الرسالة ، فرجعت الحكومة إلى الجامعة وعادت منها برفض الرسالة ، وإبعاد كاتبها عن الجامعة ، وتحمل الطالب وحده مسئوليتها وذلك بجلسة ١٩٤٨/٣/٢٤ وهنا سكت المشرف ، وقضى نهائياً على هذا المشروع الجاهل ، الضال . الفاسد .

* * *

وهنا نسأل : هل هذه الصورة المطبوعة التى قال عنها عميد الآداب بالنيابة ما قال . هل هى مطابقة لذلك الأصل الذى قدم إلى لجنة الفحص بكلية الآداب سنة ١٩٤٧ . ويعرف العميد بالنيابة من أمره ما يعرف ؟ !

الواقع أن هذه الصورة المطبوعة ليست مطابقة لذلك الأصل أولا . ثم هى صورة لا تزال جاهلة ، ضالة ، فاسدة ثانياً : كما أعلنت ذلك فى بحث مطبوع منشور من قبل .

أما أولا : فأين فى هذه الصورة المنشورة ما قيل فى الأصل عن مصادر القرآن ؟ وأين ما قيل عن قصة موسى فى سورة الكهف ؟ وأين ما قيل ما يفيد : إما أن محمداً فنان هذا القرآن وصاحبه وإما أنه من عمل الذى لا يعنيه الواقع التاريخى ولا الصدق العقلى وإنما يغير ويبدل ويزيد ويخترع لأنه فنان موهوب ؟ وكيف حرفت عبارة تدل على أن القرآن لم يتشبث بالواقع فى قصة إبليس وآدم ، وكيف اضطرب الأمر أمام الأسطورة والأساطير بعد ما قال الأقدمون إن الأساطير كذب وبهتان لم ينزل به وحى . إلى غير ذلك مما يثبت التزوير والتضليل ؟ !

وأما ثانياً ، فلا يزال القرآن — فى هذه الصورة المنشورة — يتقول على اليهود ، ويتقول ما لن يحدث ، ويحكى غير الواقع ، وحين يقول القرآن الكريم « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى » . . تتوقف هذه الصورة المنشورة أمام هذا النص الحاسم الذى يقطع بأن قصص الرسل غير كاذب ولا مفترى ، وتقول : ولا يصح لمعترض أن يعترض على أن فى الأقاصيص القرآنية مخالفات للحق والواقع أو مخالفات للتاريخ إلى غير ذلك مما هو آخذ بآفاقها .

وأحب أن أشير هنا إلى أن ما ورد فى هذه الصورة المطبوعة عن قول الله تعالى عن اليهود : « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله » يقول كاتب الرسالة بالحرف الواحد : « فليس من شك أن اليهود ينكرون رسالة عيسى ومن أجل ذلك قتلوه ، فهم لم يقولوا هذا القول وإنما أنطقهم به القرآن » .

وبدهى أن عبارة — رسول الله — إما أنها من قول اليهود سخرية ، وإما من قول الله بيانا للواقع وإكبارا لعيسى عليه السلام ، وهذا ما أراده صاحب الكشاف وإن لم يفهمه أصحاب الرسالة ، ومن الخير لهم أن يرجعوا إلى الكشاف فى هذه الآية ليعرفوا أن الزمخشرى يقول فى بيان ذلك : قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون « إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون » ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به ، وتعظيما لما أرادوا بمثله كقوله « ليقولن خلقهن العزيز العليم ، الذى جعل لكم الأرض مهداً » .

وواضح أن صاحب الكشاف يريد أن الله تعالى يضع الذكر الحسن على أنه من قوله هو تعالى ، لا على أنه من قول اليهود ، يفعل ذلك أثناء حكايته قصتهم ومجادلتهم . وإذا أرادوا زيادة الإيضاح فليرجعوا إلى ما قاله الزمخشرى نفسه فى تفسير هذه الآية « ليقولن خلقهن العزيز العليم » من سورة الزخرف ، لعلهم يعلمون من هذه المقايسة ما يريد صاحب الكشاف بقوله فى تفسير آية النساء .

كذلك تقولوا — وهم فى سبيل الدفاع عن هذه الرسالة — على الأستاذ محمد عبده . فقالوا : إنه يجرى على طريقة الخلف إزاء القول فى القصص القرآنى ، فيكذبهم الشيخ محمد عبده نفسه بقوله : وأنا على طريقة السلف فى وجوب التسليم والتفويض . وذلك بصدد القول فى قصة الخليقة . وتقولوا على الشيخ محمد عبده أنه قال : إن القرآن لا يلتزم حدود التاريخ وذلك فى تفسير قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . . » ولكن الشيخ محمد عبده لم يقل ذلك ولم يعلنه مدويا فى الرواق العباسى كما ادعوا عليه ، فليرجعوا إلى تفسير المنار لعلهم يعلمون من قاله ، بل لعلهم يفهمون ما قيل هناك .

وقد كفانا الأستاذ الشيخ محمود شلتوت — فى تقريره عن هذه الرسالة — مئونة الرد على ما ادعته هذه الرسالة وأصحابها على الشيخ محمد عبده من أنه قال : إن القصص القرآنى من

المتشابه بهذا المعنى الذى يجرى فيه التأويل والتفويض ، والتقرير بين أيدينا لمن يريد أن يراه ولعل مجلة الأزهر تتسع لنشره كاملا .

وأما موقفهم من الفخر الرازى ، فقد بينه المرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوى بما فيه الكفاية فى مجلة الرسالة عدد ٧٤٩ - نوفمبر سنة ١٩٤٧ . وذلك بمناسبة تفسيره قوله تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هـــذه الحق ، وموعظة وذكرى للمؤمنين » وانتهى من مقاله هناك إلى أن أثبت على أنصار الرسالة الجهل ، والكذب والخيانة (ص ١٢٣٦ من مجلة الرسالة عدد ٧٤٩) ولولا ضيق المجال هنا لأوردت ما نشر هناك أو فصلت القول فيه .

أحمد الشايب

---

٢ - فى ركاب أبى بكر وعمر

ما كاد ينتشر الجزء الماضى من مجلة الأزهر ، وتتناوله الأيدى حتى حمل إلينا البريد قصيدة تائية رائعة من نظم الأستاذ صابر على رمضان الجوشنى ، يستغرب فيها كيف يوجد فى الأرض مسلم ينتسب إلى العلم ، ثم يشك فى إيمان صاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر وعمر . ومن قوله فيها :

سلوا الشيخ ما شأن إيمانه ... وما الراشدون وما البيعـــة
أولئك لو تجهـــل الراشدو ... ن وهم - أيها العالم - الصفوة
وأصحـــاب هذا النبى الكر ... يم .. وهم بعده للورى رحمة
لقد قتل المسلمين الخـــلا ... ف ، فكل له منهم غاية
فهذا الإمام ، وهـــذا الزعـ ... ـيم ومن خلفهم فى الورى لجة
تعالى الذى أبدع الكائنا ... ت « وفى كل شىء له آية »

والقصيدة طويلة ، وفيها تعريض ودفاع شديد ، فاكتفينا من ذلك بهذه الإشارة ، على طريقتنا فى الدفع بالتى هى أحسن . (المجلة)

٣ - موقف رجال الدين من السينما

نشرت أخبار اليوم فى عددها الصادر فى ٢٠/٢/٥٤ حديثاً للكاتب الكبير الأستاذ محمد التابعى عن الأفلام التمثيلية التى تعرض فى دور السينما « للدعاية الدينية ، ولغير دين الإسلام » .

وقد هاله الأستاذ التابعى - كمصرى مسلم - أن تذاع خمسة أفلام للدعاية غير الإسلامية فى بلد كمصر ، وفى عام واحد ، ثم لا يذاع بجانبها فلم واحد عن الإسلام وهو دين الدولة . كما هاله أن تمر هذه الأفلام حتى تظهر على الشاشة أمام جمهرة المسلمين وغير المسلمين ، وفيها ما فيها مما يمس كرامة الأنبياء ، دون أن يبدى رجال الأزهر والدين - على حد تعبيره - اعتراضاً على ذلك ، فى حين أن مشيخة الأزهر قد سبق لها أن تعرضت لشركات مصرية يوم قيامها بعرض مثل هذه الأفلام ، بحجة « أن للأنبياء والرسل والخلفاء الراشدين وكبار الصحابة كرامة قد تعز صيانتها على التمثيل ، وأن لهم شخصيات فذة فريدة قد تستحيل على مقدرة التمثيل وكفاءة الإخراج ، وأنه مما لا يتفق مع هذه الكرامة وهذه القداسة أن يقوم بتمثيل دور نبى أو رسول أو صحابى كبير ممثل قد تكون له عيوبه ونقائصه فى الحياة الخاصة ، وقد تكون معروفة عند الجمهور » .

فكيف يسمح - وهذه حجة رجال الدين - لشخص هذه هى عيوبه ونقائصه بتمثيل دور نبى ورسول كريم ؟ كيف يسمح رجال الدين بهذا الاعتداء على كرامة هؤلاء الأنبياء والرسل وهى الأمانة فى أعناقهم ، بصفتهم الحفاظ الأمناء على كرامة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

ولكن رجال الدين والأزهر لا يذكرون هذه الأمانة التى فى أعناقهم إلا فى الأفلام المصرية ومع الممثلين المصريين ... إلى آخر ما كتب الأستاذ التابعى .

والأستاذ مشكور على غيرته البادية فيما كتب ، وعلى استنهاضه رجال الدين والأزهر إلى القيام بواجبهم نحو من يتعرض للأنبياء والرسل من غير تفريق بين الممثلين المصريين وغير المصريين .

غير أنه أبدى فى نهاية مقاله ـ وفى كثير من عباراته قبل النهاية ـ أنه يود لرجال الدين أن لا يمنعوا أحداً ، بل يدعوهم إلى إباحة عامة لكل من يرى تمثيل نبى أو رسول . ويعتبر منع ذلك « من التقاليد البالية ، وخرافة من الخرافات التى لا يجد هو سنداً لها من كتاب الله أو فى سنة أو حديث (كذا !) .

ومع التناقض الواضح فى موقف الأستاذ ـ من غيرته أولا على الأنبياء ، وتأثره لعدم نشاط رجال الدين ، ومن دعوته أخيراً إلى إباحة هذا التمثيل عامة ، واعتباره أن منع ذلك خرافة بالية ـ نطمئنه على أن موقف رجال الدين من هذه الأفلام الأجنبية اليوم هو موقفهم من الأفلام المصرية بالأمس ، وأنهم لم يفرقوا بين مصرى وغير مصرى فى ذلك . بل سبق أن أفتت لجنة الفتوى بالأزهر بمنع شركة أجنبية من عرض فلم يمثل يوسف عليه السلام ، ونشرت هذه الفتوى فى الصحف .

وأخيراً كتبت مشيخة الأزهر إلى الجهات المختصة بما تراه فى فلم « الرداء » بالذات ، وفى نحوه من الأفلام التى أشار الكاتب إليها ، وتلقت المشيخة رد تلك الجهات بالموافقة على وجهة نظر الأزهر ، مؤكدة أنها معنية بتنفيذ ما جاء فى خطاب المشيخة من ملاحظات .

أليس هذا دليلا على أن رجال الأزهر لا يميزون فى إنكار المنكر بين ما يصدر منه عن شركات مصرية وما يصدر منه عن شركات أجنبية ؟

وهل يملك الأزهر أكثر من ذلك ؟ أو هل بيده وسيلة أخرى يقف بها تلك الأفلام غير لفت أنظار المسئولين إليها .

ليطمئن الأستاذ التابعى إلى أن الأزهر سبق إلى عمل ما يملكه إزاء هذا الموضوع ، فإن لم يكن علم فله أن يستريح الآن ، وإن كان يعلم وإنما يتذرع بهذه الغيرة إلى الغمز الجارح ، واعتباره أن المنع لهذه الأفلام خرافة بالية لا سند لها عنده من كتاب ولا سنة ولا حديث ـ كما يقول ـ فالسند عند غيره من أهل الذكر . وليس حتما أن يكون السند عند كل فرد من الأفراد . وإن كان علم الأستاذ بالسند أو عدم علمه به مما يتيح له أن يكون صاحب الرأى فى هذا الشأن ، فليتفضل هو بالمبادرة إلى الإفتاء فى هذا دون أن يعتب على الأزهر ويغمز بما لا يليق .

وقبل أن نختم هذه الكلمة نود أن تعيد الدولة نظرها إلى السينما بوجه عام، فترسم لمصر سياسة حكيمة صالحة فيما يوافق مصلحة الأمة، ويحفظ عليها أخلاقها ودينها، ويوفر لها أسباب السعادة البيتية والاجتماعية، فإن ذلك من أهم الأسس فى السياسة التوجيهية الرشيدة التى يجدر بالدولة أن تأخذ بها فى نهضتها الحاضرة. (المجلة)

---

٤ — رد على رد ـ حول خرافة الميتافيزيقا

كان فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء، قد نشر فى جزءى صفر وربيع الأول من هذه السنة مقالين فى نقد كتاب (خرافة الميتافيزيقا) للدكتور زكى نجيب محمود، وخص بالعناية بحثا من بحوثها وهو الخاص بقانون التناقض. ثم نشرنا فى جزء جمادى الأولى مقالا للأستاذ الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، أشار فيه إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية فى نقض ما فى المنطق من نواحى الضعف، إلى غير ذلك مما لا يزال القراء على ذكر منه.

وقد جاءتنا فى هذا الشهر مقالة مطولة من فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة يرد بها على مقالة الأستاذ الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، ويقول له فيها:

« إنى قرأت كتاب ابن تيمية فى نقد المنطق مطوله ومختصره... ولم أر فى الكتاب ولا فى مختصره ما يعيب به قانون التناقض، ولا ما يمسه من قريب أو بعيد. وكنت أحب من الشيخ الناقد أن يدخل فى موضوع المناقشة ويهدم ما ذهبت إليه، ويؤيد المؤلف فى هذا الموضوع المحدد، ولكنه لم يفعل، وذهب إلى عمومات يتكلم فيها لاتحق حقا ولا تبطل باطلا ».

ولما كانت وجهة كل من الكاتبين قد تبينت مما سبق نشره لهما من قبل، فقد اكتفينا من مقال فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة بهذا القدر، لئلا نشغل القراء عن مهمة المجلة الأولى من البحوث الإسلامية، والمعانى العامة التى يشترك فى الإفادة منها العدد الأكبر من القراء. (المجلة)

٥ — تفسير بيت من شعر جاهلى

نشرت المجلة بالصفحة ٦٨٥ بالجزء الأخير ، كلمة للأستاذ محمد بدوى المختون خطأ فيها الأستاذ عز الدين إسماعيل فى تفسير هذا البيت . وهو :

فإن أنتم لم تثأروا واتديتم فمشـــوا بآذان النعام المصلم

إذ فسره بقوله « أى أنكم إن لم تثأروا وقبلتم الدية ، فتمشون كما يمشى النعام المقطوع الأذن ، لا تسمعون ما يقال فيكم من العار » .

وقال : إن الصواب أن « مشوا من المش بمعنى المسح . ومنـه المشوش أى المنديل الذى يمسح به .

والواقع أنهما روايتان ، وكلاهما صواب حسبما قرره شارحا ديوان الحماسة العلامة التبريزى والإمام المرزوقى وشارح الأمالى :

قال التبريزى ج أول ص ١١٨ من طبعة بولاق ما يأتى :

وقوله : فمشوا بآذان أى امشوا . وضعف الفعل للتكثير (ومن روى فمشوا فمعناه امسحوا . ويقال لمنديل الغمر المشوش) والمعنى إن لم تقتلوا قاتلى وقبلتم ديتى فامشوا أذلاء ، بآذان مجدعة كآذان النعام .

ووصف النعام بالمصلم تصغيراً لها وإن كانت خلقة . يقول : كأنكم مما تعيرون ليست لـكم آذان تسمعون بها فامشوا بغير آذان أى صماً عما يتكلم به الناس فى عيبكم .

وقال الإمام المرزوقى جزء أول ص ٢١٨ .

وقوله (فمشوا) أى امشوا . وضعف الفعل للتكثير . (ومن روى فمشوا بضم الميم فمعناه امسحوا . ويقال لمنديل الغمر المشوش) .

والمعنى إن لم تقتلوا قاتلى وقبلتم ديتى فامشوا أذلاء بآذان مجدعة كآذان النعام . ووصف النعام بالمصلم تصويراً لها ، وإن كانت خلقة جميعها كذلك .

وجاء فى سمط اللآلى فى شرح الأمالى ص ٨٤٨ بعد أن ذكر البيت :

تريد : إن قبلتم الدية فكونوا صماً وامشوا بآذان النعام . فإن الناس لابد لهم من الحديث بما فعلتم . والنعام لا يسمع . يقال : صلخ كصلخ النعامة .

وقال علقمة :

فوه كشق العصا ما إن تبينه   أسك ما يسمع الأصوات مصلوم

وما ههنا بمعنى الذى . أى أسك الشىء الذى يسمع الاصوات .

وقال قوم : إنما أراد امشوا أذلاء ، كما يمشى من صلمت أذناه .

ويقوى هذا المعنى قول أخت ابن مية التى قتل زوجها فى جوار الزبرقان :

أجيران ابن مية خبرونا   أعين لابن مية أم ضمار

متى تردوا عكاظ توافقونا   بآذان مسامعها قصار

ويروى : فمشوا بضم الميم أى امسحوا بآذانكم المصلمة .

جزيرة الروضة   **محمد فؤاد عبد الباقى**

تزوير بيتين على أبى فراس

حكى بديع الزمان الهمذانى قال : قال الصاحب بن عباد يوماً لجلسائه ـ وأنا فيهم ـ وقد جرى ذكر أبى فراس الحمدانى :

ـ لا يقدر أحد أن يزوّر على أبى فراس شعراً .

فقلت : ومن يقدر على ذلك وهو الذى يقول :

رويدك لا تصل يدها بباعك   ولا تغز السباع إلى رباعك

ولا تغر العدو على إنى   يمين إن قطعت فمن ذراعك

فقال الصاحب : صدقت .

فقلت : أيد الله مولانا قد فعلت .

والبيتان ارتجلهما بديع الزمان فى ذلك المجلس ، بأسلوب أبى فراس الشعرى ، حتى خيل إلى الصاحب أنهما من شعر أبى فراس حقا .

ركن الطلبة :

مقتطفات

١ - الأزهر والحيـــاة

تتفاوت قيم الجامعات العلمية ، بقدر تفاوتها فى قيم الأمانة التى تحملها ! ومن هنا ترتفع درجة الأزهر فى مقاييس العظمة إذا ما قيس بسواه من الجامعات .

فالأزهر هو صوت السماء إلى الأرض ، وهو الرسالة الإصلاحية الكبرى التى بعث الله بها المصلحين الأولين من الأنبياء والمرسلين .

وبقدر ما كان حساب الرسل عسيراً ، مما لا يؤاخذ به سواهم ، يحاسب الأزهر من داخله أو خارجه ، فيؤخذ عليه ما لا يؤخذ على سواه ، والثوب الناصع يجسم النقطة السوداء ! وإذ لم تضق صدور الأنبياء بحساب أو عتاب فلن نضيق نحن الأزهريين بنقد أو توجيه أو إصلاح إذا صدر ذلك عن وعى إسلامى يقظ ، ونحن أرحب الناس صدراً بكل ما يعيد للدين حرمته ، وللعلم دولته ، وللأزهر صولته ، ونرتقب فى شغف ذلك اليوم الذى نلمس فيه وجوه الإصلاح التى يتوخاها أستاذنا الأكبر إلى أن يكون الأزهر شمس الأرض بإزاء الشمس فى السماء ، وكعبة للعلم فى مصر بإزاء الكعبة للصلاة والحج فى مكة ، وإن منطق الحياة يقتضى الأزهر أن يكون بأبنائه نموذجاً حياً للنبوة يمشى بين الناس فى الأرض ، ينشر رسالتها فى كل عصر ومصر .

ألا وإن فى الأزهر عناصر كثيرة من الخير ولكنها أشتات وأوزاع ، وما بقى إلا أن تتجمع وتتكتل وتتناسى كل شىء إلا أن تنصهر فى بوتقة الصلاح والإصلاح ، وتعتكف فى محراب العمل والإنتاج .. إنهم إن فعلوا كان الخير للدنيا ، وكان النصر للدين ، وكانوا أزهريين مثاليين .. والله ولى التوفيق .

محمد الأحمدى أبو النور
كلية أصول الدين

٢ – المساواة فى الاسلام

المساواة أن يشعر كل فرد أنه مساو لأخيه فى الحقوق والواجبات ، ولقد هز محمد عليه السلام ، العالم بالنداء بها هزاً حتى زلزل على أصحاب العروش عروشهم ، وأذل المتطاولين بجاههم وسلطانهم ، لأن الناس جميعاً فى ذلك الوقت كانوا على خلاف الفطرة .

أراد الإسلام أن يثبت المساواة ، وأن يزيل الفوارق بين الناس ، فأبان لهم أن التميز إنما يكون إذا اختلف الأصل الذى منه خلقوا ، ولكن الأمر بالعكس فالأصل واحد « يأيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب » .

وإذا كان لابد أن يتفاخر الناس فيما بينهم ، فهناك سبيل الخير والتقوى والعمل الصالح ، « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وبلغ من حرص الرسول فى تحقيق هذا المبدأ ، أن طبقه على نفسه يوم بدر حينما وكز رجلا خرج عن الصف فقال الرجل : « آلمتنى يا رسول الله » فتقدم إليه الرسول وناوله « الجريدة » التى وكزه بها وقال له : « اقتص منى » .

وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب يوم أن وقعت بالمسلمين مجاعة فى عهده فامتنع أن يذوق الشهى من الطعام حتى اسود لونه وضعفت صحته .

لقد ظن من لا معرفة له برسالة الإسلام ، أن الدعوة إلى المساواة من فضائل الغرب ، فأين تقرير الإسلام لمبدأ المساواة من تمييز الغرب بين بنى الإنسانية فى ألوانهم وأوطانهم وأجناسهم ! هذا مع سبق الإسلام إلى هذه الفضيلة وجده فى تحقيقها .

واليوم ، وقد تطهرت مصر من عوامل الفساد نهيب بقادة الثورة أن يحققوا هذا المبدأ الإسلامى بين جميع طبقات الأمة مهما كلفهم ذلك من جهد ، فبتحقيقه تطهر الصدور من الإحن ، وتعيش الأمة عيشة الأسرة الواحدة فى إخاء وتعاون وتنعم بعيش رغد .

عبد الرحمن شمس الدين
طالب بمعهد القاهرة الثانوى



السجل الثقافى فى سنة ١٩٥١

إدارة التسجيل الثقافى — ٥٣٣ ص — المطبعة الأميرية

نوهنا فى العام الماضى (ص ٥٠١) بهذا الكتاب السنوى الحافل الذى تصدره إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف العمومية وتؤرخ فيه حركة الطباعة والنشر والصحافة والمحاضرات والهيئات والمؤتمرات والتعاون الثقافى والمهرجانات والمسابقات والمتاحف والحفائر والمعارض والمسرح والسينما .

وقد أهدى إلينا الآن المجلد الرابع من هذا السجل وفيه التنويه بما نشر فى مصر سنة ١٩٥١ من الكتب المؤلفة والمترجمة مرتبة على العلوم وملحقا بها كتب السلاسل وكتب الطفولة ، وختم الباب بإجمال ومقارنة من سنة ١٩٤٨ لغاية سنة ١٩٥١ .

ويلى باب الكتب الرسائل الجامعية ، وهى رسائل الدكتوراه والماجستير فى كليات جامعة فؤاد وجامعة الإسكندرية .

والباب الثالث عن دور الكتب العامة ومكتبات الجامعات والمعاهد العليا ومكتبات الهيئات الحكومية والهيئات الحرة .

والباب الرابع لدور النشر فى مصر . والخامس للصحف والمجلات . والسادس للمحاضرات والسابع للإذاعة . والثامن للهيئات . والتاسع للمؤتمرات . والعاشر للتعاون الثقافى . والحادى عشر للمهرجانات والمسابقات . والثانى عشر للمتاحف . والثالث عشر للحفائر . والرابع عشر للمعارض . والخامس عشر للمسرح والسينما .

وقد امتاز هذا الجزء من السجل الثقافى بزيادة فهرس جديد لأسماء الكتب الموصوفة فيه مرتب ترتيبا هجائياً .

أيام الكويت

للأستاذ أحمد الشرباصى - ٥٤٤ ص - مطابع دار الكتاب العربى

قضى فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى العام الدراسى الماضى فى ربوع الكويت مبعوثا للأزهر الشريف هناك. فكان من ثمرات هذه الرحلة العلمية هذا الكتاب الحافل عن ذلك البلد الطيب، وقد جمع فيه بين رواية التاريخ ووصف المشاهدة ولمحة الذكرى.

ويقول المؤلف فى وصف الكويت إنها الآن فى مفترق الطرق: كانت بالأمس تجاهد فى سبيل الحياة صابرة بما تهيأ لها من وسائل أو أسباب، ثم تفجر فيها ينبوع الثروة «النفط»، فتفتحت أمامها أبواب النهضة، وأسرف فى تزيين الدعاوى لهذه النهضة من أسرف، وحدا ركبها بحسن الظن وصدق التوجيه وتوقع الخير وتجنب الشر من حدا، والله المسئول أن يجعل مستقبلها أكثر مما عليه حاضرها من خير وتعمير.

والكتاب بما اشتمل عليه من مئات الصفحات سجل حافل بكل شىء عن الكويت فى ماضيها، وحاضرها، مصوراً مفصلا.

وقد يستطرد لفوائد ومعارف تزيد الكتاب قيمة. وفضيلة المؤلف معروف بنشاطه وبلاغته وفضله.

خواطر فى الأدب

ودراســـة نصوصه ونقدها

جمعية التمدن الإسلامى بدمشق - ٨٠ ص - مطبعة الترقى بدمشق

كتيب لطيف للأستاذ أحمدمظهر العظمة رئيس تحرير مجلة التمدن الإسلامى بدمشق، تكلم فيه عن الأدب وإصلاح المجتمع، وعن جمال الأسلوب، ودراسة النصوص الأدبية، وعن البحترى فى وصف إيوان كسرى، وابن الرومى فى رثائه مدينة البصرة عند نشوب ثورة الزنج، ثم الموازنة بين رثاء ابن الرومى للبصرة وقصيدة شوقى القافية فى نكبة دمشق، وختم الكتاب بفصل فى النقد الأدبى، وآخر فى الذوق والنقد الأدبى، ومثل هذه الفصول مما يحتاج إليه شباب المتأدبين عند دراستهم الأدب فى المدارس.

ذكريات مستشار سابق

للأستاذ السيد محمد شريف — ١٢٨ ص — المطبعة السلفية

لو أن كل من اجتاز طريق الحياة من أهل العلم والفضل ، دون لمن بعده أهم ما لاحظه في مراحل العمر . لكان للخلف ثروة أدبية من تراث آبائهم تربو على مواريث المادة . والمستشار السابق الأستاذ محمد شريف ، أحد الذين قاموا بذلك فنشر هذا الكتيب اللطيف عن ذكرياته منذ كان طالباً في الحقوق إلى أن أكمل معظم الشوط في سبيل الحياة .

وأكثر ذكرياته تدور حول بحوث علمية ، وذكريات إسلامية ، ومناقشات اجتماعية وأدبية ودينية ، ومقتبسات من مصادر شرقية وغربية وقد بلغت بضعة وعشرين فصلا .

وكان قد حاضر ببعضها في بعض الجمعيات الإسلامية ، ونشر بعضها في صحف أدبية . ثم رأى أن يجمعها في هذه الرسالة ، فأحسن بذلك ، أحسن الله إليه .

أبو علي بن سينا

نبذة من حياته السياسية

دار منشورات البصري — ٨٠ ص - مطبعة أسعد ببغداد

ألف هذه الرسالة باللغة الفارسية رحيم زاده صفوي أستاذ الأدب الفارسي في جامعة طهران ، ونقلها إلى العربية السيد علي البصري بالبصرة ، ونظر فيها وكتب حواشيها ورد ما فيها من الأوهام ، الأستاذ العبقري الفاضل السيد محمود الملاح ، وهذه الرسالة قد لا تفيد القارىء علماً ممحصاً عن حياة ابن سينا بقدر ما تفيده علماً بالعقلية المتغلبة على المشتغلين بالعلم والمنسوبين إليه إذا لم يكن اشتغالهم بالعلم لأجل العلم ، حتى لو بلغوا فيه مرتبة التدريس في جامعة كما هي حال مؤلف هذه الرسالة الذي اتخذ من حياة ابن سينا ذريعة لبث آراء غير ناضجة ، ودعاوى لا يقيم الأدلة عليها ، مع ادعاء نصوص غير معزوة إلى مصادر محترمة . ولذلك اضطر الأستاذ الملاح إلى التعليق على أكثر ما ورد فيها مما يحتاج إلى تصحيح . وقد أحسنت دار منشورات البصري بالاستعانة بهذا الفاضل الغيور على العلم ، فجاءت تعليقاته خيراً من الأصل وأنفع .

الأدب والعلوم في شهر

المصطلحات الفقهية والمصطلحات القانونية

اعتذرت الحكومة العربية السعودية إلى الجامعة العربية عن الاشتراك فى أعمال اللجنة القانونية المنوط بها بحث مشروع توحيد المصطلحات القانونية ، لأنها تعمل بمصطلحات الفقه الإسلامى ، ولا تأخذ بالتشريع الوضعى .

كرسى الآداب العربية فى كمبردج

خطب الأستاذ آربرى (أستاذ الآداب العربية فى جامعة كمبريدج) عن الاستشراق ولا سيما فى انجلترا ، فكان مما قاله : إن كرسى الآداب العربية الذى يتشرف بالجلوس عليه أنشىء أول ما أنشىء سنة ١٦٣٢ (أى قبل أكثر من ثلاثمائة سنة) وإن كرسى الآداب العربية فى أكسفورد أنشىء بعد ذلك بأربع سنوات .

مدينة الأزهر بالعباسية

اجتمع فضيلة الأستاذ الأكبر بالمهندس مندوب شركة المساكن الشعبية وبالأستاذ المشرف على مشروع مدينة الأزهر الجامعية بالعباسية وتم الاتفاق فى هذا الاجتماع على أن تقام هذه المدينة على مساحة قدرها خمسة وعشرون فدانا على أن تستوعب ستة آلاف طالب من طلبة الأزهر والبعوث الإسلامية

اشتراك رجال الأزهر
فى الرقابة على الأفلام

اهتمت مشيخة الأزهر بما تعرضه بعض دور السينما فى مصر من الأفلام التى تتعرض للنواحى الدينية ، أو التى تمس الأخلاق والآداب العامة ، فكتبت إلى الجهات المسئولة فى هذا الشهر طالبة إليها أن تبحث الأفلام قبل عرضها بحثا دقيقاً ، بحيث يمنع منها ما يشتمل على دعاية دينية تتنافى مع تعاليم الإسلام أو مبادىء الأخلاق ، وملاحظة عدم عرض ما سبق عرضه منها فى مصر .

وقد تلقت المشيخة من تلك الجهات ما يفيد أنها معنية أشد العناية بهذه الناحية حريصة على ألا يمس الإسلام من قريب أو بعيد .

هذا ، وقد تم الاتفاق بين الأزهر والجهات المختصة على اشتراك اثنين من رجال الأزهر فى أعمال الرقابة على السينما لأداء هذه المهمة

الأزهر فى البرلمان التركى

تقدم نائب تركى باقتراح إلى البرلمان بأن يعفى الطلبة الأتراك فى الأزهر من الخدمة العسكرية فى مدة دراستهم أسوة بزملائهم الطلاب فى جامعات أخرى .

وأحيل الاقتراح إلى لجنة العرائض فأقرته . ولما تلى قرار اللجنة فى البرلمان نهض وزير المعارف فقال : إننا نعترض على هذا القرار ، وكانت حجته والمعلومات التى أدلى بها هى أن فى الأزهر ٨٤ طالبا تركيا منهم ٢٩ يجهلون القراءة والكتابة (ولعله يريد أنهم يجهلونهما بالحروف اللاتينية ، ومع ذلك فإن هذا الأمر مستبعد) وقال إن ٢٨ منهم حائزون على شهادة التعليم الابتدائى فقط (ومعنى هذا أنهم فى القسم الثانوى من الأزهر) . وقال إن نظام الدراسة فى الأزهر للمصريين يختلف عنه بالنسبة لغير المصريين . وإنه ليس فى الأزهر نظام للامتحانات ، ولجنة الامتحانات هى التى تقرر نوع الامتحان ومادته ووقته . ونظام الانتساب لغير المصريين غير مقيد بشروط من سن أو شهادات مؤهلة .

وعقب عليه مقرر اللجنة السيد أحمد كوركان فقال إنه اطلع بنفسه على حالة الجامعة الأزهرية عند زيارته لمصر ، فالأزهر لا يقل شأنا عن الجامعات العالمية الأخرى ، وقد اتضح لى من دراستى لأوضاع هذه الجامعة أن مكانتها العلمية أرقى بكثير من عدد كبير من الجامعات المنتشرة فى أنحاء العالم ، وفيها بعثات من دول راقية ، وتدرس فيها جميع اللغات الحية .

ورد عليه النائب وصفى ماهر فوصف الأزهر بأنه يمثل الجهل الأسود ، وطالب بألا يسمح لأحد من الأتراك بالالتحاق به ، وعلى الراغبين من الترك فى الدراسات الإسلامية أن يتلقوها فى الجامعات الأوربية .

فرد عليه النائب على فخرى قائلا : « إن شبابنا يذهبون إلى مصر ليتلقوا دروس التربية المفقودة فى تركيا » وما كاد يعلن ذلك حتى عم الهرج والمرج قاعة البرلمان ، وأجبروه على النزول من منصة الخطابة ، وأعلن رئيس المجلس أن هذا الكلام إهانة موجهة إلى تركيا

ونهض بعده النائب السيد عبد الله أبيتمين فقال : إن الانقلاب التركى الحديث كان انقلابا واقعيا ، فكان علينا أن نقوم إلى جانبه بانقلاب دينى فنؤسس جامعة كجامعة الأزهر تخرج شبابا يرعون شئون الدين . ولكننا عملنا عكس ذلك فألغينا تدريس الدين وقضينا على رجاله ، ولم يستفد من عملنا هذا إلا الأساقفة ودعاة المسيحية . وها هو أحد نوابنا يقترح تعليم أبنائنا الإسلام فى أوربا .

ولما قال ذلك رد عليه الرئيس وأنذره بمنعه عن الكلام . واحتكم النائب إلى المجلس فأبيح له الكلام ولكن الرئيس رفع الجلسة . ولما أعيد انعقادها انصرفت الأكثرية ولم يكتمل النصاب القانونى .

الأستاذ الأكبر

يضع الحقائق فى موضعها

لما وصلت إلى مصر أخبار المناقشة التى دارت فى برلمان تركيا عن الأزهر والطلبة الأتراك المشمولين برعايته، قابل مندوب (المصرى) حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر وعرض ذلك عليه، فقال فضيلته :

« المعروف فى كل العالم أن الأزهر جامعة إسلامية منظمة تدرس العلوم على اختلافها فى مراحل التعليم الابتدائى والثانوى والعالى والتخصصات . وهو يفتح أبوابه لجميع الراغبين فى ثقافته . وفى الأزهر نظام تعليمى يقضى بتحديد سن من ينتسبون إليه، ولا يمكن لطالب أن ينتقل من سنة إلى سنة إلا بعد أن يجتاز بنجاح امتحانا تحريرياً وشفوياً فى العلوم المقررة، ولا يستطيع أن ينال الشهادات التى تمنح له إلا إذا نجح فى امتحان تلك الشهادة .

« إن أبناء تركيا عندنا يلقون من الأزهر كل معونة ومساعدة ليستطيعوا مواصلة دروسهم حتى يكونوا رجالا بمعنى الكلمة، ومنهم مدرسون الآن فى الأزهر بجميع فروعه، ولهم رواق خاص بهم، ورسالة الأزهر معروفة فى جميع العالم الإسلامى وغيره ويؤمن بها الجميع . ولا يليق أن يوصم الأزهر بهذه الوصمة الشائنة . ويدحض تلك المزاعم ما هو موجود فعلا فى الأزهر وما يلاقيه أبناء تركيا من الرعاية .

« إن هذه المسألة ما كانت لتحتاج إلى رد على جماعة ذات أغراض، لأن رسالة الأزهر معروفة للجميع، وأين هى الجامعات التى تؤدى رسالة الأزهر؟ هل يقصدون الجامعات الأوربية كالسوربون وغيرها وهى معهد الأديان غير الإسلامية أم ماذا؟ وهل تستطيع مثل تلك الحملة أن تؤثر على الشعب التركى المتدين ليتحول بأبنائه (الذين يريد لهم ثقافة إسلامية صحيحة) إلى معاهد غير المعاهد الإسلامية ليتزود فيها بثقافة إسلامية كما يريد هذا النائب الذى يريد تحويل الشباب التركى إلى جامعات أوربا ليتعلموا الدين الإسلامى؟

« لقد زرت تركيا أنا وأولادى فى سنة ١٩٤٣ ووجدنا الدين منتشراً فى تركيا، ووجدت فى وقت الصلاة يقف الموظف فى جوار الصانع والعامل والجندى فى صفوف متراصة . ووجدت فى بعض الجوامع من الخلف دواوين محجوزة تصلى فيها النساء، ولذلك تركت حرمى فى هذا المكان مع المصليات المحتشمات، وذهبت أنا إلى صفوف الرجال الأولى .

« وأخيراً إذا أراد إنسان أن يعرف نظم الأزهر وبرامجه ومناهج دراساته وامتحاناته فلا يعجز أن يحصل على مطبوع من المطبوعات الأزهرية ليعرف منها قيمة تلك الادعاءات والمفتريات على الأزهر ونظامه،

مكتبة جامعة القاهرة

كان عدد مجلدات جامعة القاهرة فى سنة ١٩١١ لا يزيد على ١٠٫٠٠٠ مجلد، فبلغ الآن ٥٠٠٫٠٠٠ مجلد . وهى بالعربية وبلغات أخرى شرقية وغربية تزيد على عشرين لغة .

ومما ضم إليها من المكتبات الخاصة مجموعات إبراهيم حلمى ، وطبيب العيون مايرهوف ، والمستشرق الألمانى زيبولد ، ومجموعة ـ نكر.

وتعتبر مكتبة المستشرق زيبولد أكمل مجموعة فى الدراسات الإسلامية والشرقية ، وقد اشتريت عام ١٩٢٩ .

وللمكتبة العامة فروع فى كليات : الحقوق والعلوم ، والتجارة ، والهندسة ، والطب ، والطب البيطرى ، ودار العلوم ، ومعهد الآثار

ومعهد الأرصاد ، ومعهد علوم البحار ، ومعهد السودان . ويبلغ مافى هذه المكتبات ٢٠٠ ألف مجلد .

وقد زيد فى اعتماد مكتبة الجامعة بميزانية هذا العام أحد عشر ألف جنيه دفعة واحدة .

استثناء الطلاب الشرقيين

من شرط السن

وافق مجلس الوزراء المصرى على مشروع قانون بشأن إعفاء الطلاب الشرقيين من شرط السن المقررة للقبول بالمعاهد المصرية وهذا القانون ينص على أنه يجوز لوزير المعارف أن يستثنى طلاب البلاد الشرقية من شرط السن المقررة للقبول بكافة المعاهد المصرية ، وللوزير أن يصدر القرارات اللازمة لتنفيذه .

الامتحانات الأزهرية

يبدأ الامتحان التحريرى للنقل فى الدور الأول بالكليات الأزهرية يوم السبت ١١ شوال (١٢ يونيه) ، وللشهادات العالية والعالمية مع الإجازة يوم السبت ٢٥ شوال (٢٦ يونيه) ، على أن يبدأ الامتحان الشفوى فى النقل يوم ٥ شوال (٦ يونيه) ، والامتحان الشفوى فى الشهادات بعد التحريرى مباشرة .

ويبدأ امتحان النقل فى الدور الأول للأقسام الابتدائية بالمعاهد الدينية وقسم البعوث الإسلامية يوم الاثنين ٦ شوال (٧ يونيه) ، وفى الأقسام الثانوية منها يوم ١١ شوال (١٢ يونيه) .

أما الشهادتان الابتدائية والثانوية فيبدأ امتحان الدور الأول فيهما يوم السبت ٢٥ شوال (٢٦ يونيه) . وامتحان النقل فى الدور الثانى للأقسام الابتدائية والثانوية يوم ٢٩ ذى الحجـــة (٢٨ أغسطس) ، وامتحان الابتدائية والثانوية يوم ١٣ المحرم (١١ سبتمبر) .

أنباء العالم الإسلامي

العربية لغة المسلمين

قال الدكتور اشتياق حسين القرشى وزير المعارف الباكستانية وهو يفتتح مركزاً فى العاصمة (كراتشى) لتعليم الصبية والفتيان اللغة العربية إنه يقترح أن تكون العربية هى اللغة المشتركة لجميع البلاد الإسلامية على اختلاف لغاتها ، فإن المسلمين أمة واحدة هى « ملة الإسلام » ، واختلافهم فى لغاتهم لا يقف عقبة دون تحقيق هذه الوحدة .

وقد أنشئت عشرة مراكز لتعليم العربية إلى الآن فى كراتشى وحدها .

الدعاء للحكام

فى خطبة الجمعة

تلقى مكتب وزير الأوقاف كتابا من رياسة مجلس الوزراء جاء فيه :

« لاحظ السيد الرئيس أثناء الصلاة فى المساجد أن الخطيب عند ما يدعو قائلا « اللهم وفق أولى الأمر منا » يردد المبلغ عبارة « آمين اللهم وفقهم آمين » . ولما كانت هذه العبارة الأخيرة لا تمت إلى السنة بشىء وما هى إلا بدعة دينية فنرجو التكرم باتخاذ اللازم نحو إلغاء هذه البدع » .

ولما تلقى وزير الأوقاف هذا الكتاب لاحظ مع المسئولين بالوزارة أن الدعاء للحاكمين نفسه أمر مبتدع ، وقد اتخذه الناس سبيلا إلى الملق غير المشروع . وعلى ذلك عقد المسئولون فى قسم المساجد اجتماعا قرروا فيه هذه الصيغة :

« اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر . ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم .

التماثيل فى مصر

قال السيد الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب وهو يتفرج على تمثال الحرية المصنوع من الخشب :

« إنه تقرر عدم إنفاق أى مبلغ فى صنع أى تمثال ينصب فى الميادين .

بعثة يمنية

وصلت إلى القاهرة من صنعاء بعثة يمنية مؤلفة من ٣٢ طالباً لتلقى العلم فى المدارس الثانوية على نفقة الحكومة المصرية .

الجمهورية السورية

كان العقيد أديب الشيشكلى آخر رؤساء الجمهورية السورية قد اعتقل ساسة سوريا وزعماء أحزابها فى الشمال والجنوب ، وأعلن الأحكام العرفية فى كثير من بلاد الجمهورية ثم فوجىء بانتقاض رجال الجيش وقواته فى الشمال على الأوضاع التى اعتبروها فى غير مصلحة الامة ، وكان أعيان البلاد وجماهير الشعب مؤيدين للحركة التى كانت محكمة وقوية فاضطر أديب الشيشكلى إلى التخلى عن سلطاته كلها والتجأ إلى السفارة العربية السعودية ، فوضعت الحكومة السعودية تحت تصرفه طائرة نقلته إلى بيروت فى طريقه إلى المملكة السعودية ليكون فيها لاجئاً سياسياً .

ولما كان الدستور القائم الذى جدد فى عهد الشيشكلى يقضى بأن يقوم رئيس مجلس النواب بمهمة رئاسة الدولة إلى أن تختار البلاد رئيسا آخر ، فقد عارض الشعب فى العمل بذلك لأن مجلس النواب لم يتألف بإرادة الامة ، ولأن الدستور القائم أريد به غير مصلحة الامة ،وقدوقعت بعض الاصطدامات فى دمشق بسبب ذلك . فبادرت القوات العسكرية فى الشمال بإرسال كتائب من حمص وغيرها إلى دمشق ، وقبض على بعض الضباط من المنتفعين فى عهد الشيشكلى ، وبذلك استتب الامن . ونكتب هذا عند وصول السيد هاشم الأتاسى رئيس الجمهورية الأسبق إلى دمشق ، والمنتظر أن يتولى رئاسة الجمهورية السورية مؤقتا إلى أن تجدد الانتخابات لتأليف مجلس نيابى جديد ثم ينتخب رئيس الجمهورية الأصيل .

هدية مصر للسودان

بمناسبة الاحتفال بافتتاح البرلمان السودانى رأت الحكومة المصرية أن تقرن هذه الذكرى السعيدة بعربون حبها لتقوية السودان بأن تهدى إلى مواطنيها فى الجنوب خمس طائرات جديدة للتدريب على فن الطيران ، وأن تقدم الأسلحة اللازمة لألف جندى سودانى .

فى اليمن

عادت من اليمن بعثة الجامعة العربية برئاسة أمين الجامعة ، وقد صرح أمين الجامعة لجريدة الجمهورية بأن الموقف فى اليمن يتلخص فى حوادث الحدود ، ومسألة الاتحاد الذى تسعى إليه بريطانيا .وقال: وقد تناول حديثنا مع حاكم عدن هاتين النقطتين .

إن حكومة عدن أعدت مشروعا للاتحاد ، وعرضته على السلاطين فوعدوا بدرس الموقف وقد أرسل إليهم المشروع ولم يردوا عليه بعد وتدل المعلومات التى وصلت إلينا على أن أكثر السلاطين لا يوافقون عليه .

ثم وصف أمين الجامعة أهل اليمن ، فقال : إنهم أولو بأس شديد ، والأمن ناشر رواقه فى بلادهم .

تحسين ميزان مصر التجاري

قال نائب رئيس الوزراء للشئون المالية المصرية : إن اختلال الميزان التجارى فى سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥١ و ١٩٥٢ أدى إلى استنزاف أرصدتنا من العملة الأجنبية . وقد بلغ العجز فى ذلك الميزان فى تلك السنوات ٣٨ مليون جنيه و ٣٩ مليونا و ٧١ مليونا على التوالى ، نتيجة لتدخل الحكومة فى سوق القطن وشرائها كميات منه بأسعار مصطنعة تعلو على مستوى الأسعار العالمية ، وبقى تيار الاستيراد ومدفوعات العملة الأجنبية مستمراً نتيجة لاستمرار الناس فى الإنفاق مما حصلوا عليه من أثمان عالية لأقطانهم فأصبح من الضرورى أن نعمل لتلافى أسباب الخلل بزيادة الصادرات وتقليل الواردات .

فبلغت سياستنا ما استهدفت من زيادة تصريف القطن فى نهاية عام ١٩٥٣ نحو ٢٣ مليون جنيه . على حين أنه فى الربع الأخير من سنة ١٩٥٢ نفد رصيدنا من الاسترلينى واضطررنا لأن نشترى ٤ ملايين من الجنيهات دفعنا ثمنها دولارات لنواجه بها المدفوعات الجارية . وهكذا بلغنا ما كنا ننشده من إعادة التوازن إلى ميزان مدفوعاتنا

الاصلاح الزراعى ونتائجه

يتبين من إحصاء سنة ١٩٤٧ أن عدد الذين كانوا يملكون أكثر من ألفى فدان ٦٠ شخصاً ، والذين يملكون من ١٥٠٠ فدان إلى ٢٠٠٠ يبلغون ٦٨ شخصا ، والذين يملكون من ١٠٠٠ فدان إلى ١٥٠٠ يبلغون ١٢٢ شخصاً ، والذين يملكون من ٨٠٠ فدان إلى ١٠٠٠ يبلغون ١١٢ ، والذين يملكون من ٦٠٠ فدان إلى ٨٠٠ يبلغون ١٧٧ شخصاً والذين يملكون من ٤٠٠ فدان إلى ٦٠٠ يبغون ٤٦٢ ، والذين يملكون من ٢٠٠ فدان إلى ٤٠٠ يبلغ عددهم ١١٠٢ . وهذه القلة القليلة التى يبلغ مجموع عددها ١٨٥٣ شخصا هى التى كانت مستولية على الأراضى الزراعية فى الوطن المصرى ، بينما الذين يملك الواحد منهم من نصف فدان إلى خمسة بلغ عددهم ١،٢٠١،٢٨٥

فلما قيض الله لمصر العمل بقانون الإصلاح الزراعى فى هذا العهد تفتحت الأبواب أمام المحرومين لأن يتملكوا بجهودهم وفى سعة من الوقت المقدار المجزى من الأرض الزراعية لأن يعيشوا به المعيشة اللائقة بالمواطن الكريم ، وسيكون من أول نتائج ذلك أن يزداد عدد الطبقة الوسطى من سكان مصر ، والطبقة الوسطى هى التى يتألف منها أهل السلامة والخير فى كل زمان ومكان .

مسلمو نيجيريا

يقول الحاج محمد أمين القديس أحد زعماء نيجيريا ومؤسس حزب المؤتمر الإسلامى فيها : إن تعداد سكان نيجيريا ٣٢ مليونا ، المسلمون منهم خمسة وعشرون مليونا ، فهم الأغلبية فى تلك البـــلاد .

سبب الحرب العالمية الثانية

كان فون ريبنتروب (وزير خارجية هتلر السابق) يكتب شذرات من مذكراته وهو فى السجن أثناء محاكمات نورمبرج سنة ١٩٤٥ وقد قامت زوجته بجمع هـــذه الشذرات ونشرها فى كتاب ظهر فى مـدينة (بون) أخيراً ، ومما جاء فيه عن سبب نشوب الحرب العالمية الثانية أن الرئيس روزفلت والدولة البريطانية كانا يرغبان فى المحافظة على توازن القـوى فى أوربا ، وأن الحرب بدأت لأن انجلترا كانت مصممة عليهـا حتى لا تسترد ألمـانيا مركزها كقوة دولية .

ناقلات البترول السعودية

كان موقف إيران من نقل بترولهـا بعد تأميمه موقف عجز وفشل ، لأن إيران لم يكن لهـا من ناقلات البترول ما تستعين به على تصديره إلى الخارج ، فـكان من ذلك عبرة وعظة للمملـكة العربية السعودية ، ولذلك عقدت اتفاقا مع صاحب إحـدى الشركات الملاحيـة الـكبرى فى الأرجنتين على إنشاء أسطول للنقـل البحرى مؤلف من ثلاثين سفينة ترفرف عليها الأعلام السعودية لنقل ما تنتجه آبار الظهران من البترول السعودى إلى أنحاء العالم . وقد تم عقد هذا الاتفاق بعد استشارات قانونية تأكدت منها الحكومة السعودية بأن هذا الاتفاق لا يعارض حق الامتياز الممنوح للأمريكيين . هـذا وقد ترتب على إنشاء هذا الأسطول الذى أطلق عليه اسم (شركة ناقلات البترول السعودية) أن شرعت الحكومة السعودية فى تأسيس معهد بحرى فى جـدة لتخريج الضباط والمهندسين العرب للعمل فى هذه السفن ليصبح الأسطول فى المستقبل القريب عربيا صميما . وبذلك خرجت البلاد العربية من العزلة الاقتصادية إلى ميدان جـــديد من ميادين الحركة والعمل العالمى .

عضو بالبرلمان الصينى

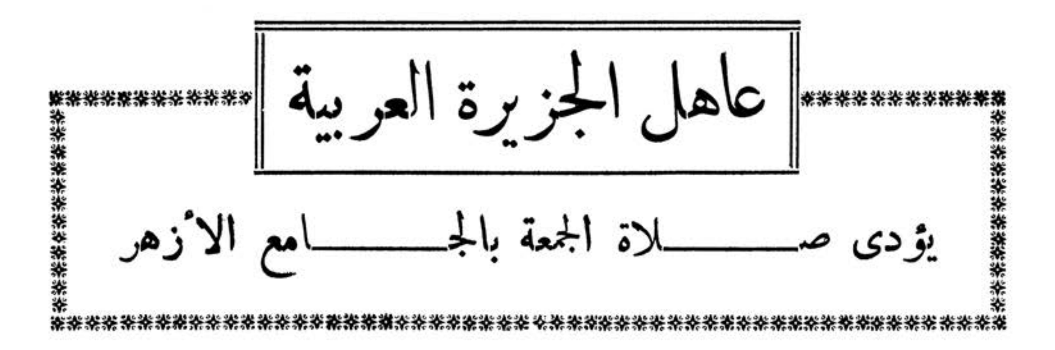
يطلب أجازة من الأزهر

أذنت مشيخة الأزهر ، للسيد حبيب الله ونج بى ، عضو برلمـــان الصين الوطنية بفرموزا والطالب بالأزهر ، بإجازة مدتها ثلاثة أشهر ليتسنى له حضور جلسات البرلمـان التى تبدأ فى يوم ١٩ الجارى .

ومما يذكر ، أن العضو المذكور أحد ١٧ نائبا مسلما فى هذا البرلمـان ، يمثلون ٦٠ مليون مسلم فى هذه البلاد .

فهرس

الجزء السابع — المجلد الخامس والعشرون



عاهل الجزيرة العربية

يؤدى صــــــــلاة الجمعة بالجـــــــامع الأزهر

عاهل الجزيرة العربية
يؤدى فريضة الجمعة بالأزهر

فى يوم الجمعة ٢١ رجب سنة ١٣٧٣ (٢٦ / ٣ / ١٩٥٤) أدى حضرة صاحب الجلالة (سعود بن عبد العزيز) ملك المملكة العربية السعودية يصحبه السيد الرئيس اللواء أركان الحرب (محمد نجيب) رئيس الجمهورية فريضة الجمعة بالجامع الأزهر .

وعند وصول جلالته إلى المسجد استقبله حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وحضرات أصحاب الفضيلة أعضاء جماعة كبار العلماء وأعضاء مجلس الأزهر الأعلى وشيوخ الكليات والمعاهد .

بينما امتلأ المسجد بعشرات الآلاف من العلماء والطلاب ومختلف الطبقات الذين استقبلوا جلالته بالتكبير والتهليل .

وقد ألقى خطبة الجمعة فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء وشيخ مذهب الحنابلة .

وبعد انتهاء الصلاة تفضل جلالة الملك فصافح فضيلة الأستاذ الخطيب مهنئاً ، وأبدى إعجابه وسروره بالمعانى التى تضمنتها الخطبة ثم قال جلالته : (أكثر الله من أمثالكم ونفعنا بعلمكم) .

وهنا تقدم فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وصافح جلالة الملك وقال : (فضيلة الخطيب هو الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء وشيخ مذهب الحنابلة) فكرر جلالة الملك سروره وإعجابه ، ثم تفضل جلالته وخلع على فضيلة الشيخ السبكى الخلعة الملكية وألبسها لفضيلته بنفسه ، فشكر الأستاذ لجلالته هذا التكريم .

ثم قدم فضيلة الأستاذ الأكبر إلى جلالة الملك (المصحف الشريف) هدية من الأزهر وذكرى لهذه الزيارة الكريمة قائلا : (هذه هدية الأزهر، وهى خير هدية يقدمها مسلم لمسلم) فقال له جلالته : أنا شاكر لكم هذه الهدية ، وأسأل الله تعالى أن يجمعنا على ما فى كتاب الله ، وأن يوفقنا جميعاً لحسن العمل بما فيه .

وفيما يلى النص الكامل لخطبتى الجمعة :



الاســــــلام

دين الاتحاد وحسن المعاملة

الحمد لله الذى أنزل القرآن هدى للعالمين ، فيه موعظة للمتقين ، وتنبيه للغافلين ، وذكرى تنفع المؤمنين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، أوجب علينا فى محكم آياته أن نكون فيما بيننا متحدين ، كما فرض علينا أن نكون له عابدين مخلصين ، فقال عز شأنه : — « وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون » . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أمرنا أن نعيش أوفياء مخلصين ، وإخوانا متحابين ، فقال : « توادوا تحابوا » .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ، وعلى جميع النبيين ، واجعلنا من الناهجين منهج سنته ،حتى نكون من المفلحين .

عباد الله :

كانت الحياة الاجتماعية قبل الإسلام فى عشرات متتابعة ، تسودها نوازع الشر ، ويتغلغل فيها القلق ، ويتدافع الناس فيها وراء غايات وشهوات .

وحظهم فى دنياهم أن يتغلب قوى ، ويظلم ضعيف ، وكانت رسالات الأنبياء تشرق على الناس من حين إلى حين ، فيستجيب لها أناس ممن هدى الله ، ويعرض عنها آخرون ، وما يزال المعرضون فى لجاج من الخصومات ، وإيقاظ للفتن ، حتى تدور عليهم دائرة بغيهم ، ويأخذهم الله بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون .

« فكلا أخذنا بذنبه ، فنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

ولما أذن الله سبحانه أن يرفه عن الإنسانية شقوتها ، ويستبقى للأرض عمارتها ، وللدنيا بهجتها ، بثق نور الهداية الخالدة ، من شعاف الجبل فى مكة ، واختار من العروبة الماجدة ،

خاتم رسله : محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، فى الأولين وفى الآخرين . (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

تلقى دعوة القرآن ، فهب فى قومه يحمل لواء السلام ، ويدعو إلى الوئام ، ويبلغ عن الله آياته ، ويردد نصحه وعظاته ، حتى تهيأ له بعد صبر وجهاد ، ومصابرة وجلاد ، أن يبين لقومه المحجة ، ويقنعهم بالحجة ، ويجمع من الأشتات أمة متماسكة ، وينظم فى العرب باكورة دولة متناسقة .

واتصلت أمجاد العروبة فى ماضيها ، بعظمة الإسلام فى حاضرها ، وأصبحت أمة محمد كما وصفها الله فى كتابه خير أمة أخرجت للناس .

وقام فيها الإخاء فى الدين ، مقام الإخاء فى النسب ، وتلاشت عصبيات العشيرة ، وانعقدت أواصر العقيدة ، وغدوا صفا واحدا ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

وقد حذرهم الله بعد ذلك أن يعودوا الى الفرقة ، بعـــد أن ذاقوا مرارتها ، فقال تبارك شأنه :

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » .

وأمرهم بالحفاظ على نعمة الاتحاد ، وقد عرفوا حلاوتها ، فقال عز سلطانه :

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

فى ضوء هذه الآيات ونحوها من كتاب الله ، وبفضل مايؤازرها من سنة رسول الله ، سار المسلمون فى دينهم ودنياهم على نهج قويم ، حتى خفقت راية القرآن على البقاع النائية ، وتركزت عدالة الإسلام فى أمم باغية ، فنهض الحق فى محرابه ، واستقر الأمر فى نصابه ، وتفيأ الشرق فى ظل العروبة المسلمة ، أمناً وأماناً ، وساد على كبريات الدول حضارة ، وعلماً ، وسلطانا .

ولم يعد الناس فيما بينهم يتنابزون بالألقاب ، أو يتفاخرون بالأنساب والأحساب ، بل يتسابقون فى التقوى ، ويسارعون فى الخيرات ، وهذه مناقبهم ، ويتحابون فى الله ويتعاونون على البر ، وهذه مباهجهم .

ويعيشون على أن الإسلام رحم بين أهله ، وإن تناءت بهم الديار، أو شط بينهم المزار.
« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون » .

هذه وشيجة الإخاء بين المسلمين : لا يعتدون بها على مخالفهم فى دين ، ولا يطغون على مساكنهم فى وطن ، فدينهم يعلمهم أن الحياة بين الناس سواء ، وأن الجهود فيها مشتركة ، والمنافع متبادلة .

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » .

عباد الله :

إن مصر اليوم فى أعقاب ثورة مباركة ، جاشت فيها نخوة العروبة ، وعزة الإسلام ، وناصر الله أبطالها كفاء ما أخلصوا لوطنهم ، وصدقوا فى عهدهم ، واستجابوا لدينهم ، وأبناؤها فى رعاية الله بالغون أهدافها ، ما ظلوا على ولاء للوطن ، وصلة بالله ، يؤثرون ولا يستأثرون ، ويصلحون ولا يفسدون ، ويتقون ولا يعصون ،

« يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

وإن خصوم مصر ليعملون على أن يستبيحوا حماها ، ويستديموا ظلمها ، وهم حانقون على نهضتها ، وحاقدون على أبطالها وجيشها .

فليس مما يرضى الله ، ولا من الوفاء للوطن ، ولا من الخير للأفراد ، أن نخذل القائمين بالأمر ، ونشغلهم ونشغل الأمة معهم بتلك الصيحات العابثة ، يرددها بعضنا فى جنبات الوادى ، باسم حرية الرأى ، أو باسم الإصلاح . وربما كانت أمنيات شخصية يروجون لها ، أو تكهنات مكذوبة يفسدون الوطنية بها . ونحن بحاجة قصوى إلى جمع القوى وتوفير الجهود ، وإيقاظ العزائم ، وإخلاص النوايا ، حتى تتوافر للنهضة أسبابها ، وترجى لها ثمراتها ، ويؤدى كل منا إلى مصر حقها ، وحتى لا نكون عابثين بتاريخها ، ولا مضيعين لأمانتها ، وبذلك نبرئ ذمتنا إلى الله ، وإلى الأجيال من بعدنا وتدوم العزة للوطن ، ويعود الخير على الجميع .

عباد الله :

بهذا كله أمرنا ربنا ، وإلى العمل به دعانا كتابنا . فعلينا أن نتق الله فى ديننا وأوطاننا ، وأن نحرص على وحدتنا ، ونجمع صفوفنا فى وجه عدونا ، وأن نتابع على دين الله حكامنا

وولاة أمورنا ، وأن نؤازرهم فى تناصح ومودة ، وصفاء ومحبة ، وأن نتواصى دائما بالحق، ونتواصى بالصبر ، حتى تظل وحدتنا سياجا لقوميتنا ، وإذا تولينا الله فى سياستنا وأمورنا ولم نتخذ وليا من أعداء ديننا ، فإن الله يتولانا كما وعدنا ، ويهدينا الرشاد كما أحببنا ، « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » ، « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله » .

وقال : « توادوا تحابوا » .

وقال ربكم : « ادعونى أستجب لكم » .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يحب لعباده أن يعملوا لدينهم ودنياهم ، ليظفروا بنعم الله ، وينالوا رضوانه .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ، وقدوة العاملين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

عباد الله :

كرم الله المسلمين فذكر لهم فى كتابه تاريخاً يعتزون به ، وأقام على هذا التاريخ معالم ثابتة .

وكان من سنته فى تربيتنا أن جعل استذكارنا لهذا التاريخ عبادة منا ، وجعل شهودنا لمعالمه ركنا من أركان ديننا ، ومصداق ذلك فى قوله تعالى :

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات : مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

ففي مشاهد الحج وفاء كريم لذكريات إبراهيم وإسماعيل. وفي هذه الذكريات استنهاض لأنفسنا إلى المكارم ، وحث لها على متابعة السابقين ، فيما خلدوا من المآثر ، وتنشيط لعزائمنا على وصل حياتنا بتاريخهم ، وربط سيرتنا بسيرهم . وفي التاريخ الصحيح وحي صادق في توجيه الأبناء ، وعلى معالم التاريخ نقيم لأنفسنا أكرم بناء .

فهناك حيث يجتمع الحجيج وقوفا بعرفات ، وطائفين حول البيت ، وساعين بين الصفا والمروة ، وغادين ورائحين إلى منى ، يقترب المتباعدون ، ويتعارف المتناكرون ، وتتعاطف النفوس ، وتتوثق الأخوة ، ويتجدد العهد مع الله ، على الوفاء بما شرع لنا ، والإخلاص فيما عهد إلينا .

وفي هذا اللقاء يتبصر المسلمون في وجوه النفع لهم ، ثم نعود مستأنسين بما شهدنا ، وفرحين بما ظفرنا ، وهذا نمط من العمل فيه توجيه إلى معاودة النفع ، واستئناف الأمل ، والله يحب من عباده أن يعملوا في نشاط ، وأن يؤملوا في اعتدال ، وأن يتضافروا على ما تعمر به دنياهم ، وتسعد به أخراهم . « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » .

اللهم اجمع بين قلوب المسلمين على المحبة ، واحفظ على أوطانهم وشعوبهم الأمن والأمان ، وادرأ عنهم بحولك وقوتك عوادي السوء .

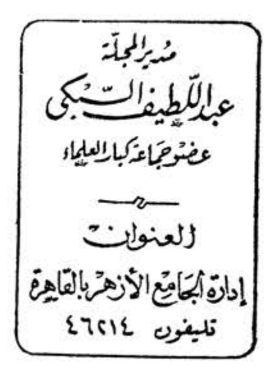
اللهم ارع حكامنا وولاة أمورنا بحسن رعايتك ، وجميل توفيقك ، ووثق بين كل رعية وراعيها بأصدق الولاء خالصا لوجهك ، وبالوفاء والنصح طاعة لأمرك ، واجعل الأمة الإسلامية في كفالتك آمنة من العثار ، ظافرة بالمنى .

وباعد بيننا وبين نزغات الشيطان ، واهد إلى الصواب دعاة الفتنة ، وخذ بنا جميعا في دينك الحق ، وهدى كتابك المبين ، وكن دائما خيرعون لنا ، فيما يصلح شؤوننا يارب العالمين .

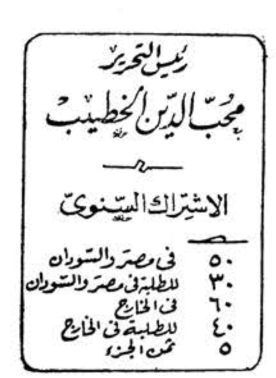
اللهم اغفر لأمواتنا ، وأقل عثراتنا ، واستجب دعواتنا ، يا مجيب الطالبين .

« إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، وعلى سائر النبيين ، والحمد لله رب العالمين .







الجزء الثامن – القاهرة فى غرة شعبان ١٣٧٣ – ٤ ابريل ١٩٥٤ – المجلد الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

المقالات

فى اصلاح الكيان المصرى

ينتظر أن تواجه مصر فى أيامها المقبلة كفاحاً أدبياً يعده المراقبون لأحداث التاريخ خطوة ثالثة فى إصلاح كيانها الاجتماعى.

أما الخطوة الأولى فقد خطاها عمرو بن العاص بإعلانه النظام الإسلامى فى مصر، فألغى به « نظام الطبقات » الذى استمر العمل به آلافا من السنين تحت سلطان الفراعنة وأعوانهم، والبطالسة وأجنادهم.

وأما الخطوة الثانية فقد خطاها قادة الثورة من رجال الجيش فى السنتين الأخيرتين بتحديدهم الملكية الزراعية، وتوزيع المستولى عليه من أراضى الإقطاعيين على الفلاحين الذين كانوا يخدمون الأرض ولا يملكونها.

والخطوة الثالثة التى جئت أتحدث عنها اليوم هى تركيز الأخلاق وتعديل السجايا ومعالجة أمراض القلوب وضعف النفوس الذى كان نتيجة طبيعية للإسراف فى التفاوت بين الغنى والحرمان، فترتب عليه ما هو مشاهد من الانحراف الاجتماعى.

إن « نظام الطبقات » فى مصر قبل إسلامها قد شطر سكان الوادى شطرين متباينين : أغنياء أقوياء ، وفقراء مغلوبين على أمرهم . وبذلك كان ابن النيل أحد رجلين : ظالم ، أو مظلوم ، وقلما كان بينهما وسط . كان فى مصر غنى فاحش ولصاحبه السلطان على الألوف من الفدادين ، كما أن له السيادة على عشرات الألوف من الذين يعملون فيها . وكان إذا انتقلت السيادة على الأرض - بالوراثة أو البيع - من سيد إلى سيد ، تنتقل إلى السيد الجديد ملكية ما فى الأرض من زرع وشجر ومواش ومبان وعمال . إنه الفقر ، و « كاد الفقر أن يكون كفرا » . وإنه الغنى ، و « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » .

لقد فتحت الثورة الأخيرة الباب أمام الفقر ليخرج من محبسه الذى كان مدفونا فيه قرونا وأحقابا . ولكنه سيخرج منه بما كسب من ضعف فى الأخلاق والتواء فى الاتجاه وانحراف عن سبيل الله ، فأصبح ذلك كله - على طول الأحقاب - من ألوان أخلاقه ومن مميزات سجاياه . وإن لم يقيض له المجتمع أطباء حكماء يعالجون هذه الطوارىء عليه بحكم الزمن ، ويساعدونه على الخلاص منها ، فإن الخروج وحده من محبس الفقر لا يشفيه منها ولا يزحزحه عنها . ومصيبة الفقير بما أورثه الفقر من ضعف فى الأخلاق وانحراف عن سبيل الله أفدح من مصيبته بالفاقة والحرمان . ويخطىء من يظن أن توفير الكفاف من العيش لمن كان محروما منه يشفيه مما كان الحرمان قد أورثه من انحراف عن بعض الفضائل الإنسانية .

وصحيح أن بعض الذين انحرفوا عن سبيل العفة والأمانة بدافع من الحاجة فصاروا خونة ولصوصا ما كانوا لينزلقوا فى هذه الهوة لو لم تدفعهم الحاجة إليها ، ولكنهم - بعد أن ينزلقوا إليها ويألفوا ظروفها وملابساتها - قلما يرجعون عن طريقهم مهما اغتنوا بعد ذلك ومهما كان مصدر هذا الغنى . ورجوع الفرد عما اضطر إليه بدافع طارىء قد يكون سهلا إذا زال ذلك الدافع ، وليس كذلك ما نتحدث عنه من مواريث عشرات القرون ، وما تخلف عنها من ألوان طارئة على الأخلاق والسجايا ، فهذه تحتاج من المجتمع إلى تفكير وتدبير ، وتحتاج من أطباء النفوس إلى استعداد واسع النطاق لكفاح أدبى طويل الأمد .

الطبقة الوسطى فى كل أمة هى التى يكثر فيها الخير ، وهى التى ينشأ أبناؤها وفيهم القابلية والاستعداد لأن يكونوا من أهل العافية والاستقامة ، إن لم يعترض طريقهم ما يحولهم عنه . وكلما كثرت نسبة الطبقة الوسطى فى أمة كانت تلك الأمة أقرب إلى الخـــير ، وأكثر

استعداداً للنهوض إلى الفضائل . والبلاد التي ساد فيها « نظام الطبقات » أحقاباً طويلة ـ كالهند ومصر ـ تحتاج أكثر من غيرها إلى حكمة الحكماء في تربية الطبقة الوسطى والإكثار من أهلها . وأول وسائل ذلك إلغاء نظام الطبقات نفسه ، وقد فعل ذلك ـ للمرة الأولى في تاريخ مصر ـ أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل السهمي رضي الله عنه يوم أعلن نظام الإسلام في وادي النيل . ثم كانت الخطوة الثانية له في عصرنا هذه الثورة التي حددت الملكية وفتحت الباب أمام المحرومين ليملكوا من الأرض ما كان يستحيل عليهم تملكه مما يكون لهم به الكفاف من العيش ، والحلال من الرزق . وإذا استقام هؤلاء على الطريق الواضحة فإنهم يوشك أن يكونوا من أهل الطبقة الوسطى فتزداد نسبتها في هذا البلد الطيب ، وتتجدد فيها القابلية لتكون من أهل الخير ، فتسير هي وتسير مصر معها في الطريق إلى مرضاة الله عز وجل .

كما حددنا الملكية الزراعية ، ورسمنا لتحقيق هذا التحديد خططا وأنظمة دقيقة تفرغ لتنفيذها مئات من الموظفين ، وسيتفرغ للسهر على المضي في ذلك ألوف من رجال التعاون والمهندسين والزراعيين ، فإن عشرات الألوف ممن ارتفعوا ــ بسبب هذا التحديد ــ من حضيض الحرمان إلى مستوى الكسب الرضيّ والعيش الحلال سيكونون على مفترق الطرق : فإما أن يستمروا فيما كانوا عليه في سيرتهم ومعاملاتهم نتيجة لما كانوا عليه في مستواهم المعيشي والفهم الموروث ، وإما أن ينتعش فيهم روح الاغتباط والرضا فيصبحوا من أهل الاستعداد للخير . وفي كلتا الحالتين هم إلى من يعالج نفوسهم ويزيل أثر الماضي في أخلاقهم وقلوبهم أحــوج منهم إلى من يسدد خطاهم في معايشهم ووسائل الإفادة من ارتفاع مستواهم الاجتماعي .

الروح العالية قوة تعلو على قوة السلاح في الجيوش والحروب ، وهي ثروة تعلو على ثروة المال في البيئة الاجتماعية وحالة السلم . ونحن بعد الخطوة المباركة في نظام تحديد الملكية ، وما سيكون من آثاره في معايش السواد الأعظم من أهل الريف ، وما سيكون من نتائجه في ازدياد نسبة الطبقة الوسطى بمصر ، نحتاج إلى جيش من أهل الكفاح الأدبي يأخذون بأيدي السواد الأعظم من الأمة إلى طريق الله في السيرة والأخلاق والتعامل وحسن التصرف . وكما جدّ علينا عمل جديد في الإشراف على تحقيق تحديد الملكية

ورسم الخطط وتنظيم الأنظمة لذلك والاستعداد للمضى فيه بالأساليب التعاونية ، كذلك ينبغى لأهل الكفاح الأدبى ورجال الإصلاح الخلقى من أزهريين وإسلاميين أن يعلموا أنهم أمام واجب إسلامى جديد نحو دراسة أمراضنا الخلقية وتحليلها وانتهاز فرصة زوال الفاقة للمبادرة إلى معالجة ما كان لها من آثار مزمنة وعلل مستعصية ، وأن يعمل كل من ناحيته لاستئصال ما يستطيع استئصاله من آفاتها . وإذا كانت هذه المهمة عسيرة فيما مضى لاستمرار الباعث عليها من الفقر والحرمان ، فإن ما جد فى هاتين السنتين من الشروع فى إزالة بواعث الفاقة سييسر العمل فى سبيل الله على الدعاة إلى الله ، إلى أن ينهضوا - إن شاء الله - بأخلاق السواد الأعظم من هذه الأمة إلى المستوى اللائق بالأمة المسلمة .

الطريق مفتوح للعمل أمام الطالب الأزهرى إذا عاد إلى بلده فى الريف إبان فترة الصيف بعد انتهاء الامتحان السنوى ، والطريق مفتوح للعمل أمام الواعظ الأزهرى فى منطقة وعظه وفى كل مكان حل به . فالرجوع بهذه الأمة إلى الله من أهم واجبات المسلم الذى أنعم الله عليه بنعمة العلم طالباً أم عالماً . لقد قال معلم الناس الخير ﷺ موجهاً الخطاب إلى سيدنا على كرم الله وجهه : « يا على ، لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم » .

وأول شروط الهداية أن يتحلى بها من يتصدى لها ، فالهداية عبادة ، والوضوء المشروط لها قبل القيام بها هو العمل بها ، ومن تصدى لهداية الناس قبل أن يهتدى بما يدعو الناس إليه يكون كالداخل فى صلاته بلا وضوء فهو لا صلاة له .

أيها الأزهريون ، أيها المسلمون المتعلمون ، نحن الآن أمام فرصة جديدة فى إصلاح الكيان المصرى ، ومن ثم فنحن أمام فريضة إسلامية جديدة للعمل فى ميدان هذا الإصلاح . وهذا العمل عبادة ، وشرط القيام بها أن ندعو إلى سبيل الله بسيرتنا وعملنا ، قبل أن ندعو إليه بألسنتنا ومحاضراتنا .

نحن فى مجتمعنا بحاجة إلى روح عالية ، فانهضوا بأرواح السواد الأعظم إلى المستوى الذى يغتبط به هادينا الأعظم إلى الحق يوم القيامة ، فإنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، ولنعمل جميعاً على تحقيق ما بعث له نبينا صلوات الله وسلامه عليه ؟

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

— ١٤ —

أولياء الله ...

وأولياء الشيطان

ا — الله ولى الذين آمنـوا يخرجهم من الظلمات إلى النـور .
ب — والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات.

تمهيد :

الولاء ، والموالاة ، والولاية ـ من قبيل واحد .

وإذا كان الاصطلاح يجعل لكل منها مقاما يذكر فيه ، وسياقا يقتضيه ؛ فإنها تمت فى اللغـة إلى أصل واحد ، وترتبط فى معانيها بوشيجة ، وتتجه إلى غرض عام تلتقى عنده وتذكر فيـه .

وذلك الغرض العام ـ هو الصلة فى قبول ، والمتابعة عن رضا .

وسواء أكانت الصلة بين الجانبين فيما يرتضيه الدين والعقل ، وتقوم عليه منافع الدنيا ، وترجى به سلامة العاقبة ، أم كانت فى غير هذه النواحى : مما يعد مفسدة للدين ، وخرقا فى الرأى ، ومضيعة للدنيا والآخرة .

فحيث تكون الصلة وثيقة فهى ولاء ، أو موالاة ، أو ما شئت من فروع هذه المادة .

والقرآن الكريم فيما توجهنا به مقال اليوم يعتبر ما بين الله والمؤمنين ولاء : كما ترى فى الآية الأولى .

ويعتبر ما بين الكافرين والشيطان ولاء : كما ترى فى الآية الثانية ... فالله ولى المؤمنين ، والطاغوت ولى الكافرين ... ولكن : هل تصدق تلك المقابلة ؟ ويستوى ذلك التعبير ؟

ـ أما بعد ـ فنهج القرآن يميز لنا بين النوعين فى ذكره الحكيم، فهو يحدثنا عن أحدهما فى أسلوب الرضا عنه، والدعوة إليه، والوعد الجميل لأهله، حتى ليسبق إلى الذهن أن الولاء لا يكون إلا رعاية فى رفق، وتناصحاً فى إخلاص، ومؤازرة فى وفاء ...

وهكذا: من كل ما يعد جنوحا إلى المسالمة، وتعاهداً على النفع، وتناصراً فى دفع المكروه.

ومن هـذا التوجيه نفهم فى الولاء معنى يؤديه لفظـه، ويصـدق به الوضع، ويرتضيه الوجدان، وحسبك أن الله سبحانه ـ سمى نفسه وليـا للمؤمنين. والموالاة نسبة إضافية: لا تـكون إلا من جانبين: فالمؤمنون ـ إذن ـ أولياؤه.

وما فاتهم أن يشيد بهم القرآن فى هذا الوصف (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون).

ومنهج القرآن كذلك يحدثنا عن النوع الثانى فى لهجة النكير له، والسخط عليه، والوعيد لأهله، حتى ليستقر فى الذهن أن ذلك ليس ولاء: إلا من قبيل السخرية.

وكيف يكون ولاء ما هو سبيل إلى الشر، ومهلكة للأنفس، ومضيعة لخير الدنيا، ومجلبة لسوء العاقبة ؟؟

ومن هـذا التوجيه ندرك أن الخبث والمتابعة فيه مما يستعصى معناه على لفظ الولاء، ولا يصدق به الوضع، ولا يرتضيه الوجدان.

ولـكنها مشاكلة فى الإطلاق، قصدت للسخرية بأتباع الشيطان فيما جنحوا إليـه من الفساد، حتى كان الفساد أثيرا عنـدهم، وكان استهواء الطاغوت لهم، ومتابعتهم له كالولاء فى الخير بين الأصفياء، فسمى ولاء على حد قوله: « فبشرهم بعـذاب أليم »، وحسبك أنه ولاء بين الـكافرين والشياطين، وهو ما تحدث به القـرآن عنهم فى مثل قوله: « ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الـكافرين تؤزهم أزا » ـ تدفعهم دفعا إلى التمرد والعصيان.

وحسبك أنهم يخرجونهم من النور إلى الظلمات، فيبدو لك من هذا الاتجاه أن المقابلة بين الآيتين هى مقابلة بين الضدين، وأن التعبير فى كل منهما بلفظ ولى، ولفظ أولياء لا يستوى فى معناه.

وسنزيد الأمر إيضاحا بعد الوفاء بحديث الولاء، وقد أسلفنا لك أن ما بين الله وعباده المخلصين ولاء، بل هو الولاء الحق . . .

وهو من جانب العباد ولاء الأدنى للأعلى . . . ومن جانب الله ولاء الأعلى للأدنى . . فما معناه أولا، وثانيا ؟ ؟

١ — ولاء العبد لربه يتمثل فى إنسانية مهذبة : تعرف مكانتها من خالقها، فهى فى ضوء من الإيمان الصادق، والأدب الروحى، تبصر ما تهدف إليه من خير، وهى دائما فى رقابة واعية، وفى نجوة من دوافع الهوى، ونزعات النفس، وهى دائما بين رغبة فيما يصلح لها الحياة الأولى والآخرة، وبين رهبة مما يغضب الله، ويفسد عليها إحدى الحياتين . والقائمون على هـذه الإنسانية المهذبة موالون لله، وسالكون إليه سبله المشروعة، فهم إذن أولياؤه، وهنا تنعقد الموالاة من جانب المولى لعباده هؤلاء، والله - سبحانه - يقرر أنه ولى الذين آمنوا .

٢ — فما معنى ولائه سبحانه ؟ جواب ذلك فى قوله تعالى : « يخرجهم من الظلمات إلى النــور » .

وفى طى هـذه الجملة ما يطول بنا استيعابه من المعانى الكريمة، فما من شك أن الله صاحب الولاية المطلقة على سائر خلقه، مما يعمر به هذا الكون، وما وراء الكون، ولكن تخصيص ولايته بالمؤمنين ينبىء عن تكفله بهم، فلا يكلهم إلى أنفسهم، بل يتعهدهم بالإرشاد إلى السداد، ويلهمهم الطمأنينة بذكر الله، والرضا بما قدر لهم، والصبر على ما نزل بهم، فهم دائما فى رعايته وفى مدد من معونته، ولديك قوله : « إن الذين قالوا ربنا الله، ثم استقاموا، تتنزل عليهم الملائكة : ألا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » أفرأيت ذلك العهد الصادق من جانبه لعباده المؤمنين ؟

وعلى هذا يتنزل الولاء فى الآية التى معنا، وفى نحوها من الآيات، مثل « إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » « وهو الولى الحميد » . « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا » « أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » « فنعم المولى ونعم النصير » .

ففى هذه المقامات، وما هو من قبيلها يتأكد لك أن ولاية الله : إن تكن هيمنة عامة، فهى للمؤمنين هيمنة وحماية من المفاتن، وحياطة من المكاره .

وذلك معنى إخراجهم من الظلمات إلى النور ، فلا تبطرهم نعمة ، ولا تقنطهم محنة ، لأن أملهم معقود بما هو أزكى من الدنيا ، وهم مع جدهم فى الحياة ليدركوا منها نصيبهم - على استعداد للرحيل منها مزودين بخير الزاد .

وليس من يكون على هذه الصلة بربه من تغمره ظلمة الكفر ، أو تغشاه ضلالة الفسوق أو ترين على قلبه غفلة النسيان ، بل هم فى نور يكتنفهم ، فلم يتعثروا فى ظلمة من الظلمات .

وللنفس هنا روحة فى ألفاظ ثلاثة : يخرجهم . . من الظلمات . . إلى النور .

فالإخراج هو الانتزاع . . والظلمات جمع مستغرق . . والنور بالتعريف محمول على المعنى الأكمل، ومفاد ذلك أن الله ينتزعهم انتزاعاً من جميع أسباب الضلالة إلى أكمل معنى من معانى النور ، فأين منهم نزغات شيطان أو غواية قرين ؟ ؟

هؤلاء هم العباد المخلصون ، الذين آمنوا حقا بربهم ، واستجابوا صدقا لأنبيائهم ، وعملوا لدنياهم فى حدودما شرع الله فى دينهم ، فكانوا على بينة من ربهم .

وإذا كانت الولاية مدارج ، ولكل امرىء مقامه المعلوم ، فالأمر كما اهتدينا مقيس بمقياس التدين ، والحكم فيه لله وحده .

وليس مقيسا بالتصنع ، ولا خاضعاً للدعايات ، ولامنوطا بدعوى الكرامات ، وخوارق العادات .

ومن الكذب على الله ورسوله أن نغتصب الثقة من الناس من طريق الشعوذة ، ونزعم لهم أننا من المقربين، ونتخذ من قداسة الدين شباكا للتغرير بالناس . فما هوّن من شأن الدين عند المارقين من حوزته مثل ألا عيب الجهلة بأحكامه ، والاتجار على حسابه .

وما كان أصحاب محمد ولا الناهجون منهجهم يستبيحون لأنفسهم مثل هذه الأكاذيب ، ولا يتصايحون بأنهم أولياء الله ، ولا يتخذون المظاهر الخادعة مجلبة لتودد الناس إليهم ، فإن صلة العبد بربه أسمى من أن تكون أحبولة للمنافع المادية .

وقد عرفنا من نفحات القرآن التى أبديناها فى حديثنا هذا كيف يكون العبد ولياً لربه . . ومعنى ولاية الله لعبده .

ولسائل أن يقول بعد ذلك : يبدو من سابق حديثك أن الموالاة بين العبد وربه إنما تكون أولا من جانبه ، فإذا تحقق منه ما هو مطلوب إليه تم له عند ربك جانب الولاء ، وما لم يكن من العبد إقبال لا تكون من الله رعاية بالمعنى الذى عرضت له ؟ .

والجواب نعم - فصاحب الحاجة هو الذى يمد يده إلى الجواد ليعطيه ، والله غنى عن عباده وهم الفقراء إليه ، وكان من كرمه أن دعانا ووعدنا ، وهيأ لنا السبيل معبدة لنتجه إليه : فمن أقبل فله العطاء ، ومن أعرض فدونه الحجب ، وانظر إلى قوله تعالى « الله ولى الذين آمنوا » فولايته رهينة بإيمانهم ، وبقدر ما يكون من إيمان تكون ولاية الرحمن .

ولنا الأمل فى فضله أن يهدينا السبيل إليه ، ويكشف لنا عما خفى علينا ، حتى نكون عند دعوته وفى ظل رعايته ، ولنا عودة إن شاء الله ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

الايمان والحياة

إن هذه الحياة الحافلة بصنوف الشقاء وأنواع الآلام ، والتى لا يفيق المرء فيها من غمرة إلا إلى غمرة ، ولا يثل من عثرة إلا إلى عثرة ، لا يعين عليها إلا عقيدة راسخة يلوذ بها الحائر كلما عثرت خطواته وتداركت عثراته ، ويستروح من أعطافها رائحة الجنة كلما ضاق ذرعه باحتمال جحيم العذاب .

مصطفى لطفى المنفلوطى

السنة

الجوار فى الاسلام

إحسان الجوار - الجوار فى الجاهلية - تهذيب الإسلام للجوار - الجوار فى الحرب - مثل رائعة من جوار الأرقاء والنساء - متى تعرف المسلمة مكانها فى الإسلام ؟ الكلمة الأخيرة للإسلام.

عن أم هانىء رضى الله عنها قالت : ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح ، فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره ، فسلمت عليه فقال : من هـذه ؟ فقلت : أنا أم هانىء بنت أبى طالب ؛ فقال : مرحباً بأم هانىء . فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفاً فى ثوب واحد ، فقلت : يا رسول الله ، زعم ابن أمى على أنه قاتل رجلا قد أجرته : فلان ابن هبيرة ، فقال رسول الله ﷺ : قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء . وذلك ضحى . رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى [١] .

* * *

للجوار معان متقاربة فى لسان العرب :

منها - وهو أسبقها إلى الذهن ، وأشهرها فى العرف - مجاورة الناس بعضهم لبعض ، فى سكن أو عمل . والجوار بهذا المعنى على درجات ومراتب ، بعضها ألصق من بعض ؛ وأدناها جوار الزوجة ، وقـد بينا فى الجزء التاسع من المجلد السابع عشر من هـذه المجلة كيف عنى الإسلام بالجار والمرأة عناية لم يعرف — ولن يعرف — لها مثيل فى تاريخ الأخلاق والاجتماع .

---

(١) فى باب أمان النساء وجوارهن ، من كتاب الجهاد ، ورواه فى مواضع أخرى لمناسبات لا تخفى ، منها كتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة .

ومنهـا ـ وهو موضوع حديثنا هذا ـ إجارة المستجير بتأمين مخافته ، وإغاثة لهفته ، حتى يبلغ مأمنه مطمئنا وادعا .

* * *

وإحسان الجوار ـ على كل معنى من معانيه ـ فى الذروة من معالى الهمم ومكارم الأخلاق.

وكان العرب فى الجاهلية يذبون عن الجوار ، ويمنعون من حالفهم أو استجار بهم ، عما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، وكانوا يقولون فى معرض الفخر والثناء : فلان منيع الجار حامى الذمار ؛ بيد أنهم كانوا يسرفون فى حماية الجار إسرافا جائرا ، يجاوز حدود العدل والإحسان ، ويطوح بهذه المنقبة الكريمة فى متاهة العسف والعدوان !

كانوا يبذلون المهج والأرواح ، ويشنون الحروب والغارات ، انتصارا لمن حالف أو استجار ، محقا كان أو مبطلا ، ظالمـا كان أو عادلا !

لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا

* * *

فلما جاء الإسلام بالهدى والنور ، والشفاء لمـا فى الصدور ، هذب أخلاقهم ، وأكمل آدابهم ، ونفى منها الخبث والرجس كما ينفى الكير خبث الحديد ، وأقر ـ فيما أقر من مكارم الأخلاق ـ حسن الجوار ، وحماية الذمار ، فى غير منّ ولا أذى ، ولا بغى ولا عدوان . بل فرض على الناس فيما فرض ، أن ينصر كل منهم أخاه ظالمـا أو مظلوما . . . فلما عرتهم الدهشة من دعوتهم إلى نصر الظالم ، بين لهم بيانا عجبا لم يكن ليخطر لهم على بال : بين لهم أن ليس نصر الظالم ما ألفوه فى الجاهلية الأولى ، وإنمـا هو كفه عن الظلم ، والأخذ على يديه حتى يرعوى ، فذلك نصر له أى نصر ، على داعى الشهوة والهـوى ، والاعتساف والطغيان !

* * *

ولقد بلغ من عناية الإسلام بالجوار وحبه له ، أن أجاز لـكل مسلم أن يجير فى الحرب ويؤمّن ، رجلا كان أو امرأة ، عبدا كان أو حرا ، وجعل ذمامهم وأمانهم كشىء واحد ، فلو صدر أمان من أحدهم ـ كائنا من كان ـ لعدو ، فليس للإمام ولا للقائد ولا لغيرهما

من أولى الأمر أن ينقضه ، وذلك قوله صلوات الله عليه فيما رواه الشيخان : « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ! » .

وحدث فى عهد عمر رضى الله عنه أن عبداً أمن أهل بلد بالعراق ، فكتب إلى عمر قائد الجيش أبو عبيدة بن الجراح يستشيره فى هذا التأمين ، فكتب إليه أمير المؤمنين : إن الله عظم الوفاء ، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا ، فوفوا لهم وانصرفوا عنهم .

* * *

وهذه فاختة شقيقة على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، راوية هذا الحديث ، يجير النبى ﷺ من أجارت ، ويؤمّن من أمنت .

كانت فاختة من ذوات الرأى الجزل ، والأدب الجم فى عقائل قريش ... فلما أسلمت عام الفتح فرق الإسلام بينها وبين زوجها هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، الذى هرب عند فتح مكة إلى نجران مشركا ، فلم يزل بها حتى مات . وكانت قد انكشفت منه عن أربعة بنين ، أصغرهم هانىء الذى اشتهرت كنيتها به .

وكان النبى ﷺ قد أهدر دم خمسة عشر رجلا وامرأة ، أمعنوا فى الكيد للإسلام ، والإفساد فى الأرض ، لكن تداركتهم — إلا قليلا منهم — مع فظاعة جرمهم ، نعمة الجوار فى الإسلام ، وشفاعة الصحب الكرام ، عند من أرسله الله رحمة للعالمين .

فر من هؤلاء — وعدتهم أحد عشر — جعدة بن هبيرة . ورجل آخر من أحماء أم هانىء ، لم يذكر فى حديث البخارى ، وكلاهما من بنى مخزوم ، فرا إليها ، واختبآ فى بيتها فتوعدهما على ، وأقسم ليقتلنهما ، إنفاذا لإيعاد النبى صلى الله عليه وسلم ، وجزاء لما اجترحا من الحنث العظيم !!

لكن أخته أجارتهما ومنعتهما منه ، ثم ذهبت تشكوه إلى الرءوف الرحيم صلوات الله وسلامه عليه .

صادفته يغتسل ، والزهراء رضوان الله عليها تستره ، فسلمت من وراء حجاب ، فسأل عنها ، وحياها بأحسن من تحيتها ، حتى إذا اغتسل قام فصلى ثمانى ركعات : صلاة الضحى كاملة ، أو صلاة الشكر لله جلت آلاؤه على ما أنعم عليه من نعمة الفتح ، أو الصلاتين معا ، فى ثوب واحد مشتملا عليه .

لا جرم أن عليا ابن أمها وأبيها ، ولـكنها نسبته إلى الأم فحسب ، كما قال هرون يستعطف أخاه موسى عليهما السلام « يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي » توكيداً لحرمة القرابة ، وتوسلا بوشيجة الرحم التي آوتهما ، والبطن الذي ضمهما في قرار مكين . .

تقول : إن أولى قرابتي ، برعى عهدي وذمتي ، هو أخي ، ولـكنه توعد بنكث جواري وقطع رحمي ! ونعم الحـكم أنت . . فاستجاب لها صلوات الله وسلامه عليه ، وطمأنها بأنه قد أجار هو نفسه من أجارت ، وأمن هو نفسه من أمنت ، فلتقر عينا ولتطب نفسا .

* * *

ومثل آخر : زينب كبرى بناته صلى الله عليه وسلم ، يفرق الإسلام بينها وبين زوجها وابن خالتها : أبي العاص بن الربيع ، ويحتال عليه كفار قريش أن يطلقها ، فيمتنع ويقول : والله لا أفارق صاحبتي ولا أحب أن لي بها امرأة من قريش ، فتهاجر هي ويبقى هو كافرا بمكة ، حتى يقع أسيرا في قافلة يسوقها على بكرة أبيها زيد بن حارثة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة من الهجرة . وهنالك يستجير أبو العاص بزينب التي طوقته بصنيعتها إذ افتدته وهو أسير ببدر — بقلادتها التي حلتها بها ليلة عرسها أمها أم المؤمنين خديجة ، فتعده خيرا ، ثم تنادي بعد صلاة الفجر : إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه : أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم ، قال : فوالذي نفسي بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم ، المؤمنون يد على من سواهم ، يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت .

ثم يعود أبو العاص إلى مكة فيؤدي الحقوق إلى أهلها — وكان من المعدودين في رجال مكة تجارة وأمانة ومالا — ويؤوب إلى المدينة مسلما محسنا ، فيرد عليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم زوجه ، ويثني عليه ثناء كريما .

* * *

من لنا بأن تفقه نساؤنا مكان المرأة في الإسلام ، وكيف حاطها برعايته ، ومنحها من الـكرامة والتجلة ما تحسدها عليه المرأة الغربية ، ولو فطنت الغربية لمزايا الإسلام وآدابه لسعت إليه سعي أختها الشرقية للمظاهر والمدنية أو أشد سعياً ؟ !

لم يكن الإسلام الذى هذب الجوار وجمله ، ودعا إليه صفياً زاكياً - ليقبل منه ما ينقض عهداً ، أو يفسد وداً ، أو يوقظ فتنة ، أو يحرك ضغينة ، أو يهيج سلاماً وأمناً . وكيف ، وهو دين الوفاء والإخاء ، والوئام والسلام ، والصلح والإصلاح ، والرشد والفلاح ؟! ورد اللاجئين والمستجيرين فى صلح الحديبية ، وقد جاءوا مسلمين خائفين ، وفاءً بالعقد ، وحفاظاً على الشرط - بعض الشواهد الصادقة على ما نقول . ولو لا مخافة السآمة لكان لنا فى تفصيل هذا الإجمال ، مجال أى مجال .

نعم ، كان للمرأة إذا هاجرت من دار الكفر إلى دار الإسلام ، حباً لله ورسوله ، لا بغضاً لزوج ولا طلباً لآخر ، ولا التماساً لدنيا - كان للمرأة إذاً شأن آخر غير شأن الرجل رفقاً بها ، ورحمة بضعفها ، وخوفاً عليها أن تفتن فى دينها أو عرضها . فمن لنا - مرة أخرى - بأن تفقه نساؤنا مكان المرأة فى الإسلام ، وكيف يصونها من الشرور والآثام ؟!

* * *

وأخيراً - وليس آخراً كما يقول الباحثون - لو نظر أعداء الإسلام نظرة تقدير وإنصاف إلى الجوار فى الإسلام ، لما ترددوا أن يستجيروا به ، ويلتجئوا إليه ، وهنالك يرون رأى العين أعز مانع للجار ، وحام للذمار .

طه محمد الساكت

كعب بن لؤى كما وصفته أمه

قال لؤى بن غالب (جد النبى صلى الله عليه وسلم) لامرأته : - أى بنيك أحب إليك ؟

قالت : الذى اجتمعت فيه ثمان خلال : لا يخامر عقله جهل ، ولا يخالط حلمه سفه ، ولا يلوى لسانه عى ، ولا يفسد يقينه ظن ، ولا يغيره عقوق ، ولا يقبض يده بخل ، ولا يكدر صنعه من ، ولا يرد إقدامه جبن .

قال : ومن هو ؟ قالت : ولدك كعب .

الدَّخِيلُ وَكُتُبُ التَّفْسِيرُ

— ٥ —

الموضوعات فيما يتعلق بتوضيح مبهم أو تفصيل مجمل أو ترجيح رأى ونحو ذلك :

فمن ذلك ما ذكره بعض المفسرين كالسيوطى فى الدر فى تفسير قوله تعالى « فتلقى آدم من ربه كلمات الآية » فقد فسرت الكلمات تفسيرا شيعيا ، ورووا فى ذلك عن ابن عباس أنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ، فقال : « سأل بحق محمد وفاطمة والحسن والحسين » .

وقد حكم بوضع هذه الرواية ابن الجوزى ووافقه السيوطى فى اللآلىء ، مع أنه لم ينبه على وضعه فى كتابه الدر ، والصحيح فى تفسير الكلمات هو قوله تعالى « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا الآية » والقرآن يفسر بعضه بعضا .

* * *

ومنها ما ذكره بعض المفسرين ـ كالطبرى والسيوطى فى الدر المنثور ـ بأسانيد موقوفة ومرفوعة والنسفى من غير سند عند تفسير قوله تعالى « وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » ومحصل ما ذكروه أن الملائكة تعجبت من كثرة عصيان بنى آدم ، وقالوا لله سبحانه : لو كنا مكانهم ما عصيناك ، فقال لهم : اختاروا ملكين منكم ، فاختاروهما ، فهبطا إلى الأرض فى صورة بشرين ، وألقى الله عليهما الشبق ، وحكما بين الناس فافتتنا بامرأة تسمى الزهرة ، فراوداها عن نفسها ، فأبت إلا أن يعبدا صنما أو يشربا خمرا أو يقتلا نفسا فأبيا ، وأخيرا وقعا فى المعصية . أما الزهرة فمسخها الله وصيرها النجم المعروف ، وأماهما فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا الأول » . ولتأييد هذه الفرية وضعوا على المعصوم صلوات الله وسلامه عليه أنه كان إذا رأى الزهرة لعنها وقال : إنها فتنت الملكين . والقصة مكذوبة مختلقة ، ولا سيما المرفوع منها ، وقد حكم بوضعها الإمام أبو الفرج ابن الجوزى ، ونص الشهاب العراقى على أن من اعتقد فى هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما ، فهو كافر بالله العظيم . وقال القاضى عياض فى الشفاء : « وما ذكره

أهل الأخبار، ونقله المفسرون، في قصة هاروت وماروت لم يرد فيه شيء، لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم »؛ كما زيف المرفوع من هـذه القصة الحافظ عماد الدين ابن كثير، وبين أن منشأ ذلك روايات إسرائيلية، أخذت عن كعب الأحبار وغيره من علماء أهل الكتاب، وألصقها الزنادقة بالنبي صلى الله عليه وسلم زورا وبهتانا. قال ابن كثير « وأقرب ما يكون في ذلك أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي صلى الله عليه وسلم [1] ».

والثقات من المحدثين لم يرفعوها إلى النبي ﷺ، وإنما وقفوها على كعب وأضرابه. والملائكة معصومون عن مثل هذه الكبائر التي لا تصدر إلا من عربيد لا خلاق له، ثم كيف ترفع الفاجرة إلى السماء، وتصير كوكبا مضيئا؟ وما النجم المعروف بهذا الاسم إلا في مكانه من يوم أن خلق الله السموات والأرض، وما ذكروه من هـذا الخلط لا يوافق سياق الآية، ولا ما نزلت له، وليس السبب في نزول الملكين ما ذكر، وإنما السبب أن السحرة كثروا في ذلك الزمان، واخترعوا أبوابا من السحر، وزعموا أن سليمان ما نال ملكه إلا بهذا السحر، حتى كادوا أن يفسدوا عقول الناس، ويضلوهم عن الحق، فبعث الله هذين الملكين كي يعلما الناس السحر، فلا يشتبه عليهم بالمعجزة، وبذلك يسهل عليهم التمييز بين حق الأنبياء وباطل هؤلاء، وقد احتاط الملكان وبالغا في التحذير من العمل بالسحر « وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ». وبذلك تبين الحق، وظهر أن هذه الخرافة لا تمت إلى الإسلام بصلة.

* * *

ومن قبيل هذا ما ذكره الثعلبي والزمخشري والنسفي في قوله تعالى في سورة يوسف « إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » فقد روى أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف، ما أسماؤها؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي: إن أخبرتك بأسمائها تسلم؟ قال: نعم. فقال له: جريان والطارق والذيال الخ فقال اليهودي: إنها لأسماؤها. وقد نبه على وضعه الحافظ بن الجوزي، وأعله بالحكم بن ظهير الذي تفرد به.

(١) تفسير ابن كثير جزء ١ ص ٢٥٤.

وقد ضعفه الأئمة، وتركه الأكثرون، وقال فيه الجوزجانى: «ساقط، وهو صاحب حديث نجوم يوسف».

* * *

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين كالزمخشرى والنسفى عند ذكر الاختلاف فى كون الذبيح إسماعيل أو إسحق عليهما السلام، وهو كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام «من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله» ويستدلون به على أن الذبيح اسحق، وقد قال فيه الدارقطنى: «موضوع - وإسحق - أحد رواته - كان يضع الحديث على ابن وهب، وكل ما ورد أن الذبيح إسحق من المرفوع إلى النبى ﷺ فهو إما موضوع وإما ضعيف».

والظاهر أن الروايات فى ذلك مما دسه اليهود كى ينسبوا هذا الفضل لجدهم إسحق. ولست الآن بصدد التمحيص والتحقيق فلذلك مقام آخر، وبحسبى أن أذكر دليلا على ما استظهرت ما ذكره ابن اسحق أن عمر بن عبد العزيز أرسل إلى رجل كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه وكان من علمائهم، فسأله أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل، والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب.

* * *

ومن الغث الذى لا ينبغى أن يفسر به كتاب الله ما ذكره البعض كالثعلبى والزمخشرى والنسفى فى تفسير قوله تعالى: «ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد». فقد زعموا أن إرم مدينة، ورووا فى ذلك أنه كان لعاد ابنان: شداد وشديد، فملكا وقهرا ثم خلص الملك لشداد، فسمع بذكر الجنة، فقال: أبنى مثلها. فبنى إرم ذات العماد فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة، وقد ذهب الخيال فى بنائها كل مذهب. ولما تم بناؤها سار إليها فى العدد والعدة، فلما كان منها مسيرة يوم وليلة أرسل الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا، ولكى يحبكوا هـذه القصة المزيفة رووا أن عبد الله بن قلابة خرج فى طلب إبل له فوقع عليها مصادفة، فحمل ما قدر عليه، وبلغ خبره معاوية رضى الله عنه فاستحضره، وقص عليه ما رأى، فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار فسأله فصدق مقالة ابن قلابة. وهى قصة لا يشك المتأمل فيها فى أنها موضوعة، وآثار الوضع والصنعة بادية عليها. ومثل ذلك ما روى أن

إرم دمشق أو الاسكندرية ، فكل ذلك من خرافات بنى إسرائيل ، ومن وضع زنادقتهم الذين أرادوا أن يحجبوا جمال القرآن وسموه بمثل هـذه الروايات التى لا يشهد لها عقل ولا نقل ، وقد تعرض لتزييف ذلك الإمام ابن كثير فى تفسيره ، والعلامة ابن خلدون فيلسوف العرب الاجتماعى فى مقدمته .

والحق ما ذهب إليه محققو المفسرين من أن إرم عطف بيان من عاد ، وأنهم سموا بعاد إرم نسبة إلى جدهم ؛ لأن عادا هو ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح كما قال النسابون . ووصف القبيلة بذات العماد إما لأنهم كانوا أهل عمد وخيام فى حلهم وترحالهم ، أو لما كانوا عليه من طول القامة وقوة البنية ، أو لكونهم ذوى شرف ورفعة ، ومعنى « التى لم يخلق مثلها فى البلاد » أى فى قوة البنية والعرامة وشدة البأس . وتفسير الآيات على هذا الوجه هو الذى يتفق وما سيقت له الآيات وهو تخويف المعاندين الموجودين فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بأنه أهلك من كان قبلهم ، وكانوا أشد منهم بأسا ، وأعظم قوة وسلطانا ، وأكثر مالا ، ومن العجيب أن من ذكرتهم من المفسرين ذكروا هذا الحق ، ولكن خلطوه بالباطل الزائف ، ولو اقتصروا على الحق لكان أولى وأحسن . ثم كيف يتفق قول من قال إنها دمشق أو الإسكندرية ، وما هو الثابت يقينا من أنهم كانوا يسكنون الأحقاف ؟

* * *

ما يتعلق بقصص الأنبياء والأمم السابقة :

ومن الموضوعات التى اشتملت عليها كتب التفسير ما جاء فيها مما يتعلق بقصص الأنبياء وأحوال الأمم الماضية مما لا يعقل صدوره عن الرسول أو عن الصحابة والتابعين لمنافاته لعصمة الأنبياء ، أو لسنة الله فى الكون ، وجلها لا يعتمد على نقل صحيح ، وإنما هى أمور مدسوسة على الإسلام ، ليظهره أعداؤه بمظهر المخالف للمعقول وسنة الله فى الكائنات .

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى « قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » فقد ذكر الجلال السيوطى فى الدر المنثور من الروايات فى صفة هؤلاء القوم ، وعظم أجسادهم ، مالا يتفق وسنة الله فى خلقه ، مثل

ما روى من أن سبعين استظلوا فى قحف رجل من العماليق ، وما روى عن زيد بن أسلم أنه رئيت ضبع وأولادها رابضة فى فجاج عين رجل منهم ، وما روى عن ابن عباس من أن النقباء لما أرسلوا إلى هؤلاء الجبارين دخلوا حائطا لبعضهم ، فجاء صاحب الحائط ليجنى ثماره ، فوجدهم فصار يضعهم فى كمه مع الفاكهة ، وهو خلاف سنة الفطرة ولم يعرف التباين بين الناس إلى هذا الحد ، وإنا لنبرأ إلى الله أن يكون ما روى عن الصحابة والتابعين مما تلقوه عن النبى المعصوم ، وأغلب الظن أنه مدسوس عليهم أو تلقوه عن أهل الكتاب استغرابا له ، فحمل عنهم وألصق بتفسير كتاب الله عن غير بينة .

وثالثة الأثافى فى هذا ما ذكر من شأن عوج بن عوق الذى ولع بذكره بعض الأخباريين والمفسرين ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع ، وأنه كان يمسك الحوت فيشويه فى عين الشمس إلى غير ذلك ، فكله أحاديث خرافة كانت مشهورة فى الجاهلية ، ألصقت بالحديث بقصد الإفساد (١) . وقال الحافظ ابن كثير : « قصة عوج بن عوق وما يحكونه عنه هذيان لا أصل له ، وهو من مختلقات أهل الكتاب ، ويرحم الله العلامة ابن قيم الجوزية ، فقد قال بعد ذكر حديث عوج هذا : « وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث وكذب على الله ، وإنما العجب ممن يدخل هذا فى كتب العلم من التفسير وغيره ، فكل ذلك من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل وأتباعهم » . وقد ذهب بعض الناس إلى تصحيح وجود شخص بهذا الاسم بعد طوفان نوح عليه السلام ، ولو سلمنا لهذا القائل ما يريد فنحن لا ننكر وجوده ، ولكن الذى ننكره وجود شخص على هذه الأوصاف الغريبة ، وكم من أشخاص حيك حولهم أثواب من الزور حتى صاروا بسبب ذلك من اختراع الخيال ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

(١) مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٣٦٢

لمن يكون تنفيذ الحدود؟

لمن يكون اختصاص التنفيذ ؟

يحسن أن نلاحظ أولا أن الأمة المنظمة لا بد لها من راع يرعاها، ويقوم على شئونها، ويفصل فى أمورها ؛ ويعينه على ذلك أهل الحل والعقد ، وأرباب المشورة والرأى ، وأصحاب القدرة على المساعدة والمعونة ؛ وأن هذه الأمة تتكون من أفراد تتعدد مصالحهم، وتختلف مشاربهم ومطالبهم ، وتكثر خصوماتهم على أمور الحياة، وقد تتضارب آراؤهم فى هذه الأمور تبعاً لمؤثرات متعددة ؛ ولا يمكن للإنسان أن يكون خصما وحكما فى الوقت الواحد . . .

ولذلك رأى الإسلام أن يكون للمسلمين إمام يعاونه من يعاونه، وهذا الإمام بأعوانه يرعى مصالح العباد، ويقوم على شئونهم ، ويفصل فى خصوماتهم، وينفذ الحدود بينهم ، متقيدا فى ذلك بالكتاب والسنة ، ولذلك قال القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا »[1] .

ولو أن الإسلام ترك كل فرد يأخذ ما يراه حقا له ـ وخاصة فى الدماء ـ لكانت هناك الطامة الكبرى ، ولعادت جاهلية الأمم بفجورها وشرورها ، وطغيانها وبهتانها ؛ لأن الطرف فى الخصومة لا يستبين الرشد فى خطواته وتصرفاته لو جعل نفسه حاكما ؛ ولذلك اشترط الإسلام أن يفصل فى الخصومات من لا هوى له فيها ، واشترط للقاضى صفات وأخلاقا تجعله بمنأى من الريب والشكوك ، وبمعزل عن التهم والظنون ؛ فكيف يمكن بعد كل ذلك الاحتياط أن يكون الفرد الخصم حكماً بينه وبين خصمه ؟!

---

(١) سورة النساء : آية ٥٩ .

ومن هنا روى أن ابن عمر قال : « الزكاة والحدود والفيء والجمعة إلى السلطان » (١) ؛ وأن ابن محيريز قال : « الحد والفيء والزكاة والجمعة إلى السلطان » .

وجاء فى مجمع البيان للطبرسى : « . . . وأما من يتولى القصاص فهو إمام المسلمين ومن يجرى مجراه ، فيجب عليه استيفاء القصاص عند مطالبة الولى ، لأنه حق الآدمى ، ويجب على القاتل تسليم النفس . . » (٢) .

وجاء فى حاشية الصاوى على تفسير الجلالين : « فحيث ثبت القتل عمدا عدوانا وجب على الحاكم الشرعى أن يمكن ولى المقتول من القاتل ، فيفعل فيه الحاكم ما يختاره الولى من القتل أو العفو أو الدية ، ولا يجوز للولى التسلط على القاتل من غير إذن الحاكم لأن فيه فساداً وتخريبا » (٣) .

وفى كتاب (المغنى) لابن قدامة : « قال القاضى : ولا يجوز استيفاء القصاص إلا بحضرة السلطان ، وحكاه عن أبى بكر ، وهو مذهب الشافعى ، لأنه أمر يفتقر إلى الاجتهاد ، ويحرم الحيف فيه ، فلا يؤمن الحيف مع قصد التشفى ، فإن استوفاه من غير حضرة السلطان وقع الموقع ، ويعزر لافتياته بفعل ما منع فعله » (٤) .

ثم أشار الإمام ابن قدامة إلى من خالف فى ذلك ، وأورد لهم اعتراضاً يومى بجواز الاستيفاء من الفرد بغير حضرة السلطان ، وعمدته أن رجلا جاء يقود رجلا إلى النبى ﷺ وقال له : إن هذا قتل أخى ، واعترف القاتل بذلك ؛ فقال له النبى : اذهب فاقتله .

والظاهر من هذا الحديث أنه لا يصلح للاستشهاد على ما ذهبوا إليه ، لأن السلطان هنا ـ وهو النبى عليه الصلاة والسلام ـ قد علم بالجريمة بعد أن رفعت إليه ، واعترف الجانى ، وحكم الرسول بالقصاص ، ووكل ولى الدم فى القيام بهذا القصاص ، فليس هنا إذن دليل على قيام ولى الدم من نفسه بالقصاص دون علم الحاكم أو إذنه .

وقد يكون من المناسب هنا أن نذكر أن القانون الوضعى اليوم ، يعاقب ولى الدم إذا أقدم على قتل القاتل قبل الحكم عليه ، ويعتبره القانون قاتلا ، وإن تكن هناك فسحة

---

(١) انظر المحلى لابن حزم ج ١١ ص ١٦٥ ، وفى الموضوع خلاف بين الفقهاء .

(٢) مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى ج ١ ص ٢٦٥ .

(٣) حاشية الصاوى على الجلالين ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٤) المغنى لابن قدامة ج ٩ ص ٣٩٣ .

للقاضى كى يخفف الحكم ، وهذا لا يخالف روح الشريعة الإسلامية عند كثير من الفقهاء ، وخصوصاً إذا رأى الإمام تركيز الاختصاص فى القصاص بيد الدولة ، وقد يؤيد هذا ما رواه ابن حزم فى المحلى وهو :

« إن فى كتاب لعمر بن الخطاب : « والسلطان ولى من حارب الدين ، وإن قتل أباه أو أخاه ، فليس إلى طالب الدم من أمر من حارب الدين وسعى فى الأرض فساداً شىء » . وقال ابن جريج : وقال لى سليمان بن موسى مثل هذا سواء سواء حرفا حرفا ، وبه - أى بالسند المذكور قبل ذلك - إلى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال : عقوبة المحارب إلى السلطان ، لا تجوز عقوبة ولى الدم ، ذلك إلى الإمام ، قال : وهو قول أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وأبى سليمان وأصحابهم [١] » .

أمور يجب اعتبارها :

ثم إن هناك أموراً يجب اعتبارها وملاحظتها فى هذا المقام ، ومنها نستبين كيف يكون القصاص ، ولمن يكون ، وكيف يخطىء خطأ فاحشاً من يعميه حب الثأر عن وجه الحق فيتعجل بالقصاص دون بصيرة أو تبصر .

من هذه الأمور أن ولى الدم يكون غالباً أكثر من واحد ، لأن أصحاب الحق فى ذلك هم عصبة المقتول الذين يعتزون بحياته ، ويذلون بدونه ، ويحرمون من بره ومعونته ؛ أو بتعبير آخر : هم ورثة القتيل ؛ وهم شركاء فى حق القصاص ، فكيف يجيز أحدهم لنفسه الانفراد بهذا الحق ، فيقدم على أخذ ثأره بيده ، فيجرم فى حق الله وحق العباد ؟ ! ...

ومن هذه الأمور مسألة العفو من بعض المستحقين للثأر عن القاتل ، فقد ذكر الشعرانى فى كتابه (الميزان) أنه قد اتفق الفقهاء على أنه إذا عفا رجل من أولياء الدم سقط القصاص ، وانتقل الأمر إلى الدية ، واتفقوا على أنه إذا كان المستحقون صغاراً أو غائبين كان القصاص مؤخرا ، خلافا لأبى حنيفة ، فإنه قال : إذا كان للصغار أب استوفى القصاص ولم يؤخر [٢] .

---

(١) المحلى لابن حزم ج ١١ ص ٣١٢ .
(٢) كتاب الميزان ج ٢ ص ١٢٠ باختصار .

وقال الإمام ابن حزم فى المحلى : « العفو جائز لكل أحد ممن يرث ، وللزوجة والزوج وغيرهما ، فإن عفا أحد ممن ذكرنا فقد حرم القصاص ، ووجبت الدية لمن لم يعف [١] » .

فكيف يجوز مع هذا لفرد من أولياء الدم أن يستجيب للشيطان فيقتل القاتل أو أكثر منه ، وقد يكون غيره مريداً للعفو ، أو مريداً للدية ، وقد يكون من هؤلاء الأولياء غائب و صغير ، ولو حضر أو بلغ لعفا أو لطلب الدية ولم يطلب القصاص ؟ !

لقد قال الإمام ابن قدامة فى المغنى هذه العبارة الصريحة : « إذا كان للمقتول أولياء يستحقون القصاص فمن شرط وجوبه اجتماعهم على طلبه ، ولو عفا واحد منهم سقط كله ، وإن كان بعضهم غائباً أو غير مكلف لم يكن لشركائه القصاص حتى يقدم الغائب ويختار القصاص أو يوكل ، ويبلغ الصبى ، ويفيق المجنون ، ويختاراه » [٢] .

فهلا تبصر ذلك المقدم على الثأر بلا روية أو تفكير ؟ !

ومن هذه الأمور مسألة الآلة التى ينفذ بها القصاص ، فقال أبو حنيفة - كما نقل الشعرانى - إنه لا يستوفى القصاص إلا بالسيف ، سواء قتل به أم بغيره ، وقال الشافعى ومالك : إنه يقتل بمثل ما قتل به [٣] .

وكذلك تعرض ابن قدامة فى المغنى لوصف تنفيذ القصاص ، فذكر أنه يستحب عند الفقهاء إحضار الشهود حين القصاص ، وعلى الحاكم أن يتفقد آلة القتل التى سيستعملها ولى الدم ، حتى لا يكون بها عيب أو آفة [٤] .

فهل يتصور من الأرعن الثائر الذى يريد الانتقام دون تبصر أو احتكام إلى المعدلة ، أن يعطى هذه الناحية حقها ، أو يعدل فى الحكم عليها ، أو أن الغضب المجنون سيدعوه إلى أخذ ثأره كيفما اتفق ، وبأقسى ما يهيىء له شيطانه وهواه ؟

---

(١) المحلى ج ١٠ ص ٤٧٧ ، ومن الانصاف للبحث العلمى أن نقول إن ابن حزم قال عقيب ذلك : « وقال آخرون : العفو للرجال خاصة دون النساء . وقالت طائفة : من أراد القصاص فذلك له ، ولا يلتفت إلى من أراد الدية أو العفو ، ما لم يتفقوا على ذلك » ولكن ابن حزم عاد فرجح الرأى الأول ، وهو سقوط القصاص بعفو واحد منهم أيا كان .

(٢) المغنى لابن قدامة جـ ٩ ص ٣٣٤ .

(٣) الميزان جـ ٢ ص ١٢٠ باختصار .

(٤) المغنى جـ ٩ ص ٣٩٣ .

وهلا كان من الواجب حينئذ أن يرجع صاحب الدم إلى الإمام الشرعى ليحدد آلة القتل التى استعملت ، وليعين وسيلة القصاص التى تستخدم ؟

ولعله من المناسب هنا - وقد أشير إلى قيام صاحب الدم بالقصاص - أن نذكر أن القانون الوضعى لم ينص على تفويض الفرد طالب الثأر فى تنفيذ القصاص بنفسه ، بل لعل روحه وسوابقه تمنع ذلك ؛ ولكن الشريعة الإسلامية تجيز لصاحب الدم أن يقوم بنفسه بتنفيذ القصاص بعد ثبوته ، وبعد إذن الحاكم به ، مع إشراف الحاكم على ذلك التنفيذ ؛ وتقول الشريعة : إن ولى الدم يجوز له أن يوكل من يقوم له بالقصاص ؛ وإن كان ولى الدم أكثر من واحد وكلوا أحدهم أو غيرهم ، وإن تنازعوا فيما بينهم أجريت القرعة عليهم ، ومن وقعت عليه القرعة قام بالتنفيذ .

وقد لا يصعب التوفيق بين الشريعة الغراء والقانون الوضعى فى هذه الناحية إذا تذكرنا أن الإمام الشرعى يجوز له فى الإسلام أن يخصص الجائز لمصلحة عامة أو ضرورة بينة ، فإذا اقتضت المصلحة العامة الظاهرة أن يجعل تنفيذ القصاص فى يد خاصة قادرة محسنة جاز للإمام أن يحمل الناس على ذلك .

ومن هذه الأمور عملية القتل ، فقد قال الرسول صلوات الله عليه : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة » وقال : « أعف الناس قتلة أهل الإيمان » ونحن لا نضمن أن يقوم الفرد الموتور بعملية القتل فى عدوه ويحسنها ، دون أن يسرف أو يتعسف أو يزيد ؛ ولعلنا نتذكر هنا ما تردى فيه الكثيرون أخيراً من مهاوى الإجرام الشنيع ، إذ تراهم يذبحون الناس ذبح الشياه ، ويقطعونهم إربا إربا ، وقد يسلخون الوجوه ، ويشوهون الملامح ، ويمثلون بالجثة أفظع تمثيل ؛ وذلك لأنهم يريدون إطفاء نار الثأر الآثم ، وربما أخذوا بالظنة والشبهة ، أو أخذوا البرىء بذنب المجرم ، أو تعدوا حدود القسطاس فأخذوا مع المجرم غيره ممن لا ناقة لهم فى الجريمة ولا جمل .

ومن هذه الأمور الحالة التى يجب فيها القصاص شرعا وتمييزها من الحالات التى لا يجب فيها ، فقد أجمع العلماء على أن القصاص لا يجب إلا فى حالة القتل العمد ، دون القتل شبه العمد ، أو القتل الخطأ ؛ ويشترط كذلك للقصاص أن يكون الجانى المقتص منه

مكلفا ، فلا يقتص من الصبي والمجنون وكل من زال عقله ، لقول الرسول صلوات الله عليه : « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق » . وأن يكون المجنى عليه مكافئا للجانى عند طائفة من الفقهاء (كالحر بالحر ، والعبد بالعبد) ؛ وأن يكون المقتول معصوم الدم ، فلا قصاص فى قتل الكافر والحربى ، وأن لا يكون القاتل أبا للمقتول ، فلا يقتل الوالد بولده وإن سفل ، والأب والأم فى ذلك سواء ؛ إلى غير ذلك من الشروط ، كأن يكون القاتل مختاراً ، وأن تقوم عليه البينة بالشهود أو الاعتراف ... الخ

فهل ينتظر من الفرد ولى الدم ـ وقد يكون أمياً أو جاهلا أو ظلوما غاشماً ـ أن يلاحظ هذه الشروط ، وأن يرعاها حق رعايتها ، إذا ما تركنا له الحبل على الغارب ، فذهب يرضى شهوة الانتقام بإسالة الدماء ؟ ! .

أحمد الشرباصى
من علماء الأزهر الشريف

حكم

* قال نصر بن سيار : « كل شىء يبدو صغيرا ثم يكبر ، إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر . وكل شىء إذا كثر رخص ، إلا الأدب فإنه إذا كثر غلا » .

* قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : قال لى أبى « يابنى ، لا تردن على أحمق خطأ ، فإنه يستفيد منك علماً ، ويتخذك عدواً » .

* قال محمد بن عبد الملك الزيات : « احذروا الصديق الجاهل أكثر من حذركم العدو العاقل ، فليس من أساء وهو يعلم أنه مسىء ، كمن أساء وهو يظن أنه محسن » .

المؤمنون حقاً
كما وصفهم القرآن الكريم

— ٢ —

فى الحديث السابق قلنا عن بعض صفات المؤمنين الصادقين ، وكان حديثنا عن الصفات التى لا تتعدى القلوب إلى غيرها ، ذلك أن الفضائل الإنسانية منها مايكون معاملة بين العبد وربه ، ومنها ما يكون معاملة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، ومنها صفات نفسية تصدر عن القلوب ، وتتصل بها اتصالا وثيقاً ، وهى بعد مظهر قوى من مظاهر الإيمان بالله ، والحب له . فخوف القلوب من ذكر الله ، وزيادة الإيمان إذا تليت آيات الله ، والتوكل على الله حق التوكل ، كل ذلك مظهر من مظاهر سلامة القلوب وصفائها ، وخلوص نياتها . والصلاة ـ مثلا ـ معاملة بين العبد وربه ، والتواضع والعفة ، والإعراض عن اللغو ، والصفح عن المسىء ، معاملة بين الإنسان وأخيه الإنسان . وبكل ذلك وصف الله عباده المؤمنين .

وأجمع الآيات فى القرآن لأوصاف المؤمنين ، الآيات من أول سورة (المؤمنون) والآيات فى آخر سورة (الفرقان) . وقد حدث سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل ، فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا . وأكرمنا ولا تهنا . وأعطنا ولا تحرمنا . وآثرنا ولا تؤثر علينا . وارض عنا وأرضنا . ثم قال : لقد أنزل علىَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ . « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

ابتدأت هذه الآيات بالخشوع فى الصلاة ، وانتهت بالمحافظة عليها . وإقامة الصلاة ، والخشوع فيها ، والمحافظة عليها من الأوصاف التى جعلها القرآن ملازمة الإيمان ، ففى سورة الأنفال : « الذين يقيمون الصلاة » وفى سورة الفرقان : « والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما » وفى سورة الفتح فى وصف أصحاب النبى : « تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » ... وهكذا فى كثير من الآيات .

وقد يكون من فضول القول أن نتحدث عن موضع الصلاة من الإسلام ، فما أظن أن أحداً يجهل ذلك ، بعد ما استفاض الحديث عن ضرورة المحافظة عليها ، وعن الحكم فيمن تركها ، هل يسجن حتى يصليها ، أو يقتل ، وإنما نذكر هنا شيئا مما يتصل بفقه الآيات ، فنحن نجد القرآن وصفهم أولا بالخشوع ، وثانياً بالمحافظة على صلواتهم . والخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها ، فالمحافظة معناها أن تؤديها فى أوقاتها ، والأفضل فى أول الوقت . أما الخشوع فالمراد به اشتغال القلب بالله ، وعدم التفكر فى شىء من أمور الدنيا ، والقيام فى الصلاة غاضا بصره ، ساكنة جوارحه ، فلا يلتفت يمينا ولا شمالا ، بل قال سعيد ابن جبير : الخشوع هو ألا يعرف من على يمينه ولا من على شماله ، وفى الحديث : لا يزال الله مقبلا على العبد وهو فى صلاته ما لم يلتفت ، فإذا التفت انصرف عنه ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة ، فقال : لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه . هذا ـ ومن أعون الأشياء على الخشوع فى الصلاة أن يتدبر المصلى فيما يجرى على لسانه من القراءة والذكر .

ومما تضمنته هذه الآيات ـ آيات (المؤمنون) من صفات المتقين أنهم يعرضون عن اللغو ، واللغو كل باطل ولهو ، وما لا يجمل من القول والفعل ، فمن صفات المؤمنين أنهم إذا سمعوا القبيح لم يشغلوا أنفسهم به ، ولم يخوضوا فيه ، بل قالوا خيراً أو صمتوا ، أو انصرفوا غاضبين منكرين . والذى يتعلق بكل كلمة يسمعها ، ويشترك فى كل حديث يدور أمامه ، إنما هو اللئيم ، أما الكريم فإنه يتجاوز إذا كان الكلام يمسه . ويكف لسانه إذا كان كلاما لا خير فيه . وهذا معنى قوله تعالى : « وإذا مروا باللغو مروا كراما » وقوله : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » وقد سمع بعض الصالحين رجلا يعيبه فقال له : يا هذا ، إن كان فىَّ ما تقول فغفر الله لى ، وإن لم يكن فىَّ ما تقول فغفر الله لك .

وهذا شيء لا تستطيعه كل النفوس : حتى قال وهب بن منبه : منذ خمسين سنة ما رأيت أحدا غفر لى زلة ، ومرد ذلك إلى نقص معيب فى التربية الدينية ، وضعف واضح فى التربية الخلقية ، فالنفوس لن تتحمل ما يوجه إليها من العوراء حتى تراض ، وتطول رياضتها ، وحتى تدرك مدى ما فى هذا التحمل من خير لها وللمجتمع ، من خير الدنيا ، وخير فى الأخرى .

ونستطيع أن نؤكد أن كثيرا من الحوادث البالغة الخطورة ، التى نراها كل يوم ، والتى نقرأ ونسمع عنها ، ليست ترجع إلى أسباب قوية ، وإنما ترجع فى القلوب إلى الحق ، وعدم التحمل ، وقديما قال حاتم طيء :

وعوراء جاءت من أخ فرددتها ... بسالمة العينين طالبة عذرا
ولو أننى إذ قالها قلت مثلها ... ولم أعف عنها أورثت بيننا شرا

وحاتم هذا ، هو الذى وضع الأساس الصالح ، فى هذا الشأن ، وجعل من خلقه الصفح عن الزلات . لأن الناس إما كريم وإما لئيم ، وكلاهما من حقه أن تغفر زلته ، تغفر زلة الكريم ، ليدخر ، وتغفر زلة اللئيم تعففا ، وتعاليا عن مشاتمته .

وأغفر عوراء الكريم ادخاره ... وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقل من الناس من يتنبه لهذه المعانى السامية ، لأن الحق غالب على نفوسهم ، ولو فكر كل إنسان قبل أن يرد الكلمة التى يعتقد أنها نالت من كرامته ، وحطت من قدره ، لوجد أن الأمر أهون من أن يبادل صاحبه سبا بسب .

وكلمة حاسد فى غير جرم ... سمعت فقلت مرى فانفذينى
فعابوها على ولم تسؤنى ... ولم يعرق لها أبدا جبينى

ولما كان تحمل الأذى من أقوى الدلائل على تمكن الإيمان فى النفوس ، وطول الرياضة لها ، وجدنا أن الذين يقولون سلاما حين يخاطبهم الجاهلون ، جد قليلين .

وثالث الصفات التى تعرضت لها هذه الآيات ، فعل الزكاة ، وقد قرنت الزكاة بالصلاة فى كثير من نصوص الشرع ، ذلك أنها صنوها ، وهى ركن من أركان الإسلام ، ولذلك كان أداؤها مما يوجب للمؤمنين الكرامة عند الله ، ويجعلهم من المقربين إليه ، والمراد بالزكاة هنا الزكاة الواجبة غير أن هناك نفقة التطوع ، وهى من دأب المؤمنين ، وعنهم تصدر ،

فالرجل المسلم يعطى عن سخاء، ويبذل محبا للإحسان، وقد وصف الله الأبرار فى سورة (الإنسان) بأنهم « يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا، ويطعمون الطعام - على حبه - مسكينا ويتيما وأسيرا »، وذكر فى سورة البقرة، أن البر الحقيقى بر « من آمن بالله واليوم الآخر، والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حبه، ذوى القربى، واليتامى، والمساكين وابن السبيل، والسائلين، وفى الرقاب ».

أما ما جاء فى وصف عباد الرحمن، فى سورة الفرقان من قوله تعالى « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »، فالمراد بالنفقة هنا النفقة على النفس وعلى العيال، وليس المراد النفقة فى سبيل الله، فليس فى هذه سرف، وقديما قيل: لا سرف فى الخير، ولا خير فى السرف. والمراد بهذه الصفة، أن عباد الرحمن ليسوا مبذرين فى إنفاقهم، فلا يصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أنفسهم وأهليهم، يقصرون فى حقوقهم، بل يتبعون أواسط الأمور، وخير الأمور أوساطها. وقد حث القرآن على هذا الاعتدال فى آيات أخر فقال تعالى: « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا »، « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين، وكان الشيطان لربه كفورا ».

والاعتدال حميد فى كل شىء، حتى فى العبادة، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ: ما أحسن القصد فى الغنى، وما أحسن القصد فى الفقر، وما أحسن القصد فى العبادة.

وليس للأمور حدود ضيقة فاصلة، وإنما المسألة مسألة حب الدنيا، أو زهد فيها، والمعول عليه القلب. فليس الزهد البعد عن الدنيا، وإنما هو فراغ القلب منها، فإظهار التقشف والبعد عن الطيبات، لا يمت إلى الزهد بكثير ولا قليل، وإنما الشأن كل الشأن فى القلب، فمتى كان القلب متعلقا بالدنيا، حريصا على جمعها، فلا ينفعه بعد ذلك شىء ومتى كان القلب خالصا لله، يجعل الدنيا مطية للآخرة، فلا يضره بعد ذلك شىء. ولقد قيل لبعض كبار الزهاد، وكان يبدو للناس فى مظهر حسن، قيل له: إن أصحابك لم يكونوا على ذلك، فقال: أعيش عيش الأغنياء، وأموت موت الفقراء؟

على العمارى



ركود ثقافى

مالدى تنفضه رعشة الوجل ، فتنتفض معه مشاعرى ، وتفور من الهلع أحاسيسى . فأتلمس بين متاهة الحياة سبيلا ، وما أشد فزعى حين لا أجد غير الأشواك التى تمزق آمال الطامحين ؟

وما لروحى ترقب من وراء منظارها إلى العالم الملىء بالأشباح الجوفاء ، والصور التى رسمت عليها الحياة ظلالا باهتة من الثقافة ، فتعود كسيرة ترعدها حمى الفزع ؟

لا شيء يروع النفس غير شبح الإفلاس الثقافى الذى تبدو نواجذه المخيفة . وكيف لا وقد جثم كابوسه على الشرق والغرب الإسلاميين منذ قرون ، فقضى على فقه المدينة من المدينة ، وثقافة دمشق من دمشق ، وأدب بغداد من بغداد ، ونحو البصرة والكوفة منهما وعلم القيروان من القيروان ، فخبت أضواء تلك المنائر التى عاشت حينا تهدى الحيارى بين مهامه الجهل ، ولم يبق فى العالم الإسلامى سوى منارة الأزهر التى عاشت قرونا تشع نورا يأتلق حينا ، ويخفت حينا ، كالسراج إذا سكنت حوله الرياح تألق ، وإذا هاجت تبددت أضواؤه بين أنفاس العواصف ، ثم يعود ساطعا كأن لم تفتل ذبالته الأهواء الهوج .

ومنذ قرن بدأت عجلة الحياة العلمية فى الشرق تتحرك فتنفض عن كاهلها ذلك الجمود الذى شلها حينا من الدهر ، ودب دبيب الحياة فى الشرق كله ؛ وتفجرت الحيوية فى مصر ؛ لأن فيها المعين الباقى للثقافة الإسلامية العربية ، ذلك المعين الذى لم يزل صافيا على ضفاف نيلها يبعث فى شعبها الحياة .

ورأى الشرق فى مصر المنهل الذى يبل صدى لهواته .

ورأى فيها الأزهر الذى صان تراث أمجاده من عبث التتار ، وجهل الترك ، فتطلع الشرق كله إلى مصر ، إلى الأزهر فاتخذه الكعبة الثانية يحج إليه رواد العلم والثقافة من كل فج عميق .

ولكن نكسة ألمت بمصر منذ خمسة عشر عاما فثنتها عن تلك الثقافة التى اعتزت بها زمنا وانحرفت بأبنائها عن ذلك المورد فكادت تقضى على أعز وشيجة تربطها بالعالم الإسلامى .

وإن الحكومات التى تعاقبت على مصر فى تلك الحقبة وقد لمست تصدع الثقافة الإسلامية العربية ، ورأت تحت أنقاضها مئات الآلاف من شبابنا ، لم تفكر فى درء ذلك الخطر ، كأنما ليست له خطورة تخشى مغبته ، لأن صنائع الاستعمار هم الذين وكل إليهم الإشراف على الثقافة فى هذه الحقبة ، ، وأولئك شر على المجتمع الإسلامى من الجهل ، وإنهم قد جنحوا بالشباب عن الثقافة الإسلامية ، وحشدوا له مناهج من قشور الثقافات الغربية ، وقطارات من ثقافة العرب لم تلبث أن تتبخر على الشفاه . وقد تخرجت فى ظل هذه المناهج أفواج وأفواج من الجامعات ، وكل يجهل الكثير بل لا يدرى القليل من ثقافتنا . ومناط ذلك إلى أن رجال التعليم فى مصر ينكرون ويتنكرون لثقافة الإسلام ، فينظرون إلى القرآن على أنه كتاب دين ، وأمر هذا الدين ليس فى حسابهم ، ثم هم لا ينظرون إليه كذلك من ناحية اللغة على أنه كتاب محكم الآيات ، يقوم الألسنة ، ويهذب البيان ، ويحوى الكنوز الثمينة من الأساليب التى عجز عنها ويعجز أرباب البيان . ولو أن رجال التعليم أوتوا نصيبا من الثقافة جعلتهم يتذوقون أساليب القرآن لعكفوا عليه ، ورأوا فيه الغذاء العقلى الذى يغنى طلاب البيان عن النظر فيما ترجموا عن الغرب من بيان .

ومن العجب أن تاريخنا الإسلامى تكاد تتلاشى مناهج دراسته إلى جانب مناهج تاريخ أوربا ودول أوربا ، وما أحوج أبناءنا إلى الوقوف بهم على تاريخ الإسلام ، ومعرفة مواطن القوة فى الدول الإسلامية ، وفى تاريخنا ألوان من البطولات ما أجدرنا بالعناية بها ، والوقوف عندها طويلا ، نستشف من صورها ألوان الشجاعة والإقدام ، لنجعلها أمام عيون أبنائنا مثلا عليا .

فذلك الزاد خير مما يتزودونه اليوم مما خلفه لهم الاستعمار من زاد موبوء لم نزل نتهالك عليه ، ونحفزهم إليه دون أن نقدم لهم ألوانا شهية من ثقافة الإسلام .

فليس من الغريب بعد هذا أن نقول : إن مصر قد أصيبت بركود ثقافى ،

فالطالب مل الحياة العلمية ، وشغلته أهواء نفسه ، ومظاهر الحياة الناعمة الرقيقة حوله ، ودور اللهو وألوان التسلية الرخيصة عن الإقبال على الكتب ، أو السماع إلى محاضر ، أو التنقيب بين المكتبات عن الكنوز العلمية الثمينة .

والمدرس لا يجد بين يديه الطالب الشغوف بالعلم ، فقنع بالمادة العلمية القليلة يقدمها وهو يعلم أن الطالب مشغول عنه وعن علمه .

فحق لنا أن نألم وقد لمسنا عزوف شبابنا عن الثقافة وبغضهم للاطلاع ، وفرارهم من كل مجتمع وناد ، تعرض فيه مشاكلنا للبحث والدرس .

وحق لنا أن نأسى وقد أقفرت الأندية من روادها ، وكم كانت تضيق منذ عشرين سنة بالآلاف من هواة الثقافة ومحبي العلم والأدب .

وحق لنا بعد هذا وذاك أن نهيب بالمسئولين، وأن نصيح فيهم صيحة الحراس على هذه الثقافة وقد دهاها الركود ، وأصابها الجمود .

إن الركود الثقافى يهدد كيان الأمة ، فماذا أعددتم له ؟

إن الاستعمار الثقافى أسر أبناءنا ونأى بهم عن التربية الإسلامية السليمة ، فإلى متى نظل خانعين له ؟

إن الثقافة الإسلامية العربية تستطيع أن تخلق الجيل الذى يؤمن بنفسه وبمكانة أمته فى هذه الحياة ، فكيف تبعدون شبابنا عنها ؟

وأخيرا إن مصر التى تحارب الاستعمار العسكرى والاقتصادى ، خليق بها أن تتخلص من استعمار العقول ، ومن سياسة تلاميذ المستعمرين ؟

محمد خليفة
المدرس بالأزهر

أبكتاتوس الحكيم الرومانى

كان أبكتاتوس الحكيم الرومانى عبدا لصاحب الشرطة فى روما على عهد الأمبراطور نيرون فى أواخر القرن الأول للمسيح . ولما أمر الامبراطور فرمطيانوس بإخراج الفلاسفة من مملكته هاجر أبكتاتوس إلى بلاد اليونان ومات فيها . وكان أساس حكمته أن يميز الإنسان بين ما هو فى مقدوره فيحتاط له ، وبين ما هو فوق مقدوره فيصبر عليه ويرضى به .

ومن أقواله : لا يكن حذرك إلا فيما هو فى قدرتك ، وكن مطمئن البال فيما سواه .

من نوادر المخطوطات

تحرير المقال

فى آداب ، وأحكام ، وقوانين ، يحتاج إليها مؤدبو الأطفال

عرف فن التربية طائفة من علماء المسلمين بحثوا فى مسائله وتكلموا فى نظرياته ، وتفرقت بحوثهم ودراساتهم فى مؤلفات تداولها الناس أزمانا طويلة ، وشهدوا لأصحابها بطول الباع والتفوق والإبداع ، وقدروا لهم سبقهم باختراع كثير من قواعده .

وما زال جهابذة علماء التربية فى الغرب يعجبون بها ، ويعترفون بصحتها . فقد عرف علم التربية المربى الماهر ، والمرشد الحكيم ، الإمام الغزالى . يقرر قواعد التربية التى ينبغى أن ينهجها المربى لا فى تربية الصبيان فحسب ، بل فى تربية الكبار من المريدين والأتباع ، وفى كتابه المعروف (إحياء علوم الدين) خلاصة لآرائه وتجاربه . وعرف إمام التربية والاجتماع على وجه الدهر العلامة ابن خلدون بمبادئه التى قررها فى مقدمة تاريخه الخالدة المعروفة بمقدمة ابن خلدون . وعرف الفيلسوف الكبير ابن سينا فى رسائله المتفرقة . وعرف غيرهم من علماء الإسلام قبل أن يعرف كثيرا من علمائها فى الغرب .

وعلماء التربية من المسلمين فريقان : فريق بنى آراءه فى التربية على دراسة نفسية وتجريبية تتصل اتصالا وثيقا بعلم النفس ، كالغزالى وابن خلدون وابن سينا . وفريق بنى آراءه فيها على قواعد الدين ، بمعنى أنه يقررها مستندة إلى أحكام الدين ، فيجوّز ماتجوزه ، ويمنع مالا تقره . غير أنه ينبغى أن نلاحظ أن أكثر العلماء من الفريقين لم يفردوا مسائل التربية بمؤلفات خاصة كما فعل علماء الغرب ، بل أدخلوها تارة فى علم الأخلاق والتصوف كما فعل الغزالى ، وتارة فى علم الاجتماع كما فعل ابن خلدون . وعذرهم فى ذلك واضح ووجيه ، فمبادىء علم التربية وسيلة من وسائل تكوين الخلق الفاضل ، والسلوك المهذب الراقى ، كما أنها سبب من أسباب تكوين المجتمع المثالى النبيل ، كما ينبغى أن نلاحظ أن هؤلاء

العلماء حين يتكلمون فى مبادئ التربية والتعليم أو آداب العلم والتعلم ، إنما يجعلون همهم ووكدهم أن يقرروا أولا آداب تعليم القرآن وتعليم السنة ، وما ينبغى أن يتحلى به معلم ومتعلم كل منهما ، وما هى الطريقة المثلى فى دراستهما وبلوغ الهدف منهما ، ووجهة نظرهما فى ذلك أن القرآن كلام الله ، وهو دستور العالم الخالد الذى بدراسة ما جمع من أصول صحيحة ثابتة فى مختلف العلوم يصل الناس إلى سعادتى الدنيا والآخرة . وكل علم من نبعه استفاض ، ومن نوره اقتبس واستمد ، فهو جدير بالرعاية واستنباط الوسائل التى تعين على سماعه وحفظه وتفهمه وتدبره وتليق بجلاله وقدسه .

ومن علماء الإسلام الذين تكلموا فى علم التربية ، وقرروا بعض مبادئه ، العلامة ابن حجر الهيتمى فى رسالة له سماها « تحرير المقال فى آداب وأحكام وقوانين يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » ، وهى رسالة موجزة بنى فيها قواعد التربية على أحكام الدين فأقر من قواعد التربية ما أقرته أحكام الشريعة ، ورفض ما رفضته . فهو إذ يقرر ضرب من شرد من الصبيان من الكتاب ، أو ضرب من نطق منهم بالفحش من القول ، ينظر إلى أحكام الدين : فما تأذن به يترخص فيه ، ويتحرج عما تمنع منه .

فالرسالة فى بعض مبادىء التربية فى نطاق الشريعة . وسبب تأليفها فيما ذكر أنه سئل فى موضوعها من معلم كتاب ، كان قاضيا ثقلت عليه أمانة القضاء ، فاعتزله وفر بدينه وأمانته إلى الله ، مع ضيق الحال وعدم وجدانه لما يكفى به الأهل والعيال ، فيسر الله له مكتبا بالصفات الآتية فى السؤال .

وفى الإجابة عن هذا السؤال تتلخص رسالة ابن حجر فى تربية الأطفال . وهذا بعض ما فى السؤال : مكتب موقوف على عدة أيتام قرر ناظره فقيها لقراءتهم وتأديبهم ، فهل يلزمه أن يرسل خلف من غاب منهم أولا ؟ فإن قلتم : نعم . فهل يلزمه ذلك من ماله أو يستأجر من يحضر غائبهم من مال الوقف أولا ؟ وهل يرسل بعضهم خلف بعض لإحضار من تغيب وهرب منهم أولا . . . وهل له ضرب من شرد منهم ، أو أخذ شيئا للغير أو ضربه أو سبه ، وعلم الفقيه بذلك منه أو ظنه بقول مقبول ، كما له ضربه على تعليمه وتأديبه ، وهل يفترق الحال فى ذلك بين المميز وغيره ، والمراهق للبلوغ وغيره ممن لم يراهق ... وهل

له إلزام حاذقهم بإقراء أو تعليم بليدهم ، لأن فى ذلك مصلحة للحاذق بترسخه ما حفظ عنده فيأمن تشتته أولا ؟ وقد ختم السؤال بقوله : وقد أشكل الأمر فى هذه الأحوال فتفضلوا ببسط بيانها بذكر منقول المذهب وقواعده فيها ، ليحصل لكم بذلك الثواب .

وقد بنى ابن حجر رسالته على سبعة مقاصد : الأول فى الأحاديث الدالة على شرف أهل القرآن ، الثانى فى بعض الأحاديث الواردة فى فضل معلمى القرآن وتعليمه ؛ الثالث فى الأحاديث الدالة على جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن والرقية به ونحوهما . الرابع فى الأحاديث الدالة على امتناع أخذ الأجرة على تعليم القرآن . الخامس فى بيان اختلاف العلماء فى الأخذ بالأحاديث السابقة . السادس فى تجويز المعلم من نظر المرد الذين يعلمهم لحاجة التعليم . السابع فى الأسئلة والأجوبة التى هى السبب فى هذا التأليف .

ومخطوطة هذه الرسالة فى ٦٤ صفحة ، وعدد سطور كل منها ٢١ سطرا ، وهى بخط معتاد واضح كتبت سنة ١٠٧٦ هـ ، أى بعد وفاة المؤلف بقرن تقريباً ، فقد توفى ابن حجر الهيتمى سنة ٩٧٤ هـ ، وابن حجر علم من أعلام المسلمين يمتاز بالذهن الخصب ، والثقافة الواسعة ، والإنتاج الوفير ومن أشهر كتبه : الزواجر من اقتراف الكبائر ، والإعلام بقواطع الإسلام ، وتحفة المحتاج لشرح المنهاج ، والفتاوى الكبرى الهيتمية ، والفتاوى الحديثية ، وكف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع . رحمه الله وأجزل له من ثوابه ورضوانه .

أبو الوفا المراغى

أسس التربية فى الاسلام

أوصى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ابنه فقال :

« يا بنى . أوصيك بتقوى الله عز وجل فى الغيب والشهادة ، وكلمة الحق فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الصديق والعدو ، والعمل فى النشاط والكسل ، والرضا عن الله فى الشدة والرخاء » .

الروح التقدمية في الإسلام

شاهد بأنه من صنع الله ، لا من انعكاس البيئة

— ٣ —

الروح التقدمية ... فى الأوضاع الدستورية والدولية :

فى عصر الحكم المطلق ، يقرر الإسلام القواعد الدستورية .

وفى عصر الفتوح الإمبراطورية ، يقرر الإسلام خير المبادئ الدولية .

فالحكم فى الإسلام إنما يكون طبقاً لشرع الله ، فهو موضوعى لا ذاتى شخصى .

والحاكم فى الإسلام ، يختاره الشعب بالبيعة ، ويحاسبه الشعب بأحكام الله ، ويعزله الشعب إذا اقتضت ذلك تلك الأحكام وأمنت الفتنة .

خطب أبو بكر — أول حاكم مثالى فى الإسلام بعد رسول الله ﷺ — فقال كلمته المشهورة « إنى قد وليت أمركم ولست بخيركم ، ولكنه نزل القرآن وسن النبى ﷺ السنن ، وعلمنا فعلمنا . فاعلموا أيها الناس أن أكيس الكيس التقى ، وأعجز العجز الفجور . وأن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وأن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق . أيها الناس ، إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإذا أحسنت فأعينونى ، وإن أنا زغت فقومونى ، وقد أورد السيوطى فى تاريخه هذه الخطبة ، وروى فى ختامها عن مالك رضى الله عنه أنه قال : « لا يكون أحد إماما أبدا إلا على هذا الشرط » .

ولقد قال ابن القيم تعليقاً على الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » : « فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب ... ولم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالا بل حذف الفعل ، وجعل طاعتهم فى ضمن طاعة الرسول

إيذانا بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول ، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع ولا طاعة »(١) .

وتأمل قوله تعالى « وأولى الأمر منكم » ، لتعرف كيف أشارت الآية فى وضوح إلى المصدر الذى يستمد منه ولى الأمر ولايته ، فليس هناك دم ملكى ولا تفويض إلهى ، إنما الأمة هى التى تختار ولى أمرها طبقاً لشريعة ربها .

يقول ابن حزم : « الإمام إنما جعل ليقيم للناس الصلاة ، ويأخذ صدقاتهم ، ويقيم حدودهم ، ويمضى أحكامهم ، ويجاهد عدوهم ، وهذه كلها عقود ، ولا يخاطب بها من لم يبلغ أو من لا يعقل »(٢) .

ولذلك يقول صاحب كتاب « النظريات السياسية الإسلامية » : —

« أجمع مجتهدو الفرق الإسلامية كلها ما عدا الشيعة ـ على أن طريق ثبوت الإمامة هو الاختيار والاتفاق لا النص والتعيين . وصاغ علماء الفقه ذلك الصيغة القانونية فقالوا : إن الإمامة عقد . والعقد فى عرفهم له مدلوله الخاص : فهناك ماهية مشتركة ، ثم لكل عقد موضوعه وأركانه ، وأحكامه وشروطه » .

وقد بحث الأستاذ الدكتور السنهورى(٣) طبيعة عقد الإمامة بصفة خاصة كما عرضه علماء الشريعة الإسلامية فقال عنه : إنه عقد حقيقى ـ أى أنه عقد مستوف للشرائط من وجهة النظر القانونية . ووصفه بأنه مبنى على الرضا ، وأن الغاية منه أن يكون هو المصدر الذى يستمد منه الإمام سلطته ، وهو تعاقد بين الأخير وبين الأمة . ثم أشار فى مواضع أخرى إلى أن مفكرى الإسلام قد أدركوا جوهر نظرية روسو ، وهى التى تقول : إن الحاكم أو رئيس الدولة يتولى سلطانه من الأمة نائباً عنها نتيجة لتعاقد حر بينهما ، وأنهم عرفوا نظرية السيادة كما عبر عنها روسو فيما بعد ، وإن كانت نظريتهم احتوت على عنصر زائد خاص بها ... ثم يعقب المؤلف على ما نقله عن السنهورى ، وذلك أيضاً مع فارق ، فإن العقد الذى تكلم عنه روسو كان مجرد افتراض ، لأنه بناه على حالة تخيلها فى عصور ماضية

(١) إعلام الموقعين حـ ١ ص ٣٩ . (٢) المحلى حـ ١ ص ٤٦ . (٣) فى كتابه بالفرنسية [الخلافة] .

سحيقة ، ولا يوجد عليها برهان تاريخى ، بينما نظرية العقد الإسلامية تستند إلى ماض تاريخى ثابت ، هو تجربة الأمة فى خلال العصر الذهبى للإسلام ، وهو عصر الخلفاء الراشدين »[1] .

وللإسلام روائعه فى تقرير قواعد سياسته مع غيره من الدول .

فهو يجعل السلم قاعدة « ادخلوا فى السلم كافة » ، وهو يقتلع جذور العصبية الإقليمية والدموية والمذهبية ويقتلع جذور الطبقية ، ويخفف حدة الصراع الاقتصادى ، وهو بذلك يقتلع جذور الحروب ذاتها .

إنه يفتح البحار أمام الناس كافة على اختلافهم فيما بينهم « والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس » ، ويبيح خيرات الأرض كلها للناس كلهم « يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا » ، ويجعل المعرفة قدرا مشتركا بين العالمين « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها » رواه الترمذى من حديث أبى هريرة ، ورواه غيره بألفاظ أخرى بعضها موقوف على علىّ وابن عمر .

والإسلام يحدد أغراض القتال حتى لا تصبح الحرب حمية هوجاء ، وفورة طاغية ، فالقتال المشروع مقصور على رد العدوان السياسى والعسكرى « إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار » ، وعلى دفع الطغيان الفكرى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » . والإسلام هنا لا يطلب إلا أن يخلى بين دعوته وبين الناس ، فإذا كفلت الضمانات لحرية الدعوة فهو لا يعنيه بعد ذلك أأسلم الناس أم لم يسلموا ، وإنما يعلن الإسلام الجهاد يوم تقف سلطة متحكمة لتحجز الدعوة بالقوة لا لترد عليها بالحجة ، وتستخدم سطوة السلطان التى خلعتها عليها الشعوب لتبذل فى صالحها ، تستخدمها فى حرمان الجماهير من حق التفكير الحر والاعتقاد الحر ، فالإسلام هنا يحارب التحكم فى الحريات ، ولا يسعى ليفرض نوعاً من الاعتقاد ، وهو لا يهدف إلا إلى إزاحة هذه العقبات الغاشمة من الطريق ، فإن أزيلت فللشعب حين يسترد حريته أن يختار ما يريد .

وأخيراً فإن الإسلام يشرع الحرب لوقف المظالم الدولية ، فإن المسلمين وقد اعتنقوا من أصول دينهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يقفون موقف المتفرج على منازعات

---

(١) ضياء الدين الريس : ص ١٤٤ — ١٤٥ .

العالم الدامية وهم الشهداء على الناس « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » .

فإذا ما أعلنت الحرب في حدود هذه الأغراض الشرعية ، كانت السياسة الحربية الإسلامية هي أروع دستور إنساني للمحاربين ، قبل أن يحدد القانون الدولي أصوله في شريعة الحرب « لا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا أو امرأة أو شيخا ، ولا تتبعوا مدبرا ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تعقروا بعيراً إلا للأكل . وستمرون على قوم فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم من أجله » .

ولو كان المسلمون يقاتلون لمجرد الحقد على مخالفيهم في الدين ، ومن أجل إكراههم على تغيير عقائدهم بقوة السلاح ، لما سلم من أيديهم وسيوفهم صغير ولا كبير ، ولا مدبر ولا جريح ، ولوجدوا الفرصة السانحة لشفاء صدورهم ، مما تستعر فيه من نيران العصبية في رهبان الصوامع ، وهم يمثلون الرمز للدين المخالف ، ويمثلون العجز عن الدفاع والمقاومة ! ولكنه الإسلام .

وهل تجد أروع من هذا الإنذار النهائي القرآني ، دلالة على إنسانية السياسة الحربية الإسلامية ؟؟ إنه يحدد مهلة للإنذار كافية ، ويستثنى منه عهوداً سابقة ، ويقرر قواعد سامية يقول الله تعالى: « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين ، وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم » .

إعلان واضح ، وفي مكان جامع ، ولمدة كافية « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » .

والسبب في إلغاء هذه العهود السابقة مذكور مقرر « كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله » ؟ ولكن الأمانة القرآنية تأبى إلا أن تشهد للأوفياء « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين » .

وليس عدم احترام المشركين للعهود قاعدة قررها النظر والاستنتاج ، بل قد شهدت بها الوقائع والأحداث « ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة ، أتخشونهم ؟ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » .

وما دام إلغاء هذه العهود من طرف المسلمين مسببا بنقض المشركين ، فقد استثنت النصوص غير الناكثين الغادرين « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ، إن الله يحب المتقين » .

وهنا يقرر الإسلام قاعدة ذهبية لتأمين اللاجئين السياسيين : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » .

والإسلام يقرر قاعدة تأمين السفراء والمندوبين (الدبلوماسيين) . فإنه حين قدم إلى رسول الله ﷺ رجلان بكتاب مسيلمة الذى يدعى فيه النبوة ، سألهما الرسول عنه فصدقاه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما »[١] .

وقرر الإسلام كذلك قاعدة إحسان معاملة الأسرى « يأيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم » . « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا » .

والإسلام حين ينتصر فإنما ينتصر بانتصاره العدل الإلهى الذى لا يميز بين غالب ومغلوب ، وتنتصر الفكرة العالمية الإنسانية التى لا تفرق بين أشبار الأرض ، وسلالات النسب ، وأوضاع الطبقات ، إلى غير ذلك من ألوان الفوارق « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

أليس عمر بن الخطاب هو الذى آثر فلاحى العراق بأرضهم على جنده العرب المسلمين إذ منع اعتبارها غنيمة لهم ؟ ؟ وحاسب عمرو بن العاص واليه فى مصر على ما اشتبه أنه لبس بظلم من ليسوا على دينه وليسوا من جنسه ؟

---

(١) امتاع الاسماع ص ٥٠٩

فهل تثمر البيئة العربية هذه القواعد الذهبية ، وهى التى غرقت فى بحار الدماء ، وطمرت فى ركام الأشلاء ، أثناء يوم الفجار ، ويوم البسوس ، ويوم داحس والغبراء ؟

* * *

وبعد : فإن هذه الروح التقدمية فى الفكرة الإسلامية من وحى الحكمة الإلهية ، والعدالة الربانية . وإن العالم كله كان يفتقد هذه الأفكار التقدمية ، فعصر الإقطاع الذى تخطاه الشرق بفضل الإسلام ، قد رسف فيه الغرب حتى احتك بالشرق فى الحروب الصليبية ، فعرف فيه الحرية الاقتصادية ، فانقلبت الجيوش إلى بلادها تبشر بما رأته وتطالب بمثله .

والحرية الفكرية التى رعاها الإسلام فى الشرق ، هى التى افتقدها الغرب حتى تعلمها على أيدى المسلمين فى الأندلس ، فكانت الشرارة التى أوقدت النهضة الأوربية ، وأشعلت الحملة ضد الجمود والتزمت . والسماحة الدينية التى قررها الإسلام ، كان يقابلها فى الغرب الحروب الصليبية ضد المسلمين ، والمذابح المذهبية بين المسيحيين .

والحكم الدستورى الذى تقرر فى الإسلام كأصل ثابت مفروغ منه ، قد ظل يمر فى أوربا بأطوار عدة ، والقوم هناك فى كل طور بين إقدام وإحجام ، لا يعطون حق الانتخاب إلا لمن يثور فيقلقهم ، أو يحتاجون إليه .

والسياسة الحربية الإسلامية لم تصل إليها من جهة الواقع الحروب العصرية التى لا تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم . ولم تصل إليها من جهة القانون المواثيق الدولية التى تعطى حق (الفيتو) للأقوى ، والتى تجعل الأمن العالمى لا يهدد إلا إذا هددت الدول الكبرى — دون الصغرى ! !

والمرأة ، وما أدراك ما المرأة ... ما زالت إلى الآن لا تعرف ما تريد ، ولا يعرف الناس ما يريدون لها ، إنها تتعثر بين شهوة البروز والظهور ، وبين غرائز الأنوثة وعواطف الأمومة !!!

والناس يتعثرون بين شهوة (الرجل) فى إرضاء المرأة والاستمتاع بقربها على أوسع نطاق ، وبين حرص (الزوج) على أن تكون المرأة الواحدة لرجل واحد ، وبين ما يقرره العقل ويلائم طبائع الأشياء . وفى وسط هذه الأهواء خلقت مشكلة ... جوفيت فيها

الطبيعة ، حتى لكأن المرأة تفضل أن تتخلع عن أنوثتها وأمومتها ، تثبيتا لقدمها فى ميدان طلب المساواة بالرجال !!!

والإسلام يقرر للمرأة حقوقها الثقافية والاجتماعية والأسرية والمالية ، مع صيانة مركز الزوج فى الأسرة ، وسد الذرائع إلى الفساد فى المجتمع ، وحسم الأمر باشتراط الذكورة لولى الأمر فى الدولة .

وما أصدق ما قاله رسول الله عن كتاب الله ، وهما المرجعان فى دين الله :

« لا تنفد عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد . من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم » رواه الترمذى عن على كرم الله وجهه مرفوعا ؟

محمد فتحى محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

النساء وتراث الانسانية العقلى

قال ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء (٢ : ١٨١) فى ترجمة الأمير محمود الدولة أبى الوفاء المبشر بن فاتك الأمير الطبيب بعد أن وصف خزائن كتبه : « وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضا من أرباب الدولة ، فلما توفى رحمه الله نهضت هى وجواريها إلى خزانة كتبه - وفى قلبها من الكتب أنه كان يشتغل بها عنها - فجعلت تندبه ، وفى أثناء ذلك ترمى الكتب (المخطوطة) فى بركة ماء كبيرة فى وسط الدار هى وجواريها . ثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها . فهذا سبب أن كتب المبشر بن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال » .



المؤمنون والمنافقون

لما ذهب ابن قمئة يقول : إنى قتلت محمدا ، جاء أبو سفيان إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعد ما كان من أمره ما كان فقال : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمدا ؟ قال عمر : لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر . وكان أبو سفيان يرجف بقتله بين المشركين : ـ

* * *

يقول (أبو سفيان) أودى (محمد)	قتيلا ، ويأبى الشيخ إلا تماديا
فلما أراد الحق أقبل سائلا	فأبدى له (الفاروق) ما كان خافيا
وقال له : لايعل صوتك ، إنه	ليسمعه من جاء بالحق هاديا
كذلك ظن القوم إذ طاح (مصعب)	فراحوا سكارى ، يكثرون الدعاويا
وريعت قلوب المؤمنين فأجفلوا	يخافون من بعد (النبي) الدواهيا (١)

---

(١) قال قوم من المؤمنين : إن كان محمد قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم ، وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء . وقال ثابت بن الدحداح رضى الله عنه : يامعشر الأنصار إن كان محمد قدقتل فان الله حى لا يموت ، قاتلوا على دينكم فان الله مظفركم وناصركم . وفى هؤلاء نزل قوله تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) . وقد هال الأمر بعض المؤمنين فظلوا حيارى ، ولكن الله ثبت قلوبهم ، وحفظ عليهم إيمانهم ، فلم يزلوا ولم يمسكوا عن القتال .

وزلزل قوم آخرون ، فأدبروا ... سراعاً ، يجرون الظبي والعواليا [١]
يقولون : ما نبغى وهـذا نبينا ... تردى قتيلا ، ليته كان باقيا
فما أقبلوا حتى انبرت (أم أيمن [٢]) ... وقد جاوز الغيظ الحشا والتراقيا
تدافعهم غضبى ، وتحثو ترابها ... تعفر منهم أوجهاً ونواصيا
تقول : ارجعوا ، ما بالمدينة منزل ... يبارك منكم بعـد ذلك ثاويا
أمن ربكم يا قوم تبغون مهرباً ؟ ... فياويحكم إذ تتقون الأعاديا
ألا فانصروا الدين القويم وجاهدوا ... جهاداً يرينا مصرع الشرك داميا
فمن خاف منكم أن يعود إلى الوغى ... فذا مغزلى ، وليعطنى السيف ماضياً

* * *

لك الخير ، لو تدرين ماقال (معتب) [٣] ... لأرسلت شؤبوباً من الدمع هاميا
جزى الله ما قدمت يا (أم أيمن) ... من الخير ، تقضين الحقوق الغواليا
تطوفين بالجرحى ، تواسين شاكياً ... يمج دماً منهم ، وتسقين صاديا [٤]
سعى بك من إيمانك الحق دائب ... يفوت المدى الأقصى إذا جد ساعيا

---

(١) هؤلاء هم المنافقون الذين رجع بهم عبد الله بن أبي ابن سلول إلى المدينة ، وكانوا ثلثمائة رجل ، وكان جيش المسلمين كله فى هذه الغزوة ألف رجل ، وقد بقى من المنافقين قوم آخرون فى أحـد لم يتبعوا ابن أبى ـ قالت طائفة منهم : لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ها هنا فنزلت : (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ـ الآية) وقال بعضهم . لو كان نبيا ما قتل فارجعوا إلى دينكم الاول ، وفى ذلك أنزل الله : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ـ الآية) وقال جماعة : ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبى ليأخذ لنا أماناً من أبى سفيان ، يا قوم إن محمدا قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .

(٢) لما رجع من رجع إلى المدينة لقيتهم أم أيمن حاضنة النبى صلى الله عليه وسلم وجعلت تحثو التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به ، وهلم سيفك ــ أى أعطنيه .

(٣) قيل إن معتبا هذا هو الذى قال : لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ها هنا .

(٤) كانت أم أيمن من جملة نساء المؤمنين اللاتى كن يسقين الجرحى فى هذه الغزوة وعدتهن أربع عشرة امرأة منهن عائشة وفاطمة بنت الرسول الكريم ، وأم سليم ، وأم عمارة المازنية . ولا يدفع هذا أنها كانت بالمدينة عند رجوع الذين انقلبوا اليها من مواطن القتال ،

عجبت لمن يرميك : ماذا بداله ؟ أطاشت يداه ، أم رمى عنك غازيا ؟ [١]
ألم ير (هنداً) يرحم السيف ضعفها ؟ فيصدف عنها وافر البر وافيا ؟ [٢]
تورع عنها مؤمن ليس دينه كدين (حباب) إنه كان غاويا
جزاه بها (سعد) إساءة ظالم فأمسى (رسول الله) جذلان راضيا
وإذ أنزل الله النعاس فأمسكت جوانح لولا الله ظلت نوازيا [٣]
كذلك إيمان النفوس إذا رست قواعده ، أمست ثقالا رواسيا
ينام الفتى ، والموت يلمس جنبه ويرجع عنه واهن الظفر واهيا
بجانبه حتى إذا جاء يومه فأبعد شيء ، أن يرى منه ناجيا
فما اسطعت فاجعل من يقينك جنة كفى بيقين المرء للمرء واقيا

* * *

هوت من عيون الهاجعين سناتها ولاحت عيون الحرب حمراً روانيا
وهب (أمير الغيل [٤]) يدفع دونه ويولع بالفتك الليوث الضواريا
يزلزل أبطال الكريهة مقدماً ويصرعهم فى حومة البأس راميا
توالت جراحات (الكتوم) [٥] فأسأرت [٦] بهم أثراً من ساطع الدم باديا

---

(١) رماها حباب بن العرقة وهى تسق الجرحى بسهم فأصابها فوقعت وانكشفت ، فأغرق فى الضحك ، وشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فدفع إلى سعد بن أبى وقاص سهما لا نصل له ، وقال : ارم به ، فوقع السهم فى نحر حباب فوقع مستلقيا حتى بدت عورته فقال النبى صلى الله عليه وسلم : استقاد لها سعد ، اللهم استجب لسعد إذا دعاك . فكان مجاب الدعوة .

(٢) هند زوج أبى سفيان ، إشارة إلى ما كان من أمر أبى دجانة معها حين أراد ضربها بالسيف وهو يظنها رجلا فولولت فعرفها وعف عنها .

(٣) أنزل الله النعاس على المؤمنين تثبيتا لهم (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ـ الآية) فهو خاص بالمؤمنين دون المنافقين ، عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف ، وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقنه فى صدره . والنوازى النوازع أو التى تثب .

(٤) الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .

(٥) قوس النبى صلى الله عليه وسلم .

(٦) أسأرت بمعنى أبقت .

تضن بنجواها ، وتكتم صوتها ليخفى من الأسرار ما ليس خافيا
تظل شظاياها تطاير حوله والرمى ألهوب [١] يواليه حاميا
هو القائد الميمون ، ما خاض غمرة فغادرها حتى يرى الحق عاليا
أبا (طلحة) [٢] انظر كيف يرمى وجاره قضاء على القوم المناكيد جاريا
ويا (سعد) [٣] لا ترفق بقوسك وارمها سهاما أصابت من يد الله باريا
ودونك فاضرب يا (سهيل [٤]) نحورهم ودعنى أصف للناس تلك المراثيا
وعينك فاحمل يا (قتادة) عائذاً بمن لا ترى من دونه لك شافياً [٥]
ألا ليتنى أدركت (أم عمارة) [٦] فألثم منها موطىء النعل جاثياً

(١) الألهوب الاجتهاد فيما هو الشأن ، وهو من الفرس العدو حتى يثير الغبار ، أو تخرج من حافره النار ، وقيل إنه جمع اللهب وهو الغبار الساطع .

(٢) تقدم ذكره رضى الله عنه ، وهو من الذين ثبتوا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم يقاتلون عنه ، ويقونه بأنفسهم .

(٣) سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : أجلسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامه فجعلت أرمى وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته وأجب دعوته ، حتى إذا فرغت من كنانتى نثر ما فى كنانته ـ قيل إن سعداً رمى فى ذلك اليوم ألف سهم ، ورسول الله يقول عند كل سهم : ارم فداك أبى وأمى ، وكان الرسول الكريم يفتخر به ويقول : سعد خالى ، فليرنى امرؤ خاله ـ كان من بنى زهرة قوم أمه آمنة بنت وهب .

(٤) سهيل بن حنيف رضى الله عنه ، بايع النبى على الموت فى أحد وثبت معه حتى انكشف الناس عنه ، وهو من المشهورين بالرماية .

(٥) قتادة بن النعمان الأوسى رضى الله عنه قال : كنت أتقى السهام بوجهى دون وجه صلى الله عليه وسلم ، فكان آخرها سهم ندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت بها إليه ، فلما رآها فى كفى دمعت عيناه وقال . اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك ، وردها إلى موضعها وقال : اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدها ، فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

(٦) أم عمارة المازنية رضى الله عنها واسمها (نسيبة) زوج زيد بن عاصم رضى الله عنه قالت : خرجت يوم أحد لأنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والريح للمسلمين ، فلما انهزموا انحزت إليه فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى جرحت . جرحت رضى الله عنها اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح ، أو ضربة بسيف ، ورؤى على عاتقها جرح أجوف له غور ، فقيل لها من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول : دلونى على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، فضربنى هذه الضربة ، وضربته ضربتين ، ولكن عدو الله كان عليه درعان ، قال الرسول الكريم فيها : ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد إلا رأيتها تقاتل دونى .

وأشهد من حول (النبي) بلاءها | وأنشدها فى الله هذى القوافيا
وأجعل من وجهى وقاء لوجهها | إذا ما رماها مشرك من أماميا
ويا ليت أنى قد حملت جراحها | وكنت لها فى المأزق الضنك فاديا
تفيض على الجرحى حنانا، وتصطلى | من الحرب ما لا يصطلى الليث عاديا

* * *

كذلك كان المسلمون، وهذه | سجايا اللواتى كنّ فيهم دراريا
إذا الحادثات السوء عب عبابها | كشفن البلايا، أو كشفن الدياجيا
مناقب، للدنيا العريضة هزة | إذا ذكرت، فليشد من كان شاديا
لها من معانى الخلد كل بديعة | فياليت قومى يفهمون المعانيا
ويا أسفى إن لم تجد من شيوخهم | حفيظاً يلقاها، ولم تلف واعيا
إذا ما رأيت الهدم للقوم ديدنا | فوا رحمتا فيهم لمن كان بانيا

عبد الله بن جحش رضى الله عنه

هو من أعظم أبطال غزوة أحد، استشهد فيها على يد أبى الحكم بن الأخنس بن شريق الذى قتل كافراً بعد انتهائها، وكان عبد الله من جملة الشهداء الذين مثل بهم المشركون ونساؤهم، ومن حديثه أنه دعا على نفسه قبل الغزوة فقال: اللهم ارزقنى غداً رجلا شديداً بأسه فيقتلنى، ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى، فإذا لقيتك قلت: يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك؟ فأقول فيك وفى رسولك، فتقول: صدقت، وهو ابن أميمة بنت عبد المطلب:

أبشر فذلك ما سألت قضاه | رب هداك، فكنت عند هداه
آثرته، ورضيت بين عباده | من صالح الأعمال ما يرضاه
قتلوك فيه تردهم عن دينه | صرعى، وتمنع أن يباح حماه
وبغوا عليك، فعذبوا الجسد الذى | ما للكرامة والنعيم سواه
هى دعوة لك ما بسطت بها يداً | حتى تقبل واستجاب الله
ولقد رأيت حمى الجهاد، فصف لنا | ذاك الحمى القدسى: كيف تراه؟
ماذا جزاك الله من رضوانه | وحباك فى الفردوس من نعماه؟

ماذا أعد لكل بر متق غوث النفوس فما أطاع هواه ؟
أرأيت (عبد الله) كيف بلغته شرفا مدى الجوزاء دون مداه ؟
دمك المطهر لو أتيح لهالك أعيا الأساة شفاؤه لشفاه
صوت يهيب بكل شعب غافل طوبى لمن رزق الهدى فوعاه
معنى التفوق فى الحياة ، فمن أبى إلا الصدود ، فما درى معناه
الأمر رهن الجد ، ليس بنافع قول الضعيف : لعله وعساه
تشقى النفوس ، ولا كشقوة خامر لا دينه استبق ، ولا دنياه
والمرء يرغب فى الحياة وطولها حتى يكون الموت جل مناه

* * *

أوتيت نصراً يا (محمد) ساطعاً يبقى على ظلم العصور مداه
لك من دم الشهداء بأس لم يقم فى الأرض دينك عالياً لولاه
ما تنقضى لإمام حق قوة إلا تزيد على الزمان قواه

دعوة الاسلام

ألقى الأستاذ ادوار مونتيه لما كان مديراً لجامعة جنيف محاضرة عن الإسلام قال فيها :

« الإسلام حضارة قائمة بنفسها ، رغم انحطاط المسلمين فى فترة من الزمن . إلا أنهم الآن ينتبهون مرة أخرى ، وينشرون المدنية والرقى فى أنحاء العالم . ومسلمو إفريقية أكبر دليل على ما أقول . وقد قابل أحد المنصفين بين تأثير الدين الإسلامى فى إفريقية وبين تأثير النصرانية فقال ـ وهو صادق ـ : إن تأثير الإسلام فى السكان مفيد أكثر من تأثير المسيحية . فالمسيحية ضعفها ظاهر فى إفريقية بينما قوة الإسلام وعظم تأثيره فى الحالة الاجتماعية والدينية والخلقية والاقتصادية ظاهر جلى . وآخر ملاحظاتى أن للإسلام قوة اندماج وملاءمة للأوساط الافريقية والأوساط المدنية العالية ، وليست هذه المزية لأى دين ونظام اجتماعى غيره » .

لغويات

الأنانيــــــــة

فشا بين الناس استعمال الأنانية فى الأثرة ، وحب المرء نفسه ، وتهالكه فى تقديم هواه ومنفعته على منفعة غيره ، وقد يراد بالأنانية ما ينبعث عن النفس الأمارة بالسوء من النزغات ، ونزاعها إلى ما يلائمها ، وإن خالف داعى الهدى والعقل والدين ، وترى فى مجلة الأزهر مقالا عنوانه : « شاعر منعته أنانيته من الإسلام » .

والأنانية كلمة مولدة جاءت من النسب إلى (أنا) ضمير المتكلم ، وهذا كما قيل (الهوية) ، وهى كلمة مولدة أيضا جاءت من النسب إلى (هو) ضمير الغائب ، والهوية ما يميز شخص الفرد عما يشاركه فى نوعه . فهوية زيد خصائصه وأوصافه من اللون والمقدار كالطول والعرض وغير ذلك مما يعبرون عنه فى علم الحكمة بالمشخصات الخارجية ، والهوية تقابل الماهية ، وهى الخصائص التى بها يشارك الفرد قرنه فى نوعه ، ورسيله فى حقيقته ، فماهية زيد الإنسانية أى الأمور التى بها يكون إنسانا ، وهذا مبسوط فى فن المنطق .

وإذ علمت أن (الأنانية) صيغة نسب ، فلك أن تسأل : هل جاء النسب فيها على وجهه ، وعلى السنن المألوف فى نظائرها ؟ وللجواب عن هذا يساق الحديث ، ويقتضى الجواب تقديم نبذ من الكلام على المنسوب إليه : (أنا) .

إن (أنا) ينطق بها أكثر العرب فى حالة الوصل دون ألف ، فأما فى الوقف فإنهم يختمونها بالألف ، وقد يقفون عليها بهاء السكت فيقولون : أنه ، ومنه قول حاتم الطائى فى مثل له : « هكذا فزدى أنه » . وبنو تميم يثبتون الألف فيها وصلا ووقفا ، وقرأ نافع وأبو جعفر قوله تعالى فى سورة الكهف : « فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا » ، وكذا قوله تعالى فى هذه السورة : « إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا » بالمد وإثبات الألف فى الوصل ، وهذا يوافق لغة بنى تميم .

وقد كان من أثر الاختلاف فى نطق (أنا) أن اختلف النحويون فى أمرها وفى طبيعتها . فيذهب البصريون إلى أنها ثنائية مؤلفة من الهمزة والنون فحسب ، والألف إنما

تجتلب لبيان الحركة فى الوقف، كهاء السكت سواء، وليست من سنخ الكلمة، فأما ثبوتها وصلا فى لغة تميم فقد نشأ هذا من إشباع الفتحة، والقصد إلى الإبانة عنها، ويذهب الكوفيون إلى أن الكلمة ثلاثية، وسقوط الألف فى الوصل عند أكثر العرب إنما هو للاستخفاف، كما تحذف ياء المنقوص لهذا الغرض.

ويختلف النظر فى النسب إلى (أنا) باختلاف المذهبين السالفين.

فإذا نسب إليها على أنها ثنائية كان ذلك كالنسب إلى نحو هل وكم، والمعروف أن يقال فى النسب إلى كم: الكمى والكمية. ويجيز بعضهم أن يقال الكمية بتخفيف الميم، وبالقياس على هذا يقال فى النسب إلى (أنا) الأنية أو الأنية، بتخفيف النون وتشديدها .

فأما على القول بأن الكلمة ثلاثية فعلى لغة أكثر العرب - وهى حذفها وصلا - تكون مثل يد وغد مما حذفت لامه اعتباطاً لغير علة، وترى الثالث المحذوف لا يرد فى التثنية ولا جمعى التصحيح .

ومثل هذا فى قياس النحو يجوز فيه الرد وعدمه، فتقول على هذا: أنى وأنوى، كما يقال فى النسب إلى غد: غدى وغدوى .

وعلى ذلك فالوجه أن يقال: الأنوية أو الأنِية أو الأَنية، فهذه الصيغ الثلاث هى الجارية على المنهاج النحوى، فأما الأنانية فهى مجافية لهذا المنهاج، ولم ترد هذه الصيغة فيما شذ من صيغ النسب فتقبل .

وهذا الخطأ قديم . وأذكر أن ابن كمال باشا نبه عليه فى رسالة له فى أغلاط الناس فى اللسان، وليست تحت يدى الآن .

وقد يبدو لبعض الباحثين أن هذه النسبة صحيحة، على منهاج الكلمات التى ورد النسب فيها بالألف والنون، ومن ذلك رقبانى لعظيم الرقبة، ولحيانى لعظيم اللحية، وجمانى لطويل الجمة - وهى مجتمع شعر الرأس - وروحانى فى النسب إلى الروح، وفى كتاب سيبويه ٢ / ٧٠: « وزعم أبو الخطاب أنه سمع من العرب من يقول فى الإضافة إلى الملائكة والجن جميعاً: روحانى، وللجميع: رأيت روحانيين. وزعم أبو الخطاب أن العرب تقوله لكل شىء فيه الروح من الناس والدواب والجن » ويرد على هذا الخاطر أن هذه الزيادة

سبيلها السماع ، وإنما يقبل ما ورد منها عن العرب . وقد أسلفت أن (الانانية) لم تؤثر عن العرب .

* * *

أنجب . أغدق . أثمر . ابتكر

يستعمل الناس هذه الأفعال على غير وجهها فى العربية . وسأتناولها على ترتيب ذكرها .

١ — فالفعل الأول : « أنجب » يجىء فى استعمالهم متعديا ، يقولون : أنجبت مصر رجالا أوفياء . وأنجب فى العربية فعل لازم ، يقال : أنجب الرجل أى أتى بولد نجيب ، ويتعدى إلى الولد بالباء ، يقال : أنجب بولد صالح ، ويقول الأعشى فى مدح سلامة ذى فائش :

أنجب أيام والداه به إذ نجلاه ، فنعم ما نجلا

وفى البيت تقديم وتأخير أى أنجب والداه به أيام إذ نجلاه . ونجلاه أى ولداه ، ومنه النجل للولد ، وهو من التسمية بالمصدر .

والانحراف فى استعمال هذا الفعل قديم . وترى ابن هانىء الأندلسى يقول من قصيدة فى مدح المعز العبيدى عرض فيها لجوهر الصقلى القائد فمدحه بقوله :

لقد أنجبت منه الكتائب مدرها سريع الخطا للصالحات ميسرا

فتراه عدى الفعل فنصب به « مدرها » ، وهو المدافع عن القوم . وقد تنبه على هذا شارح ديوان ابن هانىء الدكتور زاهد على ، ثم قال : « وعندى أن قوله هذا محرف عن : « قد انتجبت منه الكتائب مدرها » أى استخلصته لأنفسها ، واصطفته اختيارا له على غيره » والذى يحمله على هذا تنزيه ابن هانئ عن الخطأ فى اللغة ، وابن هانئ جاء فى عصر متأخر قد يتسرب إلى الشعراء والأدباء فيه الأخطاء الشائعة فيه ، ولو كان شارح الديوان اعتمد فى القول بالتحريف على سند آخر كوقوفه على أصل صحيح للديوان لكان وجهه مقبولا ، ورأيه مستساغا . على أن خيرا من هذا فى التنزيه للشاعر أن يحمل كلامه على التضمين ، أى أعطت الكتائب منه مدرها ، أو نحو ذلك . والتضمين جائز . إذا روعى فيه غرض ينتحيه البليغ .

٢ — والفعل « أغدق » يستعمل أيضا متعديا . يقولون : أغدق الله الخير على مصر ، وأغدق الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان . وأغدق فى العربية فعل لازم . وفى القاموس :

« أغدق المطر واغدودق : كثر قطره » ، وفى اللسان : « غدقت الأرض غدقا ، وأغدقت : أخصبت » وفى الأساس . « ومكان غدق ومغدق : كثير الماء مخصب » .

٣ — والفعل « أثمر » يستعمل أيضا متعديا وهو لازم فى العربية . يقولون : حسن الخلق يثمر المحبة بين الناس . وإنما يقال فى العربية : أثمر الشجر أى ظهر ثمره . وقد جاء فى الكتاب العزيز بهذا المعنى قوله تعالى فى الآية ٩٩ من سورة الأنعام : « انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه » وقوله تعالى فى الآية ١٤١ من هذه السورة « كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده » .

والانحراف فى هذا الفعل أيضا قديم . ففى شعر عبد الله بن المعتز :

ومليح الدل ذى غنج لابس للحسن جلبابا
أثمرت أغصان راحته لجنان الحسن عنّابا

قال الشهاب الخفاجى فى الريحانة ٤٣٠ عقب إنشاده البيتين : « قلت : عدى (أثمرت) وقد أنكره صاحب الدمية » . وأورد الشهاب فى شفاء الغليل لابن المعتز أيضا :

وغرس من الأحباب غيبت فى الثرى فأسقته أجفانى بسيح وقاطر
وأثمرهمّا لا يبيد وحسرة لقلبى يجنيها بأيدى الخواطر

ومن أئمة اللغة والنحو محمد بن أحمد بن أشرس من تلاميذ أبى بكر الخوارزمى . وقد أورد له ياقوت عن الدمية فى معجم الأدباء (طبعة الحلبى) ١٧ / ٢١٠ البيتين الآتيين :

كأنما الأغصان لما علا فروعها قطر الندى نثرا
ولاحت الشمس عليها ضحا زبرجد قد أثمر الدرا

فنقده الحاكم أبو سعد بن دوست فقال : « قوله : أثمر الدرا لا يستقيم فى النحو ؛ لأنه لا يقال : أثمرت النخلة الثمر ، وإنما يقال : أثمرت ثمرا ، بغير الألف واللام » . وكأن الوجه فى تفرقة الحاكم بين الاستعمالين أنه إذا قيل : أثمرت النخلة الثمر كان الثمر فى معناه الاسمى أى الثمرة لا محالة ، فكان الفعل عليه متعديا للمفعول به . فأما إذا قيل : أثمرت النخلة ثمراً جاز أن يراد بثمر إثمار فيكون « ثمراً » مفعولا مطلقاً لا مفعولا به ، وهذا كالعطاء يكون فى معناه الاسمى فيقع مفعولا به ، كما فى قولك اعرف عطاء الله واشكره ، ويكون مفعولا مطلقاً إذا أريد به الحدث ؛ كقولك . أعطيتك عطاء .

ويذكر الشهاب فى شفاء الغليل أن الشيخ عبد القاهر الجرجانى والسكاكى وقعا فى تعدية (أثمر) وأن شراح المفتاح تفهوا على هذا الخطأ ، وذكر أن بعض الشراح أبدى فيه فكرة التضمين للفعل المتعدى كأفاد مثلا ، وأن بعضهم له رأى آخر ، وهو أن يكون الفعل (أثمر) متعديا بنفسه ، غير أنه فيما ورد لنا عن العرب جاء فى مواقع يعلم فيها المفعول فحذف ، كما فى الآيتين السابقتين ، وكما إذا قلت : أثمرت النخلة ، فالعلم عند السامع يحيط بأن المفعول بلح . فأما إذا لم يعلم المفعول فلا شىء فى ذكره على الأصل .

وهذا تخريج حسن . وأحب هنا لذكر محمد بن أحمد بن أشرس أن أذكر أنه وقع فى شفاء الغليل : محمد بن شرف ، وفى تاج العروس فى (ثمر) نقلا عن الشفاء محمد بن أشرف . والصواب ما أوردته عن معجم الأدباء .

٤ — والفعل (ابتكر) يأتى متعديا فى استعمال الناس فى معنى ابتدأ الشىء واخترعه وابتدعه . يقولون : ابتكر الأستاذ المربى طريقة فى التربية تسرع الوصول إلى الغرض من التربية . وقد أنكر هذا الاستعمال بعض الباحثين اعتماداً على أن الوارد فى المعاجم غير هذا . فيقال : ابتكر الخطبة أى سمع أولها ، وابتكر أى بكر ، وقد وجدت فى المعاجم : ابتكر الشىء أى أخذ أوله ، وابتكر الجارية أى افتضها ، وابتكر الفاكهة أى أكل باكورتها ويمكن بالاتساع استعمال الابتكار فى الابتداع للشىء من الابتكار للشىء بمعنى أخذ أوله ، أو ابتكار الجارية بمعنى افتضاضها ، ففى هذين المعنيين السبق إلى الشىء والبدء به ، وهذا يناسب المعنى الشائع أى مناسبة .

ويقول الحريرى فى خطبة مقاماته : « إلى ما وشحتها به من الآيات ، ومحاسن الكنايات ، ورصعته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ، والأحاجى النحوية ، والفتاوى اللغوية ، والرسائل المبتكرة ، والخطب المحبرة » ويقول الشريشى فى الشرح : « المبتكرة : التى لم يسبق إليها » . فهذا يؤنس بالمعنى الشائع ؟

محمد على النجار

الحسن البصرى

كنت لم أستوعب ما أردت من الحديث عن هذا الإمام فيما كتبت بالعدد السابق من مجلة الأزهر الغراء، ولكننى ألممت به إلمامة يسيرة تصور شيئا من أدبه، والعوامل التى حفت به، فجعلته — كما تحدث الناس عنه — الفقيه الزاهد الحكيم الخ.

وقد رأيت أن أجدد عهدك بصفات الحسن من عبارات الناس حوله، ثم أذكر لك ما يتسع المجال له من أحكامى عليه.

فمما وصفه به أبو حيان التوحيدى — نقلا عن قرة الجرانى الحكيم — «كان الحسن ابن أبى الحسن من درارى النجوم علما وتقوى، وزهدا وورعا، وعفة ورقة وتألها [١]، وفقها ومعرفة، وفصاحة ونصاحة. مواعظه تصل إلى القلوب، وألفاظه تلتبس بالعقول، وما أعرف له ثانيا، ولا قريبا مدانيا، كان منظره وفق مخبره، وعلانيته فى وزن سريرته، عاش تسعين سنة لم يقرف [٢] بمقالة شنعاء، ولم يزن بريبة ولا فحشاء [٣]. سليم الدين نقى الأديم، يجمع مجلسه ضروبا من الناس وأصناف اللباس، لما يوسعهم من بيانه، ويفيض عليهم بافتنانه: هذا يأخذ عنه الحديث، وهذا يلقن منه التأويل [٤]، وهذا يسمع منه الحلال والحرام، وهذا يتبعه فى كلامه، وهذا يجرد له المقالة، وهذا يحكى له الفتيا، وهذا يتعلم الحكم والقضاء، وهذا يسمع الموعظة، وهو فى جميع هذا كالبحر العجاج تدفقا، وكالسراج الوهاج تألقا، ولا تنس مواقفه ومشاهده فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند الأمراء وأشباه الأمراء، بالكلام الفصل، واللفظ الجزل، والصدر الرحب... يجلس تحت كرسيه قتادة صاحب التفسير، وعمرو وواصل صاحبا الكلام، وابن أبى إسحاق صاحب النحو، وفرقد السبخى صاحب الرقائق، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم، فمن ذا مثله ومن ذا يجرى مجراه».

وروى أبو نعيم فى الحلية بسنده إلى خالد بن صفوان قال: «لما لقيت مسلمة

---

[١] التأله: التنسك والتعبد. [٢] قرف فلانا: عابه أو اتهمه. (٣) زنه بالشىء وأزنه: اتهمه.
[٤] فى القاموس: لقن كفرح فهو ألقن ولقن حفظ بالعجلة.

ابن عبد الملك بالحيرة قال : يا خالد أخبرنى عن حسن أهل البصرة . قلت : أصلح الله الأمير ، أخبرك عنه بعلم، أنا جاره إلى جنبه ، وجليسه فى مجلسه ، وأعلم من قبلى به : أشبه الناس سريرة بعلانية ، وأشبه قولا بفعل : إن قعد على أمر قام به ، وإن قام على أمر قعد عليه ، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به ، وإن نهى عن شىء كان أترك الناس له . رأيته مستغنيا عن الناس ، ورأيت الناس محتاجين إليه .

قال : حسبك يا خالد ، كيف ضل قوم هذا فيهم ؟

وأما أنا فسأفى لك بما يتسع له المجال من صفاته كما تدل عليه آثاره وأخباره :

١ ــ الزهد فى الدنيا :

وإذا كنت قد أطلعتك على أن ابن سيرين كان أورع أهل زمانه ، فإننى أستطيع أن أقول لك : إن الحسن كان أزهد أهل زمانه من علماء التابعين . والزهد عند القوم منزلة فوق الورع . فإن الورع أن تكف عن محارم الله ، وأن تحتاط وتتحرى فى طلب الدنيا ، حتى تتق الشبهات خشية الوقوع فى المحرمات ، كما حدثتك عن ابن سيرين وأوردت صورا من ورعه ، وهو لا ينافى التوسع فى طلب الحلال ، وأما الزهد فإنه ترك الدنيا ، وعدم الطلب إلا لما أوجبه الشرع الكريم من حفظ الحياة بمقدار الضرورة .

وقد كان هذا العالم الربانى مقبلا على الله سبحانه إقبالا لا يدع مجالا للدنيا وسلطانها ، فإنها صارفة عن الحق ، وهى كما وصفها هو نفسه : « دار صارعة ، خادعة ، خاتلة . قد تزينت بخدعها ، وغرت بغرورها ، وقتلت أهلها بأملها ، وتشوفت لخطابها ، فأصبحت كالعروس المجلوة : العيون إليها ناظرة . والنفوس لها عاشقة » .

ووصفها فى رسالة طويلة كتب بها إلى عمر بن عبد العزيز صفات كثيرة بعيدة العمق تدل على توغل فى دراستها ، وتعمق فى بحث غوائلها ، أتى فيه من المعانى بما لا يعرف لغيره فى هذا الباب ، مما جعله حامل لواء الزهد ؛ وأكبر داعية إليه فى عهده ، ومما قال : « فهما عاشقان : فعاشق قد ظفر بها واغتر وطغى ، ونسى بها المبدأ والمعاد ، فشغل بها لبه ، وذهل فيها عقله حتى زلت عنها قدمه ... وآخر مات قبل أن يظفر بها فذهب بكربه لم يدرك منها ما طلب ، ولم يرح نفسه من العناء والنصب ... والله لو كانت الدنيا من أراد منها شيئاً وجده إلى جنبه من غير طلب ولا نصب ، غير أنه إذا أخذ منها شيئا لزمته حقوق الله فيه ،

لكان ينبغي للعاقل ألا يأخذ منها إلا قدر قوته وما يكفي حذر السؤال وكراهية لشدة الحساب ، وإنما الدنيا إذا فكرت فيها ثلاثة أيام : يوم مضى لا ترجوه ، ويوم أنت فيه ينبغي أن تغتنمه ، ويوم يأتي لا تدرى أنت من أهله أم لا . . . فأما أمس فحكيم مؤدب ، وأما اليوم فصديق مودع ، غير أن أمس وإن كان قد فجعك بنفسه فقد أبقى في يدك حكمته» . وهو خطاب طويل جدا ضمنه من نفائس الحكمة ، وبدائع التصوير ، ولطائف الفلسفة، ما دل على أنه ممتاز في هاته النواحي وأنه نسيج وحده فيها .

كان الحسن دائم الخوف متواصل الأحزان . كثير البكاء والنحيب . كأنه ثكلى فقدت ذويها القائمين على أمرها كله. من رآه قال : قد صب على هذا حزن الخلائق قال عبد الواحد ابن زيد : «كان والله إذا أقبل فكأنه رجع من دفن حميمه ، وإذا أدبر كأن النار فوق رأسه» وكان يصف للناس مصيبته عند نفسه فيقول : «ما الذى يؤمننى أن يكون الله عز وجل قد نظر إلى نظرة مقتنى بها» ، ولعل زهد الحسن من الوضوح والشهرة بحيث يغنى عن ترداد القول .

على أن الذى ينبغي أن ينبه إليه أن هذا الرجل في زهده ونسكه وبكائه وخوفه كان ظريفاً لطيفاً غير فظ ولا غليظ ولا قاس منفر ، وكذلك الربانيون من هذه الأمة يظهرون سماحة الإسلام بما يسع النفوس ، ويترخصون بما لا يقنط الناس من رحمة الله ، فإذا خلا أحدهم إلى نفسه صهرها في بوتقة الرياضة ، وزج بها في محيط الضراعة ، لا كأهل الرياء الذين ينتسبون إلى طريق الله اليوم ويظهرون للناس شيئا من الدين ، ويخفون عنهم ما لو علموه لتقربوا إلى الله ببغضهم .

كان الحسن يخالط الناس ويخاطبهم على قدر عقولهم ، وله مع الفرزدق الشاعر محادثات لطيفة ، جعلت الفرزدق يكثر التردد على حلقته ، ويسير خلفه في كثير من المناسبات ، حتى كانت توبته على يده فيما سجله شعره الذى يقول فيه :

ألم ترنى عاهدت ربى وإننى لبين رتاج قائما ومقام
على حلفة لا أشتم الدهر مسلما ولا خارجا من فيّ زور كلام

وكان الحسن يخالط أرباب النحل والأديان على اختلافهم ، ويؤدى لهم حقوقهم كالمسلمين وفي أخباره أنه عزى نصرانياً في أخيه بعبارات كلها دقة في رقة ، وأدب إسلامي شريف .

وحضر الحسن وليمة فنهى على من رفع يده عند تقديم الحلوى وقال له : « كل يا لكع ، فلنعمة الله عليك فى الماء البارد أعظم من نعمته فى الحلواء » وقال لتلميذه الناسك فرقد فى مثل هذه المناسبة : « لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن يعيبه مسلم ! » .

وكان الحسن يسمع الغناء ولا ينهى عنه ، بل يدعو إليه ويقول : إنه يعين على البر وصلة الرحم . والحق أن فى السنة وعمل السلف ومقتضى النظر ما يؤيد هذا المذهب الكريم .

فالحسن إذا عالم ربانى اجتماعى ، جمع إلى الزهد الخارق والنسك العجيب الذى كان يبكيه ويبكى كل عصى معه ، ترخصا فى الطيبات يستعين بها على الحق ، وتسامحا فى الناس يقتادهم به إلى البر ، عند الحاجة وبالقدر المطلوب .

وكان فى صديقه العالم الربانى الإمام ابن سيرين ذلك الترخص ، ولكنه رضى الله عنه كان أقرب إلى الترخص وأكثر اتجاها إلى الدعابة . ولهذا يقول الناس : إنه وقعت بينهما جفوة آخر حياتهما حتى مات الحسن ولم يصل عليه ابن سيرين ، وقد صلى عليه الناس جميعا حتى تعطلت فريضة العصر يومها . وما أظن أن ابن سيرين يخاصم هذا الإمام ميتا إن صح أنه هجره حيا . ولكن الناس يقبلون ما يقال أحيانا دون بحث ولا تحقيق .

٢ — البيان الخارق :

وإنك لتقرأ لكثير ممن عرفوا بالبلاغة واللسن فتجده خاليا من الأثر الواضح فى نفس القارىء ، والنفوذ إلى باطنه ، وتحقيق الغاية من إيقاظ وعيه . فأما هذا الحسن فقد جمع إلى صفاء الديباجة ، وعراقة الأسلوب ، وخصوبة العبارة ، والتماس نواحى التجميل والتحسين ، كأنها عفو الخاطر ، جمع إلى ذلك كله شدة التأثير ، وقوة النفوذ ، ولا أدل على ذلك من مواقفه أمام الحكام . وإضعافه لعظمتهم أمام سحر بيانه . وتخديره لأعصابهم ، وإرخائه لقوائهم تحت سلطان بلاغته .

روى أبو نعيم فى الحلية وغيره قالوا : لما ولى عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن وإلى الشعبى فأمر لهما ببيت وكانا فيه شهرا ثم إن الخصى غدا عليهما ذات يوم فقال : إن الأمير داخل عليكما . فجاء عمر يتوكأ على عصا له ، فسلم ثم جلس معظما لهما فقال : إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ كتبا أعرف أن فى إنفاذها الهلكة ، فإن أطعته عصيت الله ، وإن عصيته أطعت الله ، فهل تريان لى فى متابعته فرجا ؟ فتكلم الشعبى فانحط

فى حبل ابن هبيرة . فقال ابن هبيرة : ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟ قال : أقول « يا عمر ابن هبيرة ، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ لا يعصى الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك ، إلى ضيق قبرك . يا عمر بن هبيرة ، إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، ولا يعصمك يزيد بن عبدالملك من الله عز وجل . يا عمر بن هبيرة ، لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل فى طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت ، فيغلق بها باب المغفرة دونك . يا عمر بن هبيرة : لقد أدركت ناسا من صدر هذه الامة كانوا والله عن الدنيا وهى مقبلة أشد إدبارا من إقبالكم عليها وهى مدبرة . يا عمر بن هبيرة إنى أخوفك مقاما خوفكه الله تعالى فقال (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) . يا عمر ابن هبيرة : إن تك مع الله تعالى فى طاعته . كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك . وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصى الله وكلك الله إليه » قال : فبكى عمر وقام بعبرته ... فى حديث قد يطول إيراده .

فهل ترى دلالة على مبلغ قوة البيان مع هذه الجرأة الخارقة ، ومظهر النفس الربانية ، التى تحدت عمر ويزيد وكل من فى الأرض من ذلك القول .

وأما الطاغية الحجاج ، فإنه بنى دارا بواسط وأعجب بها ، فأمر بإحضار الحسن ليراها فنغص عليه عيشه ، وأهاج غضبه ، ثم أقنعه بوجوب النزول على قوله ببيانه العجيب الذى يقدره الحجاج قدره ، قالوا : إن الحسن دخل تلك الدار فقال :

« الحمد لله . إن الملوك ليرون لأنفسهم عزا . وإنا لنرى لهم فى كل يوم عبرا ، يعمد أحدهم إلى قصر فيشيده ، وإلى فرش فينجده ، وإلى ملابس ومراكب فيحسنها ، ثم يحف به ذباب طمع ، وفراش نار ، وأصحاب سوء ، فيقول : انظروا ماذا صنعت . لقد رأينا أيها المغرور فكان ماذا يا أفسق الفاسقين ؟ أما أهل السماء فقد لعنوك ، وأما أهل الأرض فقد مقتوك . بنيت دار الفناء ، وخربت دار البقاء ، وغررت فى دار الغرور ، لتذل فى دار الحبور » ثم خرج وهو يقول : إن الله سبحانه قد أخذ على العلماء عهده ليبيننه للناس ولا يكتمونه .

ثم دخل على الحجاج وهو يحرق أنيابه غضبا على الحسن ، ولكنه كناه وخاطبه بقوله : يا أبا سعيد ، أما كان لإمرتى عليك حق حين قلت ما قلت ؟ فقال : « يرحمك الله أيها الامير ، إن من خوفك حتى تبلغ الامن ، خير ممن أمنك حتى تبلغ الخوف . وما أردت الذى

سبق إلى وهمك ، والأمران بيدك : العفو والعقوبة . فافعل الأولى بك ، وعلى الله فتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل ، فاستحيا الحجاج منه واعتذر إليه ، وسلم هذا الإمام بفضل أدبه وقوة روحه من هذا الطاغية الذى لم ينج من بغيه أئمة من الصحابة والتابعين رحمهم الله .

قال صاحب العقد وغيره عن أبى زيد : لم يكن بالبصرة أفصح لسانا ، ولا أظهر جمالا من الحسن بن أبى الحسن البصرى ، وزرعة ابن أبى حمزة . وقد سمعته عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها يتكلم فقالت : من هذا الذى يتكلم بكلام الصديقين ؟

وكان الإمام محمد بن على بن الحسين وهو النابت فى تربة البيان ، إذا ذكر له الحسن يقول « ذاك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء » .

على أن ما بقى من نواحى الحسن من فقهه فى دين الله ، ومعرفته بالعقائد ، وما وضع فيها من أسسه ودرايته بالقصص الصادق الصحيح ، ونواحيه الفياضة الفضفاضة ، ومذاهبه فى الحكم والسياسة ، ودراساته ، ومن تخرجوا فى مدرسته ، فإن الخوض فى تفصيل ذلك مما لا يتسع له هذا المقام الآن ، وإنما نشوق القارىء الكريم ، ونحاول أن نزج به فى هذا الخضم العظيم ، ليخرج باللآلى من بطون التواريخ ، وليعمر حياته بالخير الذى لا أمد له ولا غاية . وبالله سبحانه التوفيق والهداية ؟

محمود النواوى

المـــال

لا أجعل المال لى رباً يصرفنى   لا بل أكون له رباً أصرفه
مالى من المال إلا ما تقدمنى   فذاك لى ، ولغيرى ما أخلفه

أبو على البصير

حيوية الأدب

الأدب طاقة روحية تشع ألوانا من الإشعاعات على مر الزمن ، فلا يخبو لمعانها حتى يتجدد مع الإنسانية المتجددة الدائبة التجدد . وهي طاقة هائلة القوة ، هائلة التأثير ، إذا هي قيست بطاقة الذرة التي كشفت في عصرنا الحاضر . ويكفي أن يقول الأديب أو الشاعر كلماته حتى يكون لها من الفعل بالنفوس ومن تحريك الأرواح ما يفوق أثره أثر كل ذرة ؛ ذلك أن فعلها لا يقتصر على جماعة في وقت من الأوقات . ولكنه من الممكن أن يمتد إلى كل إنسان في كل زمان وكل مكان . يوم يطلق الشاعر قصيدته يكون العالم قد كسب قوة هائلة جديدة ، ولكنها قوة خالدة باقية . إن في بيان الشاعر لسحراً ، ولكنه السحر الذي ينقي النفوس . ويطهر الأرواح ، وهو سحر تعرفه النفوس ، وتتلقاه الأرواح ؛ لأنه صادر عن الروح الشفافة ، عن الروح الملهمة التي أودعها الله جنبي الشاعر . إن خفقة القلب لتدفع إلى الوجود وجوداً ، وإن لمحة الروح لتنفذ فتخترق قيوداً وسدوداً ، وفي الوجود الأكبر ، في العالم الروحي ، تلتقي كل طاقة كونية ، تلتقي الطاقة تشعها الذرة ، وتلتقي الطاقة يشعها الأدب .

لم يكن الأدب في يوم من الأيام صوراً جامدة ، وقوالب مفرغة باردة ، بل هو صور حية متجددة الحيوية ، متجددة الحرارة . فليست القصيدة حشداً من ألفاظ كل قيمتها أن لها دلالة ، فإن هذا الحشد الجامد من الألفاظ التي ليس لها إلا دلالة تجده في مكان آخر غير الأدب وغير الشعر ، تجده في المعاجم اللغوية . أما القصيدة فكائن حي مثلي ومثلك ، وله كيانه وشخصيته ، بل هو أقوى مني ومنك ، لأنه يستطيع أن يثبت وجوده على مر الزمن وأن يفرض نفسه فرضاً سواء رضي الناس أم أبوا . إن هذا الكائن ليتمتع بشخصية متكاملة ممتلئة بالوجود ، ممتلئة بالقوة ، ولكنها شخصية أميز ما فيها أنها مرنة وليست صلبة جامدة . إن النباتات والحيوان والإنسان جميعا يتكيفون بحسب البيئة الزمانية والمكانية التي يوجدون فيها رغم أن أعمارهم نسبيا محدودة ، وهذه القدرة على التكيف مرجعها إلى المرونة التي يتمتع بها كيانهم وتتمتع بها شخصياتهم . وهم كلما اختلفت عليهم الأزمنة والأماكن راحوا يتكيفون مع الزمن الجديد والمكان الجديد ، ولولا هذه القدرة على التكيف ،

لولا هذه المرونة التي تتمتع بها شخصياتهم — على تفاوت بينها في أنصبتها من هذه المرونة — لوجدناها تنقرض وتزول . فالشخص لا يعيش إلا بما في شخصيته من مرونة يواجه بها صروف الحياة فيتكيف معها ، ويتغلب بذلك عليها ، ويستمر بذلك في وجوده الحي النابض ، وتزداد بذلك شخصيته قوة على قوة .

العمل الأدبي شخصية من هذا النوع ولكنها شخصية جبارة ، إنها شخصية تقلبت عليها ظروف وظروف ، ومرت عليها مئات الأعوام وربما آلافها ، وتنقلت في البلاد فشرقت وغربت ، وهي في كل زمان وكل مكان كانت قوية حية تتفاعل مع الناس ، تثير فيهم شعور الرضا تارة وشعور الكراهية تارة أخرى ، ولكنها تخرج من كل محنة موفورة القوة ، موفورة النشاط . وتتخلف الأزمان ، وتتلاشى البلدان ، وينقرض الناس ، ولكنها تظل باقية تستقبل عهداً بعد عهد ، وتتفاعل مع أناس بعد أناس .

إن العمل الأدبي حصيلة آلاف وربما ملايين من التفاعلات التي تمت بينه وبين الناس الذين صادفهم في حياته الطويلة . ولما كانت طاقته الروحية هائلة ، وإشعاعاته كثيرة الألوان متنوعة ، كانت إثارته للنفوس مختلفة ، فهو يشع هذا اللون في نفس ، ويشع لونا آخر في أخرى . وتستقبل النفوس الإشعاعات المختلفة ، فتتفاعل مع ما تستقبله منها كما تتفاعل مع الناس الأحياء سواء بسواء . إننا نتفاعل مع أصدقائنا وأقاربنا وتلاميذنا ألوانا مختلفة من التفاعل ، نتفاعل معهم بما هم كائنات حية تؤثر وتتأثر . وكذلك نتفاعل مع الأدب ، ألسنا نتخذ في كثير من الأحوال من الشعراء الذين مرت عليهم مئات السنين أصدقاء لنا ؟ ألسنا نطيل صحبة قصيدة من القصائد ونعتز بهذه الصحبة ؟ إننا نتفاعل بذلك معها كما نتفاعل مع أصدقائنا ، نتفاعل معها فتؤثر فينا ونؤثر فيها ، ولكننا نمضي جميعا وتبقى هي محتفظة بحصيلة تلك التفاعلات ، متمتعة بما أفادت من تأثرات الآلاف الذين صاحبوها في وقت من الاوقات وتفاعلوا معها ، ألا تكون القصيدة بعد ذلك شخصية جبارة ، وطاقة هائلة ؟ ولكنها شخصية مرنة ، وطاقة متلونة .

إنها شخصية مرنة ، لا تقف منك موقف عناد ، ولا تصر على شيء ، وهي بذلك تمتاز على الحقائق المنطقية الصارمة ، إنك تقرأ هذه العبارة الحسابية (٢+٢=٤) فلا تستطيع أن تفهم منها إلا فهما واحدا ، ولن تخرج منها إلا بحقيقة واحدة ، وهي حقيقة خالدة باقية كذلك ولكنها حقيقة جامدة لا مرونة فيها بل فيها إصرار ، ونحن نذعن دائما في هذه الحالة

للإصرار والعناد . ويوم نريد من (٢ + ٢) أن تساوى خمسة تخذلنا تلك العبارة ، لأنها تصر على أنها تساوى أربعة فقط ، ولا يمكن التزحزح عن هذا الإصرار . وعندئذ نمضى طائعين أو مكرهين إلى التسليم بهذه الحقيقة التى نضطر جميعا إلى الاتفاق عليها . إنها حقيقة صارمة جامدة لا حياة فيها ، ومن ثم لا نتفاعل معها ، لا تتأثر بها شخصياتنا ولا تترك شخصياتنا فيها أثرا . وما أحسب أن هناك من عقد فى يوم من الأيام صحبة بين هذه الحقيقة (٢ + ٢ = ٤) .

أما القصيدة فشخصية مرنة ، تتودد إليك بما فيها من حيوية ، وتصحبك بقدر ما فيها وفيك من استعداد للتفاعل ، وأنت كلما أطلت صحبتها تكشفت لك جوانب جديدة من شخصيتها ، غير تلك التى تكشفت للوهلة الأولى ، بل ربما تبين لك بعد حين أنك أسأت أول الأمر فهمها وأسأت تقديرها ، ألسنا نحكم فى كثير من الاحوال على الاشخاص الذين نصادفهم فى الحياة للمرة الأولى بأنهم خفاف الدم أو ثقلاء ، حتى إذا مضينا فى صحبتهم تبين لنا أننا كنا مخطئين فى حكمنا الأول السريع ، لأنه تكشفت لنا فيهم — بعد الخبرة وطول العشرة — جوانب خفية من شخصياتهم تدفعنا إلى تعديل حكمنا الأول ؟ ذلك أن الشخصية ليست حقيقة ذات جانب واحد جامد بل هى عدة جوانب (بعكس ٢ + ٢ = ٤ فهى ذات جانب واحد) وكذلك القصيدة بما هى كائن حى له شخصيته ، لا ينكشف لنا منها للوهلة الأولى كل جوانبها أو أصدق هذه الجوانب فيها . ولكننا نستطيع أن نقنع من لقائنا لها بهذا الوجه وحده ، أما الآخرون فيعاملونها معاملة أخرى ؛ كل منهم يتفاعل مع جانب بذاته منها ، وعند ما يكشف هذا جانبا ويكشف ذاك جانباً آخر يخيل إلى كليهما أن صاحبه قد أساء الفهم . وليس هناك سوء فهم على الإطلاق فى هذه الحالة لأن واحدا منهما تفاعل مع جانب بذاته من القصيدة ، والآخر تفاعل مع جانب آخر . وشخصية الأدب المتعددة الجوانب ، المرنة هى التى سمحت بهذا الاختلاف ، فتفاعلت مع كليهما بحسب ما لديه من استعداد للتفاعل وتبادل الفهم والتفاهم .

إن الطاقة المشعة التى فى الأدب تصدر كما قلنا ألواناً من الإشعاعات . وبعض هذه الإشعاعات ظاهر وبعضها خفى . والكثيرون هم الذين يتلقون تلك الإشعاعات الظاهرة ، أما الخفية منها فلا يتلقاها إلا القلة . وعندئذ فقط يبدأ التفاوت بين الناس فى قدرتهم على تلقى هذه الإشعاعات يفرق بين فهم وفهم ، وبين تذوق وتذوق . فالأدب يتفاعل معنا

بحسب قدرتنا الأدبية ، بحسب قدرتنا على الفهم والتذوق . فمن أراد صورة جامدة من الألفاظ فإنه واجد هذه الصورة ، ومن أراد شخصية حية نابضة فإنه واجد هذه الشخصية . هذه إشعاعة وتلك إشعاعة . ولكن فرق بين الاثنتين ، هو فرق ما بين من يتذوق الأدب روحاً ، ومن يتفهمه صورة جامدة .

وبعد : فهذا حديث أسوقه إلى المولعين بفهم الأدب على أنه صورة جامدة بعامة ، وإلى الأستاذ « المختون » الذى تطوع فى عدد جمادى الآخرة من هذه المجلة بنقد فهمى لبيت من الشعر الجاهلى بخاصة . فتذوق الشعر لا يصدر عن معاجم اللغة . وإذا كنا نستعين فى بعض الأحيان بهذه المعاجم لمعرفة دلالة لفظ غريب عنا فينبغى أن يكون معروفا أن المعجم لايعطينا الدلالة الفنية للفظ ، وإنما ندرك هذه الدلالة بحسنا الخاص ، وذوقنا الذى تربى على تعاطى الادب والتفاعل معه . ولو كان المعجم هو كل شيء لكان الخطب يسيرا ، ولكان كل إنسان ذواقة نقادة . إن الألفاظ فى المعجم جامدة والأدب شخصية حية ، ومحال أن نقتل الحى حتى نستطيع فهمه . معاذ الأدب !

ومع أننى لم أكن فى مجال دراسة نقدية لذلك البيت بل كانت الدراسة أقرب أن تكون تاريخية فقد علم الأستاذ المختون أنى اخترت أحد معنيين يعيش بهما البيت بين الناس ، ولم أقترح شيئا من عندى . وعندئذ يكون الحكم على فهمى بأنه لم يصب التوفيق ينطوى على مغالطة . وكان يستطيع ـ إن أراد مواجهتى حقا ـ أن يتهمنى بفساد الذوق لأننى اخترت أحد التفسيرين دون الآخر .

وعندئذ أقول له : إننى اخترت هذا التفسير يا صديقى لأنه هو التفسير الذى يجعل فى البيت صورة حية، صورة الشخص الذليل الذى صلمت أذنه (اذكر يا صديقى أن عبارة صلم الأذن هى ملصها التى نستخدمها فى لغتنا العامية ، وأنت تعرف ولاشك على أى شيء يدل تمليص الآذان) وهذه أحرى أن تكون حالة من كان يقبل الدية ولا يأخذ بالثأر . أما التفسير الآخر الذى اخترته أنت فلا يفيد شيئا من صورة الصلم بخاصة وأنها ارتبطت بالنعام ارتباطا وثيقا ، وأحسبك أدركت الآن السر فى اختيارى هذا التفسير بالذات ، فقد كنت مثلك أعلم بوجود تفسير آخر ؛ فقد اخترته لأنه يبث فى البيت الحياة ويجعل الصورة فيه حية نابضة تستطيع أن تتفاعل معنا ، لامجرد مجموعة من الألفاظ ذات دلالة جامدة .

عز الدين إسماعيل

خالد بن الوليد

خالد بن الوليد ، كتاب للشيخ صادق عرجون ، ظهر فى الصيف الماضى ، عن دار إحياء الكتب العربية .

والأستاذ صادق عرجون شيخ علماء الاسكندرية - للتعريف لا للتشريف - رجل نخم من أية نواحيه نظرت إليه ؛ فهو كريم الخلق ، متين الدين ، غزير العلم ، بايغ القلم ، وجماع رأيى فيه ، أنه خير مثال وأصدقه للمسلم الفض .

قرأت له - منذ سنوات - كتابه : « عثمان بن عفان » وأعجبت به فى جملته ؛ فكتبت عنه مقالا رئيسياً فى مجلة الأزهر ، كنت فيه شديداً بالغ الشدة ، محاسباً دقيق الحساب : ولكنى داورت ، فوضعت الدواء فى برشامة ؛ وكشف مرارته قوم ، ولم يساورنى شك فى أن إخلاصه الذى لمست ؛ سيتهدى إلى إخلاصى فى أن أسهم بنصيب ، فى جلاء بعض الأصداء عن هذه الأداة المستكملة ، وفى إسعاد هذه المواهب القوية فى الفراهة والاكتمال ؛ والمنافسة بينى وبينه - بطبيعة ظروفنا - مفقودة ، والتحاسد بيننا معدوم .

وقد أيد حسن رأيى فيه تأييداً حاسماً ، أنه عاد فأهدى إلى نسخة من كتابه هذا : خالد بن الوليد ، لأول عهده بالظهور ؛ وعلى الرغم من طغيان الرغبة فى أن ألتهمه التهاما ؛ تباطأت فى قراءته ليطول استمتاعى بالحياة فى تاريخ لم يظفر الوجود بأنعم من ظلاله ، جلت لوحته ريشة صناع ، وقلب مؤمن ، وعقل مستنير ، فلما انتهيت إلى غايته ، هممت أن أكتب ما رأيت ؛ فسبقتنى الدكتورة ابنة الشاطىء ؛ فكتبت عنه فى الأهرام ، وألمت ببعض ما عرض لى ؛ ورجح عندى أن من الخير أن أؤجل كلمتى ، حتى لا تذهب بجانب كتابة الدكتورة صيحة فى واد .

* * *

كان أبرز ما أخذته على عرجون فى كتابه : عثمان بن عفان ؛ أن قلبه دائماً يسبق عقله وعاطفته تطغى على منطقه ؛ وأن سيطرة هذا الاتجاه عليه ، جعلته يمزج العصمة من الخطأ ؛

بالعصمة من الوزر المؤثم ، فيحاول أن يثبت العصمة من الخطأ لعثمان ، على حين أنه حسب عثمان أن يعصم من الإثم ، وفى الاجتهاد بذلك ضمان .

ولا ريب ، أن (عرجون) فى كتابه : خالد بن الوليد ، ليس (عرجون) فى كتابه : عثمان ابن عفان ، أو بعبارة أفضل ، ان عرجون فى كتابه الاول ، كان ينزع عن شباب كله ثورة ، وكله عواطف ؛ فأما فى كتابه الثانى ، فإنه ينزع عن اكتهال قريب جدا من الاكتمال ، يسيطر عليه ـ فى أكثر أحواله ـ سلطان ، قوى السطوة ، من الروية والاتزان . ومن التواضع السخيف الظالم ، أن أحرم نفسى حظها المحدود ، من فضل هذا الاتجاه .. ! مع الاعتراف بالفضل الأكبر لأطوار الحياة .

* * *

كتاب : خالد بن الوليد للأستاذ صادق عرجون ، غرة فى جبين الأزهر ، تزينه ، وتشرفه ، وتقوم أسطع حجة ، على أنه ما يزال بين جوانحه أفذاذ يحسنون خفارة مجده ، وينضحون عن كرامته ، ويكشفون عن خصائص جلال الإسلام الذى يستظل الأزهر بلوائه ، ويخاصم العالم فيه .

وقوة هذا الكتاب ، ليست مستمدة من موضوعه فحسب ، ولكنه قوى فى تبويبه ، قوى فى أسلوبه ، قوى فى تحرير مواضع النزاع ، قوى فى سبْر ما ورد من الأدلة ، وتزييف ما لا يثبت منها على البحث ؛ قوى فى إحاطته بموضوعه ، وتمثله تمثلا مكن له فى أن يبرزه فى صورة متماسكة ، مترابطة ، ينتظمها مزاج من التذوق والانسجام .

لا أريد أن آخذ على الناس مذاهب حرياتهم ، فأطلب إليهم أن يصدقونى ، أو أن يعملوا برأيى ضربة لازب ؛ ولكننى أطلب إليهم أن يقرءوا كتاب خالد بن الوليد ، وأنا الضمين بأنهم سيرون فيه أجمل مما رأيت ، وسيمتدحونه بأبلغ مما مدحت .

أجل : أنا الضمين ، أنا الضمين . فهاؤم اقرءوا هذا الكتاب !

ولقد كنت أخذت على المؤلف ، ما أخذته عليه الدكتورة بنت الشاطىء ، من شدته فى الرد على الدكتور هيكل ، ولكنى اقتنعت برده المهذب عليها ، وتوجيهه لتلك الشدة ، بأنها دفاع عن جلال الفاروق ، ومن ذا الذى لا يغضب ويثور ، فيقول ما يريد ومالا يريد حمية لمركز الفاروق .

فأما الذى أجعله لهذا الكتاب الكريم ، كسوداء العروس ؛ فهو :

١ — عدم ضبط الأعلام ، وبعض ما يحتاج إلى الضبط من الكلمات ؛ مع أن الكتاب يرغب فى قراءته المثقف والعامى .

٢ — الاهتمام البالغ بتبرئة خالد فى قصة مالك ، مع أن الأمر فيها لا يعدو الاجتهاد ، وأن اجتهاد خالد خالف اجتهاد عمر ، وكلاهما مأجور : المخطىء منهما والمصيب . ومما تقرره الشريعة ، ما قرره الشاعر :

وذات حليل أنكحتها رماحنا   حلالا لمن يبنى بها لم تطلق

٣ — إنكار الأستاذ أن النصر فى غزوة مؤتة كان بالنجاة ، وأن الهزيمة والفرار يسمى فتحاً ؛ ص ٦٧و٦٩ ، مع أن صلح الحديبية سمى فتحاً ، على موقف الصحابة منه .

فأما فى الأسلوب ، فإنى أرجو أن يراعى فى الطبعة الجديدة تصحيح ما يأتى :

١ — ص ٦٤ س ٢ : رسمت « أسوأ » هكذا : أسوء بهمزة مفردة ولعلها تطبيع .

٢ — ص ٩٢ س ١٥ : قال الأستاذ : « فلو سلمنا بما فى الرواية ، لكان خالد ابن الوليد . . من أكثر الناس استهتاراً بتلك القواعد » .

والاستهتار إنما يكون بالخمر والنساء ، ومعناه : الولوع . واستعماله فى غير ذلك عامى .

٣ — ص ١٢٣ س ١٠ : قال : « وتجمع الغثاء إلى بعضه جسراً يمنع تيار الإسلام » . وصوابه : وتجمع الغثاء بعضه إلى بعض .

ص ٢٢٢ س ١٨ : قال : « لأن انعدام الثقة بين الجنود سهم نافذ » .

وكلمة انعدام ليست فى اللغة العربية .

ص ٣٣٣ س ١٥ قال : « وروى ابن عساكر أن هشام البختري قال ، الخ » .

هكذا كتب هشام بميم واحدة ولعلها تطبيع .

* * *

أما بعد ، فمن شاء أن يرى الدين والعلم يتعانقان ، والعاطفه والعقل يتعاطفان ، فليشهد الأستاذ صادق عرجون ، من خصاص كتابه : خالد بن الوليد ؟

عبد الجواد رمضان

الشعب المصرى يطرد الانجليز

عام ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م)

غادرت الحملة الفرنسية مصر عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١م) وفى جسم كل جندى من جنودها أثر من آثار مقاومة الشعب المسلحة، وفى خيال كل فرد من أفرادها، أشباح مرعبة تتسلل وسط الحقول وتختفى وراء الجسور، وهى تحدق فى الفرنسيين بنظرات تتقد حماسا ووطنية. لقد غادر الفرنسيون مصر غير نادمين على الجلاء عنها، بل كانوا فرحين لخلاصهم من أشبال وادى النيل والدلتا الذين جعلوا حياتهم جحيما لا يطاق.

ولم تكد تمضى مدة ستة أعوام على جلاء الفرنسيين عن مصر حتى فكرت انجلترا فى احتلالها عام ١٨٠٧؛ وكانت انجلترا تهدف من وراء هذا الاحتلال إلى عدة أغراض: منها إضعاف تركيا والقضاء على المطامع الاستعمارية الفرنسية وضمان سلامة امبراطوريتها فى الهند بالسيطرة على أهم مركز حربى فى الشرق الأدنى، وقد شجع الانجليز على المضى فى سبيل تحقيق غايتهم اتفاق المماليك بزعامة محمد الألفى مع انجلترا على احتلال البلاد ليستردوا سلطانهم المفقود بعد أن انفض من حولهم الشعب المصرى.

الهجوم الانجليزى:

فى ٤ المحرم ١٢٢٢هـ (١٤ مارس عام ١٨٠٧م) رست إحدى السفن الحربية الانجليزية فى مياه الاسكندرية دون أن يعلم أحد سبب مجيئها، وقام بزيارتها القنصل العام لانجلترا فى مصر وهو الماجور ميست، وقد لوحظ أن القنصل عقب هذه الزيارة قد نشط فى إنفاذ عدة رسائل إلى جهات متفرقة فى القطر، ولم تثر هذه الرسائل أى اهتمام خاص للاعتقاد بأنها موجهة إلى الرعايا الانجليز فى البلاد، مع أنها كانت فى الحقيقة موجهة إلى أمراء المماليك تنبئهم بهجوم الانجليز، وتطلب منهم المساعدة فى هذا الهجوم.

وكان من حسن حظ مصر أن الألفى زعيم المماليك قد توفى قبل هذا الحادث بأسابيع قليلة، وكان هو الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يجمع كلمة المماليك الخونة ليحاربوا فى صف الانجليز.

وقد عثر فيما بعد على بعض هذه الرسائل التى تثبت خيانة المماليك إثباتا قاطعا ، وكان مما جاء فيها : — « إنما جئنا إلى بلادكم باستدعاء الألفى لمساعدته ومساعدتكم فوجدنا أن الألفى قد مات وهو شخص واحد منكم وأنتم جمع ؛ فلا يكون عندكم تأخير فى الحضور فإنكم لاتجدون فرصة بعد هذه ، وتندمون بعد ذلك إن تأخرتم » .

وفى ٧ المحرم ١٢٢٢ﻫ (١٧ مارس ١٨٠٧م) أقبلت عمارة بحرية انجليزية مكونة من خمس وعشرين سفينة بقيادة الأميرال (لويس) ورست فى مياه الاسكندرية ، ونزلت منها حملة مؤلفة من فرقتين : إحداهما بقيادة الجنرال ستيوارت ، والأخرى بقيادة الجنرال ويكوب وكانت القيادة العامة للحملة معقودة للجنرال فريزر .

استطاعت الحملة أن تحتل الاسكندرية ليلة ١١ المحرم (٢١ مارس) بخيانة من محافظ المدينة (أمين أغا) وهو أحد ضباط العثمانيين الذى سلم نفسه ومعه حامية الثغر دون مقاومة .

بدأ الانجليز بعد ذلك فى تنفيذ خطة الاحتلال ، وهى تتركز فى الاستيلاء على الثغور المصرية بمساعدة الأسطول ، بينما يقوم المماليك بالاستيلاء على المواقع الهامة فى داخل البلاد .

وتنفيذا لهذه الخطه عزم الجنرال فريزر على الاستيلاء على رشيد وأرسل الجنرال ويكوب لتنفيذ هذه المهمة ، وفى ٢١ المحرم (٣١ مارس) كان الانجليز على أبواب رشيد .

بطولة أهالى رشيد :

لم يكد أهالى رشيد يشعرون باقتراب الجيش الانجليزى حتى عقد أعيانهم اجتماعا برياسة أكبر شخصية فى المدينة ، وهو السيد حسن كريت نقيب الأشراف ، وقد قرر مجلس الدفاع الوطنى للمدينة بعد مناقشات مثيرة تعبئة الأهالى للدفاع عن رشيد ، وقد شجع هذا القرار حامية المدينة المؤلفة من سبعمائة جندى للاشتراك فى المقاومة بقيادة المحافظ (على بك السلانكلى) .

وفى خلال هذه الفترة العصيبة وصلت إلى رشيد رسالة من الوالى (محمد على باشا) يبدى فيها استعداده لإرسال النجدات لمواجهة الهجوم الانجليزى ، وتدل هذه الرسالة على أن محمد على لم يكن يرغب رغبة جدية فى دخول معركة التحرير ، وأنه يفضل ترك الشعب ليدافع عن نفسه ، ليدخر قوته لضرب المماليك ، لذلك اكتفى بعرض مساعدته كتابياً عن

الاشتراك الفعلى فى الحرب ، وقد أجاب أهالى رشيد بالإجماع على هذه الرسالة بأنهم لا يحتاجون إلى أية نجدة ، بل إن إرسال النجدات لا يأتى منه إلا الضرر ، لأن الجنود الدلاة لا هم لهم سوى النهب والسلب والفتك بالشعب نفسه ، وأن حوادثهم عام ١٢٢٠ (١٨٠٥) لا تزال ماثلة فى الأذهان ؛ فقد مثلوا بأهالى القاهرة تمثيلا . هذا إلى أن مجرى الحوادث قد برهن على أن هؤلاء الأخلاط لا يهمهم الدفاع عن البلاد فى شىء ، إذ سلمت حامية الاسكندرية للانجليز دون مقاومة ، وكذلك فعلت حامية دمنهور .

كل هذه الظروف والملابسات جعلت الشعب وحده يتحمل مسئولية الدفاع عن البلاد ، فقام بطل الأبطال ذلك الجندى المجهول - الشعب - وتقدم إلى الميدان ليخوض المعركة ضد الانجليز ، وقرر الزعيم الوطنى السيد حسن كريت بالاتفاق مع على بك السلانكلى إبعاد السفن إلى الشاطىء الشرقى للنيل ، حتى لا يفكر أحد فى الفرار ، ومعنى ذلك أن الأهالى قد صمموا على الدفاع عن مدينتهم حتى الموت .

وصل الانجليز إلى خارج المدينة دون أن يجدوا أثراً للمقاومة ، فظنوا أن حاميتها قد أخلتها اقتداء بما حدث فى الاسكندرية ودمنهور ، فدخلوا المدينة وانتشروا فى شوارعها وأزقتها ، وما كادوا يستقرون داخلها حتى دارت معركة الحياة أو الموت ، وانطلق الرصاص من جميع الجهات على الانجليز ، فكانت مفاجأة ملأت قلوبهم ذعراً ، وجعلتهم يتلمسون الفرار بأية طريقة ، وقد ضاقت الدنيا فى وجوههم من شدة الضرب ، حتى خيل إليهم أن الطلقات النارية تصدر من كل جحر فى المدينة ، وكانوا أثناء فرارهم يتعثرون فى جثث القتلى والجرحى منهم ، فيزداد اضطرابهم ، ويمعنون فى الفرار ، وعادت فلول الحملة إلى الاسكندرية عن طريق أبى قير بعد أن خسرت قائدها الجنرال ويكوب نفسه .

لقد كان هذا النصر درة فى جبين رشيد ، فقد سطر كل فرد من أفرادها قصة من قصص البطولة ، وأثبتت رشيد بفوزها أن الحرية لا تستعصى على شعب باسل يأبى الذل والاستعباد .

وما كادت تذيع أنباء ذلك النصر ، حتى اهتزت البلاد حمية ، واستعد كل مصرى لمواجهة الانجليز ليفعل بهم مثلما فعل أبطال رشيد ، وبادر السيد حسن كريت وعلى بك السلانكلى بعد انتهاء المعركة بإرسال مائة وسبعين من أسرى الانجليز إلى القاهرة التى كانت

قد انقلبت إلى كتلة من الحماس ، بزعامة السيد عمر مكرم الذى تولى تعبئة المقاومة الوطنية فى العاصمة استعدادا لمواجهة الانجليز ، وكان مظهر الشعب رائعا وهو يبنى الاستحكامات العسكرية للدفاع عن القاهرة ، وينفق على الاستعدادات الحربية من تبرعات الوطنيين ، كل ذلك ومحمد على باشا كان متغيبا فى الصعيد .

العودة إلى الهجوم على رشيد :

شاهد المماليك هزيمة حلفائهم الانجليز ، فقعدوا عن مناصرتهم ، وبذا أفلح الشعب فى عزل المماليك عن الانجليز ، كما أن هذه الهزيمة هالت الجنرال فريزر ، فعزم على أن ينتقم لانجلترا من أهالى رشيد ، وجرد لهذا الغرض حملة أخرى بقيادة الجنرال ستيوارت ليمحو أثر هذه الهزيمة .

قرر الجنرال ستيوارت أن يقوم بتطويق رشيد ليمنع وصول الإمدادات إليها فاستولى على الحماد الواقعة فى جنوبها ، وفى اليوم السابع من إبريل نصب مدافعه فى جنوب المدينة وفى غربها ، وشرع فى ضربها بالمدافع ، فأخذت القذائف تنهال على المدينة مدة اثنى عشر يوما وكان فى اعتقاده أن الأهالى سيكفون عن المقاومة تحت ضغط نيران المدفعية ، ولكن راعه تصميم الأهالى على المقاومة دون أن تبدو عليهم علامة من علامات الفتور أو الضعف وفى ذلك يقول فى رسالة له إلى الجنرال فريزر :

« إن (١) ما أنبأتمونى به من قرب حضور المماليك جعلنى أتريث فى الهجوم على رشيد ، لقد ألحقنا بالمدينة أضرارا كبيرة ، وقد بلغ ما أطلقناه عليها من المدافع البعيدة المرمى وحدها ثلاثمائة قنبلة ، على أنه قد تبين لنا أن الأعداء لا يكترثون بالمصائب التى تنزل بهم » . وختم رسالته بقوله : « إن نجاحنا معلق على نجدة المماليك ، ولكن المماليك لم يحضروا ولن يحضروا بعد ما رأوا من شدة بأس الشعب » .

استمر أهالى رشيد بزعامة السيد حسن كريت يدافعون عن مدينتهم دفاع المستميت وأرسل السيد حسن كريت إلى السيد عمر مكرم زعيم المقاومة المسلحة فى القاهرة يطلب إرسال النجدات على وجه السرعة ، ولما أبطأت النجدات عاد وأرسل إليه رسالة أخرى يستحثه فيها على إجابة طلبه ومما جاء فيها نقلا عن المؤرخ الجبرتى :

---

(١) الحركة القومية للمؤرخ الكبير الأستاذ الرافعى ج ٣ ص ٥٨ .

« إن الانـكليز محتاطون بالثغر ومتحلقون حوله ويضربون البلد بالمدافع والقنابر (القنابل) وقد تهدم الـكثير من الدور والأبنية ومات كثير من الناس وقد أرسلنا لـكم قبل تاريخه نطلب الإعانة والنجدة فلم تسعفونا بإرسال شيء ، وما عرفنا لأى شيء هذا الحال وما هذا الإهمال !؟ فالله الله فى الإسعاف فقد ضاق الخناق وبلغت القلوب الحناجر من توقع المكروه وملازمة المرابطة والسهر على المتاريس » .

وتدل صيغة هذه الاستغاثة على مبلغ ما لقيه المجاهدون من الشدة فى الدفاع عن مدينتهم ، كما يدل استنجاد الأهالى بزعيم المقاومة الشعبية السيدعمر مكرم على أن الذى يدير دفة المعركة هو الشعب .

تدفق الشعب لنجدة رشيد :

لم يقصر السيد عمر مكرم كما كان يظن السيد حسن كريت ، بل إنه عند ما وصلته الرسالة الأولى من رشيد تلاها على الجماهير ، وطلب منهم سرعة العمل لنجدة المدينـة فاستجاب له الأهالى فى حماس رائع حتى باعوا حاجياتهم الضرورية ليشتروا بثمنها أسلحة ، وكانوا يجمعون التبرعات من بعضهم للإنفاق على فقراء هذه الحملة الشعبية ، وتطوع للقتال أبناء الأقطار الشقيقة ومن أشهرهم أحمد النجارى وشقيقه سلامة النجارى ، وكانا من تجار مكة وقد جمعا حملة مؤلفة من مائة من البدو والمغاربة وتعهدا بتسليحها والإنفاق عليها ، كما قاما بتقديم المعونة لغيرهما من المتطوعين واشتركا بنفسيهما فى معركة التحرير . وهب أهالى البحيرة والبلاد المجاورة لرشيد لقتال الانجليز ، فـكانت هذه التعبئة الشعبية مظهراً جليلا من مظاهر التضامن القومى الرائع الذى أدى إلى اندحار الانجليز فى معركة الحماد .

يقول مؤرخ مصر الجبرتى وصفا لحوادث معركة الحماد فى ٢١ إبريل وكان معاصراً لها .

« ولمـا وصل المتطوعون إلى متاريس الانكليز دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم وصدقوا فى الحملة عليهم وألقوا أنفسهم فى النيران ولم يبالوا برميهم وهجموا عليهم واختلطوا بهم وأدهشوهم بالتـكبير والصياح حتى أبطـلوا رميهم ونيرانهم فألقوا سلاحهم وطلبوا الأمان » . وبذا انتصر الشعب للمرة الثانية ، وكانت خسائر الانجليز فادحة هذه المرة ، إذ بلغت حوالى التسعمائة ما بين قتلى وأسرى ، هذا عدا الجرحى .

جلاء الانجليز :

سقطت هيبة الانجليز بعد معركة الحماد ، وضاع أملهم فى احتلال البلاد بعد الهزائم الساحقة التى لحقتهم ، وحاول الجنرال فريزر أن يجمع حوله المماليك وأن يستنفرهم للقتال مرة أخرى ؛ إلا أن حماس الأهالى ووطنيتهم قد قطعا كل أمل على المماليك فى مساعدة الانجليز فلم ير الجنرال فريزر بدأ من المفاوضة فى الجلاء عن الاسكندرية ، وسافر محمد على باشا إلى دمنهور ليقتطف ثمرة هذا الانتصار الشعبى ، وهناك أبرم الطرفان معاهدة ١٠ رجب سنة ١٢٢٢ (١٤ سبتمبر عام ١٨٠٧) التى تقضى بجلاء الانجليز فى مدى عشرة أيام من توقيع المعاهدة مع تسليمهم أسراهم وجرحاهم وفى يوم ١٦ رجب (١٩ سبتمبر) تم جلاء الانجليز عن الاسكندرية .

ولا يسعنا هنا إلا أن نقول : إن مصر التى قهرت الانجليز عام ١٨٠٧ ، هى هى مصر الآن مع فروق واسعة فى التعداد والاستعداد والإمكانيات ؛ فبينما نجد أن تعدادها فى المرة الأولى حوالى ثلاثة ملايين نجده الآن حوالى اثنين وعشرين مليونا لا تنقصهم شجاعة أبطال رشيد ، وقد خاض الشعب المعركة عام ١٢٢٢ (١٨٠٧) دون استعداد وانتصر فيها ، ولكنه الآن على تمام الأهبة لمواجهة الانجليز ، وقد واجه الانجليز الشعب بمفرده عام ١٨٠٧ ، ولكنهم الآن يواجهونه مع الحكومة والجيش متضامنين ؛ فإذا كان النصر حليفنا فى المعركة الأولى ، فهو محقق فى معركة اليوم بإذن الله تعالى ؟

أحمد عز الدين عبد الله خلف الله
المدرس بمعهد دسوق

(المجلة) إن المصدر الأول لهذه الأحداث هو تاريخ الجبرتى ، وإن الأشهر والسنين المذكورة فيه هى اللائقة بالأزهر وأهله وسائر المسلمين . وقلم تحرير المجلة هو الذى يقوم فى كل المقالات الواردة من حضرة الكاتب بتحويلها عن التاريخ الأجنبى إلى التاريخ الهجرى . فلعل الكاتب يكفينا هذه المؤونة مشكوراً فيما يقوم بكتابته بعد .

أسرار الشريعة

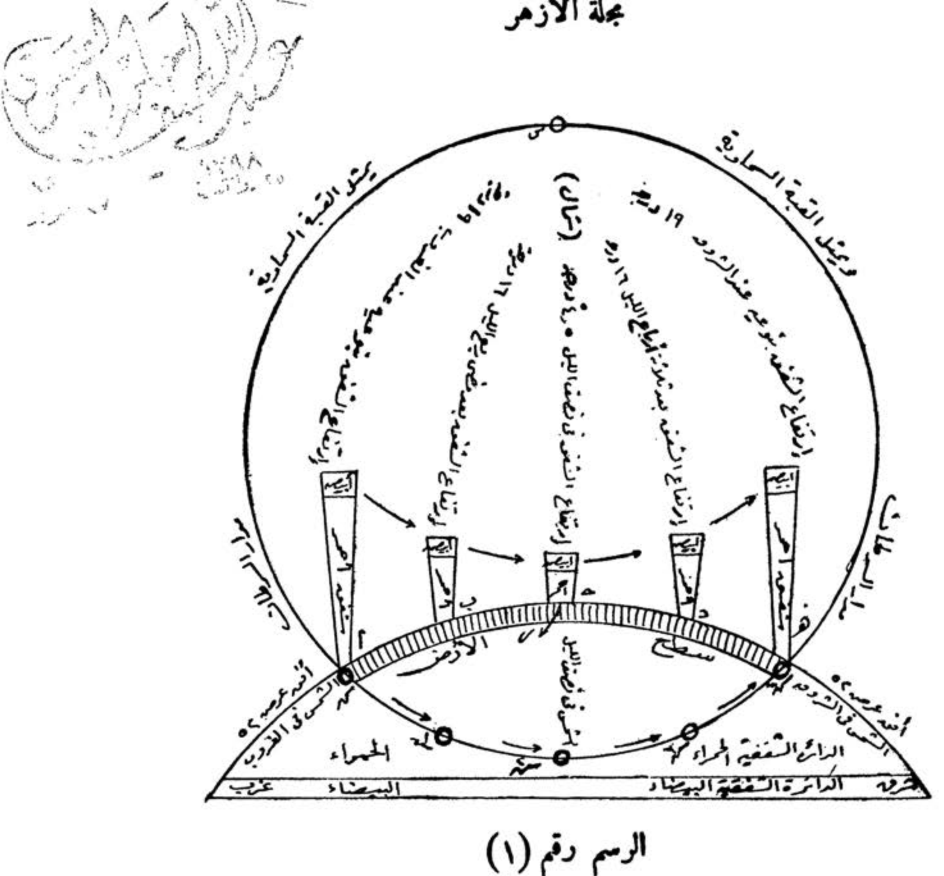
واعتماد الحساب الفلكى لأوقات الصلوات الخمس

كان موضوع مقالنا السابق فى جزء ربيع الآخر « اعتماد الحساب التحقيق لتحديد أوقات الصلوات الخمس عند جميع المحققين من الفقهاء ، رداً على من عمد إلى قياس الظل لوقتى صلاة الظهر والعصر ، غير معتمد لحساب النتائج السنوية ، بعد اطلاعه على كلمة ابن دقيق العيد « لا تجوز الصلاة على الحساب » ...

وقد امتد كلامنا معه فى هذه المناظرة إلى حكم البلاد التى يدوم فيها الشفق ظاهراً طول الليل فوق الأفق ، فتتصل حصة المغرب بحصة الصبح ، وتسقط علامة حصة العشاء من بينهما .

ولما كان شرح هـــذه الظاهرة فى حاجة إلى بيان أكثر ورسوم مختلفة الطرق ، أرجو أن تتسع صفحات المجلة لعرض الوجهين الآتيين ، حتى تنطبع لهـــذه الظاهرة عند القارئ صورة قريبة من الحقيقة ، يمكنه أن يرتكز عليها تفكيره عند الاعتبار بخلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، جزاكم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين ...

الوجه الأول : فى ٢١ يونيه من كل سنة حينما ينطبق مدار الشمس اليومى على مدار السرطان ، إذا وقف إنسان يرقب السماء فى إحدى البلاد الآتية (موسكو - ليننجراد - برلين - لندن - اكسفورد - دوفر - بروكسل - دنكرك - كاليه - هافر - أمستردام - كوبنهاج - وجميع بلاد البلجيك وهولاندا والدانيماركا) إلى غير ذلك من كل بلد يبعد عن خط الاستواء بأكثر من (٤٩) درجة إلى (٦٦) درجة ، وكان هذا الراصد فى فضاء متسع وليس حوله ما يمنع بصره من الامتداد كالموضع (س) فى الرسم رقم (١) الذى يمثل العرض (٥٢) المتوسط للبلاد المتقدمة ، يتراءى له :



الرسم رقم (١)

« أولا » أن الأرض مبسوطة تحت قدميه وممتدة إلى أن تلاقى السماء « القبة الزرقاء » من كل جهة ، بحيث يكون تلاقيهما دائرة محددة لنظره ومتساوية الأبعاد بالنسبة إليه تسمى

(الأفق الظاهرى) عند علماء الفلك العام ، ويسميه الفلكيون الشرعيون (الأفق الشرعى) إذ تتعلق به أحكام تحديد الأوقات الشرعية للصلاة والصوم والحج وغير ذلك . .

« ثانياً » إذا استقبل هذا الراصد محل غروب الشمس بعد اختفائها فى الأفق يرى أن الضوء المنتشر فوقه غربا لا يزيد ارتفاعه عن (١٩) درجة رأسية ، وهو المسمى بالشفق بنوعيه « الأحمر والأبيض » ...

ثالثاً — يرى أن هذا الشفق يتناقص ارتفاعه تدريجيا بمضى الوقت كلما زاد انخفاض الشمس عن الأفق ، كما يراه متنقلا من محل غروب الشمس نقطة (ا) فى الرسم إلى جهة الشمال (ح)

لسيره حينئذ بإزاء الشمس إلى أن تصل غاية انخفاضها (ش٢) فى منتصف ليل هـــذه الأمكنة فيبلغ الشفق أيضاً نقطة (ح) وهى الشمال تماماً كما يبلغ أقصر أطواله بحيث لا يقل ارتفاعه حينئذ عن (٥ر٤) درجة رأسية ...

إذ أن غاية انخفاض الشمس تحت الأفق فى نصف ليل هذا اليوم وفى ذلك البلد لا يزيد عن (٥ر١٤) درجة ، وهـو باقى طرح (٥٢) عرض البلد من متمم الميل المساوى (٩٠ — ٥ ر ٢٣ = ٥ ر٦٦) الذى هو أول حـدود المنطقة المنجمدة الشمالية ، إذ أن (٥ر٦٦ — ٥٢ = ٥ر١٤) فيبقى فوق الأفق (١٩ — ٥ ر١٤) = ٥ر٤ درجـة ، والمفروض فى الشفق أنه لا يتم غيابه إلا بعد انخفاض الشمس بقدر (١٩) درجة رأسية ، وهو مقدار ارتفاع الشفق فوق الأفق وقت غروب الشمس مباشرة كما هو موضح فى الرسم رقم (١) ...

ثم بعـد منتصف الليل تأخذ الشمس فى التحرك من نقطة (ش٢) مرتفعة بالثانى ومتجهة نحو الأفق الشرقى فيسير الشفق بإزائها أيضا حول الأفق من نقطة (ح) نحو الشرق (هـ) آخذا فى الاستطالة بالثانى إلى أن تبلغ الشمس مكان شروقها (ش٤) ، وحينئذ يكون الشفق قـد بلغ فوق الأفق أكثر أطواله (١٩) درجة رأسية كما كان وقت غروب الشمس .

ومن ذلك يعلم أن علامة وقت العشاء قد انعدمت هذا اليوم فى تلك البلاد ، إذ أن شفق حصة المغرب قد اتصل بشفق حصة الصبح مباشرة وهو الفجر ، دون اختفاء فى الأفق الذى هو علامة حصة العشاء .

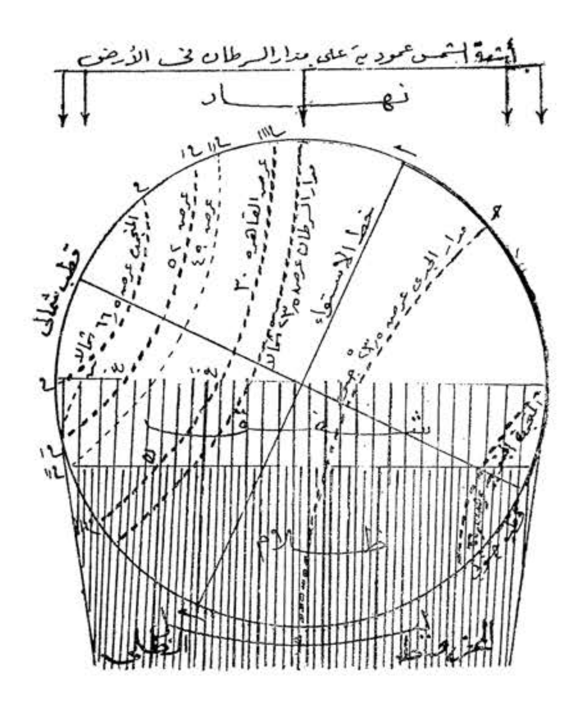
مع العلم بأن علامات الأوقات غير العشاء لا تنعدم أصلا فى هذه البلاد ، أعنى المنحصرة عروضها بين (٤٩) و (٥ر ٦٦) فى أى يوم طول السنة ...

وأما البلاد التى يبلغ عرضها (٥ر٦٦) درجـة فأكثر ، وهى بلاد المنطقة المنجمدة ، كجزيرتى (إيسلندا وجرينلندا) وشمـال سيبريا ، ففى أوائل الصيف تنعدم فيها علامات الأوقات الثلاثة (المغرب والعشاء والصبح) ، إذ يدوم النهار فيها مقدار جـلة أيام معتدلة دون ليل حيث لا غروب ولا شروق .

وفى أوائل الشتاء تنعدم فيها علامتا الظهر والعصر ، إذ يدوم الليل فيها جملة أيام كما سبق شرحه فى مقال ربيع الآخر .

الوجه الثانى : قد عرضنا البيان الوصفى على القراء فى الوجه الأول حسب ظواهر الحركة اليومية لنفس الشمس وسائر الكواكب السماوية ، وسنعرضه فى الوجه الثانى على طريقة الحركة الحقيقية للأرض حول نفسها يوميا وحول الشمس سنوياً . وها هو البيان :

إذا تصورنا أن الكرة الأرضية فى الرسم رقم (٢) تدور حول نفسها أمام الشمس مرة فى كل (٢٤ ساعة) ويسمى دورانها هذا بالحركة اليومية كما تدور حول الشمس مرة فى كل سنة ، ويسمى دورانها هذا : بالحركة السنوية ، وأنها بسبب حركتها اليومية يستنير وجهها المقابل للشمس وهو النهار ، وتحذف مخروطا ظليا يغطى وجهها المضاد وهو الليل ، ثم يتعاقب الليل والنهار لتقلبها أمام أشعة الشمس فى هذه الحركة . . .



الرسم رقم (٢)

وأنها بسبب هذه الحركة والحركة السنوية ، ترسم أشعة الشمس العمودية خط استوائها الجغرافى يومى (٢١ مارس وسبتمبر) فيتساوى الليل والنهار فى جميع بقاع الأرض ، ثم تميل أشعة الشمس العمودية عن خط الاستواء يوما بعد يوم إلى أن يبلغ الميل أعظمه فى يومى (٢١ ديسمبر ويونيه) فترسم فى اليوم الأول مدار الجدى جنوبا ، وفى الثانى مدار السرطان شمالا . . .

إذا تصورنا كل هذا وتأملنا فى الرسم رقم (٢) الذى وقعت فيه أشعة الشمس عمودية على مدار السرطان فى ٢١ يونيه نرى « أولا » أن البلاد التى عرضها (٤٩) فأكثر إلى (٦٦ر٥) قد دخلت عند الغروب فى المخروط الظلى الذى تحذفه الأرض فى الجهة المضادة لمقابلة الشمس ، إلا أنها لا تدخل فى عتمة المخروط الظلى (الظلام الحالك) بل تبقى متحركة فى منطقة الشفق إلى منتصف الليل ثم تتجه بعده نحو ضياء الشمس بالثانى إلى أن تخرج من منطقة الشفق فتشرق الشمس عليها . . .

ومعنى هذا أن الشفق لم يغب ولم يغرب عن هذا البلد بعد غروب الشمس ؛ بل اتصل شفق المغرب بشفق الصبح ، وبقى ظاهرا على الأفق طول الليل حتى أشرقت الشمس وطلع النهار ، ولم توجد علامة وقت العشاء فى هذه الليلة . . .

وقد ظهر فى الرسم عند نقطة (غ) فى عرض (٥٢) كيف تدخل البلد بحركة الأرض اليومية فى منطقة الشفق ، ثم تأخذ عائدة بعد غاية انخفاضها (م) فى المنطقة الشفقية (نصف الليل) فترتفع نحو النهار إلى أن تصل نقطة (ش) وهو معنى شروق الشمس عليها وطلوع النهار دون دخول البلد فى منطقة الظلام الحالك . . .

وهذا الرسم كما تراه وإن لم يمكن أن يتبين فيه ظاهرة حركة الشفق حول أفق هذه البلاد من محل غروب الشمس إلى الشمال فى نصف الليل ثم إلى محل الشروق كما فى رسم الوجه الاول ، إلا أنه من جهة أخرى يتبين فيه كيف تدخل جميع بلاد الكرة الأرضية فى منطقة الشفق يوم (٢١ يونيه) من كل سنة ، وكيف أن البلاد التى عرضها أكثر من (٤٩) درجة وأقل من (٦٦ر٥) شمالا لا تغادر هذه المنطقة طول الليل من الغروب إلى الشروق فلا تغيب عنها ولا تدخل منطقة غسق الليل والظلام الحالك ، وهو معنى عدم غروب الشفق وانعدام حصة العشاء . . .

كما يتبين فى هذا الرسم أيضا أن البلاد التى عرضها أقل من (٤٩) درجة شمالا كالقاهرة فى عرض (٣٠) كيف تغيب عن ضياء الشمس أعنى عن النهار فتدخل منطقة الشفق عند نقطة (غ) متحركة إلى أن تصل نقطة (ك) فى غاية منطقة الشفق ، إذ تغيب عندها عن الشفق وتدخل فى منطقة غسق الليل وظلامه الحالك ، وهو معنى غروب الشفق فى القاهرة وانتهاء حصة المغرب وابتداء حصة صلاة العشاء .

ثم تسير أى القاهرة فى منطقة الغسق والظلام الحالك إلى أن تصل غاية انخفاضها فيه وقت نصف الليل عند (م) فى الرسم ثم تواصل حركتها عائدة نحو المنطقة الشفقية فتدخلها بالثانى ، وذلك هو الفجر الصادق ، فتبدأ حصة صلاة الصبح فيها كما يبدأ النهار الشرعى إلى أن تصل ضياء الشمس المباشر ، وهو معنى شروق الشمس وانتهاء حصة صلاة الصبح وابتداء النهار بالعرف العام .

كما يتبين فى هذا الرسم أيضاً كيف أن جميع البلاد الواقعة جنوب خط الاستواء فى هذا اليوم (٢١ يونيه) تدخل منطقة الشفق بعد غروب الشمس عنها ، وكيف تتغيب عن الشفق وتدخل غسق الليل إلى نصف الليل ، ثم رجوعها إلى منطقة الشفق وهو الفجر إلى خروجها منه وهو النهار . وذلك معنى غروب الشفق وشروقه وهما علامتا ابتداء وانتهاء حصة العشاء فلا انعدام لها فى هذه البلاد .

ولا يفوتنا أن ننبه القراء إلى أن هذا الرسم قد تبين فيه أيضاً أن جميع بلاد المنطقة المتجمدة الجنوبية وإن لم تنعدم فيها علامة حصة العشاء فى هذا اليوم وكذا علامتا حصتى المغرب والصبح إلا أنه قد انعدم فيها علامتا حصتى صلاتى الظهر والعصر ، إذ أن هذه البلاد فى هذا اليوم لا تغادر فى حركتها منطقتى الشفق والغسق (الظلام الحالك) إلى غيرهما .

فتبدأ يومها بدخول منطقة الشفق وهو علامة حصة المغرب ثم تخرج منها إلى منطقة الغسق والظلام الحالك وهو علامة حصة العشاء ثم تعود إلى منطقة الشفق وهو الفجر وعلامة حصة الصبح ، وبذا ينتهى اليوم الذى هو مقدار الـ (٢٤) ساعة دون أن يوجد لهذا اليوم نهار ، فلا زوال ولا بلوغ لظل الشىء مثله أو مثليه ، وهو معنى انعدام علامتى حصتى صلاة الظهر والعصر . .

كما لا يفوتنا التنبيه إلى أن هذا الرسم قد تبين فيه أيضاً كيف أن جميع البلاد الواقعة

فى المنطقة المنجمدة الشمالية أعنى التى عرضها (٥ر٦٦) فأكثر شمالا فى هذا اليوم - لا تبارح منطقة ضياء الشمس وهو النهار ، فلا تدخل منطقة الشفق ولا غسق الليل ، فلا غروب ولا شروق للشمس ولا للشفق ، وعليه فتنعدم علامات المغرب والعشاء والصبح معاً ، ولا يوجد فيها إلا علامتا الظهر والعصر ، وهما الزوال وبلوغ ظل الشيء مثله أو مثليه ، مع ملاحظة أنهما يحصلان مرتين فى هذا اليوم فيكون ظل الزوال الأول شمال الشاخص والثانى جنوبه ، فزوال الظهر يتميز بأنه الواقع جنوب مدار الشمس فى السماء ، وظله يقع شمال الشاخص ، وعلامة العصر هى التى تلى هذا الزوال . وأما الزوال الذى يحصل شمال المدار ويقع ظله جنوب الشاخص فيمثل نصف الليل فى اليوم المعتدل ، وما يلى هذا الزوال من بلوغ ظل الشيء مثله أو مثليه غير ظل الزوال فيمثل مضى معظم الليل أعنى ثلاثة أرباعه تقريباً لليوم المعتدل وهكذا . .

ولذا قلنا إنه يمكن بسهولة أن يقسم أهل هـذه البلاد هـذا النهار إلى حصص أوقات الصلوات الخمس ، بواسطة دورة الشمس فى السماء ، ومساعدة الساعات المضبوطة على المزاول ، أو قياس الظل حسب حصص الأيام المعتدلة أى التى يستوى فيها الليل والنهار كما قال محققو الفقهاء ، دون أى حرج فى الدين خلافاً لما توهمه البعض ، ما دامت عوامل التقدير الذى أمرنا به موجودة معلومة ، ومن لا يعلمها يسأل من يعلمها (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) فأحكام الشريعة الإسلامية كما تراها نيرة بيضاء ، وقواعدها سهلة سمحة صالحة للعمل بها فى كل زمان ومكان حتى فى أطراف المعمورة من الأقطار القطبية وغيرها كقول الرسول ﷺ : (بعثت بالحنيفية السمحة) وقوله : « قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بما عرفتم من سنتى » والله الموفق .

محمد أبو العلا البنا
مدرس الفلك بالأزهر
ومن علمائه

غزوة أُحُد

مضى عام على هزيمة قريش فى غزوة بدر الكبرى ، وكان هذا العام أشبه بالهدنة المؤقتة التى لايلبث بعدها الفريقان أن يلتقيا .

وكانت دموع قريش لما تجف على قتلاها الأشراف فى بدر . وبلغت روح الانتقام والثأر أعلا درجاتها ، وهكذا حانت الساعة الفاصلة بين عهد الهدنة وعهد القتال .

وكانت عير قريش موقوفة بدار الندوة ، لايفيد أربابها منها شيئا .

وفى ليلة من الليالى عقدت قريش مؤتمرا حضره كثير من أشرافها ، منهم عبد الله ابن أبى ربيعة ، وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية ، وكل من كان له تجارة فى تلك العير ، وكان أبو سفيان بن حرب كبير الحاضرين ، فاتفقوا على أن يبيعوا العير ، وأن يؤخذ ربحها فيجهز به جيش قوى لقتال محمد ، فبلغ هذا الربح خمسين ألف دينار .

واستنفرت قريش القبائل لتشترك معهم فى القتال ، فانضمت قبيلتا كنانة وتهامة ، وكذلك اتفقت قريش على أن يأخذوا نساءهم معهم حتى يدفعنهم على القتال ، ويذكرنهم بالبكاء والعويل بما كان فى بدر ، فيزيد واللثأر طلبا ، وعلى القتال إقداما . فخرج من نساء قريش فى هذه الغزوة خمس عشرة امرأة مع أزواجهن ، وعلى رأسهن هند زوج أبى سفيان وكانت أشدهن شوقا للدماء وللثأر .

خروج قريش :

وفى اليوم الخامس من شوال فى السنة الثالثة من الهجرة، خرجت قريش من مكة وكان عددهم ٣٠٠٠ رجل ، ٢٠٠ فارس ، ٧٠٠ جندى مدرع ، ٣٠٠٠ بعير .

وخرج معهم أبو عامر الراهب ، ومعه سبعون فارسا من الأوس .

وكذلك تجهزت قريش بالكثير من العدة والسلاح ، وأخذوا معهم القيان والدفوف والمعازف والخمور ، ولما اكتمل لهم ذلك خرجوا ، وكان قائدهم أبو سفيان ، فسار بهم

حتى نزلوا ببطن الوادى من قبل أحد مقابل المدينة ، وكان وصولهم يوم الأربعاء ١٢ شوال ، وبينهم وبين المدينة خمسة أميال .

العباس يبلغ النبى ﷺ :

تهيأ للعباس - وكان بين المجتمعين فى المؤتمر - أن يقف على كل ما اتفقوا عليه ، فلما ارفض الاجتماع ، أسرع فأرسل رجلا من بنى غفار برسالة مختومة للرسول ﷺ واشترط عليه أن يأتى المدينة فى ثلاثة أيام بلياليها ، حتى يصلها قبل قريش بوقت كاف ، ففعل ذلك ، ووجد النبى ﷺ بقباء على باب المسجد يهم بالخروج ، فدفع إليه الكتاب ، فقرأه عليه أبى بن كعب ، فاستكتمه الرسول ﷺ ما فيه وعاد إلى المدينة .

فبعث أنسا ومؤنساً ابنى فضالة يتعرفان أخبار قريش ، فوجداها قد قاربت المدينة ، وأطلقت خيلها وإبلها ترعى ما يحيط بها من زرع يثرب ، ثم بعث الحباب بن المنذر فجاءه بالذى أخبر به العباس .

ثم ذهب سلمة بن سلامة فوجد طليعة خيل قريش على وشك الدخول إلى المدينة ، فأوجس المسلمون مما بيتت قريش ، ولكنهم فعلوا ما استطاعوا من وسائل الحذر والحيطة حتى يطلع الصبح .

فأخذ كبار المسلمين من أهل المدينة أسلحتهم ، وباتوا فى المسجد حراساً للنبى ﷺ وبات سائر المسلمين يحرسون المدينة طول الليل .

ولما كان الصبح جمع النبى ﷺ أهل الرأى من المسلمين ومن المتظاهرين بالإسلام ، الذين سماهم القرآن بالمنافقين يتشاورون فى الأمر ، فانقسموا فريقين :

الرأى الأول - البقاء فى المدينة :

كان النبى ﷺ يرى البقاء فى المدينة للدفاع عنها ، فقال : « فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوها علينا قاتلناهم فيها » .

فكان مع النبى ﷺ فى رأيه عبد الله بن أبى بن سلول ، فقال : « لقد كنا يا رسول الله نقاتل فيها ونجعل النساء والأطفال فى هذه الصياصى ، ونجعل معهم الحجارة ، ونشبك المدينة بالبنيان ، فتكون كالحصن من كل ناحية . فإذا أقبل العدو رمته النسوة والأطفال

بالحجارة ، وقاتلناه بأسيافنا فى السكك . إن مدينتنا يارسول الله عذراء ما فضت علينا قط ، وما دخل علينا عدو فيها إلا أصبناه ، وما خرجنا إلى عدو قط منها إلا أصاب منا . فدعهم يارسول الله وأطعنى فى هذا الأمر ، فإنى ورثت هذا الرأى من أكابر قومى وأهل الرأى منهم .

الرأى الثانى ـ الخروج لقتال قريش عند أحد :

ولكن المسلمين الذين فاتتهم بدر ، وبعض أبطال بدر الذين ذاقوا حلاوة النصر ، تحمسوا ورأوا ضرورة الخروج خشية أن ترميهم قريش بالجبن .

قال قائل منهم : « يا رسول الله ، إنا كنا نتمنى هذا اليوم ، فاخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم » وقال آخر : « إنى لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها فيقولون حصرنا محمدا فى صياصى يثرب وآطامها ، فتكون هذه مجرئة لقريش . وهاهم هؤلاء قد وطئوا سعفنا فإذا لم نذب عن حوضنا لم يزرع ، وإن قريشا قد مكثت حولا تجمع الجموع ، وتستجلب العرب من بواديها ومن تبعها من أحابيشها ، ثم جاءونا قد قادوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، حتى نزلوا بساحتنا ، أفيحبسوننا فى بيوتنا وصياصينا ، ثم يرجعون وافرين لم يكلموا ؟ ؟ ! لئن فعلنا لازدادوا جرأة ، واشنوا الغارات علينا ، وأصابوا من أطرافنا ، ووضعوا العيون والارصاد على مدينتنا ، ثم لقطعوا الطريق علينا ! » .

وقال حمزة عم النبى صلوات الله عليه ، وسعد بن عبادة ، والنعمان بن مالك ، وطائفة من الأنصار : « يارسول الله إنا نخشى أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج جبنا عن لقائهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا . وزاد حمزة « والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما ، حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة » .

وقال النعمان : « يا رسول الله ، لا تحرمنا الجنة فوالذى نفسى بيده لأدخلنها » . وتعاقب القائلون بالخروج ولكل كلمة ، وأجمعوا على أنهم إذا ظفروا بعدوهم فذلك ما كانوا يبغون إذ سيلقون ما وعدهم ربهم ورسوله ؛ وإذا هم انهزموا فهم شهداء ، مصيرهم إلى جنة عرضها السموات والأرض ، وبذلك رجحت أمام النبى ﷺ كفة الداعين إلى الخروج .

وإذا نحن قارنا بين الرأيين اللذين انقسم اليهما المسلمون من وجهة النظر العسكرية :

(١) الرأى الأول : البقاء فى المدينة .

(٢) والرأى الآخر : الخروج لقتال قريش عند أحد .

وجدنا أن الرأى الأول ـ وهو الرأى الذى كان رسول الله ﷺ يراه كان أحسن الرأيين ، وأفضل الحلين .

فلقد أثبتت الحروب الحديثة صدق النظرية القائلة بأن القتال فى المدن من أشق أنواع القتال ، وأن مهمة المهاجم للمدن أشق من مهمة المدافع عنها ، ولذلك يلجـأ قادة الحروب إلى تجنب القتال فى المدن طالمـا استطاعوا ذلك .

ولعلنا نذكر دفاع الروس المجيد فى مدينتهم العظيمة ستالينجراد خلال الحرب العالمية الثانية ضد زحف جيوش هتلر .

فلقد أخذت جيوش الروس تتقهقر أمام تقدم الألمـان ، وفقدت روسيا نتيجة لهـذا التقهقر مساحات هائلة من أراضيها ، حتى إذا بلغت ستالينجراد التى كان الروس يعرفونهـا تمـاما ، ويعرفون كيف يدافعون عنها ، وقف زحف الألمـان عندها نهـائياً .

فقد كان الروس يدافعون عن هذه المدينة الهائلة دفاعا لم يسبق له مثيل ، وجرت معارك بل مجازر فى شوارعها وفى بيوتهـا ، بل وفى كل غرفة من غرفها ، حتى وجد الألمـان أن الاستيلاء عليها أمر مستحيل ، فارتدوا عنها ، وبذلك أصبحت مدينة ستالينجراد نقطة تحول فى تاريخ الحرب العالمية الثانية .

كانت إذن فرصة نجـاح المسلمين فى الدفاع عن المدينة أدنى لهم من الخروج لمقابلة قريش عند أحد .

هذا بالضبط ما عناه عبد الله بن أبى ابن سلول حين قال مؤيداً رأى البقاء فى المدينـة « لقد كنا يا رسول الله نقاتل فيها ... الخ » .

ولقد كان رأى عبد الله هذا مستمداً من تاريخ المدينة وتجارب أهلها ، فتراه يقول : « فإنى ورثت هذا من أكابر قومى وأهل الرأى منهم » .

« يتبع »

محمد جمال الدين محفوظ

المؤلفة قلوبهم فى جنوب السودان

تبرع من الحجاز بخمسين جنيها

نشرنا فى الجزء الماضى من مجلة الازهر الحقائق التى حملها إلينا من جنوب السودان حضرة السيد محمد جمال الدين محفوظ عن نشاط (جمعية المؤلفة قلوبهم — فى ملكال) فى الدعوة إلى دين الله ، وقيامها بإيواء وكسوة وإطعام الذين يدخلون فى الإسلام حديثا ، وأنها اشترت قطعة أرض لذلك وهى مضطرة إلى مباشرة بنائها قبل نهاية هذا العام .

وما كاد الجزء الماضى من مجلة الأزهر يصل إلى الحجاز حتى أخذت الأريحية الإسلامية حضرتى الوجيهين الكريمين الحاج يوسف زينل على رضا ، والعالم السافى الجليل الشيخ محمد نصيف ، فتبرعا لهذا العمل الإسلامى المشكور بخمسين جنيها مصريا بعثا بها تحويلا من جدة على البنك العربى فى القاهرة باسم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، فتقبل ذلك فضيلته بقبول حسن ، وأرسل إلى كل منهما رسالة شكر خاصة ، طالبا من الله عز وجل أن يجعلهما قدوة لخاصة المسلمين وعامتهم ، فى التعاون على البر والتقوى .

إن الاستعمار يتعاون مع جماعات التبشير فى جنوب السودان على استمالة القبائل فى تلك الأنحاء لأغراض سياسية لاتخفى على أحد ، وقد أقاموا لذلك مراكز لاتحصى جعلوا منها شبكة منسقة موزعة جغرافياً فى أنحاء الجنوب ، وقد تمكن المسلمون من تكوين (جمعية المؤلفة قلوبهم ـ فى ملكال) أداء لبعض الواجب ، وقد شاهد السيد محمد جمال الدين محفوظ الحالة بنفسه ووصفها لإخوانه المسلمين فيما نشرناه له فى الجزء الماضى ، وكانت جمعية المؤلفة قلوبهم برئاسة الشيخ على عبد الرحمن الذى أصبح الآن وزير العدل فى الوزارة السودانية فانتقلت هذه الأمانة من يده إلى بعثة الأزهر هناك ، وتولى رئاسة الجمعية من العام الماضى فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز أحمد عيسى .

ونحن نهيب بإخواننا المسلمين أن يساهموا فى هذا الخير بما يستطيعونه لإقامة هذا البناء للدعوة الإسلامية فى هذه المنطقة البكر التى إذا غفلنا عنها أحاط بها ذئاب الاستعمار وأعوانهم، وحبذا لو حقق أساتذة الأزهر وطلابه اقتراح السيد محمد جمال الدين محفوظ بالاشتراكات الشهرية بين قرشين إلى عشرة قروش فى الشهر مع دعوة أهل الخير من سائر المسلمين الى المساهمة فى هذا الخير حتى تتمكن (جمعية المؤلفة قلوبهم) من توسيع نطاق عملها . والله يتولى جزاء المحسنين

(التحرير)



تعليقات

١ — السينما وما تقدمه للشرق الاسلامى

السينما أداة كالسلاح ، تكون أداة خير إذا استعملت للخير ، كما يستعمل السلاح فى ميادين الجهاد ، وتكون أداة شر إذا استعملت للشر ، كما يستعمل السلاح للسطو وقطع الطريق وارتكاب الجرائم .

وقد بلغ من سوء حظ هذا الشرق الإسلامى أن السينما قام بها - فى الأكثر - أناس أرادوا بها التجارة والكسب ، فاستغلوا شهوة الجماهير وعامة الناس فيما يرتاحون إليه من مشاهد الغرام واللهو والمتعة ، ومناظر التقبيل والإغراء وشهوات الجسد ، إلى أن أصبح ذلك كله مألوفا للناس بعد أن كان مستهجنا قبل نحو عشرين سنة فقط ، وأسرفوا فى عرض أفلام الجرائم والسرقات والسطو ، حتى أصبحت السينما مدرسة لذلك تخرج فيها كل من يطاردهم البوليس من أصحاب السوابق ومرتكبى مختلف الجرائم ، مما نقرأ أخباره يوميا فى الصحف .

وبعد أن صار هذا وذاك من الأمور العادية فى عالم السينما ، شرعوا الآن فى فتح باب جديد وهو العبث بالأديان ، والتفكير فى إظهار الأنبياء على الشاشة البيضاء ، والتمهيد لذلك باستفتاءات وتعليقات فى الصحف والمجلات . والذين يفتونهم يجيبون بقولهم : « لن يعجز كتابنا عن القيام بهذه المهمة الجليلة » ، أو بقولهم : « أتيحوا الفرصة للكتاب » ، أو بقولهم : « ارمزوا لصورة النبى من بعيد » أو بقولهم : « ظهور الأنبياء على الشاشة البيضاء مسألة شائكة » ، وآخرون يتخرصون بأن شركة سينمائية جديدة ستتقدم بسيناريو فيلم يمثل حياة الحسين . ومن العجيب أن الذى قيل إنه كتب قصة حياة الحسين للسينما هو الذى نشر كتاباً عن سيدنا على فى أربعة أجزاء شحنها بالمطاعن فى أصحاب رسول الله ﷺ ولا سيما الصحابى الذى كان سبب إسلام مصر - عمرو بن العاص - وله من الله نصيب فى ثواب إيمان كل مؤمن فى مصر من أربعة عشر قرنا إلى الآن . كل ذلك لأنهم وجدوا لهذه البضاعة رواجا فى بعض

الجهات التي ارتضى أهلها أن يكون في قلوبهم غل للذين آمنوا في الصدر الأول ، وقام الإسلام على أكتافهم .

إن جريمة السينما فيما تستعد الآن للإقدام عليه من أمور الدين وأنبيائه ورجاله الأولين ، ستكون أفدح مما تم على يدها حتى الآن من تهوين أمر العفة والفضائل والأعراض ، وأفدح مما لقنته للجهلة والرعاع من دروس الإجرام والبغي والسطو . وإذا كان ما تم على يدها فيما مضى قد تم في عهد الاستعمار والفحش ، فمن الواجب أن يوضع حد أمامها لمنعها من الانتقال في عهد الاستقامة والتطهير إلى العبث بالدين ، والتعرض لما لا يفهمونه من سيرة حملة الأديان ومؤسسيها ودعاتها الأولين .

لا يوجد في رجال السينما ولا فيمن يؤلف لهم من يدرك أهداف الأديان أو يؤمن برسالة أصحابها ، ثم يرتضي أن يزج بنفسه وبالناس في هذه المآزق الشائكة ، ومن الخير لهم وللأمة أن يبتعدوا عن هذا الميدان ، وكفاهم ما قدموه إلى الآن لأوطانهم مما رأينا ثمراته في المجتمع ، وهي الثمرات التي زخرت الصحف اليومية بحوادثها ، مما لم يكن لمصر عهد بمثله من قبل . ولله الأمر من قبل ومن بعد . (المجلة)

---

٢ – الاسلام والأزهر

في مجلة سلاح الإشارة

صدر العدد الأخير من مجلة سلاح الإشارة مفتتحاً بقول الله عز وجل : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » .
وقد لفت نظرنا فيه مقال عن الإسلام من حيث هو دين القوة ، ومما جاء فيه : « كان محمد ابن عبد الله وأصحابه الأحرار دهاة حرب ، يحكمون الخطة ، ويرسمون الاستراتيجية ، ويهيئون للنصر القريب . . . وأين أنت من غزوة بدر ، ومعركة أحد ، وموقعة الخندق ، وصلح الحديبية ، وفتح مكة ؟ أين أنت من هذه المفاخر والأمجاد ؟ ثم هذا دينك يعلم المسلمين (صلاة الحرب) ويشرع لهم كيفيتها في قوله تعالى : « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ، فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم ، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم . ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم » .. وهذا القرآن مزود بالبوارج

مشحون بالمدافع ، ملىء بالطائرات ، زاخر بالقنابل وأساليب القتال . . فالله تعالى يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ومما جاء فى هذا المقال : « والأزهر ... صحب الزمن أكثر من ألف سنة ، وكان دائماً مصنع البطولات ، ومعمل الرجولات ، وكم طارد الأعداء ، وألب الدنيا على المستعمر ، وقهر الغزاة المغيرين . . وكان علماؤه أئمة فى السلم ، وأئمة فى الحرب . ولم يقف فى وجه الفرنسيين ، ولم يلطم الانجليز ، ولم يلهب الشعور ، ولم يهيء الإحساس للثورة إلا عمالقة الأزهر ورجاله . ولن ينسى التاريخ أبداً الشرقاوى ، والمهدى ، والسيد عمر مكرم ، وإخوانهم العلماء . . . » الخ

هذه نبذة موجزة من المقال . ومجلة الأزهر تشيد بهذه الروح الفتية التى تمثلت فى كاتب المقال ، بل تمثلت فى نشاط سلاح الإشارة ، ويسرها أن تقترن الفتوة العسكرية بالغيرة الدينية ، وأن يتعرف جيشنا المصرى مجده الإسلامى ، ويعتز بتاريخه الموروث ، وأن يستمد فتوته ونشاطه من تعاليم الإسلام ، فإن الإسلام نشأ لتجديد شباب الإنسانية ، وتوجيه الحياة الفردية والاجتماعية وجهة إصلاحية ، وتركيز الحضارة على أسس قويمة ، تكفل صيانتها من التصدع ، وتحفظ رونقها من شوائب المروق ، وأعاصير الزيغ .

وقد عاش الإسلام فى فتوته ردحا من الزمن ، ومع ما وقف فى سبيل حضارته من معوقات ، فإن روحه لا تزال وستظل فى أروع قوة ، ولا نرى الإسهاب فى حديث يعتبر ترديداً لما هو راسخ فى الأذهان ، وتشهد به معالم التاريخ . وجميل من الضابط الكاتب فى مجلة سلاح الإشارة أن يوقظ الوعى العسكرى إلى هذه الملامح التاريخية الواقعية ، وجميل منه كذلك أن يذكر من مناقب الإسلام تشريعه لصلاة الحرب ، فإن ذلك تشريع يؤكد لأهل الدنيا جميعاً أنه دين الكفاح للأباطيل ، والذود عن الحق ، والسعى بالإنسانية إلى أوج كمالها فى مضمار الحياة .

ولقد صدق الضابط الكاتب فى تسميتها صلاة الحرب ، فذلك أوفق لحقيقتها من تسميتها عند مؤلفى الفقه (صلاة الخوف) ؛ فلو كان خوفا لما شرعت له صلاة ، ولكان أولى من الصلاة ولقاء العدو بالسلاح أن نستكين إلى المغاور والكهوف ، لا أن نقف أمام العدو ونحن بين يدى الله فى ركوع وسجود ، وكر على العدو ، وهجوم ومقاومة وغلب .

وأخيراً نتعشم أن تكون للجيش فى نهضته الجديدة عودة إلى دينه الحق ؛ ليكون من ذلك اليوم ما كان من مفاخره فى صدر الإسلام . (المجلة)

٣ – الأزهر فكرة اسلامية

كثر حديث الناس فى هذه الأيام عن الأزهر والأزهريين، وتداولوه فى كثير من المناسبات بألسن حداد، وكلمات شداد، تصوره أمام الناس بصورة المتخلف عن القافلة، والمنقطع فى الطريق.

ولكنى أحب لهم ألا يظلموا الأزهر، أو يحكموا عليه حكما جائراً لا يستهدف الخير. وهؤلاء كان جديراً بهم أن يقتصدوا فى نقدهم، حتى لا يقال فيهم:

غيرى جنى وأنا المعذب فيكم فكأننى سبابة المتندم

فأما أن يؤخذ البرىء بالمذنب، والمقيم بالظاعن، والولى بالمولى، فتلك سياسة من جار ولم يعدل.

ولست أعرف العلة التى انبعث من أجلها هؤلاء يصيحون ويجأرون بالشكوى من الأزهر، كأنه اعترض طريقهم، فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون. أو كأنهم ضاقوا به، وأحسوا أنه يرصدهم، ويكشف أمرهم حين تطوع لهم نفوسهم أن يقتحموا صرح الفضيلة، ويصلوا إلى ما يريدون.

وقد نسى هؤلاء أن العواصف التى تتآمر على الأزهر اصطلحت عليه منذ القدم، فهى لا تفتأ تناوئه الفينة بعد الفينة، ولكنها تنحسر عنه دائما كليلة وكأنها لا شىء، وما أسرع أن يحنى لها الأزهر هامته الفارعة حتى تمر به، ثم يرفع تلك الهامة شامخا فى كبر وسخرية.

لست أقول ذلك تعصباً للأزهر، فقد أكون أقل الأزهريين تعصباً له، ولكنى أقوله لأنه الحقيقة السافرة التى لا معدى لأى مخلوق عن أن يقولها ويعترف بها. إن الذى يظن أن الأزهر مدرسة يتخرج فيها الموظفون وطلاب الحاجات مخطىء كل الخطأ، لأن الأزهر لو كان كذلك لكانت حجته فى بقائه حجة واهية، بل معدومة؛ لأن مصر بحمد الله، فيها

العدد الوفير من المدارس المدنية والدينية، وتستطيع أن تسد الحاجة للوظائف والموظفين. وكأنى بكثير من الناس يتساءلون فى عجب بالغ : وما ذا يكون الأزهر إن لم يكن مدرسة ؟

إن الأزهر فكرة إسلامية يرنو إليه المسلمون من جميع أقطار الأرض ، وتشرئب إليه نفوسهم ، وتظمأ إليه أرواحهم ، يعرف ذلك ويلمسه من أمكنته ظروفه أن يتصل بأى بلد شرقى ، وقد لمست بنفسى هذا الحب وتلك اللهفة فى الحجاز والكويت والعراق ، وقد كنت أحد مبعوثى الأزهر فى الحجاز والكويت ، وكان معنا كثير من رجال وزارة المعارف المصرية ، ومع ذلك فقد كان تطلع الناس إلى مبعوثى الأزهر ، وإلى السؤال عن الأزهر أشد وأقوى من تطلعهم إلى غيرهم ، مما يؤكد أن المعنى الماثل فى أذهان الناس هناك ، الراسخ عندهم عن الأزهر أنه كما قلت فكرة وليس مدرسة ، وتربية خاصة وليس معهدا ، وأحب أن أكون صريحا أكثر فأقرر أن سياسة التعليم فى مصر التى كان للمستعمر أثره الواضح فيها قد حاولت جاهدة أن تجعل من الأزهر - وقد كان معنى كبيرا ملء القلوب والأسماع - مدرسة صغيرة ذات برامج ومناهج يتخرج فيها الموظفون دون أن ينعموا بالتربية الإسلامية الاستقلالية التى كان يعدهم لها الأزهر فى القديم ، وقد بلغ المستعمر من ذلك مبلغا عظيما أو كاد .

فهل لى أن أدعو الأزهريين من كل قلبى أن يفهموا ما يحيط بهم ، وأن يتعمقوا الأشياء ، ويتدبروا الأمور ، ويتكاشفوا حتى لا يتدافنوا ، وحتى تعود إليهم الثقة بأنفسهم وأزهرهم ، قبل أن يكرهنا الزمن على شىء قد لا نحبه ولا نرضاه . ألا قد بلغت، اللهم فاشهد .

رياض هلال

المدرس فى كلية اللغة العربية

ركن الطلبة

مقتطفات

— ١ —

العبادات وتهـــــــذيب النفس

إن رسالة الإسلام الأولى ، هي تكوين الفرد الصالح الذى تتألف منه ومن أمثاله الأمة الصالحة الراشدة المستنيرة التى تعمل فى سبيل المثل العليا ، والمبادىء السامية .

والعبادات التى فرضها الله على عباده ، تهدف فى مجموعها إلى غاية واحدة . هى تهذيب النفس البشرية ، والسمو بها عن المستوى المادى البحت إلى مستوى أرقى من ذلك وأسمى ؛ فتطبع الإنسان بطابع الخير ، وتغرس فيه مكارم الأخلاق ، وكريم الخصال . فالصلاة التى نصليها فى اليوم خمس مرات ، إنما هى صلة بالرب ، ومناجاة للخالق ؛ والنفس فى هـذه اللحظة القدسية تستشعر العظمة الإلهية ، فتتطهر من صنوف الرذائل ، وشتى الشوائب ، ولقد ضرب لها رسول الله ﷺ المثل بقوله : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحـدكم يغتسل منه كل يوم خمسا ، ما تقول يبقى من درنه ؟ قالوا : لا يُبقى من درنه شيئا . قال : فـذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا » ؟ ولذلك يقول تعـالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ويقول الرسول ﷺ : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » ، وفى رواية « لم يزدد من الله إلا بعدا » .

والصوم وقاية من المفاسد ، وحفظ من اللغو والرفث والخبائث كما قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم « الصيام جنة فإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فإذا سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إنى صائم » وقال : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

والزكاة تزكى المـال وتنميه ، وتطهر النفس وتبرئها من أسقامها وأدوائها كالبخل

والشح والطمع والأثرة وغيرها من العلل المودية بكل مروءة ، الفاتكة بكل خلق وكرامة فيقول تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » .

والحج توبة ، وتجديد للنفس المسلمة ، وتعويد لها على الطاعة ، وتذكير بالساعة ، وسبيل إلى التقوى (الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ؛ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) .

فإذا لم تؤد العبادات فى المسلم هذه الثمرة ، ولم تصل معه إلى هذه النتيجة - وهى تهذيب النفس ، وظهور أثر هذا التهذيب على أخلاق المسلم وسلوكه - فما هى إذا إلا طقوس لا معنى لها تؤدى ، وأعمال جوفاء تباشر ، وفى هذا ورد عن النبى ﷺ أن رجلا قال له : يارسول الله ، إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها ، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال : هى فى النار . قال : يا رسول الله ، فإن فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها ، وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط — قطع الجبن — ولا تؤذى جيرانها . قال : هى فى الجنة » .

السيد رزق عبد الوهاب
بمعهد القاهرة

— ٢ —

لا إصلاح إلا بالاسلام

الجماعات البشرية تهدف دائما إلى عالم أفضل ، وتسعى جاهدة لرفع مستواها فى كافة ميادين الحياة ، وهى بذلك لا تفتأ دائبة على المضى إلى غايتها التى تحلم بها . وبغض النظر عن سلوك بعض الجماعات فى نيل أوطارها وتحقيق أمانيها ، فسبيلها الهدف إلى عالم أفضل ، وإن كان بالنسبة لها دون اعتبار لسواها .

ونحن المسلمين عامة لا يسرنا هذا الوضع المهين الذى وصلنا إليه ، لأن إسلامنا عزيز ، فلابد أن نكون أعزاء ، ولأنه قوى ، فلا بد أن نكون أقوياء ، ولأنه يمقت العبودية للبشر فلا يليق بنا أن نكون أتباعا لأية دولة استعمارية ، فذلك سلب لعقيدتنا قبل أن يكون سلبا لقوتنا ومكانتنا كجماعة تؤلف بينها وحدة المنزع والغاية واللسان ، وإذن فلا مناص لنا من أن نعض بالنواجذ على إسلامنا ، إن أردنا أن نرفع هاماتنا فى شمم وإباء .

ومن المؤلم أننا اليوم نحاول ترقيع أنفسنا فننظر إلى الأمم نظرة الضعيف للقوى، والمعدم للثرى، فنمد أيدينا استجداء منهم، ورغبة فى السير على منوالهم، وحبا جارفا فى لبس لبوسهم وأنظمتهم. والإسلام وإن كان لا يحرم تبادل المنافع مع الأمم، فإنه يحرم انسلاخنا من نظمه، لنجلس على مائدة الغير، نجمع الفتات وإن خلناه أشهى المأكولات.

وجل من يعتقدون هذا الاعتقاد قد أسندت إليهم أزمة الأمور فى العالم الإسلامى، فهم حقا يريدون الخير، ولكنهم يجهلون طريقه الصحيح، وإذا نادى فيهم من يدعوهم إلى الأخذ من الإسلام اعتبروه جامد الفكر، بطىء الإدراك، وعقبة فى سبيل الإصلاح.

إن بلادنا تجوس فيها شتى الأمراض، وتسرى فى دمائها الجراثيم. فالناحية الخلقية - وهى عماد الأمم - لا نرى فينا اليوم حية نابضة، وليس هناك ما يكفل لنا إقالتها من عثرتها سوى الإسلام؛ لأن الأخلاق قد تضافر على انحلالها قوى كثيرة كالصحافة والخيالة والإذاعة ونظم التربية فى مدارسنا. فإذا ما استرشدنا تعاليم الإسلام فى هذه القوى كفلت لها أداء رسالتها على أحسن وجه وأشرف غاية، فتساعد على إنشاء الجيل الذى يقدس الفضيلة ويؤتمن على سلامة القافلة.

إن كل مشكلاتنا ناجمة عن تفريطنا فى ديننا، فنحن تناسينا الحقائق العليا التى عليها يشيد المجتمع السليم، ولم نحاول تحكيم الإسلام فى أمور السياسة والاقتصاد وشئون المجتمع المتباينة؛ لجهلنا أولا، ولفرض رغبات المستعمر ثانيا، ولإهمال العلماء رسالتهم ثالثا. ومن جهة أخرى غالينا فى القشور حتى خرجت على حدودها، وصارت حجة علينا بأن الإسلام لا ينهض بالبشرية فى مدارج الحضارة.

والآن وقد انجاب ظلام الطغيان، نحاول تلمس السبل إلى المجد والعزة، وليس أمامنا إلا طريق واحد، وهو طريق الإسلام، فياساسة المسلمين، إن الإسلام يهدى للتى هى أقوم، فلا تضيعوا الزمن فى النظر إلى هنا وهناك، ولا تكونوا:

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

محمد الدسوقى
معهد المنصورة الثانوى

الفتاوى

— ١ —

جاء إلى لجنة الفتوى ما يلي :

رجل مصرى مسيحى يدين بمذهب الروم الكاثوليك — توفى عن زوجتين ، أولاهما تدين بمذهبه ، وعقد زواجه بها أمام الجهة الملية المختصة ، والثانية مسيحية أشهد على زواجه منها أمام المحكمة الشرعية وأنجب منها ولدين وبنتين وأقر ببنوتهم أمام المحكمة الشرعية .

فما حكم الشرع فى توريث هؤلاء الأولاد . وإذا كان للمورث إخوة فهل يرثون مع وجود أولاده المذكورين .

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وتفيد (أن إقرار هذا المتوفى بأولاده إقرار صحيح شرعا يعامل به فيرثه أولاده بعد وفاته كسائر الأولاد — وزواجه بالزوجة الثانية مع بقاء الأولى فى عصمته زواج صحيح شرعا .

وبذلك تقسم تركته بعد وفاته بين ورثته : للزوجتين منها الثمن فرضا بالسوية بينهما لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولاده للذكر مثل حظ الأنثيين تعصيبا ، والله أعلم .

— ٢ —

رجل مسلم وامرأة يهودية ، يريدان أن يتمتعا من بعضهما ، ويبقى كل على دينه . فما رأى الشرع فى هذا ؟ .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فتفيد اللجنة بأنه يحل للمسلم أن يتزوج بالكتابية كاليهودية ، لقوله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، الآية » والله أعلم .

— ٣ —

ما قولكم فيمن عنده زرع بالصحراء الغربية وأراد تزكيته وقد صرف عليه مصاريف لحصده ودراسه ، فهل تحسب المصاريف من الزكاة أو لا تحسب ، نرجو الافادة .

الصديق رضا

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

يرى بعض الفقهاء أنه لا تجب الزكاة إلا فى الباقى بعد المصاريف المذكورة إذا بلغ ذلك الباقى نصابا ، واللجنة اختارت هذا الرأى وأفتت به من قبل رفقا بالزراع . والله أعلم .

— ٤ —

تزوجت من مدرسة وقد وعدنى والدها ووكيلها أنها ستترك العمل بعد ولادتها ثم أنجبت منها ، وأنا الآن مصمم على أن تستقيل وهى مصممة على عدم الاستقالة . فهل يعتبر عملها هذا نشوزا ؟ وهل تستحق مؤجل الصداق ونفقة العدة فى حالة الطلاق ؟ وهل يحق لى ضم ذريتى منها .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال . وتفيد بأن عدم مطاوعة الزوجة لزوجها فيما يأمرها به من ترك الاستمرار فى التدريس يعتبر شرعا نشوزا منها لا تستحق معه النفقة الواجبة بحكم الزوجية . ولكن ذلك لا يؤثر فى وجوب مؤخر الصداق ونفقة العدة إذا طلقها الزوج . أما مؤخر الصداق فلأنها بالدخول بها قد استحقت جميع المهر العاجل منه والآجل ، وأما نفقة العدة فلأنها محبوسة فى أثنائها عن الزواج فكانت لها النفقة ، فإذا طلقها للنشوز أو غيره وجب عليه أن يوفى لها بمؤخر الصداق ونفقة العدة . أما ذريتها فلها حق حضانتهم بعد الطلاق إلى أن يبلغوا السن التى ينتهى فيها حق الحضانة شرعا . وهذا إذا لم يكن هناك مانع يمنعها من هذا الحق شرعا ككونها غير متفرغة للقيام بشئونهم ، وحينئذ يسقط حقها فى الحضانة ، وينتقل الحق لمن يليها فى ذلك شرعا ، وعلى الجملة فهذا أمر تقدره المحكمة الشرعية المختصة . والله أعلم ؟

— ٥ —

حلفت عدة أيمان بالطلاق من أول امرأة ولا أعرف عددها بالضبط ، وعلقت هذه الأيمان على أمور حصلت بالفعل . والآن أريد الزواج ، فأرجو الإفادة على المذاهب الأربعة مع بيان ما تختاره لى اللجنة .

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين : سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فتفيد اللجنة بأن الذى جرت عليه فى الفتوى فى هذا الموضوع هو ما ذهب إليه جمهور الصحابة والتابعين على ما جاء فى نيل الأوطار للشوكانى وهو مذهب الإمام الشافعى والإمام أحمد رحمهما الله من أن تعليق الطلاق قبل قيام الزوجية بالفعل غير صحيح ولا أثر له. وعلى هذا فللحالف أن يتزوج ولا يقع عليه طلاق . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى



المواريث فى الشريعة الاسلامية

لفضيلة رئيس لجنة الفتوى — ١٧٤ صفحة — مطابع دار الكتاب العربى

أهدى إلينا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية السابق ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر وعضو جماعة كبار العلماء نسخة من كتابه (المواريث فى الشريعة الإسلامية) فى طبعته الثانية ، وهو كتاب قيم يمتاز بأسلوبه الحديث والأمثلة المهمة ، بحيث يستغنى به القارىء عن المدرس فى هذا العلم الإسلامى الدقيق ، ويمكنه من الإلمام بأحكام المواريث على المذاهب الأربعة . وقد تناول الكتاب الشرح الوافى لقانون المواريث رقم ٧٧ سنة ١٩٤٣ المعمول به الآن فى الديار المصرية . وكان الكتاب قد طبع قبل الآن فأقبل الناس على اقتنائه ؛ لوضوحه ودقته واستيفائه أحكام هذا العلم ، ثم أعيد طبعه الآن طبعة امتازت بالتنقيح والإيضاح الكثير والزيادات المهمة . والكتاب مفتتح بتمهيد تاريخى عن المواريث فى جمهور العرب قبل إسلامهم ، وبيان أسس النظام الإسلامى فى التوريث ، وامتيازه على ما عرفه البشر فى موضوعه . يلى ذلك تعريف التركة والحقوق المتعلقة بها وشروط استحقاق الارث وموانع الارث وأسباب الميراث وترتيب المستحقين للتركة وأحكام المواريث بالتفصيل مع ضرب الأمثال عليها . وختم الكتاب بنص قانون المواريث المعمول به الآن فى مصر . وهكذا جاء الكتاب كافياً وافياً فى بابه يغنى عن غيره ولا يغنى عنه غيره .

فتاوى وبحوث شرعية

لفضيلة رئيس لجنة الفتوى — جزءان فى ٢١١ و ٢٧٥ صفحة — مطابع دار الكتاب العربى

وهذا كتاب آخر لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف وهو فى مجموعتين اشتملتا على بعض فتاويه الشرعية ، وبحوثه الاسلامية التى نشرت تباعا بمنبر الشرق ،

فاختصت المجموعة الأولى بما نشر من شهر يونيـــه سنة ١٩٥٠ إلى مارس سنة ١٩٥١، والثانية بما نشر من إبريل سنة ١٩٥١ إلى يونيه سنة ١٩٥٢ مع زيادات مفيدة . وهذه الفتاوى غير الفتاوى المسجلة بدار الإفتاء . قال فضيلته : « وقد حرصنا فى هذه الفتاوى على تناول بعض المشكلات الاجتماعية والأمور التى تشغل بال الناس ويكثر وقوعها ، وعلى تبسيط العبارة والأسلوب ، وتدعيم الأحكام بالأدلة والأسانيد ، غير متقيدين بمذهب الحنفية فى الإفتاء » .

والفتاوى فى المجموعتين مرتبة على أبواب الفقه : الطهارة ، الصلاة ، الصوم ، الحج .. الخ ثم الفتاوى فى الشئون والموضوعات المتفرقة .

وفضيلته واسع النظر دقيق التفكير فى تحرى الأحكام الصائبة وتوخى سنة الاسلام فى المصالح الملية والشخصية فيما يفتى الناس به من أمور دينهم . وعساه يواصل إصدار هذه المجموعات السنوية بما يفيد الناس .

معجزة القرآن

فى وصف الكائنات

للأستاذ السيد حنفى أحمد ـ الجزء الأول ٤٠٠ صفحة مطبعة لجنة البيان العربى .

الأستاذ المؤلف كان عميد مفتشى العلوم ، وموضوع كتابه تصوير القرآن للكائنات تصويراً يكشف عن دقائق معانيه ، ويبين ما فيه من آيات الإعجاز الدالة على صدق وحيه وسمو رسالته ، ويقول المؤلف إن المتأملين من أهل العلم والخبرة بالكائنات يرون فى حديث القرآن عن الكائنات معانى دقيقة فوق معانيه الظاهرة تنطوى على أصول وجوامع من العلم الواسع الدقيق عن الكائنات الذى لم يكن معروفا للناس إلا بعد انتشار العلم الحديث بينهم فى القرنين الأخيرين .

وطريقة المؤلف فى كتابه أنه بدأ أولا بحصر وجمع الآيات القرآنية عن الكائنات ثم رتبها حسب موضوعاتها فوقعت فى خمسة أبواب أصلية وهى : الخلق العام للسماوات والأرض وتدبير الأمر فيهما ، والخلق الخاص بالأرض وإعدادها للحياة ، وخلق النبات والحيوان ، وخلق الإنسان ، وسنة الله فى إيجاد الخلق ، وحوادث فناء العالم بقيام الساعة .

وصدر هذه الأبواب بفصلين أولهما عن رسالة القرآن والآيات الكونية ، والثانى عن وسائل البحوث الفلكية وبعض نتائجها المهمة . واستعان من التفاسير بالمشهور المتداول كتفسير أبى السعود والرازى والجلالين وبمفردات الراغب الأصفهانى . وعقد فى آخر كل فصل مقابلة بين القضايا القرآنية وما أثبتته أحدث البحوث العلمية من حقائق ونظريات ثم ما تدل عليه هذه المقابلة من وجوه الإعجاز فى الآيات القرآنية عن الكون .

والجزء الأول من الكتاب الذى صدر الآن يشمل المقدمة والبابين الأول والثانى ، وبصدور الجزء الثانى مشتملا على الأبواب الثلاثة الأخرى يتم هذا المجهود النافع إن شاء الله .

أسمى الرسالات

للسيد عبد الحميد الخطيب — ٦٣١ — دار الكتاب العربى بمصر

هو كتاب كبير حافل ألفه فضيلة السيد عبد الحميد الخطيب الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية بباكستان ، وجعله قسمين : الأول فى سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، والثانى فى بيان رسالته . وقد أشرف على تصحيحه وعلق عليه بعض الحواشى فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية السابق . وزينه المؤلف بأكثر ما حواه كتابه تائية الخطيب . والكتاب مطبوع طبعاً أنيقاً ، وكان من ضروريات التأليف تخريج ما فيه من أحاديث وبيان مواضعها من كتب السنة ، مع أن كل آية وردت فى الكتاب قد نبه المؤلف إلى السورة التى هى منها وإلى رقم الآية ، والآيات فى الغالب محفوظة لأهل العلم ، وأما الأحاديث والنصوص والنقول فهى التى تحتاج إلى بيان مصادرها وتعيين مواضعها فى تلك المصادر ، ولعل المؤلف يستدرك ذلك فى الطبعة الثانية ، وقد أهدى الكتاب إلى جلالة الملك سعود ، وصدره بكلمات كثيرة لطائفة من المشاهير فى الثناء على الكتاب ومؤلفه ، ووعد المؤلف فى مقدمة الكتاب أنه سيعمل على ترجمته باللغة الاوردية واللغة الانجليزية .

من أجل فلسطين

للأستاذ الشرباصى — ٩٦ ص — المطبعة السلفية

أهدى إلينا فضيلة الاستاذ الشيخ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر والرائد الدينى لجمعيات الشبان المسلمين هذا الكتاب من تأليفه، منطويا على تفصيل ما وقع فى مؤتمر بيت المقدس الإسلامى العالمى الذى انعقد فى ٢٧ ربيع الاول من هذه السنة، وانتهى فى اليوم الثالث من ربيع الآخر، وقد أهاب فيه رجال المؤتمر بالعالم الاسلامى أن ينتقل من فترة القول إلى فترة العمل لإنقاذ المسجد الأقصى من الخطر وحماية فلسطين من اعتداءات اليهود، وإعداد العدة للجولة القادمة فى سبيل إصلاح أخطاء الماضى فيما يتعلق بفلسطين، قلب العالم الاسلامى.

والأستاذ الشرباصى كان شاهد عيان فى هذا المؤتمر ومن ممثلى الشبان المسلمين فيه، وقد وفى موضوعه حقه، وزين الكتاب بالصور، وأثبت فيه كثيراً من الحقائق التى يجب على المسلمين أن يطيلوا النظر فيها، ويعملوا فيها بما يرضى الله عز وجل، فشكراً للمؤلف، وجزاه الله خيراً.

قصص النبيين للأطفال

للسيد أبى الحسن الندوى

الجزء الثالث ١٢٨ ص — ندوة العلماء بلكنو

السيد أبو الحسن الندوى من خيرة الدعاة والمفكرين الإسلاميين بالهند، وقد انتشرت له كتب ورسائل فى العالم العربى كان لها جميل الأثر عند الناس، وأهدى لنا الآن من مؤلفاته الجزء الثالث من قصص النبيين للأطفال، وهو خاص بقصة موسى عليه السلام، ومواقفه من بنى إسرائيل. وقد سبق انتشار كتب كثيرة فى قصص النبيين، ولكن هذا الكتاب أوفى وأحكم وأنفع ما ألف فى هذا الموضوع للأطفال.

ومما يشكر عليه إخواننا مسلمو الهند وباكستان تأليفهم مثل هذه الكتب الإسلامية

للدارس بلغة القرآن تمهيدا لجمع المسلمين حول لغة الإسلام وهو سبيل تفاهمهم وتعاونهم .

والكتاب جميل الطبع جلى الحروف فصيح اللغة مشكول بالشكل الكامل ، وننصح للبلاد الإسلامية بأن تستعمله فى مدارسها لأبنائها .

مجلة معهد القاهرة

صدر من هذه المجلة عددها الأول فى شهر رجب ، وهى أولى ثمرات « جماعة النشاط الثقافى » فى معهد القاهرة ، بتشجيع شيخ المعهد فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالوهاب عبدالعزيز وإشراف وكيلى المعهد فضيلتى الشيخ حسن العدل ، والشيخ محمدمرسى عامر وفضيلة الأستاذ محمد محمد خليفة رئيس تحريرها ، وسائر أساتذة المعهد ومدرسيه . وعدد المجلة حافل بمظاهر الحيوية والنشاط من أذكياء الطلبة ونجبائهم مما يبشر إن شاء الله بحيوية أعظم ونشاط أوسع ، ولنا عودة إلى الحديث مع طلاب المعاهد الأزهرية فى تنظيم نشاطهم الثقافى ، وتعيين وجهتهم الأدبية والعلمية ، تحقيقا للأمل العظيم فيهم للمستقبل .

وثبة الأحرار

وهذه مجلة أخرى تمثل نشاط الأزهر الثقافى بمعهد دمياط الدينى ، وهو نشاط سديد الأهداف رشيد الاتجاه فى إبراز حيوية النظم الإسلامية والدفاع عنها ومناقشة شانئيها من دعاة الاستعمار العقلى فى العالم الاسلامى .

وقد افتتح عدد هذه المجلة بمقدمة كتبها شيخ معهد دمياط فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن جلال وأشرف على أبنائنا الطلبة فى إصداره فضيلة الأستاذ الشيخ محمد زين العابدين على ، وإن روحه تتجلى فى كل صفحة ومع كل طالب ، ونحن نهنئه ونهنىء أبناءه الطلبة بوفائهم لإسلامهم ومعرفتهم قدر رسالته وتوطينهم النفوس على أن يكونوا من دعاتها وجنودها . ونطلب منهم المزيد .

الأدب والعلوم فى شهر

تعديل قانون تنظيم الأزهر

وافق مجلس الوزراء على قانون بتعديل قانون إعادة تنظيم الجامع الأزهر . ومما جاء فيه .

يستبدل بالمواد ١٠ بند ثانيا و ١٦ بند ٢ و ٤١ فقرة ثالثة و ٩٢ من المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ النصوص الآتية :

عضوية جماعة كبار العلماء

مادة ١٠ (ثانيا) - أن يكون أستاذا ذا كرسى من الفئة (ا) فى إحدى كليات الجامع الأزهر ، وفى حكم هذا القانون يعتبر الأعضاء السابقون من جماعة كبار العلماء أساتذة ذوى كرسى من الفئة (ا) .

مادة ١٦ (٢) - تكوين اللجنة المنصوص عليها فى المادة ٨٥ من بين أعضاء الجماعة لكل كلية للنظر فيما يقدم إليها من رسائل الحاصلين على المؤهل العالى من الأزهر الراغبين فى نيل شهادة العالمية من درجة أستاذ .

شروط تعيين الأستاذ المساعد

مادة ٤١ (فقرة ٣) - يشترط فيمن يعين أستاذا مساعدا أن يكون قد شغل وظيفة مدرس لمدة خمس سنين على الأقل فى إحدى كليات الجامع الأزهر أو معهد معادل لها .

العالمية من درجة أستاذ

مادة ٩٢ - يجوز للحاصلين على مؤهل عال من الأزهر أن يتقدموا لامتحان شهادة العالمية من درجة أستاذ طبقا للشروط الموضوعة لنيل هذه الشهادة .

اعادة علماء التدريس بالكليات

قرر مجلس الوزراء إضافة مادة برقم ١٢٤ إلى المرسوم بقانون ٢٦ لسنة ١٩٣٦ هذا نصها

مادة ١٢٤ - يجوز للمجلس الأعلى للأزهر خلال ستة أشهر من العمل بهذا القانون أن يعيد إلى هيئة التدريس من كان ضمن هذه الهيئة ثم نقل إلى وظيفة أخرى بالأزهر أو المعاهد الدينية ولو لم تتوافر فيه الشروط اللازمة للتعيين فى هيئة التدريس .

مناهج قسم اجازة التدريس

قررت لجنة تعديل مناهج الدراسة بقسم إجازة التدريس بالأزهر تكوين خمس لجان فرعية من رجال الأزهر ووزارة المعارف لوضع المناهج الجديدة التى اقترح تدريسها

لطلبة الإجازة ، وهى : مناهج علم النفس ، وأصول التربية ، وطرق التدريس ، والتربية العملية ، والصحة المدرسية ، ومواد اللغة العربية بكليتى الشريعة وأصول الدين .

ووافقت اللجنة على جعل مدة الدراسة بقسم إجازة التدريس سنة واحدة ابتداء من العام القادم .

وقررت جعـــل مادة الخط إجبارية بالقسم المذكور .

تنظيم لجنة الفتوى

قررت لجنة الفتوى بالأزهر تنظيم أعمال الإفتاء بها على نحو جديد بوضع سجلات ودفاتر قيد لما يصدر عن اللجنة من فتاوى ، أسوة بما هو متبع فى دار الإفتاء .

معهد جرجا

افتتح فضيلة السكرتير العام للأزهر المعهد الدينى الجديد بمدينة جرجا ، وهو معهد نموذجى ، ساهم المواطنون من أبناء جرجا فى بنائه بتبرعاتهم السخية وجهودهم الموفقة .

شيوخ المعاهد

وافق مجلس الوزراء على نقل حضرات أصحاب الفضيلة الشيخ محمد البسيونى زغلول شيخا لمعهد طنطا ، والشيخ محمد صادق عرجون شيخا لمعهد الاسكندرية ، والشيخ محمد معالى عثمان عبد الهادى شيخا لمعهد أسيوط ، والشيخ ياسين سويلم طه شيخا لمعهد الزقازيق وعلى تعيين الشيخ سيد محمد الباز شيخا لمعهد شبين الكوم ، والشيخ عبد العزيز محمد سمك شيخا لمعهد جرجا ، والشيخ عبد الرحمن الغايش شيخا لمعهد منوف .

نحن أمة عربية

عاد من بغداد الدكتور سليمان حزين وكيل وزارة المعارف المساعد ، بعد أن تولى إدارة (حلقة الدراسات الاجتماعية الرابعة) منتدبا من هيئة الأمم .

وقد اجتمع به الصحفيون فى وزارة المعارف المصرية فتحدث إليهم عن رحلته وآثارها فى نفسه وتفكيره . فقال :

« إن كثيرا من الشئون الاجتماعية متشابه فى الدول والبلاد العربية . فنحن « أمة عربية » لحياتها ومقوماتها أسس أولى فى تاريخنا الطويل . ثم إن لنا تراثا اجتماعيا مشتركا .

« لقد تشابهت أقدارنا وتوحدت مصايرنا خلال التاريخ الحديث ، وهذا التشابه يقتضينا أن نتعاون على دراسة عللنا الاجتماعية ورسم الخطة لمعالجتها ، ولقد كانت (حلقة الدراسات الاجتماعية) مجالا طيبا لإبراز هذا التعاون بين الباحثين من مختلف الدول العربية » .

هذا بعض ما قاله وكيل وزارة معارفنا المساعد ، ويخشى كثير من الناس أن ينساه عما قريب ، إن لم يقنع زملاءه فى وزارة المعارف بأن ما صرح به هو الحقيقة ، وأن من الخير أن تبنى مناهج التثقيف فى مدارس وزارة المعارف على أساس أننا (أمة عربية) وأن لحياتها ومقوماتها أسساً أولى فى تاريخنا مدة أربعة عشر قرنا ، ثم إن لنا تراثا اجتماعياً مشتركا بين الناطقين بالضاد ، وهو مستمد بلا شك من ثقافة الإسلام ، ووحى تاريخه ، وشعب إيمانه . فهل للدكتور حزين أن يحقق القول بالعمل ؟ .

الدين فى مدارس سوريا

كان عهد الشيشكلى فى سوريا قد ألغى بمرسوم أن تكون مادة الدين من مواد الامتحانات العامة ، فقرر مجلس المعارف السورية إعادة إضافة هذه المادة إلى الامتحانات .

مؤتمر الدراسات الإسلامية
فى بشاور

أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر كتابا إلى سفير مصر فى باكستان يطلب إليه القيام بدراسة الأزهر فى مؤتمر الدراسات العربية الإسلامية الذى عقد فى جامعة بشاور من بلاد باكستان يوم ٢٧ رجب وما بعده ، وذلك تلبية للدعوة المرسلة إلى مشيخة الأزهر للاشتراك فى هذا المؤتمر .

جامعة أسيوط

وافق مجلس مديرية أسيوط على اقتراح بأن يساهم المجلس بنصيب من قيمة تكاليف إنشاء جامعة أسيوط ، واتخاذ الاجراءات لاستصدار مرسوم بفرض ضريبتين محليتين لهذا الغرض لمدة عامين ، الأولى بنسبة ١٦ر٥ فى المائة من الضريبة الأصلية على الأطيان ، والأخرى على المبانى بما يوازى عوائد المبانى المفروضة بدائرة المديرية .

الإذاعة المدرسية

حصلت وزارة المعارف على ١٢٥ جهاز إذاعة ، وقد درست الوزارة مع خبير هيئة اليونسكو تجربة لنشر الاذاعة المدرسية بدىء بتنفيذها فى منطقة بنها لقربها من القاهرة ولأنها تتمثل فيها أنواع البيئة المصرية من ريف ومدن ، وتحتوى هذه المنطقة على ٥٥ مدرسة أعطى لكل منها جهاز راديو وكشوف وبرامج إذاعية للعمل بها ، وبعد أن تتم التجربة سينظر فيما إذا كانت صالحة للتعميم كما هى ، أو أنها فى حاجة إلى تعديل .

دار الوثائق التاريخية
المصرية

لوحظ أن وثائق مصر القومية مبعثرة فى عدة أمكنة : فالوثائق الأصلية للقوانين

والمراسيم لم ترسل قط لدار المحفوظات فى القلعـــة ، وإنما تبقى فى مجلس الوزراء ، والمعاهدات والوثائق الخاصة بالمفاوضات التى أجرتها مصر بعضها فى وزارة الخارجية وبعضها فى رياسة مجلس الوزراء ، ووثائق تاريخ مصر منذ عهد محمد على بعضها فى حيازة القسم التاريخى بقصر عابدين وبعضها فى مكان على حدة ، ولم يمكن الاطلاع عليه ميسورا فى عهد الملكية إلا بإجراءات غاية فى الصعوبة.

وقد اتجه الرأى الآن إلى جمع كل هذه الوثائق فى مكان واحد على أن ترتب ترتيباً علمياً ، وأن ييسر البحث فيها ، وأن تنشر الحقائق التى تحتويها على الشعب ، وإن قسم التشريع بمجلس الدولة يعد الصياغة القانونية لمشروع قانون أعدته وزارة الإرشاد القومى خاصاً بإنشاء دار الوثائق التاريخية التى تحقق هذا الغرض ، وستكون دار الوثائق تابعة لوزارة الإرشاد القومى . ويبيح القانون أخذ صور شمسية أو خطية من الوثائق طبقا لقواعد يحددها المجلس الأعلى لدار الوثائق .

مكتبة قصر القبة

أنشئت هذه المكتبة فى السنة الأولى من سنى الحرب العالمية الثانية على أنقاض مكتبة صغيرة كانت تعرف باسم «مكتبة أمير الصعيد» وهى الآن تشغل جناحا فى قصر القبة مكوناً من ١٤ قاعة يصل بينها رواق طويل ، وتشتمل على ٢٤٩ ر٤١ كتاباً فى ٩٨٩ ر٦٦ مجلداً بلغات وعلوم شتى ، وفيها لوحات فنية ومخطوطات ومجموعة أطالس وخرائط ووثائق تاريخية ، وقدرت لجنة الجرد قيمة محتوياتها بمبلغ ٦٨١ ر٤٦ جنيها . ويقال إن الملك السابق جمع هذه المكتبة من التركات والمزادات ومن المساجد الأثرية ودور الكتب المختلفة ؛ وفى قسم المصاحف ٢٥٨ مصحفا فى ٣٦٣ مجلداً قدر ثمنها بمبلغ أحد عشر ألف جنيه وهى مكتوبة بخطوط كبار الخطاطين ، ويرجع تاريخ بعضها إلى العصور الإسلامية البعيدة ، وهى مزينة بالنقوش الفنية والتذهيب ، ومنها مصحف صغير مكتوب على جلد دجاج ومغلف برق غزال ، ومصحف آخر مكتوب على شريط طوله عشرة أمتار وعرضه ثمانية سنتيمترات ، ومن المصاحف مصحف بخط راهب مسيحى كتبه فى أوربا فى القرون الوسطى ، وفى هذه المكتبة المصحف الذى أهداه القائمون على الأزهر إلى الملك المخلوع لمناسبة زواجه وغلافه مذهب بالذهب الخالص وقدر ثمن الغلاف وحده بمبلغ ٢٥٠ جنيها ، وبعض هذه المصاحف مما كان مع أمراء آل عثمان لما هاجروا إلى مصر بعد إلغاء الخلافة ، وبعضها مما كان مودعا فى المساجد الأثرية .

أنباء العالم الإسلامي

زيارة الملك سعود

وبعض نتائجها المباركة

قام حضرة صاحب الجلالة الملك سعود ابن عبد العزيز آل سعود بزيارة كريمة لمصر فى النصف الثانى من شهر رجب الماضى ، فكان موضع الحفاوة والإجلال فى أرض الكنانة حكومة وشعبا ، وكان ذلك دليلا جديداً على ما لشخصيته الإسلامية من محبة وتقدير فى قلوب المسلمين فى خارج المملكة السعودية ، فضلا عن البلاد المتمتعة بأحكام الشريعة الحنيفية فى ظل حكمه ، وقد حققت زيارته أغراضاً سامية ترمى إليها الحكومتان السعودية والمصرية : فقد تبودلت فى خلال هذه الزيارة الكريمة بين جلالة الملك وسيادة الرئيس محمد نجيب ورجال الحكومتين أحاديث تجلت فيها روح التضامن والإخاء بين القطرين الشقيقين .

وكان الجميع متفقين على مضاعفة الجهود لتدعيم الجامعة العربية حتى تحقق الأغراض السامية التى أنشئت من أجلها ، وان الأمة العربية فى مختلف شعوبها وهيئاتها وحكوماتها يجب أن تزداد صلات التقارب والتفاهم والتعاون بينها لتكون وحدة سياسية اقتصادية وثقافية على ضوء التجارب والمحن التى مرت بها الأمة العربية فى السنين الأخيرة .

ومما جاء فى بيان وزارة الخارجية الذى أذاعته عن هذه الزيارة السعيدة أن وجهة نظر الحكومتين الشقيقتين كانت ولا تزال على اتفاق تام فى معالجة مصالح العرب فى جميع أقطارهم ، وأن رباط التعاون الوثيق القائم بين البلدين يقضى بالسعى المشترك للوحدة الشاملة فى الشئون السياسية والمالية والعسكرية والتجارية والثقافية وغيرها تحقيقا للتضامن بينها .

وقد دلت تجارب الماضى القريب على أن البلاد العربية لا تستطيع الدفاع عن نفسها والمحافظة على كرامتها وحقوقها ودفع العدوان عنها من غير أن توحد قيادتها العسكرية وأن تتخذ الأسباب العملية لتسليح قواتها وتدريبها

وتنمية مصانعها لتكون فى خدمة الدفاع المشترك للبلاد العربية ، وأن تنظر البلاد العربية فى تاريخها ونشأة ثقافتها وأغراضها من التعليم ومناهجه فتجعل من إدارته قيادة كذلك مشتركة لتنشئة أبناء الأمة نشأة متجانسة تعين على كمال وحدتها ، وقد آن الأوان لأن تتطور أغراض العرب من الجامعة العربية إلى العمل لجعل الصلات بين العرب حكومات وشعوبا صلات الأعضاء لجسم واحد يجعل من الجامعة العربية قوة تستطيع الحسم فى كل اختلاف أو نزاع يقع بين الدول العربية أو تتضارب فيه المصالح .

وهذا لا يمنع أيا من الحكومات العربية من تمتعها باستقلالها فى حدود هذا التعاون الذى يهدف إلى المصلحة العربية العامة وذلك فى سائر الشئون المنظمة لاقتصادياتها وثقافتها وعمرانها وصناعتها وزراعتها وتجارتها وأن تكون تبعة الدفاع عن الساحة العربية واقعة على الجميع .

وقد تناول الحديث شئون الدول العربية بحيث تكون بلادهم ساحة حيوية واحدة تتعاون فيها دول العرب وشعوبها جميعاً وبينها الشعوب العربية التى ما برحت تجاهد فى سبيل استقلالها .

وكان الاتفاق تاما على السياسة الخارجية للحكومتين السعودية والمصرية وعلى ضرورة إنماء المصالح المشتركة الاقتصادية والثقافية بينهما لخير القطرين ولأمن المجموعة العربية كلها .

الانجليز فى قاعدة القنال

نشرت الأهرام تقريراً سرياً أعده الجنرال فيستنج القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق عن مشكلة قناة السويس . وأبرز ما جاء فى التقرير اعتراف القائد بأن حكومة الثورة فى مصر أقوى حكومة مصرية واجهت بريطانيا كما اعترف بسوء الحالة بين القوات البريطانية فى القناة وقوة المقاومة المصرية المنظمة حتى أن جنود الإمبراطورية غدوا يرفضون الذهاب إلى جحيم ما يلقون فى القناة .

وهو يرى أن الحرب إذا كانت قريبة احتمال الوقوع فى ثلاثة أعوام أو خمسة وجب استمرار احتلال القناة ، أما إذا كان خطر الحرب بعيداً فلا مناص من تنظيم وضع القناة بالتعاون مع مصر . واعترف القائد بأن الإخفاق فى الاتفاق مع مصر والدول العربية سيؤدى فى النهاية إلى غير صالح بريطانيا ، لا من الناحية الاقتصادية فحسب ، بل من الناحية العسكرية أيضاً .

فى منطقة البريمى

أعلنت الحكومة العربية السعودية أسفها لاستمرار السلطات البريطانية فى منطقة البريمى على القيام بأعمال تدل على الحالة النفسية التى تستحوذ عليهم فقد حدث فى يوم ١٨ رجب (٢٣ مارس) أن أطلق جنودهم الرصاص على مركز قصر السديرى وقتلوا رجلين أحدهما من بنى كعب والثانى من الشواص، وقد كان هذان الرجلان يسيران فى طريق البريمى أعزلين من السلاح ولا ذنب لهما إلا أنهما مواطنان عربيان يسيران فى بلادهما .

السودان وأهله

تبلغ مساحة السودان نحو مليون ميل مربع وعدد سكانه نحو عشرة ملايين، وهو أوسع الأقطار مساحة فى شمال افريقيا . ومع أن النيل يخترقه فإن أكثر أراضيه تزرع بالمطر . وسكان الشمال من أصل عربى وفى الجنوب قبائل زنجية .

فيضان دجلة

ازداد فيضان دجلة وطغى على العراق فغمر تسعين فى المائة من الأراضى والمزارع فى حوض دجلة الأوسط وتقدر بأكثر من مليونى فدان، وأدى ذلك إلى تشريد نصف مليون نسمة من السكان . والظاهر أن ارتفاع مياه النهر توقف عند هذا الحد، بيد أن بغداد تواجه خطراً آخر من جراء تسرب المياه من السدود . ويقدرون الخسارة المادية التى لحقت القطر الشقيق من هذه الكارثة بنحو ١٥ مليون جنيه . وقد باتت بغداد معزولة من جراء غرق الطرق المؤدية إليها .

ماذا ينقصنا ؟ مقارنة !

يقول غوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) :

إن طبقات العرب الوسطى الماضية مساوية لطبقاتنا الوسطى المتمدنة الحاضرة، إن لم تكن أرقى منها فى الغالب . والشرقيون المساوون لنا مهارة - وهم الذين لم يحط الاختصاص ذكاءهم - يفوقوننا بقناعتهم، وقلة احتياجاتهم وطبائعهم الموروثة وهم لا يفتقرون إلا إلى طبقة عالية وبعض عظماء الرجال ليكونوا هم والأمم الأوربية المتمدنة على قدم المساواة ومن حسن الحظ (أى من حسن حظ الاستعمار الغربى) أن كانوا عاطلين من مثل أولئك، وإلا استطاعوا - بالإضافة إلى طبقاتهم الوسطى - أن يقوموا مقامنا، وأن يقبضوا على زمام الحضارة » .

قبة الصخرة

فى نبأ من القدس أن اللجنة العامة التى تدعو المسلمين إلى تدارك قبة الصخرة فى المسجد الأقصى لإصلاحها وتقوية الأسوار قررت ندب لجان فرعية لزيارة الأوطان الإسلامية واستنهاض همة ملوك المسلمين وحكوماتهم لجمع الأموال اللازمة لهذا الإصـــلاح الضرورى ، وكلما تأخر البدء بذلك كان الخطر أعظم والرزء فيه أفدح . وكان المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى القدس قبل ثلاثة أشهر قد أوسع هذا الموضوع بحثا وأعاره من اهتمامه ما هو جدير به .

قناة العقبة

وضع اللورد هور بليشع - من أعيـان اليهود البريطانيين - مشروعا لإنشاء قنـاة للأنابيب بين العقبة وحيفا ، وهـو يقدر نفقاته بحوالى مائتى مليون جنيه للقناة ، يضاف إليه مبلغ آخر من عشرة إلى عشرين مليونا لخط الأنابيب . ويلوح الدعاة لهذا المشروع اليهودى بأنه يمنح الأردن مصبا فى البحر الأبيض . وستكون هذه القنـاة أطول كثيرا من قناة السويس . ويقول أولئك الدعاة : يحتمل أن تظل حركة الملاحة بين البحرين الأحمر والأبيض تمر بقنـاة السويس إلا فى الضرورات الحـــربية أو الاقتصادية التى تستدعى مرور السفن بالقناة التى يفكرون فيها .

وقد فتحت (التيمس) صدرها يوم ٢٠ مارس لمحررها البحرى للتحدث عن هذه القناة .

أسلحة أمريكا للعرب

اعتذرت أمريكا لليهود (فى جلسة سرية عقدها نائب وزير الخارجية الأمريكية ومساعد الوزير مع فريق من رجال الكونجرس اليهود) بأن ما تعتزم الحكومة الأمريكية إرساله من الأسلحة إلى البلاد العربية ليس فى الواقع إلا شحنات « رمزية » لا قيمة لها من الناحية العسكريه العملية . وأكد نائب وزير الخارجية ومساعد الوزير لهؤلاء الشيوخ والنواب أن أمريكا ستأخذ ضمانات من البلاد العربية بألا تستخدم هذه الأسلحة ضد إسرائيل بأى حال .

الوحدة العربية

للقضاء على عدو العرب

استقبلت مدينـة الرياض وفدا صحفيا من العراق لتهنئة الملك سعود بارتقاء العرش ، فخطب فيهم الملك معربا عن تأييده التام للعمل

على توحيد كلمة العرب فى جميع أوطانهم وأن وحدتهم وإيمانهم أقوى سلاح يردون به مكايد أعدائهم .

وألقى السيد طه فياض العانى صاحب جريدة السجل خطابا بين يديه باسم الصحفيين العراقيين منوها بالوحدة ووسائلها . ثم دعاهم جلالته لتناول العشاء على مائدته مع كبار رجال المملكة العربية السعودية ، ثم قاموا برحلة لزيارة حقول البترول بالظهران والأعمال الإنشائية بالمملكة .

وفد العراق الصحفى

زار وفد العراق الصحفى القاهرة عند عودته من المملكة العربية السعودية قاصداً العراق ، وقد زار إدارة مجلة الأزهر بصحبته الملحق الصحفى فى السفارة العراقية ، وفى طليعة هؤلاء الضيوف حضرة الأستاذ السيد محمد طه فياض العانى صاحب جريدة السجل اليومية ورئيس تحريرها وقد دار الحديث حول أحوال العالم الإسلامى ، وتعاون قادة الرأى على إعداد الأمة لمستقبل أفضل وكيان أقوى إن شاء الله .

الرأى العام الإسلامى
فى أندونيسيا

اتسعت الفجوة بين الشعب الإسلامى الأندونيسى وبين بعض حكامه المثقفين بثقافة الاستعمار الغربى ، فكانت فى مدينة جاكرتا أعظم مظاهرة عرفها تاريخ هذه العاصمة احتجاجا على « الإهانات الموجهة ضد الإسلام » ، وقد بلغ عدد المتظاهرين ثلاثمائة ألف ، وفيهم عدد كبير من النساء مما يدل على أن الرأى العام الإسلامى كان ثائراً أشد الثورة على أصحاب النزعة الإلحادية وقد حطم المتظاهرون المكاتب الحكومية وقتل ضابط فى الجيش الأندونيسى برتبة كابتن .

هدية الجيش الهندى الى الجيش المصرى

عادت البعثة العسكرية المصرية التى زارت الهند للاطلاع على المنشآت العسكرية هناك وعند إزماعها العودة قدم إليها الجيش الهندى هديتين منه إلى الجيش المصرى : إحداهما عمود من الفضة على قاعدة من الأبنوس وفى أعلاه شعار الجيش الهندى وهو أربعة سباع متلاصقة وتحت مخالبها بعض الحيوانات الهندية وعلى ثلاثة من أوجه القاعدة شعارات أسلحة الجيش الهندى ، وعلى الوجه الرابع كلمة الإهداء :

« إلى الجيش المصرى رمزاً لصداقة الجيشين »

والهدية الأخرى إطار من الفضة على خشب فاخر فيه صورة مدخل القيادة العامة بالهند وقد حفرت عليه الوصايا الآتية :

« سعادة بلادك وشرفها أولا ودائما »

« وسعادة رجالك وشرفهم وراحتهم ثانيا »

« ثم راحتك وسلامتك أخيراً ودائما »

حماقة استراتيجية

قال كليمنت اتلى زعيم المعارضة فى مجلس العموم البريطانى أثناء مناقشة ميزانية الدفاع : إن وجود القاعدة البريطانية فى منطقة قناة السويس حماقة استراتيجية فى الوقت الحاضر

وقال : إن مما يدعو إلى الأسف أننا لم نتمكن من الوصول إلى اتفاق مع مصر لنتخلص من الموقف الذى يقتضينا حجز عدد كبير من قواتنا فى القاعدة يتراوح بين ٧٠ و ٨٠ ألفاً ، وإن القيمة التى يحتمل أن تكون لهذه القاعدة آخذة فى التضاؤل .

هزيمة فرنسا فى الشرق

تتجه الحرب الفرنسية فى الهند الصينية إلى نهاياتها بالرغم من مساعدات أمريكا لفرنسا

وقد أعلن السناتور وايلى رئيس لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ الأمريكى أن هزيمة العالم الحر فى الهند الصينية لا تقل فى أهميتها عن أى هزيمة أخرى وقعت فى القرن العشرين .

الموالون لفرنسا بمراكش

فى صلاة الجمعة (يوم سلخ جمادى الآخرة ـ الموافق ٥ مارس) حدث انفجار رهيب فى المسجد الذى كان يصلى فيه محمد بن عرفة السلطان الموالى للفرنسيين وإلى جانبه الجلاوى فسقط السلطان جريحاً وسادت الفوضى ، وتبين أن ثلاثة من سكرتيرى السلطان أصيبوا مثله بجراح . أما الجلاوى فنجا للمرة الثانية من القتل (وكانت المرة الأولى فى ١٩ فبراير الماضى) . وهكذا تصطدم الخيانة بالجهاد المتواصل فى المغرب الأقصى .

جزيرة القريم

شبه جزيرة القريم مقاطعة عظيمة من المقاطعات الاسلامية فى جنوب روسيا وهى من أجمل بقاع الدنيا . وكانت دولة إسلامية يحكمها أمراء من ذرية منكلى كراى تحت سيادة الدولة العثمانية ، وكان رجال الدولة العثمانية يوقعون الفرقة والتحاسد بين أمرائها ، ولكل فريق من أمرائها حماة وأنصار من رجال الدولة فى الآستانة إلى أن اضطر آخر أمرائهم وهو شاهين كراى للالتجاء إلى روسيا ، فضغطت روسيا على الدولة العثمانية وانتزعت منها الاعتراف برفع يدها عن القريم وعقدت معاهدة قاينارجة الصغرى سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) ، وبعد عشر سنين بسطت روسيا سلطانها المطلق على هذه الجزيرة . وفى الحرب العالمية الثانية كان هذا

الوطن الإسلامي ميدان قتال رهيب بين الروس والألمان. ثم عادت روسيا فبسطت سلطانها بعد الحرب على مسلمي القريم بأساليبها المعلومة. ولما كانت قلوب مسلمي القريم معارضة للحكم القائم في روسيا - ولو بأضعف الإيمان - فقد رأت موسكو في هذا الشهر أن ترميهم بمعارض آخر لها وهي جمهورية أوكرانيا التي كانت مصدر صداع لروسيا في السنوات الأخيرة، فأعلنت ضم القريم إلى أوكرانيا لتشغل كلا منهما بالآخر، ولو عقل الأوكرانيون بعد هذا الحادث السياسي المهم في تاريخهم مع الروس لأحسنوا علاقاتهم بمسلمي القريم وتعاونوا معهم على حياة الاستقرار وبذلك الخير كل الخير لهم وللقريميين، وسيراقبهم الناس بعد الآن ليروا كيف يتصرفون في إقامة نظامهم الجديد مع شركائهم في الحياة الجديدة.

خزان في باكستان

تنشىء باكستان عما قريب خزانا على نهر أندوس يوفر مياه الري لسبعمائة وخمسين ألف فدان من الأراضي الجديدة، ويزيد من كميات المياه التي تروى بها الآن ٦٧٥٠٠٠ فدان لا تجد من مياه الري ما يكفيها. وسيبنى الخزان بالخرسانة المسلحة ويكون طوله خمسة الآف قدم وينشأ على بعد ١٢٥ ميلا شمالي ملتقى نهري اندرس والبنجاب. والمنتظر أن يتم إنشاؤه قبل آخر يونيه سنة ١٩٥٦.

وخصصت له حكومة باكستان من ميزانيتها ثلاثين مليون روبية (عشرة ملايين دولار) وستساهم أمريكا في هذا المشروع بثلاثة ملايين ونصف مليون دولار وفق برنامج المعونة الفنية.

مركز إيران الاقتصادي

أرادت حكومة إيران أن تستعين بخبرة الدكتور شاخت (الخبير المالي الألماني) وأن تحصل منه على تقرير تستفيد منه في إصلاح خططها الاقتصادية وقد مكث الدكتور شاخت ثلاثة أسابيع في إيران أجرى خلالها مباحثات مع خبراء المال الإيرانيين ورجال حكومة طهران، ثم صرح قبل سفره بأنه لم يعط المعلومات الكافية التي تمكنه من وضع تقريره الاقتصادي عن مركز إيران، ثم غادر العاصمة الايرانية دون أن يقدم تقريراً أو يوقع أي اتفاق مع الحكومة الايرانية.

الأمانة الإسلامية

نشرت صحف باريس خبراً على أنه « مثل رائع للأمانة الإسلامية » جاء فيه أن عمر الحداد وهو شاب مسلم من شمال إفريقية ذهب إلى أحد مراكز البوليس وسلمه كيساً يحوى ٣٧ ألف فرنك عثر عليها. وقد تبين أن عمر الحداد ترك عمله من أربعة أشهر، وليس له مورد يعيش منه، وقد بدا عليه الهزال من سوء التغذية.

فهرس

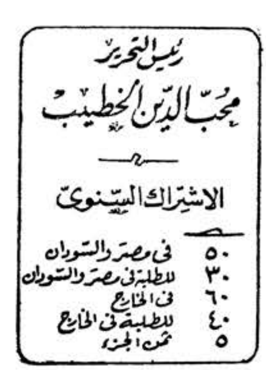
الجزء الثامن ـــ المجلد الخامس والعشرون

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤



مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى



الجزء التاسع ـ القاهرة فى غرة رمضان ١٣٧٣ ـ ٤ مايو ١٩٥٤ ـ المجلد الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

المقالات

مع الرعيل الأول

أَرقنى التفكير ـ ذات ليلة من هذا الشهر ـ فى مصير مصر الإسلامية ، ومتى يكون بعثها ، وما هى السعادة التى ادّخرها الله لها فى مستقبلها القريب ، وهل يستطيع مثلى أن يزيح عن هذا المستقبل سجف الغيب ، فيرى أحفادنا متعاونين على البر والتقوى ، فى مجتمع إسلامى ينعم بالفلاح والنجاح ، وبالرضا والاستقرار . ولما استبد بى الأرق فى تلك الليلة ، صعدت إلى سطح منزلى فى الروضة ، وأطللتُ منه على أرض الفسطاط ، فرجعت بذاكرتى إلى شهر رمضان من سنة ١٩ يوم كان أصحاب رسول الله ﷺ ـ من طبقة الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وخارجة بن حذافة وشرحبيل بن حسنة ومسلمة ابن مخلد وقيس بن سعد وقائدهم العظيم أبى عبد الله عمرو بن العاص ـ محاصرين حصن بابليون ، وهم تحت سماء وادى النيل لا يكاد يبلغ عددهم بضعة عشر ألفاً ...

كان ذلك فى شهر رمضان ، وقد ضيق المسلمون الحصار على أقوى حامية للروم فى مصر ، فانتهز هؤلاء الفرصة فى يوم الجمعة ٢٢ من رمضان - وعمرو بن العاص يؤم الأبطال المجاهدين وهم معه سجود بين يدى الله عز وجل فى الركعة الثانية من صلاة الجمعة - فهاجمهم أربعة آلاف مقاتل من حامية الحصن ، يريدون أن يغتالوهم وهم فى مكانهم هذا من الله ، وما كاد الروم يقتربون منهم حتى كان فاتح مصر وبطل أجنادين رضى الله عنه قد أتم صلاته ، فابتدر المهاجمين بسيفه وسيوف رجاله ، وبذلك انتقلوا من عبادة إلى عبادة . إنهم أولياء الله ، والولاية هى النصرة ، وقد كتب الله عز وجل على نفسه أن ينصر الذين ينصرونه ، فما غربت شمس ذلك اليوم حتى فنى الغادرون عن آخرهم ولم ينج منهم أحد ...

وانتقلت بذاكرتى من مواقف القتال والفتح إلى سنوات الاستقرار والسلم ، فاستعرضت جهود هؤلاء الأولياء الأكابر وقد تحول بعضهم إلى أساتذة معلمين ، وبعضهم إلى ولاة رحماء مصلحين ، وبعضهم إلى قضاة يقظين مقسطين ، وبعضهم كان يشرف على شق ترعة الخليج الموصل بين النيل والبحر الأحمر ، وبعضهم قد استأنف جهاده تحت رايات عمرو الظافرة متجهين إلى برقة ليفتحوا آفاقاً أخرى للوطن الإسلامى المرتجى ...

إن الذين تشرفوا بصحبة رسول الله ﷺ من هؤلاء الأبرار الأخيار الذين أدخلوا مصر فى الإسلام يعدون بالمئات ، وفيهم رجال ممن شهدوا بدراً مع رسول الله ﷺ ، وفيهم من بايعوه صلوات الله عليه تحت الشجرة ، وقد عنى علماؤنا بتسجيل أسمائهم وتراجمهم فى كتب مستقلة ، وأول من ألف فى ذلك محمد بن الربيع الجيزى الذى كان والده من أصحاب الإمام محمد بن إدريس الشافعى المطلبى رحمه الله ، وآخر من ألف فيه الحافظ جلال الدين السيوطى ، وله فى ذلك رسالة اسمها (دَرّ السحابة ، فيمن دخل مصر من الصحابة) ، والذين عرف السيوطى أسماءهم من الصحابة المصريين يناهزون الثلاثمائة .

ودخول هـذا العدد العظيم من أصحاب رسول الله ﷺ إلى مصر مما يغبطها عليه كثير من الأقطار الإسلامية ، وآخر من أعلن حزنه لحرمان الهند وباكستان من مثل هذه النعمة ، الكاتب المجاهد السيد مسعود الندوى الذى انتقل إلى رحمة الله ورضوانه فى شهر رجب الماضى ، فقال فى كتابه (نظرة إجمالية فى تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند

وباكستان — ص ١٥) : « وإن نفس لا نفسى أن بلادنا قد حرمت أقدام الفاتحين من العرب ممن تشرفوا بصحبة النبي ﷺ أو استفادوا من أصحابه الكرام رضى الله عنهم ، وأسلاف السيد مسعود الندوى كانوا يتبركون بذكرى القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفى الذى كان سبب إسلامهم ، وأفاضلهم الآن يتنافسون فى استقصاء المصادر والمراجع عن محمد القاسم وتفاصيل فتحه لبلاد السند ويعدون ذلك من أفضل بحوثهم العلمية [1] . ولو أن الذين حملوا الإسلام إليهم كانوا من الصحابة أو التابعين لكانت عنايتهم بذلك واغتباطهم به أضعاف ذلك .

قلت إن الصحابة الذين اشتركوا فى فتح مصر ، واختاروا الإقامة فيها تحولوا إلى أساتذة معلمين ، لأن أمير المؤمنين عمر كان يرسل رجاله إلى الأمصار والأقطار ليقوموا بمهمة التعليم بما علموا ، وتأديب الشعوب بما تأدبوا به . وقد رأينا طبقة التابعين فى مصر يزدحمون على أبواب العلماء من طبقة آبائهم ، ليحفظوا عنهم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهداف السنة المطهرة ، وأحكام الحنيفية السمحة ، فهذا أبو تميم عبد الله بن مالك الجيشانى الرعينى (المتوفى سنة ٧٧) لا يكتفى بما تلقاه عن الصحابة الذين نزلوا مصر ، بل يسافر إلى الحجاز ليأخذ عن على وأبى ذر وإخوانهما من الصحابة . ومثله عبد الله بن زُرَير الغافقى (المتوفى سنة ٨١) ، وعبد الرحمن بن حجيرة الخولانى (المتوفى سنة ٨٣ وهو ممن تولى قضاء مصر فى الصدر الأول) . وهذا أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزنى (المتوفى سنة ٩٠) أخذ عن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر وعبد الله بن مالك الجيشانى وعبد الله بن زرير الغافقى . وهذا عبد الله بن مُنين التجيبى يأخذ عن عبد الله بن عمرو بن العاص . وهذا الضحاك ابن شرحبيل الغافقى يأخذ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ويسافر إلى أبى هريرة فى المدينة ليتلقى عنه . وهذا أبو عمرو عبد الرحمن بن شماسة المهرى (المتوفى سنة ١٠٠) يستوفى علم الصحابة الذين فى مصر ، ويسافر إلى زيد بن ثابت وأبى ذر فى المدينة ليسمع منهما . وهذا موسى بن وردان العامرى أحد شيوخ الليث بن سعد لا يكاد ينتهى من تلقى علم من لقيهم من أعلام مصر حتى يسافر إلى أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى ليكون من تلاميذهما .

---

(١) وقد اطلع وزير مالية باكستان على مقال لى عن محمد بن القاسم ، فكتب إلى يسألنى عن مصادر أخرى لحياة الرجل الذى كان سبب اسلام الهند لأنه مهتم بدراسة ذلك وتدوينه وتعريف أبناء الجيل به .

وهذا عُلَيّ بن رباح اللخمي (المتوفى سنة ١١٧) يضيف إلى ما أخذ من علم عقبة ابن عامر ومسلمة بن مخلد علم زيد بن ثابت وأبي قتادة . ويفعل مثله سليم بن جبير السدوسي المتوفى سنة ١٢٣ فيسافر من مصر إلى المدينة ليأخذ عن أبي هريرة . وهذا أبو قبيل حي ابن هانىء المعافرى المتوفى سنة ١١٨ يأخذ عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر . ثم يكون من تلاميذه الليث بن سعد ويزيد بن أبي حبيب المتوفى سنة ١٢٨ . ويزيد ابن أبي حبيب هذا هو الذى انتهت إليه الإمامة فى مصر بعد ذلك ، وكان قد أخذ عن عبد الله ابن الحارث بن جزء الزُّبيدى (وهو آخر من مات فى مصر من الصحابة الذين شهدوا فتح حصن بابليون) كما أخذ عن أبي الخير مرثد اليزنى وعبد الرحمن بن شماسة وعطاء بن يسار وحي بن هانىء . وهذا بكر بن عمرو المعافرى (إمام جامع عمرو المتوفى بعد سنة ١٤٠) يأخذ عن مشرح بن عاهان من تلاميذ عقبة بن عامر وعن بكير بن الأشج المتوفى سنة ١٢٧ وكلهم مصريون . وهذا حميد بن هانىء الخولانى (المتوفى سنة ١٤٢) يأخذ عن على بن رباح اللخمى وعمرو بن مالك الهمدانى وكلهم مصريون . وهذا حيوة بن شريح التجيبى الإمام الزاهد العابد المتوفى سنة ١٥٨ يأخذ عن يزيد بن حبيب المصرى وأبي يونس مولى أبي هريرة وحميد بن هانىء الخولانى المصرى . وهذا موسى بن على اللخمى أمير مصر يعتمد أحاديثه البخارى ومسلم وسائر أصحاب الكتب الستة ، وهذا عالم مصر وفقيهها وإمامها ورئيسها الليث بن سعد الفهمى (٩٤ — ١٧٥) ما ترك عالما من علماء مصر إلا أخذ عنه أفضل ما عنده ، ثم قصد علماء الآفاق فأخذ عن قتادة ونافع وسعيد المقبرى والزهرى وصفوان ابن سلم وتلك الطبقة ، ومن تلاميذه ابن المبارك وابن لهيعة وابن وهب وابن عجلان ومئات من حملة الفقه والسنة ، قال عنه ابن بكير : هو أفقه من مالك ، وكان دخله السنوى ثمانين ألف دينار ذهباً ينفقها كلها فى سبيل الخير فلا يأتى عليها الحول وعنده منها شىء ولذلك ما وجبت عليه زكاة قط . وهذا بكر بن مضر المصرى (١٠٠ — ١٧٤) يأخذ عن يزيد بن أبي حبيب وحي ابن هانىء وجعفر بن ربيعة حفيد شرحبيل بن حسنة وكلهم مصريون . ومن تلاميذه الإمام عبد الرحمن بن القاسم (١٣٢ — ١٩١) تلميذ إمام دار الهجرة مالك بن أنس (٩٣ — ١٧٩) وناشر علمه فى الدنيا ، وعنه تلقى المدونة أسد بن الفرات (١٤٢ — ٢١٣) ورحل بها إلى القيروان سنة ١٨١ . ثم حملها إلى مصر سنة ١٨٨ عبد السلام بن سعيد التنوخى الملقب

سحنون (١٦٠ — ٢٤٠) وعرضها على عبد الرحمن بن القاسم فأصلح بعض مسائلها واعتمدها فرجع بها سحنون إلى القيروان سنة ١٩١ وعنها انتشر علم مالك فى الخافقين .

وأسد بن الفرات الذى تتلمذ لعالم مصر عبد الرحمن بن القاسم تولى قضاء القيروان فى سنة ٢٠٤ وتولى بعد ذلك قيادة جيوش زيادة الله بن الأغلب وأساطيله وفتح بها جزيرة صقلية سنة ٢١٢ وتوفى من جراحات شديدة أصابته وهو يحاصر سرقوسة براً وبحراً . وهو مع كل هذا مثل أعلى فى الصلاح والتقوى ، والاستقامة على الحق ، والتواضع فى تصرفاته ، وإيثار الآجلة على العاجلة فى كل شيء ، منذ كان طالب علم ، إلى أن كان حامل أثمن رسالات التشريع من مصر إلى شمال إفريقية ، إلى أن جلس على كرسى القضاء فى دولة بنى الأغلب ، وقد أهله ذلك كله ليكون قائداً مجاهداً فاتحاً وشهيداً . هذه هى تربية الرعيل الأول فى القرون الثلاثة الأولى التى قال عنها حامل آخر رسالات الله ﷺ : « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » . وأظننى قد أشرفت مع قرائى من سطح منزلى فى الروضة على نماذج صالحة من أهل هذه القرون الثلاثة فى الفسطاط منذ دخل رعيلهم الأول أرض مصر بقيادة الرجل الكامل أبى عبد الله عمرو بن العاص وإخوانه وتلاميذه ، حتى رأينا تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم بلمحة خاطفة لا يحتمل المقام التوسع فى بسط تفاصيلها وأمجاد رجالها . وعلى نجباء الشباب الأزهرى أن يجعلوا ذلك من دراساتهم ، ولو تفرغوا لذلك لاستطاعوا أن يؤلفوا فى سيرة أسلافهم مئات المجلدات النفيسة .

ومن طبقة عبد الرحمن بن القاسم شيخ أسد بن الفرات إمام آخر من أئمة مصر هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى (١٢٥ — ١٩٩) أخذ عن يونس بن يزيد الأموى وحيوة بن شريح وأسامة الليثى وصحب مالك بن أنس عشرين سنة وأخذ عن سفيان الثورى والليث بن سعد وابن جريج وسفيان بن عيينة وابن دينار وحرملة التجيبى وزاد عدد شيوخه على أربعمائة ومن تلاميذه سحنون وابن عبد الحكم وأصبغ وسعيد بن أبى مريم وابن مهدى وآلاف من فقهاء الإسلام . قال ابن حبان يصف ابن وهب المصرى : إنه حفظ على أهل مصر والحجاز حديثهم ، وقال أحمد بن صالح : حدث ابن وهب بمائة ألف حديث .

ومن هذه الطبقة أبو عمر أشهب بن عبد العزيز القيسى العامرى (١٤٠ - ٢٠٤) الذى انتهت إليه رياسة العلم فى مصر بعد موت ابن القاسم ، وهو قد أخـــذ عن الليث ومالك

والفضيل بن عياض وتلك الطبقة ، وأخذ عنه بنو عبد الحكم وسحنون ويونس بن عبد الأعلى والحارث بن مسكين وطبقتهم .

وفى هذه الحقبة (سنة ١٩٩) وفد على مصر الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعى المطلبى رحمه الله بعد أن استفاد من علمه قبل ذلك أمثال الإمام أحمد بن حنبل وطبقته ، فتجدد بقدومه نشاط العلم فى الفسطاط وجامع عمرو والتف حوله الربيع بن سليمان والبويطى والمزنى والربيع الجيزى والحسن بن محمد الزعفرانى ، فتدفق فى العالم الإسلامى من علم هذا الرجل العظيم ما رأينا آثاره فى طبقات الشافعية للسبكى وغيرها من الكتب التى تؤرخ لتطور المعارف الإسلامية وتداول أماناتها .

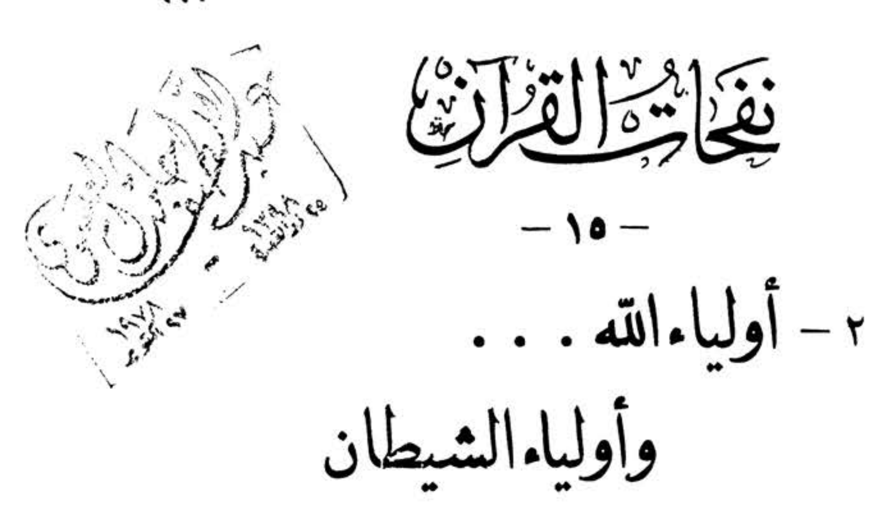
إن تطور هذه المعارف وتتبعها بدراسة حياة رجالها من خير ما تتجه إليه همم شباب الأزهر ، ومتى شرعوا فى ذلك فسيجدون منه لذة ومتعة لا أعرف فى لذاذات الدنيا ومتعها ما يعدله أو يقرب منه . ويوم يرجعون بدراساتهم إلى ينابيعها الأولى ويحاولون أن تكون لها فى أنفسهم آثارها الخلقية كالآثار التى تركها الهدى المحمدى فى نفوس الصحابة رضى الله عنهم فكانوا علماء وفاتحين ، وحكاما وقضاة ومصلحين ، وكالآثار التى تركها علم شيوخ أسد بن الفرات فى نفس أسد بن الفرات فكان عالماً وقاضياً وقائد أساطيل وفاتح ممالك . يوم يجد الشباب الأزهرى اللذة والمتعة فى علم السلف ، وتكون لذلك العلم المبارك مثل هذه الآثار السامية فى نفوسهم ، فيومئذ تكون مصر وطناً إسلامياً حقا وتكون وطن السعادة والسيادة إن شاء الله ؟

محب الدين الخطيب

ذكريات التاريخ

الذكريات من التاريخ قد درست ... وطارف المجد موءود وتالده
يا آسىَ الجرح بادر ضمد سائله ... إذا تريثت لم تنجح ضمائده

خليل مردم



نفحات القرآن

— ١٥ —

٢ – أولياء الله . . .
وأولياء الشيطان

ا — الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور .
ب — والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات.

حدثناك عن الولاء بين الله وعباده المؤمنين ، وانتهينا بك إلى أن ما بين الله وعباده هؤلاء، وأن ما بين الناس من مودات بريئة ، وروابط تقتضيها منافعهم ، ولا تأباها شريعة الله : ذلك هو الجدير حقاً بأن يسمى ولاء صحيحاً يحمله اللفظ ، ويرتضيه الوجدان ، وهو ولاء تتجلى به الإنسانية المهذبة التى ينشدها الإسلام ، ويعمل على تنميتها بتعاليمه .

وأنت ذاكر ما وعدناك به من تمام الكلام على معنى الولاء بالنسبة لغير المؤمنين ، وإذ كان هؤلاء مجافين لدعوة الله ، ومستجيبين لدعوة الطاغوت ، فإن القرآن يقذف بهم بعيداً كما رضوا ، ويلقى بهم فى أحضان متبوعهم فيقول : (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) .

وما الطاغوت هذا ؟ ؟ أهو الشيطان وحده ؟ ؟ أم الشيطان وأعوانه من دعاة الضلال وقرناء السوء ؟ ؟ . كل أولئك طاغوت ، لطغيانهم عن الجادة المثلى . وفتنتهم لمن يستهوونه ويلمسون فيه الهوادة لشهواته ، فيزينون له ، حتى يركن إليهم ، فهو منهم ، وهم به أولى .

ثم تنفصل الآية من أتباع الطاغوت ، وتغفل رعايتهم ، ولا ترثى لشأنهم ، وتقول : (يخرجونهم من النور إلى الظلمات) وماذا يكون وراء متابعتهم للشيطان وأعوانه ؟ إنهم ليحيدون بهم عن الهدى ، ومواطن الرشد ، ويسيرون بهم إلى آخر الشوط فى ظلمات المآثم

والكبرياء، والجهالة ... لذلك تصارحهم الآية بالمآل الذى يستقبلهم ، وتقطع عليهم سبيل الرجاء الذى قد يتخيلونه ، فتقول : (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذا قول فصل فى قضية أولياء الطاغوت ، وأنت ترى أن جزاءهم اقترن بالحديث عنهم ، ولم يقترن جزاء المؤمنين بالحديث عنهم كذلك فيما سبق ، ولكن الجزاء الرهيب يؤتى به للإقناع بأن الله سبحانه لم يترك لهم معذرة من جهالة أو إيهام ، فهو يقتلع من نفوسهم جفوتها بالتخويف اللاذع والتبكيت الجارح ، ثم يدعهم واختيارهم (فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) أما جزاء المؤمنين فمستمد من فضله الواسع ، والتنصيص عليه يشعر بتحديده ، والله تعالى يعدهم بفضل غير محدود ، فهو يدع باب الأمل مفتوحا فى وجوههم إلى غير نهاية ، ويشعرنا بأن جزاءهم لا يحيط به الأسلوب الكلامى ، وحينما يذكر جزاءهم فى آية أخرى يذكره بصيغ فضفاضة ، لا تقف بالذهن عند حد من الأمل ... فمثلا يقول : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فهو ينفى عنهم الخوف والحزن إطلاقا وفى صيغة التأكيد .

فيثبت بذلك الأمان والسرور على وجه الإطلاق والتأكيد ، ولعل بصائرهم تستشف مباهج الأمل مما ينفح به الحديث القدسى (فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) فذلك وصف للجنة ، ومن أولى بها من أولياء الله الذين اكتنفهم رضوانه ؟؟

قلنا لك : إن لفظ الولاء لا يتسع لما بين الطاغوت وأوليائه إلا من قبيل المجانسة فى التعبير اللفظى ، أو من باب السخرية بهم ، وقلنا لك : إن منهج القرآن فى حديثه عن تلك المتابعة هو الذى يوجهنا تلك الوجهة ، ولك أن تنظر معنا إلى قوله تعالى : « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم » فكيف ينفى هنا أن للكافرين مولى ، بعد ما قرأنا فى أول موضوعنا : « والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت » أليس هذا - الآن - رفضا لاعتبار الطاغوت وليا كما تكون الولاية الحقة ؟؟ فعلاقتهم به إذاً : لا تسمى ولاية ، وإنما ربطوا أنفسهم بها ، فحسبت عليهم ولاية من باب السخرية بهم ، وإلزامهم بما التزموا . وانظر إلى قوله تعالى : « إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا

من أصحاب السعير » فهل يكون ولياً فى نظر القرآن وقد سماه لنا عدوا ؟ وهل يكون ولياً من يستدرج أتباعه إلى سعير جهنم ؟ .

وانظر كثيراً غير ذلك ... ثم انظر أخيراً إلى قول الشيطان نفسه : « فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين » فهو يقرر على نفسه ملعونا ، ويشهد الله ـ سبحانه ـ أن صلته بالناس صلة إغواء وتضليل ، ولم يسمها ولاء ، ولا موالاة ، ولا نحو ذلك .

ومجمل القول : أن الولاية على أوسع معانيها لا تكون إلا فيما يكفل نفعا ، أو يكشف ضراً ، وهى بهذا التفسير الحاصر جارية بين الله وعباده الخيرين ، وجارية بين الآخذين بهدى الله فى دينهم ودنياهم . وأن متابعة الشيطان ، ومودة أهل المآثم ، واتخاذ قرناء السوء ، تسمى غواية لا ولاية ... وفرق بين المنهجين .

وكل ذلك ما بين مسطور فى آيات الكتاب ، أو مطوى فى مثانيه .

ونفحات القرآن تكشف للألباب عن كثير من معانيه ، فإن يكن حقا ما وصلت إليه فلله الحمد والمنة . وإن يكن ظناً فهو ذو مغفرة مرجوة .

هذا ـ وقد عقب القرآن بعد الآيتين اللتين تحدثنا عنهما بذكر أمثلة ثلاثة يبين فيها فرق ما بين قرناء الشيطان ، وأولياء الرحمن :

المثل الأول : الذى حاج إبراهيم فى ربه .

« الثانى : الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها .

« الثالث : إبراهيم إذ قال رب أرنى كيف تحيي الموتى .

(ا) على عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان النمروذ بن كنعان ـ طاغية الفرس ـ صاحب جدل وخصومة مع الخليل ، وهو على ما يروى العلماء صاحب النار التى كانت برداً وسلاما عليه ، وقد أبطرته النعمة المسبغة عليه ، والتى بلغت مبلغها من الكمال حتى كانت ملكا ضخما تسنم عرشه ، وتقلد صولجانه .

فلما أريد له تكميل نعمته، وصيانتها بالإيمان، تولاه شيطانه، وفتنته نعمته، وغلبت عليه جهالته، فأنكر على إبراهيم أن يدعو إلى ربه، وقال له: من ربك؟؟ فقال إبراهيم: «ربي الذي يحيي ويميت»، وكأن إبراهيم تخير في جوابه هذا أمراً مشهوداً لا تتعلق به قدرة إنسان: وهو أمر الإحياء والإماتة.

ولكن نمروذ يزعم لنفسه مثل ذلك: أليس يأمر بقتل من يرى قتله، فيكون أماته بقدرته، ويعفو عمن استحق القتل فيكون أحياه بعفوه؟ هذا ما تخيله، وهيأ له أن يقول: (أنا أحيي وأميت) وتفكير كهذا، لا يطمع المرء في تقويم عوجه.

ولكن إبراهيم يؤيده ربه، فيصرفه عن هذا الجواب إلى جواب لا ترقى إليه مزاعم الطاغية، ويقول: (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب).

وهنا ينحسم الجدل، ويتعثر ذهن الطاغية عن محاولة أخرى، وكان محتملا أن يحاور ويقول لإبراهيم: اطلب أنت من ربك الذي تدعو إليه أن يأتينا بالشمس من المغرب.. ولو أنه قال ذلك لكان للموقف شأن آخر لا يدريه إلا الله العليم.

ولكن أولياء الشيطان في هزيمة، وكيدهم في ضلال، وقد شرد الله خاطر نمروذ عن مواصلة الجدل، وعراه الخزى (فبهت الذي كفر) وكيف لا يبهت وقد حصر عن الغلب وهو يدعى الربوبية، وما ادعاها طاغية قبله ممن كفروا وعارضوا رسلهم؟؟

ومع هذا الخزى لم يهتز قلبه لخشية من الله، ولا ردعته الهزيمة، ولا أفاد من إخفاقه عبرة، وما كان يرجى منه شيء من ذلك وهو مطبوع على اللجاج، مفتون بدنياه، ظالم لنفسه بالجحود الجاحد (والله لا يهدى القوم الظالمين).

فهذا واحد من أولياء الشيطان، أو هو واحد ممن يتولاهم الطاغوت، وقد أخرجه من نور الهداية، وسد عليه أبواب الرشاد فافترى، وخاب، وضل عن الصواب، ودخل في ظلمات، فلم يفكر، ولم ينطق، وأحاطت به خطيئته، فلم يكن على شيء مما ادعاه لنفسه، ونكس رأسه بعد شموخ، وحقت عليه لعنة الله مع طاغوته. وإبراهيم واحد ممن يتولاهم الله، ثبته ربه على الحق، وألهمه السداد، ولقنه الحجة على خصمه، فكان من شأنه ما رأيت. فأين من يتولاه الشيطان ممن يتولاه الرحمن؟؟

ذلك مثل من ثلاثة ذكرت فى هذه القصة ، وهو صورة من صور التبعية للشيطان أو قرناء السوء ، وفيه داعية العجب من إنسان يدعى إلى التوحيد ، فلا يكفيه أن ينأى عن الدعوة ، بل يتمرد عليها ، حتى ليطغى فوق طغيانه ، فيدعى أنه رب للناس وهو بالحمير أشبه .

والله — سبحانه — يثير العجب من شأنه فى نفس رسوله محمد ﷺ وفى نفس من يقرأ ذلك النبأ فيبدأ الكلام بقوله : (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه . . ؟ ؟)

وهذه صيغة فيها تعجب وتقرير ، وكأن مقصودها أن يصدق بهذا من لم يكن يعلمه ، وأن يتعجب من حصوله ، وبالتصديق والتعجب تثار العبرة ، وتتخذ العظة ، وتجتنب الفتنة بغواية الشيطان وما إليه من دواعى الغرور ، ولئن تكن قصة مظلمة بالنسبة لمن كان مثارها ، وهو نمروذ ، ففيها جانب تشع منه بوارق النفع لأولياء الله .

والله سبحانه يعظ أناسا بأناس ، وهذه سنته ، وتباركت حكمته ، والسعيد من وعظ بغيره ، ولنا عود إلى المثالين الباقيين إذا أذن الله ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

شاب يملك غضبه

غضب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يوما فاشتد غضبه ـ وكان فيه حدة ـ وعبد الملك ابنه حاضر . فلما سكن غضبه ، قال له ابنه :

— يا أمير المؤمنين ، فى قدر نعمة الله عندك وموضعك الذى وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده أن يبلغ بك الغضب ما أرى ؟

قال عمر : كيف قلت ؟

فأعاد عليه عبد الملك كلامه ، فقال له أبوه :

— أما تغضب أنت يا عبد الملك :

قال : ما يغنى عنى جوفى إن لم أرد الغضب فيه حتى لا يظهر منه شىء . . .



الجوار فى الاسلام

— ٢ —

عزة المجير فى الإسلام ـ تقدير الإسلام للإنسانية ـ سبيل الإسلام فى معاملة أعدائه ـ عنايته البالغة بأهل الذمة ـ الجزية على الذميين والزكاة على المسلمين ـ خليفة المسلمين يوصى بأهل الذمة وهو يودع الدنيا !

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ قال : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما » .

وعن عمر رضى الله عنه قال : « وأوصيه ـ يعنى الخليفة بعده ـ بذمة الله وذمة رسوله ﷺ : أن يوفى لهم ؛ وأن يقاتل من ورائهم ؛ ولا يكلفوا إلا طاقتهم » .

رواهما البخارى (*)

* * *

لم نكن مبالغين حين قلنا فى ختام الحديث الماضى : « لو نظر أعداء الإسلام نظرة تقدير وإنصاف إلى الجوار فى الإسلام ، لما ترددوا أن يستجيروا به ، ويلتجئوا إليه ، وهنالك يرون رأى العين أعز مانع للجار ، وحام للذمار » بل لا نكون مبالغين إذا قلنا : إنهم لو أنصفوا الإسلام ، أو أنصفوا أنفسهم لما ترددوا ساعة أن يهتدوا بهديه ، ويستقيموا

[*] الاول فى باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم ، من كتاب الجزية ، والثانى فى باب « يقاتل عن أهل الذمة ، ولا يسترقون » من كتاب الجهاد . وراح يريح ، وراح يراح ، وأراح يريح : إذا وجد رائحة الشيء ، والثلاثة قد روى بها الحديث ، كما فى النهاية لابن الاثير .

على طريقته ، وأن يقولوا كما قال الحواريون من قبل : ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » .

ذلك بأن الإسلام لم يعد الجوار فيه مجرد نافلة فاضلة ، أو فضيلة مكملة ، وإنما عد الجوار فيه عقدا محتوما يوجب احترامه ، وعهداً مسئولا يحتم الوفاء به . هذا إلى ما يضفيه الإسلام على المجير - وإن قل شأنه - من معانى الإعزاز والتكريم لأتباعه ، بما لا يوجد له نظير فى قانون دولى على وجه المعمورة ...

وأى عزة وعظمة ومنعة يشعر بها الجندى العادى من جنود الإسلام ، وهو يوقن أنه ذو حق فى أن يجير من استجار به ، ويحمى من التجأ إليه ؛ ويرى أن قانون الإسلام الحربى تكفل له بهذا الحق أحسن كفالة ، وضمنه له أحسن ضمان ؟

لا جرم أنه حينئذ يستعمل هذا الحق فى خير وجوهه وأدناها إلى المصلحة العامة ؛ ليكون دائما موضع ثقة الإسلام والمسلمين به . وكفى بهذا تقديراً للإنسانية فى منهاج الإسلام ، الذى جاء ناشرا للسلام ، ومتمما لمكارم الأخلاق [1] .

* * *

إن غير المسلمين فى منهاج الإسلام أصناف ثلاثة : محاربون ، ومعاهدون ، وذميون . وكل من هؤلاء ذاق - أو عرف - من حلاوة الجوار فى الإسلام ، ما كان كفيلا بأن يجذبه إليه ، لولا حوائل الكبر والبغى والحسد ، وغوائل العناد والعصبية والجحود .

فأما المحاربون فسبيله معهم أن يدفع كيدهم ، ويرد عدوانهم ، ويقاتلهم كما قاتلوا أهله ، حماية لدعوته ، ودفاعا عن حوزته ، ولذلك يشتد نكير الإسلام على من يقاتل من لا يد له فى القتال ولا رأى من النساء والصبيان ، والعجزة والرهبان ، فإن هؤلاء ومن إليهم فى حماية الإسلام ورعايته ، يتقيهم ويحميهم ما استطاع إلى الحماية سبيلا .

---

(١) بسط هذا المعنى السيد محب الدين الخطيب فى مجلته « الفتح » وهو يوازن بين كبرياء الجندى البريطانى للسلطنة ، وعزة المسلم المجاهد الحقة فى مقال عنوانه : جوار العروبة وذمة الاسلام . انظر العدد ٨٣٠ مفتتح العام السابع عشر .

وكذلك يجير الإسلام رسل العدو المحارب ، فلا يعرض لهم بسوء ولا أذى ، ولو جاءوا منذرين بالحرب ، مستهزئين بالإسلام ، فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : جاء ابن النوّاحة وابن أُثال ، رسولا مسيلمة إلى النبي ﷺ ، فقال لهما : أتشهدان أنى رسول الله ؟ قالا : نشهد أن مسيلمة رسول الله ، فقال ﷺ : آمنت بالله ورسوله ، لو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما . قال عبد الله : فمضت السنة على أن الرسل لا تقتل . وروى أحمد وأبو داود عن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ قال : « بعثتنى قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقع فى قلبي الإسلام ، فقلت يا رسول الله : لا أرجع إليهم ، قال : إنى لا أخيس العهد ، ولا أحبس البُرُد ، ولكن ارجع إليهم ، فإن كان فى قلبك الذى فيه الآن فارجع ، فرجع أبو رافع ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله علية وسلم فأسلم .

* * *

وفى إجارة الإسلام لرسل المحاربين وحمايتهم ، دعوة إلى هدايته ، ونشر لرسالته ، فى سياسة رشيدة ، وخطة حميدة ، وقد تردد بين النبي ﷺ وقريش جماعة من الرسل واحدا بعد واحد ، فرأوا من مكارم أخلاقه ومعاملته لأصحابه ما لم يروه عند كسرى ولا قيصر ، فأخبروا قومهم بذلك . وكان لهذا وأمثاله أعظم الآثار فى نشر الدعوة ودخول الناس فى دين الله أفواجا .

* * *

وأما المعاهدون فهم الذين أبرمت بينهم وبين المسلمين معاهدة وميثاق على السلم ، ومنهم المستأمنون الذين دخلوا فى جوار الإسلام بتأمين واحد من أهله ، على ما بينا فى الحديث السابق .

وسبيل الإسلام مع هؤلاء أن يوفى لهم بعهدهم كاملا غير منقوص ، وأن يستقيم لهم ما استقاموا للمسلمين .

ومن هؤلاء المستأمنين من يستجير بنا ليسمع كلام الله ويتعلم شرائع دينه ، حق علينا أن نؤمنه ليكون على بينة من الأمر ، ثم نحميه حتى يبلغ منزله الذى يأمن فيه ويسكن إليه ،

ائتمارا بأمر السلام المؤمن عز سلطانه « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ».

* * *

ومن عجيب أمر الإسلام فى الوفاء بالمعاهدات التى أضحت حبراً على ورق فى الدول الكبرى - أنه لا يبيح لنا أن ننصر إخواننا المسلمين الذين حرموا التمتع بسلطاننا ، على المعاهدين من الكفار ، وقد كان الرجل يفر بدينه مسلماً لائذا بالمسلمين فى عهد الحديبية ، فيرده النبى ﷺ إلى قومه الكافرين ويقول له : إن بيننا وبين القوم عهداً ، وإن الله جاعل لك فرجا ومخرجا ، وكانوا عاهدوا النبى ﷺ فيما عاهدوه ، أن يرد إليهم من جاء منهم إليه مسلماً ، على حين لا يردون إليه من جاء من المسلمين كافراً ...

وقد حمى الله المؤمنين أن يرتد أحد منهم عن دينه ، كما صدق رسوله فجعل لهم فرجا ومخرجا ، بتحلل المشركين أنفسهم واستغاثتهم من هذا الشرط ، لأنه كان عليهم وحدهم بلاء وشراً ...

* * *

وأما الذميون فهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وهم فى حقيقة الأمر معاهدون من طراز آخر ، لهم ذمة الله وذمة رسوله ، وعهد الله وعهد رسوله ، فى جوار الإسلام ورعايته ، لهم مالنا وعليهم ماعلينا ، نحميهم وندافع عنهم ، ونقاتل من يعتدى على دينهم أو أنفسهم وأموالهم ، ولا نكلفهم من الجزية التى أمر الله بها أن تؤخذ منهم ما لا طاقة لهم به ، فمن ضيع حقاً من حقوقهم هذه أو أعان على ضياعه ، فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله ، وانتهك حرمة الإسلام والمسلمين ! ومن قتل واحداً منهم كان جديراً بسخط الله ورسوله ، خليقاً بأن يتوعده الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه بما يتوعد به التارك لدينه ، فلا يدخل الجنة ولا يشم ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة أربعين عاما .

ومن المقرر فى قواعد الشريعة أن مرتكب المعصية المجمع على تحريمها مرتد عن دينه إن استحلها ، وإلا فهو آثم متخلف عن ركب الطائعين ، إلى رضوان الله تعالى « إلا من تاب وآمن وعمل صالحا ».

وليست الجزية التي فرضها الله تعالى على أهل ذمته إلا جزاء يسيرا ، لا يكاد يكافيء ما يلتزمه المسلمون من إعانتهم والدفاع عنهم والسهر على مصالحهم ، وهي أيسر من الزكاة التي فرضها الله على الموسرين من المسلمين ، وأمر نبيه صلوات الله وسلامه عليه أن يأخذها منهم ، لأن فريضة الزكاة عامة على كل موسر وإن كان طفلا أو امرأة ؛ وأما الجزية فلا تؤخذ - كما قال الماوردي في الأحكام السلطانية - إلا من الرجال الأحرار العقلاء ، مع أن حماية المسلمين شاملة لأهل الذمة جميعاً .

* * *

ومعاذ الله والإسلام أن تكون الجزية كالضرائب التي يفرضها الفاتحون والمستعمرون على من يتغلبون عليهم . بل تلك مغارم فادحة يثقلون بها كواهلهم ، ويمصون بها خيرات بلادهم ! وما نظن أهل الكتاب يجهلون هـــذا ، وكثير منهم يعرفون الكتاب كما يعرفون أبناءهم ، ولكنه تهاون المسلمين وانتهاكهم لحرمات الله ورسوله ، ثم تجرؤ الكتابيين عليهم واعتداؤهم ، جزاء وفاقا ! ومصداق هذا ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : كيف أنتم إذا لم تجتبوا ديناراً ولا درهما ؟ ! فقيل له وكيف ترى ذلك كائنا يا أباهريرة قال : إي والذي نفس أبي هريرة بيده ، عن قول الصادق المصدوق . قالوا : عمّ ذاك ؟ قال : تنتهك ذمة الله وذمة رسوله ﷺ ، فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة ، فيمنعون ما في أيديهم .

وما رواه أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ! فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوَهْن ! فقال قائل يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت ! !

* * *

وبعد ، فهل بلغ أهلَ الذمة عامة أن دولة الإســـلام وأئمة المسلمين ، عنوا بجوارهم والإحسان إليهم ، عناية لم تعرفها - ولن تعرفها - دولة أخرى على وجه البسيطة ولو كانت تدين بدينهم ؟ وهل بلغهم أن اليهود - وهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا - كانوا يعيشون

فى جوار الرسول ﷺ والمسلمين ، فى رغد من العيش آمنين مطمئنين ، حتى نقضوا عهدهم ، ونكثوا أيمانهم ، وخانوا الله ورسوله فى كل مرة ، ثم أخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ؟ وهل بلغهم أن خليفة المسلمين عمر رضى الله عنه الذى أجلى اليهود من جزيرة العرب إلى الشام تنفيذاً لوصية النبى ﷺ ، أوصى وشدد فى الوصية بإحسان الجوار لأهل الذمة والرفق بهم ، تنفيذاً لوصية النبى ﷺ كذلك ؟ ويبلغ من عنايته بهذه الوصية أن تكون منه فى سكرات موته ، وهو يودع هذه الدار ويقبل على الله والدار الآخرة !! وأن تكون فى سلك وصيته الجامعة للخليفة بعده ، بالمهاجرين الاولين ، وبالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان ! فى حديث رواه البخارى فى آخر كتاب الجنائز ، وبسطه فى مناقب عثمان رضى الله عنه !! [١] .

* * *

وأخيراً ، هل بلغ أقباط مصر أن الرسول الأكرم ﷺ خصهم من بين أهل الكتاب بوصية كريمة بالغة ، لأن لهم ذمة وصهرا ؟ ... ذلك ما نرجو أن نفصله بعض التفصيل فى الحديث القادم إن شاء الله ، ومن الله سبحانه العون والتوفيق ؟

طه محمد الساكت

وصية وتوجيه

قال النبى ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة :

« يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلتَ إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها . وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك » . أخرجه الخمسة

---

(١) واقتصر فى كتاب الجهاد على بعض الذى سقناه هنا لمناسبة الباب ، ولا مانع من اختصار الحديث بقدر المناسبة .

١ – زواج المسلم بالكتابية

٢ – وإسلام زوج الكتابية وغيرها

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف عضو جماعة كبار العلماء ومفتى مصر السابق ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر جولات علمية مشهودة . وقد تفضل فبعث إلى مجلة الأزهر ببحث فقهى ممتع فى زواج المسلم بالكتابية ، وفى إسلام زوج الكتابية وغيرها والآثار المترتبة عليه شرعاً .

وهاتان المسألتان قد يتخيل البعض أنهما من الفقه المطروق الشائع ، وأن البحث فيهما لن يأتى بجديد . ولكنهم إذا عرفوا أن الفقه الإسلامى على كثرة ما بذل فيه من جهود ما زال كالكنز الحافل باللآلىء التى تحتاج فى إبرازها إلى يد صناع ، وأن العباقرة من رجال الفقه هم الذين يستطيعون أن يبرزوا للناس تلك اللآلىء الغوالى .

إذا عرفوا ذلك فإنهم سيرون فى بحث فضيلة الأستاذ وما جمع فيه من آراء الفقهاء ، وما ذكر من أدلة لأصحاب تلك الآراء ، وما أبدى من توجيهات سديدة ، سيرون فى كل ذلك ما يشفى غلة المتعطشين للبحوث الشيقة وخاصة ما له أثر بارز فى الحياة الاجتماعية . وقد رأت المجلة أن تلفت حضرات قرائها ممن يعنيهم التزود العلمى إلى هذا البحث . (المجلة)

... ...

المسألة الأولى :

الكتابى فى إطلاق كثير من آيات القرآن : هو من كان من أهل التوراة والإنجيل وهم اليهود والنصارى كما ذكره أبو بكر الجصاص فى أحكام القرآن ، وابن قدامة الحنبلى فى كتابه - المغنى .

والمشرك من ليس من أهلهما من عبدة الأوثان وغيرها كمشركى العرب وأشباههم ، ويشهد بذلك قوله تعالى : « أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » . وقوله تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة »

وقوله تعالى « إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » الآية وقوله تعالى « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم » وقوله تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » الآية . وغير ذلك من الآيات التى فصل بها القرآن بين المشركين وأهل الكتاب بالعطف الذى يقتضى المغايرة لغة عند الإطلاق .

وقد وصف أهل الكتاب الذين حرفوا وبدلوا بالشرك فى قوله تعالى « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » وقوله تعالى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً ، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » .

فقد وصفوا بالشرك لأنهم أشركوا مع الله تعالى آلهة أخرى من عباده .

ومن هنا ذهب عبد الله بن عمر إلى أنهم مشركون ، ففيما أخرجه البخارى عن نافع عن ابن عمر ونقله أبو محمد بن حزم الظاهرى بالمحلى ، والعلامة الألوسى فى تفسيره ، أن ابن عمر كان إذا سئل عن نكاح الرجل المسلم النصرانية أو اليهودية : قال حرم الله تعالى المشركات على المسلمين ، ولا أعرف شيئاً من الإشراك أعظم من أن تقول المرأة : ربها عيسى ، أو عبد من عباد الله تعالى .

وقد اتفق جمهور الصحابة والتابعين والأئمة الاربعة وفقهاء مذاهبهم والظاهرية وجمهور الزيدية والإمامية على إباحة تزوج المسلم الكتابية .

قال أبو بكر الجصاص فى أحكام القرآن ص ٣٣٢ ج ١ : « روى عن جماعة من الصحابة والتابعين ، ومنهم الحسن البصرى وإبراهيم النخعى والشعبى ، إباحة نكاح الكتابيات ، وقد تزوج عثمان بنائلة بنت القرافصة الكلبية وهى نصرانية على نسائه ، وتزوج حذيفة يهودية ، وتزوج طلحة يهودية من أهل الشام ، ولا نعلم عن أحد من الصحابة والتابعين تحريم نكاحهن ، وروى عن عبد الله بن عمر أنه كره نكاح النساء الكتابيات ، وروى عنه أيضاً أن قوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » عام فى المشركات والكتابيات .

والظاهر أن مراده منهن اللائى يشركن مع الله آلهة أخرى من عباده .

وقال الجصاص تعليقا على الرواية الأولى : إنها لاتدل على تحريم نكاحهن ، فإن ماذكر

من الكراهة يدل على أنه ليس على وجه التحريم ، كما يكره تزوج نساء أهل الحرب من الكتابيات لا على جهة التحريم ، وقال تعليقا على الرواية الثانية عنه : إن الآية المذكورة خاصة بالمشركات دون الكتابيات ، كما يدل عليه عطف الكتابيين على المشركين فى كثير من الآيات ، وهو يدل على التغاير بينهما .

وقال فى الجزء الثانى من أحكام القرآن ص ٣٣٤ عند تفسير قوله تعالى « فى سورة المائدة » : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن » : إن المراد من المحصنات العفائف ، كما روى عن عمر والحسن والشعبي وإبراهيم والسدى . وروى عن مجاهد أنهن الحرائر ثم قال : إن نكاح الحرائر من الذميات لا خلاف فيه بين السلف وفقهاء الأمصار إلا شيئاً روى عن ابن عمر أنه كرهه ، وكان يجيب من يسأله عن حكمه بتلاوة آية التحريم فى البقرة وهى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » وتلاوة آية التحليل فى المائدة وهى : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » دون أن يذكر الحكم ، ودل ذلك على أنه كان متوقفا فيه لم يقطع فيه بدليل ثم قال : « واتفق جماعة من الصحابة على إباحة نكاح الكتابيات سوى ابن عمر ، ومنهم سعيد بن جبير وعمر وحذيفة وطلحة ، ورويت إباحته عن عامة التابعين ، وإذا سلم أن إطلاق آية التحريم يشمل الكتابيات فقد خص هذا العموم بآية المائدة ، وإن كان الظاهر أن لفظ المشركات فى الآية خاص بالوثنيات وآية المائدة لم تنسخ » .

ويخلص من هذا أن جمهور الصحابة والتابعين يرون حل زواج الكتابيات بناء على أن آية البقرة خاصة بالمشركات أى الوثنيات ، وآية المائدة خاصة بالكتابيات ، أو أن آية المائدة ناسخة أو مخصصة لآية البقرة على فرض عمومها ، وأن ابن عمر إما متوقف فى الحكم فلا يكون له رأى فى المسألة مقطوع به ، وإما أن رأيه الكراهة فقط دون التحريم ، وإما أن رأيه التحريم بناء على أنهن مشركات اعتقادا فيكن مثلهن فى الحكم الثابت بقوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » .

وقال ابن قدامة فى المغنى ص ٥٠٠ جزء ٧ « ليس بين أهل العلم اختلاف فى حل

حرائر نساء أهل الكتاب ، وممن روى عنه ذلك عمر وعثمان وطلحة وحذيفة بن اليمان وسلمان وجابر وغيرهم ، قال ابن المنذر : « ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك » .

وروى الخلال أن حذيفة وطلحة والجارود بن المعلى وأذينة السدى تزوجوا نساء من أهل الكتاب ، وبه قال سائر أهل العلم ، وحرمه الإمامية تمسكا بقوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ، وقوله تعالى « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » . ولنا قوله تعالى فى سورة المائدة « اليوم أحل لكم الطيبات الخ » ، وإجماع الصحابة على ذلك .

أما قوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات » ، فروى عن ابن عباس أنها نسخت بآية المائدة وكذلك ينبغى أن تكون آية « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » منسوخة بها أيضاً لأنهما متقدمتان ، وآية المائدة متأخرة عنهما نزولا ، وهى آخر ما نزل من القرآن .

وقال آخرون : إن هذا ليس نسخاً لأن لفظ المشركين لا يتناول بإطلاقه أهل الكتاب كما قال جمع من أهل العلم ، ومنهم ابن جبير وقتادة ، على أنه إذا كانت آية التحريم عامة فى كل من ليست مسلمة سواء أكانت مشركة أم كتابية ، فإن آية المائدة خاصة فى حل أهل الكتاب ، والخاص يجب تقديمه على العام ، نعم إن تزوج المسلم بالكتابية مكروه وغير حرام كما هو رأى عمر وعبد الله بن عمر فى إحدى الروايات عنده ا ه ملخصا .

وفى القرطبى ص ٦٧ ج ٣ « عن ابن عباس أن الله تعالى حرم نكاح المشركات فى سورة البقرة ثم نسخ من هذه الجملة نساء أهل الكتاب فأحلهن فى سورة المائدة وبه قال مالك وسفيان بن سعيد الثورى والأوزاعى » .

« وهذا بناء على أن لفظ المشركات يشمل الكتابيات ، ولذلك عدت آية المائدة ناسخة » وقال قتادة وسعيد بن جبير : إن لفظ المشركات عام فى كل كافرة ، والمراد الخصوص وقد بينته آية المائدة ، ولم يتناول العموم قط الكتابيات وهو أحد قولى الشافعى .

وقال إسحاق : ذهب قوم إلى أن آية البقرة هى الناسخة ، وآية المائدة هى المنسوخة ، وحجتهم فى ذلك رواية ابن عمر .

قال النحاس : وهذا قول خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة ، فقد قال بالحل جماعة من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار ، وأيضاً يمتنع أن تكون آية البقرة

هي الناسخة لأن البقرة من أول مانزل بالمدينة ، والمائدة من آخر ما نزل بها ، وإنما الآخر ينسخ الأول .

وأما حديث ابن عمر فلا حجة فيه لأنه كان متوقفا ولم يبلغه النسخ ولم يذكر عنه ذكر الفسخ وإنما تؤول عليه ولا يؤخذ الناسخ والمنسوخ بالتأويل ، ثم ذكر رواية أخرى عن ابن عباس ، وهي أن آية البقرة عامة فتكون ناسخة لآية المائدة ، وهو ناظر في ذلك إلى قول ابن عمر ، وعقب على ذلك بقوله : « ولا يصح عن أحد من الأوائل القول بالتحريم » اهـ .

ويلخص من ذلك أن الإجماع منعقد على حل تزوجهن ولم يخالف فيه من الفرق سوى الإمامية تمسكا بالآيتين المذكورتين ، وهما منسوختان بآية المائدة ، إذا شملتا الكتابيات أو خاصتان بالمشركات دون الكتابيات .

وسيأتي الكلام عليهما وأن حديث ابن عمر لا حجة فيه بل لم يصح عند أحد من الأوائل القول بالتحريم .

وهذا الذي ذكره الجصاص وابن قدامة والقرطبي ، هو المذكور في كافة كتب المذاهب الأربعة .

رأي الظاهرية :

قال ابن حزم في المحلى ص ٤٤٥ حـ ٩ وهو لسان الظاهرية بجواز زواج المسلم الكتابية وهي اليهودية والنصرانية .

وروى عن ابن عمر تحريم نكاح نساء أهل الكتاب جملة ، واستدل لذلك بما رواه نافع عن ابن عمر وقد سئل عن نكاح اليهودية والنصرانية ، فقال : إن الله تعالى حرم المشركات على المؤمنين ، ولا أعلم من الإشراك أكثر من أن تقول المرأة : ربها عيسى أو عبد من عباد الله عز وجل .

وأباح أبو حنيفة ومالك والشافعي نكاح اليهودية والنصرانية ، واستدل على التحليل بأن هناك آيتين في القرآن : آية التحريم وآية المائدة في التحليل . والواجب الطاعة لكليهما وأن لا نترك إحداهما للأخرى ، ولا سبيل إلى الطاعة لهما إلا بأن يستثنى الأقل من الأكثر فوجب استثناء إباحة المحصنات من أهل الكتاب بالزواج من جملة تحريم المشركات ، ويبقى سائر ذلك على التحريم بالآية الأخرى . اهـ ملخصا .

حسنين محمد مخلوف

للبحث بقية

رمضان هجرة الى الله

صوم رمضان عبادة غريبة بين العبادات ، فهى على ما بها من صبر وألم ، وحبس وحرمان ، محببة إلى نفوس المؤمنين ، يفرحون بقدومها ، ويحتفلون للقائها ، إلا أنها فرحة مقرونة بحذر ، واحتفال مقرون بجلال ووقار ، خشية ألا يحالفهم التوفيق فيما يليق بها .

يفرح برمضان الكبير والصغير ويوقره ويهابه التقى والفاجر وكم من فاجر تاب بين يدى رمضان وعزم فيه على العودة إلى الله والإنابة إليه ، فكان مبعث خيره وسعادته ، وكم من تقى انتهز فرصته لمضاعفة الثواب فيه ، فأكثر من أعمال البر فسمت نفسه ، وانبسطت بالعطاء يده ، فنال من خيره البائس والمحروم ، والقريب والبعيد ، وفى رمضان يكف المسلم أذاه عن غيره توقيراً لحرمته ، وإجلالا لمقامه ، ويقبل على تلاوة القرآن ما واتت الفرصة وأمكن الفراغ ، فهو بين صيام النهار وقيام الليل ، والثواب وراء ذلك على قدر النية والإخلاص ، وكل عبادة قدر الله فيها الثواب إلا صوم رمضان ؛ فقد وكل قدر الثواب فيها إلى نفسه ، وهو الوهاب الكريم الذى لاتنفد خزائنه ولا تغيض بحار فضله .

ورمضان ميزان للإيمان وامتحان للعزائم ، أما المؤمن قوى الإيمان صادق العزم فيقبل على الامتحان فى ثقة واطمئنان ، ويجوزه بنجاح ، ويفوز فيه بثواب الله ورضوانه . قال العلامة ابن رجب : « وكثير من المؤمنين لو ضرب على أن يفطر فى شهر رمضان لغير عذر لم يفعل ، لعلمه بكراهة الله لفطره فى هذا الشهر ، وهذا من علامات الإيمان أن يكره ما يلائمه من شهواته ، إذا علم أن الله يكرهه ، فتصير لذته فيما يرضى مولاه ، وإن كان مخالفا لهواه ، ويكون ألمه فيما يكرهه مولاه وإن كان موافقا لهواه » أما ضعيف الإيمان ذو العزيمة الرخوة والإرادة الخائرة ، فإنه يقبل على رمضان حائرا يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، يتنازعه إيمانه وشيطانه ، وتصطرع فى نفسه شهوته وإرادته ، فهو فى كل يوم من رمضان فى معركة وجهاد . ولانتصار الصائم فى كل يوم بتمام صيامه فرحة لايقدرها إلا الصائم ، ولانتصاره بصيام الشهر كله فرحة كاملة ، وفى الحديث « للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » ، ولأن الصوم جهاد وامتحان ومصارعة بين الهوى والإرادة ، يتنافس الصبيان

فى صيامه ، ويتواصون على أدائه ، وما أشد فرحة الصبى بصوم يوم من أيامه ، فهو شهادة بانتصاره ، ودلالة على عزمه وإرادته .

وللمشقة فى صيام رمضان جعل الثواب عليه كثيراً ، وأجر العمل فيه مضاعفا . فعن سلمان الفارسى رضى الله عنه « من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه » وعن أنس رضى الله عنه « سئل النبى ﷺ : أى الصدقة أفضل ؟ قال : صدقة فى رمضان » وعن النبى ﷺ فى الصحيحين « عمرة فى رمضان تعدل بحجة — أوقال حجة — معى » .

والصوم عبادة تهذيبية تكفكف من حيوانية الإنسان ، وترقق من نفسه الشهوانية ، وتجذبه شيئاً فشيئاً إلى الروحانية الخالصة ، وتقربه رويداً رويداً إلى الملأ الأعلى ، ملأ الملائكة المقربين ، فيأنس بهم ، ويلوذ بكنفهم ، وكل يوم ينقضى منه بإخلاص فهو مرحلة إليهم ، حتى إذا كاد ينقضى رمضان تهيأ لمخالطتهم ومؤانستهم . لذلك كان من تمام حكمة الشارع أن يشرع الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان بالمساجد ، لينقطع بكليته عن الخلق ، ويجمع أمره كله للخالق . يسعد بمناجاته ، ويتلذذ بقربه ، ويضع بين يديه حاله ، ويتفرغ إليه فى ذلة وإخبات أن يتجاوز عما أسلف ويغفر له ماقدم . فالمعتكف حبس نفسه على طاعة الله وذكره ، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه ، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه ، فما بقى له هم سوى الله وما يرضيه عنه .

فمعنى الاعتكاف وحقيقته قطع العلائق عن الخلائق ، للاتصال بخدمة الخالق ، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله بالكلية .

والصوم عبادة يقبل عليها المؤمن بنفس راضية مطمئنة ، واثقة بما فيها من الخير ، وما وعد الله عليها من الثواب ، ويحاول ضعيف الإيمان أن يتعرف فيها وجه المصلحة وسر التشريع ، وقد تكلم علماء الدين والنفس والطب فى ذلك كثيراً ، ويعجبنى فى تلخيص سر التشريع قول ابن رجب الحنبلى « وفى التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد : منها كسر النفس : فإن الشبع والرى ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة . ومنها تخلى القلب للفكر والذكر ، فإن تناول هذه الشهوات يدنس القلب ويعميه ، ويحول بين العبد وبين الذكر والفكر ويستدعى الغفلة . وخلو الباطن من الطعام والشراب ، ينور

القلب ، ويوجب رقته ، ويزيل قسوته ، ويخليه للذكر والفكر ، ومنها أن الغنى يعرف قدر نعمة الله بإقداره له على ما منعه كثيراً من الفقراء من فضول الطعام والشراب والوقاع ، فإنه بامتناعه من ذلك فى وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع ذلك على الإطلاق ، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى ، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك » .

ومع كثرة مايذكره العلماء والأطباء فى سر الصوم ووضوح حكمة تشريعه ، نرى كثيرا من المسلمين يضيقون به ويفرطون فيه بشتى الأعذار ، تبريراً لتفريطهم ، واعتذاراً عن خيبتهم ويقولون : إنه عذاب ، وإن صوم رمضان فوق الطاقة « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » فما امتحن الله عباده بما يخرج عن طاقتهم ، وهو وحده العالم بمصالح عباده ومقدوراتهم ، وقد جعل لغير المطيق رخصة الفطر حتى يطيق « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وما رمضان فى الحقيقة إلا (رجيم) خاص فى شهر من السنة يدور فى فصولها فيقع أحيانا فى الشتاء لا يكاد يحس الصائم فيه بشىء من القسوة ، ويقع فى القيظ فيحس الصائم بشىء من عناء يخف بتكرار أيامه فيكون (رجيما) محتملا كما يحتمل غيره ، وكم من أنواع الرياضات القاسية يحتملها هؤلاء المفرطون لغاية جسمية أو مادية ، وبدافع من الدوافع التافهة السخيفة ، كمجاراة أهل التدين الزائف فى تنحيف القوام ، أو الفوز بجائزة ، أو الحصول على شهرة ، ليقال فلان بطل فى الجرى أو القفز أو السباحة أو غير ذلك ، وإنهم ليتعرضون لأخطار قد تودى بأرواحهم ، ومع ذلك يقبلون عليها بطيب نفس وفى ثقة واطمئنان ، وإذا قيل لهم صوموا رمضان تثاقلوا وتخاذلوا ، وإذا قيل لهم (آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) .

وقد قيل من زمن قريب : إن بعض السيدات أضربن عن الطعام وهددن بمواصلة الصيام حتى يمتن أو تجاب مطالبهن السياسية ، وإذا قيل لهن ولأمثالهن : صمن رمضان ، قلن : إنه عذاب ، وإنه مذهبة للبهاء والجمال ، ولقد صدق الله إذ يقول (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) .

هذا وإن من واجب المسلمين أن ينتهزوا فرصة رغبة الأطفال فى الصيام ، وتهافتهم عليه فيغرسوا فى نفوسهم حبه ، ويشجعوهم على صيامه ، والعادة عون على العبادة ، فإذا

شبوا على حبه شابوا عليه وهان عليهم أداؤه ، وكثير من الناس يحرصون على صوم رمضان لأنهم اعتادوا صيامه ، ويهملون فى غيره من عبادات دونه فى الكلفة والمشقة ، وما ذاك إلا لسلطان العادة .

وللصوم آداب لا يتم ثواب الصائم إلا بها ، وقد لخصها جابر رضى الله عنه بقوله « إذا صمت ، فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء » .

وما أحسن ما قيل :

إذا لم يكن فى السمع منى تصاون ... وفى بصرى غض وفى منطق صمت
فحظى إذا من صومى الجوع والظما ... فإن قلت إنى صمت يومى فما صمت

أبو الوفا المراغى

عزمة من عزائم الصديق الأكبر

لما أشار بعض الصحابة على الصديق الأكبر بترك الجهاد ، ارتقى أعواد منبر رسول الله ﷺ وخطبهم فقال :

أيها الناس ، أإن كثر أعداؤكم ، وقل عددكم ، ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟ والله ليظهرنّ الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون . قوله الحق ، ووعده الصدق « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون » ، « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين » .

أيها الناس ، لو أفردت من جمعكم لجاهدتهم فى الله حق جهاده ، حتى أبلغ نفسى عذراً أو أقتل مقتلا . والله أيها الناس ، لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لجاهدتهم عليه ، واستعنت بالله خير معين .

مسكين

هذا شاعر أموى شريف من سادات قومه بنى دارم ، عمر إلى أواخر الدور الثانى من العصر الأموى ، وهو شاعر لا تكثر الرواية عنه ، على أنه من الفحول قل أن تجد فى شعره سفسافا أو مرذولا ، وكيف يكون ذلك وهو من النابتين فى بحبوحة العروبة فى بطون بنى تميم ، وقد ألهب بنو أمية جذوة الشعر وفتحوا اللها باللها ، وأندوا أصوات الشعراء ، بما يبذلون من جزيل العطاء .

ولم يكن أول أمره مسكيناً كما شهر ، وإنما هو ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عُدُس بن دارم .

ولكنه قال :

أنا مسكين لمن أنكرنى ولمن يعرفنى جد نطق (١)
لا أبيع الناس عرضى إننى لو أبيع الناس عرضى لنفق

فسمى مسكيناً ، وكأنه مل هذا اللقب من بعد فصار يسلى نفسه ويقول :

سميت مسكيناً وكانت لجاجة وإنى لمسكين إلى الله راغب

ويثبت خلاف ما تتطلبه المسكنة من الخمول فيقول : إنه وإن سمى مسكيناً معروف فى الناس ذائع ، وإن الأسماء علامات ترتفع بأصحابها فيقول :

إن أدع مسكيناً فلست بمنكر وهل تنكرن الشمس ذر شعاعها (٢)
لعمرك ما الأسماء إلا علامة منار ، ومن خير المنار ارتفاعها

وكان مسكين ممن قضت عليهم مناحى السياسة ، ودواعى الاقتصاد ، وحب الحياة أن يكون من المتعصبين لبنى أمية ، يدافعون عن دولتها ولا سيما فى عهد معاوية . وقد كان خلفاء هذه الدولة وعلى رأسهم هذا الخليفة قد اشتروا ألسنة الشعراء فأحدثوا معنى من التكسب

(١) نطق كثير النطق .
(٢) فى القاموس أن ذر بمعنى طلع .

بالشعر ، والتكسب به ، عملا على تحقيق الأهداف السياسية كما هى سنة هذا الوجود فى الملوك والأمراء والسادة والرؤساء .

كانت ألسنة الشعراء هى العامل الأول إذ ذاك فى توطيد الملك ، فهى أسرع انتشاراً وأعمق أثراً وأطول رواية وأكثر تعميراً من الجرائد السيارة .

وقد وقف مسكين هذا نفسه موقفا أغر فى التاريخ لولاه ما استقر الملك لآل أبى سفيان ولا نقل من معاوية الزعيم الخطير إلى ابنه بعده .

لقد كان هذا الانتقال ينكره علية القوم حتى من أصحاب الخليفة معاوية وندمائه وجلسائه وكبار رجال الدولة [1] وإن شيئا ينكره هؤلاء يقل الأمل فيه ، لذلك احتال يزيد حتى عمل مسكين قصيدة ، وأنشدها أمام الخاصة من وجوه بنى أمية فى مجلس معاوية يحتج فيها بالمقدمات الشعرية ، ويورطهم بقضاء الشعر الذى لا مرد له ، وهكذا الشعر فى هؤلاء الناس .

يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة   ويقضى بما يقضى به وهو ظالم

احتج مسكين بمقدماته الشعرية التى تقول : إن الخلافة لله يبوئها حيث يريد ، ثم ينتقل من هذا إلى أن المنبر إذا خلاه ربه فإن الأمير يزيد ، ويقرر ذلك بأنه على الطائر الميمون والجد صاعد ولكل أناس جدود . ويهنىء الخليفة قبل أن يكون خليفة ، ثم يدعو له بتخليد بيت الملك فوقه تشيد له أطناب وعمد . وتوقد فى كنفه النيران للقرى ، وعلى قدور كالجوابى تحتها أثاف ركود ... وسكت الناس فاطمأن معاوية ومضى .

قال أبو الفرج الاصفهانى [2] : كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكينا الدارمى ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه ، فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك وخاف أن لا يمالئه عليه الناس ، لحسن البقية فيهم ، وكثرة من ترشح للخلافة ، وبلغه فى ذلك ذرو كلام [3] كرهه من سعيد

---

(١) المجلة — وسبب ذلك أن الذين كانوا يرشحون أنفسهم من شباب قريش الخلافة بعد معاوية كثيرون جداً ، ومنهم سعيد بن عثمان بن عفان ، ومن هم دون سعيد ، وكان حتى لبنى أمية هوى فى هذا أو ذاك ، ولو لم يحسم معاوية هذا الأمر بمن يرى أن العصبية فى جانبه أقوى لاستشرت الفتنة بعده . ومثل ابن خلدون أبصر بهذه المواقف ممن لا بصيرة له فى سياسة الأمم ومصالحها .

(٢) الاغانى ١٨ ص ٧١ .   (٣) طرف منه .

ابن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر ، فأمر يزيد مسكينا أن يقول أبياتا وينشدها معاوية فى مجلسه إذا كان حافلا بوجوه بنى أمية ... ودخل مسكين والخليفة جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشراف الناس فى مجلسه فمثل بين يديه وأنشأ يقول :

إن أدع مسكينا فإنى ابن معشر   من الناس أحمى عنهم وأذود
إليك أمير المؤمنين رحلتها   تثير القطا ليلا وهن هجود
وهاجرة ظلت كأن ظباءها   إذا ما اتقتها بالقرون سجود

* * *

ألا ليت شعرى ما يقول ابن عامر   ومروان أم ماذا يقول سعيد
بنى خلفاء الله مهلا فإنما   يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربى خلاه ربه   فإن أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد   لكل أناس طائر وجدود
فلا زلت أعلى الناس كعبا ولا تزل   وفود تساميها إليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عاليا   تشيد أطناب له وعمود
قدور ابن حرب كالجوابى وتحتها   أثاف كأمثال الرئال ركود (١)

وعند ذلك قال معاوية (ننظر فيما تقول يا مسكين ، ونستخير الله) ولم يتكلم أحد من بنى أمية إلا بالإقرار والموافقة ، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته . وإن جديراً بمن وهب ملكا سائغاً فى الخلق غير منغص ، أن يحكم فيما يريد وأن لا يغلى له شىء فى المملكة .

هذا موقف من الشعر السياسى لمسكين وضعه حيث ترى .

على أن معاوية كان قبل هذا الموقف لا يحفل به ، ولا يقدره قدره ، إلا أن يكون يزيد هو الذى يشفع له ، وكأنما كان فى يزيد إحساس باطن أو اعتقاد كامن بأن مسكينا يترشح لهذا الموقف .

---

(١) الاثافى جمع أثفية وهى الحجر توضع عليه القدر والرئال كواكب .. قاموس .

وتحدثوا جميعاً أن مسكينا قدم على معاوية يطلب عطاء مما كان يهب معاوية للمؤلفة قلوبهم عنده ، فأبى عليه ، وكان أول أمره لا يفرض إلا لليمن ، فخرج مسكين وهو يقول : حنقاً لمعاوية يطوى معنى التهديد للخليفة مع التسلية لنفسه :

أخاك أخاك إن من لا أخا له   كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه   وهل ينهض البازى بغير جناح
وما طالب الحاجات إلا مغرر   وهل نال شيئاً طالب كجناح

على أن معاوية لم يعطف عليه إلا بعد حين .

ويظهر أن ذلك المعنى السياسى — مع ما كان من تهارش بين الشعراء وتنافس على الحظوة فى ميدان المجادة — كان له أثره فى الباب الذى يسمى التهاجى بين الشعراء . فقد بثه فى الشعر فى ذلك العهد مع نقص الوازع الدينى وإحياء ما أمات الإسلام من الجاهلية الاولى ، وكثرت المخاصمات بين الشعراء : كجرير والفرزدق ، والأخطل والبعيث ، ومسكين شاعرنا الذى منى بالتهاجى بينه وبين الفرزدق . وقد علم القارىء الكريم أن الفرزدق شاعر أموى كريم النفس ، لا يبالى أن لا يصيب مرضاة هؤلاء الخلفاء اعتزازاً بمجد قومه ، واعتداداً بعزة ربه ، غفر الله له ، لهذا كان يتعصب لآل البيت العلوى ، ويفخم شأنهم فى أحرج المواقف ، وأمام الخلفاء الامويين أنفسهم ، على أنه كان من علو النفس بحيث يقول فى مجلس سليمان الخليفة وقد تنافس الشعراء فى مدح الامير ، يقول الفرزدق مفتخراً بأبيه :

وركب كأن الريح تطلب عندهم   لها ترة من جذبها بالعصائب
إذا أبصروا ناراً يقولون ليتها   وقد خصرت أيديهم نار غالب

وكان مسكين غير ذلك ودون ذلك ، فوقع بينهما ما كان بين شعراء ذلك العصر وكان بينهما شعر يجمع بين الهجاء والفخر شأن ذلك النوع من الشعر ، وكانت نهاية ذلك يوم مات زياد بن أبيه وكان محسناً جداً إلى مسكين ومسيئاً جداً إلى الفرزدق إلى حد أنه ما زال هارباً يتنقل بين مكة والمدينة حتى مات زياد فقرت بلابله ، وكان سبب ذلك أن الفرزدق

هجا بنى فقيم فأرفث فيهم ، فاستعدوا عليه زياداً وهو على العراق ، فلما مات زياد رثاه مسكين بشعر يقول فيه :

رأيت زيادة الإسـلام ولت جهاراً حين ودعنا زياد

فعارضه الفرزدق فقال :

أمسكين أبكى الله عينك إنما جرى فى ضلال دمعها فتحدرا
بكيت على علج بميسان كافر ككسرى على عداته أو كقيصرا
أقول له لما أتانى نعيه به لا بظبى بالصريمة أعفرا

فقال مسكين يجيبه :

ألا أيها المرء الذى لست قاعدا ولا قائما فى القوم إلا انبرى ليا
فجئنى بعم مثل عمى أو أب كمثل أبى أو خال صدق كخاليا
كعمرو بن عمرو أو زرارة فى الندى أو البسر من كل فرعت الروابيا

فأمسك عنه الفرزدق :

ولعل أبيات مسكين هذه لا تقل فى إحكام نسجها ، وقوة أسلوبها ، عن أبيات الفرزدق إلا أنها لا تقاومها فى معنى الهجاء ، ولعلها أقرب إلى الاستعطاف ، ولهـذا أحجم عنه الفرزدق إبقاء على القرابة ، فكلاهما دارمى يجتمعان فى دارم الجد السادس لكل منهما ، وقد مشت الشيوخ بينهما فأحسنوا إلى كل منهما لأنه حفظ للعرض، وعدم تمكين لمثل جرير فى الفرزدق ، ولا مثل عبد الرحمن بن أبى بكر فى مسكين ، وهذا إجمال لا يتسع المجال اليوم لأكثر منه .

على أن لمسكين أشعارا فى أغراض أخرى كالحكم والفخر والشباب والشيب متفرقة فى الأغانى ، ومعجم الأدباء ، وأخبار الشعراء ، وحماسة البحترى ، فليطلبها القارىء الكريم من مظانها إذا شاء . ولكننى لا أختم المجال حتى أعرض عليك أبياتا له فى الغيرة . قال أبو عبيدة : إنها أشعر ما قيل فيها :

ألا أيها الغائر المستشيـ ط فيما تغار إذا لم تغر

فما خير عرس إذا خفتها ... وما خير عرس إذا لم تزر
تغار على الناس أن ينظروا ... وهل يفتن الصالحات النظر
وإنى سأخلى لها بيتها ... فتحفظ لى نفسها أو تذر
إذا الله لم يعطنى حبها ... فلن يعطى الحب سوط ممر

وبعض أبيات له فى الحكم أحب أن يعرفها القارئ الكريم :

ولست إذا ما سرنى الدهر ضاحكا ... ولا خاشعا ما عشت من حادث الدهر
ولا جاعلا عرضى لمالى وقاية ... ولكن أقى عرضى فيحرزه وفرى
أعف لدى عسرى وأبدى تجملا ... ولا خير فيمن لا يعف لدى العسر
وإنى لأستحيى إذا كنت معسرا ... صديقى وإخوانى بأن يعلموا فقرى
وأقطع إخوانى وما حال عهدهم ... حياء وإعراضا وما بى من كبر
ومن يفتقر يعلم مكان صديقه ... ومن يحى لا يعدم بلاء من الدهر

وكتب الله لى ولك السلامة من المكروه .

محمود النواوى

(حكم)

* أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك .
* إذا قام جناة الشر فاقعد .
* التجربة علم ، والأدب عون .
* الجاهل صغير وإن كان شيخا .
* من أعجب برأيه ضل .
* إذا لم تشغل النفس بما يصلحها ، شغلتك بما يفسدك .



الازهر والصحافة

استجاب الأستاذ محمد زكى عبد القادر لرغبة الطلاب بكلية اللغة العربية ، فألقى فيهم محاضرة بهذا العنوان . وقد حفزنى هذا الموقف أن أعود إلى صدر هذه النهضة لأكشف القناع عن فضل الأزهر على الصحافة ، وهى من أقوى دعائم الأدب ، وأروع مظاهر الوطنية إذ ذاك .

والحق أن المتتبع لهذه الحقبة من التاريخ يجد أن الصحافة منذ قيام النهضة فى العصر الحديث استمدت من الأزهريين العون ، بل وجدت بهم وحدهم الحياة ، فكانوا أعوانها الأقوياء ، وأعضادها النافعين ، وأقلامها البليغة ، وأفكارها الناهضة . أمدوها ببحوث العلم ، وروائع الفكر ، وطرائف الأدب ، واتخذوا منها منبرا اعتلاه الأدباء والشعراء وقادة المفكرين ، وصفوة الموجهين ، وما كان هؤلاء إلا من أفذاذ الأزهريين وأعلامهم .

نعم لقيت الصحافة من الأزهريين منذ استهل العصر الحديث أبلغ عون ، فهم الذين شقوا طريقها ، وآزروها فى رسالتها اجتماعياً وسياسياً وعلميا وأدبيا .

الوقائع المصرية وموقف الأزهر منها :

كانت الوقائع أول نشأتها نشرة تضم طرفا من الأخبار المحلية ، وتوزع على فريق من الموظفين ، وتحرر بالتركية والعربية ، وقد كان أول من ساعد على صوغ الأخبار صياغة عربية صحيحة الأزهرى « السيد شهاب الدين محمد بن إسماعيل الخشاب » الذى عين بعد ذلك مصححا أول لمطبوعات بولاق ، سنة (١٢٥٢ هـ ١٨٣٦ م) وبقى فى خدمة الوقائع والمطبعة إلى (سنة ١٢٦٥هـ ١٨٤٩ م) حيث انقطع عن العمل الرسمى ، ومضى يؤلف شعراً وأهازيج ومواليشا تغنى [1] .

---

(١) الآداب العربية فى القرن التاسع عشر تأليف لويس شيخو جـ ١ ص ٨٤ .

وممن كان له ضلع فى تحرير الوقائع العربية فى ذلك الوقت أحـد علماء الأزهر وأدبائه الشيخ عبد الرحمن الصفتى [١] .

تولى الخشاب والصفتى وجمهرة من أدباء الأزهر النهوض بتحرير الوقائع العربيـة ، وبذلوا فى العناية بها جهدا كان من أثره أن ارتقى أسلوبها ، واتسع أفقها ، فلم تقتصر على نشر الأخبار الرسمية ، بل كانت تصور أحيانا حياة الشعب ، ونواحى الخـير والشرفيه ، وتعرض لبعض الحوادث بأسلوب يرتفع عن أسلوب الأخبار بلغة عربية فصيحة ، إلا أن فيه شيئا من السجع ، وبدت فيها إذ ذاك محاولة لإنشاء المقالة أو أدب المقالة .

وفى أوائل ذى القعـدة سنة ١٢٥٧ هـ (ديسمبر ١٨٤١ م) اتجهت رغبة ولى الأمر إلى إصلاح الوقائع وتبسيط أفقها ، فعهدت إلى الأزهرى النابه « رفاعة رافع » بترجمة بعض المواد المحدثة التى تلائم قراء الوقائع ، وإدخال بعض القطع الأدبية ، وتهذيب الجـريدة وترتيبها بصفة عامة ، . ويشير « السيد صالح مجـدى بك » أحد تلاميذ رفاعة إلى أن نظـارة الوقائع أحيلت إلى رفاعة فى سنة ١٢٥١هـ (١٨٣٥ م) وبقى مشرفا عليها حتى سنة ١٢٦٧ هـ (سنة ١٨٥٠) [٢] .

ولمـا آل إلى رفاعة الإشراف على الوقائع ، ومكن له من رعايتها ، جعل اللغة العربية فى مكان الصـدارة بدلا من التركية فى صفحات الصحيفه الاربع ، واحتفل بها ، وبذل لها الجهد الكريم ، واستعان بطـائفة من المحررين المـاهرين من أمثال أحمد فارس الشدياق والسيد شهاب الدين .

وحملت الوقائع فى المقالة الرئيسية فى العدد (٦٢٣) جديدا لم يعهد فى الوقائع ، كانت هذه المقالة بعنوان « تمهيد » ، وقد تحدثت عن السياسة والسياسيين ، وعن نظم الحـكم الشورى والفردى ، وعن الوليد بن عبدالملك وعمر بن عبد العزيز ، ثم برت الوقائع بعهدها ، فخصصت فى صفحاتها سطورا لنشر ماله علاقة بالأدب [٣] .

---

(١) الوقائع المصرية بتاريخ [٤ رجب ١٢٨٢ هـ ٢٥ من نوفبر ١٨٦٥] من مقـال للاستاذ أحمد خيرى بك .

(٢) حلية الزمن فى مناقب خادم الوطن .

(٣) تاريخ الوقائع المصرية للاستاذ ابراهيم عبده ص ١٠٦

وجاء فى العدد التالى قصيدة من شعر الشيخ محمد شهاب الدين قالها بمناسبة تولية الشيخ محمد الحبيشى منصب « مفتى السادة المالكية » وهو أول شعر ينشر فى الوقائع .

وحينما ظهرت الوقائع فى صورتين إحداهما بالعربية والأخرى بالتركية كان يتولى تحرير العربية الشيخ ابراهيم بن عبد الغفار الدسوقى أحد علماء الأزهر وأدبائه .

وفى عهد الخديوى إسماعيل انتعشت الوقائع ، وتهيأ لها نوع جديد من الحياة بعد أن خمل شأنها فى عهد عباس ، فزخرت بالأنباء والبرقيات وأنباء الأقطار الشقيقة ، وحملت كثيراً من الشئون التجارية والاجتماعية والأدبية ، وخصص الخديوى لتحرير القسم العربى بها أحد علماء الأزهر المشهورين بالأدب ، وهو الشيخ أحمد عبد الرحيم ، فاضطلع بهذا العمل ، وندب لمعاونته فيه شقيقه الشيخ محمد عبد الرحيم الذى كان مدرساً فى الأزهر .

وقد مضى الشيخ أحمد عبد الرحيم فى تحرير الوقائع وفى الإشراف عليها أربعة عشر عاما ، وفى خلال إشرافه عليها عين لمساعدته فى التحرير أحد شعراء الأزهر وأدبائه الشيخ مصطفى سلامة النجارى ، والشيخ محمد عبده الذى عين محرراً ثالثاً [١] .

وإذ ذاك أضيف إلى الأخبار لون من الأدب يمتزج بها ، وعنيت بالأخبار الخارجية التى تمس حياة الشعوب السياسية والاجتماعية فأصبحت تقدم لها وتعلق عليها ، وفسحت صدرها للأدباء من غير محرريها وهم صفوة من الأزهريين أيضاً ، فنشرت لهم شعراً كالشعر الذى نشرته للشيخ على الليثى ، ثم نشرت لهم نثراً كالذى أرسله إليها المبعوثون إلى باريس كالشيخ على نائل وغيره من عشاق التحرير ، هذا عدا ما كانت تزخر به من آداب يحررها المحررون الموظفون بها .

وهنا نلاحظ أن الوقائع جاد أسلوبها ، وهذبت لغتها ، واتسع أفقها ، وأشرق الأدب على صفحاتها ، بفضل رعاية علماء الأزهر وأدبائه الذين مكنوا لها من هذه الحياة الأدبية الجديدة .

ولما عين الإمام محمد عبده محرراً ثالثاً بالوقائع وضع تقريرا ضافيا لإصلاحها ورفعه إلى رياض باشا ، ناظر النظار إذ ذاك ، فارتاح لهذا التقرير وأمر بتعيين لجنة من مدير

---

[١] الاسلام والتجديد فى مصر ص ٤٤ وما بعدها

المطبوعات ، ووكيل وزارة الداخلية ، وصاحب التقرير ، لوضع (لائحة) لقلم المطبوعات وتحرير الصحيفة الرسمية ، فوضعت اللائحة وأمضاها الوزير ، ثم كافأ الإمام على تقريره بتعيينه رئيساً لقسم تحرير الجريدة الرسمية ومشرفا على المطبوعات .

الوقائع فى عهد الإمام :

صدرت الوقائع برياسة الإمام فى ١٤ من ذى القعدة سنة ١٢٩٨ هـ (٩ من أكتوبر سنة ١٨٨٠ م) وأصبحت صحيفة يومية تصدر كل يوم عدا يوم الجمعة وأصبح لها مطبعة خاصة بها ، وقد كان للإمام أبلغ الأثر فى خلق هذه الصحيفة وجعلها كأحسن ما تكون الصحف لغة ورسالة ، بل لقد اتخذ منها أداة لنهوض الأدب ، وخدمة اللغة العربية ، مما أضاف إليه أبلغ المآثر .

إنشاء قسم أدبى بالوقائع :

فقد كان له بوصفه رئيساً لتحريرها أن يكتب فيها ما يعن له أويرد إليه من الفصول الأدبية . ورغبة منه فى النهوض بالآداب وتخليصها من الجمود وتهذيب الكتابة ، وتقشيع ما غشيها من الضعف والتكلف أنشأ فى الوقائع قسما يضم ما تجود به قريحته وقريحة أعوانه فى كل ما له صلة بالإصلاح وبث روح النهوض بأقلام بارعة ، ولغة مهذبة ، وأسلوب فصيح ، فاختار طائفة من المحررين الذين تستميل أقلامهم الناس ، وأودع الوقائع أحكاما غريبة ، يعجب بها الناظر فيها خصوصاً إذا كان من أبناء الشعب المتمدين ، أو من المقلدين المتمدينين [1] .

لقد ضم إليه لهذه المهمة الجليلة طائفة من المصلحين الأغيار الذين عرفوا بالثورة على الجمود ، والفرار من قيود الكتابة وسجعها وزخرفها . فضم إليه « سعداً » و « الشيخ عبد الكريم سلمان » و « الشيخ سيد وفا » و « إبراهيم الهلباوى » و « قاسم أمين » و « إبراهيم اللقانى » وغيرهم .

وقد كانت الكتابة فى الوقائع قبل أن يرعاها الإمام وأصحابه من النابهين الأزهريين ركيكة ضعيفة النسج ، يبدو عليها العجز عن الإبانة ، ويحاول كتابها أن يفصحوا ويبينوا عن غرضهم فيقعد بهم العجز .

(١) الاسلام والتجديد فى مصر ص ٤٤ وما بعدها .

ولم يكن الإمام فى المقالات التى دبجها فى الوقائع فى عهدها الجديد يتكلف السجع أو يجرى وراء الحشو ، بل درج فى بيانه على أسلوب هادىء سهل واضح المراد « وكانت مقالاته فضلا عن هذا صورة لحياة الأمة ، فيها تحليل لا غلو فيه ولا مبالغة »[1] .

وقد نهج زملاؤه هذا النهج فى الكتابة ، وكانت له رقابة نافذة على الصحيفة ، يرقب كل ما يرد إليها ، فلا يسمح بأن يتسلل إليها من محرريها أو من غيرهم ما يتنافى مع ما ينشده من الكتابة المطبوعة الواضحة ، وإذ ذاك لبست الوقائع حلة جديدة من حسن التعبير ، وسداد الآراء ، وامتد أسلوبها الممتع إلى كتابة دواوين الحكومة جميعها ، وإلى الصحف والمجلات العربية[2] .

وانقرض السجع الذى كان هوى الكتاب ، وتقلص ظل الزخرف الذى طالما تهالكوا عليه ، ونحى عن اللغة ما كان يشوبها من العامى والدخيل ، ومن يطلع عليها حينئذ يجد جهداً واضحاً فى البحث عن لفظ عربى يؤدى ما يؤديه العامى ، وكثيراً ما كانوا يعبرون بالعربى ثم يضعون العامى والدخيل بجانبه ، إشارة إلى أن العربى يغنى غناءهما ، فائدة ودلالة .

وقد تحدث الأستاذ « العقاد » عن أثر الإمام فى هذه النهضة ، وفى تقدم الكتابة وإصلاحها بأن سعداً والإمام عملا على تحرير العبارات وتقويم الأساليب ، وإدخال القصد والمعانى فى الألفاظ ، فأفادا فى هذا الباب أحسن ما يفيد كاتبان فى هذا الزمان ، وبدآ عهدا فى الكتابة العربية لم يسبقهما إليه سابق فى هذه الديار[3] .

وكان من أثر هؤلاء أن تحررت أيضاً من اللغة التركية ، وأصبحت فى تهذيب ونظام بديعين ، ومن رواج الأدب فيها ما جارت فيه صحيفة « روضة المدارس » من نشر الكتب الأدبية تباعا ، حتى يستطيع من يعنى بجمعها أن يتوفر له كتاب كامل لا عناء فيه ، وذلك كرسالة السيد صالح مجدى (بك) « حلية الزمن . فى مناقب خادم الوطن » و « رفاعة رافع » .

وكانت الملاحظات التى تحملها الوقائع ، والنقد الذى يبديه المحررون قاسيا لاذعا ، ولم يدخر الإمام وسعا فى الحث على النهوض بالأمة فى مختلف شئونها ، فدعا إلى إصلاح

---

(١) تاريخ الوقائع المصرية لابراهيم عبده ص ١٨٥

(٢) من كلمة المرحوم الأستاذ عبد الوهاب النجار فى الأهرام الصادر فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٠

(٣) من مقال للأستاذ العقاد فى البلاغ الأسبوعى الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٢٧

التعليم ، ونقد نظمه ، وصور ما فيه من قصور وعجز ، وحمل على نظارة المعارف حملة شعواء أقضت مضجعها حتى ساء ذلك ناظر المعارف واعتبره اعتداء على حقه ، ولكنه مضى شجاعا غير مبال حتى أقرت الحكومة وجهة نظره ، وشكلت المجلس الأعلى للتعليم فى ١١ جمادى الأولى ١٢٩٩ هـ (٣١ من مارس ١٨٨١ م) وحد من سلطان الوزير وأصبح منفذا فحسب ، بل إن الحكومة كانت أكثر سخاء مما قدرت الوقائع ومحررها فاختارت الشيخ (محمد عبده) من بين أعضاء هذا المجلس [1] .

ثم اختير عضوا فى لجنة فرعية ألفها المجلس ، للنظر فى إصلاح طرق التعليم والتربية فى جميع المدارس ، وكان الكاتب العربى لها [2] .

وقد بلغ نفوذ الوقائع فى عهد الإمام حدا بعيد المدى ، فقد كان من هذا النفوذ أن لرئيس تحرير الصحيفة الرسمية باعتباره مديراً لإدارة المطبوعات حق نقد أى عمل من الأعمال عندما يرى له وجها ، حتى أعمال وزارة الداخلية نفسها ، وإذا رأت إدارتها فى الصحف التى تنشر فى مصر أو فى غيرها ذكر الخلل فى عمل من الأعمال أو سوءا فى تصرف ما كتبت إلى نظارة الداخلية أو الإدارة التى يختص بها ، تسألها الحقيقة ، فإن تبين كذب الصحيفة كلف صاحبها إثبات ما ذكر وإلا أنذر مرة أو مرتين ثم عطلت الصحيفة فى الثالثة جزاء له .

وكان من أثر نفوذها أن بذل الموظفون جهدا فيما يكتبونه حذرا من الرقابة الممتدة إليهم ، ولأن النقد كان يصدر عن رئيس التحرير وهو ترجمان الحكومة المعبر عن آرائها .

وقد تطوع الإمام رغم جهده وعنائه بإلقاء دروس فى المدارس الليلية ، ليتعلموا كيفية التحرير ، فكان تفضلا رسم أبلغ الطرق فى التحرير ، وجرى الكاتبون عليها سراعاً .

ولعلك تعجب إذ تعلم أنه أنذر مدير جريدة بتعطيل جريدته إذا لم يختر لها محررا صحيح العبارة فى مدة عينها .

---

[١] تاريخ الامام جـ ١ ص ١٧٩ .

[٢] الاسلام والتجديد ص ٤٦ .

نهاية الوقائع :

حيل بعد ذلك بين الإمام والوقائع فقد سجن عقب دخول الإنجليز مصر فانقطع عهده بهذه الصحيفة بعد أن قضى زهاء ثمانية عشر شهرا يجاهد لعزة اللغة والأدب والمجتمع والحياة عامة - حتى حل محله فى رياسة تحريرها الشيخ عبد الكريم سلمان ، فبقى على شئونها مدة من الزمان حتى اختير عضوا بالمحكمة الشرعية العليا .

هذا حديث سقناه لنبين فيه فضل طائفة من الأزهريين على الصحافة فى عصر النهضة ، لم نطل فيه الوقوف ، ولو أطلناه لأبنا عن جهود كريمة ، وإنما أوحى بهذا المقال الذى نزمع اتباعه حتى يتم البحث ، ما استهللنا به كلمتنا هذه من محاضرة الأستاذ محمد زكى عبد القادر ، وكم للأزهر من كنوز فى التاريخ لم يقيض لها من ينقب عنها ؟

محمد كامل الفقى

المدرس بكلية اللغة العربية



أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه

وهو بين الدنيا والآخرة

قال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : دخلت على أمير المؤمنين عمر حين طعن فقلت : أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين ، أسلمت حين كفر الناس ، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس ، وقبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، ولم يختلف فى خلافتك اثنان ، وقتلت شهيداً .

فقال عمر : أعد على .

فأعدت عليه . فقال رضى الله عنه :

« والله الذى لا إله غيره ، لو أن ما فى الأرض من صفراء وبيضاء لى لافتديت به من هول المطلع » .

اتّفاق الخواطر في الشّعر
عرض وموازنة

كثيراً ما تتشابه الافكار عند الشعراء ، وتقترب المعانى ، وتتحد المنازع ، حتى لنرى شاعراً اهتدى إلى معنى قاله آخر ، أو إلى عكسه ، أو إلى معنى مولد منه . ويقول الناقدون : إن الثانى أخذ من الأول ، أو سطا عليه وسلب معناه الذى توصل إليه .

على أن هذا التشابه أو الاتحاد أمر طبيعى ، ما دامت منابع الثقافة واحدة ، وأصول المعرفة وعوامل التأثير كذلك واحدة ... فمصدر شعر الشاعر ما ورث من ديوان العرب ، واطلع عليه من معانيهم وأخيلتهم ، واختزن لديه من ألوان معارفهم ، وتزاحم عنده من صور لا تنتهى لشعراء كثيرين . فربما انقدحت فى نفسه صورة ، أو تكون لديه معنى ظنه وليد فكره ، أو ربيب بيانه ، ويكون غيره قد سبقه به وجلى فيه قبله أو قصر .

على أنه من العسير جداً أن يقطع الإنسان بأن شاعراً استحضر فى ذهنه معنى شاعر آخر قبل أن يقول معناه ، أو استجمع لديه صورة أخرى فسطا على محاسنها ، واقتنص بدائعها . وسواء تهيأ لما اتفق فيه مع غيره وقصده قصداً أو جاءه عفواً من غير عمد ولا ارتصاد ، فهو أمر لا يعرف له ضبط أو ميزان . وقديما حمل مثل هذا على مجرد المصادفة فقيل : إنه من توافق الخواطر ، ووقوع الحافر على الحافر .

ويقول الآمدى فى كتابه (الموازنة بين أبى تمام والبحترى) [١] فى صدد الكلام على أبى تمام « ومع هذا فلم أر المنحرفين عن هذا الرجل - يقصد أبا تمام - يجعلون السرقات من كبير عيوبه . لأنه باب ما يعرف أحد من الشعراء خلا منه إلا القليل . بل الذى وجدتهم ينعون عليه كثرة غلطه وإحالته وأغاليطه فى المعانى والألفاظ » .

---

[١] ص ٦١ .

ولقد طالما سمعنا معجبين بيت أمير الشعراء أحمد شوقى ينشد ويردد فيجمل فى الأذن مسمعه ، ويطيب فى القلب موقعه ، وهذا البيت هو :

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

ولكن هذا المعنى الرائع الجميل قد تناوله شاعر قديم فقال .

وما طلب المعيشة بالتمنى ولكن ألق دلوك فى الدلاء

تجىء بمثلها يوما ويوما تجىء بحمأة وقليل ماء

وهذا المعنى الذى تعاوره الشاعران قد جاء فى بلاغة ساحرة ، وقوة مبتكرة قادرة ، وبيان لايضارعه بيان ، فى قول الرسول الأكرم ، صلوات الله وسلامه عليه : « ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وإن قوما قدغرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

ولقد وقع للشاعر العباسى الحسن بن هانىء كثير من التشابه فى الصور ، والاتحاد فى منازع الأفكار ، أو الأخذ عن الشعراء حتى ساء ظن بعض الناس به ، ورموه بأنه ليس شاعراً ؛ لأنه فى زعمهم لا يحسن المدح ولا الهجاء ، ولأن شعره الجيد فى الخمر والطَّرْد مأخوذ من غيره . بل هو يأخذ المعنى فلا يحسن الأخذ ، ولا يستطيع أن يبنى عليه .. قال ابن منظور[1] : « ومما قيل عن أبى نواس : إن الشعر إنما هو بين المدح والهجاء ، وأبونواس لا يحسنهما ، وأجود شعره فى الخمر والطرد ، وأحسن ما فيهما مأخوذ ليس له ، وإنما سرقه . وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يحسن أن يبنى عليه حتى يجىء به قبيحاً مثل قوله « وداونى بالتى كانت هى الداء » أخذه من قول الأعشى « وأخرى تداويت منها بها » ، والذى أخذه منه أحسن مما قال . ومنها أيضاً قوله .

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل

أخذه من قول النابغة (فإن مطية الجهل الشباب) . وقوله :

لما تبدى الصبح من حجابه كطلعة الأشمط من جلبابه

---

[١] أخبار أبى نواس ص ٧٤ .

فإنه أخذه من قول أبي النجم « كطلعة الأشمط من كسائه » ، ولكن رزق أبو نواس في شعره أن سار ، وحمله الناس ، وقدمه أهل عصره » .

ونحن لا نقف عند هذه الأقوال إلا لنعرض ألوانا من تحاسد الناس وكفران بعضهم بيعض ، وجحودهم لما ظهر من المحاسن ، واستعلن أمام الناس جميعا من الميزات الأدبية (وقديما كان في الناس الحسد) ومن ذا الذي يقول : إن قول الأعشى « وأخرى تداويت منها بها » أحسن من قول أبي نواس « وداوني بالتي كانت هي الداء » . . إن كان أبو نواس أخذ من سابقه فما أساء الأخذ ولا قصر في الاقتداء ، إن لم يكن فاقه بحسن الاختصار وسلامة شعره مما ينفر منه الطبع ، ويستكرهه السمع ، والنص الصريح على أن الخمر هي الداء بل قصر الداء عليها .

قال ابن قتيبة [١] « وكان الناس يستجيدون قول الأعشى هذا إلى أن قال أبو نواس بيته ، فزاد فيه معنى اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه . فللأعشى فضل السبق عليه ، ولأبي نواس فضل الزيادة عليه » .

وقال الرشيد فيه : إن أوله أكثم بن صيفي في أصالة الرأي ، ونبل العظة ، وآخره بقراط في معرفته بالداء والدواء [٢] .

وسنعرض هنا بعض المعاني التي جاءت في شعر أبي نواس وكانت قبل ذلك في أشعار السابقين . قال ابن أخت تأبط شراً :

ظاعن بالحزم حتى إذا ما حل حل الحزم حيث يحل

أخذه الحسن بن هانىء فقال في مدح الخصيب .

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

وهو أجود لفظاً ، وأحسن سبكا ، وأخف على السمع من ذاك .

وقيل لأعرابية مات ولدها : ما أحسن عزاءك فقالت : إن فقدى إياه أمنني كل فقد سواه ، وإن مصيبتي به هونت على المصائب بعده ثم أنشأت تقول :

---

[١] ص ١٣ الشعر والشعراء .

[٢] صـ ٢٢١ جـ ٦ العقد الفريد طبعة العريان .

من شاء بعدك فليمت   فعليك كنت أحاذر
كنت السواد لناظرى   فبكى عليك الناظر
ليت المنازل والديا   ر حفائر ومقابر

أليس يماثل هذا المعنى قول أبى نواس فى رثاء الأمين .

طوى الموت ما بينى وبين محمد   وليس لما تطوى المنية ناشر
وكنت عليه أحذر الموت وحده   فلم يبق لى شىء عليه أحاذر
لئن عمرت دور بمن لا أحبه   لقد عمرت ممن أحب المقابر

فهو بهذه الأبيات الباكية يصور التياعه ، وحزنه على فقد صاحبه ، وامتلاء الدور والقصور بمن لا يود من أعدائه .

وقال الشماخ :

إذا بلغتنى وحملت رحلى   عرابة فاشرقى بدم الوتين

وقال ذو الرمة فى مدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى :

إذا ابن أبى موسى بلالا بلغته   فقام بفأس بين وصليك جازر

وجاء بعدهما أبو نواس فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله :

وإذا المطى بنا بلغن محمداً   فظهورهن على الرجال حرام

حتى قال بعض العلماء حين وقف على بيت أبى نواس: هذا والله المعنى الذى كانت العرب تحوم حوله فتخطئه ولا تصيبه ، فقال الشماخ (إذا بلغتنى وحملت رحلى) وقال ذو الرمة (إذا ابن أبى موسى ...) وما أبانه إلا أبو نواس بهذا البيت وهو فى نهاية الحسن .

والأصل فى هذا المعنى قول الأنصارية المأسورة بمكة ، وكانت قد نجت على ناقة ، إلى رسول الله ﷺ ، فلما وصلت إليه قالت : يا رسول الله إنى نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها ، فقال الرسول ﷺ : لبئس ما جزيتها .

وتفسير هذا المعنى الذى تناوله الشعراء . انى لست أحتاج إلى أن أرحل إلى غيرك فقد كفيتنى وأغنيتنى . إلا أن الشماخ وعد ناقته بالذبح ، وذا الرمة دعا عليها أيضاً بالذبح .

وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها ، وأراحها من الكد فى الاسفار ، فهو أتم فى المقصود ، لكونه أحسن إليها فى قبالة إحسانها إليه ، حيث أوصلته إلى الممدوح (١) .

على أن أبا نواس كان يقول : ما زلت أستهجن قول الشماخ « إذا بلغتنى الخ » وموافقة ذى الرمة إياه فى قوله « إذا ابن أبى موسى » ، حتى سمعت قول الفرزدق :

علام تلفتين وأنت تحتى وخير الناس كلهم أمامى
متى تردى الرصافة تستريحى من الاتساع والدبر الدوامى

فتبعته فى قولى « وإذا المطى الخ » .

ولكن أبا نواس وإن كان تبع الفرزدق قد بذه وتفوق عليه . فناقة الفرزدق تستريح من تعب ، وتستجم من إعياء ونصب ، وتستجمع القوة بعد جهد وكلال . وقد تتابع السير بعد الراحة ، وقد تحمل أتساعها بعد أن تتخفف منها فترة . أما ناقة أبى نواس أو مطاياه فقد أصبحت لها حرمة ولها ذمام . تأكل وتعلف ولا تسام ولا تكلف . ذلك لأنها بلغت به محمداً وقربته من خير من وطىء الحصا .

قربتنا من خير من وطىء الحصا فلها علينا حرمة وذمام .

وإن كان قوله (من خير من وطىء الحصا) مبالغة غير محمودة ولا مقبولة ، ولكنه عمل الصنعة والتكلف ، وجهد المحتفل المقلد فى المذهب والطريقة . فهو لم يسلك إلى ممدوحه وعراً ولا سهلا ، ولا ركب ناقة ولا جملا .

والأصل فى قول الفرزدق وقول أبى نواس قول الأعشى فى مدح الرسول الأكرم صلوات الله عليه :

فآليت لا أرثى لها من كلالة ولا من حفا حتى تلاقى محمداً
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم تراحى وتلقى من فواضله ندى

عبد الحميد محمود المسلوت
المدرس فى كلية اللغة العربية

---

(١) ح ١ ص ٤٠٥ وفيات الأعيان .

الصوم عبادة وتهذيب

روى الترمذى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يوجه أمته توجيهه الحكيم إلى تمسكها بأهداب الطاعة ، واستجابتها لما يحييها ، فى نطاق من العبودية الراشدة الخالصة ، إنما يسوق الحديث مجلوا ببيان سر التشريع ، منضرا بسمو الغاية وشرف الهدف ، محكما فى مبناه ومعناه . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى إيجازه البالغ العذب : الصوم جنة ، إنما يحلق بنا فى فضل هذه العبادة البدنية ، وآفاقها البعيدة الواسعة ، وأثرها القوى فى التربية والتهذيب .

فالصوم تصفية وتوفيـــة ، يصفى النفس من شوائب الرجس ، ويوفى حق الروح فى وجوب تغلبها على جمود المادة ، وحق الروح فى جمال إشراقها فى ظلمة هذا الوجود المدلهم بالعثرات والمنكرات .

والصوم تعاطف وتراحم ، لأنه ينتزع من القلب القوى الجاحد قسوته وجموده ، ولأنه يغرى بألوان من البر والمرحمة ، تتحول بها النفوس النافرة الحاقدة إلى تبادل فى الحب ، وتجاوب فى المشاعر ، وائتلاف فى الأرواح . والمتحابون فى الله لهم جلال المظهر ، وجمال المخبر ، وطهارة الملائكة ، وهم على منابر من نور يوم القيامة .

والصوم تربية وجهاد ، يجعل من الصائم جلدا صبورا لا تزعزعه شدة ، ولا يثنيه حرمان .

والصوم تنظيم وتدعيم ، يحد من رغبات النفس الملحة الجامحة ، ويخضعها لنظام لا تلبث أن تعتاده ، فيدعم فيها قوة الضبط والكبح ، حتى لا تندفع وتنزلق فتهلك أو تهلك ، قال الشاعر :

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها   فمن علا زلقا عن غرة زلجا

فالصيام جنة ووقاية ، والصيام حاجب وحاجز ، والصيام سمو وعلو ، والصيام جهاد وجلاد . . أفلا يكون بهذه المزايا الكريمة العظيمة من أعظم أبواب الخير ؟ ؟

من أجل هذا ينادى القرآن الكريم (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

فالغاية من الصوم واضحة بينة فى قوله (لعلكم تتقون) يعنى لعلكم تتقون نزعة الهوى ونزغة الشيطان ، ولعلكم تتقون شح الأنفس وقسوة القلوب ، ولعلكم تتقون المتع الغالبة المضيعة : تغريكم ، وتضيع فيكم معالم الرجولة ، وتبعد عنكم مشارق العزة ، وتقذف بكم من حالق مجدكم وبالغ شأنكم ، ولعلكم تتقون قبل كل ذلك ، وبعد كل ذلك ، عذاب الله القاهر ، الذى يسلطه على الباغين الجاحدين المخالفين . .

ثم لعل من حكمة الصوم وسر تشريعه ، أن يفقه الصائم أنه يبتغى ثواب الله ورضوانه ، فهو من أجل ذلك يحرم على نفسه طعامه وشرابه الذى يملكه حلالا فى غير سرقة ولا تجن ولا اغتصاب ، فلأن يحرم على نفسه ما خبث من إثم ورجس ، وما قبح من غش وتدليس ، وما استنكره الدين من زور وظلم وعدوان ، أحق وأجدر وأولى ...

ولعل من حكمة الصوم وسر تشريعه أن يشعر الصائم حين يعضه الجوع ساعات من نهار ، أن بجواره بائساً قد يمر عليه اليوم واليومان ولا يجد هو ولا أولاده ما يخفف عنهم ألم الجوع ، أو يكفكف منهم ما يذرفون من دموع ، فيلين ويسخو ويبذل مما أفاء الله عليه ، وهو لن يخسر بعد شيئاً ، فالله المالك لخزائن الدنيا ، وفى قبضته ملك السموات والأرض . قد وعده أن يخلف عليه ما يبذله ، وهذا صريح قوله تعالى (وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا » .

وروى البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا يا رسول الله : ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . قال : فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر » .

ولعل رسول الله ﷺ حين جمع بين الصوم والصدقة فى هذا الحديث الذى نشرحه بقوله : الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، إنما جمع بين العبادة التى تخفف من حدة البخيل وبين أثر من آثارها فى بذل الصدقة ، وسخاوة اليد ، وان كلا

من المؤثر والآثر من أبواب الخير التى تغرى بالوصول إليها ، ودخولها دخول العبد الظافر الذى استجاب لربه فى العبادة . واستجاب لرسوله فى حسن التوجيه وجمال الترغيب .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون » .

وبعـد : فيا أيها الصائمون لا تدخلوا أبواب الخير وأنتم مدنسون بظـلم ، أو مثقلون بإثم . فإنـكم لا تجدون من عبادتـكم إلا صورة لا روح لها وإلا عملا لا خير فيه .

وفقنا الله فى هـذه الحياة لصالح العبادة ، وأسباب السعادة ، وبلوغ العزة والسيادة ، وجعلنا من « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هـداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .

محمد عبد التواب
المفتش العام للوعظ بالأزهر

يد التخاذل

ماذا عسى يجدى الكلام ولو حكى	ضحك الربيع إذا السحاب بكى له
أيعيد للإسلام مجـداً قطعت	أيدى التخاذل والونى أوصاله
وعريض ملك كان يرهف بأسه	ويزيد فى عـين الخصوم جلاله
يتـلو مثانيه ويمضى حـكمه	فى الخافقين حلاله وحرامه
ويبث دعوته التى بصفائها	وضع الضلال عن الحجى أثقاله
فإذا به حر الجناح محلق	فى الـكون يفتح للورى أقفاله

محمـد النجمى

لمن يكون تنفيذ الحدود ؟



— ٢ —

تحبيب الإسلام فى العفو :

من الأمور الهامة التى تجب ملاحظتها فى موضوع القصاص تحبيب الإسلام فى العفو تحبيباً يثير أرق العواطف فى أقسى القلوب . فالقرآن الكريم حين قال فى صدر الآية : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى » سارع فقال فى الآية نفسها مذكراً بالعفو محبباً فيه : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » .

ولننظر كيف عبر القرآن عن ولى الدم الطالب للقصاص بأنه أخ للقاتل ؛ فهو أخوه فى الإنسانية وفى الإسلام ، وقد يكون أخاه فى الوطنية والجوار وغيرهما . فيحسن أن يكون بينهما تراحم الأخوة وعفو الأقرباء . .

وحينما قال القرآن الكريم : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » سارع فى الآية نفسها فذكر بالعفو وحبب فيه ، ووعد عليه الأجر ، واعتبره تصدقاً ، والله يجزى المتصدقين ، فقال تبارك وتعالى : « فمن تصدق به فهو كفارة له » .

وروى أبو داود عن أنس بن مالك قال : ما رأيت رسول الله ﷺ رُفع إليه شىء فيه قصاص إلا أمر بالعفو فيه ... ولم يكن ذلك الأمر أمر فرض وإيجاب ، ولكنه تعليم لمكارم الأخلاق .

وقد أجمع الأئمة على أن العفو فى القصاص أفضل من القصاص ...

أفلا يحتاج الفرد الموتور صاحب الدم إلى من يذكره بهذا العفو ويحببه فيه ، لعل نفسه تتفتح له فيصفح وينال بذلك الثواب ؟ ومن أين يأتى ذلك التذكير إذا استباح الموتور لنفسه أن يتعجل فيأخذ ثأره بيده دون الرجوع إلى الإمام الحاكم ؟ ...

ومن هذه الأمور أيضاً مسألة التحذير من الرجوع فى العفو، والتهديد لمن ينقض ذلك؛ فقد يحدث أن يقبل صاحب الدم الدية ويعفو، فإذا رجع فاعتدى على القاتل فقتله صار قاتلا، وصار مهدّداً بعذاب الله فى الآخرة، لأن القرآن يقول فى آية القصاص بعد ذكر العفو: «فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم».

ولذلك جاء فى تفسير المنار أنه إذا عفا صاحب القصاص عن القاتل أو قبل الدية، ثم عاد فقتل القاتل تحتم قتله، ولا يجوز العفو عنه، ولو عفا عنه ولى المقتول، وذلك قول عكرمة والسدى وجماعة من المفسرين، وقال عمر بن عبد العزيز: أمره إلى الإمام يفعل فيه ما يراه، وجمهور الفقهاء على أن حكمه حكم القاتل ابتداء، وعليه مالكٌ والشافعى [1]، ويؤيد ذلك الحديث: «لا أعافى رجلا قتل بعد أخذ الدية» [2]. ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «من أصيب بقتل أو خبْل ـ أى فساد عضو ـ فإنه يختار إحدى ثلاث: إما أن يقتص، وإما أن يعفو، وإما أن يأخذ الدية، فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه، ومن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم» [3].

ومن هذه الأمور نصرة الموتور العاجز المطالب بالدم، إذ كيف يأخذ بالقصاص إذا لم يكن للدولة إشراف على إثبات الحدود وإقامتها؟ ... ألا يقضى مثل هذا عمره مغيظا محنقا ثائراً على المجتمع يتلمس الوسائل ليعيث فى الأرض فساداً وإجراماً؟..

ومن هنا ـ فيما يلوح ـ جاءت الآية الناصة على السلطان المشروع الذى أقامه الله لعباده كى يفزعوا إليه فى خصوماتهم ومنازعاتهم وحدودهم، وهى قول الله تبارك وتعالى: «ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا».

ويمكن تفسير الآية على الوجه التالى: إن الذى يقتل مظلوما بلا سبب، قتلا عمدا، لم نضيع دمه، بل حفظنا لعصبته وورثته حق القصاص، وجعلنا لهم فى شرعنا وعند الإمام وجماعة المسلمين سلطانا، أى سلطة ونصرة وقوة تعينه على التمكن من القاتل لتنفيذ القصاص فيه؛ وما دمنا قد مكناه من ذلك الحق فواجب عليه أن يقف عند حد المساواة، وهو الاقتصاص

---

[١] تفسير المنار جـ ٢ ص ١٣٠ باختصار.
[٢] تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٩٥ طبعة المنار.
[٣] رواه أبو داود والبخارى والترمذى.

بالمثل ، ولا يسرف أو يخرج إلى غير ذلك ؛ وحسبه أنه كان منصوراً بتشريعنا ، ومنصوراً بإمام دولته ، ومنصوراً بالجماعة المؤمنة نفسها .

وقد يجمع هذا التفسير اليسير الواضح بين « حق » الفرد فى المطالبة بالدم ، وبين « اختصاص » الدولة بالإشراف على الحكم والتنفيذ ، ولا يكون هناك بينهما ـ أى الفرد والدولة ـ تعارض أو تجاذب ، لأن هناك فرقا بين « الحق » و « الاختصاص » هنا ، لحق الدم يثبت للوارث ، وهو يطالب به أو يعفو عنه ، والاختصاص يتعلق بالإثبات والحكم والتمكين من التنفيذ ، وتكليف من ينفذ هذا القصاص [1] .

* * *

ولا يأبى الإسلام فى روحه وقواعده العامة التى تجعل درء المفاسد مقدما على جلب المنافع ، وتجعل المصالح المشتركة مقدمة على المصالح الفردية ؛ لا يأبى الإسلام أن يتركز هذا الاختصاص فى يد الدولة ، وخاصة فى هذا الزمان الذى كثر فيه السكان ، وتعقدت أمور الحياة ، وتضاربت المصالح ، وكثرت المنازعات ، وتعددت الأهواء والنزعات ، واتخذت المجتمعات أشكالا وأوضاعا غير التى كانت من قبل ؛ ولا شك أن للعرف والعادة مكانة من الاعتبار الفقهى فى الإسلام ...

بل قال القرطبي فى تفسيره ما نصه : « لا خلاف أن القصاص فى القتل لا يقيمه إلا أولو الأمر ، فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك . لأن الله سبحانه خاطب جميع المؤمنين بالقصاص ، ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعاً أن يجتمعوا على القصاص ، فأقاموا السلطان مقام أنفسهم فى إقامة القصاص وغيره من الحدود » [2] .

* * *

وخلاصة رأى الشريعة الإسلامية أن حق القصاص يثبت لولى الدم (وهو الوارث

---

(١) فى تفسير المنار ج ٢ ص ١٢٨ ـ ١٢٩ : « وليس للحكومة أن تمتنع من العفو إذا رضوا به ، ولا أن تستقل بالعفو إذا طلبوا القصاص ، فتحفظ قلوبهم ، وتخرج أضغانهم ، وتحملهم على محاولة الانتقام بأيديهم إذا قدروا ، فيزيد البلاء ويكثر الاعتداء ، أو يعيش الناس فى تباغض وعداء ، وفوضى تستباح فيها الدماء » .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٤٦ طبعة سنة ١٩٣٥ .

والقريب) إن شاء طالب بالقصاص ، وإن شاء أخذ الدية وعفا عن القود ، وإن شاء عفا عفواً مطلقاً ؛ ولهذا الولى أن يقوم بتنفيذ القصاص بنفسه بعد تمكين الإمام الحاكم وإذنه ، وله أن يوكل عنه من يقوم بتنفيذه .

ويجب أولا أن يعرف القاتل ويضبط ، وأن تقوم البينة عليه بالاعتراف أو الشهود حسبما رسم قضاء الإسلام فى ذلك الباب ، وأن لا يكون هناك مانع من القصاص ؛ ولولى الدم أن يكل تنفيذ القصاص إلى السلطان .

ويجب شرعاً أن يؤاخذ القاتل وحده ، ولا يؤاخذ معه غيره من ذوى قرابته كبيراً كان أو صغيراً ، وإذا قتلت امرأة وجب أن تتحمل تبعتها دون غيرها ، وإذا كان القاتل واحداً فالقصاص فى واحد لا أكثر « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » ، وإذا لم يكن هناك ثبوت جريمة فالاقتصاص بالظن إثم كبير ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن الإمام لأن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة »[1] .

نكسة إلى الجاهلية :

بعد أن جلنا هذه الجولة التى عرفنا فيها موقف الإسلام من الثأر ، يسوغ لنا أن نقرر أن فريقاً من الناس فى هذا الزمان قد أبوا على أنفسهم هذا النور الساطع ، وذلك الهدى المبين الذى جاء به الإسلام الحنيف فى أمر القصاص ، فتراهم وقد استعادوا لأنفسهم مبادىء الجاهلية وأساليب الظلمات ؛ فهم لا يرتضون القصاص وهو تشريع رب العالمين ، بل يفضلون عليه الثأر الجامح وهو وسوسة الشيطان المضل المبين .

فإذا قتل لهم قتيل أبوا أن يحتكموا إلى القضاء ، وأبوا أن يتقبلوا فيه العزاء ، وأبوا أن يسمعوا كلمة الإصلاح أو الاعتذار ، وأبوا أن يستمعوا من داعى العفو أى نداء ؛ ولا يزالون يطوون صدورهم على الغل والحقد حتى يثأروا لأنفسهم ، وليتهم يثأرون على بينه ويقين ، بل يأخذون بالإشاعة والشبهة ، ولا يتلبثون فى ذلك ولا يتريثون ، بل يسرفون فيقتلون

---

(١) رواه الترمذى والحاكم والبيهقى ، وسند الحاكم والبيهقى صحيح [التاج] .

بالواحد آحاداً ، ويجرمون أحياناً فيتركون القاتل الحقيقي لأنه غير ملائم في نظرهم ويقتلون بريئاً سواه .

بل ترى بعضهم يعجز أحياناً عن أخذ ثأره من المجرم الحقيقي ، فيميل على طفل أو صبي أو امرأة ، فيرتكب جريمة القتل الشنعاء مع هؤلاء الأبرياء . فهل تكون تلك رجولة أو شهامة ؟ !

وقد يحرمون على أنفسهم ـ كأهل الجاهلية تماماً ـ أشياء من الطعام أو الثياب أو الزينة ، حتى يأخذوا بالثأر ؛ وقد تمر الأعوام تلو الأعوام ، والفرصة لا تواتيهم ، فيقضون حياتهم في ظلمات وأضغان وقلاقل نفسية ، ثم يبلغون مآربهم الآثم ، فتتكرر المآسي والنكبات ، وتصب عليهم من ربهم اللعنات ، ويختمون حياتهم أسوأ خاتمة ، فلا هم ظهروا بمظهر الكرام فصفحوا ، ولا هم تمتعوا بحياة هادئة ، ولا هم اتقوا غضب ربهم ، بل خسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

وكم خربت بيوت ، وضاعت رجال ، وترملت نساء ، وتيتمت أطفال ، وتبددت ثروات ، وتمزقت صلات ، بسبب هذا الثأر الخبيث اللعين .

وقد تجرى محاكمة ، أو تعقد جلسة إصلاح ، فيتظاهر صاحب الثأر بالرضا والقبول ، ويعطى الكلمة بالموافقة على الصلح والصفح ، أو يقبل أخذ الدية ، ولكنه ينقض كلمته بعد حين ، فيستحق بذلك العذاب الأليم .

« ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » ؟ ... إن كان هؤلاء المصرون على عدوانهم ينتسبون إلى الإسلام فقد برىء منهم الإسلام وهم على تلك الحال ، وإن كانوا ـ كما تدل أعمالهم ـ غير مسلمين ، فقد وجب أن يؤخذوا بما يقتضيه أمن الجماعة من الردع والعقاب .

أفما آن لهؤلاء أن يعرفوا الإسلام وصبغته : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » . أم يريدون أن يظلوا في ظلمات الجاهلية سادرين : « أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » ؟ !

أحمد الشرباصي
من علماء الأزهر الشريف

شهر الذكريات الخالدة

إن من الأيام والشهور أياماً وشهوراً لا تقاس بمقياس الزمن ، وإنما تقدر بمعيار الخلود ، لمالها من آثار صالحة باقية فى حياة الفرد أو الأمة أو الدنيا بأسرها ، وشهر رمضان حافل بالذكريات الخالدات ، لا أقول فى تاريخ الأمة العربية والدعوة الإسلامية فحسب ، بل فى تاريخ البشرية جمعاء ، ولو أن هذا الشهر استأثر بذكرى واحدة من هذه الذكريات لكان حقيقاً بالتكريم والتمجيد ، فما بالك وفيه أكثر من ذكرى ، وفى كل ذكرى عبر وعظات .

وأولى هذه الذكريات وأحفلها بالمعانى السامية ، وأحقها بالخلود « إنزال القرآن الكريم » ، ففى يوم خالد من أيام رمضان عام نبىء النبى ﷺ ، وفى غار حراء ، حيث كان النبى يتحنث فيه لما حبب إليه الخلاء ، نزل أمين الوحى جبريل عليه السلام ، على خاتم الأنبياء والمرسلين بصدر سورة اقرأ : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » . وبذا بدأ التاريخ يتجه وجهة لم يكن له بها عهد من قبل ، وفتح الله فى كتاب الكون صحائف مضيئة مشرقة ، وتتابعت آيات التنزيل وسوره كما تتتابع شآبيب الغيث على الأرض القاحلة المجدبة ، فأصاب منها أرضا نقية خصبة فاهتزت وربت ، وجادت بزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار .

وكان النبى صلوات الله وسلامه عليه تنزل عليه الآية والآيتان والخمس والعشر وربما السورة من المفصل على حسب الحوادث والوقائع وكفاء حاجات الخلق وأحوال المجتمع الإسلامى ، ولم تمض اثنتان وعشرون سنة ونصف تقريبا [1] من نزول « اقرأ » حتى أتم الله إنزال القرآن وختم الوحى ، وكان آخر آية نزلت على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما

---

(١) نزلت اقرأ فى السابع عشر من رمضان على ما قيل ، ونزلت « واتقوا يوما ترجعون فيه الآية » قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بتسع ليال ، وقيل بواحد وعشرين يوما

« واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » وفيما بين البدء والختام جاء بهداية الخالق لإصلاح الخلق ، وتشريع السماء لأهل الأرض ، هذا التشريع العام الخالد الذى أودع الله فيه كل حكمة ، وناط بالتمسك به كل سعادة ، فاهتدت به القلوب بعد ضلال ، وأبصرت به العيون بعد عمى ، واستنارت به العقول بعد جهل ، وصدق الله « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » المائدة : الآية ١٥ ، ١٦ .

ونحن حين نذكر إنزال القرآن ، فإنما نذكر الثورة على العقائد الزائغة ، والوثنية الزائفة والخرافات والأوهام الباطلة ، والتقليد الأعمى الذى لا تبصر فيه ولا تثبت ، وبعد صراع وجهاد ، نرى التوحيد يسود وينتشر ، والعقول تعقل وتتحرر ، والحق يثبت ويتقرر ، والأصنام تهوى وتطوح ، وترتفع كلمة الحق مدوية على ألسنة الخلق « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

ونذكر الثورة على الأخلاق الفاسدة والأهواء ، والمظالم وسفك الدماء ، وانتهاك الأعراض واغتصاب الأموال ، فإذا الفضيلة تمحو الرذيلة ، والعدل يحل محل الظلم ، والأمان يسود الأرض ، ويسير السائر من صنعاء إلى حضرموت ، لايخاف إلا الله والذئب على غنمه .

ونذكر الثورة على أوضاع المجتمع الجائرة ، والعنجهية الآثمة ، واستذلال الملوك للشعوب ، والرؤساء للمرءوسين ، والأحرار للمماليك ، والأقوياء للضعفاء ، وتسير الثورة فى طريقها مستبصرة متعقلة ، لاتنى ولا تفتر ، فإذا المجتمع الإسلامى تسوده المساواة ، فالناس جميعاً أمام الله والشرع سواء ، فلا تفاضل بالأجناس والألوان ، ولا بالأموال والأحساب ، وإنما التفاضل بالتقوى ، وهى كلمة فيها جماع كل حق وخير وفضيلة ، ويرفع الإسلام بالتقوى أناسا كانوا مضيعين ، فأصبحوا سادة وقادة ، وصدق الله « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وصدق رسوله « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

إن هذا الكتاب الخالد صير من الموات حياة ، ومن قساة الأكباد رحماء ، ومن رعاة الإبل والشاء حكماء علماء ، وكون أمة مثالية فى عقيدتها ، وفى خلقها ، وفى معاملاتها . وكون دولة صارت مضرب الأمثال فى الحق ، والعدل ، والتراحم ، وأظلت العالم بلواء الأمن

والسلام أحقابا من الزمان ، فهل لنا أن نعض بالنواجذ عليه ، وأن لا نحتكم فى شأن من شؤوننا إلا إليه ؟ لنعيد دولة الإسلام الأولى ، ونصير بحق كما قال الله : « خير أمة أخرجت للناس » !!!

السبيل إلى ذلك أن نقرأ القرآن كما كانوا يقرأونه : قراءة إمعان وتدبر ، تستتبع العلم والعمل ، فبذلك فتحوا الفتوح ، وسادوا الدنيا ، وجعلوا سلطان الله مرهوبا فى الأرض . لقد كان من شأن سلفنا الصالح أنهم كانوا إذا لاقوا الأعداء يسمع لهم دوى كدوى النحل بقراءة آيات الذكر ، فيفعل فى النفوس فعل السحر ، ويصير منهم ليوثا كواسر تتضاءل أمامهم شم الجبال الراسيات ، فما بالك بالقلوب الخاويات ؟ ولأمر ما كان رسول الله ﷺ إذا بعث بعثا استقرأهم ، فمن كان أكثرهم قراءة كان أحق بالإمارة والقيادة . وفى يوم حنين أمر العباس فنادى فى الناس « يا أصحاب الشجرة » ، « يا أصحاب سورة البقرة » ، فجعلوا يقبلون من كل وجه . وفى يوم اليمامة جعل المهاجرون والأنصار يتنادون : يا أصحاب سورة البقرة ، حتى فتح الله عليهم ، وإن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب .

وفى رمضان من السنة الثانية للهجرة فى اليوم السابع عشر منه ، كانت غزوة بدر الكبرى أولى وقائع الإسلام الفاصلة ، ولبدر فى تاريخ الإسلام من بعيد الآثار مالها ، فلا عجب إذا كان الرسول ﷺ مشفقاً غاية الإشفاق على الإسلام من هذه الموقعة حتى لقد بلغ من إشفاقه أن أكثر من رفع يديه إلى السماء ، وهو يجأر إلى الله بالدعاء :

« اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى . اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد فى الأرض » ولا يكف الرسول عن إلهاب حماسة المسلمين ووعدهم الجنة على الثبات ، وكان مما قال : « والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة » فتمتلىء النفوس حماسة ، وتزداد إيمانا إلى إيمانها ، ويمد الله أنصاره بمدد من السماء ، وتنجلى المعركة عن انتصار حزب الله على حزب الشيطان ، وتصير كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، وصارت بدر مثلا فى الأولين ، وعبرة فى الآخرين ، ان النصر بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده المتقين ، وصدق العلى العظيم « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا : فئة تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » .

إن الإنسان ليعجب كيف انتصرت الفئة القليلة فى عددها وعدتها على الفئة الكثيرة المغترة بخيلها وسلاحها وعتادها ، ولا يزال يقلب الأمر على جميع وجوهه حتى يخلص إلى سر الأسرار وهو الإيمان ، الإيمان بالله إيمانا لا تشوبه أية شائبة ، والإيمان بأن هناك حياة أخرى خيراً من هذه الحياة الدنيا ، يوفى فيها المحسنون والمجاهدون أجرهم بغير حساب ، والإيمان بالدعوة الإسلامية وصلاحيتها لإصلاح الناس ، والإيمان بأنهم خير الأمم ، وأنهم أحق بهذه الدعوة وأهلها ، هذا الإيمان المتشعب المتغلغل فى أعماق القلوب هو سبب الأسباب فى هذه الموقعة الفاصلة وغيرها من مواقع الإسلام الحاسمة .

لقد كان من آثار هذا الإيمان القوى ، هذه المواقف المشرفة ، والكلمات العذاب المؤمنة . التى صدرت عن الصحابة الأماثل قبيل الغزوة ، فقد روى الثقات أن النبى ﷺ لما علم بخروج قريش لتمنع عيرها وأخبر صحابته أن الله وعدهم إحدى الطائفتين : إما العير ، وإما النفير [1] وفرت العير ولم يبق إلا النفير ، أراد أن يتعرف رأى أصحابه فى الخروج للقتال فقال : أشيروا على أيها الناس . فقام السيد المقداد بن الأسود رضى الله عنه فقال : يارسول الله امض لما أمرك الله ، فوالله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون » ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والله لو سرت بنا إلى برك الغماد [2] لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه » ، فدعا له النبى بخير . ثم قال عليه الصلاة والسلام : أشيروا على ـ وكان يريد الأنصار ، لأنهم بايعوه بيعة العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ما دام بين أظهرهم ولم يعاهدوه على الخروج ، فقام السيد الأوسى سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال : لكأنك تريدنا يا رسول الله . فقال : أجل . فقال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا ، فامض لما أمرك الله فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضته لنخوضنه معك ، وما نكره أن تكون تلق بنا العدو غدا ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك ماتقر به عينك ، فسر على بركة الله » فأشرق وجهه صلى الله عليه وسلم ، وبشرهم بالنصر ، وهكذا فليكن الإيمان .

---

(١) العير : الابل تحمل الميرة . والنفير : القوم الذين نفروا من مكة لمنع العير وهم الذين حاربوا المسلمين .
(٢) موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن .

ويسمو الإيمان بالمسلمين فى بدر ، ويسمو الحب الممتزج بالإيمان ، فيشير السيد سعد بن معاذ على النبي ﷺ أن يبنوا له عريشاً وراء الجيش وتكون عنده ركائبه ، فإن نصرهم الله فذلك ما أحبوا ، وإن كانت الأخرى ركب ركائبه ولحق بمن بقى من المسلمين بالمدينة ، وهم قوم ليسوا بأقل ممن خرجوا إيمانا ولا طواعية لرسول الله ، ولولا ظنهم أن رسول الله خرج للعير لما تخلفوا عن الجهاد ، وقد أثنى النبي ﷺ على سعد ونزل عند هذا الرأى وضرب فى باب الاستماع إلى المشورة الصائبة مثلا يحتذى إلى يوم الدين ، وما أشار به سعد رضى الله عنه هو غاية ما وصل إليه الفن الحربى الحديث ، فانظر بعين البصيرة كيف بلغ أبناء الصحراء فى الفن الحربى شأواً بعيداً يشهد لهم بأصالة الرأى ، وذكاء القلب ، وسلامة الفطرة ، ولا عجب فالمؤمن ينظر بنور الله .

وإن المسلم منا ليغض الطرف حياء من نفسه حين يستعيد هذه الذكريات المجيدة التى مكنت للمسلمين الأولين فى الأرض ، وبدلتهم من بعد خوفهم أمنا . ومن بعد ضعفهم قوة وعزة ، ولو أن فى الخمسمائة مليون مسلم الذين يسكنون المعمورة اليوم ، مليونا واحداً على غرار أهل بدر ، لصنعوا تاريخ العالم كما يريدون ، ولظهر الإسلام على الدين كله ، ولو كره الكافرون . فهل يثوب المسلمون إلى الرشد ؟ وهل يتخذون من أهل بدر وقائدهم قدوة حسنة ؟ وهل تتحقق الآمال ؟

وفى رمضان من السنة الثامنة ، وفى اليوم العشرين منه ، دخل الرسول ﷺ وأصحابه مكة منتصرين مظفرين ، وكان من فرط شكر النبي ﷺ لربه وشدة تواضعه أن طأطأ رأسه حتى لتكاد تمس جبهته الرحل ، وضرب الرسول وأصحابه مثلا عليا فى العفو والتسامح ، لا تكاد تعرف إلا فى تاريخ الإسلام . وبفتح مكة دخل الناس أفواجا فى دين الله ، حتى أضحت الجزيرة على قلب رجل واحد ، وحقق الله لحبيبه محمد وعده ، وأتم عليه نعمته .

ولم يكد يمضى قرن من الزمان ، حتى بسط الإسلام لواءه على أنحاء العالم المعروف حينئذ ، ونعم بدين العدل والرحمة والمساواة ، وأضحى الناس فى أمن وسلام .

ولا يتسع المقال اليوم لإشباع القول فى ثالثة الذكريات ، فإلى فرصة أخرى إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

التأويل والتفسير

منذ سنوات مضت نشرنا بعض مقالات فى التأويل العقلى ، كانت فى جوهرها نماذج لتأويلات بعض الفلاسفة أو — على وجه التخصيص — لفيلسوف إسلامى ، هو أبو على ابن سينا ، لبعض الأصول التى تتعلق بالعقيدة .

ولما كان التأويل العقلى قد احتل مكانا مرموقاً فى الفلسفة الإسلامية ، واتخذه فلاسفة الإسلام سلاحا للتوفيق بين الدين والفلسفة ، فقد رأينا أن نتكلم فى مقالنا هذا عن التأويل من ناحيتيه اللغوية والعامة .

يقول صاحب اللسان (١) : « وأما التأويل فهو تفعيل من أوَّل يُؤَوِّل تأويلا ، وثلاثيه آل يؤول أى رجع وعاد ، وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال : التأويل والمعنى والتفسير واحد » ا ﻫ . يظهر من هذا النص أن التفسير والتأويل هو محاولة معرفة ما يراد من ظاهر العبارة ، وبسط ما أشكل فهمه أمام النظرة العابرة .

ولا يرد عند التهانوى (٢) ذكر « للتأويل » كمادة مستقلة ، بل يذكره فى ثنايا « التفسير » ويروى أن الراغب قال : « التفسير أعم من التأويل ، وأكثر استعماله فى الألفاظ ومفرداتها ، وأكثر استعمال التأويل فى المعانى والجمل ، وكثيرا ما يستعمل فى الكتب الإلهية ، والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها » . وروى أيضاً أن أحد العلماء قال : « التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا ، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة ، إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة » . وروى كذلك أن الماتريدى قال : « التفسير : القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، أو الشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا ، فإن قام دليل مقطوع

---

(١) لسان العرب ص ٣٤ ، ﺟ ١٣ ، طبعة أولى ، بولاق سنة ١٣٠٢ ﻫ

[٢] كشاف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد على التهانوى ، صححه وأوضحه وزاد فيه الفقيه مولوى محمد وجيه مدرس المدرسة الكلكتية ، وأعانه فيه مولوى عبد الحق ومولوى غلام قادر ورتب ذيله الويس اسبرنكو التيرولى . ﺟ ٢ ص ١١١٥ – ١١١٦ – ١١١٧

به فصحيح ، وإلا فتفسير بالرأى ، وهو المنهى عنه ، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله » .

وفى كليات أبى البقاء (١) أيضاً لا يرد ذكر لمادة « التأويل » مستقلة عن « التفسير » بل يذكرها فى ثناياها ؛ وهو يقول : « التفسير والتأويل واحد ، وهو كشف المراد عن المشكل ، والتأويل فى اللغة من « الأول » ، وهو الانصراف ، والتضعيف للتعدية ، أو من « الأيل » وهو الصرف ، والتضعيف للتكثير ، وقيل التأويل بيان أحد محتملات اللفظ ، والتفسير بيان مراد المتكلم ، ولذلك قيل : « التأويل ما يتعلق بالدراية ، والتفسير ما يتعلق بالرواية » .

يفهم من هذه النصوص أن التأويل معناه فى الأصل التفسير والشرح ، ولكن الكلمة تطورت مع الزمن ، وفرق بعض العلماء بينها وبين التفسير ؛ فانصرف التأويل إلى المعانى والمراد الإجمالى ، وانصرف التفسير إلى شرح المفردات والألفاظ شرحا لغويا يؤدى إلى المعنى الظاهر من النص .

ولقد وردت فى القرآن الكريم بعض آيات (٢) تشير إلى الوحى الذى ينزل على الرسول ﷺ . ومن ثم اقتصر لفظ التأويل ردحا من الزمن على هذا المعنى الخاص ، وظلت هكذا إلى أن أصبحت اصطلاحا يطلق على تفسير مادة القرآن ، أى أن يكون التأويل جزءا إضافيا هاما للتفسير أو الشرح اللفظى الظاهرى .

وهذا يعد مقدمة لما اصطلح عليه الفقهاء والمتكلمون والفلاسفة على أن التأويل هو تفسير النص بمعنى غير الذى يفهم من ظاهره ، وهذه الطريقة أو هذا المنهج نال تأييد أهل السنة ما دام المعنى الناتج منه لا يختلف مع ظاهر النص ، والعكس صحيح .

---

(١) الكليات لأبى البقاء الحسينى الكفوى الحنفى ، طبعة بولاق سنة ١٢٨٠ هـ ص ١٠٥

(٢) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله : [الآية التاسعة والثلاثون من سورة يونس] . فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله : [الآية السابعة من سورة آل عمران] .

ولقد وجد أصحاب المذاهب الفكرية فى الإسلام - من متكلمين وفلاسفة ومتصوفة - بغيتهم فى التأويل ، فاستشهدوا بآيات القرآن الكريم فى تأييد مذاهبهم ، بل ذهبوا إلى الحد الذى بنوا فيه هذه المذاهب على نصوص القرآن .

ويطول بنا المقام إذا نحن حاولنا أن نحكم حكما قيميا على التأويل مبينين ماله وما عليه ، ولكن لا مانع من أن نذكر - فى هذه المقدمة - أن المسلمين اضطروا إلى اصطناع منهج التأويل بعد أن ووجهوا بأقوام لا يكفيهم فى الإقناع أن يقال لهم : « قال الله تعالى ، كذا ، وقال الرسول ﷺ ، كيت . » بل كانوا يريدون مناقشة المسائل من ناحية عقلية بحتة ، فانبرى لهم مفكرو الإسلام ، وساروا معهم إلى نهاية الشوط . ولما كان لابد لهم من التماس التأييد من دينهم فى النهاية فقد أعملوا عقولهم عند النظر فى آيات الله وفى أحاديث الرسول ، فوجدوا فيها منبعاً خصباً فى تأييد مذاهبهم عند ما تسلحوا بمنهج التأويل .

وليس من شك فى أن بعض من سار على هـذا النهج قد خرج عن الطريق السوى الذى رسمه الدين ، وسنبين ذلك كله بإذن الله فى مكانه من البحث ؟

سعيد زايد

أدب الشعر

قال معاوية رضى الله عنه لعبد الرحمن بن الحكم :

« إنك قد لهجت بالشعر ، فإياك والتشبيب بالنساء فتعرّ شريفة ، والهجاء فتهجن كريماً أو تثير لئيما ، وإياك والمدح فهو كسب الأنذال . ولكن افخر بمآثر قومك ، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك وتؤدب به غيرك . وإن لم تجد من المدح بدأ فكن كالملك المرادى حين مدح فجمع فى المدح بين نفسه وبين الممدوح فقال :

أحللت رحلى فى بنى ثعل إن الكريم للكريم محل

محنة الأدب وما هو السبب ؟

اطلعت على مقال قيم، للأستاذ الجليل (أبو الوفا المراغى) فى مجلة « الأزهر » الغراء تحت عنوان « محنة الأدب، وما هو السبب ؟ » والحق أن مقال الأستاذ كان له أجمل الأثر فى نفسى، فقد بعث فيها الرضا والاطمئنان، وحملنى على الكتابة حملا، لأقرر فى شىء كثير من الإعجاب أن الأستاذ من أولئك القلائل الذين يعنون بالأدب، والذين لهم إلمام تام بأسراره ومناهجه.. ولكن رغم إعجابى هذا فإن الأمانة العلمية والأدبية تقتضينا إبداء الرأى فى هذا الموضوع على ضوء ما رسمه لنا الأستاذ فى هذا البحث الأدبى الرائع. فهذه أمانة فى أعناقنا، ورسالة يجب أن نؤديها إلى أبنائنا الشباب، وليس من رائدنا أن نشيع اليأس والذعر والقنوط فى نفوس أولئك الشباب، ولا أن نأخذهم بما أخذهم به بعض أدباء الشيوخ الذين لا هم لهم إلا أن يكونوا هم رواد هذا الأدب وشيوخه وأعلامه، فهذه هى الطامة الكبرى، بل هذه محنة الأدب، بهذا أصارح الأستاذ ولا أحب أن أكون من المتشائمين، فقد اعتدت أن أستقبل الحياة بما فيها من زوابع وضجيج وعواصف وبراكين بالرضا والاطمئنان. وإن الذى يقرأ مقال أديبنا الكبير ويمعن النظر، ليعتقد معنا أن دولة الأدب قضت نحبها وشيع سفرها ذلك الزمن الهازل، وأنه لم يبق لدينا من هذه الآثار إلا تلك الأطلال الصارخة الباكية، والتى مزق أستاذنا بيراعته وبراعته أكفانها.

لا تظلموا الموتى، وإن طال المدى   إنى أخاف عليكم أن تلتقوا

ولا أدرى لماذا استقبل الأديب دولة الأدب بهذا العنف، فأطلق حكمه ذاك على هذا الوليد، أو ذلك الشيخ، فقصم ظهر الأدب إن جاز هذا التعبير، وجعله غير قادر على المضى فى طريقه الذى رسمه له شيوخ الأدب وأعلامه.

ومع هذا، فالأدب ياسيدى ليس فى محنة، ولكنها محنة الزمن الذى صهر الأدباء والشعراء فى بوتقته، وأسدل عليهم حجابا كثيفاً من الأحداث، فلم يستطيعوا قهر الطبيعة بين عصف الحياة وزمجرة الخطوب.

فهل صحيح بعد هذا ما يقوله الأستاذ « وتتمثل محنة الأدب فى ندرة ما يظهر فيه من كتب ، ونستطيع أن نلمس ذلك فى يسر خصوصاً فى الربع الثانى من هذا القرن ، وإنه ليعييك أن تعد من هذه الكتب ما يبلغ أصابع اليد ، وكم من الكتب فى منثور الأدب تستطيع أن تذكره بعد كتب المنفلوطى ، وكم من دواوين للشعر تستطيع أن تذكره بعد ديوانى شوقى وحافظ ؟ » . ونحب أن نقول لأستاذنا العالم الأديب : إذا كان ذلك كذلك ، ففيم إذاً هذه الضجة العنيفة التى يقوم بها كل حين شيوخ الأدب وشبابه ؟ أليس فى ذلك دليل على أن هناك أدباً ، وأدباً رائعاً ، وأن هذا الركب يسير بين أعاصير النقاد ، وعواصف الرجعية العاتية ، فلم تطغ عليه تلك السوافى الهائجة التى تهب من صحراء الأبد .

فإلى أين يذهب ما تخرجه المطابع من كتب فى الأدب وفلسفته ؟ هل تبتلعه أفواه الزمن ؟ ، أم تحمله الريح إلى وادى النسيان ؟ . . وإلى أين تذهب تلك الدواوين ؟ أيكون مصيرها العدم والفناء فلا تقدر لها الحياة ؟ أم أنها خالدة خلود الزمن ؟ وإذا جازلنا أن نسأل الأديب عن شىء يختلج فى النفس ، فإنا نقول له : لماذا اخترت « المنفلوطى ، وشوقى ، وحافظ » دون غيرهم من الكتاب والشعراء ؟ ونحن مع إجلالنا لأدب المنفلوطى نعتقد أنه الشعلة الأولى التى أزاحت لنا هذا الركام عن وجه الأدب ، ونفضت عنه غبار الزمن ، أقول مع إجلالى لأدب المنفلوطى فإنى مكره على أن أقرر فى شىء من الثقة والاطمئنان أنه لا يصور لنا إلا تلك النواحى القاتمة فى هذه الحياة التى يحياها الناس ، فهو قد ملأ الدنيا من حولنا بؤسا وشقاء وقتاما ، وعلى كل حال فقد مات هـــذا الأدب الباكى أو كاد ، ونسجت عليه الأيام طبقات من النسيان ، ومع هذا ورغم هذا . . فنحن نؤمن بأن المنفلوطى يرحمه الله كان أديب عصره ، وأن له أدباً ما زال ينشر ويدرس ، وأن صاحبه قد شغل به الدنيا حيناً من الدهر ، وفى أغلب الظن أنه سيشغل به الدنيا حيناً آخر .

وما دمنا بصدد الكلام عن الشعر والشعراء فإن فى مصر والعالم العربى شعراء ، شعرهم ليس شعر شوقى وحافظ . وليس معنى هذا أن شوقياً وحافظاً غير شاعرين ، فهما فى الطليعة ومن شعرائنا الأفذاذ فى عصرنا الحديث ، ولكن ما أتيح لهما من أسباب الشهرة والمجد لم يتح لأولئك الشعراء المغمورين . وفى الحق أن (شوقى) خلده شعره « الإسلامى » الناصع ، (وحافظ) خلده شعره « الوطنى » الملتهب الرائع ، وإن كان شعرهما لا يمتاز عن شعر غيرهما

من أولئك الشعراء الذين نعنيهم » والذين يدركون مافى ذلك الأدب من جمال ، ويتذوقون ما فيه من فوق وإبداع » .

وليس من الحق أن يقال « وها هى ذى المؤلفات الأدبية ، وهى كثيرة وكثيرة فكم منها ما يستحق أن ينظم فى كتب الأدب ؟ » الخ . . وما لنا نترك أستاذنا فى هذه الحيرة الحائرة ؟ وفى استطاعتنا أن ندله فى يسر على كتب ودواوين ظهرت فى « عشر السنين الأخيرة » لكتاب وشعراء لم تظفر الدنيا بأمثالهم ، بل لم يظفر بأمثالهم الأدب ، وفيهم الشيخ والشاب ، وما لنا ندله على هذه الكتب ولا ندله على أصحابها فإن فى ذكرهم ذكراً لكتبهم وآثارهم التى هى أبقى على الخلود من الخلود ، ومع هذا فالأديب يعلم من أمرهم ومن أمر الأدب ما نعلم ، ومن منا لا يعرف فى دولة النثر « الرافعى » رحمه الله وهو أمة وحده ؟ وفى دولة النظم « أحمد محرم » صاحب ديوان مجـــد الإسلام ؟ ومن منا كذلك لا يعرف الزيات وأحمد أمين ، وهيكل والسيد قطب ، والسباعى وأحمد الشايب وعلى الطنطاوى ، وعرجون والكيلانى ؟ ومن منا لا يعرف السعيد رمضان ، والدكتور عزام ، وغيرهم وغيرهم ممن ملأوا الدنيا حكمة وعلماً وأدباً وفلسفة ، وسارت بآثارهم الركبان كما يقولون ، فهم ملء السمع والبصر ، وهم من قادة الفكر والرأى . . أفبعد هذا يقال إن الأدب فى محنة ؟ وإن « السبب الحقيقى فيما نظن وراء ذلك ، وهو مزاحمة المتأدبين للأدباء ومحاولتهم أن يخلطوا إنتاجهم الغث الرخيص بالثمين الغالى من إنتاج هؤلاء » . وهل يعنى فيما يقول أولئك الشيوخ ؟ أم أولئك الشباب ؟ وما لنا ننتظر الجواب ولا نبادر بذكر طائفة من الشعراء المعاصرين سواء منهم الشيوخ أو الشباب حتى لا يرمينا الأستاذ بالتشيع والقصور ؟ وحتى يعلم الناس أن فى مصر والعالم العربى أدباء شعراء « فى عشر السنين الأخيرة » ظفروا أو ظفرت آثارهم ودواوينهم بالتقدير والإعجاب والخلود . . فمن هؤلاء الشعراء الموهوبين الذين لهم « إنتاج فنى رصين » محمود إسماعيل ، وعبد الغنى ، وأبو الوفا . والأسمر ، وعماد ، وكمال النجمى ، وشكرى ، والسيد قطب ، وعبد القادر رشيد الناصرى ، وبشارة الخورى ، وإيليا أبو ماضى ، وأنور العطار ، والجندى ، وغنيم ، والجرنوسى ، وغيرهم وغيرهم ممن يذكرهم أستاذنا الفاضل من شعرائنا الأحياء ، ولهم آثار ودواوين « فى عشر السنين الأخيرة » وإن كان ينقص بعض هؤلاء الشعراء العباقرة التوجيه الإسلامى ليستطيعوا بمجهوداتهم الفنية أن يقودوا الرأى العام الإسلامى ، وأن يساهموا أو يشاركوا فى نهضتنا الأصيلة ، وأن

يتغنوا بأمجاد الإسلام والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها . . ونظرة واحدة إلى المعركة الأدبية التى تدور رحاها اليوم بين أدباء الشيوخ وأدباء الشباب تعطينا صورة صادقة على أن الأدب ليس فى محنة ، ونستعير من ساداتنا الفقهاء هذا التعبير « فاقد الشيء لا يعطيه » ، وفاقد الأدب لا يناقش ولا يعطى الناس من أثماره شيئاً ، ولا يقيم المعارك حول الأدب ورسالته ، وإن هـذا الوعى الأدبى الوثاب لهو البرهان على أن الأدب لم يمت ولم يتعثر فى مشيته ، وأنه ليس فى محنة ، شاء الزمن أو لم يشأ ، وها هو أدبنا الحديث يتبوأ مكانه بين آداب الأمم الراقية ، والشعوب الناهضة فى الأرض ، وهذه هى بدائعهم وروائعهم قد ملأت الدنيا فتنة وسحراً وجمالا .

الحقيقة أن ما نسميه « محنة » هو فى دولة الأدب إنشاء وتجديد وتصوير وإبداع ، وهؤلاء هم أدباؤنا وشعراؤنا ، وتلك هى رسالاتهم تملى على الدنيا سطور المجد وأهازيج الخلود ، وهؤلاء هم قراؤنا الأفاضل يلتهمون بشغف كل ما يقدم إليهم من ثمار هذا الأدب اليانع ، فهو غذاؤهم الروحى الذى يملأ دنياهم بهجة وأملا ، فهل بعد هـذا « تتمثل محنة الأدب فى انصراف القراء عن قراءة الأدب » ؟ لعل الأستاذ يريد الناس جميعاً قراء لذلك الأدب الرفيع الذى يعنيه فى مقاله القيم ، يقرءونه ويتذوقون ما فيه من لذة ومتاع ، وفتنة وسحر وجمال ... هنا . وهنا فقط يجب أن نؤمن بالتدرج ، فالله لم يخلق الناس ليصبحوا بين عشية وضحاها أدباء وشعراء وكتابا ... فلنفسح الطريق إذاً لأدباء الشباب ولنبارك نهضتهم ، ولنذكر أشياخ الأدب وأعلامه ، ونأخذ عنهم الحكمة والأدب ، ولنسر به قدماً إلى الأمام ولنوفق بين القديم والحديث ، ولنقل مع القائلين : إن الأدب ليس فى محنة ، بل هو حى وسيبقى حياً ما دام الدهر ، وما دام كتاب الله محفوظاً فى الصدور . ترتله الألسن ، وتنشر بدائعه وروائعه وأحكامه وقوانينه فى الحياة علماء أمناء ، وشعراء حكماء ... وبعد فهذه لفتة أرجو أن تتبعها لفتات ، ولا أشك بعد هذا أن كل ما يرويه الناس عن الأدب ليس إلا رغوة متطايرة فوق بحر الحياة الأدبية والإنسانية ... أما أعماق الأدب وآفاقه فأبعد وأوسع من أن يتناولها قلم أو يستوعبها بيان ، فالأدب مهما جل لا معنى له إلا على قدر ما يكشف معنى الإنسانية والحياة .

صابر على رمضان الجوشى

معنى الانسان فى مختلف الآيات

أصل معنى « الإنسان » هذا الجنس البشرى الذى يعمر الأرض ، وفى تعريف المناطقة « الحيوان الناطق » . وقد أطلقت كلمة « الإنسان » فى القرآن الكريم على هذا المعنى الأصلى وعلى معان أخر بينها وبين المعنى الأصلى مناسبة ، وإن كان إطلاقها على غير المعنى الأصلى فى بعض الآيات ليس نصا وإنما يحتمله بعض التفاسير .

وسأذكر هنا أنواعا من معنى الإنسان فى القرآن وصلت إليها بعد استقراء هذه الكلمة فى جميع الآيات ، واستعنت على ذلك بقراءة كتب التفسير المختلفة وبعض الكتب التى كتبت فى معانى القرآن .

١ — قال تعالى « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » يجوز أن يراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس البشرى كله ، ويكون الحين الذى لم يكن فيه شيئاً مذكورا هو مدة الحمل ، ولكن هذا المعنى لا ينطبق على آدم أبى البشر عليه السلام . لأنه لم تكن له مدة حمل . ويجوز أن يراد بالإنسان آدم عليه السلام ، والحين الذى لم يكن فيه شيئاً مذكورا هو المدة التى كان فيها صورة من الطين قبل أن ينفخ الله فيه الروح ، ويكون إطلاق لفظ الإنسان عليه مجازا علاقته الكلية إذ أطلق الكل وأريد به الجزء ، ولما كان آدم أبا البشر وأصله جميعا فكأنه الجنس كله . و « هل » فى الآية معناها قد .

ومثل هذه الآية قوله تعالى فى سورة المؤمنين « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » ومثلها أيضاً قوله تعالى فى سورة الرحمن « خلق الإنسان من صلصال كالفخار » ولكن إطلاق الإنسان فى هاتين الآيتين على آدم حقيقة ، وعلى آدم وبنيه مجاز ، علاقته الجزئية ، لأن آدم جزء من الجنس ، وصح إطلاق اسم الجنس كله عليه لأنه أصله فكأنه جميعه ، والذى يدعونا إلى اعتبار المجاز أن بنى آدم لم يخلقوا من صلصال وإنما خلقوا من نطفة ، وآدم وحده هو الذى خلق من الصلصال ومن سلالة الطين .

٢ — قال تعالى فى سورة ق : « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

المراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس كله ، أو آدم عليه السلام . ولكن إرادة الجنس أرجح .

٣ — قال تعالى فى سورة الدهر : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » المراد بالإنسان فى هذه الآية أولاد آدم ، لأنهم المخلوقون من النطفة .

٤ — قال تعالى فى سورة « التين » : « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » المراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس كله ، وقيل الوليد بن المغيرة ، وقيل كل كافر ، ومعنى أسفل سافلين أرذل العمر على الأول ، وعلى الآخيرين النار .

ومثل ذلك قوله تعالى فى سورة الزمر : « فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم ، بل هى فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون » المراد بالإنسان الجنس كله ، وقيل الوليد بن المغيرة أو هشام بن المغيرة أو كل كافر .

٥ — قال تعالى فى سورة العاديات : « إن الإنسان لربه لكنود ، وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديد » المراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس كله فإن من طبيعة الإنسان جحد نعمة الله عليه وعدم توفيتها حقها من الشكر ، وهو شهيد على نفسه بذلك ، وقيل المراد بالإنسان الكافر لأنه يجحد نعمة الله عليه فيكفر به ولا يعبده ويعبد غيره ، ويصرف إليه الشكر ، والله أولى بعبادته وشكره ، وقيل قرط بن عبد الله .

٦ — قال تعالى فى سورة العلق : « إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » المراد بالإنسان الجنس كله ، أو أبو جهل بن هشام ، فإن من طبيعة الإنسان الطغيان والاستكبار عند ما يستغنى بالمال والجاه عن غيره ، وكذلك أبو جهل لما وجد نفسه غنيا ذا جاه طغى واستكبر وأراد أن يكون السيد الذى لا ينازعه أحد فى رياسة قريش ، وحارب رسول الله ﷺ حربا مريرة ، ولكن الله خذله وقتله وهو قاهر الطغاة ، مذل المستكبرين وروى أنها نزلت فى أبى جهل حين نهى النبى ﷺ عن الصلاة ، فأمره الله بالصلاة فى المسجد وأن يقرأ باسم ربه الذى خلق .

٧ ـــ قال تعالى فى سورة « الإسراء » : « ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا » المراد بالإنسان الجنس كله لأن من عادة الإنسان أن يدعو لنفسه بالخير إذا كان راضياً ، فإذا ضجر دعا على نفسه بالشر ، لأنه عجول لا يصبر على الشر ، ويستعجل دائماً الخير ، ورب شر أنفع من خير ، ولكن الإنسان من طبعه إيثار العاجلة على الآجلة ، وقد أحسن الشاعر وصف النفس الإنسانية بقوله :

إنى لأرجو منك خيراً عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل

وقيل المراد بالآية النضر بن الحارث .

٨ ـــ قال تعالى فى سورة الحشر : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين » المراد بالإنسان الجنس كله ، فإن الشيطان يغوى الناس جميعاً بالكفر ، فمن كفر منهم قال له : إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين . أو المراد بعض الجنس ، وهم الذين استجابوا لإغواء الشيطان فكفروا بربهم وقيل : المراد شخص واحد من الجنس هو برصيصا العابد الذى كان فى أيام الفترة ، وله قصة تناقلها بعض المفسرين .

٩ ـــ قال تعالى فى سورة المعارج : « إن الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين » الآيات .

المراد بالإنسان هنا الجنس كله ، لأن من طبيعته الهلع والجزع والضجر وعدم الصبر إذا مسه الشر ، ومن طبعه الحرص والشح ومنع أصحاب الحقوق حقوقهم ، ولكن الله هذب هذه الطبيعة بما أرسل به رسوله ﷺ من الحث على الصبر وبيان جزائه العظيم والحث على الاستهانة بالدنيا فى سبيل الله ، وإعطاء كل ذى حق حقه سواء كان دينا أو أجر عمل أو زكاة مال أو غير ذلك ، ولذا استثنى الله المتأدبين بأدب القرآن من هذا الحكم فقال تعالى : « إلا المصلين » الآيات ، وقيل المراد الأخنس بن شريق .

١٠ ـــ قال تعالى فى سورة الانفطار : « يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك » قيل المراد بالإنسان فى الآية الجنس كله ، فإن من طبيعته الطمع فى رحمة الله والاغترار بما آتاه من نعمه ، وما أفاض عليه من كرمه ، فينفق صحته وماله فى معصية ربه ، وكان الأجدر به أن ينظر إلى نفسه ، ويتأمل

فى صورته وما وهبه الله من قوة فى الجسم وحسن فى الصورة ، فيشكر على ذلك بالتقوى ويتقرب بالطاعات ، وقيل المراد بعض الجنس وهم الكفار الذين اغتروا بفضل الله وكرمه عليهم فنسوه وعبدوا غيره وحاربوا رسله ، وكان الواجب عليهم عبادته وطاعته ومساعدة رسله على نشر دعوتهم وتبليغ رسالتهم ، وقيل المراد أسيد بن خلف أو الوليد بن المغيرة أو أبى بن خلف .

١١ — قال تعالى فى سورة البلد : « لقد خلقنا الإنسان فى كبد » الكبد : المكابدة . قيل المراد بالإنسان فى هذه الآية الجنس كله ، فقد خلقه الله وجعله ملازما للشدة والبأس والتعب ، وسلط عليه نفسه ، وأمره بمقاومتها ، وأرسل عليه المصائب فى الدنيا يبتليه بها ، ثم بعد ذلك يقاسى أهوال الآخرة من الحساب والعقاب على ما اقترف من السيئات ، ولخوفه وهمه يوم القيامة أشد مما لاقى فى حياته كلها . وقيل المراد بالإنسان كلدة بن أسيد .

١٢ — قال تعالى فى سورة الفرقان : « ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا . لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا » قيل المراد بالإنسان الجنس كله ، فإن الشيطان يغوى الإنسان ثم يخذله بعد أن يطيعه ويتبرأ منه . وقيل المراد بالإنسان الكافر لأنه أحب الإنسان إلى الشيطان ومع ذلك فهو يخذله ويتبرأ منه يوم القيامة ، ويقول كما حدث الله على لسانه « فلا تلومونى ولوموا أنفسكم » . وقيل المراد عقبة بن أبى معيط ، وكان قد أسلم فرده عن الإسلام أبى بن خلف ، وعلى ذلك فهو المراد بفلان فى قوله تعالى « لم أتخذ فلانا خليلا » ، وعلى التفسيرين الأولين يكون المراد بفلان كل شخص يتخذه الكافر أو العاصى خليلا يخضع له فى مقارفة الكفر والمعصية .

١٣ — قال تعالى فى سورة القيامة : « أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه » . قيل المراد بالإنسان الجنس كله لأن الإنسان يعظم عنده بحسب تفكيره الضيق جمع عظامه بعد بلاها ، وعودته حياً كما كان ، وقيل المراد عدى بن ربيعة الذى أنكر البعث وقال : أبعد أن أموت وأصير ترابا يعيدنى الله ويحاسبنى ؟ هذا حديث خرافة . وقيل المراد كل كافر ينكر البعث ، ولا يؤمن بقدرة الله على إعادة الخلق .

١٤ — قال تعالى فى سورة يس « أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » الآيات .

قيل المراد بالإنسان فى هذه الآيات العاص بن وائل أو أبى بن خلف الجمحى على الخلاف فى ذلك ، روى أنه أنكر البعث واستعظمه على الله ، وزعم أن الإنسان بعد أن تبلى عظامه لا يحيا . وأخذ عظما رميا ففتته أمام الرسول ﷺ وقال له : أترى يحيي الله هذا بعد ما بلى ورم ؟ فقال له ﷺ : « نعم ويدخلك النار » .

وقد رد الله تعالى عليه فى الآيات أبلغ رد فقال تعالى : « ونسى خلقه » وقال : « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ، أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » .

ويجوز أن يراد بالإنسان الكفار الذين ينكرون البعث ويقولون : كيف يحيي الله الناس بعد موتهم .

وينبغى أن يلحظ أن لفظ الإنسان إذا استعمل فى الجنس كله فهو حقيقة ، وإذا استعمل فى بعض الجنس فهو مجاز وتختلف علاقات المجاز باختلاف الاستعمال كما سبق بيانه فى بعض الآيات .

طه الزينى
أستاذية فى النحو والصرف

حدائق الحيوان فى الحضارة الاسلامية

العرب المسلمون أول من استحدث حدائق الحيوانات ، وكانوا يسمونها « حير الوحش » وقد أنشأ الخليفة المأمون واحدة من هذا النوع فى عاصمة الخلافة ببغداد وجعلها متصلة بالميدان وقصر الثريا الذى بناه المعتضد على نهر عيسى ببغداد ، ثم جاء الخليفة المقتدر بالله فزاد فى ذلك .

لغويات

انظر فى : أولا كتب النحو ، وثانيا كتب البلاغة .

شاع هذا الأسلوب فى كتابة العصريين ، حتى من يتسم بالثقافة اللغوية . وفى إحدى المجلات اللغــوية الجلىّ ما يأتى .

« قد يستعمل هذا الاصطلاح فى مواطن السخرية للدلالة على :

أولا — الاهتلاس أو اختلاط الافكار

ثانياً — النظريات الفلسفية أو العلمية التى يظن أن فيها هلجا أو غموضاً يحار فيه العقل » والاهتلاس : ذهاب العقل ، والهلج : أن يخبر المرء بما لا يؤمن به .

والباحث اللغوى يرى فى المثال المصدر به البحث مجالا للقول من ناحيتين .

الاولى مكان « كتب النحو » من الإعراب . وظاهر الأمر أنها مجرورة بالحرف « فى » . وهنا تتجه المؤاخذة : ذلك أن فيه الفصل بين الجار ومجروره ، وهذا من قبيح الفصل . ويقول ابن جنى فى الخصائص [1] : « والفصل بين الجار ومجروره لا يجــوز . وهو أقبح منه بين المضاف والمضاف إليه . وربما فرد الحرف ، فجاء منفوراً عنه ؛ قال :

لو كنت فى خلقاء أو رأس شاهق ‏ ‏ ‏ ‏ وليس إلى منها النزول سبيل

ففصل بين حرف الجر ومجروره بالظرف الذى هو (منها) » ، ومما جاء فيه الفصل بالظرف لضرورة الشعر قوله :

إن عمرا لا خير فى اليومَ عمرو ‏ ‏ ‏ ‏ إن عمراً مــكثر الأحزان

وفى المثال احتمال أن يكون مجرور الحرف محذوفا ، وتقدير الكلام : انظر فيما أعنيه أو أذكره ، مثلا ، ويكون « كتب النحو » بدلا من هذا المحذوف . وهذا وإن أنجانا من المحذور السابق لا ينبغى المصير إليه ، لأن فيه تعليق الحرف أى حذف معموله ، وهذا ممنوع عندهم .

---

(١) جـ ٢ ص ٣٩٥

والناحية الثانية مكان « كتب البلاغة » من الإعراب أيضا . وظاهر الحال أنه مجرور بالعطف على « كتب النحو » وهذا يرد عليه الفصل بين العاطف النائب عن الجار ، والمعطوف المجرور ، وهذا أيضا لا يجوز فى النحو . ويقول أبو حيان فى البحر [١] : « لا يجوز الفصل بالظرف أو المجرور بين حرف العطف ومعطوفه المجرور . لا يجوز : مررت بزيد اليوم وأمس عمرو . فإن جاء ففى شعر » . وجاء قوله تعالى فى الآية ٧١ من سورة هود : « وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب » فقرأ معظم القراء « يعقوب » بالرفع ، وقرأه ابن عامر وحمزة وحفص بفتح باء « يعقوب » . وقد رأى بعضهم أن « يعقوب » فى موضع جر بالعطف على « إسحق » . ورد هـذا الوجه بأن فيه الفصل السابق . ويخرجه من لا يرضى هذا على أنه فى موضع النصب بفعل يفهمه معنى الكلام ، وهو « وهبنا » مثلا . وذلك أن « بشرنا » فى معنى وهبنا ، ومثل هذا من العطف على المعنى كثير فى كلامهم . ويقول ابن جنى [٢] : « والأحسن عندى فى يعقوب من قوله ـ عز اسمه ـ : (ومن وراء إسحق يعقوب) فيمن فتح أن يكون فى موضع نصب بفعل مضمر دل عليه قوله : (فبشرناها بإسحق) أى وآتيناها يعقوب . فإذا فعلت ذلك لم يكن فيه فصل بين الجار والمجرور » .

وأعود إلى المثال الذى أوردته عن المجلة ؛ ففيه : « ثانيا » وهو معطوف على « أولا » مع حذف العاطف . وهـذا لاينقاس [٣] ؛ وإن ورد منه قليل . سمع بعضهم يقول : أكلت سمكا ، لحما ، تمرا . ويقول الشاعر :

كيف أصبحت كيف أمسيت مما يزرع الود فى فؤاد الكريم

وإنما يريد : كيف أصبحت وكيف أمسيت ، أى إلقاء التحية فى الصباح وفى المساء .

ويجرنا ما نحن فيه إلى مثال آخر يدنو منه . وهو :

أرجو صدور الأمر أولا : بإعادة فلان إلى عمله ، وثانيا : بإعطائه أجره .

وورد فى صحيفة يومية ما يأتى : « ومن ثم يلتمس المدعى الأمر أولا بوقف القرار الصادر من الحاكم العسكرى العام ... والقضاء بعد ذلك فى موضوع القرار بإلغائه » .

---

(١) جـ ٥ ص ٢٤٤ (٢) الخصائص ٢ ـ ٣٩٧ (٣) انظر الخصائص ١ ـ ٢٩٠

وليس فى هذا المثال شىء سوى تقديم الظرف على المجرور الذى هو فى موضع المفعول به ، وهو أمر جائز فى النحو ، وإن كان المستحسن تقديم المفعول به وما هو فى معناه على الظرف. ويقول الصبان فى آخر باب المفعول معه : « قال الفارضى : إذا اجتمعت المفاعيل قدم المفعول المطلق ، ثم المفعول به الذى تعدى إليه العامل بنفسه ، ثم الذى تعدى إليه بواسطة الحرف ، ثم المفعول فيه الزمانى ثم المكانى ثم المفعول له ؛ كضربت ضربا زيدا بسوط نهارا هنا تأديباً وطلوع الشمس ا ﻫ باختصار . والظاهر أن هذا الترتيب أولى لا واجب » .

* * *

النظارة : المرآة

تعورفت النظارة فى عصرنا فى الأداة الزجاجية التى توضع بإزاء العينين ، ويستعان بها فى حسن البصر . ويطلق بعض الكتاب عليها المنظار ، يصوغ لها اسما على حد ما يعرف فى اسم الآلة ؛ إذ كان الاسم الشائع (النظارة) لا يوافق ماصاغت عليه العرب لهذا المعنى .

وصيغة الفعّالة فى وضعها الأصلى مؤنث الفعال لمن يكثر منه الفعل . وقد أتى فى اللغة هذا الوزن فى بضع كلمات المكان . ومن ذلك الملاحة لمنبت الملح ، والبقالة لمنبت البقل ، والزراعة للأرض التى تزدرع ، والزلاّقة لمكان الزلق . ولاريب أن استعمال الفعالة فى المكان من باب التوسع ، وإسناد ما للفاعل إلى المكان ؛ كما يقال : جرى النهر وإنما الجارى ماؤه . وهذا يفتح باب التوسع فى هذه الصيغة لاستعمالها فى الآلة ؛ فليس ببعيد فى النظر اللغوى إطلاق الفعالة على أداة الفعل . وبهذا النظر يصح النظارة والكسارة ، وما شابههما .

وقد فكرت حينا فى أمر هذه الأداة التى نأخذها عن الغربيين . فهل عرفها أسلافنا ، وبماذا كانوا يسمونها إذا كانوا عرفوها ؟

ولا ريب أن الأقدمين كانوا يعرفون بعض الأدوات والآلات التى تقرب المبصرات فى الرؤية وعرف هذا فيما يرصد به النجوم . وهم يسمون الآلة التى تقرب لهم مرآة النجوم المرآة ، على اسم المرآة التى تنعكس فيها صور المرئيات . ويقابلها التلسكوب ، ويعبر عنه بعض العصريين بالمرقب . ولتخصيص هذه المرآة بالكواكب سموها مرآة المنجم . ويقول أبو العلاء المعرى فى إحدى لزومياته :

ومرآة المنجم وهى صغرى أرته كل عامرة وقفر

وتراه فى قوله « صغرى » وقع فيما عيب على أبى نواس فى قوله :

كأنّ صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب

فأما مرآة العينين فيبدو أنه يتصل بها النص الآتى فى مفردات ابن البيطار فى الكلام على السبج إذ يقول : « السبج : حجر يؤتى به من الهند . وهو أسود شديد السواد ، براق شديد البريق ، رِخْوينكسر سريعا ... نافع فى الأكحال إذا وقع للعيون ، يمسك البصر ويقويه . إذا اتخذ مرآة نفع من ضعف البصر الحادث عن علة الكبر وعن علة حادثة ، وأزال الخيالات وبدو نزول الماء » .

وأصرح من هذا ما جاء فى كتاب الإبريز ص ٢٥ فى حديث المؤلف عن شيخه عبد العزيز الدباغ : « كانت للشيخ مرآة ينظر بها فى الكتب فتلفت له . فجئته بمرآة أخرى من عند حبيبه وصديقه الحاج محمد الكواش ، فوجدها لا تليق . فقال : انظروا المرآة الأولى فإنها صافية ، لعلكم تجدونها . . ثم رفع الكتاب الذى فتشناه والمرآة التى ليست بجيدة فى أنفه . فسقطت من أنفه . فوضع الكتاب فوجد المرآة التالفة مطروحة فوق ظهره . فقال لولده عمر : قل لأمك : « الحمـــد لله ! قد رد الله على مرآتى » . ومؤلف الإبريز هو الشيخ أحمد بن مبارك السجلماسى . وقد ابتدأ وضع الكتاب لتدوين كرامات شيخه فى رجب سنة ١١٢٩ هـ ؛ كما ذكره هو فى ص ٣ من الكتاب .

* * *

الغـير

المعروف أن غيراً لا يدخل عليه أل ، ويعد النحويون من الخطأ أن يقال : الغير . ويعللون هذا بأنه يلزم الإضافة لفظاً أو تقديراً ، فصار ككل وبعض من الأسماء التى لا تدخل عليها الألف واللام . ويرى الباحث أن النحويين يجعلون غيراً من الأوصاف ، بدليل الوصف بها فى قوله تعالى : « نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل » ، وهنا يجد متفذاً للاعتراض عليهم فى غير ؛ فإن الوصف قد يضاف وفيه أل كالضارب الرجل والحسن الوجه . ولهم أن يجيبوا بأن غيرا ليس من الأوصاف الجارية على الفعل ؛ فليس على وزن المشتقات ، وإنما فيه معنى الوصف ، وقد يتجرد من هذا المعنى إذا جاء للاستثناء .

والمؤلفون يعطونها حكم الوصف السابق فيقرنون أل بها إذا أضيفت إلى ما فيه أل . وفى شرح السعد للتلخيص فى المقدمة : « وإنما قسم كلا من الفصاحة والبلاغة أولا لتعذر جمع المعانى المختلفة الغير المشتركة فى أمر يعمها فى تعريف واحد » ويقول الملوى فى شرحه للسمرقندية : « أى الاستعارة التصريحية الغير التخييلية » فقال الأمير فى كتابته عليه : « (قوله الغير التخييلية) جمع بين أل والإضافة لأن غيرا فى معنى مغاير ، وهو وصف » .

وجاء فى كلام إمامنا الشافعى رضى الله عنه إدخال أل على غير دون إضافة ، فلم ير لها لزوم الإضافة . وذلك إذ يقول فى الأم ج ٧ ص ٢٧٤ : « والغير الذى جهل لا دلالة عليه يبعض الذى علم » . والشافعى يحتج به أئمة اللغة ، ويعرفون له فصاحته وقوة نفسه وصدق حسه العربى . وللإفاضة فى هذا مجال آخر .

محمد على النجار

العلم والعمل به

قال يحيى بن خالد لشريك :

علمنا مما علمك الله يا أبا عبد الله .

فقال له شريك : إذا عملتم بما تعلمون ؛ علمناكم ما تجهلون .

أى انه لا فائدة للعلم بلا عمل ، بل هو حجة على أهله . وإن العمل بالعلم القليل ينميه ويجعله كثيراً ، فلا عبرة بكثرة العلم إذن وإنما العبرة بأن تعمل بما تعلم . ويوشك أن يكون هذا معنى الحديث الشريف : « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم » .

يـــارب!

هتاف المظلوم ، ونداء السجين ، وأنة المريض ، ودعاء الحائر ، ونفثة المكروب ، وصيحة الغريق ، وصرخة المكبوت : يارب !

* * *

تغفو عيون الظالمين ، وتسكن مهودهم ، وتسبح بين جنات أحلامهم أرواحهم ، مختالة بين أفواف جاهها ، مياسة فى بريق سلطانها . ووراء كل هذا عين يؤرقها الظلم ، ويحرق أهدابها حر الدمع ، وروح يطحنها العدوان ، فتتطاير ذراتها من بين رحاه غباراً يشق أجواز الفضاء ، ويخترق حجب السماء ، وتبله الأنداء فينقلب عارضا واكفا تصطك ثورته .

فإذا الرعد الذى يجلجل فيصم دويه سمع الوجود ، ويهز صداه طغيان العتاة ، ويزلزل هديره عروش الظالمين ، وتتجاوبه الأرض وما فوق الأرض والسماء وما بين السماء ، إنه هتاف المظلوم : يارب !

* * *

ويسدل الليل ستاره فينام الوجود وكأن دنيا الناس تحولت إلى سجن رهيب ؛ وبعد ساعات تنطلق هذه الدنيا الهاجعة من سجنها إلى حياة قد يكون فى بعضها معانى الحياة ، إلا ذلك الذى تسميه اللغة سجنا ، وخليق بها أن تسميه قبراً ، لأن ظلمته ووحشته وقسوته تلف أشباه الموتى ممن ضاقت عقول البشر عن تهذيبهم وتربيتهم وإصلاحهم ، فأسلمتهم إلى ما يشبه القبر ، فهم يسامون من دنياهم أكثر مما تسام البهائم من التعذيب والخسف ، وكلهم جراح تكاد تتفتق فتستشف فيها نداء الدمع ، ونداء الألم ، ونداء الندم ، ونداء التوبة ، ثم تختلط هذه الأصوات جميعا فتنبعث من القيود والأغلال وتخترق ظلمة السجن ، وأسوار السجن ، أو ظلمة القبر كما قلنا وأحناء القبر ، متمثلة فى نداء واحد يحمل معانى ألمها وندمها ودمعها وإنابتها : يارب !

* * *

ويتقلب المريض على أشواك علته ، وحوله عيون تحمل نظراتها معانى البكاء والحسرة ، وكل عين ترى فيه المعنى الذى تبكيه ، وهو يدور بعين تلمع فيها عبرة ، وتتعثر وراءها نظرة

فيها معنى المرض ومعنى الشكوى ومعنى التوجع من دائه الذى أعيا جسمه وطبيبه معا ، وكأنما يقرأ فى عيون من حوله كلمة اليأس وما وراءها فيتلوى ، وتتفتح شفتاه عن أنة مريضة تحمل إلى رب السماء رجاء الرحمة ورجاء العافية فتجاوبها الأنفاس الحزينة ، وتلتقى مع أنته ضارعة إلى الله تقول : يارب !

* * *

ويتخبط السارى فى مهامه الحيرة وتصطرع أفكاره مع أفكاره ، فلا يكاد يرى فيما حزبه رأيا حتى تضيق به نفسه ، فيفزع إلى جانب آخر من جوانب فكره يتلمس فيه راحته ونجاءه ، فلا يرى غير الأوهام المتراقصة الساخرة فيعرك كفه وفكره حتى يدمى كفه وفكره ، فإذا ما استغلقت أمام أفكاره السبل شخص ببصره إلى السماء ، وإذا دمه وأعصابه ومشاعره بل إذا هو كله دعوة مستنجدة تسأل الخلاص مما هو فيه والنجاء مما يعانيه : تصعد إلى السماء تدق أبوابها ، ويحس كأنما دنياه كلها تدعو : يارب !

* * *

وتتزاحم الكرب على النفس المؤمنة فتعبىء كل كربة ما تطيق من قوة وهول ، وما تدخر من بأس وسلاح ، وتتلاقى كلها على تلك النفس ترمى وتفتن فى الرمى ، وتقذف وتمعن فى القذف ، لتحطم صبرها أو تخدش قدرها ، وتظل الشدائد تناوىء ما وسعتها المناوأة ، وتجالد ما شاء لها الجلاد ، والنفس المؤمنة صابرة على القضاء ، مستبسلة أمام البلاء ، لا تشكو بل لا تناجى النفس بالشكوى ، وإنما كل ما تبديه إذا ماتوا ثبت عليها النوازل ، وزحفت النوائب ، وتجنى الزمان ، نفثة ينشق عنها الصدر تحمل معانى الغوث والعون لا من الأرض ولا ممن خلق من الأرض . لا . إنها منطلقة إلى السماء تنادى : يا رب !

ويشوى الجوع نفس البائس المحروم فتجف أمعاؤه أو تكاد ، ويدب الجفاف فى جسده فتذهب حيويته ويتراءى كأنما هو ظل من ظلال الفقر ، أو رفات تحمل سطراً من تاريخ عاد فيه معنى البلى ، وإن كانت صورته تحمل فى نفسها معانى الحرمان ، وتحمل من زمنها معانى الظلم والقسوة والشح ، ويزيد فى ألم النفس المحرومة منظر صغارها الجياع وقد خطت الحياة السوداء على وجوههم تجاعيد تكمن فيها الفاقة والعوز .

وما أشد آلامهم حينما يرون دموع أبيهم تخضل بها لحيته المرتعشة ، فتتجمع معانى البؤس والحرمان ، وعجز الأبوة المحطمة عن الإنقاذ ، ثم يستجمعون جميعاً بقايا أنفاسهم ،

وينتزعون من دمهم البقية الباقية من الحرارة ، وهى كل ما يملكون ، ليرسلوا زفراتهم إلى السماء تشكو شح الإنسان على الإنسان ، وحياتهم كلها ليلها ونهارها رمضان ، وكأنما زفراتهم تقول : من لنا إلاك يارب !

* * *

وتحوم حول الغريق أهوال الموت ، وتمتد براثنه فى تلك الأمواج العاتية ، فيدور بعينه يرقب من وراء الآفاق المطبقة أملا ، فلا يرى إلا زرقة السماء ، وزرقة الماء ، وزرقة الموت ، ويذكر الحياة ومن له فى الحياة ، فيرسل صيحة اليأس قوية تفزع حيتان البحر ، وتشل أمواجه ، وتخرس هديره ، فيردد البحر وما فى جوف البحر تلك الصيحة : يارب !

* * *

ويكتم المستعمرون أو عملاء المستعمرين أنفاس المستضعفين أو المفككين ، ويضيقون على أعناقهم الأغلال حتى تكاد تجحظ عيونهم . وفى هذه الكبتة الخانقة تزوغ الأبصار ، وتحار البصائر ، ويؤمن المكبوت بعجز أبناء الطين عن نصرته ، فيتلمس مدد السماء ، ويسبح بتفكيره فى قدرة ربه وجبروته وسلطانه ، ثم يصرخ صرخة تكاد تدك صروح الباغين ، وتحطم تيجان الجبابرة ، وتقوض عروش الظلمة ، إنها صرخة المكبوت : يا رب !

* * *

يا رب ! إن الشرق كله تجتاحه رياح الظلم وليس له فى محنته إلاك يا رب ...

وهو سجين بين أسوار الأنانية الطاغية والأثرة العاتية ينادى : يا رب ...

وهو صريع التفرق والاختلاف يلوذ برحمتك ، ويفزع إلى كنفك يارب ...

وهو يتخبط فى حيرة تضل فى متاهاتها الظنون ، يبسط أكف الضراعة يا رب ...

وهو غريق فى لج من زرق الهموم يصيح : يا رب ...

وهو مكبوت كتمت أنفاسه قذائف المستعمرين وعملاء المستعمرين حتى لا يصرخ يارب...

يا رب ! إن الشرق الإسلامى أرضه وجباله ووديانه وسماءه وكل ما فيه يسألك أن تخلق فيه عالماً إسلامياً جديدا يجدد به شباب عالمه الإسلامى الأول ، فتملأه الرحمة والإخاء والإيثار ونكران الذات والتفانى فى الواجب ومعرفة كل إنسان قدر نفسه ، فهل أنت مجيب دعاءه يارب ؟

محمد خليفة

المدرس فى الأزهر

الحملة الانجليزية على مصر

عام ١٢٢٢ ﻫ « ١٨٠٧ م »

قرأت فى عدد شعبان الماضى من مجلة الأزهر مقالا بعنوان « الشعب المصرى يطرد الإنجليز » للأستاذ أحمد عز الدين خلف الله ، قال فيه : إن انجلترا فكرت فى احتلال مصر سنة ١٢٢٢ ﻫ (١٨٠٧ م) وكانت تهدف إلى عدة أغراض : منها إضعاف تركيا ، والقضاء على المطامع الاستعمارية الفرنسية ، وضمان سلام إمبراطوريتها فى الهند بالسيطرة على أهم مركز حربى فى الشرق الأدنى .

ولكن لهذه الحملة قصة أخرى ، ولم يكن الغرض منها احتلال مصر ، ولنبدأ القصة من بدايتها .

كان الموقف الدولى فى أوربا يتلخص فى قيام نضال بين انجلترا وبين نابليون بونابرت ، وكونت انجلترا حلفاً يضم معها النمسا والروسيا والسويد عام ١٢٢٠ ﻫ (١٨٠٥ م) لمحاربة نابليون ، الذى تمكن من هزيمة النمسا وإجبارها على الخروج من هذا الحلف . ولم تكن تركيا فى هذا التحالف ، وإن كانت فى التحالف السابق عليه ، وحين رأت تركيا انتصار نابليون انحازت إلى جانبه بإكرام سفيره ، وإرسال مندوب عنها « سفيراً فوق العادة » إلى باريس ، وبالإجمال بدأت تجامل فرنسا بمجاملة أحفظت عليها انجلترا .

وكان الصدر الأعظم هو صاحب هذه السياسة ، على غير إرادة السلطان الذى كان يضمر الود للانجليز ، فأرسل سفير انجلترا فى الآستانة إلى حكومته بطلب إرسال أسطول إلى القسطنطينية يساعد السلطان على مقاومة وزرائه . وفى نفس الوقت كانت روسيا قد أعلنت الحرب على تركيا ، فأرسلت انجلترا أسطولا ، وتعليمات إلى سفيرها : منها طلب طرد سفير فرنسا من تركيا ، وتجديد التحالف مع انجلترا ، وتنفيذ التزاماتها فيما يختص بحاكمى الدانوب وروما نيا ، وحرية المرور فى المضايق .

فإن رفضت تركيا هـذه الطلبات تقطع العلاقات السياسية ، وتبدأ الأعمال العدوانية ، وحين بدئها ، يرسل قائد الاسطول البريطاني إلى قائد أسطول البحر الأبيض بإرسال حملة لاحتلال الاسكندرية .

وقد قدم السفير البريطاني طلباته إلى تركيا وتشدد معها فى قبولها ، فصمم الصدر الأعظم على منع اتصال السفير بالأسطول الانجليزي ، ففر السفير والجاليـة الانجليزية إلى خارج الدردنيل . وقبل أن يتمكن من مقابلة قائد الأسطول ، كان هذا قد أرسل إلى قائد أسطول البحر الأبيض فى غرة ذى الحجة عام ١٢٢١ (٩ فبراير سنة ١٨٠٧) بإرسال قوة لاحتلال الاسكندرية حتى لاتقع فى أيدى الفرنسيين .

ولم تـكن مدينة الاسكندرية جزءا من ولاية مصر ، وإنما كانت مستقلة عنها وتتبع تركيا مباشرة .

وجاءت الحملة الانجليزية من صقلية وقوامها ستة آلاف جندى فحسب ، وهو عـدد - بالبداهة - لايكفى لاحتلال المدينة وحدها ، بله مصر كلها . ووصلت الحملة إلى الاسكندرية فى ٤ المحرم ١٢٢٢ (١٤ مارس سنة ١٨٠٧) واحتلتها نتيجة خيانة محافظها « أمين أغا » .

ولما علم زعماء الشعب [مشايخ الأزهر] فى القاهرة بمجىء الحـملة دعوا الشعب إلى التطوع لصد الانجليز .

ولن أذكر التفاصيل ، فإن الأستاذ أحمد عز الدين قد أفاض فى ذكرها .

كان القنصل الانجليزي فى مصر هو ميسيت Misset وكان من رأيه أن تستولى الحملة على مصر كلها ، ولـكن تعاليم فريزر كانت الاستيلاء على الاسكندرية فحسب . وحرض ميسيت فريزر على فتح رشيد بحجة ضرورتها لتموين الجيش بالاسكندرية ، فأرسل هذا حملته الأولى على رشيد .

ولما شعر ميسيت بفشله لجأ إلى الحيلة ، فجمع وفداً من الأجانب المقيمين بالاسكندرية وقابلوا فريزر وشكوا من قرب حدوث المجاعة إن لم تفتح رشيد ، فأرسل فريزر - للضرورة الحربية ونتيجة مساعى ميسيت - حملته الثانية إلى رشيد التى هزمت فى الحماد .

ولما علمت انجلترا بالهزيمتين اللتين حلتا بحملتها فى رشيد والحماد ، وحاجة فريزر إلى مدد من الجند لفتح رشيد ، كان عليها أن ترسل هـذا المدد من جزيرة صقلية ، ولـكن عدد الجنود بهـا كان قليلا ، وكان على الانجليز أن يختاروا بين إخلاء صقلية وبين إخلاء الاسكندرية .

وقررت انجلترا سحب حملتها من الاسكندرية ، إذ لم يكن غرضها أصلا احتلال مصر ، كما أن قيـام الحملة ذاتها كان نتيجة أوامر بقيت على سوء تفاهم كما رأينا . وقد عزز رأى انجلترا فى سحب حملتها من الاسكندرية عقد معاهدة تلست Tilsit بين نابليون وروسيا ضد تركيا ، فتخلت تركيا عن فرنسا ، وأصبح لزاما عليها محالفة انجلترا ، فبدأت المفاوضات بين تركيا وانجلترا ، وقبل أن تنتهى هذه المفاوضات كانت الاسكندرية قد أخليت من الانجليز .

والذى استفاد من هذه الحملة هو محمد على ، فإن الاسكندرية كانت تحت حكم العثمانيين مباشرة ، ولـكن فريزر حين أراد إخلاء الاسكندرية لم يجد أمامه غير محمد على لمفاوضته ، وبعد جلاء الانجليز احتل محمد على الاسكندرية وجابه تركيا بالأمر الواقع ، وأصبحت منذ رجب سنة ١٢٢٢ (سبتمبر سنة ١٨٠٧) تحت إدارته .

هذه هى ظروف حملة انجلترا على مصر سنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) ، ونرى منها أن انجلترا لم تهدف بها إلى احتلال مصر ، فإن هذه الفـكرة لم تـكن قد طرأت عندها بعد ، كما أن انشغال انجلترا بحروب نابليون فى أوربا فى ذلك الوقت لم يكن يتيح الفرصة لانجلترا لتقوم بمثل هذه المغامرة غير المحمودة العواقب ، والتى لم ينجح فيها نابليون رغم عبقريته العسكرية . كما أن سياسة انجلترا إذ ذاك كانت قائمة على الإبقاء على الإمبراطورية العثمانية حتى لا تتمكن روسيا من الوصول إلى البحر المتوسط من ناحية ، ولـكى تتفادى وقوع الخلاف بين الدول الـكبرى على تقسيم « التركة » من ناحية أخرى . ومن هنـا لم يكن معقولا أن تبدأ انجلترا بمناقضة سياستها ، وبمثل هذه الحملة القليلة العدد والعدة .

ومحمد على نهاز للفرص ، يعرف كيف يستخدمها لصالحه ، وقد رأينـا كيف ضم الاسكندرية إلى حكمه ، كما نعرف قصة ولايته على مصر على أكتاف الشعب ، ولـكنه تنـكر لهذا الشعب نفسه بعد ذلك .

وقصة تنـكره للشعب وزعماء الشعب جديرة بأن تروى .

كان محمد على فى أول حكمه يرجع إلى العلماء يشاورهم فى الأمر وبخاصة فرض الإتاوات والضرائب ، وكان الشعب يلتجىء إلى العلماء لتخفيض الإتاوات ، فيقبل محمد على وساطتهم ، فكأن العلماء - وهم زعماء الشعب إذ ذاك - كانوا فى الواقع ملجأ الشاكين وملاذ المظلومين وكانوا يراقبون أعمال محمد على ، إذ يوقنون أنهم هم المسئولون عن توليته ، ومن ثم فهم المسئولون عن أعماله .

ومن هنا رأى محمد على ضرورة التخلص من رقابتهم ، ولم يستطع ذلك طالما بقوا صفا واحدا ، ولكنه حين آنس فيهم الفرقة والانقسام انقض عليهم فأطاح بزعيمهم وأخرس الباقين .

أعفى محمد على المشايخ والعلماء من الإتاوات فى مبدأ الأمر استمالة لهم ، ثم أبطل هذا الإعفاء فى شعبان سنة ١٢٢٢ (أكتوبر سنة ١٨٠٧) وبعد جلاء الانجليز عن الإسكندرية ثم ساءت الحالة الاقتصادية فى البلاد لكثرة الضرائب وانخفاض النيل فى سنة ١٢٢٣ (١٨٠٨) فارتفعت الأسعار واشتد الغلاء . والتجأ الشعب إلى زعمائه لينقذوه من هذا البلاء . وخاطب العلماء (محمد على) ، فلم يستمع إليهم ، ثم فرض محمد على « الميرى » [الضرائب الأميرية على الأطيان] على « الرزق » [الأراضى المملوكة أو الموقوفة وقفا أهليا أو خيريا] وعلى « الأوسية » [الأراضى التى يستثمرها الملتزم لحسابه الخاص] ، وكانت هذه الأراضى معفاة من قبل من الضرائب .

كما قرر محمد على فحص حجج أطيان الرزق والاستيلاء على الرزق التى لا حجج لها ، وقرر أيضا أن يدفع الملتزمون نصف الفائض للحكومة ، وكانت هذه القرارات جميعا مدعاة لاستياء الملاك ونظار الأوقاف والمستحقين والملتزمين فالتجأوا إلى المشايخ ، واتفق العلماء على رفع احتجاج إلى محمد على عن تلك المحدثات الجديدة وغيرها مما أحدثته الحكومة كضريبة التمغة على المنسوجات والمصوغات ، على أن يمتنعوا عن مقابلة محمد على حتى يلغى تلك المستحدثات .

واستطاع محمد على أن يستميل بعض العلماء إلى جانبه ، ففرق بذلك صفوف زعماء الشعب بعد أن حاول استمالة السيد عمر مكرم بالمال فلم يستطع ، وأخيرا لما انصدع الاتحاد وانقسم العلماء عزل محمد على السيد عمر مكرم من نقابة الأشراف ونفاه إلى دمياط فى رجب سنة ١٢٢٤ (أغسطس سنة ١٨٠٩) ، ثم لم يعبأ محمد على برأى العلماء بعد ذلك إطلاقا ، وهكذا تخلص من رقابتهم ومن نفوذهم وانفرد بالحكم دونهم ، ولم يبق أمامه من عقبات إلا المماليك ، وقد تخلص منهم كما هو معروف .

عمر طلعت زهران
أستاذ فى الآداب

غـزوة أُحُـد

— ٢ —

رجحت كفة الداعين للخروج للقاء قريش خارج المدينة .

وكان اليوم يوم جمعة ، فصلى عليه الصلاة والسلام بالمسلمين ، ثم وعظهم وحثهم على الجد والاجتهاد ، وأخبرهم بأن لهم النصر ما صبروا ، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم . ثم صلى العصر وقصد إلى بيته ومعه أبو بكر وعمر ، فعمماه وألبساه درعه وتقلد سيفه .

وكان الناس فى هذه الفترة خارج البيت فى جدل ونقاش ، وقد ندم الذين دعوا إلى الخروج وقالوا : « استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك » .

فلما خرج عليهم النبي قالوا : « يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك » .

فقال : « ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته [١] أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، انظروا ما آمركم به فاتبعوه ، والنصر لكم ما صبرتم » .

وهكذا برهن الرسول الكريم على أن احترام المشورة أمر واجب ، وأنه ما دام الرأى قد استقر على شىء فقد لزم السير عليه ووجب اتباعه .

خروج المسلمين :

اجتمع مع الرسول من المسلمين ١٠٠٠ رجل ، بينهم ١٠٠ من لابسى الدروع . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه .

وقسم (عليه الصلاة والسلام) جيشه إلى ثلاثة ألوية :

* لواء الأوس : بيد أسيد بن حضير .
* « الخزرج : « الحباب بن المنذر .
* « المهاجرين : « على بن أبى طالب .

---

[١] لأمة ولامة : الدرع أو السلاح .

وهكذا يبدو لنا أنه عليه الصلاة السلام راعى - بما أوتى من حكمة وبعد نظر - مسألة التجانس والانسجام، فلم يشأ أن يخلط القبائل التى تحارب معه بعضها ببعض، بل فصل بينها وجعل لكل قيادتها المنفصلة، وتجمعهم جميعا كلمة واحدة هى كلمته صلوات الله وسلامه عليه.

وفى هذا العصر نرى شبه ذلك، فإن كثيرا من الأجناس المتباينة تحارب جميعا فى سبيل غرض واحد، وقد روعى أن يجمع كل متجانس على حدة، ويخضع الجميع للقيادة العامة، ضمانا لحسن التفاهم وتيسير المعاملة.

ففى أواخر الحرب العالمية الثانية مثلا كانت القيادة العامة لقوات الحلفاء مركزة فى يد قائد أعلى هو الجنرال أيزنهاور، وكانت جيوش الحلفاء مختلفة الأجناس: فكان فيها الأمريكى والانجليزى والفرنسى والكندى والنيوزيلندى. الخ. وكان كل جيش من هذه الجيوش محتفظا بطابعه المتجانس، ولكنها جميعا كانت تخضع لأوامر القائد الأعلى وتنفذ خططه.

انخذال المنافقين:

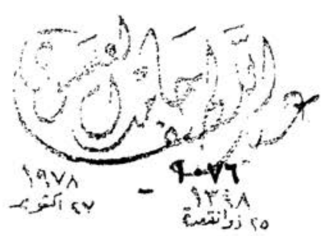
تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين متجها إلى أحد، حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخذل عنه عبد الله بن أبىّ بن سلول بثلاثمائة من الناس وقال: «أطاعهم وعصانى، ما ندرى علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس».

وكان عبد الله هذا ممن رأوا البقاء فى المدينة، ولذلك خرج مع المسلمين مرغما، ولكنه ضعف أمام تأثير حلفائه عليه بترك المسلمين وشأنهم. وهكذا بقى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه المؤمنون حقا وعدتهم سبعمائة، ليقاتلوا ثلاثة آلاف قرشى من أهل مكة، كلهم موتور من يوم بدر، وكلهم على ثأره حريص، وعلى الدماء ملهوف.

ورغم هذا النقص العددى الذى أصاب المسلمين فإنهم تابعوا سيرهم وتقدموا مع الصبح حتى بلغوا أحدا فاجتازوا مسالكه ثم عسكروا فكان ظهرهم إليه.

وقال الرسول للمسلمين: «لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال».

وكانت قريش قد أطلقت خيلها وإبلها ترعى فى زروع بنى قيلة (وهم الأوس والخزرج) فغاظ ذلك رجلا من الأنصار فقال: «أترعى زروع بنى قيلة ولما نضارب!!»



ولا يفوتنا هذا الأمر الذى صدر من قائد جيش المسلمين وهو « لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال » . قبل أن نبين ما فيه من حكمة عسكرية بالغة الأهمية .

فإن المسلمين قد جاءوا من المدينة وحطوا رحالهم بجانب أحد ، فهل يندفعون فوراً للقتال مع قوم سبقوهم إلى هذا المكان ، وأعدوا عدتهم للقائهم ؟ لا ، إن عبقرية الرسول قضت بأن يجرى ـ قبل القتال ـ استطلاع لأحوال العدو من حيث قوته ، وكيف رتبها للقتال، ومن حيث خطته التى وضعها ، وما قد تحمل من عوامل المفاجأة والخداع ، وأن يجرى استطلاع لأرض المعركة يشمل دراسة دقيقة لطبيعتها وما فيها من جبال وسهول ، حتى يمكن معرفة الأرض المناسبة للقتال ، ومعرفة مواطن الخطر فى هيئاتها .

وهذا هو ما تقضى به تعاليم الحرب الحديثة من أنه يجب أن يجرى استطلاع قبل الدخول فى المعركة .

ولندرس الآن ماذا قصد الرسول من هذا الاستطلاع ، وماذا كانت النتيجة :

١ ـ نظر محمد صلى الله عليه وسلم إلى قريش فوجد أنها قد اصطفت وجعلت على ميمنة خيلهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل ، وعلى المشاة صفوان بن أمية . وعندئذ بدأ الرسول بتنظيم جيشه لمقابلة عدوه ، فقال للزبير بن العوام : « استقبل خالد بن الوليد وكن بإزائه » . وكذلك أمر جماعة آخرين أن يكونوا بإزاء خيل أخرى للمشركين .

٢ ـ نظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى أرض المعركة وإلى جبل أحد فوجد فى الجبل ممراً جعل المسلمين ظهرهم له فخشى أن يتسلل المشركون منه .

فجمع خمسين من الرماة وأقامهم على الممر وقال لهم : « احموا لنا ظهورنا ، فإنا نخاف أن يجيئونا من ورائنا . والزموا مكانكم لا تبرحوا منه » .

وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا ، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لا تقدم على النبل » . وعين عبد الله بن جبير بن النعمان قائداً لهم .

تلك كانت نتيجة الاستطلاع الذى قام به الرسول قبل الدخول فى المعركة وهو ما كان يعنيه حين قال : « لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال » .

ولندرس الآن ما فى التعليمات التى أصدرها الرسول بعد الاستطلاع من فنون عسكرية :

أولا : أهمية دراسة شخصية قادة العدو :

من الأهمية بمكان فى الحرب الحديثة أن يدرس القائد شخصية القائد أو القادة الذين يواجهونه . وهذه الدراسة تشمل الخصال التى يتحلون بها ، وطريقتهم فى القتال وفى وضع الخطط ، والنظريات العسكرية التى يؤمنون بهـا ، والعادات التى يتبعونها فى مختلف أدوار المعركة .

هذه الدراسة لازمة جداً للقائد الذى يريد أن يتغلب على خصمه ، لأنهـا سترشده إلى الطريقة المثلى للتغلب عليه .

ورسولنا الكريم نظر فوجد خالد بن الوليد على ميمنة الخيل ، وهو يعرف خالداً جيداً ويعرف أنه فارس ومقاتل من طراز فريد ، فأراد أن يكون قبالته من المسلمين من يستطيع أن يقف أمامه وقفة الند للند ، فاختار الزبير وقال له : « استقبل خالد بن الوليد وكن بإزائه » .

ثانياً : حماية ظهر الجيش :

إن الظهر أضعف نقطة فى كل جيش دائمـا ، وتقضى مسئولية القائد عن سلامة جيشه أن يحمى ظهره ، فالنبي الكريم فطن إلى ذلك فلم يترك ذلك الممر الخطير فى جبل أحد الذى يؤدى لظهر المسلمين دون أن يتخذ له سبيل الحيطة ودرء الخطر .

ولقد كانت تعليماته للخمسين رجلا من الرماة المهرة الذين جعلهم على هذا الممر آية من آيات العبقرية العسكرية التى تدل على الدراية الدقيقة للتكتيك الحربى .

١ ـــ تعيين « الرماة المهرة » عند الممر :

لقد كان الأمر حقا يحتاج لمهرة الرماة حتى يمكن إصابة كل من يفكر فى عبور المضيق ، وإذا لم تكن نسبة الإصابة ١٠٠ ٪ فسيسهل للعدو العبور غير مكترث للإصابات المضطربة .

ولذلك فإن المهارة فى الرمى هى الصفة التى يجب أن يكون لها المقام الأول عند اختيار من يكلفون بمثل هذا الواجب .

ولا يفطن لهذا الأمر إلا الخبير المجرب فى الفن العسكرى .

ولذلك كان تعيين النبى ﷺ لمهرة الرماة لهذا الواجب عملا غاية فى البراعة العسكرية .

٢ — التشديد على هؤلاء الرماة بالبقاء فى مكانهم :

إن فى قوله ﷺ « والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ... الخ » . وتأكيده عليهم بعدم مغادرته بالمرة سواء هزم المسلمون أو انتصروا ، حكمة عسكرية بالغة هى ضمان الحذر الكافى ، وأخذ الحيطة كاملة ضد المفاجأة . فهذا المضيق يؤدى إلى ظهر المسلمين ، وهو لهذا بالغ الخطر عليهم ، فإذا لاحظ العدو أنه مفتوح ليس عليه من يذب عنه فهو لابد واجد فى ذلك من الفرصة الطيبة ما يمكنه من التسلل فيه ومفاجأة المسلمين وطعنهم فى أضعف مكان فى كل جيش « الظهر » .

وقد تكون خطة قريش أن ترسل جيشاً يتظاهر بالهزيمة أمام المسلمين ، حتى إذا أغرى هذا المنظر الرماة القائمين على الممر وتركوا أماكنهم اخترقت خيلهم الممر ، وهناك تكون الطامة الكبرى . وهذا هو الذى دعا الرسول إلى التشديد فى تعليماته على رجاله بألا يغادروا أماكنهم بأى حال من الأحوال .

٣ — الدراية التامة بطبيعة الخيل وفنون قتالها :

فإن قول رسولنا صلوات الله عليه : « وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لا تقدم على النبل » . يدل على إحاطته بطرق القتال بشتى نواحيها ، وهو هنا يذكر لرجاله أن السهام هى الوسيلة الفعالة لقتال الخيل حيث إنها لا تقدم عليها . وإن القائد الخبير حقا هو الذى يعرف لكل سلاح من أسلحة عدوه الوسيلة الناجحة للوقوف أمامه أو القضاء عليه ، وفى هذا ضمان للنصر وتوفير للوقت والجهد اللذين يضيعان فى تجربة الكثير من وسائل المقاومة أو التدمير غير المجدية .

هذا وإذا نظرنا إلى تعليمات الرسول ﷺ بوجه عام وجدناها مثلا كاملا لمراعاة مبدأ الأمن والسلامة الذى يتخذه القائد لوقاية جيشه وهذا المبدأ هو : « كل قائد مسئول عن وقاية قوته » .

وفى التاريخ أمثلة كثيرة لجيوش دارت عليها الدائرة لعدم مراعاة هذا المبدأ الهام .

محمد جمال الدين محفوظ
صاغ أركان الحرب

تعليقات

— ١ —

الدعاة إلى الدين

من المألوف لنا وللناس أن نرى بعض حملات طائشة ، توجه إلى الدين ممن لا يراعون حرمته ، ولا يتأثرون بآدابه . ولقد أصبحت هذه الحملات غير مجدية لأربابها ، لما هو معروف من الأسباب الباطلة التى تدفع إليها ، بل أصبحت تنال من سمعتهم ، وتكشف عن خباياهم أكثر مما تنال من قداسة الدين فى قلوب المطمئنين ، أو تخدش من جلاله فى نفوس العارفين المخلصين .

ولكن الذى لم نكن نتوقعه هو أن يظهر بيننا فريق ممن عرفوا بالدعوة إلى الله ، ونصبوا أنفسهم للذود عن شريعة الله ، ثم نراهم يسلكون سبلا قد تشكك الناس فى دينهم ، وتنال من ثقتهم فى أولى العلم الراسخين الذين قيضهم الله للحفاظ على معالم الشريعة .

كنا من قبل نغبط أولئك الدعاة على ما يتكلفون من جهد فى سبيل غايتهم التى يتجهون إليها ، غير أنه تبين لنا من مواقفهم أن فى الأمر ما يقف بنا عن الإنصات إليهم ، إذ وجدنا بعضهم تشغله نفسه ، ويشغله حب الشهرة عن توخى الصواب فيما يهتف به من أسلوب دعوته .

عرضت لنا مناسبة جمعتنا مع آخرين ببعض أولئك الدعاة ، وسمعنا فى هذا الاجتماع وسمع غيرنا شيئا يتعلق بدعوة أولئك الدعاة وسبيلهم التى ينتهجونها فى دعوتهم . وقد كنا نود أن يقصر هذا الاجتماع على الغاية الأدبية التى اقتضته ، وألا يثار فيه ما يعتبر انتهازا للفرصة ، لمفاجأة السامعين بما لم يكن متوقعا .

ولو كان ما سمعناه صوابا فى ذاته لشكرنا هذه الفرصة ، وحمدناها لمن تفضلوا بدعوتنا إليها ، فأما وقد سمعنا ما لا يعتبر علما ولا سياسة ولا شيئا آخر أكثر من أنه شطط

فى الغرور ، وإسراف فى حمل الناس على التحلل من متابعة الأئمة السالفين ، والتجرؤ على أولى العلم ، فذلك ما يثير الأسف لدينا ولدى كل محافظ على حياته الدينى .

إذ ليس مما يعهده الناس ، ولا ينبغى أن يقال ، أن يجهر زعيم دعوة بقوله : (يجب أن نأخذ شريعة الله من ألفاظ القرآن وألفاظ الحديث دون الرجوع إلى واحد من علماء التفسير ولا من شراح الحديث كأمثال ابن حجر أو خلافه) .

وليس مما يعهده الناس ، ولا ينبغى أن يقال ، أن يجهر زعيم دعوة فيقول : (إذا صعب عليكم فهم آية أو حديث فلا ترجعوا إلى الكتب ، وليرفع أحدكم نظره إلى السماء وليقل : يا معلم ابراهيم علمنى ، فإن الله سيعلمه ثم يقول عن نفسه : (أنا أعمل كذلك ، والله يعلمنى كل شىء ، فإن شئتم أن تسألونى عن الجيولوجيا فاسألونى أجبكم) .

وطبعا لم يسأله أحد عن الجيولوجيا ولا غيرها ، لأن الجميع قد عراهم الخجل من كلام كهذا يلقى عليهم ، ولأن الجميع آمنوا إيمانا صادقا بأن صاحبنا مسرف جداً فيما يتخيله فى نفسه فيما يدفع إليه عوام الناس من تعرف الدين وأحكامه من القرآن والسنة ، أو هو مأخوذ فى كلامه بشىء من رهبة الموقف ، فاندفع إلى قوله غير شاعر بما يتحدث به .

وإلا فهل فى الناس من يصدق أن جميعنا بما فينا من متعلم وغير متعلم ، وسوقة وغير سوقة ، وبما فينا من نساء مطالبات بمعرفة الدين وأحكامه ، هل فى الناس من يصدق كلاما كهذا ، ويزعم أن معرفة الدين ميسورة للجميع من ألفاظ القرآن والسنة ، أو من رفع البصر إلى السماء ، والنداء بيا معلم إبراهيم علمنى ؟ ! !

ذلك خاطر مفاجىء تغلب على قائله ، فجرى على لسانه ما هو أشبه بالهذيان ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الناس من فجر الإسلام إلى يومنا هذا إلى معلم ولا إلى كتاب ولا إلى دور للتعليم ، وكان يكفيهم أن يقولوا يا معلم إبراهيم . . الخ .

وإذا ألغينا عقولنا وتابعنا زعيم الدعوة فيما هتف به ، فلتذهب جهود العلماء من صدر الإسلام إلى يومنا هذا ، وليذهب كذلك ما أثر عن الصحابة من تبادلهم المسألة الواحدة ليتعرفوا حكمها ، وما يراد فيها من نصوص القرآن أو السنة ، ليذهب كل ذلك هباء وليذهب قبل هذا قول الله تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » ولنحتفظ بشىء فقط هو ما نأخذه عن زعيم هذه الدعوة ، وأن نعمل مثل ما يعمل فنقول : يا معلم إبراهيم ،

وحينئذ نصبح مثله أهل الذكر فى كل شىء حتى فى الجيولوجيا ، إلا إذا كان صاحبنا أثيراً على الله بهذه الخصوصية دون عباد الله أجمعين .

ولنا أن نسأله أخيراً : إذا تخلينا عن سلف العلماء ، فمن أين نعرف سنة الرسول ، إذ أن الثقة فيهم وفيما توارثوه من فهم ونقل لم تصبح ذات بال عندنا ، ولا وسيلة للعلم . اللهم ارزقنا الأدب ، وعلمنا ما جهلنا ، وارزقنا الحياء فى الدين ، وجنبنا الشطط فى الرأى .

(المجـــلة)

— ٢ —

أبو هريرة رضى الله عنه

أراد محرر فى مجلة روز اليوسف أن يضرب المثل للذين يرون الصلاة وراء فلان أقوم ، والأكل على مائدة فلان أدسم ، والبعد عن الحرب أسلم ، فالتمس المثل لذلك من التاريخ ، وأخطأه التوفيق فى تسمية شخصية ما كان ينبغى لمسلم على وجه الأرض أن يكون علمه بها نابيا ومخجلا إلى الحد الذى رأيناه فى الفقرة التى عنوانها « أبو هريرة » .

لقد كان موقف أبى هريرة رضى الله عنه من الفتنة الكبرى على أمير المؤمنين ذى النورين كموقف الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وسائر الصحابة . وفى تاريخ أبى جعفر الطبرى (١ : ٣٠١٥ طبعة أوربا) أن البغاة لما أحرقوا باب دار الخلافة وعثمان فى الصلاة وأرادوا الهجوم ، أقبل أبو هريرة وقال للدافعين عنه : « أنا أسوتكم . هذا يوم طاب الضرب » . ولكن أمير المؤمنين عثمان أمرهم ـ بما له عليهم من الولاية ـ بالكف عن الدفاع عنه ليقى المسلمين بنفسه غوائل الفتنة وعواقبها ، ولولا ذلك لسارع أبو هريرة والحسن والحسين وجميع المهاجرين والأنصار لافتدائه بدمائهم . وما منعهم من ذلك إلا أنه عزم عليهم ألا يفعلوا ، وكانت طاعته واجبة عليهم ، لأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم . أما موقف أبى هريرة من حرب الجمل أو حرب صفين فإن تاريخ الطبرى ـ وهو أحفل كتبنا القديمة باستيفاء تاريخ صدر الإسلام ـ لا توجد فيه كلمة واحدة تدل على وجود أبى هريرة فى هاتين الحربين .

إن العناية الإلهية هى التى أعدت هذا الصحابى الجليل رضى الله عنه لملازمة مجالس رسول الله ﷺ فى فترات الدهر التى كان فيها أكثر المهاجرين يكدحون بالتجارة فى أسواق المدينة لرزق أولادهم ، وأكثر الانصار فى زراعتهم وبساتينهم ، موطنين نفوسهم على الاستعداد للتضحية بدمائهم وأولادهم وأموالهم كلما هتف بهم داعى الدفاع عن دعوة الحق ، إذا فوجئت ببغى الباطل عليها ، فكان أبو هريرة أكثرهم ملازمة لخاتم رسل الله ، وقد رزقه الله أقوى حافظة عرفت فى الناس ، لحفظ للإنسانية من تشريعات آخر رسالات الله ما لا تستطيع الإنسانية أن تكافئه عليه من فضل وإحسان .

ولو أن أبا هريرة كان من أصحاب موسى أو المسيح ، وحفظ لأمتى موسى والمسيح ما حفظه لأمة محمد من نصوص شريعتها ، لألف علماء أوربا وأمريكا ألوف المجلدات فى تخليد فضل هذه الشخصية العظيمة . أما صحافتنا والمتخرجون فى مدارسنا فمعرفتهم بمفاخر سلفهم بلغت بهم إلى درجة التندر بالعظماء بما نخجل منه أمام المستشرقين فضلا عن أعلام المسلمين ، وإلى الله المشتكى من مناهج تطوح بحملة الأقلام منا إلى هذا المنحدر .

(المجلة)

— ٣ —

مجلة طائفية من بغداد

حمل إلينا البريد من بغداد مجلة طائفية أنيقة الطباعة ، يحررها المشكك فى إيمان صاحبى رسول الله ﷺ أبى بكر وعمر ، وقد اختص الأزهر ومجلته بأكثر صفحات عددها الأول ، فلم يدع ناحية من نواحى الحديث عن الأزهر إلا تحدث عنها بخلاف الواقع ، كزعمه فى صفحة ٧٤ أن الأزهر أخذ ينصرف عن فقه أئمة السنة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد إلى فقه الشيعة ، معبرا عن ذلك بقوله : « ظهرت باكورة الإصلاح المنشود فى الأزهر بعدم التقيد بفكرة تقليد آراء الرجال البالية ، ونجد اليوم فقه أهل البيت (كذا !) المستمد من الوحى الإلهى (كذا !) يبحث عنه فى الأزهر الشريف » .

وقد بلغه أن نفراً من الطلبة اتخذوا من التمثيل الأدبى وسيلة من وسائل الثقافة ، فمثلوا رواية « خالد بن الوليد » ورواية « وطنية عرابى » ، فوصف ذلك فى صفحة ٦٨ من تلك المجلة بقوله : « لقد أخذ الأزهر فى إحياء الفنون الجميلة ، ويا حبذا لو كان ذلك قاصراً على

غير ما يشعر بالغضاضة فى الأزهر . وما يدرينا فقد تمادى هـــذه الحالة الزرية بالأزهر الوضاء فيفتح أبواب التمثيل للأوانس والغانيات فيلجن هذا الوطيس من اختلاط الرجال بالنساء وتمثيل الأدوار المثيرة للعواطف » .

إن هاتين الصورتين عن الأزهر توحيان إلى قراء تلك المجلة المساكين عكس الحقيقة والواقع ، وهذا لا يضير الأزهر بقدر ما يضير قراء تلك المجلة بحملهم على الاعتقاد الخاطئ فى الأمور التى تعرضها مجلتهم عليهم . وإذا كان مراد منشئ تلك المجلة الطائفية من التعرض للأزهر ومجلته وقلم تحريرها بهذه الطرق الملتوية أن يحملنا على مساجلته ومناقشته فيما ينحرف به عن الحق ليكون له ولمجلته ظهور بين الناس بما تتحدث به مجلة الأزهر عنهما ، فليعلم أن لمجلة الأزهر رسالة أسمى من ذلك وأنبل ، وهى تربأ بنفسها وبقرائها عن الانزلاق فى هذا الخطأ ، وهذا آخر ما يصدر عن هذه المجلة فى هذا الموضوع ، ما لم نجد باطلا فى الدين وكيداً للإسلام فنكتفى بدفعه وتنبيه قرائنا إليه بالتى هى أحسن كدأبنا فى مثل ذلك من قبل ومن بعد والله يتولى الصالحين . (المجلة)

سبق للمجلة أن رغبت إلى حضرات أساتذة الرسم بالمعاهد الدينية ، فى إدخال بعض تعديلات تكميلية على الشكل الذى يتوج به غلاف المجلة ، وقد تكرم أكثرهم فبعثوا إلينا بما راق لهم من رسومات متعددة .

والمجلة لا يسعها إلا أن تشكر لحضراتهم تفضلهم بتلبية رغبتها ، وتقدر لهم ما بذلوا من عناية فى إبراز فكرتهم ، على النحو الذى ارتآه كل منهم .

وهى إذ تعرف لهم ذلك الفضل ترى من عرفان الجميل أن تخص بالشكر الأستاذ صلاح فؤاد المدرس بمعهد الزقازيق فقد وفق لتحقيق الرغبة على أقرب الوجوه المتمشية مع رغبة المجلة .

لذلك وقع الاختيار على الرسم المقدم من حضرته ، وهو الذى ظهرت به المجلة فى عددها الحالى ـ عدد رمضان ـ وفى ذلك ما يسرنا ويسر إخوانه لأجله ، ونرجو للجميع حسن الجزاء ؟ (المجـــلة)

ركن الطلبة

مقتطفات

— ١ —

حاجة العالم إلى الاسلام

كانت البعثة المحمدية نقطة تحول فى التاريخ الإنسانى ، فغيرت المناهج ، وبدلت النظم ، ومضت بالناس إلى طريق مستقيم .

كانت رسالة إنسانية ربانية عالمية ترفض العنصرية ، وتقضى على العصبية ، وتجعل التفاضل بين الناس بالتقوى .

إن حامل أكمل رسالات الله ، جاء يدعو الإنسانية كلها إلى الرشد ، ويريد صلاح المجتمع البشرى أجمع ، فكان فيمن استجاب له مع العرب الحبشى والرومى والفارسى ، ولولا أن عناصر خبيثة عادت الإسلام فى القديم والحديث ، لأنها رأت فيه قضاء على مطامعها ومنافعها التى لا تعيش إلا فى ظلال من الباطل والبغى ، لتبينت أن سنن الإسلام هى دستور الإنسانية ومصباحها الذى يؤدى بها إلى أهداف السعادة .

واليوم وقد استبدت بالناس مشاكل الحياة المعقدة ، وتخبطوا فى مصطرع الأغراض ، وفقدوا الأسس التى تقوم عليها الحياة الصحيحة ، فإن لزاماً على قادة التوجيه الإسلامى الذين ثبتوا على العهد والوعد أن يبدأوا بأوطانهم الإسلامية ، وأن يعملوا جاهدين على إرساء قواعد الإسلام فيها ، وأن يعالجوها بالإسلام من جميع نواحيها ، فيحرروها من غاصبيها ، ويحلوا مشاكلها الاقتصادية المعقدة ، ويحققوا العدالة الاجتماعية الإسلامية ، ويشرحوا للمسلمين حقيقة الإسلام ، إلى أن يرى العالم أجمع كيف يعالج الإسلام المشاكل ويحل العقد .

مصطفى عبد الواحد إبراهيم
معهد القاهرة الدينى

— ٢ —

الخيالة فى مصر

للخيالة — كما يجب أن تكون — رسالة سامية وأثر كريم ، فهى تؤثر فى النفوس ، وتهز القلوب بأسلوبها الواقعى ، وإخراجها الفنى الجذاب ، حين تعالج المعضلات الاجتماعية وتحل مشاكل الأسر ، وهى إذ تقوم بذلك فإنما تقوم بأعظم خدمات تقدمها للمجتمع .

هذه رسالة السينما كما يجب أن تكون ، ولكنها اليوم وخصوصاً فى مصر ليست فى شىء من هذا كله . إن الخيالة فى مصر لا تقوم بتأدية رسالتها التى خلقت لها ووجدت من أجلها ، فهى بدلا من أن تأخذ بأيدى الجماهير للنهوض بهم إلى السعادة والفضيلة ، نراها تتملق هؤلاء الجماهير وتساير أهواءهم ، بل أستطيع أن أقول فى جرأة وصراحة : إن الخيالة فى مصر تهدف إلى تقويض أركان بناء الأمة ، وتحويلها عن محاسن الإسلام وفضائله بل هى معول يهدم الأخلاق ، وداء يفتك بالمجتمع .

إننى أتهم ، أتهم السينما بأنها تفسد الخلق والضمير ، وتشيع الفساد فى المجتمع والدولة أتهم الخياله فى وضعها الحالى بأنها تدفع الناشئين والناشئات إلى الانحدار فى مهاوى الرذيلة وتحمل هذا الشباب الناهض الوثاب على الانحراف عن طريق الله . أتهم السينما بأنها تدفعنا إلى الانزلاق تحت ستار المدنية المزيفة . وكم كان يتم لهذا الوطن من خير بسبب السينما لو أنها ترفعت عن الإسفاف مع أهواء الجهال من النساء والرجال ، وعادت إلى رسالتها النبيلة كما كان يجب أن تكون .

يا ولاة الأمر ، إذا أردتم للسينما البقاء وللوطن السعادة والخير ، فطهروا هذه الأداة من الموبقات والآثام ، طهروها من الأدوار الماجنة ، طهروها من الرقص الخليع ، وأدوار التمثيل الماجن الذى يشيع الفساد والانحطاط فى المجتمع .

وأخيراً يا ولاة الأمر ، طهروا السينما من الاختلاط الفاحش السافر ، ومن كل شىء يهدف إلى تقويض كياننا الإسلامى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

محمد عبد اللطيف الزفتاوى
بمعهد الزقازيق الثانوى

– ٣ –

حسرة

كنت ماراً بإحدى دور السينما وقت خروج المتفرجين ، فوجدت أشكالا وألوانا من الناس ، فتصورت هذا المنظر فى ذهنى كأنه يوم البعث .

انتابتنى حسرة أليمة ، وحز فى نفسى أن أشاهد هذا العدد الضخم وهو خارج من سينما واحدة ، فما بالك بالخارجين من سائر دور السينما . وقارنت بين هذا العدد الضخم ، وعدد الذين يلجأون إلى بيوت الله ليشكروا الله على نعمه وفضله ، فوجدت الفرق شاسعاً والحال خطيرا جداً : إذ عدد الذين يلجأون إلى بيوت الله لا يتجاوز واحداً من مائة من عدد المترددين على دور السينما .

هذه ظاهرة خطيرة إن دلت على شىء فإنما تدل على جحود الناس ونكرانهم لفضل ربهم ، والحال لم يتغير سواء بالأمس الفاسد وبالحاضر الجديد .

لقد مات أو أوشك أن يموت الوازع الدينى ، وأن تفنى القيم الأخلاقية فى النفوس البشرية إذ ابتعدوا عن مواكب الفضيلة ، وإذا استمرت الحال على هذا فعلى الإنسانية السلام فاسأل نفسك لماذا استخلف الله البشر فى الأرض ؟ ؟ فإنك حتما واجد الجواب فى قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » . وعبادة الله طاعته فيما أراده للإنسانية من استقامة وتخلق بالفضائل وتوخى مرضاة الله فى الخير .

إن صلاح المجتمع بصلاح الفرد . فإذا فسد الفرد فسد المجتمع وانهار ، وكل مجتمع غير مؤسس على أساس سليم قوى مجتمع منهار آيل إلى الاندثار . إذن يجب أن تكون ثورتنا على هذا الفساد المتفشى فى كل مكان بحشد الجهود وحث الناس على الفضيلة وتجنب الرذيلة .

لتعمل الاذاعة على حشد جهودها على بعث الشعب بعثاً جديداً ، وأن تشعرنا بأن هناك ثورة على الفساد حيثما كان ، وعلى الدولة أن تمنع المجلات الاباحية التى تصدر تحت ستار الفن الفاسد المفسد ، فإن كان هذا فناً ولا يكون الفن بغير هذه المناظر المؤذية ، فنحن فى غنى عنه وعن أهله ، والله برىء منهم . فإننا الآن نحاكم الفساد الصادر من الكبراء فى الماضى ، فالواجب علينا أن نحشد الجهود للقضاء على هذا الفساد المتفشى بين الطبقات إلى أن نرى شعباً مؤمنا بربه يلجأ إليه ويخشاه .

محمد محيى الدين المسيرى
بليسانس الحقوق – جامعة الاسكندرية



— ١ —

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلى :

ما حكم صاحب المطعم الذى يفتح محله فى نهار رمضان ويقدم الأكل طيلة اليوم لجميع من يردون على محله ؟ هل هذا حرام أم حلال ؟ وإذا كان حراما فلماذا ؟ وإذا كان حلالا فلماذا وما الدليل . مع العلم بأن فتح المطعم بدون نداء ، لا بالإشارة ولا بالأقوال إلا لحالة الضرورة ، للتعيش لصاحب المطعم والعمال .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فتفيد اللجنة بأن فتح المطاعم أو المشارب (المقاهى) فى نهار رمضان لتقديم الطعام أو الشراب لمن يريده ممن فرض عليهم الصوم إعانة على المعصية ورضا بها ، وكلاهما معصية يحرم فعلها . وما يتذرع به أرباب المطاعم المادية من أن هذا نوع من التجارة والبيع وأن الله أحل البيع وحرم الربا ، إنما هو من تزيين الشيطان واتباع الهوى وتحريف الكلم عن مواضعه ، لأن الله تعالى وإن كان أحل البيع قد حرمه فى كثير من المواطن كهذا الموطن . والله أعلم ؟

— ٢ —

ما حكم الاستحمام فى البحر أو الحمامات الخاصة فى شهر رمضان .



الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فتفيد اللجنة بأنه لا نزاع بين العلماء فى أن اغتسال الصائم ولو للتبرد لا يفطر وإن وجد أثر البرودة فى جوفه . إنما النزاع بينهم فى كراهة ذلك للصائم إذا كان الغرض منه التبرد ، فذهب أبو حنيفة إلى كراهته لما فيه من إظهار الضجر من العبادة .

وذهب أبو يوسف من أصحاب أبى حنيفة إلى عدم كراهة ذلك وهو الأظهر ، وبه يفتى فى مذهب الحنفية ، وهو أيضا قول الأئمة الثلاثة : مالك والشافعى وأحمد بن حنبل ، وذلك لما رواه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : حدثنى من رأى النبى ﷺ فى يوم صائف يصب على رأسه الماء من شدة الحر والعطش وهو صائم . قال النووى فى المجموع : وهو حديث صحيح رواه مالك فى الموطأ وأحمد بن حنبل فى مسنده وأبو داود والنسائى فى سننه والحاكم فى المستدرك والبيهقى وغيرهم بأسانيد صحيحة ، وإسناد مالك وأبى داود والنسائى على شرط البخارى ومسلم . اهـ .

ولأن فى الاغتسال عند شدة الحر والعطش عونا على العبادة ودفع الضجر الطبيعى . وهذا هو الذى تختاره اللجنة للفتوى لقوة دليله ومتانة حجته .

بقى ما إذا دخل الماء فى جوفه غلبة بلا تعمد ؛ أيكون ذلك مفطرا له أم لا . فذهب بعض العلماء ومنهم الإمامان أبو حنيفة ومالك إلى أن ذلك مفطر . وذهبت طائفة من علماء السلف والخلف إلى أنه غير مفطر وهو المشهور فى مذهب الإمام أحمد بن حنبل . وهذا هو الذى اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية فى رسالته (فى حقيقة الصيام وما يفطر الصائم) واختاره أيضا تلميذه ابن القيم فى أعلام الموقعين ، وقد ساقا من الأدلة على ما اختارا ما يؤيده . وهو ما تختاره اللجنة للفتوى غير أنها ترى أنه ينبغى للمغتسل أن يعمل ما فى وسعه للاحتراز عن سبق الماء إلى جوفه خروجا من الخلاف واطمئنانا على صومه . والله أعلم ؟

— ٣ —

خلعت ضرسى فى نهار رمضان وقد أعطانى الدكتور حقنة تحت الضرس ، وبعد خلعه وضع بعض الأدوية مثل صبغة اليود . ورغم الحذر الشديد لمنع هذه الأدوية وكذا الدم

المتسبب من خلع الضرس من تسربها إلى الجوف فقد شعرت بأن بعضها وصل إلى الجوف بواسطة الريق . فهل الحقنة مفطرة ؟ . وهل وصول الدواء والدم إلى الجوف على الوجه المذكور مفطر . علماً بأن وصول الدواء إلى الجوف مشكوك فيه . أما الدم فمقطوع بوصوله إلى الجوف ؟ وهل يجب القضاء .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فتفيد اللجنة :

أولا : بأن الحقنة تحت الضرس لا تفطر الصائم لعدم وصول شىء منها إلى الجوف من المنافذ المعتادة .

وثانياً : أنه إذا كان الدم قد وصل إلى جوف الصائم على الوجه المشروح فى السؤال بأن سبقه إلى الجوف ولم يستطع رده فإنه لا يفطر أيضاً ؛ وذلك كما إذا وصل الماء إلى الجوف بدون قصد فى الوضوء أو الاغتسال . وهذا هو المشهور من مذهب الإمام أحمد ، وسبق للجنة اختياره فى حالة أخرى .

وثالثاً : بأن الصائم لا يعد مفطراً إذا شك فى وصول الدواء إلى الجوف لعدم تحقق الوصول ، وعلى فرض تحقق وصوله فهو نظير الدم الواصل إلى الجوف قهراً فيعطى حكمه السابق . والله أعلم ؟

ـ ٤ ـ

إنى رجل مزارع أقوم بالعمل بزراعتى من طلوع الشمس إلى غروبها من سقى بالشادوف ، وتسميد بالأسمدة البلدية وإحضارها من الجبل من مسافة عشرة كيلو مترات

وأواجه الشمس طول النهار ، مع ملاحظة القيظ الشديد بمديرية أسوان . فهل يبيح لى الشرع الشريف مع هذا العمل الشاق الإفطار أم لا .

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وتفيد بأن نصوص الفقهاء تقضى بإباحة الفطر لضرورة حفظ مال أو نفس ، كما إذا خاف الزارع تلف الزرع إذا لم يتعاهده بالسقى والتسميد بالنهار . أما إذا كان لا يخشى تلفاً له بتأخير العمل إلى الليل وكان يمكنه العمل بالليل ، أو بتأخير العمل إلى ما بعد شهر رمضان لم يبح له الفطر لعدم وجود ما يبيح الفطر حينئذ . وكذلك يباح الفطر للمحترف إذا كان مضطراً إلى العمل فى حرفته بالنهار لتحصيل قوته وقوت عياله ، وكان يخشى على نفسه الهلاك أو حصول مرض بالصوم أو حصول ضعف له يضعفه عن العمل المحصل لقوته وقوت عياله ، وإذا أفطر فى حالة من هذه الحالات التى يباح له فيها الفطر كان حكمه حكم المريض والمسافر فى وجوب القضاء فى أيام أخر والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

* * *

— ٥ —

وجاء إلى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف ما يلى :

رجل قام ببناء برج للحمام ، واتخذ فيه عدداً قليلا من الحمام ، فجمع هذا الحمام من الحمام الغريب عدداً كبيرا لا نعلم له صاحبا ولا مكانا — وكان الرجل يعلم يقينا فى حال إنشاء البرج أن حمامه سيجمع معه حماما غريبا — فهل فى اتخاذ البرج مع هذا العلم حرمة ؟ ومع ذلك لو ظهر صاحب للحمام الطارئ على حمام البرج يسلم إليه ؟ مع ملاحظة أن الحمام الطارئ غير حمام بلادنا المعروف فيها .

نرجو الجواب ، ولفضيلتكم من الله الثواب .

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ـ فنفيد بأن المنصوص عليه فى مذهب الحنفية أن الإنسان إذا نصب شبكة فوقع فيها صيد أو نصب فسطاطا للصيد فوقع فيه صيد ، ملك ما وقع فيهما فكذلك إذا اتخذ برجا للحمام البرى يأوى إليه ، فكل ما دخل فيه منه وما أفرخه فيه ملك له ، له أكله وبيعه وهبته ـ إلا أنه ينبغى أن يعلفه ولا يتركه بغير علف حتى لا يتضرر به الناس فى أقواتهم وإلا كره اتخاذه . فإذا اختلط به حمام أهلى لغيره وأوى إلى البرج لا ينبغى أن يحبسه فيه ، لأنه ربما يطير فيعود إلى محله الأصلى ، وإن حبسه يطلب صاحبه ليرده إليه ، لأنه كاللقطة ـــ فإذا لم يحبسه وفرخ عنده فالفرخ ملك له ، إن كانت الأنثى ملكه ، والغريب هو الذكر ، وملك لغيره إن كان الأمر بالعكس ، فإن عرفه رده إليه مع الأم ، وإن لم يعرفه فإن كان فقيراً جاز له أكله ، وإن كان غنياً تصدق به ثم اشتراه إن شاء .

وكذلك الحكم لو كان كل من الذكر والأنثى غريبا ، لأن ولد الحيوان يتبع أمه فالبيض والفراخ لصاحب الأم (راجع التنوير وحاشيته أول كتاب الصيد وآخر كتاب اللقطة والفتاوى الهندية وحاشية أبى السعود على ملا مسكين فى كتاب اللقطة) .

ومن هذا يعلم أن اتخاذ أبراج الحمام جائز شرعا ، وأن الحمام البرى الذى يأوى إليه وأفراخه حلال لصاحب البرج . وأن الحمام الأهلى الذى يختلط بحمام البرج ويدخل معه فيه لا يملكه صاحب البرج ، ويلزمه رده لأصحابه إذا عرفهم ، وحكمه حكم اللقطة . وأما فراخه فتتبع الأم فى الحكم على ما أسلفنا ـــ والله تعالى أعلم ؟

حسنين محمد مخلوف

مفتى الديار المصرية السابق



سنن ابن ماجه

بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى

جزءان فى ١٥٦٧ صفحة كبيرة — مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه

كتاب السنن لأبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى الربعى (٢٠٩ — ٢٧٣) ديوان عظيم من دواوين السنة المحمدية ، وقد سبق طبعه غير مرة : من ذلك مطبوعتا دهلى [١] عاصمة الهند قبل أكثر من مائة سنة (فى سنة ١٢٦٣) وقبل خمسين سنة (١٣٢٣) ومطبوعتا مصر سنة ١٣١٣ و ١٣٤٩ . وأمامنا هذه الطبعة الجديدة التى تحملنا على أن نقول عنها : الآن طبعت سنن ابن ماجه ، فهى مضبوطة بالشكل الكامل ، وإن ضبط أسماء الرواة ومتون الأحاديث بالشكل الكامل يحتاج إلى عناية ومراجعة وتثبت ، ولا يعرف قيمة ذلك إلا من يعانيه . ثم هى تمتاز بترقيم الأحاديث — كما فعل فى موطأ الامام مالك — وفقاً للإحالات التى التزمها مؤلف كتاب مفتاح كنوز السنة والقائمون الآن فى هولندا على إصدار المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى بمساعدة بعض الهيئات العلمية والثقافية ومنها اليونسكو . فترقيم أحاديث سنن ابن ماجه على وفق هذين المعجمين سييسر الانتفاع بهما فى الرجوع إلى كنوز هذه السنن وذخائرها .

ومما امتازت به هذه الطبعة الفهرس الأبجدى الذى ألحقه بها الأستاذ فؤاد عبد الباقى لأوائل جميع الأحاديث القولية وسماه (مفتاح السنن) ، وكان قد فعل مثل ذلك فى الموطأ .

---

(١) هذا هو الاسم الصحيح لعاصمة الهند وهكذا يكتبه علماء الهند ، والنسبة اليه (دهلوى) والدهلويون من اعلام الاسلام وعلمائه كثيرون ولله الحمد وفى طليعتهم الشيخ عبد الحق الدهلوى [٩٥٨ — ١٠٥٢] والامام شاه ولى الله الدهلوى [١١١٤ — ١١٧٦] وأولاده وتلاميذه المجاهدون المنقطعون لدعوة الاسلام . أما الذين يكتبون [دهلى] برسم [دلهى] فهم مقلدون للانجليز وهو خطأ كما لو أراد مقلدو الانجليز أن يكتبوا اسم [الاسكندرية] برسم [ألـكسندريا] وقد أردنا أن ننبه إلى ذلك ليرجع عن هذا الخطأ من لا يحب الخطأ .

وأهم من كل ذلك تنبيهه على درجة الأحاديث من الصحة أو الضعف . فإن عدد أحاديث سنن ابن ماجه على ما أحصاه محققها بالترقيم ٤٣٤١ حديثاً ، منها ٣٠٠٢ أخرجها أصحاب الكتب الخمسة كلهم أو بعضهم ، وباقى الأحاديث وهى ١٣٣٩ هى الزوائد على ماجاء فى الكتب الخمسة ، وهذه الزوائد منها ٤٢٨ رجالها ثقات صحيحة الاسناد ، و ١٩٩ حديثاً حسنة الاسناد ، و ٦١٣ أحاديث ضعيفة الاسناد و ٩٩ حديثاً فقط واهية الاسناد أو منكرة أو موضوعة ، قال محقق الكتاب : « وإن كتابا يجمع بين دفتيه ٣٠٠٢ حديثاً يرويها أصحاب الكتب الخمسة فى كتبهم ، ثم يجىء ابن ماجه يرويها كلها من طرق غير طرقهم ، وكل الطرق يؤيد بعضها بعضا ، مما يعطى للأحاديث قوة فوق قوتها . ثم يضيف إلى عددها ٤٢٨ حديثاً صحيحة الاسناد ورجالها ثقات ، و ١٩٩ حديثاً حسنة الاسناد — لهو كتاب له قيمته لو اقتصر على هذه المزية فقط » . زد على ذلك تفسيره غريب الحديث بما يغنى عن مراجعة مثل النهاية لابن الأثير والفائق للزمخشرى . بل أهم من ذلك عندنا تثبته من ألفاظ متون الأحاديث فلم يثبت كلمة واحدة منها إلا بعد المراجعة عنها فى مظانها من الكتب الموثوق بها

ولو أن كتب المراجع الاسلامية كلها تطبع بهذه العناية لكان ذلك سبيلا لنهضة علمية إسلامية محمودة الأثر إن شاء الله .

أمين الأمة أبو عبيدة

للأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى — ١٢٩ صفحة — مطبعة الاعتصام بالقاهرة

أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهرى — أحد بنى فهر بن مالك بن النضر — علم من أعلام الإنسانية ، وطود من أطواد الحق ، وقدوة لشباب المسلمين ورجالهم فى أخلاقه وسجاياه وجميع تصرفاته . وقد بلغ من وفائه للحق أن نجح النجاح الأكمل يوم تعارض الحق مع أخص خصوصيات الإنسان وهو بنوته لأبيه وأبوة أبيه له ، فدخل الامتحان فى معركة بدر ، ووجد نفسه مع الحق فى جانب وأباه فى جانب يعارضه ، فجعل يحذر لقاء أبيه فى المعركة وينأى عنه بعيداً ما استطاع ، وفاء منه لحق الأبوة ، ولكن لما لم يجد من لقاء أبيه بدأ كان الحق عنده فوق كل اعتبار فى الوجود ، وكانت منية أبيه بسيف أبى عبيدة ، إخلاصا منه لله عز وجل ، وهذه أعلى مراتب الإيمان فى تاريخ الإنسانية ، وفيه نزل قول الله سبحانه فى سورة المجادلة « لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب

فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله . ألا إن حزب الله هم المفلحون » ، ولمثل هذا النجاح المتواصل فى الامتحان الذى تعرض له أبو عبيدة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى بأنه « أمين هذه الأمة » .

إن هذه الشخصية التى تفخر بها العروبة ، ويعتز بها الإسلام ، وتعد فى الذروة العليا من أعلام الإنسانية ، قد وفاها فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى بعض ما لها من حق بكتابة هذه الرسالة الوجيزة الجامعة ، مستعرضا مراحل حياة ولى الله ورسوله أبى عبيدة عامر ابن الجراح إلى أن لقى الله فى ميادين جهاده وفتوحه المجيدة فى آفاق الشام ، وبذلك يتيسر لكل أخ مسلم ولكل فتى مسلم ولكل مؤمن لا تشوب إيمانه فى قلبه شائبة من الغل الإلحادى الذميم للمؤمنين الأولين — أن يجدد معارفه عن أمين الأمة المحمدية ليتخذ من سيرته السنية قدوة له وأسوة فى الحياة . وما أشد حاجتنا إلى أن نحب هذا الرعيل الأول من المسلمين ، لنكون إن شاء الله فى قافلتهم يوم الدين .

الأشعرى أبو الحسن

للدكتور حموده غرابة — ٢٠٤ صفحات — مطبعة الرسالة بالقاهرة

أبو الحسن الأشعرى (٢٦٠ — ٣٣٤) فى طليعة عظماء المسلمين وعلمائهم الذين آن لنا أن ندرس حياتهم ونستعرض أعمالهم كما لو كنا معاصرين لهم وملتزمين لصحبتهم ، بل إن حياة أبى الحسن الأشعرى حقل خصيب لدراسة التطور الفكرى فى أعلام المسلمين ، لأنه نشأ على الاعتزال وتتلمذ فيه على الجبائى (٢٣٥ — ٣٠٧) حتى كاد يتسنم ذروة الإمامة فيه ، ثم أيقظ الله بصيرته وهو فى منتصف عمره وبداية نضجه (سنة ٣٠٤) فرقى كرسياً فى المسجد الجامع بالبصرة ونادى بأعلى صوته « من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى : أنا على بن إسماعيل الأشعرى ، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا تراه الأبصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعلها . وأنا الآن تائب عن ذلك مقلع ، متصد للرد على المعتزلة ، مخرج لفضائحهم ومعايبهم » . ومضى فى هذا الطور الثانى نشيطا يؤلف ويناظر ويلقى الدروس وهو فى حالة وسطى بين ما عليه المعتزلة من التصرف والتأويل وما عليه رجال الحديث وأتباع سلف الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين فى إثبات صفات الله عز وجل كما وصف الله بها نفسه ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم مع التقيد بأن الله ليس كمثله شىء . وفى هذه

الحقبة كتب أبو الحسن الأشعرى أكثر مؤلفاته الحافلة والصغيرة التى قيل إنها ناهزت ثلاثمائة كتاب ورسالة ومقالة ، ولا يبعد أن يكون بعضها مما ألفه وهو فى الاعتزال ، غير أن أكثرها من محصول نشاطه بعد تطوره الاول ، وفى كلا الطورين كان أميناً صادقا فى كل ما يعزوه إلى غيره من خصومه وأوليائه ، وفى هذا الطور الوسط نقل عنه الناس ما سموه بمذهب الأشعرية ، ثم إن العلماء يكادون يكونون متفقين على نسبة كتاب (الإبانة) له وأنه إن لم يكن آخر ما استقر عليه اعتقاده فهو بلا شك من آخر ما ألفه وجنح إليه . وكتاب الإبانة يدور على مذهب السلف محضا . ولو شاء إنسان أن ينسب كل شيء فيه إلى الإمام أحمد وأضرابه ممن يلتزم مذهب السلف كل الالتزام لما كان مخطئا . وعلى هذا فللأشعرى فى اعتقاده ثلاثة أطوار : طور الاعتزال إلى ما بعد الثلاثين من عمره ، وطور ما نسميه الآن بالأشعرية ولعله استمر عليه عشرين سنة أو نحو ربع قرن وألف فيه أكثر الكتب التى عرفت عنه وتناقل الناس عنها آراءه واحتجاجاته . ثم الطور الثالث الذى أراد أن يلقى الله عليه وهو ما كان يعتقده الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان من إمرار صفات الله كما وردت واعتقاد صحتها بلا تأويل ولا تعطيل مع التقيد بأن الله ليس كمثله شيء. وكتاب الإبانة من أوله إلى آخره حافل بهذه العقيدة مناضل عن صحتها وأنها هى التى تليق بالمسلم ولا يليق به غيرها ، وأنه يجب أن يلقى الله عليها ليكون مسلما على مذهب أهل السابقة من المسلمين الاولين .

إن حياة الأشعرى يجب أن تدرس بحسب هذا التطور لتنتهى دراستها بما انتهت به حياة هذا الإمام وما استقر عليه ، وبذلك يتبين لنا أن الأشعرى شيء والأشعرية شيء آخر. وكما أن الأشعرى لا يجوز أن يعتبر معتزليا بحجة أنه آمن بالاعتزال واحتج له ودافع عنه نصف عمره ، كذلك ما نعرفه الآن عن الأشعرية ليس من الإنصاف أن يتفق على أنه هو الذى أراد الأشعرى فى آخر حياته أن يلقى الله عليه ، لأن ما أراد أن يلقى الله عليه هو ما فى الإبانة ، والذى فى الإبانة هو الذى كان عليه الأئمة الأولون وآخرهم الإمام أحمد ومن اهتدى بهديه .

وكتاب الدكتور حموده غرابه المدرس بكلية أصول الدين كتاب نفيس متعوب عليه ، وقد اطلع مؤلفه عند تأليفه على كثير من المراجع الإسلامية والاوربية . لكنه التزم طريقة المستشرقين فى البحث والافتراض والنقاش ، وخالفهم فى كثير مما جنحوا إليه ،

وذب عن الأشعرى فى كثير من المواقف . ونرى أنه لو التفت إلى الطور الأخير من أطوار الأشعرى بقدر ما تستحقه هذه الدراسة النفيسة من عناية لا نتهى إلى ما انتهت إليه من أن الأشعرى كما أراد لنفسه فى أنضج سنوات حياته هو الذى يستطيع كل قارئ أن يعرفه من كتابه (الإبانة) وهى نهاية مشرقة للأشعرى يتمناها لنفسه كل مسلم يرى أن الإسلام هو ما كان عليه الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان .

الفيلسوف المسلم « رينيه جينو »

تأليف الدكتور عبد الحليم محمود - ١٢٠ ص - مطبعة لجنة البيان العربى

عرفنا المسيو رينيه جينو قبل بضع وعشرين سنة عند صدور مجلة المعرفة المصرية ، فقد زارنا صاحبها ليبلغنا عتبه على فضيلة الأستاذ السيد محمد الخضر حسين فيما أورده فى إحدى مقالاته من المآخذ على الصوفية ، فقلنا لصاحب مجلة المعرفة إن فضيلة السيد محمد الخضر معتدل ويقيس كل ما يتصل بالشرع بمقاييس الشرع ، وقد أكون أنا أشد منه فيما جئت تشكوه . وفى تلك الجلسة سمعت من صاحب مجلة المعرفة اسم رينيه جينو وأنه أسلم وتسمى باسم عبد الواحد يحيى وأنه ساهم مالياً فى إصدار مجلة المعرفة ، وأن مسيو جينو يرجو أن تكون مجلة (المعرفة) العربية امتداداً لمجلة له فرنسية كان أصدرها فى باريس سنة ١٩٠٩ باسم مجلة المعرفة أيضاً . وتوسعنا فى الكلام على المسيو جينو فعلمت أنه صوفى عميق فى صوفيته دقيق فى فهمها وشديد التعلق بها .

إن موجة المادية التى طغت على الغرب واستعبدته لأساليبها ودفعت به إلى عواقبها ، قد أحرجت الكثيرين من أذكياء أبنائه فجعلوا ينشدون لأرواحهم مخرجا من ذلك الكابوس وطغيانه ، ومن هؤلاء صاحبنا جينو ، فإنه بعد حصوله على البكالوريا سنة ١٩٠٤ فى بلده (بلوا) سافر إلى باريس ليتلقى التعليم الجامعى ، وكان فى باريس رجل اسمه شمبرينو قد أصدر فى تلك السنة مجلة سماها (الطريق) تنزع منزع الصوفية وتتكلم عن الإسلام والديانة البرهمية والديانة البوذية ، ورأى صاحبها أن ينتسب إلى الإسلام فتسمى باسم عبد الحق وساهم معه مسيو جينو فى تحريرها . ثم توقفت عن الصدور سنة ١٩٠٧ فأنشأ جينو فى سنة ١٩٠٩ مجلة فرنسية باسم (المعرفة) ساهم معه صاحبه عبد الحق فى تحريرها واستمرت إلى سنة ١٩١٢ .

ولما عزمت إيطاليا على اختطاف ليبيا وبرقة بدأت تنشىء العلاقات بينها وبين بعض المسلمين فشيدت فى القاهرة جامعاً سمته جامع أمبرتو وأنشأت إلى جانبه مجلة عربية إيطالية تسمى (النادى) يحررها رجل كان اسمه إيفان غوستاف ثم أعلن إسلامه فتسمى (عبدالهادى) وكان على اتصال بالشيخ عبد الرحمن عليش والشيخ طنطاوى جوهرى .

وقد ساهم الشيخ عليش فى الكتابة بالمجلة الايطالية العربية وأعلن فيها ثناءه على المسيو (إيفان غوستاف) وأسسوا فى إيطاليا ومصر جمعية لدراسة تعاليم ابن عربى ونشرها سموها (الجمعية الأكبرية) وأخذوا يستميلون الناس إليها ويقدمون المساعدة المادية والتشجيع الأدبى لمن هم فى حاجة إلى ذلك ممن ينتسب إليها .

ولما عرفت مقاصد إيطاليا فى ليبيا قامت القيامة فى مصر على جامع أمبرتو ومجلة النادى ومحررها عبد الهادى ، فأوقفوا إصدار المجلة ، وبإشارة من الشيخ عليش قام إيفان غوستاف بمحاولة إقامة صلة روحية بين الشرق والغرب . وسافر فى سبيل ذلك إلى أوربا سنة ١٩١٠ والتقى فى فرنسا بصاحبنا مسيو جينو عند ما كان يصدر مجلة المعرفة فساهم فيها إيفان غوستاف وعقد بين المسيو جينو والشيخ عليش روابط المراسلة وكانت نتيجة ذلك إعلان المسيو جينو دخوله فى الإسلام سنة ١٩١٢ وتسمى (عبد الواحد يحيى) ثم أعلنت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وسافر إيفان غوستاف إلى إسبانيا فمات فيها سنة ١٩١٧ وقام المسيو جينو (عبد الواحد يحيى) مقامه فى حمل راية الجمعية الأكبرية وعينته الحكومة الفرنسية سنة ١٩١٧ أستاذاً للفلسفة فى الجزائر ثم عين سنة ١٩١٨ مدرساً فى بلدنه . وفى سنة ١٩٢١ ألف عن البرهمية كتاب (المدخل لدراسة العقائد الهندية) . ومن سنة ١٩٢٥ إلى ١٩٢٩ كان يساهم فى تحرير مجلة (قناع إيزيس) وفى سنة ١٩٣٠حضر إلى مصر مندوبا عن إحدى دور النشر الباريسية للاتصال بالثقافة الصوفية ، وفى مصر عاش فى حى الأزهر وساهم ماديا فى إصدار مجلة المعرفة ، ومن ذلك الحين بدأنا نعرف القليل ثم الكثير من المعلومات عن تطوره الفكرى إلى أن سكن فى شارع نوال بالدقى محتجبا عن الناس فى (فيلا فاطمة) التى قد يعرف عنها بعض الذين فى أوربا أكثر مما يعرفه عنها أهل القاهرة .

والآن تفضل حضرة الدكتور عبد الحليم محمود الأستاذ بكلية أصول الدين فأهدانا كتيبه اللطيف عن هذا الصوفى الفرنسى المولود فى فرنسا فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٦ (صفر

سنة ١٣٠٤) والمتوفى فى مصر فى ٧ يناير سنة ١٩٥١ (٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٧٠) وفيه تفاصيل مفيدة عن تطور المترجم له فى أفكاره ونشاطه وأطواره ، فجاء ذلك متمما للمعلومات التى شاهدها المعاصرون لنشأة مسيو رينيه جينو المراقبون للحركات الإسلامية وللعاملين فى حقولها جهرة أو من وراء ستار .

الوجيز فى مصطلح الحديث

لفضيلة الشيخ محمد أبى الفتوح المرصفى - ٦٤ ص - دار الكتاب العربى

كتاب يدل اسمه عليه ، موضوع لطلاب القسم الثانوى بالأزهر والمعاهد الدينية ، حسن التقسيم والتبويب ، مذيل بأسئلة للتذكير والتوجيه ، ومعلق عليه بهوامش لزيادة الإيضاح والتمثيل . وفضيلة المؤلف من مدرسى هذه المادة فى معهد الزقازيق وقد استرشد بخبرته وبالمنهج الرسمى فى تجويد هذا الكتاب وتيسير الاستفادة منه لطلاب علوم السنة المشرفة . ولا يستغنى عنه الراغبون فى معرفة ذلك من الطلاب وغيرهم .

الأنوار المحمدية فى الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ على رفاعى - ١٩٢ ص - دار الكتاب العربى

مؤلف الكتاب من مفتشى الوعظ العام بالأزهر ، وقد أراد بكتابه مسايرة نهضة الأمة والتمشى مع أغراضها بحيث تحوى كل خطبة فيه بعثاً جديداً فى السامعين وتوجيها رشيدا للمؤمنين يحفزهم للعمل المثمر النافع ، فتنقل فى خطبه المنبرية بين ميلاد الحرية والمجتمع السعيد والمولد النبوى والشجاعة النبوية وشعار النهضة : الاتحاد والنظام والعمل ، والتعاون ومحاربة الفساد إلى غير ذلك من عشرات المعانى التى تدور حولها نهضة الأمة وأمانيها فى الوقت الحاضر فتلفت إليه أنظار الخطباء والوعاظ .

كيف تكون خطيبا

لفضيلة الشيخ على رفاعى - ٢٣٧ ص - دار الكتاب العربى

وهذا كتاب آخر لفضيلته يطبع الآن للمرة الثالثة بزيادة وتنقيح ، ألفه لما رأى كثيراً

من خطباء المدن والقرى يخطبون للجمعة من كتب ألفت لغير هـذا الزمن حتى مل الناس تلك الخطب التى تزهدهم فى الدنيا فأراد أن ييسر لهم مهمتهم بخطب قصيرة متنوعة تعالج أمراض المجتمع وعيوبه . مع ضبط الآيات والاحاديث ، لجاء كتاباً جديراً بما لقيه من الإقبال عليه والإفادة منه .

مع المفسرين والكتاب

للأستاذ أحمد محمد جمال ـ ٢٠٠ ص ـ دار الكتاب العربى

هذه هى الحلقة الثالثة من حلقات (على مائدة القرآن) التى سبق لنا وصف الحلقتين الاوليين منها . وهو نقـد ودراسات لآراء ومذاهب ، تناولت من المحدثين الاساتذة الباقورى والعقاد وسيد قطب ومحمد أحمد خلف الله وحامد محيسن ومحمد السمان ومحمد صبيح وعبد العزيز فهمى والدكتور فروخ والصعيدى والمزنى وغوستاف لوبون وغولد صهير . ومن القدامى الطبرى والنيسابورى والرازى والزمخشرى وغيرهم . وكل هـذه النقود والدراسات حول آراء لهؤلاء المحدثين والقدامى تتعلق بالقرآن وشريعته وعقيدته والمذاهب فى تفسيره مما لا يتسع بسطه هنا فاكتفينا بالإشارة إلى عناوين بحوثه . والمؤلف يتكلم على بصيرة من أمره فكتابه جدير بالدراسة والمقارنة والتأمل .

صوت الازهر

صحيفة تمثل شباب الأزهر فى توثبه وتطلعه إلى الآفاق الواسعة فى التطور والتجديد محررة بأقلام ذوى النشاط من طلابه . وفى العدد الذى اطلعنا عليه منها خطاب مفتوح من شباب الازهر إلى شيخ الأزهر وحديث مع الأستاذ فكرى أباظة عن حاجة الأزهر إلى الإصلاح والطريق الذى ينبغى أن يرسم لذلك ، وحديث مع الأستاذ عبد السلام الشبراوى عن البعوث الإسلامية فى الأزهر وأنها بلغت أربعة آلاف وخمسمائة طالب وبيانات عن أحوالها . إلى غير ذلك من الاحاديث والمقالات والخواطر والأخبار التى تدور كلها حول الأزهر ورسالته وما ينشد له من خير وإصلاح . والصحيفة عنوان لنشاط محررها الأديب موسى صالح شرف واتجاهاته وأمانيه .

الأدب والعلوم في شهر

اشراف الأزهر

على جمعيات المحافظة على القرآن

ينتظر أن يعتمد الأزهر فى مشروع ميزانيته الجديدة مبلغاً كبيراً من المال يمكنه من الإشراف الكامل على جمعيات المحافظة على القرآن الحكيم فى جميع أنحاء الجمهورية المصرية. والأزهر الآن فى صدد وضع تشريع يكفل له ضم هذه الجمعيات وتنظيمها لتغذى المعاهد الأزهرية بطلبتها، وقد سبق لنا أن تحدثنا عن ذلك فى ص ١٣٣ من جزء صفر لهذه السنة.

وكيل الأزهر

وشيخا كلية أصول الدين وكلية اللغة ومدير التفتيش

وافق مجلس الوزراء على تعيين فضيلة الأستاذ الشيخ الحسينى سلطان شيخ كلية أصول الدين وعضو جماعة كبار العلماء وكيلا للجامع الأزهر.

وعلى تعيين فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد الشافعى الظواهرى عضو جماعة كبار العلماء شيخا لكلية أصول الدين.

وتعيين فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد مدير تفتيش العلوم الشرعية والعربية شيخا لكلية اللغة العربية.

وقد نيطت إدارة تفتيش العلوم الشرعية والعربية بفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء علاوة على إدارة مجلة الأزهر وعضوية لجنة الإفتاء وسائر ميادين نشاطه المشكور.

معهد دمنهور الديني

كان أحد أجواد مديرية البحيرة قد تبرع بقطعة أرض مساحتها ثلاثة أفدنة ليقام عليها معهد دينى إسلامى فى مدينة دمنهور عاصمة المديرية وجمع أهالى المديرية تبرعات للبناء بلغت ١٨ ألف جنيه، وترى لجنة المنشآت الدينية فى الأزهر أن يساهم الأزهر من ميزانيته الجديدة بمبلغ ١١ ألف جنيه لتأثيث المعهد وتزويده بالأساتذة والموظفين والخدم وسائر الإمكانيات الدراسية لحوالى ألف طالب يتسع لهم هذا المعهد الأزهرى الجديد فى عاصمة مديرية البحيرة. وسيشتمل المعهد على قسم ابتدائى وآخر ثانوى، وسيكون الالتحاق به مقصوراً على أبناء مدينة دمنهور ومراكز أبى حمص وإيتاى البارود وشبراخيت والمحمودية وكوم حمادة والدلنجات.

الأزهر فى أوغندة

عهد فضيلة الأستاذ الأكبر إلى مراقبة البحوث والثقافة فى اختيار اثنين من العلماء الذين يجيدون اللغات الأجنبية لإيفادهما فى وقت قريب إلى أوغندة لنشر الثقافة الإسلامية فيها، استجابة لرغبتهم التى أبدوها للمهندس السيد أحمد الشرباصى وزير الأشغال خلال رحلته الأولى التى قام بها هناك.

العالم الإسلامي في شهر

الراية السعودية فى البحار

أذاع الأمير فيصل نبأ اتفاق شركة عربية سعودية مع أحد كبار أصحاب السفن اليونانية المشتغلين بأعمال البناء على تأسيس شركة بحرية جديدة يقدر رأس مالها بنحو ٢٥٢ مليون دولار جانبه الأعظم سعودى وللشريك اليونانى نصيب صغير فيه إلا أنه سيتناول أجراً على خدماته بقدر ما يقدمه من عمل والغرض من الشركة بناء أسطول تجارى تحت علم المملكة العربية السعودية تبلغ حمولته نصف مليون طن .

وقد غادر الشريك اليونانى - واسمه أرسطوطاليس أوناسيس - مدينة الرياض بطريق الجو قاصداً باريس وهمبورغ ليشرف فى هذا الأسبوع على تحويل أكبر ناقلات للزيت فى العالم - مما يصنع فى همبورغ - إلى الشركة العربية السعودية .

وبذلك ستصبح المملكة العربية السعودية أكبر دولة بحرية فى المنطقة الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط والصين .

مؤتمر الهيئة الإسلامية العالمية فى كراتشى

عقد فى كراتشى فى يوم ٢٢ شعبان مؤتمر الهيئة الإسلامية العالمية التى أنشئت فى ديسمبر سنة ١٩٤٩ حضره مندبون عن مصر والجامعة العربية واندونيسيا والأفغان وإيران والعراق وسوريا ولبنان ، واشترك فيه مندوبون عن المنطقة المحررة من مقاطعة كشمير ويمثلون لفلسطين وتونس .

وافتتح المؤتمر السيد غلام محمد الحاكم العام الباكستانى ونادى فى خطاب الافتتاح بوجوب تضامن دول الشرق الأدنى فى تنفيذ مشروعات تتصل بالمصالح المشتركة بين تلك الدول كمشروعات الأبحاث الزراعية والرى وتبادل المعلومات الفنية والمعونة الفنية فى بعض الأحيان .

وخطب السيد محمود أبو السعود فاقترح على مندوبى الدول المشتركة فى المؤتمر المساهمة فى المشروعات الاقتصادية للجامعة العربية .

وأعلن وزير خارجية باكستان أن شركة فورد أعارت الهيئة الإسلامية العالمية خبيراً اقتصاديا أشرف على إنشاء المعهد الإسلامى للدراسات الاقتصادية فى كراتشى .

وأعلن فى المؤتمر تبرع أغاخان بمليون روبية للمعهد الإسلامى للدراسات الاقتصادية

البهائيون ملاحدة مرتدون

ولا دين لهم فى قوانين الدولة المصرية

تلقت وزارة الداخلية كتاباً من وزارة الصحة بأن بعض معتنقى البهائية إذا بلغوا عن مواليدهم أو موتاهم لقيد أسمائهم فى سجلات المواليد أو الوفيات يصرون على كتابة « بهائى » فى خانة ديانة المولود أو المتوفى ويطلبون تحرير شهادات الميلاد والوفاة متضمنة هذه الصفة . وتقول وزارة الصحة : وبلما كانت البهائية غير معترف بها من الدولة فالوزارة تخشى أن يتخذ هؤلاء من هذه الشهادة الرسمية دليلا على الاعتراف بنحلتهم . وأضافت أنها استطلعت رأى إدارة الشعبة الاجتماعية والثقافية بمجلس الدولة فتلقت منها كتاباً بتاريخ ١٨ مارس الماضى بأن موضوع الدين البهائى سبق أن عرض على محكمة القضاء الإدارى بمناسبة زواج أحد أفراد هذه الطائفة وعدم صرف العلاوة الاجتماعية له فرفع دعوى يطالب فيها بمنحه العلاوة من تاريخ عقد الزواج فرفضت المحكمة الدعوى وذكرت فى حكمها أن هذا الدين ليس له وجود قانونى وأن من يعتنقه بعد أن كان مسلماً يعتبر مرتداً عن دين الإسلام والمرتد عن الدين زواجه باطل ، ولذا قررت الشعبة أنه لا يجوز إدراج أى بيان فى الخانة المخصصة للديانة إذا أصر المبلغ على ذكر ما سماه بالدين البهائى وطلبت من وزارة الصحة إصدار التعليمات إلى المحافظات والمديريات للتنبيه على المختصين بمراعاة ذلك عند التبليغ عن الميلاد أو الوفاة أو عند طلب مستخرجات رسمية بأن يعمل خط أفقى فى خانة الديانة دون ذكر اسم أى دين . وبالفعل أذاعت وزارة الداخلية كتابا على المديرين والمحافظين والهيئات الإدارية المختلفة بضرورة العمل بهذه التعليمات عند قيد المواليد أو الوفيات فى السجلات الرسمية

هذا وقد سبق فى غرة شعبان سنة ١٣٦٥ (٣٠ يونيه ١٩٤٦) صدور حكم قضائى من محكمة المحلة الكبرى الشرعية (رقم ٨٤٨ متتابعة) فى القضية رقم ١٢٢٩٠ سنة ٤٥ - ١٩٤٦ المرفوعة من نبوية محمود أبو موسى ضد عبد الرحمن محمد نوفل بطلب تطليقها منه لارتداده عن دين الإسلام وانزلاقه فى ضلالة البهائية . وقد حكمت المحكمة بردته وتطليق المدعية منه وبنت حكمها على أن البهائيين يقولون بأن دورة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد انتهت بظهور الباب ، وأنهم يجحدون الصوم والصلاة والحج والحشر ويقولون إن المراد فيها غير مسماها المعروف فى الاسلام ، وبما أنه ثبت أن المدعى عليه بهائى وينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة لذلك اعتبر مرتدا والمرتد لا دين له ونكاحه باطل لهذا حكمت المحكمة بالتفريق بينه وبين زوجته نبوية محمود أبو موسى .

حلقات الأذكار فى المساجد

منعت وزارة الأوقاف أن تقام فى جميع مساجد الجمهورية المصرية حلقات الأذكار المخالفة لتعاليم الإسلام والمشوهة لأسماء الله الحسنى، ولا يباح فى المساجد إلا الأذكار التى يتوافر فيها جلال المقصد وروعة الأداء وإحكام صلات العباد بالله على أساس روحى سليم.

تعريب قوانين السودان

كانت روح الغطرسة الاستعمارية تحمل الانجليز على أن يجعلوا قوانين السودان وتشريعاته طلاسم بإصدارها بالانجليزية لأمة لا تعرف هذه اللغة. ويقول السيد على عبد الرحمن وزير العدل فى تصريح أعلنه فى مجلس النواب السودانى إن الحكومة السودانية الوطنية تنوى ترجمة جميع القوانين والتشريعات السودانية باللغة العربية لغة البلاد عملا بالمادة ١٨ من قانون الحكم الذاتى التى تنص على أن تكون اللغة العربية هى اللغة المستعملة فى البرلمان، وقال: إن فى ذلك اعترافا بأن العربية هى اللغة الرسمية للبـــلاد.

ديوان المحاسبة فى الحجاز

عزمت المملكة العربية السعودية على إنشاء ديوان للمحاسبة فى مكة، وهى خطوة حميدة فى تنظيم أداة الحكم فى عاصمة الإسلام. وقد اختير لتحقيق هذه الأمنية خبير مصرى هو المراقب العام السابق لديوان المحاسبة المصرى، وسافر بالفعل قاصداً مكة المكرمة لأداء المهمة التى ندب لها.

بريد الحكومة
وبريد الشعب فى مصر

تبين من إحصاء سنة ١٩٥٢ أن مصلحة البريد المصرى نقلت فى خلال تلك السنة ٨٫٥٠٠٫٠٠٠ رسالة، منها ٣ ملايين رسالة هى مجموع البريد الشعبى، والباقى وهو الأكثر ومقداره خمسة ملايين و٥٠٠٫٠٠٠ رسالة هى من البريد الحكومى.

ولذلك كتبت مصلحة البريد إلى مصلحة الجمارك والمصالح الحكومية الأخرى طالبة مراعاة الاقتصاد فى إرسال البريد الحكومى بعد ما تبين من تضخمه الهائل إلى هذا الحد الذى دل عليه الإحصاء.

النقد المتداول فى مصر

انخفض النقد المتداول فى أيدى الناس بمصر من ٤٦٠ مليون جنيه فى آخر سنة ١٩٥١ إلى ٤٢٤ مليونا فى نهاية عام ١٩٥٢ ثم إلى ٤١٧ مليونا فى ديسمبر عام ١٩٥٣.

فهرس

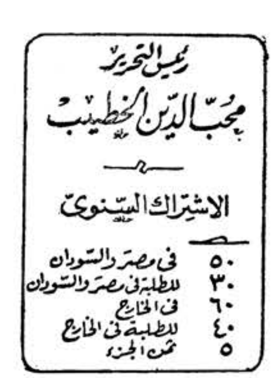
الجزء التاسع ــ المجلد الخامس والعشرون

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي



الجزء العاشر - القاهرة في غرة شوال ١٣٧٣ - ٢ يونيه ١٩٥٤ - المجلد الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

المقالات

هـــــذا هو الاساس

نعم، هذا هو الأساس لتجديد شباب الأزهر، وتشييد بنيان المجتمع المصري، وبعث الحيوية والقوة في العالم الإسلامي. وإن شيئاً يترتب عليه كل هذا الخير لاشك أن أمره عظيم. وإن جيلا يستجيب الله لدعائه، فيتيح له الفرصة بأن يكون هذا الخير في عهده، وأن يكون تحقيقه على يده، جدير بأن يقوم بحق الشكر لله عز وجل على ما أتاحه له، وأن يكون صادق العزم في الاضطلاع بنصيبه منه.

قلت في كلمة عنوانها (قوى ضائعة [1]) بعد استعراض ما أصيبت به مصر في أخلاقها، وترديد الشكوى من عناية مدارسنا بالتعليم دون التربية:

---

(١) في جزء صفر من (مجلة الأزهر) لهذا العام. ص ١٣٣

« وقد يكون من الشجاعة الأدبية الاعتراف هنا بأن الأزهر نفسه يشاطر فى حمل مسئولية الأخلاق فى البلد ، ولكن الوضع الذى قام الأزهر على أساسه - بتلقيه طلابه وهم فى السادسة عشرة من أعمارهم إن لم نقل فى السابعة عشرة - قد جعل مهمة الأزهر شاقة ، وجعله فى حالة لا تتمكن معها من تكوين طلبته كما تتمكن وزارة المعارف من تكوين طلبتها . فالأزهر يتلقى أبناءه بعد أن احتضنهم غيره من السادسة إلى السادسة عشرة ، فيأتونه غير مستكملين كثيراً مما يطلبه من الملتحقين به . ولو مكنته ظروفه من أن يحك جلده بظفره ، ويقوم هو بإعداد أبنائه من سن السادسة فيربيهم من نعومة أظفارهم على الأخلاق الإسلامية ، ويتولى بنفسه تحفيظهم كتاب الله كما يشترطه القانون فيمن يلتحق بالأزهر ، لاستطاع الأزهر أن يقدم للأمة والوطن دعاة الفضائل والأخلاق والنهضة والإصلاح ، العاملين بعلمهم ، الذين يقودون الأمة إلى أهدافها الصالحة ، ويكونون قدوة لها فى كل ما يدعونها إليه ... إن وضع الأمور فى مواضعها وردها إلى طرقها الحكيمة هو فى أن تيسر الدولة للأزهر إعداد العدد الكافى من الذين سيلتحقون به ، وتجهيزهم بما يلائم طريقهم العلمى الذى سيختارونه فى حياتهم ، وكيف يكون ذلك إلا بأن يتولى الأزهر إعدادهم ، ليكون هو المسئول عنهم وعن حسن توجيههم من ناحية التربية والأخلاق ، ومن ناحية استيفائهم ما يشترطه القانون من حفظ كتاب الله . وبذلك يكون الأزهر قد ساهم فى مكافحة الأمية فى هذا الشطر التابع له من أبناء الأمة ، وسيعلمهم كل ما تعلمه وزارة المعارف لأمثالهم فى مدارسها ، مضافا إليه حفظ القرآن كاملا ، والعناية بالتربية التى لا بد منها لمن سيقود الأمة إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق وصراط الله المستقيم » .

والآن وقد لاحت تباشير الخير بأن الله عز وجل سيستجيب لهذه الدعوة ، ويوشك أن يواجه الأزهر عامه الدراسى الجديد بالمراحل الأولى من إنشاء مائتى مدرسة تحضيرية تقوم كالمصابيح المتلألئة من حول معاهده فى العاصمتين والمديريات ، فنرجو الله أن يحقق الآمال فى بداية العام الآتى ، فنرى طليعة هذه المدارس متدفقة بينابيع الجنة ترتوى منها المعاهد الأزهرية بماء الحياة عذبا زلالا لا تشوبه إن شاء الله شائبة مما كنا نشكوه فيما مضى ، ما دمنا عازمين على القيام لتلك المدارس بما يحفظها ويصونها ، وبما نؤدى به حق الأمانة لهذه الأمة فى السهر على فلذات أكبادها ، حتى يكونوا - بالعناية والرعاية والتثقيف - أمل الإسلام فى مستقبله المرتجى ، ومفخرة مصر فى نهضتها المرتقبة . . .

مائتا مدرسة تحضيرية يتولى الأزهر إنشاءها لجيش من أبناء الدعوة الإسلامية تضعه الأمة بين أيدينا أمانة لله فى سن الطفولة الطاهرة لنصنع منه الدعاة إلى الله ، وإلى مادعانا الله إليه من فضائل وسجايا ومكارم ، وإلى ما يجب أن يشيع فى عياله من صدق ومحبة وإيثار وتعامل بالمعروف وتعاون على الحق والخير . . .

إن هذا لحادث عظيم فى تاريخ مصر ، ولو نجحنا فيه ـ بما نتوخاه من العناية بالتربية كالعناية بالتعليم وأكثر ـ لقدمنا لمصر والعالم الإسلامى بعد عشرين سنة العنصر المفقود الآن من القادة الذين يبحث عنهم الناس فى دنيا المسلمين ليأخذوا بأيديهم إلى طريق القوة والمنعة والاستقامة والتقوى فلا يجدونهم ، ولو وجدوهم لعرفت الأمة بهم طريقها إلى النهضة الصادقة والحياة السعيدة .

العالم الإسلامى اليوم على مفترق الطرق ، وقد رصد إبليس على رأس كل طريق شياطين من تلاميذه وصنائعه يتخطفون الناس ويستهوونهم بشتى المغريات ليصرفوهم عن طريق محمد بن عبد الله صلاة الله وسلامه عليه . وقد يكون بعض أبنائنا وأقرب الناس إلينا ممن يستهويهم صنائع إبليس ، ويبعدونهم عن الإسلام وأهدافه الإنسانية العليا . وقد كنا نعتذر قبل اليوم بأن التيار شديد ، والمغريات خلابة ، والمؤثرات على أبنائنا أشد منا اتصالا بهم . وها قد استدار الزمان ، وسنحت الفرصة لألوف من أطفال الأمة يوشك أن يملأوا ـ عما قريب ـ فصول مائتى مدرسة فى أنحاء الجمهورية المصرية ، فتمتد إلينا أيديهم الصغيرة اللطيفة طالبة منا أن ننقذهم من تيار المغريات الصوارف ، بما نوقظه فى قلوبهم من عزائم الإسلام ، وما نسلحهم به من الأخلاق المحمدية وسجايا خير أمة أخرجت للناس . فلنستعد من الآن للأخذ بهذه الأيدى إلى الطريق الذى دلنا عليه معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه ورضوانه عليه . وإن رأس ذلك وعموده أن يكون مبدأنا الأول وهدفنا الأخير تمرينهم على العمل بكل ما نعلمه لهم ، فإذا علمناهم فضيلة الصدق وجماله ربيناهم على التجمل به ، وألزمناهم العمل به فى المنشط والمكره واليسر والعسر . وإذا عرفناهم أن الإسلام دين الحق حببنا إليهم الحق ومرناهم على أن يكونوا من أوليائه العاملين به المؤيدين لأهله فى جميع الأحوال . هذا هو الطريق المحمدى فى تعليم العلم الذى ينفع ، والاستعاذة بالله من كل علم يقتنى على أنه من العملة التى بطل التعامل بها .

مائتا مدرسة يغشاها فلذات أكباد الأمة وهم فى السادسة من طفولتهم ، إنهم كالعجينة فى أيدينا نستطيع إن شئنا أن نجعل منهم أمثال عبد الله بن عمر بن الخطاب فى التزامه سنن الإسلام كلها من المهد إلى اللحد ، ونستطيع بالتفريط والإهمال أن ندعهم يسيرون وراء تلاميذ إبليس القائمين على مفترق الطرق ليصرفوا أهلها عن الطريق المحمدى . وكما أن تلاميذ هذه المدارس الأزهرية سيدخلون الامتحان فى كل عام ليرى الناس أثر تلقينهم مبادئ العلوم ومبلغهم من النجاح فيها ، فإن القائمين عليهم سيكونون فى مثل هـذا الامتحان لترى الأمة مبلغ نجاحهم فى إعداد « الجيل المثالى » فى الأخلاق والتربية الإسلامية ، للنهوض بمصر فى طورها الذى تستقبله ، ولقيادة العالم الإسلامى فى الطريق الذى بعث الله به خاتم رسله .

كما أن كثيراً من رجال وزارة المعارف قـد بلغ بهم سـوء الرأى فى مدارس الوزارة — فيما مضى — إلى أن بعثوا بأبنائهم إلى المدارس الأجنبية الموجودة فى مصر ليتخرجوا فيها فإن كثيراً من علماء الأزهر أيضاً بلغ بهم العلم بمواطن الضعف فيما كان عليه الأزهر من قبل إلى أن بعثوا بأبنائهم إلى معاهد غير أزهرية ليتخرجوا فيها ، كل ذلك كان فيما مضى ، وما أعظم وأكثر مواطن الضعف فى حياة مرافقنا فيما مضى . أما الآن وقد أوشك أن يتم — إن شاء الله — هذا الحادث العظيم فى تاريخ الأزهر ، وبذلك سيحك جلده بظفره ، ويقوم بنفسه على تربية الضيوف الجدد من أزهريى المستقبل وهم لا يزالون فى السادسة من أعمارهم ، فلم يبق لنا أى عذر فى التماس جميع أسباب الكمال عند تكوين « الأزهرى الجديد » ليكون من تلاميذ الدعوة المحمدية الأولى الذين يرتضعون لبان آدابها ومعارفها وأخلاقها خالصة إن شاء الله من كل الشوائب . وعلى كل عالم من علماء الأزهر أن يأخذ بيد طفله فى أول العام الدراسى الجديد فيلحقه بأقرب المدارس التحضيرية الأزهرية إلى منطقته ، ثم يكون بعد ذلك مراقبا لأثر توجيهها فى خطوات طفله ، ومتعاونا مع القائمين عليها فى ملاحظة نواحى القوة والضعف فى ذلك ، إلى أن نطمئن جميعا بأن هذه المدارس التى أتاح الله لنا الإشراف عليها ويسر لنا القيام على توجيهها ستكون المدارس المثالية فى العالم الإسلامى فى عنايتها بالتربية الإسلامية كعنايتها بالثقافة الإسلامية ، وأنها عرفت طريقها إلى تخريج الدعاة الذين تهتدى الدنيا بوميض أخلاقهم وأضواء تصرفاتهم قبل أن تهتدى بتعليمهم وتصغى إلى إرشادهم ، ويومئذ يقبل على المدارس التحضيرية الأزهرية الحريصون على تربية أبنائهم تربية إسلامية من أعيان البلاد وقادة الأمة فيلحقون بها أبناءهم ، ويضربون

بها المثل للمدرسة الناجحة فى الشرق ، ويكثر بهؤلاء العنصر المهذب من النشء الإسلامى فيكون ذلك عونا على تعميم التربية الإسلامية الكاملة فى بيوتنا وازدياد عدد المتحلين بها فى مجتمعاتنا .

وعندما ننتهى من تأسيس مائتى مدرسة تحضيرية ذات خمسة فصول ، وتمتلىء فصولها بالأفواج المتلاحقة من الأزهريين الجدد ، وعندما نبذل أقصى ما نستطيعه من العناية فى رسم مناهج التربية والتعليم لهـذا الجيش العظيم من الدعاة إلى الله فى المستقبل ، فإننا نكون قد وضعنا الأساس القوى السليم فى بنيان الكيان الإسلامى الصالح فى مصر والعالم الإسلامى ، ونكون قد أحبطنا أعمال الشيطان وصنائعه المرابطين على مفترق الطرق ليصرفوا هذه الأمة عن الإسلام وآدابه وسننه وأحكامه . وعلى قدر ما نبذل من جهود صادقة فى تكوين النشء الأزهرى الجديد تكوينا إسلامياً قويا وسليما ، يكون انتصارنا على الشيطان وصنائعه انتصاراً حاسما له ما بعده بإذن الله ، والله يتولى الصادقين .

محب الدين الخطيب

الأخـــلاق

مثل المتعلم غير المتأدب كمثل شجرة عارية لا تورق ولا تثمر ، قد انتصبت للناس فى ملتقى الطرق تعترض الرائح وتصد سبيل الغادى ، فلا الناس بظلها يستظلون ، ولا هم من شرها ناجون .

ومن لا خير فيه لدينه لا خير فيه لوطنه ، لأنه إن كان بنقضه عهد الوطنية غادراً فاجراً ، فهو بنقضه عهد الله وميثاقه أغدر وأفجر ، وإن الفضيلة للإنسان أفضل الأوطان ، فمن لم يحرص عليها فأحر به ألا يحرص على وطن السقوف والجدران .

مصطفى لطفى المنفلوطى



نفحات القرآن

— ١٦ —

٣ - أولياء الله ...
وأولياء الشيطان

ا — الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور .
ب — والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات

١ — ذلك الذى رويناه لك كان شأن النمروذ بن كنعان فى جدله مع إبراهيم عليه السلام.

وفيه ما يزيد المستزيد إيمانا بأن من يتولاه الطاغوت يخذله الله ... ومن يخذله الله لا يمكن أن ينصره أعوان ، ولا يجديه أن يكون ذا سلطان .

والذى رويناه لك : مثل من أمثلة يحفل بها القرآن فى صدد أولياء الطاغوت ، وإن كان واحدا من أمثلة ثلاثة فحسب جىء بها فى موضوعنا هذا ، وهو مثل فى الجانب السلبى : ولاية الشيطان .

والمثلان الآخران فى الناحية الإيجابية : ولاية الله للمؤمنين .

٢ — وأحد هذين المثلين عن قرية دارسة ، تخربت مغانيها ، وتناثرت مبانيها ، وتنكرت معالمها ، حتى لم يعد يطوف الأمل بناظرها أن تعود أو يعود أهلوها إلى عالم الحياة .

وقد مر بها راء من الناس فنكرها ، وهاله ما بدا له من قبح منظرها ، ومخالفتها لما يعهده بها ... وكأنه وقد أذهله ما يرى من أمرها حاول أن يطابق بين ما يسمعه ويؤمن به ، وبين ما يراه ويأسى لمرآه .. فهو يسمع غير مرتاب أن بعد الفناء رجعة ، ويعلم غير متردد أن العظام النخرة ستعود فى جدتها إلى الحياة حينما تتعلق بها قدرة الله .. وأن الناس مجموعون لميقات يوم معلوم .

ولكنه يرى بعينيه ما يثير الخواطر فى نفسه ، ويستشعر أن عود هذه القرية إلى الوجود أمر تتعاظمه النفس ، ويشوقها أن تقف من حصوله على بينة . . . أو تهتدى منه إلى بيان .

فما وسعه إذ رآها خاوية على عروشها إلا أن يقول : (أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟)

٣ — والآية لم تعرض لذكر الرائى ، ولا لتعيين البلد المرئى . . ذلك : لأن مغزى القصة لا يناط بتعيين الشخص ذاته ، ولا بتسمية القرية باسمها ، وإنما هو كشف عن خبىء تجهله الإنسانية ، وإرشاد عملى إلى أن ما يستعصى على عقول البشر أهون من الهون فى مقدور الله .

ولكن أسلافنا - أحسن الله إليهم - حاولوا تعيين الرجل والقرية : وهل كان الرجل مؤمنا أو غير مؤمن ؟

وفى سبيل ذلك : تشعبت آراؤهم ، وتعددت أقوالهم ، إذ لا نص عندهم ، وإنما هو اجتهاد منهم ، وقد استظهر بعضهم أن الرجل غير مؤمن ، لأن ذكر نبئه عقب الكلام على نمروذ ، واستبعاده لإحياء القرية بعد موتها مما يشهد على الرجل عندهم بعدم الإيمان .

ولكن أهل التحقيق لم ينظروا فى هذا المقام إلى السباق - بالباء - وما فيه عن نمروذ بل نظروا إلى اللحاق ، وما فيه عن إبراهيم عليه السلام ، فالرجل مؤمن ، وقد أردف الحديث عنه بحديث إبراهيم فكلاهما يأخذه العجب ، وتبهره مظاهر القدرة ، ويستولى عليه حب الاستطلاع ، فيدفعه إلى الاستفهام فى لهجة الاستعظام ، لا فى لهجة الإنكار ، ليشبع رغبة علمية ملحة ، ويرضى قلبا مؤمنا يستزيد . وكما أن إبراهيم قال يوما : « رب أرنى كيف تحيى الموتى » ثم قال : « ... ولكن ليطمئن قلبى » كذلك الرجل يقول ما معناه : يا عجبا لقدرة الله !! كيف تعمر هذه الخربات . . وتعيد الحياة إلى هذا الموات ؟ وهذا مصداق قوله المحكى عنه : « أنى يحيى هذه الله بعد موتها » .

وذلك توجيه أصح . وأرجح ما قيل فى تسميته : أنه عزير بن شرخيا ، من خيار بنى إسرائيل ، وأن القرية هى بيت المقدس ، وكان بختنصر قد هاجمها ، وخربها ، حتى قال فيها عزير ما قال يوم رآها على غير ما يعهدها .

٤ — ثم ماذا فعل الله بعبده هذا ، وبالقرية ؟؟

أما عزير فقد أماته الله إثر موقفه هذا ، وأمات حمارا كان معه ، واستبقى طعاما كان معدا لأكله ، وبعد فترة - قدروها بسبعين سنة - توفى فيها بختنصر ، وهيأ الله للقرية من ملوك

الفرس من عمرها ، ورد إليها من بقى من بنى إسرائيل المشردين عنها ، ثم أحيا الله عزيرا فرأى القرية فى زخرف من مباهج الحياة ، ووجدها حافلة بالسكان ، وهو لم يكن يشعر بطول موته ، فأخذه العجب أن تعود إلى القرية زينتها فى أمد قصير ظنه يوما أو بعض يوم .

وقد أراد الله سبحانه أن يكشف له عما لا يدريه من شأن نفسه ، ومن شأن الحياة بعد الموت فى القرية وفى سواها ، فسأله عز شأنه بوسيلة لا ندرى : أكانت صوتا مسموعا له ، أم كانت ملكا خاطبه : (كم لبثت ؟) قال عـــزير : (لبثت يوما أو بعض يوم) (قال : بل لبثت مائة عام) .

ومائة عام إذا مضت فى مثل السرعة التى تخيلها عزير يوما أو بعض يوم تصور له قرب ما يستطيله من زمن الدنيا إلى يوم البعث ، وتقرب إلى نفسه ما كان يستعظمه من حياة القرية بعد أن نشب فيها الخراب وإن طال عليها الزمن .

وفى هذا توجيه لعزير ولغيره إلى مبلغ قدرة الله على ما قد يتخيله المرء فى حكم الممتنع .

وكذلك يقيم الله لعزير دليلا آخر بقوله : « فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه » إذ فى مضى مائة سنة على طعام وشراب دون أن يحدث بهما أثر من التغيير إيقاظ من الغفلة ، ومدعاة للتنبه إلى أنه لا ينبغى لامرىء أن يستعظم شيئا على الله مما تتعلق به قدرته .

ثم يقيم له دليلا ثالثا فيما رأى بعينيه من شأن حماره ، فقد جمعت عظامه النخرة ، وركبت إلى بعضها ، وكسيت لحما ، وأعيدت إليها الحياة ، فصار كما كان يعهده قبل مائة عام .

فهذا عبد هاله من شئون الله فى الكون أن تكون عمارة بعد خراب ، وحياة بعد موت طويل ، وعلق بنفسه الأمل أن يستزيد علما فى ذلك ، والله تعالى يتعهده بالتوجيه ، فيقيم له الدليل من نفسه ، ومن ألصق الأشياء به ، ليكون أجدى فى اقتناعه ، وأكمل فى إيمانه .

ولو أنه كان جاحدا مكابرا لتركه الله للطاغوت يتولاه ، ولكنه عبد مطيع ، يتولاه مولاه فيخرجه من عجبه وحيرته إلى تبصيره وهدايته ، (فلما تبين له — ما كان يصبو إليه — قال : أعلم أن الله على كل شىء قدير) وبذلك تحققت الأمنية ، وتمت العبرة له من نفسه ، وللناس فى قصته .

وهذا قول الله تعالى « ولنجعلك آية للناس » يعنى فعلنا بك ما فعلنا لنكشف عن بصيرتك الشبهة ، ولنزيدك رسوخا فى العلم ، ولتكون قصتك آية يلتمس الناس منها العبرة ، ولتصير مثلا من الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون .

٥ — ويذهب بعض العلماء فى تفسير الموت الذى وقع بالعزير إلى أنه كموت النائم ، ليس فيه زهوق روح ، وإنما هو غيبوبة يفقد فيها السمع ، وتتعطل الأحاسيس ، ثم يعود إلى يقظته وحياته الاولى حينما يأذن الله ، كما يأذن باليقظة للنائم ، ولقد حملهم على هذا الرأى أن الدنيا ليست دار بعث ، وإنما يكون البعث فى الحياة الآخرة .

وليس يبعد أن يكون هـذا الموت حقا ، وأن يكون هذا البعث نوعا خاصا بحالات دنيوية اقتضتها حكمة الله تعالى ، وكيفما كان : فإن العبرة قائمة ، والعظة شاخصة ، سواء : أكان موتا حقا ، أم موتا صوريا يستغرق عشرات السنين .

٦ — قالوا : إن عزيرا بعد هذه المرحلة من قصته ركب حماره ، وذهب إلى محلته التى كان يقيم بها فى جانب من القرية ليتعرف بمن بقى فيها من أهله وذويه ، فصادف بعض من كانوا من أهلها قديماً ، فلما تظاهر لهم بأنه عزير ، أخذوا يستنبئونه أمورا يعهدونها فى العزير ، ويسألونه علما كان معروفا به ، ويطلبون إليه تلاوة التوراة عليهم كما توارثوا عنه أنه كان يحفظها جيدا ، فلما أوفى بهم على الغاية من ذلك صدقوه ، بل فتن به بعضهم ، ومن هنا نشأت فرية بنى إسرائيل فقالوا : (عزيرا بن الله) .

وكذلك شأنهم : كلما أنعم الله عليهم نعمة كفروا بسببها ، وكلما هداهم من ضلالة ضاعفوا طغيانهم بعدها .

ولك أن تقول بعد هذه الإلمـامة : إن القصة كلها بدئت بذكر ولاية الله للمؤمنين ، ولـكن التمثيل بالأمثلة الثلاثة جاء على غير هذا الترتيب : إذ المثل الاول منها فى شأن النمروذ ، وهو تمثيل لأولياء الشيطان ، والمثل الثانى والثالث بعد : فى جانب أولياء الله عزير وإبراهيم وولاية الله هى المذكورة أولا ! ! أفلم يكن التعقيب بالأمثلة على نسق الترتيب فى مطلع القصة أروع نسقا ، وأخف تناولا ؟ ؟ وأنسب لقول البلغاء إنه على سبيل النشر المرتب ؟ ؟

وجوابنا : أن القرآن مصدر البلاغة ، وأن فى سياقه إشعاع الحسن ، والإبداع .

وقد بدأ الله بذكر أولياء الله لأنهم أحق بالتـكريم والتقديم ، وأولى بالتبشير والتنويه .

أما فى التمثيل فقـد سبق إلى ذكر أولياء الشيطان فى حـكاية النمروذ : مسارعة إلى انتقاصهم ، والحط من شأنهم ، والتشنيع عليهم بما يسجل من حوادثهم وجناياتهم على أنفسهم وتنفيرا من متابعتهم . . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

حـ - المثل الثالث : مما جاء تعقيباً على الآية - سؤال إبراهيم - عليه السلام - ربه تعالى (رب أرنى كيف تحيي الموتى) .

إبراهيم يعلم من طريق الوحى ما لا يدع فى جوانب نفسه ذبذبة من الريبة فى أمر البعث ، فما باله يقول لربه : أرنى كيف تحيي الموتى ؟؟

وجواب ذلك — أن النفوس الصافية تطمح دائما إلى العلم بأكثر مما لديها ، فإبراهيم إذا سأل : فإنما يسأل عن كيفية الإحياء وهو موقن بحصوله ، ليتعرف بالمشاهدة صورة إيجاده ، وبذلك تتجاوز معرفته درجة علم اليقين ، إلى درجة عين اليقين ، وهذه أتم وآكد ، وأوفر شأنا من تلك ...

وإذ كان السؤال فى ظاهره لا يصدر إلا عن شاك ، فقد اشتمل على أمرين يصرفانه عن ذلك .

الأول — قول إبراهيم : — رب أرنى — يعنى : يا مربى العباد . . . أرنى ببصرى من دلائل قدرتك ما يوضح لى معرفتى من طريق وحيك ، وهذا أدب لا يكون إلا من مؤمن .

الثانى — أن الله أتاح لإبراهيم أن يدفع عن نفسه شبهة الريبة فى موقفه ، فقال له تعالى : (أو لم تؤمن ؟) يعنى : ألم تعلم بأنى أحيي الموتى ، ولم تؤمن بذلك ؟؟ ليكون جوابه إقراراً بما سئل عنه ، وهو : نعم : أنا مؤمن ، وعلى علم بذلك ، ولكن : لأزداد إيماناً على إيمانى وعلماً على علمى ، فأكون أكثر اطمئناناً إلى معرفتى من طريق وحيك إلى .

وقد تقبل الله من إبراهيم دعوته ، ليخفف من شغفه ، ويثبت مقامه لدى من يعرفون مقامه ، أو يترددون فى شأنه ، وليكشف الله عن رعايته لأوليائه ، فهو يبصرهم بما يبعد بهم عن شائبة الحيرة . . . (قال : فخذ أربعة من الطير ، فصرهن إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم ادعهن يأتينك سعياً) .

وهنا أربعة أوامر ، يلقيها الله على نبيه إبراهيم ... **الأول** — أن يتناول أربعة من الطير كيفما كان نوعها ... الثانى — قوله : — فصرهن إليك - ومعنى صرهن إليك : قطعها أجزاء فإن الفعل صاره يصوره أو صاره يصيره معناه ذلك .

وقيل : معناه : ضم الطير إليك ، وعودها أن تألفك ، وتأنس بك ، ، فهاتان لغتان فى الفعل ، وهو مشترك بين المعنيين - التقطيع ... والتأليف للطير بتأنيسها إليه ...

ولا نسرف فى البحث اللغوى لئلا نعكر على القارىء .

وحسبنا أن نقول : اختار بعض المفسرين معنى التقطيع ، وتفريق الأجزاء على الجبال القريبة من إبراهيم ، كما قيل له (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) وذلك هو الأمر الثالث .

والرابع — أن يدعو الطير ، وسيراها تسرع إليه فى حياة جديدة بعد أن كانت أجزاء متفرقة مبعثرة ، وبذلك يتمثل لإبراهيم عيانا ما يصنع الله فى بعث الأموات يوم القيامة ، وبذلك تمت لإبراهيم أمنيته كما شغفت بها نفسه .

وقد اختار بعض المفسرين فى قوله تعالى — فصرهن إليك — المعنى الثانى : ضم الطير إليك ، وعودها أن تألفك وتأنس بك ... ثم فرقها على الجبال وحدات : لا أجزاء ، ثم ادعها إليك تنحدر إليك فى سرعة — وإن كان الطير نفورا بطبعه — ويرى هذا البعض من المفسرين أن ليس فى الآية ما يدل على تقطيعها أجزاء ، وإن شهدت بذلك آثار مرجوحة ، فهى لا تقضى بالعدول عن ظاهر الألفاظ إلى تكلف القول بالتقطيع ، وخلط الأجزاء ، وبعثرتها على رءوس الجبال . ويقول ذلك البعض :

بل الأوامر الأربعة التى فى الآية لا يراد منها التنفيذ . بل قصدت للتوجيه إلى أن هذا لو نفذ فعلا : فسوف لا يمنع من إحيائها ، وتلبيتها لنداء إبراهيم ، وهو لم يفعل ، بل اقتنع ، وكأنه فعل .

وخلاصة النقاش بين الفريقين : أن البعث الذى ينكره المكابرون ، والذى تتوق نفس إبراهيم إلى رؤية ما يتمثل به : أمر سهل عند الله ، كما يسهل رجوع الطير الى إبراهيم إذا فرقها ودعاها : سواء أكان تفريقها بعد تقطيعها : أم كان توزيعاً لها دون تقطيع .

ومهما يكن من توجيه لكلا الرأيين فالمقصد متحد : وهو حصول اليقين التام لإبراهيم بأن شأن البعث وإن تعاظمته نفوس لا يعد بدعا ، ولا منكوراً بالنسبة لقدرة الله .

ولا ينبغى لعاقل أن يستبعد على من بدأ الخلق أن يعيده : فضلا عن جحود ذلك ، بل الإعادة أيسر شأنا من البدء .

(وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم) .

وفى هذا القصص الذى مر بنا : فى قضية النمروذ بن كنعان مع إبراهيم ... وفى موقف العزير من القرية البائدة . وفى سؤال إبراهيم أن يرى كيف يحيى الله الموتى . فى ذلك عبرة لمن شاء الله أن يهديه إلى الإيمان ، ويعفيه من نزعة الجدل ، ويطمئنه إلى الحق . ومن يهد الله فما له من مضل . وإلى اللقاء فى العام الجديد للمجلة ... إن كانت فى العمر بقية .

والسلام على قرائنا الكرام .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

السنة

الجوار فى الاسلام

— ٣ —

قبط مصر ـ صلتهم بالإسلام ـ شرفهم بهذه الصلة ـ من آيات النبوة ـ هدية جبار مصر ـ هدية حاكم مصر ـ بشرى القبط بفتح مصر ـ الوصاة بالقبط ـ القبط بين الروم والفرس ـ القبط فى جوار الإسلام ـ قبط يعجبون بالإسلام فيدخلون فيه ـ وشهد شاهد من أهلها .

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم ستفتحون مصر ، وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فاذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحما ، أو قال: ذمة وصهراً ، فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها فى موضع لبنة فاخرج منها ، قال : فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان فى موضع لبنة ، فخرجت منها » .

(رواه مسلم فى باب وصية النبى صلى الله عليه وسلم بأهل مصر ، من كتاب الفضائل) .

* * *

القيراط : جزء من الدينار والدرهم والأرض وغيرها . قال بعض الحُسّاب : القيراط فى لغة اليونان : حبة خرنوب . والحساب يقسمون الأشياء أربعة وعشرين قيراطا لأنه أول عدد له ثمن وربع ونصف وثلث صحيحات . والقيراط يذكر قديماً فى بلاد العرب وغيرها ، وفى البخارى : كنت أرعاها [الغنم] على قراريط لأهل مكة ، إلا أنه فى مصر أكثر ذكراً وتسمية ، فلهذا خصها بتسميته صلوات الله عليه .

ويقال إن أهل مصر كانوا يستعملون القيراط فى السب وإسماع المكروه ، فيقولون أعطيت فلاناً قراريط ، يعنون : سببته وأسمعته ما يكره ! ومرد هذا إلى التاريخ ، فإن صحت روايته فمناسبة الجمع بين الوصية بهم وتسمية القيراط ، أن فى القوم بذاءة ؛ فإذا فتحتم بلادهم - وأنتم بإذن الله فاتحوها - فأحسنوا إليهم ، واستوصوا بهم خيرا ، ولا يجرمنكم سوء مقالهم على الإساءة إليهم .

والذمة : العهد والأمان والحرمة - وتقدم القول فى حرمة أهل الذمة فى الحديث السابق.

والرحم : القرابة . والصهر : القرابة ، وحرمة المصاهرة ، وقد صاهرهم وفيهم ، وأصهر بهم وإليهم : صار فيهم صهرا .

وقبط مصر يمتون إلى المسلمين ونبى المسلمين صلوات الله عليه وسلامه بسببين عظيمين ، ولهم بذلك شرف أى شرف :

بآجر - أو هاجر - أم أبى العرب إسماعيل عليه السلام وهى التى أهداها جبار مصر إلى سارّة لما عصمها الله منه ، فوهبتها للخليل صلوات الله عليه ، فى حديث طويل ...

ثم بمارية القبطية ، أم إبراهيم ولد خاتم النبيين عليهم صلوات الله وسلامه ، أهداها إليه نائب ملك الروم وحاكم مصر فى هدايا أخرى عظيمة ... وذلك لما بعث إليه ﷺ رسوله حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه يدعوه إلى الإسلام ، كما كان يدعو ملوك الدنيا وعظماءها فى هدنة الحديبية . . فقال الحاكم خيراً وقارب الأمر ولم يسلم ، وكان يعلم من نعته فى الكتب القديمة أنه يقبل الهدية ، ولا يقبل الصدقة ، فتودد إليه بإهدائه وإكرام رسوله حاطب ، وقد عرض حاطب الإسلام على مارية فأسلمت فى طريقها ، وأكرمها النبى ﷺ إكراما عظيما . وأكرمها الخليفتان بعده ، ورعيا حرمتها حق رعايتها ، إلى أن جاورت ربها فى خلافة أمير المؤمنين عمر سنة ست عشرة ، فحشر الناس ليشهدوا جنازتها ، ثم صلى عليها ودفنها بالبقيع ...

* * *

والمذكورون فى هذا الحديث جميعاً من أصحاب رسول الله ﷺ .

فأما أبو ذر الغفارى (واسمه جندب) فهو من السابقين الاولين ، رابع الإسلام أو خامسه ، أول من نادى بأعلى صوته بالشهادتين بجوار الكعبة . . فأكبت عليه قريش

يضربونه حتى كادوا يقتلونه ! ، أصدق الناس لهجة بشهادة الرسول ﷺ ، وكان من المبرزين فى الزهد ، ذاهبا إلى أن ما زاد على الحاجة من مال فهو كنز ، وحاول أن يحمل الناس على زهده هذا فشكاه معاوية إلى عثمان ـ وكان بالشام حينئذ ـ فاستقدمه عثمان ثم أشار إليه بأن يسكن الرَّبذة قرب المدينة ، فلم يزل بها حتى جاور ربه سنة اثنتين وثلاثين . وصلى عليه عبد الله بن مسعود ، وكان مقبلا من المدينة إلى الكوفة فلما دعى إلى الصلاة عليه ، بكى طويلا وقال : أخى وخليلى ، عاش وحده ، ومات وحده ، ويبعث وحده ، طوبى له .

وأما شُرحبيل بن حَسنة فهو من مهاجرة الحبشة ، وحسنة أمه ، ولها صحبة وهجرة مع أبيها إلى أرض الحبشة كذلك . .

وأما عبد الرحمن وربيعة فهما أخوان شقيقان ، ابنا شرحبيل بن حسنة ، وكلاهما شهد فتح مصر مع أبى ذر رضى الله عنهم ، كما يشهد بذلك هذا الحديث الصحيح ، وكما نقل السيوطى جازما فى « حسن المحاضرة » . وأما شرحبيل فقيل إنه شهد فتح مصر مع ولديه ، وقيل إنه كان أحد أمراء أجناد الشام ، ومات بها سنة ثمان عشرة ، أى قبل فتح مصر بنحو عامين . .

* * *

واختصاص النبى ﷺ أبا ذر رضى الله عنه بأمره أن يخرج من مصر حينما يرى رجلين يتنازعان فى موضع لبنة منها ـ واللبنة مثل كلمة : ما يعمل من الطين ويبنى به ـ دليل واضح على عراقته صلوات الله عليه وسلامه ، فى أصول التربية الإلهية ، والسياسة النفسية ، والعلم الملهم بطبائع البشر ، وسياسة الأفراد والأمم ، وتأدية رسالات الله على خير وجهها وأكمله ...

ذلك بأنه يعلم أن أبا ذر رضى الله عنه ، ذلك العريق فى الزهد ، الحاد الدعوة ، الحار الإيمان واللهجة ، لن يطيق أن يرى الناس يبنون ما لا يسكنون ، ويجمعون مالا يأكلون ، وهو ساكت !! إذاً فلا بد أن يثور ، ولا بد أن يفرق مال الله فى عباد الله — وقد فعلها غير مرة — ولن يطيق الناس ثورته الصادقة تلك . . أرأيت الذى يصرخ بالشهادتين فى آذان المشركين لا يباليهم ، والمسلمون حينئذ بضع أنفس ، فما كان من المشركين إلا أن قاموا

فضربوه حتى أضجعوه ، وأتى العباس فأكب عليه ، فقال : ويلكم ! ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم ، فأنقذه منهم . . ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه فأنقذه . . فقال له رسول الله ﷺ : هل أنت مبلغ عنى قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم ، فعاد فأسلم أخوه أنيس وأمهما وأتوا قومهم فأسلم نصفهم . . ثم أسلم باقيهم حينما قدم النبي ﷺ المدينة . . فى حديث طويل معجب ! !

ألا إن خيراً لأبى ذر رضى الله عنه ، ومن كان مثله فى صدق لهجته ، وعميق إيمانه وزهده ـ ولن يكونه ـ أن يعتزل الناس ، فيعيش وحده ، ويموت وحده . . وبهذا أمره الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، ليريح ويستريح ، ويحمى نفسه التى أمره الله بإمساكها ، أن تشتعل بحرارة الإيمان فتحترق !

ثم تأدب معاوية وذو النورين صهر النبي ﷺ بأدبه ، وصنعا معه ما يجمل به ، لحماه الأول من الناس ، وحمى الناس من شعلة إيمانه المتقد ، وأعاشه الآخر وحده رحمة به وإشفاقا عليه ! !

***

بعد هذا التمهيد الطويل الذى اضطررنا إليه ، ولم نجد بداً منه ـــ يرى الناظر فى هذا الحديث بيسر وسهولة ، آيات من آى النبوة ، فى بشارة عظيمة ، ووصاة نبوية كريمة ، أشرنا إليها فى ختام الحديث السابق :

فأما آيات النبوة فإنها تتجلى فى إنبائه ﷺ أمته بفتح مصر ، وإنبائه أبا ذر رضى الله عنه ، بأنه سيرى رجلين يختصمان فى شبر من أرضها ، وأمره حينئذ أن يخرج منها خشية أن تمتد ثورته ، فتكون فتنة . . وقد تحقق ذلك كله ورآه أبو ذر وغيره رأى العين . . وذلك لا يتصور البتة إلا بوحى من العليم الخبير عز وجل . وما أشبهه بما أنزل على النبي ﷺ فى أمر الروم ، من أنهم سيغلبون فى بضع سنين ، بعد أن غلبوا فى أدنى الأرض ، ولا يفرق بين الوحيين إلا أن ذاك وحى غير متلو وهذا وحى وقرآن يتلى .

وقد صدق الله نبيه ، وأرى أمته ما أنبأهم به فى عهد أمير المؤمنين عمر ، على يد الصحابى الهمام ، والقائد المقدام عمرو ، عليهما رضوان الله عز وجل .

وأما البشارة العظيمة فإنها تتجلى فى هـذا الإنباء بالغيب إذ يعد النبى ﷺ صحابته وأمته بهذا الفتح ... ونخطىء خطأ عظيما ، فى حق النبى صلى الله عليه وسلم إذا قصرنا البشارة على المسلمين وحدهم ، بل نخطىء خطأ عظيما فى حق التاريخ نفسه ، فإنها وايم الحق بشارة عامة للمسلمين والقبط ، من سعد منهم بالإسلام ومن لم يسعد به .

فأما الذين سعدوا بالإسلام وآمنوا وكانوا يتقون ، فلهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » .

وأما الذين لم يسعدوا بالإسلام فلهم البشرى فى الدنيا فقـط ، إذ أنجاهم الله على أيدى الهـداة العادلين ، الذين وعدهم الله ليستخلفنهم فى الأرض ، من أولئك الطغاة الجائرين ، الذين فرقوهم أحزابا وشيعا ، وساموهم سوء العذاب ، من أكاسرة العجم ، وقياصرة الروم ، ونوابهم فى مصر .

كانت مصر قبل الفتح الإسلامى فى طريق الهلاك والدمار ، لا ينجيها منه شىء ، فأعلاها مهرجان لعصابات اللصوص ، وقطاع الطـريق ، والغزاة من بلاد النوبة والبدو ، وأسفلها ميدان للشغب وملتقىً للفتن والثورات من كل فج . ولاهم لحـكامها إلا جمع المـال لخزائن الملوك ومن إليهم ...

وكانت إذا انتقلت من حكم الفرس إلى حكم الروم فكأنما رفع عنها التعذيب بالسياط ليحل بها تعذيب آخـر من لسع العقارب ، على حـد تعبير « بتلر » الإنجليزى ، صاحب « فتح العرب لمصر » .

هـذا إلى إكراه فى دينهم ومذاهبهم ، وتحويلهم - مرغمين - إلى نحل يكرهونها أشد الـكره ، ومذاهب يبغضونها أشد البغض ، فى ظلل من التنـكيل والتعذيب والعسف .

* * *

فلما جاء نصر الله والفتح ، أنقذهم الله من هـذا البلاء العظيم والجور ، ومتعهم الإسلام الذى لا إكراه فيه ، بظله وجواره ، فى نظـام كريم من الأمن يكفل حرية الحياة والملك والعقيدة والثروة ، مما لا يمـكن أن يحلموا به فى غير الإسلام وجواره ..

واقـد أسلم كثير من أولئك المعجبين بالإسـلام وفضائله ممثلة فى المسلمين الصادقين ، إسلاماً حقا لانفاق فيه ، ولا تقية معه ، وإلا فماذا كان يمنعهم أن يظلوا على مسيحيتهم ، وليس هناك من يكرههم على تركها ولو كان إمام المسلمين نفسه ؟ وليس لهم مغنم فى ترك المسيحية إلى الإسلام بعد أن علم الكافة — فيما قدمنا فى الأحاديث السابقة — أن عبء الجزية المقدرة على الذميين ، أيسر من عبء الزكاة المفروضة على المسلمين ، بل من ذا الذى يجبرهم على الإسلام ، ونبى الإسلام يوصى بأهل الذمة عامة وبالقبط منهم خاصة — خيرا وحسنا ؛ لأن لهم فوق الذمة والعهد رحما أمر الله بها أن توصل ، وصهرا أمر الله به أن يجل ويكرم ؟ ! وهو صلوات الله وسلامه عليه أوصل الناس للرحم وإن قطعت ، وأحفظ الناس للمصاهرة وإن بعدت ، ولا يرضى عن أمته إلا أن يكون لهم فيه أسوة حسنة ؟ ! .

* * *

ألا إن الفتوحات الإسلامية وإن حادت فى القليل النادر عن طريقها المستقيم ، خيرٌ مقاما وأحسن ودا وعهدا ، من الفتوحات الأخرى ، وإن ترامت فى القليل النادر أنها أوسع حريه ، وأعظم مدنية ، وما هى إلا السم الناقع ، والداء العضال . . .

بهذا شهد المنصفون من المؤرخين والباحثين من غير المسلمين ، وعليهم عولنا فيما كتبنا من موازنة بين الفريقين ، والله يقول الحق ، ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم *

طه محمد الساكت

---

* من أهم مراجعنا فى هذا الحديث بعد الصحيحين وشروحهما :

١ — حسن المحاضرة للسيوطى .

٢ — الرسالة الخالدة للدكتور عبد الرحمن عزام .

٣ — فتح العـرب لمصر للدكتور بتلر ترجمة الاستاذ محمد فريد أبو حديد .

فريضة الزكاة

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

السنة الثانية من الهجرة النبوية كانت حافلة بجسام الحوادث ، وعظام الأمور التى تعد بحق مفاخر للإسلام والمسلمين : أمور فى التشريع العام ، وإنشاء مهام الأحكام ، وأمور ترجع إلى تكوين الدولة ، وسلامة الأمة ، وحياطتها وحفظها من بغى المعتدين عليها .

ففى هذه السنة الثانية من الهجرة كان كفاح ونضال بين طوائف الشرك والدعاة إلى الحق ، بين أهل الكفر وأهل الإيمان ، بين أحزاب الشيطان وحزب الرحمن .

وفى هذه السنة الثانية من الهجرة كانت فرضية الصيام ، صيام رمضان الذى هو الركن الرابع من أركان الإسلام .

وفى هذه السنة أيضاً فرضت الزكاة على الأغنياء القادرين ، حقاً للفقراء المعوزين .

وشريعة الزكاة هى الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة ، فليست هى — كما يظن بعض الناس — صدقة تفضل يتمدح بها الأغنياء ويتعالون بها على الفقراء والمساكين ، وليست تبرعا ومنحة يمن بها القادرون على المحتاجين ، وإنما هى حق لازم ، وفرض حتم على القادرين عليها ، لا يقوم الإسلام بدونها ، كما لا يقوم بدون الصلاة التى هى فرق بين المؤمنين والكافرين .

وقد راعى الإسلام فى الزكاة مصلحة أصحاب الأموال ومصلحة الفقراء البائسين ، فلم يفرضها على الأغنياء كل يوم أو كل جمعة أو كل شهر ، حتى يرهقهم بحملها ، أو يشق عليهم فى التكليف بها .

ولم يقصر وجوبها على مرة واحدة فى العمر كما هو الحال فى فريضة الحج ، فتهمل بذلك — إلى حد كبير — مصلحة الفقراء وتسوء حالهم ، بضعف ما يعود عليهم من زكاة ضئيلة هزيلة ، بل توسط فى الأمر بين الجانبين ، وقصد تحقيق المصلحتين ، وجعل الزكاة فريضة مرة واحدة

فى كل عام ؛ فإنه فى كل عام تتجدد لأصحاب الأموال منافعها ، وتظهر أرباحها ، ويكون نتاج الماشية ، ونضج الزروع والثمار .

ثم لم يفرض الإسلام فى الزكاة قدراً كبيراً مجحفا بأصحاب الأموال ، ولم يجعله قدراً ضعيفاً تافها ، لا يقوم بأودالفقراء ، ولا يسد خلة المحتاجين ، وإنما وقف بأصحاب الأموال والفقراء فى حدود الاعتدال ، ففرض القدر الصالح الذى ينفع الفقراء ويرفع من شأنهم ، ولا يؤذى الأغنياء أو يشق عليهم أو يلغى جانب كدهم وكدحهم وما يبذلون من جهود فى استثمار أموالهم .

راعى الإسلام جانب العدالة فى القدر الذى أوجبه من الزكاة ، فجعله عشر المال أو نصف العشر أو ربعه - يختلف الأمر فى ذلك ويتنوع حسب اختلاف المال وتنوعه ، وعلى حسب طريقة استثماره وسهولة ذلك وصعوبته ، فأوجب العشر كاملا فى الزروع والثمار التى لا يتحمل صاحبها فى سبيل ريها وسقيها نفقات ولا يتكبد مشقات ، وأوجب فيها نصف العشر إذا كان لابد له فى سقيها من العمل والإنفاق ، وأوجب ربع العشر فحسب فى أموال التجارة التى لا يحصل صاحبها منها على الربح والفائدة إلا إذا عمل فيها وكد ، وكافح وجالد ، وصابر وسافر ، وإلا إذا بذل — على الجملة — من الجهد فوق ما يبذل عادة فى استنبات الزرع واستثمار الشجر .

وأوجب كذلك ربع العشر على مالك نصاب معين من الذهب أو الفضة ، ولو عطلهما عن التداول ، وأهمل العمل فيهما للاسترباح والانتفاع بما يكون منهما من ثمرات .

ويجرى مجراهما فى هذا الحكم ما هو متداول من ورق النقد .

راعى الإسلام المصلحة والعدالة الكاملة فيما أوجبه من هذه المقادير ، كما راعى المصلحة وكمال العدالة فيما فرضه من الزكاة على أصحاب الماشية ، مما يسهل الرجوع - لمعرفة تفصيلاته - إلى السنة النبوية الصحيحة التى بينت آيات القرآن حق البيان .

هذا ، ولا نظن أحدا - ممن يدينون بالإسلام أو تكون لهم معرفة صحيحة بمبادئه القيمة - يجهل حكمة الزكاة ، أو يحاول الخفض من شأنها والحط من قيمتها أو الزراية بأهلها والمنتفعين بها ، فإن نظام الزكاة فى الإسلام هو خير نظام تعاونى ، وأعدل منهج اشتراكى ، وأكمل تشريع فى باب الضمان الاجتماعى .

ونحن إذا عرضنا هنا للكشف عن بعض أسرار الزكاة وحكمة شرعها فإنما ذلك للتذكير بهذا التشريع العظيم ، والله تعالى يقول فى كتابه الكريم : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .

فالزكاة تطهير وتزكية للنفوس من رذيلة البخل ، وتخليص لها من موبقات الشح ، وتعويد على السماحة والسخاء وبذل العون فى أوقات الشدة والحاجة ، وتمرين للإنسان على حب المجتمع والعمل له ، والسعى فى تحقيق الخير لأفراده وجماعاته .

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم » .

والزكاة تطهير وتزكية ونماء للمال ، فإنها إذا كانت - فى الظاهر وأول الأمر - موجبة نقصان المال بصرف جزء منه للفقراء المحتاجين ، فإن الله قد كتب لصاحبها البركة والحفظ وسلامة المال من الآفات والنوازل ، وضمن له زيادته ونماءه ومضاعفة الخير فيه ، على نقيض ما كتبه على المرابين الذين يبغون زيادة أموالهم من طريق الجشع والحرص المذموم واستغلال حاجة المحتاجين ، ومداينة الناس بما يتقاضونه منهم كاملا مع الزيادة عليه ، فإن ذلك كسب خبيث ، قلت فيه الزيادة أو كثرت ، وآية ذلك كله من القرآن الكريم قول الله تعالى : « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » .

إن المزكى يكسب بزكاته خيراً كثيراً ، وينال بها ربحا عظيما ، يكسب بها رضاء الله وثوابه بما أسدى إلى المجتمع من معونة ، ويكسب بها هداية الله وتوفيقه إياه ، فتتفتح أمامه وجوه الربح الطيب ، وتيسر له سبيل الرزق الحلال . ثم يعود عليه المجتمع - نظير ما أسدى إليه من معونة - بمعونة مثلها أو أعظم منها ، لا يلقاه أحد بحقد ، ولا يناله أذى من أحد ، بل يحبون له أن يكثر ماله ، ويعظم بره ويزداد خيره ، ويعينونه بكل ما يملكون من جهود وآراء صالحة ، على حفظ ماله وتنميته واستثماره « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » ، « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » .

هذا الحكم مقرر فى مختلف الأديان ، مكتوب فى القرآن ، وهو الذى عليه الناس

فى هذه الحياة : أفرادهم وجماعاتهم ، حتى ليرعاه الأشرار الفجار الذين يعيشون على النهب والسلب ، وعلى السرقات وأنواع الاحتيالات ، وعلى السطو والعدوان على الناس فى أنفسهم وأموالهم ، فكثيراً ما حمت الزكاة وأعمال البر أصحابها ، ودفعت عنهم أيدى عصابات كانت تتصدهم بالشر والأذى : تنكف هذه العصابات ، وتلتوى عن سوء قصدها عند ما تعلم أو يعلم بعض أفرادها أن من قصدوه بالسوء هو رجل بر وخير ينفع الناس بماله ، ويمنحهم من بره وخيره ، وإذا لا يكون من الرجولة ولا من حسن المروءة أن يقتلوه أو يؤذوه أو يرزءوه فى أهل أو مال .

هذا هو حكم الناس وتقديرهم ـ خيارهم وأشرارهم ـ لمن يكرم غيره ببره وعونه فما الذى يبتغيه الإنسان فى هذه الحياة وراء أن يكون هادئ النفس ، ناعم البال ، مرموقا ـ أينما كان ـ بعين التوقير وحسن التقدير ، واجداً دائما من يحفظه ويكرمه ويصد عنه ، ثم يعينه ويوفر أسباب الراحة له ويعمل على إيصال كل خير إليه ؟

وما الذى يرجوه من الحياة الآخرة غير أن يلقى ربه راضياً عنه ، حفياً به ، مسبغاً عليه من فضله ومثوبته مع الأبرار الأخيار ، من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .

نسأل الله الهداية والتوفيق للعمل على ما يصلح به ديننا ودنيانا وما تكون به عزة أوطاننا . إنه سبحانه ولى التوفيق لا يضيع أجر العاملين المحسنين .

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

فى ظلال الغنى

لست أدرى ولا المروءة تدرى — ما غناء الغنى إذا عاد ذلا
يجمع المال غيرنا فيبارى — ساريات الربيع جوداً وبذلا
غير أنا نثرى لنشقى ، ونمسى — فى ظلال الغنى على الناس كلا
أى فضل ـ قل لى ـ لمثر بخيل — ما على الناس منه أثقل ظلا

محمد النجمى

زواج المسلم بالكتابية

– ٢ –

رأى الزيدية :

وقال صاحب الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير من فقهاء الزيدية ص ٤٣ ح ٤ : روى على جواز تزوج المسلم باليهودية والنصرانية ، وروى أيضا عن عمر بن الخطاب وعن جابر بن عبد الله والزهرى . وأن نهى عمر لحذيفة حين تزوج اليهودية إنما كان على طريق التنزيه والكراهة بدليل أن حذيفة كتب إليه أحرام هى ؟ قال : لا . فلم يطلقها حين أمره عمر بمفارقتها . وأن الصحيح من مذهب الإمام زيد بن على وأخيه الباقر والصادق هو ما يدل عليه الحديث من جواز نكاح المسلم الكتابية من اليهود والنصارى ، وإليه ذهب الحنفية والشافعية ، واختاره الإمام يحي ، واحتج له السيد الحافظ ، وأجمع عليه الصدر الاول ، والدليل على ذلك آية المائدة وهى آخر ما نزل من القرآن كما اتفق على ذلك العلماء .

وذهب بعض الزيدية إلى القول بتحريم الكتابيات والمشركات لقوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ، وقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » وحمل آية المائدة على حل المحصنات من أهل الكتاب بعد الإسلام لأنهم كانوا يتأففون من نكاحهن

وأجاب الإمام المهدى بأن آية المائدة نص فى التحليل وهو يدل على تحريم سابق ، ولو كان المراد بها منع الأنفة من نكاح الكتابية بعد الإسلام لكفى قوله تعالى « والمحصنات من المؤمنات » لعمومه فى كل من آمن ، ولم يبق لعطف الكتابيات فائدة . وما ذهب إليه ابن عمر مما يفيد أن آية البقرة ناسخة لآية المائدة فرواية ضعيفة ، يبعدها أن المتأخر لا ينسخ بالمتقدم ، على أن بعضهم حمل هذه الرواية عنه على أنه أراد بالكتابيات الحربيات اهـ

وبهذا يظهر أن الصحيح من رأى الزيدية جواز نكاح الكتابيات ، كما هو رأى غيرهم من أئمة المذاهب الأربعة والظاهرية . وقد حكوا إجماع أهل الصدر الاول عليه .

تفسير الآلوسي للآيات الثلاث .

١ — قال العلامة الآلوسي في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » : إن الآية محمولة عند أكثر أهل العلم على من عدا الكتابيات ، وروى عن قتادة أنهن مشركات العرب اللاتى ليس لهن كتاب ، وعن حماد قال : سألت إبراهيم عن تزوج اليهودية والنصرانية فقال : لا بأس به ، قلت : أليس الله تعالى يقول : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ؟ فقال : إنما تلك المجوسيات وأهل الأوثان .

وروى عن ابن عمر حرمة نكاح الكتابيات لأنهن يقلن مقالة المشركين ، وإلى هذا ذهب الإمامية وبعض الزيدية وجعلوا هذه الآية ناسخة لآية المائدة نسخ العام للخاص .

ولكن الذى عليه عمل أهل العلم أن آية المائدة هى الناسخة لهذه الآية ، كما أخرجه أبو داود عن ابن عباس أنه قال فى قوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات » : نسخ من ذلك نكاح نساء أهل الكتاب ، أحلهن للمسلمين وحرم المسلمات على رجالهن . ومثله عن الحسن ومجاهد وهو مذهب الحنفية .

وذهب الشافعية إلى أن آية المائدة مخصصة لا ناسخة . ومبنى الخلاف أن قصر العام على بعض أفراده بكلام مستقل تخصيص عند الشافعية ، ونسخ عند الحنفية ، والنتيجة واحدة فى الحكم .

٢ — وقال فى تفسير قوله تعالى فى سورة المائدة « اليوم أحل لكم الطيبات الخ » : روى عن ابن عباس أن المراد من المحصنات من الذين أوتوا الكتاب الذميات غير الحربيات . وذهب الإمامية إلى حرمة نكاح الكتابيات على الدوام تمسكا بآية البقرة السابقة ، وآية الممتحنة وهى قوله تعالى « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » وتأولوا آية المائدة بحملها على الكتابيات بعد إسلامهن . ولا يخفى أن هذا خلاف الظاهر .

ودعوى نسخ هذه الآية بآيتى البقرة والممتحنة احتجاجا بما رواه الجارود عن أبى جعفر لا تصح من طريق السنة .

٣ — وقال فى تفسير قوله تعالى فى سورة الممتحنة « يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن . فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن

إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم » :

كان صلح الحديبية بين النبي ﷺ وأهل مكة المشركين يقضي بأن من أتى النبي من قريش رده إليهم وإن كان مسلما ومن جاء قريشا من عند النبي لا يردونه عليه ، فلم يأت النبي أحد من الرجال إلا رده في مدة العهد وإن كان مسلما ومنهم أبو جندل بن سهيل ، ثم جاء المؤمنات مهاجرات إلى النبي ومنهن أم كلثوم بنت عقبة بن معيط ، وكانت أول المهاجرات ، فخرج أخواها حتى قدما على النبي ، فكلماه في ردها إلى قريش ، فلم يردها ، ونزلت الآية مقررة لفعله عليه السلام وهو عدم الرد ، أو ناسخة لما جاء في الصلح من عموم الشرط بالنسبة للرجال والنساء ، فقصر على الرجال وحدهم دون المؤمنات المهاجرات ، كما رجحه الجصاص في تفسير سورة الممتحنة .

ودلت الآية على النهي عن إرجاعهن إلى الكفار بمكة بعد أن علم إيمانهن ، وأن هجرتهن إنما كانت رغبة في الإيمان والإسلام ، وأنهن بهذه الهجرة محرمات على أزواجهن المشركين بمكة ، لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن ، وحلال للمسلمين أن يتزوجوهن إذا أعطين مهورهن . ثم قال تعالى خطابا للمؤمنين : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » فنهاهم عن أن يكون بينهم وبين زوجاتهم المشركات الباقيات في دار الحرب وهي مكة علقة من علق الزوجية أصلا حتى لا تمنع إحداهن نكاح خامسة أو نكاح أختها في العدة . وهذا بناء على أن الكوافر هن النساء جمع كافرة .

وقال ابن عباس في تفسيرها : من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها عنه .

وقال إبراهيم النخعي ومجاهد وسعيد بن جبير : إن الآية نزلت في المرأة المسلمة تلحق بالمشركين فلا يمسك زوجها بعصمتها قد برىء منها اهـ .

وعلى كل هذه الروايات لا يكون في الآية دليل على حرمة نكاح الكتابيات ، بل هي خاصة بالمشركات الباقيات في دار الحرب ، أو بالمسلمة التي كفرت بلحاقها بالمشركين بدار الحرب .

وقال الجصاص في تفسير آية الممتحنة ص ٤٣٨ جزء ٣ : إن في هذه الآية ضروبا من

الدلالة على أنواع الفرقة باختلاف الدارين بين الزوجين ، وذلك بأن يكون أحد الزوجين من أهل دار الحرب والآخر من أهل دار الإسلام ، فإن المهاجرة إلى دار الإسلام قد صارت من أهل دار الإسلام وزوجها باق على كفره من أهل دار الحرب ، فقد اختلفت بهما الداران ، وحكم الله بوقوع الفرقة بينهما ، ونهانا بقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » أن نمنع من تزويجها لأجل زوجها الحربي . وهذا بناء على أن المراد من الكوافر الرجال لأنه فى ذكر المهاجرات .

ومع أن هذا المراد غير ظاهر فليس فى الآية شبه دلالة على حرمة تزوج المسلم بالكتابية ، والاستدلال بها على ذلك بعيد كل البعد عن سياقها ومعناها .

مذهب الإمامية :

جاء فى كتاب جواهر الكلام فى شرح شرائع الإسلام بعد أن ذكر الاتفاق على عدم جواز نكاح غير الكتابية : أن القائلين بعدم جواز نكاح الكتابية من اليهود والنصارى مطلقا استدلوا أولا بآية البقرة التى علق فيها النهى على الغاية التى هى الإيمان . فكان الإيمان شرطا فى النكاح . وكذلك تعقيب النهى بقوله « أولئك يدعون إلى النار » يقتضى كونه علة للمنع مطلقا ، وهذا المعنى مطرد فى جميع أقسام الكفر ، ولا اختصاص له بالشرك . وبأن اليهود والنصارى من المشركين لقول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله .

واستدلوا ثانياً بقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » والمراد بها نهى المؤمنين عن القيام على نكاح الكافرات لانقطاع العصمة بينهم .

وروى عن أبى جعفر فى تفسيرها : من كانت عنده امرأة كافرة على غير ملة الإسلام وهو على ملة الإسلام ، فليعرض عليها الإسلام ، فإن قبلت فهى امرأته ، وإلا فهو برىء منها .

وأن آية المائدة منسوخة بإحدى الآيتين . والتحقيق جواز نكاح الكتابيات مطلقا بدليل آية المائدة ، وهى كما اشتهر محكمة لم تنسخ بناسخ . وقال رسول الله : إن سورة المائدة آخر القرآن نزولا ، فأحلوا حلالها ، وحرموا حرامها .

وعن على كان القرآن ينسخ بعضه بعضا وإنما يؤخذ من رسول الله بآخره ، وكان من آخر ما نزل سورة المائدة التى نسخت ما قبلها ولم ينسخها شىء .

وقد نهى المسلمون أولا عن نكاح أهل الكتاب من اليهود والنصارى ثم نسخ بآية المائدة . والخلاصة أن آية المائدة هى الناسخة ، وذلك هو الموافق للنصوص المستفيضة والمتوافرة الدالة على جواز نكاح الكتابيات منطوقا ومفهوما كصحيح ابن وهب وغيره .

ومن ذلك يظهر أن مختار المصنف وغيره فى التفصيل فى غاية الضعف ، وكذلك سائر الأقوال ما عدا ما تقرر أنه التحقيق .

هذا رأى الإمامية فى جواز نكاح الكتابيات .

ومن كل ما سبق يعلم أن رأى فقهاء الإسلام الذى عليه المعول عند سائر الفرق جواز نكاح الكتابيات ، وأن رأى ابن عمر ومن تبعه فى هذه المسألة لم يعول عليه ، ولم يؤيده الدليل ، وأن التحقيق عند الإمامية مخالف له وموافق للجمهور ؟

(يتبع) حسنين محمد مخلوف

حب الاعرابى للبادية

قيل لأعرابى :

كيف تصنع فى البادية إذا اشتد القيظ ، وانتعل كل شئ ظله ؟

فقال : — وهل العيش إلا ذاك ؟ يمشى أحدنا ميلا فيرفض عرقا ، ثم ينصب عصاه ، ويلقى عليها كساءه ، ويجلس فى فيئه يكتال الريح فكأنه فى إيوان كسرى ...

فقيه أديب

نعم هو فقيه من أعلام الفقهاء ، وأديب بين الأدباء ، وقل أن يجتمع الفقه والأدب لعالم من العلماء ، لأن الصناعات تتزاحم وتتدافع كما قال العلامة ابن خلدون « فمن حصل على ملكة علم من العلوم وأجادها فى الغاية فقل أن يجيد ملكة علم آخر على نسبته ، بل يكون مقصراً إن طلبه إلا فى الأقل النادر من الأحوال » .

رفعه علمه من الطبقة الدنيا إلى طبقات القادة والساده ، وسما به فقهه إلى أعلى المراتب ، وبلغ به أعلى المنازل ، وأجلسه مجالس الخلفاء ، وجعل منه مستشاراً دينيا لأعظم دولة فى عصره ، وقاضيا لقضاتها جميعا ، وأنزله ورعه وشجاعته فى الحق وللحق منزلة الناصح لخليفة المسلمين ، بل منزلة الواعظ الزاجر الذى يذكره بحقوق الرعية ، وينذره عاقبة التفريط فيها والغفلة عنها .

شهر بالفقه فأخذ مكانه فى جماعة الفقهاء ، وخلت من ذكره تراجم الأدباء ، وكان خليقا أن يكون فى طليعتهم ، ولعل ذلك لأن علم الفقه أشرف العلوم ، والشهرة به كانت أجل وآثر إلى نفوس العلماء والعامة من الشهرة بغيره لهذا العهد ، لذلك عفا الزمن على آثاره الأدبية ، ولم يبق إلا نتف يسيرة من أدبه ، وبعض من كتبه يكفى للدلالة على مكانه من الأدب . وإذا أردت أن تعرف بعد ذلك من هو ؟ فاعلم أنه أبو يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة .

نشأ أبو يوسف من أسرة ذات نسب عريق ، فجده الأعلى سعد بن حبتة الانصارى أحد صحابة رسول الله ، وممن أبلى فى بعض المواقع النبوية - إلا أنها كانت فقيرة لا تجد ما تقيم به أودها ، فكانت أبعد الناس عن العلم والإقبال عليه ، لولا كلمة سبقت من ربك بالحظ لأحد أبنائها فكان ذلك الحظ يقسره على الجد قسرا ، ويدفعه إلى الخير دفعا .

حدث أبو يوسف عن نفسه فقال : « توفى أبى وخلفنى صغيراً فى حجر أمى ، فأسلمتنى إلى قصار أخدمه ، فكنت أفر منه وأختلف إلى حلقة أبى حنيفة ، فكانت أمى تجىء إلى الحلقة فتأخذ بيدى فتذهب بى إلى القصار ، وكان أبو حنيفة رضى الله عنه يعنى بى لما يرى من حضورى وحرصى على التعلم ، فلما كثر ذلك على أمى وطال عليها هربى

قالت لأبي حنيفة : « ما لهذا الصبي فساد غيرك ! هذا صبي يتيم لا شيء له ، وإنما أطعمه من مغزلي وآمل أن يكسب دانقا يعود به على نفسه » فقال لها أبو حنيفة : يا رعناء ها هو ذا سيتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق ! فانصرفت عنه وقالت له : أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ، ثم لزمته فنفعني الله تعالى بالعلم ، ورفعني حتى تقلدت القضاء وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته ، فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون الرشيد فالوذجة ، فقال لي : يا يعقوب ، كل منها فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها . فقلت : وما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه فالوذجة بدهن الفستق . فضحكت . فقال لي : مم تضحك ؟ فقلت : خيرا ؛ أبقى الله أمير المؤمنين . قال : لتخبرني . وألح علي . فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها ، فتعجب من ذلك وقال : لعمري إن العلم لينفع دينا ودنيا وترحم على أبي حنيفة وقال : كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه .

ذلك حديث أبي يوسف عن نفسه وإنه ليلخص تاريخه ويجلو حياته ، ويكفينا عن التطويل في الترجمة له لننصرف إلى الحديث عن فقهه وأدبه .

أما فقهه فيكفي أن يقال فيه إنه أحد المبرزين من أصحاب أبي حنيفة ، وأفقه أهل عصره ، وأول من وضع الكتب على مذهبه ، وأملى المسائل ونشرها في أقطار الأرض ، وولي القضاء لثلاثة من الخلفاء هم ؛ المهدي والهادي والرشيد ، وأول من دعي قاضي القضاة ومع أنه كان حافظا للحديث ، إلا أنه كان ذا ملكة فقهية عجيبة لا تقف عند النصوص ، بل تستلهمها الرأي الرشيد والحكم السديد ، وكان اعتماده على الرأي واعتداده به يفزع منه بعض العلماء . قال محمد بن جرير الطبري : « وتحامى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأي وتفريعه الفروع والأحكام مع صحبة السلطان وتقلده القضاء » .

وقد استمكنت له ملكة الفقه العلمي كما استمكنت فيه ملكة الفقه القضائي . قال له الرشيد يوما : بلغني أنك تقول : إن هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل أقوالهم ؛ متصنعة . قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : وكيف ذلك . قال : لأن من صح ستره وخلصت أمانته لم يعرفنا ولم نعرفه ، ومن ظهر أمره وانكشف خبره لم يأتنا ولم نقبله ، وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصنعة الذين أظهروا الستر وأبطنوا غيره . فتبسم الرشيد وقال : صدقت .

وفقه أبي يوسف وأقواله وآراؤه وما اختلف فيه مع إمامه أبي حنيفة متفرقة في كتب فقه أبي حنيفة ، وقد اختلف معه في مسائل كثيرة ، وله كتاب خاص هو من أجل الكتب

فى موضوعه ، وهو كتاب (الخراج) الذى يعتبره العلماء دستورا إسلامياً جامعاً فى مسائل الأموال الإسلامية وما عليها من خراج وعشر وجزية وغير ذلك .

هذا أبو يوسف الفقيه . أما أبو يوسف الأديب فحسبنا للدلالة على أدبه أن نعرض بعضاً من نتفه الأدبية التى توزعتها كتب التراجم ، ونقتبس بعض فقرات من كتابه إلى هارون الرشيد وهو مقدمة كتاب (الخراج) ، فما أثر عنه أنه قال : صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة . وقال : رؤوس النعم ثلاثة : أولها : نعمة الإسلام التى لا تتم نعمة إلا بها ، والثانية : نعمة العافية التى لا تطيب الحياة إلا بها ، والثالثة : نعمة الغنى التى لا يتم العيش إلا بها . وقال : العلم شىء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض على غرر .

ومما جاء فى مقدمة كتاب الخراج الذى بعث به إلى الرشيد قوله : « يا أمير المؤمنين إن الله — وله الحمد — قد قلدك أمراً عظيما ، ثوابه أعظم الثواب ، وعقابه أشد العقاب ، قلدك أمر هذه الأمة فأصبحت وأمسيت تبنى لخلق كثير قد استرعاكهم الله وائتمنك عليهم وابتلاك بهم وولاك أمرهم ، وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه وأعانه عليه ، فلا تضيعن ما قلدك الله من أمر هذه الأمة والرعية ، فإن القوة فى العمل بإذن الله . . .

أقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار ، فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته ، ولا تزغ فتزيغ رعيتك وإياك والأمر بالهوى والأخذ بالغضب ... ... وكن من خشية الله على حذر ، واجعل الناس عندك فى أمر الله سواء القريب والبعيد ، ولا تخف فى الله لومة لائم ... ... واعمل لأجل مفضوض ، وسبيل مسلوك ، وطريق مأخوذ ، وعمل محفوظ ، ومنهل مورود ... فلا تلق الله غداً وأنت سالك سبيل المعتدين ، فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم ... ... وجور الراعى هلاك للرعية ؛ واستعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة ... وإذا صح عندك من العامل والوالى تعد بظلم أو عسف وخيانة لك فى رعيتك واحتجاز شىء من الفىء أو خبث طعمته أو سوء سيرته فحرام عليك أن تشركه فى شىء من أمرك ، بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من أن يتعرض لمثل ما تعرض له ، وإنى أسأل الله يا أمير المؤمنين الذى

من عليك بمعرفته فيما أولاك أن لا يكلك فى شيء من أمرك إلى نفسك ، وأن يتولى منك ما تولى من أوليائه وأحبائه »

ذلك أبو يوسف الأديب ، وقد بلغ بفقهه وأدبه أقصى ما يطمع فيه فقيه وأديب من رياسة وجاه وغنى ، وقد أدى حق الرياسة وحق الجاه وحق المال فلم يجر فى قضاء ، ولم يبخل بمال . قال محمد بن سماعة : سمعت أبا يوسف فى العام الذى مات فيه يقول : اللهم إنك تعلم أنى لم أجر فى حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمدا ، ولقد اجتهدت فى الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، وكل ما أشكل على جعلت أبا حنيفة بينى وبينك ، وكان عندى والله ممن يعرف أمرك ، ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه . وقد أوصى عند موته بمائة ألف لأهل مكة ، ومائة ألف لأهل المدينة ، ومائة ألف لأهل الكوفة ، ومائة ألف لأهل بغداد .

وقد أنجب أبو يوسف ابنا كان له من أبيه حظ كبير ، فكان فقيها عالما ، وولى القضاء فى حياته ، فلما توفى أبو يوسف قال الخريمى الشاعر :

يا ناعى الفقه إلى أهله إن مات يعقوب ولا تدرى
لم يمت الفقه ولكنه حول من صدر إلى صدر
ألقاه يعقوب إلى يوسف فزال من صلب إلى ظهر
فهو مقيم فإذا ما ثوى وحل حل الفقه فى قبر

وأبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة الأنصارى . ولد ببغداد سنة ١١٣ هـ وتوفى بها سنة ١٨٢ هـ . قال معروف الكوفى الصوفى المشهور : رأيت البارحة كأنى دخلت الجنة فرأيت قصرا قد فرشت مجالسه ، وأرخيت ستوره ، وقام ولدانه . فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقالوا : ليعقوب بن إبراهيم الأنصارى أبى يوسف ، فقلت يا سبحان الله !! بم استحق هذا من الله تعالى ؟ فقالوا : بتعليمه الناس وصبره على أذاهم ؟

أبو الوفا المراغى

لغويات

أحرى بك أن تصلح نفسك من أن تبحث عن عيوب غيرك

يرد فى عبارات العصريين هذا الأسلوب . وفى كتاب ديوانىّ من دار الكتب المصرية فى شأن نشر الكتب فيها وطبعها : « وخير للدار ألا تنشر شيئا من أن تنشر كتابا لا تقف على النسخ الموجودة منه فى المكاتب المختلفة فى العالم الشرقىّ والغربىّ » .

والأسلوب يستوقف النحوىّ ويجافى صناعة الإعراب . ذلك أن المتبادر فى أمره أن اسم التفضيل خبر مقدم ، والمصدر المؤوّل مبتدأ مؤخّر ، والجار (من) مع مجروره متعلق باسم التفضيل . وموطن الريبة أن فيه الفصل بين العامل - وهو اسم التفضيل - ومعموله - وهو الجار والمجرور - بغير معمول العامل ، وهو المبتدأ ، وذلك تحظره صناعة الإعراب ؛ إذ تنكر الفصل بين العامل والمعمول بأجنبى أى غير معمول للعامل .

ولكن الأسلوب - مع هذا - ورد فى فصيح الكلام ، فوجب اعتماده وقبوله . وللعرب أن تقول ، وعلى النحويين أن يعربوا ، وأن يخرجوا على قواعدهم ما تيسّر لهم التخريج .

فقـــد روى أبو زيد الأنصارى المتوفى سنة ٢١٥ هـ ، فى نوادره ص ٢١ لزهير ابن مسعود الضبىّ :

خير نحن عند الناس منكم ‏ ‏ إذا الداعِى المثوّب قال يالا

المثوب : المستصرخ والمستغيث . وقوله : قال يال أى يالبنى فلان ، فحذف المستغاث . وقوله : عند الناس يروى بدله : عند البأس . والقارىء يرى البيت كالمثال الذى هو موضوع البحث سواءً .

وقد أحسّ النحاة إشكال البيت فعنوا بتخريجه . ويقول البغدادىّ فى الخزانة فى شواهد المفعول المطلق بعد إيراده : « قد تكلم الناس على إعرابه قديما وحديثا ؛ لا سيما أبو على الفارسى ، فإنه تكلم عليه فى أكثر كتبه . قال فى التذكرة القصرية : سألت عن هذا البيت ابن الخياط والمعمرى فلم يجيبا إلا بعد مدة » .

والبيت - ومثله ما كان على شاكلته - تبدو فيه الوجوه الآتية :

الأول أن يكون « خير » خبر مبتدأ محذوف ، أى نحن خير ، و « نحن » الملفوظ بها توكيد للضمير المستتر فى « خير » . وهذا خلاف المتبادر .

والثانى أن يكون « خير » مبتدأ ، و « نحن » فاعلا له سد مسد الخبر ، وقد وقع الوصف مبتدأ مكتفيا بمرفوعه عن الخبر مع عدم اعتماده على نفى أو استفهام ، وهذا يجيزه الأخفش والكوفيون . ولكن يغض من هذا الوجه أن فيه رفع اسم التفضيل للظاهر فى غير مسألة الكحل - يراد بالظاهر غير الضمير المستتر - وهذا إنما يكون فى النادر من الكلام . وقد ذكر سيبويه فى الكتاب ١ / ٢٢٩ وما بعدها مسألة من مسائل التفضيل وهى : مررت برجل خير منك أبوه ، فذكر أن الوجه رفع « خير » على أنه خبر مقدم و « أبوه » مبتدأ مؤخر . ثم ذكر أن يونس زعم أن ناسا من العرب يجرون « خير » على أنه نعت سببى ، وعلى هذا يكون « أبوه » مرفوعا بالتفضيل فى غير مسألة الكحل . ولكن سيبويه يرى الجر غير الوجه ، وكأنه لا يستثبته وإن رواه يونس ، وانظر التعبير عن روايته بالزعم . ويجعل النحويون رفع التفضيل للظاهر فى غير النفى من نادر الكلام .

والوجه الثالث أن يكون « خير » خبرا مقدما ، والمصدر المؤول مبتدأ مؤخرا ؛ كما هو المتبادر . وهذا الوجه - كما سبق لك - فيه الفصل بين العامل والمعمول بالأجنبى والعذر فى هذا أن المبتدأ وإن لم يكن معمولا للخبر هو منه بسبب قريب ، فكأنه ليس بالأجنبى . ويقرب هذا أن بعض النحويين يرون أن المبتدأ والخبر مترافعان ، وقد ركب الزمخشرى متن هذا المذهب ، ولم يبال الفصل بين الخبر ومعموله بالمبتدأ . وذلك فى قوله تعالى فى سورة مريم : « قال أراغب أنت عن آلهتى » لجعل الوصف خبرا مقدما و « أنت » مبتدأ مؤخرا ؛ وقد فصل بين « راغب » ومعموله : « عن آلهتى » . وللخروج من هذا يجعل بعض النحويين حتما الوصف مبتدأ ، و « أنت » فاعلا له سد مسد الخبر . وقد تبع البيضاوى الزمخشرى فى الإعراب . فقال الشهاب الخفاجى فى كتابته عليه : « خالف أبا البقاء وابن مالك ممن جعل « أنت » فاعل الصفة لاعتمادها على حرف الاستفهام لئلا يلزم الفصل بين (راغب) ومعموله وهو « عن آلهتى » بأجنبى وهو المبتدأ لأنه غير معمول له ، أو يحتاج إلى تقدير عامل آخر له ، وهو خلاف الأصل ؛ لأنه قيل عليه : إن المبتدأ ليس أجنبيا من كل وجه ؛

لاسيما والمفصول ظرف متوسع فيه ، والمقدم فى نية التأخير ، والبليغ يلتفت لفت المعنى بعد أن كان لما يرتكبه وجه مساغ ، وهذا الأسلوب قريب من ترجيح الاستحسان على القياس لقوة أثره ، والوجه الأخير أقرب الثلاثة وأجدرها بالقبول .

عاطر الثناء

يقع هذا التعبير كثيراً ، وكثيراً ما يقع فى الرسائل الإخوانية : أهدى إليك عاطر التحية . وفى مجلة مجمع اللغة العربية ٧/٢٩٤ : « فطالما سمعت عاطر الثناء على فضلك وعلمك » ويراد بذلك طيب التحية وطيب الثناء . وعاطر فى هذا وصف من العطر ، وهو ما يتطيب به كالمسك وغيره ، وترى فيه تمثيلا للمعقول بالمحسوس ، كأن التحية ضمخت بالطيب فصارت طيبة النشر . ومن استعماله فى المحسوس قول الرصافى فى غلام حائك :

قالوا وقد أكثروا فى حبه عذلى   لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
علقتـــه حبى الثغر عاطره   حلو اللمى ساحر الأجفان والمقل
جذلان يلعب بالحواك أنمله   على السدى لعب الايام بالأجل

وقد وقع إنكار لاستعمال عاطر فى معنى طيب الريح ، وأوجبوا أن يقال فى ذلك العطر ، فأما العاطر فهو محب العطر ، وقد كان حجة هؤلاء ما فى القاموس فقد اقتصر على هذا المعنى للعاطر . والاقتصار على بعض المعاجم كثيراً ما يكون سبباً لتخطئة أساليب صحيحة ، ولو رجع هؤلاء إلى اللسان لما تمادوا فى إنكارهم ، ففيه : « ورجل عاطر وعطر ومعطير ومعطار ، وامرأة عطرة ومعطير ومعطرة : يتعهدان أنفسهما بالطيب ويكثران منه » ثم قال : « ابن الأعرابى رجل عاطر وجمعه عطر وهو المحب للطيب » و « عاطر » يبدو أنه صيغة نسب وليس وصفاً من الفعل عطر ، إذ الوصف منه عطر كفرح من فرح ويقل فى فعل أن يأتى الوصف منه على فاعل كسالم من سلم ، فعاطر : منسوب إلى العطر ، وذلك بأن يكون محباً له ، أو متطيباً به .

وإذا كان عاطر معناه المنسوب إلى العطر فهل يقال : تحية عاطرة ؟ المشهور فى هذا أن يجرد وصف المؤنث من التاء كما يقال امرأة مرضع وحائض على تخريجهما على النسب وذلك لأن الوصف حينئذ ليس جارياً على الفعل فلم يؤنث . وقد أورد الزمخشرى فى الأساس (ورى) قول الأخطل :

والمطعمين إذا هبت شآمية تزجى الجهام سديف المربع الوارى

وفسر المربع بالناقة التي لقحت أول الربيع ، وأجاز في « الوارى » - وهو السمين - ثلاثة أوجه ، الأول أن يكون وصفا للسديف ، وهو قطع السنام ، فيكون منصوبا ، وتكون الفتحة مقدرة للروى ، والثاني أن يكون كذلك وصفا للسنام ، وهو في موضع جر على الجوار للمربع ، والثالث أن يكون وصفا للمربع على النسب أي ذات الورى وهو السمن . ولم يقل : الوارية نظرا لكونه صيغة نسب . وعلى ذلك يقال : تحية عاطر لا عاطرة . وقد ظهر لى أن الواجب أن يقال : تحية عاطرة على حد قوله تعالى : «فهو في عيشة راضية» ففي بعض الوجوه أن « راضية » معناها ذات رضا ، على النسب ، ومع ذلك جاء فيها التأنيث . ومن ذلك قول الشاعر :

لقد عيل الأيتام طعنة ناشره أناشر لا زالت يمينك آشره

فآشرة أي ذات أشر وهو الشق ، وذلك أن يقع الشق عليها ، ولا يريد أن يقع الشق منها ، فإنه يدعو عليه ، ولا يدعو له ، فترى أنها صيغة نسب ، وقد قرنت بالتاء . وإنما يجرد من التاء إذا غلب الوصف في المؤنث كمرضع وحائض . وانظر الخصائص (طبعة الدار) ١ / ١٥٢

« الورى »

الورى : الخلق ويبدو من شعر ذى الرمة الآتى اختصاصه بالأناسى . ويكثر في وصف الرسول عليه الصلاة والسلام ، فيقال : خير الورى وأفضل الورى . ويقول ابن مالك في ديباجة لامية الأفعال :

الحمد لله لا أبغى به بدلا حمدا يبلغ من رضوانه الأملا
ثم الصلاة على خير الورى وعلى ساداتنا آله وصحبه الفضلا

وعهدنا بالورى واردا في الإثبات كالنفي على السواء . ولكنى وقفت في اللسان على أنه لا يكون إلا في اسلوب النفي والجحد . وهاك عبارته في ترجمة (ورى) : « الورى : الخلق . تقول العرب : ما أدرى أي الورى هو ، أي أي الخلق هو . قال ذو الرمة :

وكائن ذعرنا من مهاة ورامح بلاد الورى ليست له ببلاد

قال ابن برى : قال ابن جنى : لا يستعمل الورى إلا فى النفى . وإنمـا سوغ لذى الرمة استعماله واجبا لأنه فى المعنى منفى ؛ كأنه قال : ليست بلاد الورى له ببلاد ، والمهاة البقرة الوحشية ، والراح : الثور الوحشى ، سمى بذلك لمـكان قرنيه فـكأنهما رمحان له .

ولم أقف على مكان هذا الحـكم فيما وقفت عليه من كتب ابن جنى ، وقد بحثت عن مصدره فى ذلك فبدا لى أنه قد يكون كلام ابن السكيت فى إصلاح المنطق ، وإذا كان كذلك ساغ لنا بعد التأمل أن نعدل عنه ، ولا نرى رأيه . وذلك أن ابن السكيت عقد بابا لمـا لا يتـكلم به إلا مع الجحد ، ثم عقد بابا [1] ذكر فيه العبارات التى تقال فى معنى : ما أدرى أى الخلق هو فقال : يقال : ما أدرى أى الناس هو ، وما أدرى أى الورى هو ، وما أدرى أى الطمش هو إلى آخر الباب . وكأن بعض اللغويين يفهمون من هذا اختصاص هذه الـكلمات بالنفى ، حتى إن الأزهرى قال فى الطمش : « وقد يستعمل غير منفى الأول ، قال رؤبة :

وما نجا من حشرها المحشوش وحش ولا طمش من الطموش

وكأنه يريد التعقيب على كلام ابن السكيت ، وابن السكيت لا يريد الاختصاص بالنفى ، فقد ذكر فى عبارات الباب ما أدرى أى الأنام هو ، ولا يخطر بذهن أحد أن الأنام مختص بالنفى ، وفى التنزيل العزيز : « والأرض وضعها للأنام » . وكذلك ذكر ابن السكيت فى عبارات الباب ما أدرى أى خابط الليل هو ، ولا يجرى بخلد أحد أن خابط الليل لا يكون فى الإثبات . فنحن فى سعة إذا أن نخالف ابن جنى ومن لف لفه ، وأن نعتمد صحة ما جرى فى استعماله فى الواجب . ومما جاء من ذلك فى الشعر القديم قول شاعر بنى حنيفة فى مسيلمة الـكذاب :

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

ويرد الشطر الثانى كثيرا فى الـكتب فى الـكلام على اختصاص الرحمن بالله سبحانه ، وقد ذكره الزمخشرى فى مفتتح الـكشاف .

محمد على النجار

---

[1] انظر ص ٤٣٣ من إصلاح المنطق طبعة المعارف .

المثالية الواقعية

فى الفـكرة الدينية

مثالية ... وواقعية :

من المصطلحات التى شاع تداولها فى هذا العصر ، كلمة « المثالية » وكلمة « الواقعية »

فإذا دعوت إلى صورة من صور الخلق النبيل ، قيل لك : هذه مثالية ...

وإذا دعوت إلى الأديان وإلى فضائل الأديان ، قيل لك : كن واقعياً ...

فما هى المثالية ؟ وما هى الواقعية ؟

أسئلة يجب أن تتقرر إجاباتها فى وضوح ، حتى لا يتيه شبابنا بين زيف الألفاظ وشقشقتها.

حقيقة المثالية :

ونحن نرد على السؤال بالسؤال ، فإن الحرب اليوم تقول : إن أحسن طرائق الدفاع هى الهجوم .

لذلك نتساءل : ما منع المثالية أن تكون واقعية ؟؟ ولم لا يكون المثل الأعلى واقعياً ، ولم لا يكون الواقع القائم مثالياً ؟؟

ومن الذى حتم أن تكون المثالية والواقعية كلمتين متقابلتين متضادتين ؟؟

وهل تندك الأرض وتنطبق السماء إذا جعلنا المقابل للواقع ، هو الخيال ـ فنقول : خيالية وواقعية ، بدلا من أن نقول مثالية وواقعية ؟؟

وهل يجوز أن تنطلى على العقول مؤامرات الشياطين من الإنس والجن التى تريد أن تزيح الخير والفضيلة من الوجود ، فهى لا تفتأ تحاول أن تقنع أصحاب العقول بأن لا مكان للخير والفضيلة فى العالم.. من ناحية الواقع !!

مثالية الدين :

وإذا صح أن هناك مثالية تقابل الواقعية ، فهيهات أن تكون هذه المثالية مثالية الدين .

ذلك أن صانع الدين هو صانع الإنسان وصانع الدنيا ، فمن المستحيل أن يتضارب دين الله مع الناس ومع دنيا الناس « فأقم وجهك للدين حنيفاً ... فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » !!!

وكل من يدين لله ، يقر له بالكمال والقدرة والعلم والوحدانية . ومن التناقض المعيب بعد هذا الإيمان ، أن ينكص المرء فيعود ليقول : إن مثالية الدين لا تصلح لواقع العصر ، لأن مؤدى هذا طعن فيما ينبغي لصاحب الدين من كمال تخلو به أفعاله من أى نقص ، وقدرة يبرأ بها صنعه من العجز ، وعلم يكفل الإحاطة الشاملة بواقع عصرنا ، وواقع ما قبل عصرنا وما بعد عصرنا ؟؟

لم يبق إلا أن يكون الإله الذى صاغ الدين ، غير الإله الذى خلق الدنيا وخلق الناس ، ومن وصلت عقيدته إلى مثل هذه الزلزلة وهذا التخبط والتخليط فعليه أن يرجع أدراجه ، ليستروح نسائم الإيمان من أول الطريق !

واقعية الدين ... فى وسائطه :

إن مثالية الدين واقعية فى كل شيء ...

هى واقعية حين تختار الحكمة الإلهية « وسطاً حياً » عن طريقه يمر الوحى من السماء إلى الأرض ... إن هذا الوسط « إنسان » له كل خواص البشرية ، وإن هـذا الوسط يستوعب الوحى فلا يخرم منه حرفا ، ويبلغه فلا يتقول فى ذلك الأقاويل ، ويكون صورة مجسمة لهديه وأحكامه ، تسعى بين الناس فى الأرض كتابا منشوراً من الأخلاق والأقوال والأعمال ، يقرأه من لا يعرف القراءة ، ويأخذ عنه من لا ينطق بلغته ولسانه ...

« قل إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد » .

هـذه النبـوة ... هى أصدق مثال لواقعيـة الدين .

إن الله لا يخاطب كل إنسان عن طريق مباشر ، لأن هذا أمر ليس فى طاقة كل إنسان « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى صعقا » .

وإن الله لا يرسل ملكا ، لأن الملك لا يتوافق بطبيعته الملائكية مع الطبيعة البشرية « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون » .

« ولو جعلناه ملكا ـــ لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون » !!!

« وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبعث الله بشراً رسولا » ؟؟

« قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » .

لكن الله يرسل بشراً ، يختاره ويجتبيه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصنعه على عينه ، ويؤدبه فيحسن تأديبه ، ثم يبعثه فى الناس فيكون وسطاً بشرياً للوحى الإلهى ، هو من الناس وإليهم ، وهو يعيش بين ظهرانيهم ، به يأنسون ، وإليه يطمئنون ، وعنه يتلقون ...

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه .

قل سبحان ربى ، هل كنت إلا بشرا رسولا ، ؟ ؟ ؟ ؟

« وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى إليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا ...... »

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ـ أتصبرون ، وكان ربك بصيرا . وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة ، أو نرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم ، وعتوا عتوا كبيراً » .

وقد يقال هنا : إن الناس أنفسهم كانوا يطلبون من مقام النبوة طبيعة غير بشرية ، أفلا تكون إجابتهم لطلبهم مراعاة لواقع حالهم ، وإبطالا لحجتهم ؟ ؟

والجواب هنا ... لا

إن الواقعية هنا هى ما اقتضته الحكمة الإلهية فى الطبيعة البشرية ، أما هذه المطالب الشاذة فهى ليست طبيعية بالنسبة لعموم البشر ، ولعموم الزمن .

لربما بهرت هذه التهاويل أعين البعض ، ولكنها ليست المستوى المعتدل الوسيط الذى يلتقى عليه الناس كلهم ، ولربما استرضت جيلا يحس ويشاهد ، ولكن ما ذنب باقى الأجيال ؟ ؟

بل إن هؤلاء الشاذين سوف يكونون كذلك بالنسبة لأى وضع « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » فقضيتهم

ليست قضية الحجة والدليل بأى حال ، قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون . فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً» .

وهذه النبوة قد يصاحبها كتاب ...

وهذا الكتاب وسيط واقعى ، يسجل فيه التخطيط الرئيسى لأصول الدين ومعالمه .

ولقد كان هذا الكتاب فى الأديان واقعياً ، إذ كان متطوراً « لكل أجل كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب » .

وكان الاعتماد الرئيسى على الكتاب الحكيم آخر رسالات الله وأكملها ، حين نضجت البشرية وأصبحت مستعدة للتلقى عن الكتاب ، وللتجريد العقلى فى الفهم عن الكتاب ، فجاء الإسلام خاتم الأديان ومعه الكتاب الخالد والمعجزة الخالدة « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

يقول أحد المعاصرين : « إن حكمة الله اقتضت ألا تكون الخوارق دعامة لنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وبرهانا على صحة رسالته وصدق دعوته التى جاءت بأسلوب جديد ، هو أسلوب لفت النظر إلى الكون وما فيه من آيات باهرة ، والبرهنة بها على وجود الله وقدرته الشاملة ، ووحدته واستحقاقه وحده للخضوع والعبادة والاتجاه ، وبطلان الشرك والوثنية وسائر العقائد والتقاليد المتناقضة مع هذا الأصل النقى البسيط ، ثم أسلوب مخاطبة العقل والقلب فى الحث على الفضائل والتنفير من الرذائل ، وإثبات قدرة الله على الحياة الأخرى وفكرة الحق والعدل فيها ، وعلى اعتبار أن الدعوة التى تقوم على تقرير وجود الله واستحقاقه وحده للعبودية واتصافه بجميع صفات الكمال ، وعلى التزام الفضائل واجتناب الفواحش هى فى غنى عن معجزات خارقة للعادة لا تتصل بها بالذات » .

« وفى هذا ما فيه من وضوح مزية الرسالة المحمدية ، وترشيحها للخلود والتعميم ، وآيات الأنبياء السابقين الخارقة حادثات وقعت وانقضت ، ولكن أسلوب الدعوة القرآنية هذا الذى اختلف كل الاختلاف عن أسلوب الكتب المنزلة على بعض أولئك الأنبياء ، هو أسلوب خالد حى قوى فى كل زمان ومكان ببراهينه ودلائله وحيويته ونفوذه وفصاحته ومعقوليته ومنطقه وسموه ، ولذلك كان وظل معجزة النبوة الخالدة الكبرى من هذه النواحى [1] » .

---

(١) سيرة الرسول لمحمد عزة دروزة ـ طبعة التجارية ـ حـ ١ ص ٢٢٦ . وهذا لا ينفى طبعا وقوع معجزات حسية تعتبر فى منزلة تالية لمنزلة القرآن كمعجزة . راجع المصدر نفسه ص ٢٢٦ ـ ٢٣٢ .

هذا الكتاب نفسه [1] — وهو وسيط واقعى — تناول الحقائق الأساسية فى دين الله بأسلوب هو معجز لأنه من عند الله ، وهو معجز لأنه ملائم للبشر فى كل زمان ومكان .

فهو مزيج متجانس من اللفظ والمعنى ، من العلم والفن ، من التشريع والتربية ...

لا يتناول التقريرات والنصوص والأحكام الشرعية والنواميس الكونية والاجتماعية تناولا جافا يضيق به غير المتخصصين . . . ولا يرضى سذاجة العامة بنوع من المعزوفات اللفظية التى تستغرق منهم جانب الوله العاطفى ، وتدع الواحد منهم يتراقص فى نشوته بغير معالم محددة وأصول واضحة ... بغير ثقافة أساسية وشريعة بينة ... ...

وهو لا يجمع بين الجانبين كما يجتمع الزيت والماء ، يطفو أحـــدهما على الآخر ولا يختلطان ، فيضحى كتاب الله عضين ، منه جانب للعامة وآخر للخاصة ، ومنه قسم للمعاش وآخر للمعاد ، ومنه باب للشريعة وآخر للحقيقة ، بل إنه محبوك الأطراف ، متصل الحلقات أعلاه مثمر ، وأسفله مغدق . ومن شاء البيان للمثال ، فليراجع آية الدين فى آخر البقرة ، ويرى كيف تعانقت نصوص التشريع مع روحانية التربية ...

ثم من شاء البيان للمثال ، فليستمع إلى خطيب يخطب ، والمستمعون بين فاهم وغير فاهم ومتجاوب وغير متجاوب ، حتى إذا قرع الأسماع بآية من كتاب الله إذا بالجمع ينتفض انتفاضة الوعى ... على اختلاف الدرجات ! ! ! « وإنه لكتاب عزيز .

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .

« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

إن الفكرة الدينية واقعية من حيث الشكل الذى اتخـــذته للوصول إلى الناس ...

النبوة ، والكتاب « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » وهى واقعية كذلك من حيث الموضوع ، أى من حيث أصولها وقواعدها وتفصيل هذا يحتاج إلى غير هذا المقال .

محمد فتحى محمد عثمان
مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

---

(١) نقصد هنا القرآن ، لأنه هو الكتاب الربانى المقطوع بصحته سندا ومتنا ، جملة وتفصيلا .

من نفحات اقبال

شاعر الاسلام الأكبر

لقد جرى العرف الباكستانى الحديث على وصف الشاعر إقبال بوصفين هما : « شاعر الإسلام ، وملهم الباكستان » ؛ والوصفان صادقان كل الصدق فى صاحبهما ، وهو بهما جدير كل الجدارة ؛ فقد عاش إقبال للإسلام ، يدرسه ويتغنى به ، ويدعو إليه فى شعر قوى عميق ، وفلسفة دقيقة مثيرة ، وإيمان ثابت وطيد .

وكان إقبال ملهم الباكستان ، لأنه أول من نادى بفكرتها ، وصرح بالدعوة إليها ، فى وقت كان التفكير فى ذلك الأمر يعد ضرباً من ضروب الخيال البعيدة ، وفى وقت كانت جميع العوامل الظاهرة تدعو إلى الابتعاد عن ذلك التفكير ؛ ولكن الشعراء الأتقياء الأصحاء هم الناس ، وهم الذين يرون ما لا يراه سواهم ؛ ولقد كان إقبال يرى بعين الخيال وطناً مؤمناً ، ينهض فى شبه القارة ، فيكون أملا للإسلام والمسلمين .

على أنه من حق إقبال ، أو من واجب القائمين بتخليده وتمجيده ، ألا يجعلوه ملهم الباكستان فحسب ؛ فإنه ملهم للمسلم أينما كان ، لأنه عاش يردد قوى الهتاف وعذب النغم حول تعاليم الإسلام ، وسنة محمد ، وأمجاد المسلمين .

وإذا كان اختلاف لغة إقبال عن لغات كثير من المسلمين سبباً فى الحيلولة بينهم وبين ينابيع إقبال الفياضة ، فمن الواجب على المشتغلين بشأن إقبال أن يتعجلوا نقل الآثار الإقبالية كلها إلى لغات العالم الإسلامى الذائعة ، وفى طليعتها اللغة العربية ، لغة القرآن المجيد ، ولغة محمد عليه الصلاة والسلام .

ويوم يتم نقل آثار إقبال إلى لغات المسلمين سيكون ملهماً لهؤلاء المسلمين جميعا ، لا للباكستان الشقيقة وحدها ؛ وأظن أن هذا مما تسر به الباكستان وتفرح له : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

وقد يزيد هذا المعنى الإسلامى تأكدا أن إقبالا - عليه الرحمة - طعم أول ماطعم من مائدة المسلم الأساسية المشتركة بين عباد الله المؤمنين جميعا ، وهى مائدة القرآن الكريم ؛ فقد حدث إقبال عن نفسه بأن الفضل فيما أنشأه من شعر ونثر يعود إلى القرآن . . .

كان إقبال قد تعود أن يقرأ القرآن بعد صلاة الصبح ، وكلما رآه والده يقرأ سأله : ماذا تصنع يا إقبال ؟ فيجيب : أقرأ القرآن . . . ومرت ثلاث سنوات والقراءة تتكرر من الولد ، والسؤال يتكرر من الوالد ، والجواب هو نفس الجواب.

وذات صباح قال إقبال لأبيه : ولكن لماذا تسألنى عن شىء أنت بجوابه عليم ؟ فأجاب والد إقبال : « إنما أردت أن أقول لك : اقرأ القرآن كأنه نزل عليك » .

يقول إقبال : « ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه ، فكان من أنواره ما اقتبست ، ومن بحره ما نظمت » .

ولعل هذه المائدة القرآنية الربانية العجيبة ، الحافلة بالطعوم والآكال ، المثيرة للعقل والوجدان والخيال ، الذاهبة بقلب المؤمن فى كل مجال سماوى وأفق علوى ، هى التى أوجدت فى نفس إقبال تلك الهمة البعيدة التى لا تقف عند حد ، ولا تقنع فى باب الكمالات بغاية . وقد ترجم إقبال عن تساميه الموصول ترجمة قوية أجراها على لسان الشاعر فى حوار له مع الحور العين ؛ فيقول :

ماذا أقول وفطرتى ... لا ترتضى دعة المنازل
قلبى على قلق ، كما ... تهفو الصبا حول الخمائل
فإذا نظرت إلى جميل ... رائع ، حلو الشمائل
خفق الفؤاد إلى الذى ... يعلوه حسناً فى المحافل
فمن الشرار ، إلى النجوم ... إلى الشموس ، رقى آمل
إنى ليهلكنى القرار ، فما ... أعوج على المراحل
وإذا شربت من الربيع ... الكأس تسرى فى المفاصل
أشدو بشعر آخر ... وربيعى الآتى أغازل
طلبى النهاية فى الذى ... لا ينتهى فيه المسائل
لا صابر نظرى ، ولا ... قلبى عن الآمال غافل !

ولو أن إقبالا اقتصر فى ثقافته على البيئة الشرقية لظن الغافلون بآرائه الظنون ؛ ولقالوا عنه : إنه صورة لمجتمعه الشرقى الرجعى المحافظ ، ونموذج لمواطنيه الهائمين خلف عتيق الخيالات والتصورات ؛ ولكن شاعر الإسلام تنقل وارتحل ، ودرس فى الغرب كما درس فى الشرق ، ونال ثقافات ودرجات من انجلترا وألمانيا وسويسرا ، ثم عاد إلى شبه القارة ، وهو أكثر إيمانا بربه ، وأوثق يقينا بدينه ، وأشد صلابة فى روحه الإسلامى ، وأبعد همة فى التبشير بتعاليم محمد عليه الصلاة والسلام ، ويدلنا على هذا الإيمان عند إقبال أن أحد زملائه فى جامعة كمبردج سأله :

لماذا بعث الله الأنبياء ومؤسسى الأديان من آسيا ، ولم يبعث أحداً منهم من أوربا ؟ فأجابه إقبال ساخرا :

لأن العالم مقسم بين الله والشيطان ، ولما كانت آسيا نصيب الله كانت أوربا من نصيب الشيطان !... فقال قائل : قد عرفنا رسل الله ، فأين رسل الشيطان ؟ فأجابه إقبال : رسل الشيطان هم زعماء سياسة الخداع والمكر فى أوربا ! ...

ولعل إقبالا قد زاد رأيه فى الغرب إيضاحا حين يقول :

أهدت الشام إلى الغرب نبيا ... هو عف ، ومواس ، وصبور
ومن الغرب إلى الشام هدايا ... من قمار ، ونساء ، وخمور !

* * *

ليس غريبا بعد هذا على إقبال ، كما أنه ليس غريبا علينا أن يعلق شاعر الإسلام أكبر أمله على المسلم فى إصلاح العالم وإشاعة الحق ومجاهدة الباطل ؛ ولذلك نراه فى شعره يكرر الحديث عن ذلك المسلم ، واصفاً إياه بصفات البطولة والمجد ، ولم أر شاعراً يتصور للمسلم صورة مثالية عالية ، كتلك الصورة التى يرسمها إقبال للمسلم فى مواضع كثيرة من شعره .

إنه يصور المسلم حينا كأنه ماء فى رقته ، وحديد فى شدته ، يهزأ بالصعاب ، ويعلو على التراب ، ويسرى مع الأفلاك ، ويجرى مع الأملاك .

يبتسم المسلم في سلمه عن رقة الماء ولين الحرير
وتبصر الفولاذ في عزمه إذا دعا الحرب ونادى النفير

يمشي على الأشواك والنا ر والسيف،ويمضي ساخراً بالعذاب
فهـــو ترابي ، ولـكنه حر ، طليق من قيود التراب

المسلم الصادق في عزمه ينـازع الأقمار تاج الفلك
لا يجعل العصفور صيداً له لـكنه يرقى لصيد الملك

وها هو ذا يتحـدث عن « المؤمن » فيراه في تصرفاته الحـكيمة وكلماته القوية دليلا على الخالق ، وبرهانا على ألوهية البديع الخبير ؛ ففيه طهارة وقوة ورحمة ، وفيه سمو واستعلاء ، وفيه عدالة ووفاء ، وإذا ما جاءت أوقات السكينة والرحـة ، تفجر قلب المؤمن بالحنان والسلام ، فـكأنه الندى يداعب الأكمام ، وإذا ما أقبلت ساعات البأس ولحظات الصدام ، كان الطوفان الجارف أو السيف الصمصام .

إن للمؤمن العجيب الشان كل حـــين جديد شان وآن
هو في قوله السديد وفي الفعل على الله واضح البرهان
فيـه قدسـية ، إلى جبروت ومن القهر فيـه ، والغفران
إن تؤلف هـذي العناصر كان المسلم المستعلي على الحـدثان
هو ترب سما يجاور جبريل ويأبى الحلول في الأوطـان
لست تدري بسره ، فتراه قارئا وهو صورة القرآن
فيه عزم ، على القضـاء دليل وهو في العالمين كالميزان
هو برد الندى بقلب شقيق وبقـلب البحار كالطوفان
ليله والنهار لحن حياة في انسجام كسورة الرحمن !

ويتحدث إقبال عن المؤمنين ، فنراه يصفهم بالتوكل الصادق العازم المقدم : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدرا » . وهم لا يعرفون الخوف ولا يعرفهم « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . ولو مر الضعيف الفقير من هؤلاء المؤمنين على أطغى الطغاة وأفجر البشر لما خاف أو فزع ، بل لقال كلمة الحق لا يخشى فيها لومة لائم ، وما كان ذلك إلا لأنهم يثقون بالله ، ويرجونه ، ويسألونه ولا يسألون أحدا سواه .

وترى المؤمن من المؤمنين فى مواطن الهول ومواقف الفزع ، فإذا هو كالجبل رزينة وثباتا ، ولا عجب فإنه من كملة قنعوا ورضوا فصاروا أغنياء ، وهو لذلك يدعو المسلمين إلى ترك الحزن ، ويحرضهم على فقر الاستغناء ، لأن أعراض الحياة وملذاتها ليست غرض الأحرار ، ولكنها قيود العبيد . . . يقول إقبال من قصيد طويل :

المؤمنون على عنا ... ية ربهم يتوكلون
لا خوف يفزعهم ، ولا ... هم فى الحوادث يحزنون
لو مر أضعفهم على ... فرعون يجـتز الرءوسا
لأراك فى الإفصاح ها ... رونا ، وفى الإيمان موسى
إنى رأيت الخوف فى الـ ... ـدنيا عدواً للعمل
هو مطفىء نور الرجاء ... ء ، وسالب كنز الأمل
... ...
المؤمن الوثاب تعـ ... ـصمة من الهول السكينة
والخائف الهياب يغرق ... وهو فى ظل السفينة !

وهكذا لا نكون مغالين حين نقرر أن إقبالا قد عاش وهمه أن يرسم الصورة الكاملة للشخصية المسلمة المؤمنة ؛ ولعله قد نجح فى ذلك نجاحا بعيدا ، ولعل من أسباب نجاحه أنه كان فى نفسه مسلما مؤمنا ، وأنه كان يقول ويعمل ؛ وأقرب مثال على صدق إقبال أنه كان يتحدث عن شجاعة المؤمن وترحيبه بالموت ، فيقول :

لا أرى مؤمنا يخالجه الخو ... ف إذا أقبل القضاء عليه
يتلقى الردى بصبر جميل ... وابتسام الرضى على شفتيه

ولما حانت ساعة الامتحان لإقبال ، وهى ساعة الموت ، ظهر لنا صدقه فيما قال ، فقد استقبل الموت وكأنه عروس تزف إليه على هوى وتشوق ، وجعل يقول عن إيمان ويقين : إنى لا أرهب الموت ولا أخشى الردى ، إنى مسلم أستقبل المنية راضيا مسرورا . . .

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

أزمة الثقافة فى مصر (*)

تجتاح مصر الآن أزمة ثقافيه .

هذه حقيقة يلمسها كل من ينظر نظرة متفحصة لمستوى المتعلمين الفكرى . وليس طبيعيا أن نتخذ غير المتعلمين مقياساً للمستوى الثقافى فى الامة ، فليس المثقفون هنا هم أولئك الذين يجيدون القراءة والكتابة أو من يمكن أن نسميهم غير الأميين ، ولكن هم أولئك الذين نالوا مقادير صالحة من شتى صنوف المعرفة .

ما هى الثقافة ؟

هى — بكل إيجاز — مشاركة الكائن الحى فى كل جوانب الحياة من حوله .

مشاركة فى الحياة العلمية ، العملية منها والنظرية ، مشاركة يفيد فيها الإنسان ألوانا من الخبرات .

ومشاركة فى الحياة السياسية يتصل فيها الكائن اتصالا قويا بالتيارات السياسية العالمية ، وبالمذاهب السياسية المصطرعة التى تسود العالم .

ومشاركة فى المعتقدات ، يحدد فيها الكائن موقفه الروحى حيث يزاول نشاطه الوجدانى مزاولة تكفل له حياة متوازنة فى صميم تكوينه ، متوازنة مع نشاط الآخرين ومعتقداتهم .

ومشاركة فى الحياة الأخلاقية يتصل فيها الكائن بالقيم العامة لسلوك الفرد والجماعة ، ويحدد من خلالها علاقته بالآخرين .

ومشاركة فى الحياة الفنية يصيب فيها الكائن معرفة واسعة بالتيارات الفنية والادبية لا فى أمة بعينها بل فى العالم أجمع .

(*) هذا المقال موجه إلى الأستاذ محمد خليفة بخاصة بمناسبة مقاله عن الركود الثقافى .

إنها مشاركة فى كل شىء . وليس يهمنا موقف الشخص من تلك الجوانب المتعددة للحياة أى نزعة يمثل ، ولكن الذى نتطلبه فيه — كيما يكون شخصا مثقفا — هو أن يكون له دائما موقف ما من هذه الجوانب .

ما هى مصادر الثقافة ؟

الثقافة بما هى خبرة بجوانب الحياة تأتى عادة من مصدرين : الخبرة العملية ، والمعرفة التحصيلية . والخبرة العملية تحصل نتيجة احتكاك أو اصطدام وتفاعل بين الكائن وبين جوانب الحياة المختلفة ، وهى معركة كل إنسان ، ولكن أحسن النتائج التى يمكن أن تسفر عنها هذه المعركة هى تلك التى تحصل فى حالة ازدواج الخبرة ، أى اشتراك المعرفة التحصيلية مع المعرفة الأخرى الناتجة عن الخبرة العملية .

أما المعرفة التحصيلية فهى المعرفة التى يجنى فيها الإنسان ثمار تجارب الآخرين . ولا ينكر أحد ما لتجارب الآخرين من فضل على كل منا فى تحديد مكانه الثقافى من المجتمع . ولعلى لا أغلو إذا قلت إن أغلب معرفتنا معرفة تحصيلية ، والقليل من هذه المعرفة ما هو نتيج لخبرتنا الشخصية .

فالحياة التى نحياها بين الناس فى العالم مصدر من مصادر ثقافتنا .

والحياة التى نحياها من خلال تجارب الآخرين مصدر آخر من مصادر ثقافتنا .

ويمتزج هذان المصدران فى نفس كل إنسان ، ويتفاعلان بحيث يخيل إلى كل منا أن ثقافته كلها ملكه ومن عرق جبينه . ومهما يكن أمر هذا الخيال فالذى لا شك فيه أن توافر الخبرات الناتجة عن هذين المصدرين يكفل للإنسان ثقافة ممتازة .

ونقول الآن : إن فى مصر أزمة ثقافية .

ولا بد أن يكون لهذه الأزمة سبب .

ونستطيع بديا أن نرد هذه الأزمة إلى سببين ظاهرين :

السبب الأول هو عدم التكامل بين خبرة الأفراد العملية فى الحياة ومعرفتهم التحصيلية ، فالأفراد عندنا - وهم أساس المجتمع - ينقسمون نوعين : نوعا تكون كل ثقافته تجارب عملية

ونوعا كل ثقافته معرفة تحصيلية . وكلا النوعين مستقلا لا يمكن أن يكون مصدراً كافيا للثقافة اللازمة لكل إنسان . فينبغى أن يتكامل هذان النوعان فتكون للفرد الواحد مشاركته العملية فى الحياة ، ومعرفته التحصيلية .

والسبب الثانى هو - فيما يبدو - عدم التوازن بين الفرد والمجتمع ، بين حياتنا الخاصة والحياة العامة . وينقسم الناس هنا فريقين : فريقا يعيش أغلب ما يعيش حياته هو ولا تعنيه كثيراً حياة الآخرين ، وفريقا يعيش طفيليا يعتمد على كتف هذا ، ويستند إلى ذراع ذاك ، فهو يأخذ أكثر مما يبذل . وكلا الفريقين لا يعين على قيام ثقافة إنسانية عامة ، ولا بد من التوازن بين واقع الأفراد وواقع المجتمع حتى تجنى ثمار هذه الثقافة .

وظنى أن هذين السببين الظاهرين لا يكفيان لتفسير ظاهرة الأزمة الثقافية ما لم ندرك السبب الأصيل - فى رأيى - لهذه الأزمة . وأستطيع أن أدل على هذا السبب عندما أطلق هذا الحكم فى كثير من الاطمئنان فأقول :

إن أزمة الثقافة فى مصر أزمة أخلاقية قبل أن تكون أزمة ثقافية .

والسؤال المتوقع هنا لا محالة هو : وما علاقة الثقافة بالأخلاق ؟

إذا أخذنا الأخلاق على أنها معرفة بالواجب ، وشعور بالمسئولية ، وسلوك يوازى هذه المعرفة وهذا الشعور ، كانت الأخلاق ألزم ما يلزم لكل نهضة ثقافية . والمحنة الأخلاقية التى نجتازها الآن جاءت نتيجة لتجاهل الواجب ، وفقدانا للشعور بالمسئولية ، وكان السلوك المصاحب لذلك بطبيعة الحال لا يقيم وزنا لواجب ، ولا يصدر عن أى شعور بالمسئولية .

على هذا الأساس نستطيع أن نفهم السببين السابقين ؛ فعدم تكامل المعرفة والخبرة جاء نتيجة لفقدان الثقة ، ثقة الأفراد فيما يقدمه لهم الآخرون . وفقدانهم ثقتهم فى هؤلاء الآخرين راجع إليهم لأنهم هم أنفسهم لا يخلصون فيما يقدمون للآخرين من خبرات أو معارف . ويوم يفقد الناس بعضهم ثقته فى البعض الآخر يحدث الصدع الأخلاقى الذى يعفى كل فرد من المسئولية تجاه الآخرين . وقلما يقوم الإنسان بواجبه على أحسن وجه إذا هو أعفى من كل مسئولية . ومن هنا استطاع كل دجال أن يعد نفسه مثقفاً ، وأن يقدم ثقافته القشرية إلى الآخرين ، فيخدعهم بها عن نفسه ، ويخدعهم بها عن الحقيقة .

كم عدد الذين يكتبون ، ولكن ما أضيع الصدق والإخلاص فيما يكتبون !

كم عدد المقالات التى نقرؤها كل يوم . ولكن ما أضيع الحقيقة بين هذه القشور !

وعلى هذا الأساس الأخلاقى نفسه نستطيع أن نفهم السبب الثانى الذى تقدم . فعدم التوازن بين الفرد والمجتمع مرجعه إلى أن الفرد إما مهتم بنفسه وحدها ، يريد أن يوفر لها كل ما تشتهى وإن اصطدمت هذه الشهوة بحقوق الآخرين ، وإما غافل عن حقوقه بما هو إنسان له كيانه ووجوده الذى ينبغى أن يكون كريما . و فى كلتا الحالين يحدث الصدع الأخلاقى ؛ يحدث فى الأولى نتيجة لفقدانه المسئولية إزاء الآخرين ، ويحدث فى الثانية نتيجة لفقدانه إياها إزاء نفسه .

وهو فى الحال الأولى : يحبس خبرته ومعرفته لنفسه وحدها ولا يتقدم بها إلى الآخرين الذين يشاركونه الحياة .

وهو فى الثانية : يعيش على موائد الآخرين يقضم من خبرة هذا ، ويلوك من معرفة ذاك ، دون أن يبذل هو من جانبه الجهد الذى يحصل به لنفسه مثل هذه الخبرة وهذه المعرفة أو حتى ذلك الجهد الذى يهضم ويتمثل به ما اختطفه من موائد الآخرين .

وأمام هذا الصدع الأخلاقى لم يكن بد من أن ينحط مستوى الثقافة فى مصر الآن . ولن يكفل لنا نهضة ثقافية محترمة إلا أن يرأب هذا الصدع فيحدث التكامل والتوازن بين الفرد والمجتمع .

عز الدين اسماعيل

عناية العرب بلغة شعرهم

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف فى كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

عدى بن الرقاع

غزوة أُحُد

— ٣ —

صيحة القتال :

كان أبو عامر الراهب الأوسى أول من أنشب الحرب بين المسلمين والمشركين ، وقد كان فى المدينة ، فلما هاجر الرسول إليها حسده وكفر به وذهب إلى مكة يحرض قريشا على قتاله .

وفى غزوة أحد هذه اشترك مع قريش ومعه خمسة عشر رجلا من الأوس وكثير من عبيد أهل مكة ، وقد زعم لقريش أنه إذا نادى أهله من الأوس المسلمين الذين يحاربون فى صفوف المسلمين استجابوا له وانضموا معه ضد المسلمين ، ولكن خاب ظنه : فإنه لما خرج من صفوف قريش ونادى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر !! ...

أجابه الأوس المسلمون :

لا أنعم الله بك عينا يا فاسق !! ، فلما سمع ردهم عليه قال : لقد أصاب قومى بعدى شر .

ثم ترامى الجيشان بالحجارة حتى ولى أبو عامر وأصحابه يجرون أذيال الخيبة والهزيمة وعلى أثر ذلك صاح حمزة عم النبى صيحة القتال « أمت أمت » .

وهكذا اشتبك الفريقان فى القتال . وكانت نساء قريش يمشين خلال الصفوف يضربن بالدفوف والطبول وعلى رأسهن هند زوج أبى سفيان وينشدن الأناشيد المحرضة على القتال فكن يقلن :

ويهاً [1] بنى عبد الدار ويها حماة الأدبار
ضربا بكل بتار

اشتداد القتال :

اشتد القتال وأخذ المشركرن يتساقطون صرعى : الواحد تلو الآخر ، وكانوا يعتزون

---

(١) ويها : كلمة إغراء وتحريض كما تقول دونك يا فلان .

بلوائهم ، ويعتبرون حمله شرفا والذود عنه غاية الجهاد ، وكان يحمل هذا اللواء طلحة بن عبد الدار فخرج بين الصفين فقال :

يا أصحاب محمد زعمتم أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة فهل أحد منكم يعجلنى بسيفه إلى النار أو أعجله بسيفى إلى الجنة . كذبتم واللات والعزى ، لو تعلمون ذلك حقا لخرج إلى بعضكم ، فخرج إليه على بن أبى طالب ذلك البطل الفارس فلقيه بسيفه فقتله ، وبذلك سقط حامل اللواء الأول ، ومنذ تلك اللحظة بدأت معركة مريرة حول هذا اللواء كانت نتيجتها الموت المحقق لكل من حدثته نفسه بحمله ، فقد تتابع عشرة من المشركين على حمله فقتلوا جميعا ، وكان منهم أولاد طلحة الاربعة وأخواه .

وهكذا سقط لواء المشركين على الأرض فلم يزل طريحا لا يستطيع أحد أن يقدم على حمله لما رأوه من حظ جميع حامليه من موت محقق ، حتى تقدمت عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فاستداروا حوله بأجسادهم عارا وخزيا .

وهكذا عجل الله المشركين إلى النار بسيوف المسلمين .

وهذا - لاشك - من أهم العوامل التى أضعفت من روح قريش المعنوية ، وجعلت روح اليأس تدب فى قلوب رجالها حتى ولى أكثرهم الأدبار فرارا بأرواحهم .

نصر .. ولكن ؟!

بعد سقوط أصحاب اللواء جميعا اشتدت الحال بالمشركين حتى اضطروا إلى الجلاء عن المعركة والانسحاب تاركين وراءهم ما يفوق الوصف من الغنائم ، فأكب المسلمون على هذه الغنائم يصيبون منها ما تصل إليه أيديهم . حرك ذلك المشهد مشاعر الرماة الذين أمروا ألا يبارحوا الممر بأى حال ، وتاقت نفوسهم إلى مشاركة زملائهم فى الغنائم ، فقال قائل منهم : « لم تقيمون ههنا فى غير شىء وقد هزم الله عدوكم ، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم ، فادخلوا فاغنموا مع الغانمين » .

فقال آخر : « ألم يقل لكم رسول الله لا تبرحوا مكانكم وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا » .

فقال الأول : « لم يرد رسول الله أن نبق بعد أن أذل الله المشركين » .

ولم يستقروا على شيء ، فنصحهم كبيرهم عبد الله بن جبير باتباع أوامر الرسول ، فلم يطعه إلا نفر دون العشرة ، وانطلق الباقون إلى مسرح الغنائم .

عاقبة مخالفة أوامر الرسـول :

وهنا انتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة السانحة وكان يقود فرسان مكة ، فاخترق الممر وأقصى عبدالله بن جبير وأصحابه القلائل ، كل ذلك والمسلمون عنه فى غفلة وفى نشوة ، وصاح خالد حتى شعر القرشيون المنسحبون بالتطور المفاجىء الذى حدث ، فعادت إليهم روحهم وشجاعتهم وأصبحت رغبتهم فى الثأر مزدوجة فانهالوا على المسلمين ضربا وتقتيلا .

أفاق المسلمون من غفلتهم ليقاتلوا من جديد ولكن بعد فوات الأوان ، بعد أن تبدل الأمر وأصبح الحال غير الحال .

لقد كانوا منذ قليل يقاتلون جنباً إلى جنب متضامنين متحدين ، وهم الآن يقاتلون متفرقين مبعثرين ، وكانوا يقاتلون لله وفى سبيل الله ، وهم الساعة يقاتلون لأنفسهم وفى سبيل الظفر بالنجاة من مخالب الموت فى أسوأ أوضاعه !

وكانوا يقاتلون وقلوبهم مفعمة إيمانا ويقينا وثقة ، وهم الآن يقاتلون وقلوبهم مملوءة رعباً وندما .

زاد الاضطراب واختلط الحابل بالنابل ، فأصبح المسلم يقتل أخاه المسلم ولا يكاد يعرفه من فرط الذعر وتحت تأثير المباغتة .

وصاح صائح بالناس « إن محمداً قد قتل ! » فازداد الأمر سوءاً ، وعمت الفوضى ، وعظمت المصيبة ، وصار الرعب مع الدهشة والندم ومع الاضطراب من أهم عوامل القتل النفسى فى نفوس المسلمين .

ويقول الحافظ ابن حجر : إنهم صاروا ثلاث فرق .

١ — فرقة استمروا فى الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى :

« إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا . ولقد عفا الله عنهم » .

٢ — وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبى قد قتل ، فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه ، أو يستمر على بصيرته فى القتال إلى أن يقتل ، وهم أكثر الصحابة .

٣ — وفرقة ثبتت مع النبى ﷺ .

أما الطائفة الأولى فقد ذهبت إلى المدينة فلقيتهم أم أيمن رضى الله عنها فجعلت تحثو التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فاغزل به ! وهلم سيفك (أى أعطنى سيفك) .

أما الطائفة الثانية فقد تراجعت إلى النبى ﷺ والتفت حوله حينما عرفوا أنه حى ، ولأنه ﷺ كان يقول : إلىّ يا فلان إلىّ يا فلان ، أنا رسول الله .

أما الطائفة الثالثة فكان عددهم أربعة عشر رجلا : سبعة من المهاجرين ، وسبعة من الأنصار .

وفى رواية أخرى أنه ثبت معه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول : وجهى دون وجهك ونفسى دون نفسك ، وعليك السلام غير مودع .

وتختلف الروايات فيمن ثبت معه عليه الصلاة والسلام ، ولا عجب فإن اختلافها لاختلاف الأحوال واللحظات .

محمد جمال الدين محفوظ

المؤلفة قلوبهم فى جنوب السودان

نوهنا فى جزء شعبان من هذه السنة بالتبرع الكريم الذى وصل إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بأربعين جنيها من السرى الوجيه الحاج يوسف زينل على رضا وبعشرة جنيهات من العالم الجليل الشيخ محمد نصيف . وفى هذا الشهر أرسل حضرة الشيخ محمد نصيف إلى فضيلة الأستاذ الأكبر حوالة أخرى على البنك العربى بالقاهرة بقيمة خمسين جنيها تبرع بها حضرة السيد إبراهيم شاكر من أعيان جدة وتجارها . ثم وردت حوالة أخرى على البنك العربى أيضاً بقيمة عشرين جنيها من حضرة الشيخ محمد الطويل من أعيان جدة ، وقبل ذلك وصل إذن بريد من فاعل خير فى السودان بقيمة خمسمائة مليم . وبذلك صار مجموع ما تلقته مشيخة الأزهر من التبرعات المشكورة مائة وعشرين جنيها وخمسمائة مليم . والمشيخة تدعو الله عز وجل أن يتولى جزاءهم ويضاعفه لهم من رحمته وكرمه أضعافا مضاعفة .

ابن أبى ذئب

عرف التاريخ الحفيظ لأفراد من هذه الأمة الكريمة صوراً من الكرامات الدينية، فيها مجادة لهم لم يكونوا يسعون إليها ولا يعملون عليها، وكانت تلك الكرامات تتمثل فى تعظيم أوامر الله وحده وعدم المبالاة بشىء سواه، تحقيقاً لمعانى: لا إله إلا الله والله أكبر «وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون»، و«ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم».

إن الحق سبحانه أخذ ميثاقهم بما عهد إليهم ألا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم مهما صادفهم من شدة، فإن ذلك من الجهاد فى الله، وخير الجهاد كلمة حق تقال عند سلطان جائر.

إن الحق سبحانه يريهم أن كل الخلق ذليل إلا من أعزه الله، وكلهم ضعيف إلا من قواه الله، وكلهم فقير إلا من أغناه الله، وأن الله يحكم ما يريد.

وكانت هذه المعانى تتمثل فى أصحاب محمد ﷺ كما علمهم أستاذهم الأول بمواقفه العجيبة التى كانوا يشاهدونها رأى العين، فهو فرد واحد كون أمة فاضلة من جبروت الباطل وطغيان الضلال، لم يبال أن يجمع الناس على خلافه أو يتألبوا على دعوته. فقد أمره الله بالجهاد لإعلاء هذه الكلمة التى يأبى الله إلا أن تكون هى العليا والله عزيز حكيم.

خالط ذلك المعنى قلوبَ الأصحاب الكرام، وكان يشجع على ذلك عــدلُ الأئمة وتشجيعُهم للناصحين، فلما فسد الدين وأوثرت الدنيا وأخذ ظل الحق فى الناس يتقاص بإيثارها: ظهر الانكماش فى الحرص عليها، فكان ملقٌ ونفاقٌ. وعادت مظاهر الجهل الأول فى ممالاة الظالم لأنه يملك من أمر الدنيا، ولكن الله الذى شاء بحكمته ألا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم قد حفظ أفرادا من هؤلاء يمثلون الدين ويؤيدون حجة الله بين الظالمين، وقد لمعت أسماء أفراد من هؤلاء، ونوهنا ببعضهم على

صفحات هذه المجلة الغراء من أمثال سعيد بن المسيب والحسن البصرى وابن سيرين وابن السماك والصابر المحتسب أحمد بن حنبل وآخرين منهم رضى الله عنهم وجعل لنا فى سيرتهم الطاهرة عبرة نافعة وأسوة صالحة .

وقد كان ممن لمعت أسماؤهم فى التاريخ وبين العلماء إمام جليل من هؤلاء ، كان من أهل الفقه والحديث ، وكان من أهل التقشف والزهادة ، يرفض الدنيا إذا أقبلت ، ليكون حرا يقول الحق ويهدى السبيل ، يواجه بكلمة الحق كل جبار يصرع الابطال ، ويهزم الجحافل ولكنه يعجز أن ينال منه أدنى منال، لأنه لا ينافسه على دنيا ولا يطلب منه دينارا ولا درهما ، فلا يسلطه الله عليه ، ولكنه يزعجه من سلطانه الروحى ، ويخير قواه أمام ذلك الضعف البدنى ، فتبارك الله رب العالمين .

ذلك هو الإمام محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب الذى نشأ فى أواخر القرن الأول وبقى إلى ما بعد منتصف القرن الثانى ، واتصل بكبار التابعين من هذه الأمة يتلقى عنهم ما أخذوا عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من هدى ودين وإيمان وحق وثبات على المبدأ الشريف ، وهو مخصب القلب طيب العنصر والنفس ، لا يسمع شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله محمد وسيرته الطاهرة وهدى الأئمة الصالحين إلا زاده إيمانا بالله وتمسكا بالحق وتعصبا للدين ، ينشد تنفيذ أحكامه ، ويلتمس عند الملوك القيام بشرائعه . فأى مقت لهم عنده إذا تنكبوا عن جادة الهدى ، وكانوا هم الهادمين لمعالم الدين الحنيف .

إنه لينتهز الفرصة يلتقى فيها أحدهم أو الجمال ليذكرهم ويبصرهم لعلهم يهتدون .

ولد فى المحرم سنة ٨١ هـ وتوفى بالكوفة منصرفه من بغداد إلى المدينة سنة ١٥٩ وتلقى العلم والدين عن عكرمة مولى ابن عباس ، ونافع مولى ابن عمر ، وشعبة مولى ابن عباس أيضاً ، والأئمة أبى الزناد ومحمد بن المنكدر والزهرى وغيرهم ممن حملوا هذه المعارف إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا مشاعل الفرقان لها .

وقد صحب الإمام مالكا المتوفى سنة ١٧٩ إمام دار الهجرة ، واشتركا فى الأخذ عن نافع والزهرى وغيرهما ، وكان يزاحمه فى الفقه والحديث ، حتى قال ابن وهب : سمعت مناديا ينادى بالمدينة : ألا لا يفتى الناس إلا مالك بن أنس وابن أبى ذئب . ولعل الجو لم يخل لمالك إلا بعد وفاة ابن أبى ذئب لأنه كان يقدم عليه عند كثير من أهل العلم لورعه ومواقفه المشرفة التى أظهرته على مالك فى عهده كما سترى . وكان الإمام مالك يعظمه ويرفع من شأنه

وينوه به حتى عند الخليفة المنصور . وقد سأله المنصور فى يوم وفد عليه : من بقى بالمدينة من المشيخة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن أبى ذئب ، وابن أبى سلمة ، وابن أبى سبرة .

أما الذى كان لا يزاحم فيه ابن أبى ذئب فهو جهاده بكلمة الحق وتطبيق العلم الإسلامى على ما كان يرى فى عهده ، يوم ماج بعض الناس فى بعض وسفكت الدماء فى سبيل وضع المُلْكِ لبنى العباس ، ثم فى سبيل استقرار الملك فيهم والضرب على أيدى مناوئيهم بكل سبيل ووسيلة . رأى ابن أبى ذئب كل ذلك وسمع به عن دعاة بنى العباس ، وعن خلفاء بنى العباس فأنكره وقاومه ، وبلغ كلمة الله فى شأنه ، وسلك مسلك ابن المسيب فى سيرته الطاهرة وعدم حفله بأبهة الملك ، ولا مظاهر السلطان ، لا يبالى حين يقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعه ، فكان يرسل كلمة الحق ويسلم معها نفسه للسياف يفعل بها ما يريد تحت سمع الأرض وبصرها ، وتحت تصرف السماء وتقديرها .

وقد حدث الخطيب البغدادى بسنده إلى أبى نعيم قال : حججت سنة حَجَّ المنصور وأنا ابن إحدى وعشرين سنة ومعه ابن أبى ذئب ومالك بن أنس ، فدعا ابن أبى ذئب فأقعده معه على دار الندوة فقال له : ما تقول فى الحسن بن زيد بن الحسن بن فاطمة ؟ قال : إنه ليتحرى العدل . قال : فما تقول فىّ (مرتين أو ثلاثا) قال : ورب هذه البنية إنك لجائر . فأخذ الربيع بلحيته فقال له أبو جعفر : كف يا ابن اللخناء . وأمر له بثلثمائة دينار . وهنا نحب أن نعلق على هذا الموقف الدقيق البارع الذى وقفه المنصور فنتساءل : كيف ساغ للمنصور أن يترك هذه السبة تمر فى موسم الحج من غير أن يتخذ منها ردعا للعدو ؟ وكيف استساغ المنصور أن يدافع عن ذلك الذى أصابه فى كبده وهو يوازن بينه وبين خصمه فيقول : إنه يتحرى العدل ، ويقول : ورب هذه البنية إنك لجائر ؟ وأخيراً كيف استطاع المنصور وهو الشحيح الشديد أن يجود لهذا الإمام بثلثمائة دينار ، والدينار الواحد من مثله هبة سنية ومنحة جليلة .

الحق أن هذا موقف حازم من داهية سياسى ، استغله ليسجل للناس على رءوس الأشهاد أنه يلين للحق وينقاد له فى أهله أئمة الدين ، فهو يسترشد بهم ، ويتخذ منهم مرآة لصورة حكمه . فإذا شاع مثلها فى الموسم ازداد المتعصب له تمسكا ، وقامت الحجة على خصمه مع بطش السيف المخوف على الآخرين . ولو أنه أساء إلى هذا الإمام المحبوب العظيم لاستهدف ولكان من الخاسرين إلى حد بعيد . ولا تنس أيها القارئ الكريم أنه كان فى الحرم الذى يأمن فيه كل مروع خائف فهل يستطيع المنصور أن يخيس بعهد الله فى مأمنه .

لم يكن موقف ابن أبي ذئب مع الخليفة هو الوحيد من نوعه ، فقد جرى أنه استشهد فى شهادة على والى المدينة كان الإمام مالك وغيره يلوذون فيها بالتقية ، ولكن ابن أبي ذئب كتب فيها رسالة خاصة جهرة أمام الوالى وندد فيها بظلمه ، فلما حضر الخليفة للحج مر بالمدينة ليرى الأمر بنفسه واستدعى ابن أبى ذئب ، فكرر ابن أبى ذئب التنديد وأغلظ القول ، فغضب الوالى وقال (وهو يعلم مذهبه فى الخليفة) : سله عن نفسك يا أمير المؤمنين . فقال له أبو جعفر : أسألك عن نفسى . قال : لا تسألنى . قال : أنشدك بالله كيف ترانى ؟ قال : اللهم لا أعلمك إلا ظالماً جائراً . فقام إليه وفى يده عمود وجلس قربه . قال الحسن بن زيد (راوى القصة) فجمعت إلى ثوبى مخافة أن يصيبنى من دمه وجعل الخليفة يقول له : يا مجوسى . أتقول هذا لخليفة الله فى أرضه وجعل يرددها . وهو يقول نشدتنى بالله ! ولعل هذه كانت المرة الأولى لاستفتاء الخليفة عن نفسه ذلك الإمام ـ ولهذا عز عليه الموقف . ثم ألفه منه .

وهناك مواقف أخرى كان يرشد فيها الخلافة إرشاداً عملياً فيقول افعل كذا ودع كذا ويرفع إليه حاجات الناس ولك أن تراجعها فى مظانها فإن المجال لا يتسع لها .

أما المهدى فلم يكن حظه من ابن أبى ذئب خيرا من حظ أبيه ، فقد دخل مسجد المدينة والناس جميعا يقومون له إلا ابن أبى ذئب ، وجاء حاجب الخليفة يقول له : ويحك . هذا أمير المؤمنين قم . أتدرى ما كان جواب الإمام ؟ ما كان جوابه إلا سخرية من أمير المؤمنين إذ يقول ضاحكا : ياهذا إنما يقوم الناس لرب العالمين . ثم يقشعر بدن الأمير وترتعد فرائصه ويقول لحاجبه : ويحك دع الشيخ ، فقد قامت كل شعرة فى بدنى .

ومعنى ذلك أن إمرتنا على غير هؤلاء الذين ارتفع مستواهم ، فكانوا فوقنا ، تخيفنا النظرة من أحدهم ، وتزعجنا السخطة اليسيرة منهم .

من لى بأمثال هؤلاء الصادقين المخلصين ليعز الله بهم دينه ، ويرفع بهم منار الحق فى أرضه . لو أراد الله أن يرفع شأن الحق لأكرم بأمثال هؤلاء الأرض .

اللهم اجعل لنا فيهم صادق العبرة وصالح الأسوة .

وأما فقه الإمام فحسبك أن هذا الأمير (المهدى) استقدمه إلى العراق يعلم بها حتى حانت منيته وهو فى سفره من العراق إلى المدينة . وكان ذلك بالكوفة سنة ١٥٩ هـ . رحمه الله رحمة واسعة ؟

محمود الشرقاوى

قصة

مســـــــاواة

فى بهو فسيح من أبهاء قصر الخلافة رسمت على سقفه وجدرانه آيات من الفن العربى ، وضعت إحدى الأرائك فى الصدر تحت لوحة رائعة مكتوب عليها « العدل أساس الملك » وفرشت الأرض بأبسطة جميلة ؛ ووقف الحجاب والحراس وقد فرغوا لساعتهم من صلاة الظهر يتأهبون لشيء خطير . وهـل هناك أخطر وأروع من رد المظالم إلى أهلها ، ومن إنصاف الضعيف وإحقاق الحق ؟ وهل هناك أيضاً أخطر وأروع من أن يكون الخليفة هو الذى يتولى هذا الأمر بنفسه ؟ .

كان الخليفة المأمون يصلى الظهر فى المسجد المجاور للقصر ، وبعد أن فرغ من صلاة الفرض توجه إلى القبلة مرة ثانية وصلى ركعتين ثم رفع يديه إلى السماء ، وتمتم بدعاء إلى الله كى يهديه الصراط السوى ، ويلهمه السداد والتوفيق فيما هو مقبل عليه . وبعد أن فرغ من دعائه خرج من المسجد تحفه المهابة والجلال ، ودخل قصر الخـلافة وتوجه إلى الأريكة وجلس عليها بعد أن خلع نعليه .

وبعد أن سمى باسم الله وقرأ بعض آيات الذكر الحكيم التفت إلى وزيره قائلا : « ما عندك اليوم ، يا أخى ؟ » وكانت هذه الجملة بمثابة الاستعداد لافتتاح الجلسة . فسرعان ما أشار الوزير إلى أحد الحجاب الذى أسرع بدوره إلى باب ففتحه ، فدخلت جموع الشاكين والمتظلمين ، وجلسوا صفوفا متراصة على البسط الممدودة .

وكان منظراً رائعاً رفرف عليه الجلال والمهابة ، واشرأبت الأعناق لترى أمير المؤمنين جالساً فى مكان القاضى وقد أطرق برأسه إلى الأرض فكست لحيته صدره ، وتحركت شفتاه بكلام الله عز وجل ، ولعبت أنامله بمسبحة توحى بالتقوى والورع ، وهمس كل فى أذن جاره يسأله عن شكايته ، ويمنيه برفع الظلم ، ويذكر له ما حدث لكل من عرض شكواه فى هـذا المكان ، وكيف خرج مرفوع الرأس ، موفور الكرامة ، مجبور الخاطر .

ورفع الخليفة رأسه ، فارتفعت خفقات القلوب ، وتحركت بعض الأشجان ، وصحت الآمال فى جنبات المظلومين ، ورفرف على المكان سكون رهيب ، واتجهت الأنظار جميعها إلى وجه الخليفة ، وأرهفت الأسماع لتعى ماذا يقول ، وأشار أمير المؤمنين إلى وزيره إشارة ذات مغزى ، فناوله هذا كتاب الله ؛ فأخذه الخليفة بيده اليمنى ووضعه أمامه ، ثم وضع يده عليه ، وأقسم قسمه العظيم ، وهو أن يقضى فى الناس بالحق . فأطرقت الرؤوس مهابة وجلالا . ثم رفع يديه إلى السماء ، ودعا الله بصوت مرتفع أن يلهمه سداد الرأى وفصل الخطاب ، فتجاوبت جنبات القاعة تردد : « آمين آمين آمين . . »

وكان هذا الدعاء إيذاناً بفتح الجلسة ، فأشار الوزير إلى الجالس فى أول الصف من جهة اليمين ، فوقف وسمى باسم الله ثم بدأ يعرض ظلامته ، وبعد أن انتهى من عرضها ، أشار إليه الخليفة إشارة إذنه بالجلوس ، فجلس . وبعد برهة قصيرة نطق أمير المؤمنين بالحكم ، فهدأت ثائرة المظلوم ، وسكنت نفسه ، واطمأن إلى العدل ، ونظر إلى الحياة نظرة ملؤها الثقة والمحبة ، وانصرف إلى حاله راضياً مبتهجا . ثم أشار الوزير إلى الثانى فالثالث فالرابع إلى أن انتهت الجلسة ، وهم الخليفة بالقيام .

وبينما هو كذلك إذ دخلت امرأة رثة الثياب ، لا يشك الناظر إليها أنها آتية من سفر بعيد ، ووقفت بين يديه وقالت : « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » . ولم يستغرب الخليفة ولم تصبه الدهشة فقد تعود هذه المواقف من قبل ، ونظر إلى يحى بن أكثم ، فقال لها يحى : « وعليك السلام يا أمة الله . تكلمى بحاجتك ! فقالت :

يا خير منتصف يهدى له الرشد ويا إماما به قد أشرق البلد
تشكو إليك ـ عميد القوم ـ أرملة عدى عليها فلم يترك لها سبد
وابتز منى ضياعى بعد منعتها ظلما وفرق منى الأهل والولد

فأطرق الخليفة لحظة سبحت روحه فيها فى ملكوت الله وهو يسمع المؤذن يدعو الناس لصلاة العصر ، قائلا : « حى على الصلاة ، حى على الفلاح » ثم رفع رأسه ونظر إلى المرأة قائلا :

فى دون ما قلت زال الصبر والجلد عنى وأقرح منى القلب والكبد
هذا أذان صلاة العصر فانصرفى وأحضرى الخصم فى اليوم الذى أعد
فالمجلس السبت ـ إن يقض الجلوس لنا تنصفك منه ـ وإلا المجلس الأحد

قال هذا ، وهم بالخروج إلى المسجد المجاور ليصلى العصر ، وانصرفت المرأة راجعة من حيث أتت .

وفى اليوم التالى ، نودى عليها فى أول المتظلمين ، فوقفت قائلة : « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » فرد عليها الخليفة قائلا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته » ، ثم سألها : « أين الخصم ؟ » فقالت : « الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين » وأومأت إلى العباس ابنه .

فعقدت الألسنة من الدهشة ، وحملق كل جالس فى جاره ، وظهرت الغرابة على الوجوه ، ولكن الخليفة لم يعجب ولم يندهش ، ولم تأخذه روعة الموقف ، بل أشار فى هدوء إلى أحمد بن أبى خالد ، وقال له : « خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم » .

وانطلقت المرأة تروى قصتها ، وتشرح ظلامتها ، وارتفع صوتها على صوت العباس . فقال لها أحمد بن أبى خالد : « يا أمة الله ، إنك بين يدى أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير فاخفضى من صوتك » ، فرد المأمون فى قوة : « دعها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه » . فاستأنفت المرأة روايتها حتى أتمتها .

ورأى الخليفة أن الحق بجانبها فقضى برد ضيعتها إليها ، واقتص من ابنه العباس ، وأمر بأن يكتب إلى العامل الذى ببلدها أن يسقط عنها الخراج ، ويحسن معاونتها ، وفوق ذلك كله أمر لها بنفقة ؟

سعيد زايد
محرر بمجمع اللغة العربية

تدقيق لغوى

في باب اللغويات من الجزء الخامس من المجلد ٢٥ من المجلة الزاهرة مقال لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد على النجار تحت عنوان (كفى كلاماً) ما تلخيصه :

« يكثر هذا الأسلوب فى الحديث والخطاب .. وقد جرى بحث فى هذا التركيب .. وموضع البحث فاعل (كفى) ما هو ؟ » .

بعده : « ويبدو أن التأليف صحيح وأن فاعل كفى محذوف مقدر ... أى كفى ما أنتم عليه ... و(كلاماً) تمييز » .

بعده : « وقد قرىء فى أواخر سورة البقرة (وإن كان ذا عسرة) ... أى إن كان المدين » ص ٥٦٤ .

أقول : إن (كفى) لها خاصية لا تشاركها فيها سائر الأفعال وهى جر فاعلها أو مفعولها بالباء الزائدة ويعقبها تمييز ، وغرض المتكلم التنويه ، والمضى مشترط ، فهى فى بابها فعل جامد وإن لم أذكر فيها نصاً .

فمن الضرب الأول قوله تعالى [وكفى بالله شهيداً] وقوله [وكفى به إثماً مبيناً] .

فإن لم يكن الغرض التنويه قيل : (كفاك درهم) كما تقول : (يكفيك درهم) فتخرج حينئذ من جمودها .

ومن الضرب الثانى قول المتنبى :

كفى بجسمى نحولا أننى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى !

وقوله :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا ! وحسب المنايا أن يكن أمانيا !

وفى الحديث : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » .

والباء كثيرة . ومن القليل : (كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً) .

وفضيلة الأستاذ لم يأت بشيء من شواهد الباب مع كثرتها واعتلاقها بالذهن كالآيتين السابقتين ، بل طرق باب كان وساق عليه قريباً من صفحة ! مع أن لكان خصائص لا تقبل المشاركة . كما أنه أبعد النجعة فراجع اللسان واستشهد بقطعة من الرجز .

والحال أن موضوع البحث (كفى) فى تركيب خاص ! فهى فى مناط الثريا من قول الراجز :

(يكفيك من سوداء واعتجانها) ... ! ص ٥٦٥ .

على أنى أستبعد أن يكون اللسان أغفل واجب اللسان فى باب (ك ف ى) .

إن التركيب الذى جعل منه الأستاذ موضوع بحث ، من التراكيب السخيفة المستحدثة التى جرت بها أقلام لا عهد لأصحابها بالتحصيل أو عهدهم به ضئيل ، فهم لا يضبطون أزمة أقلامهم فى جريانها ! ولهذا نفقد هذا التركيب الأهوج فى كلام المشاهير كما نفقده فى كلام المتقدمين أيا كان حالهم ، بل قد نفقده قبل خمس سنين !

وما قد نجده فى سبك بعض الفضلاء فإنما جاءهم من طريق العدوى ! ورب عدوى نشأت عن خطأ مطبعى بسقوط حرف مثلا كاستعمال (البرود) بمعنى (البرودة) سقطت التاء فأحدثت لغة ! و (شغوف) مكان (مشغوف) سقط الميم فأحدث لغة ! و (تعمق البحث) مكان (تعمق فى البحث) سقط حرف الجر فأحدث تعدياً أشبه بالاعتداء ! وقريب من هذا (شاركه العمل) .

إن العلماء إذا جشموا أنفسهم توجيه أغلاط الجهلة أضاعوا وقتهم ، ونهكوا قوتهم وأفسدوا لغتهم ! والحزم أن يصارحوا الغالط بغلطه !

ونكر على الموضوع فنقول : إن تركيب (كفى كلاماً) لا يتجه من جهة المعنى مع قطع

النظر عن اتجاهه من جهة الإعراب ، وذلك لخلوه من إفادة التنويه ، فمعنى القائل (كنى كلاماً) على تقدير صحته لا يعدو معنى (كفى الكلام) !

أين هذا من قول القائل (كفى بالشيب واعظاً) و (كفى بالكتاب سميراً) و (كفى بالمال شاغلا) لا (كفى شغلا بالمال) كما افتتح صاحب المقال بحثه !

وبعد ! فإنى أتوقع من الموكول إليهم أمر الأزهر الشريف أن يلتفتوا إلى جهة الاختصاص فى العربية وغيرها ... فإنى لا أعرف فى العالم العربى أو الإسلامى ذا اختصاص يرجع إليه فى الملمات كصاحب الخصائص وصاحب المغنى ... والأزهر الشريف هو المسؤول الأول وعليه المعول !

لقد كان فى أسلافنا من يفهم سيبويه ! فهل فى العالم الإسلامى اليوم من يفهم سيبويه ؟

أما (المجامع الرسمية) القانعة بالوميض ... فما أفرغها من ذى اختصاص ، ولات حين مناص !

بغداد — محمود الملاح

تعقيب على « تدقيق لغوى »

مجمل القضية أنى وجدت أسلوبا يؤدى غرضاً صحيحاً وقع فى كلام الناس ، فعنيت ببحثه من جهة العربية ، هذا الأسلوب هو : كنى كلاما ، وكنى خداعا ، وما جرى هذا المجرى مما يطلب فيه الاكتفاء فى أمر كثر الغرى به ، ويلتمس الانصراف إلى ما هو أمثل منه وأهدى سبيلا .

ولما كان الأسلوب ينقصه فى النطق فاعل « كنى » اتجهت إلى هذه الناحية ، فوجدت من النحويين من يجيز حذف الفاعل ، ويستشهد بشواهد أوردتها ، وقد حذف المرفوع فيها مع كان ، وهذه الشواهد يرى جمهرة النحويين أن المرفوع فيها مضمر ، وكلا الأمرين قريب ، فسلكت هذا المذهب وخرجت الأسلوب عليه ، ووجدت فى رجز اللسان الذى أوردته ما يقوم بما ذهبت إليه ، إذ حذف فاعل « يكنى » فأوردته وصححت الأسلوب .

وليس يزرى بالأسلوب أنه لم يرد فى كلام العرب إذ كان جارياً على منهاج كلامهم ، ويقرر ابن جنى الذى يعتز به الكاتب أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . والاقتصار فى الأساليب على ما ورد فى كلام العرب تضييق فى اللغة ، وأخذ بالظاهرية فيها ، وهو ما يرفضه علماء العربية .

ويأخذ علىّ الكاتب أنى تركت القول فى خاصية فاعل كفى وما أورده هو من علم غزير ، وعذرى أنى لم أعقد بحثى فى كفى ومدلولها وفاعلها ، وإنما كان همى أسلوبا خاصاً ليس فيه الفاعل ظاهراً ، وقد استشهدت عليه بشواهد فيها كان ، ويذكر الكاتب أن كان لها خصائص ، وكان عليه للرد على أن يذكر أن حذف المرفوع من خصائصها ويثبت ذلك ، ويعيب على إبعاد النجعة إلى اللسان حيث استشهدت برجز فيه حذف فاعل يكفى مع البون الشاسع بين كفى ويكفى . ولكن أين البون فى فعليتهما ؟ إنهما فعلان ، وقد حذف فاعل أحدهما ، فلى أن أهتبل هذا وأجيز حذف فاعل الآخر ، وما تكون النحو إلا بالقياس وحمل النظير عل النظير .

وأتجاوز همز الكاتب ولمزه ، وشكواه إلى الأزهر فقدان ذوى الاختصاص ومن يفهم سيبويه ، رغبة عن جداله ، وإبقاء على أدبه الذى تأدب به ، ولكنى أناقشه فى مسألة لا يصح إقرارها خشية اللبس على القراء ، فقد ذكر أن جر الفاعل بالباء الزائدة خاصية لكفى لا تشاركها فيه سائر الأفعال . والباء الزائدة تدخل على فاعل موازن « فعل » فى التعجب . وقد حكى الكسائى : مررت بأبيات جاد بهن أبياتاً . أى جدن أبياتاً . ويقول الشاعر :

حب بالزور الذى لا يرى منه إلا صفحة أو لمام

وتدخل فى التعجب على فاعل أفعل نحو أكرم بمحمد ، وهذا على رأى البصريين .

فأما طريقته فى معالجة ما حدث ويحدث من الأخطاء اللغوية فتحتاج إلى تمحيص وفضل نظر ، فهو يرى مثلا أن الشغوف أصلها المشغوف فسقطت الميم فى الطبع ، والبرود أصلها البرودة فسقطت التاء فى الطبع ، فسرت اللفظتان وصارتا لغتين ، وأترك للقراء تقدير هذا .

والله المسئول أن يهدينا سواء السبيل ؟

محمد على النجار

سورة الأنفال

نزلت سورة الأنفال كغيرها من سور القرآن منجمة بحسب الحاجة، ثم أخذت وضعها من سابقتها ولاحقتها بطريق التوقيف فى المصحف والتلاوة، ولهذا فصلت مع سورة التوبة بين السبع الطوال — بين السور الست المرتبة: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، وبين سورة يونس بن متى. والأنفال مع التوبة جزءان متلاحقان، وصنوان متجاوران، وسورتان متصلتان متشابكتان، نفذت الأولى إلى الثانية فجأة من غير نذير أو بشير، ومن غير تعريف أو إعلام، لتشابك أهدافهما، فلم يذكر بينهما ما اعتاد القرآن أن يذكره بين سوره، أو يذكره فى افتتاح سوره، فبسم الله الرحمن الرحيم التى ثبتت فى أوائل سور القرآن فى المصحف الإمام المجرد مما ليس من القرآن، لم تذكر فى افتتاح سورة التوبة والتوبة وحدها هى التى انفردت من بين سور القرآن: قصيرها وطويلها، مكيها ومدنيها، بإسقاط البسملة، وفى ذلك ما يؤتنس به إلى قرآنية البسملة، وأنها آية فى كل سورة من سور القرآن سوى سورة التوبة. إذ الإثبات والإسقاط والترك والتلاوة ليس شهوة عند المثبتين والمسقطين والتاركين والتالين، وإنما التوقيف والنقل هما الدعامة والمنارة والحجة والدليل.

وليست الأنفال ممتدة إلى آخر سورة التوبة، فالناس فى التلاوة، والمصاحف فى التسجيل والكتابة قد شهدا بانفصالها وافتراقهما، كما يدل تواتر النقل فى التسمية للسورتين، وترشد إليه العلامات الرسمية والشكلية بين السورتين فى المصاحف الموجودة.

* * *

وضعت سورة الأنفال فى المصحف، وتليت سورة الأنفال من الحفاظ بعد سورة الأعراف. وسورة الأعراف مكية كسورتى الأنعام ويونس، أما بقية السبع الطوال فهى مدنية. وسورتا الأنفال والتوبة مدنيتان، والأغراض المكية والأغراض المدنية وإن اتحدتا من جهة الغاية فقد افترقتا تماما من جهة الوسيلة التى سلكتها الدعوة الدينية فى مكة والمدينة، ذلك أن مكة قد أنكرت الحق، وظاهرت الباطل، وجحدت الدعوة، واستحبت العمى على الهدى، وظنت الرسالة القدسية كسبا ينحاز إلى المال، أو ينصرف

إلى شرف مزعوم ، ورياسة موهومة ، وعظمة ضالة ، فعز على أنفتها وكبريائها أن ينزل القرآن على رجل من القريتين غير عظيم فى زعمهم . وللعظمة مقاييس يضعها المحق والمبطل ، والمسىء والمحسن ، فهى لفظ أصابت معناها عن طريق التعارف والتواضع ، ولو أصابت معناها عن طريق العقل ، لشفت لهم عن عظمة محمد صلى الله عليه وسلم التى لا تدانيها عظمة ، ولأبانت أن محمداً لا يوازن فى نسبه وحسبه ، وشرفه ومجده . وخلقه وخلقه ، وصدقه وأمانته .

فالنزاع المكى كان نزاعا فى أصل الدعوة وحامل الدعوة ، وكان هذا النزاع محتاجا إلى ما يهدىء طبعه ، ويخفف ثقله ، بالحجج الدامغة ، والعبر المؤثرة ، والعظات الآخذة بمجامع النفوس ، لهذا نجد السور المكية تنحو نحو تقرير العقيدة ، والإيمان بأصول الدين . وتستعين لذلك بالترغيب فى الاتباع ، والتهديد والوعيد على الامتناع ، إما بذكر ما أعد للممتثلين من جنات ونعيم ، وزروع ومقام كريم ، أو أعد لمخالفين من سموم وحميم . ونار وجحيم وإما بضرب الأمثال ، وسرد الأخبار ، وسوق القصص الحاملة بين ثناياها ما يذلل الشموس ويفتح أسارير العبوس ، ويقود النافر ، ويستهوى الشارد ، ويرقق الغليظ .

أما المدينة فقد استجابت لله ، وآمنت برسول الله ، وبايعت على السمع والطاعة ، والمؤازرة والنصرة ، لهذا نجد السور المدنية آخذة طريقها إلى تقرير الأحكام ، ووضع نظام الدولة ، وتشريع القوانين التى تكفل سلامة الأمة من نواحيها المختلفة : من ناحية سياستها وسيادتها ، واجتماعها وعقيدتها ، وآدابها وأخلاقها ، وعلاقاتها مع مخالفيها فى دينها أو لغتها أو أرضها . كما وضعت إزاء نظم عمرانها حدودا تقوم على حراسته ناجزة فى الدنيا عند ما تسفر الجريمة ، ومؤجلة فى الآخرة عند ما يشملها الخفاء ، ويصادفها الشد وتكون بمنأى عن الحاكمين ، فعند ذلك يقضى فيها من لا تخفى عليه خافية ، ويعلم السر وأخفى .

* * *

هكذا كان هدف القرآن مكيه ومدنيه ، وقد عرفنا أن سابقة الأنفال مكية ، وأن لاحقة التوبة مكية ، وأنهما من الطوال السبع ، وأن الأنفال والتوبة قد وقعتا فاصلتين بين سورتين مكيتين طويلتين ، والقرآن كتاب محكم الآيات ، محكم الوضع والترتيب ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تتناسق ألفاظه ، وتتعاشق كلماته ، وترتبط آياته ، وتتصل سوره ، حتى يبدأ وينتهى . وهو وحدة فى بيانه ، ووحدة فى دعوته ، ووحدة فى إعجازه ، ووحدة فى مرماه ومغزاه ، وحدة تنتهى به إلى الواحد الأحد الفرد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له

كفواً أحد . إذاً فللأنفال مع الأعراف نسب جامع ، وصلة وثيقة ، لا يمنعهما ما بين مكة والمدينة من مسافة وجفوة ، كما أن لها مع أختها التوبة مثل ذلك ، وللتوبة مع يونس ارتباط ومناسبة أوجدها الله للقرآن ، كما أوجدها بين العرب والعجم بالإسلام .

فاتصال المكى بالمدنى ، والمدنى بالمكى فى كتاب الله ، إيماء للوحـــدة الإسلامية ، وتحقيق لارتباط أفرادها وجماعاتها ارتباطا يقضى على الفروق المزعومة ، ويجهز على الحدود المرسومة ، ويجعل من المسلمين حقيقة متداخلة ، وجماعة متواصلة ، تعتصم بحبل الله ، وترتبط برباط الحق ، حتى تكون مثلا وقدوة تحتذى وترتجى .

* * *

وسورة الأعراف قد بدأت بذكر الكتاب ، والكتاب حبل الله المتين ، من قال به صدق ، ومن تمسك به رشد ، دعا إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ثم ثنت بالأمر والتذكير ، وتعرضت لخلق الإنسان الأول ، وما كان من عداء الشيطان له حين قال : « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » كما ختمت بالتحذير من الشيطان ، والأمر باستماع القرآن وبين بدئها وختامها عرضت لحل الطيبات ، وتحريم الخبائث ، ودعت إلى النظر والتفكير فى ملكوت الله ، وحددت آجال الأمم كما حدد فى غيرها آجال الأفراد ، وأجاب الله فيها السائلين عن الساعة ، والساعة غيب لم يبح فى عالم المادة والمشاهدة ، برد علمها إلى مالك النفع والضر عالم الغيب والشهادة ، وتخلل ذلك كله محاورات بين أهل الجنة والنار ، وبين أهل النار بعضهم مع بعض ، وقصص مستفيضة عن الرسل وأقوامهم ، تكشف عن مقدار ما أصاب الدعوة إلى الله ، والداعين إليها ، من تنكر وخذلان ، وجحود واضطهاد ، برغم ما كان من بيان ، ووجد من برهان ، ثم كانت العاقبة أن أيد الله رسله ، وأهلك أعداءه ونصر دعوته . وهذه الألوان التى اشتملت عليها سورة الأعراف ألوان مكية ، لأنها تتجه إلى العقائد ، وتتخذ للإيمان بها أساليب مختلفة من الترغيب والترهيب ، والعظات والعبر .

أما سورة الأنفال فجاءت تمثل أغراضها المدنية ، تنظم ناحية القوة فى الدولة ، التى تتمثل فى جيشها المدافع عن حوزتها ، والذاب عن فكرتها ودعوتها ، بعد أن طلب القرآن من المسلمين فى غير آية من سوره أن يقاتلوا فى سبيل الله ، وأن ينتصفوا لأنفسهم ، وأن يردوا العدوان بمثله .

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » « وقاتلوا

المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ، « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » فناحية القوة فى الإسلام تتجه لرد الباغين ، وتذكير الجاحدين وتأمين الدعوة ، وإقرار العدالة ، وتثبيت النظام ، « فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

فمن الظلم المبين أن ينسب للإسلام أنه أقام صرحه وحقق وجوده تحت ظلال السيوف وفوق أسنة الرماح ، وما اهتزت السيوف ، ولا صوبت الرماح إلا دفعاً للعدوان ، ورداً للطغيان ، وكشفاً للحجب ، وإزالة للأستار عن دعوة الحق حتى تتبين ، وبعد ذلك فلا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، وهل نظام الذمم والمعاهدات عند المسلمين إلا احترام للحرية الشخصية ، وتقدير للإنسانية ، وفسحة للعقل ، ولفته إلى النظر والتأمل ؟ .

* * *

وقد سئل عن الغنائم فى الأنفال ، وأحكام الغنائم من العمليات ، كما سئل عن الساعة فى الأعراف ، والساعة من الاعتقاديات ، وأمر الرسول أن يقول : الأنفال لله . كما أمر أن يقول : الساعة لله . والمؤمن يوجل قلبه إذا ذكر الله ، والكتاب المنزل هو ذكر الله ، وقصة محمد مع قومه وقد تناولها الأنفال بالبيان والتفصيل كقصة الرسل مع أتباعهم وأشياعهم ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . والاستجابة لله إحياء للقلوب ، كما أن نفخ الروح إحياء للأبدان ، ودأب قوم محمد معه مثل دأب فرعون والذين من قبلهم مع رسلهم ، والطاعة والإخلاص والتوكل والبذل من أنواع الأخذ بالعرف والإعراض عن الجاهلين ، كل أولئك صلات وثيقة بين الأنفال والأعراف .

أما ناحية القوة أو الناحية الدفاعية ، وما يتصل بها من الجنوح للسلم عند المسالمة ، ووضع مقاييس القوة فى الجيش الإسلامى ، وأنها مع الإيمان عدد وعدة ، وأن دعوة الحق لا تفتقر إلى الأعداد والعدد حتى تمكن ، فإن أمكنت كان من الإيمان بذل الطاقة ، وإلا تخلى الله عن المقصرين ، والتعرض للأسرى ، والتنويه عن شأن القوة المدافعة من المهاجرين والأنصار ، كل ذلك له مع إقرار معاهدات الجوار والإقامة ، وفرض الجزية ، والكشف عن ألوان النفاق ، وبيان أضراره المحسوسة على القوة الدفاعية ، والتعلق بالأعذار الواهية ، وانتحال أسباب الفرار من صفوف الحق ، والتذرع لذلك بالحلف الكاذب ، والعهود المنقوضة ، ثم بيان علاقة المؤمنين بالمنافقين ، وأنها علاقة مقطوعة فى الحياة وفى الموت ، إلى غير ذلك من أغراض وأهداف نحت إليها سورة التوبة ، كل أولئك صلات وروابط بين الأنفال والتوبة .

أما سورة يونس فقد نحت نحو الأعراف فى اتجاهها إلى الناحية الاعتقادية ، مع تقديم المواعظ ، وسوق القصص والعبر التى تزيد فى اطمئنان المؤمن ، وتبين للمشرك والمنافق مغبة أمرهما ، ونتيجه فعلهما ، وأن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قمين بالاتباع وجدير بالاستماع ، فقد جاءهم من أنفسهم ، وعز عليه عنادهم ، حرصا على نجاتهم .

* * *

ونعود إلى الأنفال وقد رسمت لنا حدود القوة ، وأبانت عن الجندية الحقه ، وأنها تحتاج إلى إيمان وإذعان بما اعتقدته حقاً ودينا ، وتقوى الله والخوف منه مقرران لهذه العقيدة ، مدعمان لهذا الدين ، واتحاد الجند تقويه لدعائم الجيش ، ونزاعه مفض إلى الفشل مذهب للريح . وإصلاح ذات البين من خلال المؤمن ، والطاعه المطلقة لصاحب الدين ، وناشر الدعوة ، والقائم على المبدأ ، واجب حتى على الجنود ، إذا كانوا ممن يسمعون ، وشر الدواب عند الله الصم البكم ، وشر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون .

فالجندية إيمان ومراقبة وطاعة ، والإيمان مظهر قلبي يعمر بالوجل والخشية ، ويزداد بالعبرة والذكرى ، ويشرق بالتوكل والتفويض ، ومظهر علنى يتمثل الخضوع فيه فى ركوع وسجود ، والامتثال فى بذل وإنفاق . ومتى كان الإيمان كذلك كان إيماناً حقا ، ومتى كان حقاً كانت المراقبة والطاعة من أصول الإيمان . فالجندية الإسلامية تعتمد على الإيمان الحق وما يقرره الإيمان الحق فى اللقاء ، والزحف والعدد والعدد والاستقبال والاستدبار ، والإقامة والتحيز ، والاعتدال والانحراف ، إلى غير ذلك من معان تحتاج فى بيانها والكشف عنها إلى إخصائيين حربيين يحددون نظامه ، ويبينون قوانينه ، والوفاء والطاعة هى دعامة النصر ، وركن الفلاح .

« يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه » « يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .

« يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول » « يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار » « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .

محمود جميل
المدرس فى كلية اللغة العربية

رحلة الى الله

كلما أهل هلال شوال من كل عام أذن مؤذن الله أن هلموا أيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها إلى رحلة فى سبيل الله، حيث توجد الكعبة البيت الحرام، وزمزم والمقام، ومشاهد الحج المقدسة، ومغانى الحرمين الحبيبين إلى النفوس المؤمنة، رحلة فيها تطهير القلوب من أدرانها، وتزكية النفوس من خبثها، وتجرد الأرواح مما علق بها من الحجب المادية الكثيفة، وظلمات الشهوات، والمعاصى، فتعود إلى سالف عهدها صافية قوية محبة للخير والحق والسلام.

هلموا إلى البيت العتيق الذى بناه الخليل إبراهيم وولده الذبيح إسماعيل قائلين: « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم »[1] فكانت الأمة المسلمة هى الأمة المحمدية، وكان رسولها هو النبى العربى الهاشمى الذى علمهم القرآن، وجاء بالحكمة وفصل الخطاب، وزكاهم من عبادة الأوثان ورجس الشيطان.

فما أن فرغا من البناء حتى أمر الله خليله إبراهيم أن يعلم الناس بالحج فقال: وما يبلغ صوتى يا ربى؟ فقال الله سبحانه: أذن وعلى البلاغ. فقام الخليل على جبل أبى قبيس[2] فنادى بأعلى صوته: « يأيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا ». فبلغ صوته إلى أهل الأرض، وصدق الله حيث يقول: « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير. ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق »[3] ومن يوم أن أذن إبراهيم عليه السلام والناس تهفو قلوبهم إلى هذا البيت ويأتون إليه من كل سهل وحزن، يطوون البيد والفيافى راكبين وراجلين،

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧ ـ ١٢٩. (٢) جبل بمكة مشرف على الحرم.

(٣) سورة الحج الآية ٢٧ ـ ٢٩.

قاصدين الحج أو معتمرين ، ليشهدوا منافع لهم دينية ودنيوية ، يحـــدوهم الحب الأكيد لبيت الله وظله الظليل فى الأرض .

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وهـذه آلاف السنين قد خلت ودروب الصحراء ومسالكها تسيل بالألوف الوافدة من كل قطر ومن كل جنس ولون ، لا فرق بين أبيض وأسود ولا أحمر وأصفر ، ولا بين عربى وعجمى ولا نبي وغـير نبى ولا ملك ومملوك ولا غنى وصعلوك ، كلهم متجردون من زخارف الدنيا ، اللهم إلا من إزار ورداء يواريان السوأة ، وكلهم يرفعون الصوت بالتلبية مجيبين داعى الله « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » . وفى صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ مر بوادي الأزرق فقال : أي واد هـذا ؟ فقالوا : وادي الأزرق . فقال : كأنى أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية . ثم أتى على ثنية هرشى فقـال : أي ثنية هذه ؟ فقالوا : ثنية هـرشى . قال : كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة ، عليه جبة من صوف ، خطام ناقته خلبة - أى ليف - وهو يلبى » . وروى الإمام أحمد فى مسنده عن ابن عباس : لمـا مر رسول الله ﷺ بوادى عسفان حين حج قال : يا أبا بكر أى واد هذا ؟ قال : وادى عسفان . قال : لقد مر به هود وصالح على بكرات حمر خطمها الليف ، أزرهم العباء ، وأرديتهم النمـار ، يلبون يحجون البيت العتيق » . وهكذا نرى أن الحج شعيرة من شعائر الأنبياء والمرسلين ، وهو فريضة باقية محكمة إلى يوم الدين . من ذا الذى لا تتوق نفسه إلى زيارة هاتيك البلاد المفضلة التى فيها قامت دعائم الإسلام ، ومنها انتشر نوره حتى عم أطراف الأرض ، والتى هى حافلة بشتى الذكريات الخوالد التى توحى إلى النفوس المؤمنة أن الحق مهما أوذى وحورب فلا بد أن ينتصر ، وأن جهاد النفس والأعداء من صفات الأتقياء ، وأن الصبر عند نزول البلاء ، والإذعان لأمر الله ولو كان فيه إزهاق الأرواح من سنن الأنبياء ، وأن المسلمين جميعاً وفى بقاع الدنيا إلههم واحد ، وقبلتهم واحدة ، وأمتهم أمة واحدة فى آلامها وآمالها ووجهتها ، وأن أمر المسلمين اليوم لا يقوم إلا بمـا قام به أولهم : اتحاد فى قوة ، وعزم فى حزم ، وعدل فى حكمة ، وعلم فى عمل .

إنى حين أرجع بذاكرتى إلى سنوات قضيتها فى الحجاز أديت فيها النسكين ، وتنقلت فيها بين الحرمين — مكة والمدينة — تتوارد على نفسى ذكريات ، وصور ومشاهدات ، تحمل فى ثناياها عبراً وعظات . ولا أدرى أى هـذه المشاهد أذكر ؟ أأذكر بيت الله وما أضفاه الله عليه من جلال ومهابة يملآن النفس رهبة والقلب خشوعا ، حتى ليستشعر المسلم وهو واقف تجاه البيت عظمة ذى الجلال والكبرياء ، وتمتزج الرهبة بالفرح والسرور فلا يملك عينيه من أن تفيضا بالدمع مدراراً ، ولسانه من أن يجأر بالدعاء مراراً . فتحف به الرحمات ، وتستجاب الدعوات ، وتغسل الذنوب والخطيئات .

أم أذكر زمزم المعين الثرة المباركة التى أجراها الله بهزمة جبريل [1] وجعلها سقيا لإسماعيل ، وكانت ولا تزال شرابا هنيا ، وغـذاء غذيا ، وعافية للمتضلعين بما أودعه الله فيها من سر دفين ، وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث قال فيها : « إنها طعام طعم وشفاء سقم » [2] .

أم أذكر عرفات وهواءها العليل ، وماءها النمير ، وساحتها الفسيحة ، وجبلها المعروف بجبل الرحمة ، والصخرات عند السفح التى وقف عندها رسول الله ﷺ راكباً على ناقته مستقبلا القبلة مكثراً من الدعاء ، وعرفات موطن من مواطن الرحمة الإلهية يتجلى الله فيها على أهل الموقف فيكفر عنهم السيآت ، ويرفع لهم الدرجات ، فنى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء » ، وفى مسند عبد الرزاق « أن الله ينزل إلى السماء الدنيا عشية عرفة فيباهى بهم الملائكة يقول : هؤلاء عبادى ، جاءونى شعثاً غـبرا يرجون رحمتى ويخافون عذابى ولم يرونى فـكيف لو رأونى » .

وما رؤى الشيطان أصغر ولا أدحر من يوم عرفة لما يرى من كثرة غفران الله لمن شاء من حجاج بيته العتيق .

أم أذكر الدار التى فيها تـكونت بذرة الإسلام الأولى ، وكانت المتنفس الذى يتنفس فيه المسلمون يوم أن أخذ أهل الشرك بخناقهم وضيقوا عليهم المسالك ، وهى دار الأرقم

---

(١) الهزمة ضربة العقب . (٢) رواه الطيالسى وأصله فى صحيح مسلم من رواية أبى ذر رضى الله عنه .

ابن أبى الأرقم ؛ والغار الذى منه أشرق النور فعم الكون وهو «غار حراء» ؛ أو الغار الذى أوى إليه النبى وصاحبه الصديق الأكبر لما خرجا مهاجرين ، وما كان من عناية الله بنبيه ووقايته له فى أشد المواقف وأحرجها ، حتى أعمى أبصار المشركين ورد كيدهم فى نحورهم وهو «غار ثور» .

وإذا ما يممت وجهى شطر دار الهجرة تذكرت الدار التى عز فيها الإسلام بعد غربة ، وقوى بعد ضعف ، وصارت له دولة وصولة ، وتركزت فيها الخلافة الرشيدة فى أزهى عصور الإنسانية قاطبة ، الدار التى طابت وطاب أهلها ، وآوت الإسلام فى غربته ، وسيأرز إليها الإيمان فى آخر الزمان ، والتى دفن فى ثراها النبى وصحابته البهاليل الأمجاد الذين قلما أن تجود الدنيا بأمثالهم دينا وخلقا وعلما وحكما وعدلا ورحمة .

وتذكرت مسجدها النبوى أول مسجد أسس على التقوى ، وثالث المساجد المشرفة فى الأرض ، وأحد المساجد التى تشد إليها الرحال من أقاصى البلاد ، وتعدل الصلاة فيه ألف صلاة فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام ، المسجد الذى كان فى حقب من الزمان رمز الخلافة ومنارة الهدى والعرفان .

وتذكرت البقعة المباركة الطيبة وهى الروضة الشريفة التى ورد فيها قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» رواه مسلم ، والروضة تقع بين المنبر الذى طالما شع منه الهدى والعلم والحكمة من النبى ﷺ فى حياته ، والبيت الذى صار فيما بعد مثوى لجثمان النبى الطاهر بعد وفاته ، وجثمان شيخى الإسلام الصديق والفاروق رضى الله عنهما ، وفى الروضة يغضى كل إنسان الطرف حياء ، ويغض من صوته تأدباً ، ويجد فيها ما شاء من راحة القلب وسكن النفس وهدوء الروح .

ولا تنس — يا أخى المسلم — وقد حللت بالبلد الطيب والبقعة المباركة أن تديم التعبد وقراءة القرآن والدعاء ، وأن تكثر من الصلاة والسلام على نبيك المصطفى كفاء ما قدم للمسلمين من هداية ونصح وإرشاد ، وللدنيا كلها من خير وأمن وسلام ، وبحسبك فضلا أنك كلما سلمت على نبيك رد عليك السلام ، وإنه لشرف عظيم وأمنية عزيزة تتضاءل دونها الأمانى ، كما أوصيك وقد حظيت بجوار الرسول الكريم أن تكون محمدياً فى عقيدتك وفى خلقك وفى قولك وعملك وفى سمتك وهديك .

إنى لأعجب من بعض من يتسم بالإسلام يذهب فى كل عام إلى بلاد تروج فيها المفاسد والمفاتن، وينفق فيها الآلاف من الدراهم والدنانير، ثم يعود خاوى الوفاض مكدود النفس مثقلا بالأوزار، بينما يصدف عن الرحلة إلى أحب البلاد إلى الله مع ما فيها من استجمام الفكر وصحة الجسم وقضاء الفرض وإرضاء الرب وغفران الذنب والفوز بنعيم الجنة، وصدق الموحى إليه من ربه «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»، «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له من ثواب إلا الجنة».

فاغتنم أيها المسلم أداء الفريضة وأنت مستطيع سليم معافى، فإنك لا تدرى ماذا ستكون فى غدك، فقد يمرض الصحيح، وتضل الراحلة، وتعرض الحاجة، ألا إنه لا عذر لمعتذر بعد اليوم، فالسبل ميسرة، والمواصلات أضحت سهلة مريحة، ومرافق العيش والحياة الطيبة هناك متوافرة من مسكن وملبس وطعام وشراب، ولا تعجب أن يوجد من الأرزاق ما يكفى سكان البلاد والحجيج على كثرتهم، فما ذاك إلا استجابة لدعوة الخليل عليه السلام «ربى إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون».

وأما الأمن فضرب بجرانه فى تلك البلاد، فلا خوف على نفس أو عرض أو مال، وكل ذلك بفضل تطبيق الشريعة الإسلامية الغراء ولا سيما فى الحدود والجنايات، وأشهد الله لقد كنا نسافر اليومين والأكثر فى المفاوز الشاسعة وبين الجبال الشاهقة فما هاجنا هائج من حيوان أو إنسان.

«وبعد» فهذه خواطر سنحت وذكريات ألمت، فأهاجت الأشواق، وأثارت كوامن النفس، ولعلك — أيها المسلم المشوق — وجدت أنك فى حاجة إلى أن تجدد نفسك، وتقضى حاجات فؤادك بالرحلة إلى هذى البقاع المقدسة، وإنك إن أخلصت النية وشددت العزم وفتحت القلب لواجد — إن شاء ربك — لذة لا تعدلها لذة، وسعادة أى سعادة، وعند الأوبة ستحمد الرحلة، وعند الصباح يحمد القوم السرى؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

اتّفاق الخواطر في الشّعر
عرض وموازنة

تناولت فى المقال الماضى بعض المظاهر التى يتجلى فيها أخذ شاعر من آخر ، وتتضح البراعة فى الاقتباس ، أو تستبين المشابهة فى الهدف . ولعله يبدو من المساق أو الدرس والنظر كيف يبذ الشاعر زميله فى دقة المعنى وعمق الفكرة ، أو حسن الصياغة وجمال السبك ، أو السبق إلى تحـــديد المعنى واقتناصه ، حتى ليسترعى فى ذلك النظر ، ويثير الدهشة ويبعث العجب .

واليوم نوالى ما التزمناه من عرض صور مختلفة . قال جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

وقال أبو نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

وعند الموازنة بين الصورتين نجد أن معنى أبى نواس أعم وأشمل من معنى جرير ، وقد كرره فى شعره بقوله :

متى تحطى إليه الرحل سالمة تستجمعى الخلق فى تمثال إنسان

فجرير جعل الناس كلهم فى تميم ، وأبو نواس جعل العالم كله فى واحد . وهذا أبلغ من غير شك ، ولقد كان أبو تمام معجبا أشد الإعجاب ببيت أبى نواس . ويحكى أنه دخل على ابن أبى دواد فقال له : أحسبك عاتبا يا أبا تمام . فقال إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا . فقال من أين هذه يا أبا تمام ؟ فقال من قول الحاذق أبى نواس (ليس على الله بمستنكر) [١] .

---

(١) ص ١١٧ (الصبح المنبى) و ﺣ ٢ ص ١٤٠ معاهد التنصيص .

وقال بشار :

يروعه السرار بكل شيء مخافة أن يكون به السرار

فقال أبو نواس :

تركتني الوشاة نصب المسر ين وأحدوثة بكل مكان
ما أرى خاليين في السر إلا قلت ما يخلوان إلا لشاني

وقال جرير :

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا

وقال عروة بن عشبة الكلبي :

إذ تحسب الشجراء خلف ظهورنا خيلا وأن أمامنا الصحراء

فقال أبو نواس في غير هذا الباب :

فكل شيء رآه ظنه قدحا وكل شخص رآه ظنه الساقي

وأصل هذا المعنى من قول الله تبارك وتعالى : (يحسبون كل صيحة عليهم) ... على أن بيتي جرير وأبي نواس مستويان في تمثيل شدة الشعور وقوة الإحساس بالشيء حتى ليتملك العقل والفكر ، ويجثم في كل شيء يطوف بالبال أو يبدو للخاطر . ويأتي دونهما بيت عروة الذي يتوهم الشجراء فحسب خيلا

وقال الأفوه الأودي :

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستمار

وقال النابغة :

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب

وقال حميد بن ثور الهلالي :

إذا ما غدا يوما رأيت غيامة من الطير ينظرن الذي هو صانع

وقال مسلم بن الوليد :

قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه في كل مرتحل

فقال أبو نواس :

تتأبى الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره

وهذه الصورة لأبى نواس لا تقل جمالا وإمتاعا عن صور أنداده وإخوانه، ولقد أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال :

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير فى الدماء نواهل
أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل

وأخذه أبو الطيب فقال :

سحاب من العقبان يزحف تحتها سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه

قال الجرجانى فى الوساطة [١] « زعم كثير من النقاد أن أبا تمام زاد عليهم بقوله : إلا أنها لم تقاتل ، فهو المتقدم . وأحسن من هذه الزيادة عندى قوله : فى الدماء نواهل ، وإقامتها مع الرايات ، وبذلك يتم حسن قوله إلا أنها لم تقاتل . على أن الأفوه قد فضل الجماعة بأمور منها السبق وهى الفضيلة العظمى ، والآخر قوله « رأى عين » فخبر عن قربها لأنها إذا بعدت تخيلت ولم تر ، وإنما يكون قربها توقعاً للفريسة . وهذا يؤيد المعنى ثم قال « ثقة أن ستمار » فجعلها واثقة بالميرة . ولم يجمع هذه الأوصاف غيره ، وأما أبو نواس فإنه نقل اللفظ ولم يزد حتى يفضل » .

وعندى أن بيت الأفوه وإن استكمل الأوصاف التى لم يصل إليها غيره ينقصه حسن المعرض ، وروعة الصورة فإن الصورة الشعرية التى تثير الحسن ، وتحرك المشاعر فيه ليست كالصورة التى فى بيت أبى نواس . والشعر لا يقاس بحدود ، ولا بما يحمل من أوصاف ونعوت ، وإنما يعرف ويقدم بما يهيج من عاطفة ، ويبعث من طرب ونشوة .

وقال أبو جويرية العبدى :

وما زال يعطينى ومالى حاسد من الناس حتى صرت أرجى وأحسد

---

[١] ص ٢١٤ .

فقال أبو نواس :

ذريني أكثر حاسديك برحلة — إلى بلد فيـــه الخصيب أمير

فقد جعل أبو نواس زوجته محسدة ، فإذا رحل إلى الخصيب فقد كثر الحاسدون وازداد الحاقدون . وأراد أبو نواس أن يستل رفد الممدوح ويستثير أريحيته . وأما العبدى فجعله نفسه فقيراً معدما لا يحسده الناس ، لأنه لا يملك شيئاً حتى جعله الممدوح رافه الغنى ميسور الحال محسداً من الرجال ، وقد أخذ المعنى أبو الطيب فقال :

أزل حسد الحساد عنى بكبتهم — فأنت الذى صيرتهم لى حسداً

وقال كثير :

متى ما أقل فى آخر الدهر مدحة — فما هى إلا لابن ليلى المكرم

فأخذه أبو نواس وقال :

وإن جرت الألفاظ يوما بمدحة — لغيرك إنسانا فأنت الذى نعنى

وأخذه المتنبى فقال :

وظنونى مدحتهم قديما — وأنت بما مدحتهم مرادى

وقال كثير .

أريد لأنسى ذكرها فكأنما — تمثل لى ليـــلى بكل سبيل

فقال أبو نواس :

ملك تصور فى القلوب مثاله — فكأنما لم يخل منه مكان

وإن كان بيت كثير فى النسيب وبيت أبى نواس فى المديح .

وقال العباس بن الأحنف فى ذم الشركة فى الهوى :

يا فوز لم أهجركم لملالة — منى ولا لمقام واش حاسد
لكننى جربتكم فوجدتكم — لا تصبرون على طعام واحد

فقال أبو نواس فى صورة بديعة ومعنى رائع :

أتيت فؤادها أشكو إليه — فلم أخلص إليـه من الزحام

فيامن ليس يكفيها محب ولا ألفا محب كل عام
أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام .

وقال الداعى :

فتى يشترى حسن الثناء بماله إذا ما اشترى المخزاة بالمجد بيهس

وقال الأبيرد :

فتى يشترى حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء أعوزها القطر

فقال أبو نواس :

فتى يشترى حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور

وهذا النحو من العرض أو الموازنة بحر لا يدرك له غور ولا يعرف له ساحل . وعندى أنه لا يعيب الشاعر أنه أخذ أو اتفقت بعض معانيه مع بعض معانى السابقين . وإنما يعيبه قصور البيان وكلال الذهن وضعف التعبير ؟

عبد الحميد محمود المسلوت
المدرس فى كلية اللغة العربية

الانوار الكشافة عند العرب

قالت مجلة رعمسيس فى الجزء الثانى من سنتها الرابعة :

ألقى الأستاذ (دى لا فررت) محاضرة فى ندوة المهندسين ببرشلونة من أعمال أسبانيا عن (اختراعات القدماء) أثبت فيها أن أكثر مخترعات القرن الحاضر هى من استنباطات القدماء واستدل على ذلك بأن الانوار الكشافة التى نسمع بها الآن ونظن أنها من مستحدثات هذا العصر كانت معروفة منذ القرن السابع ، وكان العرب يستعملونها فى حروبهم بالأندلس وشمال أفريقية .

المجاهدون الأولون

فى فتوح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأقام بها مدة ، ثم لقى ذات يوم طلحة بن عبد الله ، والزبير بن العوام فسألهما : أى الأعمال أفضل فى الإسلام ؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر فأغزاه فى جيش من هذه الجيوش التى ندبها عمر لحمل رسالة الإسلام إلى أقطار الأرض . وكان أبوه قد كبر وضعف ، وخرج معه أخ له آخر ، فانبعث أمية يقول :

يا أم هيثم ماذا قلت أبلانى ... ريب المنون وهذان الجديدان[١]
إما ترى حجرى قدرك جانبه[٢] ... فقد يسرك صلبا غير كذان[٣]
إما ترين لا أمضى إلى سفر ... إلا معى واحد منكم أو اثنان
يا ابنى أمية ، إلا تشهدا كبرى ... فإن نأيكما والثكل مثلان
إذ يحمل الفرس الأحوى[٤] ثلاثتنا ... وإذ فراقكما والموت سيان
أصبحت هزء الراعى الفتان أعجبه ... ماذا يريبك منى راعى الضان ؟
انعق بضأنك فى نجم[٥] تحفره ... من الأباطح واحبسها بجمدان[٦]
إن ترع ضأنا فإنى قد رعيتهم ... بيض الوجوه بنى عمى وإخوانى

ولما طالت غيبة كلاب عنه قال :

لمن شيخان قد نشدا كلابا ... كتاب الله إن رقب الكتابا
تنفض مهده شفقا عليه ... وتجنبه أباعرنا الصعابا
إذا هتفت حمامة بطن واد ... على بيضاتها دعوا كلابا

---

(١) الجديدان : الليل والنهار . (٢) عبر بالحجر عن صحته . ومعنى رك : ضعف . (٣) الكذان : الرخو . (٤) الأحوى : الأسود . (٥) النجم : ما لا ساق له من النبات . ومعنى تحفره تقتلعه .
(٦) جمدان : جبل بطريق مكة وواد .

تركت أباك مرعشة يداه وأمك ما تسيغ لها شرابا
أناديه وولاني قفاه فلا وأبي كلاب ما أصابا
فإن مهاجرين (١) تكنفاه (٢) ليترك شيخه خطئا وخابا
وإن أباك حين تركت شيخ يطارد أينقا شسبا طرابا (٣)
إذا بلغ الرسيم (٤) فكان شدا (٥) يخر فخالط الذقن الترابا

فبلغت أبياته عمر فلم يرد له كلابا ، فاهتز أمية واختلط جزعا عليه ، وتغنت الركبان بعشر أبيه فبلغه ، فأنشأ يقول :

لعمرك ما تركت أبا كلاب كبير السن مكتئبا مصابا
وأما لا يزال لها حنين تنادى بعد رقدتها كلابا
لكسب المال أو طلب المعالى ولكنى رجوت به الثوابا

ثم أتى أمية عمر رضى الله عنه يوما وهو فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والأنصار ، فوقف عليه وأنشأ يقول :

أعادل قد عذلت بغير علم ولا تدرين عاذل ما ألاقى
فإما كنت عاذلنى فردى كلابا إذ توجه للعراق
ولم أقض اللبانة من كلاب غداة غد وأذن بالفراق
فلا والله ما باليت وجدى ولا شغفى عليه ولا اشتياقى
سأستعدى على الفاروق ربا له حج الحجيج على اتساق
وأدعو الله مجتهدا عليه ببطن الأخشبين (٦) إلى دفاق (٧)

فلما أنشدها عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبى وقاص ، أن رحل كلابا ، فرحله إلى المدينة .

---

(١) يريد بالمهاجرين طلحة والزبير . (٢) تكنفاه : أحاطا به (٣) الشسب : النحيفة اليابسة .
[٤] الرسيم : نوع من سير الابل أقل من الشد . [٥] والشد سير الابل السريع .
[٦] الاخشبان : جبلا مكة : أبو قبيس والاحمر ، وجبلامنى
[٧] دفاق : موضع أو واد

فلما قدم دخل إليه فقال له عمر : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أبره وألفيه أمره ، وكنت أعتمد - إذا أردت أن أحلب لبنا - أغزر ناقة فى إبله وأسمنها فأسقيه .

فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه ، فأدخله يتهادى ، وقد ضعف بصره وانحنى . فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما ترانى يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال نعم : أشتهى أن أرى كلابا فأشمه شمة ، وأضمه ضمة ، قبل أن أموت . فبكى عمر رضى الله عنه ، ثم قال ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى .

ثم أمر كلابا أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعث إليه بلبنها ، ففعل ، فناوله عمر الإناء وقال : دونك هذا يا أبا كلاب ، فلما أخذه وأدناه إلى فمه ، قال: نعم والله يا أمير المؤمنين إنى لأشم رائحة كلاب من هذا الإناء . فبكى عمر وقال : هذا كلاب عندك حاضراً ، قد جئناك به فوثب إليه وضمه إليه وقبله وجعل عمر يبكى هو ومن حضره وقال لكلاب :

الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا .

طه الزينى
أستاذية فى النحو والصرف

التفسير الواضح

للأستاذ محمد محمود حجازى - الأجزاء ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠
مطابع دار الكتاب العربى

نوهنا غير مرة بهذا التفسير اللطيف عند صدور أجزائه السابقة . وقد أهدى إلينا الآن خمسة أجزاء منه من أول نصفه الثانى ، وبذلك تم ثلثا التفسير ، لأن مؤلفه التزم أن يفسر كل جزء من القرآن بجزء من تفسيره ، وإذا كانت كتب التفسير المطولة مما يحتاج إليه العلماء وأهل التخصص . فإن هذا التفسير الواضح قد سد حاجة جمهور المسلمين والطلبه وعامة المثقفين فيسر لهم فهم كتاب الله عز وجل ببيان مدلول مفردات الألفاظ ، والمعانى المجملة لكل آية ، على قدر حاجتهم وبما يغنيهم عن غيره . مجرداً عن الحشو والإسرائيليات . فنرجو الله أن ييسر للمؤلف إتمامه .

تعليقات

- ١ -

خطاب مفتوح

إلى السيد رئيس تحرير الجمهورية .

تحية وسلاما - وبعد . . . فقد قرأنا فى الجمهورية - عدد الخميس ٣ رمضان - كلمة تحت عنوان « كفاح الشعب » ومذيلة بكلمة - الطليعة .

وكان موضوع الكلمة نقداً مريراً لأحاديث الصيام التى نشرت بالصحف فى اليومين الأولين من رمضان ، ووجه النقد : أنها فى بيان ما يمنع من صحة الصوم وما لا يمنع ، وفى التنبيه على أن الحقنة الشرجية ونحوها مما يفطر أولا يفطر ... وقد تألم الكاتب لأن هذه الأحاديث من قبيل ما كان يذاع أيام الملكية فى مصر ، ويوم كان فيها باشوات ، وزعم أن الأحكام التى تتعلق بالصوم ، مما يعرفه صبيان المسلمين من طريق آبائهم وأمهاتهم - كذا - ثم دعا فى كلمته إلى العدول عن هذا ، وإلى التحدث مع الشعب بغير هذه اللغة « الفصيحة » وفى غير هذه الموضوعات ، ولم تخل كلمته الناصحة من غمز جارح فى العلماء .

ونحن نستعير من الكاتب غيرته ، ونحاكيه فى جرأته فنقول :

إن تذكير الناس بأحكام الدين أمر يجب تكراره ، ويجب الاستيعاب فيه : حتى يتذكر من يعرف ، ويعرف من لا يعرف ما يصحح به عبادته التى هى صلته بربه ، والتى هى السبيل إلى معرفة حق وطنه ومواطنيه عليه ، فإن ذلك دعامة أولى فى تكوين الشعور الصادق بالواجب على اختلاف أنواعه ، وإذا تهدم بناء الشخصية من الناحية الدينية أو نقص تكوينه فى إنسان فصدقنى - ياسيدى - ألا خير فيه لوطن ، ولا لمواطنين ، وإن جاهر بالغيرة على الشعب ، وجاهر بصدق وطنيته . وكيف يكون خير منه لوطنه ، وهو لا يحفل بالخير لنفسه ، ويعيش على نقص فى دينه ؟ ! .

وليس يمنع من تكرار الدعوة الدينية أن تتناول الكلام على الحقنة الشرعية أو ما هو دونها ، فإن المسلمين ـ والحمد لله ـ يثيرون فى إلحاح مشكور هذه الأسئلة فى مجالسهم أو فى دروس العلم بالمساجد لو سمح الكاتب وزارها يوما ، ويثيرونها فى رسائلهم إلى العلماء وإلى جهات الفتوى لو كان للكاتب اتصال بها .

وما أحسب كل الآباء والأمهات على علم بذلك حتى يلقنوه صبيانهم مثل ما تلقاه صاحب الطليعة عن أبويه الكريمين ، وإنما يتلقى صبياننا فى هذا الجيل أشياء أخرى لعل كاتبنا يعيها أكثر منا لاتصاله الوثيق بالشعب كما يقول ، وإن لم يعجبه هو أن يتحدث بها ويساهم فى إصلاحها ، ولا يعجبه كذلك أن يتعرض العلماء لها لأنها فى اعتباره توافه لا تستحق أن يتناولها الإصلاح الدينى .

وكذلك لا يمنع من بيان أحكام الدين أن تكون سنة سابقة فى عهد الملكية ، وفى عهد الباشوات . . . بل العهد الذى نحن فيه أولى وأجدر بالتوسع فى إرشاد الناس الى كل نفع فى دينهم وفى خلقهم وفى دنياهم ، لأنه عهد الإصلاح المنشود ، ولا حرج على العلماء ولا غيرهم أن يضاعفوا ذلك النشاط فى شهر رمضان ، فإنه الشهر الذى آثره الله رب الشعب والشعوب كلها باتخاذه موسما للعبادة ، وإن كانت العبادة حقا على الناس فى كل وقت سواه ، فإن لله خواص فى الأزمنة والأمكنة والأشخاص .

ثم : أليست هيئة التحرير تدعو الناس الى سماع الدروس الدينية فى مركزها الرئيسى وتضاعف نشاطها فى دعوة الناس إلى إطعام الفقراء . وتسمع القرآن يملأ الاسماع أينما اتجهنا . . وتتجاوب تلاوته فى الريف والمدن بل تتجاوب بين قطر وقطر !

فهل ننكر ذلك كله ونمنعه ترضية لكاتبنا الاجتماعى ، ولأن شيئا من هذا كان يحدث أيام الملكية وعلى عهد الباشوات ؟ ! !

الحق ـ ياسيدى ـ أن الكاتب يهدف فى كتابته إلى النيل من العلماء لحاجة فى نفسه ، ولكن خانه قلمه فزل به فى أمور ما كان ينبغى له أن ينحدر إليها لو كان مسلما حقا كما يزعم لنا . ولكن ...

ياسيدى : سبق لنا أن رجونا الى المشرفين على صحف التحرير وإلى السيد المراقب العام للصحافة والنشر بخصوص خطاب من غير مسلم نشرته مجلة التحرير ، ورجونا أن تتداركوا هذه الأقلام الجامحة فلا تفسحوا لها صحافتكم ، إبقاء على الأوضاع الصحيحة أن تنال منها النزعات الطائشة .

ثم تكرم الرقيب العام فأجابنا إجابة كريمة شاكراً هذا التعاون فى حسن التوجيه رعاية للصالح العام ، ومحافظة على عقول البسطاء أن تتأثر بهذه الثرثرة الكريهة .

واليوم نرجو إليكم ألا تمكنوا لهذه الأقلام أن تشق ثغرات بين الصفوف بتجريحها للهيئات الكريمة رغبة فى التشفى وانسياقا وراء النزعات المتطرفة .

فإن كنتم - يا سيدى - جادين فى احترام الرأى ، فالرأى عند الأكثرين جداً ألا تتسع لهذا صحف التحرير التى يتلقاها القراء على أنها صحف الهيئة الحاكمة ، ولسان هيئة التحرير المظنون بها خير كثير .

وما ينبغى أن تكون حرية الرأى خاصة بأصحاب الفكر المنحرفة والمتجرين بالكلام الأجوف ، وكلما جاشت نفوسهم بسخائم مرذولة وجدوا فى صحافتكم متسعاً لا يصادف مثله أصحاب الدعوة الحقة والأقلام المهذبة .

وإن كانت كلمة الكاتب طليعة لشر مبيت وتجديدا لنغمة الفتنة بعد نومها ، فما لنا من حيلة بعد هذا فى صرف الماكرين عن مكرهم ومن يهد الله فهو المهتدى .

والسلام عليكم ورحمة الله .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء ومدير مجلة الأزهر

— ٢ —

خارج الباب

العلم علمان : علم الشيطان ، وشعاره السلاطة والبغى والكلام بلغة الجاهلين . وعلم الحق ، وشعاره الأدب والتعفف عن زلل القول والترفع عن سباب السوقة ، ومدينة العلم الشيطانى يغلب عليها الأسلوب اللائق بها ، كما يغلب على مدينة علم الحق الأسلوب اللائق بها .

وقد اطلعنا على الجزء الثانى من المجلة الطائفية التى يكتبها المشكك فى إيمان أبى بكر وعمر فرأيناها انحطت عن الجزء الأول فى لغتها وأدبها ، وحتى مقالها الافتتاحى نعتت فيه أصحاب رسول الله بأنهم عقب انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى « بدلوا

وغيروا ، وقدموا ، وأخروا ، وتألبوا على الدين ، وكانوا بما قام فى طريق الإصلاح والعمل بالكتاب والسنة من الناكثين والقاسطين والمارقين » .

وبعد ان افتتحت المجلة جزءها الثانى بسبب الجيل المثالى الذى لا تعرف الإنسانية جيلا أكمل منه ولا أتقى لله ولا أصدق اتباعاً لرسول الله وعملا برسالته ، فزعمت المجلة أن هؤلاء « ناكثون قاسطون مارقون » . التفتت إلى الناحية التى تعمل على إحياء علم الصحابة وفى طليعتهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، وهى ناحية الأزهر ، فصبت مثل هذه اللعنات على مقال السنة الذى يحرره فضيلة الأستاذ الشيخ طه الساكت واختصت الصفحة ٦٥٩ من إحدى مقالاته بسبابها وفسوقها . ثم تجنت بلغة السوقة على فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد أبى شهبة فى مقالاته عن الدخيل وكتب التفسير واختصت إحدى تلك المقالات ببذاءتها مما تمجه آداب العلم ، وينافى أخلاق أهله . وصدق الله العظيم فى وصف المؤمنين : (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) . (المجـلة)

— ٣ —

الاشعرى ومراحل تطوره الفكرى

كان لما كتبناه فى باب وصف الكتب من الجزء الماضى عن كتاب : (الأشعرى أبو الحسن) لحضرة الفاضل المحقق الدكتور حمودة غرابة صدى استحسان عند كثير من القراء ، غير أن الصديق الجليل مؤلف الكتاب يرى فى تطور الأشعرى أنه بعد خروجه من طوره الأول طور الاعتزال حمله رد الفعل على أن يكون فى الطور الذى يمثله كتاب (الإبانة) ، ثم اعتدل فكان فى الطور الذى تمثله كتبه الأخرى ولا سيما كتاب (اللمع) وقد زارنا حضرته وبشرنا بأنه آخذ فى تحقيق كتاب (اللمع) وسيعيد نشره محققاً بما يليق بهذا الكتاب النفيس ، ثم قدم حضرته للمجلة مقالا فى بيان وجهة نظره التى ذكرناها عن تطور الأشعرى ، ولما كانت مواد هذا الجزء قد تمت عند اطلاعنا على مقال الدكتور حمودة فسننشره إن شاء الله فى الجزء الأول من السنة الجديدة ، ونعلق عليه بوجهة نظرنا فى أن (اللمع) من كتب الأشعرى فى طوره الثانى وأن (الإبانة) هى التى انتهى الأشعرى إلى الاعتقاد بما فيها فى آخر حياته وأراد أن يلقى الله عليها ، وموعدنا بعرض وجهتى النظر فى ذلك الجزء الآتى إن شاء الله ؟ (المجـلة)

ركن الطلبة

— ١ —

حقائق

كنت أقرأ فى تفسير سورة محمد عليه الصلاة السلام حتى وصلت إلى قول الله تعالى :
« يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .
قال الشيخ المفسر : معنى نصر الله — نصر دين الله ورسوله — .

ثم أخذت أتأمل فى هذا المعنى وأنظر إلى المسلمين اليوم هل حققوا هذا المعنى الكريم حتى يظفروا بنصر الله ؟ أم أنهم طرحوا الدين وراءهم ظهرياً — ثم أرجعت بصرى إلى الوراء أقلبه فى صفحات التاريخ : هل حقق المسلمون فى القرون الأولى هذا المعنى حتى فازوا بتأييد الله ؟ فوجدتهم فى صدرهم الأول قد حققوه ، فلا تجد فيهم إلا الطهر والعفاف والصدق والأمانة ، القوى فيهم ضعيف حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف قوى حتى يؤخذ الحق له .

بهذا وغيره سادوا العالم وملكوا الدنيا ، وأصبحوا آمنين فى ديارهم ، مطمئنين فى أوطانهم تخضع لسلطانهم أكثر ممالك الأرض ، حتى إن الخليفة العباسى يتحدى السحاب بقوله : (أمطر فى أى الجهات شئت ، فسيأتينا خراجك) . هؤلاء هم الزعماء حقا والأبطال الأمجاد الذين حققوا نصر الله فنصرهم الله .

أما نحن اليوم فقد تنكبنا عن جادة الطريق وسرنا فى الحضيض والهوان حتى امتلك بلادنا من كان بالأمس القريب لا يستطيع أن يدافع عن نفسه .

تجد المسلمين اليوم يحاربون فى أوطانهم ويستذلون فى ديارهم ، تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، ذلك لأننا حاربنا دين الله فخذلنا الله .

تجد فى البلاد الإسلامية الصحافة التى من مهمتها تقويم الأخلاق ونشر الفضائل وبث روح الجهاد والتضحية ، لا يتورع بعض أهلها عن المتاجرة بأعراض الأمة ويفسدون أخلاق شبابها بنشر الصور العارية والقصص الغرامية التى توقع فى الشر والفساد .

فعلينا إذا أردنا نصر الله أن ننصر دينه ونتحلى بآداب سلفنا الأول ونجدد مجتمعنا بما يقوى فيه أسباب الرجولة والقوة (ولينصرن الله من ينصره) .

السيد محمد السيد
بمعهد سوهاج الدينى

– ٢ –

المسلمون بين أمسهم ويومهم

إذا نظر الإنسان فيما صار إليه المسلمون فى هذا العصر من تفرقة وشحناء واستهتار بشخصيتهم ورسالتهم الكريمة التى خلقوا لها والتى بوأتهم مقام الأستاذية على العالم حيناً من الدهر، فكانت لها الوصاية الجامعة على البشرية القاصرة، وكان المسلم هو الشهيد على الإنسانية جمعاء — يقف متسائلا : لماذا بعدنا عن رسالتنا تلك، وهل اغتصبت منا، أم نحن الذين تنكرنا لها.

الحق أننا نحن الذين تنكرنا لها، فتنكرت لنا، جزاء وفاقا (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). ولما غيرنا تعاليمنا الأصيلة بما دخل عليها، ذهبت ريحنا وطرأ علينا الضعف، فانقض علينا الأعداء الموتورون من الإسلام وتحينوا لنا الفرص، بل حاولوا إغراءنا بكل الوسائل لكى يجدوا الطريق الذى ينفذون منه إلى قلوبنا فيزلزلوا ما فيها من بقية الإيمان وأرسلوا لنا باسم العلم والثقافة جحافلهم، فقوضوا تعاليمنا الإسلامية، التى هى عصمة أمرنا، والتى هى دعامة شخصيتنا إلى أن صبغونا بتلك الصبغة وقبلناها راضين. فأصبحنا لا نفرق بين الغث والسمين، وبذلك صرنا جاحدين لتعاليمنا. نحسبها رجعية لا صلاح فيها — وتنكرنا للإخاء الإسلامى رغم أننا نرى أن أعداءنا على وفاق فى جبهة عدائهم لنا، وأنهم على تنافر جنسياتهم، اتحدوا فى محاربتنا فى جميع المواقف وآخرها موقفهم منا فى فلسطين وأمرها ليس ببعيد، فولدت فى أحضانهم هذه المولودة إسرائيل فتكتل أهلها وتجمعوا على تنافر لغاتهم وكونوا — فى معقل إسلامى عظيم — دولة لا تفتأ ترمينا بسهامها المسمومة.

هذا ما كان من حثالة البشرية، وأهل الإلحاد.. عندما عملوا بالإخاء والحب والاتحاد. وما كان منا نحن أهل الإسلام أهل التوحيد الذين تناديهم دعوتهم : بالإخاء والاتحاد. بل جعلت ذلك من الدعائم التى يقوم عليها المجتمع الانسانى.

فيا أخا الإسلام هل عرفت ما نحن عليه، وما عليه أهل الإلحاد.. وكيف انعكس الحال وصار الوضع مقلوباً.. إن سبب ذلك تنكرنا لمبادئنا.. وتعاليمنا التى بتغييرنا لها تبدل حالنا.. وهو الجزاء الذى أنذرنا به القرآن الكريم فقال : — « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وصدق الله العظيم.

محمد أحمد إبراهيم بدوى



الفتاوى

— ١ —

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلى :

كريمة أحد أقاربى وهى مسلمة خطبها شاب مهذب من عائلة محترمة ، ولما تحرينا أمره وجدناه على مذهب (البهائيين) فهل يجوز زواج المسلمة بالبهائى ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن البهائية فرقة ليست من فرق المسلمين ، فإن مذهبهم يناقض أصول الدين الإسلامى وعقائده التى لا يكون المرء مسلما إلا بالإيمان بها جميعها ، بل هو مذهب يخالف سائر الملل السماوية ، فلا يجوز للمسلمة أن تتزوج بواحد من هذه الفرقة ، وزواج المسلمة به باطل .

بل إن من اعتنق مذهب هذه الفرقة من بعد ما كان مسلما صار مرتدا عن دين الإسلام فلا يجوز زواجه مطلقا ولو ببهائية مثله . والله أعلم .

— ٢ —

تقدمت لخطبة فتاة فاعترضت والدتها بحجة أننى رضعت من ثديها ، فاستفسرت منها عن الحقيقة ، فعلمت أنها كانت أعطتنى ثديها فأخذت منه جرعة واحدة ثم لفظته ونمت ، فهل يجوز لى الزواج من هذه الفتاة ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد ـ فتفيد اللجنة بأنه إذا كان الحال كما ذكر بالسؤال حل للسائل ان يتزوج بهذه الفتاة على مذهب الإمام الشافعي ومذهب الإمام أحمد فى الرواية المشهورة عنه ، وهو ماتفتى به اللجنة لقوة دليله . وان كان الامامان أبوحنيفة ومالك يقولان : إن قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم متى وجد فى مدته . والله اعلم ؟

— ٣ —

شخص طلق زوجته ثلاثا بقسيمة رسميه ، ثم توفى بعد الطلاق بثلاثة أيام ، وكان مريضا بالسرطان ملازما للفراش قبل ذلك بشهرين ، فهل هذا الطلاق يعتبر واحد أو ثلاثا . وهل ترث الزوجة وابنها منه حيث مات وهى فى العدة ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فتفيد اللجنة بأن المعول عليه فى هذه الحادثة هو ما قيد بالقسيمة وهو طلاق بائن قد صدر منه وهو فى مرض الموت إذا كان الأمر كما ذكر بالسؤال . فإذا كان قد صدر منه بغير رضا الزوجة كان هذا الطلاق غير مانع من إرثها منه لأن المطلق فى هذه الحالة فار من إرث الزوجة له فيعامل بنقيض قصده ، فترث منه إذا كان الحال كما ذكر بالسؤال من أنه مات وهى فى العدة ، وأما ابنه منها فهو وارث من أبيه مطلقا سواء أورثت طبقا لما قلنا أم لم ترث ، وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله علم ؟

— ٤ —

عندى مقبرة تضم رفات والدى وجدى وعمى وغيرهم من أكثر من عشر سنوات ، وقد اشتريت الآن حوشا وبنيت به مقابر ، فهل يجوز لى نقل رفات أبى إلى المقبرة الجديدة مع العلم بأن الحوش الجديد بعيد عن المقبرة التى بها رفات والدى ، وإذا تركتها من غير زيارة هدمها التربى وباعها لآخرين ولا يمكننى أن أواصل زيارتى فى الجهتين بل سأقتصر على زيارة المقبرة الجديده ، والمكان الجديد أنظف وأليق من المكان القديم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هـذا السؤال ونفيد بأنه يجوز فى مذهب المـالـكية والحنابلة نقل الميت من مكانه الذى دفن فيه إلى مكان آخر لمصلحة كدفنه بين أقاربه وسهولة زيارة أهله له بشرط ألا يصحب النقل ما ينافى احترامه كانفجاره أو تـكسر عظامه أو غير ذلك ممـا فيه انتهاك حرمته ، وبناء على ذلك يجوز فى الحادثة المسئول عنها نقل الأموات المذكورين الى المقبرة الجديدة ، والله أعلم ؟

— ٥ —

١ ـــ هل الإفراز المهبلى يبطل الوضوء إذا حدث بعد إتمـام الوضوء .

٢ ـــ هل طلاء الأظافر يمنع الوضوء ويبطل الصلاة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فتفيد اللجنة : ـــ

أولا ـــ بأن هذا الإفراز المسئول عنه ناقض للوضوء .

ثانيا ـــ بأن طلاء الأظافر بالمـادة المعروفة مانع من تمام الوضوء لأنها ليست مجرد لون بل هى مادة ذات جرم يمنع وصول المـاء إلى الأظافر فلا تصح الصلاة بهذا الوضوء ، لـكن إذا توضأت المرأة قبل وضع هذا الطلاء ثم وضعته وصلت فصلاتها صحيحة ولا يمنع وجوده بعد تمـام الوضوء من صحتها ، وبهذا علم الجواب عن السؤال ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى



محاضرات عن سوريا – من الاحتلال حتى الجلاء

للدكتور نجيب الأرمنازى – نشرته جامعة الدول العربية – ٢٢٥ صفحة كبيرة

الدكتور نجيب الأرمنازى السفير فوق العادة والمندوب المفوض للجمهورية السورية فى مصر من رجال العلم والبحث والتحقيق، كما هو من رجال السياسة والتمثيل الدبلوماسى العربى. وقد ألف قبل أكثر من ربع قرن كتابه النفيس (الشرع الدولى فى الإسلام) باللغة الفرنسية، ونال به الدكتوراه من جامعة باريس بدرجة جيد جدا، ثم نقله إلى العربية وكتب له الأستاذ فارس الخورى مقدمة قارن فيها بين الشرائع وأشاد بمكانة الشرع الإسلامى منها.

وكما أراد سفير سوريا فى مصر أن يعرف الغرب بالشرق الإسلامى فى كتابه (الشرع الدولى فى الإسلام) أراد أن يعرف الشرق الاسلامى بالأسس التى يقوم عليها نظام الغرب الدولى فأصدر قبل بضع سنوات كتابه (السياسة الدولية وأشهر رجالها) فى جزءين اختص أولها بالأعمال والأخلاق والتقاليد وعلاقة ذلك بالسياسة الدولية فى الغرب، وترجم فى الثانى لأقطاب المناهج السياسية من مكيفلى ورشليو إلى كافور وبسمرك حتى ولسن وروزفلت.

وقد أهدى الدكتور نجيب الأرمنازى إلى صديقه القديم رئيس تحرير هذه المجلة كتابه النفيس الجديد (محاضرات عن سوريا – من الاحتلال حتى الجلاء) وهى محاضرات علمية ألقاها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية الذى افتتحته جامعة الدول العربية فى العام الماضى وهذه المحاضرات امتازت بالوقوف التام على تفاصيل الأحداث التى ألمت بها، والاستشهاد عليها بالوثائق والمستندات العربية والإفرنجية، ثم بحسن العرض والأمانة فيه مما يعد أساساً جيدا لتاريخ سوريا السياسى فى الثلاثين سنة الأخيرة عندما يحاول المؤرخون تدوينه. ولا غرو فإن صاحب المحاضرات العلمية العالية من بيت جهاد قومى نبيل، وأخوه السيد على الأرمنازى من شهداء الحركة القومية العربية خلال الحرب العالمية الأولى، وكان الدكتور المحاضر سكرتير المجلس النيابى السورى فى عهد ملكية فيصل الأول سنة ١٩٢٠ ثم كان شاهد عيان بصيرا بجميع الأحداث التى توالت بعد ذلك، فجاءت محاضراته هذه التى

ألقاها على طلبة معهد الدراسات التاريخية فى القاهرة من أثمن وأروع ما سجله هذا المعهد من دراساته وبحوثه النفيسة . وقد أحسنت جامعة الدول العربية بنشرها فى هذا الكتاب ليعم الانتفاع بها جميع المشتغلين بشئون القومية العربية وتكوين كيانها فى العصر الحديث .

لغويات

لفضيلة الأستاذ محمد على النجار ـ ١٦٠ صفحة كبيرة ـ مطابع دار الكتاب العربى

فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد على النجار هو الحجة الثقة فى تحقيق متون اللغة ، وتخريج القواعد وتطبيقها فى فنون العربية ، عرف ذلك له قراء هذه المجلة من سنين طويلة بفصوله الشائقة وتحقيقاته الدقيقة التى ينشرها بعنوان (لغويات) . وقد أراد أن يشرك سائر قراء العربية فى هذه الفوائد العظيمة ، فأصدر الجزء الأول منها فى ١٦٠ صفحة محتويا على ٩٦ تحقيقاً كلها غرر وردر . وقد قال فى مقدمتها : « الكتب المؤلفة فى اللحن ضربان : ما تلحن فيه العامة ، وما تلحن فيه الخاصة . وظاهر أن البدء بالتأليف كان بالضرب الأول حين كان لحن الخاصة نادراً لا يستوجب التأليف ، وقد ألف فيه الكسائى والفراء والجوالبقى وغيرهم . ولما فشا اللحن فى الخاصة ولغة الكتابة ظهرت التآليف فى لحن الخاصة ، ولأبى هلال العسكرى كتاب فى هذا الضرب ، ولما صارت لغة العامة لحناً كلها أفرد التأليف فى لحن الخاصة ، وأشهر كتاب فى هذا « درة الغواص فى أوهام الخواص » للحريرى وقد تناوله العلماء من بعد بالشرح والنقد والتأييد » .

ثم قال « وسبيلى فى هذه البحوث أن أدرس ما فيه ريبة من الأساليب أو المفردات فى ضوء العربية ، وقد أخرج منها بنفى الريبة عنها . وقد أخرج بإلصاقها به وتثبيتها فيه ، على حسب ما يبلغنيه اجتهادى » .

ووعد فضيلته بأن يتبع هذا السفر ما يجد من بحوث إن شاء الله .

فنلفت أنظار المتأدبين ومحبى جمال العربية إلى هذا المرجع القوى فى بابه لينتفعوا به ويوسعوا به معارفهم عن لغة القرآن ، فإنه من خير ما يوصلهم إلى هذه الغاية إن شاء الله .

خواطر الحيـــاة

ديوان فضيلة الأستاذ السيد الخضر حسين - ٢٠٧ صفحات كبيرة - المطبعة السلفية .

يقول فضيلة الأستاذ الجليل السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر السابق في المقدمة التي كتبها لهـــذه المجموعة من شعره : « ربمـا خطرت لي صور من المعاني ، في أوقات أبتغي فيها راحة ، فألبسها ثوبا من الكلام الموزون . ولم يلم بخاطري في يوم أن أجمع ما نظمته وأخرجه للناس ، حتى اقترح على طائفة من إخواني الفضلاء أن أجمعه من أوراق متفرقة ، وأصدره إلى عالم الادب في صفحات متتالية ، فما وسعني إلا أن تقبلت اقتراحهم وقلت : هو كلام موزون ، إن لم يجد فيه الأديب ما يروقه من لفظ أنيق ، أو معنى رشيق ، فقد يرى فيه المؤرخ أشياء يهمه أن يتعرفها من مصادر متعددة » .

والحق أن ديوان « خواطر الحياة » قد فاز بالحسنيين : ما يروق الأديب من لفظ أنيق أو معنى رشيق ، وما يهم المؤرخ أن يتعرفه من خواطر عن مشاهد الحياة في عشرات السنين ومختلف الاقطار .

وقد قدم له مقدمة النشر رئيس تحرير هذه المجلة . وقام بتفسير ألفاظه اللغوية والتعليق عليه فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد على النجار ، فجاء في جمال ديباجته وشرف أغراضه وأنيق طبعه طرفة من طرف المكتبة العربية لهذا العهد .

مناهج الدراسة الأدبية في الادب العربي

للدكتور شكري فيصل — ٢٤٣ صفحة كبيرة — نشرته مكتبة الخانجي بمصر

وصفنا في العام الماضي كتابا للدكتور شكري فيصل عنوانه (المجتمعات الإسلامية في القرن الأول) . وأمامنا الآن كتاب جديد له عن (مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي) وهو مقسم إلى ثمانية أقسام تكلم في أولها على (النظرية المدرسية) ونشأتها وتاريخها وموقف الأدباء المعاصرين منها . وفي القسم الثاني تحدث عن حاجة الأدب العربي إلى نظرية أخرى جديدة تمكن له من المعرفة الخصبة العميقة بعد أن انتهت النظرية

المدرسية إلى الجمود ، وإلى ما يسوق إليه الجمود من هزال وضعف . فتحدث عن طبيعة الأدب العربى ، وعن واقع الأدب العربى ، ثم شرع يتساءل عن الأسس التى ينبغى أن تقام عليها الدراسة الأدبية ، فاستعرض فى القسم الثالث من الكتاب نظرية الفنون الأدبية ، وفى القسم الرابع نظرية الجنس ، وفى القسم الخامس نظرية الثقافات ، وفى القسم السادس نظرية المذاهب الفنية ، وفى القسم السابع النظرية الإقليمية ، وختم الكتاب فى قسمه الثامن بتحرى منهج جديد ينتظم الأدب العربى من أطرافه كلها بما لهذا الأدب من امتداد زمنى وسعة مكانية وواقع لغوى خاص وحياة متميزة .

غربة الاسلام ـ لابن رجب

بتحقيق الأستاذ الشرباصى — ١٤٨ صفحة — مطابع دار الكتاب العربى

هذا العنوان « غربة الإسلام » هو الذى اختاره فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى لكتاب « كشف الكربة بوصف حال أهل الغربة » للحافظ ابن رجب (٧٣٦ - ٧٩٥) صاحب المؤلفات النفيسة فى علوم السنة والشريعة . وكتابه هذا فى شرح الحديث الصحيح « بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » . وقد علق عليه فضيلة الأستاذ الشيخ الشرباصى تعليقات نفيسة مطولة ألمت بهذا الموضوع فى معانيه التى استلهمها من أحداث عصرنا مضافة إلى معانيه التى استوفاها المؤلف مستلهمة من مقاصد الشريعة ، فجاء الكتاب كاملا وافيا بكل ما ينبغى لشباب المسلمين أن يفهموه فى عصرنا من هذا الحديث النبوى الحكيم .

ومما زاد الكتاب فائدة أن الأستاذ الشرباصى ترجم فيه لكل من ورد اسمه فى خلال شرح ابن رجب ، فأغنى ذلك عن مراجعة غيره .

الأدب والعلوم في شهر

الشهادات الأزهرية

وافق مجلس الوزراء على قانون بتعديل بعض أحكام المرسوم بقانون رقم ٢١ لسنة ١٩٣٦ ، ومن مقتضى هذا التعديل أن تمنح مشيخة الجامع الأزهر - بناء على طلب الكلية الأزهرية المختصة - شهادات العالمية ، وشهادة العالمية مع الإجازة ، وشهادات العالمية من درجة أستاذ . وسيوقع على هذه الشهادات رئيس مجلس الوزراء وشيخ الجامع الأزهر ، وتعتبر من الشهادات العليا من حيث الحقوق التي تخولها لحامليها .

معهد البعوث الإسلامية في الأزهر

هذه البعوث الإسلامية إلى الأزهر أمانة العالم الإسلامي في مصر ، وهي أمله في إقامة شريعة الإسلام في تلك الأوطان إذا أتم طلابها دراستهم وانقلبوا إلى أهلهم ليفيدوا شعوبهم بما أفادوه مدة إقامتهم في الأزهر . لذلك رأى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يعاد النظر في تنظيم القسم المخصص لهم بما يكفل لهم الاستقرار العلمي فيما جاءوا لأجله وأن يسمى (معهد البعوث الإسلامية) وأن يلحق به الطلبة من أبناء السودان في الأزهر إذا توفرت فيهم الشروط وسيكون القسم العام بالأزهر تابعا لهذا المعهد .

وتقدم طلبات الانتساب من الطلاب الوافدين من السودان عن طريق وكالة الوزارة لشئون السودان ، كما تقدم طلبات غير السودانيين عن طريق التمثيل السياسي أو القنصلي المصري . والمقيمون الآن في مصر من السودانيين وغيرهم تطبق عليهم شروط انتساب المصريين ماعدا اللاجئين فيكون لهم حكم الوافدين .

وقد اشترط لقبول الانتساب أن يكون الطالب مسلما حسن السير والسلوك بشهادة اثنين معروفين للمشيخة وأن ينجح في الكشف الطبي وبيده أوراق رسمية تثبت السن والجهة التي وفد منها وتعين محل إقامة أهله ، وألا تقل سن الطالب عن سن ١٢ سنة للسنة الأولى من القسم الابتدائي وألا تزيد على ٢٤ سنة مع مراعاة التدرج في هذه السن بالنسبة للسنوات الأخرى وأن يؤخذ رأى شيخ الرواق قبل إتمام الانتساب ..... الخ

أنباء العالم الإسلامي

اتفاقية عسكرية

بين أمريكا وباكستان

تم فى أواسط رمضان توقيع الاتفاقية العسكرية بين أمريكا وباكستان على أن تزود الولايات المتحدة الجيش الباكستانى بالمعدات الحربية الحديثة وأن تساهم فى تدريب القوات العسكرية الباكستانية . فى مقابل أن تتعهد باكستان - بالتعاون مع الولايات المتحدة - باتخاذ التدابير لمنع الاتجار مع الدول التى تهدد استقرار السلام العالمى ، وأن تزود الولايات المتحدة ببعض (المواد الخام) والمواد (نصف المصنوعة) وفقاً لشروط خاصه .

وتتعهد باكستان بألا تستخدم العتاد الذى ستحصل عليه فى القيام بأى عمل عدوانى ضد أية دوله أخرى ، بل تستخدمه فى حفظ (أمنها الداخلى) فقط والدفاع عن نفسها ، أو المساهمة فى (التدابير الجماعية) التى تقوم بها الأمم المتحدة فى سبيل إقرار الأمن . وتسمح باكستان للولايات المتحدة بإرسال بعثة من الخبراء والمستشارين ومنحهم التسهيلات الكاملة والسلطة اللازمه (لمراقبة) كيفية استخدام المساعدات التى ستحصل عليها بمقتضى هذه الاتفاقية .

ومعلوم أن باكستان وقعت أخيراً ميثاق صداقة مع تركيا يرمى إلى تنسيق الدولتين جهودهما فى النواحى السياسية والاقتصادية والدفاعية والثقافية أيضا .

الميثاق التركى الباكستانى

يصطدم بالنزعة اللا إسلامية

يقول مراسل صحيفة (نيويورك تيمس) فى اسطنبول : إنه بفضل الضغط الأمريكى عقد الأتراك وممثلو الباكستان الميثاق المعلوم توطئة لإنشاء نظام الدفاع عن الشرق الأوسط بقصد تجميع القوى كلها لصد أى هجـــوم سوفيتى محتمل . ويقول الأتراك إن غلام محمد أكد لهم باسم باكستان أن حكومته راغبة حقاً فى التعاون على أساس الحقائق الجغرافية والسياسية ، لا على أساس العلاقة الدينية وحدها .

والآن فإن الميثاق التركى الباكستانى يتعرض لخطر داهم من جراء اتجاه الباكستان إلى فكرة الوحدة الإسلامية ، ومعروف أن الأتراك يعارضون تلك الوحدة وأبدوا الكثير من القلق عندما علموا أن الباكستان شجعت ملك الأردن على فكرة دعوة مؤتمر إسلامى فى القدس لبحث النزاع بين العرب وإسرائيل ، غير أن الأتراك لا يرغبون فى التضحية بتجارتهم مع إسرائيل ويخشون أن يصبحوا طرفا فى النزاع .

والحكومة الأمريكية تعتقد أن زيارة محمد على وظفر الله خان لتركيا فى الشهر القادم ستساعد على إيجاد سياسة تقوم على حسن التفاهم ويأمل الأتراك أن ينبذ الباكستانيون فكرة المؤتمر الإسلامى وأن لا يقحموهم فى أى نزاع .

سعود آباد

قررت حكومة باكستان إنشاء مدينة للاجئين المسلمين من اضطهاد الهنادك ، وأن تسميها (سعود آباد) على اسم الملك سعود تذكاراً لتبرعه لمشروع إنشاء هذه المدينة بمائة ألف جنيه وتبرع وزارة ماليته بخمسين ألف جنيه وسيجعل هذا المبلغ نواة لتحقيق هذا المشروع العمرانى .

لإصلاح المسجد الأقصى

يقوم وفد أردنى بجمع التبرعات لإصلاح قبة الصخرة والمسجد الأقصى . وقد وصل هذا الوفد إلى الرياض فى أواسط رمضان فتبرع له الملك سعود بمائة ألف جنيه لهذا الغرض . وقد أرسل الوفد برقية من الرياض إلى الملك حسين بعمان يبلغه ذلك .

هؤلاء مثلنا الأعلى

لفضيلة الدكتور الشيخ عبد الحميد بخيت - ١١٥ ص - شركة النيل للتوزيع

فضيلة الأستاذ المؤلف من أساتذة كلية أصول الدين ، المتخصصين فى التاريخ الاسلامى وقد أراد أن يضع بين أيدى جماهير الأمة صفحات من البطولة الإسلامية ، فكان شعاره فى ذلك (محمد رسول الله والذين معه) فبدأ كتابه بأبطال الإسلام فى تحرير فارس وادخالها فى الأسرة الاسلامية ، ثم تكلم عن أبطال الإسلام فى تحرير الشام ومصر ، ثم استعرض حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وكيف كون الأمة الفاضلة ليكون ذلك قدوة لنا فى استئناف الدعوة لتكوين مثل تلك الأمة الفاضلة ، وأشار بتجنيد الأزهر يين والعلماء لتربية أبناء الاسلام تربية عملية منتجة .

اضطرت المطبعة إلى الاسراع فى طبع الملزمة الخامسة . فحدثت أخطاء مطبعية فى بعض النسخ لا تخفى على فطنة القارىء وأهمها .

س	ص	الخطأ	صوابه
١٢	١١٧٨	ربى	ربنا

فهرس

المجلد الخامس والعشرين

(لسنة ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م)

(ا)

(ب)

(ت ـ ث)

(ج)

(ح)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع - غ)

(ف)

(ق)

(ن)

تم بحمد الله وتوفيقه المجلد الخامس والعشرون من مجلة الأزهر

وسيصدر الجزء الأول من المجلد السادس والعشرين فى غرة المحرم سنة ١٣٧٤ إن شاء الله

مجلة الأزهر

تصدر عن مشيخة الأزهر

فى أول كل شهر عربى

سنتها عشرة أعداد

متعهدو المجـلة فى الخارج

الشركة السعودية للصحافة والتوزيع

٥٩ شارع ابراهيم باشا بالقاهرة

دار الكتب العربية الشرقية فى تونس

لصاحبهـا محمد خوجـة

شركة فرج الله للصحافة والتوزيع

شارع ابراهيم باشـا بالقاهرة

سالم عوض سعيد باسواد

عميل المجلة مقدشو صوماليا

زكى . ج . بطليموس

عميل المجلة الخرطوم سودان

مطبعة الأزهر